



C2A

Q234f
.Q974f

INSTITUTE
OF
ISLAMIC^{v.1}

40183 STUDIES

★

McGILL
UNIVERSITY

3716707

v.1

" Qannawji

Fath al-Baryem

C2A

Q 224 f.

v.1.

هَذَا كِتَابُنَا يُنْطَوُّ عَلَيْكَ بِمَرْحُومٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَنَا بِعَظِيمٍ مِنْهُ وَوَسَّعَ كَرَمَهُ بِطَبْعِ هَذَا الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ تَفْسِيرِ يُسَيِّمَةِ

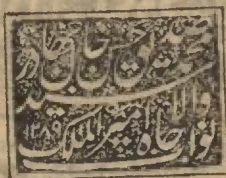


قَدْ أَهْتَمَّ بِطَبْعِهِ الْمَوْلَى مُحَمَّدُ عَبْدِ الْجَبْرِ خَانَ فِي سَنَةِ الْهَجْرَةِ عَلَى صَاحِبَيْهَا الصَّلَوةُ وَالْطَّيِّبَاتُ

الْمَطْبَعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي دَارِ الْإِيمَانِ بِبَغْدَادِ الْعَرَبِيَّةِ

فهرس الجزي اول مرتفسير رفته البيان في مقاصد القرآن

صفحة	سطر	سورة	جزء
٥	٦	الفاتحة	٠ x
٣١	١٣	البقرة	السم
١٦٩	١	ايضاً	سيقول
٣٠٥	١	ايضاً	تلك الرسل
٣٥٣	١٤٠	ال عمران	ايضاً
٢٢١	١	ايضاً	لن تنالوا
٢٩٤	٢١	النساء	ايضاً
٥٢٠	١	ايضاً	والمحصنات
٦٥٠	٨	ايضاً	لا يحب الله
٦٤٠	١٩	المائدة	ايضاً
٤٦١	٢١	ايضاً	واذا سمعوا
٤٩٥	٢٠	الانعام	ايضاً
٨٤٤	١	ايضاً	ولو اننا



ترجمة المؤلف دامجدة

وهو السيد السند الامام العلامة + الاصولي المتكلم المحدث الفهامة + البليغ السني المتبع +
 فريد العصر نادرة الدهر خاتمة النقاد + حامل لواء الاسناد + بقية اهل الاجتهاد بلا خلاف
 وعناد + كشاف اصداف الفرائد + قطاف ازهار الضوائد + فاتح اقفال العلوم + مانع انفال النظرة
 منها والمفهوم + مضيء كجواهر النكت من نواحيه + مفتاح نواظر الظرف في موارد ومصادره +
 عن الاسلام والمسلمين محيي المائت من سنن سيد المرسلين + الجوهر الجوهر النصار النصار
 الشريف الشريف **ابو الطيب صديق بن حسن بن علي البخاري**
القنوجي الحسيني نسباً على السالك عالياً ومذهباً الى الصواب هادياً اولاه الله تعالى
 خلعة العناصروالوجود + وادارة بعين عنايته عالم المظاهر في مناظر الشهود + يوم الاحد
 وقت الضحى لعله التاسع عشر من جمادى الاولى سنة ثمان واربعين ومائتين والف السبعمائة
 على صاحبها الصلوة والتحية + ببلدة بريلي موطن جده القريب من جهة اترش جات به
 امه الكريمة من بريلي الى قنوج موطن ابيه الرقابة الى سماء العلم والادب + ولما طعن في السنة
 السادسة من عمره انتقل ولده الشريف الى جوار رحمة الله وبقي في حجر امه يتيماً + وتخل
 الزمان باتيان مثله في السيادة والشرافة كانه صار عقيماً الى ان ترعرع فقراً من القارسية
 والصرف والنحو بعض مسائلها + واقفن نبذة من مسائلها + ونزل ببلدة كانبور وتعلم
 هناك الفوائد الضيائية ومختصر المعاني وغيرها من كتب المعاني والمباني ثم شمر عن ساق
 الجدل التحصيل العلوم وشد الرحل الى دهلي واخذ عن الشيخ محمد صدر الدين خان الفقيه بها
 واتم الدرس واكمل مراتب الفنون ومقاصد هاديه التاقيب نافذاً في الحرس + وعاد من دهلي
 الى قنوج وسافر منها الى بلدة بهوپال والقي بها عصا التسيارط بالالرزق الحلال وكان زمام
 الحكومة اذذاك بيد اقدار الملكية العالية **الهم نواب سكندر بيگم** غفر الله
 لها واجل لها الاجر الاعظم وصح هذه البلدة المحمية الشيخ حسين بن محسن اليمني حماته الله
 تعالى واقام سلسلة الاسانيد لكتب الحديث الشريف واستحصل سند القرآن الكريم عن

الشيخ محمد يعقوب الدهلوي الهامير المتوفى بمكة المكرمة رحمه الله تعالى في سنة ١٢٠٠
 الاجازة عن الشيخ المير عبد الحق الهندي تلميذ الشوكاني رحمه الله تعالى واستكتب اسناد
 الامهات الست والمسائيد والمعاجم وغير ذلك من كتب التفاسير والاصول والفقه
 وغير ذلك واجازة كل واحد من هؤلاء الائمة بما هو مذکور في شتتهم الجامع لجميع اصناف
 العلوم وانواع الفنون واشتغل بالدرس والتأليف وصار راسا في العقول والمنقول واماما
 في علمي الفروع والاصول وجد واجتهد في اتقان القرآن والسنة وتدوين علومها واشاعة
 ذلك وبذل المال الكثير في اذاعتها بالطبع والتقسيم وما هنالك وله مصنفات عديدة وجمعة
 مفيدة منها ما كتب في اوان التحصيل ومنها ما ألف بعد ذلك وهي كلها نافعة جد مشتملة
 من الحقائق والفوائد علم المير يستعمل عليه كتاب من كتب علماء هذا العصر من العرب والعجم
 ذلك بفضل الله يخضع من يشاء من عباده دوى الهمم والكرم فمن ذلك هذا التفسير المستش
بفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب الروضة الندية في شرح الدرر البهية
 وتبيل المرام من تفسير آيات الاحكام وبلوغ الشؤل من اقضية الرسول والجنة في الاسوق
 الحسنة بالسنة والخطبة بذكر الصحاح الستة والبلغة الى اصول اللغة ولف القاطع على
 بعض ما استعمله العامة من الاغلاط وحصول المامول من علم الاصول الى غير ذلك من الكتب
 والرسائل المهمة باللسان العربي ومساو الختام شرح بلوغ المرام وتبجج الكرامة في اثار القيامة و
 هداية السائل الى ادلة المسائل ومنهج الوصول الى اصطلاح احاديث الرسول وهي باللسان
 الفارسي وحنية الفاري في شرح ثلاثيات البخاري وقيمة الصبي في ترجمة الاربعة من احاد
 النبي وفقه المغيث بفتح الحديث وغير ذلك وهي باللسان الهندي وله حاشا الله في كل من
 هذه الاسنة يد صالحه وجارحة عاملة وفي الكتابة سرعة عجيبة وفي التأليف ملكة غريبة
 يكتب الكرايس العديدة في يوم واحد ويصنف الكتب الضخمة في ايام قليلة ويجمع الدواوين من
 السجائر يطالع الجميع في طريقة عين مع امعان النظر في كل باب وله عافاه الله تعالى اولاد حقا
 ذكور واناث ودولة كثيرة وامتنعة واثاث لم يلهمه عن الدين وعلومه التكاثر بل التسبب
 الهند واهلها من جملة انواع التفاخر فهو شمس بارزة والعلماء كالنجوم وهو سماء رفيع والامراء

كالرسوم له نسب على يتصل الى سيد الانبياء وحسب غال من جهة الاخبار والادب عالم
 بن عالم وفاضل بن فاضل وبازل للعلم والخير واي باذل كمر له من آثار على ألف القول من فقه
 وتمام المقطوعة ولا منوعة يعرفه العجم والعرب ويخضع له الامم مع الادب من انكفصام
 فهو عن اللب محروم ومن جعله فهو في ضلاله يدوم + جعله الله محسودا بين الاقران من الفضلاء
 والاعيان ولم يجعله حاسدا لاحد من فوج الانسان + وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويعطي من
 يريد ما اراد ومن تقرر حجة الله على عباده وراى البلوغ الى مقاصد تدونه خطر القتاد ومن
 حين ارتقى الى هذه المعارج وبلغ تيات المدايح ظهرت في ايامه السعيدة العادلة محسنات
 بديعة طائلة وانتشاءات بالمنافع حافلة وتقدم الناس في فنون العرفان وخلعوا عنهم
 رداء التقليد وفازوا بمقاصد الحديث والقرآن وتقد طال ما اعطى فاني وانطى فاغنى
 فجميع الناس يقصد مغناه ويرتوي من جدواه + هو البحر الخضم الطامي والطود الاشتم السام
 الذي لم يخيب قط ذامل ولم يله يوما عمارك من الاعمال وجل + البر شعارة والتقوى ثارة
 وفي طاعة الرحمن افكاره تحاوي محاسن الشيم والشمائل جامع شتات الفضل والفضائل
 الذي له الايادي المتشابهة والمآثر الحسنى افخرت بهو بال بسياسةه وكياسته + بل قتل وجه الاسلام
 برياسته فكم له في عزته يد بيضاء وماثر غراء قد استبجم الكون بوجوده + فكل ايامه سعيدة
 وسارت في الافاق مكارمه فكل يحمد وجوده ووجوده + ذو طاعة يجلو غياها بخرن
 مراها + وهمة يعنوها من عراقيل الامور اقصاها + لا يحيل خاطرة المنير في امر الاستدرة
 ولا يري وجه الفعل الخير الا ابتدرة ووردة + فانه مطبوع على الكرم والاحسان + و
 مجبول على نفع كل انسان فكانه والمعالى قوامان اوصفان متلازمان + ادام الله فخره
 وخل هذا التفسير ما يجد على طول المدى ذكره وكان تاليفه في بلدة بهو بال
 المحمية في سنة الهجرة القدسية في عهد دولة ذات الهمة العلية + صاحبة المكارم
 الجليلة + عين هذا الزمان الاخر ويمينه + لوسلف الدهر لياتين بمثلها حشيت ميمنه
 في درة يتيمه كلها كرم وجود + وما من فضل الا وهو في ذاتها الكريمة مشهود وموجود
 موارد كرمها سائفة + وما ليس نعميا سابعة + مع اباد رواش ونعم عوادي + كنسا ثم الحاشي

غيا لامطار الغواصي + فإن السحابة المكمومة فيض بناها + وابن الرياض المطورة بحجر جناها
اعنيها وليمه النعم حضرتنا **اب شايجهان بيگم** الخاطبة من تلقاء الحكام
الانكليزية برئيس لا ورا عظم طبقة اعلاى هند اقام الله بركات عهدا ومعامدا بلدا
على ملازمها ورعيتهما + وعمها الجميع المسلمين ونفع بها كافة المؤمنين المتبعين في التي
بعتت جناب المؤلف ادام الله بركاته وعمره حجة وافادته على تاليف هذا التفسير للقران الكريم وامر
بإدارة مطبع جديد لطبع هذا الرقيم + الذي ينسب اليه اسم الشريفة ويقال له المطبع
المصداقي عند الحد والتعريف + واعانت بانواع المكومات وجاءت باصناف الصالحات
الباقيات + احيث ما طمس من السنن الغراء البيضاء + وافنت ما كان شائعا من البدع
المضلة والمحدثات الظلماء + ظهرت هذه الارض الحرة ستر عن ادناس الاشراك والمعاصي
وزينت بها لباس التقوى حتى اقر بها كل دان وقاصي فعصرها عروس الدهر بلدي ذرة
العينين + وعهدا فاق جسد الاسلام بلامين + كرم عمت من مدارس السلام وكو جاد
العلماء مع كمال الخرم والحلم لا يطبق لساقي القاصر برازكارها المشهورة + ولا يمتد
خاطر الفاتر الى كشف عما دها الماثورة + لله درها في ما علمت وعلمت على الله اجرها
حيث احملت من اعباء البرايا واثقال الرعايا ما حملت + كان الله لها مدي الزمان وكانت له
ما نزه البلايل على الاعضاء + واخر دعوانا ان الحمد لله رب الملوك والاعيان ورازق
الانسان والحيوان + وموفقهم للخير والاحسان في كل زمان ومكان بحسب الاستطاعة والامكان
و^{وسلم} على رسول محمد سيدنا في الوجود ولا يكون ^{وسلم} على الله سبحانه بركات الاسلام وغرة جملة الايمان
فقده ^{وسلم} هذا التفسير في دار الطباعة + الراجي رحمة ربه العالي السيد ذوالفقار احمد
النقوي البوفالي وفقه الله تعالى تبارك للعمل على كتابه العزيز الكريم ورزقه اتباعه

هَذَا كِتَابُنَا يُنَظَرُ عَلَيْكُمْ بِكَرَمِ

أَكْرَمِ اللَّهِ الَّذِي وَفَّقَنَا بِعَظِيمِ مَنِّهِ وَوَسَّعَ كَرَمَهُ لَطَبْعِ هَذَا الْخِزْيَانِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّفْسِيرِ الْمُسَمَّى

مَقَاصِدُ الْغُرَازِ
فِي الْإِيَّانِ

وَقَدْ أَهْتَمَّ بِطَبْعِهِ الْمَوْلَى مُحَمَّدُ عَبْدِ الْجَبْرِ خَانَ قِسْمَةِ الْحِجْرَةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَوةُ وَالْحَيَّةُ

الْمَطْلَعُ ٢٩١ رِيعٌ وَغَرَاوِدُ الْأَمَارِ بِهَذَا الْحَمْدِ
فِي الْقُدْرَةِ الْوَالِدَةِ وَالْمَارَةِ بِالْإِيَّانِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رسل رسوله بأهدى دِينٍ أَحَقُّ وَيَسَّرَ لِمَنْ مَعَالِمَ الْعِلْمِ وَشَعَالَ
الشَّرَائِعِ وَمَشَاعِرَ الْمَلَلِ كُلِّ مَا جَلَّ وَدَقَّ وَنَزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ بِمَجْزَانِ مَصَاقِعِ اخْطَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ وَ
خَطَابِهَا فِيهَا عَجَزُ بَوَاقِعِ الْبُلْغَاءِ مِنْ عَصَابَةِ الْأَدَبِ بِأَظْهَرِ بَيِّنَاتٍ أَهْرَجَتْ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَجٍ أَمْرِيهِ
وَزَجْرٍ وَبَشْرٍ وَأَنْذَرٍ وَذَكَرَ الْمَوَاعِظَ لِيَتَذَكَّرُوا قِصَصَ عَنَ أَيَّامِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ لِيَعْتَبَرُوا وَضَرْبَ فِيضٍ وَرَأْيَ الْأَشْيَاءِ
لِيَتَذَكَّرُوا دَلَّ عَلَى آيَاتِ التَّوْحِيدِ لِيَتَفَكَّرُوا أَنْزَلَ حِسْبَ الْمَصَاحِ وَالْحُكْمَ فِيهَا وَجَعَلَ بِالْحَمْدِ مِفْتَاحًا وَبِالِاسْتِعَا
ذَةِ الْأَوْحَانِ مَتَشَابَهًا وَمَحْكَمًا مَزَايَا ظَاهِرَةً بِأَهْرَةٍ فِي كُلِّ وَجْهِ كُلِّ زَمَانٍ دَائِرَةٌ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْكُتُبِ
عَلَى كُلِّ لِسَانٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ كَادَتْ الرُّوَاسِي لِهَيْبَتِهِ تَمُورُ وَيَذُوبُ مِنْ خَشْيَتِهِ الْحَدِيدُ وَيَمِيعُ مِنْهُ
صَمُّ الصُّخُوفِ فَمَنْ تَمَسَّكَ بِعِزَّةِ الْوَفْقِ وَجَبَلَ الْمَتَانِ وَسَلَكَ عِبَادَتَهُ الْوَاضِحَةَ وَصَرَّاطَ الْمُبِينِ فَقَدْ فَازَ
بِمَنَاءٍ وَمِنْ نَبْذَةِ دِرْءِ ظَهْرِهِ وَعَصَاةٍ وَاتَّخَذَ طَهْرَهُ هَوَاهُ فَقَدْ هَوَى فِي تَحْوَمِ الشَّقَا وَتَرَدَّى فِي مَهَادِي
الْبُودَى بِلَا اشْتِبَاهٍ فَأَيُّ عِبَادَةٍ تَبْلُغُ الْإِسْرَامَ لِيَسْتَحَقَّ كَلَامَ حَكِيمٍ مِنَ التَّعْظِيمِ وَأَيُّ إِشَارَةٍ تَصِلُحُ لِبَيَانِ أَقْلٍ
مَا يَنْبَغِي لِمَنْ التَّوْصِيفِ وَالتَّكْوِينِ كَلَامَهُ أَنْ بَلَغَةَ الْبُلْغَاءَ وَنَحْوَةَ الْبَيَانِ وَأَنْ طَالَتْ ذِيُولُهَا وَفَصَحَا
الْفَصْحَاءُ وَمَهْرَةُ خُطَّانِ وَأَنْ سَالَتْ سِيُولُهَا تَقَاصِرُ عَنِ الْوَفَاءِ بِأَدْفَى وَأَصَافِدَانِ جَالَتْ بِمَيَادِينِهَا

خيوطها وتتصاغر عن التشبث بأقصر أطرافه وان افلقت في اطرافها فخطوها فتعور السننهم عن قصوة
 وصفقتهم في اسواق خاسرة كيف وتلك الايات واللائل وتيك البيئات والمخائل وهذه العبادات
 العبقريّة وما في تضاعيفها من اسرار البرية فما لا تحيط به الباب للبشر ولا تدرك كنهه طباع العالم
 الاكبر والاصغر حيث لو اجتمعت الاشراكين على معارضة ومباراة العجز واعن الاتيان بمثل اقصر
 اية من اياته فالاعتراف بالعجز عن القيام بما يستحقه كلام الملك العلّام من الاطراء والاكرام وفي
 بما يقتضيه الحال من الاجلال والاعظام والصلوة والسلام على من ارسل الله الى الخلق هاديا
 وبشيرا وتزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرا فهداهم به الى الحق وهم في ضلال مبين
 وسلك بهم مسلك الهداية حتى اتاهم اليقين التحمل برهنايان النبوة وختم به ديوان الرسالة
 واتم به مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال على الطفا اسلوب واحسن احوال اعلى به من الدين
 معاملة ومن الحق مراسمة وبين من البرهان سبيله ومن الايمان دليله واقام الحق حجته وانكار
 للشرع محجته حتى انشرح الافئدة بانوار البيئات وانزاح عن الضمائر صد الشبهات فهو حجة نيرة واخوة
 المكنون واية بيّنة لقوم يعقلون بل برهان جلي لا يرب فيه ريب وسبح سوي لا يضل من ينحني فظهر لتفصيل
 الشرائع والاديان بالاستحقاق مفسر لمشكلات ايات الانفس والافاق كما كشف عن خفايا حظائر القادس
 مطلع على خبايا اسرائل انسبحر علم لا ينفذ وعلم فضل لا ينشف به يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة
 وبه تكتسب الملكات الفاخرة كلامه شفاء للسقام ومروهم للاوهام وحديثه قاطع للنقصان عند تقاوة
 الافهام وتبيان الاقدام عليه يدور فلك الاوامر والنواهي واليه يستند في معرفة حقائق الاشياء
 كما هي اقلح من اتبعه والاوه وخاب من اعرض عنه وحادة وصلّى الله وسلم على له البررة وصحبه الخيرة
 مصابيح الامم ومفاتيح الكرم خلفاء الدين وحلفاء اليقين الذين بلغوا من محاسن الفضائل غاية الغايات
 ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهايات قارعو على الاسلام فكشفوا عنه القوارع والكروب
 وسارعو الى الايمان فصروا عنه العوادي واخططوا بآبائهم ثغرا للدين وانتظم امر المسلمين واتضح وجه
 من الله وحق عليه نص المؤمنين لا ينسى العروج الى معارجهم الرفيعة ولا يتأق الرقي الى مدارجهم النيرة
 لعلوا شأهم ونهاية الاعضاء الصعوبة مرادهم عزّة المنال فهم شمس الهدى على فلك السعادة وبدر
 الدجى لهم احسن وزيادة وعلى من تبعهم بالاحسان صلوة وسلام ادامن ماتوا وبالنيران تعاقب الملوأ

وبعد فيقول الفقير الى مولا الغني ^{عليه} عن سواه عبده وابن امته وعبده ابو الطيب **صديق**
بن حسن بن علي القنوجي اصله الله حاله وماله قبل ان يخرج الامر من يده ان اعظم
 العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا واعلاها على الاطلاق واولاها تفصيلا بالاستحقاق واساس قواعدها
 الشرائع والعلوم ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم وراس الملل الاسلامية واسمها واصل النحل اليمانية
 واسطقسها واعزها يرغب فيه ويعرج عليه واهم ما تناخ مطايا الطلب لديه هو علم التفسير والكلام
 العزيز القدري لكونه اوثق العلوم بنيانا واصدقها قبلا واحسنها تبيانا واكرمها نتائجا وانورها
 سراجا واصحها حجة ودليلا واضحها حجة وسبيلا وقد حادوا جميعا حول طلابه وراموا طريقا
 الى جنابه والمسوا مصباحا على قبابه ومفتاحا الى فتح بابيه وهو علم باحث عن نظم نصوص القرآن
 وآيات سور القرآن بحسب الطاقة البشرية وبوفق ما تقتضيه القواعد العربية قال الفناكري
 الاول ان يقال علم التفسير معرفة احوال كلام الله سبحانه وتعالى من حيث القرآنية ومن حيث
 دلالة على ما يعلم او يظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة الانسانية انتهى وهذا يتناول
 اقسام البيان بأسرها ولا يرد عليه ما يرد على سائر احوال ومبادئ العلوم اللغوية واصول
 التوحيد واصول الفقه وغير ذلك من العلوم الجملة والغرض منه معرفة معاني النظم ومعرفة
 الاحكام الشرعية العملية وفائدته حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على
 وجه الصحة وموضوعة كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وغايتها ^{صل} التوصل
 الى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفوز به الى السعادة الدنيوية والاخرية وشرف العلم
 وجلالته باعتبار شرف موضوعة غايته فهو اشرف العلوم واعظمها ذكره ابو الخير وابن صدر الدين
 والقرآن الكلام العربي المنزل على محمد صلعم المتهدى بأقصى سورة منه المنقول تواترا ودليلا للكتاب
 والسنة ولفظ العرباء استمداده من علمي اصول الدين والفقه وهو قسمان تفسير وهو ما لا يدرك
 الا بالنقل كاسباب النزول وتاويل وهو ما يمكن ادراكه بالقواعد العربية فهو ما يتعلق بالدلالة
 والسرفي جواز التاويل بشرطه دون التفسير ان التفسير كشهادة على الله وقطع بانه عنى بهذا
 اللفظ هذا المعنى ولا يجوز الا بتوقيف فلذا جزم الحاكمان تفسير الصحابي مطلقا في حكم المرفوع ^{ويل}
 ترجيح لاحد المحملات بلا قطع فاغتفر فاد ذلك جملة من اهل العلم ذكركم سليمان الجمل في حاشية

ثمن
 بل بالمرشد
 في قديم
 سبل
 قديم

الجلالين وقد تصدى لتفسير عويصاته اساطين الامة وقول لتيسير معضلاته سلاطين الامة
 من الصحابة والتابعين وائمة اللغة والفقيين ثلثة من الاولين وامة من الآخرين فغاصوا في بحار
 بحجه وخاصوا في انهار ربحه فمظوا في سلك التقرير فرائده وبرزوا في معرض التحريف فاولده والنفوا
 كتباً جلية المقدار وصنفوا زبراً جميلة الآثار وفصلوا اجملاءه وبينوا معضله مع تحقيق المقاصد
 وفق ما يرتاد وتنقيح المعاهد فوق ما يعتاد فالمفسرون من الصحابة اختلفوا اربعة وابن مسعود
 وابن عباس واي بن كعب وزيد بن ثابت وابوصوسى الاشعري وعبدالله بن المزني وانس
 بن مالك وجابر وابو هريرة وعبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهم والرواية عن علي
 اكثر وعن الثلاثة في ندرة جدا والسبب فيه تقدم وفاتهم وروي عن ابن مسعود اكثر
 مما روي عن علي ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلثين واما ابن عباس المتوفى سنة ثمان وستين
 بالطائف فهو راجح القرآن وحدا الامة ورئيس المفسرين دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهاء
 في الدين وعلمة التأويل وقد روي عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة لكن احسن الطرق عنه طريق
 علي بن ابي طلحة لها شهي المتوفى سنة ثلث واربعين ومائة واعتمد على هذه البخاري في صحيحه واوحى
 الطرق عنه طريق الكلبي ابي النصر محمد بن السائب فان انضم اليه رواية محمد بن مروان السدي الصغير
 فهي سلسلة الكذب كذلك طريق مقاتل بن سليمان الازدي وطريق الضحاك عنه منقطعة فانه لم يلقه
 ومن جدد الطرق عنه طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب وطريق ابن اسحاق صاحب السير
 واما اي بن كعب المتوفى سنة عشرين على خلاف فيه فعنه نسخة كبيرة عن طريق ابي العالية وهذا السناد
 صحيح ومن الصحابة من ورده عنه اليسير من التفسير غير هؤلاء منهم انس بن مالك المتوفى بالبصرة
 سنة احدى وتسعين وابو هريرة المتوفى بالمدينة سنة سبع وخمسين وعبدالله بن عمر بن الخطاب
 المتوفى بمكة المكرمة سنة ثلث وسبعين وجابر بن عبدالله المتوفى بالمدينة سنة اربع وسبعين وابو
 موسى الاشعري المتوفى سنة اربع واربعين وابن عمر بن العاص المتوفى سنة ثلث وستين وهو واحد
 العماد لانه استقر عليهم اصل العلم في اخر عهد الصحابة وزيد بن ثابت الانصاري كاتب النبي صلى الله
 عليه وسلم المتوفى سنة خمس واربعين واما المفسرون من التابعين فمنهم اصحاب ابن عباس وهم علماء مكة المكرمة
 منهم مجاهد بن جبر المتوفى سنة ثلث ومائة واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وسعيد

بن جبير المتوفى سنة اربع وتسعين وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة خمس مائة وطاق
 بن كيسان البجلي المتوفى سنة ست ومائة وعطاء بن ابي رباح المكي المتوفى سنة اربع عشرة ومائة
 ومنهم اصحاب بل بن مسعود وهم علماء الكوفة كعلقمة بن قيس المتوفى سنة اثنتين ومائة واسود بن زيد
 المتوفى سنة خمس مائة ومنهم اصحاب زيد بن اسلم كعبد الرحمن بن زيد ومالك بن انس ومنهم الحسن
 البصري المتوفى سنة احدى وعشرين ومائة وعطاء بن ابي سلة ميسرة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي المتوفى
 سنة سبع عشرة ومائة وابو العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة تسعين والضحاك بن مزاحم
 وعطية بن سعيد العوفي المتوفى سنة احدى عشرة ومائة وقتادة بن عامر السدوسي المتوفى سنة
 سبع عشرة ومائة والربيع بن انس والسدي ثم بعد هذه الطبقة الذين صنفوا كتب التفسير التي تجمع اقوال
 الصحابة والتابعين كسفيان بن عيينة وكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج وزيد بن هارون وعبد الرزاق
 وادم بن ايكس واسحاق بن راهوية وروح بن عباد وعبد الله بن حميد وابي بكر بن ابي شيبة وغيرهم
 ثم بعد هؤلاء طبقة اخرى منهم عبد الرزاق وعلي بن ابي طلحة وابن جرير وابن ابي حاتم وابن ماجة والحكم
 وابن مردويه وابو الشيخ بن حبان وابن المنذر في اخرين ثم انتصبت طبقة بعدهم الى تصنيف تفاسيد
 مشهورة بالفوائد محدوفة الاسانيد مثل ابي اسحق الزجاج وابي علي الفارسي مكي بن ابي طالب ابي عبد
 المهدوي واما ابو بكر النقاش وابو جعفر الخفاس فكثيرا ما استدرك الناس عليها اثر الفقه في التفسير
 طائفة من المتأخرين فاختصر الاسانيد ونقلوا الاقوال بترافد دخل منها الدخيل والتبس الصحيح بالعليل
 ثم صار كل من سئل قول بورد من خطيبا له شيء يعتمد ثم ينقل ذلك خلف عن سلف طائفة من
 اصلا غير ملتفت الى تحريم ما ورد عن السلف الصالح ومن هم القدر في هذا الباب قال السيوطي
 رايت في تفسير قوله سبحانه غير المغضوب عليهم ولا الضالين نحو عشرة اقوال مع ان الوارد عن النبي
 صلواته جميع الصحابة والتابعين ليس غير اليهود والنصارى حتى قال ابن ابي حاتم لا علم في ذلك اخلافا
 من المفسرين ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم ومنهم من ملا كتابه بما غلب على طبعه من
 الفن واقتصر فيه على ما تهره فيه كان القرآن ازل لاجل هذا العلم لا غير مع ان فيه تبيان كل شيء فالله
 تراه ليس الا اعراب وتكثير الالفاظ المحتملة فيه ان كانت بعيدة وينقل قواعد النحو ومساائله وفروعه خلافا
 كالزجاج والواحدى في البسيط وابي حيان في البحر والنهر والخباري ليس له شغل الا القصص استيفاء لها

والاخبار عن سلف سواء كانت صحيحة او باطلة ومنهم الثعلبي الفقيه يكاد يسرد فيه الفقهاء جميعا وربما
استطرح الى قامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالاية اصلا والجواب عن الادلة الخلقية كالقريب
وصاحب العلوم العقلية خصوصا فخر الدين الرازي قد ملأ تفسيره باقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من
شيء الى شيء حتى يقضي لناظر العجب قال ابو حيان في المجمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طويلة لاحاطة
بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير والابتدع ليس له الا تحريف الايات لتسوية
على مذهبه لغا سد بحيث انه لو لاح له شارده من بعيد لتغمه او وجد موضعا لفي داني حال اسارع
اليه كما نقل عن البليغيني انه قال استخرجت من الكتابات عترة لا بالمناقشة منها انه قال في قوله سبحانه و
تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز اي فوزا عظيما من دخول الجنة اشارة الى عدم الروية
والميل لا تسأل عن كفره والحادة في آياته الله وافترائه على الله ما لم يقبله كقول بعضهم ان هي الا فتنة
على العباد اضر من ربهم وينسب هذا القول الى صاحب قوت القلوب ومن ذلك القليل الذين يتكلمون في
القرآن بلا سند ولا نقل عن السلف ولا رعاية للاصول الشرعية والقواعد العربية كتفسير محمود بن حمزة
الكرما في ضمنه اقوالا هي عجائب عند العوام وعجائب عما عهد عن السلف اكمل هي اقوال منكورة لا يحل الاعتقاد
عليها ولا ذكرها الا للتحذير ومن ذلك قول من قال في ربنا ولا تخلفنا ما لا طاقه لنا به انه احب الحب والشوق
من ذلك قولهم ومن شئ غاسق اذا وقبنا الذكر اذا قام وقولهم في من ذا الذي يشفع عند معناه من
خلاي من الذي وذي اشارة الى النفس يشفع من الشفاء جواب من وع امر من الوعي وسئل البليغيني
عن من فسره بكنا فافتي بانه محمد واما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير قال ابن الصلاح في فتاواه
وجدت عن الامام الواحدي انه قال صنف السلي حقائق التفسير ان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير
فقد كفر قال النسفي في عقائد النصوص تحمل على ظواهرها والعدل عنها الى معان يدعيها اهل الباطن
الحاد وقال الفتازاني في شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظواهرها بل
لها معان باطنية قال صاحب مفتاح السعادة الايمان بالقرآن هو التصديق بانه كلام الله سبحانه
قد انزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبرئيل عليه السلام وان دل على صفة ازلية له سبحانه وان ما
دل هو عليه بطريق القواعد العربية مما هو مراد الله سبحانه حتى لا يرب فيه ثرك لك لا لة على مراده
سبحانه بواسطة القوانين الادبية لموافقة القواعد الشرعية والا حاديت النبوية مراد الله تعالى

وقد ثبت في الحديث ان لكل آية ظهرا وبطنا وذلك لما اذا اخبرنا لم يطلع عليه كل احد بل من اعطي
فهما وعلم من لدنه تعالى يكون الضابط في صحته ان لا يرفع ظاهر المعاني المتفهمة عن الالفاظ
بالقوانين العربية وان لا يخالف القواعد الشرعية ولا يباين اعجاز القرآن ولا يناقض النصوص الوا
قعة فيها فان وجب فيه هذه الشرائط فلا طعن فيه ولا فهو بمنزلة عن القبول قال الزمخشري من
حق التفسير ان يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التهدي سليمان
من القادح وكما بينوا في التفسير شرائط بينوا في المفسر ايضا لا يحل التعاطي لمن عرى عنها او هو فيها راجل
وهو ان يعرف اللغة والفحو والتصرف والاستشاق والمعاني والبيان والبديح والقراءات واصول الدين
فاصول الفقه واسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث المبينة لتفسير
الحمل والمبهم وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله سبحانه لمن عمل بما علم انتهى ثم ان تفسير القرآن
ثلاثة اقسام الاول اتم يطلع الله عليه احدا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم اسرار كتابه
من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق اسمائه وصفاته وهذا لا يجوز لاحد الكلام فيه الثاني ما
اطلع الله سبحانه بنبيه عليه من اسرار الكتاب واختص به فلا يجوز الكلام فيه الا له صلوات
اذن له قيل واوائل السور من هذا القسم وقيل من الاول وهو الرابع والثالث علوم عليها الله
بنبيه وامره بتعليمها وهذا ينقسم الى قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع كاسباب
النزول والناسخ والمنسوخ واللغات والقراءات وقصص الامم واخبار ما هو كائن ومنه ما يؤخذ بطريق
النظر والاستنباط من الالفاظ وهو قسمان قسم اختلفوا في جوازه وهو تاويل الايات المتشابهات
وقسم تفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الاصلية والفروعية والاعرابية وكذلك فنون البلاغة و
ضروب المواظ والحكم والاشادات لا يمنع استنباطها منه لمن له اهلية ذلك وما عدا هذه الامور
هو التفسير بالراي الذي هي عنده وفيه خمسة انواع الاول التفسير من غير حصول العلوم التي
يجوز معها التفسير الثاني تفسير المتشابه الذي لا يعلم الا الله سبحانه وتعالى الثالث التفسير
المقرب للمذهب القاسد بان يجعل المذهب صلا والتفسير تابع له فيرد اليه باي طريق ممكن وان
كان ضعيفا الرابع التفسير بان مراد الله سبحانه كذا على القطع من غير دليل الخامس التفسير بالاستنباط
والهوى والتقليد واذا عرفت هذه الفوائد فاعلم ان كتب التفاسير كثيرة ذكر منها ملاكا كتاب الجليلي

في كشف الظنون ما يزيد على ثلث مائة تفسير مرتباً على حروف الهجاء وزدنا عليه كتابنا الأكسير
 في اصول التفسير فنها تفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي الحافظ المتوفى سنة خمس
 وتسعين ومائتين وانتقال الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة أحد
 عشرة وتسعمائة في مجلد ومنها تفسير ابن جرير أبي جعفر محمد الطبري المتوفى سنة عشرة وثلاثمائة
 قال السيوطي في الاقان وكتابه اجل التفاسير واعظمها فانه يتعرض لتوحيد الاقوال وترجيح بعضها
 على بعض الاعراب الاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين انتهى وقد قال النووي ^{جمعت}
 الامة على انه لم يصنف مثل تفسير الطبري وعن أبي حامد الاسفرايني انه قال لو سافر رجل الى
 الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً ومنها تفسير ابن كثير الامام الحافظ ابى الفداء
 اسمعيل بن عمر القوشعي المتوفى سنة اربع وسبعين وسبعمائة وهو كبير في عشر مجلدات
 فسر بها الاحاديث والاثر وسند من اصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحاً وتعديلاً ومنها
 تفسير ابن المنذره هو الامام ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري المتوفى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ومنها
 تفسير البخاري هو ما ذكره في صحيحه جعله كتاباً منه وله التفسير الكبير غير هذا ذكره القسيري ومنها
 تفسير الخازن هو ابو جعفر احمد بن محمد الخوري المصري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة قصد
 فيه الاعراب لكن ذكر القراءات التي يحتاج ان يبين اعرابها والعلل التي فيها وما يحتاج فيه من المعاني
 ومنها تفسير الواحدي البسيط والوسيط والوجيز وتسمى هذه الثلاثة احكامي بجميع المعاني ومنها
 تفسير المهدي هو ابو العباس احمد بن عمار القمي المتوفى بعد الثلاثين واربع مائة من المنسحقين
 من اقتصرت في تفسيره على مجرد الرواية وقنع برفع هذه الراية كجلال الدين السيوطي في الدرس
 المنشور وخيره في غيره من المسطور ومنهم من اكتفى بمجرد الداية وجرد نظره الى مقتضى اللغة
 العربية بصحح العناية وهم الاكثرون ومنهم من جمع بين الامرين وسلك المسلكين وقليل ما هم
 ومن احسن التفاسير جمعاً بين الرواية والدراية فيما علمت تفسير الامام الحافظ القاضي محمد
 بن علي بن محمد الشوكاني اليمني المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين والف الهجرية وهو تفسير كبير
 بالقول في مجلدات اربع وطال ما يدل في خلدي ان احرف في التفسير كتاباً يحتوي على امرين يجمع
 طريقين على الوجه المعتاد في اورد والصدد غير مشوب بشيء من التفسير بالراي الذي هو من

اعظم الخطر وكنت انتهز هذه الفرصة في البلاد والقرى وأقدم رجلاً وآخر أخرى لصعوبة المواصلات
 وعزلة المقام فإن الحضيض من الذرى والثريا من الثرى فحال بيني وبين ما كنت أخال تركه اللهم
 وتراحم الأشغال وأبتليت بتدبير مصالح العباد في مدينة هوبالك وانصرفت عني الأمال عن الفوز
 بفراغ البال وأنا أصرف جهدي والمراد ينصرف والمقصود يتقاعس عن الحصول ويخرف الأكابر
 تحول وتجزؤ الدنيا لي تعد ولا تنجز حتى سألني جماعة من أهل العلوم يتحوى اتباع السنة والكتاب يحتجب
 الابتداع في كل باب أحوالي وأظهر والفقراء ولم يسعني إلا سعاد ما أملوه وانجاح ما سألوه فاجتهدت
 معتمداً على فضل الله وتيسيره ممثلاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يريد أبو سعيد الخدري في قوله
 أن رجلاً لا يأتونكم من قطار الأرض يتفقهمون في الدين فإذا التوكلوا فاستوصوا بهم خيراً ومقتداً بالسلف
 الماضين في تدوين علوم الدين إبقاء على الخلق وإيفاء الحق وليس على ما جمعه وصنفه مزيد ولكن
 لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر المطالبين فيه أجد واجهد أيقظ الدائم في تحصيل
 المستبطين فخرت بعون الله تعالى في حسن توفيقه فيما سألوه واستمخه كتاباً في أسير زمان واحسن
 متوسطاً بين الطويل الممل والقصير المختل وجمعته جمعاً حسناً بعبارة سهلة والفائدة يسيرة مع
 تعرض للترجيح بين التفسير المتعارضة في مواضع كثيرة وبيان المعنى العربي والأعراق في اللغوي مع حرص
 على إيراد صفوة ما ثبت من التفسير النبوي ومن عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من
 سلف الأئمة وأئمتها المعتبرين كابن عباس جبر هذه الأئمة ومن بعده من الأئمة مثل مجاهد وعكرمة و
 عطاء والحسن قتادة وأبي العالمة القرظي الكلبي الضحاك ومقاتل السدي وغيرهم من علماء اللغة والنحو والفراء والزجاج وسيبويه
 والبرد والخليل الخاسر لكن الثابت الصحيح من التفسير المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان المصير اليتيم علينا وتقديمه متحققاً هو
 تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن والثابت من التفسير عن الصحابة ومن تبعهم بالإحسان أن
 كان من اللفظ الذي قد نقله الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي فهو مقدم على غيره وإن كان من اللفظ
 التي لم ينقلها الشرع فهو كأحد من أهل اللغة الموثوق بعريتهم فإذا خالف ذلك المشهور المستفيض
 لم نعلم كجته علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب لعرباً فبالأولى تفاسير من بعدهم من
 تابعيهم وسائر الأئمة وإيضاح كثير مما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه
 النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تغنيها اللغة العربية

ولا اهل ما يستفاد من العلوم التي يتبين بها دقائق العربية واسرارها كعلم المعاني والبيان فان التفسير
 بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي المنهني عنه وقد قال سفيان ليس في تفسير القرآن اختلافاً
 هو كلام جامع ياد منه هذا وهذا وقال ابو الدرداء لا تفقد كل الفقه حتى ترى القرآن وجوهاً واخرج
 ابن سعدان علياً قال لابن عباس ذهب اليهم يعني الخوارج ولا تخصهم بالقران فانه ذو وجوه
 ولكن خاصهم بالسنة وايضاً لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف بل
 قد خيلو عن ذلك كثير من القران ولا اعتبار بما يصح كالنفس المنقول باسناد ضعيف ولا تفسير
 ليس بثقة منهم وان صح اسناده اليه وهذا تعرف انه لا بد من الجمع بين الامرين التحلي بالوهفين وعدم
 الانحصار على مسلك احد الفريقين وهذا هو المقصد الذي اردته والمسلك الذي قصدته واذا ذكر
 الحديث معزاً الى ابيهم من غير بيان حال الاسناد لا في اخذه من الاصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير
 ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي ويتبع كل البعدان يعلموا في الحديث ضعفاً ولا يبينوه ولا ينبغي
 ان يقال فيما اطلقوه انهم قد علموا ثبوته فان من اجاز ان ينقلوه من دون كشف عن حال الاسناد بل هذا
 هو الذي يغلب به الظن لانهم لم يكشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك كما يقع منهم كثيراً
 التصريح بالصحة والحسن فمن وجد الاصول التي يروون عنها ويجزون ما في تفاسيرهم اليها فلينظر في اسانيد
 صوفى ان شاء الله تعالى واعلم ان تفسير السيوطي المسمى بالدر المنثور قد اشتمل على غالب ما في تفسيرات
 السلف من التفاسير المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وتفسير الصحابة ومن بعدهم وما فاتة الا القليل النادر وقد
 اشتمل هذا التفسير مني على جميع ما تدعو اليه الحاجة مما يتعلق بالتفسير مع اختصار لما تكرر لفظاً أو
 معنى بقولي ومثله او نحوه وضمنت الى ذلك فوائد لم يشتمل عليها زواهل الرواية ووجدتها في غيرها
 من تفاسير علماء الدالية وعوائد احتلي من تصحيح وتحسين او تضعيف او تعقب اجمع او ترجيح مع
 تحرير المقاصد بحسب ما يراد ولا يزداد وتقرير للمعاني بحيث لا يضاد ولا يصاد ولم اجد في حسن تحرير
 وتهذيبه وسعي في لطافة مزججه بالمفسر وترتيبه بالفاظ تنفتح لها الأذان وتشرح الصدر ومعان تتحلل
 بها وجوه الاوراق وتتيسر ثغور السطور رغبة الى الدخول من ابواب الكون لمن اخراجه نشاطاً الى القعود
 في جرابه وبلا القوة في ايراد ما بحثت عن عناية المتأخرين بها من المفسرين وقد بالغ في الاحتناء بها
 المحققون من المتقدمين لاسماء السمعيات التي لم يطلب الا على المقصد الاقتصار في اصول الدين والعروة

الوثقى والعدة القصوى لاهل الحق واليقين مع تنقيح المزام وتوضيح المرام يستلزم علماء البلاد في كل ناد
 ولا يخفى منه الاكل حاتم في ناد من عدى الله فهو المهتدي ومن يضله فاعلم من هاد ووطنه النفل^{عليه}
 طريقة هي القبول عند الفحول حقيقة مقتصرافية على ارجح الاقوال واعراب ما يحتاج اليه عند السؤال
 وترك التطل^ا بذكر اقول غير مرضية وقصص لا تصح واعرابها كآلة العربية وحديث ذكرت فني^ا
 من القرائات فهو من السبع المشهورات اما شاء الله وقد اذكر بعض اقال واعراب لقوة مداركها اولورو^د
 واذا فرغ سماعكم سمع به من المحصلين فلا تسرع وقف وقفة المتأملين لعلمك تطلع بوميض برق
 الهى وتأنق نور باني من شاطئ الوادى الامين في البقعة المباركة على برهان له جلي اوبان من سلف^ا
 واضح خفي وقد تلقيت هذا التفسير بحمد الله من تفاسير متعرجة عن ائمة ظهرت وهبرت مفاخرهم
 انتشرت واشتهرت ما نزلهم بمعنى الله واياهم والمسلمين في مستقر حمة من فرائد جنة فهذا
 التفسير وان كبر حجمه فقد كثر عمله وتوفر من التحقيق قسمه واصاب غرض الحق سمحه مقيد لمن اقبل
 على تحصيله ومفيض على من تشكك بذيل الحقيقة تذييله وقد اشتمل على جميع ما في كتب التفاسير من بيان
 الفوائد مع زوائد فرائد وقواعد شوارد من صحيح الدراية وصحيح الرواية فان احببت ان تعتب^ر
 صحة هذا فهذه كتب التفسير على ظواهر البسيطة انظر تفاسير المعتمدين على الرواية ثم ارجع الى تفاسير
 المعتمدين على الدراية ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين فمعرفة ذلك ليسر الصبر لذي عينين
 ويتبين لك ان هذا الكتاب هو لب الباب وعجب العجائب وخيرة الطلاب ونهاية ما ربا ربا^ا لا يلب
 واسوة المتبعين وقدوة الناسكين وهدى المتقين وقد جاء بحمد الله كذا مذكورا من جواهر
 الفوائد ومجرا مشحونا بنفائس الفرائد في لطائف الماكانت مخزونة وعن الاضاعة مصونة بتقدير
 تراخ لها نفوس الحاصلين الكاملين وتناسخ منها شبه المبطلين وتخريف الغالين وتأويل الجاهلين
 وتضيي انوارها في قلوب السعداء وتطاع نيرانها على افئدة الاعداء لا يعقل بيناتها الا العالمون ولا يحمد
 بايانها الا القوم الظالمون وسميته **فتح البيان في مقاصد القرآن** وهو اسم^ا تاجي
 له مستمد من انه سبحانه بلوغ الغاية والوصول بعد هذه البداية الى النهاية راجيا منه جل
 جلاله ان يدبره الانتفاع ويجعله من الذخائر التي ليس لها انقطاع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
 اعلم ان الاحاديث في فضائل القرآن كثيرة جدا ولا يتم لصاحب القرآن ما يطلبه من الاجر

الموعود به في الأحاديث الصحيحة حتى يفهم معانيه فان ذلك هو الثمرة من قراءته قال القرطبي
 ينبغي له ان يتعلم احكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه فينتفع بما يقرأ ويعمل بما
 يتلو فاما قبح حمل القرآن ان يتلو فرائض احكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم معنى ما يتلوه فكيف يعمل
 بما لا يفهم معناه وما اقبح به ان يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه فما مثل من هذه حالته الا
 كمثال الحمار يحمل اسفارا وينبغي له ان يعرف المكي من المدني ليفرق بين ما خاطب الله به عباده
 في اول الاسلام وما نذ بهم اليه في احسنه وما فرض في اول الاسلام وما زاد عليهم من
 الفرائض في اخره فالمدني هو النسخ المكي في اكثر القرآن انتهى وقد جمعت في بيان ناسخ القرآن و
 الحديث ومنسوخها مؤلفا سميته افادة الشيوخ بمقدار النسخ والمنسوخ وهو بالفارسية فاجود
 فيها الا خمس ايات وعشرة احاديث منسوخة من شاء الاطلاع عليه فلا يرجع اليه واما ما جاء عن الصحابة
 والتابعين في فضل التفسير فعن علي بن ابي طالب عن جابر بن عبد الله وصفه بالعلم وقال انه كان يعرف
 تفسير قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وقال مجاهد احب خلق الى الله
 اعلمهم بما اتزل الله وقال الشعبي رجل مسروق في تفسيره الى البصرة فقبل له ان الذي ينبغي
 رجل الى الشام فتهجز ورجل الى الشام حتى علم تفسيرها وقال عكرمة في قوله سبحانه ومن يخرج من
 بيته مهاجرا الى الله ورسوله طلبت اسم هذا الرجل اربع عشرة سنة حتى وجدته قال ابن عبد البر
 هو ضمرة بن حبيب وقال ابن عباس مكنت سنتين اريد ان اسأل عمر عن المراتين اللتين طافا
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعني الامهات فسالته فقال هي حفصة وعائشة وقال ياس بن معاوية
 مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من عند مليكهم ليلا ولم
 عندهم مصباح فتدخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل
 جاءهم مصباح فقرأ ما في الكتاب فسلمهم من هذا الجنس ما ياتي عليه كصريح عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تعلم القرآن علمه والنجار يبيع عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي في
 القرآن ويتعنت فيه وهو عليه شاق له اجران متفق عليه وعن عمرو بن الخطاب قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به اخير رواه مسلم وعن ابي امامة قال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرأ القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاهله رواه مسلم

وعن عبدا لله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قرأوا القرآن ورثوا كتاب الله
تقرن في الدنيا فان مثل ذلك عند اخراية تقرها رواه احمد والترمذي وابوداود والنسائي و
اخرج الدارمي والترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ليس فيه جوف من القرآن
كالبيت الخرب قال لترمذي هذا حديث صحيح وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكرى ومسئلتى اعطيته افضل مما اعطى
السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه رواه الترمذي والدارمي و
البیهقي في شعب الایمان وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها الا قول الحمد لله
حرف ولا حرف وميم حرف رواه الترمذي وصححه والدارمي وعن عتبة بن عامر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو جعل القرآن في اهاب نمل القى في النار ما احترق رواه الدارمي وعن علي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظوره فأحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة
وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد رجت لهم النار رواه احمد والترمذي واستغربه
وابن ماجه والدارمي وفيه حفص بن سليمان يضعف في الحديث وعن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهوا شد تفصييا من لا يل في
عقلها متفق عليه وقد وردت احاديث كثيرة في فضائل سور القرآن سورة قسورة وكذلك في
الاعتصام بالكتاب والسنة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن على خمسة اوجه
حلال وحرام وحكم ومتشابه وامثال فاحلوا الحلال وحرموا الحرام واحلوا بالحكم واصنوا بالمتشابه
واعتبروا بالامثال اخرج البغوي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن برأيه
فليتبوا مسعده من النار رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن
كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارون في القرآن فقال
انما هلك من كان قبلكم بهذا اضر بكتاب الله بعضها ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضها
بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه الى علمه رواه احمد وابن ماجه
قال البغوي في تفسيره قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه

شيئا من خير علم فاما التاويل وهو صرف الآية الى معنى يحتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب
والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم ما التفسير وهو الكلام في اسباب نزول
الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسماح بعد ثبوتها من طريق النقل واصل التفسير من التفسير
وهي الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية
وقصتها واشتقاق التاويل من الأول وهو الرجوع يقال ولته قال اي صرفته فانصرف انتهى
والفرق بينهما ان التفسير موقوف على النقل المسموع والتاويل موقوف على الفهم الصحيح وفي الحديث
انزل القرآن على سبعة احرف واختلفوا في المراد على اقوال ذكرها في الاكسير والسور باعتبار النسخ والمنسوخ
على اقسام ذكر سليمان الجمل بعض ذلك في حاشيته على الجلالين وقد اوضح المرام في افادة الشيوخ بما
لا مزيد عليه وتفصيل حروف القرآن ذكرها النسخي في كتابه مجمع العلوم ومطلع النجوم وليست هذه من
التفسير في شيء واما علوم القرآن فقد استوعبها السيوطي في الاتقان على وجه البسط والايقان ولا دخل
لكتابها في فن التفسير وعقد النظام النيسابوري في تفسيره مقدمات اكثرها معزل عن علم التفسير
وطند الحاشية عليها في تفسيرنا هذا الا في الشيء اليسير وها انا اشرح لأن مجرأه في تحريره ما هو بصائر
اول النفي والتمييز في تفسير الكتاب العزيز ومحسن توفيق قول وهو الموفق لكل خير والمعطي كل مسؤل

سورة الفاتحة

معناها اول ما من شأنه ان يفتح به الكتاب ثم اطلقت على اول كل شيء كالكلام والتأمل للنقل
من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر
اشعار ابا صالحه كانه نفس الفتح والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتمة
لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له وسميت بذلك لان القرآن اُفتح بها اذ هي اول
ما يكتبه الكاتب من المصحف واول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز وان لم تكن اول ما نزل من القرآن
وقد اشتهرت بهذا الاسم في ايام النبوة قيل انها مكية وهو قول اكثر العلماء وقيل مدنية وهو
قول مجاهد وقيل لها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلوات الخمس ومرة بالمدينة حين
حولت القبلة جمعاً بين الروايات والاول اصح قاله البغوي ووجهه البيضاء وهي واسماء السورة ^{قينة}
وكذا ترتيب السور والآيات اي توقف على نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وانما هذا على الوجه

والسورة طائفة من القرآن لها أول وآخر وترجمة باسم خاص بها بوقية السورة قد يكون لها اسم واحد
وقد يكون لها اسمان أو أكثر وأسماء السور في المصاحف لم يثبتها الصحابة في مصاحفهم وإنما
هو شيء ابتدعه الحجاج كما ابتدع بنات الأعشار والأسباع وسميت هذه أم القرآن لكونها أصلاً
ومنشأه أما لم يثبتها له وأما لاشتغالها على ما فيه من الشناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه
وبيان وعدة ووعدة أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك
الصلوات المستقيم والإطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب
وسميت أيضاً أم الكتاب لأنه يبدأ بقراءتها في الصلوة قاله البخاري في الصحيح وقال أبو السعدي منا
التسمية ما ذكر في أم القرآن لا ما أورده البخاري فإنه مما لا تعلق له بالتسمية كما أشير إليه قال ابن كثير
وصحح تسميته بالسبع المثاني لأنها سبع آيات وتنتهي في الصلوة فتقرأ في كل ركعة أو لتكرر نزولها
وأخرج أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم وأخرج
ابن جرير عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني وأخرج نحوه
ابن مردويه والدارقطني من حديثه وقال كلهم ثقات ومن أسماؤها كما حكاه الكشاف سورة الكثر
والواقية وسورة الحمد وسورة الصلوة وتسمى الكافية لأنها تكفي عن سواها في الصلوة ولا يكفي سواها
عنها وسورة الشفاء والشافعية لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء من كل داء وأخرج الثعلبي عن الشعبي أن رجلاً
اشتكى إليه وجع الخاصرة فقال عليك بأساس القرآن وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أعطاني فيها من به علة فاتحة الكتاب وقال هي كنز من كنوز عرشى وأخرج
اسحق بن راهويه في مسنده عن علي بن خنوة مرفوعاً وذكر القرطبي للفاخرة اثني عشر اسماً وقد أكثر
من ذلك السيوطي في الاتقان وهي سبع آيات بلا خلاف كما حكاه ابن كثير في تفسيره قال القرطبي
اجمعت الأمة على أنها سبع آيات لا ما روي عن حسين الجعفي أنها ست وهو شاذ وعن عمرو بن
عبد الله جعل آيات نعبداً في عنده ثمان وهو شاذ انتهى وإنما اختلفوا في البسملة كما سياتي
وقد أخرج عبد بن حميد ومحمد بن نصر في كتاب الصلوة وابن الأنباري في المصاحف عن محمد بن
سبير بن أبي بن كعب وعثمان بن عفان كأنها يكتبان فاتحة الكتاب والمعوذتين ولم يكتب ابن
مسعود شيئاً منهن وقد خالف في ذلك إجماع الصحابة وسائر أهل البيت ومن بعدهم وأخرج

ابن حميد عن ابراهيم قال كان عبد الله بن مسعود لا يكتب فاتحة الكتاب في الصحف وقال
 لو كتبتها لكتبت في اول كل شيء وقد ورد في فضل هذه السورة احاديث منها ما اخبر به
 واحمد وابوداود والنسائي من حديث ابي سعيد بن معلق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم لك
 اعظم سورة في القرآن قبل ان تخرج من المسجد قال فخذ بيدي فلما اراد ان يخرج من المسجد قلت
 يا رسول الله انك قلت لا علم لك اعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني
 والقرآن العظيم الذي وتيته واخرجه احمد والنسائي والترمذي وصححه من حديث ابي بن كعب
 النبي صلى الله عليه وسلم قال له انما علمت سورة لم تنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في
 الفرقان مثلها ثوابها انها الفاخرة واخرج احمد في المسند من حديث عبد الله بن جابر ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لا اخبرك باخير سورة في القرآن قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد
 لله رب العالمين حتى تحتها وفي سنة ابن عقييل وقد اخرج به كبار الائمة وبقية رجاله ثقاة
 وابن جابر هذا هو العبدى كما قال ابن الجوزي وقيل الانصاري البياضي كما قال ابن عساکروفي
 الصحيحين وغيرهما من حديث ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اخبره بان رجلا رقى سليمان
 الكتاب ما كان يدريه انما رقية الحديث واخرج مسلم والنسائي عن ابن عباس قال بينا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرئيل اذ سمع نقيضا فوقع فرفع جبرئيل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح
 من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشرون بدين قد اتيتهما لم يؤتتهما
 نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا وتيته واخرج مسلم والنسائي
 والترمذي وصححه عن ابي هريرة من صلح صلوة لم يقرأ فيها بآم القرآن فهي خداج ثلثا غير تمام
 واخرج البزار في مسنده بسند ضعيف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت جنبتك على
 الفراش وقرا فتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت واخرج سعيد
 بن منصور في سننه والبيهقي في شعبه لايمان عن ابي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم واخرج ابو الشيخ نحوه من حديثه وحديث ابي هريرة مرفوعا
 واخرج الدارمي والبيهقي في شعبه لايمان بسند رجاله ثقاة عن عبد الملك بن عبيد قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء واخرج احمد وابوداود والنسائي وابن السني

في عمل اليوم والليلة وابن جرير والحاكم وصححه عن خازجة بن الصلت التميمي عن عمه انه اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاقبل راجعا من عنده فمر على قوم وعندهم رجل عجوز موقوف بالحديد فقال له اهلنا
ما تدوي به هذا فان صاحبكم قد جاء بخير قال فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلثة ايام في كل يوم
مربعين غداة وغشية اجمع بناي فواتقل فبرا فاعطاني مائة شاة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت
ذلك له فقال كل من اكل برقية باطلا فقد اكلت برقية حق وعن ابن عباس قال فاتحة الكتاب
ثلثة القرآن واخرج الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ امر
القرآن وقل هو الله احد فاما قرا ثلث القرآن واخرج عبد بن حميد في مسنده بسند ضعيف
عن ابن عباس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن واخرج الحاكم وصححه ابو ذر
الهمداني في فضائله والبيهقي في الشعب عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره فقتل فشتى رجل
من اصحابه الى جنبه فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا احبرك بافضل القرآن قتلى عليه احمد
الله رب العالمين واخرج ابو نعيم والذيلي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب
بخيري ما لا يخزي شي من القرآن ولوان فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في
الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات واخرج ابو عبيد في فضائله عن الحسن
موسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا فاتحة الكتاب فكانما قرأ التوراة والانجيل والزبور والفقران
الى غير ذلك من الاحاديث ثم الاستعاذة قبل القراءة سنة عند الجمهور لقوله تعالى فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واختلفوا في لفظها المختار ولا يأتي بكثير فائدة ومعنى
اعوذ بالله الخ الى الله فامتنع به ما اخشاه من عاذ يعوذ والشيطان اصله من شطن اي تباعد
من الرحمة او من شاطا اذا هلك واحترق والا اول والى والشيطان اسم لكل عات من الجن والانس
والرجيم من يرمي بالنوسوسة او مرجوم بالشرب عند اسراق السمع او بالعذاب ومطرو عن
الرحمة والاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء شاذل عن الله ومن لطائفها ان قوله اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بعجزه وضعفه وبقدرة الباري على دفع جميع المضرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ

اختلف اهل العلم هل هي آية مستقلة في اول كل سورة كتبت في اوها وهي بعض آية من اول كل

سورة او هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها وانما ليست باية في الجميع وانما كتبت للفصل
والاقوال واحلتها مبسوطة في موضع الكلام على ذلك وقد اتفقوا على انها بعض اية في سورة النمل
وقد جزم قراء مكة والكوفة وفقهاؤها بانها آية من الفاتحة ومن كل سورة وقالهم قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها فلم يجعلوها آية الا من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقالوا انها آية
فدرة من القرآن انزلت للفصل والتبرك للابتداء بها وبالأول قال ابن عباس وابن عمر وابو هريرة
وسعيد بن جبيرة وعطاء بن المبارك واحمد في احد قوليه واسحاق وعلي بن ابي طالب والزهري
ومحمد بن كعب والثوري وهو القول الجديد للشافعي لذلك يجهر بها عنده وبالثاني قال الاوزاعي و
مالك وابو حنيفة واصحابه قال ابو السعدي وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقد اثبتتها السلف في
المصحف مع الاصح بتحديد القرآن عما ليس منه ولذا لم يكتبوا امين وقد اخرج ابو داود باسناد صحيح عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى
ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم واخرجه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين
واخرج ابن خزيمة في صحيحه عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلوة
وعدها آية وفي اسناده عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف وروى نحوه الدارقطني صرفه عن
ابن ماجة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فافروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها امر
القرآن وام الكتاب والسمع الثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها رواه الدارقطني وقال
رجال اسناده كالجم ثقات رواه البخاري تاييده وروى معقوفاً ايضاً واخرج مسلم عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزلت علي نفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي
احسن ما احتج به اصحابنا في ان البسملة من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما
رويناها في جمع الصحيح بكتبها بسم الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها البسملة على راس كل
سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشرة آية ليست
من القرآن وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد البسملة آية من الفاتحة و
بقول انترع الشيطان منهم خيرا آية في القرآن رواه الشافعي ولما كان المقام مقام تعليم الكلام
صادر عن حضرة الرب تعالى حسن ان يقدّم متعلق بها وهذا قولوا اي قولوا بسم الله الرحمن الرحيم

وكما وقع الخلاف في اثباتها وقع الخلاف في الجهر بها في الصلوة وقد اخرج النسائي في سننه وابن
 خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في المستدرک عن ابي هريرة انه صلح فجهر في قراءته بالبسملة
 وقال بعد ان فرغ اني لا شبهكم صلوة برسول الله صلعم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي
 وغيرهم وروى ابو داود والترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم كان يفتح الصلوة بسم
 الله الرحمن الرحيم قال الترمذي وليس اسناده بذلك وقد اخرجه الحاكم في المستدرک عن ابن
 عباس بلفظ كان رسول الله صلعم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح واخرج البخاري في
 صحيحه عن انس انه سئل عن قراءة رسول الله صلعم فقال كانت قراءته مداثر فربسم الله
 الرحمن الرحيم بمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم واخرج احمد في المسند وابوداود في السنن
 وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في مستدرکه عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله صلعم ^{يقطع}
 قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الدارقطني
 اسناد صحيح وبهذا قال من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين من
 بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاؤس وجاهد وعلي بن الحسين
 وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن
 اسلم ومكحول وغيرهم واليه ذهب الشافعي واحتج من قال انه لا يجهر بالبسملة في الصلوة بما في
 صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلعم يفتح الصلوة بالتكبير والقراءة ^{العلمين} بالحمد لله رب
 وفي الصحيحين عن انس قال صليت خلف النبي صلعم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله
 رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في آخرها واخرج اهل السنن
 نحوه عن عبد الله بن مغفل والى هذا ذهب خلفاء الراشدة وجماعة من الصحابة كابن مسعود
 وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقادة و
 الاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم احاديث الترك وان كانت
 اصح ولكن لا تنافي ارجح مع كونه خارجا من صحيح صحيح فالاخذ به اولى ولا سيما مع امكان ^{الترك} تأويل
 وهذا يقتضيان اثبات الذي اعني كونهما قرانا والوصفي اعني الجهر بها عند الجهر بقراءة ما يفتح
 بها من السور في الصلوة والحاصل ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور وحكمها

من أنجهر والأسرار حكيم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلوة والكهنة ويسر بها مع الفاتحة في
الصلوة السرية وبهذا يحصل الجمع بين الروايات ولتنقيح البحث والكلام على اطرافه استدلالاً و
رجحاً وتقبلاً ودفعاً ورواية ودراية موضع غير هذا ومتعلق بالأسرار وهو قراءات وأتوا
تقدير المعول للاعتناء به والقصد في التخصيص ويظهر رجحان تقدير الفعل متأخر في مثل هذا
المقام ولا يعارضه قوله تعالى اقرأ باسم ربك لأن المقام مقام القراءة فكان الأمر بها أهم وأما الخلاف
بين أئمة النحويين في كون المقدراً اسماً أو فعلاً فلا يتعلق بذلك كثير فائدة والباء للاستعانة واللام ضم
تبركاً ورجح الثاني النحشري والاسم هو اللفظ الدال على المسمى من زعم أن الاسم هو المسمى كما قاله ابن عسيرة
وسيبويه والباء قلاني وابن الفوك وحكاية الرازي عن الحشوية والكرامية والاشعرية فقد غلط
غلطاً بيناً وجاء بما لا يعقل مع عدم ورود ما يوجب المخالفة للعقل لأن الكتاب لا من السنة ولا من
لغة العرب بل العلم الضروري حاصل بأن الاسم الذي هو اصوات منقطعة وحروف مؤلفة غير المسمى
الذي هو مدلوله والبحث مبسوط في علم الكلام وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن الله تسعة و
تسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة وقال الله عز وجل والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال تعالى
قل ادعوا الله وادعوا الرحمن إيا ما تدعوا فلله الاسماء الحسنى والله علم عربي مرجل جامد عند
خاص لذات الواجب الوجود تفرد به الباري سبحانه لم يطلق على غيره ولا يشرك فيه أحد وعند
النحشري اسم جنس صار علماً بالغلبة والاول هو الصحيح والحقيل بالله للفرق بين اليمن واليمين والتحقيق
ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وتارة باسمه عز وجل فوجبه تعيين
المراد بذكر الاسم وعند المحققين إن اسم الله الأعظم قد ذكره الله تعالى في الفين وثلاثمائة وستين
موضعاً من القرآن والرحمن من الصفات الغالبة لم يستعمل في غير الله عز وجل قال أبو علي الفارسي
الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين قال تعالى
وكان بالمؤمنين رحيماً وعن ابن عباس قال هما اسمان أحدهما أرق من الآخر وقيل معناها ذو الرحمة
جمع بينهما للتأكيد وقيل غير ذلك الاول اولى في الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم والرحمة اذ كان
والاحسان لا صلة وقيل ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان إلى من لا يستحق فهو
على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل واسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال أو

المبادى التي هي نفقات افراد الوصفين الشريفين بالذكر التحريك سلمة الرحمة وجل الرحمن
 مصر من اولافيه قولان مال التفنن زاني الى جواز الامرين وقد ورد في فضلها احاديث ينبغي
 البحث عن اسانيد ها والكلام عليها وقد شرعت التسمية في مواطن كثيرة قد يتنها الشارع
 منها عند الوضوء وعند الذبيحة وعند الاكل وعند الحجام وغير ذلك الحمد لله هو الشئ باللسان
 على الجميل الاختيار على قصد التحجيل وهذا فارق المديح وقال الزمخشري انها اخوان الحمد
 من الشكر مود داو اعم منه متعلقا وبه صرح في الفائق لكن الاوفق ما عليه الاكثر انها غير مترادفة
 بل متشابهان معنى واشتقاقا كبيرا وتعريف لا استغراق افراد الحمد وانها مختصة بالرب سبحانه
 على معنى ان حمد غيره لا اعتداد به لان النعم هو الله عز وجل وعلى ان حمده هو الفرد الكامل
 فيكون الحصراد عايبا ورجح الزمخشري ان التعريف هنا هو تعريف الجنس لا الاستغراق واليه نجا السجود
 والصواب ما ذكرناه وعليه الجمهور وقد جاء في الحديث اللهم لك الحمد كله قال ابن جرير الحمد شئ
 اتى به على نفسه وفي ضمنه امر عباد ان يثنوا عليه فكانه قال قولوا الحمد لله ثم رجع اتحاد الحمد
 والشكر مستلذا على ذلك بما حاصله ان جميع اهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلام الحمد و
 الشكر مكان الاخر قال ابن كثير وفيه نظرا لانه اشتهر عند كثير من العلماء المتأخرين ان الحمد
 هو الشئ بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون الا على المتعدية ويكون ليكن
 واللسان والاركان انتهى ولا يخفى ان المرجح في مثل هذا الى معنى الحمد في لغة العرب لا الى ما قاله جماعة
 من العلماء المتأخرين فان ذلك لا يرد على ابن جرير ولا تقوم به الحجة هذا اذا لم يثبت للحمد حقيقة
 شرعية فان ثبتت وجب تقديرها ابن ابي حاتم عن ابن عباس انه قال الحمد لله كلمة الشكر
 واذا قال العبد الحمد لله قال الله شكرني عبدي وروى ابن جرير عن الحكم بن عمير وكانت له محبة
 قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك واخرج عبد الرزاق في
 المصنف والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والخطابي في الغريب والبيهقي في الادب والذيلي
 في مسند الفردوس عن عبد الله بن عمر بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحمد راس الشكر
 شكر الله عبد لا يحمده واخرج الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن النواس بن سمعان قال سرت
 ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لئن ردها الله علي لا شكرت ربي فوجعت فلما راها قال الحمد لله فانتظروا

هل يحدث عن رسول الله صلعم صوم او صلوة فظنوا انه نسي فقالوا يا رسول الله كنت قد
 قلت لئن رددتها الله علي لا شكرن ربي قال المراقل الحمد لله وقد ورد في فضل الحمد احدث
 منها ما اخرج احمد والنسائي والحاكم وصححه والبخاري في الادب المفرد عن الاسود بن سريع
 قال قلت يا رسول الله الا انشدك عما مدحمت بها ربي تبارك وتعالى فقال امان ربي
 الحمد واخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وابن حبان والبيهقي عن جابر قال قال
 رسول الله صلعم افضل الذكرا لله الا الله وافضل الدعاء الحمد واهج البهقي في شعب
 الايمان عن جابر قال قال رسول الله صلعم ما من عبد ينعم عليه بنعمة الا كان الحمد افضل منها
 واخرج مسلم والنسائي واحمد عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلعم الطهور شطر
 الايمان والحمد لله قدام الميزان واخرج البهقي عن انس قال قال رسول الله صلعم ما شيء احب
 الى الله من الحمد وفي الباب احاديث واخرج اهل السنن وابن حبان والبيهقي عن ابي هريرة
 قال قال رسول الله صلعم كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو اقطع واخرج مسلم عن انس
 قال قال رسول الله صلعم ان الله لي يرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمد عليها او يشرب المشربة
 فيحمد عليها او يثاير الرفع على النصب الذي هو الاصل للايدان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته
 لا لثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستقر لا يحدث متجدد كما تفيد قراءة النصب رب العالمين
 قال في الصحاح الرب اسم من اسماء الله تعالى فلا يقال في غيره الا بالاضافة وقد قالوا في الجاهلية
 للملك وقال الزمخشري الرب المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء مالكة قال القرطبي والرب
 السيد ومنه قوله تعالى اذكرني عند ربك وفي الحديث ان تلهي الامة ربها والرب المصلح والمدين
 والمربي والجاهل والقائم قال والرب المعبود والعالمين جمع عالم لا واحدا له من لفظه وهو اسم لما
 يعلم به غلب فيما يعلم به الصانع من المصنوعات قال ابو السعود وهو الحق الاظهر واسم لكل
 موجود سوى الله تعالى قاله قتادة فيدخل فيه جميع الخلق وهو ظاهر كلام الجوهري وقيل
 اهل كل زمان عالم قاله الحسين بن مفضل وقال ابن عباس العالمون هم الجن والانس وقيل اسم
 جمع عالم بالفتح وليس جمعا له لان العالم حاكم في العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء ولما
 لا يكون جمعا لما هو اعلم منه قاله ابن مالك وبتبعه ابن هشام في توضيحه وذهب كثير الى انه جمع عالم

على حقيقة أجمع وقال الفراء وابوعبيد العالم عبارة عما يعقل وهم اربعة ائمة الانس والجن الملائكة
والشياطين ولا يقال للبهائم عالم لان هذا الجمع انما هو جمع ما يعقل حكاهما القوطي وذكرنا دللتها
وقال ان القول الاول اصح هذه الاقوال لانه شامل لكل مخلوق موجود دليله قوله تعالى قال فرعون
وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما وقيل عنى به الناس فان كل واحد منهم
عالم وفيه بعد قال الزجاج العالم كلما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة وعلى هذا يكون جمعه
بالياء والنون تعليلًا للعقلاء على غيرهم وعن ابن عباس في الآية قال الله الخلق كله السموات
كلهن ومن فيهن والارضين كلهن ومن فيهن ومن بينهما ما يعلم ولا يعلم وفيه دليل على ان
رب العالمين جرى مجرى الدليل على وجود الاله القديم وبیان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس
فانما ترتب عن وجل الفأضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل ان من انات الوجود غير متناهية
فسيحانه ما اعظم شأنه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطلع العقول بأفكارها شأنه لا يحصى
واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامته مراسم شكره قاصرون واتى بجمع القلة
تنبيهًا على انهم وان كثروا قليلون في جنب عظمتهم وكبريائه تعالى واختلف في مبلغ عدد العالم
على اقوال لم يصح شيء منها واكتفى ما قاله سبحانه وتعالى وما يعلم جنود ربك الا هو الرحمن الرحيم ^{اسما}
مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة والرحمن اشد مبالغة من الرحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم
حكاية الاتفاق على هذا ولذلك قال الرحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وقد تقرر ان زيادة الهناد
على زيادة المعنى وقال ابن الانباري والزجاج ان الرحمن عبراني والرحيم عربي وصفهما غيرهما قال
القوطي صف نفسه بهما لانما كان بانصافه برب العالمين ترهيب قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمن من
الترغيب لجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه فيكون اعون على طاعته وامنع وقيل فائدة
تكريره هنا بعد الذكر في البسطة ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها
الكثر فيه سبحانه بتشديد ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه مالك قد اختلف
العلماء اياها بلغ ملك او مالك والقراءتان مرويتان عن النبي صلى الله عليه وآله وابي بكر وعمر ذكرهما الترمذي
فذهب الى الاول ابوعبيد والمبرد ورجح النخشي والي الثاني ابو حاتم والقاضي ابوبكر بن العربي
واكتفى ان لكل واحد من الوصفين نوع اخصية لا يوجد في الآخر فالملك يقدر على ما لا يقدر عليه

الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعق ونحوها والملك يتقدر على ما لا يقدر
 عليه المالك من التصرفات العائدة الى تبديل الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فلما
 اقمى من الاخرى بعض الامور والفرق بين الوصفين بالنسبة الى الرب سبحانه ان الملك صفة
 لذاته والمالك صفة لفعاله وقيل بينهما عموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية الملك
 التزاما لمطابقة قوله التقنازي وقيل هما بمعنى وقد اخرج الترمذي عن ام سلمة ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال بلغ الف واخرج نحوه ابن الانباري عن انس واخرج احمد والترمذي عن انس ايضا ان النبي
 صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرؤون مالك بالالف واخرج نحوه سعيد بن منصور عن ابن عمر
 واخرج نحوه ايضا وكيع في تفسيره وعبد بن حميد وابوداود عن الزهري رفعه مرسلين واخرج
 ايضا عبد الرزاق في تفسيره وعبد بن حميد وابوداود عن ابن المسيب مرفوعا مرسلين وقد روي
 هذا من طرق كثيرة فهو اصح من الاول ومالك بمعنى المستقبل قاله القوطي واضافة الى ما بعده
 حقيقة اللفظية والتعويل على القرائن والمقامات قاله الكرخي وهذا الصواب بالبرية واقعد في
 طريقها قاله ابوالقاسم الزجاجي قال الخطيب التقييد بقوله يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْاَسْتِزَارَ لانه من
 اعتبار حدث في احد الايام انتهى اليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من
 الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد هنا مطلق الوقت والدين الجزاء
 خيرا كان او شرا ويوم الدين يوم الجزاء من الرب لعباده يقال كما تدن تداناي كما تفعل تجاذي
 وتبدل له قوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والام يومئذ لله و
 الاضافة هذه على طريق الاتساع لادنى ملازمة اي ملك الامر كله في يوم الجزاء للعباد لان الامر به
 لله وحده ولذا خص بالذكر وعن ابن مسعود وناس من الصحابة انهم فسروا يوم الدين بيوم الحساب
 وقال قتادة يوم يدين الله العباد باعمالهم قيل في معنى الدين غير ذلك ولا ولي ما ذكرنا هذه
 الاوصاف التي اجريت على الله من كونه ربا للعالمين وموجد الهم ومنعها بالتمسك بالامور والملك للامر
 كله يوم الجزاء بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه
 صفاته لو يكن احدا حق منه الحمد والثناء عليه بل يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتيب الحكم على الموصوف
 مشعر بعليته اِنَّكَ تَعْبُدُ اِيَّاكَ تَسْتَعِينُ اي فخصك بالعبادة ونوعتك ونظيرك خاضعين

لك ومنك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا وأيا عند سبويه اسم مضمرة والها وفتح
 خطاب لأجل له من الأعراب عند الخليل اسم مضمرة أخيراً أيا إليه لأنه يشبه المظهر لتقدمه
 على الفعل والفاعل وقال الكوفيون أيا بك الحما اسم وتقدم المفعول على الفعل لقصد الاختصاص
 والحصر والقصر وقيل للاهتمام والصبوب لأنه لا تراحم بين المقضييات والعبادة أقصى غايات
 الخضوع والتذلل والعبودية أحق منها وسمي العبد عبد الذلته وانقياده ولا تستعمل إلا في الخضوع
 لله تعالى قال ابن كثير وفي الشرح عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف والاستعانة طلب المعونة
 وهي ضرورية وغير ضرورية والعدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات وتلويح النظم
 من باب إلى باب فيه الترتيب من البرهان إلى البيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود ومن المعقول
 إلى المحسوس اللهم اجعلنا من الواصلين إلى العباد دون السامعين على الأثر وقد يكون من
 الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم بقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم أي بكم وقوله
 والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه أي فسأقه وقد يكون من التكلم إلى الغيبة فهذا أذ
 أقسامها البيضاوية والتحقيق أنها ستة لأن الملتفت إليه اثنان وكل منهما أما غيبية أو خطابية وتكلم
 والعرب يستذكرون منه لغواً تستدعيه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب الخوا
 أدخل في القبول عند السامع وأحسن نظرية لنشاطه وأما الاستدعاء إذا اعتدائه أكثراً يقاطا
 له كما تقر في علم المعاني وقد تختص مواقع بغواً ولطائف قلماتها لا الحذاق الماهرة وقيل
 ما هم وما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر التحقيق بالحمد والثناء واجري عليه تلك الصفات تعلقت
 العلم بمعلوم على الذات فهي الصفات حري بالثناء وغاية التذلل والاستعانة في المهمات فخطب
 ذلك المعلوم المتميز بتلك الأوصاف فقل أياك يا من هذه صفاته لغيد ونستعين لا غيرك
 والنجي بالنون في الفعلين لقصد الأخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد أو عن
 سائر الموحدين وفيه إشعار على التزام الجحاة وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الأ
 ويكون الأولى وسيلة إلى الثانية وتقدم الوسائل سبب لتحصيل المطالب بطلاق العبادة والاستعانة
 لقصد النعيم لتناول كل معبود به ومستعان فيه استحسنه الزمخشري وقال المتألفون الكلام والحمد بعضه
 بحجة بعض وتكرير الضمير للتخصيص على تخصيصه تعالى بكل واحد منهما ولا يزال التذلل بالمتابعة والخطاب

واخرج مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت الصلوة بيني وبين عبد
 نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال
 الله حمدي عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال انني على عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال
 محدي عبدي وربما قال فوضلي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني
 وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال هذا العبد لعبدي ولعبدي ما
 سأل وعن ابي طلحة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تلقى العدو فمعه يقول يا مالك يوم الدين
 اياك نعبد واياك نستعين قال فلقد رأيت الرجال تصرع فتضي بها الملائكة من بين يديها
 ومن خلفها اخرجها البغوي والبا وروي معا في معرفة الصحابة والطبراني في الاوسط وابو نعيم في
 الدلائل اهدنا الصراط المستقيم افراد المعونة المسئلة بالذكر وتعين لما هو الاهم وبيان
 اي ارشادنا وقيل ثبتنا على المنهاج الواضح واهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهذا الداعي
 من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبيت وطلب مزيد الهداية والثبات عليه لان
 الاطراف والهدايات من الله تعالى لا تتناهي قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى الآية وقال
 تعالى والذين جاهاوا فإنا لنهتداهم بلنا والهداية هي الارشاد والتوفيق والتبيين والاطعام
 اوله لا يلفظ على ما يوصل الى البغية فهو قد يتعدى فعالها بنفسه كما هنا وكقوله وهدينا
 النجدين وقد يتعدى بالي كقوله اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم
 وانك لتهديهم الى صراط مستقيم وقد يتعدى باللام كقوله هداها هذا وقوله يهدي للذي هي قوم وقال
 الزمخشري اصله ان يتعدى باللام وبالي انتهى فرق كثير من المتأخرين بين المتعدي بنفسه وغير
 المتعدى فقالوا معنى الاول الدلالة والثاني الايضال والصراط بالصاد الخالصة لغة قريش وهي الحادة و
 السين قراءة ابن كثير في كل القرآن ويذكر ويؤتى كالطريق السبيل فالتذكير لغة تميم والتأنيث
 انجيلا وجمعه صراط وقد تشبم الصاد صوت الزاي خربا القريب من المبدل منه وقد قرئ بطن جميعا
 ونصحا هن الصاد والمستقيم المستوي في المواد به طريق الحق وملة الاسلام قال ابن كثير اجتمعت الامة
 من اهل التاويل جميعا على ان الصراط المستقيم هو الطريق الاخير الذي لا اعوجاج فيه وهو كذلك في
 لغة جميع العرب وهي الملة الحنيفية السنية المتوسطة بين افراط والتفريط وعن جابر بن عبد الله

انه قال روي عن الامام وهو واسع حاكين السماء والارض وعن النور بن سمعان عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة
وحلى الابواب ستور رخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا
تفرقوا داع يدعوه من فوق الصراط فاذا راها انسان ان يفتخر شيئا من تلك الابواب قال ويحك
لا تفخر فانك ان تفخره تلبسه فالصراط الاله الام والسوران حد وراسه ولا ابواب المفتحة محارم الله
ومن ذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم
قال ابن كثير هو اسناد حسن صحيح وعن ابن مسعود وكتاب الله وقيل السنة والجماعة وعن ابى
العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده وعن الفضيل بن عياض انه
طريق الحج وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة وعن ابن عباس ان معناه اهدنا دينك
الحق وهو الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم بدل كل من كل وفائدة التوكيد
بالتنصيص على ان صراط السليين هو المشهور عليه بالاستقامة والاستواء على أكد وجزم بالغنى
بحيث لا يذهب الوهم عند ذكره الا اليه والانعام ايصال النعمة والاحسان الى الغير اذا كان من
الملك لا يذعن الله تعالى مع استحقاقه ان يصرفها كما يشاء في ديني واخروي واطلق للشميل كل انعام
فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها مجزا فيرها ثمر المراد بالموصول هم
الاربعة المذكورة في سورة النساء حيث قال ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقال ابن عباس
هم تمام موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل
بيته قيل هم الانبياء خاصة وقيل مطلق المؤمنين والاولا الى غير المغضوب عليهم بدل كل
من كل اي غير صراط الذين غضبت عليهم وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
عليه قال القرطبي الغضب في اللغة الشدة وفي صفة الله ارادة العقوبة فهو صفة ذاته والعقوبة
وهو احد بث ان الصديقة لتطفي غضب الرب فهو صفة فعله وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين
هنا ما يلحق الكافرين والعدل عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جري على منهاج الاداب
التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها وفي عليهم عشر لغات وكلها

صواب قاله ابن الأنباري ولا الضالين لا ذائده قاله الطبري والزمخشري وقيل هي تأكيد حكاية
مكي والمهدوي وقيل بمعنى غير قاله الكوفيون والحلي أي وغير الضالين عن الهدى وهم النصارى
لقوله عز وجل قد ضلوا من قبل الآية وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك ومنه ضل الدين في
الماء أي غاب وقال القرطبي هو في لسان العرب الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق أخرج
أحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جبان وصححه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الم غضوب عليهم هم اليهود وإن الضالين النصارى ورواه أبو الشيخ عن عبد
الله بن شقيق مرفوعاً وابن مردويه عن أبي ذر مثله وبه قال بيع بن النسن ومجاهد وابن جابر
وأما سواها لاختصاص كل منهما بما خلب عليه وقيل أراد الم غضوب عليهم بالكبدية والضالين
عن السنة قاله القرطبي وقيل للفظ يعم الكفار والعصاة والمبتدعة لقول الله تعالى في القتال
عند وأغضب الله عليه وقال فماذا بعد الحق إلا الضلال وقال الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وقيل غير ذلك وأنت خير بآن جعل الوصول عبارة عما ذكر من طائفة خير معية تخرج
ببدلية ما أضيف إليه ما قبله فالمصير إلى التفسير النبوي متعين وهو الذي أطبق عليه أئمة
التفسير من السلف قال ابن أبي حاتم لا أعلم خلافاً بين المفسرين في هذا التفسير ويشهد له
آيات من القرآن كما تقدم قال القرطبي سورة الفاتحة مشتملة على أربعة أنواع من العلوم هي
مناط الدين أحدها علم الأصول واليه الإشارة بقوله الحمد لله إلى الرحيم ومعرفة النبوت وهي قوله
أنعمت عليهم ومعرفة المعاد وهي قوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع وأعظمها العبادات
وهي إياك نعبد والعبادة مأكلة وبدنية وثالثها علم الأخلاق وهو قوله إياك نستعين إلى المستقيم
ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة السعداء منهم والاشقياء وهو المراد بقوله أنعمت
عليهم إلى آخر السورة انتهى ملخصاً وللامامين الغزالي والرازي في تقريرها شتمها على علوم القرآن بسط
كتاب حتى استخرج الرازي منها عشرة آلاف مسألة في أول السورة مشتمل على الحمدلة وأخرها على
الذم للمعرضين عن الإيمان وذلك يدل على أن مطلع أخريات وعنوان السعادات هو الاقبال
على الله ورأس الآفات وأس الخالفات هو الأعراض عنه والبعد عن طاعته وعاقبة ذلك
الغضب والضلال وأعلم أن السنة الصحيحة الصريحة الثابتة توا قد دلت على مشروعية

التامين بعد قراءة الفاتحة فمن ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين مد بها صوته
 ولا يداود رفع بها صوته وقد حسنه الترمذي وأخرجه أيضا النسائي وابن أبي شيبه وابن
 ماجه والحاكم وصححه وفي لفظ من حديثه أنه صلى الله عليه وسلم قال رب اغفر لي آمين ^{الحز}
 الطبراني وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إذا قرأ يعني الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبركم الله الخروج
 البخاري ومسلم وأهل السنن وأحمد وابن شيبه وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال إذا تم الإمام فأمسوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد
 الجرجاني في أماليه وما تأخر قيل هو الحفظ وقيل غيرهم من الملائكة ويعني الذنوب الصغائر
 دون الكبائر وفي الباب أحاديث بين صحيح منها وضعيف وأمين اسم فعل بمعنى اللهم اسمع
 واستجب لنا وتقبل عند الكثر أهل العلم قاله القرطبي وفي الصحاح معناه كذلك فليكن وبه قال
 ابن عباس وعنه قال قلت يا رسول الله ما معنى آمين قال رب افعل أخرج جويبير في تفسيره
 وعن هلال بن يساف ومجاهد قالا آمين من أسماء الله وقال الترمذي معناه لا تخيب رجائنا
 وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الأثام رواه الطبراني عن علي بسند ضعيف
 وعنه مسلم أنه كاتم على الكتاب رواه أبو داود وأبو داود وأبو داود وأبو داود وأبو داود وأبو داود
 بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وفيه لغتان المد وهو اسم العجي لأنه بزنة قابيل وهابيل و
 القصص على وزن يمين قال مجنون ليلي **يا رب لا تسلبني حبها أبدا** ويرحم الله عبدا قال
 آمين **يا رب لا تسلبني حبها أبدا** ويرحم الله عبدا قال **يا رب لا تسلبني حبها أبدا** ويرحم الله عبدا قال
 فذكره مقصودا قال الجوهري وتشديد الميم خطأ ولكنه روي عن الحسن وجعفر الصادق
 التشديد وبه قال الحسن بن الفضل من أم إذا قصد أي نحن قاصدون خيرك يا الله وهو
 مبني على الفتح مثل أين وكيف لاجتماع الساكنين ويقال منه آمن فلان تأمينا وهذه الكلمة
 لم تكن قبلنا إلا لموسى وهارون كذا ذكر الحكيم الترمذي في نوادير الأصول عن انس بن مالك ^{رواه}
 وقيل بل هي خاصة بهذه الأمة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حسد تكلم اليهود على شيء ما حسد تكلم

على السلام والتأمين اخرج ابن ماجة وفي الباب احاديث وقد اختلف اهل العلم
في اجزائها وفي ان الامام يقولها ام لا وذلك مبين في موطنه وكذلك اختلفوا في
وجوب قراءة الفاتحة فذهب جمهور العلماء منهم مالك والشافعي واحمد الى وجوبها
وانها متعينة في الصلوة لا تجزي الا بها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا صلوة لمن لم يقرأ
فيها بفاتحة الكتاب اخرج الشيوخ عن عباد بن الصامت وذهب ابو حنيفة الى
انها لا تنعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة اية من القرآن طويلة او ثلاث ايات
فصار لقوله تعالى فاقرأ ما تيسر منه والاول ارجح ويدل عليه حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجزي صلوة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب
اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح والكلام في هذا يطول وقد بينه الشوكاني في نيل
الاطوار واضحا في مسك الختام وسياق في ان شاء الله تعالى في اخر الاعراف شي مما يتعلق بهذا المقام

سورة البقرة

قال القرطبي مدنية نزلت في مكة حشيت وقيل هي اول سورة نزلت بالمدينة الاولى
تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها الخراية نزلت من السماء ونزلت
يوم القدر في يوم حجة الوداع بمضى قاله ابن عباس وايات الربى ايضا من او اخر ما نزل من
القرآن وقد ورد في فضلها احاديث واثار كثيرة في الصحيح والسنن وغيرها ومن
فضلها ما هو خاص باية الكرسي وما هو خاص بخواتيم هذه السورة وما هو في فضلها
وفضل آل عمران وما هو في فضل السبع الطول وليطلب ذلك عن موطنه وفيه
ما شان وست و قيل وسبع وثمانون اية قال ابن العربي فيها الف امر والف
نهي والف حكم والف خبر اخذها بركة وتركها حسرة لا تستطيعها البطلة وهم السحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحر قال القرطبي اختلف اهل التأويل في الحروف التي في اوائل السور فقال
الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي سر الله في القرآن وسه في كل

كتاب من كتبه سرّ في من المشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا نخب ان نتكلم
 فيها ولكن نؤمن بها ونؤمن بها كما جاءت وروي هذا القول عن ابي بكر الصديق وعلي
 بن ابي طالب قال وذكر ابو الليث السمرقندي عن عمرو عثمان وابن مسعود انهم
 قالوا الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وفائدة ذكرها طلب الايمان
 بها ولا يلزم البحث عنها فهي مما استأثر الله بعلمه وقال ابو حاتم لم نجد الحروف
 في القرآن الا في اوائل السور ولا ندرى ما اراد الله عز وجل وقال جمع من العلماء
 كثير بل نخب ان نتكلم فيها ونلتصق بالفوائد التي تحتها والمعاني التي تخرج
 عليها واختلافوا في ذلك على اقوال عديدة فروي عن ابن عباس وعلي ايضا ان
 الحروف المقطعة من القرآن اسم الله الاعظم الا اننا لا نعرف تاليفه منها وقال قطرب
 والمبرد والفراء وغيرهم واختاره جمع عظيم من المحققين هي اشارة الى حروف الجها
 اعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقران انه مؤلف من الحروف التي بين
 كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه ابلغ في الحجة عليهم اذ لم يخرج عن كلامهم قال
 قطرب كانوا ينغرون عند استماع القرآن فلما نزل المص استكروا هذا اللفظ فلما
 انصتوا له صلى الله عليه واله وسلم اقبل عليهم بالقران المؤلف ليثبتة في
 اسمعهم واذا نهم وقيم الحجة عليهم وقال جماعة هي حروف دالة على اسماء
 اخذت منها وحذفت بعضها كقول ابن عباس وغيره الالف من الله واللام من
 جبريل والميم من محمد وذهب الى هذا الزجاج فقال اذهب الى ان كل حرف منها
 يؤدى عن معنى وقد تكلمت العرب بحروف مقطعة كقوله فقلت ليا قفي فقالت
 قاف اي وقفت وفي الحديث من احان على قتل مسلم بشرط كلمة قال شقيق هو ان يقول
 في اقل اقل كما قال صلى الله عليه واله وسلم كفى بالسيف شأى شافيا وقال
 بعضهم لالف واحدة واللام ثلاثون والميم اربعون والمعنى ان الله الواحد انزل ثلاثين جزءا
 من القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما بلغ اربعين سنة التي بعثه عندها الى
 الخلق قال زيد بن اسلم هي اسماء السور وقال الطبري هي اقسام اقسام الله بها لشرها وفضلها

وهي من اسمائه وقيل ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب مستوية فيها بخلاف النطق
باسمايها وهو خاص بمن خطو قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم اى فاقى بها كذلك
زيادة في الاعجاز وقيل غير ذلك مما لا ياتي عليه الحصر وقد ذكر شرطها الرازي
في تفسيره ومن ادق ما ابرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزمخشري في
الكشاف حيث قال انك اذا تأملت ما اوردته الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء
وجدتها نصف اسمي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد
والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في
تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها
مشمولة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد
والكاف والهاء والسين والحاء ومن المهموسة نصفها الالف واللام والميم والراء
والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف و
الطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين
والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفخقة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون
ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام
والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقرت الكلم وتراكيبها رايت
الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكسورة بالمدكوكة منها
فبها ان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله
وهو المطابق للطائفة التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عذد على العرب
الفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيث لهم والزام الحجة
اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلام
ان الالف واللام لما تكررا وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين

وهي فواتح سورة البقرة وال عمران وال روم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف
والرعد ويونس و ابراهيم وهود ويوسف والتج انتهي وتبعه في ذلك جماعة من
اهل التفسير منهم الخازن والنسفي والبيضاوي والخطيب وابوالسعود وغيرهم
اقول هذا التدقيق لا يأتي بفائدة يعتد بها وببأنه انه اذا كان المراد منه الزام
الحجة والتبكي كما قال فهذا متيسر بان يقال لهم هذا القرآن هو من الحروف التي
تتكون بها ليس من حروف مغايرة لها فيكون هذا تبكيئا والزاما يفهمه كل
سامع منهم من دون الغارز وتعمية وتفريق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين
سورة فان هذا مع ما فيه من التطويل الذي لا يستوفيه سامعه الا سماع جميع هذا
الفواتح هو ايضا مما لا يفهمه احد من السامعين فضلا ان يكون تبكيئا له والزاما
لحجة آية فان ذلك هو امر وراء الفهم مترتب عليه ولم يفهم السامع هذا ولا ذكر
اهل العلم عن فرد من افراد الجاهلية الذين وقع التحدي لهم بالقران انه بلغ فهمه
الى بعض هذا فضلا عن كله ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف
التي تركيبت لغة العرب منها وذلك النصف مشتملا على انصاف تلك الانواع من
الحروف والمتصفة بتلك الاوصاف هو امر لا تتعلق به فائدة لجاهل ولا اسلامي ولا
مقر ولا منكر ولا مسلم ولا معارض ولا تصلح ان يكون مقصدا من مقاصد الرب
سبحانه الذي انزل كتابه للارشاد الى شرائعه والهداية به وهب ان هذه صناعة
عجيبة ونكتة غريبة فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا
انه كلام بليغ او فصيح وذلك لان هذه الحروف الواقعة في الفواتح ليست من جنس
كلام العرب حتى تتصف بهذين الوصفين وغاية ما هنا لك انها من جنس حروف
كلامهم ولا مدخل لذلك فيما ذكر وايضا لو فرض انها كلمات متبركة بتقدير شيء
قبلها او بعد هالم يصح وصفها بذلك لانها تعمية غير مفهومة للسامع الا بان يأتي
من يريد بيانها بمثل ما يأتي به من اراد بيان الاغارز والتعمية وليس ذلك من
الفصاحة والبلاغة في ورد ولا صدر بل من عكسها وضد رسمها واذا عرفت

هذا فاعلم ان من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازماً بان ذلك هو ما اراد
الله عز وجل فقد غلط اقبل الغلط وركب في فهمه ودعواه اعظم الشطط فانه ان
كان تفسيرها به راجعاً الى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت فان العرب لم يتكلموا
بشيء من ذلك واذا سمعه السامع منهم كان معدوداً عنده من الرطانة ولا ينافي
ذلك انهم قد يقتصر ون على حرف او حروف من الكلمة التي يريدون النطق
بها فانهم لم يفعلوا ذلك الا بعد ان تقدم ما يدل عليه ويفيد معناه بحيث
لا يلتبس على سامعه كمثل ما تقدم ذكره ومن هذا القبيل ما يقع منهم من التثنية
واين هذه القوالب الواقعة في اوائل السور من هذا واذا تقررت لك انه لا يمكن
استفادة ما دعواه من لغة العرب وعلومها لم يبق حجة الا احد امرين الاول التفسير
بمحض الراي الذي ورد النهي عنه والوعيد عليه واهل العلم احق الناس بتجنبه واصد
عنه والتنبك عن طريقه وهم اتقى لله سبحانه من يجعلوا كتاب الله سبحانه ملعبة لهم يتلاعبون
به ويضعون حماقات انظارهم وخز عبيلات افكارهم عليه الثاني التفسير
بتوقيف عن صاحب الشرع وهذا هو المصيح الواضح والسبيل القويم بل المجادة
التي ما سواها صردوم والطريقة العائرة التي ما عداها مهردوم فمن وجد شيئاً
من هذا فغير مألوم ان يقول بملائيئه ويتكلم بما وصل اليه علمه ومن لم يبلغه
شيء من ذلك فليقل لا ادري او الله اعلم بما اده فقد ثبت النهي عن طلب فهم
المتشابه ومحاولة الوقوف على علمه مع كونه الفاظاً عربية وتراكيب مفهومة وقد
جعل الله تتبع ذلك ضيعع الذين في قلوبهم ذيف فكيف بما نحن بصدد فانه ينبغي
ان يقال فيه انه متشابه على فرض ان للفهم اليه سبيلاً ولكلام العرب فيه مدخل
فكيف وهو خارج عن ذلك على كل تقدير وانظر كيف فهم اليهود عند
سماع المرفانهم لمالم يجدوها على نمط لغة العرب فهموا ان الحروف المذكورة
رمز الى ما يصطلحون عليه من العدد الذي يجعلونه لها كما اخرج ابن اسحق والبخاري
في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله

قال من ابوياسر بن اخطب في رجال من يهود بر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
هو يتلو فاتحة سورة البقرة المذ لك الكتاب لا ريب فيه فاتي اخاه حُيَّي بن اخطب
في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدًا يتلو فيما انزل عليه الم
ذلك الكتاب فقال انت سمعته فقال نعم فشي حُيَّي في اولئك النفر الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد الم يدكر انك تتلو فيما انزل عليك الم ذلك الكتاب
قال بلى قال اجاءك بهذا جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك الانبياء
ما نعلمه بين النبي منهم ما مدَّة ملكه وما اجل امته غيرك فقال حُيَّي بن اخطب و
اقبل على من كان معه الالف واحدة واللام ثلثون والميم اربعون فهذه احدى وسبعون
سنة افتد خلون في دين بني انما مدَّة ملكه واجل امته احدى وسبعون سنة ثم
اقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم
قال وما ذاك قال المص قال هذا اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلثون والميم
اربعون والصاد تسعون فهذه احدى وستون ومائة سنة هل مع هذا يا محمد غيره
قال نعم قال وما ذاك قال الر قال هذه اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلثون والراء
مأتان هذه احدى وثلثون سنة ومأتان فهل مع هذا غيره قال نعم الم قال فهذه
اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلثون والميم اربعون والراء مأتان ثم قال لقد
لبس علينا امرك يا محمد حتى ما ندري اقليلًا اعطيت ام كثيرًا ثم قاموا فقال ابوياسر
لاخيه حُيَّي ومن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا الحمد كله احدى وسبعون و
احدى وسبعون ومائة واحدة وثلثون ومأتان واحدى وسبعون ومأتان
فذلك سبع مائة واربع وثلثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا امره فيزعمون ان هذه
الايات نزلت فيهم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمة من ام الكتب
واخر متشابهات فانظر ما بلغت اليه افهامهم من هذا الامر النخس بهم من عدد
الحروف مع كونه ليس من لغة العرب في شيء وتامل اي موضع احق بالبيان من رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الموضع فان هؤلاء الملاعين قد جعلوا ما فهموه عنه

سماع المذ لك الكتاب من ذلك العدد موجبا للتنبيط عن الاجابة له والدخول
 في شريعته فلو كان ذلك معنى يعقل ومدلول يفهم لدفع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ما ظنوه بأدي بدعي حتى لا يكثر عنه ما جاء في التثبيك على من معهم فان
 قلت هل ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الفوائج شيء يصلح للتشكك
 به قلت لا اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم في شيء من معانيها بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد
 عدد حروفها فاخرج البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم وصححه عن ابن مسعود
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لا
 اقول الم حرف ولكن الف حرف ولا م حرف وميم حرف وله طرق عن ابن مسعود واخرج
 ابن ابي شيبة والبرزالي بسند ضعيف عن عوف بن مالك الاشجعي نحوه مرفوعا فان قلت
 هل روي عن الصحابة شيء من ذلك باسناد متصل بقائله ام ليس الا ما تقدم من حكاية
 القرطبي عن ابن عباس وعلي قلت روي عن ابن مسعود انه قال الم حرف اشتقت
 من حروف اسم الله وعنه قال هي اسم الله الاعظم وعن ابن عباس في قوله المرحم ون
 قال اسم مقطوع وعنه في فوائج السور قال هو قسم اسمه الله وهو من اسماء الله وعن
 الربيع بن انس قال الف مفتاح اسمه الله ولا م مفتاح اسمه لطيف وميم مفتاح اسمه
 مجيد وقد يروى نحو هذه التفاسير عن جماعة من التابعين فيهم عكرمة والشعبي
 السدي وقتادة ومجاهد والحسن فان قلت هل يجوز الاقتداء بأحد من الصحابة
 قال في تفسير شيء من هذه الفوائج قوله لا تحصى اسناده اليه قلت لا ما قدمنا الا ان يعلم
 انه قال ذلك عن علم اخذه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فان قلت هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه و
 لا مدخل للغة العرب فلم لا يكون له حكم الرفع قلت تنزيل هذا منزلة المرفوع وان قال
 به طائفة من اهل الاصول وغيرهم فليس مما ينشرح له صدور المنصفين ولا سيما
 اذا كان في مثل هذا المقام وهو التفسير لكلام الله سبحانه فانه دخول في اعظم الخطر
 مما لا يبرهان عليه صحيح الاجر دقوله ان يبعد من الصحابي كل البعد ان يقول مجتزأ
 رآه فيما لا مجال فيه للاجتهاد وليس محجوزا من الاستبعاد مسوغا للوقوع في خطر الوعيد

الشديد على انه يمكن ان يذهب بعض الصحابة الى تفسير بعض المتشابه كما تجده
 كثيرا في تفاسيرهم المنقولة عنهم وتجعل هذه القوايح من جملة المتشابه ثم ههنا مانع
 اخر وهو ان المروي عن الصحابة في هذا يختلف متناقض فان علمنا بما قاله احدهم
 دون الاخر كان تحكما لا وجه له وان علمنا بما لجميع كان علمنا بما هو مختلف فيه فتناقض
 ولا يجوز ثم ههنا مانع غير هذا المانع وهو انه لو كان شيئا قالوه ما خذ اعن النبي صلى
 لا تفقوا عليه ولم يختلفوا كما هو ما خذ عنه فلما اختلفوا في هذا علمنا انه
 لم يكن موجودا عن النبي صلى ثم لو كان عندهم شيء عن النبي صلى في هذا الما تركوا حكاية عنه
 ورفعوا اليه لايستأخذ عند اختلافهم واضطراب قواهم في مثل هذا الكلام الذي لا مجال
 للغة العرب فيه ولا مدخل لها ولا يقال قد اختلفوا في غيره من الاحكام فيلزم عدم
 الاخذ به لاننا نقول اختلا فمهم في ذلك من قبيل الاخذ بالاحص او الاعم او المتقدم
 والمتاخر وفي كثير مما اختلفوا فيه ان علموا بالنص تركوا اخذك بخلاف ما هذا والله تعالى
 اعلم والذي اراد لنفسه ولكل من احب لسلامة واقتراني بسلف الائمة ان لا يتكلم بشيء
 من ذلك مع الاعتراف بان في انزالها حكمه الله عز وجل لا تبلغه عقولنا ولا نمتدري
 اليها افهامنا فاذا انتهميت الى السلامة في مدالك فلا تجاوز سياقي لنا عند تفسير
 قوله تعالى ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات كلام طويل الذيل و
 تحقيق تقبله صحاحات لانها ام وسليمان العقول ذلك الكتاب اي القرآن وقيل
 فيه اضمأري هذا الكتاب الذي وعدت بك به او وعدت به على لسان موسى
 وعيسى ان انزله عليك قال ابن عباس في الآية يعني هذا الكتاب وبه قال مجاهد
 وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي ومقاتل وزيد بن اسلم وابن جريج وحكاة
 البخاري عن ابي عبيدة والاشارة الى الكتاب المذكور بعدة والعرب قد تستعمل
 الاشارة الى البعيد الغائب مكان الاشارة الى القريب الحاضر ومنه قوله تعالى ذلك
 عالم الغيب والشهادة وقوله تلك حجتنا آتيناها ابراهيم وقوله تلك ايات الكتاب
 وقوله ذلك حكم الله قال ابو السعود وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشاكل

لا يذ ان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف انتهى وقيل ان
 الاشارة الى غائب واختلف في ذلك الغائب فقيل هو الكتاب الذي كتب على الخلافة
 بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق وقيل الكتاب الذي كتبه الله على نفسه في
 الانزل كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قضى الله الخلق كتب
 في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي وفي رواية سبقت
 وقيل الاشارة الى ما قد نزل بمكة وقيل الى ما في التوراة والانجيل وقيل الى قوله قبله
 الم ورحمة الرحمن شري وقد وقع الاختلاف في ذلك الى تمام عشرة اقوال حسبما حكاه
 القرطبي وارجحها ما صدرناؤه والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع
 ومنه يقال للجد كتيبة لاجتماعها والكتاب يجمع الحروف بعضها الى بعض وهو اسم
 من اسماء القرآن لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق
 وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتأبوا فيه والريب الشك مع التهمة مصدر وهو قلق
 النفس واضطرابها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق
 طمأنينة ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوابه وقيل
 الريب هو الشك مطلقا وقال ابن ابي حاتم لا اعلم في هذا خلافا وقد يستعمل الريب في
 التهمة والحاجة حكمة ذلك القرطبي ومعنى هذا النفي العام ان الكتاب ليس بمظنة
 للريب لوضوح دلالته وضوح ما يقوم مقام البرهان المقضي لكونه لا ينبغي الارتياب
 فيه بوجه من الوجوه هدى اي رشاد وبيان وانه يذكر وهو الكثير وبعضهم
 يؤنث اي هو هدى وهذه هدى او هو هادي لهم الى الحق والهدى مصدر كالشرى
 والبكى قال الزمخشري وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلال في مقابلته
 انتهى قال القرطبي الهدى هديان هدى دلاله وهو الذي يقدر عليه الرسل
 واتباعهم قال الله تعالى ولكل قوم هاد وقال وانك لمن مهدي الى صراط مستقيم فثبت
 لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه وتفرده سبحانه بالهدى الذي
 معناه التأييد والتوفيق فقال لتنبه صلواتك لا تمدي من احببت فالهدى على

هذا ينبغي بمعنى خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم
 وقوله ولكن الله يهدي من يشاء للمتقين اي من تبنت لهم التقوى وتخصيص
 الهدى بالمتقين لما انهم المقربون من انواره المنتفعون بانواره وان كانت
 هدايته شاملة لكل ناظر من مؤمن وكافر ولذا اطلقت في قوله هدى للناس قاله
 ابو السجود قال ابن فارس واصلمها في اللغة قلة الكلام وقال في الكشف المتقي في
 اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فانقاه والوقاية الصيانة وهو في الشريعة الذي
 يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل وترك انتهى قال ابن مسعود وهم
 المؤمنون وعن معاذ بن جبل انه قيل له من المتقون فقال قوم اتقوا الشرك و
 العبادة الاوثان واخلصوا لله العبادة وعن ابي هريرة ان رجلا قال له ما التقوى
 قال هل وجدت طريقا اذا شئت انك قال نعم قال فكيف صنعت قال اذا رايت الشوك
 عدلت عنه او جاوزته او قصرت عنه قال ذلك التقوى وعن ابي الدرداء قال
 تمام التقوى ان يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه
 جلال خيفة ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الله وقد روى نحو هذا
 عن جماعة من التابعين واخرج احمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه والترمذي
 وحسنه وابن ماجه وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب
 عن عطية السعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى
 يدع ما لا بأس به من المأكل والمشرب الى ما افاده هذا الحديث اجبي يكون هذا معنى شرعيا
 المستقي اخصص من المعنى الذي قد مناعن صاحب الكشف زاعما انه المعنى الشرعي
 وقد اطال القوم في ذكر تعاريف التقوى ورسوم المتقي لاحاجة لنا الى التطويل به
 تلك الاقوال فالمر فوع يعني عن المرقوع والصباح يعني عن المصباح الذين يؤمنون
 بالغيب اصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما انت بسوء من لنا اي بصدق
 وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق وكلا الوجهين
 حسن هنا والغيب في كلام العرب كلما غاب عنك قال القرطبي واختلاف المفسرون

في تاويل الغيب هنا فتاكت فرقة الغيب هو الله سبحانه وضعفه ابن العربي وقال
 اخرون القضاء والقدر وقال اخرون القران وما فيه من الغيوب وقيل القلب يصوت
 بقلوبهم وقيل الغيب الخفاء وقال اخرون الغيب كلما اخبر به الرسول بما لا تهدي اليه
 العقول من اشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة
 والنار قال ابن عطية وهذه الاقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها وهذا هو
 الايمان الشرعي المشار اليه في حديث جبريل حين قال للنبي صلّم فاخبرني عن الايمان
 قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره
 قال صدقت انتهى وهذا الحديث هو ثابت في الصحيح بلفظ وا القدر خيره وشره وللتأخير
 اقوال والراجح ما تقدم من الايمان الشرعي قال ابن جرير والاولى ان يكونا موصوفين
 بالايمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً وتدخل الخشية لله في معنى الايمان الذي هو
 تصديق القول بالعمل والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق
 الاقرار بالفعل وقال ابن كثير ان الايمان الشرعي المطلوب لا يكون لا اعتقاداً وقولاً
 عملاً هكذا ذهب اليه اكثر الامّة بل قد حكاها الشافعي واحمد وابوعبيد وغير واحد
 اجماعاً ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقد ورد فيه اثبات كثيرة انتهى وقد انكر
 اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقال اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا
 ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين
 ظواهر النصوص من الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصل
 من اللغة والدليل على ان الاعمال من الايمان قوله صلّم الايمان بضع وسبعون شعباً فضلاً
 قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجه
 الشيخان عن ابي هريرة وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ أي يداومون عليها والاقامة في الاصل
 الدوام والثبات وليس من القيام على الرجل وانما هو من قولك قام الحق اي ظهر وثبت
 واقامة الصلوة اداؤها باسكانها وسننها وهياتها في اوقاتها وحفظها من التغير فيها
 خلل في فرائضها وحدها هو ذنب في افعالها واقامها اسكانها والصلوة اصلها في اللغة

الدعاء من صلى يصلي اذا دعا ذكر هذا الجوهري وغيره وقال قوم هي مأخوذة من الصلوة وهو عرق في وسط الظهر ويفترق عند العجب ذكر هذا القرطبي وهذا هو المعنى اللغوي واما المعنى الشرعي فهو هذه الصلوة التي هي ذات الاربكان والاذكار قال ابن عباس المراد به الصلوات الخمس قال قتادة ان اقامة الصلوة المحافظة على مواقيتها ووضوءها وركوعها وسجودها ومما رزقناهم ينفقون اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله وفي سبيله والرزق عند الجمهور ما يصلح للانتفاع به خلافاً كان او حرماً خلافاً للمعتزلة فقالوا ان الحرام ليس برزق وللبحث في هذه المسئلة موضع غير هذا والاتفاق اخراج المال من اليد وفي المجيء بمن التبعية ههنا نكتة سرية هي الاسناد الى ترك الاسراف والتبذير قال ابن عباس يعني زكاة اموالهم وعن قتادة يعني الاتفاق في فرائض الله التي افترض عليهم في طاعته وسبيله كالزكاة والنذر في الجهاد وعلى النفس وقال ابن مسعود هي نفقة الرجل على اهله واختار ابن جرير ان الاية عامة في الزكاة والنفقة وهو الحق من غير فرق بين النفقة على الاقارب وغيرهم وصدقة الفرض والنفل وعدم التصريح بنوع من الانواع التي يصدق عليها اسم الاتفاق يشعرا ثم اشعار بالتعميم والَّذِينَ يُؤْتُونَ أَي يصدقون مما أنزل إليك المراد به ما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو القرآن بأسره والشرعية عن غيرها والتعبير بالماضي مع كون بعضه مترقياً للتغليب المحقق على المقدول ولتنزيل ما في شرف الوقوع منزلة الواقع وما أنزل من قبلك وهو الكتاب المسالفة المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن تفصيلاً فرض كفاية قيل هو مومنواهل الكتاب وفيهم نزلت وقد ربح هذا ابن جرير ونقله السدي عن ابن عباس وابن مسعود وانا من الصحابة واستشهد له ابن جرير بقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم وبقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وقيل الاولى نزلت في مؤمنى العرب دون الثانية وقيل الايتين جميعاً في المؤمنين والحق ان هذه الآية في المؤمنين كالتى قبلها وليس مجرد ذكر

الايمان بما انزل الى النبي صلعم وما انزل الى من قبله بمقتضى جعل ذلك وصفا للمؤمنين اهل
 الكتاب لم يأت ما يوجب المخالفة لهذا ولا في نظم القرآن ما يقتضي ذلك وقد ثبت
 الشناء على من جمع بين الامرين من المؤمنين في غير آية فمن ذلك قوله يا ايها الذين
 آمنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل
 من قبل وقوله تعالى وقولوا امنابا الذي انزل الينا وانزل اليكم وقوله تعالى امن الرسول
 بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين
 احد من رسله وقال والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين احد منهم و
 بالآخرة اي بالدار الآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض لاول كمال الدنيا تأنيث لاول علمت
 على الدارين فجر تأجري الاسماء وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى وتلك الدار الآخرة
 اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها هم يوقنون الايقان اتقان العلم يا تنفاء الشك
 والشبهة عنه قال في الكشف فالمراد انهم يوقنون بالبعث والشفور وسائر امور الآخرة
 من دون شك وفي تقدير الظرف مع بناء الفعل على الضمير اشعار بان ما عدا هذه
 الامر الذي هو اساس الايمان ورأسه ليس يستأهل عندهم للايقان به والقطع بوقوعه في
 تعريض عن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في العو والآخرة بمعزل من الصحة فضا
 عن الوصول الي مرتبة اليقين اولئك اي الذين هذه صفتهم وماقية من البعد للاشعار بجلود حية
 ورفعة مرتبتهم في الفضل وهو مبتدأ وخبره على هدى من ربهم اي على رشاد
 ونور وقيل على استقامة صفوها من عندها وتوها من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي
 اعتضدوا به على اعمال الخير والتري الى الافضل فالافضل وهذا كلام مستأنف بيان
 ويمكن ان يكون خبرا عن الذين يؤمنون بالغيب فيكون متصلا بما قبله قال في الكشف
 قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقر اليهم عليه وتسكنهم به شبهت حالهم
 بحال من اعتل الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرح بذلك في قول
 جعل الغواية مركبا وامطع الجاهل واقعد غارب اليه انتهى وقد اطل المحققون الكلام
 على هذا بما لا يتسع له المقام واشتهر الخلاف في ذلك بين السعد والشريف واختلف

بعدهم في ترجيح الرابع من القولين وقد جمع الشوكاني في ذلك رسالة مستقلة قال
 ابن جرير معنى الآية على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله أي بهم
 وتوفيقه لهم والابهام المفهوم من التنكير في هدى لكمال التخييل أي على هدى أي هدى
 لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وأولئك في تكرير اسم الإشارة دلالة على أن كلامهم الهداية لما
 والفلاح الآية بحيث لو انفرد أحدهما لكانت هي على حياله هم المفلحون أي للنجى الناجي
 الفائزون بنجى من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظاهر بالمطلوب الفلاح أصله في اللغة
 الشق والقطع قاله أبو عبيد قال القرطبي وقد يستعمل في الفوز والبقاء وهو أصله أيضاً في اللغة
 فعنائه الفائزون بالجنة والباقون فيها وقال في الكشاف المفلح الفائز بالبغية كانه الذي
 انفتحت له وجوه التطفر ولم تستغلق عليه انتهى وقد استعمل الفلاح في السجود ومنه أخذ
 الذي رواه أبو داود حتى كاد يفوتنا الفلاح قلت ما الفلاح قال السجود وكان معناه أخذ
 أن السجود به بقاء الصوم فلهذا سمي فلاحاً وقائدة ضمير الفصل الدلالة على اختصاص
 المسند اليه بالمسند دون غيره وقد ورد في فضل هذه الآيات الشريفة أحاديث
 ثم ذكر سبحانه فرب الشرب بعد الفراغ من ذكر فريق الخبير قاطعاً لهذا الكلام عن الكلام الأول
 معنونه عما يفيدان شأن جنس الكفرة عدم جلاء الأنداء لهم وأنه لا يترتب عليه ما
 هو المطلوب منهم من الإيمان وإن وجود ذلك كعدمه فقال إِنَّ الَّذِينَ التعريف للجماعة
 أو الجنس والثاني أُولَئِكَ كَفَرُوا أي كذبوا وانكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه
 سمي الكافر كافراً لأنه يعطى بكفرة ما يجب أن يكون عليه من الإيمان سواء علمهم أي
 متساوياً وسواء استصدر بمعنى الاستواء وارتفاعه علانته خبراً لا أنذاراً لهم
 أي خوفهم وحذرهم والانداء الإبلان والإعلام مع التخويف فكل منذر معلم وليس كل
 معلم منذر أقرى بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا قال البيضاوي وهذا الأبدال
 نحن ورد عليه علي لقاري بأن ما قاله تقليد اللكشاف خطأ لأن القراءة بموتارة
 عن النبي صلى الله عليه وسلم فأنكارها كفر وتام هذا البحث في الجمل أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي
 لا يصدقون قال القرطبي واختلف العلماء في تأويل هذه الآية فقيل

هي عامة ومعناها الخصوص فمن حقت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله ان يموت
 على كفره اراد الله تعالى ان يعلم الناس ان فيهم من هذا حاله دون ان يعين احدا
 وقال ابن عباس والكلية تزلت في رؤساء اليهود يحيى بن اخطب وكعب بن الاشرف
 ونظر انما وقال الربيع بن انس تزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الاخراب والاول اصحاب
 فان من عين احدا فانما مثل عن كشف الغيب بموته على الكفر انتم ختم الله على قلوبهم
 اي طبع الله عليها واستوثق فلا يعخير او لا تفهمه واختم والكم اخوان اصل الختم مصدر
 معناه التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه ما حصل فيه
 ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل الى ما فيه ولا يوضع فيه غيره
 فشبّه هذا المعنى بضرب الخاتم على الشيء تشبيهه معقول بحسوس والجامع انتقاء القبول
 لما منع منه وكذا يقال في اختم على الاسماع واسناد اختم الى الله قد اجتمع به اهل
 السنة على المعتزلة وحاولوا دفع هذه الحجة بمثل ما ذكره صاحب الكشاف والكلام على
 مثل هذا متقرر في مواطنه وعلى سمعهم اي مواضعه وانما وحدث السمع مع جمع القلوب
 كما تقدم والابصار كما سيأتي لانه مصدر يقع على القليل والكثير ولو حدة السمع وهو
 الصوت وانما خص هذه الاعضاء بالذكر لانها طرق العلم والقلب محل وطريقه اما السماع
 واما الروية وعلى ابصارهم غشاوة الغشاوة الغطاء وهذا البناء لما اشتغل على الشيء
 كالعصابة والعمامة ومنه غاشية السرج وهي غطاء التعالي عن آيات الله ودلائل
 توحيده قيل المراد باختم والغشاوة ههنا هما المعنويان لا الحسيان ويكون الطبع واختم
 على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار كما قاله جماعة قال تعالى فان يشأ
 الله يختم على قلبك وقال ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة و
 لهم كتاب عظيم يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم
 في العقبة والعذاب هو كل ما يولم الانسان وهو ما خوذ من الحبس والمنع يقال
 في اللغة اعذبه عن كذا حبسه ومنعه ومنه عذوبة الماء لانها حبست في الاناء
 حتى صفت وقيل هو الايجاع الشديد والعظيم تقيض الحفيد والكبير تقيض الصغير

فكان العظيم فرق الكبير كما ان الحقد دون الصغير ويستعملان في البحث والاحداث جميعا وقد
التاس جمع انسان يحيى به لانه عهد اليه فنييا ولا نه يستأنس مثله ولا م التعريف في الجنس والمعه
يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر ذكر سبحانه في اول هذه السورة المؤمنين المخلص ثم ذكر بعد هم الكفرة
المخلص ذكر ثالثا المنافقين في الآيات الثلاثة عشر هم الذين لم يكونوا من احد الطائفتين بل صاوا
فرقة ثالثة لا هم ولا فقه في الظاهر الطائفة الاولى في الباطن الطائفة الثانية ولذا نزل فيهم ان المنافقين في
الدن لا يغفل من النار قيل نزلت في عبد الله بن ابي معقب بن قشير وجد بن قيس اصحابهم والمراد باليوم
الآخر الوقت الذي لا ينقطع بل هو ابد او هو يوم القيامة وما هم بمؤمنين نفى عنهم الايمان بالحكمة
في جميع الامنة كما تفيد الجملة الاسمية فيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره يخادعون الله اي
يخالفونه والذين آمنوا والخذاع في اصل اللغة الفساد حكاة ثعلب عن ابن الاعراب وقيل اصله الاخفاء كما
ابن فارس وغيره والمراد اثم صنعهما صنع الخادعين وان كان العالم الذي لا يفقه عليه شيء لا يخدع
وصيغة فاعل يفيد الاشتراك في اصل الفعل والمراد بالخادعة من الله انه لما لم يحكم عليهم بحكم الله
مع اثمهم ليسوا منه في شيء فكان خادعهم بذلك كما خادعوه باظهار الاسلام باطن الكفر وشاكله بالواقع فمما
وقع منه والمراد بخادعة المؤمنين لهم هو اثمهم اجر واحليم بما امرهم الله به من احكام الاسلام فظاهر وان
كانوا يعلمون فساد بواطنهم كما ان المنافقين خادعهم باظهار الاسلام واطنان الكفر قد يكون
الخذاع حسنا اذا كان الغرض منه استدراج الغير من الضلال الى الرشاد ومن ذلك استدراجات
التنزيل على لسان الرسل في دعوة الامم قاله الطيبي والآية من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه
في معاملتهم به حال الخادع مع صاحبه من حيث القبح ومن باب المجاز العقلي في النسبة الايقاعية
واصل التركيب خادعون رسول الله او من باب التورية حيث ذكر معاملتهم به بلفظ الخداع والمراد
بقوله وما يخدعون الا انفسهم الاستعارة الخادع عوام لا يخدع كانوا خادعين لانفسهم لان الخداع
انما يكون مع من لا يعرف البواطن اما مع عرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فانما يخدع نفسه وما يشعرك
والمراد اثمهم بمنوخها اما في الباطنة وهي كذا فكيف هم انفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل القلب والروح وال
ولما نفى المراد بالانفس هنا واطم قلوبهم واعمى اراهم وما يشعرون اي لا يعلمون ان وبال خداعهم اجمع
عليهم قال اهل اللغة شعرت بالشيء فظننت قال في الكشف الشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر

الإنسان حواسه وقيل الشعور أدراك الشيء من وجه يدق ويخفى من الشعور قته ولا ولد
قال ابن عباس انهم المنافقون من الأوس والخزرج ومن كان حلي امرهم عن ابن سيرين قال
لم يكن عندهم شيء اخوف من هذه الآية في قلوبهم مرض كل ما يخرج به الإنسان عن
حد الصحة من علة او نفاق او قصير في امر قاله ابن فارس وقيل هو الأمر فيكون على هذا
مستعار للفساد الذي في عقائدهم اما شكاً ونفاقاً او محمداً وتكذيباً فزادهم الله مرضاً
اي كفاً ونفاقاً والمراد بزيادة المرض الاخبار بانهم كذلك بما يتجدد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ويتكرر له من من الله الدنيوية والدنيوية ويحتمل ان يكون دعاء عليهم بزيادة الشك
وترادف الحسرة وفطر النفاق وفسر ابن عباس المرض بالشك والنفاق وقال ابن زيد هذا
مرض في الدين وليس مرضاً في الأجسام وقال حكيم والطاؤس المرض الرياء والقراء يجمعون
على فتح الراء من مرض الاء عمر فانه قرأ بالسكون ولهم عذاب اي تكال اليم أي مولد يخلص
وجعه الى قلوبهم قال ابن عباس كل شيء في القرآن اليم فهو الموضع انتهى وصف به العذاب للبالغ
بما كانوا يكذبون اي يدلون ويخفون قاله ابن مسعود وقيل المعنى بتكذيبهم الله ورسوله السر
وقيل يكذبهم اذ قالوا المناء وهو خير مؤمنين والكذب هو اخبر عن الشيء على خلاف ما هو
به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض يعني
المنافقين والقاتل لهم هو الله والرسول والمؤمنون والمعنى لا تفسدوا بالنفاق وموالة الكفر
وتعويق الناس عن الايمان بحمد صلواتهم بالقرآن فانكم اذا ضلتم ذلك فسد ما في الأرض بلاك
الابدان وخراب الديار وبطلان الزرائع وخراب العالم كما هو مشاهد عند ثوران الفتن
وهيج الحروب والتنازع والفساد خروج الشيء عن الحالة اللاتقة به والاحتداد والصالح ضد
وكلاهما يعمان كل ضار ونافع قالوا إنما نحن مصلحون يعني يقولونه كذبا وانما من ادوا القصور
كما هو مبين في علم المعاني والصالح ضد الفساد وهذا الجواب منهم رد للمناصح على ابلغ وجه
لانهم تصوروا الفساد بصورة الصالح لما في قلوبهم من المرض لانهم هم المفسدون في الأرض
بالكفر وهو اشد الفساد رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديقهم في التاكيد والاحرف تنبيهه
بينه بها المخاطب وهي المنبهة على تحقيق ما بعدها قال ابن مسعود الفساد هذا الكفر والعمل

بالمعصية ولكن لا يشعرون وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من الشان وابطال الكفر
 صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب والاول اولى واذا
 قيل لهم اي المنافقين آمنوا نصيحتهم من وجهين احدهما النجس عن الفساد وهو عبارة عن التحلي
 عن الرزائل وثانيها الامر بالايمان وهو عبارة عن التحلي بالفضائل فان حال الايمان بمجموع الامرين
 كما آمن الناس يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم المهاجرين الانصار وقيل الناس عبدالله بن سلام اصحابا
 وما مصدرية او كافة واللام العهد والنجس استدلاله على قول توبة الزيد وان الاقرار باللسان ايمان
 قالوا اي اجابوا باحق جواب ابعده عن الحق والصواب ^{ثو} ثو من كما آمن السفهاء اي لجهال الهمة لان
 واللام مشار بها الى الناس والنجس بأسره وهم من رجون في شبهة المؤمنين السفه استهزاء واستخفافا فتسبوا
 بذلك التجميل الله عليهم بالسفهاء بعبارة وكذا قول حصركم قال تعالى الا انهم هم السفهاء اي لجهال
 واصل السفه والسفاهة رقة الحليم وفساد البصائر وسخافة العقول وخفة الفهم وانما سمى الله المنافقين
 سفهاء لانهم كانوا عند انفسهم عقلاء فقلبت لك عليهم ^{وسمى} سمى سفهاء وردا بلغ رد في تحصيلهم
 ولكن لا يعلمون انهم كذلك اما حقيقة او مجازا وانما ذكر العلم هنا والشعور فيما قبل لانه اكثر طبعا فايدرك السفه
 والتمييز بين الحق والباطل فيفتقر الى نظرة وفكرة والنفاق يدرك بآد في تظن وتامل من قولهم وفعلهم
 عن ابن عباس انما نزلت في شأن اليهود واذا القوا الذين آمنوا اي المهاجرين الانصار ومعنى لقيته لاقيته
 استقبلته قريبا قالوا امثا كما يما نكم واذا اخذوا الى الشياطين هم اي جعلوا اليهم قيل هو من الخلو وقيل الى معنى
 الباء وقيل بمعنى مع وخلوت بغلان اليه اذا انفرحت معه ومن خلاك ذم ومنه القر من الخاليين ^{اي مضع عنك}
 خلوت به اذا سحر ومنه وعد بالتصميم ^{اي} الاخاء المراد بالشياطين رؤسائهم وكهنتهم وقيل المراد بالشياطين
 المماثلون منهم للشياطين في القرح والعناد المظهرين لكفرهم او كبار المنافقين والقائلون صغارهم
 قالوا اننا معكم في الدين ولا اعتقاد اي انا مصاحبوكم في دينكم وموافقوكم عليه انما نحن
 مستهزون اي محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بما نظروا لهم من الاسلام لنا من شرهم ونقف على
 وناخذ من غناهم تأكيد لما قبله او بدل منه واستيناف قال ابن عباس نزلت هذه الآية في
 عبدالله بن ابي واصحابه والخرى السخرية واللعب والاستخفاف يقال هنأت وهزأت واستهزأت بمعنى واصل
 الخفة وهو القتل السريع وهزأ بهنأت فجاءة وهزأ به ناقتة اي شرع به وتحف

والمراد درئهم للاسلام ودفعهم الحق الله يستهزئ بهم أي ينزل بهم الهوان والحقارة وينقم منهم ويسحق بهم انتصافاً منهم لعبادة المؤمنين وجزاء لاستهزائهم بهم فسمى الجزاء باسمه لأنه في مقابله وورد ذلك في القرآن كثيراً ومنه جزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتد عليكم والجزاء لا يكون سيئة والقصاص لا يكون اعتداء لأنه حق ومنه ومكر ومكر الله وانهم يكيدون كيداً أو أكيد كيداً وتعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وهو في السنة كثير قوله صلوات الله لا يمل حتى تملوا وإنما قال الله يستهزئ بهم لأنه يفيد التجرد وقتابعد وقت وهو أشد عليهم وانكى لقلوبهم وأوجع لهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد من الجملة الاسمية لأنه يالفه ويوطن نفسه عليه قال ابن عباس يقع لهم باب الجنة فإذا التهموا إليه سد عنهم وردوا إلى النار ويمد لهم أي يتركهم ويمهلهم ويطلق لهم المدة كما قال أنما يلي لهم ليزدادوا والثما والمد الزيادة قال يونس بن حبيب يقال مد في الشر وamd في الخير ومنه وamd تأم بأموال وبنين وamd تأم بفأكة وamd تأم بالأخفش مددت له إذا تركته وamd دته إذا أعطيته في طغيانهم أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد ومنه أنا لما طغى الماء والغلو في الكفر يعمهون أي يترددون في الضلالة متحيرين والعمه والعامه الحائر المتردد والعمه في القلب كما في العين قال في الكشف العمه مثل العمى لأن العمى في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة انتهى فبينهما عموم وخصوص أولئك الذين استروا الضلالة بالهدى يعني المنافقين استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرج بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة فالشراء ههنا مستعار للاستبدال كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى فأما أن يكون معنى الشراء المعاوضة كما هو أصله حقيقة لأن فيه إعطاء بدل وأخذ آخر فلا لأن المنافقين لم يكونوا مؤمنين وما كانوا على الهدى فيدعيوا إيمانهم والعز قد تستعمل ذلك في كل من استبدل شيئاً بشئ وأصل الضلالة الحيرة والجور عن التقيد وفقد الاهتمام ويطبق على النسيان ومنه قوله تعالى فعلتها إذا وأنا من الضالين وعلى

المهلا لو كقوله تعالى اذا ضللتنا في الارض والهدى التوجه الى القصد وقد استعير
 الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه قال ابن عباس في الآية
 اشتر والكفر بالايمان وقال مجاهد امنوا ثم كفروا وقال قتادة قد واهه رايتموهم خرجوا
 من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى
 البدعة فما كثر حجت تجارهم اي ما ربحوا في تجارتهم واصل الربح الفضل عن راس المال و
 التجارة صناعة التاجر واسند الربح اليها على عادة العرب في قولهم ببح بيعك وخسرت
 صفقتك وهو من الاسناد المجازي وهو اسناد الفعل الى ما ليس للفاعل كما هو مقرر في
 علم المعاني والمراد ربحوا وخسروا وما كانوا مهتدين اي مصيدين في تجارتهم لان اسر
 المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل في
 شرائهم الضلالة وقيل في سابق علم الله متكلمهم كمثل الذي استوفى قد نارا المثل قول
 يشبهه قولا اخر بينهما مشابة لبيدين احدهما الاخر يصوره ولهذا ضرب الله الامثال
 في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضم
 المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر في وصف الشيء في
 نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيؤكد الوقوف على ماهيته وذلك هو
 النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قوله غرابية من بعض الوجوه واستوفى بمعنى وقد
 مثل استجاب بمعنى اجاب فالسين والتاء زائدان ووقود النار سطوعها وارتفاع لهيها
 فلما اضاءت ما حوله يعني النار والاضاءة فرط الانارة وفعالها يكون لازما ومتعديا
 ذهب الله بنورهم الذهاب والشيء وتركهم اي ابقاهم وتركوا في الاصل بمعنى طرح
 وخلي في ظلمات جمع ظلمة والظلمة عدم النور لا يصبرون هذا المثل للمنافقين
 لبيان ما يظهر منه من الايمان مع ما يبطنونه من النفاق لا يثبت لهم به احكام الايمان
 كمثل المستوفى الذي اضاءت ناره ثم طفت فانه يعود الى الظلمة ولا تنفعه تلك الاضاءة
 اليسيرة فكان بقاء المستوفى في ظلمات لا يصبر كبقاء المنافق في حيرته وترددته قال ابن
 عباس في الآية تزلزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل او قد نارا في ليلة

مظلمة في مغارة فاستد فأورأي ما حوله فأتقى مما يخاف فبينما هو كذلك إذ
 طفت ناره فبقي في ظلمة حائر امتحوا فأكذرك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان
 وآمنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناحو المسلمين وقاسموهم في الغنائم
 فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظمهم عقيل
 للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في القبر وعلى الصراط والاول اول وانما
 وصفت هذه النار بالاضاءة مع كونها نار باطل لان الباطل كذلك يسطع له ناره
 لحظه ثم تخفت ومنه قولهم للباطل صولة ثم يضمحل وقد تقرر عند علماء البلاغ ان
 لضرب الامثال شانا عظيما في ابرار خفيات المعاني ورفع استار حجب الدقائق ولهذا
 استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من ذلك وفيه لطائف
 ومواعظ قال ابن جرير وصح ضرب مثل الحماة بالواحد كما قال رايتهم ينظرون اليك
 تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم
 لم يحملوها كمثل الحماة يحمل اسفارا صم اي عن استماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم
 يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه والصم الانسداد بكسر اي خرس عن النطق فهم لا يقولونه ولا
 الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل لا بكسر ولا خرس واحد عني اي
 لا بصائر لهم يميزون بما بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعشى والعمر
 ذهاب البصر كاجواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق اذ انهم وابوا ان تنطق به
 السننهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب دراهمه كما قال الشاعر
 شعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به بدوان ذكرت بسوء كلهم اذن فهم لا
 يرجعون اي عن ضلالهم وتفاقهم او كصليب من السماء او حرف الشك لقصد التخيير
 بين المثليين اي مثلهم بهذا وهذا او هي ان كانت في الاصل للشك فقد توسع فيها
 حتى صارت لجرد التساوي من غير شك وقال الفراء وغيره انما بمعنى الواو والصيد المطر
 واشتقاقه من صاب يصوب ذاتزل وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيد السماء
 في الاصل كل ما علاك فاظلك ومنه قيل اسقف البيت سماء والسماء ايضا المطر سمي بها

لنزوله منها واطلاق السماء على المطر واقع كثيرا في كلام العرب وقيل من السماء بعينها
 وإنما ذكر الله تعالى من السماء وإن كان المطر لا ينزل منها ليرد على من زعم أن المطر ينشق
 من الخثرة الأرض فابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم أن المطر منها لا كما هو زعمهم
 الباطل فيه ظلمات أي في الصيب وبه قال جمهور المفسرين وقال الحلي في السحاب وهو
 خلاف ظاهر نظم الآية وقيل في معنى مع وإنما جمع الظلمات إشارة إلى أنه انضم إلى الظلمة
 الليل ظلمة الغيم والمطر رعد اسم لصوت الملك الذي يزجر السحاب وقد أخرج الترمذي
 من حديث ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو قال ملك من الملوك
 بيد مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع
 قال زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر قالت صدقت الحديث بطوله وفيه
 إسناد مقال وعلى هذا التفسير أكثر العلماء وقيل هو اضطراب جرام السحاب عند
 نزول المطر منها وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعاً للفلاسفة وجهلة المتكلمين و
 قيل غير ذلك قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوطه من نور
 يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب إذا تبددت جمعها وضمها فإذا اشتد
 غضبه يخرج من فيه النار في البرق وبرق النار التي تخرج منه أي محراق بيد الملك الذي
 يسوق السحاب واليه ذهب كثير من الصحابة وجمهور علماء الشريعة للحديث السابق وقيل
 بعض المفسرين تبعاً للفلاسفة أن البرق ما ينقدح من اصطكاك اجرام السحاب المتراكمة
 من الخثرة المتعددة المشتملة على جزء ناري يلهب عند اصطكاك يجعلون أي أصحاب
 الصيب اصحابهم في إذا نهم من الصواعق اطلاق الاصابع على بعضها مجاز مشهور
 والعلاقة الجزئية والكلية لأن الذي يجعل في الأذن إنما هو داس الأصبع كلها والصواعق
 ويقال الصواعق وهي قطعة نار تفصل من محراق الملك الذي يزجر السحاب عند غضبه
 وشدة ضربه لها ويدل على ذلك حديث ابن عباس المذكور قريباً وبه قال كثير من علماء
 الشريعة ومنهم من قال إنما نأخر تخرج من فم الملك وقال الخليل هي لوقعة الشديدة من صوت
 الرعد يكون معها أحياناً قطعة نار تحرق ما أتت عليه وقال أبو زيد الصاعقة نار تسقط من

السماء في رعد شديد وقال بعض المفسرين تبعاً للفلاسفة ومن قال بقولهم انهم انكروا
 لطيفة تنقذ من السحاب اذا اصطكت اجرامها وسيأتي في سورة الرعد ان شاء الله
 تعالى في تفسير الرعد والبرق والصواعق ما له مزيد فائدة وايضاح وعن ابن عمر ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك
 ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجہ الترمذي وقال حديث غريبٌ حدَّثكَ
 الموت اي مخافة الهلاك والموت ضد الحياة والله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ اي عالم بما لهم قلوب
 يجمعهم ويعذبهم والا حاطة الاخذ من جميع الجهات حتى لا يفوت المحاط به بوجه من الوجوه
 يَكَادُ الْبَرَقُ اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل يُخَطِّفُ ابْصَارَهُمْ اي يختلسها و
 الخطف استلاب لشيء والاخذ بسرعة كُلُّهَا اَضَاءَهُمْ يعني البرق مَسْنُوءٌ اَيْ
 فِي اَضَاءَتِهِ وَنُورُهُ وَاِذَا طَلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا اي وقفوا متحيرين وكوَّشَاءَ الله كَذَهَبَ
 يَسْمَعُهُمْ اي بصوت الرعد وَاَبْصَارَهُمْ بوميض البرق اِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 اي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه والاية على عمومها بلا استثناء وفيه دليل
 على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقاءه مقدوران لا كما زعم المعتزلة من ان
 الاستطاعة قبل الفعل وهذا مثل اخضر به الله للمنافقين والمنافقون اصناف منهم
 من يظهر الاسلام ويبطن الكفر ومنهم من قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه كان
 منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهم كان فيه خصله من النفاق حتى يدعها
 مَنَ اِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَاِذَا وَعَدَ اَخْلَفَ وَاِذَا اُؤْتِيَ خَانٌ وورد بلفظ اربع وزاد واذا
 خاسم فجر وورد بلفظ اذا عاهد عذرو وقد ذكر ابن جرير ومن تبعه من المفسرين ان هذا
 المشايين لصنف واحد من المنافقين يَا أَيُّهَا النَّاسُ لِمَ يَقَعُ النَّدَاءُ فِي الْقُرْآنِ بغير يامن
 الادوات والنداء في الاصل طلب الاقبال والمراد به هذا التنبيه وَاَيُّ مَبْنِيٍّ عَلَى الضَّمِّ
 فِي مَحَلِّ نَصْبٍ وَالنَّاسُ لَعَنَ لَآيٍ عَلَى اللَّفْظِ وَحَرَكَةُ اِعْرَابِيَّةٍ وَحَرَكَةُ اَيِّ بِنَائِيَّةٍ وَاسْتَشْكَلَ
 رَفْعَ التَّابِعِ مَعَ عَدَمِ عَامِلِ الرِّفْعِ وَالنَّدَاءُ عَلَى سَبْعِ مَرَاتِبٍ نَدَاءٌ مَدْحٌ كَقَوْلِهِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
 يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ وَنَدَاءٌ ذَمٌّ كَقَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَنَدَاءٌ تَنْذِيرٌ كَقَوْلِهِ

يا ايها الانسان يا ايها الناس وتداء اضافة كقوله يا عبادي تداء نسبة كقوله يا بني آدم يا بني
اسرائيل وتداء تسمية كقوله يا داود يا ابراهيم وتداء تضيف كقوله يا اهل الكتاب قال الكرخي
قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو
هنا خطاب عام لسائر المكلفين والحق ان ما قاله ابن عباس كثر في كليلة فان البقرة والنساء
والنحر مدنيات وفاقا وقد قال في كل منها يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
قال ابن عباس وحد او كل ما ورد في القرآن من العبادة قيل معناه التوحيد واصل العبادة
غاية التدلل وقد تقدم تفسيرها والمعنى ابتدع خلقكم من غير مثال سبق وانما خص نعمة
الخلق وامتن بها عليهم لان جميع النعم مترتبة عليها وهي اصلها الذي لا يوجد شيء منها
بدونها وايضا فكفار يقررون بان الله هو الخالق ولئن سألتم من خلقكم ليقولن الله
فامتن عليهم بما يعترفون به فلا يذكرونه وفي اصل معنى الخلق وجهان احدهما التقدير
يقال خلقت الادم للسقاء اذا قد دته قبل القطع الثاني الانشاء والاختراع والابداع والذرين
من قبلكم بالذات او الزمان اي وخلقكم لعلكم تتقون ولعل اصلها الترجي والطمع و
التوقع والاشفاق وذلك مستحيل على الله تعالى ولكنه لما كان في مخاطبة منه للبشر
كان بمنزلة قوله لهم افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع وبهذا قال جماعة من اهل
العربية منهم سيدييه وقيل بمعنى لام كي اي لتتقوا وبهذا قال جماعة منهم قطرب لطبر
وقيل انها بمعنى التعرض للشيء كانه قال متعرضين للتقوى واليه مال بالبقاء وغير الذي
جعل لكم الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذلة ولم يجعلها خزانة لا
يمكن القرا عليها والحزن ما غلظ من الارض وجعل هنا بمعنى صير وجاء بمعنى صار طفو
واوجه التصدير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقل اخرى الفراش طاء يستقرون
عليها والسماء بناء اي سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر في العالم وجد البيت
المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفرشة كالسباط
النجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضرب من النيات المهيأة لمنافعه واصناف
الحيون مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المستخر هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها

باز قالكم

والسما اسم جنس يقع على الواحد والتعدد وقيل جمع سماء والبناء مصدر سمي به المبنى
 بيتا كان اوقبة او خباء واصل البناء وضع لبنة على اخرى فجعل السما كالقبة المضروبة
 عليهم والسقف للبيت الذي يسكنونه كما قال وجعلنا السما سقفا محفوظا وانزل
 من السما ماء يعني السحاب ماء يعني المطر فاخرج به اي بذلك الماء من الثمرات جمع ثمرة
 والمعنى اجرنا لكم الوانا من الثمرات وانواعا من النباتات ليكون ذلك متاعا لكم وعلفا
 لداواكم الى حين وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب مواد كما ابدع نفوس
 الاسباب والمواد ولكن له في الانشاء مدراجا من حال الى حال صنائع وحكم لا يجد فيها الا
 الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة فلا تجعلوا لله اندادا
 جمع نذ وهو المثل والنظير وفي جعله جمع نذيد نظر وانتم تعلمون بعقولكم ان هذه الاشياء
 والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لا مثل له ولا تد ولا
 ضد وفي الاية دليل على وجوب استعمال الحجج وترك التقليد واخرج ابن ابي شيبة واحمد
 والبخاري في الادب المفرد والنسائي وابن ماجه وابو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال قال
 رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت قال جعلتني لله ندا ما شاء الله وحده واخرج ابن ابي
 شيبة واحمد وابوداود والنسائي وابن ماجه والبيهقي عن حذيفة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان واخرج البخاري ومسلم
 عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنوب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
 وان كنتم في ريب اي شك لان الله عليم بانهم شاكون مما تركنا على عبدنا اي القرآن
 انزله على محمد صلى الله عليه وفيه التفات من الغيبة الى التكلم للتخيم لان قبله اعبدا واربكم وكان حق
 المقام ان يقول ما نزل على عبده والعبدا ما خف من التعبد وهو التذلل وعبدنا اضافة تشريفا
 لمحمد صلى الله عليه والتزليل للتدريج والتخيم فأتوا سورة اي من سورة والسورة الطائفة من القرآن
 المسماة باسم خاص سميت بذلك لانها مشتقة على علماتها كما اشتق اسم البلد عن علمها واقل ما
 تتألف منه السورة ثلث ايات من مثله الضمير عائد على القرآن عند جمهو اهل العلم
 قيل على التورية والاعجاز لان المعنى فيها تصديق ما فيه وقيل يعود على النبي صلى الله عليه والمعنى من

بشر مثل محمد صلعم امي لا يكتب ولا يقرء والاول وجهه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق
لسائر الايات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل لا في المنزل عليه اذ عو^ا شهداءكم
جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او المعاون والمراد هنا الالهة اي استعينوا
بالمجتمعة التي تعبدونها من دون الله وقيل المعنى وادعوا ناسا يشهدون لكم ومعنى دون
ادنى مكان من الشيء واتسع فيه حتى استعمل في تخطي شيء الى شيء اخر ومنه ما في هذه
الاية وله معان اخر منها التقصير عن الغاية والحقارة والعرب تقول هذا دون ذلك
اقرب منه ان كنتم صادقين فيما قلتم انكم تقدرون على المعارضة وهذا تعجيز لهم ويبان
لاقطاعهم وان محمد صلعم يقوله من تلقاء نفسه والاول اول والصدق خلاف الكذب
وهو مطابقا لبقية الخبر للواقع او للاعتقاد او لهما على الخلاف المعروف في علم المعاني فان
لم تفعلوا فيما مضى ولكن تفعلوا ذلك فيما ياتي ويبين لكم عجزكم عن المعارضة وذلك
ان النفوس الالهية اذا قرعت بمثل هذا التقرير استفرغت الوسع في الايمان بمثل القرآن
او بمثل سورة منه ولو قدر واعلى ذلك لا توابه فحيث لم يأتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي
صلعم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراما
على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم
ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق
رسول الله صلعم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهذا من الغيوب التي اخبر بها
القرآن قبل وقوعها لانها لم يقع المعارضة من احد من الكفرة في ايام النبوة وفيما بعدها
والى الان وقد كرر الله سبحانه تحدى الكفار لهذا في مواضع من القرآن منها هذا
ومنها قوله تعالى في سورة القصص قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
اتبعه ان كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لن اجتمع الكانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال في سورة هود ام
يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سوره مثله مغترية وادعوا من استطعت من دون الله
ان كنتم صادقين وقال في سورة يونس ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله

وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقد وقع الخلاف بين اهل العلم
 هل وجه العجائز في القرآن هو كونه في الرتبة العلية من البلاغة الخارجة عن طوق البشر
 او كان العجز عن المعارضة الصرفة من الله سبحانه لهم عن ان يعارضوه والحق الاول فان القرآن
 تارة بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود وانه فارقت
 اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث العرب
 به فخر واعنه وتحير وافية واعتزوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة حتى
 قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن ان له محلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمعدن
 وان اعلاه لمشر والكلام في هذا مبسوط في مواضعه فأتقوا التكاثر يا ايما كان بالله وكتبه و
 رسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه وقيل المعنى فاحذروا من انكار كونه منزلا من
 عند الله فانه مستوجب للعقاب لنا رآتي وقودها الناس والحجارة اي حطبها والوقود
 بالفتح الحطب بالضم التقاد وقيل كل من الفتح والضم يجري في الالة والمصدر والمراد بالحجارة
 الاصنام التي كانوا يعبدونها لانهم قرأوا انفسهم بها في الدنيا فجعلت وقود النار معهم ويدل
 على هذا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل المراد بها حجارة
 الكبريت لانها اكثر التها باقالة ابن عباس وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار
 وقوتها وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تنقد بالناس والحجارة
 فاوقدت بنفس ما يراه احراقه بها أعدت للكافرين اي لمن كان مثل ما اثم عليه من الكفر
 قاله ابن عباس والمعنى جعلت عدة لعذابهم وهيئت كذلك واخرج ابن مردويه والبيهقي
 في شعب الايمان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقودها الناس والحجارة قال
 او قد عليها الف عام حتى احمرت الف عام حتى ابيضت والف عام حتى سودت فهي سوداء
 مظلمة لا يطفأ لونها واخرج ابن ابي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة
 مرفوعا مثله واخرج احمد ومالك والبخاري ومسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله
 نازل في ادم التي يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية
 قال فانها قد فصلت عليها بتسعة وستين جزءا كطعن مثل حرها وعن ابي هريرة قال اتوا

حمراء مثل ناركم هذه التي توقدون انها لا تشد سوادا من القار ولا ية دلت على انها مخلوقة
 اذا اخبر عن اعدادها بلفظ الماضي ليل على وجودها ولا لزوم الكذب في خبر الله تعالى فما عثرة
 المعتزلة من انها تخلق يوم الجزاء مردود وتاويلهم بانه يعبر عن المستقبل بالماضي لتحقق الوقوع
 ومثله كثير في القرآن مدفوع بانه خلاف الظاهر ولا يصار اليه الا بقربينة والا صا ديث الصحيح
 المتقدمة تدفعه وبشرا الذين امنوا وعملوا الصالحات لما ذكر تعالى جزاء الكافر عقيب
 الجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد كما هي عادته سبحانه وتعالى
 في كتابه العزيز لما في ذلك من تشييط عبادة المؤمنين لطاعته وتثبيط عبادة الكافرين
 عن معاصيه والتبشير الاخبار بما يظهر اثره على البشره وهي الجلدرة الظاهرة من البشر
 والسرور والمأمور بالتبشير قيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو كل احد كما في قوله صلى الله عليه وسلم
 المشاكين في الظلم بالنوا التام يوم القيمة والصالحات الاحمال المستقيمة والمراد هنا الاحمال
 المطلوبة منهم المفترضة عليهم وفيه رد على من يقول ان الايمان بجزءه يكفي فالجدة تنال
 بالايمان والعمل الصالح قيل هو كما كان فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص يعني
 عن الرباء قاله عثمان ان لهم جنات جمع جنة وهي البساتين وانما سميت جنات لانها تجري
 من فيها اي تستر شجرها او تسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس
 ما فيه كرم وهي اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة تجري اي على ظهر
 الارض من غير حفرة بل هي متماسكة بقدره الله من تحريكها اي تحت الجنات لاشتمالها على
 الاشجار اي من تحت اشجارها قال مسروق انها تجري من غير اخذ ود لانها تجمع نهر وهي تجري
 الواسع فوق الجداول ودون البحر كالنيل والفرات والمراد الماء الذي يجري فيها لان الانهار
 لا تجري واسند الجري اليها مجازا فالجاري حقيقة هو الماء كما في قوله تعالى واسأل
 القرية التي كنا فيها اي اهلها والنهر يجري فيه فتح الهاء وسكونها وكذا اكل ما عينه من
 حلقه وجمع الاول انهم وجمع الاخر انها وخرج ابن ابي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم
 وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها نار الجنة
 تفجر من تحت جبال مسك كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا اي اطعموا من الجنة طعاما

والمراد بشرة النوع لا الفرد قاله سعد النفثاني واطال الكلام فيه قالوا هذا الذي يُرْفَعُ
 مِنْ قَبْلِ فِي الدُّنْيَا وَأَتَوَابِهِ مُتَشَابِهًا وَصَفَتْ أُخْرُ الْجَنَّاتِ أَوْجُهُ مَسْتَانِفَةً وَالْمَرَادُ أَنَّهُ يَشْبَهُ
 وَنَظِيرُهُ لَا أَنَّهُ هُوَ لَكِنْ ذَاتُ الْحَاضِرِ لَا يَكُونُ عَيْنُ ذَاتِ الْغَائِبِ لِاخْتِلَافِهِمَا وَفَلَاكِ أَنَّ اللَّوْنَ
 يَشْبَهُ اللَّوْنَ وَأَنَّ كَانَ الْحَجْمَ وَالطَّعْمَ وَالرَّائِحَةَ وَالْمَادَّةَ مُتَخَالِفَةً وَالضَّمِيرَ فِيهِ عَائِدًا إِلَى الرَّفْعِ
 وَقِيلَ الْمَرَادُ أَنَّهُمْ اتَّاقِبُوا بِمِرْقَاتِهِ فِي الْجَنَّةِ مُتَشَابِهًا فَمَا يَأْتِيهِمْ فِي أَوَّلِ الْمُنْهَارِ يَشْبَهُ الَّذِي
 يَأْتِيهِمْ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا الَّذِي زَعَمْنَا مِنْ قَبْلُ فَذَا أَكَلُوا وَجَدُوا اللَّهَ طَعْمًا غَيْرَ طَعْمِ
 الْأَوَّلِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا كَمَا فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ إِلَّا الْأَسْمَاءُ وَعَنِ الْحَسَنِ قَوْلُهُ مُتَشَابِهًا
 قَالَ خِيَارُ كُلِّهِ يَشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فَخَالَ فِيهِ الْمَرُوءَاتُ وَتَمَارَدُنِي كَيْفَ تَرْدُونَ بَعْضَهُ
 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَمُوتُونَ وَلَا
 يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَحِنُونَ وَلَا يَبْزُقُونَ يَلْبَسُونَ الْحُلَّ وَالتَّسْبِيحَ كَمَا يَلْبَسُونَ النَّفْسَ طَعَامَهُمْ
 جِشَاءٌ وَرَشْحُهُمْ كَرَشْحِ الْمَسَاكِينِ وَفِي لَفْظٍ وَرَشْحُهُمْ الْمَسَاكِينُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالْمَعْنَى فَضُولُ
 طَعَامِهِمْ يُخْرِجُ فِي الْجِشَاءِ وَهُوَ نَفْسُ الْمَعْدَةِ وَالرَّشْحُ الْعَرَقُ وَكُلُّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
 أَيْ فِي الْجَنَّاتِ مِنَ الْحَوَرِ الْعَيْنِ الْمُطَهَّرَةِ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ وَالْحَيْضِ وَالْوَدْبِ وَسَائِرِ الْأَقْذَارِ
 وَقِيلَ هُنَّ عَجَائِرُ الدُّنْيَا الْغَمَلُ الْعَمَلُ طَهَّرْنَ مِنْ قَذَرَاتِ الدُّنْيَا وَقِيلَ طَهَّرْنَ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ
 وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَصِيبُهُنَّ مَا يَصِيبُ النِّسَاءَ مِنْ قَذَرِ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ وَالْغَائِطِ وَالْبِرَاقِ وَالنَّجَاسَةِ
 وَسَائِرِ الْأَدْنَسِ الَّتِي لَا يَمْتَنِعُ تَعَلُّقُهَا بِنِسَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَزْوَاجِ جَمْعُ زَوْجٍ وَهُوَ مَا يَكُونُ مَعَهُ
 آخَرُ فَيُقَالُ زَوْجٌ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَزَوْجَةٌ بِالنِّسَاءِ قَلِيلٌ وَأَنَّهَا لَفْظٌ مُتِمٌّ قَالَهُ الْفَرَاءُ وَالزَّوْجُ أَيْضًا
 الصِّفَتُ وَالتَّثْنِيَةُ زَوْجَانِ وَالطَّهَارَةُ النِّظَافَةُ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَيْ مَا كُنُوا أَبَدًا
 وَالْخَالِدُ وَالْخُلُودُ الْبَقَاءُ الدَّائِمُ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ وَقَدْ يَسْتَعْلِجُ عَجَائِرُهَا فَيَمُوتُونَ دَائِمًا وَلَمْ يَدِمِ
 وَالْمَرَادُ هُنَا الْأَوَّلُ مَا يَشْهَدُ لَهُ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ وَالْمَعْنَى لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا يَمُوتُونَ
 وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ قَالَ يُخْرِجُهُمْ أَنَّ الثَّوَابَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرَّ مُقِيمٌ عَلَى أَهْلِ
 أَبَدًا لَا تَقْطَعُ لَهُ وَعَنِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ خَالِدُونَ يَعْنِي لَا يَمُوتُونَ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
 وَغَيْرُهُمَا عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُونَ

مؤذن بينهم يا اهل النار لا موت يا اهل الجنة لا موت كل خالد فيما هو فيه واخرج
الطبراني وابن مردويه وابو نعيم من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقيل
لاهل النار انكم ما تكونون في النار عدد كل حصاة في الدنيا فرحوا ولو قيل لاهل الجنة انكم
ما تكونون عدد كل حصاة تحزنوا ولكن جعل لهم لا بد وقد اخرج ابن ماجه وابن ابى الدنيا
في صفة الجنة والبخاري وابن ابي حاتم وابن حبان والبيهقي وابن مردويه عن اسامة بن زيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مشمر الجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور
يتلأأ وريحانة تهب تزو قصر مشيد ونهر مطرد وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة
وحلل كثيرة ومقام في ابد في دار سليمة وفاكهة خضر الحديث والا حديث في وصف
الجنة كثيرة جدا ثابتة في الصحيحين وغيرهما وكذلك في صفات نساء اهل الجنة ما لا
يتسع المقام لبسطه فلينظر في ذواوين الاسلام وقد الف الحافظ محمد بن ابي بكر القيم
الجوزي كتابا في احوال الجنة سماه حادي الارواح الى بلاد الافراح لم يولف في الاسلام
قبله مثله وهو اجمع ما جمع في هذا الباب وقد انحصته بحذف الزوائد والاسانيد و
سميته مشير ساكن الغرام الى روضات دار السلام فليرجع اليه وقد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم في صفات اهل الجنة في الصحيحين وغيرهما من طريق جماعة من الصحابة ان اهل الجنة
لا يبصقون ولا يتخطون ولا يتغوطون ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً ما بعوضه
انزل الله هذه الآية رد على الكفار لما انكروا ما ضرب به سبحانه من الامثال لقوله مثلهم
كمثل الذي ستوقد نارا وقوله او كصيب من السماء فبقاوا ان الله اجل واعلى من ان يضرب
الامثال وقد قال الرازي انه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزا اورد ههنا شبهة اورد
الكفار قد حافى ذلك واجاب عنها وتقرير الشبهة انه جاء في القرآن ذكر النمل والعنكبوت
والنمل وهذه الاشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدر في فصاحة
فضلا عن كونه معجزا واجاب الله عنها بان صغر هذه الاشياء لا يقدر في الفصاحة اذا
كان ذكرها مستملا على حكمة بالغة انتهى ولا يخفالك ان تقرير هذه الشبهة على هذا الوجه
وارجاع الانتكار الى مجر الفصاحة لا مستند له ولا دليل عليه وقد تقدم الى شيء

من هذا صاحب الكشاف والظاهر ما ذكرناه أولا لكون هذه الآية جاءت بعقب
 المثاليين للذين هما مذكوران قبلها ولا يستلزم استنكارهم لضرب بالامثال بالاشياء
 المحقرة ان يكون ذلك لكونه قادحا في الفصاحة ولا يحجاز والحياة تغير وانكسار يعترى
 الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم كذا في الكشاف وتبعه الرازي في مفاتيح الغيب وقال
 القرطبي لا يستحياء الا نقبا عن الشيء والامتناع منه خوفا من موافقة القبيح وهذا محال
 على الله انتهى وقد اختلفوا في تأويل ما في هذه الآية من ذكر الحياء فقليل ساغ ذلك لكونه
 واقعا في الكلام المحكي عن الكفار وقيل هو من باب المشاكلة كما تقدم وقيل هو جار على سبيل
 التمثيل وضرب المثل اعتماده وصنعه والبعض صغار البق الواحدة بعوضة سميت بذلك
 لصغرها قاله الجوهري وغيره وهو من عجيب خلق الله في غاية الصغر شديد السع ولسته
 ارجل واربعة اجنحة وله ذنب وخرطوم يحوف وهو مع صغره يغوص خرطوم في جلد
 الفيل والجاموس والحمل فيبلغ منه الغاية فما في كنهها يعني الذباب والعنكبوت وما هو
 اعظم منها في الجنة قال الكسائي والفراء الفاء هنا بمعنى الى وقيل معناه فماد ونها واصغر
 منها وهذا القول اشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء
 الصغير الحقير قد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذين ينجح البعوضة وهو اصغر منها وقد تضرع
 العرب لمثل بالمحقرات فقل هو احقر من ذرة واجمع من غلة واطيش من ذبابة والح من ذبابة
 فاما الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فيعلمون انه يعني ضرب المثل الحق اي الثابت
 الواقع موقعه وهو المقابل للباطل والحق واحد الحقوق والمراد هنا الاول وقد اتفق المسلمون
 على انه يجوز اطلاق هذا اللفظ على الله سبحانه من ربه لا يجوز انكاره لان ضرب المثل
 من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد
 الله بهذا مثلا اي بهذا المثل والارادة تقيض الكراهة وقيل هي نزوع اي اشتياق
 النفس وميلها الى فعل بحيث يميلها عليه او هي قوة هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل
 الثاني قبله وارادته سبحانه انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر لا يقاوم او معنى يوجب هذا الترجيح
 والارادة صفة له خاتمة قديمة زائدة على العلم يضل به كثير من الكفار وذلك انهم

يكذبونه فيزدادون به ضلالاً ويهدي به كثير ايمنين يصدقونه ويعلمون
 انه حق وهو كالتفسير للجملة السابقتين المصدرتين بما هو خير من الله سبحانه وقيل هو
 حكاية لقول الكافرين كانهم قالوا ما امر الله بهذا النزل الذي يفرق به الناس الى ضلال
 والى هدى وليس هذا الصحيح فان الكافرين لا يعرفون بان في القرآن شيئاً من الهداية
 ولا يعترفون على انفسهم شيئاً من الضلالة وقد طال المتكلمون الخصام في تفسير
 الضلال المذكور هنا وفي نسبته الى الله سبحانه وقد فتح الرازي في تفسيره في هذا
 الموضع تقيماً نفيساً وجوّده وطقوله ووضح فروعه واصوله فلم يرجع اليه فانه مفيد جداً
 واما صاحب الكشاف فقد اعتمد هنا على عصاة التي يتوكل عليها في تفسيره فجعل اسماً
 الاضلال الى الله سبحانه لكونه سبباً فهو من الاسناد المجازي الى ملابس للفاعل الحقيقي
 وحكي القرطبي عن اهل الحق من المفسرين ان المراد بقوله يضل يخذل وما يضل به
 إلا الفاسقين يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود ولا خلاف في ان هذا من
 كلام الله سبحانه قاله القرطبي والفسق الخروج عن الشيء ذكر معنى هذا الفراء وقد زعم ابن
 الاعرابي انه لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق وهذا مردود عليه فقد
 حكى ذلك عن العرب وانه من كلامهم جماعة من ائمة اللغة كابن فارس والجوهري وابن
 الانباري وغيرهم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمس فواسق الحديث وقال في
 الكشاف الفسق الخروج عن القصد ثم قال الفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة
 انتهى وقال القرطبي الفسق في عرف الاستعمال الشرعي الخروج عن طاعة الله عز وجل فقد
 يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان انتهى وهذا هو انساب للمعنى اللغوي ولا
 وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض قال الرازي في تفسيره واختلف هل القبلة
 هل هو مؤمن او كافر فعند اصحابنا هو مؤمن وعند الخارج انه كافر وعند المعتزلة انه
 لا مؤمن ولا كافر واحتج المخالف بقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقوله المنافقين
 هم الفاسقون وقوله حب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
 والعصيان وهذه المسئلة طويلة مذكورة في علم الكلام انتهى الذين ينقضون عمداً

الله النقض فساد ما أبرم من بناء أو جعل أو عهد والتقاضاة ما نقض من جعل الشعر وقيل أصل
 النقض الفسخ وفك الميثاق المعنى متقارب المعنى يكون ويجادلون وأصل العهد حفظ الشيء و
 مراعاته حاله بعد جلال العهد قيل هو الذي أخذ الله على بني آدم حين استخضعهم من ظهيرة
 وهو قوله الست بر بكم قالوا بلى وقيل هو صيغة الله الخلقه وامره إياهم بما أمرهم به من
 طاعته وخيه إياهم عما نهاهم عنه عن معصيته في كتبه على السن رسله ونقضهم ذلك
 ترك العمل به وقيل بل هو نصب الأدلة على وحدانيته بالسموات والأرض وسائر مخلوقاته نقضه
 ترك النظر فيه وقيل هو ما عهد الله للذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس من بعد ميثاقه الضمير
 للعهد والله تعالى قاله السامعين وعلى الأول مصدر مضاف إلى المفعول وعلى الثاني مضاف إلى
 من لا ابتداء الغاية فإن ابتداء النقض بعد الميثاق والميثاق العهد المؤكد باليمين مفعول من
 الوثاقة وهي الشدة في العقد والربط جميعاً والجمع الموثوق والميثاق واستعمال النقض في إبطال
 العهد على سبيل الاستعارة ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل القطع معروف والمصدر في
 الرحم القطيعة واختلفاً ما هو الشيء الذي أمر الله بوصله فقبل قطع الأرحام والأعراس عن
 موالاة المؤمنين وقيل وصل القول بالعمل وترك الجاهليات المفروضة وقيل أمران يوصل
 التصديق بجميع أنبيائه فقطعوه بتصديق بعضهم وتكذيب البعض الآخر وقيل المراد به حفظ
 شرائعه وحدوده التي أمر في كتبه المنزلة وعلى السن رسله بالمحافظة عليها وقيل سائر ما
 فيه رفض خير أو فعاط شر فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين عبده في عامة وبقدر الجهم
 وهو الحق والأمر هو القول لطالب الفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الأمر
 الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه مما يؤمر به ويقصدون في الأرض
 يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله والاستهزاء بالحق وقطع الوصل
 التي بها نظام العالم وصلاحه فالمراد بالفساد في الأرض الأفعال والأقوال المخالفة لما أمر الله به
 عبادة غيره وإضرار بعبادته وتغيير ما أمر بحفظه وبإحالة فكل ما خالف الصلاح شرعاً
 أو عقلاً فهو فساد وهو لا علم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل كان عملهم فساداً
 لما نقصوا أنفسهم من الفلاح والبرج عن قناعة قال ما فعلوا الله أو عدي ذنب ما أوحى في

نقض هذا الميثاق فمن اعطى عهد الله وميثاقه من ثمة قلبه فليوف به الله وقد ثبتت عن
رسول الله صلى الله عليه وآله في احاديث ثابتة في الصحيح وغيره من طريق جماعة من الصحابة النجعة نقض
العهد والوعيد الشديد عليه اولئك هم الخاسرون اي المضمونون باهمال العقل عن النظر
واقتران ما يفيدهم الحياة الابدية واصل الخسار والخسران لنقصان والخاسر هو الذي
نقص نفسه من الفلاح والفوز قال مقاتل الخاسرون هم اهل النار وقال ابن عباس كل شيء
شبه الله الى غير اهل الاسلام مثل خاسر ومسرف وظالم ومجرم وفاسق فانما يعنيه الكفر
ما نسبته الى اهل الاسلام فانما يعنيه الذي هو كلف هو السؤال عن الاحوال والمراد هنا الاحوال التي
يقع عليها الكفر على الطريق البهائي من العسر واليسر والسفر والاقامة والكبر والصغر والعز
والذل وغير ذلك وهذا الاستفهام هو لا انكار عليهم والتعجب من حالهم وفيه توبيخ وتعنيف
لهم **تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ** بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته والخطاب على
طريقة الانتفات ثم ذكر الدلائل فقال **وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا** اي نطفة في اصلاب اباؤكم وعلقوا
مُضْغًا **فَاَحْيَاكُمْ** اي في الارحام بنفخ الروح وفي الدنيا **تَمَيَّنْتُمْ** اي عند انقضاء اجلكم
تَمَيَّنْتُمْ بالنشور يوم نفي الصور واختلاف المفسرون في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين
والحاصل ان المراد بالموت الاول العدم السابق وبالحياة الاولى الخلق وبالموت الثاني الموت
المعهود وبالحياة الثانية الحياة للبعث فجاءت الفاء وثمر على بايهما من التعقيب و
التراخي على هذا التفسير وهو احسن الاقوال وقد ذهب الى هذا جماعة من الصحابة فمنهم
قال ابن عطية وهذا القول هو المراد بالآية وهو الذي لا حميد للكفار عنه واذا ذهبت
نفوس الكفار يكونون كما كانوا معدومين ثم احياء في الدنيا ثم امواتا فيها ثم هم الاقارب بالحياة
الاخرى قال غيره والحياة التي تكون في القبر على هذا التأويل في حكم حياة الدنيا وقيل
ان المراد كنتوا امواتا في ظهرا دم عليه السلام ثم اخرجكم من ظهركم كالذر ثم يميتكم
موت الدنيا ثم يبعثكم وقيل كنتوا امواتا اي نطفة في اصلاب الرجال ثم يحييكم حياة الدنيا
ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم في القبور ثم يميتكم فيها ثم يحييكم حياة التي ليس فيها
موت قال القرطبي فعل هذا التأويل هي ثلاث موتات وثلاث احياء ثم تكون لهم موت

في ظهر آدم واخراجهم من ظهرة والشهادة عليهم غير كنههم نطفاني اصلاب الرجال فعل
 هذا الجحيم اربع موتات واربع احيات وقد قيل ان الله اوجدهم قبل خلق آدم كالبهايم واما هم
 فيكون على هذا خمس موتات وخمس احيات وموتة سادسة للعصاة من امته محمد صلى
 كما ورد في الحديث ولكن ناسا احببتهم النار يذنبونهم فاما هم الله امانه حتى اذا كانوا اخرجا
 اذن في الشفاعة فنجي بهم الى ان قال فينبئون نبات الحبة في حميل السيل وهو في الصحن
 حديث ابي سعيد ثم اليه ترجعون اي تراءون في الآخرة الى الله سبحانه فيم ازيكم
 باعمالكم قال في الكشف عطف الاول بالفاء وما بعده بهم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت
 بغير تراخ واما الموت فقد تراخي عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اراد
 به النشور تراخيا ظاهرا وان اراد به احياء القبر فنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى
 الجزاء ايضا متراخ عن النشور انتهى ولا يخف ان انه ان اراد بقوله ان الاحياء الاول قد تعقب
 الموت انه وقع على ما هو متصف بالموت فالموت الاخر وقع على ما هو متصف بالحياة وان
 اراد انه وقع الاحياء الاول عند اول تصافه بالموت فخلات الثاني فغير مسلم فانه وقع عند
 اخر اوقات موته كما وقع الثاني عند اخر اوقات حياته فامل هذا وقد اخرج ابن جرير عن
 ابن مسعود وناس من الصحابة قال لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة
 هو الذي خلق لكم ما في الارض قال بن كيسان اي خلق من اجلكم ما فيها من المعاد
 والنبات والحیوان والجبال والبحار لتتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما الدين فهو الاختيار
 والتفكير في عجائب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته واما الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها
 وقيل اللام للاختصاص وقيل للملك والاباحة وفيه دليل على ان الاصل في الاشياء المخلوقة الا بالآلة
 حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الاصل ولا فرق بين الحيوانات وغيرها مما ينتفع به من
 غير ضرر وفي التاكيد بقوله جميعا اقوي دالة على هذا وقد استدلل بهذه الآية على تحريم
 اكل الطين لانه تعالى خلق لنا ما في الارض دون نفس الارض وقال الرازي في تفسيره ان
 لقائل ان يقول ان في جملة الارض ما يطلق عليه انه في الارض فيكون جامعة للوصفين ولا
 شك ان المعادن داخلية في ذلك وكذلك عروق الارض وما يجري مجرى الماء لبعضها ولا

تخصيص الشيء بالذكر يدل على نفي الحكم عما عداه انتهى وقد ذكر صاحب الكشاف ما هو واضح
من هذا فقال فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت
ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما ذكر السماء ويراد بالجهات العلوية جاز ذلك
فان الغبراء وما فيها واقع في الجهات السفلية انتهى وما التراب فقد ورد في السنة تحريمه وهو
ايضا لا يبرئ من النفع بالكل ولا ينفع في منافع اخرى وليس المراد منفعة خاصة كمنفعة الكل بل ما يصدق
عليه انه ينفع به بوجه من الوجوه واما السَّمُّ القاتل ففيه نفع لاجل دفع الحيوانات المؤذية و
قاتلها فلا يرد انه لا نفع فيه ثم استوى الى السماء اي قصدوا قبل على خلقها وقيل بعد قال
ابن عباس ارتفع وقال الانهري صعودا مرة وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله خلق الارض
اولا ثم عمد الى خلق السماء واصل ثم يقتضي تراخيا زمانيا ولا زمان هنا فليلحق هي شارة الى التراخي
بين رتبتي خلق الارض والسماء قاله القرطبي والاستواء في اللغة الاعتدال والانصباب الاستقامة
وضده الاعوجاج قاله في الكشاف الرازي ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيء قال تعالى فاذا
استوييت انت ومن معك على الفلك وقال لتستوي واعلى ظهوره وهذا المعنى هو المناسب
لهذه الآية وقد قيل ان هذه الآية من المشكلات وقد ذهب كثير من الائمة الى ايمان بها
وترك التعرض لتفسيرها وخالفهم اخرون وقد استدلل بقوله ثم استوى على خلق الارض
متقدم على خلق السماء وكذلك الآية التي في خم السجدة وقال تعالى في المنازعات انتم اشد
خلقا ام السماء بناها فوصف خلقها ثم قال والارض بعد ذلك دحها فكان السماء على هذا
خلقت قبل الارض وكذلك قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وقد قيل ان
خلق جرم الارض متقدم على السماء ودحها متأخر وقد ذكر نحو هذا اجماعة من اهل العلم
وهذا اجمع جيد لا بد من المصير اليه ولكن خلق ما في الارض لا يكون الا بعد الدح والاية
المذكورة هنا دللت على انه خلق ما في الارض قبل خلق السماء وهذا يقتضي بقاء الاشكال
وعدم التخلص عنه بمثل هذا الجمع وقال الفراء الاستواء في كلام العرب على وجهين احدهما
ان يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته او يستوي من اعوجاج وقال البيهقي الاستواء يعني
الاقبال صحيح لان الاقبال هو القصد والقصد هو الارادة وذلك جائز في صفات الله وقال

سفيان بن عيينة اي قصد اليها وقيل على دون تكييف ولا تحديد واختاره الطبري وقال
ابو العالية استوى ارتفع وقال قنادة ان السماء خلقت اولا حكاه عنه الطبري والبحث في
ذلك يطول وقد استوفاه الرازي في تفسيره واجاب عنه بوجوه ثم قال الجواب الصحيح ان قوله
ثم ليس بالترتيب فهنا وانما هو على جهة تعديد النعم والله اعلم فسواء هن اي عدل خلقهن
فلا اعوجاج فيه ولا فطور وقيل معناه سوي سطوحهن بآلاملاس وقيل جعلهن سواء
سبع سموات مستويات لاصدع فيها ولا فطور وفي هذا التصحيح بان السموات سبع واما
الارض فلم يأت في ذكر عدد ها الا قوله تعالى ومن الارض مثلهن فليل في العدد وقيل
في غلظهن وما يبينهن وقال الما وردي ان الارض سبع ولكن لم يفتق بعضها من بعض والصحيح
انها سبع كالسموات وعلى انها سبع ارضين متفاصلة بعضها فوق بعض تخص دعوة الاسماء
بأهل الارض العليا ولا تلزم من في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق
مميز وفي مشاهد تم السماء واستمدادهم للضوء منها قولان اخدهما انهم يشاهدون
السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون ايضا منها وهذا قول من جعل الارض مبطنة
والثاني انهم لا يشاهدون السماء فان الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدون منه وهذا قوله
من جعل الارض كرية وفي الآية قول ثالث حكاه الطبري عن ابي صالح عن ابن عباس انها
سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينهما البحار وتظل جميعها السماء
وسياقي تحقيق ما هو الحق في اخر سورة الطلاق انشاء الله تعالى وقد ثبت في الصحيح قوله
صلعم من اخذ من الارض شبرا ظل طوقه الله من سبع ارضين وهو ثابت من حديث عائشة
وسعيد بن زيد وقد اطنب الرازي في تفسيره في بيان السموات هل هي سبع او ثمان وذكر
مذاهب الحكماء في ذلك واجابهم بوجوه ثم قال اعلم ان هذا الخط مما يذهبك على انه لا
سبيل للعقول البشرية الى ادراك هذه الاشياء وانه لا يحيط بها العلم فاطرها وخالقها
فوجب الاقتصار فيه على الدلائل السمعية فان قال قائل فهل يدل التنصيص على سبع
سموات على نفي العدد الزائد قلنا الحق ان تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد
وفي هذا الشارة الى ما ذكره الحكماء من الزيادة على السبع ونحن نقول انه لم يأت عن الله

ولا يحسن سوره البقرة في قصص على ذلك ولا تفعل بالزيادة الا اذا جاءت من طريق الشعر
ولم يأت شيء من ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في هذه الآية قالوا
ان الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء
جنانا فارفع فوق الماء فسمى عليه فسماه سماء ثم ايدس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فلقها
سبع ارضين في يومين الاحد والاثنين فخلق الارض على حوت وهو الذي ذكره في قوله
ان والقلم والحوت فاعلم على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك الملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي
ذكره ان ليست في السماء ولا في الارض فخلق الحوت فاضطرب فتنزلت الارض فاد
عليها الجبال فقربت فذلك قوله تعالى وجعل لها رواسي ان تقيد بكرم وخلق الجبال فيها
واقوات اهلها وسخرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله انكم
لتكفرون بالذي خلق الارض الى قوله وبارك فيها يقول انبت شجرها وقدر فيها اقواتها
يقول اقوات اهلها في اربعة ايام سواء للساكنين يقول من سأل فهكذا الامر ثم استوى الى
السماء وهي دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة
ثم فلقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه
جمع فيه خلق السموات والارض وادعى في كل سماء امرها قال خلق في كل سماء خلقها من
الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب
فجعلها زينة وحفظها من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب استوى على العرش اخرجه
اليهمقي وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن جرير وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة
في الصحيح قال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق للكرة يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبت
فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم يوم الجمعة بعد العصر وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من
طريق عند اهل السنن وغيرهم عن جماعة من الصحابة احاديث في وصف السموات و
ان غلط كل سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء الى سماء خمسمائة عام وانها سبع
سموات وان الارض سبع ارضين ولم يأت في التذييل ولا في السنة المطهرة تصريح بان

فيمن من يعقل من العوام ولا ادم وانبيائهم ولا تار من الصحابة ومن بعدهم ان جاء بسيرة
 صحيح لا يصلح الاحتجاج على ذلك فكيف بمالك يصح سنده او صحه ولكن لم يتابع عليه وتوبع ولكن لم يصح^{عده}
 نص من الله وسواء كان ذلك ثبت في حرف السماء انا من جماعة من الصحابة وقد ذكر السيوطي في ذلك
 المذهب بعض ذلك في تفسير هذه الآية وانما تركنا ذكره هنا لكونه غير متعلق بهذه الآية
 على الخصوص بل هو متعلق بما هو اعلم منها وهو بكل شيء عليم أي يعلم الخبريات كما يعلم
 الكليات وانما اثبت سبحانه لنفسه العلم بكل شيء لانه يجب ان يكون عالما بجميع ما ثبت
 انه خالق وخالق ربك اي واذكر يا محمد اذ قال وكل ما ورد في القرآن من هذا النوع هنا
 سبيله وقيل اذ نازلة والاول اوجه للملائكة جمع ملك بوزن فعمل قاله ابن كيسان وقيل
 جمع ملاك بوزن مفعول قاله ابو عبيدة واراد بالملائكة الذين كانوا في الارض وذلك
 ان الله تعالى خلق الارض واسكن فيها الجن واسكن في السماء ملائكة فافسدت الجن في
 الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال واقاموا
 مكانهم وقيل القول مطلق للملائكة وكان ذلك تعليما للمشاورة وتعظيما لادم وبيان ما لكون
 الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيرة على شره واللام في الملائكة للتبليغ وهو احد المعاني التي
 جاءت لها اللام اتي جاعل في الارض خليفة أي خالق بذكره متكمرا فاعلم اني وجاعل
 هنا من جعل المتعدي الى مفعولين وذكر المطرني انه بمعنى الخالق وذلك يقتضي انه متعدي
 الى مفعول واحد وصيغة اسم الفاعل بمعنى المستقبل والارض هنا هي هذه الغبراء ولا يختص
 ذلك بمكان دون مكان وقيل انها مكة كما ورد في مرسل ضعيف وقال ابن كثير انه مدبرج
 والخليفة هنا معناه الخالف لمن كان قبله من الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى الخلق اي
 يخلفه غيره قيل هو ادم كما دل عليه السياق وقيل كل من له خلافة في الارض ويقوي الاول
 قوله خليفة دون الخلائف واستغنى بذكر ادم عن ذكر من بعده والصحيح انه انما سمى خليفة
 لانه خليفة الله في ارضه لا قامة حدوده وتنفيذ قضاياه قيل خاطب الله الملائكة بهذا
 الخطاب للمشورة ولكن لا استخراج ما عندهم وقيل خاطبهم بذلك لاجل ان يصدر منهم ذلك
 السؤال فيجابون بذلك الجواب وقيل لاجل تعليم عباده مشروعية المشاورة لهم وظاهره

انهم استنكروا استخلاف بني ادم في الارض لكونهم مظنة للفساد في الارض وانما قالوا
هذه المقالة قبل ان تقدم لهم معرفة بني ادم بل قبل وجود ادم فضلا عن ذريته لعلم
قد علموه من الله سبحانه بوجه من الوجوه لانهم لا يعلمون الغيب قال بهذا جماعة من المفسرين و
قال بعض المفسرين ان في الكلام خذ فاو النقد يراني جاعل في الارض خليفة يفعل كذا وكذا
فكر هو ذلك وقالوا اي استنكروا فاعلموا اخي عليهم من الحكمة الباهرة وليس باعتراض على الله
ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله بل عباد مكرمون
وانما عرفوا ذلك بأخبار من الله او تلقى من اللوح المحفوظ او قياس لاحد الثقلين على الآخر
أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بِالْمَعَاصِي بمقتضى القوة الشهوانية والفساد ضد الصلاح
ويَسْفِكُ الدِّمَاءَ بغير حق بمقتضى القوة الغضبية كما فعل الحن وسفك الدم صبغة قاله ابن
فارس والجوهري والبهدي ولا يستعمل المسفك الا في الدم ومخن تسج
ا في نقول سبحانه الله وبمحمد وهي صلوة الخلق وعليها يترقون عن ابي ذر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته وعباده سبحانه الله وبمحمد
اخرجه مسلم وقال ابن عباس كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه
الصلوة فيكون المعنى ونحن نصلي لك واصل التسبيح في كلام العرب التنزيه والتبجيل من
السوء على وجه التعظيم فيكون ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصه بمحمد كاي حامدين
لك او متلبسين بمحمد فانه لو لا انعامك علينا بالتوفيق لم تمكن من ذلك وتقدس لك
واصل التقديس التطهير اي ونطهرك عن النقائص وعن كل ما لا يليق بك من سوء وما نسب
اليك المخذون واقتراه المجاهدون وذكر في الكشاف ان معنى التسبيح والتقديس واحد
وهو تبجيل الله من سوء وفي القاموس وغيره من كتب اللغة ما يرشد الى ما ذكرناه والتأني
خير من التاكيد خصوصا في كلام الله سبحانه وقيل معناه نطهر انفسنا الطاعتك وعبادتك
ولا بول اولى وعن ابن مسعود وناس من الصحابة قدس لك اي نصلي لك وقال مجاهد
نعظمك ونكبرك والامر زائدة وبالحالة حال اي فحق الحق بالاستخلاف لما كان سوء الهم واقعا
على صفة تستلزم اثبات شيء من العلم لانفسهم اجاب الله سبحانه عليهم فقال قال ايني

أَعْلَمُوا مَا تَعْلَمُونَ وفي هذا الكلام ما يعني عن التفصيل لأن من علم ما لا يعلم المخاطبة
كان حقيقاً بأن يعلم ما يصدر عنه وعلى من لا يعرف أن يعرف لمن يعلم بأن أفعاله
صادرة على ما يوجب العلم وتقتضيه المصلحة الراجحة والحكمة البالغة ولم يذكر متعلق
قوله تعلمون ليفيد التعميم ويدل على السامع عند ذلك كل مذهب ويعترف بالعجز ويقر
بالقصو عن ابن عباس قال إن الله أخرج آدم من الجنة قبل أن يخلقه وقد كان فيها
قبل أن يخلق بالفي عام الجن بنو الجن فافسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبأسفروا
في الأرض بعث الله عليهم جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى الحقوهم بجوارح البعير فلما قال لي
جاءل في الأرض خليفة قالوا التحمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل الجنان
فقال لي أعلم ما تعلمون أخرجه الحاكم وصححه عنه وفي الباب آثار من الصحابة كثيرة
عن قتادة كان في علم الله أنه سيكون من الخليفة أنبياء ورسول وقوم صالحون وساكنون
الجنة وقيل أعلم أنهم يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم وقيل أعلم من وجود المصلحة والحكمة
ما لا تعلمون انتم وقد ثبت في كتاب الحديث المعتبرة أحاديث من طريق جماعة من الصحابة في
صفة خلقه سبحانه لأدم وهي موجودة فلا تطول بذكرها وعلم آدم الأسماء كلها سمي آدم
لأنه خلق من آدم الأرض وقيل لأنه كان آدم اللون ولما خلق الله آدم وأم خلقه علمه أسماء
الاشياء كلها قال في الكشف وما آدم الاسم اعجبي واقرب مرة أن يكون على فاعل اشتقاق
من الأدمية وغيرها تصف قاله البيضاوي وقال السمين بعد كلام طويل إن ادعاء الاشتقاق
فيه بعيد لأن الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاق ولا تصريف انتهى والأسماء هي العبارات
المراد أسماء المسميات قال بذلك أكثر العلماء وهو المعنى الحقيقي للاسم والتأكيد بقوله كلها
يفيد أنه علمه جميع الأسماء ولم يخرج عن هذا شيء منها كما كان وقال ابن جرير إنها
أسماء الملائكة وأسماء ذرية آدم ثم ربح هذا وهو غير راجح وقيل صنعة كل شيء قال ابن عباس
علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصعة وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك
وعلم آدم الأسماء كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل علمه
اللغات كلها أي جميع اللغات لكن بنو تفرقوا في اللغات فحفظ بعضهم العربية ونسي غيرها والمراد

علم الاسماء لفظاً ومعنى مفرد او مركباً حقيقة ووجاهة والمراد بالاسم ما يدل على معنى ذاتاً كان
او جراً ما فهو اعم من الاسم والفعل والحرف وقال في المظهرى وعندي ان الله علم ادم
الاسماء الالهية كلها ثم رجع هذا بكلام طويل وهو غير راجح مع ما فيه من البعد والتكلف
ولم يقل به احد من المفسرين ويا بآه ظاهر النظم وسياف ثم عرضهم على الملائكة
يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لتغليب العقلاء عليهم واحتلت
اهل العلم جل عرض على الملائكة المسميات والاسماء والظاهر الاول لان عرض نفس
الاسماء غير واضح وعرض الشيء اظهاره قال بن عطية والذي يظهر ان الله علم ادم الاسماء
وعرض عليه مع ذلك الاجناس اشخاصاً ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن اسماء
مسمياتها التي قد تعلمها ادم فقال لهم ادم هذا السمكة وهذا السمكة كذا قال الماوردي
فكان الاصح توجه العرض الى المسميات ثم في زمن عرضهم قولان احدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم
الثاني انه صورهم بقلوب الملائكة ثم عرضهم فقال انبؤني اي اخبرني امر نجيز والنبأ
خبره وفائدة عظيمة وايثاره على الاخبار للايدان برفعة شأن الاسماء وعظم خطرها باسماء
هو الا ان كنتم صادقين اني اخلق خلقاً الا كنتم افضل منهم واعلم امره سبحانه للملائكة
بهذه القصد التبكيث لهم مع علمه بانهم يعجزون عن ذلك قالوا يعني الملائكة سبحانه انك
تزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم وفيه اشعار بان سواهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً
وسبحان مصداك لا يكد يستعمل الامضا فامضوا باضمار فعله كعاذ الله لا علم لنا الا ما
علمتنا اي انك اجل من ان نخطط بشيء من علمك الا ما علمتنا انك انت العليم اي بخلقك
وهو من اسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات الحكيم اي في امرك ولله
معنيان احدهما انه القاضي العدل الثاني المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد قال
يعني الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمي كل شيء باسمه
وذكر وجه الحكمة التي خلقها بان قال لهم هذا الجرم يسمى القصعة وحكمته وضع اطعم
فيه وهكذا انبأهم باسمائهم قال يعني الله تعالى اقل لكم يا ملائكتي اني اعلم
غيب السموات والارض يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه علم احوال ادم قبل

ان يخلقه وفي اختصاصه يعلم غيب السموات والارض وما يتكلفه كثير من العباد من
 الاطلاع على شيء من علم الغيب كالنجيين والكهان واهل الرمل والصحراء والشعوذة واعلم
 ما تبدون وما كنتم تكتمون اي ما تظهرون وما تأسرون كما يفيد معنى ذلك عند
 العرب ومن فسر بشي خاص فلا يقبل منه ذلك الابدليل واذا قلنا الملائكة انجدوا
 لادم قيل هذا خطاب مع ملائكة الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة وهو
 الظاهر من قوله فيجد الملائكة كلهم اجمعون والسيود معناه في كلام العرب التذلل و
 الخضوع وغايته وضع الوجه على الارض والاستسجاد اذ اقامة النظر في هذه الآية فضيلة لادم
 عليه السلام عظيمة حيث اسجد الله ملائكته وقيل ان السجود كان لله ولم يكن لادم و
 انما كانوا مستقبلين له عند السجود ولا يلبي لهذا فان السجود للبشر قد يكون جائز في بعض
 الشرائع بحسب مقتضيه المصالح وقد دلت هذه الآية على ان السجود لادم وكذلك الآية الاخر
 اعني قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال تعالى ورفع ابوه
 على العرش وخر له سجداً فلا يستلزم تحريمه لغيره في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يكون
 كذلك في سائر الشرائع ومعنى السجود هنا وضع الجبهة على الارض واليه ذهب جمهور
 وقال قوم هو مجرد التذلل والانقياد والاول اولى وقد وقع الخلاف هل كان السجود من
 الملائكة لادم قبل تعليمه الاسماء ام بعده وقد اطل البحث في ذلك البقاعي في تفسيره
 وظاهر السياق انه وقع التعليم وتعبه الامر بالسجود وتعبه اسكانه الجنة ثم اخراجه
 منها واسكانه الارض وفي هذه الآية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبياء على
 الملائكة وهذه القصة ذكرت في القران في سبع سور في هذه السور الاحزان والحج والاسراء
 الكهف وطه وص ولعل السر في تكريرها تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان في محنة عظيمة
 في قومه واهل زمانه فكانه قال اولي تري ان اول الانبياء وهو ادم كان في محنة
 عظيمة للخلق ذكره الخطيب والظاهر انه لاظهار شرف ادم وفضله على سائر الخلق حتى
 الملائكة وليس في هذه القصة ما يدل على محنة ادم فيجدوا وكان السجود يوم الجمعة من
 وقت الزوال الى العصر قبل اول من سجده لادم جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم

الملائكة المقربون والله اعلم الا ابلّيس استثناء متصل لانه كان من الملائكة على ما قاله
 الجمهور قال شهر بن حوشب وبعض الاصوليين كان من الجن الذين كانوا في الارض فيكون
 الاستثناء على هذا منقطعاً واستدلوا على هذا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم و
 يفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى الا ابلّيس كان من الجن والجن غير الملائكة واجابوا بالاول
 بانه لا يمتنع ان يخرج ابليس عن جملة الملائكة لما سبق في علم الله من شقائه عدله لا يسئل
 عما يفعل ولبس في خلقه من نار ولا ترك الشهوة فيه حين غضب الله عليه ما يدفع عنه من
 الملائكة وايضاً على تسليم ذلك لا يمتنع ان يكون الاستثناء متصلاً بتعليق الملائكة الذين
 هم الوفاء على ابليس الذي هو فرد واحد بين اظهرهم وسمي به لانه ابليس من رحمة الله
 اي يسئ وكان اسمه عزرايل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس
 وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناء منهم وقيل
 انه من الجن وانه اصل الجن كما ان ادم اصل الانس والاول اصح لان الخطاب كان مع الملائكة
 فهو اخل فيهم ثم استثناء منهم وعليه اكثر المفسرين كالبعثي والواحدي والقاضي وقالوا
 المعنى كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعاً اولان الملائكة قد يسمون جنّاً خفائهم اى
 امتنع من فعل ما امر به من السجود فلم يسجد واستكبر اى تعظم عن السجود لادم والاستكبار
 الاستعظام للنفس وقد ثبت في الصحيح عنه صلّم ان الكبر بطل الحق وغط الناس وفي رواية
 غمض الناس وانما قدم الالباء عليه وان كان متأخر عنه في الترتيب لانه من الافعال الظاهرية
 بخلاف الاستكبار فانه من افعال القلوب اقصر في سورة ص على ذكر الاستكبار وفي
 سورة الحجر على ذكر الالباء وكان من الكافرين اى من جنسهم في علم الله تعالى وانما وجبت
 له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته وقيل ان كان هذا بمعنى صار قال ابن قزوين ان خطا
 ترده الاصول وافادة الآية استقباح التكبر والخوض في سر الله تعالى وان الامر للوجوب
 وقُلْنَا هُوَ مِنْ خُطَايَا كَابِرٍ وَعَظِيْمٍ اخبر سبحانه عن نفسه بصيغة الجمع لانه ملك الملوك
 يَا اٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ اَي اتخذ الجنة مأوى ومنزلاً ومسكناً وهو محل السكون
 واما ما قاله بعض المفسرين ان قوله اسكن تنبيه على الخروج لان السكنى لا يكون منكاً والجنة

ذلك من قول جماعة من العلماء ان من اسكن رجلا منزلا له فانه لا يملكه بذلك وان لم يخرج منه فهو معنى عربي والواجب اخذ بالمعنى العربي اذ لم يثبت في اللفظ حقيقة شجرة والزوج هي حواء بالمد وهي في اللغة الفصيحة بغير هاء وقد جاء بها قليلا كما في صحيح مسلم قال يا فلان هذا زوجتي فلا تنة الحديث وكان خلق حواء من ضلع لايسر فلذا كان كل انسان ناقصا ضلعا من الجانب الايسر فجرة اليمين اضلاعا ثمانية عشر وجهة اليسار اضلاعا سبعة عشر قصة خلقها مبسطة في كتاب السنة لا تطول بذكرها هنا واختلوا في الجنة التي امر ادم بسكنها فاقبل انها جنة كانت في الارض وقيل هي دار الجراء والثواب قد استوفى الحافظ ابن القيم في كتابه معادي الارواح الى بلاد الافراح دلائل الفريقين من غير قصير يحرجان احد القولين وقيل القول الصحيح انها دار الجراء وقيل الصحيح القول الاول وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع والاولى الوقف والله تعالى اعلم وكلامها اي اجمعها لا يستقر والاكل من رزق الجنة رعدا رعدا العيش تسع ولان اي رزق واسع لين وارعد القوم اخصبوا والرعيذة الزبد حيث شئت في اي مكان من الجنة شئت اوسع الامر عليهم كما اذاحة لليلة والعذ في تناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها التي لا تنحصر ولا تقر بأحد هذه الشجرة يعني للاكل والقرب الدنو قال الاصمعي والنهي عن القرب فيه سد للذبة وقطع للوسيلة ولهذا جاء به عوضا عن الاكل ولا يخفى ان النهي عن القرب لا يستلزم النهي عن الاكل لانه قد يأكل من ثمرة الشجرة من هو بعيد عنها اذا حمل اليه فالاولى ان يقال المنع من الاكل مستفاد من المقام والشجر ما كان له ساق من نبات الارض وواحد شجرة واختلف اهل العلم في تعيين هذه الشجرة فقيل هي الكرم وقيل هي السنبلة قاله ابن عباس وله عنه طريق صحيحة وقيل التين وقيل الحنطة وقيل اللوز وقيل النخلة وقيل هي شجرة القلم وقيل الكافور وقيل الاترج وقيل هي شبه البروتشي الدعة وهذا مروي عن جماعة من الصحابة فمن بعدهم وقيل عن جنس من الشجرة وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين اذ لا حجة اليه لانه ليس المقصود تعريف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصود الا يجب بيانه فتكونا من الظالمين يعني ان اكلنا من هذه الشجرة ظلمنا انفسنا من جوار ارتكاب الذنوب على

الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية والظلم احملوه وضع الشيء في غير موضعه ومن لم يحجبه ذلك
على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وكلام اهل العلم في عصمة
الانبياء واختلاف مذاهبهم في ذلك مدون في مواطنه وقد اطل البحث في ذلك الرأى
في تفسير في هذا الموضع فليرجع اليه فانه مفيد فاكتر لهما الشيطان اي استزل ادم وحواء
عنهما اي الجنة ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة اي استزلهما واقعهما فيها وقيل من الزلة
وهي النخبة اي نخأهما وقيل من الزوال وقد اختلف اهل العلم في الكيفية التي فعلها الشيطان
في ازالتهما فقول انه كان ذلك بمشاهدة منه لهما واليه ذهب الجمهور واستدلوا على
ذلك بقوله تعالى وقاسمهما اني لكانا من الناصحين والمقاسمة ظاهر المشاهدة وقيل لم يصد
منه الا حجر الوسوسة والمفاعلة ليست على باهمابل للبالغة وقيل غير ذلك فآخروهما
مما كانا فيه اي صرهما عما كانا عليه من الطاعة الى المعصية وقيل الضمير للجنة وعلى هذا
فالفعل مضمن معنى ابعدهما وانما نسب ذلك الى الشيطان لانه هو الذي تولى اغواء ادم
حتى اكل من الشجرة وقُلْنَا اهبطوا اي انزلوا الى الارض خطاب لادم وحواء وخطبا بما
يخطب به الجمع لان الاثنين اقل الجمع عند البعض من امة العربية وقيل انه خطاب لهما
ولا يلىس والحجة فهبط ادم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نوح واهبطت حواء
بجدة وابليس بالادلة من اعمال البصرة والحجة باصبعها وقيل خطاب لهما ولذا ريتهما كلهما
لما كانا اصل هذا النوع الانسا في جلا بمنزلة ويدل على ذلك قوله بعضكم لبعض عدو
فان هذه الجملة الواقعة حاكمية للهية الثابتة للمؤمنين بالهبوط تقيد ذلك بعن العداوة
التي بين المؤمنين المؤمنين من ادم بين ابليس والاشا سرقة بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاخذوه وادوا العدو وخلاف الصديق وهو من عدى اذا ظلم والعدو وان الظلم يصلح
وقيل انه مأخوذ من المجاوزة يقال عداه اذا جاوزته والمعنيان متقاربان فان من ظلم فقد
تجاوز قال ابن فارس العدو اسم جامع للواحد ولاتنين والثلاثة والعداوة التي بين خيرية
ادم والحجة هي ما روى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيأت مخفية
طلبهن فليس منها ما سلمنا هن منذ حاربناهن اخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود ان

رسول الله صلى الله عليه وآله قال اقلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثأرهن فليس مفي وفي رواية الايجان
 الابيض الذي كانه قضيب فضة وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان بالمدينة
 جنا قد اسلموا فاذا رايتهم منهم شيئا فاذنه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما
 هو شيطان وفي رواية ان بهذه البيوت عوام فاذا رايتهم منها شيئا فخر جوا عليه ثلثا فان
 ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وكفر في الارض مستقر المراد بالمستقر موضع الاستقرار ومنه
 اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقد يكون بمعنى الاستقرار ومنه الى ربك يومئذ المستقر
 فالاية محتملة للمعنيين ومثلها قوله جعل لكم الارض فراشا ومتاعا ما يستمتع به من المأكول
 والمشروب والملبوس ونحوها اي بلغة ومستمتع الى حين اي الى وقت انقضاء اجالكم و
 اختلف المفسرون في قوله حين فقيل الى الموت وقيل الى قيام الساعة واصل معنى الحين في
 اللغة الوقت البعيد ومنه هل اتى على الانسان حين من الدهر والحين الساعة ومنه وتقول
 حين ترى العذاب والحين القطعة من الدهر ومنه فذرهم في غيرهم حتى حين اي حتى تقف
 اجالهم ويطلق على السنة وقيل على ستة اشهر ومنه تؤتي اكلها كل حين ويطلق على المساء
 الصباح ومنه حين تمسون وحين تصبحون قال ابن العربي الحين المجهول لا يتعلق به حكم و
 الحين المعلوم سنة فتلقى ادم من ربه كلمات ومعنى التلقى اخذها وقوله لما فيها وعلمه
 بها وقيل فهمه لها وفظانته لما تضمنته واصل معنى التلقى الاستقبال اي استقبال الكلمات
 الموحات اليه وقيل ان معنى تلقى تلقى ولا وجه له في العربية واختلف السلف في تعيين هذه
 الكلمات فعن ابن عباس قال هي قوله ربنا اظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
 الخاسرين وعنه قال علم شان الحج وهي الكلمات وعن عبد الله بن زيد قال لا اله الا انت سبحانك
 وبحمدك وعملت سوء وظلمت نفسي فاخني انك انت ارحم الراحمين وروي نحوه عن انس وسعيد
 بن جبير فتاك عليك اي فحما وضرعه وغفر له واصل التوبة من تاب يتوب ذابح الله هو التوا
 اي الرجوع على عبادة بقبول التوبة الرجيم بخلفه قلنا اهيطوا منها جميعا اما في زمان واحد
 او في ازمة متفرقة لان المراد الاشتراك في اصل الفعل وهذا هو الفرق بين جاءوا جميعا و
 جاءوا معا يعني هؤلاء الاربعة او ادم وحواء وذيتهم او كره قوله اهيطوا للتوكيد والتعليق وقيل

انه لما تعلق به حكم غير الحكم الاول كره ولا تراحم بين المقضيات فقد يكون التكرير لا يكره
 معاً اخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال ما سكن ادم الجنة الا ما بين صلوة
 العصر الى غروب الشمس وعنه ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى هبط من الجنة وعن الحسن
 قال لبث ادم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة مائة وثلاثون سنة من ايام الدنيا و
 اخرج البخاري والحاكم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لبنا سائر ائيل لم يخنز اللحم ولو لاحوا لم يخن انش
 زوجها وقد ثبت احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما في محاجة ادم
 وموسى عليهما السلام وحج موسى بقوله ان الله مني على امر قد ربه الله علي قبل ان اخلق وعن ابن
 عباس قال اول ما اهبط الله ادم الى ارض الهند وعنه الى ارض بين مكة والطائف وعن
 علي طيب ربح الارض الهند هبط بها ادم فعلق شجرها من بيع الجنة وقد روي عن جماعة
 من الصحابة ان ادم اهبط الى ارض الهند منهم جابر وابن عمر وعلي وقد روي عن جماعة
 من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حكايات في صفة هبوط ادم من الجنة وما اهبط به
 وما صنع عند وصوله الى الارض ولا حاجة لنا بسط جميع ذلك وقد ذكر طر فأنها الحافظ
 ابن القيم في المحادي فاما ما ياتي تَبَيَّنَ كَرَمِي هُدًى اِي رَشْدٍ وَبَيَانٍ وَشَرِيعَةٍ وَقِيلَ كِتَابٌ وَ
رَسُولٌ وَقِيلَ التَّوْفِيقُ لِلْهُدَايَةِ مَنْ كَتَبَ هُدًى اِي فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُمْ وَقِيلَ عِنْدَ
الْفِرْعَ الْأَكْبَرِ وَلَا هُمْ يُخْزَنُونَ اِي عَلَى مَا خَلَفُوا وَفَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَقَالَ ابْنُ جَبْرِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَخْزَنُونَ لِلْمَوْتِ وَالْخَوْفُ هُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالْخَوْفُ ضِدُّ السُّرُورِ
قَالَ الْبَزْزِيُّ حَزَنَهُ لُغَةٌ قُرَيْشٍ وَحَزَنَهُ لُغَةٌ تِمِيمٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اِي جَحْدٌ وَاعْطَفَ عَلَى مَنْ يَنْبَغُ
قَسِيمٌ لَهُ وَكَذَّبُوا يَا بَايَتَنَا اِي بِالْقُرْآنِ أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّكَارِ اِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَصَحْبَةُ أَهْلِ النَّكَارِ
لَهَا بِمَعْنَى الْأَقْرَانِ وَالْمُلَانِمَةُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اِي لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا اَقْبَعُ
قَسَمْتُ نَالَتْ وَهُوَ مَنْ أَمِنَ وَلَمْ يَعْمَلِ الطَّاعَاتِ فَلَيْسَ بِأَخْلَافٍ فِي الْآيَتَيْنِ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْخُلُودِ
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اتَّقُوا الْمَفسِرُونَ عَلَى نَاسِرَائِلَ هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
وَمَعْنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ لِأَنَّهُ اسْرٍ فِي لَغَتِهِمْ هُوَ الْعَبْدُ وَأَيْلَ هُوَ اللَّهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ صَفْوَةُ اللَّهِ وَالْأَوَّلُ أَوَّلُ
وَالْمَعْنَى يَا أَوْلَادِ يَعْقُوبَ قِيلَ لَهُ اسْمَيْنِ وَقِيلَ لَنَاسِرَائِلَ لَقَبٌ لَهُ وَهُوَ اسْمٌ عَجَبِي غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ

وقد تصرف فيه العرب بلغات كثيرة اقصاها لغة القرآن وهي قراءة الجهم اذ كُرُوا نِعْمَتِي
الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ اى اشكر واوانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن
حمدها فقد كفرها والذكر بالكسر هو ضد الانصات وبالضم ضد النسيان وجعله بعض
اهل العلم مشتركا بين ذكر القلب واللسان وقال للكسائي ما كان بالقلب فهو مضموم الذا
وما كان باللسان فهو مكسور للذال قال ابن الانباري والمعنى في الآية اذكر واشكر نعمتي فخذ
الشكر اكفاء بذكر النعمة وهي اسم جنس ومن جملتها انه جعل منهم انبياء وانزل عليهم الكتب
والن والسلوى واخرج لهم الماء من الحجر ونجاهم من ال فرعون وقلق لهم البحر ما غرق فرعون
وظللهم بالغمام وغير ذلك من نعم كثيرة وقيل ان هذه النعمة هي دار الخاطبين بها من
محمد صلعم والاول اولي واو فو العهد اى متثلوا امرى يقال اوفى ووفى مشددا ووفى
مخففا ثلث لغات بمعنى وقيل يقال وفيت وفيت بالعهد واوفيت بالكيل لا غير اختلف
اهل العلم في العهد المذكور في هذه الآية ما هو فقيل هو المذكور في قوله تعالى خذوا
ما آتيناكم بقوة وقيل هو ما في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيا وقيل هو قوله ولقد اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لتبيننه للناس وقال
الزجاج هو ما اخذ عليهم في التولية من اتباع محمد صلعم وقيل هو اداء الفرائض ولا مانع من جملة
على جميع ذلك وقيل ارا جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وف
يعهد كهر اى بما ضمنتم لكم من الجزاء وقيل بالقبول والثواب عليه بدخول الجنة واياكم
فا رهبون اى فحافون في نقضكم العهد والرهبة والخوف ويتضمن الامر به معنى
التهديد وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص قال صاحب الكشاف وهو اكد في افا
التخصيص من اياك نعبد والفاء جواب امر مقدراى تنبهوا فارهبون اوزائدة وامنوا بما انزلت
يعني القرآن مصدقا لما معكم اى لما في التولية من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي
صلعم ولا تكونوا اول كافر به المراد اهل الكتاب لانهم العارفون بما يجب للانبياء وما يلزم
من التصديق اى لا تكونوا يا معشر اليهود اول كافر بهذا النبي صلعم مع كونكم قد وجدتموه مكشوا
عندكم في التولية والانجيل مبشرا به في الكتب المنزلة عليكم وقد حكى الرازي في تفسيره في

هذا الموضع ما وقع عليه من البشارات برسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب السابقة وقيل الضمير في
 به عائد الى القرآن المدلول عليه بقوله بما انزلت وقيل عائد الى التوبة المدلول عليها بقوله
 لما معكم والخطاب بمجاعة والكافر لفظه واحد وهو في معنى الجمع اي اول الكفار واول فرق
 كافر ومفهوم الصفة غير مراد هنا فلا يخرج من المعنى بل اخر كافر وانما ذكرت اولية لانها اخبر
 لما فيها من الابتداء بالكفر بل يجب ان تكون اول فريق مؤمن به لا تكبر اهل نظر في محجراته و
 العلم بشأنه وصفاته ولا تستروا يا ايها النبي ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي
 في التوراة عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا
 قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل
 وهذه الآية وان كانت خطابا لبني اسرائيل ونهيهم فيها لهم فهي متداولة لهذه الامة بفحوى الخطاب
 او يلحظه من اخذ من المسلمين رشوة على ابطال حق امر الله به واشبات باطل فهو لله عنه او
 امتنع من تعليم ما علمه الله وكنتم البيان الذي اخذ الله عليه ميثاقه به فقد اشترى آيات
 الله ثمنا قليلا ولا تلبسوا الحق بالباطل اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيخلط الحق
 بالباطل الذي كنتم وقيل لا تخلطوا الحق من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل من تغيير صفة
 واللبس الخلط وقيل هو ما خفي من التغطية اي لا تغطوا الحق بالباطل والا اول الباطل واللبس
 على الاول وقيل للاستعانة واستبعاد البوحيا و قال فيه صرحت عن الظاهر من غير ضرورة
 قال السمين ولا ادري ما هذا الاستبعاد مع وضوح هذا المعنى الحسن والباطل في كلام العرب
 الزائل الباطل الشيطان والمراد به هنا خلاف الحق والمراد النهي عن كنتم حجج الله التي اوجب عليهم
 تبليغها واخذ عليهم ببيانها ومن فسر اللبس والكتان بشيئين معينين ومعنى خاص كما تقدم فلم
 يصلح ان اراد ان ذلك هو المراد دون غيره لان ارادته ما يصدق عليه وتكتموا الحق لما
 فيه من الضر والفساد وفيه ان العالم بالحق يحجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانها وفيه تنبيه
 بسائر الخلق وتهدير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة عاما في المعنى
 فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق وانتم تعلمون فيه ان كفرهم كفر عنا لا كفر
 جهل وذلك اغلظ للذنب ووجب للعقوبة وهذا التقييد لا يفيد جواز اللبس والكتان

مع الجهل لان الجاهل يجب عليه ان لا يقدم على شيء حتى يعلم بحكمه خصوصاً في امور الدين
فان التكلم فيها والتصديق للاصدار والايراد في ابوابها انما اذن الله به لمن كان راساً في
العلم فرد في الفهم وما للجهال والدخول فيما ليس من شأنهم والقعود في غير مقاعدهم واعلم
ان كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا
اوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل وقعوا انفسهم في التكلم بغير الرأي المنهي عنه في
الامور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك انهم ارادوا ان يذكر والمناسبة بين الايات
القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتفسيرات
يتبرء منها الانصاف ويتنزه عنها كلام البلاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه حتى افردوا
ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الاهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن
تقدمه ومن تأخره وان هذا المنعجب ما يسمعه من يعرف ان هذا القرآن ما زال ينزل
مفرقاً على حسب الحوادث المقضية لنزوله منذ نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله
قبضه الله عز وجل اليه وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك ان هذه الحوادث المقضية لنزول
القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم ما كان حلالاً وتحليل ما كان
حراماً واشتات ام لشخص او اشخاص تناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع
المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحيناً في عبادة و
حيناً في معاملة ووقتاً في ترغيب ووقتاً في ترهيب واونة في بشارة واونة في نذارة وطوبى
في امر دنيا وطوبى في امر آخرة ومرة في تكليفاتية ومرة في اقايص ماضية واذا كانت
اسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الايتلاف
فالقرآن النازل فيها هو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب لعاقل المناسبة
بين الضم والنون والماء والناحر والملاح والحادي وهل هذا الا من فتح ابواب الشك وتوسيع
دائرة الريب على من في قلبه مرض او كان مرضه مجرد الجهل والقصور فانه اذا وجد اهل العلم
يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده ان هذا
امر لا بد منه وانه لا يكون القرآن بليغاً معجز الا اذا ظهر الوجه المقضي للمناسبة وتبين الامر

الموجب للارتباط فان وجد الاختلاف بين الايات رجع الى ما قاله المتكلمون في ذلك
فوجدوا تكلفاً محضاً وتعسفاً بيننا ان قدح في قلبه ما كان عليه في عافية وسلامة هذا
فرض ان نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن في المصحف فكيف وكل من له
ادنى علم بالكتاب والسير حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً انه لم يكن كذلك ومن شك في هذا او
ان لم يكن مما يشك فيه اهل العلم رجع الى كلام اهل العلم العارفين باسباب النزول والطلعين
على حوادث النبوة فانه ينتج صدرة وينزل عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة
فضلاً عن المطولة فانه لا محالة يجد ما مشتملة على ايات نزلت في حوادث مختلفة واوقات
متباعدة لا مطابقة بين اسبابها وما نزل فيها في الترتيب بل يكفي المقصر ان يعلم ان اول
ما نزل اقرء باسم ربك الذي خلق وبعده يا ايها المدثر يا ايها المزمل وينظر اين موضع
هذه الايات والسور في ترتيب المصحف واذا كان الامر هكذا فأي معنى لطلب المناسبة
بين ايات يعلم قطعاً انه قد تقدم في ترتيب المصحف ما انزله الله متاخراً وتأخر ما انزله الله
متقدماً فان هذا العمل لا يرجع الى ترتيب نزول القرآن بل الى ما وقع من الترتيب عند جمعه
من تصدى لذلك من الصحابة وما اقل نفع مثل هذا وانزله في رفته واحقر فائدة بل هو عند
من يفهم ما يقول وما يقال له من تضییع لاوقات وانفاق الساعات في امر لا يعود بنفع
على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس وانت تعلم انه لو تصدى رجل من اهل العلم
للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وانشا آية او الى ما قاله شاعر من الشعراء
من القصائد التي تكون تأخرة مدحاً واخرى هجاء وحينا تشييراً وحينا رثاء وغير ذلك من
الانواع المتخالفة فعمد هذا المتصدي الى ذلك المجمع فناسب بين فقره ومقاطعه ثم تكلف
تكلفاً اخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي
خطبها في النكاح ونحو ذلك وناسب بين الانشاء الكائن في العز والانشاء الكائن في الهناء
وما يشاك به ذلك لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصاباً في عقله متلاعباً باوقات عابثاً بعمره
الذي هو راس ماله واذا كان مثل هذا بهذه المنزلة وهو كوكب الاحموة في كلام البشر
فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي اعجزت بلاعته بلغاء العرب وابكمت فصاحته

فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكافل ان الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه
عربي وانزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب
وقد علمنا ان خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فياتي بفنون مختلفة وطرائق متباينة
فضلا عن المقامين فضلا عن المقامات فضلا عن جميع ما قاله ما دام حيا وكذلك شأنهم
ولكن كف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعتري في ساحاتها كثير من المحققين وانما
ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لان الكلام هنا قد انتقل مع بني اسرائيل بعد ان كان
قبله مع ابي البشراد م عليه السلام فاذا قال متكلف كيف ناسب هذا اما قبله قلنا لا كيف
فدع عنك نهبا يصيح في حجراته وهات حديثا ما حديث الرواحل وما يقيموا
الصلوة واتقوا الزكوة المراد هنا الصلوة للعهد وهي صلوة المسلمين يعني الصلوات
الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها على ان المتعريف للعهد ويجوز ان يكون للجنس
مثالها الزكوة والايته الاعطاء والزكوة مأخوذة من الزكاء وهو النماء وسمي اخراج جزء من
المال زكوة اي زيادة مع انه نقص منه لانها تكثر بركته او يكثر اجر صاحبه وقيل الزكوة
مأخوذة من التطهير كما يقال زكي فلان اي طهر الظاهران الصلوة والزكوة والحج والصوم
ونحوها قد نقلها الشرع الى معان شرعية هي المرادة بما هو مذكور في الكتاب السنة منها
وقد تكلم اهل العلم على ذلك بما لا يتسع المقام لبسطه وقد اختلف اهل العلم في المراد بالزكوة
هنا فقيل المفروضة لا قمرانها بالصلوة وقيل صدقة الفطر والظاهران المراد ما هو اعم
من ذلك واركانهم مع الزكوة اي صلواتهم مع المصلين يعني محرمات صلوات الركوع في اللغة الاختفاء
وكل من ركع ويستعاض الزكوة ايضا للاخطاط في المنزلة وانما خص الركوع بالذكر هناك لان
اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل لكونه كان ثقيل على اهل الجاهلية وقيل انه اراد
بالركوع جميع اركان الصلوة والركوع الشرعي هو ان يحنى الرجل ويمد ظهره وعنقه ويقبض بايدي
يديه ويقبض بها على ركبتيه ثم يطمئن ركعا ذاكرا بالذكر المشرع وقد ورد في ذلك من
الاحاديث الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما ما هو معروف وفي الآية حث على اقامة الصلوة
في الجماعة وقد اوجب حضور الجماعة بعض اهل العلم على خلاف بينهم في كون ذلك عينا او

كفاية وذهب الجمهور الى انه سنة مؤكدة مرغب فيها وليس بواجب وهو الحق للاحاديث
 الصحيحة الثابتة عن جماعة من الصحابة من ان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفرد بخمس وعشرين
 درجة او سبع وعشرين درجة وثبت في الصحيح عنه صلعم الذي يصل مع الامام افضل من الذي
 يصل وحده ثم ينأى والبحث طويل الذي يول كثير النقول استوفاه الشوكاني في شرحه للمنقح
 اقامرون الناس بالبر الهمة للاستغفار مع التوبخ للمخاطبين وليس المراد توبيخهم على
 نفس الامر بالبر فانه فعل حسن مندوب اليه بل سبب ترك فعل البر المستغفار من قوله وتنبؤ
 انفسكم مع التطهر بتركية النفس والقيام في مقام دعاة الخلق الى الحق ايها ما للناس و
 تليسا عليهم تزلت في علماء اليهود والبر الطاعة والعمل الصالح والبرسعة الخير والمعروف
 والبر الصدق والبر ولد الثعلب والبر سوق الغنم فالبر اسم جامع لجميع اعمال الخير و
 الطاعات والنسيان هو هنا بمعنى الترك وفي الاصل خلاف الذكر والحفظ اي زوال
 الصورة التي كانت محفوظة عن المدركة والحافظة والنفس الروح ومنه قوله تعالى الله يتو
 الانفس حين موتها يريد الارواح والنفس الجسد والمعنى وتعدلون عما لها فيه نفع
 وانتم تتلون الكتاب جملة حالية مشتملة على اعظم تقرير واشد توبيخ وابلغ تبكيت
 كيف تكون البر الذي تأمرون الناس به وانتم من اهل العلم العارفين بفتح هذا الفعل
 وشددة المعيد عليه كما ترونه في الكتاب الذي تتلونه وتدرسونه والايات التي تقرأونها
 من التوراة والتلاوة القراءة وهي المراد هنا واصلا لا تنبأ افلا تعقلون استغفارهم
 لا انكار عليهم والتقرير لهم وهو اشد من الاول واشد ولشد ما قرع الله في هذا الموضع
 من يامس بالخير ولا يفعله من العلماء الذين هم غير عاملين بالعلم فاستنكر عليهم اولا امرهم
 للناس بالبر مع نسيان انفسهم من ذلك الامر الذي قاموا به في الجامع ونادوا به في المجالس
 ايها ما للناس بانهم مبلغون عن الله ما تحلوه من حجة ومبينون لعباده ما امرهم ببيانته معي
 الى خلقه ما استودعهم واتمهم عليه وهم اترك الناس لذلك وابعدهم من نفعه وازهدهم
 فيه ثم ربط هذه الجملة بجملة اخرى جعلها مبينة لحالهم وكاشفة لعوارضهم وهاتكة لاستنار
 وهي انهم فعلوا هذه القطعة الشنيعة والحصول الفضيحة على علم منهم ومعرفة بالكتاب الذي

انزل عليهم وملائمة لتلاوته وهم في ذلك كما قال المعري هـ وانما حمل التوراة قارئها
كسبا لفوائدها حب التلاوات ثم انتقل معهم من تقرير الى تقرير ومن توبيخ الى توبيخ فقال
انكم لو لم تكونوا من اهل العلم وحمله الحجة واهل الدراسة لكتب الله لكان حجر دكونكم ممن
يعقل حائلا بينكم وبين ذلك زائد الكرم عنه زاجر الكرم منه فكيف اهلتم ما يقتضيه العقل
بعد اهل الكرم لما يوجب العلم والعقل في اصل اللغة المنع ومنه عقاال البعير لانه يمنعه عن
الحركة ومنه العقل في الدية لانه يمنع الولي عن قتل الجاني والعقل يقبض الجمل ويصير
ما في الآية هنا كما هو اصل معنى العقل عند اهل اللغة اي افلا تمنعون انفسكم من مواقف
هذه الحال المزينة ويصير ان يكون معنى الآية افلا تنظرون بعقولكم التي رزقكم الله اياها
حيث لم تنفعوا بما لديكم من العلم والعقل قوة تهيي قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيدة
الانسان بتلك القوة العقل واخرج احمد وابن ابي شيبة وعبد بن حميد والبخاري وابن
وابن ابي حاتم وابو نعيم في الحلية وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي رجلا تقرض شفاهاهم بمقاريض من نار كلما قرضت رجعت
فقلت جبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء من امتك كانوا يأمرون الناس بالبر وينبسون
انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون وثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتدلق به اقبابه
فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان مالك ما اصابك
الم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت امركم بالمعروف ولا اتية وانها كره
عن المنكر واتية وفي الباب احاديث معناها جميعا ان يطلع قوم من اهل الجنة على قوم
من اهل النار فيقولون لهم بما دخلتم النار وانما دخلنا الجنة بتعليمكم قالوا انا كنا نأمركم و
لا نفعل واخرج الطبراني والخطيب في الاقتضاء ولا صبهاني في الترغيب بسند جيد عن
جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كمثل السراج يضيئ للناس ويحرق نفسه واستعينوا بالصبر والصلوة قيل للحاجب
بهذا هم المؤمنون وقيل اليهود لما عافهم عن الايمان الشره وحبا لرياسة قاهر واما الصبر

وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلوة لانها قوت الخشوع وتنفي الكبر وافرد الصلوة
بالذكر تعظيماً لثباتها والمعنى استعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البهائم
وقيل على طلب الاخيرة بالصبر والصبر في اللغة الحبس والمراد هنا استعينوا بحبس انفسكم
عن الشهوات وقصرها على الطاعات على دفع ما يرد عليكم من المكروهات وقيل الصبر
هنا هو خاص بالصبر على تكليف الصلوة واداء الفرائض واستدل هذا القائل بقوله
تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وليس في هذا الصبر الخاص بهذه الآية ما
ينفي ما يفيد الالف واللام الداخلة على الصبر من الشمول كما ان المراد بالصلوة هنا
جميع ما يصدق عليه الصلوة الشرعية من غير فرق بين فريضة ونافلة وكان رسول الله صلى
اذاخره امر فرغ الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعى له اخوة قثم وهو في سفر فاسترجع ثم
تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا
بالصبر والصلوة وقد وردت احاديث كثيرة في مدح الصبر والترغيب فيه والجزاء للصائرين
ولم يذكرها ههنا لانها ليست بخاصة بهذه الآية بل هي واردة في مطلق الصبر وقد ذكر
السيوطي في الدر المنثور ههنا منها شطر أصحا وفي الكتاب العزيز من الثناء على ذلك
والترغيب فيه الكثير الطيب واخرج احمد وابوداود وابن جرير عن حذيفة قال كان رسول
الله صلى اذاخره امر فرغ الى الصلوة واخرج احمد والنسائي وابن جابر عن صهيب عن
النبي صلى قال كانوا يعنى الانبياء يفرعون اذا فرغوا الى الصلوة وعن ابن عباس انه كان في
مسيره فنعى اليه ابن له فنزل فصلى ركعتين ثم استرجع فقال فعلنا كما أمرنا الله تعالى و
استعينوا بالصبر والصلوة وقد روي نحوه ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين واختلف
المفسرون في مرجع الضمير في قوله ولانها لكبير فقليل انه راجع الى الصلوة وان كان المتقدم
هو الصبر والصلوة فقد يجوز ارجاع الضمير الى احد الامرين المتقدم ذكرهما كما قال تعالى
وابه ورسوله احق ان يرضى اذا كان احدهما داخلا تحت الاخر يوجه من الوجوه وقيل انه
عائد الى الصلوة من دون اعتبار دخول الصبر تحتها لان الصبر هو عليها كما قيل سابقا و
قيل ان الضمير راجع الى الصلوة وان كان الصبر مراداً منها لكن لما كان اكداً واعم تكليفاً واكثر

ثوابا كانت الكناية بالصبر عنهما ومنه قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
 في سبيل الله كذا قيل وقيل ان الضمير راجع الى الاشياء المكتنزة ومثل ذلك قوله واذا راوا تجارة
 او لهوا انفقوا اليها فارجع الضمير هنا الى الفضة والتجارة لما كانت الفضة اعم نفعا واكثر
 وجودا والتجارة هي الحاملة على الانقضاء والفرق بين هذا الوجه والوجه الاول ان الصبر
 هناك جعل داخل تحت الصلوة وهناك لم يكن داخل وان كان مرادا وقيل ان المراد الصبر
 الصلوة ولكن ارجع الضمير الى احدهما استغناء به عن الآخر ومنه قوله تعالى وجعلنا ابن مريم
 وأمة اية اي ابن مريم اية وامه اية وقيل يرجع الضمير اليهما بعدتا وياهما بالعبادة وقيل
 يرجع الى المصدر المفهوم من قوله واستعينوا وهو الاستعانة وقيل يرجع الى جميع الامور
 التي نهى عنها بنو اسرائيل والاول هو الظاهر الجاري على قاعدة كون الضمير للاقرب والكثير
 التي يكبر امرها ويتعظم شأنها على حاملها لما يجد عند تحملها والقيام بها من المشقة ومنه
 كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الاستثناء مفرغ وشرطه ان يسبق بنفي فيقول الكلام هنا
 بالنفي اي انها لا تخف ولا تسهل الا على الخاشعين يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل
 الطمعين المتواضعين لله والخاشع هو المتواضع قال في الكشاف الخشوع هو الهجاءات و
 التطامن واما الخشوع فاللين والانتقاد انتهى وقال الزجاج الخاشع الذي يرى اثر الدال والخشوع
 عليه وخشعت الاصوات اي سكنت وخشع بصره اذا غضبه وقال سفيان الثوري سألت
 الاعمش عن الخشوع فقال يا ثوري انت تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع
 باكل الخشن ولبس الخشن وتطاطى الرأس لكن الخشوع ان ترى الشريع والدني في الحق سواء ق
 تخشع لله في كل فرض افترض عليك انتهى وما احسن ما قاله بعض المحققين في بيان ملكيته
 انه هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع واستئثار سبجائه الخاشعين مع كونهم
 باعتبار استعمال جوارحهم في الصلوة وملازمة متهم لوطائف الخشوع الذي هو روح الصلوة
 واتعا بهم لانفسهم تعابا عظيما في الاسباب الموجبة للخشوع والخشوع لانهم ما يعلمونه من
 تضاعف الاجر وتقدير الجزاء والظفر بما وعد الله به من عظيم الثواب تسهل عليهم تلك المتاعب
 ويتذلل لهم ما يركبونه من المصاعب بل يصير ذلك لذلة لهم خالصة وراحة عند محضتهم

الَّذِينَ يَطْمَئِنُّونَ أَيِ يَسْتَيْقِنُونَ وَقِيلَ يَعْلَمُونَ وَالظَّنُّ هُنَا عِنْدَ الْجُمْهُورِ بِمَعْنَى لَيَقِينُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ وَقَوْلُهُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَقِيلَ إِنَّ الظَّنَّ فِي الْآيَةِ عَلَى
بَابِهِ وَيُضْمَرُ فِي الْكَلَامِ بَيْنَ نَوْبِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ تَوَقَّعُوا الْقَاءَ مَذْنِبِينَ ذِكْرَهُ الْمَاوَرِدِي وَالْأَوَّلُ وَلِ
وَأَصْلُ الظَّنِّ الشَّكُّ مَعَ الْمِيلِ إِلَى أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ وَقَدْ يَقَعُ مَوْقِعُ الْيَقِينِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهَا هَذِهِ
الْآيَةُ وَمَعْنَى أَكْثَرُكُمْ مُلَا قُوَّارٍ بِأَكْثَرِكُمْ مُلَا قَوَاجِزًا هِذَا الْمَفَاعَلَةُ هُنَا لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا وَلَا أَرَى فِي
حَمَلِهِ عَلَى أَصْلِ مَعْنَاهُ مِنْ دُونَ تَقْدِيرِ الْمَضَافِ بِسَاءِ أَيِ يَوْقِنُونَ أَنَّهُمْ يَرُونَهُ فِي هَذَا مَعَ مَا بَعْدَهُ
مِنْ قَوْلِهِ وَأَتَّخِذُكُمْ إِلَهُاتٍ رَاجِعُونَ أَقْرَارًا بِالْبَعْثِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى
ثَبُوتِ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا كُنَّا
ذَلِكَ سِبْخًا نَهْ تَوْكِيدًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَتَحْذِيرًا لَهُمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّيْهِ ثُمَّ قَرَنَهُ بِالْوَعِيدِ وَهُوَ
قَوْلُهُ وَاتَّقُوا يَوْمًا قِيلَ الْمُرَادُ بِالنِّعْمَةِ أَيَادِي اللَّهِ عِنْدَهُمْ وَإِيَّامُهُ قَالَهُ سَفِيَّانُ بْنُ عَمِينٍ عَنْ
بِجَاهِهَا الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِيمَا سَمِيَ وَفِيمَا سَوِيَ ذَلِكَ فَجَرَّ لَهُمُ الْحُجْرَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَ
وَالسَّلَوى وَانْجَاهَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَاتِلَى هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ مَضَى
الْقَوْمُ وَنَأْمَا يَعْنِي نَمَّ وَأَيُّ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ يَعْنِي عَلَى عَالَمِي مَا نَكُرُ فَلَا يَتَنَاوَلُ مِنْ مَضَى
وَلَا مِنْ يَوْجَدُ بَعْدَهُمْ وَهَذَا التَّفْضِيلُ وَإِنْ كَانَ فِي حَقِّ الْأَبَاءِ وَلَكِنْ يَحْصُلُ بِهِ الشَّرَفُ لِلْأَنْبِيَاءِ
قِيلَ الْمُرَادُ بِالْعَالَمِينَ عَالَمُ زَمَانِهِمْ وَقِيلَ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ بِمَا جَعَلَ فِيهِمْ الْأَنْبِيَاءَ وَقَالَ فِي الْكَشَافِ
عَلَى الْجَمْعِ الْغَفِيرِ مِنَ النَّاسِ كَقَوْلِهِ بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ يُقَالُ آيَةُ عَالَمًا مِنَ النَّاسِ يَرَادُ الْكَثَرَةُ
انْتَهَى قَالَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَهَذَا أَوْضَعُ لَأَنَّ لَفْظَ الْعَالَمِ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعِلْمِ وَهُوَ الدَّلِيلُ وَكُلُّ مَا كَانَ دَلِيلًا
عَلَى اللَّهِ كَانَ عِلْمًا وَكَانَ مِنَ الْعَالَمِ وَهَذَا التَّحْقِيقُ قَوْلُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْعَالَمُ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ عَلَى
هَذَا إِمَّا يُمْكِنُ تَخْصِصُ لَفْظِ الْعَالَمِ بِبَعْضِ الْحَدِّثَاتِ انْتَهَى قَوْلُ هَذَا الْأَعْتَاضِ سَاقِطًا مَا أَذْكَرُ
اشْتِقَاقَهُ مِنَ الْعِلْمِ لِأَبْرَهَانَ عَلَيْهِ وَآمَنَّا أَنَا قُلُوبُنَا صَحَّةُ هَذَا الْأَشْتِقَاقِ كَانَ الْمَعْنَى مَوْجُودًا
بِمَا يَحْتَصِلُ مَعَهُ مَفْهُومُ الدَّلِيلِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي يَصْحُحُ إِطْلَاقُ اسْمِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ وَهُوَ كَأَنَّ فِي كُلِّ فَرْدٍ
مِنْ أَفْرَادِ الْخَلْقِ قَاتِ الَّتِي يَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْخَالِقِ وَغَايَتُهُ أَنْ يَجْعَلَ الْعَالَمَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونُوا مَفْضُلِينَ
عَلَى أَفْرَادٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْحَدِّثَاتِ أَمَّا أَنَّهُمْ مَفْضُلُونَ عَلَى كُلِّ الْحَدِّثَاتِ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَلَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَفِيدُ هَذَا

بجاء

ولا في شفا قد ما يدل عليه واما من جعل العالم اهل العصر فغايتته ان يكونوا مفضلين على اهل عصر
لا على اهل كل عصر فلا يستلزم ذلك تفضيلهم على اهل العصر الذين فيهم نبينا صلوا
لا على ما بعده من العصور ومثل هذا الكلام ينبغي استحضاره عند تفسير قوله تعالى واتاكم
ما لم يثبت احدا من العالمين وعند قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وعند قوله
تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا والى ابراهيم وال عمران على العالمين فان قيل ان التعريف في
العالمين يدل على شموله لكل عالم قلت لو كان الامر هكذا لم يكن ذلك مستلزما لكونهم
افضل من امم محمد صلوا لقوله تعالى كنتم خيرا مة اخرجت للناس فان هذه الآية ونحوها
تكون مخصصة لتلك الايات وانفقوا يوم ابي واخشوا عذاب يوم امي معناه الوعيد والرد
باليوم يوم القيمة اي عذابه لا يخزي لا تكفي ولا تقضي نفس عن نفس شيئا يعني حقان معهما و
قيل معناه لا ثوب نفس عن نفس يوم القيمة ولا ترد عنها شيئا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه
وامه وابيه والنفس الاولى هي المؤمنة والثانية هي الكافرة ومعنى التذكير التحقير اي شيئا
يسير احقيرا ولا يقبل منها شفاعته اي في ذلك اليوم وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا ابا عنا
فرد الله عليهم ذلك وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه والشفاعة
ماخوذة من الشفع وهو الاثنان تقول استشفعتني اي سألته ان يشفع لي اي يضم جاهه
الي جاهك عند المشفوع اليه ليصل النفع الى المشفوع له وضمير منها يرجع الى النفس المذكورة
ثانيا اي ان جاءت بشفاعة شفيع ويجوز ان يرجع الى النفس المذكورة اولا اي اذا شفعت لم يقبل
منها ولا يؤخذ منها عدل اي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء والعدل بفتح العين القل
وبكسرهما المثل وقيل بالفتح المساواة الشيء قيمة وقد راو بالكسر المساوي له في جنسه وجرمه و
اما العدل واحد الا عدال فهو بالكسر لا غير قاله السمين والضمير يرجع الى النفوس المدلول
عليها بالانكارة في سياق النفي والنفس تذكر وتوثق والمعنى كما قال السدي لا تغني نفس مؤمنة
عن نفس كافرة من المنفعة شيئا ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب والنصر
العون والانصار لا عوان ومنه من انصاري الى الله والنصر ايضا الانتقام يقال انتصر زيد
لنفسه من خصمه اي انتقم منه لها والنصر ايضا الاثيان يقال نصر فلان اي اتيتها

وَاذْكُرُوا الْفِرْعَوْنَ اَي وَاذْكُرُوا اِذْ خَلَصْنَا اَسْلَافَكُمْ وَاَجِدَاكُمْ فَاَعْتَدَ نَعْمَةً
 وَمِنَ عَلَيْهِمْ لَا تَمُوتُ فَتُجَاوِزُ اسْمُ الْفِرْعَوْنِ وَهَذَا شَرْعٌ فِي تَفْصِيلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفَصَلَتْ بِعَشْرَةِ
 اَمْوَالٍ تَقْتَضِي بِقَوْلِهِ وَاِذَا اسْتَسْقَى مُوسَى وَالنَّجَافَةُ النُّجُودُ مِنَ الْاَرْضِ وَهِيَ مَا اُرْتَفَعَ مِنْهَا تَمَسِّي
 كُلِّ فَاَزْرٍ وَخَارِجٍ مِنْ خَبِيقٍ اِلَى سَعَةِ نَاجِيَا وَان لَمْ يَلْقَ عَلَى نُجُودٍ وَالْاَلْ فِرْعَوْنُ قَوْمِهِ وَالْاَلْ يَضُكُّ
 اِلَى ذِي الْخَطَرِ وَلَا يَضُفُّ اِلَى الْبِلْدَانِ فَلَا يُقَالُ مِنْ اِلَ الْمَدِينَةِ وَجُودُهُ الْاَخْفَشُ وَخَلَفُوا
 هَلْ يَضُفُّ اِلَى الْمَضْرَامِ لَا فَنَعَهُ قَوْمٌ وَسَوْفَهُ الْاُخْرُونَ وَهُوَ الْحَقُّ وَفِرْعَوْنُ قِيلَ هُوَ اسْمُ ذَلِكَ
 الْمَلِكِ بَعِيْنُهُ وَقِيلَ اِنَّهُ اسْمُ كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مَلِكِ الْعِمَالِقَةِ اَوْ لَدَعَمَلِيْقٍ بَنِ لَادِ وَبَنِ اَرْمَرِ
 بَنِ سَامِ بَنِ نُوحٍ كَمَا يَسْمَى مِنْ مَلِكِ الْفَرَسِ كَسَرَى وَمِنْ مَلِكِ الرُّومِ قَيْصَرٌ وَمِنْ مَلِكِ
 الْحَبَشَةِ الْفَجَاشِي وَقِيلَ فِرْعَوْنُ اسْمٌ عَلِمَ مَنْ كَانَ يَمْلِكُ مِصْرَ مِنَ الْقِبْطِ وَالْعِمَالِقِ وَاسْمُ فِرْعَوْنِ
 سُوْسَى الْمَذْكُورُ هُنَا قَابُوسٌ فِي قَوْلِ اَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ وَهَبُ اسْمُ الْوَلِيدِ بَنِ مَصْعَبِ
 بَنِ الرَّبَاطِ وَعَمْرًا كَثْرًا مِنْ اَرْبَعِ مِائَةِ سَنَةٍ وَعَاشَ مُوسَى مِائَةً وَعَشْرِينَ سَنَةً قَالَ السَّعُودِيُّ
 لَا يَعْرِفُ لِفِرْعَوْنِ تَفْسِيرٌ بِالْعَرَبِيَّةِ وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ اِنْ كُلَّ عَاتٍ يُقَالُ لَهُ فِرْعَوْنٌ وَقَدْ تَقَرَّرَ
 وَهُوَ ذُو فِرْعَنَةِ اَي دِهَاءٍ وَمَكْرٍ وَقَالَ فِي الْكُشَافِ تَفَرَّعَ عَنْ فُلَانٍ اِذَا عَنِيَ تَجَبُّوْنِ لِيَوْمِ نَكْمٍ
 اَي يَكْلِفُوْكُمْ وَيُوَلُّوْكُمْ قَالَهُ ابُو عُبَيْدَةَ وَقِيلَ يَنْ وَقُوْكُمْ وَيَلْزَمُوْكُمْ اَيَاةً وَاَصْلُ السُّوْسَى
 الدَّوَامُ وَمِنْهُ سَائِمَةُ الْغَنَمِ لِمَا وَصَّيَّهَا الرِّعْيُ وَفِي الْكُشَافِ اَصْلُهُ مِنْ سَامِ السَّلْعَةِ اِذَا
 كَانَ بِهَ بِمَعْنَى يَلْبِغُوْكُمْ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيُرِيدُ وَنَكْمَةٍ عَلَيْهِ اَنْتَهَى سُوءُ الْعَذَابِ اَي اَشْدُّهُ
 وَاَسْوَهُهُ وَاَنْظَعُهُ وَاِنْ كَانَ كَلَامٌ سَيِّئًا وَالسُّوْسَى كُلُّ مَا يَغْمُ الْاِنْسَانُ مِنْ اَمْرِ دُنْيَوِيٍّ وَآخِرِيٍّ
 يَذْجُوْنَ اَبْنَاءُكُمْ وَيُسْتَحْيُوْنَ نِسَاءَكُمْ الَّذِي فِي الْاَصْلِ الشَّقُّ وَهُوَ فَرِي اِدْوَاغِ الْمَذْبُوحِ
 قِيلَ ذُجُوْصُهُمْ اِثْنَيْ عَشَرَ الْفَا وَقِيلَ سَبْعِينَ الْفَا وَهَلْ نِسَاءٌ جَمَعَ نِسْوَةٌ اَوْ جَمَعَ اِمْرَاةً مِنْ
 حَيْثُ الْمَعْنَى قَوْلَانِ وَالْمَرَادُ يَتْرَكُوْنَ نِسَاءَكُمْ اَحْيَاءَ لِيَسْتَحْيُوْهُنَّ وَيَتَمَتَّعُوْهُنَّ وَانَّمَا اَمْرٌ يَذْجُوْ
 الْاَبْنَاءُ وَاسْتَحْيَاءُ النِّسَاءِ لِاَنَّ الْكَهْمَةَ اخْبَرَهُ بِاَنَّهُ يُوْلَدُ مَوْلُوْدٌ يَكُوْنُ هَلَاكُهُ عَلَى يَدَيْهِ وَ
 عَبَّرَ عَنِ الْبِنَاتِ بِاسْمِ النِّسَاءِ لِاَنَّهُ جَنْسٌ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ اِنَّهُ اَمْرٌ يَذْجُوْ الرِّجَالَ
 وَاسْتَدْلُّوا بِقَوْلِهِ نِسَاءَكُمْ وَالْاَوَّلُ اَصْحَرُ بِشَهَادَةِ السَّبَبِ وَلَا يَخْفَى مَا فِي قَتْلِ الْاَبْنَاءِ وَاسْتَحْيَاءِ

البنات للخدمة ونحوها من انزال الذل بهم والصاق الامانة الشديدة بجميعهم لما
في ذلك من العار والاشارة بقوله وفي ذلكم الى جملة الامم من الانحاء والذبح قاله ابن
عطية بلاءكم من ربكم عظيم اي اختبار وامتحان والبلاء يطلق تارة على الخير وتارة
على الشرفان ايدي به هنا الشراكات لاشارة الى ما حل بهم من النعمة بالذبح ونحوه وان
ايدي به الخير كانت لاشارة الى النعمة التي انعم الله عليهم بالانحاء وما هو من كون قبلة من
تغضياهم على العالمين وقد اختلف السلف ومن بعدهم في مرجع الاشارة فخرج الجمهور
الاول ورجح الآخرون الآخر قال ابن كيسان ابلاؤه وبلاءه في الخير والشر وقيل الاكثر في الخير
البلية وفي الشر بلوته وفي الاختيار ابتليته وبلوته قاله النحاس ولا فرقناكم بالبحر
اي فلقنا واصل الفلق الفرق والفصل ومنه فرق الشعر ومنه وقرنا فرقا اي فصلناه
والباء في بكم بمعنى اللام او السببية والمراد ان فرق البحر كان بسبب دخولهم فيه لما صاروا
بين المائتين صلا الفرق بهم واصل البحر في اللغة الاتساع اطلق على البحر الذي هو مقابل
البر لما فيه من الاتساع بالنسبة الى النهر والخليج ويطلق على الماء المالح وقال السيوطي
في معجم الاقتران البحر هو القلزم وكنته ابو خالد كما روي عن قيس بن عباد قال ابن عسكرك
كانه كني بذلك لطول بقائه وروى ابو يعلى بسند ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلق البحر
لبني اسرائيل يوم عاشوراء انتهى فاجئناكم اي اخرجناكم منه واخرجناكم الى فرعون
فيه ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله عز وجل والمراد ابلا
فرعون هنا هو وقومه واتباعه والفرق الرسوب في الماء والتجذبه عن المداخلة في الشيء
تقول غرق فلان في اللهو فهو غرق قاله السمين وانتم تنظرون يعني الى اهلاكهم
وقيل الى مصارعهم اي حال كونكم ناظرين اليهم بابصاركم والمعنى ينظر بعضهم الى
بعض اخر من السالكين في البحر وقيل نظر والى انفسهم ينحون والى ال فرعون يغرقون قيل
ان البحر قد فهم حتى نظرو اليهم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس قال
قدم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء
فقال ما هذا اليوم قالوا هذا يوم صامكم الله فيه بني اسرائيل من عدوهم فصام موسى

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق بموسى منكم فصامه وامر بصومه واذا واعدنا قراءة الحمد
واعدنا قال الفخاس وهي اجود واحسن وليس هو من الوعد والوعيد في شيء وانما هو من
باب الموافقة يعني من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعدا
بجعي الميعات وموسى اسم اعجمي عبري معرب غير منصرف فموسى بالعبرية الماء والشجر سمي موسى
لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سين فسمى موسى اربعين ليلة قال الزجاج
تمام اربعين ليلة وهي عند اكثرا المفسرين ثلثون من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة
وبه قال ابو العالية وانما خص الليالي بالذكر دون الايام لانها غر الشهوة ولان الليلة سبق
من اليوم فهي قبله في الرتبة وقيل لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة
اقد من الضوء والمعاني متقاربة ثم اخذوا العجل اي جعلتم العجل الها قال الحسن البصري
كان اسم عجل بني اسرائيل الذي عبده يسمون وقيل يهوت من بعد اي بعد مضى
موسى الى الطور وقد ذكر بعض المفسرين انهم عدوا وعشرين يوما وعشرين ليلة وقالوا
قد اختلف موعده فالتخذوا العجل وهذا غير بعيد منهم فقد كانوا يسلكون طرايق من
التعنّت خارجة عن قوانين العقل مخالفة لما يخاطبون به بل ويشاهدونه بابصارهم
فلا يقال كيف يعدون الايام والليالي على تلك الصفة وقد صرح لهم في الوعد بانها
اربعون ليلة والمعنى من بعد عباد تكلم العجل وسمي العجل عجلا لاستعجالهم عبادته كذا
قيل وليس بشيء لان العرب تطلق هذا الاسم على ولد البقر وقد كان جعله لهم السام
على صورة العجل وانتم ظالمون اي وانتم ضالون لانفسكم بالمعصية حيث وضعت
العبادة في غير موضعها وقيل انما سماهم ظالمين لانهم اشركوا بالله وخالفوا موعده بغيرهم
قيل والذين عبده منهم ثمانية آلاف وقيل كلهم الا هارون مع اثني عشر الفا وهذا
ثم عفووا عنكم اي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم والعفو محو ان يكون بعد العقوبة والغفران لا
يكون معها وهذا هو الفرق بينهما وهو من الاضداد يقال عفت الريح الاثر اي اذهبت
وعفا الشيء اي كثر ومنه حتى عفووا عن بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكروا
ما انعم الله به عليكم من العفو عن ذنوبكم العظيم الذي وقعتم فيه وتستمرون بعد ذلك على الطاعة

واصل الشكر في اللغة الظهور قال الجوهري الشكر الثناء على المحسن بما أولاك من المعروف يقال شكرته
 وشكرت له وبالإلام أفصح والشكران خلاف الكفران وإذا تينا موسى الكتاب والفرقان الكتاب
 التوراة بألجام من المفسرين واختلفوا في الفرقان فقال الفراء وقطر بن المعنى تينا موسى التوراة ومحمد
 الفرقان وقد قيل إن هذا غلط وقعهما فيه إن الفرقان مختص بالقرآن وليس كذلك فقد قال تعالى
 ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان قال الزجاج إن الفرقان هو الكتاب عبيد ذكره تأكيداً وقيل إن الجواب
 صلة وهي قد نزلت في النعوت وقيل إن المعنى خلك المنزل جامع بين كونك نبياً وفارقاً بين الحق والباطل
 وهو كقول التينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن تفصيلاً لكل شيء وقيل الفرقان الفرق بينهما وبين
 قوم فرعون أخيه هؤلاء واغرق هؤلاء وقال ابن زيد الفرقان انفرق البحر والشرح الفارق بين الحلال
 والحرام وقيل الفرقان الفرج من الكرب النصير وقيل إنه الحجة والبيان بالآيات التي أعطاه الله من العصا واليد
 وغيرها وهذا أولى وأصح ويكون العطف على بابه كأنه قال آتينا موسى التوراة والآيات التي أرسلناه بها معجزة
 له لعلكم تتقون يعني بالتوراة أي لكي تحسدوا للتدبير والتفكير والعمل ولا اعتقاد بما يهوي إذ قال
 موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل والقوم يطلق تارة على الرجال دون النساء ومنه قوله
 تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء ومنه ولو طأذ قال لقومه أراد الرجال
 وقد يطلق على الجميع كقوله تعالى نأرسلنا نوحاً إلى قومه وأمرنا نوحاً بالقوم عبدة العجل وهذا
 شريع في بيان كيفية العقوب القوم ليس له واحد من لفظه ومفردة رجل يقوم لكم وظلتم
 أنفسكم بل تقادحكم العجل يعني لها تعبدونه فكأنهم قالوا ما نضع فقال فتوبوا إلى باريكم
 أي ارجعوا إلى خالقكم واغرموا وصموا بالتوبة والباري الخالق وقيل الباري هو المبدع الخالق
 والخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال وفي ذكر الباري هنا إشارة إلى عظيم مجرمهم أي فتوبوا
 إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره وأصل التركيب خلوص الشيء عن غيره أما على سبيل
 التفصيل كبرى المرضى من مرضه والمديون من دينه أو إنشاء كبراً الله آدم من الطين
 فاقبلوا أنفسكم أي جعلوا القتل متعقباً للتوبة تماماً لها قال القرطبي وجمعوا على أنه لم يرد
 واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده قيل قاموا صفين وقتل بعضهم بعضاً وقيل وقف
 الذين عبدوا العجل ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلهم فتاب الله على الباقين منهم

عن ابن عباس قال امر موسى قومه عن امر ربهم ان يقتلوا انفسهم واحتبى الذين عكفوا
على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا فاخذوا الخناجر بايديهم واصابوهم ظلمة شديدة
فجعل يقتل بعضهم بعضا فانجلى الظلمة عنهم عن سبعين الف قتيل كل من قتل منهم كانت
له ثوبة وكل من بقي كانت له ثوبة وعن علي قال قال موسى ما توبتنا قال يقتل بعضهم
بعضا فاخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل اخاه واباه وابنة لا يبالي من قتل حتى قتل منهم
سبعون الفا فوحى الله الى موسى مرهم فلا يرفعوا ايديهم وقد غفر من قتل وتيب على من بقي
ذلك يعني هذا القتل وتخل هذه الشدة خير لكم لان الموت لا بد منه عند بارئكم من حيث
انه طهره من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السعيدة فتأب عليكم كما فعلتم ما امر
به فتجاوز عنكم وهذه الفاء التفسير وفاء التفصيل وهذا من كلام الله تعالى خاطبهم به على
طريق الالتفات من التكلم الذي يقتضيه السياق الى الغيبة وقيل انه من جملة كلام موسى
لقومه والاول اولى اياته هو الثواب اي لرجاع بالمغفرة القابل للتوبة البالغ في قبولها منهم
الرجيد بخلقه واذا قلتم يا موسى كن تؤمن لك اي لصدقك بان ما سمعته كلام الله حتى ترضى
الله حمزة اي عيانا ظاهر السياق ان القائلين بهذه المقالة هم قوم ممن قتل هم السبعون الذين
اخترهم من لرعبد والعجل وذلك لانهم لما سمعوا كلام الله قالوا له بعد ذلك هذه
المقالة معتذرين عن عبادة اصحابهم العجل فخرج بهم موسى وقيل عشرة الاف من قومه
والن من به واجهرة استعيرت للمعاينة واصليها الظهور فاخذ ثمر الصاعقة لفرط العناد
والتعنت وطلب المستحيل قيل هي الموت وفيه ضعف وقيل سبب الموت اختلفوا في ذلك
السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل
جموعا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخر واصعقوا ميتين يوما وليلة والاول اولى المراد
باخذ الصاعقة اصابتها اياهم وسيأتي في الاعراف انهم ما توبوا بالرجفة اي الزلزلة
ويمكن الجمع بانه حصل لهم الجميع وقيل المراد بالصاعقة الموت واستدل عليه بقوله
الاتي ثوبتناكم بعد موتكم ولا موجب للمصير الى هذا التفسير لان المصعوق قد يموت كما في
هذه الآية وقد يغشى عليه ثوبه فيق كفا في قوله تعالى وخر موسى صعقا فلما افاق وما يوجب

بعد ذلك قوله وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ فانها لو كانت الصاعقة عبارة عن الموت لم يكن لهذه
الجملة كثير معنى بل قد يقال انه لا يصح ان ينظر للموت النازل بهم الا ان يكون المراد ينظر
الاسباب المؤثرة للموت قيل انهم نظر في اوائل الصاعقة النازلة بهم الواقعة عليهم لا
اخرها الذي ما تراءى عنده والمعنى ينظر بعضهم الى بعض كيف ياخذ الموت وكيف يحيى
وانما عوقبوا باخذ الصاعقة لهم لانهم طلبوا ما لم ياذن به الله من دونه في الدنيا
ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ المراد بذلك الاحياء لهم لوقوعه بعد الموت فبعثوا بعد
الموت ليستقروا الجاهلهم قاله انس ولما انهم كانوا قد ماتوا لا تقضاء اجالهم لم يبعثوا
الى يوم القيامة واصل البعث الاشارة للشيء من محله وقد تكون عن اغماء ونوم ولهذا
فقد البعث بالموت وقد ذهبت المعتزلة ومن تابعهم الى نكار الرؤية في الدنيا والاخرة
وذهب من عداهم الى جوازها في الدنيا والاخرة لوقوعها في الاخرة وقد تواترت الاحاديث
الصحيحة بان العباد يرون ربهم في الاخرة وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف ان يتمسك
في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة وزعموا ان العقل قد
حكم بها دعواي مبينة على شفا جرف هار وقواعد لا يغتر بها الا لمن يحفظ من العلم النافع
بنصيب وسياتيك بيان ما تمسكوا به من ادلة القرآنية وكلها خارج عن محل النزاع
بعيد من موضع الحجة وليس هذا موضع المقال في هذه المسئلة وقد استوعب الحافظ ابن
القيم الكلام عليها في كتابه حادي الارواح بما يشفي العليل ويروي الغليل فليرجع اليه
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ انما منا بذلك الذي بالبعث بعد الموت قاله ابو السعود او ما كثر قوله
قاله البيضاوي وَوَهَبْنَا لَكُمْ الْغَمَامَ أي جعلناه كالظلة والغمام جمع غمامة قاله
الاخفش قال الضراء وهو زعماء قال ابن عباس غمام ابرد من هذا واطيب هو الذي يأتي
الله فيه يوم القيمة وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر وكان معهم في التيه وقال قتادة
كان هذا الغمام في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس جعل لهم عموح من نور يضيئ لهم
بالليل اذ لم يكن قمر والتيه واد بين الشام والمصر وقدره تسعة فاستخ مكنوا فيه اربعين سنة
مخبرين لا يهتدون الى الخروج وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ يعني في التيه قال قتادة

اطعمهم ذلك حين برزوا إلى البرية فكان المن يسقط عليهم في محلهم من طلوع
 الفجر إلى طلوع الشمس سقوط الثلج اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيأخذ الرجل قدرا
 ما يكفيه يومه ذلك فان تعدى ذلك فسد ما يبقه عنده حتى اذا كان يوم سادسه يوم
 جمعة اخذ ما يكفيه ليوم سلكه ويوم سابعه فيبقى عنده لانه كان يوم عيد لا يشخص فيه
 لاصرا لمعيشة ولا لطلبه شي وهذا كله في البرية وقد ذكر المفسرون ان هذا جرى في
 التيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقالوا لموسى اذهب انت
 وبربك فقاتلا وسيأتي بسطه في سورة المائدة وكان عدد الذين تاهوا ستائة الف واما
 كلهم في التيه الا من لم يبلغ العشرين ومات فيه موسى وهارون وكان يتوفى بعد هارون سنة
 والمن قيل هو التريخيين وحلى هذا اكثر المفسرين وهو طل ينزل من السماء على شجر او حجر ويحلو
 ينعقد عسلا ويجف جفا والصمغ ذكر معناه في القاموس وقيل المن العسل وقيل شراب حلوقيل
 خبز الرقاق قاله وهب قيل هو مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب لا زرع
 ومنه ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكهنة من المن الذين
 انزل على موسى وقد ثبت مثله من حديث ابى هريرة عند احمد والترمذي ومن حديث جابر
 وابى سعيد وابن عباس عند النسائي وقد قالوا يا موسى قد قتلنا المن بجلاوته فادع لنا
 ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلاوي قيل هو السمان في كجاش طائر ينجد فينا كما
 بيعتهما عليهم الجنوب قال ابن عطية السلوى طائر باجماع المفسرين قال القرطبي ما ادعاهم بالاجام
 لا يصح وقد قال المورج احد علماء اللغة والتفسير انه العسل وبه قال الجوهري وقال ابن جني السلوى
 طائر يشبه السماء في خاصيته ان اكل لحمه يلين القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت الرحمة كما
 ان الخطاف يقتله البرد فيلهم الله تعالى ان يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى
 انقضاء اوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض قال الاخفش السلاوي لا واحد له
 من لفظه مثل اخير والشر وهو يشبه ان يكون واحدة سلوى وقال الخليل واحدة سلواة
 وقال الكسائي السلوى واحدة وجمعه سلاوي وقيل هو السمان في بعينه فكان الرجل يأخذ ما
 يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت ^{شيء}

كُلُوا اَيُّ وَقَلْنَا لَهُمْ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ اَيِّ حَلَالَاتٍ اَوْ مُسْتَلَذَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَذْخُرُوا
 لَعْنًا وَمَا تَكْلُوهَا اَيُّ وَمَا يَجْحَدُوا بِهَا وَلَكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلُمُونَ بِأَخَذِهِمُ الْكَرْمَ مَحْدَلَهُمْ
 فَاسْتَحْقُوا بِذَلِكَ عَذَابِي وَقَطَعَ مَادَّةَ الرِّزْقِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِلَامُؤْنَةٍ وَلَا تَعِبٍ فِي الدُّنْيَا
 وَلَا حِسَابٍ فِي الْعَقْبِ فَعَصَوْا وَلَمْ يَقْبَلُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ وَتَقَدَّرَ لَهَا نَفْسٌ بِغَيْدِ الْاِخْتِصَاصِ وَفِيهِ
 ضَرْبٌ نَهَكَمُ بِهِمْ وَالْجَمْعُ بَيْنَ صِغَتِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَمَادِيهِمْ فِي الظُّلْمِ وَاسْتَقْرَارِهِمْ
 عَلَى الْكُفْرِ وَإِذْ قُلْنَا اَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ سَمِيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ
 مَجَازًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ يَحْتَمِلُ الْوُجْهَيْنِ مُشْتَقَّةٌ مِنْ قَرْيَتَيْ جَمْعِهَا لَهَا هَلْ أَقْبُولُ
 قَرْيَتِ الْمَاءِ فِي الْكَوْضِ اَيُّ جَمْعَتُهُ وَاسْمُ ذَلِكَ الْمَاءِ قَرْيٌ بِكسْرِ الْقَافِ قَالَ جَهْوَالُ الْمُفْسِّرِينَ الْقَرْيَةُ
 هِيَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ وَبِهِ قَالَ مَجَاهِدٌ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هِيَ اَرِيحَا قَرْيَةُ الْجَبَّارِينَ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ
 قَرْيَةُ بِالْفُورِ قَرْيَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَجَزْمُ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ بِالْأَوَّلِ وَقِيلَ كَانَ فِيهَا قَوْمٌ مِنْ بَنِي قَيْنَانَ
 عَادَ يُقَالُ لَهُمُ الْعِمَالِقَةُ فَعَلَهُ هَذَا يَكُونُ الْقَائِلُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَتَحَ اَرِيحَا بَعْدَ مَوْتِ
 لَانَ مُوسَى مَا كُنْتُ فِي النَّبِيَّةِ وَعَلَى الْأَوَّلِ الْقَائِلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِيلَ قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيَةِ الشَّامِ
 فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَعْدًا أَمْ رَابِحَةً وَرَعْدًا كَثِيرًا وَاسْعَايَ الْكَلَامُ رَعْدًا وَأَدْخُلُوا
 الْبَابَ الَّذِي أَمْرٌ بِدُخُولِهِ هُوَ بَابٌ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ يَعْرِفُ الْيَوْمَ بِبَابِ حِطَّةٍ وَقِيلَ هُوَ
 بَابُ الْقُبَّةِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّيُ إِلَيْهَا مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَمَنْ قَالَ أَنَّ الْقَرْيَةَ اَرِيحَا قَالَ دَخَلُوا
 مِنْ أَيْ بَابٍ كَانَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَكَانَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ سُجِّدَ أَيْ مَخْنُوعِينَ خُضْعًا مُتَوَاضِعِينَ
 كَالرَّاكِعِ وَلَمْ يَرِدْ بِهِ نَفْسُ السُّجُودِ وَالسُّجُودُ قِيلَ هُوَ هَذَا الْاِخْتِصَاصُ وَقِيلَ التَّوَاضُعُ وَالْخُضُوعُ وَاسْتَدْلُوا
 عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ السُّجُودَ الْحَقِيقِي الَّذِي هُوَ وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ لَامْتَنَعَ الدُّخُولُ
 الْمَأْمُورُ بِهِ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الدُّخُولُ حَالَ السُّجُودِ قَالَ فِي الْكَشَافِ أَنَّهُمْ أَمْرٌ بِالسُّجُودِ عِنْدَ الْاِنْتِهَاءِ
 إِلَى الْبَابِ شُكْرًا لِلَّهِ وَتَوَاضَعًا وَاعْتَرَضَهُ ابُو حِيَّانٍ فِي النَّهْرِ الْمَادَ فَقَالَ لَمْ يُؤْمَرْوَابِ السُّجُودِ بَلْ هُوَ قَيْدٌ
 فِي وَقُوعِ الْمَأْمُورِ بِهِ وَهُوَ الدُّخُولُ وَالْأَحْوَالُ نَسْبُ تَقْيِيدِيَّةٌ وَالْأَوَامِرُ نَسْبُ اسْنَادِيَّةٌ اِنْتَهَى وَجِبَابُ
 عَنْهُ بِأَنَّهُ أَمْرٌ بِالْمَقِيدِ أَمْ بِالْقَيْدِ فَمَنْ قَالَ أَخْرَجَ مُسْرِعًا فَهُوَ أَمْرٌ بِالْخُرُوجِ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فَلَوْ
 خَرَجَ غَيْرَ مُسْرِعٍ كَانَ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ مَخَالَفًا لِلأَمْرِ وَلَا يَنَاقِي هَذَا أَوَّلُ الْأَحْوَالِ نَسْبًا تَقْيِيدِيَّةً

فان اتصافها بكونها اقرب مما مورابها هوشى نرائد على مجرد التقيد وقولوا خطة قيل
 الخطة في الاصل اسم للهيئة من الخط كالجلسة والقعدة وقيل هي التوبة معناه الاستغفار و
 قال ابن فارس في المحل خطة كلمة امروابها قولوها كخطت ونازلهم اي لا يدري معناها قال
 الرازي في تفسيره امرهم بان يقولوا ما يدل على التوبة وذلك لان التوبة صفة القلب لا يطلع
 الغير عليها واذا اشتهر واخذ بالذنب ثم تاب بعدة لزمه ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب
 لان التوبة لا يتم الا به انتهى وكون التوبة لا يتم الا بذلك لا دليل عليه بل مجرد عقد القلب
 عليها يكفي سواء اطلع الناس على ذنبه ام لا وربما كان التكم بالتوبة على وجه لا يطالع عليها
 الا الله عز وجل احب الى الله واقرب الى مغفرته واما رفع ما عند الناس من اعتقادهم
 بقاءه على المعصية فذلك باب اخر يغفر لكم خطاياكم اي تسترها عليكم من الغفر و
 هو الستر لان المغفرة تستر الذنوب وخطاياكم خطية وسنريد المحسنين اي تريد هم
 ثوابا واحسانا الى احسانهم للتقدم وهو اسم فاعل من احسن وقد ثبت في الصحيحين ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان اتقن تراه فانه يراك فبذلك
 الذين ظلموا اقوا غايه الذي قيل لهم قيل انهم قالوا خطة وقيل قالوا بلسانهم خطا
 سمعنا اي خطة حمراء استخفا فانهم بامر الله وقيل غير ذلك والصواب انهم قالوا حبة
 في شعيرة قالوا ذلك استهزاء اخرج البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم في رواية عن ابن عباس عند ابن جرير وابن المنذر خطة في شعيرة والا والارجح
 لكونه في الصحيحين وبدلوا الفعل ايضا حيث دخلوا يرحفون على استأهم فأنزلنا على الذين
 ظلموا هو من وضع الظاهر موضع الضم لنكتة تقدر في كل محل بما يناسبه تعظيما لقوله
 اولئك حزب الله الا ان حزب الله وتحقير لقوله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب
 الشيطان وانزاله لبس وغير ذلك وهي مبسوطة في الانفاق للجلال السيوطي وكما تقر في
 علم البيان وهي هنا تعظيم الامر عليهم ومبالغة في تقبيح فعلهم وشأنهم رجوا من السماء
 يعني عذابا والرجز العذاب قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون
 الفا واخرج مسلم وغيره من حديث اسامة بن زيد وسعد بن مالك وخزيمة بن ثابت قالوا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب اناس
من قبلكم فاذا كان بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها واذا بلغكم انه بارض فلا تدخلوها ومن
المعلوم ان الطاعون ضرب الجن للانس فهو ارضي لاسماوي وانما قيل فيه من السماء لان
القضاء به يقع فيها قال الجلال الحلبي فهلك منهم في ساعة سبعون الفا واقل انتهى وهذا
الوباء غير الذي حل بهم في التيه بما كانوا يقسمون كاليه يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى
وفي الاعراف يظلمون تنبيههم على انهم جامعون بين هذين الوصفين واذا سئسقي موسى
لقومه اي طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فساووا موسى ان يستسقي
لهم ففعل والاستسقاء انما يكون عند عدم الماء وحبس القطر ومعناه في اللغة طلب السقيا
وفي التمر ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله في صفته من الصلوة والدعاء وهذا تذكرة لنعمة اخرى
كفرها فقلنا اضرب بعصاك الحجر وكانت العصا من اسل الجنة طولها عشرة اذرع على
طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلة نور او اسمها عليق وقيل نبغة حاملها آدم معه
من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى كذا قيل والله اعلم
والحجر يحتل ان يكون معينا فيكون اللام للعهد وهو الذي فرثوه فلما سألوه السقيا
ضربه ويحتل ان يكون معينا فتكون الجنس وهو اظهر في المعجزة واغوى للحجة فانفجر منه
اثنان عشرة عينا يعني على عدة اسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت والافجاء الاشفاق
وانفجر الماء انفتح قال المفسرون انفجرت وانفجست بمعنى واحد وقيل انفجست عرفت وانفجرت
سالت قال ابن عطية ولا خلاف انه كان حجرا مربعا يخرج من كل جهة ثلاث عيون اذا ضرب
موسى سالت العيون واذا استغنوا عن الماء جفت قد علم كل اناس قسرت بهم المشقة
موضع الشرب وقيل هو المشروب نفسه وفيه دليل على انه يشرب من كل عين قوم منهم
لا يشركهم غيرهم قيل كان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها الى غيرها ولا يسيط
ذرية الاثني عشر من اولاد يعقوب وكل عين تسيل في قناة الى سبط وكانوا سبعة الف
وسعة العسكر اثنا عشر ميلا كلوا اي قلنا لهم كلوا المن والسلوى واشربوا اي الماء للتفجير
من الحجر من رزق الله فهذا كله من رزقه كان ياتهم بلا مشقة ولا كلفة ولا تعبوا في

الأرض مُفسِدٌ عَنِّي يَعْنِي عَشِيًّا وَعَشَاءً يَعْنِي عَيْشًا لَعَلَّاتٍ بِمَعْنَى اِفْسَادٍ قَالَ فِي
 الْكُشَافِ الْعَشَى أَشَدُّ الْفَسَادِ فَقِيلَ لَهُمْ لَا تَمَادُوا فِي الْفَسَادِ فَالْأَفْسَادُ كَمَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَا تَمَادُّونَ فِيهِ أَنْتُمْ فِي
 هَذِهِ آيَةٍ مُعْجَزَةٌ عَظِيمَةٌ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ انْفَجَرَ مِنَ الْحَجَرِ الصَّغِيرِ مَا رَوَى مِنْهُ الْجَمْعُ
 الْكَثِيرُ وَمُعْجَزَةٌ نَبِيًّا صَلَّمَ اعْظَمَ مِنْهُ لِأَنَّهُ انْفَجَرَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصْبَعِيهِ فَرَوَى مِنْهُ الْجَمْعُ الْغَفِيرُ لَنْ
 انْفَجَرَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ الدَّمِ وَاللَّحْمِ اعْظَمَ مِنْ انْفِجَارِهِ مِنَ الْحَجَرِ فَكَذَلِكَ قُلْتُمْ أَيُّ أَذْكَرَ أَيْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ قَالَ
 اسْلَفَكُمْ وَهَذَا نَذِيرٌ لَكُمْ بِأَيَّةٍ أُخْرَى صَدَرَتْ مِنْهُمْ وَاسْتَدَادَ الْفِعْلُ إِلَى فِرْعَوْنِهِمْ وَتَوَجَّهَ
 التَّوْبِخُ إِلَيْهِمْ لِمَا يَنْبَغِي وَبَيْنَ أَصُولِهِمْ مِنَ الْاِتِّحَادِ بِمَا مَوْسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامِهِ وَاحِدٍ فَادْعُ
 لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا أُسْنِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا
 هَذَا الْفَجْرُ مِنْهُمْ بِمَا صَارَ وَافِيهِ مِنَ النِّعَةِ وَالرِّزْقِ الطَّيِّبِ وَالْعَيْشِ الْمُسْتَلَذِّ وَتَرَوْعَ مَا لَفَوْهُ
 قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ خَشَوَةِ الْعَيْشِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَكُونَ هَذَا مِنْهُمْ تَشْوِقًا إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ وَبَطَرًا لِمَا
 صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَيْشَةِ الرَّافِعَةِ بَلْ هُوَ بَابٌ مِنْ تَعَنُّتِهِمْ وَشُعْبَةٌ مِنْ شَعْبِ تَعَجُّرِهِمْ كَمَا هُوَ أَهْمٌ
 وَهَجِيرُهُمْ فِي غَالِبِ مَا قُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ كِرَاتٍ أَصْلًا
 وَعَدَسٍ فَتَزَعُوا إِلَى عَكْرِهِمْ عَكْرَ السَّوِّ وَاشْتَاقَتْ طِبَاعُهُمْ إِلَى مَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَتُهُمْ فَقَالُوا
 لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ أَيْ نَوْعٍ مِنْهُ وَالْمُرَادُ بِالطَّعَامِ الْوَاحِدِ هُوَ الْمِنْ وَالسَّلَوى وَهِيَ وَأَنْ كَانَا
 طَعَامَيْنِ لَكِنْ لَمَّا كَانُوا يَأْكُلُونَ أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ جَعَلُوهُمَا طَعَامًا وَاحِدًا وَقِيلَ لَتَكْرَهُمَا فِي كُلِّ يَوْمٍ
 وَعَدَمَ وَجُودِ غَيْرِهِمَا مَعَهُمَا وَلَا تَبْدِيلَهُمَا وَالْبَقْلُ كُلُّ نَبَاتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ وَالشَّجَرُ مَا لَهُ سَاقٌ وَقَالَ
 فِي الْكُشَافِ الْبَقْلُ مَا أَنْبَتَهُ الْأَرْضُ مِنَ الْخَضِرِ وَالْمُرَادُ بِهِ أَطْيَابُ الْبَقُولِ الَّتِي يَأْكُلُهَا النَّاسُ
 كَالنَّعْنَاعِ وَالْكَرْفَسِ وَالْكَرَاتِ وَاشْبَاهِهَا أَنْتُمْ وَجَمْعُهُ بِقَوْلٍ وَالْقَتَاءُ مَعْرُوفُ الْوَاحِدِ قَتَاءٌ
 وَفِيهِ الْغَتَانِ كَسْرُ الْقَافِ وَضَمُّهَا وَالْمَشْهُورُ الْكُسْرُ وَالْقَوْمُ قِيلَ هُوَ الْقَوْمُ وَقَدْ قَرَأَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ
 بِالْثَاءِ وَرَوَى نَحْوُ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ الْقَوْمُ الْخَطَاةُ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَكْثَرُ الْمَفْسَرِينَ كَمَا قَالَ
 الْفَرَطِيُّ وَقَدْ بَلَغَ هَذَا ابْنُ الْفَخَّاسِ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الزَّجَاجُ وَالْأَخْفَشُ وَقَالَ الْبَلَاذُ
 الْكُسَائِيُّ وَالنَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ وَقِيلَ الْقَوْمُ السُّنْبُلَةُ وَقِيلَ الْحَصُ وَقِيلَ الْقَوْمُ كَانَ حَبِّ خَبْزٍ وَالْعَدَسُ
 الْبَصْلُ مَعْرُوفٌ قِيلَ أَمَّا طَبْعُوا هَذِهِ الْأَنْوَاعَ لِأَنَّهُ تَعَيَّنَ عَلَى تَقْوِيَةِ الشَّهْوَةِ وَأَنَّ لَهُمْ مَلُومًا

البقاء في التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى
البلاد لان تلك الاطعمة والاول اولى قال يعني موسى عليه السلام لهم وقيل القائل هو الله
والاول اولى استبدلوا الذي هو اذني اي اخس وارجأ وهو الذي طلبوه والاستبدل
وضع الشيء موضع الاخر قال الزجاج ادنى ما اخذ من الدناوي القرب وقيل من الذناءة وقيل
اصلا ادون من الدون اي الردي الهرة لا تنكار مع التوبيخ والمراد انضعون هذه الاشياء
التي هي دون موضع المن والسلوى اللذين هما خير منها من جهة الاستلذاذ والوصول
من عنده بغير واسطة احد من خلقه والحل الذي لا تطرقه الشبهة وعدم الكلفة
بالسعي له والتعب في تحصيله بالذي هو خير اي اشرف وافضل وهو ما هم فيه فبطور مصر
اي انزلوا مصر وانتقلوا من هذا المكان الى مكان اخر فالهبط لا يختص بالنزول من المكان
العالي الى الاسفل بل قد يستعمل في الخروج من ارض الى ارض مطلقا قاله الشهاب ظاهر
هذا ان الله اذن لهم بدخول مصر وقيل ان الامر للتعجيز والاهانة لانهم كانوا في التيه
لا يمكنهم هبوط مصر لانسد الطرق عليهم اذ لو عرفوا طريق مصر لما اقاموا اربعين سنة
متحيرين لا يهتدون الى طريق من الطرق فهو مثل قوله تعالى كونوا سجدة او حديد اقال
الخليل وسيبويه اراد مصر من الامصار ولم يرد المدينة المعروفة وهو خلاف الظاهر
بل يجوز مصر فيه مع حصول العملية والتأنيث لانه ثلاثي ساكن الاوسط وبه قال الاخفش
والكسائي والمصر في الاصل الحد الفاصل بين الشيتين وقيل المصر البلدة العظيمة فان
لهم ما ساكنتم يعني من نيات الارض وضربت عليهم اي على قروهم واخلاهم الذلة
اي الهوان وقيل الجزية وزي اليهودية وفيه بعد والاول اولى والمعنى جعلت الذلة
محيطه بهم مشتملة عليهم والزمو الذل والهوان بسبب قتالهم عيسى في زعمهم والذلة
بالكسر الصغار والحقارة والذلة بالضم ضد العجز والمسكنة اي الفقر والفاقة وسمي الفقير
مسكينا لان الفقر اسكنه واقعدته عن الحركة ومعنى ضرب الذلة والمسكنة الزامهم بذلك
والقضاء به عليهم قضاء مستقر لا يفارقهم ولا يفصل عنهم مع دلالة على ان ذلك مشتمل
عليهم اشتغال القباب على من فيها ولا لزوم لهم لزوم الدرهم المضروب لسكنه وهذا الخبر

الذي اخبر الله تعالى به وهو معلوم في جميع الامم فأن اليهود افما هم الله اذل الفرق و
اشد هم مسكنة واكثرهم تصاعرا لم ينظم لهم جمع ولا خفقت على رؤسهم راية ولا ثبتت
لهم ولا يتبل ما زالوا عبدة العصر في كل زمن وطروقة كل محل في كل عصر ومن تمسك
منهم بنصيب من المال وان بلغ في الكثرة اي مبلغ فهو متظاهر بالفقر متد باثواب المسكنة
ليدفع عن نفسه اطماع الطامعين في ماله اما الحق كفو غير ما عليه من الجزية او باطل
كما فعله كثير من الظلمة من التجاري على الله بظلم من لا يستطيع الدفع عن نفسه فلا تترى
احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود كانهم فقراء وان كانوا اغنياء
مياسير وباءوا رجوعا يقال بآء بكذا اي رجوع والمراد انهم رجعوا بغضب من الله واصاروا
احقا بغضبه وقال ابو عبيدة والزجاج احتملوه وقيل اقروا به وقيل استحقوقه وقيل كرهوه
وهو الاوجه يقال بواته منزلا فتبوء اي الزمته فلزمه ذلك اي ما تقدم من ضرب الذلة
وما بعده بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكَفِّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ أَحَقِّ اي بسبب كفرهم
بأنه وقتلهم الانبياء بغير حق يحق عليهم اتباعه والعمل به ولم يخرج هذا مخرج التقيد حتى
يقال انه لا يكون قتل الانبياء بحق في حال من الاحوال لمكان العصمة بل المراد نفي هذا الامر
عليهم وتعظيمه وانه ظلم محض في نفس الامر ويمكن ان يقال انه ليس بحق في اعتقادهم الباطل
لان الانبياء لم يعارضوهم في مال ولا جاه بل ارشدوهم الى مصلح الدين والدنيا كما كان
من شعيا وذكريا ويحيى فانهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون انهم ظالمون وانما حملهم
على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى عن ابن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم تقتل
ثلثة امة نبي ثم يقيمون سوق بقلهم في اخر النهار ذلك تكرير الاشارة لقصد التاكيد و
تعظيم الامر عليهم وتهويله ومجوع ما بعد الاشارة الاولى والاشارة الثانية هو السبب
لضرب الذلة وما بعده وقيل يجوز ان يكون الاشارة الثانية الى الكفر والقتل فيكون ما
بعد ها سببا للسبب قاله الزخشي وهو بعيد جدا بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعْتَدُونَ
الْاَعْتِدَاءَ قَدْ وَزَعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
قِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِهِمُ الْمُنَافِقُونَ بدلالة جعلهم مقترنين باليهود والنصارى والصائبين

امنوا في الظاهر الاولى ان يقال ان المراد الذين صدقوا النبي صلوا وصاروا من جملة اتباعه
 وكأنه سبحانه اراد ان يبين ان حال هذه الملة الاسلامية وحال من قبلها من سائر الملل يرجع
 الى شيء واحد وهو ان امن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا استحق ما ذكره الله من
 الاجر ومن فاته ذلك فاته الخير كله والاجر دقة وجهه والمراد بالايان ههنا هو ما بينه
 رسول الله صلوا من قوله لما سأل جبريل عليه السلام عن الايمان فقال ان تؤمن بالله
 وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره ولا يتصف بهذا الايمان الا من دخل في
 الملة الاسلامية فمن يؤمن بعهد صلوا ولا بالقران فليس يؤمن ومن امن بهما صار مسلما
 موحدنا ولم يبق يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا والذين هادوا معنا صاروا يهودا اقل هو
 نسبة لهم الى يهود بن يعقوب بالذال المعجمة فقلبتهم العرب دلا مهملة وقيل معنى هادوا انما
 لتوهم عن عبادة العجل ومنه قوله تعالى انا هدانا اليك اي ثبنا وقيل ان معناه السكون و
 الموادة وقال في الكشف ومعناه دخل في اليهودية والنصارى قال سيدي مفرجة نصران
 ونصرانة كدما ن وندمانه ولكن لا يستعمل الايلاء النسب فيقال رجل نصراني امرأة نصرانية
 وقال الخليل واحد النصارى نصرى وقال الجوهري ونصران قرية بالشام تنسب اليها
 النصارى ويقال ناصرة فعلى هذا فالايلاء للنسب قال في الكشف ان الياء للبالغة كالتي في
 احري سمو اذ لك لانهم نصر والمسيح والصبايين جمع صباي وقيل صاب والصباي في اللغة
 من خرج ومال من دين الى دين ولهذا كانت العرب تقول لمن اسلم قد صبا سمو اهدى الفرقة
 صباية لانها خرجت من دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة وقيل عبدوا الكواكب قال
 البيضاوي انهم قوم بين اليهود والمجوس انتهى ثم جعل هذا اللقب علما لطائفة من الكفار
 وقيل هم يدعون انهم على دين صباي بن شيث بن ادم والاول اولى من امن منهم بالله و
 اليوم الآخر في زمن نبينا وعمل صالحا بشريعته فكلمهم اجرهم اي ثواب اعمالهم والاجر في
 الاصل مصدر يقال اجره الله يا جره اجر او قد يعبر به عن نفس الشيء المجازي به والاية الكريمة
 تحتمل المعنيين عند ربهم عند ظرف مكان لازم للاضافة لفظا ومعنى اي لهم اجرهم ثابتا
 عند ربهم وقد تقدم تفسير قوله تعالى لا خوف عليكم ولا هم يحزنون اي في الآخرة حين يخاف الكفار

من العذاب ويحزن المقصرون على تضليل العمر وتقويت الثواب وإدخالهم في الدنيا فكم
 أي عهدكم يا معشر اليهود والمراد أنه أخذ سبحانه عليهم الميثاق أن يعملوا بما أشرع لهم
 في التوراة أو بما هو أعم من ذلك أو أخص ورفعت فوقكم الطور يعني الجبل العظيم الطور
 اسم الجبل الذي كل الله عليه موسى عليه السلام وأنزل عليهم التوراة فيه قال ابن عباس
 وكان بني إسرائيل أسفل منه وقيل هو اسم كل جبل بالسريانية وفي القاموس يطلق على
 جبل كان وصرح به السمين ويطلق أيضاً على جبال مخصوصة بأعيانها وهذا الجبل الذي
 رفع فوقهم كان من جبال فلسطين وعن ابن عباس الطور ما أنبت من الجبال وما لم ينبت
 فليس بطور وقد ذكر كثير من المفسرين أن موسى لما جاء بني إسرائيل من عند الله بالوحي
 قال لهم خذوها والتمسوها فقالوا لا إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم أحيوا فقال
 لهم خذوها والتمسوها فقالوا لا فأمروا الله الملائكة فأتعت جبالاً من جبال فلسطين طوى
 فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلّة وأوتوا بحر من خلفهم ونازل من قبل
 وجوههم وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق أن لا تضيعوها ولا تسقط عليكم الجبل فجعلوا
 توبة له واخذوا التوراة بالميثاق قتل وسجدوا على أنصاف وجوههم ليسرّ وجعلوا يلاحظون
 الجبل بأعينهم المعنى وهم سجدوا فصار ذلك سنة في سجد اليهود قتل فكانه حصل لهم بعد
 هذا القسر والجزاء قبول واذعان اختياري أو كان يكفي في الأهم السابقة مثل هذا الإيمان
 قال ابن جرير عن بعض العلماء أخذوها أول مرة لم يكن عليهم ميثاق قال ابن عطية وكذلك
 لا يصح سواه أن الله سبحانه اخترع وقت سجودهم الإيمان لا أنهم امنوا كرها وقلوبهم غير
 مطمئنة انتهى وهذا تكلف سأطرحه عليه المحافظة على ما قد ارتسم لديه من قواعد
 مذهبية قد سكن قلبه اليها أهيرة وكل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسبابه إلا كراهة أقوى من
 هذا أو أشد منه ونحن نقول أكرههم الله على الإيمان فامنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب
 بهذا الإيمان وهو نظير ما ثبت في شرعنا من دفع السيوف عن تكلم بكلمة الإسلام والسيوف
 مصلحت قد تم حاصله على أساسه وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة
 الإسلام معتذراً عن قتله بأنه قالها نقيّة ولم يكن عن قصد صحيح أنت فتشبت عن قلبه قال

لم او امر ان انقلب عن قلوب الناس قال لفقها انه ليس اجبارا على الاسلام لان الجبر ما
سلب الاختيار بل كان اكرها وهو جائز ولا يسلب الاختيار كما حاربه مع الكفار فاما قوله
لا اكره في الدين وقوله اغانت تكره الناس فقد كان قبل الامر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ اي قلنا لهم خذوا وما اعطيناكم بِقُوَّةِ الْقُوَّةِ الْحَدِّ والاجتهاد واذكروا
مَا فِيهِ اي ادرسوا ولا تنسوه والمراد بذكر ما فيه ان يكون محفوظا عندهم ليعملوا به لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ اي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى اورجاء منكم ان تكونوا متقين
ثم توكلتهم اصل التولي الادبار عن الشيء والاعراض بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور
والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا من بعد ذلك اي الميثاق اورفع الطوبى وايلاء
التوبة والمراد هنا اعراضهم عن الميثاق المأخوذ عليهم من بعد البرهان لهم والترهيب باشد
ما يكون واعظم ما تجوزة العقول وتقدره الافهام وهو دفع الجبل فوق رؤسهم كانه ظلة
عليهم فلو كاحرف امتناع لوجود تختص بالجمل الاسمية فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بان تداركم بطه
والفضل الزيادة والخير والافضال والاحسان قاله ابن فارس في الجمل وَرَحْمَتُهُ حتى اظهرها
التوبة لَكُمْ من الخاسرين اي المغبونين بذهاب الدنيا والهالكين بالعذاب في العقبى
والخسران النقصان وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ اي عرفتم فيتعدي لواحد فقط والفرق بينهما ان العلم
يستدعي معرفة الذات وما هي عليه من الاحوال والمعرفة تستدعي معرفة الذات والفرق
ان المعرفة يسبقها جهل بخلاف العلم ولذلك لا يجوز اطلاقها عليه سبحانه الَّذِينَ
اعْتَدُوا اي جاؤوا وَالْحَالِ فِي السَّبْتِ يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون
فيه اعمالهم واصل السبت في اللغة القطع لان الاشياء تمت فيه وانقطع العمل وقيل هو مأخوذ
من السبوت وهو الراحة والدعة وقال في الكشف السبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت
يوم السبت انتهى وفيه نظر فان هذا اللفظ موجود واشتقاقه مذكور في لسان العرب قبل
فعل اليهود ذلك وقد ذكر جماعة من المفسرين ان اليهود افرقت فرقتين ففرقة اعتدت في
السبت اي جاؤوا ما امر الله به من العمل فيه فصادوا السمك الذي نهاهم الله عن صيده
فيه والفرقة الاخرى انقسمت الى فرقتين ففرقة جاهرته بالنهي واعتزلت وفرقة لم توافق

المعتدين ولا صاد وامعهم لكنهم جالسوهم ولم يجاهدوهم بالنبي ولا اعترلوا عنهم فستهم
 الله جميعا ولم ينج الا الفرقة الاولى فقط وهذه من جملة الحسن التي امتحن الله بها هؤلاء الذين
 بالغوا في العجرفة وعاندوا انبياءهم وما زالوا في كل موطن يظهر من حماقاتهم وسخف قلوبهم
 وتعذتهم نوعا من انواع التعسف وشعبة من شعب التكليف فان الحيثان كانت في يوم
 السبت كما وصف الله سبحانه بقوله اذ تاتيهم حيث انهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون
 لا تاتيهم كذلك نبلوهم فاحتالوا الصيد ها وحفروا الخفائر وشقوا الجداول فكانت الحيثان
 تدخلها يوم السبت فيصيدونها يوم الاحد فلم ينفعوا بهذه الحيلة الباطلة وكانت هذه
 القصة في زمن داود بقرية بارض ايلة فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين امر تحويل وتخدير
 وتكوين وهو عبارة عن تعلق القردة بنقلهم عن حقيقة البشرية الى حقيقة القردة اذ كونوا
 مبعدين عن الرحمة مطرودين عن الشرف وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين
 قردة ولهذا لم يقل خاسئات والخاسي المبعد ومنه قوله تعالى ينقلب ليك البصر خاسئا
 ابي مبعدا وقوله اخسئوا فيها اي تباعدوا تباعدا حتى يكون الخاسي بمعنى الصاغر والمراد
 هنا كونوا بين المصير الى اشكال القردة مع كونهم مطرودين صاغرين فقرة خبايا الكون و
 خاسئين خبر اخر وقيل انه صفة للقردة والاول اظهر وعن ابن عباس قال مسحهم الله قردة
 بمعصيتهم ولم يعيش مسيخا فوق ثلاثة ايام ولم ياكل ولم يشرب ولم ينسل قال الحسن انقطع ذلك
 النسل وقال مجاهد مسح قلوبهم ولم يسخر قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم كقوله
 مثل الحمار يحمل اسفارا وقال ابن عباس صار شباب القوم قردة والمشيخة صاروا خنازير
 اختلف في مرجع الضمير في قوله فجعلناهم اقبيال العقوبة وقيل الامة وقيل القردة وقيل
 الحيثان والاول اظهر نكال اي عقوبة وعبرة والنكال الرجز والعقاب والنكل القيد لانه
 يمنع صاحبه مما ياتى يديه وما خلفها اي عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم الى
 يوم القيامة وقيل من الذنوب التي عملوا قبل وبعد قاله ابن عباس وموعظة للمتقين
 من قومهم اول كل متق سمعها الموعظة ما خوذ من الاتعاظ ولا مزجار
 والوعظ التحذير وقال الخليل الوعظ التذكير بالخير واذا قال مؤس لقومهم

تويج آخر لاختلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنائيات صدرت من اسلافهم اي اذكروا
وقت قول موسى لاصولكم وقد قتل لهم قتيلا لا يدري قاتله وسالوا ان يدعوا له ان يبينه
لهم فدعاه والقetil اسمه عاميل ان الله يامرهم ان تذبحوا بقرة قيل ان قصة ذبح البقرة
للمذكورة هنا مقدم في التلاوة ومؤخر في المعنى على قوله تعالى واذا قتلتم نفسا فاداراكم فيها
ويجوز ان يكون قوله اذ قتلتم مقدر ما في النزول ويكون الاصل بالذبح مؤخر ويجوز ان يكون
ترتيب نزولها على حسب تلاوتها فكان الله امرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع من
امر القتل فامروا ان يضربوا ببعضها هذا على فرض ان الواو تقتضي الترتيب وقد تقر في علم
العربية انها لجزء الجمع من دون ترتيب ولا معية قال الكرخي وانما اخراول القصة تقديم ما كان
مساويهم وتعيد اليها ليكون ابلغ في توبيخهم على القتل والبقرة اسم للاثني ويقال للذكر ثور
وقيل انها تطلق عليهما واصله من البقر وهو الشق لانها تشق الارض باحرث قال الازهر في
البقر اسم جنس وجعه باقر قالوا انجذوا كاهروا اي نحن نسالك امر القتل وانت تامرنا بذبح
بقرة وانما قالوا ذلك لبعده ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه والهرز
هذا اللعب والسخرية وانما يفعل ذلك اهل الجهل لانه نوع من العبث الذي لا يفعله العقلاء
ولهذا اجابهم موسى بالاستعانة بالله سبحانه من الجهل قال يعني موسى اعوذ بالله اي امتنع
به ان اكون من الجاهلين اي باجواب لا على وفق السؤال او من المستهزئين بالمؤمنين وهذا
ابلغ من قولك ان اكون جاهلا قالوا دعه لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنسأله وهذا السؤال
عن صفة البقرة لاعن حقيقتها فانها معروفة وهذا النوع من انواع تعنتهم لما لوفه فقد كانوا
يسلكون هذه المسالك في غالب الامر هم الله به ولو تركوا التعنت والاستسالة المتكلفة لاجزاهم
ذبح بقرة من عرض البقر ولكنهم شددوا فشدوا الله عليهم قال لانه يقول انها بقرة لا فارض ولا
لا بكر اي لا هي كبيرة ولا صغيرة والفارض السنة التي لم تلد ومعناه في اللغة الواسع قال في
الكشاف وكانها سميت فاضلا لانها افوضت سنه اي قطعتها وبلغت اخرها انتهى ويقال للشيء القادر
فارض والبكر الصغيرة الفتية التي لم تحبل ولم تلد ويطلق في اناث البهايم وبني ادم على ما لم يفتحل
الفحل ويطلق ايضا على الاول من الاولاد عوانا بين ذلك اي نصف بين سنين والعوان

المتوسطة بين سفي الفارض والبكر وهي التي قد ولدت بطناً أو بطنين ويتقال هي التي قد ولدت
 مرة بعد مرة والجمع عون بالضم والاشارة الى الفارض والبكر وهما وان كانتا مؤنثتين فقد
 اشير اليهما بما هو المذكور على تاويل المذكور كانه قال ذلك المذكور وجاز دخول بي للمقتضية
 لشئئين لان المذكور متعدد فافعلوا ما كنتم مروون به اي من ذبح البقرة ولا تكثر السوال
 وهذا تجد يد الامر وتأكيده وزجر لهم عن التعنت فلم ينفعهم ذلك ولا نفع فيهم بل رجعوا
 الى طينتهم وعادوا الى عكرهم واستمر واعلم عادتهم المألوفة وقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما
 كنتم قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اللون واحد الالوان وجهه المفسرين
 علم انها كانت جميعها صفراء قال بعضهم حتى قرنها وظلفها وقال الحسن وسعيد بن جبيرة انها
 كانت صفراء القرن والظلف فقط وهو خلاف الظاهر والمراد بالصفرة هنا الصفرة المعروفة
 وروي عن الحسن ان صفراء معناه سوداء وهذا من بدع التفاسير ومنكراتها وليت شعري
 كيف يصدق على اللون الاسود الذي هو اقبح الالوان انه يسر الناظرين وكيف يصح وصفه بالفقوع
 الذي يعرف كل من يعرف لغة العرب انه لا يجري على الاسود بوجه من الوجوه فانهم يقولون
 في وصف الاسود حالك وحلكوك ودجوجي وغريب قال الكسائي يقال فقع لونها اذا
 خلصت صفرة وقال في الكشاف الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصبه ومعنى تسر
 الناظرين تدخل عليهم السرور اذا نظر اليها اعجابا بها واستحسانا للونها قال وهب كانت
 كأن شعاع الشمس تخرج من جلد ها يعجبهم حسنهما وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
 ما هي اي سائمة او عاملة وعلى هذا فليس هذا السوال تكرير للسوال الاول كما ادعاه بعضهم قاله
 الخطيب ان البقرة كشابة علينا اي التبس واشتبه امرها علينا اي ان جنس البقرة متشابه
 عليهم لكثرة ما يتصف منها باللعوان الصفراء الفاقعة ولان شاء الله لمهتدون وعدوا
 من انفسهم بالاهتداء الى ما دلهم عليه والامتنال لما امروا به قبل ولم يستثنوا ما بينت لهم
 اخر الدهر قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اي ليست مذلة والذلول التي لم يد لها العمل
 تثير الكرخ اي تقلبها للزراعة ولا تشق الحركت اي ليست بسانية يعني من النواضح التي
 يسنى عليها ويسقى الزرع وحرف النقي الآخر تؤكد للاول اي هذه بقرة غير مذلة بالحرك

ولا بالنسخ ولهذا قال الحسن كانت البقرة وحشية وقال قوم ان قوله تنوير فعل مستأنف للنعمة
 ايجاب الحث لها والنسخ بها والاول ارجح لانها لو كانت مثيرة ساقية لكانت مذلة لريضة
 وقد نفى الله ذلك عنها بمسألة أي بريئة من العيوب والمسلمة هي التي لا عيب فيها وقيل مسلمة
 من العمل وهو ضعيف لان الله سبحانه قد نفى ذلك عنها والتأسيس خير من التأكيد والافادة
 اولى من الاعادة لا شية فيها أي لا لون فيها غير لونها والشية مأخوذة من وشي الثوب
 اذا نسج على لونين مختلفين وثوب موشي في وجهه وقوائمه سواد ويقال ثوب راشيه وفرس
 ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وعراب ابقع كل ذلك بمعنى ابلق والمراد ان هذه البقرة خالصة
 الصفرة ليس في جسمها لعة من لون اخر فلما سمعوا هذه الاوصاف التي لا يبقى بعد ها ريب
 ولا تخالفا لمعها شك ولا تختمل الشبهة بوجه من الوجوه اقصر وامن غوايتهم وانتهوا امر بقدوم
 وعرفوا بمقدار ما وقعهم فيه تعنتهم من التضيق عليهم قالوا ان حجت الحق أي وضحت
 لنا الوصف وبيئت لنا الحقيقة التي يجبل لوقوف عند ما فحصلوا تلك البقرة الموصوفة بتلك
 الصفات قيل ال في الآن للتعريف الحضوري وقيل زائدة لازمة قد نجحوا وامتثلوا
 الامر الذي كان يسيرا ففسروه وكان واسعا فضيفوه وما كادوا يفعلون مما امروا به لما
 وقع منهم من التثبط والتعنت وعدم المبادرة فكان ذلك مظنة للاستبعاد محلا للحي بعدا
 مشعرة بالتثبط والتعنت لكائن منهم وقيل انهم ما كادوا يفعلون لعدم وجدان البقرة
 المتصفة بهذه الاوصاف وقيل لا ارتفاع ثمنها وقيل لخوف انكشاف امر المقتول والاول ارجح
 وقد استدلل جماعة من المفسرين والاصوليين بهذه الآية على جواز النسخ قبل امكان الفعل
 وليس ذلك عندي بصحيح لوجهين الاول ان هذه الاوصاف الزائدة بسبب تكرار السؤال
 هي من باب التقييد لما صور به لا من باب النسخ وبين البابين بون بعيد كما هو مقرر في علم
 الاصول الثاني اننا لو سلمنا ان هذا من باب النسخ لا من باب التقييد لم يكن فيه دليل على ما قلناه
 فانه قد كان يمكنهم بعد الامر الاول ان يعدوا الى بقرة من عرض البقر فيذبحوها ثم كذلك
 بعد الوصف بكونها جامعة بين الوصف بالعوان والصفرة ولا دليل يدل على ان هذه الحاقة
 بينهم وبين موسى عليه السلام واقعة في لحظة واحدة بل الظاهر ان هذا الاسئلة المتعنتة

كانوا يتواطون عليها ويدبرون الرأي بينهم في امرها ثم يوردونها واقل الاحوال الاحتمال
 القادح في الاستدلال وعن عبيدة السلماني قال كان رجل من بني اسرائيل عقيماً لا يولد له
 وكان له مال كثير وكان ابن اخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم
 ثم اصبح يدعيه عليهم حتى تسلموا وركب بعضهم الى بعض فقال ذوالرأي منهم علام يقتل بعضهم
 بعضاً وهذا رسول الله فيكم فاتوا موسى فذكروا ذلك له فقال ان الله يامركم ان تدجو بقرة
 الآية قال فلولا يعترضوا الاجزأت عنهم حتى بقرة ولكنهم شددوا فشد عليهم حتى انتهوا الى البقرة
 التي امروا بذابحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا انقصها من ملاجلها
 ذهباً فاخذوها بملاجلها ذهباً فذابحوها فضر به بعضهما فقام فقالوا من قتلك فقال هذا
 لابن اخيه ثم مال ميتاً فلم يعط من ماله شيئاً ولم يورث قاتل بعده وعن ابن عباس ان القليل
 وجد بين قريتين وان البقرة كانت لرجل كان يرباها فاشتريها بوزنها ذهباً وقد روي في
 هذا قصص مختلفة لا يتعلق بها كثير فائدة وماذا قتلتم نفساً أي واذكر يا بني اسرائيل وقت
 قتل هذه النفس وما وقع فيه من القصة والخطاب لليهود المعاصرين للنبي صلعم واسناد القتل
 والتدابر اليهم لان ما يصدر عن الاسلاف ينسب للاخلاف وتوبخاً وتقريعاً قال الرازي في
 تفسيره اعلم ان وقوع القتل لا بد ان يكون متقدماً لامر تعالى بالذبح فاما الاخبار عن وقوع
 القتل وعن انه لا بد ان يضرب القليل ببعض تلك البقرة فاليجب ان يكون متقدماً على الاخبار
 عن قصة البقرة فقول من يقول القصة يوجب ان تكون متقدمة في التلاوة على الاولى خطأ
 لان هذه القصة في نفسها يوجب ان تكون متقدمة على الاولى في الوجود فاما التقديم في الذكر
 فغير واجب لانه نارة يقدم ذكر السبب على الحكم واخرى على العكس من ذلك فكانهم لما وقعت
 لهم تلك الواقعة امرهم الله بذابح البقرة فلما ذبحوها قال واذا قتلتم نفساً من قبل اسمه عاميل ذكره
 الكرماني وقيل تكارحكا المأوردي وقائله ابن اخيه وقيل اخوه فاذا امرتم فيها اختلفتم و
 تنازعتم لان المتنازعين يدري بعضهم بعضاً أي يدفعه والله وحج ما كنتم تكتمون أي ما كنتم
 بينكم من امر القتل فالله مظهر لعباده وبينه لهم وعن المسيب بن رافع قال ما عمل رجل
 حسنة في سبعة ابيات الا اظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة ابيات الا اظهرها الله

وتصديق ذلك في كتاب الله والله مخرج ما كنتم تكتمون واخرج احمد والحاكم وصححه عن ابن
 عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ان رجلا عمل عملا في سنة صالحة لا يها
 ولا كوة خرج عمله الى الناس كأنما كان واخرج البيهقي من حديث عثمان قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كانت له سريرة صالحة او سيئة اظهر الله عليه منها رداء يعرف به والموتى
 اصح والحجامة من الصحابة والتابعين كلمات تفيد هذا المعنى فقلنا اضربوه ببعضها كمن
 القتل واختلف في تعيين البعض الذي امر واما ان يضربوا به القتل فقل بلسانها وقيل
 يحجب الذنب وقيل يغنيها اليمين وقال ابن عباس بالعظم الذي يلي الغضروف وهو
 اصل الاذن ولا حاجة الى ذلك مع ما فيه من القول بغير علم ويكفي ان نقول امرهم الله
 بان يضربوه ببعضها فاي بعض ضربوا به فقد فعلوا ما امر وابه وما اراد على هذا فهون
 فضول العلم اذ الم يرد به برهان وليس في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يدل على ذلك
 البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير كذلك يحكي الله الموتى اي كمثل هذا الاحياء يوم القيمة
 فلا فرق بينهما في الجواز ولا مكان والغرض من هذا الرد عليهم في انكار البعث وهذا يقتضي
 ان يكون الخطاب مع العرب لاسمع اليهود لانهم يقررون بالبعث والجزاء وعلى هذا الحاجة
 اعتراض في خلال الكلام المسوق في شان اليهود ويرى كرايم اي علاماته ودلائله الدالة
 على كمال قدرته وهذا يحتمل ان يكون خطا بال من خصال القصة ويحتمل ان يكون خطابا
 للموجودين عند نزول القرآن والروية هنا بصرية لعلمكم تعقلون اي تمنعون انفسكم
 عن المعاصي وقد اخرج عبد بن حميد وابو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه قصه طويلة
 في ذكر البقرة وصاحبها الحاجة الى التطويل بذكرها وقد استوفاه السيوطي في الدر المنثور
 ثم مضمومة للتراخي في الزمان ولا تراخي هنا فهي محمولة على الاستبعاد محبا اذا
 قَسَتْ قُلُوبُكُمْ اَي يلبست وجفت وقيل غلظت واسودت وصلبت وقساوة القلب
 انتزاع الرحمة منه والقسوة الصلابة واليبس وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان
 لايات الله مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من احياء القليل وتحكمه وتعينه
 لقاتله وفيه استعارة تبعية تمثيلية تشبهها كمال القلوب في عدم الاعتبار والاهمال القسوة

والاشارة بقوله من بعد ذلك الى ما تقدم من الايات الموجبة للدين القلب ورفقه التي
 جاء بها موسى او احياء القليل بعد ضربه ببعض البقرة وهذا امر لا يستبعد المذكور
 اشد تأكيد في اي القلوب في الغلظة والشدّة كالحجارة اي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه قيل
 او في قوله واشد قسوة بمعنى الواو كما في قوله تعالى انما او كفور او قيل هي بمعنى بل واختار
 ابو حيان وعلى ان اولى اصلها او بمعنى الواو فالعطف على قوله كالحجارة اي هذه القلوب
 هي كالحجارة او هي اشد قسوة منها فشبها بما ياتي الامرين شتم فانكم مصيبون في هذا
 التشبيه وقد اجاب الرازي في تفسيره عن وقوع او ههنا مع كونها لا ترديد الذي لا يليق
 بعلام الغيوب بثمانية اوجه وان من الحجارة قال في الكشف انه بيان لفضل قلوبهم
 على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله واشد قسوة انتهى وفيه ان مجيء البيان بالواو
 غير معروف ولا مألوف والاولى جعل ما بعد الواو تذييلا او حالا لما يتجسس منه الانفجار
 قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقط الاسباط
 والتفجر التفتحة بالسعة والكثرة وان منها كما يشق فيخرج منه الماء يعني العيون الصغار التي
 هي دون الانفجار التفجر التفتحة والشق واحد الشقوق وهو يكون بالطول او بالعرض بخلاف
 الانفجار فهو الانفتاح من موضع واحد مع اتساع الخرق والمراد ان الماء يخرج من الحجارة من
 مواضع الانفجار والانشقاق وان منها كما يهبط من خشية الله اي ان من الحجارة لما ينحط
 من المكان الذي هو فيه الى اسفل منه من الخشية التي تدخله وتقل به وقيل ان الهبوط
 مجاز عن الخشوع منها والتواضع الكائن فيها انقياد الله عز وجل فهو مثل قوله تعالى لو انزلنا
 هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واختار ابن عطية وقد حكى
 ابن جرير عن فرقة ان الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الارادة للجدار وذكر الحافظ
 ان الضمير في قوله وان منها يرجع الى القلوب لا الى الحجارة وهو فاسد فان الغرض من سياق
 هذا الكلام هو التصريح بان قلوب هؤلاء بلغت في القسوة وفرط اليبس الموجبين لعدم قبول
 الحق والتأثر للمواعظ الى مكان لا تبلغ اليه الحجارة التي هي اشد الاجسام صلابة واعظمها
 صلادة فانها ترجع الى نوع من اللين وهو تفجرها بالماء وتشققها عنه وقبولها الماء توجبه الخشية

لله من الخشوع ولا تقياد بخلاف تلك القلوب وفي قوله وما الله بغافل عما تعملون
 من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى فان الله عز وجل اذا كان علما بما يعملونه مطالعا
 عليه غير غافل عنه كان لجا زاتهم بالمرصاد فقطمعون الهزئة للاستفهام وتدخل على ثلاثة
 من حروف العطف الفاء كما هنا والواو وكقوله الا في اول يعلمون ثم كقوله اثم اذا ما وقع واختلف
 في مثل هذه التركيب فذهب الجمهور الى ان الهزئة مقدمة من تاخير لان لها الصدر والتقدير
 فأتطمعون ولا يعلمون ثم اذا وذهب الزمخشري الى انها داخلة على محذوف دل عليه سياق
 الكلام والتقدير هنا اتسمعون اخباركم وتعلمون احوالهم فقطمعون ان يؤمنوا بكم مع انهم
 لم يؤمنوا بموسى هذا الاستفهام فيه معنى لانكار كانه ايسر من ايمان هذه الفرقة من اليهود
 والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والجمع للعظيم وقد كان فريقين منهم قيل المراد بالفريق
 هم الذين كانوا مع موسى عليه السلام يوم الميقات والفريق اسم جمع لا واحدا من لفظه
يسمعون كلام الله اي التوراة وقيل انهم سمعوا خطاب الله لموسى عليه السلام حين كلمه
 وعلى هذا فيكون الفريق هم السبعون الذين اختارهم موسى ثم كثر قوته اي تغيرت قوته وبدا لئلا
 والتحريف الامالة والتحويل ثم للتراخي ما في الزمان او في الرتبة والمراد من التحريف انهم عدلوا
 الى ما سمعوه من التوراة فجعلوا احلاله حراما واخذوا ذلك مما فيه موافقة لاهوائهم كتحريفهم
 صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسقاط الحد وعن اشرافهم وسمعوا كلام الله لموسى عليه السلام
 فزادوا فيه ونقصوا وهذا الخبر عن اصرارهم على الكفر واتكار على من طمع في ايمانهم و
 حالهم هذه الحال اي ولهم سلف حرفوا كلام الله وغيروا شرايعه وهم مقتدون بهم متبعون
 سبيلهم من بعد ما عقلوه اي علموا صحة كلام الله ومراعاة فيه وهم يعلمون اي في ذلك لان
 فعلوه هو تحريف مخالف لما امرهم الله به من تبليغ شرايعه كما هي فهم وقعوا في المعصية عاكفين
 بها وذلك اشد لعقوبتهم وابين لضلالتهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا نزلت في اليهود
 قال ابن عباس ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امننا بالذي
 امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله الحق وانما نجد نعتة وصفته في كتابنا واذا اخلا بعضهم
 الى بعض يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا رؤساء اليهود لا موافقا

اليهود على ذلك وعن عكرمة انما نزلت في ابن صوريا وقالوا لئن لم نؤمن بالله ما فتح الله عليكم
وذلك ان ناسا من اليهود اسلموا ثم نافقوا فكانوا يحد ثون المؤمنين من العرب بما عند
به اباؤهم وقيل ان المراد ما فتح الله عليهم في التوراة في صفة محمد صلعم والفتح عند العرب
القضاء والحكم والفتاح القاضي بلفظة اليمن والفتح النصر ومن ذلك قوله تعالى يستفتون
عليه الذين كفروا وقوله ان يستفتوا فقد جاءكم الفتح ومن الاول ثم يفتح بيننا بالحق وهو خير
الفاخين اي الحاكمين ويكون الفتح بمعنى الفرق بين الشيعتين وقيل معناه الانزال وقيل
الاعلام والنيدين والمن اي ما من به عليكم من نصركم على عدوكم ليخافواكم ويخافواكم
ليخافكم اصحاب محمد صلعم ويخافوا عليكم يقولون لكم قد اقررتم انه بني حق في
كتابكم لا تتبعونه عندكم في الدنيا والاخرة وقيل عند بمعنى في وقيل عند ذكر
ربكم والاول اولي والحاجة ابراز الحاجة اي لا تخفروهم بما حكم الله به عليكم من العذاب فيكون ذلك حججهم
عليكم فيقولون نحن اكرم على الله منكم واحق بالخير منه والحجة الكلام المستقيم وحاجت فلانا
فنجت اي غلبته بالحجة فلا تعقلون ما فيه الضرر عليكم من هذا الحديث الواقع منكم لهم
وهذا من تمام مقولهم ثم ونجهم الله سبحانه فقال اولا يعلمون اي اليهود ان الله يعلم ما
يسرون وما يعلنون ما يخفون وما يبدون ويظهرون من جميع انواع الاسرار وانواع الاحوال
ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان وتحريف الكلم عن مواضعه قال ابن عباس
هذه الايات في المنافقين من اليهود وقال ابو العالية ما يسرون من كفرهم بمحمد صلعم وتكذيبهم
وما يعلنون حين قالوا للمؤمنين امنا وقد قال بمثل هذا جماعة من السلف ومنهم من
اي ومن اليهود والامي منسوب الى الامة الاممية التي هي على اصل ولائها من امها تهالكتم تعلم
الكتابة ولا تحسن القراءة للمكتوب ومنه حديث انا امة اممية لانكيت ولا تحسب وقال
ابو عبيدة انما قيل لهم اميون لنزول الكتاب عليهم كانوا منسوبوا الى ام الكتاب فكانه قال
ومنهم اهل كتاب وقيل هم نصارى العرب وقيل هم قوم كانوا اهل كتاب فرفع كتابهم لذنوب
ارتكبوها وقيل هم المجوس حكاية الهدوي وقيل غير ذلك والراجح الاول وقيل اميون اي عوام
ومن هذا شأنه لا يطمع في ايمانه لا يعلمون الكتاب الا اماناي اي انهم لا علم لهم بالامام

فان

عليه من الاماني التي يقنن بها ويعملون بها انفسهم والاماني جميع امنية وهي ما يقنن بها الانسان
لنفسه فهو لا يعلم لهم بالكتاب الذي هو التوبة لما هم عليه من كونهم لا يكتبون ولا يقرؤن
المكتوب ولا يستثنا منقطع اي لكن الاماني ثابتة لهم من كونهم مغضوب بهم بايد عون
لانفسهم من الاعمال الصالحة او بما لهم من السلف الصالح في اعتقادهم وقيل الاماني الكاذب
المختلفة قاله ابن عباس اي ولكن يعتقدون الكاذب اخذوها تقليدا من المخرفين او مواعيد
فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او قبيلا الاماني التلاوة ومنه قول
تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي اذا تلى القى الشيطان في تلاوته اي لا علم لهم
الا بحد التلاوة من دون تفهم وتدبر وقراءة عارية عن معرفة المعنى وقيل الاماني التقدير
قال الجوهري يقال معنى له اي قدر قال في الكشاف والاشتقاق من معنى اذا قدر لان المتقني
يقدر في نفسه ويحزم ما يقنن به وكذلك المخلوق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا انتهى
وقيل هو من التقني وهو قولهم لم تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنى والمعنى
لكن يمتنون اشياء لا تحصل لهم وانهم لا يظنون اي ليسوا على يقين والظن هو التردد
الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم كذا في القاموس اي ما هم لا يترددون بغير حزم
ولا يقين وقيل الظن هنا بمعنى الكذب وقيل هو مجرد الحدس لما ذكر الله سبحانه اهل العلم
منهم بانهم يتكلمون على الاماني ويعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليد هم على غيره
ولا يظفرون بسواه فويل للذين يكتبون الكتاب يا ايديهم الويل الهلاك قال الفراء الاصل
في الويل وي اي حزن كما تقول وي فلان اي حزن له فوصلته العرب باللام قال الخليل
ولم يسمع على بناءه الا ويح وويس وويه وويك وويب وكله متقارب في المعنى وقد فرق بينها
قوم وهي مصادرات تنطق العرب بافعالها وجاهز لا ابتداء به وان كان نكرة لان فيه معنى الدعاء
وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب واخرIFT السنة والكتابة معروفة والمعنى انهم يكتبون الكتاب المحرف لا يكتبون
ولا ينكرونه على فاعله وقوله يا ايديهم تأكيد لان الكتابة لا يكون الا باليد فهو مثل قوله ولا طائر

يطير بجناحيه وقوله يقولون يا فواهم ثم يقولون هذا من عند الله قال ابن السراج هو
 كناية عن انه من تلقاءهم دون ان ينزل عليهم وفيه انه قد دل على انه من تلقاءهم قوله يكتبون
 الكتاب فاسناد الكتابة اليهم يفيد ذلك ليشترطوا به اي بما كتبوا ثمنا قليلا اي الماكل والشاء
 ولا اشتراء الاستبدال ووصفه بالقلالة لكونه فانيا لا ثواب فيه او لكونه حراما لا تحمل به البركة فهو
 الكتابة لم يكتبوا بالتحريف ولا بالكتابة لذلك المحرف حتى نادوا في الحافل بانه من عند الله لئلا
 بهذه المعاصي المتكررة هذا الغرض التزم والعوض الحقير فويل لهم مما كتبت ايديهم
 تأكيد لقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ومع ذلك فيه نوع مغايرة لان هذا وقع
 تعليلا فهو مقصود وذلك وقع صلة فهو غير مقصود والكلام في هذا كاذبي فيما قبله من جهة
 ان التكرير للتأكيد وويل لهم مما يكتبون قيل من الرشاء ونحوها وقيل من المعاصي وكرر الويل لتعطيل
 عليهم وتعظيم الفعل لهم وهتك آياتهم وقال سعد التقي زكريا انما كبر ليفيد ان الهلاك
 على كل واحد من الفعلين على حدة لا على مجموع الامرين والكسب مسبب فجاء النظم على هذا
 الترتيب وقد ذكر صاحب الدلائل المنشور ان اعراس جماعة من السلف انهم كرهوا بيع المصاحف مستند
 بهذه الآية ولا دلالة فيها على ذلك ثم ذكر ان اعراس جماعة منهم انهم جوزوا ذلك ولم يكرهوه وقالوا
 اي اليهود كن تمسنا اي تصيدنا النار الا ايا ما معدودة استثناء مفرغ اي قد را مقدرا
 يحصرها العدد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع عنا العذاب وقد اختلف في سبب نزول هذه
 الآية قال ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل
 الف سنة من ايام الدنيا يوما واحدا في النار وانما هي سبعة ايام معدودة ثم ينقطع العذاب
 فانزل الله في ذلك هذه الآية وعن عكرمة قال اجتمعت يهود يومافخا صمو النبي صلعم فقالوا
 لن تمسنا النار الا اربعين يوما ثم يخلفنا فيها ناس واشأر الى النبي صلعم واصحابه فقال رسول
 الله صلعم ورجيد يده على راسه كذا يتم بل انتم خالدون مخلدون فيها لا تخلفكم فيها ان شاء الله ابدا
 ففهم نزلت هذه الآية واخرج احمد والبخاري والدارمي والنسائي من حديث ابي هريرة ان
 النبي صلعم سأل اليهود في خير من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم
 رسول الله صلعم اخسئوا والله لا تخلفكم فيها ابدا والمراد بقوله قل انخذتم عند الله عهدا

الشم

الانكار عليهم كما صدر منهم من هذه الدعوى الباطلة انها لم تسهم النار الا اياما معدودة
 اي لم يتقدم لكم مع الله عهد بهذا ولا اسلفتم من الاعمال الصالحة ما يصدق هذه الدعوى
 حتى يتعين الوفاء بذلك وعدم اخلاف العهد اي ان اتخذتم عهدا فكن تحلف الله عهدا
 هذا جواب الاستفهام المتقدم في قوله اتخذتم وقال ابن عطية هذا اعتراض بين اتمام الكلام
 قال الرازي العهد في هذا الموضع يجري مجرى الوعد وانما سمي خبره سبحانه عهدا لان خبره
 اوكد من العهود للؤكد اَمْ تَقُولُونَ اَمْ متصلة وح الاستفهام للتقرير الموحى الى التبيك
 او منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه على الله مَا لَا تَعْدُونَ قيل انهم لو قالوا
 نعم لكفر واقاله السمين بكى اثبات لما بعد حرف النفي اي بل تسكم النار ابد الالعه الوجه
 الذي ذكرتم من كونه اياما معدودة من كسب سيئة المراد بها الجنس هنا ومثله قوله تعالى
 وجزاء سيئة سيئة مثلها من يعمل سوءا يجز به ثم اوضح كسبها انه ان عجز كسب السيئة لا يجب
 الخلود في النار بل لابد ان يكون سببه محيطا به فقال وَاحْطَطَتْ بِهٖ خَطِيئَتُهَا اي احاطت به
 من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة وسدت عليه مسالك النجاة قيل هي الشراك قاله ابن عباس
 ومجاهد وقيل هي الكبيرة وتفسيرها بالشرك اولى لما ثبت في السنة قاترا من خروج عصاة
 الموحدين من النار ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود وان كان الاعتبار بعموم اللفظ لا
 بخصوص السبب وعليه اجماع المفسرين وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج قال الحسن
 كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة فَاُولَٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ والخلود
 في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر و
 الشرك وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح فان قلت لو
 دل الايمان على العمل لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا قلت امنوا يقيد لما مضى
 عملوا يقيد المستقبل فكانه قال امنوا ثم داموا عليها اخر او يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة
اُولَٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لا يخرجون منها ولا يموتون واني بالفاء في الشق الاول
 دون الثاني ايذانا بتسبب الخلود في النار عن الشرك وعدم تسبب الخلود في الجنة عن الايمان
 بل هو محض فضل الله تعالى وَإِذَا خَذْنَا النُّخْلَابَ مع بني اسرائيل وهم اليهود المعاصرون

للنبي صلى الله عليه وسلم ما وقع من اسلافهم وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والاول اولى اي ما ذكره واذا اخذنا
 وهذا شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود بما يتادي بعدم ايمان اخلافهم
مِيثَاقُ بَنِي إِسْرَءِيلَ الذين كانوا في زمن موسى وقد تقدم تفسير الميثاق لما اخذ على بني اسرائيل
 وقال ميكي ان الميثاق الذي اخذه الله عليهم هنا هو ما اخذه عليهم في حياتهم على السن انبياءهم
 وهو قوله لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ خبر بمعنى النهي وهو بلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن
 النهي عنه وتأكد طلب امتثاله حتى كأنه امتثل واخبر عنه وعبادة الله اثبات توحيد وتصف
 رساله والعمل بما انزل الله في كتبه وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا اي معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما
 وامتنال امرهما وسأئما اوجبه الله على الولد لوالديه من الحقوق ومنه البر بهما والرحمة لهما
 والنزول عند امرهما فيما لا يخالف امر الله ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما وان كانا
 كافرين وان يدعوهما الى الايمان بالحق والالين وكذا ان كانا فاسقين يأمهما بالمعروف من غير
 عنف ولا يقول لهما أَفْ تَوَخَّى الْقُرْبَى اي القرابة لان حقها تابع لحقهما والاحسان اليهم انما هو
 بواسطة الوالدين والقرى مصدر كالرجى والعقبه وهم القرابة والاحسان بهم صلتهم والقيام
 بما يحتاجون اليه بحسب الطاقة وبقد رما تبلغ اليه القدرة واليتامى جمع يتيم واليتيم في بني
 ادم من فقد ابوه وفي سائر الحيوانات من فقدت امه واصله لانفراد يكال صبي يتيم اي
 متفرد من ابيه فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتيم وتجب رعاية حقوق اليتيم ثلثة امور لصغره و
 يته وخلوه عن يقوم بمصلحة اخذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بموائجه وَالْمَسْكِينِ جمع
 مسكين وهو من اسكنته الحاجة وذلت له وهو اشد فقرا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وكثير
 من اهل الفقه وروي عن الشافعي ان الفقير اسوأ حالا من المسكين وقد ذكر اهل العلم
 لهذا البحث ادلة مستوفاة في مواضعها وقول لَوْ لَتَأْكُلَنَّ حَسَنًا مصدر كيشري وقرء زيد بن
 ثابت وابن مسعود حَسَنًا قال لا تخشهما بمعنى واحد مثل الجمل والجمل والرشد والرشد فهو
 صفة مشبهة لا مصدر كما فهم من عبارة القاموس فسقط ما للكرخي هنا والظاهر ان هذا القول
 الذي امرهم الله به لا يختص بنوع معين بل كل ما صدق عليه انه حسن شرعا كان من جملة ما
 يصدق عليه هذا الامر وقد قيل ان ذلك هو كلمة التوجيه وقيل الصدق وقيل الامر بالمعروف

وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق والنهي عن المنكر وقيل غير ذلك قيل انه الخطاب
 للحاخرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وآله فلهذا عدل عن الغيبة الى الخطاب قاله ابن عباس
 قيل ان الخطابين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام وانما عدل من الغيبة الى الخطاب
 على طريق الالتفات وتقدم تفسير قوله وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وهو خطاب للنبي اسرائيل
 فالمراد الصلوة التي كانوا يصلونها والزكاة التي كانوا يخرجونها قال ابن عطية وزكاهم هي التي
 كانوا يضعونها فتزل النار على ما يقبل ولا تنزل على ما لا يقبل والخطاب في قوله تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 قيل للحاخرين منهم في عصر النبي صلى الله عليه وآله مثل سلفهم في ذلك وفيها التفات من الغيبة الى الخطاب
 اي اعرضتم عن العهد ومن فوائد الالتفات نظرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملا لى
 جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسامة من الاستمرار على منوال واحد كما هو مقر
 في محله والاعراض والتولى بمعنى واحد وقيل التولى بالجسم والاعراض بالقلب إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ
 منصوب على الاستثناء وهو من اقام اليهودية على وجوها قبل النسخ ومن اسلم منهم كعب الله
 بن سلام واصحابه وانتم مُعْرِضُونَ كاعراض بائكم ام هم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية
 لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به ثم اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
 قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله والمراد اسلافهم المعاصرون لموسى على
 سنن التذكيرات السابقة وهذا شروع في بيان ما فعلوه بالعهد المتعلق بحقوق العباد
 بيان ما فعلوا بالعهد المتعلق بحقوق الله وما يجري مجراها وقيل لا بائهم وفيه تفرغ لهم توبخ
لَا تَسْفِكُونَ اي لا تريقون والسفك الصب قري من السفك وقد تقدم مَاءَكُمْ اي لا تفعل
 ذلك بعضكم ببعض ولا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكم سفكتم دماء انفسكم
 فهو من باب المجازاة بادنى ملاسة اولانه يوجب قصاصا فهو من باب اطلاق السبب على
 السبب وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ اي لا يخرج بعضكم بعضا من دياره وقيل لا تفعلوا
 شيئا يخرجوا بسببه من دياركم والدار المنزل الذي فيه ابينة للقيام بخلاف منزل الارتحال
 قال الخليل كل موضع حله قوم فهو دارهم وان لم يكن في دارية وقيل سميت دار الدورها على سبيل
 كما يسمى الحائط حائطه على ما يحويه ثم اقررتهم من الاقرار اي حصل منكم الاعتراف

بهذا الليناق الماخوذ عليكم انه حق وانتم تشهدون يا معشر اليهود الشهادة هنا بالقلوب
 وقيل هي بمعنى الحضور اي انكم لان تشهدون على اسلافكم بذلك وعلى هذا السناد
 الاقرار اليهم مجاز وكان الله سبحانه قد اخذ في التوراة على بني اسرائيل ان لا يقتل بعضهم
 بعضا ولا ينفقه ولا يسترقه ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخربون فريقاتكم من
 ديارهم تطاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي انتم هؤلاء الحاضرون المشاهدون
 تخالفون ما اخذه الله عليكم في التوراة واصل المظاهرة المعاكسة مشتقة من الظاهر لان
 بعضهم يقوي بعضا فيكون له كالظهور منه قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله
 والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى تتعاونون عليهم بالعصية والظلم والاثم في الاصل الذي
 وجعه اثم ويطلق على الفعل الذي يستحق به صاحبه الذم والوم وقيل هو ما تنفس منه النفس
 لا يطعن اليه القلب ولا ية قلوب ما ذكرنا وتحتل ان يتجوز به عما يوجب الاثم اقامة للسبب
 مقام المسبب والعدوان التجاوز في الظلم وهو مصدر كالكفران والغفران والمشهور ضم
 فائه وفيه لغة بالكسر وان يأتواكم اي الفريق الذي تخربونه من دياره وقت الحرجال
 كونه اسارى اي سيرا قال الزجاج يقال اسارى كما يقال سكارى قال ابن فارس يقال في جمع
 اسيراسى واسارى انتهى فالعجب من ابي حاتم حيث ينكر ما ثبت في التنزيل وقرء به
 الجمهور والاسير مشتق من السير وهو القدر الذي يشد به الحمل فسمى اسيرا لانه يشد وثاقه
 ثم سمي كل اخذ اسيرا وان لم يؤخذ ثقاؤهم اي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقيل
 تبادلهم وهو مفاداة الاسير والفداء هو ما يؤخذ من الاسير ليفك به اسره يقال فداءه
 وفاداه اعطى فداءه وانفذه وهو ضمير الشأن ويسمى ضمير القصيدة ولا يرجع الا على ما بعد
 وفائد الدلالة على تعظيم الخبر عنه وتفخيمه محكم عليكم اخر اجهم قال المفسرون كان الله
 سبحانه قد اخذ على بني اسرائيل في التوراة اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك
 المظاهرة وفداء اسراهم فاعرضوا عن كل ما امروا به الا الفداء فوخذهم الله على ذلك بقوله
 افنؤن منون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض اي ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم
 وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا قد مهم على مناقضة

افعالهم لانهم اتوا ببعض ما يوجب عليهم وتركوا البعض وهذا هو مناط التوبخ حسبما يفيد
 ترتيب النظم الكريم لان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند
 الله د اخلافة للشاكر فما جزاء من يفعل ذلك منكم يا معشر اليهود الا خزي في
 الحيوۃ الدنيا الخزي الهوان والعذاب وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به الملائع
 اليهود موفرا فصاروا في خزي عظيم بما الصق بهم من الذل والمهانة بالاسر والقتل وضرب
 الجزية والجلد فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلاء والنفي من
 منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب يعني
 النار لانهم جاؤا بذنوب شديدة ومعصية فظيعة وهذا الخبر من الله سبحانه بان اليهود
 لا ينالون في عذاب موفرا لانهم بالجزية والصغار الذلة والمهانة وما الله بغافل عما
 تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اولئك الذين اكثروا الحيوۃ الدنيا بالآخرۃ بان
 اتروها عليهم لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرۃ غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا
 فاتته لذات الآخرۃ قال قتادة استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرۃ فلا يحقق عنهم العذاب
 ابد اما دما واولاهم ينصرون ولا يملعون من عذاب الله لا يوجب لهم ناصريد عنهم
 ولا يثبت لهم نص في انفسهم على عدوهم وكفد انبياء موسى الكتاب اي اعطيناه
 التورۃ بجملة واحدة مفصلة محكمة شرع في بيان بعض اخر من جنائياتهم وتصديرة
 بالجملة القسمية لاطهار كمال الاعتناء به وقصينا من بعده بالرسول اي اتبعنا والتقوية
 الاتباع والاردا فوهوان يقضوا اثر الآخر ما خوف من القفا وهو مؤخر العنق والمراد
 ان الله سبحانه ارسل على اثره رسلا جعلهم تابعين له وكانت الرسل من بعد موسى الى
 زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض الشريعة واحدة وهم انبياء بني اسرائيل
 المبعوثون من بعدهم كالشموئيل بن بابل والياس ومنشائل واليسع ويونس وذكرى اوحيى
 وشعيا وخز قيل وداد وسليمان وارميا وهو الخضر عيسى ابن مريم فهو لاء الرسل
 بعثهم الله وانتخبهم من امة موسى واخذ عليهم ميثاقا عليظا ان يودوا الى امتهم صفة محمد
 صلام وصفة امته وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى فجاءهم بشرى بتجديد

وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله وَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ اِيْمَانًا لا اله الا
 الواضحات وهي الادلة التي ذكرها الله في آل عمران والمائدة وهي الايات التي وضع
 على يديه من احياء النوق وبراء الاكسه والابص وخلقه من الطين كهية الطير
 وبراء الاسقام والخبر بكثير من الغيوب وما ورد عليهم من التوبة والنجيل
 الذي احدث الله اليه وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالكس يانية ايشوع ومريم
 بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كن يد من الرجال ذكر السيوطي في التفسير ان مدة
 ما بين موسى وعيسى الف وتسعمائة سنة وخمس وعشرون سنة وَاَيَّدْنَا نَارَ يَرْوُحِ
الْقُدُسِ والتأييد التقوية وروح القدس من اضافة الصفة الى الموصوف اي الروح
 المقدسة والقدس الطهارة والمقدس المطهر قيل هو جبريل قاله ابن مسعود ايد
 الله به عيسى وسمي جبريل روحا واضيف الى القدس لانه كان يتكلم الله له عن غيبا
 ولادة وقيل القدس هو الله عز وجل وروحه جبريل وقيل المراد بروح القدس الاسم
 الذي كان يحيي به عيسى النوق واسم الله الاعظم وقيل المراد به الانجيل وقيل المراد
 به الروح للنفوح فيه ايد الله به لما فيه من القوة وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى
 قال اللهم ايد حسان روح القدس وكان جبريل يسير مع عيسى حيث سار فلم يفارقه
 حتى صعد به الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة اَفَكُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
اَنْفُسُكُمْ اَيَّ بِالْاَيَّوِ اقْفَرُوا وَيَلَايْمُهَا واعل الهوى الميل الى الشيء قال الجوهري وسمي
 الهوى هو لانه يهوى بصاحب الى النار ونجهم الله سبحانه بهد الكلام المعنوي بهمة
 التوبخ استكبرتم عن اجابته احتقار للرسول واستبعاد الرسالة والسين زائدة للمبالغة
فَقَرَّبْنَا كُنُوزَهُمْ وَفَرَّقَا قُلُوبَهُمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ الفاء للتفصيل ومن الفرق المكذابين عيسى وعمل عليهما
 الصلوة والسلام ومن الفرق المقتولين يحيى وذكر يا عليهما الصلوة والسلام وسائر من
 قتلوه وقالوا اَقْلُوبُنَا عَلَفٌ جمع اعلف المراد به هنا الذي عليه غشاوة تمنع من وصول
 الكلام اليه فلا يعي ولا يفقه قال في الكشاف هو مستعار من الاخلف الذي لم ينجح في كونه
 قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل ان العلف جمع غلاف مثل جمار وجراري قلوبنا

او عية للعلم فما بالهم لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا فرد الله عليهم ما قالوا
 فقال بل لعنهم الله يكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير اصل اللعن في كلام العرب
 الطرد والابعاد فقليل لا مكثون ومنون وصف ايمانهم بالقليل لانهم الذين قص الله
 علينا من عنادهم وعجز قوتهم وشدة عجاظهم وبعدهم من اجابة الرسل ما قصه ومن
 جملة ذلك انهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وقال معمر المعنى لا يؤمنون
 الا بقليل مما في ايديهم ويكفرون بالاكثرة قال الواقي معنى لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا
 قال الكسائي يقول العرب مررنا بأرض قل ما تنبت الا كرات والبصل اي لا تنبت
 شيئا واخرج احمد بسند جيد عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة
 قلب اجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب غلف مربوط على غلافه وقلب منكوس من قلب
 مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراج فيه نور واما القلب الغلف فقلب الكافر
 واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرفت ثم اذكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان و
 نفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقرة يمد هائل الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
 يمد هال القبح فاي المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وقال قتادة لا يؤمن منهم الا قليل
 لان من امن من المشركين كان اكثر منهم وقيل فاما قليلا يؤمنون فهو على حد قوله امنوا
 وجه النهار واكفروا اخره وكما جاءهم اي اليهود كتاب من عند الله هو القرآن مصدق
 لما معهم من التوراة والانجيل انه يخبرهم بما فيه ما يصدق به ولا يخالفه وكانوا امن قبل
 مبعث النبي صلى الله عليه وسلم اي يستنصرون به والاستفتاح الاستنصار اي كانوا امن
 قبل يطلبون من الله النصر على اعدائهم بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي يجي بصفته
 عندهم في التوراة وقيل الاستفتاح هنا بمعنى الفتح اي يخبرونهم بانه سيدبعث ويعرفونهم
 بذلك على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا اخبرتهم امر دهمهم
 عد ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي يجي بصفته في التوراة
 فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لا عدائهم من المشركين قد اظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما
 قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرّفوا يعني محمد صلى الله عليه وسلم عرفوا انه نبي من غير

يعني اسرائيل كفر ثانياً اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعمنة الله على الكافرين اي
 عليهم وضعا للظاهر موضع المضمحل لالدلالة على ان الامنة كحقهم لكفرهم واستعلت عليهم
 وشملتهم واللام للعهد والجنس ودخلوا فيه دخولاً اولياً بئسما اشترى واية انفسهم اي
 بئس الشيء وقال لفرأ بئسما كجملته شيء واحد ركب كحذاء اي بئس ما باعوا به عظامهم
 حين استبدلوا الباطل بالحق ان يكفروا بما انزل الله يعني القرآن بغياً اي حسدا قال
 الاصمعي البغي ما خوذ من قولهم قد بغى الجرح اذا فسد وقيل اصله الطلب ولذا لم يسميت
 الزانية بغياً وهو علة لقوله يكفر واقله القاضي وقال الزنجشري هو علة لقوله اشترى واو
 قوله الايتان ينزل علة لقوله بغياً اي لان ينزل والمعنى انهم باعوا انفسهم بهذا التمنيع
 حسدا ومنافسة ان ينزل الله من فضله وليس بواجب عليه على من يشاء من عباده
 فباءوا اي فرجعوا وصاروا والخطباء يغضب على غضب طويل الغضب الاول لعبادتهم العجل
 والثاني لكفرهم بحمد صلواتهم وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام والانجيل ثم لكفرهم بحمل صلواتهم
 والقران وقيل لكفرهم بحمد صلواتهم عليه وقال ابن عباس الاول بتضييعهم التوراة
 وتبديلها والثاني بكفرهم بحمد صلواتهم وقيل غير ذلك التذكير للتعظيم والكافرين عذاب
 مهين ذواهاة ما خوذ من الهوان قيل وهو ما اقتضى الخلود في النار واذا قيل لهم
 انؤمنوا بما انزل الله وهو القرآن وقيل كل كتاب اي صدقوا بالقران او صدقوا بما انزل الله
 من الكتب قالوا نعم انؤمن بما انزل علينا اي التوراة ويكفرون الواو والحاء بما وراءه
 اي بما سواه من الكتب قاله الفراء وبما بعده يعني الانجيل والقران قاله ابو عبيدة وقال
 الجوهري وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وامام وهي من الاضداد ومنه قوله تعالى
 وكان وراءهم ملك اي قدامهم وهذا الخطاب وان كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به
 اسلافهم ولكنهم لما كانوا يرضون بأفعال سلفهم كانوا مثلهم وفي الآية دليل على ان من
 رضى بالمعصية فكانه فاعل لها وهو الحق يعني القران مصداقاً لما معهم يعني التوراة قل
 يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل
 الانبياء وهذا تكذيب لهم لان الايمان بالتوراة من ان يقتل اشرف خلقه ولقد جاءكم موسى

هذا داخل تحت الامر السابق اي وقل لهم لقد جاءكم موسى والغرض منه بيان
 كذبهم هكنا افاده البيضاوي وكثير من المفسرين وفيه نظر اشار له ابو السعود بالبينة
 اي بالادلة الواضحة والمجربات الظاهرة والبيّنات يجوز ان يراد بها التوبة او التسع
 الايات المشار اليها بقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ويجوز ان يراد بها
 الجميع ثم اتخذ ثم العجل من بعده اي من بعد النظر في تلك البيّنات او من بعد موسى
 لما ذهب الى الميثاق لياقي بالتوراة وانتم ظالمون اي حال كونكم ظالمين بهذه العبادة
 الصادرة منكم عناد بعد قيام الحجّة عليكم وانما كره تبيّناتهم وتأكيد الحجّة عليهم
 واخذنا منكم نائميثا فكم ورفعنا فوقكم الطور فخذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قد
 تقدم تفسير اخذ الميثاق ورفع الطور والامر بالسماح معناه الطاعة والقبول ليس
 المراد مجزء الادراك بحاسة السمع ومنه قولهم سمع الله من حمده اي قبل واجاب قالوا
 سمعنا اي سمعنا قولك بحاسة السمع وعصينا يعني امرنا بقلوبنا اي لا نقبل ما تأمرنا
 به ويجوز ان يكونوا ارادوا بقولهم سمعنا ما هو معهود من تلامعهم واستماعهم المغالطة
 في غنا طبة انبياءهم وذلك بان يحملوا قوله تعالى اسمعوا على معناه الحقيقي اي السماع
 بالحاسة ثم اجابوا بقولهم سمعنا اي ادركنا ذلك باسماعنا عملا بموجب ما تأمرنا
 به ولكنهم لما كانوا يعلمون ان هذا غير مراد به عز وجل بل مراده بالامر بالسماح الامر
 بالطاعة والقبول لم يقتصر واعلى هذه المغالطة بل ضموا الى ذلك ما هو الجواب عندهم
 فقالوا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي تدخل حبه في قلوبهم والحرس
 على عبادته كما يتدخل الصغ في الثوب وفيه تشبيه بليغ اي جعلت قلوبهم لتمكّن حب
 العجل منها كانه تشربه وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل لان شرب الماء
 يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى باطنها والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها وقيل ان
 امران يبرد العجل ويذرى في التمر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب
 العجل ظهر سحالة الزئبق على شاربته وما ابعده واشرب من الخالطة المائع للجأمد شمر
 اتسع فيه حتى قيل في الالوان نحو اشرب بياضه حمرة والبلاء للسببية اي يسبب كفرهم

قُلْ يَسْمَا يَا مَعْ كُفُّوا إِيْمَانَكُمْ الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنكُمْ تَوْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ وَتَكْفُرُونَ بِمَا
 وَرَاءَهُ فَإِنَّ الصَّنْعَ وَهُوَ قَوْلُكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا فِي جَوَابِ مَا أَمَرَ تَمَّ بِهِ فِي كِتَابِكُمْ وَأَخَذَ
 عَلَيْكُمْ الْمِيثَاقَ بِهِ مَنَادَ عَلَيْكُمْ بِأَبْلَغِ نَذَائِ خِلَافِ مَا زَعَمْتُمْ وَكَذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْكُمْ مِنْ
 عِبَادَةِ الْعَجَلِ وَتَزُولُ حَبَّةٌ مِنْ قُلُوبِكُمْ مِنْ نَزَلَةِ الشَّرَابِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَدُلُّ عَلَى
 أَنكُمْ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِكُمْ نَوْءٌ مِنْ بِنَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ لَأَصَادِقُونَ فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ كِتَابَكُمْ الَّذِي
 أَمَرْتُمْ بِهِ هُوَ أَيْسَرُ يَا مَعْ كُفُّوا إِيْمَانَكُمْ بِكِتَابِكُمْ وَفِي هَذَا مِنَ التَّحَكُّمِ مَا لَا يَخْفَى أَنَّ
 كُنْتُمْ تُقَوِّمُونَ مِثْلَ بَزْعِكُمْ وَالْمَعْنَى لَسْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَأْمُرُ بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ وَالْمُرَادُ
 أَبَاوَهُمْ أَيْ فَكَذَلِكَ لَسْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَاةِ وَقَدْ كُنْتُمْ مَجْهُدًا وَالْإِيْمَانُ بِهِ لَا يَأْمُرُ بِتَكْذِيبِهِ
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ إِيْغِيْهَا لَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ
 انْقِضَاءُ الدُّنْيَا وَهِيَ لِلْفَرِيقَيْنِ وَهَذَا دَعَاؤُهُمْ لِمَا ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَشْكُرُونَ
 فِي دُخُولِهَا غَيْرَهُمْ وَالزَّامُ لَهُمْ بِمَاتِبِينَ بِهِ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي تِلْكَ الدَّعْوَى وَأَنَّهَا صَادِقَةٌ
 مِنْهُمْ لَا عَنْ بَرَاهَانٍ خَالِصَةٍ مُصَدَّرٌ كَالْعَاقِبَةِ وَالْعَاقِبَةُ وَهُوَ بَعْنُ الْخُلُوصِ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ
 لَا يَشَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ إِذَا كَانَتْ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ مِّنْ دُونِ التَّكَاثُرِ لِلْجَنَسِ أَوْ لَا يَشَارِكُهُمْ فِيهَا
 الْمُسْلِمُونَ إِنْ كَانَتْ اللَّامُ لِلْعَهْدِ وَهَذَا يَجْعَلُ قَوْلَهُمْ فِي آيَةِ الْآخِرَى وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ
 الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى وَهُوَ مَوْكِلٌ بِهِ لِأَنَّ دُونَ تَسْتَعْمِلُ لِلِاخْتِصَاصِ يَقَالُ
 هَذَا أَيْ دُونَكَ أَيْ لَاحِقٌ لَكَ فِيهِ فَيَقْتَضِي الْمَوْتَ أَيْ فَاطْلُبُوهُ وَاسْأَلُوهُ وَأَمَّا أَمْرُهُمْ بِقَبْلِ
 الْمَوْتِ لِأَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَانَ الْمَوْتُ أَحْبَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَيَاةِ إِذَا لَا سَبِيلَ
 إِلَى دُخُولِهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَجْهُدٌ دَعَاؤُهُمْ أَجْمَعُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُصَادِقِينَ
 فِي قَوْلِكُمْ وَدَعَاؤُهُمْ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَلَكِنْ يَتَمَنَّوْنَ أَبَدًا هُوَ ظَرْفٌ زَمَانٌ يَصْدُقُ بِإِلْغَائِهِ
 وَالْمُسْتَقْبَلُ يَقُولُ مَا فَعَلْتُمْ إِذَا ذَكَرَ السَّمْعَيْنِ وَقَالَ هُنَاكَ فِي الْجَنَّةِ لَا لِأَنَّ لَنْ أَبْلَغُ
 فِي الشَّفِيِّ مِنْ لَا وَدَعَاؤُهُمْ هُنَا كَالْفَتَاةِ وَالطَّعْنَةُ فَذَا سَبَّ ذَكَرَ لَنْ فِيهَا وَدَعَاؤُهُمْ فِي الْجَمْعِ عَزَا
 مُرَدَّةٌ وَهِيَ رَعْمُهُمْ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَذَا سَبَّ ذَكَرَ فِيهَا كَمَا قَدْ مَرَّتْ أَيْلَهُمْ أَيْ مَا قَدْ مَرَّ
 مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي يَكُونُ فَاغْلَهَا غَيْرًا مِنْ الْعَذَابِ بَلْ غَيْرُ جَامِعٍ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَضْلًا

عن كونها آية له مخصصة به وإنما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنائيات الانسان
تكون من يده وقيل ان الله سبحانه خصهم عن القوي ليجعل ذلك آية لنبينا صلى الله عليه وسلم والمراد
بالتمني هنا هو التلذذ بما يدل عليه لا هجره خطو به بالقلب وميل النفس اليه فان
ذلك لا يراد في مقام المحاجة ومواطن الخصومة ومواقف التحدي وفي تركهم للتمني
اوصى نهم عنه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانوا يسلكون من التجرف والتجري
على الله وعلى انبيائه بالاعاوى الباطلة في غير موطن ما قد حكا عنهم التنزيل فلم يتركوا
عادتهم هناك لما قد تقرر عندهم من انهم اذا فعلوا ذلك التقى نزل بهم الموت اما لو
قد علموا اول الصفة من الله عز وجل وقد يقال قد ثبت النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم
الموت فكيف اصره الله ان ياصيهم بما هو منهي عنهم في شريعته ويوجب بان المراد هنا
الزامهم الحجة واقامة البرهان على بطلان دعواهم عن ابن عباس قال قال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنتم في مقاتلكم صادقين فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا
يقولها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه وعنه لو ان اليهود غنوا ما اتوا ولوا
مقاعدهم من النار والله اعلم بالتكليم فيه تضييع وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم
لانه اعم من الكفر لان كل كفر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان اعم وكانوا اولي به
ولكنهم لهم اللام للقسم والنون للتأكيد اي والله لتجدنهم يا محمد وهذا بلغ من قوله
ولن يتمنوا ابد الحرس التكاس على حيوة زيادة على عدم تقى الموت والحرس اشبه
الطلب وتنكير حيوة للتحقير اي انهم احرص الناس على حقير حياة وقل لبث في الدنيا
فكيف بحياة كثيرة ولبث متطاوول وقال في الكشف انه اراد بالتنكير حيوة محصورة
وهي الحياة المتطاولة وتبعه في ذلك الرازي والخازن في تفسيرهما ومن الذين الكفر
ووجه ذكرهم بعد ذكر الناس مع كونهم داخلين فيهم للذلة على مزيد حرص المشركين
من العرب ومن شاكهم من غيرهم فمن كان احرص عنهم وهم اليهود كان بالغاً في
الحرص الى غاية لا يقادر قدرها وانما بلغوا في الحرص الى هذا الحد الفاضل على حرص
المشركين لانهم يعلمون بما يحل بهم من العذاب في الاخرة بخلاف المشركين من العرب

ونحوهم فأنهم لا يقرون بذلك فكان حرصهم على الحياة دون حرص اليهود والاؤلوان
 كان فيه خروج من الكلام في اليهود الى غيرهم من مشركي العرب لكنه ارجح لعدم استلزام
 للتكلف ولا ضير في استطراد ذكر حرص المشركين بعد ذكر حرص اليهود وقال الرازي
 ان الثاني ارجح ليكون ذلك ابلغ في ابطال دعواهم وفي اظهار كذبهم في قولهم ان الدلائل
 لنا لا غيرنا انتهى ويحاج عنه بان هذا الذي جعله مرجحاً قد افاده قوله تعالى ولتجدنهم
 احرص الناس ولا يستلزم استتيان الكلام في المشركين ان لا يكونوا من جملة الناس
 يَوْمَ أَحَدُهُمْ يَمْنَحُ يَوْمَ يَمْنَحُ يَوْمَ يَمْنَحُ يَوْمَ يَمْنَحُ يَوْمَ يَمْنَحُ يَوْمَ يَمْنَحُ
 وانما خص الالف بالذكر لان العرب كانت تذكر ذلك عند ارادة المبالغة ولا نها
 نهاية العقود ولا نها تحية الجوس فيما بينهم يقولون زي هزا رسال اي عش الف سنة
 او الف نيزوا والف مخرجان فهذه تحيتهم وهذا كناية عن الكثرة فليس المراد خصوص
 هذا العدد والمعنى ان اليهود احرص من الجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمنزلة
 اي بمباعدة قيل هو راجع الى احد هم كما جرى عليه الجلال وعلى هذا يكون قوله انهم
 فاعلام خرحه وقيل هو ما حل عليه يعمر من مصدرة اي وما التعمير بمنزلة ويكون قوله
 ان يعمر بدلا منه وحكي الطبري عن فرقة انها قالت هو عماد وقيل هو ضمير الشان واليه
 نحا الفارسي تبعا للكوفيين وقيل ما تميمية وهو مبتدأ خبره بمنزلة على زيادة الباء
 وقيل ما هي الحجازية والضمير اسمها وما بعده خبرها والاؤلوان ارجح وكذلك الثاني والثالث
 ضعيف جدا لان العما لا يكون الا بدين شيئين ولهذا يسمونه ضمير الفصل والرابع فيه
 ان ضمير الشان يفسر بجملة سالمة عن حرف جر كما حكاه ابن عطية عن النخاعة والزخرفة
 التسمية يقال زخر حته فترخرج اي نخيته فتفتح وتباعد من العذاب من بمعنى عن
 النار ان يعمّر اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب والله بصير بما يعملون لا يخفى
 عليه خافية من احوالهم قل من كان عدوا لجبريل اي بسبب نزوله بالقران المشتمل
 على سيدهم وتكذيبهم هذه الآية قد اجمع المفسرون على انها نزلت في اليهود قال ابن جرير
 الطبري واجمع اهل التأويل جميعا ان هذه الآية نزلت جوابا على اليهود اذ زعموا ان جبريل

عدولهم وان ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا ما كان سبب قولهم ذلك فقال بعضهم
 انما كان سبب قيلهم ذلك من اجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ثم ذكر روايات في ذلك وجبريل اسم ملك وهو اعجب فلذلك لم ينصرف القوم
 باشتقاقه من جبروت الله بعيد لان الاشتقاق لا يكون في اسماء الاجمية وكذا قول
 من قال انه مركب تركيب الاضافة او تركيب مزج فهو حصر موت وفيه ثلث عشر لغة
 افصحها واشهرها بزنة قنديل والضمير في قوله فانه يحتمل وجهين الاول ان يكون لله
 ويكون الضمير في قوله نزله كجبريل اي فان الله سبحانه نزل جبريل على قلبك وفيه
 ضعف كما يفيد قوله مصدر قالما بين يديه الثاني انه كجبريل والضمير في قوله نزله
 للقران اي فان جبريل نزل القران على قلبك وخط القلبي لانه كرامته موضع العقل والعلم
 وخزانة الحفظ وببيت الرب وقد قيل انه في الدماغ يخبر الله اي بعلمه وادارته و
 تيسيره وتسهيله وقال ابن الخطيب تفسير الاذن هنا بالامراي بامر الله او لي من
 تفسيره بالعلم لانه حقيقة في الامر مجاز في العلم ويجب الحمل على الحقيقة مما يمكن واذا كان
 نزوله باذن الله فلا وجه للعداوة وانما كان لها وجه لو كان النزول برأيه مصدق كما
ما كان يكره هو التورية كما سلف اوجميع الكتب المتزلة وفي هذا دليل على شرف
 جبريل وارتفاع منزلته وانه لا وجه لمعاداة اليهود له حيث كان منه ما ذكر من تنزيل
 الكتاب على قلبك ومن تنزيل الله له على قلبك وهذا وجه الربط بين الشرط و
 الجواب اي من كان معاديا كجبريل منهم فلا وجه لمعاداة له فانه لم يصد عنه الا
 ما يوجب المحبة دون العداوة او من كان معاديا له فان سبب معاداة الله انه وقع منه
 ما يكرهونه من التنزيل وليس ذلك بذنب له وان كرهوه فان هذه الكراهة منهم
 له بهذا السبب ظلم وعدوان لان هذا الكتاب الذي نزل به هو مصدق لكتابتهم موفو
 له وهدي وبشرى المؤمنين اي في القران هداية المؤمنين الى الاعمال الصالحة التي
 يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بنواياها اذا اتوا بها وعذابا وشدة على الكافرين ثم اتبع سبحانه
 هذا الكلام بحجة مشتملة على شرط وجزاء تتضمن الذم لمن عادى جبريل بذلك السبب والوعيد

الشديد له فقال مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ الْعَدَاوَةُ مِنَ
 الْعَبْدِ هِيَ صَدْرُ الْمَعَاصِي مِنْهُ لَلَّهِ تَعَالَى وَالْبَغْضُ لَا وَلِيَاءَهُ وَالْعَدَاوَةُ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ هِيَ
 تَعْدِيَةٌ بِذَنْبِهِ وَعَدَمُ التَّجَاوُزِ عَنْهُ وَالْمَغْفِرَةُ لَهُ قَالَ الْكُرْمَانِيُّ قَدْ مَنَّ الْمَلَائِكَةُ عَلَى الرُّسُلِ كَمَا
 قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْجَمِيعِ لِأَنَّ عَدَاوَةَ الرُّسُلِ بِسَبَبِ نَزُولِ الْكِتَابِ وَنَزُولِهَا بِتَنْزِيلِ الْمَلَائِكَةِ
 وَتَنْزِيلُهُمْ لَهَا بِأَمْرِ اللَّهِ فَذَكَرَ اللَّهُ وَمِنْ بَعْدِهِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ أَمَّا خُصُّ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ
 بَعْدَ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ لِقَصْدِ التَّشْرِيفِ لِهَمَا وَالِدَلَالَةِ عَلَى فَضْلِهِمَا وَأَنَّهُمَا كَانَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 فَقَدْ صَارَا بِاعْتِبَارِ كِلَاهُمَا مِنَ الْمَرْبِئَةِ جِبْرِيلَ جَنَسُ الْخَرِاشِفِ مِنْ جَنَسِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ لُوصْفِهِ مِنَ التَّغَايُرِ
 الَّذِي كَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَقَرَّرَهُ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ وَفِي جِبْرِيلَ عَشْرُ لَفَظَاتٍ ذَكَرَهَا ابْنُ جَرِيرٍ
 الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ وَفِي مِيكَالَ سِتُّ لَفَظَاتٍ وَهُمَا اسْمَانِ أَجْمِيكَانِ قِيلَ مَعْنَاهُمَا عِبَادَةُ اللَّهِ لِأَنَّ
 جِبْرَ وَمِيكَ بِالْسَّرْيَانِيَةِ هُوَ الْعَبْدُ لِأَنَّ لَيْلَ هُوَ اللَّهُ وَالْعَرَبُ إِذَا نَطَقَتْ بِالْجَمْعِيِّ تَسَاهَلَتْ فِيهِ
 وَقَالَ ابْنُ جَنِي خَلَطَتْ فِيهِ وَلَا وَلِيَّ مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ فَأَمَّا عَدَاوَتُهُمْ لِلَّهِ
 فَأَنَّهَا لَا تَضُرُّهُ وَلَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَرْوَعُهُ وَتَهْلِكُ لَهُمْ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا خَيْرَ رَاحٍ عَظِيمٍ
 مِنْهُ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ أَيُّ عِلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى مَعَانِيهَا
 وَعَلَى كَوْنِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَوْ دَالَّةٍ عَلَى نُبُوَّتِكَ مَفْصَلَاتٍ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحَدِّ وَالْأَحْكَامِ
 وَمَا يَكْفُرُ بِهَا أَيُّ مَا يَحْدُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَيُّ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِنَا وَمَا
 أَمْرُ أَبِيهِ وَالظَّاهِرَانِ الْمَرَادِ جَنَسِ الْفَاسِقِينَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ الْيَهُودَ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَعَهُمْ
 وَالْأَوَّلُ أَوَّلِي لَانْتِمَائِهِمْ دَاخِلُونَ فِيهِ دَخُولًا أَوَّلِيًّا أَوْ كَلِمًا عَاهِدًا وَعَهْدًا اسْتَفْهَامًا انْتِكَارًا
 نَبْدَةً فَرِيقٌ أَصْلُ النَّبْدِ الطَّرْحُ وَالْإِلْقَاءُ وَمِنْهُ سَمِيَّ الْقَيْطِ مِنْبُذًا وَمِنْهُ سَمِيَّ النَّبْدِ وَهُوَ
 التَّمْرُ وَالزَّبِيبُ إِذَا طَرَحَ فِي الْمَاءِ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْأَجْرَامِ وَأَسْنَادُهُ إِلَى الْعَهْدِ كَمَا أَنْزَلْنَاهُمْ يَعْنِي
 الْيَهُودَ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ يَعْنِي كُفْرَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ وَفَرِيقٍ مِنْهُمْ بِالْحَدِّ
 الْحَقِّ وَالْمَعْنَى عَلَى انْتِكَارِ اللَّيَاقَةِ وَالْمُنَاسِبَةِ أَيُّ لَا يَنْبَغِي مِنْهُمْ نَبْدُ الْعَهْدِ كَمَا عَقَدُوهُ وَلَمَّا
 جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَعْنِي مُحَمَّدٌ أَصْلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْهَ وَسَلَّمْ هَذَا الشَّنْعُ عَلَيْهِمْ
 مِمَّا قَبْلَهُ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ أَيُّ بِصُحَّةِ التَّوْرَةِ وَأَنَّ التَّوْرَةَ بَشَّرَتْ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصداقاً للتوراة فانفتحت التوراة والقرآن نبيك
 قَرِيبٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِوَعْدِهِمْ كَمَا بَدَأَ اللَّهُ إِيَّاهُمُ الْتَوْبَةَ لَمُوافقة القرآن
 لها واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وما روت فلم يوافق القرآن او لانهم ك
 كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه بعد ان اخذ الله عليهم في التوراة الايمان به وتصديقه
 واتباعه وبين لهم صفته كان ذلك منهم نبذ للتوراة ونقضاً لها ورفضاً لما فيها ومجوز
 ان يباد بالكتاب هذا القرآن اي لما جاءهم رسول من عند الله مصداق لما معهم
 من التوراة نبذ واكتاب الله الذي جاء به هذا الرسول والاول اولى لان النبذ لا يكون
 الا بعد التمسك والقبول ولم يتمسكوا بالقرآن وركاء ظهورهم هذا مثل يضرب لمن
 يستخف بالشئ فلا يعمل به تقول العرب اجعل هذا خلعن ظهرك ود براذك وتحقيرك
 اي اتركه واعرض عنه كما أنهم لا يعكسون انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به و
 ومعرفة وهم علماء اليهود وحملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا قليلاً واتبعوا
 عطف على نبذ ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان يعني اليهود والتلاوة القراءة
 قال الزجاج على عهد سليمان وقيل المعنى في زمن ملكه وقيل في قصصه وصفاته و
 اخباره قال الفراء تصلح على وفي في هذا الموضع والاول اظهر وقيل يضمن تنلو معقول
 اي تقول على ملك سليمان وهذا اولى فان التجرى في الافعال اولى من التجزى في الحروف
 وقد كانوا يظنون ان هذا هو علم سليمان وانه يستجيزه ويقول به فردد الله ذلك
 عليهم وقال وما كفر سليمان يعني بالسحر ولم يعمل به وسليمان علم اعجمي فلذلك
 لم ينصرف وقال ابو البقاء فيه العجمة والتعريف والالف والنون وهذا انما
 يثبت اذا دخله الاشتقاق والتصريف وقد تقدم انما لا يدخلان في الاسماء الاعجمية
 وفيه تنزيه سليمان عن السحر ولم يتقدم ان احد النسب سليمان الى الكفر ولكن لما نسبته
 اليهود الى السحر صار بمنزلة من نسبته الى الكفر لان السحر يوجب ذلك وقالوا ان سليمان
 ملك الناس بالسحر ولهذا ثبت الله سبحانه كفر الشياطين فقال ولكن الشياطين كفروا
 اي بتعليمهم عن ابن عباس قال ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء فاذا سمع

احد هم بكلمة حق كذب معها الف كذبة فاشترتها قلوب الناس واتخذوها دواوين
 فاطلع الله على ذلك سليمان بن داود فاخذها فدفنها تحت الكرسي فلما مات سليمان
 قام شيطان بالطريق فقال الا اذكركم على كنز سليمان الذي لا كنز لاحد مثل كنزه
 المنع قالوا نعم فاخرجوه فاذا هو محرقتنا سحفتها الهمم وانزل الله عذ سليمان فيها قالوا
 من السحر فقالوا اتبعوا الآية اخرجوه الحاكم وصحبه واخرج النسائي وابن ابي حاتم عنه قال
 كان اصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم وكان يكتب كل شيء يا امر سليمان
 ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان اخرجته الشياطين فكتبوا بهن كل سطرين
 سحرا وكفرا وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل به فاكفروا جهال الناس وسبوه ووقف
 علماءهم فلم ينزل جهالهم يسبونهم حتى انزل الله على محمد صلعم واتبعوا الآية يَعْلَمُونَ التَّائِبَ
السَّحَرَةَ هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخيلات التي يحصل بسببها المسحوق ليحصل
 من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء وما يظنه راكب
 السفينة او الدابة من ان الجبال تسير وهو مشتق من سحرت الصبي اذا خذعته و
 قيل اصله الخفافا ان الساحر يفعله خفية وقيل اصله الصوف لان السحر مصروف عن
 جهته وقيل اصله الاستحالة لان من سحر استمالك وقال الجوهري السحر اخذة و
 كل ما لطف ما خذة ودق فهو سحر والساحر العالم وقال الغزالي السحر نوع يستفاد من
 العلم بنحو اص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الخواص هيكل
 على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات
 يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستغاثة بالشياطين
 وتحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور انتهى و
 قد اختلف هل له حقيقة ام لا فذهب المعتزلة وابو حنيفة الى انه خدع لا اصل له
 ولا حقيقة وذهب من عداهم الى ان له حقيقة مؤثرة وقد صح ان النبي صلعم سُحِرَ
 لبديد بن الاعصم اليهودي حتى كان يخيل اليه انه ياتي الشيء ولم يكن قد اتاكه ثم شفاه الله
 سبحانه والكلام في ذلك يطول وعد رسول الله صلعم السحر من الكبار وثناؤه بالشرك

كما في الصحيحين وإي ويعلمون الناس ما أنزل على الملكين وقيل واتبعوا ما أنزل على
 الملكين وهذا نوع اقوي من السحر والتغاير بالحقيقة لا بالاعتبار قال السدي هذا
 سحر آخر خاصمونه به فان كلام الملائكة فيما بينهم اذا علمت الانس فصنع وعمل به كان سحر
 بياكل اي في بابل وهو لا ينصرف للعجمة والعلمية فانها اسم ارض او بلد في سواد العراق
 وان شئت قلت للتأنيث والعلمية سميت بذلك لتبليبل السنة الخلاق بها والبليلة
 التفرقة هاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله ولكن الشياطين كفروا
 ذكر هذا ابن جرير وقال فان قال لنا القائل وكيف وجه تقديم ذلك قيل وجه تفضي
 ان يقال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان وما أنزل الله
 على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بياكل هاروت وماروت
 فيكون معنيًا بالملكين جبريل وميكائيل لان الحجرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم ان
 الله انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داود فاكد بهم الله بذلك
 اخبرني به صلى الله عليه واله وسلم ان جبريل وميكائيل لم ينزلن السحر وبراء سليمان من
 فحولة من السحر واخبرهم ان السحر من عمل الشياطين وانها تعلم الناس ذلك بياكل و
 ان الذي يعلمونهم ذلك رجلان احدهما هاروت والاخر ماروت فيكون هاروت
 وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردا عليهم انتهى وقال القرطبي في
 تفسيره بعد ان حكى معنى هذا الكلام ورجح ان هاروت وماروت بدل من الشياطين
 ما فظفه هذا الولي ما حملت عليه الآية واضح ما قيل فيها ولا يلتفت الى سواه فالسحر
 استخراج الشياطين للطاقة جوهرهم ودقة افهامهم واكثر ما يتعاطاه من الانس النساء
 وخاصة في حال طمئنهن قال الله ومن شر النفاثات في العقد ثم قال ان قيل كيف يكون
 اثناك بدلا من جمع والبدل انما يكون على حد المبدل ثم اجاب عن ذلك بان الاثنين
 قد يطلق عليهما الجمع وانما خصا بالذكور دون غيرهما التمردهما ويؤيد هذا انه قرأ ابن
 عباس والضحاك والحسن الملكين بكسر اللام ولعل وجه الجزم بهذا التأويل مع بعده
 وانه لا موجب لهذا التعسف المخالف لما هو الظاهر فان الله سبحانه ان يمتحن عباده

بما شاء كما امتحن بنهر طالوت ولهذا يقول الملك انما نحن فتنة قال ابن جرير وذهب
 كثير من السلف الى انهما كانا ملكين من السماء وانهما انزل الى الارض فكان من امرهما
 ما كان وكان عبد الرحمن بن ابيز يقرءها وما انزل على الملكين داود وسليمان و
 قال الضحاك هما عجمان من اهل بابل وبابل قيل هي العراق بارض الكوفة وقيل نجاونة
 وقيل نصيبين وقيل المغرب وهاروت وماروت اسمان اعجميان لا ينصران وهما
 سريانيان ويجمعان على هواريت ومواريت وهواريه ومواريه وليس من زعمشقا كما
 من الهرت والمرت وهو الكسر بعصيب لعدم انصرافهما لولا كانا مشتقين كما ذكره انصرافا
 اخرج البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرفت
 الملكة على الدنيا فرأت بني ادم يعصون فقالت يا رب ما اجهل هؤلاء وما اقل معرفة
 هؤلاء بعظمتك فقال الله لو كنتم في مسلاتهم لعصيتوني قالوا كيف يكون هذا ونحن
 نبيع محمد ونقدس لك قال فلختاروا منكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت
 ثم اهبطا الى الارض وركبت فيهما شهوات بني ادم ومثلت لهما امرأة فمعاصما حتى
 فاقما المعصية فقال الله اختارا عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر احدهما لصاحبه
 قال ما تقول قال اقول ان عذاب الدنيا منقطع وان عذاب الآخرة لا ينقطع فاختارا
 عذاب الدنيا فاما الاذن ذكر الله في كتابه وما انزل على الملكين الآية وقد رويت هذه
 القصة عن ابن عمر بالفاظ وفي بعضها انه يروي ذلك ابن عمر عن كعب الاحبار كما اخرج
 جماعة من اهل الاثر واخرج الحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب ان هذه الزهرة تسميها
 العرب الزهرة والعجم انا هيد قال ابن كثير وهذا الاسناد رجاله ثقات وهو غريب جدا
 وعن ابن عباس الزهرة امرأة واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عنه ان المرأة التي فن
 بها الملكان مسخت فهذه هي الكوكبة الحمراء يعني الزهرة واخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم
 والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عنه فذكر قصة طويلة وفيها التصريح بان الملكين
 شر بالخير وزنيا بالمرأة وقتلاها وعن ابن مسعود قال انها انزلت اليهما الزهرة في صورة
 امرأة وانما وقع في الخطيئة وقد روي في هذا الباب قصص طويلة روايات مختلفة

استوفاهما السيوطي في الدال المنثور وذكر ابن كثير في تفسيره بعضهما ثم قال وقد روي
 في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كجأهد والسدي والحسين
 وقتادة وابن العاكبية وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين و
 حاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع متصل
 الأسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق
 القرآن إجمال القصتين من غير بسط ولا إطناب فيهما فحقن مؤمن بما ورد في القرآن على
 ما أراه الله تعالى والله تعالى أعلم انتهى وقال أبو السعود هذا مما لا يثق عليه لما أن مدار
 رواية اليهود مع ما فيه من المخافة لادلة العقل والنقل انتهى ومثله في الخازن و
 نحوه في المظهر وهذا القول يقتضيان هذه القصة غير صحيحة وانها لم تثبت بنقل معتبر وتبع
 أبو السعود في ذلك البيضاوي التابع في ذلك للفخر الرازي والسعد النقضاني وغيرهما
 ممن اطال في ردّها لكن قال الشيخ زكريا أنصاري الحق ما أفاده شيخنا حفظ عصمه
 الشهاب بن حجران لها طرقات تفيد العلم بصحتها فقد رواها مرفوعة الإمام أحمد وابن
 أبي عمير وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم بأسانيد صحيحة و
 البيضاوي لما استبعد هذا المنقول ولم يطلع عليه قال أنه عكس عن اليهود ولعله من مؤيد
 الأولين ذكره الخطيب قد اطنب الشيخ ابن حجر المكي في جواب الرازي واستبعاد هذه القصة
 في كتابه الزواجر بما لا مزيد عليه وقال القرطبي بعد سياق بعض تلك قلنا هذا كله
 ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح منه شيء فإنه قول تدفعه الأصول في الملازمة
 الذين هم أمناء الله على وجهه وسفراءه إلى رساله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما
 يؤمرون ثم ذكر ما معناه أن العقل يحق وقوع ذلك منهم لكن وقوع هذا الجأهد ثلاثاً لا بد
 إلا بالسمع ولم يصح انتهى وأقول هذا محمّل استبعاد وقد ورد الكتاب العزيز في هذا الموضع
 بما تراه ولا وجه لإخراجه عن ظاهره بهذه التكلفات وما ذكره من أن الأصول تدفع ذلك
 فعلى فرض وجود هذه الأصول فهي مخصصة بما وقع في هذه القصة ولا وجه لمنع التخصيص
 وقد كان إبليس بتلك المنزلة العظيمة وصار أشد البرية وأكفر العالمين وما يعلم إلا ما

أي هاروت وماروت أو الملكان والاول اولى قال الزجاج تعليم انذار من السحر لا تعليم
 دعاء اليه قال وهو الذي عليه أكثر اهل اللغة والنظر ومعناه انهما يعلمان على النبي فيقول
 لهم لا تفعلوا كذا وقد قيل ان قوله يعلمان من الاعلام لا من التعليم وقد جاء في كلام
 العرب تعلم بمعنى اعلم كما حكاه ابن الانباري وابن الاعرابي وهو كثير في اشعارهم
 حتى يقولوا أي الا ان ينصحا أو لا وان يقولوا انما نحن فتنه هو على ظاهره أي ابتلاء
 واختبار من الله لعباده ومحبة وقيل انه استمراء منهم لانما انما يقولونه لمن قد
 تحقق ضلاله والاول اولى والمعنى انما نحن ابتلاء فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيقته
 كفر ومن توفى عن العمل به واتخذ ذريعة للاتقاء عن الاعتراض بمثله بقى على الايمان
 فلا تكفر باعتقاده حقيقته وجواز العمل به قاله ابو السعود واخرج البزار باسناد صحيح
 والحاكم وصححه عن ابن مسعود من اتى كاهنا أو ساحرا أو صدقه بما يقول فقد كفر بما
 انزل على محمد واخرج البزار عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطير
 أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له أو عقد عقدة أو من اتى كاهنا فصدقه
 بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد واخرج عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم شيئا من السحر قليلا أو كثيرا كان اخر عهده من الله وقوله
 فلا تكفر بالغ انذار واعظم تحذير أي ان هذا ذنب يكون من فعله كافرا فلا تكفر
 فيه دليل على ان تعلم السحر كفر وظاهر عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه
 ليكون ساحرا ومن تعلمه ليقد على دفعه وبه قال احمد فيتعلمون منها يعني من
 الملكين ما يفرقون بين البين والبين وجه أي سحر يكون سببا في التفريق بينهما كالتفريق
 والتخييل والنفت في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشون والحلا
 بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى وفي اسناد التفريق الى السحرة وجعل السحر سببا لذلك
 دليل على ان السحر تأثير في القلوب بلحب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد
 وقد ذهب طائفة من العلماء الى ان الساحر لا يقدر على أكثر ما أخبر الله به من التفرقة
 لان الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر وبين ما هو الغاية في تعليمه فلو كان يقدر على أكثر

من ذلك لذكره وقالت طائفة أخرى ان ذلك خرج مخرج لا يخلو وان الساحر يقدر
 على غير ذلك المنصوص عليه وقيل ليس للسحر تأثير في نفسه اصلا لقوله تعالى وما هم
 بضارين به من احد الا اذا ن الله والحق انه لا تنا في بين القولين للذكورين فان المستفاد
 من جميع ذلك ان السحر تأثيرا في نفسه وحقيقة ثابتة ولم يخالف في ذلك الا المعتزلة وابو
 كما تقدم وهذا الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ويتعلمون ما يصرونهم ولا ينفعهم يعني
 السحر لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجري الى العمل غالبا وفيه تصريح بان السحر لا يعود
 على صاحبه بفائدة ولا يجلب اليه منفعة بل هو ضرر محض وخسران صرف وشرحت
 قال ابو السعود فيه ان الاجتناب عما لا تقوى غوائله خير من تعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان
 تجر الى الغواية انتهى ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر والمراد بالشراء
 هذا الاستبدال اي من استبدل ما يتلو الشياطين مما له في الاخرة من خلاق ثم اي
 نصيب كما عند اهل اللغة كما قال الزجاج وليس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقد
 اثبت لهم العلم في قوله ولقد علموا ونفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون واختلفوا في
 توجيه ذلك فقال قطرب الاخفش ان المراد بقوله ولقد علموا الشياطين والمراد بقوله
 لو كانوا يعلمون الانس وقال الزجاج ان الاول للملكين وان كان بصيغة الجمع فهو مثل قولهم
 الزيدان قاموا والثاني المراد به علماء اليهود وانما قال لو كانوا يعلمون لانهم تركوا العمل بعلمهم
 ولو انهم امنوا اي اليهود بالنبي صلواته وما جاء به من القران واتقوا ما وقعوا فيه من
 السحر والكفر كمشوبة من عند الله اي لكان ثواب الله اياهم خيرا لهم يعني هذا الثواب
 والمنوبة ومنها مفعولة قاله الواحدي ومفعلة مكشورة ومتربة وكان من حقها الاخلال
 فيقال مثابة كفالة الا انهم صحوها قاله السمين لو كانوا يعلمون ذلك هو ما للدلالة على
 انه لا علم لهم اول تنزيل علمهم مع عدم العمل منزلة العدم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
 راعنا اي راقبنا واحفظنا ويجوز ان يكون من ارعنا سمعك اي فرغه كلامنا ووجه
 النهي عن ذلك ان هذا اللفظ كان بلسان اليهود سابقا لانه في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت
 وقيل غير ذلك فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي صلواته راعنا طلبا منه ان يراعيهم في المراجعة

اغتنموا الفرصة وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم انهم يريدون المعنى العربي
مبطنين انهم يقصدون السب الذي هو معنى هذا اللفظ في لغتهم وفي ذلك دليل على
انه ينبغي تجنب الالفاظ المحتملة للسب النقص وان لم يقصد المتكلم بها هذا المعنى المفيد
لشتم سد الذريعة ودفع الوسيلة وقطع المأدبة المفسدة والتطرق اليه ثم امرهم
الله بان يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يحتمل النقص ولا يصلح التعريض فقال وَقُولُوا أَنْظِرْنَا
اي اقبل علينا وانظر الينا وهو من باب الحذف ولا يصال وقيل معناه انتظرونا وتأن
بناء وقرء الاغتمش أَنْظِرْنَا بمعنى اخرنا وامهلنا حتى نفهم عنك وامرهم بعد هذا النبي و
الامر بامر اخر وهو قوله وَأَسْمَعُوا اي اسمعوا ما امرتم به ونهيتهم عنه معناه اطيعوا الله في
ترك خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اللفظ وخاطبوه بما امرتم به ولا تخاطبوه بما كسر اليه بخ بل
تخير الخطاب به صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ادقها ومحتمل ان يكون معناه
اسمعوا ما يخاطبكم به الرسول من الشرع حتى يحصل لكم المطلوب بدون طلب الملإ اعاءة
قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك ان الله نهي المؤمنين ان يقولوا للنبيه
صلى الله عليه وسلم راعنا كما كرمها الله ان يقولوها للنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبلية ولا تقولوا عبيدي ولكن قولوا فتاكي وما
اشبه ذلك ثم تعد اليهود بقوله وَالْكَافِرِينَ عَدَا أَبَا أَلَيْمٍ ويحتمل ان يكون وعيد الشاملا
لجنس الكفرة ما يوقد الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان يترك
عليكم من خير من نبيكم فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون
انزال الخير عليهم من الله سبحانه وقد قيل بان الخير الوحي وقيل غير ذلك والظاهر انهم
لا يودون ان ينزل على المسلمين اي خير كما فهو لا يختص بنوع معين كما يفيد وقوع هذه
النكرة في سياق النفي وتأكيد العموم بدخول من الزيادة عليها وان كان بعض انواع
الخير اعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص والله يختص برحمته اي يميز من يشاء
تميزه والرحمة قيل هي القرآن والاسلام وقيل النبوة وقيل جنس الرحمة من غير تعيين
كما يفيد ذلك الاضافة الى ضميره تعالى والله ذو الفضل العظيم فكيف لا يودون الخير

برحمته من يشاء من عبادة وكل خير ناله عبادة في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء
وتفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم لذلك بل له الفضل والمدة على خلقه
نسخ من آية كلام مستأنف قاله ابو السعود وقال الجسيم يعطف لشدة ارتباطها قبل
والنسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل كقول كتاب من اخرج على هذا يكون
القرآن كله منسوخا اعني من اللوح المحفوظ ولا مدخل لهذا المعنى في هذه الآية ومنه
انما كنا ننسخ ما كنتم تعملون اي نأمن بنسخه الثاني لا بطلان ولا نزالة وهو المقصود
هنا وهذا القسم الثاني ينقسم الى قسمين عند اهل اللغة احدهما ابطال الشيء وزواله
واقامة اخر مقامه ومنه نسخت الشمس الظل اذا ذهبت وحلت محله وهو معنى
قوله ما ننسخ من آية وفي صحيح مسلم تكن نبوة قط لا تنسخ اي تحولت من حال
الى حال والثاني ازالة الشيء دون ان يقوم مقامه اخر كقولهم نسخت الريح الاثر ومن
هذا المعنى فينسخ الله ما يلقى الشيطان اي يزيله وروي عن ابي عبيد ان هذا قد
كان يقع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تنزل عليه السورة فترفع فلا تكتب ولا تكتب
ومنه ما روي عن ابي عايشة ان سورة الاحزاب كانت تعدل سورة البقرة في الطول
قال ابن فارس النسخ نسخ الكتاب النسخ ان يزيل امر اكان من قبل يعمل به ثم ينسخه
بمحدث غيره كالآية تنزل بما من ثم تنسخ باخرى وكل شيء خلف شيئا فقد انسخه يقال
نسخ الشيب الشباب وتنسخ الورثة ان تموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم
وكذا تنسخ الاذنمة والقرن وقال ابن جرير معنى ما ننسخ ما ننقل من حكم آية الى غير
فنبذ له ونفيته وذلك ان يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور
مباحا ولا يكون ذلك الا في الامر والنهي والخطر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار
فلا يكون فيها نسخ ولا منسوخ واصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة الى اخرى
فلذلك معنى نسخ الحكم الى غيره انما هو تحويله الى غيره وسوى نسخ حكمها او خطها اذ هي في
كلتي حالتها منسوخة انتهى وقد جعل علماء الاصول مباحث النسخ من جملة مقاصد ذلك
القرن فلا تطول بذكره بل نجعل من اراد الاستيفاء عليه على كتابنا حصول المأمول من علم

الاصول فلا يرجع اليه وقد اتفق اهل الاسلام على ثبوته سلفا وخلفا وهو جازع عقلا
 وواقع سمعا لم يخالف في ذلك احد الا من لا يعتد بخلافه ولا يوبه بقوله وقد شمر
 عن اليهود اقسامهم الله انكاره وهم محجوجون بما في التوراة فان الله قال لنوح عليه السلام
 عند خروجه من السفينة اني قد جعلت كل حابة ما كلالك ولذريتك واطلعت
 ذلك لكم كليات العشب ما خلا الدم فلا تاكلوه ثم قد حرم على موسى وعلى بني اسرائيل
 كثيرا من الحيوان وثبت في التوراة ان ادم كان يزوج الاخ من اخوت وقد حرم الله
 ذلك على موسى عليه السلام وعلى غيره وثبت فيها ان ابراهيم عليه السلام امر
 بذبح ابنه ثم قال الله له لا تذبحه وان موسى عليه السلام امر بني اسرائيل ان يقتلوا
 من عبد منهم العجل ثم امرهم برفع السيوف عنهم وحرم عليهم العمل يوم السبت لم
 يحرمه على من كان قبلهم ونحو هذا كثير في التوراة الموجودة بايديهم والقرآن
 الكريم انسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالقراءة والانجيل وغيرها ونسخ الآية
 يسأل الله التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بها جميعا وانساؤها اذا
 من يعاونها ونسيتها بغير النون والسين والهمز ومعنى هذه القراءة تؤخرها عن النون
 من قولهم نسأت هذا الامر اذا اخرته قال ابن فارس ويقولون نسأ الله في اجلك
 ونسأ الله اجلك وقد انتسأ القوم اذا تاخروا وتباعدوا ونسأتم انا اي اخرتهم
 وقيل معناه تؤخر نسخ لفظها اي نتركه في ام الكتاب فلا يكون وقيل نذهبها
 عنكم لا نقر ولا نذكر وقرئ نسيها بضم النون من النسيان الذي بمعنى الترك اي نتركها
 فلا نبذلها ولا ننسخها ومنه قوله تعالى نسوا الله فانساهم اي تركوا عبادته فتركهم
 في العذاب وحكى الازهري ان معناه ناس بتركها يقال انسيت الشيء اي امرته بتركه
 ونسيت تركه وقال الزجاج ان القراءة بضم النون لا يتوجه فيها معنى الترك لا يقال
 انسى بمعنى ترك قال وما روي عن ابن عباس ونسيتها اي نتركها لا نبذلها فلا يصح
 الذي عليه اكثر اهل اللغة والنظران معنى ونسيتها بفتح لكم تركها من نسي اذا ترك ثم تعالى
 وقد ثبت في البخاري وغيره عن انس ان الله انزل في الذين قتلوا في بير معونة ان بلغوا

قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رِبَّنَا فَرَضِي عَنَّا وَارْضَا نَا ثُمَّ نَسَخَ وَهَكَذَا ثَبَتَ فِي مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي مُوَيْسَةَ
 قَالَ كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ تَشْبِيهِهَا فِي الطُّوْلِ وَالشَّدَةِ بِدِرْءَةٍ فَأَنْسَيْنَاهَا غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا لَوْ كَاذَ
 لَا بَنَ آدَمَ وَآدِيَانِ مِنْ مَكَلٍ لَا يَنْتَعِي وَآدِيَا كَلْنَا وَلَا يَمْلَأُ حُوقَهُ إِلَّا التُّرَابُ وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ
 تَشْبِيهِهَا بِأَحَدِي الْمَسِيحَاتِ أَوْ لَهَا سَجْعٌ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ فَأَنْسَيْنَاهَا غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتَكْتُبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتَقْضَى أَلْوَانُهَا
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقَدْ رَوَى مِثْلَ هَذَا مِنْ طَرِيقِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِنْهُ آيَةُ الرَّجْمِ كَمَا رَوَاهُ
 عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَاحِدُ بْنُ جَبَانَ عَنْ عُمَرَ نَأْتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَيُّ نَأْتٍ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ
 لِلنَّاسِ مِنْهَا فِي الْعَاجِلِ وَالْأَجَلِ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ بِمَا هُوَ مِثْلُهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَمَرَجَّ
 ذَلِكَ إِلَى أَعْمَالِ النَّظَرِ فِي الْمُنْسُوخِ وَالنَّاسِخِ فَقَدْ يَكُونُ النَّاسِخُ أَخْفَ فَيَكُونُ أَنْفَعُ لَهُمْ فِي
 الْعَاجِلِ وَقَدْ يَكُونُ أَثْقَلُ وَثَوَابُهُ أَكْثَرُ فَيَكُونُ أَنْفَعُ فِي الْأَجَلِ وَقَدْ يَسْتَوِيَانِ فَتَحْصُلُ الْحَاقَّةُ
 وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْكِتَابِ لَا يَنْسَخُ بِالسَّنَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَالْحَقُّ
 جَوَازُ نَسْخِ الْكِتَابِ بِالسَّنَةِ وَالْكَلَامِ فِي هَذَا مَعْرُوفٌ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ فَإِنْ شَكَّ الْأَطْلَاقُ
 عَلَيْهِ فَارْجِعْ إِلَى كِتَابِنَا حَصُولِ الْمَأْمُولِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هَذِهِ الْآيَةُ
 تَقِيدُ أَنْ يَنْسَخَ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ وَأَنْ يَنْكَارَهُ انْتِكَارُ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى
 وَالْمَرَادُ هُوَ وَامْتِنَ فِيهِ دَلِيلُ جَوَازِ النِّسْخِ وَالْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ وَهَكَذَا أَقُولُهُ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
 اللَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيُّ لَهُ التَّصَرُّفُ فِيهِمَا بِالْإِحْجَادِ وَالْإِخْتِرَاعِ وَنَفْوَ الْأَمْرِ
 فِي جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَصْلَحِ عِبَادِهِ وَمَا فِيهِ النِّفْعُ لَهُمْ مِنْ أَحْكَامِهِ الَّتِي تَعْبُدُهَا
 وَشَرَعَهَا لَهُمْ وَقَدْ يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَنَةِ وَالْأَشْخَاصِ وَهَذَا إِنْ
 كَانَ خُطَابُ النَّبِيِّ صَلَّى لَكِنَّهُ فِيهِ تَكْذِيبُ الْيَهُودِ الْمُنْكَرِينَ لِلنِّسْخِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ بَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهِه فَإِنْ الْوَلِيُّ قَدْ يَضْعَفُ عَنِ النَّصِيرَةِ
 وَالنَّصِيرُ قَدْ يَكُونُ أَجْنَبِيًّا عَنِ الْمَنْصُورِ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَعْلُقِ الْخُطَابِ بَيْنَ السَّابِقِينَ بِكَلِمَةِ
 أَيْضًا وَهَذَا صَنَعَ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُمْ غَيْرُهُ وَلَا نَصِيرَ سِوَاهُ فَعَلِيمٌ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ بِالْقَبُولِ الْأَقْبَلِ
 وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ مُوسَى مِنْ قَبْلُ أَمْ

بمعنى بل وفي هذا ترجيح وتقريع أي سؤالا مثل ما سئل موسى حيث سأله أن يريهم الله
 جهرة إلى غير ذلك وسألوا محمدا صلما أن يأتي بالله والملائكة قبيلا ورويت في سبب ذلك
 هذه الآية روايات لا تطول بذكرها ومن يتبدل الكفر بالإيمان أي يستبدل
 ويأخذ به بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها والباء للعوض كما
 استظهره السفاقي لا للسبب كما قال به أبو الباقيل خطاب للمؤمنين أعلمهم أن
 اليهود أهل غش وحسد فقد ضل سوا السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف
 أي الطريق المستوي أي المعتدل أي الحق ومعنى ضل خطأ وسواء هو الوسط من كل
 شيء قاله أبو عبيدة ومنه قوله تعالى في سواء الحيد وقال القراء السواء القصد في هب
 عن قصد الطريق وسمته أي طريق طاعة الله وذكر كثير من أهل الكتاب أي مني
 كثير من اليهود فيه أخبار المسلمين بحرص اليهود على فتنهم وردهم عن الإسلام و
 التشكيك عليهم في دينهم كقصد ريت يردونكم عن الإيمان كما ذكره قتادة أحسدا
 من عند أنفسهم يحتمل أن يتعلق بقوله وداي ودوا ذلك من عند أنفسهم ويحتمل
 أن يتعلق بقوله حسدا أي حسدا ناشيا من عند أنفسهم وهو علة لقوله ودوا حسدا
 تمنى زوال نعمة الإنسان من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التوبة أن قول محمد صلما
 ودينه حق لا يشكون فيه فكفر وابه بغيا وحسدا فأعفوا وأصغوا والعفو ترك
 المواخاة بالذنب والصغف إزالة أثره من النفس صفحت عن فلان إذا عرضت عن ذنبه
 وقد ضربت عنه صفحا إذا عرضت عنه وقيل هما متقاربان والعطف على هذا التأكيد
 وحسنه تغاير اللفظين وفيه الترغيب في ذلك والارشاد إليه وقد نسخ ذلك بالأمر
 بالقتال قاله أبو عبيدة حتى يأتي الله بأمره أي افعلوا ذلك إلى أن يأتي اليكم الأمر من الله
 سبحانه في شأنهم بما يختاره ويشاء فمما قد قضى به في سابق علمه وهو قتل من قتل منهم
 واجلاء من أجلى وضرب الجزية على من ضربت عليه والسلام على من أسلم إن
 الله على كل شيء قدير فيه وعيد وتهديد لهم عظيم وأقيموا الصلوة وأنوا الزكاة
 وما تقدرؤا أنفسكم من خير حيث من الله سبحانه لهم على الاشتغال بما ينفعهم

ثالث

ويعود عليهم بالمصلحة من اقامة الصلوة وايتاء الزكاة وتقديم الخير الذي يتباون
عليه حتى يمكن الله لهم وينصرهم على المخالفين لهم لهم ثواب عند الله يعني ثوابه واجر
حق الثمرة واللقمة مثل اصدان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال
وكثيرها وفيه ترغيب في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي وقالوا اي اهل الكتاب
من اليهود والنصارى كن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قال الفراء يجوز
ان يكون هودا بمعنى يهوديا وان يكون جمع هائد والنصارى جمع نصران او نصري
والمراد يهود المدينة ونصارى بخران وقد مت اليهود على النصارى لفظا لتقدمهم زمانا
قيل في هذا الكلام حذف واصله وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا هكذا قال كثير من المفسرين و
سبقهم الى ذلك بعض السلف وظاهر النظم القراني ان طائفتي اليهود والنصارى
وقع منهم هذا القول وانهم يختصون بذلك دون غيرهم ووجه القول بان في الكلام
حذف ما هو معلوم من ان كل طائفة من هاتين الطائفتين تضلل الاخرى وتفتي عنها
انها على شيء من الدين فضلا عن دخول الجنة كما في هذا الموضع فانه قد حكى الله عن
اليهود انها قالت ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
تلك امانيهم اي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق والاماني جمع امنية قد
تقدم تفسيرها والاشارة بقوله تلك الى ما تقدم لهم من الاماني التي اخرها انه لا يدخل
الجنة غيرهم وقيل ان الاشارة الى هذه الامنية الاخرة والتقدير مثال تلك الامنية
امانيهم على حذف المضاف ليطلق امانيهم قل هاتوا بقاى المفرد المذكورات و
المؤنث هاتي وهو اسم فعل بمعنى احضر وقيل اسم صوت بمعنى هاتي التي بمعنى احضر وقيل
فعل امر وهذا هو الصحيح برهانكم اي حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من
كان يهوديا او نصريا دون غيرهم والبرهان الدليل الذي يحصل عنده اليقين قال
ابن جرير طلب الدليل هنا يقتضي ثبات النظر ويرد على من ينفيه والبرهان مشتق من البره
وهو القطع ومنه برهنة من الزمان اي القطعة منه وقيل نونه اصلية لثبوتها في برهان

برهنة والبرهنة البيان ووزنه فعل لا فعل إن كنتم صادقين أي في تلك الأمان
 المخرجة والدعاوى الباطلة ثم رد عليهم فقال بكل وهو اشبات لما نفوه من دخول غيرهم
 الجنة أي ليس كما تقولون بل يدخلها من أسلم وجهه لله أي استسلم وقيل اخلص
 وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف ما يرى من الانسان ولانه موضع السجود وجمع الحواس
 والمشاعر الظاهرة وفيه يظهر العز والذل وقيل ان العرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء و
 ان المعنى هنا الوجه وغيره وقيل المراد بالوجه هنا المقصد أي من اخلص مقصده و
 مجموع الشرط والجزاء رد على اهل الكتاب وابطال لتلك الدعوى وهو محسن موحد
 أي متبع في عمله لله فله أجره عند ربه أي ثواب عمله وهو الجنة ولا خوف عليهم
 أي في الآخرة واما في الدنيا فالبؤمنون اشد خروفا وحرزا من غيرهم لاجل خوفهم من
 العاقبة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا والموت وقالت اليهود ليس لنا نصيب
 على شيء قاله رافع بن جرمة وقالت النصارى ليس لليهود على شيء بيان لتضليل كل فريق
 صاحبه بخصوصه اثريان تضليله كل من عداه على وجه العموم قيل نزلت في يهود المدينة
 ونصارى حجاز تناظر واعند النبي صلعم وارتفعت اصواتهم وقالوا هذا القول وفيه ان
 كل طائفة ينفي الخير عن الاخرى ويتضمن ذلك اثباته لنفسها تتجلى الرحمة الله سبحانه قال في
 الكشاف ان الشيء هو الذي يصح ويعتد به قال وهذه مبالغة عظيمة لان الحال والعدوم
 يقع عليهما اسم الشيء واذن في اطلاق اسم الشيء عليه فقد بلغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده
 وهكذا قولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب أي التورية والابحار وليس فيها هذا
 الاختلاف فكان حق كل منهم ان يعترف بحقيقة دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب
 الله تعالى متصا دقة وقيل المراد جنس الكتاب في هذا اعظم توبيخ واشد تقرير لان الوقوع في
 الدعاوى الباطلة والتكليم باليس عليه برهان هو ان كان قبيحا على الاطلاق لكنه من اهل
 العلم والدراسة فكذلك الله اشد قبيحا وافظع جرما واعظم ذنبا كذلك أي مثل ذلك الذي سمعت
 به بعينه لا قوة مغايرة له قال الذين لا يعلمون مثل قولهم المراد بهم كفار العرب الذين لا كتاب
 لهم فالوا مثل مقالة اليهود اقتلوا بهم لانهم جهلة لا يفكرون على غير التقليد لمن يعتقدون انه

من اهل العلم وقيل المراد بهم طائفة من اليهود والنصارى وهم الذين لا علم عندهم وقال
 عطاء هم اعم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في
 انبياءهم انهم ليسوا على شيء فאלله يحكم يوم القيمة اي بين الحق والمبطل فيما كانوا فيه
 يحتكفون من امر الدين اخبر سبحانه بانه هو المتولى لفصل هذه الخصومة التي وقع فيها
 الخلاف عند الرجوع اليه فيعذب من يستحق التعذيب ويغني من يستحق النجاة ومن اظلم
 ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه هذا الاستفهام فيه ابلغ دلالة على ان هذا الظلم
 غير متناه وانه بمنزلة لا ينبغي ان يلحقه سائر انواع الظلم اي لا احد اظلم ممن يمنع مساجد
 الله اي من يأتي اليها للصلوة والتلاوة والذكر وتعليمه وسعى في خرابها وهو السعي في
 هدمها ورفع بنائها ويجوز ان يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكون
 اعم من قوله ان يذكر فيها اسمه فيشمل جميع ما يمنع من الامور التي بنيت لها المساجد لتعلم
 العلم وتعليمه والقعود للاعتكاف وانتظار الصلوة ويجوز ان يراد ما هو اعم من الامرين
 من باب عموم المجاز كما قيل في قوله تعالى انما يعمر مساجد الله قيل نزلت في خراب بيت
 المقدس على يد فلطيوس الرومي ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه
 وقيل ان نجت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي خربه واعانه على ذلك النصارى من اجل
 ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا واللفظ اعم من ذلك ويدخل فيه السبيل الخاص دخولا اوليا
 قال ابو البقاء الخراب اسم مصدر بمعنى التخریب وقال غيره هو مصدر خرب المكان يخرب خرابا
 اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين هذا الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال
 اي ما كان ينبغي للمؤمنين دخولها في جميع الاحوال الاحال خوفهم وخشوعهم وذلك ان
 بيت المقدس موضع حجر النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلوها بعد عمارتها رومي او
 نصراني الا خائفان علم به قتل وقيل اخيفوا بالكفرية والقتل فالكفرية عمارتها رومي والقتل على الحجر قيل خوفهم
 هو فخر مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية والاولى وفيه ارشاد للعباد
 من الله عز وجل انه ينبغي لهم ان يمنعو مساجد الله من اهل الكفر من غير فرق بين مسجد ومسجد
 وبين كافر وكافر كما يفيد عموم اللفظ ولا يتأف به حصول السبيل الخاص ان يجعلوهم بحالة اذا

اراد والدخول كانوا على وجل وخوف من ان يفتن لهم احد من المسلمين فينزلون بهم
 ما يحب الا هانة والاذلال وليس فيه الاذن لنا بتكديهم من ذلك حال خوفهم بل هو كناية
 عن المنع لهم منا من دخول مساجدنا وقيل معناه ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من
 المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوا منهم منها وما كان لهم في علم الله وقصائه فيكون
 وعد المؤمنين بالنصر واستخلاص المساجد منهم وقد انفج وعده لهم في اللئيم الخزي
 يعني الصغار والذل والقتل والسبي وقيل هو ضرب الجزية عليهم واذا لا لهم وقيل غير ذلك وقد
 تقدم تفسيره وكههم في الاخرة عذاب عظيم يعني الناصر قال ابن عباس ان قرشا منعوا
 النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام يعني في ابتداء الاسلام فانزل الله ومن اظلم
 الآية وعنه قال هم النصارى وقال لسدي هم الروم كانوا ظاهرا واخفا نص على خراب
 بيت المقدس وليس في الارض رومي يدخله اليوم الا وهو خائف ان يضرب عنقه وقد
 اخيف باداء الجزية فهو يؤذيها واما خزيمهم في الدنيا فانه اذا قام المهدي في قسطنطينية
 قتلهم فذلك الخزي وعن قتادة انهم الروم وعن كعب انهم النصارى لما ظهر واعلى بيت المقدس
 حرقوه وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال هم المشركون حين صد وارسل الله صلواته عن
 يوم الحديبية قال بوصاح ليس للمشركين ان يدخلوا المسجد الا خائفين عن قتادة قال اعطوا
 الجزية عن يد وهم صاغرون وقال مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد
 هو بيت المقدس والمسجد الحرام لان الحكم عام وان كان المبدخا صا ورجح الطبري القول
 الاول وقال النصارى هم الذين سعو في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي العرب لم
 يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة
 فيه وايضا الآية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجز لمشركي مكة ذكر
 ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غير القول الثاني بدليل
 ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع
 حجههم وذكر ابن العربي في احكام القرآن قوله ثالثا وهوانه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ
 عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد وبعض الامكنة محال وهذا هو الصواب

فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لله المشرق والمغرب واينما تولوا فثم وجه الله المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب وهما اسماء مكان وقيل اسماء مصدر اي الاشراق والاعراب اي هم ملك الله وما بينهما من الجهات والمخلوقات فيشمل الارض كلها اي اي جهة تستقبلونها فهناك وجه الله اي المكان الذي يرضى لكم استقباله وذلك يكون عند التباس جهة القبلة التي امرنا بالتوجه اليها بقوله سبحانه فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرة قال في الكشاف والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها واضلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص ماكنها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان انتهى وهذا التخصيص وجه له فان اللفظ اوسع منه وان كان المقصود به بيان السبب فلا بأس اين هنا اسم شرط وهي ظرف مكان وتكون اسم استفهام ايضا فهي مشترك بينهما وثم اسم شارة للمكان البعيد خاصة مثل هنا وقال بالبقاء فأتى عن هناك وليس بشيء ان الله واسع عليم فيه ارشاد الى سعة رحمته وانه يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس فيهم وسعهم وقيل واسع بمعنى انه يسع علمه كل شيء كما قال وسع كل شيء علما وقال الفراء الواسع الجواد الذي يسع عطاة كل شيء عن ابن عباس قال اول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا والله اعلم شان القبلة قال الله تعالى والله المشرق والمغرب لا اية فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه الله الى البيت العتيق ونسخها فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام واخرج ابن ابي شبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته تطوعا اينما توجهت به ثم قرأ ابن عمر هذه الآية اينما تولوا فثم وجه الله وقال في هذا التزل هذه الآية واخرج نحوه عنه ابن جبرير والدارقطني والحاكم وصححه ووثبته في صحيح البخاري من حديث جابر وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي على راحلته قبل المشرق فاذا اراد ان يصلي المكتوبة تزل واستقبل القبلة وصلى واخرج عبد بن حميد الترمذي وضعفه وابن ماجه وابن جبرير وغيرهم عن عامر بن ربيعة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة

سوءاء مظلة فتزلنا منكم لا تجعل الرجل يأخذ الحجارة فيعمل مسجداً فيصلي فيه فلما كان اصبحنا
 اذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا كالميتة هذه لغير القبلة فانزل
 الله والله للمشرق والمغرب الآية فقال مضت صلاتكم عن ابن عباس قال قبلة الله ايما توجهت
 شرقاً او غرباً وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرج ابن ابي شيبة
 والترمذي وضححه وابن ماجه وقالوا اتخذ الله وكذا القائل هم اليهود والنصارى
 فاليهود قالوا عزير بن الله والنصارى قالوا المسيح بن الله وقيل هم كفار العرب قالوا الملائكة
 بنات الله اخرج البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كن نبلي بن آدم
 وشقني فاما تكذيبه اياي فيزعم اني لا اقد راعيدته كما كان واما شتمه اياي فقوله لي
 ولد فسيح اني ان اتخذ صاحبة او ولداً واخرج نحوه ايضاً من حديث ابي هريرة وفي الباب
 احاديث والمراد بقوله سبحانه لا يزيه الله تعالى عما نسبوا اليه من اتخاذ الولد وفيه رد على
 القائلين بانه اتخذ ولداً لان اتخاذ الولد لبقاء النوع والله منزعه عن الفناء والزوال بل له
 ما في السموات والأرض اي بل هو مالك لما فيها فكيف ينسب اليه الولد وهو لا يخلق
 داخلون تحت ملكه والولد من جنسهم لا من جنسه ولا يكون الولد الا من جنس الوالد
 كل له قانتون اي مطيعون ومقرون له بالعبودية والقانت المطيع الخاضع اي كل من
 في السموات والأرض كائن ما كان من اولي العلم وغيرهم مطيعون له خاضعون لعظمته
 خاشعون لجلاله لا يستعصى شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته والقنوت في اصل
 اللغة القيام قال الزجاج فخلق قانتون اي قائلون بالعبودية اما اقرا واما ان يكونوا على
 خلاف ذلك فاثرا الصنعة بين عليهم وقيل اصله الطاعة ومنه والقانتين والقانتات وقيل
 السكوت ومنه قوما لله قانتين ولهذا قال زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت قوما
 لله الآية فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقيل القنوت الصلوة والاولى ان القنوت لفظ
 مشترك بين معان كثيرة قيل هي ثلاثة عشر معنى وهي مبينة وقد نظمها بعض اهل العلم
 واختلف في حكم الآية فقيل هو خاص وقيل عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة
 بديع السموات والأرض ابداع الشيء انشاءه لا عن مثال وكل من انشاء ما لم يسبق اليه قيل

له مبدع والاصل بديع سمواته اي بدعت لحيثها على شكل فائق حسن غريب واذا قضى امر
اي احكمه واتقنه قال الازهري قضى في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتماثله
هو مشترك بين معان يقال قضى بمعنى خلق ومنه فقضيه من سبع سموات بمعنى اعلم ومنه
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب بمعنى امر ومنه وقضى بربك ان لا تعبد الاياه وبمعنى الزم
ومنه قضى عليه القاضي بمعنى اوفاه ومنه فلما قضى موسى الاجل وبمعنى اراد ومنه فاذا
قضى امر والتقدير اذا قضى امر ايكون ويحصل فاللفظ يكون المقدار هو العاقل في ذا الامر
واحد الامور وقد ورد في القرآن على أربعة عشر معنى الاول الدين ومنه حتى جاء الحق و
ظهر امر الله الثاني بمعنى القول ومنه فاذا جاء امرنا الثالث العذاب منه ولما قضى الامر الرابع
عيسى ومنه فاذا قضى امر اي اوجله عيسى عليه السلام الخامس القتل ومنه فاذا جاء امر
الله السادس فتح مكة فترتبصوا حتى ياتي الله بامر السابع قتل بني قريظة وجلاء النضير ومنه فاعفوا
واصفوا حتى ياتي الله بامر والثامن القيمة ومنه اتي امر الله التاسع القضاء ومنه يد بين
الامر العاشر الوحي ومنه ينزل الامرين من والحاكي عشر امر الخلاق ومنه الا الى الله
تصير الامور والثاني عشر النصر ومنه هل لنا من الامر من شيء والثالث عشر الذنب منه
فذاقت وبال امرها والرابع عشر الشان ومنه وما امر فرعون برشيد هكذا ورد هذه المعاني
باطول من هذا بعض المفسرين وليس تحت ذلك كثير فائدة فاطلاقه على الامور المختلفة
لصدق اسم الامر عليها فالتمايقول له كن فيكون الظاهر في هذا المعنى الحقيقي انه يقول
سبحانه هذا اللفظ وليس في ذلك مانع ولا جاء ما يوجب تأويله ومنه قوله تعالى انما امره اذا
امراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون قال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقد قيل ان ذلك مجاز وانه لا قول وانما هو قضاء
يقضيه فعبر عنه بالقول وقال البيضاوي ليس المراد حقيقة امر وامثال بل تمثيل حصول ما
تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف انتهى وهذا من انفاكسه
الفلسفية وكرهه من اشباه ذلك وامثاله وقال الذين لا يعلمون قيل هم اليهود وقيل
النصارى ووجه ابن جرير لانهم المذكورون في الآية وقيل مشركوا العرب عليه كثر المفسرين

لو لا حرف تخفيض اي هلا يكلمنا الله مشافهة من غير واسطة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فنعلم ان نبي
 اوبوا سطة الوحي اليه لا اليك وهذا منهم استكبار وتعنّت او تآيينا لذلك آية اية
 علامة على نبوته وهذا منهم محج كذا قال الذين من قبلهم قيل هم اليهود والنصارى في
 قول من جعل الذين لا يعلمون كذا العرب والامم الساقطة في قول من جعل الذين لا يعلمون
 اليهود والنصارى واليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى مثل قولهم وذلك
 ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جمرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الايات ما ليس لهم
 مسألته تشابهت قلوبهم اي في التعنّت والعنّاد والاقتراح وقال الفراء في انفاهم
 على الكفر والامم تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الايات اي نزلناها بينة بان جعلنا
 كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل انا بيناها بعد ان تكن بينة
 لقوم يوقنون اي يعترفون بالحق وينصفون في القول ويدعون لآوامر الله سبحانه
 لكونهم مصدقين له سبحانه مؤمنين باياته متبعين لما شرع لهم انا ارسلناك بالحق
 اي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل بمعناه لم نرسلك عبثا بل
 ارسلناك بالحق بشيرا اي مبشرا لولياي واهل طاعتي بالثواب العظيم وقد يراد اي منذ
 وخوفا لعدائي واهل معصيتي بالعذاب الاليم ولا تسئل عن اصحاب الجحيم قرئ بفخيم
 على النبي وبضمها على الخبر وقيل على النقي والمعنى ولا يصدرك منك السؤال عن هؤلاء وعن ملك
 منهم على كفره ومعصيته تعظيما لخاله وتغليظا لشأنه اي ان هذا امر فطيع وخطب شديد
 يتعظم المنكر ويجري على لسانه او يتعظم السامع ان يسمعه وفي القاموس الجحيم النار الشديدة
 التاج وكل نار بعضها فوق بعض والجحيم ما عظم من النار قاله ابو مالك والمعنى لا تسأل عن
 حالهم التي تكون لهم في القيامة فانها شنيعة ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها وهذا
 فيه تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم وقد اخبر عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن
 المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعري ما فعل ابواي فنزل
 هذه الآية فما ذكرهما حتى توفاه الله قال السيوطي هذا امر سل ضعيف لا سند ثم رواه من طريق
 ابن جرير عن داود بن ابي عاصم مرفوعا وقال هو معضل لا سند لا تقوم بالحجة ولا بالذي قبله حجة

ولكن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم أي ليس غرضهم ومبلغ
 الرضاء منهم ما يقتضونه عليك من الآيات ويوردونه من التعنتات فانك لو جنتهم بكلمة
 يقتضون واجتهدت عن كل تعنت لم يرضوا عنك حتى تدخل في دينهم وتتبع ملتهم والملة اسم
 لما شرع الله لعباده في كتابه على السنن انبيائه وهكذا الشريعة وقال ابن عباس هذا في امس
 القبلة ايسوا من ان يوافقهم عليها والرضاء ضد الغضب فهو من ذوات الواو لقولهم الرضوان
 قل ان هدى الله اى الاسلام هو الهدى الحقيقى لا اتم عليه من الشريعة المنسوخة و
 الكتاب المحرفة ثم اتبع ذلك بوعيد شديد لرسول الله صلى فقال ولكن هذه تسمى للام
 للوطية للقسم وعلامتها ان تقع قبل ادوات الشر والتركيبها مع ان قد تأتي مع غيرها نحو ما اتيتكم من
 كتاب لمن تبعكم منهم اتبعك اهو الله اى هو الله والنصارى بعد الذين جاءوك
 من العلم اى البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم وهي الكعبة و
 يحتل ان يكون تعريض الامته وتخذير الهم ان يوافقوا شيئا من ذلك او يدخلوا في اهلوية
 اهل الملل ويطلبوا رضاء اهل البدع اخرج الثعلبي عن ابن عباس قال ان يهود المدينة وضوا
 بخران كانوا يرجون ان يصلي النبي صلى الى قبلتهم فلما صرّف الله القبلة الى الكعبة شق ذلك
 عليهم وايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله هذه الآية وجواب القسم قوله مالك من
 الله من ولي اى اى اى ويقوم بك ولا نصير نصيرك ويمنعك من عقابه وفي هذه الآية من
 الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتنصدع منه الافئدة ما يوجب على اهل العلم
 الحاملين لحجة الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لاهل البدع المتذهبين بمنا
 السوء التاركين للعمل بالكتاب السنة المؤثرين لمحض الرأي عليهم فان غالب هؤلاء وان
 اظهر قبوله وابان من اخلاقنا لا يرضيه الا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوف في
 حباته فان فعل العالم ذلك بعد ان علم الله من العلم ما يستفيد به ان هدى الله هو ما في كتابه
 وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة نبيلة ورأي منها
 تقليد على شفا جرفها فهو ذاك ما له من الله من ولي ولا نصير ومن كان كذلك فهو لا
 محالة مخذول وهالك بلا شك وشبهة الذين اتينا هم الكتاب هم اليهود والنصارى قاله

قتادة وقيل هم المسلمون والكتاب هو القرآن وقيل من اسلم من اهل الكتاب وقال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قد صوامع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا ثمانية من رهبان الشام منهم مجرى الراهب الباقي من الحبشة وقيل هم المؤمنون عامة يتلون حق تلاوته اي يقرءونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالتلاوة انهم يعلمون بما فيه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه فيكون من تلاه يتلو اذ اتبعه اي يتبعونه حق اتباعه ومنه قوله تعالى القمر اذا تلاها اي اتبعها قاله ابن عباس قال عمر بن الخطاب يعني اذا مرى ذكر الجنة يسأل الجنة واذا مرى ذكر النار تعوخ من النار وقال زيد بن اسلم يتكلمون به كما انزل ولا يكتفون عن قتادة قال هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن الحسن قال يعملون بحكمه ويؤمنون بمشابهة ويكون ما اشكل عليهم الى عالمه وقيل يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه واسراره اولئك يؤمنون به اي يصدقون به فان كانت الآية في اهل الكتاب فالمعنى ان المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة نعتة و صفته وان كانت في المؤمنين عامة فالمعنى ظاهر ومن يكفر به اي يحمد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك هم الخاسرون اي خسروا انفسهم حيث استبدوا الكفر بالآيمان يا بني اسرائيل اذكروا النعمة التي انعمت عليكم واني فصلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون قد مر مثل هذا في صدر السورة وقد تقدم تفسيره وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب لم تستحق سواه وقيل انزرد على اليهود في قولهم ان اباؤنا يشفعون لنا ووجه التكرار الحث على اتباع الرسول النبي الامي كوعنا بن كثير في تفسيره وقيل التوكيد تذكير بالنعمة وفيه عظة لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقال البقاعي في تفسيره انه لما طال المدى في استقصاء تذكيرهم بالنعمة في بيان عوارهم وهتك استارهم وختم ذلك بالترهيب لتضييع اديانهم باعمالهم

واحصا لهم واقوالهم ايجادا ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعمة والتخدير من حلول النقم
 يوم مجمع الامم ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ليعلم ان ذلك فذل لكة القصص والمقصود
 بالذات الخت على انتهاء الفرصة انتهى اقول ليس هذا بشيء فانه لو كان سبب التكرار ما
 ذكره من طول المدي وانه اعاد ما صدر به قصتهم لذلك لكان الاولى بالتكرار والاخت
 باعادة الذكر هو قوله سبحانه يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعقدي
 اوف بعهدكم واياي فارهبون فان هذه الآية مع كونها اول الكلام معهم والخطاب
 لهم في هذه السورة هي ايضا اول بان تعاد وتكرر لما فيها من الامر بذكر النعمة والوفاء
 بالعهد والرغبة لله سبحانه وبهذا تعرف صحة ما قد مناه لك عند ان شرع الله سبحانه
 في خطاب بني اسرائيل من هذه السورة فراجعهم ثم حكى البقاعي بعد كلامه السابق
 عن الحرافي انه قال كرهه تعالى اظهرا المقصد التيام اخرا الخطاب باوله ليختم هذا
 الافصاح والتعليم اصلا لما يمكن بان يرد من نحوه في سائر القران حتى كان الخطاب اذ
 انتهى الى غاية خاتمة يجبلن يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوة مع
 طرفي لثناء وفي فهم معاملة العاني طريق المعنى انتهى اقول لو كان هذا اسباب التكرار لكان الاول ما عرفنا ذلك و
 اما قول وليتخذ ذلك اصلا لما يرد من التكرار في سائر القران فمعلوم ان حصول هذا الامر
 في الاذهان وتقرره في الافهام لا يختص بتكرار آية معينة يكون اقتراح هذا المقصد بها فلم
 تتمج النكتة في تكريرها تين الايتين بخصوصهما والله الحكمة البالغة التي لا تبلغها الافهام
 ولا تدر كها العقول فليس في تكلف هذه المناسبات المتعسفة الا ما عرفنا ذلك به هناك فتذكر
 واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الخطاب لرسول الله صلعم اول بني اسرائيل والابتلاء الاختبار
 والامتحان اي ابتلاء بما امر به وهو استعارة تبعية واقعة على طريق التمثيل اي فعل معه
 فعلا مثل فعل المختبر والغرض من هذا التذكير توبيخ اهل الملل المخالفين وذلك لان ابراهيم
 يعترف بفضله جميع الطوائف قد بما وحده يتأخضك الله عن ابراهيم امورا توجب على المشركين
 واليهود والنصارى قبول قول محمد صلعم لان ما اوجبه الله على ابراهيم جاء به محمد وفي ذلك
 حجة عليهم وابراهيم اسم اعجمي معناه في السريانية رب حليم كما قال لما ورد في قال ابن عطية و

معناه في العربية ذلك قال السهيلي وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السهري والعري وفيلان
كان مولدا ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل بياطل وقيل بكوني وهي قرية من سواد الكوفة
وقيل بجران ولكن اياه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وقد اورد صاحب الكشف
هنا سؤالا في رجوع الضمير الى ابراهيم مع كون رتبته التأخير واجاب عنه بانه قد يقدم
لفظا فرجع اليه والامر في هذا اوضح من ان يشتغل بذكره او ترد في مثله الاسئلة وليس
وجه القراطيس بايضاحه وقد اختلف العلماء في تعيين الكلمات فقول هي شائع
الاسلام وقيل خبر ابنه وقيل اداء الرسالة وقيل هي خصال الفطرة وقيل قوله اني جاعلك
للناس اماما وقيل الطهارة قال الزجاج وهذه الاقوال ليست بمتناقضة لان هذا كله مما
ابتلى به ابراهيم انتهى وظاهر النظم القراني ان الكلمات هي قوله اني جاعلك وما بعده و
يكون ذلك بيانا للكلمات وجاء عن بعض السلف ما يوافق ذلك وعن آخرين ما يخالفه فالحق
انه اذا لم يصح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاءنا من طريق تقوم بها الحجة في تعيين تلك الكلمات
لم يبق لنا الا ان نقول انها ما ذكره الله سبحانه في كتابه قال اني جاعلك للناس اماما ويكون
ذلك بيانا للكلمات والسكوت واحالة العلم في ذلك على الله سبحانه وامامنا روي عن ابي عبد
الله من الصحابة ومن بعدهم في تعيينها فهو ولا اقوال اصحابه ولا تقوم بها الحجة فضلا
عن اقوال من بعدهم وعلى تقدير انه لا مجال للاجتهاد في ذلك وان له حكم الرفع فقد اختلفوا
في التعيين اختلافا يمنع معه العمل ببعض ما روي عنهم دون البعض الاخر بل اختلف الروايات
عن الواحد منهم كما روي عن ابن عباس فكيف يجوز العمل بذلك وبهذا تعرف ضعف قول من
قال انه يصح الى العموم ويقال تلك الكلمات هي جميع ما ذكره هنا فان هذا يستلزم تفسير كلام
الله بالضعيف للتناقض ما لا تقوم به الحجة وعلى هذا فيكون قوله اني جاعلك مستأنفا كان
قيل ما اذا قال له وقال ابن جرير ما حاصله انه يجوز ان يكون المراد بالكلمات جميع ذلك وجاز
ان يكون بعض ذلك ولا يجوز التحريم بشيء منها انه المراد على التعيين لا الجعديث واجماع ولم
يصح في ذلك خبر ينقل الواحد ولا ينقل الجماعة الذي يجب التسليم له ثم قال ان الذي قاله مجاهد
وابوصالح والربيع بن انس او في الصواب يعني ان الكلمات هي قوله اني جاعلك للناس اماما

وقوله وعهدنا الى ابراهيم وما بعد وجر ابن كثير انها تشمل جميع ما ذكرنا فاكتمهن اي قام
 بهن اتم قيام وامثل اكل امثال واختلف هل كان هذا ابتلاء قبل النبوة او بعد ما
 فقيل بالاول بدل قوله في سياق الآية اني جاءك الخ والسبب يتقدم على المسبب وقيل
 بالثاني لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة وقيل ان فس
 الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسرها واجب عليه من شرائع
 الدين كان ذلك بعد النبوة قال اني جاءك للتاكيد اي لاجلهم اما ما يقتدي بدينك
 وهديك وسنتك والامام هو الذي يؤتم به ومنه قيل للطريق امام وللبناء امام
 لانه يؤتم بذلك اي يهتدي به السالك والامام لما كان هو القدوة للناس لكونهم ياتون
 به ويهتدون بهدية اطلق عليه هذا اللفظ اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
 ما موربا يتباعه في الجملة وابراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود
 والنصارى فانهم مقررون بفضلهم ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب
 في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضلهم ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن
 ساكني حرمه وخذام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فخلى الله عن ابراهيم
 امورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلعم والاعتراف بدينه و
 الانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم هو من خصائص دين محمد صلعم وفي ذلك
 حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلعم والايمان به و
 تصديقه قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين يحتمل ان يكون ذلك دعاء
 من ابراهيم اي واجعل من بعض ذريتي ائمة ويحتمل ان يكون هذا من ابراهيم لقصد
 الاستفهام وان لم يكن بصيغته اي ومن ذريتي ما ذاك يكون يا رب فاخبره ان فيهم عصاة
 وظلمة وانهم لا يصلحون لذلك ولا يقومون به ولا ينالهم عهد الله سبحانه وتخصيص البعض
 بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق عن قتادة قال هذا عند الله يوم
 القيمة لا ينال عهد ظالما فاما في الدنيا فقد نالوا عهد فوارثيه المسلمين وغارهم
 وناكحهم فلما كان يوم القيمة قصر الله عهد وكرامته على اوليائه وعن مجاهد قال اجعل

اما ما ظالمنا يقتدي به وعن ابن عباس قال يخبره انه كان في ذريته ظالم لا ينال عهده
 ولا ينبغي له ان يوليه شيئا من امره والنيل الادراك وهو العطاء والذرية مأخوذة من الذر
 لان الله اخرج الخلق من ظهر آدم عليه السلام حين اشهدهم على انفسهم كالذر وقيل ما خو
 من ذر الله الخلق بذرهم اذ خلقهم وفي الكتاب العزيز فاصبح هشيم تذرره الرياح وقال
 الخليل انما اسموا ذرية لان الله تعالى ذرأها على الارض كما ذر الزرع البذر واختلف
 في المراد بالعهد فقيل الامامة وقيل النبوة وقيل عهد الله امره وقيل الامان من عذاب
 الآخرة ورجحه الزجاج والاول يظهر كما يفيد السياق وقد استدل بهذا الآية جماعة من
 اهل العلم على ان الامام لابد ان يكون من اهل العدل والعمل بالشرع كما ورد لانه اذا زاغ
 عن ذلك كان ظالما ويمكن ان ينظر الى ما يصدق عليه اسم العهد وما يفيد الاضافة
 من العموم فيشمل جميع ذلك اعتبارا بالعموم اللفظ من غير نظر الى السبب لانه السياق
 فيستدل به على اشتراط السلامة من وصف الظلم في كل من تعلق بالامور الدينية وقد
 اختار ابن جرير ان هذه الآية وان كانت ظاهرة في الخبر انه لا ينال عهد الله بالامامة ظالم
 فقيرا اعلام من الله ابراهيم الخليل انه سيوجد من ذريته من هو ظالم لنفسه انتهى ولا يخفى انه
 لا جدوي لكلامه هذا فالاولى ان يقال ان هذا الخبر في معنى الامر بعاده ان لا يولوا امور
 الشرع ظلما وانما قلنا انه في معنى الامر لان اخباره تعالى لا يجوز ان يتخلف وقد علمنا انه
 قد نال عهده من الامامة وغيرها كثيرا من الظالمين وَاَدْجَعْنَاهُ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
 اي لاجلهم او لاجل من اسكنهم البيت هو الكعبة غلب عليه كما غلب النجم على الثريا ويدخل فيه
 جميع الحرم لوصفه بكونه امنا كما سيأتي ومثابة مصدر من ثاب يثوب مثابا ومثابة اي ججا
 يرجع الحجاج اليه بعد تفرقهم عنه وقيل المثابة من الثواب اي يتأبون هناك وقال عجاها
 المراد انهم لا يقضون منه اوطارهم قال الاخفش ودخلت الهاء لكثرة من يثوب اليه فهي لا
 ونسابة وقال غيره هي للتأنيث وليس للبالغة وهو مصدر او اسم مكان قولنا واكمننا هو
 اسم مكان اي موضع امن وهو اظهر من جعله اسم الفاعل على سبيل المجاز كقولنا حرما امنا
 فان الامن هو الساكن والملحق والاول لا يجاز فيه وقد استدل بذلك جماعة من اهل العلم على انه

لا يقام الحمد على من نجأ اليه ويؤيد ذلك قوله تعالى ومن دخله كان امناً وقيل ان ذلك
منسوخ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم
خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيمة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي
ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيمة لا يعصده شوكه ولا يغير
صيداً ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختله خلاه فقال ليعباس يا رسول الله الا لا ادخر
فانه لقينهم وبسوتهم فقال لا الا اذا خرجوا بخاري ومسلم وكان الناس يامنون فيه من
اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس في الآية
معاً ذوا ملحاً واتخذوا من مقامهم ابراهيم مصلية فقرأ عليه انه فعل ما ضاي واتخذوه مصلية
وقرأ على صيغة الامر ويجوز ان يكون تقديره وقلنا اتخذوا للمقام في اللغة موضع القيام
الخاص هو من قام يقوم يكون مصداقاً للموضع ومقام من اقام ومن للتبعض وهذا
هو الظاهر وقيل بمعنى في وقيل زائدة على قول لا خفش وليس كشيء اختلف في تعيين المقام
على اقوال اصحها انه الحجر الذي يعرفه الناس ويصلون عنده ركعتي الطواف وقيل المقام
الحرم كله روي ذلك عن عطاء وحجاءد وقيل عرفة والمن دلفة وقال الشعبي الحرم كله مقام
والمعنى اتخذوا مصلية كائناً عند مقام ابراهيم والعندية تصديق بجهاته الاربع والتخصيص
المصلي خلفه انما استفيد من فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده اخرج البخاري وغيره من حديث
انس عن عمر بن الخطاب قال افقتني في ثلاث ووافقتني ربي في ثلث قلت يا رسول الله لو
اتخذت من مقام ابراهيم مصلية فزلت هذه الآية وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن
البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجن فزلت الآية الحجاء اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه في الغيرة
فقلت لهن عسى به ان طلقن ان يبدلهن ازاوا خيراً منكن فزلت كذلك واخرجه مسلم وغيره
فخص من حديث ابن عمر عنه واخرج مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
ومشي اربعاً حتى اذا فرغ عمر الى مقام ابراهيم فصل خلفه ركعتين ثم قرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلية
وفي مقام ابراهيم عليه السلام احاديث كثيرة مستوفاة في الامهات وغيرها والاحاديث الصحيحة تدل
على ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجبل اذ تالاه اسمعيل باليقوم

فوقه كما في البخاري من حديث ابن عباس وهو الذي كان ملصقا بجدار الكعبة واول من قبله
 عمر بن الخطاب كما أخرجه عبد الرزاق والبيهقي بأسناد صحيح وابن أبي حاتم وابن مردويه من
 طرق مختلفة وأخرج ابن أبي حاتم من حديث جابر في وصف حج النبي صلى الله عليه وآله قال لما طاف النبي
 صلى الله عليه وآله له عمر هذا مقام إبراهيم قال نعم وأخرج نحوه ابن مردويه قيل كان اثرا صاعبع بجبل إبراهيم
 فيه فأندرست بكثرة المسح بالأيدي وإنما أمر بالصلوة عنده ولم يصر وبمسح وتقبيل وقوله
 روى البخاري في بدء قصة المقام اثرا طويلا عن ابن عباس وقد ورد في حديث الترمذي
 ان الركن والمقام يا قوتان من يا قوت الجنة طس الله نودهما واختلفوا في قوله مصل من فسر
 المقام بمشاهدة الحج ومشاهدة قال مصل مدعي من الصلوة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحج قال
 معناه واتخذ من مقام قبل الأمر بالصلوة عنده وهذا هو الصحيح لان لفظ الصلوة اذا اطلق لا
 يعقل منه الا الصلوة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصل الرجل هو الموضع الذي يصلي
 فيه وعهدنا الى إبراهيم واسماعيل ان طهرا بيوتنا للطائفين والعاكفين والركع السجود
 معنى عهدنا هذا امرنا او وجبنا وقيل الزمنا او وجبنا ومن اغرب ما نقل في تسمية اسمعيل
 ان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية
 هو الله فلما رزق الولد سماه به وقيل هو اسم اعجمي فيه لغتان اللام والنون ويجمع على سماعه
 وسما عيل والمراد بالتطهير قيل من الاوثان قاله ابن عباس وقيل من الافلاك والرب
 وقول الزور والرجس قاله جاهد وسعيد بن جبيرة قتادة وقيل من الكفار وقيل من الجبابرة
 وطوا وانحجب الحائض وكل خبيث والظاهر انه لا يختص بنوع من هذه الانواع وان كلما
 يصدق عليه مسمى التطهير فهو بيتنا وله اما تاكل شموليا او بدليا والاضافة في قوله بيتي للتشريف
 والتكريم والمراد بالبيت الكعبة والطائف الذي يطوف به اي لاثاره وقيل الغريب الطائف
 على مكة والعاكف المقيم واصل العكوف في اللغة اللزوم واللبث والاقبال على الشيء وقيل هو
 الجوارحون المقيمون اهلها والمراد بقوله الركع السجود المصلون وخص هذين الركنين بالركن
 لانما اشرف ركن الصلوة عن ابن عباس قال اذا كان قائما فهو من الطائفين واذا كان جاكسا
 فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود وعن عمر بن الخطاب انه سئل عن الذي

يأمر في المسجد فقال هم العاكفون والسيحود جمع ساجد رقيقا عد وقعود وهو مناسبا قبله
وقيل انه مصدر دخول المدخل والمعنى ذوى السجود ذكره ابو النقاء والاول اولى واذا قال ابراهيم
اجعل هذا اى مكة وقيل محرم بلدا افسنا والمراد اهل مكة من ذرية وغيرهم كقولهم حيث
راضية تايه راض صاحبها والاسناد الى المكان مجاز كما في ليل نائراى نائرية قال السعد
التقنا زاني وعلى هذا المراد من الملتجى اليه فاسند اليه صبا لغة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه
وان ابراهيم حرم مكة والى حرمت المدينة ما بين لايتها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاها
كما اخرجه احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من حديث جابر وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله
من طريق جماعة من الصحابة وثبت عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات و
الارض وهي حرام الى يوم القيامة اخرجه البخاري واهل السنن من حديث ابي هريرة تعليقا
وابن ماجه من حديث صفية بنت شيبة وفي الباب حديث غير ما ذكرنا ولا تعارض بين هذه
الاحاديث فان ابراهيم عليه السلام لما بلغ الناس ان الله حرمها وانها لم تزل حراما انا نساليه
انه حرمها اى اظهر للناس حكم الله فيها والى هذا الجمع ذهب ابن ابي عطية وابن كثير وقال ابن جرير
انها كانت حراما ولو تعبد الله اخلق بذل حتى سأل ابراهيم فحرمها وتعبدتم بذلك حتى كمل الجمع
حسن وادرك اهل مكة من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الآخر انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة
لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله له وجعل مكة حراما انا تعبد اليه ثمرات كل شئ عن محمد
مسلم الطائفي قال بلغني انه لما دعى ابراهيم للحج ونقل الله الطائف من فلسطين ومن التبعية
اي بعض الثمرات ولحقيل من المحبوب لما في تحصيله من الدال الحاصل بالحرف وغيره فاقصادة
على الثمرات لتشریفهم وقيل من اللبيان وليس شئ اذ لم يتقدم مبهم يبين بها والمراد بالامن المذكور
في قوله مثابة للناس وامنا هو الامن من الاعداء وانخفض والمسخ والمراد هنا من الامن هو الامن
من القحط ولهذا قال وارزق اهل مكة من الثمرات ذكره الكرخي والمعنى وارزق من امن من اهل مكة
من كفر وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم سأل ربه ان يجعل النبوة والامامة في ذرية فاجله
الله بقوله لا ينال عهد الظالمين وصار ذلك تاديبا له في المسئلة فلا جرم خص بنادعائه المؤمنين دون
الكافرين فخر الله ان الرزق في الدنيا يستحق فيه المؤمن الكافر بقوله قال ومن كفر فامتنعوا اي سارزق

الكافر ايضا قليلا في الدنيا مدة حياته وعن محمد بن كعب القرظي قال دعا ابراهيم المؤمنين وترك الكفار
 ولم يدع لهم شيئا فقال تعالى ومن كفر فاستعذ بالله وعن ابن عباس قال كان ابراهيم يحجرها على المؤمنين
 دون الناس فانزل الله من كفر فانا ارضقهم ايضا كما ارضق المؤمنين اخلق خلقا لا ارضقهم ثم قرع ابن عباس
 كلامه هو لا وهو لا الآية وقوله من كفر اظاها من هذا من كلام الله سبحانه رد على ابراهيم حيث
 طالب الرزق للمؤمنين دون غيرهم ويحصل ان يكون كلاما مستقلا بيا ناكحا لم يكفر ويكون في حكم
 الاخبار عن حال الكافرين بهذه الجملة الشريفة اي من كفر فاني امتعه في هذه الدنيا بما يحتاجه من الرزق
 الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع ثم اضطره الى الزهرا مضطر الكفر بعد هذا التمتع ^{الحاصل} عذاب النار
 اخبر سبحانه انه لا ينال الكفرة من الخير لا تمتعهن في هذه الدنيا وليس لهم بعد ذلك الا ما هو شحيح واما
 حل قراءة من قرأ فاتعته واضطره بصيغة الامر في مبنية على ان ذلك من جملة كلام ابراهيم وان لما فرغ
 من الدعا للمؤمنين ^{الحاصل} دعى الكافرين بالامتاع قليلا ثم دعى عليهم بان يضطرهم الله الى عذاب النار ومعنى
 اضطره الزمه حتى صيره مضطرا لذلك لا يجد عنه خلاصا ولا منه مقولا وليس المصير في الوجه
 هو والوافيه ليس للعطف ولا لزوم عطف الانشاء على الاخبار بل الاستيناف كما قال في المغني في قوله تعالى
 الله ويعلمكم الله واذا رفع ابراهيم القواعد ^{التي} من البيت ^{الذي} سما عيل محكية حال ما ضية استحضار الصورة
 العجيبة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس قال ابو عبيدة والفراء وهي صفة خالصة من القواعد بمعنى
 الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه فعلك الله وقال الكسائي هي اجد والمواد برفعها رفع
 ما هو مبني فوقها لا رفعها في نفسها فانها لم ترفع لكنها لما كانت متصلة بالبناء المرتفع فوقها صارت
 كأنها مرتفعة بارتفاعها والمواد بها سائر البناء ورفعها بناؤها والمواد رفع مكانته ودعاء الناس السجدة
 وفي اجماع القواعد تعيينها ثانيا بقوله من البيت تخيرونا ^{التي} ربنا اي قلنا ربنا وقرأ ابي بن مسعود يقولون
 تقبل منا اي طاعتنا يا ارحم الراحمين وعبادتنا ^{التي} انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا وقد كثر المفسرون في تفسير
 هذه الآية من نقل قول السلف في كيفية بناء البيت ومن ايجاج الارض في يافاني ما عرف ومن حجبها وحرفية من
 الاحالة الدالة على فضلا وفضل بعضها كالحجر لاسق وفي اللامتنوع من ذلك ما ليس في غيره فلا يرجع اليه وفي
 تفسير ابن كثير بعض من ذلك لما لم يكن ما ذكره متعلقا بالتفسير لكونه وفي القسط لا في على الجاري
 بنيت الكعبة عشرين اولا وانبأ الملائكة الثمانية ادم الثالث بناء ابنه شيث بالطين والنجارة

وعرق في الطوفان الرابع بناء ابراهيم الخالص بناء العملاقة السادس بناء جرهم والذي بناه منهم
هو الحمرث بن مضاض الاضغر السابع بناء قصي خامس جد النبي صلى الله عليه وسلم التاسع بناء عبد الله بن
الزبير في اوائل سنة اربع وستين العاشرة بناء الحجاج انتهى حاصله قال سليمان الجمل وهذا حسب ما
اطلع عليه ولا فقد بناءه بعد ذلك بعض الملوك سنة الف وتسع وثلاثين كما نقله بعض المؤرخين
ربنا واجعلنا مسلمين لك اي ثابتين عليه وزدنا منه قيل المراد بالسلام هنا مجموع الايمان
والاعمال ومن ذريتنا امة ممتثلة لك من التبعية والتبدين قال ابن جرير انه اراد بالذرية
العرب خاصة وكذا قال السهيلي قال ابن عطية وهذا ضعيف لان دعوته ظهرت في العرب وغيرهم
من الذين امنوا به والامة الجماعة في هذا الوضع وقد تطلق على الواحد منه قوله تعالى ان
ابراهيم كان امة قانتا لله وتطلق على الدين ومنه انا وجدنا اباؤنا على امة وتطلق على الزمان منه
واذكر بعد امة قيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم واكرنا
منكم مكاثي من الروية البصرية والمناسك جمع نسك واصلاه في اللغة الغسل يقال نسك ثوبه
اذا غسله وهو في الشرع اسم للعبادة وقيل واحد ما منسك والمراد هنا مناسك الحج وقيل مواضع الذبح
وقيل جميع التعبدات قال علي لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال قد فعلت اي رفقا بنا مناسكنا
ابن زهرا لنا علمنا ما فبعث الله جبريل فحج به وفي الباب ثاكر كثيرة عن السلف من الصحابة ومن بعدهم
يتضمن ان جبريل ارادى ابراهيم المناسك وفي اكثرها ان الشيطان تعرض له وتب علينا اي فحجنا
والمراد بالتوبة التثبيت لانها معصومان لا ذنب لهم وقيل المراد وتب على الظلمة منا انك انت
الذات اي المتجاوز عن عبادة الرجم بهم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ضمير فيهم اجمع الامة
المسلمة المذكورة سابقا وقراءتي في اخرهم ويحتمل ان يكون الضمير راجعا الى الذرية وهم العرب
من ولد اسمعيل وقد اجاب الله لابراهيم عليه السلام هذه الدعوة فبعث في ذريته رسولا منهم
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقد اخبر عن نفسه انه دعوة ابراهيم كما اخرجها احمد من حديث العرياض بن
سارية وغيره ومراعاة هذه الدعوة وقد اجمع على ذلك المفسرون لان ابراهيم انما دعا الى دينه
وهو بمكة ولم يبعث بذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم
قال ابن الانباري يشبه ان يكون اصله ناقصة مرسال ومرسلة اذا كانت سهلة السيرة ماضية

أمام النور ويقال جاء القوم ارسلا اي بعضهم في اثر بعض يتلقوا الحكيم اياك وهو القرآن
 ويعلمهم الكتاب اي معاني الكتاب من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية والكتاب
 هو القرآن والحكمة اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه
 والمراد بالحكمة هنا المعرفة بالدين والفقه في التاويل والفهم للشرعية وقال قتادة هي السنة
 وقيل هي الفصل بين الحق والباطل وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى
 يجوعهما وقال ابن ديد كل كلمة وعظمتك اودعتك الى مكروته ونهتلك عن قبيح في حكمته
 وقيل ان المراد بالآيات ظاهرها لا لفظها والكتاب معانيها والحكمة الحكم وهو مراد الله بالخطاب
 وقيل غير ذلك ويركزهم التزكية للتطهير من الشرك وسائر الاعمال التي انت المميز الحكيم اي الذي يعجز
 شيء قاله ابن كيسان وقال الكنا في العزيز الغالب الحكيم العالم ومن يرغب عن ملة ابراهيم
 الا من سفة نفسه الاستفهام للاسكار قال الزجاج وابن جني سفة بمعنى جهل اي جهل امر نفسه
 فلم يفكر فيها انها مخلوقة لله فيجب عليه عبادته وقال ابو عبيدة المعنى اهلك نفسه وقال
 الاخفش اي فعل بها من السفة ما صار به سفيها وقال الزجاج شري امتنها واستخف بها
 عن ابي العالقة قال رغبت اليهود والنصارى عن ملته واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة
 ليست من الله تركوا ملة ابراهيم لا سلام وبذلك بعث الله نبيه صريحا وسلم عن قتادة متناه من
 رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم وكف
 اصطفيناه في الدنيا لتعليل المحصر قبله واللام جواب قسم محذوف الغرض منه الحجة والبيان
 لقوله ومن يرغب ولا صطفاء لا اختيارا اي اختراؤه في الدنيا بالرسالة والخلة كما شاهدوه
 ونقله جيل بعد جيل وانه في الاخرة لمن الصالحين امر مغيب فاختار له اخباره الى فضل تأكيد
 قيل مع الانبياء في الجنة والذين لهم الدرجات العلى فكيف يرغب عن ملته راغب اذ قال
 له كذبة اسلم يحتمل ان يكون متعلقا بقوله اصطفيناه اي اختراؤه وقت امرنا له بالاسلام
 ويحتمل ان يتعلق بمحذوف هو اذكر قال في الكشاف كانه قيل اذكر ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى
 الصالح الذي لا يرغب عن ملته مثله قال ابن عباس قاله ذلك حين خرج من السرب ذلك عند
 استدراكه بالكوكب واطلاعه على امارات الحدوث فيها واقتدارها الى محدث مد برو

معنى اسلم ان قد لله واخلص دينك لعبادتك له قال اسلمت لرب العالمين اي فوضت
 امري اليه قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بحد من الملائكة حين القي
 في النار ووصى بها ابراهيم بنبيه الضمير في بها راجع الى الملة الخنيفية والى الكلمة اي
 اسلمت لرب العالمين قال القرطبي وهو صواب لانه اقرب مدح كراي قولوا اسلمنا انتهى والاول
 اصح لان المطلوب من بعد هوانه ملته لا مجرد التكلم بكلمة الاسلام فالتوصية بذلك اليق
 بابراهيم واولي بهم قيل كانوا ثمانية منهم اسمعيل وهو اول ولادة وقيل اربعة عشر يعقوب معطوف
 على ابراهيم اي ووصى يعقوب بنبيه كما وصى ابراهيم بنبيه وكانوا اثني عشر وقري بنصب يعقوب فيكون
 داخل فيما اوصاه ابراهيم قال القشيري وهو بعيد لان يعقوب لم يذكر حبه ابراهيم وانما ولد
 بعد موته كما بيني قيل انه من مقول ابراهيم وقيل من قول يعقوب رب ان الله اصطفى لكم الدين
 المراد بالدين ملته التي لا يرغب عنها الا من سفه نفسه وهي الملة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله
فلا تمسكوا بالدين الا بالتي هي احسن اي بما ابلغ والمراد الزموا الاسلام ولا تفارقوه حتى تموتوا وهذا
 استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تمسكوا على حالة غير حالة الاسلام وليس فيه نفى عن
 الموت الذي هو نفري ولهذا قال السيوطي نفى عن ترك الاسلام وامر بالشبات عليه المصادفة
 الموت انتهى والمعنى ان موتكم لا على حال الشبات على الاسلام موت لا خيره وان حق هذا
 الموتان لا يحصل فيمن عن فضيل بن عياض قال مسلمون اي يحسنون بربكم الظن ويدل عليه ما
 روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو
 هو يحسن الظن بربه اخبرناه في الصحيحين ان كنتم تشهدوا اذ حضر يعقوب الموت اي ما كنتم
 حاضرين حين احتضر يعقوب وقرب من الموت وام هذه قيل هي المنقطعة وقيل هي المتصلة
 وفي المعنى انكم انكار المفيد للتقريع والتوبيخ والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون الى ابراهيم
 والى بنيه انهم على اليهودية والنصرانية فرد الله ذلك عليهم وقال لهم اشهدتم يعقوب و
 علمتم ما اوصى به بنيه فتدلون ذلك عن علم ام لم تشهدوا بل انتم مفترون والشهادة اجمع
 شاهد ولم ينصرت لان فيه الفاتحة التي لا تكفي الجماعة والمراد بحضور الموت حضور مقارنه
 وسمي يعقوب لانه هو واخوه العيص كانا قوامين في بطن واحد فقد قدم العيص وقت الولادة في

الخروج مسابقة ليعقوب فتأخر يعقوب عنه ونزل على آثره وعقبه في الخروج إذ قال الكبير
يعني لا ولادة الاثني عشر ما تعبدون اي اي شيء تعبدون وانما جاء بما دون من المعبودات
من دون الله خالها بما حادات كالآذان والنار والشمس والكواكب من بعد اي من بعد موت
قالوا تعبدوا الهك والله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق وان كان عما ليعقوب
فان العرب تسمى العم بابا والخال أمما وعم الرجل صنوابيه وقراء ابيك فليل راحا ابراهيم وحده
ويكون اسمعيل واسحق عطفاً على ابيك وان كان هو اياه حقيقة و ابراهيم جد ولكن لا ابراهيم
من يد خصوصية وقيل ابيك جمع كما روي عن سيبويه ان ابن جمع سلامة ومثله ابن وقد
اسمعيل على اسحق لانه اسبق منه في الولادة باربع عشرة سنة وانه جد نينا صلوات الله واخوه
له مسلمون اي مخلصون التوحيد والعبودية تلك اممة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
تلك إشارة الى ابراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه وما بعده بيان كمال تلك الامة وحال المخاطبين بان
لكل من الفريقين كسبه لا ينفعه كسب غيره ولا يناله منه بشيء ولا يضرب ذنب غيره وفيه الرد على
من يتكل على عمل سلفه ويروح نفسه بالامانة الباطلة ومنهما ورد في الحديث من ابطأ به
علم لم يسرع به نسبة والمراد انكم لا تنتفعون بحسناتهم ولا تأخذون بسوءاتهم ولا تسألون
عما كانوا يعملون اي عن اعمالهم كما لا يسألون عن اعمالكم ومثله ولا تنزروا زرة وترابا
وان ليس الانسان الا ما سمع وما ادعت اليهود والنصارى ان الهداية بيد هاواخي مقصود عليها
رد الله ذلك عليهم بقوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهذا في اخر من فنون كفرهم
واضلالهم لغيرهم اشريكان ضلالهم في نفسهم قال بن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وفي نصارى بخران السيد العاقب اصحابه اخاه
المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله قل بل ملة ابراهيم حنيفا اي قايما حجة في
الرد عليهم هذه المقالة بل الهدى ملة ابراهيم الحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى دين الحق وهو في اصل
اللفظة الذي تميل قدماء كل واحدة الى اختها اي تتبع ملة ابراهيم حال كونه حنيفا وقال قوم الحنف
الاستقامة فسمي بن ابراهيم حنيفا لاستقامته ويسمى معوج الرجلان احنف تقاولة بالاستقامة
كما قيل للذي يغسل المملوك مفازة وقال مجاهد حنيفا متبعا وقال بن عباس حاكوا عن خفيف

قال الخفيف المخلص وقال ابو قلابة الخفيف للذي يؤمن بالرسول كلهم من اولهم الى اخرهم واخرج
احمد عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بالخفيفة السحرة واخرج احمد والبخاري
في الادب المفرد وابن المنذر عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي اولادك احب اليك الله قال
الخفيفة السحرة ونصبه على الاغراء قاله ابو عبيدة اي الزهوها وما كان اي ابراهيم من المشركين
وفي نفي كونه من المشركين تعريضاً لآية سورة قولهم عزيز بن الله وبالنصاص لقولهم المسيح بن الله اي
ان ابراهيم ما كان على هذه الحالة التي يتم عليها من الشراء بالله فكيف تدعون عليه انه كان
عليه السلام ولا النصرانية وتدعون انكم على ملته قولوا آمنا بالله وما انزل اليك من القرآن
وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ولا سبطا اي الصنف وهذا خطاب
للمسلمين وامر لهم بان يقولوا لهم هذه المقالة وقيل انه خطاب للكفار بان يقولوا
ذلك حتى يكونوا على الحق والاول والى واعاد الموصول لئلا يتوهم من اسقاط اتحاد المنزل
مع انه ليس كذلك وذكر اسمعيل وما بعده لكونهم مروجين لها متعبدين بتفاصيلها
داخلين تحت احكامها ومقررين لما انزل على ابراهيم فكانه منزل عليهم ايضا والا فليسوا منهم
عليهم في الحقيقة والاسباط اولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولدا لكل واحد من الاولاد جماعة والسبط
في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب سمو الاسباط من السبط وهو المتتابع فهم جماعة متتابعون
وقيل اصله من السبط بالتحريك وهو شجر اي هم في الكثرة بمنزلة الشجر وقيل الاسباط حفدة يعقوب
اي اولاد اولاده لا اولاده لان الكثرة انما كان فيهم دون اولاد يعقوب في نفسه فهم افراد
لا اسباط وما اوتي موسى من التوراة وعبري لا يتاء دون الانزال فراراً من التكرار الصوري
الموجب للثقل في العبارة وعيسى من الانجيل ولم يقل وما اوتي عيسى اشارة الى اتحاد المنزل عليه
مع المنزل على موسى فان الانجيل مقر للتوراة ولم يخالفها الا في قد يسير فيه تسهيل كما قال و
لا حل لكم بعض الذي حرم عليكم وما اوتي النبيون المذكورون وغيرهم من ربيهم يعني الكتب
التي اوتي جميع الانبياء وذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر
الله من انبيائه كانوا على هدى حق لا تفرق في الايمان بين احد منهم بل نؤمن بكل
الاشياء قال الفراء معناه لا تؤمن ببعضهم ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى قال

في الكشف احد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه وليس كونه في معنى الجماعة
 من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما سبق الى كثير من الاذهان ونحن له مسلمون اي
 ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مدعون له بالعبودية واخرج احمد ومسلم وابو داود
 والنسائي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في ركعتي الفجر
 في الاولى منهما الآية التي في البقرة قولوا امنا بالله كلها وفي الاخرة امنا بالله واشهد
 بانا مسلمون واخرج البخاري من حديث ابي هريرة كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة
 بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكن يومهم وقولوا امنا بالله الآية فان امنوا بمثل ما امنتم به
 فقد اهتدوا وهذا خطاب للمسلمين ايضا اي فان امن اهل الكتاب وغيرهم بمثل
 ما امنتم به من جميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم فقد اهتدوا وعلى
 هذا فمثل زائدة كقوله ليس كمثله شيء وقيل ان المماثلة وقعت بين اليمانين اي
 فان امنوا بمثل ما كنتم وقال في الكشف انه من باب التبكيت لان دين الحق واحد
 لا مثل له وهو دين الاسلام اي فان حصلوا دين اخر مثل دينكم مسأ وياكله في الصحة
 والسداد فقد اهتدوا وقيل ان الباء زائدة مؤكدة وقيل انها للاستعانة وكان
 توكوا فاما هم في شقاق اصله من الشق وهو الجانب كان كل واحد من الفريقين في
 جانب غير الجانب الذي فيه الآخر وقيل انه مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب
 فكل واحد من الفريقين يحرص على فعل ما يشق على صاحبه ويصير حمل الآية على
 كل واحد من المعنيين قال ابو العالية في شقاق اي فراق وقيل في خلاف مناصرة
 وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال فسب كفيهم الله اي من شر اليهود
 والنصارى والكفاية وعد وضمان من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم انه
 سيكفيه من عانده وخالفه من المتولين وقد انجز له وعده بما انزله من
 بآسه بقرينة والنضير وبني قينقاع وفيه معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وهو اخبار بغيب وهو السميع لا اقوالهم العليم باحوالهم يسمع جميع ما

ينطقون به ويعلم جميع ما يضررون من الحسد والغل وهو مجازيم ومعاقبتهم
صَبْغَةُ اللَّهِ الْخَطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ أَي قَوْلُ النَّصَارَى هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَالْمَعْنَى صَبَغْنَا اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَقَالَ
الْأَخْفَشُ وَغَيْرُهُ أَي دِينَ اللَّهِ وَهُوَ فِعْلَةٌ مِنْ صَبَغَ كَالْجَلْسَةِ مِنْ جَلَسَ وَهِيَ الْحَالَةُ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الصَّبْغُ
وَالْمَعْنَى تَطْهِيرُ اللَّهِ لِأَن الْإِيمَانَ يَطْهَرُ النَّفْسَ أَيْ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ دِينَ اللَّهِ وَقَالَ عَجَّازٌ فِطْرَةُ
اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُودٍ وَابْنُ الضَّمَّانِ فِي الْمُخْتَارَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
إِنْ بَغَى إِسْرَائِيلُ قَالُوا يَا مُوسَى هَلْ يَصْبِغُ رَبُّكَ فَقَالَ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ دَاهِيَةَ رَبِّهِ يَا مُوسَى سَأَلُوا أَهْلَ الصَّبْغِ
رَبُّكَ فَقُلْنَا نَعَمْ أَنَا صَبِغُ الْأَلْوَانِ الْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَلْوَانِ كُلِّهَا فِي صَبْغِي وَاتْرَلُ اللَّهُ عَلَيَّ
نَبِيَّهُ صَبْغَةُ اللَّهِ الْآيَةُ وَعَنْهُ صَبْغَةُ اللَّهِ الْبَيَاضُ وَقَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَى
كَانُوا يَصْبِغُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي الْمَاءِ وَهُوَ الَّذِي يَسْمَوْنَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ تَطْهِيرَ الْهَمِّ فَذَا فَعَلُوا
ذَلِكَ قَالُوا الْآنَ صَارَ نَصْرَانِيًّا حَقًّا فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ صَبْغَةُ اللَّهِ أَيِ الْإِسْلَامِ وَلَا صَبْغَةُ أَحْسَنَ مِنْ
صَبْغَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا أَطْوَرَ وَهُوَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ نُوحًا وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَسْمَاكَ
صَبْغَةَ اسْتِعَارَةً قَالَ الْبَغَوِيُّ بِإِطْلَاقِ مَا دَلَّ لَفْظُ الصَّبْغِ عَلَى التَّطْهِيرِ عَجَّازٌ تَشْبِيهِي وَتَقَرُّ بِالشَّكْلِ
هَذَا مَبْسُوطٌ فِي التَّلْخِصِ وَشَرَحَهُ لِلْسَّعْدِ وَقِيلَ الصَّبْغَةُ الْاِخْتِسَالُ مَنْ ارَادَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ بَدَلَا
مِنْ مَعْمُودِيَّةِ النَّصَارَى خَرَجَ الْمَادُورِيُّ وَقِيلَ الصَّبْغَةُ الْاِخْتِمَانُ لِأَنَّهُ يَصْبِغُ الْخِتَنَ بِالدَّمِ وَقِيلَ الصَّبْغَةُ
سِنَّةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً أَي دِينًا وَقِيلَ تَطْهِيرُ اللَّهِ يَطْهَرُ مِنْ أَوْسَاخِ الْكُفْرِ وَخُبْرُ
لَهُ عَابِدُونَ أَيِ طَائِفَتِهِ قُلْ أَتُحْكَمُونَ فِي اللَّهِ أَيِ قُلْ يَا حُجَّةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا
دِينَهُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ أَتُحَادِلُونَنَا وَتُحَادِثُونَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي آمَرْنَا أَنْ تَدِينُوا بِهِ وَالْقُرْبُ مِنْهُ
وَالْحَقُوقَةُ عِنْدَهُ وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ خُذْنَا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاحْبِئْهُ وَالْحَاجَةُ الْمَجَادِلَةُ لِأَطْهَارِ الْحُجَّةِ وَهُوَ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ أَيِ تَشْرِكُونَ وَانْتُمْ فِي رَبوبِيَّتِهِ لَنَا وَعِبَادَتُنَا كَالْفِكْرِ فَكَيْفَ تَدْعُونَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِهِ مِنَّا وَتُحَادِثُونَ
فِي ذَلِكَ وَلَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ وَلَنَا أَعْمَالُكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ فَلَسْتُمْ بِأَوْلَى بِاللَّهِ مِنَّا هُوَ
مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَخُبْرُ لَكُمْ
مُخْلِصُونَ أَيِ خُذْنَا أَهْلَ الْإِخْلَاصِ لِلْعِبَادَةِ دُونَكُمْ وَهُوَ الْمَعْيَارُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ التَّفَاضُلُ وَ
الْخَصْلَةُ الَّتِي يَكُونُ صَاحِبُهَا أَوْلَى بِاللَّهِ سِجَانَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَكَيْفَ تَدْعُونَ لِنَفْسِكُمْ مَا خُبْرُ أَوْلَى بِهِ

منكم واحق والجمل الثلاث احوال وفيه توبيخ لهم وقطع لما جاءوا به من المجادلة والمنظرة قيل
وهذه الآية منسوخة بآية السيف أم تقولون أم هنا معادلة للهمزة في قوله اتحاجوننا
اي ام تقولون ان هؤلاء الانبياء على دينكم وعلى قراءة يقولون بالياء يكون ام منقطعة
اي بل يقولون وفيه تقريع وتوبيخ ان ابراهيم واسماعيل ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى يعني اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما
حدثت اليهودية والنصرانية بعد هم قُتبت كذبكم عليهم قل انتم اعلم ام الله اي الله
اعلم بذلك وقد اخبرنا بانهم لم يكونوا هودا ولا نصارى وانتم تدعون انهم كانوا كذلك
فهل انتم اعلم ام الله سبحانه والتفضيل على سبيل الاستهزاء وعلى تقدير ان يظن بهم علم
في الجملة والا فلا مشاركة ومن اظلم ممن كتم اي اخفى شهادة عند الله من الله يستفهم
انكار اي لا احد اظلم يحتمل ان يريد بذلك الذم لاهل الكتاب انهم يعلمون ان هؤلاء الانبياء
ما كانوا هودا ولا نصارى بل كانوا على الملة الاسلامية فظلموا انفسهم بكمهم هذه الشهادة
بل يادعائهم لما هو مخالف لها وهو اشد في الذنب من اقتصر على مجرد الكتم الذي لا احد اظلم
منه ويحتمل ان المراد ان المسلمين لو كتبوا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منهم ويكون المراد
بذلك التعريض باهل الكتاب قيل المراد هنا ما كتموه من صفة محمد صلى الله عليه وآله بغافل عما
تعملون فيه وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد احذم بان الله سبحانه لا يترك امرهم سدا
ولا يترك عقوبتهم على هذا الظلم القبيح والذنب الفظيع والغافل الذي لا يفتن الامور
اهما لانه ما خوذ من الارض الغفل وهي التي لا علم بها ولا اثر عمارة وقال الكسائي ارض
غفل لم تطر مكر قوله سبحانه تلك اممة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسألون عما كانوا يعملون لتضمنها معنى التهديد والتحذير الذي هو المقصود في هذا
المقام وتلك اشارة الى ابراهيم واسماعيل ويعقوب والاسباط وقيل لانه اذا اختلفوا
الحجاج والمجادلة حسن تذكيره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كرهه تنبيهها لليهود
ولمن يتكل على فضل الاباء وشر فهم اي لا تشكروا على فضل الاباء فكل يؤخذ بعمله
وكل انسان يسأل يوم القيمة عن كسبه لا عن كسب غيره وفيه عظة وزجر وهذا كالاول

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ

هذا الخبر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بان السفهاء من اليهود والمشركين و
 المنافقين سيقولون هذه المقالة قيل ان سيقول بمعنى قال وانما عبر عن الماضي بلفظ المستقبل
 للدلالة على استدامته والاستمرار عليه وقيل ان الاخبار بهذا الخبر كان قبل القول الى
 الكعبة وان فائدة ذلك ان الاخبار بالكبره اذا وقع قبل وقوعه كان فيه تهوينا لصدمته
 وتخفيفا لروعته وكسر السورته والسفهاء جمع سفیه وهو الكذاب البهات المنعم خلاف
 ما يعلم كذا قال بعض اهل اللغة وقال في الكشاف هم خفاف الاحلام ومثله في القاموس
 وقد تقدم في تفسير قوله الامن سفه نفسه ما ينبغي الرجوع اليه قيل نزلت هذه الآية
 في اليهود وذلك انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ
 وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد صلى الله عليه وآله واشتاق مولده
 وقد توجه نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك
 استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين
 واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص لان الاعداء عيبا لغون
 في الطعن والقدح فاذا وجد مقالا قالوا وجب الاجاكو والاتيان بالسبين الدلالة على الاستقبال
 من الاخبار بالغيب عليها كثر المفسرين وحكمت انهم كما قالوا ذلك في الماضي منهم ايضا من يقوله
 في المستقبل كما قال البيضاوي تبع للكشاف ما وكلهم اي ماضي فهم عن قبيحتهم وهي
 بيت المقدس التي كانوا عليها أي ثابتين مستقرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد
 حقيقتها والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلين يقابلها
 وتقابلها ولما قال السفهاء ذلك رد الله عليهم بقوله قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَلَهُ ان يامر
 بالتوجه الى اي جهة شاء لا يختص به مكان دون مكان خاصة ذاتية تمنع اقامته غير
 مقامه وانما العبرة بارتسام امره اي امتثاله لا بخصوص المكان وتخصيص هاتين الجهتين
 بالذكر لزيد ظهورهما حيث كان احدهما مطالع الانوار والاصباح والاخر مغربهما وكثرة
 توجه الناس اليهما لتحقيق الاوقات لتحقيق المقاصد والمهمات ذكره الكرخي يهدي من يشاء

من عباده اشعار بان تحويل القبلة الى الكعبة من الهداية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا اهل ملته الى
 صراط مستقيم يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام وقد اخرج البخاري و
 مسلم وغيرهما عن البراء ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اول ما نزل المدينة نزل على احواله من الانصار
 وانه صلى الى بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان تكون قبلته قبل
 البيت وان اول صلوة صلاتها العصر وصله معه فخرج رجل ممن كان صلى معه فمعه
 اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قبل الكعبة فداروا قبل البيت كما هم وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس
 واهل الكتاب فلما ولي وجهه قبل البيت انكروا ذلك وكان الذي مات على القبلة قبل
 ان تحول قبل البيت رجالا وقتلوا فلم يند ما نقول فيهم فأتى الله وما كان الله ليضيع
 الآية وله طرق اخر والفاظ متقاربة وعن ابن عباس قال ان اول ما نزل في القرآن القبلة
 وعنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعد ما تحول الى
 المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة وفي الباب حاديث كثيرة بضمون ما
 تقدم وكذلك وردت احاديث في الوقت الذي نزل فيه استقبال القبلة وفي كيفية
 استدارة الصلوات لما بلغهم ذلك وقد كانوا في الصلوة فلا تطول بذكرها وكذلك اي
 كما ان الكعبة وسط الارض كذلك جعلناكم امة وسطا اي عدولا خيرا والوسط الخيرا
 والعدل الآية محتملة الامرين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفسير الوسط هنا بالعدل واه
 احمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم عن ابي سعيد مرفوعا فوجب الرجوع الى ذلك
 ولما كان الوسط مجازا للعدل والتقصير كان محمدا اي هذه الامة لم تغل غلو النصارى في
 عيسى ولا قصر واتقصير اليهود في انبيائهم ويقال فلان اوسط قومه وواسطتهم وسطهم
 اي خيارهم والاية دلت على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لاشتملت
 على التمام اي اختلت قاله الكرخي ليكونوا الامم لا يفتقد العلية او هي لام الصيرورة
 شهداء على الناس يعني يوم القيمة اي تشهدون للانبياء على اممهم
 انهم قد بلغوا هم ما امرهم الله بتبليغه اليهم وقالت طائفة معنى الآية يشهد

بعضكم على بعض بعد الموت وقيل المراد لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح
 الا بشهادة العدل ويكون الرسول عليكم شهيدا اي على امته باتهم قد فعلوا ما امر
 بتبليغه اليهم ومثله قوله تعالى فكيف نخرجنكم من كل امة بشهيد وجننا بك على هؤلاء
 شهيدا وقيل عليكم بمعنى لكم اي يشهد لكم بالايمان وقيل معناه يشهد عليكم بالتبليغ
 لكم قال في الكشف لما كان الشهيد كالرقيب المهيمن على المشهود له جئ بكلمة الاستعداد
 ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد وكنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد انتهى
 وانما الخلف على في شهادة الامم على الناس وقد مرها في شهادة الرسول عليهم لان العوض
 كما قال صاحب الكشف في الاول اثبات شهادة الامم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول
 شهيدا عليهم وقيل ان شهيدا شبه بالفواصل والمقاطع من عليكم فكان قوله شهيدا تمام
 الجملة ومقطعهما دون عليكم وهذا الوجه يرد على الزحني كما ذهب من ان تقدير المفعول يشعر
 بالاختصاص واخرج احمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابي سعيد الخدري
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال
 لهم هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير وما اتانا من احد فيقال لنوح من يشهد افيقول
 محمد وامته فذلك قوله يعني هذه الآية فتشهدون له بالبلاغ واشهد عليكم واخرج ابن
 جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا وامي يوم القيمة على كوم
 مشرفين على الخلاق ما من الناس احد الا ودانه منا وما من بني كذبه قومه الا ونحن شهداء
 انه بلغ رسالة ربه واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال مروا الجحانة فاشق عليها
 خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثلثا ومرو الجحانة فاشق عليها شرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثلثا
 فسأله عمر فقال من اشتمت عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اشتمت عليه شرا وجبت له النار انتم
 شهداء الله في الارض ثلثا نزل الحكيم الترمذي ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وفي الباب
 احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة عند اهل الصحاح والسنن وغيرهم ومكعبون القبلة
 التي كنت عليها المراد بهذه القبلة هي بيت المقدس ويؤيد هذا قوله كنت عليها اذ كان
 نزول هذه الآية بعد صلاته لقلبة الى الكعبة وقيل المراد الكعبة اي القبلة التي انشأ عليها

الآن بعد ان كانت الى بيت المقدس ويكون كنت بمعنى الحال وقيل المراد بذلك القبلة
 التي كان عليها قبل استقبال بيت المقدس فانه كان يستقبل في مكة الكعبة ثم لما حَجَّ
 توجه الى بيت المقدس تالفا لليهود ثم صرف الى الكعبة وفيه اعاد سبب خمسة احسنها ما
 ذكرناه اَلَا لَنَعْلَمَ اسْتِثْنَاءَ مَفْرُغٍ من اعم العلل مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ في التوجه الى ما امر به من
 القبلة او الدين والالتفات الى الغيبة مع ايراد صلح بعنوان الرسالة لا لشعار بجله لا لاتباع
مَنْ يَتَّقِلْبُ عَلَى عَقِبَيْهِ اي يرجع الى الكفر وقد اردت لذلك جماعته والمعنى ما جعلنا هاهنا
 لنبتليهم يعني من يسلمه مرة من يرجع الى ما كان عليه من الكفر فايرتد قال ابن عباس
 لتمييز اهل اليقين من اهل الشك قيل المراد بالعلم هنا الروية وقيل ليعلم النبي وقيل المراد
 لنعلم ذلك موجودا حاصلا وهكذا ما ورد معللا بعلم الله سبحانه لا بد ان يا وُلَّ غَثْلَ هَذَا
 كَقَوْلِهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَإِنْ كُنْتُمْ كَكِبَرَةٍ اي ما كانت الكبيرة
 كما قاله الغراء والضمير في كانت راجع الى ما يدل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت
 عليها من التحويلة والتولية او الجملة او الردة ذكر معنى ذلك لا خفش ولا مانع من ان يرجع
 الضمير الى القبلة المذكورة اي وان كانت القبلة للمتصفة بانك كنت عليها الكبيرة اي
 تحويلها على اهل الشرك والريب قال ابن عباس اَلَا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ اي هداهم للايمان
 فانشرت صدورهم لتصدقك وقبلت ما جئت به عقولهم وهذا الاستثناء مفرغ لان
 ما قبله في قوة التقى اي انها لا تحف ولا تسهل الا على اهل الهدى وقيل استثناء من مستثنى منه
 محذوف اي وان كانت لكبرة على الناس لا على الذين وقيل محتمل كلا الوجهين الاول الى
 وعن ابن جرير قال بلغني ان ناسا ممن اسلم رجوعوا فقالوا مرة ههنا ومرة ههنا وما كان الله
لِيُضَيِّعَ أَيْمَانَكُمْ وهذه اللام تسمى لام المحو عند البصريين وخبر كان محذوف اي ما كان الله
 يريد الاضاعة ايمانكم والكوفيون لا يقدرون شيئا وان اللام عندهم للتأكيد وهكذا القو
 في ما اشبه هذا التركيب مما ورد في القرآن وغيره نحو وما كان الله ليطلعكم وما كان الله
 ليذوقكم القربي اتفق العلماء على انها نزلت فيمن مات وهو يصلي الى بيت المقدس ثم قال اضمى
 الصلوة ايمانا لا اجتماعها على نية وقول وعمل وقيل المراد ثبات المؤمنين على الايمان عند تحويل

القبلة وعدم ارتياحهم كما ارتأب غيرهم والاول يتعين القول به والمصير اليه لما أخرج احمد
وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن جبان والطبراني والحاكم وصححه عن
ابن عباس قال لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبلة قالوا يا رسول الله فكيف بالذين ما أتوا
وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل وما كان الله الاية وفي الباب احاديث كثيرة وانا عن
السلف ان الله بالكأس تعليل لما قبله لَرَوَّحْتُمْ رَحِيمَ الرُّوحِ كَثِيرًا والرافة وهي اشد من الرحمة
واكثر منها والمعنى متقارب وقد ابلغ للفاصلة قد ترى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ تصرف في جهة
السماء قال القرطبي في تفسيره قال العلماء هذه الاية متقدمة في النزول على قوله سيقول
السفهاء ومعنى قد تكثير الروية كما قاله صاحب المكشاف وقيل التحقيق والمعنى تحول وجهك الى
السماء قاله قطرب قال الزجاج تقلب عينيك في النظر الى السماء والمعنى متقارب والمعنى متطلعا
الى الوحي ومتشوقا لامر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لانها قبلة ابراهيم ولا نها ادعى
الى سلام العرب فَلَنُؤَيِّدَنَّكَ هو امان الولاية اي فلنعطينك ذلك ومن التولي فلنجعلناك
متوليا الى جهتها وهذه بشارة من الله له صلى الله عليه وسلم بما يحب والفاء هنا للتسبب قيل المعنى نحو انك
قبلة ترضيها قال ابن عمر اي قبلة ابراهيم نحو الميزاب هذا اولى لقوله فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ المراد بالشرط هنا الناحية والجهة ويرد بمعنى البعض مطلقا ويكون بمعنى النصف
من الشيء وبمعنى الجهة والنحو يقال شطري بعدد منه الشاطر وهو الشارب البعيد من الجيران الغفار
عن منزله والشطير البعيد ومنه منزل شطير وشطر اليه اي اقبل قال الراغب الشاطر ايضا من
يتباعد من الحق واخلاف ان المراد بشرط المسجد هنا الكعبة وقد حكى القرطبي لاجماع على ان
استقبال عين الكعبة فرض على المعائن وعلى غير المعائن يستقبل الناحية ويستدل على ذلك
بما يمكنه الاستدلال به وعن البراء شطر المسجد قبله وعن ابن عباس قال نحوه وقال ابو العالى
تلقاه وقال ابن عباس البيت كله قبلة وقبلة البيت لباب واخرج البيهقي عنه مرفوعا قال
البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الارض مشارقها ومغاربها
من امتي وقد خرج ابن ماجه عن البراء قال صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ثمانية عشر
شهرا وصرفت القبلة الى الكعبة بعد دخوله الى المدينة بشهرين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى بيت المقدس اكثر تغليب وجهه في السماء وعلم الله من قلب نبيه انه يهوي الكعبة فصعد
 جبريل فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصرة وهو يصعد بين السماء والارض ينظر ما ياتيه
 فانزل الله هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل كيف حالتنا في صلاتنا الى بيت المقدس
 فانزل الله يعني الآية التي قبل هذه واختلف في وقت تحويل القبلة فقيل كان في يوم الاثنين
 بعد الزوال للنصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
 وعليه الاكثر وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان ستة عشر شهرا وقيل لثلاثة
 عشر شهرا وقيل في جمادى وقيل في نصف شعبان وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
 بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلواة الظهر فتحول في الصلواة واستقبل الميزاب
 حول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فمضى ذلك المسجد مسجد القبليتين ووصل الخبا
 الى اهل قبا في صلواة الصبر واخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في صلواة
 الصبر اذ جاءهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة
 فاستقبلوها وكانت وجوههم الى المشام فاستداروا الى الكعبة وظاهر حديث البراء في البخاري
 انها كانت صلواة العصر ووقع عند النسي من رواية ابي سعيد بن المولى انها الظهر ^{وحيث}
 ما كنتم اي من براوج مشرق او مغرب وهذا خطاب للامة قولوا ^{ووجهكم} شطرة اي
 نحو البيت وتلقاه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرج
 الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصى يوم من السنة
 وبالمغرب مغرب الصيف في اقصى يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت
 عن عيينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق لان
 المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الليل والمغرب الصيفي شمالي متباعد
 عن خط الاستواء والذي بينهما اقوسهما مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة
 ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلالة القبلة وليس هذا موضع ذكرها و
 ان الذين اوتوا الكتاب قال السدي هم اليهود خاصة والكتاب للتوراة وقال غيره
 احبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ والكتاب للتوراة والانجيل ليعلمون ان الله

الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ الضَّحِيرُ فِي أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى مَا يُدَلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنَ التَّحْوِيلِ إِلَى جِهَةِ الْكُتُبَةِ وَعَلِمَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ بِذَلِكَ أَمَا لَكُمُ الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ يَكُونُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزِلَةِ عَلَيْهِمْ إِنَّ هَذَا
 النَّبِيَّ سَيَقْبَلُ الْكُتُبَةَ أَوَّلًا ثُمَّ قَدْ عَلِمُوا مِنْ كُتُبِهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ أَنَّ النَّاسَ سَيَكُونُونَ فِي هَذِهِ الشَّرْعِيَّةِ
 فَيَكُونُ ذَلِكَ مُوجِبًا عَلَيْهِمُ الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَمَتَابَعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى وَسَلَّمَ وَقِيلَ رَاجِعٌ إِلَى الشَّطْرِ وَقِيلَ
 إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى وَيَكُونُ عَلَى هَذَا التَّفَاتُحِ أَنْ يَخْطُبَهُ بِقَوْلِهِ فَلَنُؤَلِّيكَ إِلَى الْغَيْبَةِ وَالْأَوَّلِ أَوَّلِي مَا
 اللَّهُ يَغْفِرُ لِعَمَّا يَعْمَلُونَ قَالَ السَّيِّدُ يَأْتِلُ ذَلِكَ فِي الْيَهُودِ وَالْمَعْنَى مَا أَنَا بِسَائِدٍ عَمَّا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ
 الْيَهُودُ فَإِنَّا إِنْ جَانِمَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَكِنْ لَمْ قَسَمُوا أَنَّ شَرْطِيَّةَ أَنْتِ الَّذِينَ أَوْفُوا
 الْكِتَابَ يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِكُلِّ آيَةٍ أَيْ بِكُلِّ مَجْزُءٍ وَبِكُلِّ حُجَّةٍ وَبِرَهَانٍ مَا تَبِعُوا قَبْلَتَكَ
 أَيْ الْكُتُبَةَ عِنْدَ أَوَّلِي هَذِهِ الْآيَةِ مِبَالِغَةً عَظِيمَةً وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّسْلِيَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى وَسَلَّمَ وَتُؤَيِّدُ
 خَاطِرَهُ بِأَنَّهُ هَؤُلَاءِ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِمْ كُلُّ آيَةٍ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنْ جَاءَهُمْ بِكُلِّ بَرَهَانٍ فَضْلًا عَنْ
 بَرَهَانٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يَتْرَكُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ لِذَلِيلٍ عِنْدَهُمْ وَلِشُبُهَةِ طَرَفٍ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبْزُو
 بَيْنَ مَا عِنْدَهُمْ وَمَا جَاءَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى وَسَلَّمَ وَيَقْلَعُوا عَنْ غَوَايِهِمْ عِنْدَ وَضُوحِ الْحَقِّ بَلْ كَانَ
 تَرْكُهُمُ الْحَقَّ قَرْدًا وَعِنْدَ مَا عَمِلُوا بِهِمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ كَانَ هَكَذَا أَفْهَوْا لَا يَنْتَفِعُ بِالْبَرَهَانِ
 أَبَدًا وَالْأَخْبَارُ فِي قَوْلِهِ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى النَّهْيِ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى وَسَلَّمَ أَيْ
 لَا تَتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ قَبْلَتَهُمْ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ دَفْعًا لَطَمَاعِ أَهْلِ الْكِتَابِ قَطْعًا لِمَا يَرِجُونَ مِنْ
 رَجُوعِهِ صَلَّى وَسَلَّمَ إِلَى الْقَبِيلَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا وَهَذِهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فِي النَّفْيِ مِنْ قَوْلِهِ مَا تَبِعُوا قَبْلَتَكَ مِنْ جِهَةِ
 مَنَاسِكَهَا أَسْمِيَّةٍ تَكْرُرُ فِيهَا الْأَسْمَاءُ مَوْكِدًا أَنْفِهَا بِالْبَاءِ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قَبْلَةٍ بَعْضُ فِيهِ أَخْبَارُ بَنِي
 الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَعَ حُرْمَتِهِمْ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى وَسَلَّمَ مَا عِنْدَهُمْ هُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي دِينِهِمْ حَتَّى فِي
 هَذَا الْحُكْمِ الْخَاصِّ الَّذِي قَصَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رَسُولِهِ فَإِنْ بَعْضُهُمْ لَا يَتَّبِعُ الْآخَرَ فِي اسْتِقْبَالِ
 قَبْلَتِهِ قَالَ فِي الْكُتُبَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ تَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَالنَّصَارَى تَسْتَقْبِلُ مَطْلِعَ
 الشَّمْسِ انْتَهَى قَالَ الشَّهَابُ إِنْ كُنْ قَبْلَةُ النَّصَارَى مَطْلِعُ الشَّمْسِ صَحَابُهُ لَكِنْ وَقَعَ فِي بَعْضِ كُتُبِ
 الْقَصَصِ أَنَّ قَبْلَةَ عِيسَى كَانَتْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَقَالَ الْحَافِظُ بْنُ الْقَيْمِ فِي بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ قَبْلَةُ أَهْلِ
 الْكِتَابِ لَيْسَتْ بِوَحْيٍ وَتَوْقِيفٍ مِنَ اللَّهِ بَلْ شُورَةٌ وَاجْتِهَادٌ مِنْهُمْ أَمَا النَّصَارَى فَلَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ

لم يامرهم في الانجيل ولا في غيره باستقبال المشرق وهم يقولون بان قبلة المسيح قبلة بني
 اسرائيل وهي الصخرة واما وضع لهم اشياخهم هذه القبلة فهم مع اليهود متفقون على ان
 الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله ابدًا والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الامر
 واما اليهود فليس في التوراة الامر باستقبال الصخرة البتة واما كانوا ينصبون التابوت و
 يصلون اليه من حيث خرجوا فاذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا اليه فلما رفع صلوا الى
 موضعه وهو الصخرة ولكن اتبعته الهوائيم يعني مرادهم ورضاءهم لو رجعت الى قبلتهم من
 بعد ما جاءك من العلم في امر القبلة او بانهم مقيمون على باطل وعناد انك اذا لمن الظالمين
 فيه من التهديد العظيم والرجل البليغ ما تقشعر له الجلود وترجف منه الافئدة واذا كان الميل
 الى الهوية الخالفين لهذه الشريعة الغراء والملة الشريفة من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو
 سيد ولد آدم يوجب الظلم عليه وحاشا ان يكون من الظالمين فما ظنك بغيره من امته قد
 صان الله هذه الفرقة الاسلامية بعد ثبوت قدم الاسلام وارتفاع منارته عن ان يميلوا
 الى شيء من هوى اهل الكتاب لم يبق الا دسيسة شيطانية ووسيلة طاغوتية وهي ميل بعض
 قحط الله الى هوى بعض طوائف المبتدعة لما يرجوه من الحطام العاجل من ايديهم والحجاء
 لديهم ان كان لهم في الناس دولة او كانوا من ذوى الصولة وهذا الميل ليس يدون ذلك الميل
 بل اتباع الهوية المبتدعة يشبه اتباع الهوية اهل الكتاب كما يشبه الماء الماء والبيضة البيضة
 والتمرة التمرة وقد تكون مفسدة اتباع الهوية المبتدعة اشد على هذه الملة من مفسدة
 اتباع الهوية اهل الملل لان المبتدعة ينتمون الى الاسلام ويظهرون للناس انهم ينصرون
 الدين ويتبعون احسنه وهم على العكس من ذلك والضد لما هنالك ولا يزالون ينقلون من
 ميل الى هويتهم من بدعة الى بدعة ويدفعونه من شنيعة الى شنيعة حتى يسلموا الى الدين
 ويخرجوه منه وهو يظن انه منه في الصم وان الصراط الذي هو عليه هو الصراط المستقيم
 هذا ان كان في عدد المقصرين ومن جملة الجاهلين وان كان من اهل العلم والفهم المميزين
 بين الحق والباطل كان في اتباعه لاهويتهم من اضله الله على علم وختم على قلبه وصار رقعة على
 عبادته مصيبة صبرها الله على المقصرين لانهم يعتقدون انه في علمه وفهمه لا يميل الا الى الحق

ولا يتبع الا الصواب فيضلون بضلاله فيكون عليه اثم واثم من اقتدى به الى يوم القيمة
 نسأل الله اللطف والسلامة والهداية والكرامة الذين اتيناكم الكتاب يعني علماء اليهود
 والنصارى وقيل اراد به مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واحدا بغير قوة الضمير المحو
 صلح وان لم يسبق له ذكر لئلا يلام عليه وعدم اللبس ذكره القاضي ويقال عليه بل سبق
 ذكره بلفظ الرسول مرتين اي يعرفون نبوته روى ذلك عن مجاهد وقادة وطائفة من اهل
 العلم وقيل يعرفون تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة بالطريق التي قد منذ ذكرها وبه
 قال جماعة من المفسرين ويحرج صاحب الكشاف لاول وعندي ان الراجح الاخر كما يدل عليه
 السياق الذي سيقته هذه الايات كما يعرفون انباءهم انهم منهم لا يشكون فيه ولا
 يشته عليهم كما لا تشته عليهم انباءهم من انباء غيرهم يعني يعرفون ان القبلة التي صرفتك
 اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون اولادهم قال ابن سلام لقد عرفته حين
 رايته كما عرف ابني ومعرفتي بعملي اشد وخص الانباء دون البنات والاولاد لان الذكور اعرف
 واشهر وهم لصحبة الاء الزمر وبقولهم الصق والافتات عن الخطاب الى الغيبة لا يذان بان
 المراد ليس معرفتهم له صلح من حيث ذاته ونسبه بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا
 بالنعوت التي من جملتها انه صلح يصل الى القبلة من كانه قيل الذين اتيناكم الكتاب يعرفون من جملتها
 فيه وبهذا تظهر حيز الة النظم الكرم ذكره الكرني وان فريقا منهم اي من علماء اهل الكتاب كانوا
 الحق يعني اهل القبلة او صفة محمد صلح فكم الحق هو عند اهل القول الاول نبوته صلح وعند اهل القول
 الثاني استقبال الكعبة وهم يعلمون ان كان الحق معصية الحق فيجمل ان يكون المراد به الحق الاول
 ويجمل ان يراد به جنس الحق على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ وخبره قوله من ربك اي الحق
 هو الذي من ربك لا من غيره فلا تكلون من المستترين خطاب للنبي صلح ولا متراء الشك فيها
 الله سبحانه عن الشك في كونه الحق من ربه او في كون كما انهم الحق مع علمهم وعلى الاول هو تعريض
 للامة اي لا يكن احد من امته من المستترين لانه صلح لا يشك في كون ذلك هو الحق من الله سبحانه
 وفيه كناية وهي بلغ من التصريح وكل وجه اي لكل دين وجهة ولكل اهل ملة قبلة والوجه
 فعلة من المواجهة وفي معناها الجهة والوجه وهي اسم المكان المتوجه اليه كالكعبة او مصدر

والمراد القبلة اي انهم لا يتبعون قبلك وانت لا تتبع قبلكم ولكل وجهة اما بحق واما بباطل و
الضمير في هو موليها راجع الى لفظ كل والهاء هي المفعول الاول والثاني محذوف اي موليها
وجهه في صلاته والمعنى ان لكل صاحب ملة قبلة صاحب القبلة موليها وجهه قبلة المسلمين
الكعبة وقبلة اليهود بيت المقدس وقبلة النصارى مطلع الشمس ولكل منكم يا امة محمد قبلة
يصل اليها من شرق او غرب او جنوب او شمال اذا كان الخطاب للمسلمين ويحتمل ان يكون الضمير
له سبحانه وان لم يجز له ذكر اذ هو معلوم ان الله فاعل ذلك والمعنى ان لصاحب ملة قبلة
الله موليها آية وقيل لكل واحد من الناس قبلة الواحد مولاها اي محول ومصرف اليها
فاستيقوا الخيرات اي فبادروا الى ما امركم الله من استقبال البيت الحرام كما يفيد السياق
وان كان ظاهرة الامر بالاستقبال الى كل ما يصدق عليه انه خير كما يفيد العموم للمستفاد
من تعريف الخيرات قال ابن زيد يعني الاعمال الصالحة والمراد من الاستقبال الى الاستقبال
الاستقبال الى الصلوة في اول وقتها فان الصلوة فيه افضل لان ظاهر الامر للوجوب فاذا
لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب والاية دليل لمذهب الشافعي في افضلية الصلوة
في اول الوقت سبق الوصول الى الشيء واوله واصله التقدم في السير ثم تجوز به في كل ما تقدم
والخيرات واحد هاخيرة بوزن فيعلة او زنة فعلة كجفنة وعلى كلا التقديرين فليست التفضيل
ايما تكونوا اي في اي جهة من الجهات المختلفة تكونوا يا ايها الذين آمنوا الله الجزاء يوم القيمة فهو
وعداهل الطاعة بالثواب ووعيداهل العصية بالعقاب ويجمعكم جميعا ويجعل صلاتكم
في الجهات المختلفة كأنها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير ومنه الاعادة بعد الموت
والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة ومن حيث خرجت قول وجهك شطر
المسجد الحرام الظاهر ان من هنا ابتدائية ولا قربلن تكون بمعنى في اي في اي مكان سأفوت
وانه اي التولي الحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون بالياء والتاء وتقدم مثله من
حيث خرجت اي من اي مكان خرجت للسفر قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم قولوا اوجوهكم شطرة كرسبحانه هذا تأكيد الامر باستقبال الكعبة ولا اهتمام به
لان موقع الحق كان مقتربه في نفوسهم وقيل وجه التكريان النسخ من مظان الفتنة ومواطن

الشبهة فاذا سمعوه مرة بعد اخرى ثبتوا وان دفع ما يحتلج في صدورهم وقيل انه كرر هذا الحكم
 لتعدد علله فانه سبحانه ذكر الخويل ثلث على الاولى ابتغاء موضاته وللثانية جري العادة
 الالهية ان يولى اهل كل ملة وصاحب عوة جهة يستقبل بها والثالثة دفع حجج المخالفين فقد
 بكل علة معلولها وقيل اراد بالاول ول وجهك شطر الكعبة اذا صليت تلقاها ثم قال وحيث
 ما كنتم معاشر المسلمين في سائر المساجد بالمدينة وغيرها فقولوا وجوهكم شطرة ثم قال وحيث
 خرجت يعني وجوب الاستقبال في الاستقار فكان هذا امرا بالتوجه الى الكعبة في جميع المواضع
 من نواحي الارض لئلا الام لام كي فان هي المصدرية ذاة نافية يكون للناس عليكم حجة
 قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود والمعنى لا حجة لاحد
 عليكم في التولي الى غير اى يلتقي بها ادلتهم لكم من قول اليهود يحجد يننا ويتبع قبلتنا وقول
 المشركين يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلتنا الذين ظلموا منكم يعني المعاند من اهل
 الكتاب لقائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وقيل هم مشركو العرب
 حجتهم وقولهم رجعنا قبلتنا وقيل معناها لئلا يقولوا لكم قد اقمتم بالاستقبال الكعبة ليستم
 ترونها وقال ابو عبيدة الالهنا بمعناوا ولعل الزجاج هذا القول وقال انه استثناء منقطع
 اي لكن الذين ظلموا منهم فانهم يحجون ومعناه الامن ظلم باحتجاجه فيما قد وضحه كان يقول
 مالك على حجة الا ان تظلمني اي مالك على حجة ولكنك تظلمني وسمى ظلمه حجة لان المحتج بها اسماء حجة
 وان كانت داحضة وبحج ابن جبريل الطبري ان الاستثناء متصل وقال نفى الله ان تكون لاحد
 حجة على النبي صلوا واصحابه في استقبالهم الكعبة والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا الحجج الداحضة حيث
 قالوا ما اؤاؤهم وقالوا ان محمد التحير في دينه وما توجه الى قبلتنا الا انا اهدى منه وغير ذلك
 من الاقوال التي لم تنبعث الا من عابد وثن او من يهودي او منافق قال والحجة بمعنى الحاجة
 التي هي الخاصة والمجادلة وسماها تعالى حجة وحكم بفسادها حيث كانت من ظلم ورجع ابرع طية
 ان الاستثناء منقطع كما قال الزجاج قال القرطبي هذا على ان يكون المراد بالناس اليهود ثم
 استثنى كما امر العرب كانه قال لكن الذين ظلموا في قولهم رجع محمد صلوا الى قبلتنا واسيرجع الى ديننا
 كله فلا تخشوهم اي لا تخافوا جد الههم في التولي اليها ومطاعهم فانها داحضة باطللة لا تنقض حكم

وَأَخْشَوْنِي أَيْ أَحَدُ رِوَاغِقَابِي أَنْ أَنْتُمْ عَدَلْتُمْ عَمَّا أَرْزَمْتُمْ بِهِ وَفَرَضْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا تَنْتُمْ نَعَمْتُمْ
عَلَيْكُمْ أَيْ يَهْدِي أَيْكُمْ إِلَى قِبَلَةِ إِبْرَاهِيمَ لَتَمَّ كَلِمَةُ الْحَنِيفِيَّةِ وَقِيلَ تَمَّ أَيْ تَمَّ النِّعْمَةُ الْمَوْتِ عَلَى
الْإِسْلَامِ ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ثُمَّ رَوَى اللَّهُ تَعَالَى وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أَيْ لِكَيْ تَهْتَدُوا مِنْ الضَّلَالَةِ
وَلَعَلَّ عَسَى مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِمَّنْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ الشَّيْءُ وَقَعَ عَلَى أَنْ النِّعْمَةُ فِي الْقِبَلَةِ كَالنِّعْمَةِ فِي الرِّسَالَةِ وَقِيلَ
مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالْتَاخِيرِ أَيْ فَادْكُرُونِي كَمَا أَرْسَلْنَا قَالَهُ الزَّجَاجُ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ التَّعْبِيرُ
بِصِغَةِ التَّكْمِيلِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْعِظَمَةِ بَعْدَ التَّعْبِيرِ بِالصِّغَةِ الَّتِي لَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ التَّفَنُّنِ
وَجَرَّيَا عَلَى سَنَنِ الْكِبَرَاءِ وَفِيكُمْ خُطَابٌ لَهْلُ مَكَّةَ وَالْعَرَبِ كَذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْكُمْ وَفِي أَرْسَالِهِ رَسُولًا
مِنْهُمْ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرَفِ لَهُمْ وَلَنْ الْمَعْرِفَةِ مِنْ حَالِ الْعَرَبِ لَا نَفَقَةَ
الشَّدِيدَةِ مِنَ الْإِنْقِيَادِ لِلْغَيْرِ فَكَانَ بَعْثَةُ الرَّسُولِ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ أَقْبَلُ إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ وَالْإِنْقِيَادِ
لَهُ وَالرَّسُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّيْهِمُ الْآيَاتِ الْقُرْآنَ وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ لِأَنَّهُ مَحْجُوزَةٌ بِأَقْيَسَةٍ عَلَى الدَّهْرِ
وَالْتَرَكِيَّةِ الطَّهْيَرِ مِنْ دَنَسِ الشَّرِّ وَالذُّنُوبِ وَقِيلَ مَحَاسِنُ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِمُ الْأَفْعَالِ وَالْحِكْمَةُ
هِيَ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ وَالْفَقْهُ فِي الدِّينِ وَيُعَلِّمُكُمْ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَ
قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَبَرِ عَنِ الْحَوَادِثِ الْمُسْتَقْبَلَةِ مَا كُنْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ أَوْ تَتَكَلَّمُونَ ذَلِكَ قَبْلَ بَعْثَةِ رَسُو
لِ اللَّهِ صَلَّيْهِمُ وَتَسْتَقِلُّونَ بَعْدَهُ بِعَقُولِكُمْ فَادْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ أَوْ جَوَابُهُ وَفِيهِ مَعْنَى الْمَجَازَةِ قَالَهُ
سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالْمَعْنَى اذْكُرُونِي بِالطَّاعَةِ اذْكُرْكُمْ بِالثَّوَابِ الْمَغْفَرَةِ حِكْمَةٌ عَنْهُ الْقُرْطُبِيُّ وَ
هُوَ مَرْفُوعٌ وَقِيلَ لِمَ ذَكَرَ بِاللِّسَانِ وَهُوَ التَّسْبِيحُ وَالْتِمِيدُ وَخَوَافُكَ مِنْ الْأَذْكَارِ الْمَأْتُونَ
وَيَكُونُ بِالْقَلْبِ هُوَ التَّفَكُّرُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَبِدَائِعِ خَلْقِهِ وَيَكُونُ بِالْجَوَارِحِ
وَهُوَ الِاسْتِغْرَاقُ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي أَمْرُهَا مِثْلُ الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ الَّتِي الْمَجَارِحُ فِيهَا أَفْعَالُ
وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّيْهِمُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَاعِدُ ظَنِّ عَبْدِي
بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَنَفْسُ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي أَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُ وَأَنْ تَقْرِبَ بَنِي
شَبْرًا تَقْرِبُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَأَنْ تَقْرِبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقْرِبُ إِلَيْهِ بَاعًا وَأَنْ أَتَانِي بِمِشْيِ آتِيَتْهُ هَرَّةٌ
أَخْرَجَ النَّجَارِي وَمُسْلِمٌ وَخَرَجَ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّيْهِمُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَاعِدُ ظَنِّ عَبْدِي

ما ذكر في وقتك في شفتاه واخرج عن ابي موسى الاسعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يذكر
 والذي لا يذكر مثل الحي الميت في الباب احاديث كثيرة واشكر والي يعني بالطاعة ما انعمت به
 عليكم قال الغراء شكرتك وشكرت لك واحد قال ابن عطية في الفصح واشهر مع الشكر والشكر
 معرفة الاحسان والتحدث به واصلاه في اللغة الظهور وقد تقدم الكلام فيه وقد ورد في فضل
 ذكر الله على الاطلاق وفضل الشكر احاديث كثيرة كما اشرنا اليه ولا تكفرون اي محمد النعم و
 عصيان الامر والكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد
 كفر وقد تقدم الكلام فيه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ لما فرغ سبحانه
 من ارشاد عباده في ذكره وشكره عقب ذلك بارشادهم الى الاستعانة بالصبر عن المعاصي
 وحفظ النفس بالصلاة التي هي عماد الدين ومعراج المؤمنين فان من جمع بين ذكر الله وشكره
 واستعان بالصبر والصلاة على تاديب ما امر الله به ودفع ما يرد عليه من الجن فقد هدى الى
 الصواب ووفق للخير ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفرد به ومنهم من حملاه على الجحام
 ولا وجه لتخصيص نوع دون نوع والصبر حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطئتها على
 تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع والمخطورات المعنى استعينوا على طلب
 الاخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس على تحييض الذنوب وخصها بالذكر لتركها وعظمها
 لانها ام العبادات ومناجات رب الكائنات إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ اي بالعون والنصر واجابة الدعوة
 وهذه المعية التي وضعها الله فيها اعظم ترغيب لعباده سبحانه الى لزوم الصبر على ما ينوب من المخطورات
 فمن كان الله معهم يخش من الاهوال ان كانت كالجبال وهذه المعية خاصة بالمؤمنين المحسنين
 والصابرين اما المعية بما علم والقدر ففي عامة في حق كل احد اجملة لعليل ما قبلها من صبر خاصة كما
 قال ابو السرح او بالصبر والصلاة كما قال الكرخي وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ قَلِيلٌ
تَلَتْ فَمِنْ قَتْلٍ بَدْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كانوا اربعة عشر رجلا سنة من المهاجرين وثمانية من الانصار وسميهم انما
 باسمائهم وكان الناس يقولون فيهم فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذا قال الله هذه الآية وقيل ان
 الكفار قالوا للناس يقتلون انفسهم ظلم المرصاة محمد صلى الله عليه وسلم غير فائدة فنزلت هذه الآية واخبر الله ان من
 قتل في سبيله فانه حي انما خص الشهداء لانهم فضلوا غيرهم بمزيد النعم هَلْ يَرْجُونَ مِنْ ^{علي} مُظْلِمٍ أَجْرًا وما كانوا

وغيرهم يعمون بما دون ذلك ولكن لا تشعرون بهذا الحياة عند مشاهدكم لادبارهم بعد سلب
 ارواحهم لانكم تشكرون عليها بالموت فيظاهروا صبيحة ما يبلغ اليه علمكم الذي هو بالنسبة العلم الله كما
 يكسر الطائر فيضيق من البحر وليس كذلك في الواقع بل هم احياء الذين تصل ارواحهم الى الجنان فهم احياء
 من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم في الآية دليل على ثبوت عذاب القبر
 للعصاة وان الطيعين يصل اليهم فبهم هم في قبرهم في البرزخ ولا اعتداد باختلاف من خالف في ذلك
 فقد تواترت الاحاديث الصحيحة دلت على آيات القرآنية ومثل هذه الآية قوله تعالى ولا تحسبن الذين
 قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يزقون وقد روت احاديث في ارواح الشهداء في
 اجواف طيور خضر تاكل من ثمار الجنة فيها عن كعب بن مالك صروعا عند الترمذي وصححه النسائي
 وابن ماجة وروى ان ارواح الشهداء على صور طيور بيض يخرجها من اجوافها عن قتادة قال بلغنا
 فلذلك وروى انها على صور طيور خضر كما اخرج ابن الجوزي في حاشية البيهقي في شعب اليمان عن ابي العاكبية لآية نزلت
 في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان ارواح جواهر قائمة بانفسهم ما غيرة لما يحسن من
 البدن تبقى بعد الموت حركتها وعليه هو الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات السنن على هذا تخصيص
 الشهداء لاختصاصهم بالقبر من الله تعالى وضرب الهمة والكرامة وكتبوا ثم يشيخ من الخوف والكبر
 ونقص من الاموال الا انفس الثمينة التي لا تخبر بكم واللام جواب القسم في الله لنبلونكم يا امة محمد صلوات
 البلاء اصل المحنة اي تخمركم تحت بر كرهل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ام لا وليظهر الطائع من
 العاصي التنكيل بالتقليل اي بشي قليل من هذه الامور فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم
 بالف مرة فلذلك ما يصيب به معاند بهم وانما خبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد
 يقينهم عند مشاهدتهم احسبا خبر به وليعلموا انه شيء يسيره حاكمة محجوة والمراد بالخوف
 ما يحصل لمن يخشى من نزول ضرره من عدو او غيره وبالجوع المجاعة التي تحصل عند الجذب
 والخطوب وينقص الاموال ما يحدث فيها بسبب الجوائح وما اوجبه الله فيها من الزكاة ونحوها عز
 رجاء بن حيوة قال ياتي على الناس زمان لا يحل الخلعة في الاقرة وينقص الانفس الموت والقتل في
 الجهاد وينقص الثمرات ما يصيبها من الافات هو من عطف الخاص على العام لشمول الاموال للثمرات
 وغيرها وقال الشافعي في تفسير هذه الآية الخوف خوف الله والخوف صيام شهر رمضان نقص الاموال

اخراج الزكاة والصدقات نقص لا نفس لا مراض ونقص الثمرات مودة لا ولد لان الولد ثمرة الفلح في
 الحديث اذا مات ولد العبد قال الله ملائكة اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة
 فزادته قالوا نعم قال فماذا قال قالوا الحمد واسترجع قال ابغوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
 اخرجه الترمذي عن ابي موسى الاشعري مرفوعا قال حديث حسن ولكن اللفظ القرآني واسع
 مما قال واعلم منه فلا يخص شيئا دون غيره وبشّر الصّيرين امرؤ رسول الله صلواته لكل
 من يقدر على التبشير وقد تقدم معنى البشارة والصدقات اصله الحبس اي لا ابتلاء جاصل الكرم
 وكذا البشارة لكن لم يصبر قاله سعد التفتازاني الذين اذا اصابتهم مصيبة المصيبة واحدة
 المصائب وهي النكبة التي يتأذي بها الانسان وان صغرت قالوا اي باللسان والقلب لا باللسان
 فقط فان التلغظ بذلك مع انخرج قيمه ونحو القضاء وذلك ان يتصور ما خلق لاجله وانه
 يرجع الى به ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما انقى الله عليه اضعاف ما استودعه منه فهو
 عليه ويستسلم ان الله وانا اليه راجعون في الآخرة فيجازينا وصفهم بانهم المسترجعون المصيبة
 لان ذلك تسليم ورضا وفيه بيان ان هذه الكلمات على المصابين وعصمة المحققين فانها جامعة
 بين الافراد بالعبودية لله والاعتراف بالبعث والنشور والرجوع والتقويض الى الله والرضا بكل
 ما نزل به من المصائب وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتها واحسن عاقبة
 وجعل له خلفا صالحا يرضاه واخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
 اعطيت امتي شيئا لم يعطه احد من الامم ان يقولوا عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون لا
 تمنع الى قول يعقوب عند فقد يوسف يا اسفا على يوسف وقد ورد في فضل الاسترجاع عند
 المصيبة احاديث كثيرة اولئك عليهم صلوات من رزقهم الرحمة الصلوة هنا الغفران قاله
 ابن عباس او الشاء الحسن قاله الزجاج وعلى هذا فذكر الرحمة لقصد التاكيد وقال في الكشف
 الصلوة الرحمة والتعطف فوضعت موضع الرافعة وجمع بينها وبين الرحمة كقولهم رافعة روافع
 رحير والمعنى عليهم رافعة بعد رافعة ورحمة بعد رحمة انتهى وعبر عن الغفران بلفظ الجمع للتنبيه
 كثرتها وتنوعها قاله اليبضاوي وابو السعود وقيل المراد بالرحمة كشف الكرب وقضاء الحاجة قال
 انما وصفوا هنا بذلك لكونهم فعلوا ما فيه الوصول الى طريق الصواب من الاسترجاع والتسليم

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ يَعْنِي إِلَى الِاسْتِرْجَاعِ وَقِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ وَقِيلَ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ قَالَ
 عَمْرٍو أَخْطَأَ بِنِعْمِ الْعَدْلَانِ وَنِعْمَتِ الْعِلَاوَةِ فَالْعَدْلَانِ الصَّلَوةُ وَالزَّكَاةُ وَالْعِلَاوَةُ الْهَدَايَةُ وَقَدْ
 وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ وَأَجْزَالِ الصَّابِرِينَ ذَكَرَهَا الْمُفَسِّرُونَ لَا تُطِيلُ بِذِكْرِهَا هُنَا
 مَعْرُوفَةٌ فِي كِتَابِ الْأَنْبَاءِ الصَّغِيرَةِ وَالْمَرْكُومَةِ مِنْ شِعَارِ اللَّهِ أَصْلُ الصِّفَا فِي اللُّغَةِ الْحِجَازِيَّةِ الْأَمْلَسُ الصَّلْبُ وَهُوَ
 هُنَا عِلْمُ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ مَعْرُوفٍ وَكَذَلِكَ الْمَرْوَةُ عِلْمُ جَبَلٍ بِمَكَّةَ مَعْرُوفٍ وَأَصْلُهَا فِي اللُّغَةِ
 وَاحِدَةُ الْمَرْوَى وَهِيَ الْحَجَارَةُ الصُّفْرَاءُ الَّتِي فِيهَا لَيْلِينَ وَقِيلَ الَّتِي فِيهَا صِلَابَةٌ وَقِيلَ يَعْلَمُ الْجَمِيعُ وَقِيلَ
 أَنَّهَا الْحَجَارَةُ الْبَيْضُ الْبَرَّاقَةُ وَقِيلَ أَنَّهَا الْحَجَارَةُ السُّودُ وَالشُّعْرَاءُ جَمْعُ شَعِيرَةٍ وَهِيَ الْعَلَامَةُ أَيُّهَا
 الْأَعْلَامُ مَنَاسِكُهُ وَالْمُرَادُ بِهَا مَوَاضِعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَشْعَرَهَا اللَّهُ أَعْلَامًا لِلنَّاسِ مِنَ الْمَوْقِفِ وَالْمَسْجِدِ وَالْمَنْحَرِ
 وَمِنْهُ أَشْعَارُ الْهَدْيِ أَيُّهَا عِلَامُهُ بَغْرٌ حَدِيدَةٌ فِي سَنَامِهِ وَالْأَجُودُ شِعَارٌ يَأْتِيهِمْ لِيُزِيدَهُ حُرُوفَ الْمِلْدِ
 وَهُوَ عَكْسُ مَعَايِشٍ وَمَصَائِبٍ فَمَنْ تَجَرَّعَ الْبَيْتَ هُوَ فِي اللُّغَةِ الْقَصْدُ وَفِي الشَّرْعِ الْإِتْيَانُ بِمَنَاسِكِ
 الْحَجِّ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَوْ اعْتَمَرَ الْعِمْرَةَ فِي اللُّغَةِ الزِّيَارَةُ وَفِي الشَّرْعِ الْإِتْيَانُ بِالنَّسِكَ الْمَعْرُوفِ
 عَلَى الصِّفَةِ الثَّابِتَةِ فَالْحَجُّ وَالْعِمْرَةُ قَصْدٌ وَزِيَارَةٌ فَلَا جُنَاحَ أَيُّهَا فَلَا تَأْتِرُ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ
 أَيُّهَا يَدُورُ بِهِمَا وَيَسْعَى بَيْنَهُمَا وَالْجُنَاحُ أَصْلُ الْجُنُوحِ وَهُوَ الْمِيلُ مِنْهُ الْجَوَانِحُ لَا عَوَجَاجَ لَهَا وَرَفَعَ
 الْجُنَاحَ يَدِلُّ عَلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ بِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاصْحَابُهُ الثَّوْرِيُّ وَحَكَمَةُ الرَّخْشَرِيُّ فِي لِكْشَافٍ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ
 أَنَّهُ يَقُولُ هُوَ أَجِبٌ لَيْسَ يَسْكُنُ وَعَلَى تَارِكِهِ دَمٌ وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ
 وَالسُّبَيْنِيِّ وَمَالِكُ بْنُ سَائِرٍ وَعَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ سَنَةٌ وَاجِبُهَا عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فِيهِمَا وَأَمَّا الْخِلَافُ فِي
 وَجُوبِهِمَا فَيَقُولُ دَلَالَةُ هَذِهِ آيَةٍ عَلَى عَدَمِ الْوُجُوبِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْخُرَاقِ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ لِي
 زَادَ حِلْمًا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ حَجٍّ أَوْ عِمْرَةٍ أَوْ طَوَافٍ أَوْ تَطَوُّعٍ بِالسَّيْعِ أَوْ فِعْلِ طَاعَةٍ فَضَاءٌ كَانَ أَوْ فِعْلًا
 فَإِنَّ اللَّهَ شَاكَ عَلَيْهِمْ مَشْيَ الطَّاعَةِ لِيُخَفِّعَ عَلَيْهِ ذَهَابَ الْحَقِّ إِلَى السَّيْعِ وَاجِبٌ نَسِكَ مِنْ جَمَلِ الْمَنَاسِكِ
 وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ ذَهَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكُ وَاسْتَدَلُّوا بِمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ
 وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ عَمْرَةَ قَالَ لَهَا أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شِعَارِ اللَّهِ آيَةٌ فَأَنَّ
 عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهَا أَنْ لَا يَطُوفَ بِهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ بَشَأُ قُلْتُ يَا ابْنَ أَخِي إِنَّهَا لَوُكُنْتَ عَلَى مَا أَوَّلْتَهَا كُنْتَ
 فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهَا وَلَكِنَّهَا أَمَّا أَنْ تَرْتَلَنَ لَأَنْصَارُ قِيلَ أَنْ يَسْلُمُوا كَمَا نَوَّابَهُلُونَ

لنائة الطاغية كانوا يعمدونها وكان من اهل لها يخرج ان يطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية
فانزل الله ان الصفاء والمروة الآية قالت عائشة ثم قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بها فليس
لاحد ان يدع الطواف بها واخرج مسلم وغيره عنها انها قالت لعمرى ما اتوا الله حج من لم يسع بين
الصفاء والمروة ولا عمرته لان الله قال ان الصفاء والمروة من شعائر الله واخرج الطبراني عن ابن
عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا واخرج احمد في مسنده
والشافعي وابن سعد وابن المنذر وابن قانع والبيهقي عن حبيبة بنت ابي ترة قالت رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفاء والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم يسعي حتى ادى الى
من شدة السعي يدور بهما اذاره وهو يقول اسعوا فان الله عز وجل كتب عليكم السعي ويؤبد
ذلك حديث خذ واعني مناسككم واختار الشوكاني في جميع مؤلفاته الوجوب وهو الراجح
اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ مَاۤ اَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدٰى مِنْۢ بَعْدِ مَا يَبَيِّنَاۤهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ
اُولٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَفِيۡهِ اٰخٰرُ بٰرٍ اَلَّذِيۡ يَكْتُمُ ذٰلِكَ مَلْعُوۡنٌ وَخٰتِلَفُوۡا
من المراد بذلك فقيل اخبار اليهود وذهب ان النصارى الذين كفروا من محمد صلى الله عليه وسلم وقد روي عن
جماعة من السلف ان الآية نزلت في اهل الكتاب لكتهم نبوة نبينا صلى الله عليه وآله اية الجحيم وغيرها
من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل كل من كتم الحق وترك بيان ما اوجب الله بيانه وهو الحق
لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقر في اصول فقه فرض ان سبب النزول
ما وقع من اليهود والنصارى من الكتم فلا ينافي ذلك تناول هذه الآية لكل من كتم الحق وفي
هذه الآية من الوعيد الشديد ما لا يقاد رقة فان من لعنه الله ولعنه كل من ياتي
منه اللعن من عبادة قد بلغ من الشقاوة والخسران الى الغاية التي لا تلحق ولا يدرك كنهها وفي
قوله من البيّنات والهدى دليل على انه يجوز كتم غير ذلك كما قال ابو هريرة حفظت عن رسول
صلى الله عليه وآله عاين ابا احداهما فبشنته واما الاخر فلو بشنته قطع هذا البلعوم اخرج البخاري في الضيق
في بيانه واجمع الى ما اترنا والكتاب اسم جنس وتعريفه يعيد شموله لجميع الكتب وقيل المراد
التوراة واللحن الابعاد والطرد والمراد بقوله الملاعنون الملاكلة والمؤمنون قاله الزجاج وغيره
ولعله ابن عسيرة وقيل كل من ينافي منه اللعن فيدخل في ذلك الجحيم والانس وقال ابن عباس

جميع الخلائق الا الجن والانس وقيل هم الانس والجن وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت
الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة النبي صلوا على احوالهم التوراة والانجيل وقيل هم الخشريات
والبهائم ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن ماجة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال
كنا في جنازة مع النبي صلوا فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه فتسمعه كل دابة غير
الثقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى ويلعنهم اللاعنون يعني حواب
الارض وعن مجاهد اذا جدبت البهائم دعت على فجاء ربي ادم وعنه ان دواب الارض و
العقارب الخنافس يقولون انما منعنا القطر بدنوهم فيلعنهم وعن ابي جعفر يلعنهم كل
شيء حتى الخنفساء وقد وردت احاديث كثيرة في النهي عن كتم العلم والوعيد لعاقله واخرج
البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال لولا ايتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا ابدان الذين
يكتمون الاية وقوله واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى
اخرها وهل اظهر علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف ولا يخفى انه اذا اظهرها
لل بعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شيء يعطى
من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا الا الذين تابوا واصحوا وبكتموا فيه استثناء لثلاث
الراجعين من الكفر الى الاسلام والمصلحين لما فسد من اعمالهم والمبينين للناس ما بينه الله
في كتابه وعلى السنن رساله قال قتادة اصلوا ما بينهم وبين الله ودينوا الذي جاءهم من الله
ولم يكتموه ولم يحجوه فاللغات اقرب عليهم يعني اتجاوز عنهم واقبل توبتهم قاله سعيد بن جبير
وانما التواب اي المتجاوز عن عبادى الرجاء بقلوبهم المنصرفة عنى الى الرحيم بهم بعد اقبالهم
عليها والحكمة اعتراض تدبيل محقق لمضمون ما قبله والاتفاك الى التكلم للتفنن في النظم الكريم
مع ما فيه من التلويع والرمز الى ما من من اخلاق المبدئ في فعله تعالى السابق وهو اللعن واللاحق وهو
الرحمة ان الذين كفروا بالكتمان وغيره وما تلووهم كفار جملة حالية واشتات الواو فيها انهم
خلاف لمن جعل حذوها شاذ وهو الزمخشري تبع الفراء وقد استدل بذلك على انه لا يجوز
لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم ولا ينافي ذلك ما ثبت عنه صلوا من لعنه لقوم
من الكفار باعيا منهم لانه يعلم بالوحي لا تعلم وقيل يجوز لعنه عملا نظاها حال كما يجوز قتاله و

استدل بقوله أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ على جواز لعن الكفار على العموم قال القرطبي
 ولا خلاف في ذلك قال وليس لعن الكافر بطريق الزجر له من الكفر بل هو جواز على الكفر
 أظهر أرفع كفرة سواء كان الكافر عاقلاً أو مجنوناً وقال قوم من السلف لا فائدة في لعن من جحد
 مات منهم لا بطريق الجزاء ولا بطريق الزجر قال ويدل على هذا القول أن الآية دالة على أن
 عن الله والملائكة والناس بلعنهم لا على الأمر به قال ابن العربي إن لعن العاصي المعين لا يجوز
 باتفاق لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى بعض من حضر لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم والحديث في الصحيحين والثنايس أجمعين قيل هذا
 يوم القيمة وأما في الدنيا ففي الناس المسلم والكافر ومن يعلم بالعاصي وعصيته هو من لا يعلم فلا
 يتأذى للعن له من جميع الناس وقيل في الدنيا والمراد به غالب الناس وكل من علم بعصيته
 منهم عن أبي العالية قال إن الكافر يوقف يوم القيمة في لعنه الله ثم يلغنه الملائكة ثم يلغنه الناس
 اجمعون وقاله قتادة يعني بالناس اجمعين المؤمنين خالدين فيها أي في النار وقيل في اللعنة
 وإنما أضمرت لعظم شأنها لا يحقق عنهم العذاب ولا هم ينظرون فيعتذرون قال أبو العالية
 وقال ابن عباس لا يؤخرون ولا ينظرون ولا يمهال وقيل معناه لا ينظر الله إليهم فهو من النظر وقيل
 هو من الانتظار أي لا ينتظرون ليعتذروا وَاللَّهُ أَكْبَرُ أي لا شريك له في الألوهية
 ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فآله تعالى واحد في أفعاله
 لا شريك له يشاركه في مصوغاته وهو واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء
 من خلقه لا إله إلا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره من الألوهية وأثبتها له الرحمن الرحيم
 وقد تقدم تفسيرهما وفيه الإرشاد إلى التوحيد وقطع العلائق والإشارة إلى أن أول ما يجب
 ويحرم كما أنه هو التوحيد وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي وأبو داود والترمذي و
 صححه وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الأعظم
 في هاتين الآيتين وَاللَّهُ أَحَدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ والآلهة هي القيوم
 وأخرج الديلمي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أشد على مودة الجن من هؤلاء الآيات التي
 في سورة البقرة وَاللَّهُ أَحَدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ والآيات المذكورة في سورة البقرة

بقوله والهمكم الله واحد عقب ذلك بالدليل الدال عليه وهو هذه الامور الثمانية التي هي
من اعظم صنعة الصانع الحكيم مع علم كل عاقل بانه لا ينهيا من احد من الالهة التي انبتهم الكفا
ان ياتي بشيء منها او يقتدر عليه او على بعضه وهي خلق السموات وتعاقب الليل والنهار و
جرى الفلك في البحر وانزل المطر من السماء واحياء الارض به وبث الدواب منها بسببه و
تصرف الرياح وتسخير السحاب فان من امعن نظره واعمل فكره في واحد منها انبهل وضحا
ذهنه عن تصور حقيقته وتحتم عليه التصديق بان صانعه هو الله سبحانه وانما جمع السموات
لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووجد الارض لانها كلها من جنس
واحد وهو التراب الاية في السماء سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من
الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال
والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما باقبال احدهما وادبار الاخر واضاءة احدهما وظلام الاخر وقيل في الطول القصير
والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب عندي فيه وجه ثالث هو انها كما يختلفان في الزمان فها يختلطان
في الامكنة فان من يقول ان الارض كرة فكل ساعة عيشتها قتلك الساعة في موضع من الارض صبح
وفي موضع اخر ظهر وفي اخر عصر وفي اخر مغرب وفي اخر عشا واهل هذا اذا اعتبروا البلاد
المختلفة في الطول اما البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال اكثر من ان يتاخر
الصيفية اقصر وايامه الشتوية بالاضد من ذلك فهذه الاحوال المختلفة في الايام والليالي
بحسب اختلاف اطوال البلاد وعروضها امر عجيب انما اقدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم
والاية فيهما ان انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب
النوم والراحة يكون بالليل فاختلفت احوالهم انما هو لتخصيل مصالح العباد والنهار ما بين طلوع
الفجر والغروب الشمس وقال النضر بن شميل والنهار طلوع الشمس لا يعد ما قبل ذلك من النهار وكذا قال ثعلب والزجاج وقسم بن
الانباري الزمان الى ثلاثة اقسام قسم جعله ليلا محضاً وهو من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقسم جعله نهاراً محضاً وهو
من طلوع الشمس الى غروبها وقسم جعله مشتركاً بين النهار والليل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس لبقيا ظلمة
والنور في هذه الاوقات اعتبرها اهل اللغة واما في الشرح فالكلام في ذلك معروف والفلك التي تجري في

الْبَحْرُ هِيَ السَّفِينُ وَافْرَادُهُ رَجْعُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَهُوَ هَذَا وَيَذَكِّرُ وَيُؤْنِثُ قَالَ تَعَالَى وَالْفَلَاحُ
 الْمُشْحَنُ وَالْفَلَاحُ الَّذِي يُجْرِي فِي الْبَحْرِ وَقَالَ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ وَجَرِينَ بِهُمْ وَقِيلَ وَاحِدَةٌ فَلَاكُ
 بِالْتَّحْرِيكِ مِثْلَ سَدٍّ وَاسْتَدْرَاجٍ فِي الْفَلَاحِ تَحْذِيرُهَا وَجَرِيَانُهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَهِيَ مَوْقَرَةٌ
 بِالْأَنْفَالِ وَالرَّجَالُ فَلَا تَرْسِبُ وَجَرِيَانُهَا بِالرَّيْحِ مُقْبِلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ وَتُسَخِّرُ الْبَحْرَ لِحُلِّ الْفَلَاحِ مَعَ قُوَّةِ
 سُلْطَانِ الْمَاءِ وَهِيَ كَأَنَّ الْبَحْرَ فَلَا يَنْجِي مِنْهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ يَعْنِي رُكُوبَهَا وَالْحُلَّ
 عَلَيْهَا فِي التَّجَارَاتِ لَطَلَبُ الْأَرْبَاحِ وَالْآيَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَوْ لَمْ يَقُولْ قَلْبٌ مِنْ يَرْكَبُ هَذِهِ السَّفِينُ
 لَمَا أَتَمَّ الْغَرَضَ فِي مَنَافِعِهِمْ وَإِيضًا فَإِنَّ اللَّهَ خَصَّ كُلَّ قَطْرِ مِنْ أَقْطَارِ الْعَالَمِ شَيْئًا مُعَيَّنًا أَحْوَجَ
 الْكُلِّ إِلَى الْكُلِّ فَضَارَ ذَلِكَ سَبِيلًا يَدْعُوهُمْ إِلَى تَقَاتُلِ الْأَخْطَارِ فِي الْأَسْفَارِ مِنْ رُكُوبِ السَّفِينِ وَ
 خَوْفِ الْبَحْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَالْحَاكِمُ يَنْتَفِعُ لَنَهِ بَرِيحٍ وَالْمَحْمُولُ إِلَيْهِ يَنْتَفِعُ بِأَحْلٍ إِلَيْهِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ أَيْ الْمَطَرِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْعَالَمِ وَأَخْرَاجُ النَّبَاتِ وَالْأَرْزَاقُ فَاحْيَاكُمْ بِالْأَرْزَاقِ
 أَيْ أَظْهَرُ نَضَارَتِهَا وَحُسْنَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا أَيْ بَعْدَ يَبْسُهَا وَجَدَّ بِهَا سَمَاءُ مَوْتًا حَيَاةً وَالْآيَةُ فِي هَذَيْنِ
 أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَبِيلًا لِأَحْيَاءِ الْجَمِيعِ مِنْ حَيَوَانَ وَنَبَاتٍ وَتَزْوِلُهُ عِنْدَ وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ بِمَقْدَرِ الْمَنْفَعَةِ
 وَعِنْدَ الْأَسْتِسْقَاءِ وَالِدُّعَاءِ وَانْزَالِهِ بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ وَبَيَّنَّ فِيهَا أَيْ فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ حَاجَةٍ
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرِيدُ كُلُّ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ وَالْآيَةُ فِي
 ذَلِكَ أَنَّ جِنْسَ الْإِنْسَانِ يَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ وَاحِدٍ وَهُوَ آدَمُ مَعَ مَا فِيهِمْ مِنْ الْأَخْتِلَافِ فِي الصُّوَرِ وَالْأَشْكَالِ
 وَالْأَلْوَانِ وَالْأَلْسِنَةِ وَالطَّبَائِعِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَوْصَافِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ يُقَاسُ عَلَى بَنِي آدَمَ سَائِرُ
 الْحَيَوَانَ وَالْبَيْتُ لِلنَّشْرِ وَالظَّاهِرَانِ قَوْلُهُ بَيَّنَّ عَلَى قَوْلِهِ فَاحْيَاكُمْ لَنَهَا أَمْرَانِ مُتَسْبِغَانِ عَنْ
 انْزَالِ الْمَطَرِ وَقَالَ فِي الْكَشَافِ أَنَّ الظَّاهِرَ عَطْفُهُ عَلَى انْزَالِ وَقَالَ ابْنُ حَيَّانٍ لَا يَصِحُّ عَطْفُهُ عَلَى انْزَالِ
 وَلَا عَلَى أَحْيَاءِ الصَّوَابِ لَنَهْ عَلَى جُذُوفِ الْمَوْصُولِ أَيْ وَمَا بَيَّنَّ فِيهِ زِيَادَةُ فَائِدَةٍ وَهُوَ جَعْلُهُ آيَةً
 مُسْتَقِلَّةً وَحَذَفَ الْمَوْصُولَ شَائِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ انْتَهَى وَتَصَرُّفُ الرِّيحِ أَيْ أَرْسَالُهَا عَقِيمًا وَ
 مَلْقَحَةً وَصَرَّ وَنَصَرَ وَاعْلَاكَ وَاحِدَةً وَبَارِدَةً وَلَيْسَةً وَعَاصِفَةً وَقِيلَ تَصَرُّفُهَا فِي مَوَاقِفِهَا جَنُوبًا
 وَشَمَالًا وَدُورًا وَقُبُولًا وَصَبَاً وَنَكْبًا وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي بَيْنَ مَهْبِطَيْنِ وَقِيلَ تَصَرُّفُهَا أَنَّ تَأْتِي الشَّعْنَ الْكَبِيرَ
 بِقَدَرِ مَا تَحْتَمِلُهَا وَالصَّغِيرَ كَذَلِكَ وَلَا مَانِعَ مِنْ جَمْعِ التَّصَرُّفِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرَ وَعَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ كُلُّ شَيْءٍ

في القرآن من الرياح في رحمة وكل شيء من الريح في عذاب وقد ورد في النبي عن سب الريح
 وأوصافها أحاديث كثيرة لا تعلق لها بالآية والآية في الريح أنه جسم لطيف لا يمسك ولا يرى
 وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقطع الشجر والخصر ويخرب المباني العظم وهو مع ذلك حياة
 الوجود فلو لمساك طرفة عين لما كنت كل ذي روح وانت على وجه الأرض والشجر المسخر بين
 السماء والأرض أي الغيم المذلل سمي سحابا لأن سحابه في الهوى وسحبته ذيل سحابا وسحب فلان
 على فلان اجتري والمسخر المذلل وسخره بعثه من مكان إلى آخر وقيل تسخيره شوته بين السماء
 والأرض من غير عمد ولا علائق ولا أول اظهر والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه
 العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه
 ولا دامة تسنده وفيه آيات أخرى لا تحصى ففي هذه الأنواع الثمانية دلالة عظيمة على وجود
 الصانع القادر الختار وأنه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد بقوله والهاكم آله
 واحد لا اله الا هو كآيات لِقَوْمٍ يَقُولُونَ أَي دلائل على وحدانيته سبحانه لمن ينظر ببصره
 ويتفكر بعقله وانما جمع آيات لأن في كل واحد ما ذكر من هذه الأنواع آيات كثيرة تدل
 على أنها خالقها مبدعها مختارها ومن الناس من يتخذ من دُونِ اللَّهِ أندادا يُخْبِتُونَ لَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
 لما فرغ سبحانه من الدليل على وحدانيته أخبرنا مع هذا الدليل الظاهر المفيد العظيم سلطانه
 وجليل قدرته وتفرد به بالخلق قد وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه ندا يعبدونه من الإصنام
 كذا قيل وقد تقدم تفسير الانداد مع أن هؤلاء الكفار لم يقتصر على مجرد عبادة الانداد
 بل الجواهر عظاما وأفرطوا في ذلك فراطا بالغائق صار جبرهم لهذه الأوثان ونحوها مكنيا
 في صدورهم كتمن حب المؤمنين لله سبحانه ويجوز أن يكون المراد بحبهم لله أي عبدة الأوثان
 قاله الزجاج وابن كيسان ويجوز أن يكون معناه كما يحب الله ولا أول أو لبقوله وَالَّذِينَ آمَنُوا
 أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ فَإنه استدلال على تفيد التشبيه من التساوي أي إن حب المؤمنين لله أشد
 من حب الكفار لانداد لأن المؤمنين يخلصون الله سبحانه بالعبادة والدعاء والكفار لا يخلصون
 أصنامهم بذلك بل يشركون الله معهم ويعترفون بأنهم إنما يعبدون أصنامهم ليقربهم
 إلى الله ويمكن أن يجعل هذه الجملة دليلا على الثاني لأن المؤمنين إذا كانوا أشد حبا لله لم يكن

وهو مذكور في موطنه وتقطعتم بهم أي عنهم الأسبائت بسبب كفرهم جمع سبت أصله
 في اللغة الحمل الذي يشد به الشيء ويجذب به ثم جعل كل ما جرسياً سبباً في مجاز هنا والمراد
 بها الوصل التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من الرحمة وغيرها وقيل هي الأعمال وقال ابن عباس
 هي المنازل وقال أيضاً هي الأرحام وقال المودة وقيل العهود ولخلف وقال الذين اتبعوا
 لِمَا نُنَاكِزُكُمْ أَي رجعة إلى الدنيا الكثرة الرجعة والعودة إلى حال قد كانت ولو هنا بمعنى التمني
 قيل ليت لنا كرامة ولهذا وقعت الفاء في الجواب والمعنى إن الاتباع قالوا الورد ذناب الدنيا حتى
 نفعل صالحاً فنتبرأ منهم أي المتبوعين كما تبرأوا منكم اليوم وهو جواب التمني كذلك
 أي كما أراهم الله العذاب يريد الله أعمالكم السيئة وهذه الرواية إن كانت البصرية فقوله
 حسرات عليكم منتصب على الحال وإن كانت القلبية فهو المفعول الثالث والمعنى إن أعمالهم
 الفاسدة يريد الله أياها فتكون عليهم حسرات وقد ماتوا ويرى الله أعمال الصالحة التي أوجبها
 عليهم فتركها فيكون ذلك حسرة عليهم والحسرة الغم على ما فاتته وشدة الندم عليه كأنه يحس
 الجهل الذي حمله على ما ارتكبه وما هم بخارجين من النار فيه دليل على خلود الكفار في النار
 وظاهر هذا التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتقوية لغرضه يرجع إلى اللبس
 والبحث في هذا يطول عن ثابت بن معبد قال نال أهل النار ما لم يلون الخرج منها حتى تزل
 هذه الآية يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا قيل إنها نزلت في تقييد خزانة
 وعامر بن صعصعة وبنى مدح فيما حرموه على أنفسهم من الحرث والآنعام حكاة القرطبي
 في تفسيره وهذا هو المشهور بخلاف ما جرى عليه القاضي من أنها نزلت في قوم حرموا على
 أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس فإنه مرجوح قاله الكرخي ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا
 بخصوص السبب سمي الحلال حلالاً لا لفلال عقدة الخطر عنه والطيب هنا هو المستلذ
 كما قاله الشافعي وغيره وقال مالك وغيره هو الحلال فيكون تأكيد القول حلالاً ومن في منأ
 للتبعض للقطع بأن في الأرض ما هو حرام كالحجارة لا يؤكل أصلاً وليس كل ما يؤكل نجواً أكله
 فلذلك قال حلالاً فالأمر مستعمل في كل من الوجوب والندب والباحة الأولى إذا كان لقيام
 المنية والثاني كالأكل مع الضيف والثالث كغير ما ذكر قيل معنى حلالاً ما ذوباً فيه شرعاً والطيب

الحلال وان لم يستلذ بالآلوية وفي هذه الآية دليل على ان كل ما لم يرد فيه نص او ظاهر
من الاعيان الموجودة في الارض فاصلا العمل حتى يرد دليل يقتضي تحريمه ووضح دلالة على
ذلك من هذه الآية قوله تعالى وهو الذي خلق لكم ما في الارض ولا تفتنوا لخطوئ الشيطان
جمع خطوة بالفتح والضم وهي بالفتح المرة وبالضمه لما بين القدمين وقيل انها لغتان وقرن خطوات
بضم الخاء والطاء والهمز على الواو قال الاخفش وذهبوا بهذه القراءة الى انها جمع خطية من الخطا
لا من الخطو والمعنى على قراءة الجمهور لا تقتفوا اثر الشيطان وطرقه وتزيينه وعمله وكلما لم يرد
به الشرع فهو منسوب الى الشيطان وقيل هي لنذر وفي المعاصي قيل المحقرات من الذنوب الاولى
التعظيم وعدم التخصيص بفرادى ونوع قال ابن عباس ما خالف القرآن فهو من خطوات الشيطان
وقال عكرمة هي ترغبات الشيطان وعن سعيد بن جبير قال هي تزيين الشيطان وقال قتادة
كل معصية لله فهي من خطواته وعن ابن عباس ما كان من يمين او ذرا في غضب فهو من خطواته
وكفارته كفارة يمين انه لكم عدو وتعليل للنهي عن الاتباع مبين اي ظاهر العداوة ومثله
قوله تعالى انه عدو مضل مبين وقوله ان الشيطان لكم عدو فلتخذوه عدوا وقد اظهر الله عداوته
بآية السجود لادم ثم بين عداوته ما هي فقال انما يا مومنون قيل استعير لاسم التزيينه وبعثه
لهم على الشر تسفيها لراهم وتحقير الشانهم قاله البيضاوي وقيل لاحاجته الى صرف الامر عن ظاهره
لان حقيقته طلب الفعل لا بيان الشيطان بطلب السوء والفحشاء ممن يريد اغواءه بالسوء
سمي السوء سوءا لانه يسوء صاحبه بسوء عاقبته وهو مصدر رساء ليسوءه سوءا ومساءة
اذا حزنه والفحشاء اصله سوء المنظر ثم استعمل فيما يقع من المعاني وقيل السوء القبيح والفحشاء الخجاء
للحد في القبح وقيل السوء ما لاحد فيه والفحشاء ما فيه لحد قال ابن عباس وقيل الفحشاء الزنا وقيل
هو الخجل وقيل ان كل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء وان تقوا لولا ان الله ما لا تعملون اي
بان تقوا قال ابن جرير الطبري يريد يعني ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها ما جعلوا
شرعا وقيل هو قولهم هذا حلال وهذا حرام بغير علم والظاهر انه يصدق على كل ما قيل في
الشرع بغير علم فيتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها الله فلم ترد عن رسول الله
صلعم وامر الشيطان ووسوسه عبارة عن هذه الخواطر التي يهدى بها الانسان في قلبه وفاعل

هذه الخواطر هو الله تعالى وإنما الشيطان كما عرض وقد صرح عنه صلعم أن الشيطان يجري من
 ابن آدم مجرى الدم وإذا قيل لهم ما نزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا
 الضمير في لهم راجع إلى الناس في قوله يا أيها الناس فعدل عن المخاطبة إلى الغيبة على طريق
 الالتفات مباعدة في بيان ضلالهم كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون أو
 لأن المكفار منهم وهم المقصودون هنا وقيل مشركوا العرب خاصة وقد سبق ذكرهم في قوله
 من يتخذ من دون الله انداداً وقيل تزلت في اليهود على هذا الآية مستأنفة والفينا بمعنى
 وجدنا وفي هذه الآية من الذم للقلدين والنداء بجهلهم الفاحش واعتقادهم الفاسد ولا يقاد
 قدره حيث عارضوا الدلالة بالتقليد ومثل هذه الآية قوله تعالى وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل
 الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا الآية يعني من التحريم والتحليل وفي ذلك دليل
 على قبح التقليد والمنع منه والبحث في ذلك يطول قال الرازي في هذه الآية تقرير هذا الجواب من
 وجوه أحدها أنه يقال للقلد هل تعترف بأن شرط جواز تقليد الإنسان أن يعلم كونه محققاً لا فاقاً
 اعترفت بذلك لم تعلم جواز تقليده كما يبدل أن تعرف كونه محققاً فكيف عرفت أنه محق وان عرفت
 بتقليد آخر لزوم التسلسل وان عرفت به بالعقل فذلك كاف فلا حاجة إلى التقليد وان قلت ليس
 من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محققاً فاذن قد جازت تقليده وان كان مبطلاً فاذن أنت
 على تقليدك لا تعلم أنك محق أو مبطل وتأتيها ههنا ذلك المتقدم كان عالماً بهذا الشيء إلا أنها
 لو قد ناذ ذلك المتقدم ما كان عالماً بذلك الشيء قط وما اختار فيه البتة مذهباً فانت ما
 ذكنت تعمل على تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهباً كان لا بد من العدل إلى النظر
 فكذا ههنا وتأتيها أنك إذا قلدت من قبلك فذلك المتقدم كيف عرفت به اعرفته بتقليد أم
 لا بتقليد فان عرفت به بتقليد لزوم ما الدور وما التسلسل وان عرفت به لا بتقليد بل بدليل
 فإذا وجبت تقليد ذلك المتقدم وجب أن تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد لأنك لو طلبت
 بالتقليد لا بالدليل مع أن ذلك المتقدم طلبه بالدليل لا بالتقليد كنت محالاً فالكه فثبت أن القول
 بالتقليد يفضي بثبوته إلى نفيه فيكون باطلاً وإنما ذكر تعالى هذه الآية عقيباً لرجوع عن اتباع
 خطوات الشيطان تنبيهاً على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد

وفيه اقوي دليل على وجوب النظر والاستدلال وترك التعويل على ما يقع في الخاطر من غير
 دليل او على ما يقوله الغير من غير دليل انتهى كلامه وكم من اليتيم واليتيم تذل على ذم
 التقليد والمقلدين ولكن مفاسد الجهل والتعصب كثيرة لا باقى عليها الحصر وقد افرد الشوكا
 بمؤلف مستقل سماه القول المفيد في حكم التقليد واستوفى الكلام فيه في دبل اطلب منتهى
 والفالحا فظا الواحد المتكلم بن القيم في ذلك كما باضفهما سماه اعلام الموقعين عن رب العالمين
 قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه يهود الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته
 فقال له رافع بن خارجة وما لك ابن عوف بل يتبع يا محمد صلما او جدي ناعليه ابا عناء فهم كانوا
 وخير امنا فانزل الله في ذلك هذه الآية او لو كان اباؤهم لا يعقلون اي لا يعلمون شيئا من امر
 الدين وهذا القبط عام ومعناه خصوص لانهم كانوا يعقلون كثيرا من امور الدنيا فهو لا يدل على جواز
 ذكر العام مع ان المراد به خاص ولا يمتد ون الى الصواب في كيفية اكتسابه والهجرة للاسكان
 والواو اما الحال او العطف وجواب لو عذرت قاله ابو البقاء وتقديره لا يتبعوهم والذي جرى
 عليه ابو السعوي ان لو في مثل هذا التركيب يحتاج الى جواب لان القصد منها تميم الاحوال ثم ضمت
 لهم مثلاً فقال ومثل الذين كفروا في اتباعهم اباؤهم وتقليدهم لهم وفي ذلك نهاية الزجر للردع
 لمن يسمعه عن ان يسلك مثل طريقهم في التقليد كمثل الذي يتعوق بما لا يسمع فيه تشبيهه وا
 الكافرين ودايعهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالراعي الذي يتعوق بالغنم والابل فلا تسمع الا دعاء ونداء و
 لا تفهم ما يقول هكذا افسر الزجاج والفراء وسيبويه وبه قال جماعة من السلف قال سيبويه
 لم يشبهوا بالناعق انما شبهوا بالمتعوق به والمعنى مثلك يا محمد صلما ومثل الذين كفروا كمثل
 الناعق والمتعوق به من البهائم التي لا تفهم فخذت لالة المعنى عليه وقال قطرب المعنى مثل
 الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم يعني الاصنام كمثل الراعي اذا تعوق بغنمه وهو لا يدري اين هي
 وبه قال ابن جرير الطبري وقال ابن زيد المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم الالهة الجماد كمثل
 الصائح في جوف الليل فيجيبه الصدا فهو يصيح بما لا يسمع ويجيبه ما لا حقيقة فيه فهذه اربعة اقوال
 وقد اختلف الناس في هذه الآية اخلافا كثيرا واضطر ابو اضطر ايا شديدا والذي نخصناه
 اقوال مذهبنا لكل قول منها تقدير ذكره السمين والذبيق زجر الغنم والصياح بها والعرب تضيئ ^{المثل}

راعى الغنى في الجمل ويقتلون الجمل من راعي ضأن قال ابن عباس مثل الذين كفروا مثل البقر
 والحمار والشاة ان قلت لبعضهم كلاما ام يعلم ما تقول غير انه يسمع صوتك وكذلك الكافر ان
 ينادى او يناديه عن شراؤه وعظمنه لم يعقل ما تقول غير انه يسمع صوتك ونحوه قال مجاهد الدعاء
 النداء بمعنى واحد وسوى العطف باختلاف اللفظ صم بكم في هذه النتيجة ما قبل ما يسمعون عن سماع
 الحق ودعاء الرسول بكم عن النطق بالحق عني عن طريق الهدى فهم لا يعقلون نتيجة النتيجة
 قيل المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قال عطاء هم اليهود الذين
 انزل الله فيهم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب لقوله فما اصبرهم على المنازاة بها
 الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم هذا تأكيد للامر الاول اعني قوله يا ايها الناس كلوا
 مما افى الارض حلالا طيبا وانما خص المؤمنين هنا لكونهم افضل انواع الناس قيل المراد
 بالكل الاستفاد وقيل المراد به كل المعتاد وهو الظاهر وقيل ان الامر في كل واحد يكون للوجوب
 كحفظ النفس ودفع الضر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا
 خلا من هذه العوارض وعن عمر بن عبد العزيز ان المراد بما في الآية طيب الكسبي طيب الطعام
 وقال الضحاك انها حلال الرزق واخرج احمد ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن ابي حاتم عن
 ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به
 المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها
 الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يد
 الى السماء يا رب يا رب مطعنه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي يا حي يا قيوم فاني استيقظ اذ
 وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قومنا نزهوا عن اكل المستلذ من الطعام فاباح الله لهم ذلك
 واشكر الله على نعمه فيه التفات من ضمير التكميل الى الغيبة اذ لو جرى على الاسلوب الاول لقال و
 اشكرونا ولا امر فيه للوجوب فقط ان كنتم اياها تعبدون اي تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم
 لا غير كما يفيد تقديم المفعول وقيل ان كنتم عارفين بالله وب نعمته فاشكروا عليها والا فلا
 حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت بها كل الطيبات
 التي هي الحلالات بآية في هذه الآية انواعا من المحرمات فقال غا وهي كلمة موضوعية للخصر

الخطاب وتنفي ما عداه وقد حصرته ههنا التحريم في الامور المذكورة بعدها اي ما حرم عليهم الميتة وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة وقد خصص هذا العموم بمثل حديث اهل لنا مبتنان ودمان فاما الميتة كان فالحجر والحوت واما الدمان فالطخال والكبد اخرجه احمد وابن ماجه والدارقطني والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر ومثل حديث جابر في العنبر الثابت في الصحيحين مع قوله تعالى اكل كوسيد البحر فالمراد بالميتة هنا ميتة البر لا ميتة البحر وقد ذهب اكثر اهل العلم الى جواز اكل جميع حيوانات البحر حيها وميتها وقال بعض اهل العلم انه يحرم من حيوانات البحر ما يحرم شبهه في البر وتوقف ابن حبيب في خنزير الماء قال ابن القاسم انا اتقيه ولا اراه حراما والله هو الجارى لسائل وكان العرب يجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم الله تعالى وقد اتفق العلماء على ان الدم حرام وفي الآية الاخرى او دما مسفوحا فيحمل المطلق على المقيد لان ما خلط بالدم خيره حرم قال القرطبي بالاجماع وقد روت عائشة انها كانت تطبخ اللحم ففعلوا الصفرة على البرمة من الدم فياكل ذلك النبي صلى الله عليه وآله ولا ينكره واما حكم الخنزير فظاهر هذه الآية والاية الاخرى اعنى قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير ان المحرم انما هو اللحم فقط وقد اجتمعت لامة على تحريم شحم كحاكاة القرطبي في تفسيره وقد ذكر جماعة من اهل العلم ان اللحم يدخل تحته الشحم وحكى القرطبي الاجماع ايضا على ان جملة الخنزير محرمة الا الشعر فانه يجوز انخرابة وقيل لا يدخل جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل واختلفوا في نجاسته فقال الجمهور انه نجس قال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة والشأن في قولان في ولوغ الخنزير الجديده انه كالكلب القدير يعني فيه غسلة واحدة والاية قصر قلب الرد على من استحل هذه الاربعة وحرم اكلها كالسوا ومعد ذلك هو شبيهاي ما حرم عليكم الا هذه الاربعة لا غيرها من البحيرة وما بعدها في الآية وان كان حرم غيرها من الامور المذكورة في اول المائدة وما اهل به لغير الله يعني ما ذبح للاصنام والطواغيت وصيغ في ذبح لغير الله واصل الاهدال رفع الصوت يقال اهل بكذا اي صرخ ورفع صوته ومنه اهدال الصبي واستهلاله وهو صياحه عند ولادة ومنه اهدال لانه يصرخ عند رويته والمراد هنا ما ذكر عليه اسم غير الله تعالى كالكالات والغزى اذا كان الذابح وثنيا والنار اذا كان الذابح يحن

لا تقطع مدته وسوء عاقبته وهذا السبب ان كان خصاصا فالاعتبار به يوم اللفظ لا بخصوص السبب
وهو يشمل كل من كنتم ما شرع الله واخذ عليه الرشاء اولئك ما كانوا في بطونهم ذكر البطون
دلالة وتأكيذا على ان هذا الالكل حقيقة اذ قد يستعمل مجازا في مثل اكل فلان ارضي ونحوه وقال
في الكثاف معناه ملاء بطونهم ظرف متعلق بما قبله لاحال مقدرة كما قال الكوشية النار
استثناء مفرغ اي انه يوجب عليهم عذاب النار فمعي ما اكلوه نار لانه يؤل اليها هكذا قال اكثر المفسرين
وهو من مجاز الكلام وقيل انهم يعاقبون على كثرتهم باكل النار في جهنم حقيقة ومثله قوله سبحانه
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ولا يكلمهم الله يوم القيمة
اي كلام رجة وما يستلزم بل يكلمهم بالتوبيخ وعدم تكليم الله اياهم كناية عن حلول غضبه الله
عليهم وعدم الرضاء عنهم يقال فلان لا يكلم فلانا اذ غضب عليه وقال ابن جرير الطبري المعنى
ولا يكلمهم بما يحبونه ولا بما يكرهونه كقوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وانما كان عدم تكليمهم
في معرض التهديد لان يوم القيمة هو اليوم الذي يكلم الله فيه كل الخلائق بلا واسطة فيظهر عند
كلامه السرور في اوليائه وصدقه في أعدائه ولا ينبغي لهم لا ينشئ عليهم خيرا قاله الزجاج وقيل معناه لا
يصلح ان يكلمهم الخبيثة فيطهرهم ولا ينزلهم منازل الاذكية وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب وكلمهم
عذاب اليم اي وجيع يصل اليه الى قلوبهم وهو النار اولئك اي الموصوفون بالصفات الستة
من قولهم ان الذين يكتمون الى هنا وهذا بيان محالهم في الدنيا بعد ان بين حالهم في الآخرة الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة اي اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على
المغفرة لانهم كانوا عاقلين بالحق ولكن كثرة واخلوه وكان في اظهار الهدى والمغفرة وفي كتمان
الضلالة والعذاب فما أصبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل قد تقدم تحقيق معناه
وذهب الجوهري ومنهم الحسن والمجاهد الى ان معناه التعجب المراد تعجب المخلوقين من حال هؤلاء
الذين باشروا الاسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للاسباب صبروا على العقوبة
في نار جهنم وحكى الزجاج ان المعنى ما أبقاهم على النار من قولهم ما أصبر فلان على الحبس اي البقاء
فيه وقيل المعنى ما أقل جزعهم من النار فجعل قلة الجزع صبرا وقال الكسائي وقطرب لي ما أدوم
على عمل اهل النار وقيل ما استغفامية ومعناه التوبيخ اي اي شيء صبرهم على عمل اهل النار وهذا من

بها كلام وبه قال بن عباس والسدي وعطاء وابوعبيد ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق
 اي ذلك الامر وهو العذاب قاله الزجاج وقال لا خفتل ان خبر اسم لا شارة محذوف والتقدير لا
 معلوم والمراد بالكتاب هذا القرآن والتوبة والحق الصدق وقيل حجة وان الذين اختلفوا
 في الكتاب يعني في معانيه وتاويله فخرقة وبدلوه وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض والمراد
 بالكتاب قيل التوبة فادعى النصارى ان فيها صفة عيسى وانكرهم اليهود وقيل خالفوا ما في
 التوبة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيها وقيل المراد القرآن ولما اختلفوا هم كفار قرش يقول بعضهم
 هو محمد وكهانة وبعضهم يقول اساطير لا دين وبعضهم يقول غير ذلك وقيل اختلفوا هم اليهود
 والنصارى لغوي شقاق اي خلاف منازعة يعيد عن الحق وقد تقدم معنى الشقاق لكيس
 الذين ان توكوا وجوهكم قيل المشرق والمغرب قيل ان هذه الآية نزلت للرد على اليهود والنصارى
 لما اكثروا الكلام في شأن القبلة عند تحويل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وقيل ان سبب نزولها
 انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقل هذه الآية حتى فرغ منها ثم سألها ايضا فتلاها ثم
 سألها فتلاها قال واذا عملت بحسنة احبها قلبك واذا عملت بسيئة ابغضها قلبك اخرج ابن
 ابي حاتم وصححه عن ابي ذر قيل اشار سبحانه بذكر المشرق الى قبلة النصارى لانهم يستقبلون مطلع
 الشمس اشكر بذكر المغرب الى قبلة اليهود لانهم يستقبلون بيت المقدس وهو في جهة الغرب
 منهم اذا ذكروا عن كل طائفة منهم ان البر في ذلك فاجاب الله تعالى ان البر ليس فيما نعملوا ولكن فيما
 بينه في هذه الآية وقيل مخاطبهم المسلمون وقيل هو عام لهم ولاهل الكتابين اي ليس البر مقصودا
 على امر القبلة والبر اسم جامع لكل طاعة وعمل الخير فيجوز ان يكون بمعنى البار ويطلق المصدر على اسم
 الفاعل كثيرا ومنه في التنزيل ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا وهذا اختيار ابي عبيدة والمشرق
 جهة شروق الشمس والمغرب جهة غروبها وهذا مشكل بما تقدم من ان قبلة اليهود انما هي
 بيت المقدس وهو بالنسبة الى المدينة شمال لا مغرب لان من استقبل بيت المقدس يكون
 فيها ظهرا مقابلا لميزاب الكعبة ووجهه مقابلا لبيت المقدس الذي هو من جهة الشام و
 لكن بالنسبة لمكة فلم يظهر المراد من هذه الآية وقد تنبه ابو السعود لهذا واجاب عنه بما لا يخفى
 شيئا فليتأمل فاني لم امر من حقق المقام والله اعلم ولكن الذين آمنوا بالله والمراد بالبر هنا

الايمان والتقوى واليهم الآخر ذكر ذلك لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت
 والملائكة اي الايمان بهم كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا والكتايب قيل ان رادب القران
 وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله والنبيين يعني اجمع وانما خص الايمان بهذا
 الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها واتي
 المال على حية ضمير حبه راجع الى المال وقيل الى ايتاء المدلول عليه بقوله واتي المال وقيل انه
 راجع الى الله سبحانه اي على حب الله والمعنى على الاول انه اعطى المال وهو يجبه ويشير منه قوله تعالى
 لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعلى الثاني انه يحب ايتاء المال وتطيب به نفسه وعلى الثالث انه
 اعطى من تضمنته الآية في حب الله عز وجل لا لغرض اخر وهو مثل قوله ويطعمون الطعام على حبه
 عن ابن مسعود قال يعطي وهو صحيح شيخ يأمل العيش ويخاف الفقر واخرج الحاكم عن فروعا مثله
 ذوى القربى يعني اهل قرابة المعطي وقدم ذوى القربى لكون دفع المال اليهم صدقة وصلة اذا كانوا
 وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصل
 اخرجها ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة والحاكم والبيهقي في سننه
 من حديث سلمان بن عامر الضبي في الصحيحين وغيرهما من حديث زيد بن امرأة ابن مسعود انها
 سألت يا رسول الله هل تجزي عنها من الصدقة النفقة على زوجها وايتام في حجرها فقال
 لا اجران اجر الصدقة واجر القرابة واخرج الطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه من حديث
 ام كلثوم بنت عقبة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افضل الصدقة على ذى الرحم النكاح
 وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الصدقة اعظم قال ان تصدق
 وانت صحيح تحشى الفقر وقامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان
 كذا وقد كان لفلان اخرجها الشيخان واليتامى اي هكذا اليتامى المحايج الفقراء او يبايعة
 من الفقراء الذين ليسوا بيتامى لعدم قدرتهم على الكسب اليتيم هو الذي لا اب له مع الصغر
 والمساكين جمع مسكين والمسكين الساكن الى ما في ايدي الناس لكونه لا يجد شيئا واتب
 السبيل المسافر المنقطع وجعل بنا السبيل للازمنة له وهو اسم جنس واحد اريد به الجمع
 والسائلان يعني الطالبين للاحسان المستطعمين ولو كانوا اغنياء عن علي بن ابي طالب ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس اخرجه احمد وابوداؤد وعن زيد بن اسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولم جاء على فرس اخرجه مالك في الموطأ وعن ام حنيد
قالت قلت يا رسول الله المسكين ليقيم على يابي فلم اجد شيئاً اعطيه اياه قال ان لم تجد في
الاطلغا محرقاً فادفعه اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح
رواية مالك في الموطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق وفي
الريقاب يعني المكاتبين وقيل هو فاك المسنة وعق الرقبة وفداء الاساري اي دفعه في فكها اي
لاجله وبسببه واقام الصلوة واتى الزكوة المفروضة فيه دليل على ان الايتام المتقدم هو
صدقته التطوع لا صدقة الفريضة والمؤمنون يعهدونهم اذا عاهدوا الله والانس قيل المراد
بالعهد القيام بحقوق الله والعمل بطاعته وقيل النذر ونحوه وقيل الوفاء بالمواعيد والبر في
الحلف واداء الامانات والصائرين في لباساء الشدة والفقر والضرراء المرض والزمانة و
البكساء والضرراء اسنان بنياء على فعلاء ولا فعل لهما لانها اسنان وليس انعت ونص الصائرين
على المدح وقيل على الاختصاص ولم يعطف على ما قبله لمزيد شرف الصبر وفضيلته قال النبي ^{عليه}
اذا ذكرت صفات المدح او الذم وخولف الاعراب في بعضها فذلك تقفن ويسمى قطعاً لان
المالوف يدل على زيادة ترغيب في استماع الذكر ومزيد اهتمام بشأنه قال الراغب لما كان الصبر
من وجه مبدء القضاء كل ومن وجه جامعا للفضائل اذ لا فضيلة الا للصبر فيها اثر بليغ غير
اعرابه تنبيه على هذا المقصد وهذا كلام حسن فالاية جامعة لجميع الكمالات الانسانية
وهي صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وحين البأس اي وقت الحرب شدة
القتال في سبيل الله يسمي الحربي كما فيه من الشدة اولئك الذين صدقوا اولئك هم
المتقون وصفهم بالصدق والتقوى في امورهم والوفاء بها وانهم كانوا اجددين وقيل المراد صدقهم
القتال والاول اولى قال ربيع صدقوا اي تكلموا بكلام الايمان فكانت حقيقة العمل قال وكان
الحسن يقول هذا كلام الايمان وحقيقة العمل فان لم يكن مع القول عمل فلا شيء قال الواحدي
ان الواو في هذه الاوصاف تدل على ان من شرائط البر استكمالها وجمعها فمن قام بواحدة
منها لا يستحق الوصف بالبر وقيل هذه خاصة الانبياء لان غيرهم لا يجتمع فيه تلك الصفات

وقيل هي عامة في جميع المؤمنين وهو لا ولي اذ لا دليل على التخصيص تكريرا لاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتل كتب معناه قرض وانبت وهذا اخبار من الله سبحانه لعباده بانه شرع لهم ذلك وقيل ان كتب هنا اشارة الى ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ والخطا باللقا تاييد وولاية الامور والقصاص اصله قص لا تزاى اتباعه ومنه القاص لانه يتبع الاثار وقص الشعر اتباع اثره فكان القاتل يسلك طريقا من القتل يقص اثره فيها ومنه قوله تعالى فارتد على اثارهما قصصا وقيل ان القصاص ما خرج من القص وهو القطع يقال قصصت ما بينهما اي قطعته قيل نزلت في حين من احياء العرب يقتلوا في الجاهلية بسبب قتل فكنيت بينهم قتلة وحروب جراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والمشرق وقيل نزلت لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من وجوب القتل بلا عفو وجوب العفو بلا قتل والقتل تارة واخذ الدية تارة والقصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي والقصاص للسكاة والما في القتل والدية والجراح فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة ورواية عن احمد والكلام في فروع هذه المسئلة يطول وفي في قتله للسبب بقوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة اي بسببها او فعلى بطر جمع الفعيل بمعنى مفعول الحرس والحرس والعبد والعبد والا نفي بالانفي وقد استدل بهذه الآية القائلون بان الحول يقتل بالعبد وهم الجهوي وذهب ابو حنيفة واصحابه والثوري وابن ابي ليلى وداود الى انه يقتل به اذا كان غير سيده واما سيده فلا يقتل به اجماع الامام اروي عن الشعبي فليس مذهبي حنيفة ومن معه على الاطلاق ذكره الشوكاني في شرح المنقذ قال القرطبي روي ذلك عن علي وابن مسعود وبه قال سعيد بن المسيب ابراهيم النخعي ومقاتلة والحكم بن عتبة واستدلوا بقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس واجاب الاولون عن هذا الاستدلال بان قوله الحول بالعبد بالعبد مفسر بقوله تعالى النفس بالنفس قالوا ايضا ان قوله وكتبنا عليهم فيها يعيد ان ذلك حكايه عما شرع الله لبني اسرائيل في التوبة ومن جملة ما استدلال به الآخرون قوله صلى الله عليه وسلم

تتكا في دماءهم ويحارب عنه بأنه مجمل والآية مبينة ولكن يقال إن قوله تعالى بالحرب بالحرب والعبد
 بالعبد إنما أفاد بمنطوقه أن الحرب يقتل بالحرب والعبد يقتل بالعبد وليس فيه ما يدل على أن الحرب
 لا يقتل بالعبد إلا باعتبار المفهوم فمن أخذ بمثل هذا المفهوم لم يزمه القول به هنا ومن لم
 يأخذ بمثل هذا المفهوم لم يزمه القول به هنا والبحث في هذا محرز في علم الأصول وقد استدل
 بهذه الآية القائلون بأن المسلم يقتل بالكافر وهم الكوفيون والثوري لأن الحرب تقتل الكافر
 كما يقتل المسلم وكذا العبد لا يقتل بقتل الكافر كما يقتل ولا أن المسلم واستدلوا أيضا بقوله
 تعالى إن النفس بالنفس لأن النفس تصدق على النفس الكافرة كما تصدق على النفس المسلمة وهذا
 الجمهور إلى أنه لا يقتل المسلم بالكافر واستدلوا بما ورد من السنة عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا يقتل
 مسلم بكافر وهو مبين لما مر في الآيتين وهذه الآية مع الأحاديث الواردة في ذلك حجة على
 أصحاب الرأي والبحث في هذا يطول واستدل بهذه الآية القائلون بأن الذكرا لا يقتل بالأنثى
 وقرب والدلالة على ذلك بمثل ما سبق إلا إذا سلم أولياء المرأة الزيادة على دينها من غير الجمل
 وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والثوري وأبو ثور ذهب الجمهور إلى أنه يقتل الرجل
 بالمرأة ولا زيادة وهو الحق وقد بسط الشوكاني في البحث في نيل الأوطار فلا يرجع إليه من عني
 له من أخيه شيء فاستباح بالمعروف وأداء اليك بأحسن من هنا عبارة عن القتال و
 الجاني إذا عفي له المقتول أو الولي والشيء عبارة عن الدم والمعنى أن القتال الجاني إذا عفي له
 من جهة المجني عليه والولي دم أصابه منه على أن يأخذ منه شيئا من الدية أو الأرش فليست
 المجني عليه أو الولي من عليه الدم فيما يأخذ منه من ذلك ابتداء بالمعروف وليؤد الجاني ما كره
 من الدية أو الأرش إلى المجني عليه أو إلى الولي أداء بأحسن وقيل إن من عبارة عن الولي والآخر
 مراد به القتال والشيء الدية والمعنى أن الولي إذا جح إلى العفو عن القصاص إلى مقابل الدية فالت
 القتال مخير بين أن يعطيها أو يسلم نفسه للقصاص كما مر عن مالك أنه يثبت خيار القتال
 في ذلك وذهب من عداه إلى أنه لا يخير بل إذا رضوا بالدية فلا خيار للقاتل بل يلزمه
 تسليمها وقيل معنى عفي بذل أي من بذل له شيء من الدية فليقبل وليستع بالمعروف وقيل إن
 المراد بذلك أن من فضل له من الطائفتين على الأخرى شيء من الديات فيكون عفي بمعنى

فضل وعلى جميع التقادير تكثير شيء للتقليل فيتناول العفو من الشيء اليسير من الدية والعفو
 الصادق عن فرد من افراد الورثة وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن
 لان الله تعالى خطبه بعد القتل لا يمان سماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وقتل الحد والحد
 من الكبار لا لاجماع فدل على صاحب الكبيرة مؤمن وانه تعالى ثبت الاخوة بين القاتل وولي
 الدم واراد بها اخوة الايمان فلو لا ان الايمان باق على القاتل لم ثبت له الاخوة وايضا تدب الى
 العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر ذلك تخفيف من تكبير وجه الشارة
 الى العفو والدين ان الله شرع هذه الامامة العفو من غير عو ضر او عوص ولم يضيق عليهم كما ضيق
 على اليهود فانه اوجب عليهم القصاص ولا عفو وكما ضيق على النصارى فانه اوجب عليهم العفو
 ولا دية وفيه تضيق على كل من الوارث والقاتل فهذا تخفيف مما كتب على من كان قبلهم فمن اعتدى بعد
 ذلك فله حد ابليس بعد التخفيف بخوان ياخذ الدية ثم يقتل القاتل او يعفو ثم يستقص قد اختلف
 اهل العلم فمن قتل القاتل بعد اخذ الدية فقال جماعة منهم مالك والشافعي انه كمن قتل ابدا ما شاء الله
 قتله وان شاكى عنه وقال قتادة وعكرمة والسكيت وغيرهم حد ابليس يقتل البتة ولا يمكن الحكم الولي
 من العفو قال الحسن عذابه ان يرد الدية فقط ويبقى ثمة الى عذاب الآخرة وقال عمر بن عبد العزيز امر
 الى الامام يصنع فيه ما رأى لم يخرج عبد الرزاق وابن ابي شيبة واحمد وابن ابي حاتم والبيهقي عن ابي
 شريح الخزاز ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصاب بقتل او خبل فانه يختار احد ثلث اما ان يقتص اما ان
 يعفو واما ان ياخذ الدية فان اراد الرابعة فخذ واعل يد ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم كذا
 فيها ابدا عن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اعافي رجلا قتل بعد اخذ الدية اخوجه ابن
 جرير وابن المنذر واخرج سمويه في غائده عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله والعذاب
 الا لم يقل هو عذاب الآخرة وقيل هو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفو عنه والاول اظهر
 وادنى ويدل له الحديث المتقدم وكثر في القصاص حجة خطاب لمريد القتل ظلم وقال ابو السعود
 بيان الحاسن الحكم المذكور على وجهه بدعي كالتال غايته حيث جعل الشيء وهو القصاص محلا للصد
 وهو الحياة ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحياة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لانهم
 كانوا يقتلون الجماعة بالواحد فتشتر القننة بينهم ففي شرع القصاص سلامة من هذا كله والمعنى وكثر في هذا

الحكم الذي شرعه بقاءه حياة لأن الرجل إذا علم أن يقتل قصاصاً إذا قتل الخريف عن القتل لا يجرى
 التسرع عليه والوقوع فيه فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفس الإنسانية وهذا نوع من البلاغة يبلغ
 بعض من الغضا حرفة فانه جعل القصاص الذي هو موت حياة باعتبار ما يؤل إليه من ارتداع
 الناس عن قتل بعضهم بعضاً البقاء على أنفسهم واستدامة حياتهم قيل إن الحياة سلامة من ^{القصص}
 والآخرة فانه إذا اقتصر في الدنيا يقتصر عنه في الآخرة والآول أولى قال الخائف هذا الحكم غير ^ص ^ص
 الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجروح والشجاج وغير ذلك وقرأ أبو الجوزاء ولكن في القصص حياة أي
 فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في كتاب الله حياة أي نجاة وقيل أراد حياة القلوب قيل
 هو مصداق معنى القصاص الكل ضعيف والقراءة منهكرة ياء أولى لأبي إسحاق ذي القيل
 الكاملة جعل هذا الخطاب موجهاً إلى أولى الأبواب وناداهم للتأمل في حكمة القصاص استيقا
 الأرواح وحفظ النفوس لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب فيؤمنون ما فيه الضرر لأجل وأما
 من كان مصاباً بالحقوق والطيش والخفة فانه لا ينظر عند سورة غضبه وخطيان مراحل طيشه إلى
 عاقبة ولا يفكر في أمر مستقبل والآبائ جمع لب وهو العقل الخالي من التوسمي بذلك لا حد و
 أسكنانه من لباً لمكان أقام به وأما من الباب هو الخالص فوصل سبحانه هذا الحكم الذي شرعه
 لعباده بقوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أي تعملون عمل أهل التقوى ويتقون القتل بل يألفه على القصاص
 والحكم وَأَذِخْ أن له فيكون ذلك سبب التقوى كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ حَدَّثَكُمْ الموت قد
 تقدم معني كُتِبَ تقريباً وحضرو الموت حضور أسبابه وأما رآته وظهور علاماته من العلل والأمر
 الحرفة وليس المراد منه مما ينة الموت لانه في ذلك الوقت يعجز عن الإيصاء وإنما له
 يؤثت الفعل المسند إلى الوصية وهو كتب لوجه الف أصل بينهما وقيل لأنواعه
 الإيصاء وقد روي جواز اسناد ما لا تأنيث فيه إلى الموت مع عدم الفصل وقد
 سيون مقام امرأة وهو خلافاً لما طبق عليه أئمة العربية إن ترك خيراً أشرط سبحانه ما كتبه
 من الوصية بأن يترك الموصي خيراً أي ما لا قال الزهري هو يطلق على القليل والكثير فجب
 الوصية في الكل وقيل لا يطلق لأجل المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلف أهل العلم في مقدار
 الخبر فقليل ما زاد على سبعة أدينار وقيل ألف دينار وقيل ما زاد على خمس مائة

دينار و قيل ستون حسنة ارفما فوقها و قيل من خمسمائة الى الف قيل انه المال الكثير الفا و قيل
عن العيال و اخير هذا المال و يقع في القرآن على وجهه و نبه بتسميته خيرا على ان الوصية تستحب
في مال طيب بالوصية اي الايصاء و الوصية في الاصل عبارة عن الامر بالكشي و العهد به في
الحياة و بعد الموت و هي هنا عبارة عن الامر بالكشي بعد الموت و قد اتفق اهل العلم على وجوب
الوصية على من عليه دين او عتده و دعيه او نحوها و اما من لم يكن كذلك فذ هب كثر هم الى
انها غير واجبة عليه سواء كان فقيرا او غنيا و قالت طائفة انها واجبة للوالدين و لا قريبن
لم يبين الله سبحانه ههنا القدر الذي كتب له الوصية به للوالدين و لا قريبن فقيل الخمس و
قيل الربع و قيل الثلث و قد اختلف اهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة قد
جماعة الى انها محكمة و قالوا هي وان كانت عامه فمعناها الخصوص والمراد بها من الوالدين
من لا يرث كالا يورث الكافرين ومن هو الرق ومن الاقربين من عدى الورثة منهم قال
ابن المنذر لاجمع كل من يحفظ عنه من اهل العلم على ان الوصية للوالدين الذين لا يرثان و
الاقرباء الذين لا يرثون جائزة و قال كثير من اهل العلم انها منسوخة بآية الموارث مع قوله
صلوات الله عليه و هو حديث صحيح بعض اهل الحديث و روي من غير وجه و للشيخ سعد
التفتازاني فيه مناقشة و قال بعض اهل العلم انه نسخ الوجوب بقوله و يورثه ^{الشعير} روي خالف عن
و النفي و مالك بالعرف و اي بالعدل لا و كس فيه و لا شطط و قد اذن الله لميت بالثلث دون
ما زاد عليه فلا يزيد على الثلث و لا يوصى للفقير و يدع الفقير عن علي لان اوصى بالثمنل حبالي من
ان اوصى بالربع و لان اوصى بالربع احبالي من ان اوصى بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك
و قيل يوصى بالسدس او بالثمنل و بالربع حقا مصادم و كذا مضمون الجملة قبله معناه لا يترك
و الوجوب و قيل ثبت بذلك شئت فرضي و وجوب على المتقين اي على الذين يتقون الشرك فمن
بدله بعد ما سمعه فاعلم انه على الذين يبذلون ^{رواه} هذا الضمير عائد الى الايصاء المفهوم
من الوصية و كذلك الضمير في قوله سمعه و التبديل التغير و الضمير في آية راجع الى التبديل
المفهوم من قوله بدله و هذا و عيدين غير الوصية المطابقة للحق التي لا حيف فيها و لا مضادة
وانه يبع بالاثم و ليس على الموصى من ذلك شيء فقد تخلص مما كان عليه بالوصية به قال القطبي

ولا خلاف انه اذا وصي لا يجوز مثل ان يوصى بخمرا وخنزيرا وشي من المعاصي انه يجوز تبديله
ولا يجوز امضاءه كما لا يجوز امضاء ما زاد على الثلث قاله ابو عمر وانتمى التغيير يكون اما في
الكتابة او في قسمه الحقوق والشهود بان يكتبوا الشهادة او يغيروها او المعنى فمن بدل قول الميت او
وصي وقيل الضمير في بدله يعود على الوصية لانها بمعنى لا يصاء وقيل على نفس لا يصاء وقيل
على الامر والقرض الذي امر به الله وفرضه وعلى المكتب والحق والمعروف فهذه ستة اقوال
اولها ما ذكرنا ولكن هنا وقفة من حيث ان الكلام السابق انما هو في الوصية المنسوخة التي
هي الوالدين والاقرين وقوله فمن بدله الى اخر الكلام الاثنية انما هو في الوصية التي استقر عليها
الشرع ويعمل بها الى الان وعلى هذا فكيف يعود الضمير من المحكمة على المنسوخة قال سليمان الجمل
فليتنامل فاني لم ادر من نبتة على هذا انتهى قلت انما يريد هذا على قول من قال ينسخ الوصية المذكورة
وقد تقدم ان جماعة من اهل العلم ذهبت الى انها محكمة فلا تأمل ولا تنبيه والله اعلم ان الله
سيمع لما اوصى به الموصي لقوله عليم يتبدل المبدل وفعل الوصي فجاء عليه الاول بالخيار الثاني
بالشر من خوف اي علم وهو مجاز والعلاقة بينهما ان الانسان لا يخاف شيئا حتى يعلم انه مما
يخاف منه فهو من باب التعبير عن السبب المسبب منه قوله تعالى الا ان يخافا فان لا يقيما حدود
الله اي يعلمان من مؤخر جفأ او ثما الجفأ المجاوزة من جنف بخنف اذ جاء وز قاله النخاس وقيل
الجنف الميل قاله في الصحاح الكشاف والاثم الظلم وقيل الجنف الخطاء في الوصية والاثم العمدة
فاصلح بينهم اي اصلح ما وقع بين الورثة من الشقاق ولا خطر اربسبب الوصية بابطال ما فيه
ضرر ومما قلنا شرعه الله واشتات ما هو حق كالوصية في قرابة لغير وارث الضمير في بينهم يلج
الى الورثة وان لم يتقدم لهم ذكر لانه قد عرف انهم المرادون من السياق وقيل اجعل الى الموصي
لهم وهم الابوان والقرابة فلا تترك عليا اي لا حرج عليه في الصلح وان كان فيه تبدل لانه خيرا
بخلاف الاول فانه ضير ان الله عفو رحيم لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن أبي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضها الموت
فيضاران في الوصية فيجب لهما النار احدث اخرجه ابو داود والترمذي ومعنى المضارة
في الوصية ان لا يعضد او ينقص بعضها او يوصي بغير اهلها او يجيف في الوصية ونحوها كما انما

الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ قَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى كُتِبَ وَخِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ أَنَّ
صَوْمَ رَمَضَانَ فَرِيضَةٌ اقْتَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذِهِ الْأَمَّةِ وَالصِّيَامُ أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْأَمْسَاكُ
وَتَرَكَ التَّنْقِيلَ مِنْ جَالٍ إِلَى جَالٍ وَيُقَالُ لِلصَّمْتِ صَوْمٌ لِأَنَّهُ أَمْسَاكٌ عَنِ الْكَلَامِ وَمِنْهُ إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا أَيَّ امْسَاكًا عَنِ الْكَلَامِ وَهُوَ فِي الشَّرْعِ الْأَمْسَاكُ عَنِ الْمَفْطُورَاتِ مَعَ اقْتِرَانِ النِّيَّةِ بِهِ مِنْ
طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَفِي الْآيَةِ تَوْكِيدُ الْحُكْمِ وَتَرْغِيبٌ فِي الْفِعْلِ وَتَطْيِيبٌ لِلنَّفْسِ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوَّلِينَ مِنْ آدَمَ إِلَى عِصْمِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الصُّومَ عِبَادَةٌ قَدِيمَةٌ
مَا أَخْلَقَ اللَّهُ أُمَّةً مِنْ اقْتِرَاضِهَا عَلَيْهِمْ لَمْ يَفْرُضْهَا عَلَيْهِمْ وَحُدُودُهَا خِلَافٌ لِلْمُفَسِّرِينَ فِي وَجْهِ التَّشْبِيهِ
هُوَ قَبِيلٌ هُوَ قَدْ رَأَى الصُّومَ وَوَقْتَهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى صَوْمَ رَمَضَانَ فَيُرَوْنَ
وَقِيلَ هُوَ الْمَجْبُوبُ أَنَّ اللَّهَ أَوْجِبَ عَلَى الْأَوَّلِ الصِّيَامَ وَقِيلَ هُوَ الصِّفَةُ أَيَّ تَرَكَ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ لِحُجَّتِهَا
فِي وَقْتِ فِعْلِ الْأَوَّلِ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى هَذِهِ الْأَمَّةِ صَوْمَ رَمَضَانَ كَمَا كَتَبَهُ عَلَى الَّذِينَ قَبْلَهُمْ
وَعَلَى لَتَانِي أَنَّ اللَّهَ أَوْجِبَ عَلَى هَذِهِ الْأَمَّةِ الصِّيَامَ كَمَا أَوْجِبَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَعَلَى الثَّالِثِ
أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَوْجِبَ عَلَى هَذِهِ الْأَمَّةِ الْأَمْسَاكَ عَنِ الْمَفْطُورَاتِ كَمَا أَوْجِبَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الْمُرَادُ بِالتَّقْوَى الْحَافِظَةَ عَلَيْهَا وَقِيلَ تَتَّقُونَ الْمَعَاصِيَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ
لَأَنَّهَا تَكْسِرُ الشَّهْوَةَ وَتَضَعِفُ دَوَاعِيَ الْمَعَاصِيَ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ جَنَّةٌ وَأَنَّهُ وَجَاءَ آيَاتُ مَا
مَعْدُودَاتٍ أَيَّ مَعِينَاتٍ بَعْدَ مَعْلُومٍ وَمَقْدَرَاتٍ وَتَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْجَمْعِ لَكُونُهُ جَمْعُ
الْقَلْبِ أَشَارَةً إِلَى تَقْلِيلِ الْأَيَّامِ أَيَّ قَلِيلَاتٍ يَعْنِي أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعِينَ وَقِيلَ أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ
صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَجْبَا وَصَوْمُ عَاشُورَاءَ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِفَرِيضَةِ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوَّلُ مَا نُسِخَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَمْرُ الْقِبْلَةِ ثُمَّ الصُّومُ وَقِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِأَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَعَلَى هَذَا
فَتَكُونُ الْآيَةُ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ نَحْوِ الطَّبْرَانِيِّ عَنْ دَعْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ عَنْ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ عَلَى النَّصَارَى صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَمَرَضَ مِنْهُمْ فَقَالُوا لَنْ شَفَاكَ اللَّهُ
لَنْزِيدَنَّ عَشْرًا ثُمَّ كَانَ آخِرُ مَا كُلُّكُمْ فَأَوْجَعَ فَوَيْهَ فَقَالَ لَنْ شَفَاكَ اللَّهُ لَنْزِيدَنَّ سَبْعَةً ثُمَّ كَانَ
عَلَيْهِمْ مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ مَا نَدَعُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ شَيْئًا تَتَّقُوا وَتَجْعَلُ صَوْمَنَا فِي الرَّبِيعِ
فَفَعَلَ فَصَارَتْ تَحْمُسُونَ يَوْمًا وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ عَاشُورَاءَ صِيَامًا فَلَمَّا

انزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء افطر من كان حين احضوره ووجه الشخص في
منكم قريضا ولو في اثناء اليوم بخلاف السفر فانه يجب له الفطر اذا طرأ في اثناء اليوم وهذا
التعبير يعلى في السفر دون المرض قبل المرض حالك ان كان لا يطبق الصوم كان لا فطر
عزيمة وان كان يطيقه مع تضرر ومشقة كان رخصة وبهذا قال الجمهور وعلى سقيا
مستعليا على السفر وممكن كمنه بان كان متلبسا به وقت طلوع النجم اختلف اهل العلم في السفر
للا فطر قبل مسافة فصار الصلوة والخلاف في قدرها معروف وبه قال الجمهور وقال غيرهم
بمقادير لا دليل عليها والحق ان ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذي يباح عنده الفطر وهكذا
ما صدق عليه مسمى المرض فهو الذي يباح عنده الفطر وقد وقع الاجماع على الفطر في سفر طارئا
واختلفوا في الاسفار المباحة والحق ان الرخصة ثابتة فيه وكذا اختلفوا في سفر المعصية
فقد ثبت من ايام اخرى فعلية عدة ما افطر من ايام اخرى يصومها بدله واخر جمع اخر ثابت
اخر بفتح الخاء وجمع اخرى بمعنى اخرة ثابت اخر بكسر الخاء وفيه الوصف والعدل واختلف
الحاجة في كيفية العدل فيه على اقوال والعدة فعلة من العدد وهو بمعنى المعد وداء فعلية
عدة او فلكم عدة او فالواجب عدة من غير ايام مرضه وسفره وليس في الآية ما يدل على وجوب
التتابع في القضاء وعلى الذين لا يطيقونه ككبراء ومرض لا يرجى برؤه وقد اختلف اهل العلم
في هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة فقيال انها منسوخة وانما كانت رخصة عند ابتداء مرض
الصيام لانه شق عليهم وكان من اطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم وهو يطيقه ثم تسخ ذلك وهو
قول الجمهور وروي عن بعض اهل العلم انها لم تسخ وانها رخصة للشيخ والجمهور خاصة اذا كانوا
لا يطيقون الصيام لا مشقة وهذا يناسب قراءة التشديد اي يكلفونه والناسخ لهذه الآية
عند الجمهور قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فدية طعام مسكين القديس الجراء
وهو القديس الذي يبذله الانسان يقيم نفسه بتقصير وقع منه في عبادة ونحوها وقد اختلفوا
في مقدار الفدية فقيال كل يوم صاع من غير البر ونصف صاع منه وقيل مد فقط اي غالب
قوت البلد وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاء وسحرة اي قدر ما ياكله في يومه وروي
ان انس بن مالك ضعف عن الصوم عاما قبل موته فصنع جفنة من ثريد ودعا ثلثين مسكينا

فاطعمهم عن ابن عباس بسند صحيح انه قال لام ولد له حامل ومريضة انت غزيرة الذين يطيقون
 الصوم عليك الطعام لا قضاء عليك فعن ابن عوف عن ابي بن ابي له اسأله عن صوم رمضان
 وهي حامل قال تفطر وتطعم كل يوم مسكينا وقد روي نحوه عن جماعة من التابعين فمن تطوع
 خيرا فهو خير له قال ابن شهاب عن عطاء بن رباح عن ابي بصير عن ابي جهم عن ابي جهم عن ابي جهم عن ابي جهم عن ابي جهم
 الاطعام على المد وقيل من اطعم مع المسكين مسكينا اخر وان تصوموا اية ان صياكم
 خير لكم ايها المطيقون من الاطعام مع الفدية وكان هذا قبل النسخ وقيل معناه وان تصوموا في
 السفر والمرض غير الشاق وقيل هو خطاب مع الكافل ان اللفظ عام فرجوه الى الكل او الى
 الاصح وقد ورد في فضل الصوم احاديث كثيرة جدا ان كنتم تعملون ان الصوم خير لكم
 قيل المعنى اذا صمتم حلتم في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى ولا رخصة لاحد من المكلفين
 افطار رمضان بغير عذر ولا عذر المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض الحيض والنفساها
 اذا افطر او فطر عليهم القضاء دون الكفارة والثاني الحامل والمرضع اذا فطرا فطرا ولا يجزا فطرنا وعليهما
 القضاء والكفارة وبه قال الشافعي وذهب اهل الرأي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير
 والعجز الكبير والمرضى الذي لا يرجى بروه فعليهم الكفارة دون القضاء شهرين في ذلك شهر او كتب
 عليكم الصيام شيئا فري بالنسبة صوموا شهر ولاهل اللغة فيه قولان اشهرهما انه اسم لمدة الزمان
 الذي يكون مبداء الهلال ظاهرا الى ان يستتر في ذلك شهرته في حاجة الناس اليه من
 المعاملات والثاني قال الزجاج انه اسم للهلال نفسه ورمضان علم لهذا الشهر المخصوص وهو علم
 جنس مركب تركيبا اضافيا وكذا باقي اسماء الشهور وهو ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة وهو ما اخذ
 من رمضان بضم الصاد ثم يرمض اذا حترق جوف من شدة العطش والرمضاء معد وداشدة الحرق منه ما اخذ
 الثابت في الصحيحين صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال اي احرق الرمضاء اجزاها قال ابو جهم في شهر رمضان
 يجمع على رمضان ورمضاء يقال انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالانصبة التي
 فيها فلهذا الشهر ايام احقر فهي بذلك وقيل انما سمي رمضان لان فيه رمض الذنوب اي يحرقها بالاعمال الصالحة
 قال الماوردي ان اسمه في الجاهلية نائق وانما سموه بذلك لان كان يتفقهم شدة عليهم قد حققنا ذلك في
 كتابنا لقطه العجالة مما تمس الى معرفته حاجة الانسان فليرجع اليه قد خرج ابو جهم وابو الشيخ وابو جهم

والبيهقي في سنته عن ابي هريرة مرفوعا وموقفا لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من احكام الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما كان احكاما باعترافها تقدم من ذنبه وثبت عنه انه قال من قام رمضان ايمانا واحسانا باخرا لصا تقدم من ذنبه وثبت عنه انه قال شهر اريد لا ينقصان رمضان مذ ذوالحجة وقال اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وهذا كله في الصحيح وثبت عنه في احاديث كثيرة غير هذه انه كان يقول رمضان يدل ذكر الشهر وقد ورد في فضل رمضان احاديث كثيرة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر قيل انزل فيه من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فوكان ينزل به جبريل بنحائه الى الارض وقيل انزل في شأنه القرآن وهذه الآية اعم من قوله تعالى اننا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة يعني ليلة القدر والقرآن اسم للحلام الله تعالى علم لما بين الدفتين وهو معنى المقر كما لمشروب يسمى شرابا والمكتوب يسمى كتابا وقيل هو مصدر قرأ فقرأ ومنه قوله تعالى قرآن الفجر في قراءة الفجر وعن الشافعي انه قال القرآن اسم وليس بمفهوم وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتيلا ولا تخيل فعلى هذا انه ليس مشتق وذهب اكثرهم الى انه مشتق من القر وهو اجمع فمقرانا لانه يجمع السور والايات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والايات الدالة على وحدانية الله تعالى وقيل في معنى الآية الذي تنزل بفرض صياحه القرآن كما تقول نزلت هذه الاية في الصلوة والزكاة ونحو ذلك روي هذا عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل واخرج احمد وابن جرير ومحمد بن نصر وابن ابى حاتم والطبري والبيهقي في الشعب عن ائمة بن ابي اسحق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انزلت محفيا ابراهيم في اهل ليلة من رمضان وانزل الزبور لثاني عشر فخلت من رمضان وانزل الله القرآن اربع وعشرين خلعت من رمضان واخرج ابو يعلى وابن مردويه عن جابر مثله لكنه قال انزل الزبور لثاني عشر وزاد وانزل التوراة لست خلون من رمضان وانزل الانجيل لثاني عشر فخلت من رمضان وعن ابن عباس قال انه انزل ليلة القدر في رمضان في ليلة مباركة جملة واحدة فترتل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور والايام وعنه قال نزل القرآن جملة اربع وعشرين من رمضان فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترتيلا وعنه انه قال ليلة القدر هي الليلة المباركة وهي في رمضان انزل القرآن جملة واحدة من

من الذكر الى البيت المعمور ثم نزل به جبريل بنحو ما في ثلث وعشرين سنة هُجِرَ للناس اي هاجروا
 لهم من الضلال باعجازه وبيّنات من الهدى من عطف الخاص على العام اظهر الشرف المعطوف بأفاده
 بالذكر ان القرآن يشمل محكمه ومتشابهة البيّنات تختص بالحكم منه قيل الهدى الاول الاحكام الاعتقادية
 والهدى الثاني في الفرعية فهما متغايران والفرقان هو ما فرق بين الحق والباطل اية فصل
 فمن شهد منكم الشهر هذا من انواع المجاز اللغوي وهو اطلاق اسم الكل على الجزء اطلق
 الشهر وهو اسم للكل واراد جزء منه وقد فسر علي وابن عمران من شهد اول الشهر فليصوم
 جميعه والمعنى ومن حضر ولو يكن في سفر بل كان مقيماً فليصم فيه قال جماعة من السلف
 والخلف ان من ادركه شهر رمضان مقيماً غير مسافر لزمه صيامه سافر بعد ذلك
 اقام واستدلو بهذه الآية وقال الجمهور انه اذا سافر افطر لان معنى الآية انه حضر الشهر
 من اوله الى آخره لا اذا حضر بعضه وسافر فانه لا يتعم عليه الا صوم ما حضره وهذا
 موافق وعليه دلت الأدلة الصحيحة من السنة وقد كان يخرج صلعم في رمضان فيفطر
 وقبله رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلعم هو الرويته وافطر الرويته اخرجه الشيخان
 ولا خلاف انه يصوم رمضان من أى هلال ومن اخبر به ثم قبل بخبره فيه خبر الواحد قال ابو ثور
 وقيل خبر الجمع قاله مالك ومن كان مريضاً أو على سفر فعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ قد تقدم تفسيره
 وانما كرهه لان الله تعالى ذكره في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخها
 بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلما قصر على هذا احتل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد
 بعد ذكر النسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه وقد اطل
 بعضهم في بيان مسائل المرض والسفر في تفسير هذه الآية والامر ظاهر يريد الله بكم
 اليسر ولا يريد بكم العسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض فيه ان هذا مقصد من مقاصد
 الرب سبحانه ومراد من مراداته في جميع امور الدين ومثله قوله تعالى وما جعل عليكم في
 الدين من حرج وقد ثبت عن رسول الله صلعم ليسوا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وهو في
 الصحيح واليسر السهل الذي لا عسر فيه عن ابن عباس قال اليسر الا فطار في السفر والعسر الصوم
 في السفر وليتخيلوا العِدَّةُ قال في الكشف حلة الامر بمواعاة العدة عن الربيع قال عِدَّةٌ

رمضان وقال الضحاك عدة ما افطر المريض في السفر وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال
 صوم المروية وافطر المروية فان غم عليكم فاكلوا العدة ثلثين يوماً وتكبروا لله عدة
 لما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر والمراد بالتكبير هنا هو قول القائل لله اكبر
 قال الجمهور ومعناه الحضر على التكبير في اخر رمضان وقد وقع الخلاف في وقته فذهب
 عن بعض السلف انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر وقيل اذا رآوا هلال شوال كبروا الى القضاء
 الخطبة وقيل الى خروج الامام وقيل هو التكبير يوم الفطر قال مالك هو من حين يخرج من حارة الى ان
 يخرج الامام وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يكبر في الاضحية ولا يكبر في الفطر عن ابن مسعود انه
 كان يكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر والله الحمد وعن ابن عباس انه
 كان يكبر الله اكبر كبير الله اكبر كبير الله اكبر واجل لله الحمد الله اكبر على ما هداانا
 وعنه قال حق على الصائمين اذا نظر الى شهر شوال ان يكبر والله حتى يفرغوا من عيدهم
 لان الله تعالى يقول وتكبروا لله على ما هدااكم اي ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم
 قيل على هذا على بابها من الاستعلاء كانه قيل وتكبروا لله حامدين على ما هداكم الى الحق
 الثاني انها بمعنى لام العلة والاول لان المجاز في الحرف ضعيف وما في ما هداكم مصدرية اي
 على هدايته اياكم او موصولة بمعنى الذي وفيه بعد وكلكم تشكرون الله على نعمه وقد
 تقدم تفسيره وهو حلة الترخيص التيسير قاله في الكشف هذا نوع من اللف لطيف المسلك لا
 يكاد يفتك الى تبينه الا النقاد من علماء البيان اذا سألك عبادي عني يحتمل ان يكون
 السؤال عن القرب البعد كما يدل عليه قوله فاي قريب يحتمل ان يكون السؤال عن اجابة
 الدعاء كما يدل على ذلك قوله اجيب عوة الداع ويحتمل ان السؤال عما هو اعم من ذلك وهذا هو الظاهر
 مع قطع النظر عن السبب الذي اخبر به ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه بطريق الصلت
 بن حكيم عن رجل من الانصار عن ابيه عن جده قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله
 اقريب ربنا فتناجيه ام بعيد فتناجيه فسكت النبي صلى الله عليه وآله فتزلت هذه الآية واخرج عبد الرزاق
 وابن جرير عن الحسن قال سأل اصحاب النبي صلى الله عليه وآله اين ربنا فانزل الله هذه الآية واخرج ابن مردويه
 عن انس انه سأل اعرابي عن النبي صلى الله عليه وآله اين ربنا فتزلت وعن ابن عباس قال قال يهود المدينة

يا محمد صلعم كيف سمع ربنا دعائنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمس مائة عام وان غلط كل
 سماء مثل ذلك فترت هذه الآية وقيل انهم سألوه في أي ساعة تدعون ربنا فترت والقربيل
 بالاجابة وقيل بالعلم وقيل بالانعام وقال في الكشاف انه تمثيل بحاله في سهولة اجابته لعل عاه
 وسرعة النجاة حاجة من سألهم من قريب مكانه فاذا دعوا على سرعت تلبية قيل والقربيل استعارة
 تبعية ثقيلية ولا فهو متعال عن القرب المحسوس تعاليه عن المكان ونظيره وغن اقرب المي من جبل
 الوريد قاله الكرخي والحق ان القرب من الصفات فهو من به وغره على ما جاء ولا ناول لا نسطل
 وعن ابي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خيبرا وقال توجه الى
 خيبر اشراف الناس على واد فرغوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله
 صلعم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اسم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا
 قريبا وهو معكم اخرجه البخاري ومسلم ومعنى اربعوا ارفعوا ايها وقيل مسكوا عن الجهر فانه
 قريب يسمع دعاءكم احيي دعوة الداع اذا دعان معنى الاجابة هو معنى ما في قوله تعالى ادعوني
 استجب لكم وقيل معناه اقبل عبادة من عبدني بالداء لما ثبت عند صلعم من ان الداء هو العباد في
 كما اخرجه ابو داود وغيره من حديث النعمان بن بشير والظاهر ان الاجابة هنا هي اقية على معناها
 اللغوي وكون الداء من العبادة لا يستلزم ان الاجابة هي القبول للدعاء اي جعل عبادة
 مقبلة فالاجابة امر اخر غير قبول هذه العبادة والمراد ان الله سبحانه يحيي ما شاء وكيف شاء
 فقد يحصل المطلوب تشريفا وقد يحصل بعيدا وقد يدفع عن الداعي من البلاء ما لا يعلم بسبب دعائه
 وهذا مقيد بعدم اعتداء الداعي في دعائه كما في قوله سبحانه ادعوا ربكم تضرعا وخفية
 انه لا يحب المعتدين ومن الاعتداء ان يطلب ما لا يستحقه ولا يصلح له كمن يطلب منزلة
 في الجنة مساوية لمنزلة الانبياء او فوقها وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي سعيد ان النبي صلعم
 قال ما من مسلم يدعوا الله بدعوة ليس فيها ثم ولا طبيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلث
 خصال ما ان يجعل له دعوته واما ان يدخره في الآخرة واما ان يصرف عنه من السوء مثلها و
 ثبت في الصحيح ايضا من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال يستجاب لاحدكم ما لم يجعل يده
 فلم يستجب لي فليستجيبوا لي كما اجبتهم اخادعوني فليستجيبوا لي فيما دعوتهم اليه من الايمان

والطاعات وقيل معناه انهم يطلبون اجابة الله سبحانه لدعائهم باستجاباتهم له اي القيام
بما امرهم به والترك لما نهاهم عنه وقال مجاهد اي فليطيعوني ولا اجابة في اللغة الطاعة
من العبد والاقابة والعطاء من الله وَلْيُؤْمِنُوا بِاللَّامِ فِيهِ لَدُمُكُمْ كَمَا فِيْمَا قَبْلَهَا وَيَلِدُ وَمَوْلَا
الايان لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ اي يهتدون قاله ربيع بن انس والرشد خلاف الغي قال الهروي
الرشد والرشد والرشد الهدى والاستقامة ومنه هذه الآية وقد ورد في فضل الدعاء
واذا به احاديث كثيرة ذكرها اهل التفسير وهي في الصحاح والسنن لا نطول بذكرها اهل
لَكُمْ لَيْكَةِ الصَّيَامِ الرَّفْعُ إِلَى نِسَائِكُمْ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى ان هذا الذي احله الله كان حراما عليهم
وهكذا كان كما يقيد السبب لنزول الآية فقد اخرج البخاري وابوداود والنسائي وغيرهم
عن البراء بن عازب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان الرجل صائما
فحضره افطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري
كان صائما فكانه يومه خلك يعمل في ارضه فلما حضر الافطار اتي امرأته فقال هل عندكم
طعام قالت لا ولكن اطلق فاطلب خلك فغلبته عينه فنام وجاءت امرأته فلما رأت نائما
تألت خيبة لما علمت فلما انتصف النهار غشوا عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فزلت هذه الآية الى
قوله من الجوف ففرحوا بها فرحاشديد والرفث كناية عن الجماع قال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل
ما يريد الرجل من امرأته وكذا قال الازهري وقيل الرفث اصله قول الفحش رفث وارفث اذا جمع
بالقيح وليس هو المراد هنا وعكس الرفث بالي لتضمينه معنى الافضاء هُنَّ لِيَاْسُ لَكُمْ وَاَنْتُمْ لِيَاْسُ
لَهُنَّ تعليل لما قبله وجعل النساء لياسا للرجال والرجال لياسا للهن لامتزاج كل واحد منهما
بالاخر عند الجماع كلامتزاج الذي يكون بين الثوب والبسة قال ابو عبيدة وغيره يقال للمرأة
لباس وفراش واذا روي انما جعل كل واحد منهما لياسا للآخر لانه يستتر عند الجماع عن
اعين الناس وعن ابن عباس هن سكن لكم وانتم سكن لهن قيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون
احدى الزوجين الى الاخر وقال الدخول والتغشي الافضاء والمباشرة والرفث والمسه المس هذا
الجماع غير ان الله حي كريم يكتفي بما شاء عما شاء وقد روي في سبب نزول هذه الآية احاديث عن
جماعة من الصحابة نحو ما قاله البراء علم الله انكم كنتم تحتون انفسكم اي تخونونها باللباس

في لياي الصوم يقال خائن واخائن بمعنى وهما من الخيانة تارة القتيبي اصل الخيانة ان يؤقن
 الرجل على شيء فلا يمدى الامانة فيه انتهى وانما سماهم خائنين لانهم لا تقسم لان ضرر ذلك عائد
 عليهم فتأب عليهم كما يحتمل معنيين احدهما قبول التوبة من خيانتهم لا تقسمهم والاخر التخفيف
 عنهم بالرخصة والا باحة كقوله علم ان تخصصه فتأب عليكم يعني خفف عنهم وكقوله فمن لم
 يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله يعني تخفيفا وهكذا قوله وعفا عنكم يحتمل العفو
 من الذنب ويحتمل التوسعة والتسهيل قالان قال ابو البقا لان حقيقة الوقت الذي انت فيه
 وقد يقع على الماضي القريب منك وعلى المستقبل القريب تنزيلا للقريب منزلة الحاضر وهو
 المراد هنا وقد تقدم الكلام على الان باشر وهن اي جامعوهن فهو حلال لكم في لياي الصوم
 وسميت الجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه قيل هذا الامر والثلاثة بعد الاثنا
 وابتغوا ما كتب الله لكم تأكيد لما قبله واتاسيس والثاني اول اي ابتغوا بما شرع نساءكم
 حصول ما هو معظم المقصود من النكاح وهو حصول النسل والولد وقيل المراد ابتغوا القرآن
 بما اتيكم لكم فيه قاله الزجاج وغيره وقيل ابتغوا الرخصة والتوسعة وقيل ابتغوا ما كتب لكم من امار
 والزواج وقيل ابتغوا ليلة القدر وقيل غير ذلك مما لا يفيد النظم القوافي ولا دل عليه
 دليل اخر وقر الحسن البصري واتبعوا بالعين المهمة من الاتباع وظنوا واشربوا حتى يتبين
 لكم الخط الابيض من الخط الاسود من الفجر هو تشبيه للنع والمراد هنا بالخط الابيض هو
 المعترض في الافق الذي هو كذنب السرحان فانه الفجر الكذاب الذي لا يحل شيئا ولا يحرمه
 والمراد بالخط الاسود سواد الليل والتميين ان يمتاز احدهما عن الآخر وذلك لا يكون الا
 عند دخول وقت الفجر اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد قال كان رجال اذا
 ارادوا الصوم ربط احداهم في رجله الخط الابيض والخط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب
 حتى يتبين له رويتهما فانزل الله من الفجر فعملوا انه يعني الليل من النهار وفي الصحيحين وغيرهما
 عن عدي بن حاتم انه جعل تحت وسادة خيطين ابيض واسود جعل ينظر اليهما فلا يتبين لهما
 الا بياض من الاسود فعدي على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاخبره فقال ان وسادة
 العريض انما ذاك بياض النهار من سواد الليل وفي رواية في البخاري وغيره انه قال له انك لعريض

القفا وفي رواية عند ابن جرير وابن أبي حاتم أنه ضحك منه قيل من الأهل لا ابتداء الغاية والثانية
 للبيان قاله السيوطي قال الزمخشري وغيره الثانية للتبعض أي حال كون الخيط الأبيض بعضاً من الخي
 ثم أنشأ الصيام على الليل أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام وقال الشافعية إنما ورد
 هذا في بيان أحكام صوم الفرض ويدل على إباحة الفطر من النفل حديث عائشة في مسلم وفيه
 إهدى لنا ليس قال إنني فلقد أصبحت صائماً فأكل وقيل للوجوب فيها وفي الآية التصريح بأن
 للصوم غاية هي الليل فعند قبالة الليل من المشرق وأدبار النهار من المغرب يفطر الصائمون
 محل للأكل والشرب غيرهما ولا تباً شر وهن قيل المراد بالمباشرة هنا الجماع وقيل شمل القليل
 والمسل إذا كانا بشهوة لا إذا كانا بغير شهوة فهما جائزان كما قاله عطاء والشافعي ابن المنذر
 وغيرهم على هذا يحمل ما حكاه ابن عبد البر من إجماع على أن المعتكف لا يباشرو ولا يقبل فتكوا
 هذه الحكاية للإجماع مقيدة بأن يكون بشهوة وأنتم عاكفون في المساجد الاعتكاف
 في اللغة الملازمة يقال عكف على شيء إذا ألزمه ولما كان المعتكف يلزم المسجد قيل له عكف
 في المسجد ومعتكف فيه لأنه يحبس نفسه لهذه العبادة في المسجد والاعتكاف في الشرع
 ملازمة طاعة مخصوصة على شرط مخصوص وقد وقع الإجماع على أنه ليس بواجب على أنه
 لا يكون إلا في المسجد بين سبحانه في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى
 يخرج من اعتكافه والاعتكاف أحكام مستوفاة في كتب الفقه وشروح الحديث تلك الحدود
 الله ولا تفرجوها أي هذه الأحكام محل وداه واصل الحد المنع ومنه سمي الموابد السجنان
 حداً واسميت لا وأمر والنواهي حد وداه لانها تمنع أن يدخل فيها ما ليس فيها وأن يخرج
 عنها ما هو منها ومن ذلك سميت الحد وحد لانها تمنع أصحابها من العود ومعنى النهي عن
 قربانها النهي عن تعديها بالخالفه لها وقيل إن حدوده هي محارمه فقط ومنها المباشرة
 من المعتكف والأفطار في رمضان لغير عذر وغير ذلك مما سبق النهي عنه ومعنى النهي عن قربانها
 على هذا واضح وقيل حدود الله فرائض الله وقيل المقادير التي قدرها ومنع من عبثاقتها
 كذلك بين الله آياته للأناس لعالمهم يتقون أي كما بين لكم هذه الحدود بين لكم معالم
 دينه وأحكام شريعته والعلامات الهادية إلى الحق ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل هذه

نعم جميع الاممة وجميع الاموال لا يخرج عن ذلك الا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز اخذه فانه فكل
 بالحق لا بالباطل وما كحل لا بالاثم وان كان صاحبه كادها كفضاء الدين اذا امتنع منه
 من هو عليه وتسليم ما اوجبه الله من الزكاة ونحوها ونفقة من اوجب الشرع نفقته والحاصل
 ان ما لم يخرج الشرع اخذه من مال كنه فهو ما كحل بالباطل وان طابت به نفس مال كنه كسهر
 البغي وحلوان الكاهن ومن الخمر والملاهي واجرة المعنى والقمار والرشوة في الحكم وشهادة الزور
 والخيانة في الوجبة والامانة والاكل بطريق التعدي والنهب الغصب والباطل في اللغة
 الذم الزائل والمعنى بالسبب لباطل ومبطلين او متلبسين بالباطل عن ابن عباس قال هذا
 في الرجل يكون عليه مال فليس عليه بينة فيجحد المال ويجحد الى الحكم وهو يعرف ان
 الحق عليه وقال مجاهد معناها لا تخاصم وانت تعلم انك ظالم وتدلوا بها الى الحكم مجزوم
 عطفاً على تاكول فهو من جملة النبي عندي لا تلحق الامور تلام الاموال التي فيها الحكومة الى الحكم
 يقال ادنى الرجل محجته او بلا ص الذي يرجو الفجاء به تشديدها بالذي يرسل الدلو في البئر يقال
 ادلى دلو ارسنها والمعنى انكم لا تجمعون بين اكل الاموال بالباطل وبين الادلاء بها الى الحكم
 بالحق الباطلة والمعنى لا تسرعوا بالخصومة في الاموال الى الحكم لم يعينواكم على ابطال حق او تحقيق
 باطل واما الاسراع بها لتحقيق الحق فليس مذموماً وفي هذه الآية دليل ان حكم الحاكم لا يحل
 الحرام ولا يحرم الحلال من غير فرق بين الاموال والفروج فمن حكم له القاضي بشيء مستند
 في حكمه الى شهادة زور او بينة فاجرة فلا يحل له اكله فان ذلك من اكل اموال الناس بالباطل
 وهكذا اذا ارشأ الحاكم فحكم له بغير الحق فانه من اكل اموال الناس بالباطل ولا خلاف بين اهل
 العلم ان حكم الحاكم لا يحل الحرام ولا يحرم الحلال وقد روي عن ابي حنيفة ما يخالف ذلك وهو
 مردود بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله في حديث ام سلمة قالت قال رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحق بحجته من بعض فاقض له على غفلة ما سمع فمن قضيت
 له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار وهو في الصحيحين وغيرهما وقيل معناه
 لا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكم والا اولى وكان شريح القاضي يقول اني لا اقض لك
 واني لا ظنك ظالماً ولكن لا يسعني الا ان اقضي بما يحضر في من البينة وان قضائي لا يحل لك حراماً

لَتَكُنَّ لَكُمُ أَفْرَاقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِأَلَّا تُرَىٰ قِطْعَةً أَوْ جِزَاءً ۖ وَطَافُوا بِهَا فَبَدَّلَ الْفَرِيقَ
 عَنْ ذَلِكَ ۚ وَاصِلُ الْفَرِيقِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْعِلْمِ تَشْدَعُنْ مَعْظَمُهَا وَقِيلَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرُ وَتَاخِيرُ
 وَالتَّقْدِيرُ لَيْتَ أَكَلُوا أَمْوَالَ فَرِيقٍ مِنَ النَّاسِ بِأَلَّا تَمُوسُمُ الظُّلْمَ وَالْعَدْوَانَ إِنَّمَا بِأَعْتَابِ تَعْلُقِهِ
 بِفَاعِلِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيُّ بِالْإِيمَانِ الْكَاذِبَةُ وَقِيلَ بِشَهَادَةِ الزُّورِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّ حَالِكُكُمْ
 عَالِمِينَ أَنْكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ لَيْسَ مِنْ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ وَهَذَا الشَّدْلُ عَقَابُهُمْ وَأَعْظَمُ الْحُجْمِ
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ أَيُّ عَنْ فَاكِدَةِ اخْتِلَافِهَا لَكَ السُّوَالُ عَنْ ذَاتِهَا غَيْرُ مُفِيدٍ وَقَدْ أَخْرَجَ
 ابْنُ عَسَاكَرٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَزَلَتْ فِي مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَثُعْلُبَةَ بْنِ عَمْتَةَ وَ
 هُمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْهِلَالِ يَبِيدُ وَيُطْلَعُ دَقِيقًا مِّثْلَ الْخَيْطِ
 ثُمَّ يَزِيدُ حَتَّى يَعْظُمَ وَيَسْتَوِي ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْقُصُ وَيَذِقُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ لَا يَكُونُ عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ
 فَتَزَلَّتْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ فِي حُلِّ دِينِهِمْ وَلِصُومِهِمْ وَلِفِطْرِهِمْ وَأَوْقَاتُ حُجَّتِهِمْ وَأَجَائِزُهُمْ
 وَأَوْقَاتُ الْحَيْضِ وَعُدَّ نِسَائُهُمْ وَالشُّرُوطُ إِلَى أَجْلِ وَلِهَذَا خَالَفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ
 دَائِمَةٌ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَالْأَهْلُ جَمْعُ هِلَالٍ وَجَمْعُهَا بِأَعْتَابِ رَهْلَالٍ كُلُّ شَهْرٍ وَكُلُّ لَيْلَةٍ تَنْزِيلًا
 لِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ مِثْلَ اخْتِلَافِ لَذَاتِ الْهِلَالِ الْمَكِيدِ وَفِي أَوَّلِ الشَّهْرِ وَفِي آخِرِهِ قَالَ
 الْأَصْمَعِيُّ هُوَ هِلَالٌ حَتَّى يَسْتَدِيرَ وَقِيلَ هُوَ هِلَالٌ حَتَّى يَنْبِضَ وَهُوَ السَّمَاءُ وَذَلِكَ لَيْلَةُ السَّابِعِ
 وَأَمَّا قِيلُ لَهُ هِلَالٌ لِأَنَّ النَّاسَ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالْأَخْبَارِ عَنْهُ عِنْدَ رَيْتِهِ وَمِنَ اسْتَهْلِ
 الصَّبِيِّ إِذَا صَاحَ وَاسْتَهْلَ وَجْهَهُ وَتَهَلَّلَ إِذَا ظَهَرَ فِيهِ السُّرُورُ وَالْهِلَالُ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ وَجَمْعُهُ
 بِأَعْتَابِ وَأَوْقَاتُهُ وَاخْتِلَافُهُ فِي ذَاتِهِ وَاخْتِلَافُ أَهْلِ اللُّغَةِ إِلَى مَتَى يُسَمَّى هِلَالًا فَقَالَ الْجُمْهُورُ لِلْيَلِيتَيْنِ
 وَقِيلَ لثَلَاثَةٍ ثُمَّ يَكُونُ قَمَرًا وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ لِلْيَلِيتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ وَلِلْيَلِيتَيْنِ مِنْ آخِرِهِ وَمَا
 بَيْنَهُمَا قَمَرٌ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ الذِّي قَرَّرَهُ أَبُو السَّعُودِ وَالتَّخَاذُنُ أَنَّ الْجَوَابَ مُطَابِقُ السُّوَالِ وَفِي
 الْآيَةِ بَيَانٌ وَجَدَ الْحَكَمَةَ فِي زِيَادَةِ الْهِلَالِ وَنَقْصَانِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ لِأَجْلِ بَيَانِ الْمَوَاقِيتِ الَّتِي يَوْقُتُ
 النَّاسُ عِبَادَاتِهِمْ وَمَعَامَلَاتِهِمْ بِهَا كَالصُّومِ وَالْفِطْرِ وَالْحَجِّ وَمُدَّةِ الْحَمْلِ وَالْعِدَّةِ وَالْأَجَائِزِ وَ
 الْإِيمَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ قِيلَ هُوَ جَوَابُ بَعْضِ
 مَا سَأَلَ عَنْهُ تَبْيِيحُهَا عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَى لَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ هَذَا الْحَاجِبِ لِأَنَّ سَبِيلَ اخْتِلَافِ فَهْوَ مِنْ

من قبل المغيبات التي لا غرض للكلف في معرفتها ولا يلحق ان تبين للمواقيت جمع الميقات وهو
 الوقت والفرق بين الوقت وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها
 الى منتهاها والزمان مدة منقسمة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لا يمر
 وكل ما جاء في القرآن من السوال اجيب عنه بقل بلا فاء الا في طه ويسئلونك عن الجبال قل
 لان الجواب في الجميع كان بعد وقوع السوال وفي طه كان قبله اذ تقديره ان سئلت عن الجبال
 فقل للناس اي لا غرض في الدينونة والدينونة كما اشكر لذلك بتعداد امثله اذ اهله ^{الست}
 موافقت لذوات الناس وانحج عطف على الناس اي يعلم بها وقته فلو استمرت على حاله لم يعرف
 ذلك قال سيبويه الحج بالفتح كالرد والشد وبالكسر كالذكر مصدران بمعنى وقيل بالفتح مصدر
 وبالكسر الاسم وانما افرده سبحانه الحج بالذكر لانه مما يحتاج فيه الى معرفة الوقت ولا يخون فيه
 النسب عن وقته ولعظم المشقة على من التبس عليه وقت مناسكه واخطاء وقتها اذ وقعت بعضها
 وقد جعل بعض علماء المعاني هذه الجواب اعني قوله قل هي موافقت من الاسلوب الحكيم كما تقدم
 وهو تلقي المخاطب بغير ما يتقرب تبينه كما علم انه الاولى بالقصد ووجه ذلك انهم سألوا عن اجرام
 الاهله باعتبار زيادتها ونقصاتها فاجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لاجلها
 لكون ذلك اولي بان يقصد السائل وحق بان يتطلع لعله واكس البرهان تاتوا البيوت من
 ظهورها ولكن البر من اتقى واتى البيوت من ابوابها وجه اتصال هذا بالسوال عن اهله
 واجواب بانها موافقت للناس والحج ان الانصار كانوا اذا حجوا لا يدخلون من ابواب بيوتهم
 اذا رجع احدهم الى بيته بعد احرامه قبل تمام حجه لانهم يعتقدون ان الحرم لا يجوز ان
 يحول بينه وبين السماء كما نزل فكانوا يتسفلون ظهور بيوتهم وقد ورد هذا المعنى عن جماعة من
 الصحابة والتابعين وقال ابو عبيدة ان هذا من ضرب المثل والمعنى ليس البرهان تسألوا الجبال
 ولكن البر والتقوى واسألوا العلماء كما تقول انت لا من بابها وقيل هو مثل في جماع النساء
 وانهم امر ما باتيا نحن في القبل لا في البر وقيل غير ذلك والبيوت جمع بيت وقرى بضم الباء و
 كسر ها واتقوا الله لعلكم تفلحون قد تقدم تفسير التقوى والفلاح وقا تلو في سبيل الله
 لاختلاف بين اهل العلم ان القتال كان ممنوعا قبل الهجرة لقوله فاعف عنهم واصفره وقوله اخرجهم

هجر احميلا وقوله لست عليهم بمصيطر وقوله ادفع بالتي هي احسن وهو ذلك مما نزل بمكة
فلما هاجر الى المدينة امره الله سبحانه بالقتال ونزلت هذه الآية قال ابو العالية انها اول آية
نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن كف عنه
حتى نزلت سورة براءة وقيل اول ما نزل قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا حتى نزل
قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة قيل انه نسخ بها سبعون آية
والمعنى قاتلوا في طاعة الله وطلب ضوانه عن موسى الاشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله الذين يقاتلونكم قال جماعة من السلف المراد
بهذا من عد النساء والصبيان والشيوخ والرمي والرهبان والنجارين والمكافيف ونحوهم
وجعلوا هذه الآية محكمة غير منسوخة ولا تعتد والمراد بالاعتداء عند اهل القول الاول هو قتال
من لم يقاتل من الطوائف الكفرية والمراد به على القول الثاني مجاوزة قتل من يستحق القتل
الى قتل من لا يستحقه ممن تقدم ذكره قال ابن عباس اي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ
ولا من القى السلم وكف يده فان فعلتم فقد اعتدتم وقال عمر بن عبد العزيز ان هذه الآية في
النساء والذرية ان الله لا يحب المعتدين أي لا يريد بهم الخير عن بريدة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا امر امير على جيش او سرية او صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين
خيرا ثم قال اغزوا بالله في سبيل الله فاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا
وليد لا تعتدوا واخرجهم مسلم واقتلوا هم حيث تثقفتموهم يقال تثقف تثقف تثقفا
رجل تثقف اذا كان محكما لما يتناوله من الامور قال في الكشف والتقف وجود على وجه
الاخذ والغلبة ومنه رجل تثقف سريعا لاخذ لاقرانه انتهى قال ابو السعدي اصل التثقف
في ادراك الشيء عملا او عملا وفيه معنى الغلبة قال ابن جرير الخطاب المهاجرين والضمير لكفار
قريش انتهى والمعنى واقتلواهم حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم وان لم يبتدؤكم و
تحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد في الآية الاولى بشرط اقدار الكفار على القتال
وفي هذه الآية امرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند

المسجد الحرام وأخرجهم من حيث أخرجكم أي أخرجهم من مكة وقد امتثل رسول الله
 صلوا عليه فخرج من مكة من لم يسلم عند ان فتحها الله عليه والفتنة أشد من القتل
 أي الفتنة التي أرادوا أن يفتنوك بها وهي رجوعكم إلى الكفر أشد من القتل وقيل المراد بالفتنة
 المحنة التي تنزل بالإنسان في نفسه أو أهله أو ماله أو عرضه وقيل المراد بالفتنة الشرك الذي
 عليه المشركون لأنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم فأخبرهم الله أن الشرك الذي هو عليه أشد
 مما يستعظمونه وقيل المراد بفتنهم أي أكرم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم أي هم في الحرم ومن
 قتلكم أي أكرم أن قتلوكم والظاهر أن المراد بالفتنة في الدين بأي سبيكان وعلى أي صورة تفوق
 فإنها أشد من القتل لأنه يؤدي إلى الخلود في النار والقتل ليس كذلك لذا جعل أشد منه
 ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف أهل العلم في ذلك فذهب طائفة
 إلى أنها محكمة وأنه لا يجوز القتال في الحرم إلا بعد أن يتعدى متعدي القتال فيه فإنه يجوز
 دفعه بالمقاتلة له وهذا هو الحق وقالت طائفة أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى
 فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويحجب عن هذا الاستدلال بأن الجمع ممكن هنا بسبب
 العام على الخاص فيقتل المشرك حيث وجد إلا بالحرم وما يؤيد ذلك قوله صلوا إنها لم تحل
 لأحد قبله وانما أحلت في ساعة من نهار وهو في الصحيح وقد احتج القائلون بالنسخ بقتله صلوا
 لأن خطه وهو متعلق باستار الكعبة ويحجب عنه بأنه وقع في تلك الساعة التي أحل الله لرسوله
 صلوا فإن قاتلوكم أي في المسجد الحرام هذا مفهوم الغاية فقاتلوه أي فقاتلوه كما كان
 أي القتل والأخراج جزاء الكافرين مطلقا بأن يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فنبت بهذا
 تحريم القتال في الحرم إلا أن يقاتلوا فيقتلوا ويكون دفعهم فإن استهوا عن قتلكم وعن
 الكفر ودخلوا في الإسلام فإن الله غفور رحيم بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة
 وقاتلوه في الأمر بمقاتلة المشركين ولو في الحرم وإن لم يبتدؤكم بالقتال وهذا هو الذي
 استقر عليه الحكم لأن حتى أي إلى غاية هي أن لا تكون فتنة ويكون الدين لله وهو الذي
 في الإسلام والخروج عن سائر الأديان الخالفته فمن دخل في الإسلام وأقبح عن الشرك لم يحل
 قتاله قيل المراد بالفتنة هنا الشرك والظاهر أنها الفتنة في الدين على عمومها كما سكت

فَإِنْ أَنتَهُوا يَعْنِي عَنِ الْقِتَالِ وَقِيلَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فَلَا عُدَّةَ أَنْ الْأَعْيُنُ الظَّالِمِينَ أَيْ لَا
 تَظْلُمُوا إِلَّا الظَّالِمِينَ أَيْ لَا تَعْتَدُوا إِلَّا عَلَى مَنْ ظَلَمَ وَهُوَ مَنْ لَمْ يَنْتَهَ عَنِ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ
 وَأَمَّا سَمِي حِزْمًا الظَّالِمِينَ عُدَّةً أَيْ مَشَاكِلَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَحِزْمًا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا وَقَوْلُهُ فَمَنْ
 اعْتَدَى عَلَيْكَ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ وَسَمِيَ الْكَافِرَ ظَالِمًا أَوْضَعَهُ الْعِبَادَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَالنَّفْيُ هُنَا
 بِمَعْنَى النَّهْيِ لِأَيُّزِمَ الْخَلْفَ فِي خِبرَةٍ تَعَالَى وَالْعَرَبُ أَخْبَارُ الْغَتِّ فِي النَّهْيِ عَنِ الشَّيْءِ ابْرُزَتْهُ فِي صَوْرَةٍ تَلْفِي
 لِلْحُضِّ اشْأَرَةً إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُوْجَدَ الْبَتَّةُ فَدَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِمَا ذَكَرْتَ ذَلِكَ وَعَكْسَهُ فِي
 الْأَنْبَاءِ إِذَا خَالَفَ الْغَوَا فِي الْأَمْرِ بِالشَّيْءِ ابْرُزَتْهُ فِي صَوْرَةٍ كَحِزْمٍ وَالْوَالِدَاتُ يَرْضَعْنَ وَسَيَأْتِي
 الشَّهْرُ الْحَرَامُ هُوَ الْقَعْدَةُ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ هُوَ الْقَعْدَةُ مِنَ السَّنَةِ
 السَّادِسَةِ وَهَذَا فِي الْمَعْنَى تَعْلِيلُ لِقَوْلِهِ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفُوهُمْ هُمْ أَخْرَجَ ابْنَ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
 قَالَ لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْتَمِرًا فِي سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ وَجِبَسَهُ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الدِّخْلِ
 وَالْوُصُولِ إِلَى الْبَيْتِ وَصَدُّهُ عَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ قَاضَاهُمْ
 عَلَى الدِّخْلِ مِنْ قَابِلٍ فَدَخَلَهَا فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ هُوَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْصَدَ اللَّهُ
 مِنْهُمْ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَرَوَى نَحْوُهُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَابْنِ حَرِيرٍ وَ
 الْمَعْنَى إِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَهَتَكُوا حُرْمَتَهُ قَاتَلْتُمُوهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مَكَافَاةً لَهُمْ وَجَاهِدًا
 عَلَى فَعْلِهِمْ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ مِنْهُمْ مَقَاتَلَةٌ فِي حَامِ الْحَدِيدِيَّةِ وَهُوَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ قَاتِلٌ خَفِيفٌ
 بِالرَّمِيِّ بِالسَّهَامِ وَالْحِجَارَةِ وَالْحُرْمَاتُ جَمْعُ حُرْمَةٍ كَالظُّلُمَاتِ جَمْعُ ظُلْمَةٍ وَأَمَّا جَمْعُ الْحُرْمَاتِ لِأَنَّهُ ارَادَ
 الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْبِلَادَ الْحَرَامَ وَحُرْمَةَ الْأَحْرَامِ وَالحُرْمَةُ مَا مَنَعَ الشَّرْعَ انْتِهَاكَهُ قِصَاصٌ إِلَى السَّوَادَةِ
 وَالْمِثْلَةُ وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ حُرْمَةٍ يُجْرِي فِيهَا الْقِصَاصُ فَهِيَ حُرْمَةٌ عَلَيْكُمْ فَلَكُمْ إِنْ هَتَكُوا حُرْمَةً
 عَلَيْهِ قِصَاصٌ وَلَا تَبْأَلُوا قِيلَ وَهَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نُسَخَ بِالْقِتَالِ وَقِيلَ أَنَّهُ ثَابِتٌ بَيْنَ أُمَّةٍ
 مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ تَعَدَّى عَلَيْهِ فِي مَالٍ أَوْ بَدَنٍ أَنْ يَقْتُلَ بِمِثْلِ مَا تَعَدَّى عَلَيْهِ وَبِهَذَا قَالَ
 الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَالَ آخَرُونَ أَنَّ أَمْرَ الْقِصَاصِ مَقْصُورٌ عَلَى الْحُكَامِ وَهَكَذَا الْأَمْوَالُ لِقَوْلِهِ صَلَّى
 أَخْلَا مَنَافَةَ إِلَى مَنْ اتَّمَنَكَ وَلَا تَحْنُ مِنْ خَائِنِكَ أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطِيُّ وَغَيْرُهُ وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَجَاهِدٌ
 الْمَالِكِيُّ وَعِظَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَرْجَحُ وَبِهِ قَالَ ابْنُ الْمُنْذَرِ وَأَخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَالْقَطَّابِيُّ

وحكاها الداودي عن مالك ويؤيده اذنه صلواته امرأة ابي سفيان ان تاخذ من مالها ما يكفيها
ولدها وهو في الصحيح ولا اصرح واوضح من قوله تعالى في هذه الآية فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهذه الجملة في حكم التأكيد للجملة الاولى اعني قوله
والحرمات قصاص وانما سمي المكافات اعتداء مشاكلة كما تقدم وعن ابن عباس في هذه
الآية وفي قوله وجزاء سيئة الآية وقوله ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقوله وان عاقبتم الآية
قال هذا ونحوه تراكمه والمسلمون يومئذ قليل ليس لهم سلطان يقهر المشركين فكان المشركون
يتعاطونهم بالشتم والاذى فامر الله المسلمين من يتجازى منهم ان يتجازى بمثل ما اذى اليه
او يصبر او يعفو فلما اجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واعز الله سلطانه امر
المسلمين ان ينتهوا في مظالمهم الى سلطانهم ولا يعدو بعضهم على بعض كاهل الجاهلية فقال من
قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا الآية يقول ينصر السلطان حتى ينصفه على من ظلمه من
انتصر لنفسه دون السلطان فهو عاص مسرف قد عمل بجحمة الجاهلية ولم يرض بحكم الله انتهى
واقول هذه الآية التي جعلها ابن عباس ناسخة مؤيدة لما نزل عليه الايات التي جعلها منسوخة
ومؤكدة له فان الظاهر من قوله فقد جعلنا لوليه سلطانا انه جعل السلطان له اي جعل له تساطا
يتسلط به على القاتل ولهذا قال فلا يسرف في القتل ثم لو سلمنا ان معنى الآية كما قاله لكان ذلك
للقتل من عموم الايات المذكورة لانا نسخنا له فانه لم ينص في هذه الآية لاجل القتل وحده
وتلك الايات شاملة له وغيره وهذا معلوم من لغة العرب التي هي المرجع في تفسير كلام الله
سبحانه ولما اباح لهم الاقتصاص بالمثل وشان النفس حب المبالغة في الانتقام من العدو وحدهم
من ذلك فقال اتقوا الله اي في حال كونكم متصرين لانفسكم من اعتدى عليكم فلا تقتلوا
اي لا تجعل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والعون وانفقوا في سبيل الله في هذا
الآية الامر بالانفاق في سبيل الله وهو الجهاد بالمال واللفظ يتناول غير مما يصدق عليه ان
سبيل الله والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة
الرحم والصدقة وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك
يصدق عليه انه في سبيل الله ولكن اطلاق هذا اللفظ ينص الى الجهاد عن خزيه فان ذلك

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعة سماعات ضعفا خروجه
الترمذي والنسائي ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة الباء زائدة ومثله لم يعلم بان الله يرزق
وقال المبرج اي بانفسكم تعبيراً ببعض عن الكل كقوله بما كسبت ايديكم وقيل هذا مثل مضمون
يقال فلان القوي بيده في امر كذا اذا استسلم لان المستسلم في القتال يلقى سلاحه بيده فكذا
فعل كل عاخر في اي فعل كان وقال قوم التقدير ولا تلقوا انفسكم بايديكم وعبر بالايدي
عن الانفس لان بها البطش والحركة والتهلكة مصدر من هلك يهلك هلاكاً وهلاكاً وتهلكة
اي لا تأخذوا فيما يهلككم قال البيهقي التهلكة من نوازل المصادر ليست مما يجري على القياس
وللسلف في معنى الآية اقول قال حذيفة نزلت في النفقة اي تركها في سبيل الله مخافة
العيلة وروي نحوه عن ابن عباس وعكرمة والحسن وقال الحسن هو الخجل وقال زيد بن اسلم
هو ان يهلك رجل من الجوع والعطش ومن المشي في البعث وقال ابو ايوب كانت التهلكة اطلاقاً
في الاموال واصداقها وترك الغزو وقال براء بن عازب هو الرجل يذنب الذنب فيلقى بيده
فيقول لا يغفر الله لي ابد اروي عن النعمان بن بشير نحوه وقيل انه القنوط وقيل عذاب الله
وقيل غير ذلك وانما ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكما يصدق عليه انه تهلكة
في الدين او الدنيا فهو داخل في هذا وفيه قال ابن جرير الطبري ومن جملة ما يدخل تحت الآية
ان يقتحم الرجل في الحرب فيجمل على الجيش مع عدم قدرته على التخاصص وعدم تأثيره لا ترغيف المجاهد
ولا يمنع من دخول هذا تحت الآية اشكار من انكره من الذين ردوا السبب فانهم ظنوا ان الآية
لا تجاوز سببها وهو ظن تدفعه لغة العرب واحسنوا اي في الانفاق في الطاعة والظن
بأنه في اخلافه عليكم وقال رجل من الصحابة معناه اذ والفرائض وقيل لا تقفروا ولا تنفروا
ان الله يحب المحسنين المنفقين في سبيله الظانين به حسناً واتبعوا الحجة والعصمة لله مختلف
العلماء في المعنى المراد بآتمام الحج والعمرة ففيل اداءهما والايمان بهما من دون ان يشوبهما
شيء مما هو محظور ولا يخل بشرط ولا فرض كقوله تعالى فامضوا اليه فامضوا اليه فامضوا اليه فامضوا اليه
سفيان الثوري اماهما ان يخرج لهما لا لغيرهما وقيل اماهما ان يفرد كل واحد منهما من غير قترع
ولا قران وبه قال بن جبيب وقال مقاتل اماهما ان لا يستحلوا فيها ما لا ينبغي لهما وقيل اماهما

ان يحرم لهما من دُيرة اهله وقيل ان ينفق في سفرهما الحلال الطيب وقد اخرج ابن
 ابي حاتم وابو نعيم في الدلائل وابن عبد البر في التمهيد عن يعلى بن امية قال جاء رجل الى النبي
 صلى الله عليه واله الجعزانية وعليه جبة وعليه اثر خلوق فقال كيف تأمرني يا رسول الله صلى الله
 اصنع في عمري فانزل الله واتوا الحج والعمرة فقال رسول الله صلى الله عليه واله
 فقال ها انا اذا قال اخلع الجبة واغسل عنك اثر الخلوق ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنع في
 عمرتك وقد اخرج الشافعي وغيرهما من حديثه ولكن فيما انه اتى عليه بعد السؤال ولم يذكر
 ما هو الذي انزل عليه وقال ابن عباس تمام الحج يوم النحر اذا رمى جمرة العقبة وزار البئير فقدم
 حل وتمام العمرة اذا طاف بالبيت بالصفا وبالمروة فقد حل وقد ورد في فضل الحج والعمرة
 احاديث كثيرة ليس هذا موطن ذكرها وقد اتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع
 اليه سبيلا واستدل بهذه الآية على وجوب العمرة لان الامر باتمامها امر بها وبذلك قال علي
 وابن عمر وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي وسعيد بن
 مسروق وعبد الله بن شداد والشافعي واحمد واسحق وابو عبيد وابن الجهم من المالكية
 وقال مالك والنعفي واصحاب الرواي كما حكاه ابن المنذر عنهم انها سنة وحكي عن ابي حنيفة انه
 يقول بالوجوب ومن القائلين بانها سنة ابن مسعود وجابر بن عبد الله ومن جملة ما استدلل
 الاولون ما ثبت عنه صلى الله عليه واله في الصحيح انه قال لاصحابه من كان معه هدى فليهل بالحج وعمرة
 ثبت عنه ايضا في الصحيح انه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيمة واخرج الدارقطني والحاكم
 من حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه واله الحج والعمرة فريضتان لا يضرركما
 بدأت واستدل الاخرون بما اخرج الشافعي في الامام وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وعبد
 بن حميد عن ابي صالح الخنفي قال قال رسول الله صلى الله عليه واله الحج حجاج والعمرة تطوع واخرج ابن ماجة
 عن طلحة بن عبيد الله مرفوعا مثله واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وصححه عن
 جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه واله العمرة واجبة هي قال لا وان تعمر واخبركم واجبا
 عن الآية ولا حديث المصراحة بانها فسر محل ذلك على انه قد وقع الدخول فيها وهي بعد
 الشروع فيها واجبة بلا خلاف وهذا وان كان في بعد كنهه يجب المصير اليه جمع بين الأدلة

ولاسيما بعد تصريحه صلعم بما تقدم في حديث جابر من عدم الوجوب على هذا الحمل ما
ورد مما فيه دلالة على وجوبها كما اخرج الشافعي في الامان في الكتاب الذي كتبه النبي
صلعم لعمر بن حزم ان العمرة هي الحج الا صغر وكحديث ابن عمر عند البيهقي في الشعب قال جاء
رجل الى النبي صلعم فقال اوصني فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة وتؤتي
الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج وتعمر وتسمع وتطيع وعليك بالعلانية واياك والسرك هذا
ينبغي حمل ما ورد من الاحاديث التي قرن فيها بين الحج والعمرة في انهما من افضل الاعمال وانما
كفارة لما بينهما وانما يكيد ما كان قبلهما ونحو ذلك وادكان الحج خمسة الاحرام والوقوف
بعرفة والطواف والسعي والحلق والنقصير وادكان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعي و
الحلق والنقصير وبهذه الادكان تمام الحج والعمرة فَاِنْ أَحْصَرْتُمْ أَصْلَ الْحَصْرِ فِي اللِّغَةِ الْحَبْسِ
التضييق قال ابو عبيدة والكسائي والتحليل انه يقال احصر بالمرض وحصر بالعدو وفي المجمل
لابن فارس العكس ورجح الاول ابن العربي قال وهو داي اكثر اهل اللغة وقال الزجاج انه كذلك
عند جميع اهل اللغة وقال الفراء هما بمعنى واحد في المرض والعدو ووافقه على ذلك ابو عمر والشيخاني
فقال حصر في الشيء احصر في اي حبسني وبسبب هذا الاختلاف بين اهل اللغة اختلف ائمة اللغة
معنى الآية فقالت الخفية المحصر من يصير ممنوعا من مكة بعد الاحرام بمريض او عدو او غيره وقت
الشافعية واهل المدينة المراد بالآية حصر العدو وقد ذهب جمهور العلماء الى ان المحصر بعد و
يجل حيث احصر ويغفر هديه ان كان ثم هدى ويحلق راسه كما فعل النبي صلعم وهو واصحابه في
الحديبية فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ اي ان حصر تدون تمام الحج والعمرة فحلتم فالواجب وضلكم
او فأنحروا او فاهدوا ما تيسر يقال ليس الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب وليس السنين
للطلب الهدي والهدي لغتان وهما جمع هدية وهي ما يهدي الى البيت من بدنة او غيرها
ويقال في جمع الهدى اهداء واختلف اهل العلم في المراد بقوله ما استيسر فذهب الجمهور الى
انه شاة وقال ابن عمر وعائشة وابن الزبير جل او بقرة وقال الحسن اعلى الهدى بدنة واسطر
بقرة وادناه شاة وهذا الدم دم ترتيب وتعديل كما اشار له ابن المقري ولا تحلقوا رؤسكم
حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ هو خطاب لجميع الامم من غير فرق بين محصر وغير محصر واليه ذهب جمع

من اهل العلم وذهبت طائفة الى انه خطاب لمصريين خاصة اي لا تحلوا من الاحرام حتى تعلموا
 ان الهدى الذي يعتمق الى الحرم قد بلغ محله وهو الموضع الذي يحل فيه ذبحه واختلفوا في تعيينه
 فقال مالك والشافعي هو موضع الحصر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احصر في عام الحديبية
 وقال ابو حنيفة هو الحرم لقوله تعالى ثم جعلها الى البيت العتيق واجيب عن ذلك بان الخطاب به
 هو الامن الذي يمكنه الوصول الى البيت واجاب الحنفية عن محله صلى الله عليه وسلم بالحديبية بان طرف
 الحديبية الذي الى اسفل مكة هو من الحرم ورد بان المكان الذي وقع فيه الخيل هو من الحرم
 فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ يَدًى مِنْ رَأْسِهِ فَعِدْيَةٌ مِنْ صِيَامِهِ أَوْ صَدَقَةً أَوْ نَسِكَ الْمَرَادُ
 بالمرض هنا ما يصدق عليه سمي المرض لغة والمراد به الذي من الراس ما فيه من قمل الصلح
 او جراح ونحو ذلك فمن حلق فعليه فدية وقد بينت السنة ما اطلق هنا من الصيام والصدقة
 والنسك فثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى كعب بن عجرة وهو محرم وقمعه تنساقط على ^{وجهه}
 فقال ابو ذيك هو ام راسك قال نعم فامر به ان يحلق ويطعم ستة مساكين او يهدي شاة او
 يصوم ثلاثة ايام وقد ذكر ابن عبد البر انه لا خلاف بين العلماء ان النسك هنا هو شاة وحكي عن
 الجمهور ان الصوم هنا ثلاثة ايام والاطعام لستة مساكين وروي عن الحسن وعكرمة ونافع انهم
 قالوا الصوم في فدية الاذى عشرة ايام والاطعام عشرة مساكين الحديث الصحيح المتقدم يرد عليهم ويبطل ^{الهم}
 وقد ذهب مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم وداود الى ان الاطعام في ذلك مذكور بعد النبي
 صلى الله عليه وسلم لكل مسكين وقال الثوري نصف صاع من بر او صاع من غيره وروي ذلك عن ابو حنيفة
 قال ابن المنذر وهذا غلط لان في بعض اخبار كعب بن النبي صلى الله عليه وسلم قال له تصدق بثلاثة اصوع
 من تمر على ستة مساكين واختلفت الرواية عن احمد وروى عنه مثل قول مالك والشافعي وروي عنه
 انه ان اطعم برًا فمد لكل مسكين برًا اطعم تمرًا فصف صاع واختلفوا في مكان هذه الفدية فقال
 عطاء ما كان من دم فمكة وما كان من طعام او صيام فحيث شاء وبه قال اصحاب الراي وقال
 طاووس والشافعي الاطعام والدم لا يكونان الا بمكة والصوم حيث شاء وقال مالك ومجاهد حيث
 شاء في الجميع وهو الحق لعدم الدليل على تعيين المكان وهذا الدم دم تخيير وتقدير فإِذَا آمَنْتُمْ
 اي برأتم من المرض وقيل من خوفكم من العدو وعلى الخلاف السابق ولكن الامن من العدو واظهر من

استعمال انهم في ذهاب المرض فيكون مقويا لقول من قال ان قوله فان احصرتم المراد به
 الاحصار من العدد وكما ان قوله فمن كان منكم مريضا يقوي قول من قال ان ذلك لافراد عذر
 المرض بالذكور وقد وقع الخلاف هل المخاطب بهذا هو المحصورون خاصة ام جميع الامة على حسب سلف
 فمن تنفع بالعمرة الى الحج يعني ان يحرم الرجل بعمرته ثم يقيم حلالا بمكة الى ان يحرم بالحج فنقل استباح
 بذلك ما لا يحل للحرم استباحته وهو معنى تنفع واستمتع ولا خلاف بين اهل العلم في جواز التمتع
 بل هو افضل انواع الحج عند اهل التحقيق فما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو
 ذبحها قبله بعد ما احرم بالحج جزاه عند الشافعي ولا يجزؤه خبجه عند ابى حنيفة قبل يوم النحر
 وهذا الدم دم ترتيب وتقدير كما ذكره ابن المقري وقد شملت هذه الايات على ثلاثة انواع
 من انواع الدم الواجب في النساك وبقي الرابع يذكر في المائدة في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
 الاية وهو دم تخيير وتعديل ويجب في شيئين صيد وشجر فمن لم يجد الهدى اما لعد المال
 او لعدم الحيوان فصيام ثلاثة ايام في ايام الحج وهي من عند شروعه في الاحرام الى يوم النحر
 ومع ذلك يجوز ذبحه قبل الاحرام به على القاعدة من ان كل حق ماكي تعلق بسببين كما تقدم
 على ثانيهما وقيل يصوم قبل يوم التروية ويومعرفة وقيل ما بين ان يحرم بالحج الى يومعرفة وقيل
 يصوم من من اول عشرة ذي الحجة وقيل ما دام بمكة وقيل انه يجوز ان يصوم للثلاث قبل الحج
 وقد جرد بعض اهل العلم صيام ايام التشرى لمن لم يجد الهدى ومنعه اخرون وبه قال الشافعي
 وسبعة اذا رجعتهم اي الى الاوطان والاهل قال احمد واسحق يجزئه الصوم في الطريق ولا تضيق
 عليه الوجوب الا اذا وصل وطنه وبه قال الشافعي وقتادة والربيع ويجاهد وعطاء وعكرمة
 والحسن وغيرهم وقال مالك اذا رجع من منى فلا بأس ان يصوم والا دل ارجع وقد ثبت في
 الصحيح من حديث ابن عمر انه قال صلح من لم يجد فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى
 اهله فبين صلح ان الرجوع المذكور في الاية هو الرجوع الى الاهل وثبت ايضا في الصحيح من حديث
 ابن عباس بلفظ وسبعة اذا رجعتهم الى مصاركهم وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وبه قال ابو حنيفة
 والاولى وفيه التفات عن الغيبة وانما قال سبحانه تلك عشرة كاملة مع ان كل احد يعلم ان
 الثلاثة والسبعة عشرة لرفع ان يتوهم متوهم التخيير بين الثلاثة الايام في الحج والسبعة اذا

رجع قاله الزجاج وقال المبرد ذكر ذلك ليدل على انقضاء العدد لثلاثين وهم متوهمانه
 قد بقي منه شيء بعد ذلك السبعة وقيل هو تأكيد كما نقول كتب بيدي وقد كانت العرب
 تأتي بمنزل هذه الفذ لك فيمادون هذا العدد وقوله كاملة تأكيد آخر بعد الفذ لك لزيادة
 التوضيح بصياحها وان لا ينقص من عددها والمعنى كاملة يعني في الثواب الاخر يعني ان ثواب
 صيام العشرة كثر بالذبح لا ينقص عنه شيئا وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي ذلك لمن لم
 يكن أهله حاضري المسجد الحرام الاشارة قيل هي راجعة الى التمتع فيدل على انه لا تمتع
 لحاضري المسجد الحرام كما يقوله ابو حنيفة واصحابه قالوا ومن تمتع منهم كان عليه دم وهو دم
 جناية لا يأكل منه وقيل انها راجعة الى الحكم وهو وجوب الهدي والصيام على من تمتع فلا يذبح
 عليه من كان من حاضري المسجد الحرام كما يقوله الشافعي ومن وافقه والمراد من لم يكن ساكنا
 الحرم لم يكن ساكنا في المواقيت فما دونها على الخلاف في ذلك بين الامثلة قال لك هم اهل مكة وقال طائفة
 اهل الحرم وقال ابن جريج هم اهل عرفة والربيع وضجنان وفخلة وقال الشافعي من كان وطنه
 من مكة على اقل من مسافة القص وقال ابو حنيفة هم اهل الميقات والمواقيت ذوالحليفة و
 الحفة وقرن ويللم وذات عرق وقيل من تزمه الجماعة فيه قال السيوطي الا اهل كناية عن النفس
 اي نفس المحرم اي ذلك المحرم لو يكن هو نفسه حاضرا المسجد الحرام وهذا معنى تخفيف والاولى ما
 قاله غيره وحكي الرمي عن الطبري ان المراد بالاهل الزوجة والا والذين تحت حجرته والابناء
 والاخوة وانفقوا الله اي فيما فرض عليكم في هذه الاحكام وقيل هو امر بالتقوى على العموم و
 تحذير من شدة عقاب الله سبحانه واعلموا ان الله اظهرها في موضع الاضمار لترية المهابة مي
 روع السامع شدة العقاب لمن خالف امره ونهاون بحدوده وارتكب مناهيه وهو من
 باب اضافة الصفة المشبهة الى مرفوعها الحج أشهر معلومات اي وقت الحج اشهر اي وقت عمل
 الحج وقيل التقدير الحج في شهر وقيل غير ذلك وقد اختلف في الاشهر المعلومات فقال ابن مسعود
 وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري هي شوال وذوالقعدة وذو الحجة كله وبه قال مالك
 وقال ابن عباس والسدي والشعبي والنفيعي هي شوال وذوالقعدة وعشر من ذي الحجة وبه قال
 ابو حنيفة والشافعي واحمد وغيرهم وقد روي ايضا عن مالك وتظهر فائدة الخلاف فيما وقع

من أعمال الحج بعد يوم النحر فمن قال ان ذاك الحجة كله من الوقت لم يلزمه دم التأخير ومن قال
ليس الا عشر منه قال يلزمه دم التأخير وقد استدلل بهذه الآية من قال انه لا يجوز الاحرام
بالحج قبل اشهر الحج وهو عطاء وطأوس ومجاهد والاوزاعي والشافعي وابو ثور قالوا من احرم
بالحج قبلها حل بالعمرة ولا يجوز به عن احرام الحج ممن دخل في صلوة قبل وقتها فلا تجزئه وقال
احمد وابو حنيفة انه مكروه فقط وروي نحوه عن مالك والشافعية عنه جواز الاحرام بالحج في جميع
السنة من غير كراهة وروي مثله عن ابي حنيفة وعلى هذا القول ينبغي ان ينظر في فائدة
توقيت الحج بالاشهر المذكورة في الآية وقد قيل ان النص عليها لزيادة فضلها وقد روي القول
يجوز الاحرام في جميع السنة عن اسحق بن راهويه وابراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد
واحتج لهم بقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ففعل الاهلة كلها مواقيت للحج
ولم يخص الثلاثة الاشهر ويحاج بان هذه الآية عامة وتلك خاصة وانخاص مقدم على العموم
ومن حجة ما احتجوا به القياس للحج على العمرة فكما يجوز الاحرام للعمرة في جميع السنة كذلك يجوز
للحج ولا يخفى ان هذا القياس مصادم للنص القرآني فهو باطل والحق ما ذهب اليه الاولون ان كانت
الاشهر المذكورة في قوله الحج اشهر مختصة بالثلاثة المذكورة بنص واجماع فان لم يكن كذلك فلا
جمع شهر وهو من جموع القلة يتردد ما بين الثلاثة الى العشرة والثلاثة هي المتينة فيجب
الوقوف عندها ومعنى معلومات ان الحج في السنة مرة واحدة في اشهر معلومات من شهرها
ليس كالعمرة والمراد معلومات ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ومعلومات عند المخاطبين لا يجوز التقدم
عليها ولا التأخر عنها فمن فرض على نفسه فيمن الحج اي اوجبه عليها والزمه اياها واصل
الفرض في اللغة الحن والقطع ومنه فرضة القوس والنهر والحبل ففرضية الحج لازمة للعبادة
الحركية كزوم الحن للقوس وقيل معنى فرض ابا ان وهو ايضا يرجع الى القطع لان من قطع شيئا
فقد ابا عنه غيره وقال ابن مسعود الفرض الاحرام وقال ابن الزبير الاهلال وروي نحوه
عن جماعة من التابعين والمعنى في الآية فمن الزم نفسه ووجب عليها فيمن الحج بالشرع فيه
بالتنية قصد باطنها وبالاحرام فعلا ظاهرها وبالتلبية نطقا مسموعا وقال ابو حنيفة ان الزام
نفسه يكون بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه وقال الشافعي تكفي النية في الاحرام بالحج

فَكَرَفَتْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ جَبْرِ وَالسَّيِّدِيُّ وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَعُكْرُمَةُ وَالزَّهْرِيُّ
وَجَوَاهِدُ وَمَالِكٌ هُوَ الْجَمْعُ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ غَشِيَانُ النِّسَاءِ وَالتَّقْبِيلُ وَالنَّعْمُ وَقَالَ
ابْنُ عَرَبٍ طَأُوسٌ وَعَطَاءٌ وَغَيْرُهُمُ الرِّفْتُ الْأَخَاشُ بِالْكَلامِ وَالْخَنَا وَالْقَوْلُ الْقَبِيحُ وَعَلَى هَذَا التَّلَفُظِ
بِهِ فِي غَيْبَةِ النِّسَاءِ لَا يَكُونُ رِفْتًا وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الرِّفْتُ اللَّغَامُ مِنَ الْكَلَامِ وَلَا فَسُوقٌ أَصْلُهُ الْخُرُوجُ
عَنْ حَدِّ وَدَالِشَرِّعٍ وَعَنِ الطَّاعَةِ وَقِيلَ هُوَ الذَّبْحُ لِلْإِصْنَامِ وَقِيلَ التَّنَازُلُ بِالْأَلْقَابِ وَقِيلَ السَّبِيلُ
وَقَالَ ابْنُ عَرَبٍ هُوَ مَا نَهَى عَنْهُ الْحَرَمُ فِي حَالِ الْأَحْرَامِ مِنْ قَتْلِ الْبَيْدِ وَتَقْلِيمِ الْأَطْفَارِ وَادْخَالِ الشَّعْرِ
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَخْتَصُّ بِمَعْصِيَةٍ مُتَعَيَّنَةٍ وَإِنَّمَا خَصَّصَهُ مِنْ خَصَصِهِ بِمَا ذَكَرْتُ قَبْلًا
أَنَّهُ قَدْ أُطْلِقَ عَلَى ذَلِكَ الْفَرْدِ اسْمُ الْفُسُوقِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي الذَّبْحِ لِلْإِصْنَامِ أَوْ فَسَقَ أَهْلُ الْغَيْرِ إِلَيْهِ
وَقَالَ التَّنَازُلُ بِرَيْسِ اسْمِ الْفُسُوقِ وَقَالَ صَلَمٌ سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَلَا يَخْفَى عَلَى عَارِفٍ أَنْ أُطْلِقَ
اسْمُ الْفُسُوقِ عَلَى فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمَعَاصِي لَا يُوْجِبُ اخْتِصَاصَهُ بِهِ وَلَا جِدَالَ مُشْتَقٍّ مِنَ الْجِدَالِ
وَهُوَ الْقَتْلُ وَالْمَرَادُ بِهِ هُنَا الْمَارَاةُ وَقِيلَ السَّبَابُ وَقِيلَ الْفُحْرُ بِالْأَبَاءِ وَالظَّاهِرُ الْأَوَّلُ وَمَعْنَى النَّفْيِ لِمَا
الْأَوَّلُ النَّفْيُ عَنْهَا وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّفْتُ التَّعْرِيزُ لِلنِّسَاءِ
بِالْجَمْعِ وَالْفُسُوقُ الْمَعَاصِي كُلُّهَا وَالْجِدَالُ جِدَالُ الرَّجُلِ صَاحِبُهُ وَرَوَى هَذَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ
التَّابِعِينَ بَعْبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةً قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْجِدَالُ هُوَ الْمَرَادُ قِيلَ هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ الْحُجَّةَ الْيَوْمَ وَيَقُولُ
أَخْرَجَ عَدُوًّا وَقِيلَ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقِفُ بِعَرَفَةَ وَبَعْضُهُمْ بِزُدْقَةَ وَبَعْضُهُمْ
بِحُجَّةٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَبَعْضُهُمْ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَكُلُّهُ يَقُولُ الصَّوَابُ فِيمَا نَعَلَتْهُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَمْرَ الْحُجَّةِ عَدَا
عَلَى مَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا خِلَافَ فِيهِ بَعْدَ ذِي الْحِجَّةِ أَيَّ فِي أَيَّامِهِ وَنَكْتَةُ
الْأَطْفَارِ كَالِاعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ وَالْأَشْعَارُ بِعِلَّةِ السُّكْرِ فَإِنْ زِيَارَةَ الْبَيْتِ الْعَظِيمِ وَالتَّقَرُّبُ بِهَا مِنْ
هُوَ جِبَاتُ تَرْكِ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ وَإِشْرَاقِ النَّفْسِ لِلْمُبَالِغَةِ فِي التَّهَنِّيِّ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ حَقِيقٌ
بِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فَإِنْ كَانَ مَنكراً مُسْتَقْبَاحاً فِي نَفْسِهِ فَفِي خِلَالِ الْحُجَّةِ أَقْبَحُ كَلْبَسِ الْخَوِيرِ فِي الصَّلَاةِ لِأَنَّهُ
خَرَجَ عَنْ مَقْتَضَى الطَّبْعِ وَالْمَعَادَةِ إِلَى مُحَضِّ الْمُبَادَاةِ ظَاهِرُ الْآيَةِ فِي الثَّلَاثَةِ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ فِيهِ
وَإِنَّمَا خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ أَجَنَاباً فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَانِ وَاجِباً لَا خَفَا فِي الْحُجَّةِ اسْمُهَا وَاقْطَعُ
مِنْهُ فِي غَيْرِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَلَا شَكَّ فِي الْحُجَّةِ فِي الْكُفْرِ أَنَّهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ فَابْطُلَ النَّسَبُ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه البخاري
 ومسلم وما تفعلوا من خير يعلمه الله فستحسون على الخير بعد ذكر الشر وعلى الطاعة بعد ذكر
 المعصية وهوان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى
 ومكان الجدل الوفاق والأخلاق الجميلة وفيه أن كلما يفعلونه من ذلك فهو معلوم عند الله
 لا يفوت منه شيء وتزود وأما يبلغكم لسفركم فإن خير الزاد التقوى أي ما يتقي به سؤال الناس
 وغيره فيه ألا من باتخاذ الزاد أن بعض العرب كانوا يقولون كيف نخرج بيت ديننا ولا يطعمنا
 فكانوا يخرجون بلا زاد ويقولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس
 ويكونون كالأعمى فأنزل الله هذه الآية أخرجه عبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي
 وغيرهم عن ابن عباس وقد روي عن جماعة من التابعين مثل ذلك قال ابن الجوزي قد لبس
 البليس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية من الخطأ
 وقيل المعنى تزود والمعادكم من الأعمال الصالحة فإن خير الزاد التقوى والأول أجمع كما حل
 عليه سبب ول الآية وفيه أخبار بأن خير الزاد اتقاء المنهيات فكانه قال اتقوا الله في أتيان
 ما أمركم به من الخير وج بالزاد فإن خير التقوى وقيل المعنى فإن خير الزاد ما اتقى به المسافر من
 التهلكة والحاجة إلى السؤال والتكفف وأنقون أي وخافوا عقابي وقيل اشتغلوا بتقوي في
 تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله يا أولي الألباب فيه التخصيص لأولي الألباب بالخطأ بعد
 حث جميع العباد على التقوى لأن أرباب الألباب العقول هم القابلون لأوامر الله والنهي
 بها ولب كل شيء خالصه ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فيه الترخيص لمن حج
 في التجارة ونحوها من الأعمال التي يحصل بها شيء من الرزق وهو المراد بالفضل هنا ومنه قوله
 تعالى فانتشر في الأرض وابتغوا من فضل الله أي لا ثمر عليكم في أن تبتغوا في مواضع الحج رزقا
 ونفعا وهو الربح في التجارة مع سفرهم لتأدية ما افترضه عليكم من الحج نزل رد الكراهة ذلك
 الحق أن الأذن في هذه التجارة جارية الرخص وتركها أولى لقوله تعالى وما أمر بالألعباء
 الله مخلصين له الدين والأخلاق هوان لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه عبادة فكأن
 أنفتم من عمر فأت يقال فاضل أناء إذا امتلاء ماء حتى ينصب من نواحيه ورجل فياض

اي مندفعه يده بالعطاء ومعناها فضتم انفسكم فتذكروا المفعول كما ترك في قوله
دفعوا من موضع كذا وعرفات اسم لتلك البقعة كاذرعات اي موضع الوقوف وعرفة اسم
اليوم وسميت عرفات لان الناس يتعارفون فيها وقيل ان ادم التقى هو وحوا فيها فتعارفا
وقيل غير ذلك قال ابن عطية والظاهر انه اسم مرتجل كاسماء البقاع الا على القول بان اصله جمع
واستدل بالآية على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعدة ولا يتم الحج الا به ووقت
الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت دفع منها واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها
وبين العشاء بمنزلة فاذا كروا والله المراد بذلك كراهه هناك عاؤه ومنه التلبية والتكبير اي اذكروا
لذاته من غير ملاحظة نعمه لانه تعالى يستحق الحمد من حيث ذاته ومن حيث انعامه فخلق فحصلت المغايرة
بين هذا وقوله واذكروه كما هداكم وقيل المراد بالذ كرك صلوة المغرب العشاء بمنزلة فجمعوا وقد
اجمع اهل العلم على ان السنة ان يجمع الحاج بينهما فيها عند المشعر الحرام سمي مشعرا من الشعار
وهو العلامة والدعاء عنده من شعائر الحج ووصف بالحرام محرمته من التحريم وهو المنع فهو
ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يقذن فيه وفي الحديث انه صلح وقف به يد كراهه ويدعو حتى اسفر
جدار واه مسلم اي دخل في السفوف ففتحين وهو بياض النهار قاله الشوبري والمشعر هو جبل فوج
الذي يقف عليه الامام وقيل هو ما بين جبل المنزلة من مازمي عرفة الى وادي محسر
واذكروا ذكر احسانا كما هداكم هداية حسنة وكره الامر بالذكر تأكيد وقيل الاول امر بالذكر
عند المشعر الحرام والثاني امر بالذكر على حكم الاخلاص وقيل المراد بالتاني تعديد النعمة عليهم
والكاف للتعليل وإن كنتم من قبله لمن الضالين الضمير في قبله عائد الى الهدى وقيل الى القرآن
وقيل الى الرسول والضالين الجاهلين بالايمان والطاعة قاله الخطيب قيل جا هلاين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه ثم افيضوا من حيث افاض الناس فيه الخطاب للمسلمين من قريش لانهم
كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات بل كانوا يقفون بالمنزلة وهي من الحرم فامروا بذلك و
قد ورد في هذا المعنى روايات عن الصحابة والتابعين عند البخاري ومسلم وغيرهما وعلى هذا يكون
ثم لعطف جملة على جملة بمعنى الواو لا الترتيب وقيل الخطاب لجميع الامة والمراد بالناس ابراهيم اي
افيضوا من حيث افاض ابراهيم فيقول ان يكون امراهم بالافاضة من عرفة ويجعل ان تكون افاضة

اخرى وهي التي من مزدلفة وعلى هذا يكون ثم على بابها للترتيب في الذكر لا في الزمان الواقع
 فيه الاعمال وقد رجع هذا الاحتمال الاخير ابن جرير الطبري وهو الذي يقتضيه ظاهر القرآن
 وَاسْتَغْفِرُ وَاللَّهُ أَيُّ مِنْ خَالَفْتُمْ فِي الْمَوْقِفِ وَكَمِيعَ ذُنُوبِكُمْ وَأَنَا أَصْرُوبُ بِالْإِسْتِغْفَارِ لَكُمْ
 فِي مَسَاقِطِ الرَّحْمَةِ وَمَوَاطِنِ الْقَبُولِ وَمِظَانَاتِ الْجَابَةِ وَقِيلَ إِنَّ الْعَنَى اسْتَغْفَرُ وَالَّذِي كَانَ
 خَالَفَ السَّنَةَ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ قَوْفُكُمْ بِالْمُزْدَلِفَةِ دُونَ عَرَفَةَ وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ
 فِي الْمَغْفِرَةِ لِأَهْلِ عَرَفَةَ وَتُرْوَى الرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ وَاجَابَةُ دَعَائِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ إِلَى السَّائِرِ
 لِذُنُوبِ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ وَيَغْفِرُ لَهُمْ
 فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ سَكْرَتَهُ الْمُرَادَ بِالْمُنَاسِكَاتِ أَعْمَالُ الْحَجِّ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذُوا عَنِّي
 مَنَاسِكَكُمْ أَيُّ فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهَا الذَّبَائِحُ وَذَلِكَ بَعْدَ رَحَى جَمْرَةِ الْعُقْبَةِ
 وَالْإِسْتِقْرَارِ بِمَعْنَى فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ وَأَشَدَّ ذِكْرًا إِنَّمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ
 كَانُوا إِذَا فَرَغُوا مِنْ حَجِّهِمْ يَقِفُونَ عِنْدَ الْجَمْرَةِ وَقِيلَ عِنْدَ الْبَيْتِ فَيَذْكُرُونَ مَضَاجِرَ آبَائِهِمْ
 وَمَنَاقِبَ سُلَافِهِمْ بِالْمُنْتَوَى وَالْمَنْظُومِ مِنَ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ وَغَرَضُهُمْ بِذَلِكَ الشَّهْرَةَ وَالسَّمْعَةَ
 وَالرَّفْعَةَ فَلَمَّا أَمِنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِسْلَامِ مِنْ هُوْنِ ذِكْرِهِ مَكَانَ ذَلِكَ الذِّكْرِ وَجَعَلُونَهُ ذِكْرًا مِثْلَ
 ذِكْرِهِمْ لِأَبَائِهِمْ وَأَشَدَّ مِنْ ذِكْرِهِمْ لِأَبَائِهِمْ وَالذِّكْرُ هُوَ بِالْجَمْعِ وَالْتِمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ
 وَالنَّشَاءُ عَلَيْهِ وَقِيلَ أَوْ بِمَعْنَى الْوَاوَايِ وَكَثْرَ وَادْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ ذِكْرِهِمْ لِأَبَائِهِمْ لَأَنَّهُ هُوَ الْمُنْعَمُ
 عَلَيْهِمْ وَعَلَى آبَائِهِمْ فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلذِّكْرِ وَالْحَمْدُ مُطْلَقًا مِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي
 الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ لِمَا ارشَد سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ إِلَى ذِكْرِهِ وَكَانَ الدَّعَاءُ نَعَا
 مِنْ أَنْوَاعِ الدُّعَاءِ الَّتِي كَرَّجَلُ مِنْ يَدْعُوهُ مُنْقَسِمًا إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا يَطْلُبُ حَظَّ الدُّنْيَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى
 حَظِّ الْآخِرَةِ وَالْقِسْمُ الْآخَرُ يَطْلُبُ لَامَرِينَ جَمِيعًا وَالْخِلَاقُ النَّصِيبُ لِمَا هَذَا الدَّاعِي فِي
 الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ لِأَنَّهُمْ مَقْصُورُونَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرِيدُونَ غَيْرَهَا وَلَا يَطْلُبُونَ سِوَاهَا فِي هَذَا
 الْحَبَرِ بِمَعْنَى النَّهْيِ عَنِ الْاِقْتِصَارِ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالذِّمُّ لِمَنْ جَعَلَهَا غَايَةَ رَغْبَتِهِ وَمَعْظَمَ مَقْصُودِهِ
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيسَةِ إِنْ أُعْطِيَ
 رِضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ نَعْسٍ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْئُكَ فَلَا تَنْقُشْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَهَذَا دَعَاءُ

عليه بالهلاك وفي الباب احاديث كثيرة واما كان سوال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة
والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث ومنهم من يقول ربنا ايتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقمنا عداب النار قد اختلف في تفسير الحسنتين المذكورتين في الآية
فقل ما يطلبه الصالحون في الدنيا من العافية وما لا بد منه من الرزق وما يطلبونه في
الآخرة من نعيم الجنة والرضاء وقيل المراد بحسنة الدنيا الزوجة الحسناء وبحسنة الآخرة
الحود العين وقيل حسنة الدنيا العلم والعبادة وحسنة الآخرة الجنة وقيل الاولى العمل الصالح
والثانية المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والقنوان واهلا وما لا فقد اوتي فيما
حسنة وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره قال القرطبي والذي عليه اكثر اهل العلم ان المراد
بالحسنتين نعيم الدنيا والآخرة قال وهذا هو الصحيح فان اللفظ يقتضي هذا كله فان حسنة
ذكره في سياق الدعاء فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل وحسنة الآخرة الجنة بجمع
اولئك اشارة الى الفريق الثاني فقط لهم نصيب مما اتي من جنس ما كسبوا من الاعمال اي من
ثوابها ومن جملة اعمالهم للدعاء فما اعطاهم الله بسببه من الخير فهو ما كسبوا وقيل معناه من
اجل ما كسبوا وهو بعيد وقيل قوله اولئك اشارة الى الفريقين جميعا اي للاولين نصيب من
الدنيا ولا نصيب لهم في الآخرة وللآخرين نصيب مما كسبوا في الدنيا والآخرة ان الله سريع
الحساب الحساب مصدر كالحاسبة واصله العدد والمراد هنا المحسوب بجميع حسابه باسمية المفعول
بالمصدر والمعنى ان حسابه لعبادة في يوم القيمة سريع محيئه فبادر بذلك باعمال الخيرات وانه
وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم واعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته
لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعدين في حاله
واحدة كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال السيوطي يحاسب الخلق كلهم
في قدر نصف من نهار من ايام الدنيا كحديث بذلك انتهى وهذا امتثال للسرعة لاتعيين لمقادير
الاعمال فقل معناه ان الله يعلم العباد ما لهم وعليهم وهذا البعد وقيل المحاسبة للجاز
ويدل عليه قوله فما حسبتها حسبا بشايد او قيل معناه انه سريع القبول لدعاء عباده
والاجابة لهم وقيل معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لا محالة وفيه اشارة الى المباداة بالتوبة

والذي تروى في المطامع وطلب الأثر وأذكر والله يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في
 أحبار الصلوات وعند رمي الجمرات فقد ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كل حصاة والحطيم
 للحاج وغيره كما ذهب إليه الجمهور وقيل هو خاص بالحاج في أيام معدودات قال القرطبي
 لا خلاف بين العلماء أن الأيام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى وهي أيام التشريق الثلاثة
 وهي أيام رمي الجمار ولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو من هب الشافعي وبه قال ابن
 عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وقال إبراهيم الأيام المعدودات أيام العشر
 والأيام المعلومات أيام الفجر وكذا روي عن مكي والمهدي قال القرطبي ولا يصح ما ذكرناه
 من الإجماع على ما نقله أبو عمرو بن عبد البر وغيره وعن أبي يوسف أن الأيام المعلومات أيام الفجر
 قال لقوله تعالى ويذكر الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وقال محمد بن
 الحسن هي أيام الفجر الثلاثة يوم الأضحية ويومان بعده وهو قول علي بن مروي عن ابن عمر وهو من
 أبي حنيفة قال الكيا الطبري فعلى قول أبي يوسف ومحمد لا فرق بين المعلومات والمعدودات
 لأن المعدودات المذكورة في القرآن أيام التشريق بلا خلاف وروي عن مالك أن الأيام
 المعدودات والأيام المعلومات تجمعها أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام بعده فيوم النحر
 معلوم غير معدود واليومان بعده معلومان معدودان واليوم الرابع معدود ولا معلوم
 وهو مروي عن ابن عمر وقال ابن زيد الأيام المعلومات عشر ذي الحجة وأيام التشريق
 أجمع العلماء على أن المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمرات مع كل حصاة يرمي بها في جميع
 أيام التشريق وهو سنة بالانفاق وعن نبينة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق
 أيام أكل وشرب ذكر الله تعالى وإياه مسلم ومن الذي ذكر في هذه الأيام التكبير وروى البخاري
 عن ابن عمر أنه كان يكبر معنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه و
 في مجلسه وفي مشاهة في تلك الأيام جميعاً وقد اختلف أهل العلم في وقته فقليل من صلوة
 الصبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا في ثلث وعشرين
 صلوة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقيل من غداة عرفة
 إلى صلوة العصر من آخر الفجر وبه قال أبو حنيفة وابن مسعود وعلى هذا يكون التكبير في

ثم ان صلوات وقيل من صلوة الظهر يوم النحر الى صلوة الصبح من اخر ايام التشريق وبه قال مالك
 والشافعي فيكون التكبير على هذا في خمسة عشر صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر ولفظ التكبير
 عند الشافعي الله اكبر ثلاثا تسقا وعند اهل العراق مرتين فمن تجمل في يومين فلا اثر عليه
 ومن تأخر فلا اثر عليه اليومان هما يوم ثاني النحر ويوم ثالثه من ايام التشريق قال ابن عباس
 والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والنفعي من رمي في اليوم الثاني من الايام المعدودات
 فلا يرجع ومن تأخر الى الثالث فلا يرجع فعن الآية كل ذلك مباح وعبر عنه بهذا التقسيم اهتماما
 وتأكيذا لان من العرب من كان يذم التجمل ومنهم من كان يذم التأخر فقلت الآية رافعة
 للجماع في كل ذلك قال علي وابن سفيان ومعه لا يرجع فقد غفر له ومن تأخر فقد غفر له والآية قد دللت على
 ان التجمل والتأخر مباحان ولا بد من ارتكاب مجازي في قوله يومين من حيث انه جعل الواقع
 في احدهما واقعا فيه كما قوله نسيانها وبخرج منها اللواتي والمرجان وجعل له شركاء في مكانها
 والناسي احدهما وكذلك المخرج منه والباحل له احدهما او من حيث حذف المضاعف اي في
 ثاني يومين والاول اولى لمن اتقى اي ان ذلك التغيير ورفع الاثر ثابت لمن اتقى لان صاحب التقوى
 يمتنع عن كل ما يريبه فكان احق بتخصيصه بهذا الحكم قال الاخفش التقدير ذلك لمن اتقى وقيل
 لمن اتقى بعد انصرافه من الحج عن جميع المعاصي وقيل لمن اتقى قتل الصيد وقيل معناه السلامة
 لمن اتقى وقيل اي الذي لم ينس في حجه كانه الحاج في الحقيقة واتقوا الله اي في المستقبل واعلموا
 انكم اليه تحشرون فيجازيكم بما عملتم وفي صحت على التقوى وهو عبارة عن فعل الواجبات
 وترك المحظورات ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا اي يروقك وتستحسنه
 ويعظم في قلبك حلاوة كلامه ما يتعلق بامر الدنيا والاعجاب استحسن الشيء والميل اليه
 والتعظيم له وقال الراغب العجب حيرة تعرض للانسان بسبب الشيء وليس هو شيئا له في ذاته حالة
 حقيقية بل هو بحسب الاضافات الى من يعرف السبب حقيقة اعجبني كذا اي ظهر لي ظهورا بالمرئ
 سببه انتهى لما ذكر سبحانه طائفة المسلمين بقوله ومن الناس من يقول عقب ذلك بلذكر
 طائفة المنافقين وهم الذين يظهرن الايمان ويطنون الكفر وقيل انها نزلت في قوم من
 المنافقين وقيل انها نزلت في كل من اضم كفرا ونفاقا او كذبا واظهر بلسانه خلافا ويشهد

اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ أَيْ أَنَّهُ يُحْلِفُ عَلَى خَلْقِ قَوْلِ إِنْ بَلَكَ مُؤْمِنٌ وَلَكَ حُجْبٌ وَيَقُولُ اللَّهُ يَعْلَمُ
 إِنْ أَقُولُ حَقًّا وَإِنِّي صَادِقٌ فِي قَوْلِي لَكَ وَأَنْ مَا فِي قَلْبِي مُوَافِقٌ لِقَوْلِي وَهُوَ كَذِبُ الْخَصَامِ أَيْ
 شَدِيدِ الْخُصُومَةِ يُقَالُ رَجُلٌ كَذَّابٌ وَامْرَأَةٌ كَذَّاءٌ وَالْخَصَامُ مُصَدِّرُ خَصَمٍ قَالَهُ الْخَلِيلُ وَقِيلَ جَمْعُ خَصِيمٍ
 قَالَهُ الزَّجَاجُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَشَدُّ الْمُخَاصِمِينَ خُصُومَةً لِكَثْرَةِ جِدَالِهِ وَقُوَّةِ مُرَاجَعَتِهِ وَكَأَصْفَافَةٍ بِمَعْنَى فِي
 أَيْ لَدَى الْخَصَامِ وَجَعَلَ الْخَصَامَ الدَّعَى الْبَالِغَةَ بِشَدِيدِ الْجِدَالِ فِي الْبَاطِلِ وَهُوَ كَذِبُ الْقَوْلِ وَقِيلَ شَدِيدُ
 الْقَسْوَةِ فِي الْعَصِيَّةِ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَيَعْمَلُ بِالْخَطِيئَةِ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى قَالَ ابْغِضِ الرَّجَالَ
 إِلَى اللَّهِ أَلَا لِي الْخَصَمُ أَخْرَجَهُ الْخَارِجِيُّ وَمُسْلِمٌ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا أَيْ إِذَا دَبَرَ
 وَذَهَبَ عَنْكَ يَا حَمْدُ صَلَواتُكَ وَقِيلَ أَنَّهُ بِمَعْنَى ضَلَّ وَغَضِبَ وَقِيلَ أَنَّهُ بِمَعْنَى الْوَلَايَةِ أَيْ إِذَا كَانَ وَالِيًا
 يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ وَلَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّعْيُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسَّعْيِ بِالْقَدَمَيْنِ
 إِلَى مَا هُوَ فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ كَقَطْعِ الطَّرِيقِ وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ وَحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ قَا
 يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْعَمَلُ فِي الْفُسَادِ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَعْيٌ بِالْقَدَمَيْنِ كَالْتَدْبِيرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
 بِمَا يُضَرُّهُمْ وَأَعْمَالُ الْحِيلِ عَلَيْهِمْ وَكُلٌّ عَلَى يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ بِجَوَارِحِهِ أَوْ حَوَاسِهِ يُقَالُ لَهُ سَعْيٌ وَهَذَا
 هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ هَذِهِ آيَةِ وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ مِنْ عَطْفٍ مُخَاصٍ عَلَى الْعَامِّ فَإِنَّ الْفُسَادَ
 أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ فَيَشْمَلُ سَفْكَ الدَّمَاءِ وَنَهْبَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَالْمُرَادُ بِالْحَرْثِ الزَّرْعُ وَالنَّسْلُ
 الْأَوْلَادُ وَقِيلَ الْحَرْثُ النِّسَاءُ قَالَ الزَّجَاجُ وَذَلِكَ لِأَنَّ النِّفَاقَ يُؤَدِّي إِلَى تَفْرِيقِ الْكَلِمَةِ وَوُقُوعِ
 الْقِتَالِ وَفِيهِ هَلَاكُ النَّسْلِ وَقَالَ عَمَّا هَذَا الْحَرْثُ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَالنَّسْلُ نَسْلُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ
 النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ مَعْنَى آيَةِ يَلِي فِي الْأَرْضِ فَيَعْمَلُ فِيهَا بِالْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ فَجَبَّرَ
 اللَّهُ بِذَلِكَ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ الْكَسْبُ الْقَطْرُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ نَسْلُ كُلِّ دَابَّةٍ
 وَاصِلُ الْحَرْثِ فِي اللُّغَةِ الشَّقُّ وَمِنْهُ الْحَرْثُ لِمَا يَشْتَقُّ بِهِ الْأَرْضُ وَالْحَرْثُ كَسْبُ الْمَالِ وَجَمْعُهُ
 وَاصِلُ النَّسْلِ فِي اللُّغَةِ الْخُرُوجُ وَالسَّقُوطُ وَمِنْهُ نَسْلُ الشَّعْرِ وَمِنْهُ أَيْضًا إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسَلُونَ وَمِنْ كُلِّ
 حَذَبٍ يَنْسَلُونَ وَيُقَالُ لِمَا خَرَجَ مِنْ كُلِّ نَسْلِ نَسْلٍ خَرَجَ مِنْهَا وَآلَهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ يَشْمَلُ كُلَّ
 نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ مَا فِيهِ فُسَادُ الدِّينِ وَمَا فِيهِ فُسَادُ الدُّنْيَا وَاحْتِجَّتِ الْمُعْتَرِضَةُ بِهَذَا
 آيَةِ عَلَى أَنَّ الْحَبَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِرَادَةِ وَاجِبٌ عَنْهُ أَنَّ الْإِرَادَةَ مَعْنَى غَيْرِ الْحَبَّةِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

قد يريد شيئاً ولا يحب به كذا والمثل يتناوله ولا يحبه فبان الفرق بينهما وقيل ان المحبة مدح
 الشيء وتعظيمه والارادة لمخلات ذلك فلا قيل له اي على سبيل النصيحة وهي مستأنفة او معطوفة
 على عجبك **اشق الله** اي خفا الله في سره وعلا شريك احدته العزة بالاثم العزة القوة
 والغلبة من عزة يعززه اذا غلبه ومنه وعز في الخطاب وقيل العزة هنا الحمية والانفة
 وقيل المنعة وشدة النفس والمعنى حملته العزة على فعل الاثم من قولك اخذته بكذا اذا
 حملته عليه والزمته اياه قاله انه محشري وقيل اخذته العزة بما يؤتمه اي ارتكب الكفر للعزة
 ومنه بل الذين كفروا في عزة وشقاق وقيل الباء في قوله بالاثم بمعنى اللام اي اخذته الحمية
 عن قبول المواعظ الذي في قلبه وهو النفاق وقيل الباء بمعنى مع اي اخذته العزة مع كلف
 وقيل للسببية اي ان اثمه كان سبباً لاخذ العزة له وفي هذه الآية التميم وهو نوع
 من علم البديع وهو عبارة عن ارداد الكلمة باخرى ترفع عنها اللبس وتقربها الى الفهم وذلك
 ان العزة تكون محمودة ومذمومة فمن عجزها محمودة قوله تعالى والله العزة لرسوله للمؤمنين
 فلما طلقت لتوهم فيها بعض من لا داية له انها المحمودة فقيل بالاثم توضيحاً للبدع فرفع اللبس
 به قاله السمين قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقول الرجل لاخيه اتق
 الله فيقول عليك بنفسك انت تأمرني وعن سفيان قال قال رجل لما لك بن مغول اتق الله
 فسقط فوضع خذله على الارض فواضعا لله **فحسبه جهنم** اي كافيه معاقبة وجزاء كما تقول
 للرجل كفارك ما حل بك وانت تستعظم عليه ما حل به وحسب اسم فاعل وقيل اسم فعل وكس
المهاد جمع المهد وهو الموضع المهيأ للنوم ومنه مهمل الصبي وقيل اسم مفرد سمي به الفراش
 الموطأ للنوم وسميت جهنم بها لانها مستقرة الكفار وقيل المعنى انها بدل لهم من المهاد
 كقوله فيشره بعد ابائهم وقال مجاهد بشما مهد ولا تقسم وقال ابن عباس يش من المنزل
 وهذا من باب التحكم والاستهزاء ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله
 يشري بمعنى يبيع اي يبيع نفسه في مرضاة الله كاجياد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 فتادة هم المهاجرون والانصار ومثله قوله تعالى وشروا بمن نجس واصلاه الاستبداد ومنه
 قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمرضاة الرضاء قال

ابن عباس ثلاث في سرية الرجوع وكانت بعد احد وفي البخاري تمام قصته عن حديث
 ابي هريرة فان شئت فارجع اليه والله راوت يا ابي عبد وجه ذكر الرافة هناك ان عليه
 ما وجبه ليجازيهم ويتلبيهم عليه فكان ذلك رافة لهم ولطفابهم ومن رافته ان جعل
 النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رافته انه يقبل توبة عبده وانه لا
 يحلف نفسا الا وسعيا وان المصير على الكفر ولو مائة سنة اذا تاب ولو لحظة اسقط عنه
 عقاب تلك السنين واعطاءه الثواب الدائم ومن رافته ان نفس العباد واموالهم له ثمراته
 يشترى ملكه بملكه فضلائه ورحمة واحسانا وهذه اربعة اقسام اشتملت عليها تيك
 الايات الكريمات اولها راغب في الدنيا فقط ظاهرا وباطنا والثاني راغب فيها وفي الاخرة
 كذلك والثالث راغب في الاخرة ظاهرا وفي الدنيا باطنا والرابع راغب في الاخرة ظاهرا و
 باطنا معرض عن الدنيا كذلك يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً لما ذكر سبحانه
 ان الناس ينقسمون الى ثلاث طوائف مؤمنين وكافرين ومنافقين امرهم بعد ذلك كما
 يكون على حلة واحدة وانما اطلق على الثلاث الطوائف لفظ الايمان لان اهل الكتاب
 مؤمنون بنبيهم وكتابهم والمنافق مؤمن بلسانه وان كان غير مؤمن بقلبه والسلم بفتح
 السين وكسرها قال الكسائي معناهما واحد فكنا عند البصريين وهما جميعا يقعان السلام
 والمسالمة وقال ابو عمرو بن العلاء بالفتح للمسالمة وبالكسر الاسلام وانكر المبرد هذه التفرقة
 وقال الجوهري السلم بفتح السين وبكسر ويدكر ويؤنث واصله من الاستسلام والاقتداء
 ربح الطبري انه هنا بمعنى الاسلام وقد حكى البصريون في سلم وسلم وانها بمعنى واحد
 وكافة حال من السلم ومن ضمير المؤمنين فعناء على الاول لا يخرج منكرا واحدا وعلى الثاني
 لا يخرج من انواع السلم شي بل ادخلوا فيها جميعا اي في خصال الاسلام وهو مشتق من
 قولهم كففت اي منعت اي لا يمنع منكرا احد من الدخول في الاسلام والكف المنع والوارد
 به هنا الجميع ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا الطريق التي يدعونكم اليها الشيطان
 وقيل لا تلتفتوا الى الشبهات التي تلقونها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة
 لان من اتبع سنة انسان فقد اتبع اثره وقد تقدم الكلام على خطوات الله لكم عد ومبين

يعني الشيطان وانه يحاول ايصال الضرر والبلاء اليك وان الله بين صداوته ما هي فكأنه
صديق وان لم يشاهد وهذا البيان بالنسبة لمن اتا الله قلبه واما خيرة فهو حليف وَأَن ذُكِّرْتُم
اي تحييم عن طريق الاستقامة واصل الزلل في القدم ثم استعمل في الاعتقادات والآراء
وغير ذلك يقال نزل يزل ذلك ولا وزلوا اي دحضت قدمه والمعنى فان ملتم وضلتم
واشركتم وعصيتهم عن الحق من بعد ما جاءكم تَكُومُ الْبَيْنَاتُ اي الحجج الواضحة والبراهين الصحيحة على
ان الدخول في الاسلام هو الحق فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ لا يعجز شيء عن الانقام منكم
حَكِيمٌ لا ينتقم الا الحق وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق او عنده شبهة في
الدين هَلْ يَنْظُرُونَ استفهام انكاري اي ينتظرون يقال نظرته وانتظرته بمعنى والمراد
هل ينتظرون الزوال التاركون للدخول في الاسلام والمتبعون خطوات الشيطان فهو النفاق
الى الغيبة للايدان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جنائتهم لما عداهم
من اهل الانصاف على طريق الاها نَقَرْنَا أَن يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ بِمَا وَعَدُهُمْ من احساب العذاب
استثناء مفرغ من مقدري ليس لهم شيء ينتظرونه الا اتيان العذاب وهذا مبالة في حقهم
فِي ظُلٍّ جمع ظلة وهي ما يظلك وقال لا تخش وقد يحتمل ان يكون معنى الاتيان راجعا الى الجزاء
فسمي الجزاء اتيانا كما سمي العقوبة التعذيب قصة نوح اتيانا فقال فاق الله بنيانهم من القواحه
وقال في قصة النضير فانهم الله من حيث لم يحتسبوا وانما احتمل الاتيان هذا لان اصله عند
اهل اللغة القصد الى الشيء فمعنى الآية هل ينظرون الا ان يظهر الله فعلا من الافعال مع خلق
من خلقه يقصد الى محاربتهم وقيل ان المعنى يايتهم امر الله وحكمه وقيل ان قوله في ظلال بمعنى
بظل وقيل المعنى يايتهم بياسه في ظلل من الغمام يعني السحاب الرقيق الابيض سمي بذلك لانه
يغم اي يسترو وجه اتيان العذاب في الغمام على تقدير ان ذلك هو المراد ما في محي الخوف من
عمل الامن من القضاة وعظم الموقع لان الغمام مظنة الرحمة لا مظنة العذاب وهذا البالغ في
تبكيهم وتنفيعهم اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اجمع الله الاولين والآخرين
لميقات يوم معلوم قيا كما شاخصه ابصارهم الى السماء ينظرون فصل القضاء وينزل الله في
ظلل من الغمام من العرش الى الكرسي وعن ابن عباس قال يهبط حين يهبط ويبرز حين يهبط سبعون

الجباب منها النور والظلمة والماء فيسقط الماء في تلك الظلمة صوتا يخلع له القلوب
وعن ابن عباس ياتي الله يوم القيامة في ظل من السحاب قد قطعت طاقات والتقد في ظل
كائمة من الغمام ومن على هذا التبعض او من ناحية الغمام وهي على هذا ابتداء الغاية والمملكة
اي وتاتيهم المملكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هي لا تون بياسه على الحقيقة و
قري بالبحر عطف على ظل او على الغمام فتوصف المملكة بكونها ظلالا على التشبيه قال عكرمة و
المملكة تعوله وقيل حول الغمام وقيل حول الرب تعالى وهذه من ايات الصفات والعلية
فيها وفي احاديث الصفات مذهب ان احدهما الايمان والتسليم لاجاء في ايات الصفات اتحاد
ووجوب الاعتقاد بظاهرها والايمان بها كما جاءت واحالة علمها الى الله تعالى مع تنزيهه
سبحانه عن التشبيه والتمثيل والتحريف والتبديل والتعطيل وهو قول سلف هذه الامة و
وامتها قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وكان ابن عيينة والزهري والاوزاعي ومالك وابن
المبارك والثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه يقولون في هذه
الاية وامثالها اقروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل ولا تعطيل هذا مذهب علم
اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى عقيدين ان ليس مثل صفات
ولا ذاتة شيء عقيقة صائب تسلم ايات الصفات بكسرها + واجراءها للظاهر المتقارب
ونويس عنها كنه فهم عقولنا + وتاويلنا فعل اللبيب الغالب + وترك التسليم سفنا فانها
لتسليم دين المرء خير المراكب + والثاني التاويل لها بما يتناسب تنزيهه سبحانه وتعالى عند
وهو قول جمهور علماء المتكلمين واصحاب النظر كما قالوا في هذه الآية هي الله هو محي الايات او
محى امر الله او علم الله فانكروا امر الصفات على ظاهرها واجرائها على ما اراد الله وهذا
خلاف ما عليه سلف الامة وامتها وقد اوضحنا ذلك في كتابنا الانقاذ الرجيم وبغية الرائد
بما لا يحتاج الناظر فيها الى غيرها وقضي الامر عطف على يائهم داخل في جزر الانظار وانما
عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان اوجله مستانفجي بها للدلالة على
ان مضمونها واقع لا محالة اي وفرغ من الامر الذي هو هذا لكم قال عكرمة قضي الامر اي قامت
الساعة والى الله ترجع الامور اي امور العباد في الآخرة لا الى غير المراد من هذا اعلام الخلق

انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب سَلَّ بَنِي إِسْرَآئِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ
 المأمور بالسؤال هو النبي صلعم ويجوز ان يكون هو كل فرد من السائلين وهو سؤال
 تقرير وتوبيخ والمسئول عنهم يهود المدينة وكرم اما استفهامية للتقرير وخبرية للتكثير الآية
 البراهين التي جاء بها انبياءهم في امر محمد صلعم وقيل المراد بذلك الايات التي جاء بها موسى
 وهي تسع قال ابو العاكية انا هم الله ايات بينات عصا موسى ويده واقطعهم البحر واغرق
 عدوهم وهم ينظرون وظل من الغمام واتزل عليهم المن والسلوي واشتات الحجي للايات من
 الاستعارة وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ الْمَرَادُ بِالنِّعَةِ هُنَا مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ
 وقال ابن جرير الطبري النعمة هنا الاسلام والظاهر دخول كل نعمة انعم الله بها على كل عبد من
 عباده كائنا من كان توقع منه التبدل لها وعدم القيام بشكرها ولا ينافي ذلك كون السياق
 في بني اسرائيل او كونهم السبب في التزل لما تقر من ان الاعتبار يعمو للفظ لا بخصوص السبب
 فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فِيهِ مِنَ التَّرْهِيكِ التَّخْوِيفُ مَا لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 الْحَقِيقَةُ أَنَّ اللَّهَ نَيَّا النَّارِ هُوَ الشَّيْطَانُ بَانَ وَسُوسَ لَهُمْ وَمَنَّا لَهُمْ إِلَى الْكَادِبَةِ وَذَلِكَ حَقِيقَةُ
 كما قال سعد النقاشاني وحي به ماضيا دلالة على ان ذلك قد وقع وفرغ منه والمزين لانفس
 المحبوبة على حب العاجلة وزين مبيد للجھول وقرئ بفتح الزاء والمزين هو الله بيان خلق الاشياء
 العجيبة ومكنهم منها اذ ما من شيء الا وهو خالقه وعلى هذا المسند والاسناد مجاز لان خذله
 اياهم صار سببا لاستحسانهم الحياة الدنيا وتزيتها في اعينهم والمراد بالذين كفروا رؤساء
 قريش او كل كافر وانما خص الكفار بالذكر مع كون الدنيا مزينة للمسلم والكافر كما وصف سبحانه
 بانه جعل ما على الارض زينة لها ليلبوا الخلق ايهم احسن عملا لان الكافر اقتن بهذا التزيين
 واعرض عن الآخرة والمسلم لم يقتن به بل اقبل على الآخرة والمعنى حسنت في اعينهم ثم اشتر
 حجتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها ويخشرون من الذين
 آمنوا أي واحال ان اولئك الكفار يستغفرون من المؤمنين لكونهم فقراء لاحظ لهم من الدنيا
 كحذر رؤساء الكفر واساطين الضلال وذلك لان عرض الدنيا عند هو الامر الذي يكون
 من ناله سعيدا راجا ومن حرمه شقيفا سارا وقد كان غالب المؤمنين اذ ذاك فقراء لا شغلا

بالعبادة وامر الآخرة وعد النفاةم الى الدنيا وزينتها وحكى الاخفش انه يقال سخرت منه
 وسخرت به وضحك منه وضحك به ولا سم السخرية والسخرى وجيء به مضارعاً دلالة على
 التبريد والحدوث ولما وقع من الكفار ما وقع من السخرية بالمومنين رد الله عليهم بقوله
 وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والمراد بالفوقية هنا العلوية الدرجة لانهم في الجنة
 والكفار في النار ويحتمل ان يراد بالفوق المكان لان الحق في السماء والنار في اسفل سا فلان
 ان المؤمنين هم الغالبون في الدنيا كما وقع ذلك من ظهور الاسلام وسقوط الكفر وقتل
 اعداءه واسرهم وتشريدهم وضم الجزية عليهم ولا مانع من حمل الآية على جميع هؤلاء التقيد
 بكونه في يوم القيامة وفيه دلالة على ان فوقية من اجل التقوى وفيه تحريضهم على الانصاف
 به اذا سمعوا ذلك اولاد ان بان اعراضهم عن الدنيا لا لاعتقائها عنها لكونها شاغلة عن جانب
 القدس عن حادثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم يا هبل الجنة كل
 ضعيف مستضعف لو اقسام على الله لا يره الا اخبركم يا هبل النار كل عتل جواظ عطري مستبكر
 اخرجه الشيخان وعن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قُتِلَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فُكَّانٌ عَامِرَةٌ
 مِنْ دَخَلُهَا الْمَسَاكِينُ وَاصْحَابُ الْبُحْدِ مَحْبُوسُونَ غَيْرَ ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقُتِلَ
 عَلَى بَابِ النَّارِ فَاِذَا عَامِرَةٌ مِنْ دَخَلُهَا النِّسَاءُ اخْرَجَهُ الْبُخَّارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ
 يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ يحتمل ان يكون فيه اشارة الى ان الله سبحانه سيزق المستضعفين
 من المؤمنين ويوسع عليهم ويجعل ما يعطيهم من الرزق بغير حساب اي بغير تقدير لان
 ما يدخل عليه الحساب فهو قليل ويحتمل ان المعنى ان الله يوسع على بعض عباده في الرزق
 كما وسع على اولئك الرؤساء من الكفار استدراجاً لهم وليس في التوسعة دليل على ان من
 وسع عليه فقد رضي عنه ويحتمل ان يراد بغير حساب من المرزوقين كما قال تعالى ويرزقه
 مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهَا لَيْسَ عَلَى اللَّهِ رَقِيبٌ لَا مِنْ يَحْسَبُهُ وَقَالَ سَعِيدُ
 بْنُ جَبْرِ لَا يَحْسَبُ سَبَابُ الرَّبِّ وَقِيلَ يَرْزُقُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَحْسَبُهُ فِي الْآخِرَةِ وَقِيلَ يَرْزُقُهُ بِغَيْرِ
 اسْتِحْقَاقٍ وَقِيلَ لَا يَخَافُ نَفَادَ مَا فِي خَزَائِنِهِ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى حِسَابٍ قَلِيلٍ لَا يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى
 قَدَرِ حَاجَتِهِ بَلْ يُعْطَى الْكَثِيرُ لِمَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً أَلَيْسَ كُنُفَا

متفقين على دين واحد وهو الاسلام فاختلّفوا واختلّف في الناس فقيل هم بنو آدم
حين اخرجهم الله نسما من ظهر ادم عن ابي بن كعب قال كانوا امة واحدة حين عرضوا على ادم
فغطّرهم على الاسلام واقرّوا بالعبودية وكانوا مسلمين ثم اختلفوا من بعد ادم وقيل ادم
وحده قاله مجاهد وسمي ناسكانه اصل النسل وقيل ادم وصوى وقيل المراد القرون الاولى
التي كانت بين ادم ونوح وهي عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلّفوا قاله ابن عباس
وقيل المراد نوح ومن في سفينة وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم الى ان غير عمر بن لحي
وقيل كانوا على الكفر والباطل بل ليل قوله فبعث الله النبيين واحكم للغالب الاول اول قال
ابو المسعود وهو الانسب بالنظم الكريم وقيل ليس في الآية ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر
فهو موقوف على دليل من خارج وقيل المراد الاخبار عن الناس الذين هم اجنس كله انهم كانوا
امة واحدة في خلوقهم عن الشرائع وجمالهم بالحقائق لو كان الله من عليهم بارسال الرسل والامة
ماخوذة من قولهم ائمت الشيء اي قصدته اي مقصدهم واحد غير مختلف فبعث الله النبيين
قيل الانبياء جملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكور
منهم في القرآن باسماء الالهام ثمانية وعشرون نبيا والله اعلم مبشرين بالانوار لمن وطّأ
ومُنذرين بالعقاب لمن كفر وعصى وانزل معهم الكتاب في الجنس وقيل المراد بالتوراة
وانزل مع كل واحد الكتاب وحملته الكتاب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب كما قيل بالكتاب
الصدق والعدل والمراد هنا الحكم والفوائد والمصالح ليحكم بين الناس مسند الى الكتاب في قول
الجمهور وهو مجاز مثل قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقيل ان المعنى ليحكم كل نبي بكتابه قيل
ليحكم الله فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه فقيل
الضمير في فيه راجع الى ما في قوله فيما والضمير في قوله وما اختلف فيه يحتمل ان يعود الى الكتاب
ويحتمل ان يعود الى المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وآله النجاشي ويحتمل ان يعود الى الحق الذي اختلفوا فيه
اي او نوا الكتاب او اتوا الحق او اتوا النبي صلى الله عليه وآله اعطوا علمه من بعد ما جاءتهم اليك
اي الدلائل الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والظاهرة على التوحيد بغيا بينهم اي لم يتفقوا
الا على اي الحسد والحسد على الدنيا وطلب ملكها وزخرفها اياهم يكون له الملك والمهابة في الناس

وفي هذا سنبيه على السفة في فعلهم القبيح الذي وقعوا فيه لانهم جعلوا نزول الكتاب سببا
 في شدة اختلاف فهدى الله الذين آمنوا اي امة محمد صلوات الله عليهم اختلفوا فيه من الحق اي الى
 الحق ومن البيان ان التبعية من ذلك لما بين لهم في القرآن من اختلاف من كان قبلهم قيل
 معناه فهدى الله امة محمد صلوات الله عليهم بالتصديق بجميع الكتب بخلاف من قبلهم فان بعضهم كذب
 كتاب بعض وقيل ان الله هداهم الى الحق من القبلة وقيل هداهم ليوم الجمعة وقيل هداهم
 لا اعتقاد الحق في عيسى بعد ان كذبته اليهود وجعلته النصارى ربا وقيل المراد بالحق الاسلام
 وقال الفراء ان في الآية قلبا وتقديره فهدى الذين آمنوا بالحق لما اختلفوا فيه واختاره ابن
 جرير وضعفه ابن عطية ياذنه قال الزجاج معناه بعلمه وقال النحاس هذا غلط والمعنى بامره
 وارادته والله يهدي من يشاء من عباده الى صراط مستقيم اي طريق سوي اخصبهم
 ان تدخلوا الجنة ام هنا منقطعة بمعنى بل وحكي بعض اللغويين انها قد تحي بمثابة ههنا ^{ستفها}
 يبتدئ بها الكلام فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير ولا نكاراي احسبتم دخولكم الجنة
 واقعا والغرض من هذا التوجيه تشجيعهم على الصبر وحتم عليه وحسب هنا من اخوات ظن و
 قد تستعمل في اليقين وكما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الوالحال ولما معنى لما في الحال
 انكم يا كرم مثاهم بعد لم تبطلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة و
 الشدة وهو متوقع منتظر ولم تخفوا بمثل ما اصدق به من كان قبلكم فصبروا كما صبروا وادكر الله
 سبحانه هذه التسلية بعد ان ذكر اختلاف الامم على انبيائهم تثبيتا للمؤمنين وتقوية لثقتهم
 ومثل هذه الآية قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله
 انما احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون مستتهم استئناف بيان لقوله اصل
 الذين خلوا الباساء والضيق قد تقدم تفسيرهما وركزوا الزلزلة شدة الخوف تكون في
 الاشخاص وفي الاقوال يقال زلزل الله الارض زلزلة وزلزلا بالكسر فتزلزلت اي تحركت و
 اضطربت فمعنى زلزلوا خوفوا وانزعجوا ازعجا شديدا وحركوا بانواع البلايا والرزيا وقال
 الزجاج اصل الزلزلة نقل الشيء من مكانه فاذا قلت زلزلة فمعناه كررت زلله من مكانه
 حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي اسقم ذلك الى غاية هي قول الرسول ومن معه

ابي صاحبوه في الايمان وحتى بمعنى الى وان مضمرة اي الى ان يقول وهي غايته
 لما تقدم من المس والزوال وذلك لان الرسل اثبتت من غيرهم واصبر
 واضبط للنفس عند نزول البلايا وكذلك اتبعهم من المؤمنين متى نصروا
 الله مستظرون زمان لا يتصرف الا بحسرة بحرف والرسول هنا قيل هو محمد
 صلى الله عليه وسلم وقيل هو شعيب وقيل هو كل رسول بعث الى امته وقالت طائفة في الكلام
 تقديره وتأخيرا اي حتى يقول الذين امنوا متى نصر الله ويقول الرسول الا ان نصر الله قريب لا
 يحكي لهذا التكلف لان قول الرسول ومن معه متى نصر الله ليس فيه الاستحالة النص من
 الله سبحانه وليس فيه ما زعموه من الشك والارتباك حتى يحتاج الى ذلك التأويل المتعسف
 قال قتادة تزلت هذه الآية في يوم الاحزاب وهي غزوة اخيذ اصحاب النبي صلوا يومئذ
 واصحابه بلاء وحصر وقيل تزلت في غزوة احد وقيل غير ذلك وقال ابن عباس اخبر الله المؤمنين
 ان الله ينادي بلاء وانه مبتليهم فيها واخبرهم انه هكذا فعل بالنبيا كنه وصفوته لتطيب انفسهم
 والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشد والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة
 فلما بلغ الحال في الشدة الى هذه الغاية واستطبق النص قيل لهم الا ان نص الله قريب اجابة
 لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشد عن دينهم الى ان يأتينهم نصر الله
 فلو نواياكم عشر المسلمين كذلك وتحموا الاذى والشد والمشفة في طلب الحق فان نصر سبحانه
 قريب تيانه لا بعيد وفيه اشارة الى ان المراد بالقرب القرب الزماني وفي ايتار الجملة الاسمية على
 الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها
 ونقد ما لا يخفى يسألونك ماذا ينفقون السائلون هنا هم المؤمنون سألوا عن الشيء الذي
 ينفقونه ما هو اي ما قدره وما جنته قل ما أنفقتم من خير فاجيبوا ببيان المصروف الذي
 يصرفونه فيه تنبيها على انه الاول بالقصد لان الشيء لا يعتد به الا اذا وضع في موضعه وصار
 مصروفه وقيل انه قد تضمن الآية بيان ما ينفقونه وهو كل خير وقيل انما سألوا عن وجوه البركة
 ينفقون فيها وهو خلاف الظاهر وما شرطية وقيل موصولة والاول اولى لتوافق ما بعدها
 فلما لا دين قد همما الوجوب حقا على الولد لانها السببية وجودة والا فربان قد همما لان الانسان

لا يقدر ان يقوم بمصلح جميع الفقراء فقد بر القربة اول من غيرهم ولا نهم ابعاض الوالدين
واليتامى لانهم لا يقدر ان على الكسب ولا لهم منفق وقد تقدم الكلام في الاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل اي هو اول به وانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الاتفاق وكيف
ضامه ثم اتبعه بالاجمال فقال وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ اي مع هؤلاء وغيرهم طلبا لوجه الله ورضوانه
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فيما اذ يكرم عليه قال بن مسعود نستخها آية الزكوة وقال الحسن انها حكمة وقال ابن
زيد هذا في النقل اي التطوع وهو ظاهر الآية فمن احب التقرب الى الله بالاتفاق فالاول به ان يتفق
في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الاول فالاول ولم يذكر فيها السائلين والرقاب كما في الآية
الاخرى اكفاء بها او بعموم قوله وما تفعّلوا من خير فانه شامل لكل خير وقع في اي مصرف كتبت
عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّةُ كُرَّةٍ بين سبحانه ان هذا اي فرض القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به
والمراد بالاتفاق قتال الكفار والكفرة بالعلم المشقة وبالفتح ما اكرهت عليه ويجوز الضم في معنى الفتح
فيكونان لغتين وانما كان الجهاد كرها لان فيه اخراج المال ومفارقة الاهل والوطن والنفس
لذ هاب النفس وفي التعبير بالمصدر وهو كره مبالغة ويحتمل ان يكون بمعنى المكروه كما في قولهم لَا يَكُونُ
ضربا لامير قبل الجهاد فرض على كل مسلم ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلّم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجر الخرجه ابوداود وزيادة فيه وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلّم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا
وقيل الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلّم دون غيرهم وبه قال الثوري و
الاوزاعي والاول اولي الجمع هو على انه فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي قال
الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدا والولم يجاهدوا فمن غزا فيها ونصت ومن قعد فهو عدو
ان استعين به اعان واذا استنفرتم فنفروا ان استغنى عنه قعد وقيل فرض عين ان دخلوا بلادنا
وفرض كفاية ان كانوا بلادهم عسى ان تكرر هو شيئا قيل عسى هنا بمعنى قدر روي ذلك عن
الاصم وقال ابو عبيدة عسى من الله ايجاب والمعنى عسى ان تكرر هو الجهاد طبعاً كما فيه المشقة
واما شرعاً فهو محبوب واجب ولا يلزم منه ما قاله سعد النخعي ان كراهة حكم الله ومحبة خلا
وهو ينافي كمال التصديق لان معناه كراهة نفس ذلك الفعل ومشقته مع كمال الرضاء بالحكم والادعاء

وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ فَرِيحًا تَغْلِبُونَ وَتَغْلِبُونَ وَتُجْرُونَ وَمِنْ مَاتَ مَاتَ شَهِيدًا وَالْوَاوُ
 الْحَالُ وَصِفَةٌ وَعَلَيْهِ جَرَى أَبُو الْبَقَاءِ عَنَا وَالرَّحْمَنِيُّ فِي قَوْلِهِ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ وَهُوَ رَأْيُ ابْنِ حَبِيزَانَ
 وَسَائِرِ الْفُجَرَاءِ يَخَالِفُونَهُ وَعَسَى أَنْ يُجِبُوا شَيْئًا أَيْ الدَّعَاةَ وَتَرَكَ الْقِتَالَ وَهُوَ شَرُّ لَّكُمْ فَرِيحًا
 يَتَقَوَّى عَلَيْكُمْ الْعَدُوُّ وَفِي غَلَبِكُمْ وَيَقْصِدُكُمْ إِلَى عَقْرِ دِيَارِكُمْ فَيُحِلُّ بِكُمْ أَسْهُدًا فَتُفَوِّزُهُ مِنَ الْجِهَادِ
 الَّذِي كَرِهْتُمْ مَعَ مَا يَضُرُّكُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ الْعَاجِلَةِ وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ
 وَفَلَاحُكُمْ وَمَا أَحْوَجُكُمْ وَمَا فِي الْجِهَادِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالْأَجْرِ وَالْخَيْرِ فَلَنْ يَأْمُرَكُمْ بِهِ وَأَنْتُمْ لَا
 تَعْلَمُونَ ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ تَكْرَهُونَهُ قِيلَ إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ نَاسِخَةٌ لِلْعَفْوِ عَنِ الْمَشْرِكِينَ وَقِيلَ مَنْسُوخَةٌ لِأَنَّ فِيهَا
 وَجُوبَ الْجِهَادِ عَلَى الْكَافَّةِ وَالنَّاسِخُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً وَقِيلَ إِنَّهَا نَاسِخَةٌ
 مِنْ وَجْهِهِ وَمَنْسُوخَةٌ مِنْ وَجْهِهِ فَالْنَّاسِخُ مِنْهَا الْإِجَابُ بِالْجِهَادِ مَعَ الْمَشْرِكِينَ بَعْدَ الْمَنْعِ مِنْهُ وَالْمَنْسُوخُ الْإِجَابُ
 بِالْجِهَادِ عَلَى الْكَافَّةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَوَجُوبِهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ لَا يَتَسَمَّعُ الْمَقَامُ لِبَسْطِهَا
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ أَيْ الْقِتَالُ فِيهِ أَمْرٌ كَبِيرٌ
 مُسْتَكْرٍ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ الْمُرَادُ بِهِ الْجَنَسُ وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَسْفِكُ فِيهِ دِمَاءً وَلَا تَغِيرُ عَلَى عَدُوِّ
 وَلَا شَهْرًا حَرَمًا هِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَحَرَمٌ وَرَجَبٌ ثَلَاثَةٌ سَرَدٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ وَهَذِهِ الْأُمُورُ
 ذُنُوبٌ وَأَشْدُّهَا مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ كَذَا قَالَ الْمُبَرِّدُ وَغَيْرُهُ قِيلَ إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْغَزْوُ
 فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِلَّا بِطَرِيقِ الدَّفْعِ وَقِيلَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَبِقَوْلِهِ
 قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً وَبِهِ قَالَ الْجَهْمُ وَصَدَّقَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَيْ صَدَقَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْكُفْرِ وَأُصْدِرَ
 عَنْ الْإِسْلَامِ مِنْ يَدَيْهِ وَكُفْرِهِمُ الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ وَقِيلَ إِلَى الْكُفْرِ وَكُفْرِهِمُ الْأَحْرَامُ أَيْ وَصَدَقَ
 عَنْهُ قَالَهُ الرَّحْمَنِيُّ وَغَيْرُهُ وَتَعَقَّبَ بَانَ عَطَفَ قَوْلَهُ وَكُفْرَهُ عَلَى صَدَمَانِ مِنْهُ أَيْ لَا يَتَقَدَّمُ
 عَلَى الصَّلَاةِ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ لَوْ جُودَ الْفَصْلُ بِأَجْنَبِيٍّ وَاجِبٌ بَانَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَالصَّدْعُ عَنْ سَبِيلِ
 مُحَمَّدٍ أَيْ مَعْنَى فَكَانَ لَا فَصْلَ بَيْنَ سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ وَخَرَجَ أَهْلُهُ مِنْهُ يَعْنِي
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ حِينَ أَذْهَبُوا حَتَّى هَاجَرُوا وَتَرَكُوا مَكَّةَ وَأَنَّمَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَهْلًا
 لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْقَائِمِينَ بِحَقِّ السَّجْدَةِ الْحَرَامَةِ وَالْمَشْرِكِينَ وَمَعْنَى الْآيَةِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجَهْمُ
 أَنْكُمْ تَأْتُرُونَ تَسْتَعْطُونَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَمَا تَفْعَلُونَ أَنْتُمْ مِنَ الصَّدْعِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

لمن اراد الاسلام ومن الكفر بالله ومن الصد عن المسجد الحرام ومن اخراج اهل الحرم منه اكبر
 جرما عند الله وسبب النزول يشهد لهذا المعنى ويفيد انه المراد فان السؤال منهم المذكور في
 هذه الآية هو سؤال انكار لما وقع من السرية التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم وَالْفِتْنَةُ الْكُبْرُ مِنَ الْقَتْلِ
 المراد بالفتنة هذا الكفر والشرك قاله ابن عمر اى كفركم اكبر من القتل الواقع من السرية
 التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالفتنة اخراج اهل الحرم منه وقيل المراد بالفتنة هنا
 فتنهم عن دينهم حتى يهلكوا اى فتنة المستضعفين من المؤمنين او نفس الفتنة التي الكفار
 عليها وهذا راجح من الوجهين الاولين لان الكفر والاخراج قد سبق ذكرهما وانهما مع
 اكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام وعن سفيان الثوري هذا شي منسوخ ولا بأس بالقتال
 في الشهر الحرام وعن ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة ولا يزالون
يَقَاتِلُونَكُمْ ابْتِدَاءَ كَلَامٍ يتضمن الاخبار عن الله عز وجل المؤمنين بان هؤلاء الكفار والمشركين
 لا يزالون مستمرين على قتالكم وعداؤكم حتى يردوكم عن دينكم اى الاسلام الى الكفر
إِنْ اسْتَطَاعُوا ذَٰلِكَ ونهايتهم منكم والتقيد بهذا الشرط مشعر باستبعاد تمكنهم من ذلك
 وقد رتهم عليه ثم حذر الله سبحانه المؤمنين من الاعتزاز بالكفار والدخول فيما يريدونه من
 رد هم عن دينهم الذي هو الغاية لما يريدونه من المقاتلة للمؤمنين فقال وَمَنْ يَرْتَدِدْ
عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرًا وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ عَلَيْهِمْ الردة الرجوع عن الاسلام الى الكفر
 والتقيد بالكفر يفيد ان عمل من ارتد انما يبطل اذ مات على الكفر واما اذا سلم بعد الردة
 لم يثبت عليه شيء من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت على
 رده وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم وحبط معناه بطل وفسد ومنه الحبط
 وهو فساد يلحق الواشي في بطونها من كثرة اكلها للكلاء فينتفع اجوافها وربما توت من ذلك
 وفي هذه الآية تهديد المسلمين ليثبتوا على دين الاسلام في الدنيا والاخرة اى لا يبقوا له
 حكم المسلمين في الدنيا فلا يأخذ شيئا مما يستحقه المسلمون من الميراث وغيرها ولا يظفر بحظ من
 حظوظ الاسلام ولا ينال شيئا من ثواب الاخرة الذي يوجبه الاسلام ويستحقه اهله وقد
 اختلف اهل العلم في الردة هل تحبط العمل بحسبها ام لا تحبط الا بالموت على الكفر والواجب حمل ما

اطلقته الآيات في غير هذا الموضع على ما في هذه الآية من التقيد وَلَيْتَ أَصْحَابُ الْمَثَلِ
يعني الذين ما فوق على الردة والكفر هَمْ فِيهَا كَاذِبُونَ أي لا يخرجون منها أبدا وقد تعد
الكلام في معنى أَخْلَوْا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاحَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الهجرة
معناها الانتقال من موضع إلى موضع وترك الأول لا ينكر الثاني والهجر ضد الوصل والتهاجر التقاطع و
المراد بها هنا الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام والهاجرة استخراج الجهد والجهاز والجاه
بذل الوسع أُولَئِكَ يَرْجُونَ أي يطمعون وإنما قال يرجون بعد تلك الأوصاف لما دحاة
وصفهم بها لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ
والرجاء الأمل يقال رجوت فلانا أرجو رجاء وهو ضد اليأس وقد يكون الرجاء بمعنى الخوف
كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تتقون عظمة الله وهل اطلاقة عليه بطريق
الحقيقة والمجاز زعم قومه أنه حقيقة ويكون من الاشتراك اللفظي وزعم قومه أنه من الأضداد
فهو اشتراك لفظي أيضا وقال ابن عطية الرجاء أبدا معه خوف كما أن الخوف معه رجاء ورجاء
قومه عجز التلازم الذي ذكرناه قال قتادة أشنى الله على أصحاب محمد صلعم الحسن الشاء
في هذه الآية وهم خيار هذه الأمة ثم جعلهم أهل رجاء ومن رجاء طلب ومن خاف هرب
رَحِمَتِ اللَّهُ أخبرناهم على رجاء الرحمة وقد كتبت رحمة هذا البناء وهي في القرآن في سبعة
مواضع وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لذنوب عباده رَحِيمٌ بهم بأجزال الأجر يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَيْرِ السائلون
المؤمنون فقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم عن عمر أنه
قال اللهم بين لنا في الخمين يا ناسيا فيا ناهيا تذهب بالمال والعقل فنزلت يعني هذه الآية فذكرني
عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمين يا ناسيا فيا ناهيا فنزلت التي في سورة النساء يا أيها
الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكراني فمكأن ينادي رسول الله صلعم إذا قام إلى الصلوة
أن لا يقرب الصلوة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمين يا ناسيا فيا
فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ فهل أنتم منتبهون قال عمر انتبهينا
انتبهينا والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر ومنه خمار المرأة وكل شيء غطأ شيئا فقد خمر ومنه
خمر النتيكم وهي خمر لأنه يخر العقل أي يغطيه ويستتره وقيل سميت خمر لأنها تركت حتى

ادركت اي بلغت ادراكه وقبل لا تخاطب العقل من الخامرة وهو الخاطلة وهذه المعاني
 الثلاثة متقاربة موجودة في الخمر لانها تركت حتى ادركت ثم خاطبت العقل فخرته اي سترته
 والخمر ماء العنب الذي غلا واشتد وقذف بالزبد وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه كما
 ذهب اليه الجمهور وقال ابو حنيفة والثوري وابن ابي ليلى وابن شبرمة وجماعة من فقهاء
 الكوفة ما أسكر كثيرا من غير خمر العنب فهو حلال اي ما دون المسكر منه وذهب ابو حنيفة
 الى حل ما ذهب ثلثاه بالطبخ والخلاف في ذلك مشهور وقد اطلت الكلام على الخمر في شرح
 لبلاغ المرام واطال الشوكاني الكلام عليه في شرحه المنتقى فليرجع اليهما وجملة القول في تحريم
 الخمر ان الله انزل فيه اربع ايات نزل بمكة ومن ثمرات الخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
 فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب عمرو
 معاذ هذه الآية فتركها قوم لقوله فيها التكمير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس فتركها
 لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فترك قوم شربها في اوقات الصلوة ثم انزل الله الآية التي
 في المائدة وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والخمر تذكم وتؤثنت وقال الاصمعي الخمر انثى وانكر
 المتذكير والميسر مصدر ميمي مأخوذ من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه يقال يسر في كذا
 اذا وجب والياسر اللاعب بالقдах وقال الازهري الميسر الخمر الذي كانوا ينقامرون عليه
 سمي ميسرا لانه يجزأ جزءا فكانه موضع التجربة وكل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجار
 وقال وهذا الاصل في الياسر ثم يقال للضاربين بالقдах والمنقامرين على الخمر يأسرون
 لانهم جازدون اذا كانوا سببا لذلك والمراد بالميسر في الآية قمار العرب بالارلام قال جماعة
 من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كل شيء فيه قمار من نرد او شرطنج او غيرها
 فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجز والكعب الاما بيع من الرهان في الخيل والقرعة في اضرار
 الحقوق وقال مالك الميسر ميسران ميسر اللهو وميسر القمار فمن ميسر اللهو النرد والشطرنج
 والملاهي كلها وميسر القمار ما يتخاطر الناس عليه وكل ما قمر به فهو ميسر كالطاب والبقلة
 والطلاولة وغيرها وسياق البحث مطولا في هذا في سورة المائدة عند قولنا الخمر الميسر الله
 قل فيهما آثم كبير يعني في الخمر والميسر فآثم الخمر اي آثم تعاطيها ينشأ من فساد عقل مستعملها

فيصد عنه ما يصد عن فاسد العقل من الخاضعة والمشاقة وقول الفحش والزور وتعطيل
 الصلوات وسائر ما يجب عليه واما ان الميسري انتم تعاطيه فما ينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب
 المال في غير طائل والعداوة واليأس الصدور ومنافع الناس اما منافع الخمر فريح التجارة فيها وقيل
 ما يصد عنها من الطرب واللذة والنشاط والفرح وقوة القلب وثبات الجنان واصلاح المعدة
 وقوة الباه وتصفية اللون وحمل الخيل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتشجيع الجبان و
 قد اشار شعراء العرب الى شيء من ذلك في اشعارهم ومنافع الميسر مصير الشيء الى الانسان
 بغير تعب ولا كد وما يحصل من السرور والارحية عند ان يصير له منها سهم صالح وسهام
 الميسر احد عشر منها سبعة لها فرض على عده ما فيها من الخطوط وهي الفذ والتوأم والرقب
 والحلث والتأقر والمسبل والمعل والسفح والوحد والضعف والجنود ولا تطول بذكر علاماتها
 واحوالها وانما هما اكبر من نفعهما اخبر سبحانه بان الخمر الميسر وان كان فيها نفع فالآثر الذي
 يلحق متعاطيها اكثر من هذا النفع لانه لا خير يساوي فساد العقل الحاصل بالخمر فانه ينشأ عنه
 من الشرور ما لا ياتي عليه الا حصص وكذلك لا خير في الميسر يساوي ما فيها من المخاطرة بالمال
 والتعرض للفقر واستحلاب المعداة والمفضية الى سفك الدماء وهتك الحرم وقد وردت في
 تحريم الخمر وعيد شاربيها احاديث كثيرة وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ والعفو ما
 سهل ويسر ولم يشق على القلب والمعنى انفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تجهدوا فيه انفسكم
 وقيل هو ما فضل عن نفقة العيال وقال جمهور العلماء هو نفقات التطوع وقيل ان هذه
 الآية منسوخة بآية الزكاة المقرضة وقيل هي محكمة وفي المال حق سوى الزكاة وقد ثبت في
 الصحيح من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الصدقة ما كان
 عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول وثبت نحوه في الصحيح مرفوعا من حديث حكيم بن خزام عن
 البارئ احاديث كثيرة وقيل المعنى خذ الميسر من اخلاق الرجال ولا تستقص عليهم ذلك
 يبين الله لكم الآيات اي في امر النفقة ومصارفه لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة
 اي في امرها فتحبسون من اموالكم ما تصلحون به معاش دنياكم وتتفقون الباقي في الوجوه
 المقررة الى الآخرة وقيل في الكلام تقدير وتأخير اي كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا

والأخرة لعلمكم تنفكرون في الدنيا وزوالها وفي الآخرة وبقائهما فترغبون عن العاجلة الى
الأجلّة ويسئّلونك عن اليتامى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ تَلْتِ بَعْدَ زَوَلِّ قَوْلِهِ
قَعَالٍ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ وَقَوْلُهُ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى وَقَدْ ضَاقَ عَلَى الْوَالِيَاءِ
الْأَمْرَ فَتَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ وَالْمُرَادُ بِالْإِصْلَاحِ هُنَا مَخَالَطَتُهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ لِأَمْوَالِهِمْ فَإِنَّ
ذَلِكَ إِصْلَاحٌ مِنْ جِهَاتٍ بَيِّنَةٍ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى مِنَ الْوَالِيَاءِ وَالْوَصِيَّاءِ
بِالْبَيْعِ وَالْمُضَارَبَةِ وَالْإِجَارَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَقِيلَ لَنْ يُوَسَّعَ عَلَى الْيَتِيمِ مِنْ طَعَامِ نَفْسِهِ وَلَا يُوسَّعَ عَلَيْهِ
مِنْ طَعَامِهِ وَلَا يَأْخُذُ أَجْرُهُ وَلَا عَوَضًا عَلَى إِصْلَاحِ أَمْوَالِهِ وَلَنْ تُخَالَطُوا هُمْ قَاحُوا كَمَا خَالَطُوا
فِي تَفْسِيرِ مَخَالَطَةِ لَهُمْ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَخَالَطَةُ الْيَتَامَى أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِهِمْ الْمَالُ وَيَشُقُّ عَلَى
كَافِلِهِ أَنْ يَفْرُدَ طَعَامَهُ عَنْهُ وَلَا يَجِدُ بَدَلَ مَنْ يَخْلُطُهُ بِعِيَالِهِ فَيَأْخُذُ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ مَا يَرَى أَنَّهُ
كَافِيهِ بِالْخُرْمِ فَيَجْعَلُهُ مَعَ نَفَقَةِ أَهْلِهِ وَهَذَا قَدْ تَقَعَّ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ
عَلَى الرِّخْصَةِ وَهِيَ نَاسِخَةٌ لِمَا قَبْلُهَا وَقِيلَ الْمُرَادُ بِمَخَالَطَةِ الْمَعَاشَةِ لِلْيَتَامَى وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهَا الْمَصَافَقَةُ
لَهُمْ وَالْأَوَّلَى عَدَمُ قَصْرِ مَخَالَطَةِ عَلَى نَوْعٍ خَاصٍّ بَلْ يَشْمَلُ كُلَّ مَخَالَطَةٍ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيطَةِ
وَالْتَّقْدِيرِ فَهُمْ أَخْرَأَكُمْ فِي الدِّينِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ لِأَمْوَالِهِمْ بِمَخَالَطَتِهِمْ مِنَ الْمُصْلِحِ بِمَا تَحْذِيرُ
لِلْأَوَّلِيَاءِ أَيْ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَهُوَ يَجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِعَمَلِهِ مِنْ أَصْلَحِ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ
أَفْسَدَ فَعَلَيْهَا فَنَفِيهِ وَعَدُوٌّ وَعِيدٌ خِلَافُ مَا فِي تَقْدِيرِ الْمُفْسِدِ مَزِيدٌ تَهْدِيدٌ وَتَاكِيدٌ لِلْقَوْلِ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ أَيْ جَعَلَ ذَلِكَ شَأْقًا عَلَيْكُمْ وَمَتْعَبًا لَكُمْ وَأَوْعَكُمْ فِيهِ الْخَرْجَ
وَالْمَشَقَّةَ وَقِيلَ الْعَنْتُ هُنَا مَعْنَاهُ الْهَلَاكُ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَاصِلُ الْعَنْتِ الْمَشَقَّةُ وَقَالَ ابْنُ
الْأَنْبَارِيِّ أَصْلُ الْعَنْتِ الشَّدِيدُ ثُمَّ نَقَلَ إِلَى مَعْنَى الْهَلَاكِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ
لأنه غالب لا يغالب حِكْمُهُ يَنْصِفُ فِي مَلَكِهِ بِمَا يَقْتَضِيهِ مَشِيئَتُهُ وَحُكْمُهُ وَلَيْسَ لِكُرْمِ أَنْ تَحْتَارُوا
لَا تَنْفَسِكُمْ وَلَا تَنْتَكِحُوا الْمَشْرَكَاتِ أَيْ لَا تَنْتَزِجُوا وَالْمُرَادُ بِالنِّكَاحِ الْعَقْدُ لَا الْوَطْءُ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ لَمْ
يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى الْوَطْءِ إِصْلَاحُهُ يُؤْمِنُ حَتَّى بِمَعْنَى إِلَى أَيْ إِلَى أَنْ يُؤْمِنَ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ التَّهْنِ
عَنْ نِكَاحِ الْمَشْرَكَاتِ فَقِيلَ الْمُرَادُ بِهَا الْوَثَنِيَّاتُ وَقِيلَ لَهَا تَعَمُّ الْكُذْبِيَّاتُ لِأَنَّ أَهْلَ الْكُذْبِ يَشْرِكُونَ
قَالَتِ الْيَهُودُ عَزْرِيَابِنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحِيَّاتُ إِنَّ اللَّهَ وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ

فقال طائفة ان الله حرم تكاح المشركات فيها والكتابيات من الجملة فرجأت الآية المائدة
فخصت الكتابيات من هذا العموم وهذا يحكي عن ابن عباس ومالك وسفيان بن سعيد
وعبد الرحمن بن عمر والاوزاعي وذهبت طائفة الى ان هذه الآية ناسخة لآية المائدة
وانه يحرم تكاح الكتابيات والمشركات وهذا الحد قول الشافعي وبه قال جماعة من اهل
العلم ويحاج عن قولهم ان هذه الآية ناسخة لآية المائدة بان سورة البقرة من اول ما
نزل وسورة المائدة من اخر ما نزل والقول الاول هو الراجح وقد قال به مع من تقدم
عثمان بن عفان وطحمة وجابر وحذيفة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن
وطاوس وعكرمة والشعبي والضحاك كما حكاه الفخاس والقوطي وقد حكاه ابن المنذر
عن المذكورين وزاد عمر بن الخطاب وقال لا يصح عن احد من الاول ان الله حرم ذلك
قال بعض اهل العلم ان لفظ المشرك لا يتناول اهل الكتاب لقوله تعالى ما يؤد الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين وعلى فرض ان لفظ المشركين يعم فهذا العموم مخصوص بآية
المائدة كما قد منا عن مقاتل بن حبان قال تزلت هذه الآية في ابي مرثد الغنوي استاذ
النبي صلعم في عناق ان يتزوجها وكانت ذات حظ من جمال وهي مشركة وابو مرثد
يومئذ مسلم فقال يا رسول الله انها تعجني فانزل الله ولا تنكح المشركات اخرجه ابن ابي
حاتم وابن المنذر واخرج البخاري عن ابن عمر قال حرم الله تكاح المشركات على المسلمين ولا
اعرف شيئا من الاشراك اعظم من ان تقول المرأة رجلا عيسيا وعبد من عباد الله ولا كلمة
مؤمننة خير من مشركة اي ولريقة مؤمنة انفع واصح وافضل من حرة مشركة قيل
المراد بالامانة الحرية لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه والاول اولى لانه الظاهر من اللفظ
ولانه ابلغ فان تفضيل الامانة المؤمنة على الحرية المشركة يستفاد منه تفضيل الحرية
المؤمننة على الحرية المشركة بالاولى قال ابن عرفة يجي التفضيل في كلامهم ايجابا للاول ونفيا عن
الثاني فعلى هذا لا يلزم وجود خير في المشركة مطلقا ولو اعجبكم المشركة من جهة كونها ذات
جمال او مال او نسب وشرف وهذه الجملة حالية قال السيوطي وهذا مخصوص بغير الكتابيات
بآية والمحصنات من الذين اتوا الكتاب ولا تنكحوا المشركين اي لا تزوجوا الكفار بالمؤمنات

خطاب للاولياء حَسْبُ يَوْمَئِذٍ الْقُرْطُبِيُّ واجمعت الامة على ان المشرك لا يطأ
 المؤمنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على الاسلام وَلَعَبْدُ الْكَلَامِ فِيهِ كَالْكَلامِ فِي قَوْلِهِ
وَلَامَةٌ وَالتَّزْجِيرُ كَالْتَّجِيرِ قَوْمٌ مِنْ خَيْرٍ مِنْ مُشْرِكٍ وكوا عجبكم اي بحسنة وجماله ونسبه
 وماله أُولَئِكَ أَشَارَةٌ إِلَى الْمَشْرِكِينَ والمشركات يدعون الى النار ليمنه الى الاعمال الموجبة
 للنار فكان في مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحببتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين
 ان يتعرضوا له ويدخلوا فيه وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ اي الى الاعمال الموجبة للجنة
 وقيل المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة يَا ذُرِّيَّتِي اي بامرء قاله التزج
 وقيل بتيسيره وتوفيقه قاله في الكشف فتجبا جابته بالتزوج من اوليائه وهم المسلمون
وَيَبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ماي يوضح ادلته وحججه في امره ونواهييه و
 احكامه لعلهم يتعظون وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْخَيْضِ السَّائِلُ ابوالد حداح في نفر من الصحابة
 والخيض هو الحيض هو مصدر ميمي يقال حاضت المرأة حيضا وحيضا فمي حائض وحائضة كذا
 قال الفراء ونساء حيض وحوائض والحيضة بالكسر المرة الواحدة وقيل الاسم وقيل
 الحيض عبارة عن الزمان المكان وهو مكان فيهما وقال ابن جرير الطبري الحيض اسم الحيض
 اي الحدث واصل هذه الكلمة من السيلان ولا تفخا ر يقال حاض السيل وفاض ^{الشيخة} فاضت
 اي سالت رطوبة ما ومنه الحوض لان الماء يحوض اليه اي ينسيل قل هو اذى اي شي يتأذى
 به اي براحتة والاذى كناية عن القذرا وحله ويطلق على القول المذكورة ومنه قولنا
 ولا نبطل لوصد قاتكم بالمن والاذى ومنه قوله تعالى ودع اذا هم فاعترلوا النساء في
 الحيض اي فاجتنبوهن واتركوا وطأهن في زمان الحيض ان حمل الحيض على المصدر راو في محل
 الحيض ان حمل على الاسم والمراد من هذا الاعتزال ترك الجماعة لا ترك المجامعة او الملاعبة فان
 ذلك جائز بل يجوز الاستمتاع منها بما عد الفرج او بما دون الا زار على خلاف في ذلك ولما
 ما يروى عن ابن عباس وعبيدة السلماني انه يجب على الرجل ان يعتزل فراش زوجته اذا
 حاضت فليس ذلك بشيء ولا خلاف بين اهل العلم في تحريم وطئ الحائض وهو معلوم
 من ضرورة الدين وقد اخرج مسلم واهل السنن وغيرهم عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت

المرأة منهم اخرجوها من البيت ولم يؤكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت
 فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله ويستألفونك عن الحيض الآية فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء الا النكاح ولا تقربوهن بالجماع حتى
 يطهرن قربة بالتخفيف والتشديد والطهارة انقطاع الحيض والتطهر لاغتسال وبسبغ
 القراء اختلاف اهل العلم فذهب الجمهور الى ان الحائض لا يحل وطؤها لزوجها حتى تطهر بالماء
 وقال محمد بن كعب القرظي ويحيى بن بكير اذا طهرت الحائض وتيممت حيث لا ماء حلت لزوجها
 وان لم تغتسل وقال مجاهد وعكرمة ان انقطاع الدم يحلها لزوجها ولكن تنوضا وقال
 ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد ان انقطع دمها بعد مضي عشرة ايام مجازله ان يطأها قبل
 الغسل وان كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل او يدخل عليها وقت صلوة وقه
 رج ابن جرير الطبري قراءة التشديد والاولى ان يقال ان الله سبحانه جعل للحل غایتين
 كما تقتضيه القرائتان احدهما انقطاع الدم والاخرى التطهر منه والغاية الاخرى مشتتة على زيادة
 على الغاية الاولى فيجب المصير اليها وقد دل على ان الغاية الاخرى هي المعبرة قوله تعالى بعد
 ذلك فاذا تطهرن فان ذلك يفيد ان المعبر التطهر لا مجرد انقطاع الدم وقد تقرر
 ان القرائتين بمنزلة الايتين فكما انه يجب الجمع بين الايتين المشتتة احدهما على زيادة ما
 يعمل بتلك الزيادة كذلك يجب الجمع بين القرائتين فأتوهن من حيث أمركم الله اية
 فجامعوهن وكفي عنه بالآتيان والمراد انهم يجامعوهن في المأني الذي اباحه الله وهو
 القبل وقيل من حيث بمعنى في حيث كما في قوله تعالى اذ انودي للصلاة من يوم الجمعة
 اي في يوم الجمعة وقوله ما داخلوا من الارض اي في الارض وقيل ان المعنى من الوجه الذي
 اذن الله لكم فيه اي من غير صوم واحرام واعتكاف وقيل ان المعنى من قبل الطهر لا من قبل
 وقيل من قبل الحلال لا من قبل الزنا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل المراد
 التوابون من الذنوب والمتطهرون من الجنابة والاحداث وقيل التوابون من آتيان
 النساء في ادماءهن وقيل من آتيانهن في الحيض والاول طهرن نساءكم حرث لكم لفظ
 الحرث يفيد ان الاباحة لم تقع الا في الفرج الذي هو القبل خاصة اذ هو مزرع الذرية

كما أن الحشر مزروع النباتات فقد شبه ما يلقى في أرحامهن من المنطفئ التي منها النسل
 بما يلقى في الأرض من البذور التي منها النباتات فيجمع أن كل واحد منهما مادة لما يحصل
 منه وهذه الجملة بيان الجملة الأولى أعني قوله فاتوهن من حيث أمركم الله فاتوا آخر تكلم
 أي محل زرعكم واستنبأ تكمل الولد وهو القبل وهذا على سبيل التشبيه فجعل فوج المرأة
 كالأرض والنفطة كالبدن والولد كالزرع أني شئتم أي من أي جهة شئتم من خلفه قدام
 وبأركه ومستلقية ومضطجعة وقائمة وقاعد ومقبلة ومدبرة إذا كان في موضع الحشر
 وإنما جبر سبحانه بكلمة أني لكونها أعم في اللغة من أين وكيف ومتى وأما سيديويه ففسرها
 بكيف وقد ذهب السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة إلى ما ذكرناه من تفسير الآية
 وإن اتيان الزوجة في دبرها حرام وروي عن سعيد بن المسيب ونافع وابن عمر ومحمد
 بن كعب القرظي وعبد الملك بن المهاجشون أنه يجوز ذلك حكاه عنهم القرطبي في تفسيره
 قال وحكي ذلك عن مالك في كتاب له يسمى كتاب السور وحقاق أصحاب مالك مشايخهم
 ينكرون ذلك الكتاب ومالك أجل من أن يكون له كتاب سر ووقع هذا القول في الغيبة
 وذكر ابن العربي أن ابن شعبان أسند جواز ذلك إلى زمرة كثيرة من الصحابة والتابعين
 وإلى مالك من روايات كثيرة في كتاب جماع النسوان أحكام القرآن قال الطحاوي وي
 أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال ما أدركت أحدا اقتدي به في ديني شك
 في أنه حلال يعني وطئ المرأة في دبرها ثم قرء نساءكم حرث لكم ثم قال فأي شيء أبين من
 هذا وقد روي الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن مالك من طرق ما يقتضيه إباحة
 ذلك وفي أسانيد ما ضعف وقد روي الطحاوي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنه سمع
 الشافعي يقول ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس
 أنه حلال وقد روي ذلك أبو بكر الخطيب قال ابن الصبان كان الربيع يحلف بالله الذي
 لا اله الا هو لقد كذب ابن عبد الحكم على الشافعي في ذلك فإن الشافعي نص على تحريمه
 في ستة كتب من كتبه وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن جابر قال كانت
 اليهود تقول إذا لئ الرجل امرأة من خلفها في قبلها ثم حملت جاء الولد أعول فذلت

نساء وكم حرت لكم فاتوا نكرتم اني شفتكم ان شاء عجيبة وان شاء غير عجيبة غير ان ذلك في صما واحد
وقد روي هذا عن جماعة من السلف وصرحوا انه السبب الصمام السبيل واخرج احمد
وعبد بن حميد والترمذي وحسنه والنسائي والضيافي النخاري وغيرهم عن ابن عباس
قال جاء عمر الى رسول الله فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت بجلي
الليلة فلم يرد عليه شيئا فاحس الى رسول الله هذه الآية نساء وكم حرت لكم يقول اقبل
واذ بروا تقي الدين والحيضة واخرج الشافعي في الامروا بن ابي شيبه واحمد والنسائي وابن
ماكجة وابن المنذر والبيهقي في سننه من طريق خزيمة بن ثابت ان سائلا سأل رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم عن اتيان النساء في ادبارهن فقال حلال او لا باس فلما ولى
دعاه فقال كيف قلت امن دبرها في قبلها فنعما من دبرها في دبرها فلا ان الله لا
يسخيم من الحق لا تأتوا النساء في ادبارهن واخرج ابن ابي شيبه والترمذي وحسنه و
النسائي وابن حبان عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لا ينظر الله الى رجل لمسه
امرأة في اللبس واخرج احمد والبيهقي في سننه عن ابن عمر وان النبي صلى الله عليه واله
يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى واخرج احمد وابوداود والنسائي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ملعون من أتى امرأته في دبرها وقد ورد النهي عن ذلك من
طرق وقد ثبت نحو ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين مرفوعا وموقوفا وقد روي القول
بجل ذلك عن بعضهم كما قد منا وليس في اقول هو لا عجة البتة ولا يجوز لحدان يعمل على
اقوالهم فانهم لم يأتوا بدليل يدل على الجواز فمن زعم منهم فهم ذلك من الآية فقد اخطأ
في فهمه وقد فسرها لنا رسول الله صلى الله عليه واله واكابر اصحابه بخلاف ما قاله هذا المخطئ في فهمه
كأننا من كان ومن زعم منهم ان سبب نزول الآية ان رجلا أتى امرأته في دبرها فليس في
هذا ما يدل على ان الآية احدث ذلك ومن زعم ذلك فقد اخطأ بل الذي تدل عليه الآية
ان ذلك حرام فكون ذلك هو السبب لا يستلزم ان تكون الآية نازلة في تحليله فان الآيات
النازلة على اسباب تأتي تارة بتحليل هذا وتارة بتحريمه وقد لا تنفسكم أي خيرا كما في
قوله تعالى وما تقدوا أنفسكم من خير تجدوه عند الله وقيل ابتغاء الولد وقيل التزويج

بِالْعِفَافِ وَقِيلَ التَّسْمِيَةُ وَالِدَاءُ عِنْدَ الْجَمَاعِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهِ تَحْذِيرٌ عَنِ
 الْوُقُوعِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَوَافَاتِ وَأَحْلُوا أَنْكُمْ مِمَّا قُوَّةٌ بِالْبَعْثِ بِمَا لَغَا فِي التَّحْذِيرِ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِالْخُجَّةِ تَأْنِيْسٍ مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَيَجْتَنِبُ الشَّرَّ لَا يَجْعَلُوا اللَّهَ أَيْ الْخَلْفَ بِهِ عُرْضَةً
 لِأَيِّمَاكُمْ الْعُرْضَةُ النَّصْبَةُ قَالَه أَبُو هُرَيْرٍ وَقِيلَ الْعُرْضَةُ الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمُ الرَّأْيُ عُرْضَةٌ
 لِلشَّكَاخِ إِذَا صَلَحَتْ لَهُ وَقُوَّتٌ عَلَيْهِ وَلِفُلَانٍ عُرْضَةٌ أَيْ قُوَّةٌ وَتَطْلُقُ الْعُرْضَةُ عَلَى الْعِمَّةِ وَيُقَالُ
 فُلَانٌ عُرْضَةٌ لِلنَّاسِ لَا يَزَالُونَ يَقْعُونَ فِيهِ فَعِلَ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو هُرَيْرٍ أَنَّ الْعُرْضَةَ نَصْبُ
 كَالْغُرْفَةِ يَكُونُ ذَلِكَ اسْمًا لِمَا تُعْرَضُ دُونَ الشَّيْءِ أَيْ تَجْعَلُهُ حَاجِزًا لَهُ وَمَا نَعَا مِنْهُ أَيْ لَا تَجْعَلُوا
 اللَّهَ حَاجِزًا وَمَا نَعَا مَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَحْلِفُ عَلَى بَعْضِ الْخَيْرِ مِنْ صَلَاةِ الرَّحْمِ
 أَوْ احْسَانٍ إِلَى الْغِيَا وَاصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَمْتَنِعُ مِنْ فَعْلِهِ مَعْلَلًا لِذَلِكَ
 الْأَمْتِنَاعُ بِأَنَّهُ قَدْ خَلَفَ أَنْ لَا يَفْعَلَهُ وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْجُمْهُورُ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ
 فَهِيَ هِيَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلُوهُ عُرْضَةً لَا يَمْنَعُهُمْ أَيْ حَاجِزًا لِمَا حَلَفُوا عَلَيْهِ وَمَا نَعَا مِنْهُ وَاسْمِي الْمَحْلُوفِ
 عَلَيْهِ يَمِينًا لَتَلْبَسَهُ بِالْيَمِينِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ
 بَيَانُ لَا يَمْنَعُكُمْ أَيْ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ مَا نَعَا لَلْإِيمَانِ الَّتِي هِيَ بِكُمْ وَتَقَوُّكُمْ وَاصِلًا حَكْمًا بَيْنَ النَّاسِ
 وَيَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ لَا يَمْنَعُكُمْ بِقَوْلِهِ لَا تَجْعَلُوا أَيْ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ لَا يَمْنَعُكُمْ مَا نَعَا وَحَاجِزًا أَيْ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ
 بِعُرْضَةٍ أَيْ لَا تَجْعَلُوهُ شَيْئًا مُعْتَرِضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْإِبْرَةِ وَمَا بَعْدَهُ وَعَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي وَهُوَ أَنَّ
 الْعُرْضَةَ الشَّدَّةَ وَالْقُوَّةَ يَكُونُ مَعْنَى آيَةِ لَا تَجْعَلُوا الْيَمِينَ بِاللَّهِ قُوَّةً لَأَنْفُسِكُمْ وَعِدَّةً فِي الْأَمْتِنَاعِ
 مِنَ الْخَيْرِ وَلَا يَصِحُّ تَفْسِيرُ آيَةِ عَلَى الْمَعْنَى الثَّلَاثِ وَهُوَ تَفْسِيرُ الْعُرْضَةِ بِالْهَمَّةِ وَمَا عَلَى الْمَعْنَى
 الرَّابِعِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ فُلَانٌ عُرْضَةٌ لِلنَّاسِ فَيَكُونُ مَعْنَى آيَةِ عَلَيْهِ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ مَعْرَضًا
 لَا يَمْنَعُكُمْ فَتَبَدُّ لَوْنُهُ بِكَثْرَةِ الْحَلْفِ بِهِ وَمِنْهُ وَاحْفَظُوا إِيْمَانَكُمْ وَقَدْ خَرَأَ اللَّهُ الْمَكْرُورِينَ لِلْحَلْفِ
 فَقَالَ لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاَفٍ مَهِينٍ وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَقَادِحُ بَقَاةِ الْإِيمَانِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ أَنْ
 تَبَرُّوا عِلَّةً لِلنَّهْيِ أَيْ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ مَعْرَضًا لَا يَمْنَعُكُمْ إِرَادَةُ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ
 لِأَنَّ مِنْ يَكْثُرُ الْحَلْفُ بِاللَّهِ يَجْتَزِي عَلَى الْحَنْثِ وَيَفْجُرُ فِي عَيْدِهِ وَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ اقْوَالٍ
 هِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذِهِ الْعُجُوبَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ قَدِيرٌ أَيْ لَا يَقْوَالُ الْعِبَادُ عَلَيْهِمْ مَا يَصْدُقُ مِنْهُمْ

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حلف على يمين
 فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وثبت أيضا في الصحيحين وغيرهما
 أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال والله إن شاء الله لا حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي
 هو خير وكفرت عن يميني وأخرج ابن ماجه وابن جرير عن عائشة قالت قال رسول الله صلى
 من حلف على يمين قطيعه رحم أو معصية فبرأ أن يحث فيها ويرجع عن يمينه وفي الباب
 أحاديث لا يؤخذ بها كقول الله يَا لَلْغُوفِ في أيما نكرو اللغو مصدر لغا يلفغوا ولغا يلفغ لغيا
 إذا اتى بما لا يحتاج إليه في الكلام أو بما لا خير فيه وهو الساقط الذي لا يعتد به فاللغو الجانبي
 هو الساقط ومنه اللغو في الدية وهو الساقط الذي لا يعتد به من الأولاد الأبل ومغنى الآية
 لا يعاقبكم الله بالساقط من أيما نكرو ولكن يؤخذكم أي يعاقبكم بما كسبت فلو نكرو أي
 اقترفته بأقصده إليه وهي اليمين المقصودة ومثله قوله تعالى ولكن يؤخذكم بما عقدتم
 الأيمان وقد اختلف أهل العلم في تفسير اللغو فذهب ابن عباس وعائشة وجهو العلماء
 أنها قول الرجل لا والله وبلى والله في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا مريد لها قال
 المروزي هذا معنى لغو اليمين الذي اتفق عليه عامة العلماء ويدل له الأحاديث به قال
 الشافعي وقال أبو هريرة وسجاعة من السلف هو أن يحلف الرجل على الشيء لا يظن إلا أنه أتاه
 فإذا هو ليس ما هو ظنه وإلى هذا ذهب الحنفية وبه قال مالك في الموطأ ولا كفاية فيه ولا
 أثر عليه عند روي عن ابن عباس أنه قال لغو اليمين أن تحلف وانت غضبان وبه قال
 طاووس ومكحول وروي عن مالك وقيل إن اللغو هو يمين للمعصية قاله سعيد بن المسيب وأبو
 بكر بن عبد الرحمن وعبد الله بن الزبير وأخوه عروة كالذي يقسم ليشرب الخمر أو ليقطع
 الرحم وقيل لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه كان يقول اعمى الله بصره إذا ذهب ما له
 هو يهودي هو مشرك قاله زيد بن أسلم وقال مجاهد لغو اليمين أن يتبايع الرجلان فيقول
 أحدهما والله لا أبيعك بكذا ويقول الآخر والله لا اشتريه بكذا أو قال الضحك لغو اليمين
 هي المكفرة أي إذا كفرت سقطت وصارت لغوا والراجح القول الأول لمطابقته للمعنى اللغوي
 وللدلالة عليه عليه والله عفو رحيم حيث لم يؤخذكم بما تقولونه بالسنتكم من دون

وقصد واخذ كرم بما تعد له قلوبكم وتكلمت به الستمكم وتلك هي اليمين المعقودة المقصودة
وقال سعيد بن جبيرة والله غفول يعني اذ تجاوزه عن اليمين التي حلف عليها احليم اذ لم يحل
عليها الكفارة الذين يؤلون من نساء هم تربص اربعة اشهر اي يحلفون وللمصد
ايلاء واليثة والوثة وقرأ ابن عباس الذين الوا يقال الى يولي ايلاء وما تلي بالتمام ايلاء
حلف ومنه ولا ياتل والوا الفضل منكم ولا يلا بحقه ان يستعمل بعل واستعماله بمن
معنى البعل اي يحلفون متباعدين من نساءهم وقد اختلف اهل العلم في الايلاء فقال
الجمهور ان الايلاء هو ان يحلف ان لا يطاء امرأة اكثر من اربعة اشهر فان حلف على
اربعة اشهر فمادونها لم يكن موليا وكانت عندهم عينا محضا وهذا قال مالك والشافعية
واسحق وابو ثور وقال الثوري والكوفيون الايلاء ان يحلف على اربعة اشهر فصاعدا
هو قول عطاء وروي عن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يمسها ابدا وقال
طائفة اذا حلف ان لا يقرب امرأته يوما او اقل واكثر لم يطاقها اربعة اشهر بانته
بالايلاء وبه قال بن مسعود والشافعية وابن ابي ليلى والحكم وسما بن سليمان وقتادة ^{سحق}
قال ابن المنذر وانكر هذا القول كثير من اهل العلم وقوله من نسا ثم يشمل الحر او الاما
اذا كن زوجات وكذلك يدخل تحت قوله للذين يؤلون العبد اذا حلف من زوجته وبه
قال احمد والشافعية وابو ثور قالوا وايلاءه كل حر وقال مالك والزهري وعطاء وابو حنيفة
واسحاق ان اجله شهران وقال الشعبي ايلاء الامة نصف ايلاء الحر والترص التائي
والتأخر انما وقط الله سبحانه بهذه المدة دفعا للضرار عن الزوجة وقد كان اهل الجاهلية
يؤلون السنة والسنتين واكثر من ذلك يقصدون بذلك ضرار النساء وقد قيل ان الايلاء
الاشهر هي التي لا تطيق المرأة الصبر عن زوجها زيادة عليها فان فاقوا اي رجعا فيها
او بعدا عن اليمين الى الوطء ومنه حتى تفي الى امرائه اي ترجع ومنه قيل للظل بعد
الزوال في لانه رجع عن جانب لمشرق الى جانب المغرب يقال فاء يغني فيئة وفيون وانسج
الفئة اي الرجعة والسلف في الفئ اقول مختلفة فينبغي الرجوع الى معنى الفئ لغة وقد
بيناه قال ابن المنذر اجمع كل من يحفظ عنه العلم على ان الفئ اجمع لمن لا عد له فان كان

له عذر مرض او سجن فهي امرأته فاذا زال العذر فابى الوطي فرق بينهما ان كانت المدّة قد انقضت قاله مالك وقالت طائفة اذا شهد على فيئه بقلبه في حال العذر ارجأه وبه قال الحسن وعكرمة والنخعي والولابي واحمد بن حنبل وقد اوجب الجمهور على المولى اذا فاء بمجماع امرأته الكفارة وقال الحسن والنخعي لا كفارة عليه وللصحابية والتابعين في هذا القول مختلفة متناقضة والمتعين الرجوع الى ما في الآية الكريمة وهو ما عرفناك واشدد عليه يدك فإن الله عَقُّواْ لِلزَّوْجِ اِذَا تَابَ مِنْ اَصْوَارِهِ بِامْرَأَتِهِ رَحِمٌ لِّكُلِّ تَابِيْنٍ وَلَنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ اَلْعَزَمَ الْعَقْدُ عَلَى الشَّيْءِ يُقَالُ عَزَمَ عَزْمًا وَعَزَمِيَّةٌ وَعَزَمْنَا مَا وَعَزَمْنَا مَا اعْتَرَفْنَا مَا فَعْنَى عَزَمُوا الطَّلَاقَ عَقْدًا وَعَلَيْهِ قَوْلُهُمْ بَانَ لَمْ يَفِئُوا فِلْيُوْهُوَ وَالطَّلَاقُ مَنْ طَلَقَتِ الْمَرْأَةُ تَطْلُقُ كَصْرِ يَنْصُرُ طَلَا قَافِي طَالِقٌ وَطَالِقَةٌ اَيْضًا وَالطَّلَاقُ حُلُّ عَقْدِ النِّكَاحِ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى اَنَّهُ لَا تَطْلُقُ بِمُضِيِّ اَرْبَعَةِ اشْهُرٍ كَمَا قَالَ مَالِكٌ مَا لَمْ يَقْعِ انْشَاءُ نِطْلُقُ بَعْدَ الْمُدَّةِ اَيْضًا فَانَّهُ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِقَوْلِهِمْ وَسَمِيعٌ يَقْتَضِي مَسْمُومًا بَعْدَ الْمُضِيِّ وَقَالَ ابُو حَنِيفَةَ سَمِيعٌ لَا يَلَاثُهُ عَلَيْهِمْ بَعْزَمُهُ الَّذِي حُلَّ عَلَيْهِ مُضِي اَرْبَعَةِ اشْهُرٍ وَالْعَقْدُ لَيْسَ لَهُمْ بَعْدَ تَرْبِصٍ مَا ذَكَرَ لَا الْفَيْئَةُ اَوِ الطَّلَاقُ وَاعْلَمُ أَنَّ اَهْلَ كُلِّ مَذْهَبٍ قَدْ قَسَرُوا هَذِهِ الْآيَةَ بِمَا يُطَابِقُ مَذْهَبَهُمْ وَتَكَلَّفُوا بِمَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَلَا دَلِيلٌ آخَرٌ وَمَعْنَاهَا ظَاهِرٌ وَاضِحٌ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِأَجْلِ مَنْ يُوَلِّي أَيْ يَحْلِفُ مِنْ أَمْرَاتِهِ اَرْبَعَةَ اشْهُرٍ ثُمَّ قَالَ خَيْرُ الْعِبَادَةِ بِحُكْمِ هَذَا الْمَوْلَى بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ فَإِنْ وُلِّيَ رَجَعُوا إِلَى بَقَاءِ الزَّوْجِ وَاسْتِدَامَةِ النِّكَاحِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَيْ لَا يَقْبَلُ اخْذَ هِمَّتِكَ الْيَمِينِ بَلْ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْجِمُهُمْ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ أَيْ وَقَعَ الْعَزْمُ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَالْقَصْدُ لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِذَلِكَ مِنْهُمْ عَلِيمٌ بِهِ فَهَذَا مَعْنَى الْآيَةِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شُبْهَةَ فَمَنْ حَلَفَ أَنْ لَا يُطَا أَمْرَاتِهِ وَلَمْ يَقْبِدْ بِمُدَّةٍ أَقْبَلَ بِنِيَادَةٍ عَلَى اَرْبَعَةِ اشْهُرٍ كَانَ عَلَيْنَا امْهَالُهُ اَرْبَعَةَ اشْهُرٍ فَذَا مَضَتْ فَهُوَ بِالْخِيَارِ أَمَا رَجَعَ إِلَى نِكَاحِ أَمْرَاتِهِ وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ بَعْدَ مُضِيِّ الْمُدَّةِ كَمَا كَانَتْ زَوْجَتُهُ قَبْلُهَا أَوْ طَلَقَهَا وَكَانَ لَهُ حُكْمُ الْمُطْلُوقِ لَأَمْرَاتِهِ ابْتِدَاءً وَأَمَّا إِذَا وَقْتُ بَدَوْنِ اَرْبَعَةِ اشْهُرٍ فَإِنْ ارَادَ أَنْ يَبْرِي فِي يَمِينِهِ اعْتَزَلَ أَمْرَاتِهِ الَّتِي حَلَفَ مِنْهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ الْمُدَّةَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا فَإِنَّهُ اعْتَزَلَ لَهَا حَتَّى مَضَى الشَّهْرُ إِنْ ارَادَ أَنْ يُطَا أَمْرَاتِهِ قَبْلَ مُضِيِّ تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي هِيَ وَنِ اَرْبَعَةُ اشْهُرٍ

حنت في يمينه ولزمته الكفارة وكان ممثلاً لما صح عنه صلواته من قوله من حلف على
 يمين فرائ غير خير منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه والمطقات أي الخليات
 من حيال إذا جعن والمطقة هي التي وقع الزوج عليها الطلاق يترتب بيا نقيض من ثلاثة
 قُرُوءٍ مضمين من حين الطلاق تدخل تحت عمومها المطلقة قبل المخلول ثم خصصت بقوله تعالى
 فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فوجب بناء العام على الخاص وخرجت من هذا العموم المطلقة
 قبل المخلول وكذلك خرجت الحامل بقوله تعالى وإولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
 وكذلك خرجت الأيسة بقوله تعالى فعدن ثلثة اشهر والتربص الانظار قيل هو خبر
 في معنى الامراي لتربص قصد باخراجه فخرج الخبر تأكيداً وقوعه وزادة تأكيداً وقوعه خبراً
 للبند قال ابن العربي وهذا باطل وانما هو خبر عن حكم الشرع فان وجدت مطلقة لا تربص
 فليس ذلك من الشرع ولا يلزم من ذلك وقوع خبر الله سبحانه على خلاف خبره والقرو جمع
 قرء قال الاصمعي الواحد القرء بضم القاف وقال ابو زيد بالفتح وكلاهما قال اقرأت المرأة
 حاضت واقرأت ظهرت وقال الاخفش اقرأت المرأة اذا صارت صاحبة حيض فاذا حاضت
 قلت قرأت بلا الف وقال ابو عمرو بن العلاء من العرب من يسمى الحيض قرء ومنهم من يسمى الطهر
 قرء ومنهم من يجمعهما جميعاً فيسمى الحيض مع الطهر قرء وينبغي ان يعلم ان القرء في الاصل
 الوقت يقال هبت الرياح لقرئها ولقارئها أي لوقتها فيقال الحيض قرء والطهر قرء لان كل
 واحد منهما له وقت معلوم وقد اطلقته العرب تارة على الاطهار وتارة على الحيض وقال
 قوم ما خوذ من قرء الماء في الحوض وهو جمعه ومنه القران لاجتماع المعاني فيه والحاصل
 ان القرء في لغة العرب مشترك بين الحيض والطهر ولاجل ذلك الاشتراك اختلاف اهل
 العلم في تعيين ما هو المراد بالقرء المذكورة في الآية فقال اهل الكوفة هي الحيض وهو
 قول عمر وعلي وابن مسعود وابي موسى وبجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي
 واحمد بن حنبل وقال اهل الحجاز هي الاطهار وهو قول عايشة وابن عمر وزيد بن ثابت
 الزهري وابان بن عثمان والشافعي واعلم انه قد وقع الاتفاق بينهم على ان القرء الوقت
 فصار معنى الآية عند الجميع والمطقات يترتب بيا نقيض من ثلثة اوقات في هذا مفسرة

في العدد مجمل في المعدود فوجب طلب البيان للمعدود من غيرها فأهل القول الأول استدلوا على أن المراد في هذه الآية الحيض بقوله صلّم دعى الصلوة أي ما قرأتك بقوله صلّم طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان وبأن المقصود من العدة استبراء الرحم وهو يحصل بالحيض لا بالطهر واستدل أهل القول الثاني بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ولا خلاف أنه يؤمر بالطلاق وقت الطهر وبقوله صلّم لعمر مرة فلا يرجعها ثم لم يسكنها حتى تطهر ثم خيف ثم تطهر ففك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وذلك لأن زمن الطهر هو الذي تطلق فيه النساء قال أبو بكر بن عبد الرحمن ما أدركنا أحدا من فقهاءنا إلا يقول بأن الأقراء هي الأطهار فإذا طلق الرجل في طهر لم يطأ فيه اعتدت بما بقي منه ولو ساعة ولو لحظة ثم استقبلت طهرا ثانيا بعد حيضة فأذارت الدم من الحيضة الثالثة خرجت من العدة انتهى وعندي أن لاجحة في بعض ما احتج به أهل القولين جميعا أما قول الأولين أن النبي صلّم قال دعى الصلوة أي ما قرأتك فغاية ما في هذا أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أطلق الأقراء على الحيض ولا تنزع في جواز ذلك كما هو شأن اللفظ المشترك فإنه يطلق تارة على هذا وتارة على هذا وإنما النزاع في الأقراء المذكورة في هذه الآية وأما قوله صلّم في الأمة وعدتها حيضتان فهو حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني والحاكم وصححه من حديث عائشة مرفوعا وأخرجه ابن ماجه والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعا أيضا ودلالته على ما قاله الأولون قوية وأما قولهم إن المقصود من العدة استبراء الرحم وهو يحصل بالحيض لا بالطهر فيجاب عنه بأنه إنما يتم لو لم يكن في هذه العدة شيء من الحيض على فرض تفسير الأقراء بالطهار وليس كذلك بل هي مشتملة على الحيض كما هي مشتملة على الأطهار وأما استدلال أهل القول الثاني بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن فيجاب عنه بأن التناسخ في الأمر في قوله لعدتهن يصير ذلك محتملا ولا تقوم به الحجة وأما استدلالهم بقوله صلّم لعمر مرة فلا يرجعها الحديث فهو في الصحيح ودلالته قوية على ما ذهبوا إليه ويمكن أن يقال إنما تنقضي العدة بثلاثة أطهار أو بثلاث حيض ولا مانع من ذلك فقد جوز جمع من أهل العلم على المشترك على معنيين وبذلك يجمع بين الأدلة

ويرتفع الخلاف ويندفع النزاع وقد استشكل الزمخشري تمييز الثلاثة بقوله وقروء هي جمع كثرة دون الأقرء التي هي من جموع القلة واجاب بأنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لا شتر كما في الجمعية ولا يحل لهن أن يكنن ما خلق الله في أرحامهن قيل المراد به الحيض وقيل الحمل وقيل كلاهما ووجه النهي عن الكنن ما فيه بعض الأحوال من الأضرار بالزوج وإذها ب حقه فإذا قالت المرأة حضت وهي لم تحض ذهبت بحقه من الارتجاع وإذا قالت هي لم تحض وهي قد حاضت الزمته من النفقة ما لم يلزمه فأضرت به وكذلك الحمل ربما تكتمه لتقطع حقه من الارتجاع وربما تدعيه لتنف عليه النفقة ونحو ذلك من المقاصد المستلزمة للأضرار بالزوج وقد اختلفت الأقوال في المدة التي تصدق فيها المرأة إذا دعت انقضاء عدتها وفيه دليل على قبول قولهم في ذلك نفيًا وإثباتًا إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فِيهِ وَعِدِدٌ شَدِيدٌ لِلْكَافِرَاتِ وبيان أن من كتمت ذلك منهن لم تستحق اسم الأيمان وهذا الشرط ليس للتقييد بل للتعليل حتى لو كان من منات كان عليهن العدة أيضًا وَبُعُولَتُهُنَّ البعولة جمع بعل وهو الزوج سمي بعلًا لعلوه على الزوجة لأنهم يطلقونه على الرب ومنه قوله تعالى اتدعون بعلًا أي ربًا ويقال بعل وبعولة كما يقال في جمع الذكر ذكر وذكورة وهذه التأنيث الجمع وهو شاذ لا يقاس عليه بل يعتبر فيه السماع والبعولة أيضًا يكون مصدر من بعل الرجل بعل مثل منع يمنع أي صار بعلًا والنقد يراهل بعولتهن واستفيد من هذا أن البعولة لفظ مشترك بين المصدر والجمع أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ أي برجعهن وذلك يختص بمن كان يجوز للزوج مراجعتها فيكون في حكم التخصيص لعدم قوله والمطلقات يترى بصن بأنفسهن لأنه يعم المثلثات وغيرهن وصيغة التفضيل لإفادة أن الرجل إذا أراد الرجعة والمرأة تاباها وجب يشار قوله على قولها وليس معناه أن لها حقًا في الرجعة قاله أبو السعود في ذلك يعني في مدة التريص فإن انقضت مدة التريص فهي أحق بنفسها ولا تخل له إلا بنكاح مستأنف بولي وشهود ومهر جديد ولا خلاف في ذلك والرجعة تكون باللفظ وتكون بالوطي ولا يلزم المراجع شيء من أحكام النكاح بلا خلاف إن أراد وَأَصْلًا أي بأكمل الرجعة أي إصلاح حاله معها وحالها مع

فان قصد الاضرار بها فهي محرمة لقوله تعالى ولا تمسكوا من خيوطه المتعددا قليل واذا قصد
 بالرجعة الضرر ففي صححة وان ارتكب به محرمات وظلم نفسه وعلى هذا فيكون الشرط المذكور
 في الآية لمثل الزوج على قصد الصلاح والزجر لهم عن قصد الضرر وليس المراد به جعل
 قصد الصلاح شرطا لصحة الرجعة وكهن مثل الذي عليهن بالمعروف ولهن من حقوق الزوج
 على الرجال مثل ما للرجال عليهن فيحسن عشرتها كما هو معروف من عادة الناس انهم يفعلونه
 للنساء وهي كذلك تحسن عشرة زوجها كما هو معروف من عادة النساء انهن يفعلنه لزوجهن
 من طاعة وتزين وتحب ونحو ذلك قال ابن عباس في الآية اني احب ان اتزين لامرأتي كما احب
 ان تتزين لي لان الله قال ولهن النصف مما للرجل الكرخي اي في الوجوب لا في الجنس فلو غسلت ثيابه او
 خبئت له لم يلزمه ان يفعل ذلك وقيل في مطلق الوجوب لا في حد الافراد ولا في صفة الواجب
وللرجال عليهن درجة اي منزلة ليست لهن وهي قيامه عليها في الاتفاق وكونه من اهل الجهاد
 والعقل والقوة وله من الميراث اكثر مما لها وكونه يجب عليها امتثال امره والوقوف عند
 رضائه والشهادة والدية وصلاحيه الامامة والقضاء وله ان يتزوج عليها ويتسم ولها
 ذلك وببده الطلاق والرجعة وليس شيء من ذلك بيدها ولو لم يكن من فضيلة الرجال على النساء
 كونهن خلقن من الرجال لما ثبت ان حواء خلقت من ضلع آدم وفي وقد اخرج اهل السنن عن عمرو بن
 الاحوص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان لكم على نساءكم حقا ولنساكنكم عليكم حقا اما حقكم
 على نساكنكم ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهم عليكم
 ان تحسنوا اليهم في كسوتهم وطعامهم وصحبه الترمذي واصله عند مسلم في الصحيح واخرج احمد
 وابوداود والنسائي وابن ماجة وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي عن معاوية بن حيدة القشيري
 انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حق المرأة على الزوج قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت
 لا تضرب الوجه ولا تقبح الا في البيت والله عز وجل يرحمكم فيها امره بخلقه عن ابن ابي ظبيان ان معاذ
 بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجلا لا يسجد بعضهم لبعض فذكر
 ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو امرت احد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها والفقهاء
 بسنده الطلاق في موضعين اي حده الطلاق الذي يثبت فيه الرجعة للزوج هو مرتان فالمراد

في امور زوجها ونجات الزوج انه اذ لم تقطعه ان يعتدي عليها وقرأ حمزة يخافا بضم الباء
 الا ان يعلم من حاله او الفاعل محذوف وهو الائمة والولة والحكام والقضاة واختار ابو عبيد
 قال لقوله فان خفتم ففعل الخوف لغیر الزوجين وقد احتج بذلك من جعل الخلع الى السلطان
 وهو سعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وقد ضعف الفخاس اختياري عبيد فان خفتم
 اي خشيتهم واشفقتم وقيل معناه ظنتم ان لا يقيموا حلا ود الله يعني ما اوجب الله على كل
 واحد منهما من طاعته فيما امر به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى
 المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها فلا جناح عليهما فيما اقتدت به اي لا جناح
 على الرجل في الاخذ ولا على المرأة في الاعطاء بان تقدي نفسها من ذلك النكاح يبذل
 شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لاجله وهذا هو الخلع وقد ذهب الجمهور الى جواز ذلك
 للزوج وانه يحل له الاخذ مع ذلك الخوف وهو الذي صرح به القران وحكى ابن المنذر عن
 بعض اهل العلم انه لا يحل له ما اخذ ولا يجبر على رده وهذا في غاية السقوط واخرج البخاري و
 النسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ان جميلة بنت عبد الله بن سلول
 امرأة ثابت بن قيس بن شماس اتت النبي صلى الله عليه واله وسلم فقالت يا رسول الله ثابت
 بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولادين ولكن لا يطيقه بغضا واكره الكفر في الاسلام قال
 اتدين عليه حد يقاته نعم قال اقبل الحد يقاته وطلقها تطليقة ولفظ ابن ماجه فامر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياخذ منها حد يقاته ولا يزداد وفي الباب احاديث كثيرة
 وقد ورد في ذلك المختلعات احاديث منها عن ثوبان عند احمد وابي داود والترمذي و
 حسنه وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي قال قال رسول الله صلى الله عليه
 واله وسلم ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وقال
 المختلعات هن المنافقات ومنها عن ابن عباس عند ابن ماجه ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فنجس ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة
 اربعين عاما وقد اختلف اهل العلم في عدة المختلعة والراجح انها تعتد بحضة لما اخرج
 ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم امر امرأة

ثَابِتٌ بْنُ قَيْسٍ أَنَّ تَعْتُدَ بِحَيْضَةٍ وَلَمَّا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ الرَّبِيعِ بَدَتْ مَعُودُ بْنُ عَفْرَاءَ أَنَّهَا
 اخْتَلَعَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَعْتُدَ بِحَيْضَةٍ قَالَ
 التِّرْمِذِيُّ الصَّحِيحُ أَنَّهَا أَمَرَتْ أَنْ تَعْتُدَ بِحَيْضَةٍ وَفِي الْبَابِ حَدِيثٌ وَلَمْ يَرِدْ مَا يَعْكَضُ هَذَا
 مِنَ الْمَرْفُوعِ بَلْ وَرَدَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ عِدَّةَ الْمُخْتَلَعَةِ كَعِدَّةِ الطَّلَاقِ وَبِهِ
 قَالَ الْجَهْوَرِيُّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ وَاسْتَدْلُوا عَلَى ذَلِكَ
 بِأَنَّ الْمُخْتَلَعَةَ مِنْ حِمْلَةِ الْمُطْلَقَاتِ فِي حِمْلَةِ خِلَةِ تَحْتِ عُمُومِ الْقُرْآنِ وَالْحَقُّ مَا ذَكَرْنَا لِأَنَّ مَا وَرَدَ
 عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصُصُ عُمُومَ الْقُرْآنِ وَقَدْ حَكِيَ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَزِينِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَسْقُوتَةٌ
 بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ وَأَنْ أَدْرَأَ تَمَسْتَبِيلَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَاتَّيَمَّ أَحَدُهُمَا فَفُطِنَ
 فَلَا تَأْخُذْ وَامْنِهِ شَيْئًا تَأْخُذْ وَنَهْمَتَنَا وَاتَّمَا صَبِينَا وَهُوَ قَوْلٌ خَارِجٌ عَنِ الْجَمَاعِ وَلَا تَنَافِي
 بَيْنَ الْآيَتَيْنِ وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ إِذَا طَلَبَ الزَّوْجَ مِنَ الْمَرْأَةِ زِيَادَةً عَلَى مَا دَفَعَهُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَهْرِ
 وَمَا يَتَّبِعُهُ وَرَضِيَتْ بِذَلِكَ الْمَرْأَةُ هَلْ يَجُوزُ أَمْ لَا وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهَا لَمْ تَقْتَضِ بِمَقْدَارِ
 مَعِينٍ وَبِهَذَا قَالَ مَا لَكَ الشَّافِعِيُّ وَابُو ثَوْرٍ وَرَدِي مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ
 وَقَالَ طَاوُسٌ وَعِظَاءُ وَآلُ زَاعِي وَاسْمُهَا أَقْبَاقُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهَا وَرَدُّ فِي ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قُلْتُ كَحُدِّ وَدَّ اللَّهُ فَلَا تَعْتَدُ وَهَذَا يَعْنِي هَذِهِ أَوْ أَمْرًا لَهُ وَنَوَاحِيهِ وَهِيَ مَا تَقْدُمُ مِنَ الْأَحْكَامِ
 فَلَا تَجَازِزُهَا بِالْخِلَافَةِ وَالرَّفْضِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدَّ وَدَّ اللَّهُ أَيَّ أَحْكَامِ النِّكَاحِ وَالْفِرَاقِ
 الْمَذْكُورَةِ هِيَ حُدُّ دَالِهِ الَّتِي أَمَرَ تَمَامُ مِثْلِهَا فَلَا تَعْتَدُ وَهِيَ بِالْخِلَافَةِ لَهَا فَتَسْتَحِقُّ مَا ذَكَرَهُ
 اللَّهُ مِنَ التَّجْبِيلِ عَلَى فَعْلٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُ ظَاهِرٌ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ أَيَّ لَا نَفْسَهُمْ يَتَعَرَّضُ بِهَا
 لِسُخْطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ وَفِيهِ وَفِيمَا قَبْلَهُ الْإِظْهَارُ فِي مَقَامِ الْأَضْمَارِ لِتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ وَادْخَالِ الرُّوحِ
 فِي ذَهْنِ السَّامِعِ وَذَكَرَ هَذَا الْوَعِيدَ بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ تَعْدِيهَا لِلْمُبَالَاغَةِ فِي النَّهْيِ دَلِيلٌ أَنَّ طَلْقَهَا
 أَيَّ الطَّلَاقِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ أَوْ تَسْرِجُ بِأَحْسَنِ أَيْ فَاِنْ وَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ
 فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ بِالتَّثْلِيثِ سِوَاكَانٍ قَدْ لُجَّهَا أَمْ لَا وَسِوَاكَانٍ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فِي صَوْرَةٍ
 عَدَمِ الرِّجْعَةِ أَمْ لَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ الْحِكْمَةِ فِي شَرْعِ هَذَا الْحَكْمِ الرُّدْعُ عَنِ الْمَسَارِعَتِ إِلَى
 الطَّلَاقِ وَعَنِ الْعُودِ إِلَى الْمُطْلَقَةِ الثَّلَاثَةِ وَالرَّغْبَةِ فِيهَا حَتَّى تَكُونَ زَوْجًا غَيْرَهَا أَيْ حَتَّى تَتَزَوَّجَ

بزواج آخر غير المطلق بعد انقضاء عدتها من الاول فيجاء معها والنكاح يتناول العقد و
 الوطأ جميعاً والمراد هنا الوطوء وقد اخذ بظاهر الآية سعيد بن المسيب ومن وافقه قالوا
 يكفي مجرد العقد لانه المراد بقوله حتى تكتم زواجا غير ذهاب الجهور من السلف والخلف
 بل يقع العقد من الوطئ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتبار ذلك وهو زيادة يتعين قبولها واعلم
 ما يبلغ سعيد بن المسيب ومن تابعه وفي الآية دليل على انه لا بد ان يكون ذلك نكاحاً شرعياً
 مقصوداً لذاته لا نكاحاً غير مقصود لذاته بل حيلة للتخليل وذريعة الى ردّها الى الزوج الاول
 فان ذلك حرام للادلة الواردة في ذمه وذم فاعله وانه التيسر المستعار الذي لعنه الشارع
 ولعن من اتخذه لذلك واخرج الشافعي وعبد الرزاق وابن ابي شيبة واحمد والبخاري ومسلم
 والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبنت طلاق فتزوجني عبد
 بن الزبير وما معه الا مثل هدية الثوب فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
 لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقد روي نحو هذا عن ابي هريرة وخرج احمد و
 النسائي عن ابن عباس ان العيصا والرميصا اتت النبي صلى الله عليه وسلم في اخره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 لك حتى يذوق عسيلتك رجل غيري والعسيلة محار عن قليل اجماع اذ يكفي قليل الا نشأ شهت
 تلك اللذة بالعسل وبصغرت بالتأء لان الغالب على العسل التأنيت قاله ابو هريرة وقد ثبت عن
 المحلل في احاديث كثيرة منها عن ابن مسعود عند احمد والترمذي وصححه والنسائي والبيهقي
 في سننه قال لعن النبي صلى الله عليه وسلم المحلل والمحل له وفي الباب احاديث في ذم التحليل وفاعله وقد
 اطال في بيان ذلك المحققان القيم في اغانة اللهفان واعلام الموقعين وهو بحث نفيس جل
 فارجع اليه فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي ان طلقها الزوج الثاني فلا جناح
 على الزوج الاول والمرأة ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه يعني بنكاح جديد قال ابن المنذر اجمع
 اهل العلم على ان احداً اذا طلق زوجته ثلاثاً ثم انقضت عدتها ونكحت زوجاً ودخل بها ثم
 فارقها وانقضت عدتها ثم نكحها الزوج الاول انما تكون عنده على تلك تطليقات ان طلقها علماً
 وايقنا وقيل ان رجوا ان احد لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى ان يقيم احداً ود الله اي حقوق

والزوجة الواجبة لكل منهما على الآخر وقيل إن علم أن نكاحها على غير دلسة والدلسة التحليل
 والاول اولى واما اذا لم يحصل ظن ذلك بأن يعلموا او احدهما عدم الاقامة فحدود الله او ترددا
 او احدهما ولم يحصل لهما الظن فالرجوع بالدخول في هذا النكاح لانه مظنة للمعصية لله الوقوع
 فيما حرمه على الزوجين وذلك حدود الله اشارة الى الاحكام المذكورة كما سلف بينتها القوم
يَعْمَلُونَ خِصَمًا مع عموم الدعوة للعالم وغيره وجوب التبليغ لكل فرد لانهم المنتفعون بذلك
 البيان واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن البلوغ الى الشيء معناه الحقيقة الوصول اليه
 ولا يستعمل البلوغ بمعنى المقاربة الامحاز العلاقة مع قرينة كما هنا فانه لا يصح ارادة المعنى الحقيقي
 لان المرأة اذا بلغت اخرجت من مدة العدة وجاوزته الى الحيز الذي هو الاجل للانقضاء
 فقد خرجت من العدة ولم يبق للزوج عليها سبيل قال القرطبي في تفسيره ان معنى بلغن هنا
 قاربن باجماع العلماء قال ولان المعنى يضطر الى ذلك لانه بعد بلوغ الاجل لا خيار له في الامساك
 يعني فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة والمعنى قاربن انقضاء عدتهن وشاكرن منتهاهما ولم يرد
 انقضاء العدة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربته وشاكرته فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم
 الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو اخر زمان يمكن ايقاع
 الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التاويل فلا حاجة الى المجاز
فَأَمْسَكُوهُنَّ اي راجعوهن بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا
 بالوطى وقيل الامساك بمعروف هو القيام بحقوق الزوجية وهو الظاهر قيل اعادة اعتناء
 بشأنه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه أَوْ سَرَحُوهُنَّ بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي
 عدتهن فيمكن انفسهن والمعنى اذا طلقتم النساء فقاربن اخر العدة فلا تضاروهن بالرجعة
 من غير قصد لاستقرار الزوجية واستدامتها بل اختاروا احدا من اهل الامساك بمعروف
 من غير قصد لضراره والتسريح باحسان اي تركها حتى تنقضي عدتها من غير مراجعة ضرار
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا كما كانت تفعل الجاهلية من طلاق المرأة حتى يقرب انقضاء عدتها
 ثم مراجعتها لاعن حاجة ولا محبة ولكن بقصد تطويل العدة وتوسيع مدة الانتظار حتى اذا
لَا تُعْتَدُوا اي بقصد الاعتداء منكم عليهن والظلم بهن وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اي الامساك بالمعروف

الضرار فقد ظلم نفسه لانه عرضها لعقاب الله وسخطه في ضمن ظلمه لهن قال الزجاج يعني عرض
 نفسه للعذاب لان الاتيان ما نهى الله عنه تعرض لعذاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزواي
 بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازكانه
 نهى عن الهز وواراد به الامر بضده والمعنى لا تأخذوا احكام الله على طريقة الهز وقاتلها جلد
 كلها فمن هزل فيها فقد لزمته نهارهم سبعا نه ان يفعلوا كما كانت اجا حلية تفعل فانه كان
 يطلق الرجل منهم او يعتق او يتزوج ويقول كنت لاعبا قال القرطبي ولا خلاف بين العلماء
 من يطلق هازلان الطلاق يلزمه اخراج ابوداود والترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم
 وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جد من جد وهزل من جد النكاح والطلاق
 والرجعة واذكروا نعمت الله عليكم اي النعمة التي صرت فيها بالاسلام وشرائعها بعد
 ان كنتم في جاهلية حملاء وظلمات بعضها فوق بعض وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة هو القراء
 والحكمة قال المفسرون هي السنة التي سننها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به قال الشافعي يعظمكم به
 اي يخبركم بما انزل عليكم وافرد الكتاب والحكمة بالذكر مع دخولها في النعمة دخلا اوليا
 تنبها على خطرهما وعظم شأنهما واتقوا الله يعني خافوا الله فيما امرهم به ونهاهم عنه واعلموا
 ان الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من ذلك فيؤاخذكم بانواع العقاب واذ اطلقتم
 النساء قبلكن اجلهن فلا تعضلوهن ان يمكن انزواجهن في هذه الآية بقوله اذا
 النساء وبقوله فلا تعضلوهن اما ان يكون للانزواج ويكون معنى العضل منهم ان يمنعوهن
 من ان يتزوجن من اردن من الانزواج بعدا نقضاء عدتهن بحجة الجاهلية كما يقع كثيرا من
 الخلفاء واسلاطين غيرة على من كن تحتهم من النساء ان يصرن تحت غيرهم لانهم لما نالوه من
 رياسة الدنيا وما صاروا فيه من الفخوة والكبرياء يتخيّلون انهم قد خرجوا من جنس بني ادم
 الامن عصمه الله منهم بالورع والتواضع واما ان يكون الخطاب للاولياء ويكون معنى اسنا
 الطلاق اليهم انهم سبب له لكونهم للزواجين للنساء المطلقات من الانزواج المطلقين لهن في
 بلوغ الاجل المذكور هذا المراد به المعنى الحقيقي اي نهايته لا كما سبق في الآية الاولى ولهذا قال الشافعي
 اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين والعضل الحبس وحل الخليل حاجة معصية قد اعتبس

بيضا وقيل العضل التنضيج والمنع وهو راجع الى معنى الحبس قال الا زهري اصل العضل من
 قولهم عضلت الناقة اذا نشرب لد ما فلو يسهل خروجه وكل مشكل عند العرب معضل ويقال
 اعضل الامر اذا اشتد ودا عضال اي شديد عسير البراء عيا الاطباء وقوله ازواجهن
 ان اريد به المطلقون لهن فهو مجاز باعتبار ما كان وان اريد به من يردن ان يترزجنه
 فهو مجاز ايضا باعتبار ما سيكون اذا تراضوا بينهم بالمعروف يعني اذا تراضى الخطيب والنساء
 والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما
 التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصيغة الحسنة والعشرة الجميلة ذلك يؤعطيه من
كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر اشارة الى ما فصل من الاحكام وانما افرده مع كون المذكور
 قبله جمعا حملا على معنا الجمع يتاويله بالفريق وغيره والمعنى ان المؤمن هو الذي يتنفع بالوعظ
 دون غيره ذلكم محمول على لفظ الجمع خالف سبحانه ما بين الاشارتين امتنا انا اذكر لكم اني
 وانفع واظهر لكم من الادناس واطيب عند الله لما يشتر على الزوجين من الرية بسبب العلاقة
 بينهما والله يعلم وانتم لا تعلمون ما لكم فيه الصلاح وقال الضحاك يعلم من حب كل واحد
 منهما لصاحبه ما لا تعلم انت ايها المولى قيل سبب نزولها ان اخت معقل بن يسار طلقها
 زوجها فاراد ان يراجعها فنعها معقل كما رواه الحاكم واسمها جميلة واسم زوجها عامر
 بن عدي فلما نزلت هذه الآية كفر عن يمينه وانكحها اياه وقام القصة في البخاري والوالد
يرضعن اولادهن لما ذكر الله سبحانه النكاح والطلاق ذكر الرضاع لان الزوجين قد يفتقان
 ويبنهما ولدا ولهذا قيل ان هذا خاص بالمطلقات وقيل هو عام وقوله يرضعن قيل هو خير
 بمعنى الامس للدلالة على تحقق مضمونه وليس امر يوجب وانما هو امر ندب واستحباب وقيل هو خير
 على بابه حولين كالحولين تأكيد للدلالة على ان هذا التقدير تحقيق لا تقريبي وفيه رد على ^{حنيفة} علي
 في قوله ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وعلى زفر في قوله انها ثلث سنين ذلك لمن اراد ان يكتم الرضا
 فيه دليل على ان ارضاع الحولين ليس حتما بل هو التمام ويجوز الاقتصار على ما دونه وليس له
 حد محدد وانما هو على مقدار صلاح الطفل وما يعيش به قال النحاس لا يعرف البصريون
 الرضا علة الا بالفتح وحكى الكوفيون جواز الكسر والاية تدل على وجوب الرضا على الام لولدها

وقد جمل ذلك على ما اذا لم يقبل الرضيع غيرها وعلى المولد أي على الأب الذي يولده وأن
 هذا اللفظ دون قوله وعلى الوالد الدلالة على أن الأولاد لأباً ولا لأمهات ولهذا ينسبون إليهم
 دونهم كأنهم إنما ولدن لهم فقط ذكر معناها في الكشاف يرزقون المراد بالرزق هنا الطعام
 الكافي المتعارف به بين الناس ويطلق الرزق بالكسر على المرزوق وعلى المصدر وكسوتهم
 المراد بالكسوة ما يتعارفون به أيضاً بالمعروف أي على قدر الميسرة وفي ذلك دليل على وجوب
 ذلك على الأب لأمهات المرضعات وهذا في المطلقات طلاقاً باتاً وأما غير المطلقات فيقتضين
 وكسوتهم واجبة على الأزواج من غير إرضاعهن لأولادهن وقال القرطبي لا يظهر أن الآية في
 الزوجات في حال بقاء النكاح لأنهن المستحقات للنفقة والكسوة ارضعن أو لم يرضعن وهما
 في مقابلة التكمين لكن إذا اشتغلت الزوجة بالارضاع لم يكمل التكمين ولا المتع بها فقد يتوهم
 أن هذه النفقة تسقط بحالة الارضاع فدفع هذا التوهم بقوله وعلى المولد ثم قال في محال
 وفي هذه الآية دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لجنه وضعفه ونسبه تعالى للأب لأن
 الغذاء يصل إليه بواسطتها في الرضاع واجمع العلماء على أنه يجب على الأب نفقة أولاده الأطفال
 الذين لا مال لهم انتهى لا تكلف نفس إلا وسعها هو تقييد لقوله بالمعروف أي هذه النفقة
 والكسوة الواجبتان على الأب بما يتعارفه الناس لا يكلف منهما إلا ما يدخل تحت وسعه وطاقته
 كما يشق عليه ويعجز عنه وقيل المراد لا تكلف المرأة الصبر على التقدير في الأجرة ولا يكلف
 الزوج ما هو سراف بل يُراعى القصد لا تضار والدته بولدها ولا مولود له بولده قرئ
 بالرفع على الخبر ويقع الرأى المشددة على النذر وأصله لا تضارن ولا تضارن على البناء للفاعل
 أو المفعول أي لا تضارن الأب بسبب الولد بأن تطلب منه ما لا يقدر عليه من الوزن الكسوة
 أو بأن تفرط في حفظ الولد والقيام بما يحتاج إليه أو لا تضارن من زوجها بأن يقصر عليها
 في شيء مما يجب عليه أو ينتزع ولدها منها بلا سبب هكذا قراءة الرفع تحت الوجهين ويجوز
 أن تكون البناء في قوله بولدها صلة لقوله تضارن على أنه بمعنى تضار أي لا تضار والدته بولدها
 فقصر تربيته أو تقصير في غذائه ولا والد بولده وقد مهال فرط شفقتهما وأضيف الولد تارة إلى
 الأب وتارة إلى الأم للاستعطاء لا لبيان النسب ذلك كانت له لم تصح إلا للوالد لأنه هو الذي

ينسب اليه الولد وهذه الجملة تفصيل للجملة التي قبلها وتقريب لها أي لا يكلف كل واحد
 منهما الآخر ما لا يطيقه فلا يضار به بسبب ولده وعلى الوارث مثل ذلك معطوف على قوله
 وعلى المولود له وما بينهما تفسير للمعروف أو تعليل له معترض بين المعطوف والمعطوف عليه مختلف
 أهل العلم في معنى الآية فقليل هو وارث الصبي أي إذا مات المولود له كان على وارث هذا
 الصبي المولود ارضاعه كما كان يلزم أباه ذلك قاله عمر بن الخطاب وقتادة والسكيت والحسن
 ونجاح وعطاء واحد وأبو حنيفة وابن أبي ليلى على خلاف بينهم هل يكون الوجب
 على من يأخذ نصيبا من الميراث أو على المذكور فقط وعلى كل ذي رحم له وإن لم يكن وارثا
 منه وقيل المراد بالوارث وارث الأب تجب عليه نفقة المرضعة وكسوتها بالمعروف قاله الضحاك
 وقال مالك في تفسير هذه الآية بمثل ما قاله الضحاك ولكنه قال إنها منسوخة وإنها لا تلزم
 الرجل نفقة أخ ولا ذي قرابة ولا ذي رحم منه وشرط الضحاك بأن لا يكون للصبي مال فإن
 كان له مال أخذت أجره رضاعه من ماله وقيل المراد بالوارث المذكور في الآية هو الصبي نفسه
 أي عليه من ماله ارضاع نفسه إذا مات أبوه وورث من ماله قاله قبيصة بن ذؤيب وشير
 بن نصر قاضي عمر بن عبد العزيز وروي عن الشافعي وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد
 موت الآخر منهما فإذا مات الأب كان على الأم كفاية الطفل إذا لم يكن له مال قاله سفيان
 الثوري وقيل وارث المرضعة يجب عليه أن يصنع بالمولود كما كانت الأم تصنعه به من الرضاع
 ولحذمة والتربية وقيل إن معنى الآية أنه يحرم عليه الاضرار بالأم كما يحرم على الأب وقالت
 طائفة من أهل العلم قالوا وهذا هو الأصل فمن ادعى أنه يرجع فيه العطف إلى جميع ما
 تقدم فعليه الدليل قال القرطبي وهو الصحيح إذا لو أراد الجميع الذي هو الرضاع والاتفاق وعدم
 الضرر لقال وعلى الوارث مثل هؤلاء فدل على أنه معطوف على المنع من المضاربة وعلى ذلك
 تأوله كافة المفسرين فيما حكى القاضي عبد الوهاب قال ابن عطية وقال مالك وجميع أصحابه
 والشعبي والزهري والضحاك وجماعة من العلماء بقوله مثل ذلك لا يضار أما الرزق
 والكسوة فلا يجب شيئا منها وحكى ابن القسّم عن مالك مثل ما قد مناعته في تفسير هذه الآية
 ودعوى النسخ ولا يخفى عليك ضعف ما ذهب إليه هذه الطائفة فإن ما خصصوا به معنى

قوله وعلى الوارث مثل ذلك من ذلك المعنى أي عدم الأضرار بالرضعة قد أفاده قوله لا تصاد
والدة بولدها الصدق ذلك على كل مضارة ترد عليها من المولود له أو غيره ولما قول القرطبي
لو أراد الجميع لقال مثل هؤلاء فلا يخفى ما فيه من الضعف البين فإن اسم الإشارة يصلح للتعد
كما يصلح للواحد بتأويل المذكر أو نحوها وأما ما ذهب إليه أهل القول الأول من أن المراد بالوارث
وارث الصبي فيقال عليه أنه لم يكن وارثاً حقيقة مع وجود الصبي حياً بل هو وارث بما لم يكن
مأثراً إليه وأما ما ذهب إليه أهل القول الثاني فهو أن كان فيه حمل الوارث على معناه
الحقيقي لكن إيجاب النفقة عليه مع غناء الصبي فيه ولهذا قيل القائل به بأن يكون
الصبي فقيراً ووجه الاختلاف في تفسير الوارث ما تقدم من ذكر الوالدات والمولود له
والولد فاحتمل أن يضاف الوارث إلى كل منهم فإن أركأ فصلاً الضمير للوالدين والفضل
القطام عن الرضاع أي التفريق بين الصبي والشدي ومنه سمي الفصل لأنه مفصول
عن أمه عن تراضٍ منهما أي صادراً عن تراض من الأبوين وعلى اتفاق من الوالدين إذا
كان الفصل وقطام الولد قبل الحولين وتشاورهما يشاؤون أهل العلم في ذلك حتى يخرج
القطام قبل الحولين لا يضر بالولد فلا جناح عليهما في ذلك الفصل لما بين الله سبحانه أن
مدة الرضاع حولان كاملان قيد ذلك بقوله لمن أراد أن يتم الرضاعة وظاهرة أن الأب
وحده إذا أراد أن يفصل الصبي قبل الحولين كان ذلك جائزاً له وهنا اعتبر سبحانه تراض
الأبوين وتشاورهما فلا بد من الجمع بين الأمرين بأن يقال إن الإرادة المذكورة في قوله لمن
أراد أن يتم الرضاعة لا بد أن تكون منهما أو يقال إن تلك الإرادة إذا لم يكن الأبوان للصبي
حينئذ كان الموجود أحدهما أو كانت المرصعة للصبي ظراً غير أمه والتشاور استخراج الراجح
يقال شرت العسل استخرجته فلا بد لأحد الأبوين إذا أراد فصل الرضيع أن يراضي الآخر
ويشاوره حتى يحصل الاتفاق بينهما على ذلك وإن أركأ ثم خطاب للأباء وزاد بعضهم الأمهات
وفيه خروج من الغيبة إلى الخطاب أن تسترضعوا أو لا ذكر قال الزجاج التقدير أن تسترضعوا
أو لا ذكر غير الوالدة وعن سيبويه المعنى أن تسترضعوا المراضع أو لا ذكر فلا جناح عليهما إذا
سكنتم ما استئتم بالمد أي أعطيتهم وهي قراءة الجماعة إلا ابن كثير فإنه قرأ بالقصر أي فاعلم

والمعنى انه لا بأس عليكم ان تسترضعوا اولادكم غير ما تم اذا اسلمتم الى الامهات انجن من
بحساب ما قد ارضعن لكم اي وقت ارادة الاسترضاع قاله سفيان الثوري ومجاهد وقال
قتادة والزهري ان معنى الآية اذا اسلمتم ما اتيتكم من ارادة الاسترضاع اي سلم كل واحد من
الابوين ورضي كان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وارادة معروف من الامر وعلى هذا
فيكون قوله سلمتم عاما للرجال والنساء تغليبا وعلى القول الاول الخطاب للرجال فقط وقيل
المعنى اذا اسلمتم لمن اردتم استرضاعها اجرها فيكون المعنى اذا اسلمتم ما اردتم ابتداء اعطى
الى المرضعات وليس هذا قيد الصحة الاجارة فان تعجيل الاجرة لا يشترط وانما هو قيد كمال
لانه اطيب لنفس من بالمعروف اي بما يتعارفه الناس من اجر المرضعات من دون مما طلة
لهن او خط بعض ما هو لهن من ذلك فان عدم توفير اجرهن يبعثهن على التساهل بالمرء
والتفريط في شأنه والمعنى ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرين بالوجه فاطقين بالقول الجميل
مطربين لانفس المراضع بما امكن وانفق الله اي خافوه فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اؤ
عليكم المراضع ولا اولادكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم
سرها وعلايتها فانه تعالى يراها ويعلمها والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يترصن
بأنفسهم اربعة اشهر وعشرا لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الارضاع
عقب ذلك بذكر عدة الوفاة لتلايقهم من عدة الوفاة مثل عدة الطلاق قال الزجاج و
معنى الآية والرجال الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا اي ولهم زوجات فالزوجات
يترصن وقال ابو علي الفارسي تقديره والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يترصن
بعدهم وهو قولك السمن من ان بدرهم اي منه وحكي عن سيلويه ان المعنى وفيما يتلى عليكم
الذين يتوفون وقيل التقدير وازواج الذين يتوفون منكم يترصن ذكره صاحب الكشاف وفيه
ان قوله ويذرون ازواجا لا يلائم ذلك التقدير لان الظاهر من النكحة المعادة المفارقة وقال
بعض النحاة من الكوفيين ان الخبر عن الذين متروك والقصد الاخبار عن ازواجهم بانهم
يترصن واصل التوفي اخذ الشيء وفيما فمن مات فقد استوفى عمره كما لا يقال توفي فلان
يعني قبض واخذ والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين والمراد بالازواج هنا النساء

لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة والمعنى الذين يموتون ويتركون النساء
 ينتظرن بأنفسهن قدر هذه المدة ووجه الحكمة في جعل العدة للوفاة هذا المقدار ان الجنين
 الذي يتحرك في الغالب لثلاثة اشهر والاشهر لا ربعة فراح الله سبحانه على ذلك عشر لان
 الجنين ربما يضعف عن الحركة فتأخر حركته قليلا ولا يتأخر عن هذا الاجل وظاهر هذه الآية
 العموم وان كل من مات عنها زوجتها تكون عدتها هذه العدة ولكنه قد خصص هذه العموم
 قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن والى هذا ذهب الجمهور وروي عن
 بعض الصحابة وجماعة من اهل العلم ان الحمل تعتد بأخر الاجلين جمعاً بين العام والخاص عموماً
 لهما والحق ما قاله الجمهور والجمع بين العام والخاص على هذه الصفة لا يناسب قوانين اللغة
 ولا قوانين الشرع ولا معنى لاجراء الخاص من بين افراد العام الا ببيان ان حكمه مغاير حكم
 العام ومخالف له وقد صح عنه صلعم انه اذن لسبيعة الاسلمية ان تتزوج بعد الوضع والتبرص
 الثاني والتبرص عن النكاح وظاهر الآية عدم الفرق بين الصغيرة والكبيرة والحرة والامة
 وذات الحيض والائيسة وان عدتهن جميعاً للوفاة اربعة اشهر وعشر وقيل ان عدة الامة نصف
 عدة الحرة شهران وخمسة ايام قال ابن العربي اجماعاً الا ما يحكي عن الاصم فانه سويين الحرة
 والامة وقال الباكي ولا نعلم في ذلك خلافاً الا ما يروي عن ابن سيرين انه قال عدتها عدة الحرة
 وليس بالثابت عنه ووجه ما ذهب اليه الاصم وابن سيرين ما في هذه الآية من العموم ووجه
 ما ذهب اليه من عدتها قياس عدة الوفاة على الحد فانه ينصف للامة بقوله سبحانه فيلهم
 نصف ما على المحصنات من العذاب قد تقدم حديث طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
 وهو صريح للاحتجاج به وليس المراد منه الاجل طلاقها على النصف من طلاق الحرة وعدتها
 على النصف من عدتها ولكنه لما لم يمكن ان يقال طلاقها تطليقة ونصف وعدتها حيضة و
 نصف لكون ذلك لا يعقل كانت عدتها وطلاقها ذلك القدر المذكور في الحديث جبر العكس و
 لكن ههنا امر يمنع من هذا القياس الذي عمل به الجمهور وهو ان الحكمة في جعل عدة الوفاة
 اربعة اشهر وعشر هو ما قد مضى من معرفتها خلوها من الحمل ولا يعرف الا بتلك المدة ولا فرق
 بين الحرة والامة في مثل ذلك بخلاف كون عدتها في غير الوفاة حيضتين فان ذلك يعرف به

خلوا رحم ويعيد عدم الفرق ما سيأتي في عدة أم الولد واختلف أهل العلم في عدة أم الولد بمو
 سيدها فقال سعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبيرة والحسن وابن سيرين والزهري و
 عمر بن عبد العزيز والأوزاعي واسحق بن راهويه وأحمد بن حنبل في رواية عنه أنها تعدل بأربعة
 أشهر وعشر كحديث عمرو بن العاص قال لا تلبسوا علينا سنة نبينا صلعم عدة أم الولد إذا توفي
 عنها سيدها أربعة أشهر وعشر أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه وضعفه
 أحمد وأبو عبيد وقال الدارقطني الصواب أنه موقوف وقال طائفة وقتادة عدتها
 شهران وخمس ليال وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن صالح تعتد بثلاث حيض
 وهو قول علي وابن مسعود وعطاء وبرايم النخعي وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور
 عنه عدتها حيضة وغير الحائض شهر وبه يقول ابن عمر والشعبي ومكحول والليث وأبو عبيد
 أبو ثور والجمهور وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية ناسخة لما بعد ها من الاعتداد بأحوال وان
 كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة فكذلك أبْلَغُنَّ أَجَلَهُنَّ المراد بالبلوغ هنا انقضاء العدة
فَأَكْجَنَاحَ عَلَيْكُمْ الخطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد وقيل الخطاب لجميع المسلمين
فِيمَا كُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ التَّزْوِينِ والتعرض للخطاب والنقطة من المسكن الذي كانت معتدة
 فيه وقيل عني بذلك النكاح خاصة والاول اول بِالْمَعْرُوفِ الذي لا يخالف شرعاً ولا عادة مستحسن
 وقد استدلل بذلك على وجوب الاحداد على المعتدة عدة الوفاة وقد ثبت ذلك في الصحيحين
 وغيرهما من غير وجه ان النبي صلعم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على
 ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشر وكذلك ثبت عنه صلعم في الصحيحين وغيرهما
 النبي عن الكل لمن هي في عدة الوفاة والاحداد ترك الزينة من الطبيب لبس الثياب الجيدة بِحُلِيِّ
 وغير ذلك ولا خلاف في وجوب ذلك في عدة الوفاة ولا خلاف في عدة الرجعية واختلفوا
 في عدة البائنة على قولين ومحل ذلك كتب علم الفروع واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح
 بغير ولي بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجيب بأنه خطاب
 للاولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبها والله كما تعلمون خير لا يخفى عليه خافية
وَأَكْجَنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضَتْ لَهُ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ المتوفى عنهن اذا جهن في العدة وكذا

المطلقات طلاقاً بائناً وأما الرجعيات فيخرج من التعريض والتصريح بخطبتهن ففي المفهوم تفصيل
 وأجناح الاقتران لا اثم عليكم والتعريض ضد التصريح وهو من عرض الشيء أي جانبه كأنه يحوم
 به حول الشيء ولا يظهروه وقيل هو من قولك عرضت الرجل أي اهديت له ومنه ان ركباً من المسلمين
 عرضوا رسول الله صلعم وأبا بكر شياباً بيضاً أي اهداهما فالعرض بالكلام يوصل إلى صاحبه
 كلاماً يفهم معناه وقال في الكشف والفرق بين الكناية والتعريض الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه
 الموضوع والتعريض ان تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئت
 لاسلم عليك ولا نظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا **ع** وحسبك بالتسليم مني تقاضياً +
 وكأنه امالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريد انتهى المعنى
 لو حتم واشترته والخطبة بالكسر ما يفعله الطالب من الطلب الاستلطاف بالقول والفعل يقال
 خطبها يخطبها خطبة وخطباً والخطبة بالضم هي الكلام الذي يقوم به الرجل خاطباً أو أكنتم
 معناه سترتم واضرتم من التزويج بعد انقضاء العدة والاكثان الشتر والاختاف يقال اكنتموه كنتموه
 وهم بمعنى الحزن منه يضيء مكنون ودر مكنون واهنا للإباحة والتحذير والتفصيل أو الإيهام على الخاطبة
 في أنفسكم يعني من قصد نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشيء
 علم الله انكم ستذكرون **وهن** أي لا تصبرون عن النطق لهن برغبتكم فيهن فخص لكم في التعريض
 دون التصريح وقال في الكشف ان فيه طرفاً من التوبيخ كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تحتانون أنفسكم
 ولكن لا تؤاخذوهن **سراً** قد اختلف العلماء في معنى السر ف قيل معناه نكاحاً أي لا يقل الرجل لهذه
 المعتدة تزويجيني بل يعرض تعرضاً وقد ذهب **الحنابلة** إلى ان هذا معنى الآية جمهور العلماء وقيل السر الزنا أي
 لا يكون منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزويج بعد ما قاله جابر بن زيد وابو جليل والحسن
 وقتادة والنخعي واختاره ابن جرير الطبري وقيل السر الجماع أي لا تصفو أنفسكم لهذا
 بكثرة الجماع ترغيباً لهن في النكاح إلى هذا ذهب الشافعي في معنى الآية والاستدراك بقوله لكن
 من مقدّر حل عليه ستذكرون **وهن** أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا ولا تصرحوا بالخطبة
 بان تذكر اوصاف النكاح قال ابن عطية اجمعت الامة على ان الكلام مع المعتدة بما هو في نفسها
 ذكر جماع او تحريض عليه لا يجوز وقال ايضا اجمعت الامة على كراهة المواعدة في العدة **لأن** في نفسها

والايب في ابنته البكر والسيد في امته وقال ابن عباس المواعد سران يقول لها اني عاشق
وعامد نبي ان لا تزوجي غيري ونحو هذا الا ان تقولوا قيل هو استثناء منقطع بمعنى لكن لان
القول هو التعريض والمستثنى منه المراد به التصريح وهذا هو شأن المنقطع يفسر بذكره وبه
السيوطي ومنع صاحب الكشاف ان يكون منقطعا وقال هو مستثنى من قوله لا تواعد هن
اي مواعدة ما قط الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح
فجاء على هذا الاستثناء متصلا مفرغا وجه كونه منقطعا انه يودي الى جعل التعريض موعودا
وليس كذلك لان التعريض طريق المواعدة لانه الموعود في نفسه وعن ابن عباس قال للتعريض
ان يقول اني اريد التزويج واني لاحب المرأة من امرها وان من شاتي النساء ولوددت ان الله
يسر لي امرأة صالحة رواه البخاري وجماعة قوله لا تعرفوا اي تعريضا وقال ابن عباس هو قوله
ان رايت ان لا تسبقيني بنفسك ويقول انك جميلة وانك الى خير وان النساء من حاكبي
ولا تعرفوا عقدة النكاح قد تقدم الكلام في معنى العزم يقال عزم الشيء وعزم عليه المعنى
هنا لا تعرفوا عقدة النكاح في العدة لان العزم عليه بعد ما لا يسهل ثور حذف على قال سيبويه والحذف
في هذه الآية لا يقاس عليه وقال الخاس يجوز ان يكون المعنى ولا تقعد واعقد النكاح لان
معنى تعرفوا وتعقدوا واحد قيل ان العزم على الفعل يتقدمه فيكون في هذا النفي مبالغة لا
اخا نهي عن المتقدم على الشيء كان النفي عن ذلك الشيء بالاولى حتى غاية للنفي يبلغ الكتاب اجابة
اي تنقضي العدة والكتاب هنا هو الحد والحد الذي رسم من المدة سماه كتابا لكونه محددا
ومفروضا كقوله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهذا الحكم اعني تحريم عقد
النكاح في العدة جمع عليه والمراد بالاجل اخزمة العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروا اي عقابه اذا عزمتم على عقدة النكاح في العدة ولا
تعزموا عليه فان العزم على المعصية معصية واعلموا ان الله عفو رحيم لا يعاجلكم بالحق
على الجهر بالمعصية بل يسترها لا جناح عليكم المراد بالجناح هنا التبعة من المهر ونحوه فرفعها
رفع لذلك اي لا تبعة عليكم بالمهر ونحوه ان طلقتم النساء ما كنتم مسؤلين اي مدة عدم مسيسكم
وقال ابو البقاء والمعنى ان طلقتمهن غير ما سين لهن فعلى الاول ما مصدريه ظرفية وعلى

الثاني شرعية وقيل انما موصولة اي ان طلقتم النساء الا لاتي لم تقسوهن اي ما لم تقامعهن
وقرأ ابن مسعود من قبل ان تقامعهن وقرأ غيره تقامعهن من المفاعلة وهكذا اختلفوا في قوله
أو تفرضوا لهن فريضة ف قيل او بمعنى الا اي لا تفرضوا وقيل بمعنى حتى اي حتى تفرضوا وقيل
بمعنى الواو اي وتفرضوا واستأدى لهذا التطويل وجها ومعنى الآية اوضح من ان يلتبس فان
الله سبحانه رفع الجناح عن المطلقين ما لم يقع احد الامرين اي مدة انتفاء ذلك الاحد ولا
ينتفي الاحد المبهم الا بانتفاء الاخرين معا فان وجد المسيس وجب المسمى ومهر المثل وان وجد
الفرض وجب نصفه مع عدم المسيس وكل واحد منهما جناح اي المسمى ومهر المثل او نصفه و
اعلم ان المطلقات اربع مطلقة مدخول بها مفروض لها وهي التي تقدم ذكرها قبل هذه الآية
وفيها نهي لان زواج عن ان ياخذ واماً اتوهن شيئا وان عدت هن ثلاثة قروء ومطلقة غير مفروض
لها ولا مدخول بها وهي المذكورة هنا فلا مدخول بها بل المتعة وبين في سورة الاحزاب ان غير المدخول
بها اذا طلقت فلا عدة عليها ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها وهي المذكورة بقوله سبحانه
هنا ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها وهي المذكورة في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فأنهن
اجرهن والمراد بالفريضة هنا تسمية المهر والنقد بشيئا مفروضاً اي فرضاً واستجواب البقاء
الوجه الاول وَمَتَّعُوهُنَّ اي اعطوهن شيئا يكون متاعاً لهن وظاهر الامر الوجوب وبه قال
علي وابن عمر الحسن البصري وسعيد بن جبير وابو قلابة والزهرى وقتادة والضحاك ومجلة
الوجوب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا كنتم المؤمنات ثم طلقتوهن من قبل ان تقسوهن
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتعوهن وسرحوهن سرا حبيلاً وقال مالك وابو عبيد
والقاضي شريح وغيرهم ان المتعة لا مطلقة المذكورة مندوبة لا واجبة لقوله تعالى حقا على المحسنات
ولو كانت واجبة لاطلقها على الخلق اجمعين ويحارب عنه بان ذلك لا ينافي الوجوب بل هو تأكيد
له كما في قوله في الآية الاخرى حقا على المتقين اي ان الوفاء بذلك والقيام به شأن اهل التقوى
وكل مسلم يجب عليه ان يتقي الله سبحانه وقد وقع الخلاف ايضا هل المتعة مشروعة لغير هذه
المطلقة قبل المسيس والفرض ام ليست بمشروعة الا لها فقط فقيل انها مشروعة لكل مطلقة
واليه ذهب ابن عباس وابن عمر وعطاء وحبيب بن زيد وسعيد بن جبير وابو القاسم

ولحسن البصري والشافعي في احد قوليه واحمل واحق ولكنهم اختلفوا هل هي واجبة في غير المطلقة
قبل البناء والفرع ام مندوبة فقط واستدلوا بقوله تعالى والمطلقات متاع بالمعروف حقا على
المتقين وبقوله تعالى يا ايها النبي قل لا زواج لهن كنز ترحن الحيوة الدنيا وزيهنما فتعالين
امتنعن واسرحن سراجيلا ولاية الاولى عامة لكل طلاق والثانية في الزواج النبي صلى الله
وقد كن مفروض الهن مدخولهن وقال سعيد بن المسيب انما تجب المطلقة اذا طلقت قبل
المسيس وان كانت مفروضها لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان ينفسن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن قال هذه الآية التي في الاحزاب
نسخت التي في البقرة وذهب جماعة من اهل العلم الى ان المتعة مختصة بالمطلقة قبل البناء ^{لسمية}
لان المدخول بها تستحق جميع المسمى ومهر المثل وغير المدخول التي قد فرض لها زوجها افرضة
اي سمي لها مهرا وطلقها قبل الدخول تستحق نصف المسمى من القائلين بهذا ابن عمر ومجاهد و
وقع الاجماع على ان المطلقة قبل الدخول والفرض لا تستحق الا المتعة اذا كانت حرة واما اذا
كانت امة فذهب الجمهور الى ان لها المتعة وقال الاوزاعي والثوري لا متعة لهما لانها تكون لسيدها
ولا تستحق ما لا في مقابل تاذي مملوكته لان الله سبحانه انما شرع المتعة للمطلقة قبل الدخول
والفرض لكونها تاذي بالطلاق قبل ذلك وقد اختلفوا في المتعة المشروعة هل هي مقدرة
بقدر اموال فقال مالك والشافعي في الجديد لا حد لها معروف بل يقع عليه اسم المتعة وقال
ابو حنيفة انه اذا تنازع الزوجان في قدر المتعة وجب لها نصف مهر مثلها ولا ينقص من خمسة
دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم والسلف فيها اقوال سياقي ذكرها ان شاء الله تعالى وقوله
عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ يدل على ان الاعتبار في ذلك بحال الزوج فالمتعة من
الغني فوق المتعة من الفقير والموسع هو الذي تسعت حائله وقرئ الموسع بالتشديد وقرئ قد
بسكون الدال فيهما وبفتح الدال فيهما قال الاخفش وغيرهما لغتان فصيحان وهكذا في قوله تعالى
فسالت اودية بقدرها وقوله وما قدر والله حق قدره والمقدر المقل والتقدير على الموسع منكم
او على موسعكم قدره اي قدر امكانه وطاقته وكذا يقال في الثاني والآية تفيد انه لا نظر الى
قد الزوجة وقيل هذا ضعيف في مذهب الشافعي بل ينظر الحاكم واجتها دالي حالهما جميعا على الظهور ^{الوجه}

متاعاً مصدر مذكر أي منعوه من متاعاً بالمعروف ما عرف في الشرع والعادة الموافقة له
 وقوله حَقَّاعٌ عَلَى الْمُحْسِنِينَ وصف لقوله متاعاً ومصدر لفعل محذوف أي حق ذلك حقاً
 يقال: حققت عليه القضاء واحققت أي أوجبت قال ابن عباس: الميسر النكاح والفرضة الصلاة
 وأمر الله أن يتمتعوا على قدر عسره ويسره فإن كان موسراً تمتعها بخادم وإن كان معسراً تمتعها
 بثلاثة أثواب ونحو ذلك عنه قال: متعة الطلاق أعلاها الخادم ودون ذلك الورق ودون
 ذلك الكسوة وعن ابن عمر: ما يكون من المتعة ثلثون درهماً وعن الحسن بن علي أنه منع
 بعشرين الفاو زقاق من عسل وعن شريح أنه منع بنجسأمة درهم وعن الحسن بن علي أيضاً أنه
 منع بعشرة آلاف وعن ابن سيرين أنه كان يمتع بالخادم والنفقة والكسوة وإن طلقوا ^{وهن}
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَتْعَةَ
 لَا تَجِبُ لِهَذِهِ الْمَطْلُوقَةِ لَوْ قَوَّعَهَا فِي مَقَابِلَةِ الْمَطْلُوقَةِ قَبْلَ الْبِنَاءِ وَالْفَرْضُ الَّذِي تَشْتَقُّ الْمَتْعَةَ أَيُّ
 فَالْوَجِبُ عَلَيْهِمْ نِصْفُ مَا سَمِيَتْ لَهُنَّ مِنَ الْمَهْرِ وَهَذَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ وَقَدْ وَفَّقَ الْأَثْقَابُ أَيْضاً عَلَى
 أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي لَمْ يَدْخُلْ بِهَا قَدْ وَجَّهَتْ وَمَاتَ وَقَدْ فَرَضَ لَهَا مَهْرٌ اسْتَحَقَّه كَمَا بِالْمَوْتِ وَلَهَا
 الْمِيرَاثُ وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ وَاخْتَلَفُوا فِي الْخُلُوعِ هَلْ تَقُومُ مَقَامَ الدِّخْلِ وَتَسْتَحِقُّ الْمَرْأَةُ بِهَا كَمَالَ الْمَهْرِ
 كَمَا اسْتَحَقَّه بِالْدِّخْلِ أَمْ لَا فَذَهَبَ إِلَى الْأَوَّلِ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ فِي الْقَدِيرِ وَالْكُوفِيُّونَ وَالْخُلَفَاءُ
 الرَّاشِدُونَ وَجَمْعُهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَتَجِبُ أَيْضاً عِنْدَهُمُ الْعِدَّةُ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْجَدِيدِ لَا يَجِبُ إِلَّا
 نِصْفُ الْمَهْرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ الْمَسِيْسَ هُوَ الْجَمَاعُ وَلَا يَجِبُ عِنْدَهُ الْعِدَّةُ وَالْيَه
 ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ السُّلَفِ لِأَنَّ يَعْقُوبُونَ أَيَّ الْمَطْلُوقَاتِ وَمَعْنَاهُ يَتَرَكْنَ وَيُفْخَنَ وَهُوَ اسْتِثْنَاءُ
 مَفْرُغٍ مِنْ أَعْمِ الْعَامِ وَقِيلَ مَنْقُطَعٌ وَمَعْنَاهُ يَتَرَكْنَ النِّصْفَ الَّذِي يَجِبُ لَهُنَّ عَلَى الْأَنْزَاجِ وَرَوَى
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ أَنَّهُ قَالَ إِلَّا أَنْ يَعْقُوبُوا يَعْنِي الرِّجَالُ وَهُوَ ضَعِيفٌ لَفْظاً وَمَعْنَى أَوْ يَعْقُوبُوا
 الَّذِي يَبِيدُ عَقْدَ النِّكَاحِ مَعْطُوفٌ عَلَى حَلِّ قَوْلِهِ إِلَّا أَنْ يَعْقُوبُوا لِأَنَّ الْأَوَّلَ مَبْنِيٌّ وَهَذَا مَعْرُوفٌ
 قَبْلُ هُوَ الزَّوْجُ وَبِهِ قَالَ جَبْرِ بْنُ مَطْعَمٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ وَشَرِيحٌ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَمُجَاهِدٌ
 وَالشَّعْبِيُّ وَعُكْرَمَةُ وَنَافِعٌ وَابْنُ سِيرِينَ وَالضَّحَّاكُ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبُو عَجْلَنٍ
 وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَأَيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ وَابْنُ حَيَّانٍ وَهُوَ الْجَدِيدُ مِنْ قَوْلِي الشَّافِعِيُّ

وبه قال ابو حنيفة واصحابه والثوري وابن شبرمة والاوزاعي ورعجه ابن جرير وفي هذا
المقول قوة وضعف اما قوته فلكون الذي بيد عقد النكاح حقيقة هو الزوج لانه الذي
اليه رفعه بالطلاق واما ضعفه فلكون العفو منه غير معقول وما قالوا به من ان المراد
بعفو ان يعطيها المهر كاملا غير ظاهر لان العفو لا يطلق على الزيادة وقيل المراد بقوله او يعفو
الذي بيد عقد النكاح هو الولي وبه قال النخعي وعلمة واحسن وطائفة وعطاء وابو الزناد
وزيد بن اسلم وربيعة والزهرري والاسود بن يزيد والشعبي وقتادة ومالك والشافعي في
قوله القدير وفيه قوة وضعف اما قوته فلكون معنى العفو فيه معقولا واما ضعفه فلكون
عقد النكاح بيد الزوج لا بيده ومما يزيد هذا القول ضعفا انه ليس للولي ان يعفو عن الزوج
كما لا يملكه وقد حكى القرطبي الاجماع على ان الولي لا يملك شيئا من مالها والمهر مالها فالراجح ما قاله
الاولون لوجهين الاول ان الزوج هو الذي بيد عقد النكاح حقيقة الثاني ان عفوها باكمال
المهر هو صادر عن المالك المطلق التصرف بخلاف الولي وتسمية الزيادة عفو وان كان خلاف
الظاهر لكن لما كان الغالب انهم يسوقون المهر كاملا عند العقد كان العفو معقولا لانه تركه
لها ولم يسترجع النصف منه ولا يحتاج في هذا الى ان يقال انه من باب مشكلة كما في الكشف
لانه عفو حقيقي اي ترك ما يستحق المطالبة به الا ان يقال انه مشكلة او تغليب في توفية المهر
قبل ان يسوقه الزوج وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى قيل هو خطاب للرجال والنساء تغليبا اي وعفو
بعضكم اي الرجال والنساء اقرب للتقوى اي من عدم العفو الذي فيه التنصيف والمراد بالتقوى
الالفة وطيب النفس من الجانبيين وعليه قراءة الجمهور بالتاء القوية وقرا الشعبي وابو نعيم
بالياء التحتية فيكون الخطاب مع الرجال فقط وفي هذا دليل على ما رجحناه من ان الذي بيده
عقد النكاح هو الزوج لان عفو الولي عن شيء لا يملكه ليس هو اقرب للتقوى بل اقرب للظلم
والجور والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر لهما قبل الطلاق فهو اقرب
للتقوى وَلَا تَتَسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ المعنى ان الزوجين لا ينسيان التفضل من كل واحد منهما
على الآخر ومن جملة ذلك ان تتفضل المرأة بالعفو عن النصف وتتفضل الرجل عليها باكمال المهر
وهو اشد للرجال والنساء من الازواج الى ترك النصف على بعضهم بعضا والمساواة في الاستعانة

واحد على الآخر للوصيلة التي قد وقعت بينهما من إفضاء البعض إلى البعض وهي وصلة لا
 تشبهها وصلة فمن رعاية حقها وسعفها حق معرفتها الحوص منها على التسامح إن الله بما تعملون
 بصير فيه من ترغيب المحسن وترهيب غيره ما لا يخفى كما فُضِّلَ على الصلوات الحافظة على الشيء
 المدرومة والمواظبة عليه أي داوموا وواظبوا على الخمس المكتوبات بجميع شرائطها وحدودها
 وأما أركانها وفعالها في أوقاتها المختصة بها ولعل الأمر بالصلوات وقع في تضاعيف أحكام الآلا
 والأزواج لئلا يلبسهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى الوسطى ثابتة لا وسطا ووسط
 الشيء ووسط خياره ومنه قوله تعالى ولكنك جعلناكم أمة وسطا ووسط فلان القوم بسطهم
 أي صار في وسطهم وليست من الوسط الذي معناه متوسطين شيئين لأن فعله معناها
 التفضيل ولا ينبغي للتفضيل إلا ما يقبل الزيادة والنقص والوسط بمعنى العدل والخيار يقبلهما
 بخلاف المتوسطين الشيئين فإنه لا يقبلهما فلا ينبغي منه أفعول للتفضيل وإفراد الصلوة الوسطى
 بالذكر بعد دخولها في عموم الصلوات تشريفا لها وقد اختلف أهل العلم في تعيينها على ثمانية عشر
 قولاً ورواها الشوكاني في شرحه للنتقى وذكر ما تمسكت به كل طائفة وأرجح الأقوال وأصحها
 ما ذهب إليه الجمهور من أنها العصر لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم من
 حديث علي قال كنا نراها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأخراب
 شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملائكة قبورهم وأسماءهم ناراً وأخرج مسلم ^{عن} والترمذي
 وابن ماجه وغيرهم من حديث ابن مسعود مرفوعاً مثله وأخرجه ابن جرير وابن المنذر و
 الطبراني من حديث ابن عباس مرفوعاً وأخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث جابر مرفوعاً
 وأخرجه أيضاً الترمذي بإسناد صحيح من حديث حذيفة مرفوعاً وأخرجه الطبراني بإسناد ضعيف
 من حديث أم سلمة مرفوعاً وورد في تعيين أنها العصر من غير ذكر يوم الأخراب حديث مرفوع
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الأحاديث مخرجة بأنهم العصر وقد روي عن الصحابة في تعيين أنها العصر آثار
 كثيرة وفي الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يحتاج معه إلى غير ما روي عن علي وابن عباس أنها قال
 أنها صلوة الصبح كما أخرجه مالك في الموطأ عنها وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وكذلك غيره
 عن ابن عمر وابن أبي عمير أمامة فكل ذلك من أقوالهم وليس فيها شيء ممن الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم

ولا تقوم بمثل ذلك حجة لاسيما اذا عارض ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثبوتها يمكن ان يدعى فيه التواتر
واذا لم تقم الحجة بأقوال الصحابة لم تقم بأقوال من بعد من التابعين وتابعيهم بالاولى وهكذا
تقوم الحجة بما اخرج ابن ابي حاتم باسناد حسن عن ابن عباس انه قال صلوة الوسطى المغرب
هكذا لا اعتبار بما ورد من قول جماعة من الصحابة انها الظهر وغيرها من الصلوات ولكن الاحتجاج
الى امعان نظروا فكم ما ورد مرفوعا ^{عن النبي} صلى الله عليه وسلم ما فيه دلالة على انها الظهر كما اخرج
ابن جرير عن زيد بن ثابت مرفوعا ان الصلوة الوسطى صلوة الظهر ولا يصح رفعه بل المروي
عن زيد ذلك من قوله واستدل على ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت تنقل
الصلوة على اصحابه واین يقع هذا الاستدلال من تلك الاحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهكذا لا اعتبار بما روي عن ابن عمر من قوله انها الظهر وكذلك ما روي عن عائشة
وابي سعيد الخدري وغيرهم قد اخرج في قول احد مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^{الذي} ما رواه عبد
وابن جرير وغيرهما ان حفصة قالت لابي رافع مولاها وقد امرته ان يكتب لها مصحفا اذا ^{تبت}
على هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فتعال حتى امليها عليكم فلما بلغ ذلك
امرته ان يكتب حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلوة العصر واخرجه ايضا عنها
مالك وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي في سننه وزادوا وقالت اشهد اني سمعتها من رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم واخرج مالك ومسلم واهل السنن وغيرهم عن ابي يونس مولى عائشة وفيه قالت
سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا روي عن ام سلمة انها قالت كما قالت حفصة وعائشة
فغاية ما في هذه الروايات عن امهات المؤمنين الثلاث انهن يروين هذا الحرف هكذا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على تعيين الصلوة الوسطى انها الظهر وغيرها باغاية
ما يدل عليه عطف صلوة العصر على الصلوة الوسطى انها غيرها لان المعطوف غير المعطوف
عليه وهذا الاستدلال لا يعارض ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ثبوتها لا يدفع انها العصر كما قد منابها
فالحاصل ان هذه القراءة التي نقلها امهات المؤمنين الثلاث باثبات قوله وصلوة العصر
معارضة بما اخرج ابن جرير عن عروة قال كان في مصحف عائشة حافظوا على الصلوة والصلوة
الوسطى وهي صلوة العصر واخرج وكيع عن حميدة قالت قرأت في مصحف عائشة والصلوة

الوسطى صلوة العصر وفي الباب روايات فلهذا الروايات تعارض تلك الروايات باعتبار
 التلاوة ونقل القراءة ويبقى ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من التعيين صافيا عن شوب كد المعارضة
 على انه قد ورد ما يدل على نفع تلك القراءة التي نقلتها حفصة وحاشية وام سلمة فاخرج عبد
 بن حميد ومسلم وابوداود في ناسخه وابن جرير والبيهقي عن البراء بن عازب قال نزلت جافظا
 على الصلوات وصلوة العصر فقراؤها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم نسخها الله
 فانزل جافظا على الصلوات والصلوة الوسطى فقليل له هي ذا صلوة العصر قال قد حدثتكم
 كيف نزلت وكيف نسخها الله والله اعلم اذ انقر ذلك هذا وعرفت ما سقناه تبين لك انه لم يرد
 ما يعارض ان الصلوة الوسطى صلوة العصر واما حجج بقية الاقوال فليس فيها شيء مما ينبغي الاشتغال
 لانه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء وبعض القائلين عول على امر لا يعول عليه فقال انها
 صلوة كذا لانها وسطى بالنسبة الى ان قبلها كذا من الصلوات وبعدها كذا من الصلوات و
 هذا الرأي المحض والتميز البحث لا ينبغي ان تسند اليه الاحكام الشرعية على فرض عدم وجود
 ما يعارضه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف مع وجود ما هو في اعلى درجات الصحة والقوة والثبوت
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالله العجب من قوم لم يكتفوا بتقصيرهم في علم السنة واعراضهم عن
 العلوم وانفعها حتى كلفوا انفسهم التكلم على احكام الله والتجري على تفسير كتاب الله بغير علم
 ولا هدى فجاءوا بما يضحك منه تارة ويبيك منه اخرى قال اخازن واصح الاقوال كلها انها
 العصر الاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله اعلم انتهى وقيل صلوة الجنازة وقيل صلوة الجمعة
 وكلها اقوال ضعيفة ليس عليها اثار من علم وقوموا لله قانتين القنوت قيل هو الطاعة اي
 قوموا في صلاتكم طائعين قاله جابر بن زيد وعطاء وسعيد بن جبيرة والضحاك والشافعي
 قيل هو الخشوع قاله ابن عمر ومجاهد وقيل هو الدعاء وبه قال ابن عباس وفي الحديث ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قنوت شهر ايدعو على رجل وذكوان وقال قوم ان القنوت طول القيام وقيل معناه
 ساكنين قاله السدي ويدل عليه حديث زيد بن ارقم في الصحيحين وغيرهما قال كان الرجل
 يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحاجة في الصلوة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين
 فأمرنا بالسكوت وقيل اصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء فكل معنى يناسب الدوام يصح

إذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرة مع الانجاز في جواب الاولى والاظنا في جواب الثانية
 من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لادنى الابصار فَاِذَا أَمْسَأْتُمْ اِي اذا زال خوفكم بعد وجود
 ايمكم يكن اصلا فادجعو الى ما امرت به من اتمام الصلوة مستقبلين القبلة قائمين بجميع شروطها
 واركانها وهو قوله فَاذْكُرُوا اللَّهَ وقيل معنى الآية خرجتم من دار السفر الى دار الاقامة وهو
 خلاف معنى الآية كَمَا عَلَّمَكُمُ اِي ذكر امثل ما علمكم من الشرائع ان يصلي الراكب على دابته
 والراجل على رجليه والحات صفه لصدور محذوف اي ذكر اكانا كتعليمه اياكم او مثل تعليمه
 اياكم مَا كَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فيه اشارة الى نعم الله تعالى علينا بالعلم ولولا تعليمه ايانا لم نعلم شيئا
 ولم نصل الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ اَرْوَاجًا اي يقربون
 من الوفاة اذ المتوفى بالفعل لا يتصور منه وصية وهذا عود الى بقية الاحكام المفصلة فيما
 سلف وقد اختلف السلف ومن تبعهم من المفسرين في هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة
 فنذهب اليهم ويرى الى انها منسوخة بالاربعة الاشهر والعشر كما تقدم وان الوصية المذكورة فيها
 منسوخة بما فرض الله لهم من الميراث وحكي ابن جرير عن مجاهد ان هذه الآية محكمة لا نسخ
 فيها وان العدة اربعة اشهر وعشر ثم جعل الله لهم وصية منها سكنى سبعة اشهر وعشرين
 ليلة فان شاءت المرأة سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وقد حكي ابن عطية والقاضي
 عياض ان الاجماع منعقد على ان الحول منسوخ وان عدتها اربعة اشهر وعشر وَصِيَّةٌ لِّاَزْوَاجِكُمْ
 معناه وصى الذين يتوفون وصية او حكم الذين يتوفون وصية او فليوصوا وصية او وصى الله
 وصية او كتب الله عليهم وصية اي فيجب عليهم ان يوصوا لازواجهم بثلاثة اشياء النفقة والكسوة
 والسكنى وهذه الثلاثة تسمر سنة وحجيج على الزوجة ملازمة المسكن وترك التزين والاحلال
 هذه السنة متاعا الى تمام الحول اي متعوهن متاعا وجعل الله لهم ذلك متاعا والمتاع
 هنا نفقة السنة والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل نزول الموت بهم لازواجهم
 ان يتمتعن بعد هرحولا كما ملا بالنفقة والسكنى من تركهم غير اخرج اي لا يخرجن من مساكنهن
فَاِنْ خَرَجْنَ باختيارهن قبل الحول فلا جناح ولا حرج عليكن اي على الولي والحاكم فيما فعلن في
 انفسهن من التعرض للخطاب قطع النفقة عنها والتزين لهن وترك الاحلال مِنْ مَّعْرُوفٍ

اي بما هو معروف في الشريعة غير منكرو فيه دليل على ان النساء كن غيبرات في سكنى الحول وليس
ذلك بجزء عليهن وقيل المعنى لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهم وهو ضعيف لان متعلق الجناح
هو مذكور في الآية بقوله فيما فعلن والله عزيراي غالب قوي في انتقامه عن خالف امره وفيه
وتعدى حدوده حكيم فيما شرعه من الشرائع وبين من الاحكام والمطلقات متاعا بالمعروف
قد اختلف المفسرون في هذه الآية فقليل هي المتعة وانما واجبة لكل مطلقة وقيل ان هذه الآية
خاصة بالثيبات اللواتي قد جرمعن لانه قد تقدم قبل هذه الآية ذكر المتعة واللواتي لم يدخل
بهن الا نكاح وقد قد من الكلام على هذه المتعة والخلاف في كونها خاصة بمن طلقت قبل البناء
والفرض او عامة للمطلقات وقيل ان هذه الآية شاملة للمتعة الواجبة وهي متعة المطلقة
قبل البناء والفرض وغير الواجبة وهي متعة سائر المطلقات فانها مستحبة فقط وقيل المراد بالمتعة
هنا النفقة حقا على المتقين بمعنى الذين يتقون الشرك كذا لا يبين الله لكم اي اياهم اي يلزمكم
ويلزم ان اواجكم والذي يجب لبعضكم على بعض لعلكم تتقون اي لكي تعقلوا ما بينت لكم من
الفرائض والاحكام وما فيه صلاح دينكم ودنياكم العتر الى الذين خرجوا من ديارهم
الاستفهام هنا للتقرير والرؤية المذكورة هي رؤية القلب لا رؤية البصر والمعنى عند سيدنا
تنبيه الى امر الذين خرجوا ولا يحتاج هذه الرؤية الى مفعولين كذا قيل وحاصله ان الرؤية هنا
التي بمعنى الادراك مضمنة معني التنبيه ويجوز ان تكون مضمنة معنى الانتهاء اي الميمنة
علمك اليهم ومعنى الوصول اي الموصول علمك اليهم ويجوز ان تكون بمعنى الرؤية البصرية اي
المتنظر الى الذين خرجوا وهم قوم من بني اسرائيل جعل الله سبحانه قصة هؤلاء لما كانت بمكان
من الشيوع والشهرة يحمل كل احد على الاقرار بهما بمنزلة المعلومة لكل فرد او البصرة لكل مبصر
لان اهل الكتاب قد اخبروا بها ودونها واشهرها امرها والخطاب هنا لكل من يصلح له
والكلام جار مجرى المثل في مقام التعجبا دعاء لظهوره وجلاله بحيث ليستوي في ادراكه
الشاهد والخائب قاله سعد التفتازاني وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والعموم اولى وهو
القول قيل ثلاثة آلاف واربعة وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا
وقيل سبعون الفا واصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الاول

من جمع الكثرة وحقيقته ما نوق العشرة قاله القرطبي فدل على انها الوف كثيرة وجمع القليل
 الاف وقيل جمع الف قيل المعنى مؤتلفون ولاول اول حد الموت اي مخافة الطاعون وكان
 قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد فغروا منه حد الموت فقال لهم الله موتوا ام تكونون
 تحويل وهو عبارة عن تعلق ارادته بموتهم دفعة او تمثيل لاماتته سبحانه ايا هو ميتة نفس
 واحدة كانوا امروا فاطاعوا فما تواتر احياءهم يعني بعد موتهم بدعاء نبيهم حزقيل بعد ثمانية
 ايام واكثر فعا شوا دهر عليهم اثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عا د كالكنف واستمرت في سباطهم
 ان الله كذا وفضل التنكير للتعظيم اي لذو فضل عظيم على الناس جميعا فحبب عليهم شكره
 اما هؤلاء الذين خرجوا فلكونه احياء لم يعتبروا واما المخاطبون فلكونه قد ارشد هؤلاء الاعيان
 والاستبصار بقصة هؤلاء قال ابن عباس كانوا اربعة الاف خرجوا فلما من الطاعون و
 قالوا ناتي ارضنا ليس بها موت حتى اذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله موتوا فما تواتر عليهم نبي
 من الانبياء فدعى ربه ان يحييهم حتى يعبدوه فاحياهم وان القرية التي خرجوا منها داردان
 قيل هو حزقيل ويقال له ابن العجوز ويقال له ذوالكفل وهو تلك خليفة في بني اسرائيل لان مو
 بعده يوشع ثم كالب ثم حزقيل واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم هذه القصة مطولة
 عن ابي مالك وفيها انهم بضعة وثلاثون الفا وقال سعيد بن عبد العزيز ان ديارهم هي اذرع
 وعن ابي صالح قال كانوا تسعة الاف واخرج جماعة من محدثي المفسرين هذه القصة على الخفاء
 ولا يأتى الاستكثار من طرقها بفاصلة وقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم عن افراد
 من الطاعون وعن دخول الارض التي هويها من حديث عبد الرحمن بن عوف ولكن اكثر
 الناس لا يشكرون يعني ان اكثر من انعم الله عليه لا يشكر وقالتوا في سبيل الله هو معطوف على
 كانه قيل لشكره افضل بالاعتبار بما قص عليكم وقالتوا هذا اذا كان الخطاب بقوله وقالتوا
 راجعا الى المخاطبين بقوله المرتلي الذين خرجوا كما قاله جمهور المفسرين وعلى هذا يكون ايراد هذه
 القصة للتبجيع المسلمين على الجهاد وقيل ان الخطاب للذين احيوا من بني اسرائيل فيكون عطفا
 على قوله موتوا وفي الكلام محذوف تقديره وقال لهم قاتلوا وقال ابن جرير لا وجه لقول من قال
 ان الامم بالقتال للذين احيوا وقيل اعطف على حافظوا على الصلوات وبه بعد الاول والاعلم

أَنَّ اللَّهَ سَمِعَ مَا يَقُولُهُ الْمُتَعَلِّقُ عَنِ الْقِتَالِ عَلَيْهِ مَا يُضْمَرُ وَفِيهِ وَعَدْلٌ بِكَ دَرْجَتَهُمَا دَوَّوْغِيْدُ
 لَمْ يَخْلَفْ عَنْهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرُضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً لَمَّا أَمْرُ سَيِّئًا
 بِالْقِتَالِ وَالْجِهَادِ أَمْرٌ بِالْإِنْفَاقِ فِي ذَلِكَ وَقَرْضُ اللَّهِ مِثْلُ التَّقْدِيرِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَسْتَقْبَلُ
 بِهِ قَاعِلُهُ الثَّوَابَ وَاصِلُ الْقَرْضِ لِلَّهِ سَمُّ كُلِّ مَا يَلْتَمَسُ عَلَيْهِ الْجُزْءُ يُقَالُ اقْرَضْ فَلَانَ فَلَانًا أَيْ
 اعْطَاهُ مَا يَتَجَاوَزُهُ وَقَالَ الزَّجَّاجُ الْقَرْضُ فِي اللُّغَةِ الْبِلَاءُ الْحَسَنُ وَالسُّبُلُ الْإِسْرَافُ وَالسَّيِّئُ وَقَالَ
 الْكِسَائِيُّ الْقَرْضُ مَا اسْلَفْتَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ وَاصِلُ الْكَلِمَةِ الْقَطْعُ وَمِنْهُ الْمُقْرَضُ
 وَاسْتَدْعَاءُ الْقَرْضِ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ تَأْنِيسٌ وَتَقَرُّبٌ لِلنَّاسِ بِمَا يَفْهَمُونَهُ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْكَفِيُّ
 شَبَّهَ عَطَاءَ الْمَوْتِ مَنْ مَا يَرْجُو ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ بِالْقَرْضِ كَمَا شَبَّهَ اعْطَاءَ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ فِي
 اخْتِذِ الْجَنَّةِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَقِيلَ كُنِيَ عَنِ الْفَقِيرِ بِنَفْسِهِ الْعَلِيَّةِ الْمُتَرَهِّةِ عَنِ الْحَاجَاتِ تَرْغِيْبًا
 فِي الصَّدَقَةِ كَمَا كُنِيَ عَنِ الْمَرِيضِ وَالْجَائِعِ وَالْعَطْشَانِ بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ عَنِ النِّقَاصِ وَالْأَلَامِ
 الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ أَخْبَارًا عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْ لِي وَاسْتَطَعْتِكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي
 وَاسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ اسْقَيْتُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَمَلُكَ
 فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا أَنْتَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي وَكَذَلِكَ أَقْبَلُهُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ
 وَهْبٌ أَكْلَهُ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّشْرِيفِ لَمْ يَكُنْ عَنْهُ تَرْغِيْبًا لَمْ يَخُوطْ بِهِ وَقَوْلُهُ حَسَنًا أَيْ طَيِّبَةً بِنَفْسِهِ
 دُونَ مَنْ وَلَا إِذَى وَقِيلَ مُحْتَسِبًا وَقِيلَ هُوَ لَا تَفَاقُ مِنَ الْمَالِ الْحَلَالِ فِي وَجْهِ الْبَرِّ وَقِيلَ هُوَ
 الْخَالِصُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَا يَكُونُ فِيهِ رِيَاءٌ وَلَا سَمْعَةٌ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَقْدِيرِ هَذَا التَّضْعِيفِ عَلَى
 أَقْوَالٍ وَقِيلَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ قَالَهُ السُّدِّيُّ وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلُ وَأَمَّا آيُهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّ
 ذِكْرَ الْمُبْهَمِ فِي بَابِ التَّرْغِيْبِ قَوِيٌّ مِنْ ذِكْرِ الْمَحْدُودِ وَقِيلَ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٌ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ
 وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الشَّعْبِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ لَمَّا تَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ ابْنُ الْحَدَّادِ
 الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ الَّذِي يَدْعُو رَسُولَ اللَّهِ فَتَدْعُو لَهُ قَالَ
 فَإِنِّي قَدْ اقْرَضْتُ رَبِّي مَا يُعْطِي وَلَهُ فِيهِ سِتْمِائَةُ تَخْلَةٍ وَقَدْ أَخْرَجَ هَذِهِ الْقِصَّةَ جَمَاعَةٌ مِنَ
 الْمُحَدِّثِينَ وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ الْمُنْذَرِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفِيهِ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
 لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنْ اللَّهُ يَضَاعِفُ الْحَسَنَةَ الْفِي الْفَحْشَةِ وَأَخْرَجَ

ابن جبان في صحيحه والبيهقي وغيرهما عن ابن عمر قال لما نزلت مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبثت سبع سنابل الى اخرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فزت من الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه اضعافا كثيرة قال رب زد امتي فزت انما يؤتى الصابرين اجرهم بغير حساب واخرج ابن المنذر عن سفيان قال لما نزلت من جاء بالحسنة فاه عشر مثاها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فزت من ذا الذي يقرض الله قال رب زد امتي فزت مثل الذين ينفقون اموالهم قال رب زد امتي فزت انما يؤتى الصابرون وفي الباب احاديث هذه احسنها والله يقبض ويبسط حسبما تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم والمصالح فلا تخلو اعليه بما وسع عليكم كي لا تبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسليية للفقراء هذا عام في كل شيء فهو القابض الباسط والقبض التقيير والبسط التوسيع وفيه وعيد بان من نخل من البسط يوشك ان يبذل بالقبض ولهذا قال وَالْيَكْرُ تَرْجَعُونَ اي هويها زيكما قد متم عند الربيع اليك انفقتم مما وسع عليكم احسن اليكم وان نخلتم عاقبكم وعن قتادة يقبض الصدقة ويبسط قال يخلف واليه ترجعون قال من التراب والى التراب تعودون وعن ابن زيد قال علم الله فيمن يقا تل في سبيل الله من لا يجد قوة وفيمن لا يقا تل في سبيل الله فندب هؤلاء الى القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قال يبسط عليك وانت تقبل عن الخروج لا تريدة ويقبض عن هذا وهو يطيب نفسا بالخروج ويخلف له بقوة مما يبذل لا يكون لك الحظ وقيل المعنى ان الله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الاتفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والاتفاق في البر وعن ابن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بي ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصر فصحيت شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب تثبت قلوبنا على طاعتنا اخرجهم مسلم وهذا الحديث من اجاديش المصنفات التي يجب الايمان بها وامرارها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تاكيد وبهذا قال سلف هذه الامة واعتمها لكم تراءى الملائكة من بني اسرائيل من بعد موسى الكلام فيه كالسلام في قوله الم تراءى الذين خرجوا من ديارهم وقد صدقوا والملائكة الاشراف من الناس كانوا ملتوا اشرفا وقال الزجاج سمو بذلك لانهم مليون بما يحتاج اليه منهم وهو اسم جمع

قال قوم الرهط لا واحد له من لفظه قال الغراء الملاء الرجال في كل القرآن ويجمع على ملاء
 مثل سبب واسباب ذكر الله سبحانه في القريض على القتال قصة اخرى جرت في بني اسرائيل
 بعد القصة المتقدمة والمعنى كائنين من بعد وفاة موسى اذ قالوا يَسِيْلُ لَهُمْ قِيلَ هو شمويل
 بن يال بن علقمة ويعرف بابن الجوز ويقال فيه شمعون وهو من ولد يعقوب وقيل من نسل
 هارون وقيل يوشع بن نون وهذا ضعيف جدا لان يوشع هو قتي موسى ولم يوجد داودا
 بعد ذلك بل هو طويل وقيل هو بالعربية اسمعيل قاله ابو السعوى اَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ المراد بالملك الاميراي نرجع اليه ونعمل على رايه قال هَلْ عَسَيْتُمْ اِنْ كُنْتُمْ كَايِمِينَ
الْقِتَالَ اَلَا تَقَاتِلُوْا عَسَى من افعال المقاربة اي فهل قاربتم الا تقاتلوا وادخال حرف الاستفهام
 على فعل المقاربة لتقرير ما هو متوقع عنده والاشعار بانه كائن وفصل بين عسى وخبرها بالشرط
 للدلالة على الاعتناء به قالوا فَمَا لَنَا اَلَا نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قيل المعنى واي شيء لنا الا نقاتل
 وقيل غير ذلك قال الفاس هذا الجودها وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا افراد الاولاد
 بالذكرا منهم الذين وقع عليهم السبي ولا نام بمكان فوق مكان سائر القرابة وهذا كلام عام
 والمراد منه خاص لان القاتلين لنبيهم ما ذكر ما كانوا في ديارهم وانما اخرج بعض اخريهم
 ثم اخبر سبحانه انهم تولوا ما فرض عليهم القتال لا اضطراب نبأهم وفقد عزائمهم فقال فَمَا كُنْتُمْ عَاكِفِينَ
الْقِتَالَ تولوا بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكتهم اَلَا قَلِيلًا مِّنْهُمْ واختلف في عدد القليل
 الذين استثنوا هم الله سبحانه وهم الذين اكفوا بالغرفة والله عَلَيْهِمُ الظَّالِمِينَ اي عالم
 بمن ظلم نفسه حين خالف مربه ولم يف بما قال وهم بقية السبعين الفا وهم من عدد
 القليل المذكور وقال لَهُمْ نَبِيٌّ شروع في تفصيل ما جرى بينهم وبين نبيهم من الاقوال اَلَا فَعَلُوا
اِنَّ اللَّهَ فَابْعَثَ لَكُم مَّا كُنْتُمْ مَلَكَ وهو اسم اعجمي وكان سقاء وقيل داعيا وقيل دباغا وقيل مكابا
 واسمه بالعبرانية شاول بن قيس وانما سمي طالوت لطوله وكان جارا من اولاد عمليق بن عاد
 قالوا اِنَّ يَكُوْنُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا اي كيف يكون ذلك وكيف يستحقه ولم يكن من بيت الملك
 ونحن احق بالملك منه انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط
 مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون عليهما السلام

وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت
 من احدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام فلهذا انكروا كونه ملكا لهم
 ودعوا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم وَكَمْ يَوَدُّ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ اَي وَلَا هُوَ مِنْ
 اوتي سعة من المال حتى يتبعه ثم رده او لاله بل هو فقير والملك يحتاج الى المال قال يعني شوبل
 النبي ان الله اصطفاه عليكم اى اختاره وخصه بالملك واختيار الله هو الحجة القاطعة ثم
 بين لهم مع ذلك وجه الاصطفاء وقال وَرَأَىٰ بَسُطَةً اَي فضيلة وسعة في العلم الذي
 هو ملاك الانسان ورأس الفضائل واعظم وجوه الترجيح وكان من اعلم بني اسرائيل وقيل
 هو العلم بالحرب وبالملك وقيل به وبالد يانات والجسم الذي يظهر به الاثر في الحروب فهو
 فكان قويا في دينه وبدنه وذلك هو المعتبر لاشرف النسب فان فضائل النفس مقدمة عليه
 وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وكان طالوت
 اطول من الناس براسه ومنكيه وقيل بالحال وكان من اجماعهم وقيل المراد به القوة لان العلم
 بالحروب والقوة صلة الاعلاء مما فيه حفظ المملكة وَاللّٰهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مِّنْ تَشَاءُ فالملك ملكة و
 عبيده فما اليكم والاعتراض على شيء ليس هو لكم ولا امره اليكم وقد ذهب بعض المفسرين الى
 ان قوله هذا من قول نبينا محمد صلواته وقيل هو من قول نبيهم وهو الظاهر وقيل من كلام
 الله لحمد صلواته والله واسع اى واسع الفضل يوسع على من يشاء من عباده عليهم من يستحق
 الملك ويصلح له وقال لهم نبيهم ان آية ملككم ان ياتيكم التابوت التابوت فعلوت من التوب
 وهو الرجوع لانهم يرجعون اليه اى علامة ملكه اتيان التابوت الذي اخذ منكم اى رجوعه
 اليكم وهو صندوق التوراة قيل وكان من خشب الشمشاد وهو الذي تتخذ منه الامشاط
 طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فيه سكين من ركبكم السكينة فعيلة مأخوذة من السكون
 والوقار والطمأنينة اى فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من امر طالوت وقيل الضمير
 للايمان اى في اتيانه سكون لكم وللتابوت اى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة
 قال ابن عطية الصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء فاضلة من بقايا الانبياء واثارهم فكانت
 النفوس تسكن الى ذلك وتأنس به وتتقوى وقد اختلف في السكينة على اقول سيا تي كان بعضها

وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ اخْتَلَفَ فِي الْبَقِيَّةِ فَعِصَىٰ مُوسَىٰ وَرِضَا
 الْاَلِ لُوَاحٌ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقِيلَ عَصَىٰ مُوسَىٰ وَعَصَىٰ هَارُونَ وَشَيْءٌ مِنَ الْوَلُوحِ التَّوْرَةِ وَقِيلَ
 كَانَتِ التَّوْرَةُ وَالْعِلْمُ قِيلَ كَانَ فِيهِ عَصَىٰ مُوسَىٰ وَنَمْلَةٌ وَعَصَىٰ هَارُونَ وَعِمَامَتُهُ وَقَفِيرٌ مِنَ الْبَنِي
 وَكَانَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَنُورُ ثَوْبُهُ قَرْنَ بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمَّا عَصُوا وَافْسَدُوا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلَةَ فَغَنِي
 حَلَسِيهِ وَآخِذُوا مِنْهُمْ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِآلِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ هُمَا أَنْفُسُهُمَا أَيْ مَا تَرَكَ
 مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَلَفْظُ آلٍ مَقْعَةٌ لَتَغْيِيرِ شَأْنِهِمَا وَقِيلَ الْمُرَادُ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ بَنِي يَعْقُوبَ لِأَنَّهُمَا مِنْ ذُرِّيَّةِ
 يَعْقُوبَ فَسُمِّيَتْ قُرَابَتُهُ وَمِنْ تَنَاسُلٍ مِنْهُ أَلِ لَهَا تَحْمِيلُ الْمَلَائِكَةِ أَيْ تَسْوِقُهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ جَاءَتْ
 الْمَلَائِكَةُ بِالْتَابُوتِ تَحْمِلُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُنْظَرُ إِلَى اللَّهِ حَتَّى وَضَعْتَهُ عِنْدَ طَاوُوتَ فَلَمَّا
 رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ فَسَلُّوا لَهُ الرِّيَاسَةَ وَمُلْكُوهُ وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ إِذَا حَضَرُوا قِتْلًا قَدْ مَوَّالَتْ تَابُوتَ
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَقُولُونَ إِنَّ أَدَمَ نَزَلَ بِذَلِكَ التَّابُوتِ وَبِالْوَكْنِ وَيَعَصَىٰ مُوسَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَلْغَنِي
 أَنَّ التَّابُوتَ وَعَصَىٰ مُوسَىٰ فِي بَحِيرَةٍ فَلَمَّ بِرِيَّةٍ وَأَنَّهُمَا يَخْرُجَانِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَقَالَ قَتَادَةُ كَانَ التَّابُوتُ
 فِي النَّبِيِّ خَلْفَهُ مُوسَىٰ عِنْدَ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ فَبَقِيَ هُنَاكَ فَأَقْبَلَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُهُ حَتَّى وَضَعْتَهُ فِي دَارِ
 طَاوُوتَ فَأَصْبَحَ فِي دَارِهِ فَأَقْرَبَ أَمْلَكُهُ وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْعَنَى مَحْتَصِيٍّ وَمَطُولًا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ
 فَلَا يَأْتِي التَّطْوِيلُ بِذِكْرِ ذَلِكَ بَعْدَ تَذَكُّرِهَا وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا كَانَ طَاوُوتُ عَظِيمًا جَسَدًا يُفْضَلُ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَنْقِهِ وَلَمَّا رَأَتْهُ وَحْيِي وَكَانَتْ سَعَةُ تَابُوتِ مُوسَىٰ لِحْوَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرَعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ
 وَالسَّكِينَةُ الرَّحْمَةُ وَالطَّمَانِينَةُ أَوِ الدَّابَّةُ قَدْ لَاهَرَتْ لَهَا عَيْنَانِ لَهَا شُعَاعٌ وَكَانَ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
 أَخْرَجَتْ يَدَيْهَا وَنَظَرَتْ إِلَيْهِمْ فَيَهْزِمُ الْحَيْشُ مِنَ الرَّعْبِ عَنْ عَلِيٍّ السَّكِينَةُ رِيحٌ نَجْوَى حَفَافَةٌ وَأَمَّا
 رَأْسَانِ وَوَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ وَقَالَ جَاهِدُ السَّكِينَةُ شَيْءٌ يُشَبِّهُ الْهَرَّةَ لَهُ رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهَرَّةِ
 وَوَجْهٌ كَوَجْهِ الْهَرَّةِ وَجَنَاحَانِ وَذَنْبٌ مِثْلُ ذَنْبِ الْهَرَّةِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ السَّكِينَةُ طُشْتُ
 مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ الْعَالَمِينَ الْوَلُوحُ فِيهِ وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مَسْنَبٍ
 أَنَّهُ قَالَ هِيَ رُوحٌ مِنَ اللَّهِ تَتَكَلَّمُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ تَكَلَّمُ فَخَبْرُ هَرَمِيَّانَ مَا يُرِيدُونَ وَعَنْ الْحَسَنِ
 قَالَ هِيَ شَيْءٌ تَسْكُنُ إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رِيَاحٍ هِيَ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يَسْكُنُونَ
 إِلَيْهَا وَأَقُولُ هَذِهِ التَّفَاسِيرُ الْمُتَنَاقِضَةُ لَعَالَمُهَا وَصَلَتْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ مِنْ جِهَةِ الْيَهُودِ قَالَهُمُ اللَّهُ

فما إذا بهذه الأمور بقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم وانظر الى جعلهم لها تارة
حيوانا وتارة جمادا وتارة شيئا لا يعقل وهكذا اكل منقول عن بني اسرائيل يتناقض و
يستقل على ما لا يعقل في الغالب ولا يصح ان يكون مثل هذه التفسير المتناقضة مرويا عن
النبي صلعم ولا ياراه قائله فهم اجل قدرا عن التفسير بالرأي وبما لا مجال للاجتهاد فيه
اذا تقررت لك هذا عرفت ان الواجب الرجوع في مثل ذلك الى معنى السكينة لغة وهو معروف
ولا حاجة الى ركوب هذه الأمور المنعقدة المتناقضة فقد جعل الله عنها سعة ولو ثبت
لنا في السكينة تفسير عن النبي صلعم لوجب علينا المصير اليه والقول به ولكن لم يثبت
من وجه صحيح بل ثبت انها نزلت على بعض الصحابة عند تلاوة القرآن كما في صحيح مسلم
عن البراء قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشاه سحابة فجعلت
تدور وتدور وجعل فرسه ينفر منها فلما اصبح اتى النبي صلعم فذكر ذلك له فقال تلك
السكينة نزلت للقرآن وليس في هذا الا ان هذه التي سماها رسول الله صلعم سكينة تنحدر
دارت على ذلك القاري فانه اعلم وعن ابي صالح قال كان في التابوت عصي موسى وعصى
هارون وثياب موسى وثياب هارون ولوحان من التوراة والبن وكلمة الفرج لا اله الا
الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين
وقال قتادة والحلي السكينة الطمأنينة ففي اي مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه
وهذا القول اولى بالصحة فعمل هذا كل شيء كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيعمل على جميع ما
قيل فيه لان كل شيء يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صحيح فلا يجوز تصويب
قول وتضعيف آخر والمرجح فيه الى اللغة كما تقدم والله اعلم ان في ذلك اي في محي التابوت
لاية لكم اي علامة ودلالة على صدق ما اخبركم به ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين
قال المفسرون فلما جاءهم التابوت واقر بالملك لطاوت تأهبوا للخروج الى الجهاد فاسرعوا
لطاوته وخروجهم معه وذلك قوله فلما فصل طأوت يا مجنون فصل معناه خرج بهم يقال
فصلت الشيء فانفصل اي قطعت فأنقطع واصلاه متعد يقال فصل نفسه ثم استعمل استعمال
اللازم كالفصل وقيل يستعمل لازما ومتعدا يقال فصل عن البلد فصلا وفصل نفسه فصلا

والمعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجحود وهو سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يخلف عنه الا كبير الكبر او مريض لمرضه او معذ ورعذره وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان للمياه ^{ثقلنا} فادع الله ان يجرب لنا نهر قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي خربتكم ولا يتلاءم الا اختار والنهر قيل هو بين الاردن وفلسطين وارجح موضع ذورمل قريب من بيت المقدس والمراد بهذا الابتلاء اختبار طاعتهم فمن اطاع في ذلك الماء اطاع فيما عداه ومن عصى في هذا وغلبته نفسه فهو في العصيان في سائر الشدائد اخرى فمن شرب منه قليلا كان او كثيرا فليس مني اي ليس من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه اي لم يذوقه يعني الماء اصلا قليلا لا كثيرا فانه يعني الامن اعترف عرفه بيده رخص لهم في الغرفة ليرتفع عنهم اذى العطش بعض ارتفاع وليكسر ارتعاج النفس في هذا الحال وفيه ان الغرفة تكفي سورة العطش عند الصابرين على شطف المعيش الدافعين انفسهم عن الرفاهية فالمراد بقوله في شرب منه اي كرع ولم يقتصر على الغرفة ومعنى ليس مني ليس من اصحابي من قولهم فلان من فلان كانه بعضه لا اختار طوعا وطول محبتهم وهذا في كلام العرب معروف يقال طعمت الشيء اي ذقته واطعمته الماء اي ذقته وفيه دليل على ان الماء يقال له طعام والاعتراف لاخذ من الشيء باليد او بالة والغرف مثل الاعتراض والغرفة المرة الواحدة وقد قرئ بفتح الغين وضمها فالفتح المرة والضم اسم للشيء المعترف وقيل بالفتح الغرفة الواحدة بالكف وبالضم الغرفة بالكفين وقيل هما الغتان بمعنى واحد فشر بواضنه اي من النهر لا قليلا فثبتهم وهو المذكور في قوله ومن لم يطعمه قال القرطبي القليل لم يشرب اصلا قال سعيد بن جبير القليل ثلثائة وبضعة عشر بجلاء اهل بدر وعن البراء قال كنا اصحاب محمد صلواتنا نحن ثمان اصحابا بدرا على عدة اصحاب طالق الذين جاؤوا معه النهر لم يجاؤوا معه الا بضعة عشر وثلثائة وعن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابي يوم بدر انتم بعدة اصحاب طالوت يوم لقي جالوت عن ابن عباس قال كانوا ثلثائة ايف وثلثة الاف وثلثائة وثلثة عشر فشر بواضنه كلهم الا ثلثائة وثلثة عشر بجلاء عدة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فردهم طالوت ومضى ثلثائة وثلثة عشر فقرأ الا قليل ولا وجه له الا ما قيل من انه من هجر اللفظ الى جانب المعنى اي لم يطعمه الا قليل وهو تعسف فلما جاؤا نهره هو اي جاؤوا النهر طالوت والذين امنوا معه وهم القليل الذين اطاعوه واقتصر على الغرفة وقال القرطبي هو الذين لم يذوقوا الماء اصلا

قَالُوا أَيُّ الذِّينِ شَرُّ بَوَالِكُنَّمْ اِخْتَلَفُوا فِي قُوَّةِ الْيَقِينِ فَبَعْضُهُمْ قَالَ لَطَاقَةُ لَنَا الْيَوْمَ جَالُوتٌ وَجُنُودُهُ وَكَثَرُ الْمُسْرِينِ
عَلَانِيَةً قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ بَعْدَ مَا عَبرَ النَّهْرَ مَعَ طَالُوتَ وَرَأَوْا جَالُوتَ وَجُنُودَهُ فَرَجَعُوا مِنْهُمْ هَاجِرِينَ قَالَتَيْنِ هَذَا الْقَوْلُ
وَبَعْضُ الْمُسْرِينِ عَلَى أَنَّ الْعَصَاةَ لَمْ يَعْبرُوا بِهَا وَبَعْضُ الْيَقِينِ لَمْ يَعْبرُوا بِهَا وَبَعْضُ الْيَقِينِ لَمْ يَعْبرُوا بِهَا وَبَعْضُ الْيَقِينِ لَمْ يَعْبرُوا بِهَا
وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَعَهُ لَطَاقَةُ لَنَا الْيَوْمَ الْيَوْمَ وَالْجُنُودُ الْأَنْصَارُ وَالْجَمْعُ جَانِدٌ وَجُنُودُ الْوَاحِدِ جُنْدٌ فِي الْيَقِينِ
الْوَحْدَةِ مِثْلُ دَوْمٍ وَدَوْمِي قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَكَانُوا مِائَةَ الْفِ جَلَّ شَأْنُ السِّلَاحِ وَقَالَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ الْيَقِينُونَ
رَدَّ عَلَى الْمُخْتَلَفِينَ أَنَّهُمْ مَلَقُوا اللَّهَ أَيُّ نَهْمٍ يَسْتَشْهَدُونَ عَمَّا قَرِيبَ فَيَلْقُونَ اللَّهَ صَرِيحًا بِهَذَا الْقَاضِي وَالْكَشَاءُ
كَوْنٌ فِيهِ قَلِيلٌ مِنَ الْفَتَةِ الْجَمَاعَةِ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ وَالْقِطْعَةُ مِنْهُمْ مَنْ قَاتَلَ أَسَدَهُ بِالسِّيفِ قِطْعَتَهُ
عَلَيْتُ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ أَيُّ بِقِضَاءِ اللَّهِ وَارَادَتُهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ بِالْغَنَى وَالْعَوْنِ وَهَذِهِ مِنْ حِجَلَةٍ
مَقُولُهُمْ وَجَعَلَ مِنْهَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى أَخْبَرَ بِهَا عَنْ جَلِّ الصَّابِرِينَ فَلَا حِلَّ لَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ لَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ أَيُّ صَارُوا فِي الْمَبَارِزِ وَهُوَ الْمَتَسَعُّ مِنَ الْأَرْضِ مَا انْكَشَفَتْ مِنْهَا وَاسْتَوَى مِنْهُ سَمِيحُ الْمُبَارَاةِ فِي الْحَرْبِ يَظْهَرُ كُلُّ
قُرْنٍ إِلَى صَاحِبِهِ وَالْمَعْنَى ظَهَرَ لِقَائِهِمْ وَتَصَافَوْا بِالْمَبَارِزِ بِالْقِتْحِ وَالْكَسْرُ قَلِيلَةُ الْفَضَاءِ الْوَاسِعِ الْخَالِي مِنَ الشَّجَرِ
جَالُوتَ أَمِيرَ الْعَمَلَةِ قَالُوا أَيُّ جَمِيعٍ مِنْهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَنَاءُ غَيْرِ أَيُّ صَبِيحًا صَبْرًا لَا فَرْغَ يَغِيدُ مَعْنَى الْكَثْرَةِ
وَبَيَّنَّ أَقْلًا مَنَاعِبًا تَرَى عَنْ كَمَالِ الْقُوَّةِ وَالرَّسُوخِ وَعَدَمِ الْفُشْلِ وَالتَّزَلُّزِ عِنْدَ الْمَقَاوِمَةِ يَقَالُ ثَبَتَ قَدَمُ فُلَانٍ
عَلَى كَذَا إِذَا اسْتَقَرَّ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ عَنْهُ وَثَبَتَ قَدَمُهُ فِي الْحَرْبِ إِذَا كَانَ الْغَلْبَةُ وَالنَّصْرُ مَعَهُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَقَرُّرُهَا فِي مَكَانٍ
وَاحِدٍ وَانْصَرَفَ تَعَالَى الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ هُمُ جَالُوتَ وَجُنُودُهُ وَوَضَعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ أَظْهَرَ الْمَاءَ هُوَ الْعَلَةُ الْمُوجِبَةُ
لِلنَّصْرِ عَلَيْهِمْ وَهِيَ كَقَرْنِهِمْ وَذَكَرَ النَّصْرَ بَعْدَ سُؤَالِ تَثْبِيهِ لِأَقْدَامِ لَكُونِ الثَّانِي هُوَ غَايَةُ الْأَوَّلِ فَهُوَ هُوَ بِإِذْنِ اللَّهِ الْهَرَمُ
الْكُثْرُ مِنْهُ سَقَاءٌ مِنْهُمْ أَيُّ بَنَى بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مَعَ الْجَفَافِ مِنْهُ مَا قِيلَ فِي زَمْرٍ أَنَّهَا هَرَمَةٌ جَبِيلُ أَيُّ هَرَمَهَا
بِرَجْلِهِ فَخَرَجَ الْمَاءُ وَالْهَرَمُ مَا يَكْسِرُ مِنْ بَابِلٍ حَطَبٌ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ فَانْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ فَزَمُّهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَارَادَتُهُ
وَقَتْلُ دَاوُدَ جَالُوتَ هُوَ دَاوُدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَدَاوُدُ بْنُ كَيْسَانَ يَسُودُ مِنْ سَبْطِ يَهُوْيَا بْنِ يَعْقُوبَ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ النَّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ
بَعْدَ أَنْ كَانَ أَعْيَا وَكَانَ صَغِيرًا خِزْيَانَةً طَالُوتَ لِقَابُ لَبَلَةٍ جَالُوتَ فَقَتَلَهُ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا لَمْ يَبْلُغْ الْحُلُمَ سَقِيمًا
أَصْفَرُ اللَّوْنِ يَرعى الْغَنَمَ فَهَذِهِ الْوَقْعَةُ قَبْلَ نُبُوَّةِ دَاوُدَ ابْنِهِ وَكَانَ مِنْ حِجَلَةِ جَلِيشَ طَالُوتَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ قَالَ كَانَ
طَالُوتَ أَمِيرًا عَلَى الْجَلِيشِ فَبَعَثَ أَبُودَاوُدَ مَعَ دَاوُدَ نَبِيٍّ عَلَى اخْتِيارِهِ فَقَالَ دَاوُدُ لَطَالُوتَ مَا ذَا لِي وَأَقْتُلَ جَالُوتَ فَقَالَ لَكَ
ثَلَاثُ مَلِكٍ وَانْكَرَ لِنَبِيِّي فَخَلَا فَجَعَلَ فِيهَا ثَلَاثَ مَرَوَاتٍ فَنَادَى بِأَهْلِهِمْ أَسْمَى وَيَقُولُ خُذُوا خِيَارَكُمْ فَقَالَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَالْأَبَاؤُ بَرَاءُ هُمْ

واسحق ويعقوب فخرج علي براهم في جهاد في مرجته فزلهما لوط فخرق ثلثه ثلثين بيضة عن راسه وقتلها وراه
 ثلثين رجلا فاخذ داود جالوت حتى لقاها بين يدي طالوت ففرج بنو اسرائيل فزوجه ابنته واعطاه نصف الملك
 فمكث معه كذلك اربعين سنة فمات طالوت واستقل داود بالملك وسبع سنين ثم انقل الى رحمة الله تعالى
 فسيحان من لا ينقض ملكه وقد ذكر المفسرون اقايصص كثيرة من هذا الجحش ^{فان} الله اعلم واتة الله ابي ودا
 الكامل سبع سنين بعد موت طالوت ^{والمرا} بالحكمة هذا النبؤ وقيل هي تعليمه صنعة الدروع ^{من}
 وكان يدين في يده ويصيح كسبح الغزل ومنطق الطير والاحسان اي فهم اصواته وكذا اليها تم وقيل هي عطاءه ^{السلطنة}
 التي كانوا يتكلمون اليها وعلمه مما يشاء قيل ان المضارع هنا موضوع موضع الماضي وفاعل ذلك هو
 الله تعالى وقيل داود وظاهر هذا التركيب ان الله سبحانه علمه مما قضت به مشيئته وتعلقته به ارادته
 وقد قيل ان من خلك ما قدمناه من تعليمه صنعة الدروع وما بعد قيل كان ملاك طالوت الى ان قتل ^{بعين} داود
 سنة فاق بنو اسرائيل الى داود فملك عليهم واعطوا مخران طالوت قال الكلبى الضحك ملك داود جعل قتل
 طالوت نحو سبع سنين ^{ويجمع} بنو اسرائيل على ملك احداه على داود فجمع الله لداود بين الملك والنبؤ ولم
 كذلك من قبل ولم يجتمع لاحد قبله بل كانت النبوة في سبطه والملك في سبطه فجمع الله له ذلك لانه سليمان
 بين الملك والنبؤ ^{وقد دفع الله الناس بعضهم بعضا} في دفع الدافع فله صدق دفع كذا وعلى القرأتين فالصدق مضى
 الى الفاعل اي ولو دفع الله الناس وبعضهم بدل من الناس وهم الذين يباشرن اسباب الشر
 الفساد ببعضهم ومنهم وهم اهل الايمان الذين يكفونهم عن ذلك ويردوهم عنه كفسكت
 الارض لتغلب اهل الفساد عليها واحدا ثم الشر والحق تهلك الحشر والنسل قال ابن عباس يدفع الله
 يصلح عن لا يصلح ومن يحج عن لا يحج ومن يزكي عن لا يزكي واخرج ابن عدي وابن جرير بسند ^{ضعيف}
 عن ابن عمر قال قال رسول الله صلوات الله عليه ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء
 قرأ ابن عمر لو دفع الله الناس الآية وفي سناد يحيى بن سعيد الطار وهو ضعيف ^{جاء} اوراه احمد ايضا ولكن
 الله ذو فضل لتكثير التعظيم على العالمين اي عم الناس كلهم تلك انت الله هي استملت على هذه القصة
 من الامور المذكورة تتلوها عليك بالحق والمراد بالحق هنا الخبر الصحيح الذي لا يثبت عند اهل الكتاب والاطلعين على اخبار
 العالم وانك كن المرسلين اخبار من الله سبحانه بانه من جملة رسل الله سبحانه تقوية لقلبه وتثبيت كنهه وتثبيت
 لامر والنجي خبر من اخبار العجيب القصص حجة وحى من الله غيب عن ان يعر فاعراءة كتابه واستماع اخباره فدل على رسالتك

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

وقوله

قيل هو إشارة الى جميع الرسل فيكون الالف واللام للاستغراق وقيل هو إشارة الى الانبياء الذين
 في هذه السورة وقيل الى الانبياء الذين بلغ علمهم الى النبي صلواتهم والمراد بتفضيل بعضهم على بعض
 ان الله سبحانه جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلا والاخر
 مفضولا وكما دلت هذه الآية على ان بعض الانبياء افضل من بعض كذلك دلت الآية الاخرى
 عليه وهي قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود وزبور اعن قتادة قال اخذ
 الله ابراهيم خليله وكلمه الله موسى تكليما وجعل عيسى كمثلا ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
 وهو عبد الله وكلمته وروحه واتى داود وزبور اوانى سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعده
 وغفر ل محمد صلواته ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الخازن واجمعت الامة على ان نبينا محمدا صلواته
 افضل الانبياء لعموم رسالته وهو قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقد استشكل
 جماعة من اهل العلم الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة مرفوعا
 بلفظ لا تفضلوني على الانبياء وفي لفظ اخر لا تفضلوا بين الانبياء وفي لفظ لا تخيروا بين الانبياء
 فقال قوم ان هذا القول منه صلواته كان قبل ان يوحى اليه بالفضل وان القرآن ناسخ للمنع من التفضيل
 وقيل انه قال صلواته ذلك على سبيل التواضع كما قال لا يقل احدكم انا خير من يونس بن متى تواضعا
 مع علمه انه افضل الانبياء كما يدل عليه قوله انا سيد ولد ادم وقيل انما نهي عن ذلك قطعا
 للجدال والخصام في الانبياء فيكون مخصوصا بمثل ذلك اذا كان صدور ذلك مأمونا وقيل
 ان النهي انما هو من جهة النبوة فقط لا بما خصله واحدة لا تفاضل فيها ولا نهي عن التفاضل بزيادة
 الخصوصيات والكرامات وقيل ان المراد بالنهي عن التفضيل مجرد الاهواء والعصبية وفي جميع
 هذه الاقوال ضعف وعندى انه لا تعارض بين القرآن والسنة فان القرآن دل على ان الله فضل
 بعض انبيائه على بعض وذلك لا يستلزم انه يجوز لنا ان نفضل بعضهم على بعض فان المزايا
 التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى لا يخفى على الله منها خافية وليست بمعلومة عند
 البشر فقد يجهل اتباع نبي من الانبياء بعض مزاياه وخصوصيات فضلها عن مزايا غيره والتفضيل

لا يكون إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلا وهذا مفضولا قبل العلم ببعضها
 أو كثرها أو باقيا فان ذلك تفصيل بالجمل واقتدا على امر لا يعمل ما نقا عمل له وهو ممنوع منه
 فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن بالأخبار لما كان الله فضل بعض أنبيائه على بعض لو يكن ^{دليل} فيه
 على أنه يجوز للشبان بفضله لولدين الأنبياء فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنبي عن ذلك
 وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه فالقرآن فيه الأخبار
 من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض والسنة فيها النبي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه فمن
 تعرض للجمع بينهما إذا علم أنها متعارضان فقد غلط غلطا كبيرا منهم تفصيل للتفصيل المذكور إجمالا
 من كلام الله أي بغاير واسطة وهو موسى كلمة في الطور ونبينا سلام الله عليهما كلمة ليلة الأسراء
 وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال في آدم أنه نبي مكرم وقد ثبت ما نهى ذلك في صحيح ابن حبان
 من حديث أبي ذر واللفظ حيث لم يقل كلمنا لترتبة المهابة بهذا الاسم الشريف والرجاء إلى
 ما بين التكليمين ودفع الدرجات من التفاوت ورجع بعضهم ^{درجته} هذا البعض محتمل أن يراد به
 من عظمت منزلته عند الله سبحانه من الأنبياء ومحتمل أن يراد به نبينا صلوات الله عليه وآله من أيا المقضية
 لتفضيله ومحتمل أن يراد به ادريس لأن الله سبحانه أخبرنا بأنه رفعه مكانا عليا وقيل انهم أولوا العزم
 وقيل إمامهم ولا يخفى ذلك إن الله سبحانه أعلمهم هذا البعض المرفوع فلا يجوز لنا التعرض للمبيان له
 إلا بمرها من الله سبحانه أو من نبيه صلى الله عليه وآله ولم يرد ما يرشد إلى ذلك فالتعرض لبيان هون
 تفسير القرآن الكريم بمحض الرأي وقد عرفت ما فيه من الوعيد الشديد مع كون ذلك ذريعة
 إلى التفصيل بين الأنبياء وقد نهينا عنه وقد حزم كثير من أئمة التفسير أنه نبينا صلوات الله عليه وآله
 في ذلك واستدلوا بما خصه الله به من المعجزات من أيا الحكام وخصا للفضل وهو بهذا الحزم بدليل
 لا يدل على المطلوب قد وقعوا في خطرين وارتكبوا نهيين وهما تفسير القرآن بالرأي والدخول في
 ذرائع التفصيل بين الأنبياء وإن لم يكن ذلك تفضيلا صريحا فهو ذريعة إليه بلا شك ولا شبهة
 لأن من حزم بأن هذا البعض المرفوع درجات هو النبي فلا يفتقر من ذلك إلى التفصيل ^{عنه} المسمى
 وقد اغفل الله نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله عن ذلك بما لا يحتاج معه إلى غيره من الفضائل والفواضل فإياك
 أن تقترب إليه صلى الله عليه وآله بالدخول في أبواب نهالك عن دخولها فتعصيه وتسبي وتظن أنك تطيع ^{محسن}

وَأَيْضًا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ الْبَيْتِ أَيِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَ
 إِبْرَاهِيمَ الرَّمْحَى مِنْ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصَ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَكَأَيْدُهُ أَيِ قُوَّتُهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ هُوَ جِبْرِيلُ وَكَانَ
 يسير معه حيث سار إلى أَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى عَرْشِهِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا أَنَّ
 لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ أَيِ مَا اخْتَلَفَ فَأُطْلِقَ الْقِتَالُ وَإِذَا سَبَبَهُ وَهُوَ اخْتِلَافُ الَّذِينَ مِنْ
 بَعْدِهِ هُوَ أَيِ مِنْ بَعْدِ الرِّسْلِ وَقِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَخِيسَى وَهَمَّ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَنَّ الْقِتَالَ
 مَذْكُورٌ فِيهَا وَالْأَوَّلُ وَالثَّالِثُ وَقَعَتْ لَاشَارَةِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ أَيِ لَوْ شَاءَ اللَّهُ عَدَمَ
 اقْتِنَالِهِمْ مَا اقْتَتَلُوا فَمَعْمُولُ الْمَشْيَةِ مَحْذُوفٌ عَلَى الْقَاعِدَةِ وَقِيلَ إِنَّ لَيْوَمَ وَالْقِتَالَ وَقِيلَ إِنَّ
 يَصِيرُهُمْ إِلَى لَا يَمَانٍ وَكُلُّهَا مُتَقَابِرَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ أَيِ الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ
 اللَّهُ بِمَا فِيهِ مَزِيدٌ عَلَى هَذَا اللَّهُ تَعَالَى وَوَفْقَهُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا اسْتِثْنَاءً مِنَ الْجَمْعَةِ الشَّرْطِيَّةِ أَيِ
 لَكِنْ الْقِتَالُ نَاشٍ عَنْ اخْتِلَافِهِمْ اخْتِلَافًا أَكْثَرَ أَحَقَّ صَادِرًا بِالْإِخْتِلَافَةِ وَالْمَعْنَى لَوْ شَاءَ اللَّهُ اتَّفَاقُ
 لَا تَفْقُوا وَلَكِنْ شَاءَ الْأَخْتِلَافُ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قِيَاسِ اسْتِثْنَائِي فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ
 وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ أَيِ ثَبَتَ عَلَى إِيْمَانِهِ لَوْ تَعَدَّ الْكُفْرَ بِعَدِّ قِيَامِ الْحُجَّةِ كَالنَّصَارَى بَعْدَ الْمَسِيحِ وَلَوْ
 شَاءَ اللَّهُ عَدَمَ اقْتِنَالِهِمْ بَعْدَ هَذَا الْخْتِلَافِ مَا اقْتَتَلُوا أَنَا كَيْدٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقْعَلُ مَا يُرِيدُ مِنْ
 تَوْفِيقٍ مِنْ شَاءَ وَخَلَّانَ مِنْ شَاءَ لَا رَادَّ حُكْمِهِ وَلَا مَبْدَلَ لِقَضَائِهِ فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكَمُ
 مَا يُرِيدُ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ فِي مَلَكِهِ وَفِعْلُهُ وَسَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا عَنِ الْقَدْرِ فَقَالَ طَرِيقَ مَظَالِمِ فَلَا تَسْكَ
 فَأَعَادَ السُّوَالُ فَقَالَ بِحَرَمِي فَقَالَ لَتُجْهَ فَأَعَادَ السُّوَالُ فَقَالَ سِرَّ اللَّهِ قَدْ خَفِيَ عَلَيْكَ فَلَا تَقْتَسِهْ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَتَمَّكُمْ ظَاهِرُ الْآيَةِ الْوَجُوبِ وَقَدْ جَاءَتْ جَمَاعَةٌ عَلَى صَدَقَةِ الْفَطْرِ
 لِذَلِكَ وَلَمَّا فِي الْخُرَافَةِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَجْمَعُ زَكَاةُ الْفَرَضِ وَالنَّطَوْعِ
 قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَهَذَا صَحِيحٌ وَلَكِنْ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ فِي ذِكْرِ الْقِتَالِ وَإِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي صُدُورِ الْكَافِرِينَ يَتَرَجَّحُ مِنْهُ أَنَّ هَذَا النَّدْبَ نَمَا هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَعَلَى هَذَا
 التَّأْوِيلِ يَكُونُ اتَّفَاقُ الْمَالِ مَرَّةً وَاجِبًا وَمَرَّةً نَدْبًا بِمُسْتَقْبَلِ الْكُفْرِ عَدَمَ تَعْلِينِهِ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَكْفُرُ فِيهِ أَيِ أَنْفَقُوا مَا دُمُوا قَادِرِينَ وَقَدْ مَوَّاهُ نَفْسُكَ الْيَوْمَ مِنَ الْأَمْوَالِ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ مَا لَا يَمُنُّكُمْ الْإِتْفَاقُ فِيهِ وَهُوَ يَوْمٌ لَا يَتَّبِعُ النَّاسُ فِيهِ وَلَا تَحَارُ فَيَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ

ح

ما يغتدري به نفسه من العذاب ولا حيلة خالصة لمودة مأخوذة من تخلل الاسرار بين
 الصديقين اخبر سبحانه انه لا خلة في يوم القيمة نافعة ولا مودة ولا صداقة ولا شفاعة مؤثرة
 الا لمن اذن الله له قيل وقد حلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بالاذن بين المؤمنين
 فيكون هذا عاما مخصوصا والكافرون هم الظالمون فيه دليل على ان كل كافر ظالم
 لنفسه ومن حجة من يدخل تحت هذا العموم ما نفع الزكوة منعا يوجب كفره بوقوع ذلك في
 سياق الامر بالانفاق وعن عطاء قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون
 هو الكافرون الله لا اله الا هو الحي القيوم اي لا معبود بحق الا هو وهذه الجملة خبر المبتدأ افا
 الباقي وقيل الذي لا يزول ولا يحول وقيل المصروف للاهور والمقدر للاشياء قال الطبري عن قوم
 انه يقال حي كما وصف نفسه ويسلم ذلك دون ان ينظر فيه وهو خبر ثان او مبتدأ خبره محذوف
 والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت وقيل المقائم بذاته المقيم لغيره وقيل القاتل مبتدأ بالخلق و
 حفظه وقيل هو الذي لا ينام وقيل الذي لا بديل له وقرأ جماعة القيام بالالف وروي ذلك عن
 عمر ولا خلاف بين اهل اللغة ان القيوم اعرف عند العرب واصح بناء واثبت علة وهذه الآية
 افضل اية في القرآن ومعنى الفضل ان الثواب على قراءتها اكثر منه على غيرها من الايات هذا هو
 التحقيق في تفضيل القرآن بعضه على بعض وانما كانت افضل لانها جمعت من احكام الوهية
 وصفات الاله الثبوتية والسلبية ما لم تجمع اية اخرى لا تأخذ سنة ولا تؤم هذا كالتعليل
 لقوله القيوم السنة النعاس في قول الجمهور والنعاس ما يتقدم النوم من الفتور وانطباع العينين
 فاذا صار في القلب صار نومًا وفرق المفضل بين السنة والنعاس والنوم فقال السنة من الرأس
 والنعاس في العين والنوم في القلب انتهى والذي ينبغي التعويل عليه في الفرق بين السنة والنوم
 ان السنة لا يفقد معها العقل بخلاف النوم فانه استرخاء اعضاء الدماغ من رطوبة لا بخفة
 حتى يفقد معه العقل بل جميع الادراكات بسائر المشاعر والمراد انه لا يعتريه سحابة شيء منهما
 وقدم السنة على النوم لكونها تتقدمه في الوجود فهو حل حد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
 قال الرازي في تفسيره ان السنة مكتملة النوم فاذا كانت عبارة عن مقدمة النوم فاذا قيل لا
 تأخذ سنة حل على انه لا يأخذ نوم بطريق الاولي فكان ذكر النوم تذكرا قلنا نقدر الآية

لا تأخذ سنة فضل إلا عن أن يأخذ نوم واه علم بمراعاة انتهى وأقول إن هذه الأدلة التي
 ذكرها مسلمة فإن النوم قد يبدأ من دون ما ذكر من النفاس وإذا ورد على القلب
 والعين دفعة واحدة فإنه يقال له نوم ولا يقال له سنة فلا يستلزم نفي السنة نفي النوم وقد
 ورد عن العرب نفيهما جميعاً وإيضاً فإن الإنسان يقدر على أن يدفع عن نفسه السنة ولا يقدر
 على أن يدفع عن نفسه النوم فقد يأخذ النوم ولا تأخذ السنة ولو وقع الاختصار في المنظم
 القرآني على نفي السنة لم يفد ذلك نفي النوم وهكذا لو وقع الاختصار على نفي النوم لم يفد نفي
 السنة فكأن من ذي سنة غير نائم وكما حررت النفي للتنصيص على شمول النفي لكل واحد منهما فالسنة
 النوم والخيف والنوم هو التثقل المزبل للعقل والقوة والوسنان بين النائم واليقظان والجملة نفي
 التشبيه بينه تعالى وبين خلقه والله منزّه عن النقص والأفات وإن ذلك تغير وهو مقدس
 عن التغير وعن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بخمس كلمات فقال إن الله
 عز وجل لا ينالم ولا ينبغي له أن ينالم أحد حديث رواه مسلم له ما في السموات وما في الأرض يعني
 أنه تعالى مالك جميع ذلك غير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهو عبيده وخلقهم وهو في ملكه
 وأجرى الغالب مجرى الكل فعبده بلفظ ما دون من وفيه رد على المشركين العابدين لبعض
 الكواكب التي في السماء والأصنام التي في الأرض يعني فلا تصلح أن تعبدها مملوكة مخلوقة له
 واللام أما للقهر وأما للملك وأما للإياد من الذي يشفع عندك لا ياد فيه في هذا الاستفهام
 من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحد منهم بشفاعته أو غيرها أو
 التفرع والتوحيده ما لا مزيد عليه وفيه من الدفع في صد وعباد القبور والصك في وجوهم
 والفت في أعضادهم ما لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله
 تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقوله تعالى وكلم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً
 إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن بدنياً
 كثيرة وقد بينت الأحاديث الصحيحة الثابتة في دواوين الإسلام صفة الشفاعاة ولمن هي ومن
 يقوم بها إلا من يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الضميران لما في السموات والأرض بتعالى العقلاء
 على غيرهم وما بين أيديهم وما خلفهم عبارة عن المتقدم عليهم والمتأخر عنهم وعن الدنيا والآخرة

وما فيها وقال بها كل ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وعن ابن عباس ما قد مواس
اعمالهم وما أضاعوا من أعمالهم والمقصود انه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من احوال
جميع خلقه حتى يعلم ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء تحت الارض الغبراء
وحركة الذرة في جوف السماء والطير في الهواء والسمك في الماء وفيه رد على من ينفي عن سجنانه
علم الجنيات كالفلاسفة وهي اي صفة العلم له سبحانه امام ائمة الصفات فلا تخفى عليه خافية
في الارض ولا في السماء ولا يحيطون بشيء من علمه قد تقدم معنى الاحاطة والعلم هنا بمعنى
اي لا يحيطون بشيء من معلوماته الا بما شاء ان يطلعهم عليه باخبار الانبياء والرسل ليكون دليلا
على نبوتهم وليس ذلك اليهم بل اليه وسيع كرسية يقال فلان يسع الشيء سعة اذا احتله ومكنه
القيام به واصل الكرسي في اللغة ما خوذ من تركيب الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركيب
بعض اوراقها على بعض وفي العرف ما يجلس عليه والكرسي هنا الظاهر انه الجسم الذي وردت
الافكار بصفته كما سيأتي بيان ذلك وقد نفى وجود جماعة من المعتزلة واخطوا في ذلك خطأ
بيداً وغلطوا غلطاً فاحشاً وقال بعض السلف ان الكرسي هنا عبارة عن العلم قالوا ومنه قيل
للعلماء كراسي ومنه الكراسة التي تجمع فيها العلم ورجح هذا القول بن جبريل الطبري وفي القاموس
الكرسي بالضم والكسر السرير والعلم والجمع كراسي وقيل كرسية قد دته التي يمسك بها السموات
الارض كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسياً اي ما يعمده وقيل ان الكرسي هو العرش وقيل هو
تصوير اعظمته والحقيقة له قال التقاضي انه من باب اطلاق المركب المحسي المتوهم على المعنى
العقل المحقق وقال البيضاوي لا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وهو تشبيل مجرد وقيل هو عبارة عن
المالك والسلطان ما خوذ من كرسى العالم والمالك والحق القول الاول ولا وجه للعدل عن المعنى
الحقيقي لا يخرج خيالات تسببت عن جهالات وضلالات جاءت عن الفلاسفة اقامهم الله تعالى
والمراد بكونه وسع السموات والارض انها صارت فيه وانه وسعها ولم يضيق عنها لكونه
بسيطاً واسعاً واخرج الدارقطني في الصفات والخطيب تاريخه عن ابن عباس قال سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كرسية قال كرسية موضع قدمه والعرش لا يقدر قدرة الا الله عز
وجل واخرجه الحاكم وصححه واخرجه ابن جرير وابو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي عن

ابي ذر الغفاري انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
 نفسي بيده ما السموات السبع عند الكرسي الا حلقة ملقاة في ارض فلاة وان فضل العرش على
 الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعاً انه موضع ^{من} القبة
 وفي نسخة الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي وهو متروك وقد ورد عن جماعة من السلف ^{من} الصحابة
 وغيرهم في وصف الكرسي ثار لا حاجة في بسطها ولا يؤخذ حفظها معناه لا يتقلبه ولا يجهد
 ولا يشق عليه حفظ السموات والارض يقال اذني بمعنى ثقلي وتحملت منه مشقة وقال الزجاج يحتمل
 ان يكون الضمير في قوله يؤذه الله سبحانه وهو ان يكون للكرسي لانه من امر الله وهو العلي
 العظيم العلي يرا به علو القدر والمنزلة اي الرفيع فوق خلقه ليس فوقه شيء وقيل العلي بالملك
 والسلطنة والقهر فلا اعلی منه احد وقيل علي من ان يحيط به وصف الواسفين ذوالعظمة و
 الجلال الذي كل في عظمته وحكي الطبري عن بعضهم انهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه
 عن اماكن خلقه قال ابن عطية وهذا قول جملة مجسمين وكان الواجب ان لا يحكى انتهى والخلاف في
 اثبات الجهة معروف في السلف اختلف والنزاع فيه كائن بينهم والادلة من الكتاب والسنة
 ولكن الناشئ على مذهب يرى غيره خارجاً عن الشرع ولا ينظر في ادلته ولا يلتفت اليها والكتاب
 والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل ويتبين به الصحيح من الفاسد ولو اتبع الحق أهواءهم
 لفسدت السموات والارض ولا شك ان هذا اللفظ يطلق على القاهر الغالب ايضاً كما في قوله ان
 فرعون علا في الارض والعظيم بمعنى عظم شأنه وخطره قال في الكشاف ان الجملة الاولى بيان
 لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساكناً عنه والثانية بيان لكونه مالكاً لا يدبره والجملة
 الثالثة بيان لكبرياء شأنه والجملة الرابعة بيان لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرضى منهم
 المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والجملة الخامسة بيان لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها
 او بجلاله وعظم قدره انتهى وبالجملة فهذه الآية قد اشتملت على معاني المسائل الالهية فانها
 دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة الالائية الابدية واجبا للوجود لذاته
 موجب لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيول بغيره منزلة عن التحيز والحلول منزلة عن التغير والتفاوت
 لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملوك ومبدع الاصول

والفروع فلو لبش لشد بل الذي لا يشفع احد عنده كائنا من كان الا من اذن الرحمن عالم
بالاشياء كلها جلها وخفيها كلها وخزئها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقد
عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عن الخلق مبائن عن العالم مستق
على العرش على الذات سمي لصفات كبير الشأن جليل القدر رفيع الذكر مطاع الامر جلي البرهان
عليه ما يدركه القياس والظن والوهم عظيم لا يحيط به علم الخلاق والفهم ولذلك قد ورد في
فضل هذه الآية احاديث فاخرج احمد ومسلم واللفظ له عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه
اي آية من كتاب الله اعظم قال آية الكرسي قال ليهنك العلم ابا المنذر واخرج البخاري في
تاريخه والطبراني وابو نعيم في المعرفة بسند رجاله ثقات عن ابن الاسقع البكري ان النبي صلى
جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان اي آية في القرآن اعظم فقال النبي صلى الله عليه
الا هو الحي القيوم الآية واخرج سعيد بن منصور والحاكم والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه قال سورة البقرة فيها آية سيدة أي القرآن لا تقرأ في بيت فيه شيطان الا
خرج منه آية الكرسي قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه واخرج ابو داود والترمذي وصححه
من حديث اسماء بنت يزيد بن السكن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول في هاتين الآيتين الله
لا اله الا هو الحي القيوم والحمد لله لا اله الا هو ان فيها اسم الله اعظم وقد وردت احاديث في فضلها
غير هذه وورد ايضا في فضل قراءتها بالصلوات وفي غير ذلك وورد ايضا مع مشاركة
غيرها احاديث في فضلها وورد عن السلف في ذلك شيء كثير وقد اختلف اهل
العلم في قوله لا اكره في الدين على قول الاول انها منسوخة لان رسول الله صلى الله عليه قد اكره
العرب على دين الاسلام وقاتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام والناسخ لها قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين وقال تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدا
فيكم غلظة وقال التستديعون الى قوم اولى باس شديد فتقاتلوا هم ويسلمون وقد ذهب الى هذا
كثير من المفسرين القول الثاني انها ليست بمنسوخة وانما نزلت في اهل الكتاب خاصة وانهم
لا يكرهون على الاسلام اذا دوا بالحزبية بل الذين يكرهون هم اهل الاوثان فلا يقبل منهم الا
او السيف والى هذا ذهب الشعبي والحسن وقتادة والضحاك القول الثالث ان هذه الآية في الانصاف

خاصة القول الرابع ان معناها لا تقولوا لمن اسلم تحت السيف انه مكروه فلا اكراه في الدين القول
 الخامس وردت في السبي متى كانوا من اهل الكتاب لم يجبروا على الاسلام وقال بن كثير في تفسيره
 اي لا تتركوا احدا على الدخول في دين الاسلام فاني اخرجهم جليلا وبراھينه لا يحتاج الى ان يكبر
 احد على الدخول فيه بل من هداة الله الى الاسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه علي
 ينة ومن اعلم الله قلبه وحقم على سمعه وبصره فانه لا يفيد الدخول في الدين مكروها مقبولا
 وهذا يصلح ان يكون قولاً سادساً وقال في الكشاف في تفسير هذه الآية اي لم يجبر الله امرأته
 على الاحبار والقسر ولكن على التمكن والاختيار ونحو قوله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم
 جميعا فانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكن لم يفعل وبني
 الامر على الاختيار وهذا يصلح ان يكون قولاً سابعاً والذي ينبغي اعتماده ويتعين الوقوف
 عنده انها في السبيل الذي تزلت لاجله محكمة غير منسوخة وهوان المرأة من الانصار تكون
 مفلاة لا يكاد يعيش لها ولد فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد ان تهوده فلما اجليت يهود
 النصير كان فيهم من ابناة الانصار فقالوا لاندع ابناةنا فزلت اخرجه ابوداؤد والنسائي وغيرها
 عن ابن عباس وقد وردت هذه القصة من وجوه حاصلا ما ذكره ابن عباس مع زيادة
 تضمن ان الانصار قالوا انما جعلناهم على دينهم اي دين اليهود ونحن نرى ان دينهم افضل من
 ديننا وان الله جاء بالاسلام فلنكرهم فلما تزلت خيرا لانباء رسول الله صلعم ولم يكبرهم
 على الاسلام وهذا يقتضي ان اهل الكتاب لا يكبرون على الاسلام اذا اختاروا البقاء على دينهم
 وادوا الجزية واما اهل الحرب فالآية وان كانت تعمهم لان النكرة في سياق النفي وتعريف الدين
 يفيد ان ذلك والاختيار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب لكن قد خصص هذا العموم بما ورد من
 الآيات في اكراه اهل الحرب من الكفار على الاسلام وقد قيل ان هذه الآية الى خالد بن
 بنية اية الكرسي والتحقيق ان هذه الآية مستأنفة جئ بها اثرياً بصفات البارئ المذكورة اي
 بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والاكراه في الدين بل يختار الدين الحق من غير تردد
 قد تبين الرشد من الغي الرشدها الايمان والغي الكفراي قد تبين احدهما من الاخر
 واصل الغي بمعنى الجهل الا ان الجهل في الاعتقاد والغي في الاعمال وهذا الاستئناف يتضمن التعليل بما قبله

فمن يكفر بالطاغوت والطاغوت فعدوت من طغى يطغى ويطغى اذا جا وزاحل قال سيبويه
هو سم من كرم فرج اي اسم جنس شمل القليل والتعثير قاله سيبويه وقال ابو علي الفارسي نه مصدق
كركهوت وجبروت يتو يوصف به الواحد والجمع وقيل اصل الطاغوت في اللغة مأخوذ من الطغيان
يودي معناه من غير اشتقاق وقال المبرد هو جمع قال ابن عطية وذلك مردود قال الجوهري
والطاغوت الكاهن والساحر والشيطان وكل رأس في الضلال وكل ما عبد من دون الله و
قد يكون واحدا قال تعالى يريدون ان ينقادوا الي الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به وقد يكو
جمعا قال تعالى اوليا وهم الطاغوت والجمع الطواغيت اي فمن يكفر بالشيطان او الالهة او
اهل الكهانة وروس الضلالة او بالجميع وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بعد ما تميزه الرشد من الغي و
الحق عن الباطل والهدى عن الضلالة وانما قدم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله لان
الشخص ما لم يترك الشيطان ويترك عبادة غيره تعالى لم يؤمن بالله كما قالوا ان التخليقة مقدة
على التخليقة فقد استمسك بالعروة هو في الاصل شد اليد واصل المادة يدل على التعلق ومنه
عروة تاذ الميت به متعلقا به واعتراه الهم تعلق به الوثقى اي فقد فاز وتمسك بالحبل الوثيق
الحكم والوثقى فعل من الوثاقة تأنيث الاوثق جمعها وثق مثل الفضل وبفضل وقد اختلف المفسرون
في تفسير العروة الوثقى بعد اتفاقهم على ان ذلك من باب التشبيه والتتميل لما هو معلوم ^{بأن}
بما هو مدرك بالحاسة فقل المراد بالعروة الايمان وقيل الاسلام وقيل لا اله الا الله وقيل من
باب الاستعارة المفردة حيث استعير العروة الوثقى للاعتقاد الحق ولا مانع من الحمل على الجميع
لا انفصام لها الانفصام الانكسار من غير بينونة قال الجوهري فسم الشيء كسرة من غيران بين
واما القسم بالقان فهو الكسر مع اليقونة وفسر صاحب الكشاف الانفصام بالانقطاع والمعنى
ان التمسك بالدين كالتمسك بالشيء الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه والحجالة مستأنفة او حالية
والله سميع عليم يسمع قول من كفر بالطاغوت واثق بالشهادتين والحجالة اعتراض تدليل على
على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوحد والوعيد لِلَّهِ الدِّينُ امنوا الولي
فعل بمعنى فاعل وهو الناصر مُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ تفسير الولاية احوال من الضمير
في ولي وهذا يدل على ان المراد بقوله الذين امنوا الذين ارادوا بالايمان لان من قد وقع منه

الايمان قد خرج من الظلمات الى النور الا ان يراد بالاخراج اخراجه من الشبهة التي تعرض للنور
 فلا يحتاج الى تقدير الا رادة قيل كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان
 الذي في سورة الانعام فالمراد به الليل والنهار وافراد النور لوحد قاسم وجمع الظلمات لتعدد
 الضلال والذين كفروا اولئك هم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات المراد بالنور ما جله
 به انبياء الله من الدعوة الى الدين فان ذلك نور للكفار يخرجهم اوليا وهو منه الى ظلمة الكفر
 اي قسروهم اوليا وهم على ما هم عليه من ان كفر بسبب صرهم عن اجابة الداعي الى الله من الانبياء
 وقيل المراد بالذين كفروا هنا الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم بجهنم اوليا وهم من الشياطين
 ورؤس الضلال من النور الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها الى ظلمات الكفر التي وقعوا
 فيها بسبب ذلك الاخراج وقيل ذكر هذا الاخراج مشاكلة للاول وفيمن امن بالنبي قبل بعثته
 من اليهود ثم كفر به فتخلص ان اجواب الاول بالتسليم والثاني بالمنع اولئك اصحاب النار هو فيها
 خلدون يعني الكفار والطاغوت اي هم ملاسوها وملازمها بسبب ما لهم من الجرائم ما كانوا
 فيها ابداء الله تعالى الذي حاج ابراهيم في ربه في هذه الآية استشهدا على ما تقدم ذكره من ان
 الكفرة اوليا وهم الطاغوت وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير النفي اي الميئته علمك
 وانظر الى حال هذا الذي صدرت منه هذه الحاجة والمترجمة يوقف بها الخاطب على تعجبها
 ولفظها استفهام قال الغراء المترجمة هل رايت اي هل الذي حاج ابراهيم وهو الغرود بن كوش
 بن كعان بن سام من نوح وقيل انه الغرود بن فالح بن شام بن ارغشد بن سام وهو اول من وضع
 التاج على راسه وتجر في الارض وادعى الربوبية وكان ابن زنا ان الله للملك اي لان انا الله
 او من اجل ان انا الله على معنى ان ابناء الملك ابطرة واورثه الكبر والعنف حاج لذلك وعلى انه
 وضع الحاجة التي هي قبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لاني احسن
 اليك قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران غرود بن كوش
 واختلفوا في وقت الحاجة فقيل لما كسرا ابراهيم الاصنام وقيل بعد لقائه في النار وكان مدة ملكه
 اربع مائة سنة اذ قال له ربه ربني الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت اراد ابراهيم عليه
 السلام ان الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الاجساد واراد الكافران ان يقدر على ان يعفو

ع

وقف

عن القتل فيكون ذلك احياء وعلى ان يقتل فيكون ذلك امانة فكان هذا جوابا باحق لا يصح
نصبه في مقابلة حجة ابراهيم لانه اراد غير ما اراده الكافر فلو قال له ربي الذي يخلق الحياة والموت
في الاجساد فهل تقدر على ذلك لمهت الذي كفر يادي بدأ وفي اول وهلة ولكنه استقل معه
ال حجة اخرى ادخ منها تنفيسا لخلافه وارسل العنان المناظرة قال كَبُرَ هُجْرُ قَاتٍ اللَّهُ يَأْتِي
بِالسَّمِيسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ لكون هذه الحجة لا تخبري فيها المغالطة ولا تيسر
للكافر ان يخرج عنها بخروج مكابرة ومشاغبة وتوهمها وتلبسها على العوام فيمته الذي كفر
بُهِتَ الرَّجُلُ وَبُهِتَتْ وَكَهَتْ اذا انقطع وسكت متحيرا وقد تناول قوم قرأته بمته بالفتح بمعنى
سب وقذف وان المهرود هو الذي سب حين انقطع ولم تكن له حيلة انتهى وقال سبحانه
فبهت الذي كفر ولم يقل فبهت الذي حاج اشعارا بان تلك الحاجة كفر وقيل هذا الفعل
من جملة الافعال التي جاءت على صورة المبني للمفعول والمعنى فيها على البناء للمفاعل والبهت
الانقطاع والحيرة وهو مبهور لا باهت ولا بهيت والله لا يهدي القوم الظالمين نذير
مقر لمضمون الجملة التي قبله او كالذي مر على قرية اي الم تر اليه كيف هداه الله واخرجه
من ظلمة الاستباه الى نور العيان والشهود واختلف في ذلك الماد فروي عن عاهد انه كان
كافرا شك في البعث وهذا ضعيف جدا لقوله كما لبثت والله لا يخاطب الكافر لقوله لِيُضِلَّهُ
اية للناس وهذا لا يستعمل في حق الكافر وقال قتادة وعكرمة والسدي هو عزيز بن شريح
وقال وهب هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكر
البعث قدرة الله على احياء خلقه بعد ما كنهم لا تعريف اسم ذلك الما المشهور ان القرية
هي بيت المقدس بعد تخريب نخت نصي لها وقيل المراد بالقرية اهلها وقيل هي القرية ^{لغة}
خرج اهلها من ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سا برآباد موضع بفارس وقيل سلما
محلة او قرية من نواحي جزجان او همدان وقيل دير هرقل بين بصرة وعسكر مكرم
الاول اول وهي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا اي ساقطة يعني سقط السقف ثم سقطت الحيطان
عليه قاله السدي واختاره ابن جرير وقيل معناه خالية من الناس والبيوت قائمة واصل
الخوى الخلو يقال خوت الدار وخويت ثوى خواء جد ودوخوا قوت والخوى ايضا الخوى ع

تخلى البطن عن الغذاء والظاهر القول الاول بدلالة قوله على عرشها من خوى البيت اذا سقط
 وخوت الارض اذا انهدمت قال ابن عباس خاوية اي خراب وقال قتادة خاوية اي ليس فيها
 احد وقال الضحاك العروش السقوف قال اي ذلك لما راى يحيى هذه الله بعد موتها اي
 متى يحيى وكيف يحيى وهو استبعاد لحياتها وهي على تلك الحالة المشابهة لحالة الاموات المباشرة
 لحالة الاحياء وتقدير المفعول لكون الاستبعاد ناشيا من جهة لا من جهة الفاعل وقيل
 قال ذلك استعظاما لقدرة تعالى قاله السيوطي وعبارة ابي السعوط قال ذلك تلوه فاعليها
 وتشوقا الى عمارتها مع استبعاد اليأس منها وعبارة البيضاوي قال ذلك اعتراضا بالقصص عن معجز
 طريق الاحياء وسبب توجعهم على تلك القرية انه كان من اهلها من جملة من سبها هو نجت نصر فلما
 خلص من السبي وجاء ورأها على تلك الحالة توجع وتلهف ولما قال المار هذه المقالة مستبعدا
 لحياء القرية المذكورة بالعمارة لها والسكون فيها ضرب الله له المثل في نفسه بما هو اعظم
 مما سأل عنه فقال فاما ته الله واما ته عمارك وحكى الطبري عن بعضهم انه قال كان هذا القول
 شكا في قدرة الله على الاحياء فلذلك ضرب له المثل في نفسه قال ابن عطية ليس يدخل شك
 في قدرة الله سبحانه على حياء قرية تجلب العمارة اليها وانما يتصور الشك اذا كان سؤاله عن احياء
 تأكلها والعام السنة اصله مصدر كالعوم سمي به هذا القدر من الزمان والعوم هو السباحة سمي
 السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها ثم تبعته اي احياءه ليريه كيفية ذلك وايضا البعث
 على الاحياء للذلة على سرعته وهولة تأثيره على الباكي تعالى كانه بعثه من النوم ولا يذكروا
 بانه عاد كهيئته يوم موته عاقلان فاما مستعد للنظر والاستدلال قال علي فاول ما خلق الله
 عينا فجعل ينظر الى عظامه ينضم بعضها الى بعض ثم كسيت لحمها ثم نفخ فيه الروح قل علي فاتي
 مد ينته وقد ترك جارا له اسكافا شافا فجاء وهو شيخ كبير وقد ورد عن جماعة من السلف ان
 الذي امانته الله عزير منهم ابن عباس وعبد الله بن سلام وعكرمة وقتادة وسليمان وبريدة
 والضحاك والسدي وورد عن جماعة آخرين ان الذي امانته الله هو نبي اسماء ميا فمنهم عبد الله
 بن عبد بن عمرو وهب بن منبه وعنه ايضا انه اخضر وعن رجل من اهل الشام انه خر قيل
 وعن مجاهد انه رجل من بني اسرائيل المشهور القول الاول قال كوكبت قال كبرت يوما

أو بعض يوم اختلف في فاعل قال فقيل هو الله عز وجل وقيل ناداه بذلك ملك من
 السماء قيل هو جبريل وقيل غيره وقيل انه نبي من الانبياء وقيل رجل من المؤمنين من قومه
 شاهده عند ان اماته الله وعمر الى مائة بعثته والا اوله ولقوله فيما بعد وانظر الى العظام
 كيف ننشزها وما قال يوما او بعض يوم بناء على ما عده وفي ظنه فلا يكون كاذبا ومثله
 قول اصحابك لكم هف قالوا البتة يوما او بعض يوم ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم
 في قصة ذى اليمين لم تقصر ولم انس وهذا مما يؤيد قول من قال ان الصدق عا طابق ال^{اعتقاد}
 والكذب يخالفه وقيل ان الله اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار
 قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من
 الشمس فقال او بعض يوم وقيل ان او بمعنى بل التي للاضرب هو قول ثابت وقيل هو الشك
 والا اوله قال بل لبثت مائة عام هو استيناك ايضا كما سلف اي ما لبثت يوما او
 بعض يوم بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه الطعام هو التين
 الذي كان معه والشراب هو العصير والمعنى لم يتغير ولم يمتان فكان التين كانه قد قطفت
 ساعته والعصير كانه غص من ساعته امره الله ان ينظر الى هذا الاثر العظيم من آثار القدرة
 وهو عدم تغير طعامه وشرابه مع طول تلك المدة والتسنه ما خوذ من السنة اي لم يطر عليه
 السنون اي المائة سنة لبقائه على حاله وعدم تغيره مع طول الزمان مع ان شانه التغير
 سريعا واصله سنه او سنة من سنه الفخلة اخذت عليها السنون وفخلة سنه اي تحمل
 سنة ولا تحمل اخرى وقيل هو من اسن الماء تغير وكان يجب على هذا ان يقال يتاسن^{لشئ}
 من قوله حمى مسنون قاله ابو عمر والشيباني وقال الزجاج ليس كذلك لان قوله مسنون ليس
 معناه متغير وانما معناه مصوب على سنه الارض وانظر الى حمارك اختلف المفسرون في
 معناه فذهب الاكثر الى ان معناه انظر اليه كيف تقرق اجزاه ونحرت عظامه وتقطعت
 اوصاله ثم احياه الله وعاد كما كان للتشاهد كيفية الاحياء فالنظران مختلفان وقال الضحاك
 وذهب بن منبه انظر الى حمارك قائما في مربوطه لم يصبه شيء بعد ان مضت عليه مائة
 عام ويؤيد القول الاول قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها ويؤيد القول الثاني ما ستر

لقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانما ذكر سبحانه عدم تغير طعامه وشرابه بعد
 اخباره انه لبث مائة عام مع ان عدم تغير ذلك الطعام والشراب لا يصلح ان يكون دليلا
 على تلك المدة الطويلة بل على ما قاله من لبثه يوما او بعض يوم لزيادة استعظام ذلك الذي
 امانه تلك المدة فانه اذا رأى طعامه وشرابه لم يتغير مع كونه قد ظل له لم يلبث الا يوما او بعض
 يوم زادت الحجة وقويت عليه الشبهة فاذا نظر الى حمارة عظامه فخرقة تقر ليديه ان ذلك صنع من
 تاتي قدرته بما لا يتطابق به العقول فان الطعام والشراب سريع التغير وقد اتم هذه المدة الطويلة
 غير متغير والحمار يعيش المدة الطويلة وقد صار كذلك فبارك الله احسن الخالقين **وَلْيَجْعَلَكَ**
آيَةً لِلنَّاسِ وعبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله الفراء وقال الاعمش كونه آية هو انه
 جاء شأبا على حاله يوم مات فوجد الابناء والحفدة شيوخا وانظر الى العظام كيف تنشرها
 قرأ الكوفيون بالزلي والباقون بالراء وقد اخرج الحاكم وصححه عن زيد بن ثابت ان رسول الله
 صالما قرأ كيف تنشرها فعنى القراءة بالراء في رفعها ومنه النشر وهو المرتفع من الارض اي
 نرفع بعضها الى بعض واما معنى القراءة بالراء فواضحة من انشراحه الموقى اي حياهم **وَنُفِثَ**
مِنْهَا اي نشرها به كما يسترجع باللباس واستعداد اللباس لذلك ولعل عدم التعرض لنفث
 الروح لما ان الحكمة لا تقتضي بياؤه فلما تبين له ما تقدم ذكره من الايات التي اراد الله سبحانه
 وامره بالنظر اليها والتفكر فيها التي استغنى بها قال ابن جرير لا تنفخ له عيا نأما كان مستنكرا في
 قدرة الله عنده قبل عيانه من احياء القرية وقال الزهري ما اشكل عليه يعني من امر الاحياء
 والاول اول لان قوة الكلام تدل عليه بخلاف الثاني قال اعلم اي علم مشاهدة بعد العلم
 اليقيني الحاصل بالفطرة والادلة العقلية قال ابو علي الفارسي معناه اعلم هذا الضرب من
 العلم الذي لو اكن علمته ان الله على كل شيء قدير لا يستعصي عليه شيء من الاشياء **وَيُلَاقِي**
 تحت الامانة والاحياء دخول اوليا واذا قال ابراهيم رب اري كيف تنفخ الموقى اذ ظرف
 منصوب بفعل محذوف اي اذ كروقت قول ابراهيم وانما كان الامر بالذكر موجه الى التوا
 دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة لان طلب وقت الشيء يستلزم طلبه
 بالاول وهكذا يقال في سائر المواضع الواردة في الكتاب العزيز بمثل هذا الضرب وقوله

رب اثر على غير ما فيه من الاستعطاء الموجب لقبول ما يرد بعده من الدعاء وهذا حليل
 اخر على ولاية الله للمؤمنين قال الاحفش لم يرد روية القلب وانما اراد روية العين وكذا قال
 غيره ولا يصح ان يراد به الروية القلبية هنا لان مقصود ابراهيم ان يشاهد الاحياء لتوصل
 الطمانينة قال او لم تؤمن من اي الم تعلم ولم تؤمن باي قادر على الاحياء حتى تسألني اراثة
 قال بلى علمت وامنت بانك قادر على ذلك ولكن سالت ليطمئن قلبي باجماع دليل العيان
 الى دلائل الايمان وقد ذهب الجمهور الى ان ابراهيم لم يكن شاك في احياء الملوك قط وانما طلب
 المعاينة لما جئت عليه النفوس البشرية من روية ما اخبرت عنه ولهذا قال النبي صلعم
 ليس الخبير كالمعاينة وحكي ابن جرير عن طائفة من اهل العلم انه سأل ذلك لانه شك في قدرة
 الله واستدلوا بما سمع عنه صلعم في الصحيحين وغيرهما من قوله نحن احق بالشك من ابراهيم وبما
 روي عن ابن عباس انه قال ما في القرآن عند النبي ارجى منها اخرجته عنه الحاكم وصححه ورجح
 هذا ابن جرير بعد حكايته له قال ابن عطية وهو عندي مردود يعني قول هذا الطائفة ثم
 قال واما قول النبي صلعم نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه انه لو كان شاكاً لكان نحن احق به
 ونحن لا نشك فاما ابراهيم احرى ان لا يشك فالحديث يليني على نفي الشك عن ابراهيم واما قول
 ابن عباس هي ارجى اية فمن حيث ان فيها الاكمال على الله وسؤال الاحياء في الدنيا وليس مظنة
 ذلك ويجوز ان نقول هي ارجى اية لقوله او لم تؤمن من اي ان الايمان كاف لا يحتاج معه الى
 تقدير ومجت قال فالشك يبعد على من ثبت قدمه بالايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلقة
 والانباء معصومون عن الكبار ومن الصغائر التي فيها رذيلة اجماعاً واذا تأملت سؤاله عليه
 السلام وسائر الالفاظ لا لاية لم تعط شكاً وذلك ان الاستفهام بكيف فما هو سؤال عن حالة
 شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول نحو لك كيف علم زيد وكيف نسبح الثوب ونحو
 هذا ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فاما السؤال عن حال من احواله وقد يكون كيف خبراً
 عن شيء شأنه ان يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شئت فكن ونحو قول البخاري كيف كان
 بل الوحي وهي في هذه الآية استفهام عن هيئة الاحياء ولا حياء متقرر ولكن لما وجدنا بعض
 المنكرين لوجود شيء قد يعبرون عن انكاره بالاستفهام عن حاله لذلك الشيء يعلم انها لا تصح

الادلال
 المل والادل
 نازكون
 الادلال
 بالفتح
 من ينجي

فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول مدع انا رفع هذا الجبل
فيقول المكذب له اني كيف ترفعه ففذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جمل كانه
يقول افرض انك ترفعه فلما كان في عبارة التحليل هذا الاشتراك المجازي خلص الله لك
وحمله على ان يبين له الحقيقة فقال له اولم تؤمن قال بلى فكل الامر وتخلص من كل شيء ثم
عل عليه السلام سؤاله بالطمانينة قال القوطي هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ ولا يجوز على
الانبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فانه كفر والانبياء متفقون على الايمان بالبعث
وقد اخبر الله سبحانه ان انبياءه واوليائه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان وقال اللعين الاعباد منكم المخلصين واذا التفتن له عليهم سلطنة
فكيف يشككمهم وانما سأل ان يشاهد كيفية جمع اجزاء الموق بعد تفرقها وابطال الاعضاء
والجود بعد تفرقها فادان يرق من علم اليقين الى عين اليقين فقله رب اني كيف طلب
مشاهدة الكيفية قال لما وردني وليست الالف في قوله اولم تؤمن من الفلاستفهام وانما
التيك في تفرقها والواو والهاء وتؤمن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموق والطمانينة
اعتدال وسكون وقال ابن جرير لم يوق قلبي قال اخذ اربعة من الطير اي ان اردت ذلك فخذ
والطير اسم جمع لطائر كبدراك وهو مذهب بالحسن وجمع نحو تاجر وتجر او مصدق بالبولبقا
وخص الطير بذلك قيل لانه اقرب انواع الحيوان الى الانسان شبهها في تدوير الراس والمشي على
الرجلين وقيل ان الطير همته الطيران في السماء والتحليل كانت همته العلو وقيل غير ذلك من لسان
الموجة لتخصيص الطير وكل هذا لا تمن ولا تعني من جوع وليس الا خواطرافها وبوادها كان
ليست ان تجعل وجوها كلامه وعللا لما يرد في كلامه وهكذا قيل ما وجه تخصيص هذا العدد فان
الطمانينة تحصل باحياء واحد فقيل ان التحليل انما سأل واحدا على عدد العبودية فاعطي اربعا
على قدر الربوبية وقيل الطيور اربعة اشارة الى الاركان الاربعة التي يتركب منها اركان الحيوان
ونحو ذلك من الهديان قال ابن عباس والطير الذي اخذ وردا وراك وديك وطاوس ورو
نحو من قتادة والحسن وعنه قال الغزنوي والطاوس والديك والحمامة وقال مجاهد الغزا
بدل الغزنوي قصره عن ابيك اي اضمه اليك واملصه وجمعه يقال وجمل صور اذا

الزمع
التي لا دون
التي لا دون
مغ
منها ان
وراءه

كانت مائة لغز ويقال صار الشيء بصورة ويصير ما له او قطعه فاللغز ان لفظ مشترك
 بين هذين المعنيين والقراءتان تتطابقان معا وقرئ نص من بضم الصاد كسر ها وقبل مائة قطع
 وبه قال ابن عباس وبالسببية مرفوع وشققهن وعنه قال او ثقفهن ثم اجعل على كل جبل
 صهن جزء فيه الامثلة لانه كل جزء على جبل يستلزم فقد مالتقية قال الزجاج المعنى
 ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزء والجزء التصديق فختلفوا في عدد الاجزاء و
 اجمال وليس في ذلك كثر فائدة ثم ادعوه اي قل لهن تعالين باذن الله تعالى
 يا تينك اينا سريعا سعيًا اي مشيا سريعا والمراد بالسعي الاسراع في الطيران او المشي و
 قيل السعي هو الحركة الشديدة وقيل العدو وقيل الطيران وفيه انه لا يقال للطائر اذا طار
 سعي فالحكمة في السعي دون الطيران ان ذلك ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم من هو
 انها غير تلك الطيور وان ادخلها غير سليمة فنفي الله تعالى هذه الشبهة واعلم ان الله
 عز وجل حكيم في صنعه اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال وضع من على سبعة اجبل
 واخذ الرؤس بيد فجعل ينظر الى القطرة تلقى القطرة والريشة تلقى الريشة حتى صرنا
 ليس لهن رؤس فجنن الى رؤسهن فدخلن فيها وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل
 وحسن الادب في السؤال حديثا راه ما سأل في الحال واراد العزير ما اراد بعد لما تته ما تته
 مثل الذين يفتقون اموالهم في سبيل الله قيل المراد به الاتفاق في الجهاد وقيل في جميع
 وجه البر فدخل فيه الواجب التطوع كمثل حبة آتيت سبع سنابل في كل سنبل مائة
 حبة المراد بالسبع السنابل هي التي تخرج في ساق واحد يتسبع سبع شعير كل شعيرة سنبل والحبة
 لكل ما يدرجه ابن ادم وقيل المراد بالسنابل هنا سنابل الذرة والذخن فهو الذي يكون
 منها في السنبل هذا العدد وقال القرطبي ان سنبل الذخن يجي في السنبل منه اكثر من هذا
 العدد بضعين واكثر على ما شاهدنا قال ابن عطية وقد يوجد في سنبل الشعير ما فيه مائة
 واما في سائر الحبوب فاكثروا لكن المثال وقع بهذا القدر وقال الطبري ان قوله في كل سنبل
 مائة حبة معناه ان وجد ذلك ولا فعل ان يفرضه والذي ينبغي الاعتماد عليه في هذه الآية
 وامثالها ان المقصود بها مجرد تمثيل زيادة الاجر وكثرة الثواب دون وجود ذلك الله يضعف

من يشاء يحتمل ان يكون المراد بضعف هذه المضاعفة لمن يشاء او بضعف هذا
 العدد فيزيد عليه اضعافه لمن يشاء لكل الناس وهذا هو الراجح لما سيأتي وقد ورد
 القرآن بان احسنة بعشر امثالها واقتضت هذه الآية ان نفقة الجهاد حسنتها بسبع مائة
 ضعف فينبغي العام على الخاص وهذا بناء على ان سبيل الله هو الجهاد فقط واما اذا كان
 المراد به وجود الخير فنقص هذا التضعيف الى سبعمائة بثواب النفقات ويكون العشرة امثالا
 فيما عدا ذلك والله واسع عليم اخرج مسلم واحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود
 ان رجلا تصدق بناقاة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة
 سبعمائة ناقاة كلها مخطومة واخرج احمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم
 وصححه والبيهقي في الشعب عن خزيمة بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في
 سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف واخرج البخاري في تاريخه من حديث انس واخرجه
 احمد من حديث ابي عبيدة وزاد من انفق على نفسه واهله او غدا مريضا فاحسنة بعشر
 امثالها واخرج ابن ماجه وابن ابي حاتم من حديث عمر بن الخطاب بن حصين وعلي وابي الدرداء وابي
 واين اربعة وابن عمر بن الخطاب كلهم يحدثن عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ارسل
 بنفقة في سبيل الله واقام في بيته فله بكل درهم يوم القيمة سبعمائة درهم ومن غنر بنفسه
 في سبيل الله وانفق في وجهه فله بكل درهم يوم القيمة سبعمائة الف درهم ثم تلاه
 الآية والله يضاعف لمن يشاء واخرج احمد من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كل عمل ابن ادم يضاعف احسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله يقول الله
 الا الصوم فانه لي وانا اجزي به واخرجه ايضا مسلم واخرج الطبراني من حديث معاذ
 بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن اكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله فان له
 بكل كلمة سبعين الف حسنة منها عشرة اضعاف وقد وردت الاحاديث الصحيحة في اجر
 من جهز غازيا واخرج ابو داود والحاكم وصححه عن سهل بن معاذ عن ابيه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان الصلوة والصوم والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف واخرج
 احمد والطبراني في الاوسط والبيهقي في سننه عن يزيد بن عمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الحج كالنقطة في سبيل الله بسبعائة ضعف الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله هذه
الحكمة متضمنة لبيان كيفية الاتفاق الذي تقدم أي هو اتفاق الذين ينفقون قيل نزلت
في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهل المسلمين في غزوة تبوك بالف بعيداً
واحلاسها وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
يُذَبِّعُونَ مَا اتَّفَقُوا مِنْهَا وَلَا أَدْرَى أَلَمَنْ هُوَ ذَكَرَ النِّعْمَةَ عَلَىٰ مَعْنَى التَّعْدِيدِ لَهَا وَالتَّقْرِيعُ بِهَا وَ
قِيلَ أَلَمَنْ التَّحْدِثُ بِمَا أُعْطِيَ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَعْطَىٰ فَيُؤْذِيهِ وَالْمَنْ مِنَ الْكِبَاكِرِ كَمَا بَدَتْ فِي صَحِيحِ
وغيره أنه أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب عظيم والأذى السبب والتجاوز
والتشكيك قال في الكشف ومعنى ثم اظهرها النفاوة بين الاتفاق وترك المن والأذى وإن تركها
خير من نفس الاتفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا
اتمى فثم على هذا التراخي في الرتبة وقيل هو على بابه للتراخي في الزمان نظر المغالب من
أن وقوع المن والأذى يكون بعد الاتفاق بمدة وقدم المن على الأذى لكثرة وقوعه ووسط
كلمة لا للدلالة على شمول النفي لا يتابع كل واحد منهما اللهم أجروهم يعني ثوابهم في الآخرة عند
ربهم فيه تأكيد وتشريف والخوف عليهم يعني يوم القيمة ولا هم يحزنون يعني على ما خلفوا
من الدنيا وظاهر الآية نفي الخوف عنهم في الدارين كما تنفيذه المنكرة الواقعة في سياق النفي
الشمول وكذلك نفي الحزن يفيد دوام انتفائه عنهم وقد وردت الأحاديث الصحيحة في النهي عن
المن والأذى وفي فضل الاتفاق في سبيل الله وعلى الأقارب وفي وجوه التحريم والحاجة إلى التطويل
بذكرها فهي معروفة في مواطنها قال عبد الرحمن بن يزيد كان أبي يقول إذا أعطيت رجلاً شيئاً
ورأيت أن سلامك يثقل عليه فلا تسل عليه والعرب تمدح بترك المن وكرم النعمة وتذم على
اظهارها والمن بها والأذى ما يصل إلى الإنسان من ضرر بقول وفعل والمراد هنا أن يشكو
منهم بسبب ما أعطاهم قول معروف قيل أخبر عذون بن أبي أوفى وأمثل ذكره الخفاف قال
ويجوز أن يكون خبراً عن مبتدأ عذون بن أبي الذي أمره به قول معروف أي كلام حسن
وردد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة فوعده بها وقيل دعاء صالح تدعوه بظا
الغيب ومغفرته له في الحاجة مبتدأ أيضاً وخبره خير من صدقة وجاز لا بدعياً للمكرهين لأن

والتراب ايل اي مطر والوايل المطر الشديد العظيم القطر والمطر منه رش ثم طش ثم طل ثم نفع ثم
هطل ثم وبل يقال بليت السماء وبلاد وبلوه اشتد مطرها وكان الاصل وبل مطر السماء فخذ والعلم بهذا
للمطر وابل مثل الله سبحانه هذا النافع يصفون عليه تراب يظن الظان ان منبذة طيبة فاذا اصيب وابل للمطر
اذ غلب التراب فتركة اي الصفوان يعني بقي صكدا اي مجرد نقيما من التراب الذي كان عليه كذلك حال هذا المرائي
القيمة فان بقتة لا تنفع المطر الواقع على الصفوان الذي عليه تراب لا يستفعون بما فعلوه بيا
ولا يجدون له ثوابا قال ابن عباس صلدا اي يابس جاسيا لا ينبت شيئا لا يقدر رُونَ على
شيء مما كسبوا اي على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا مستأنفة كانه قيل ما ذا يكون لهم
فقيل لا يقدر رُونَ الخ والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذي سبق في علمه انهم
يقعون على الكفر وفيه تعريض بان المن والاذى والرياء من خصال الكفار وعن محمود
بن لبيدان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الا صغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الا صغر قال الرياء يقال لهم يوم تجاذى العباد
يا عملهم اذ هبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا
رواه البغوي بسنده وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول
قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركه و
شركه ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله ابتغى معنا طلب ومرضاة
مصدق
رضي يرضى وتثبنتا معناه يثبتون فمن انفسهم يبذل اموالهم على الايمان وسائر العبادات
رياضة لها وتدريباً وتزويهاً ويكون التثبنت بمعنى التصديق اي تصديق الاسلام نكشا
من جهة انفسهم وقد اختلف السلف في معنى هذا الحرف فقال الحسن ومجاهد معناه انهم
يثبتون ان يضعوا صدقاتهم وقال بعضهم معناه تصديقاً واثباتاً روي ذلك عن ابن عباس وقيل
معناه احتساباً من انفسهم قاله قتادة وقيل معناه ان انفسهم لها بصائر في تثبتهم على
الاتفاق في طاعة الله تثبنتا قاله الشيعير والسدي وابن زيد وبوصالح وهذا الجمع مما
قبله يقال ثبت فلان في هذا الامر اثبته تثبنتا اي صححت عزمه كمثل جنّة بريرة الجنة
البستان وهي ارض تثبت فيها الاشجار حتى تعظمها ما خذلة من لفظ الحن والحنين لاستئثارها

وقال ابو السعود اجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة وعلى الارض المشتملة عليها والاول
اول لاجل قوله برهوه والريوة بالحركات الثلاث المكان المرتفع ارتفاعا يسيرا وانما خص الريوة
لان نباتها يكون احسن من غيره مع كونه لا يصطلمه البرد في الغالب بحجودته وكرمه لطافته
هو انبه بهبوب الرياح الملطفتله قال الطبري وهي ارض احزن التي تستكثر العرب من
ذكرها واعتزضه بن عطية فقال ان رياض احزن منسوبة الى نجد لانها خير من رياض تامة
ونبات نجد اعطر ونسيمه ابرد وارق ونجد يقال لها احزن وليست هذه المذكورة هنا
من ذلك ولفظ الريوة مأخوذ من ربا يربوا اذا زاد وقال اخليل الريوة ارض مرتفعة طيبة
وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابتها المطر انتفخت وربت وكثر ريعها وحلت
اشجارها اصاها وايل قال اخليل الوابل المطر الشديد يقال وبلت السماء قبل والارض مبلولة
قال الاخفش ومنه قوله تعالى اخذا وبلا اي شديدا وضربا وبلا عذابا يبل قال بعضهم
ما روضة لمن رياض احزن معشبة خضراء جاد عليها وابل هطل اراد بالاحزن
ما غلظ وارتفع من الارض فانت اكها بضم الهزة الثمرة التي توكل كقوله تعالى توئي
اكلها كل حين واضافته الى اجنة اضافة اختصاص كسج الفرس وبابل الارضين
اي مثلي ما كانت ثمر سبب الوابل فالمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال فان لم يصحبها
وايل فطل اي فان الطل يكفيها وهو الطش اي المطر الضعيف الخفيف المستند والقطر
قال المبرد وغيره تقديره فطل يكفيها وقال الزجاج تقديره فالذي يصيبها طل والمراد ان
الطل ينوب مناب الوابل في اخراج الثمرة ضعفين وقال قوم الطل الندى وفي الصحاح الطل
اضعف المطر واجمع اطلال قال الماوردي وزرع الطل اضعف من زرع المطر والمعنى ان
نفقات هؤلاء زاكية عند الله لانضع بحال وان كانت متفاوتة ويحوزان يعتبر القليل
ما بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين اجنة المعهودة باعتبار
ما صابها من المطر الكثير والقليل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذا
نفقتهم جلوت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله زاكية نالدة في اجورهم والله يما تعملون
اي عملا ظاهرا قلبيا بصيرا لا يخفى عليه من شيء وفي هذا ترغيب لهم بالاخراص مع تهيب

من الرياء ونحوه فهو معد ووعيد ابوداود ^{رحمه الله} ان تكون له الجنة من نخيل واعناب الوحد
 احب الشئ مع قمينه والهمزة الداخلة على الفعل لا تسك والوقوف والجنة تطلق على الشجر الملتف
 وعلى الارض التي فيها الشجر والاول اول هنا لقوله تجري من تحتها الانهار بارجاع الضمير الى
 الشجر من دون حاجة الى مضاف محذوف واما على الوجه الثاني فلا بد من تقديره اي من
 تحت اشجارها وهكذا قوله فاحترقت لاحتاج الى تقدير مضاف على الوجه اول واما على
 الثاني فيحتاج الى تقديره اي فاحترقت اشجارها وخص النخيل والاعناب بالذكر مع قوله لانه
 فيها من كل الثمرتين لكونهما اكرم الشجر واشرف الفواكه جامعين لفنون المنافع لما فيها للبناء
 والتفكه وهذه الحمل صفات للجنة والنخيل اسم جمع واحدة نخلة او جمع نخل الذي هو اسم جنس
 والاعناب جمع عنب الذي هو اسم جنس واحدة عنبة واصابة الكبر الوالد الحال حملا على المعنى
 بتقدير قد وقيل غير ذلك وهذا ارجح وكبر السن هو مظنة شدة الحاجة لما يلحق صاحبها من
 العجز عن تعاطي الاسباب والمعنى كثرته حاجاته ولم يكن له كسب غيرها وله ذرية ضعفاء
 حال من الضمير في اصابه اي والحال ان له اولاد اصغارا عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر
 فان من جمع بين كبر السن وضعف الذرية كان تحسره على تلك الجنة في غاية الشدة فاصابها
 اعصارا كاعصار الريح الشديدة المرتفعة التي تهب من الارض الى السماء كالعمود وهي التي
 يقال لها الزوبعة قاله الزجاج قال الجوهري الزوبعة رئيس من رؤساء الجن ومنه سمي اعصارا
 زوبعة وام زو وباريعة يقال في شيطان ^{الذي} يخرج في شيا الغبار وترتفع الى السماء كانه عمود وقيل هي ريح تثير
 سحابا ذات رعد وبرق وقال ابن عباس ريح فيها سموم شديدة سميت بذلك لانها تلف
 كما يلتف الثوب المعصور حكاية المهد وقيل لانها تعصر السحاب وتجمع على اعاصير والريح
 مؤنثة على الاكثر وقد تذكر على معنى الهواء وقال ابن الانباري وكذا اسما ثرا سماءها الا
 الاعصار فانه مذكر فيه ناكذ فاحترقت عطفت على قوله فاصابها وهذه الآية تمثيل
 لمن يعمل خيرا ويضم ما يحبطه فيجده يوم القيمة عند شدة حاجته اليه لا يسمي ولا يغني
 من جوع جبال من له هذه الجنة الموصوفة وهو متصف بتلك الصفة وقال ابن عباس
 ضرب الله مثلا لعل رجل غني بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعلم بالمعاصي

ع

حتى احرق اعماله كلها كذلك اي كما بين ما ذكر من امر النفقة المقبولة وغيرها بين الله لكم
الآيات قال بن عباس يعني في ذوال الدنيا واقبال الآخرة لعلكم تتفكرون أي تعتبرون
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم أي من جيد ما كسبتم وخياره كما قال
الجمهور وقال جماعة ان معنى الطيبات هنا الحلال ولا مانع من اعتبار الامرين جميعا لان
جيد الكسب ومختارة انما يطلق على الحلال عند اهل الشرع وان اطلقها اهل اللغة على ما
هو جيد في نفسه حلالا كان او حراما فالحقيقة الشرعية مقدمة على اللغوية قال علي بن
إبي طالب ما كسبتم من الذهب والفضة قيل وفيه دليل على اباحة الكسب وفي الحديث عن
المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما خيرا من ان يأكل من عمل يده اخرج البخاري
واختلف في المراد بالاتفاق فقيل الزكاة المفروضة لان الامر للعجب وقيل صدقة التطوع
وقيل الفرض والنفل جميعا ومما أي من طيبات ما اخرجنا لكم من الارض وحدث لاداة
ما قبله عليه وهي النباتات والمعادن والركاز وقال علي يعني من احب والثروة كل شيء عليه
زكاة وقال مجاهد ما كسبتم من التجارة وظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج
من الارض لكن الجمهور خصصوا هذا العموم وخصه الشافعي بما يزرعه الادميون ونفاك
اختيارا وقد بلغ نصا كما في النخل وغيره العنب وابقا اخرجته على عمومها فوجبها في كل
ما يقصد من ناس الارض كالنوازل والبقول والخضراوات كالبطيخ والقتاء والخيار ووجب
في ذلك العشر قليلا كان او كثيرا والاولى وتفصيل ذلك في كتب الفروع ولا يتقون
أخبرني منه يتفقون أي لا تقصد والمال الردي وفي الآية الامر بانفاق الطيب انهي
عن انفاق الخبيث وقد ذهب جماعة من السلف الى ان الآية في الصدقة المفروضة وهذا
آخرون الى انها تقصد صدقة الفرض التطوع وهو الظاهر وسيأتي من الادلة ما يؤيد هذا
وتقدير الظرف يفيد التخصيص أي لا يخص الخبيث بالاتفاق أي لا تقصد والمال الخبيث
مخصص لانفاق به قاصرين له عليه اخرج الترمذي وصححه وابن ماجة وغيرهما عن
البراء بن عازب قال نزلت فينا معشر الانصار كنا نحب الخيل وكان الرجل يأتي من غنائه
على قدر كثرته وقوته وكان الرجل يأتي بالقتل النفسين فيعلقه في السجد وكان أهل
النفقة

اطلاقهم على غيره من المعاصي وقد وقع كثير في كلامهم والمعنى يحسن لكم البخل ومنع الزكاة
والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فأكمل اوجه الزنا الا هذا الموضع والله يعلمكم مغفرة
ؤنه وفضلا بسبب الاتفاق لقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله وما انفقم من شيء
فهو يخلفه والوعد في كلام العرب الاطلاق فهو في الخير واخافيد فقد يقيد تارة بالخير وتارة
بالشر ومنه قوله تعالى النار وعد لها الله الذين كفروا ومنه ايضا ما في هذه الآية بتقيد
وعلى الشيطان بالفقر وتقيد وعلى الله سبحانه بالمغفرة والفضل والمغفرة المستمرة على عباده
في الدنيا والاخرة لذنوبهم وكفارتها والفضل ان يخلف عليهم افضل مما تنفقوا فيوسع لهم
في اذناهم وينعم عليهم في الاخرة بما هو افضل واكثر واجل واجمل والله واسع اي غني قادر
على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه عليكم بانفاقكم لا تخفى عليه خافية عن ابي هريرة ان رسول الله
صلواته عليه واله وسلم قال ما من يوم يصير فيه العباد اولا وملك ان ينزل ان يقول احدهما
اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اعط مسكاً تلفاً اخرج الشيخان وفي الباب احدث ثوبان
الحكمة من يشاء الحكمة هي العلم وقيل الفهم وقيل الاصابة في القول ولا مانع من اجمال على
الجميع شمولاً او بديلاً وقيل انها النبوة وقيل الخشية وقيل العقل وقيل الودع وقيل المعرفة بالقرآن
وقيل الفقه في الدين وقيل التفكير في امراهه وقيل طاعة الله والعمل بها وهذه الاقوال كلها
قريب بعضها من بعض لان الحكمة مصدر من الاحكام وهو الاتقان في عمل او قول او كل
ما ذكر هو نوع من الحكمة التي هي الجنس فكذلك الله تعالى حكمة وسنة نبيه صلواته عليه واصبل
الحكمة ما يمنع من السفه وهو كل قبيح عن ابن عباس قال الحكمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه
وحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وعنه قال انها
القرآن يعني تفسيره وعنه انها الفقه في القرآن وعن ابي الدرداء انها قراءة القرآن
والتفكير فيه وعن ابي العالية هي الكتاب الفهم به وبه قال النخعي عن مجاهد هي الكتاب يؤتي
اصابته من يشاء وعنه قال هي الاصابة في القول عن ابي العالية ومطرا الوراق قال هي الخشية
ومن ثبوت الحكمة فقد اوتي في خير كثير اقرئ ومن يؤتي الحكمة على البناء للفاعل قراءة الجمهور يدخل البناء
للمفعول اي من اعطاه الله الحكمة اي العلم النافع لمؤدي العمل الصالح فقد اعطاه خيرا عظيما

قد راجعنا لخطب من نصير السادة الأبدية والتكبير العظيم وما يدل كرامته أو لواله الأئمة الذين
عقلوا عن هذه الأمور ونهيه والآيات العقلية واحد هالب وقد تقدم الكلام فيه وفيه من
الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الانفاق ما لا يخفى والجملة أما حالها ^{من} اعتبار
تدليلها وما انفقوا من نفقة أو نذر من نذر فإن الله يعلم ما شرعية ويجوز أن يكون
موصولة والعائد محذوف أي الذي انفقتموه وهذا بيان حكم كل عام يشمل كل صدقة
مقبولة وغير مقبولة وكل نذر مقبول وغير مقبول والوعيد لمن جاء بعكس ذلك ووحد الضمير
مع كون مرجعه شيئين هما النفقة والنذر لأن النذر وما انفقتم من نفقة فإن الله
يعلمها أو نذر من نذر فإن الله يعلمه ثم حذف أحد هما استغناءً عما لا يخفى قاله الناس وقيل
أن ما كان العطف فيه بكلمة أو كما في قولك زيد أو عمر فإنه يقال أكرمه ولا يقال أكرم
والأولى أن يقال أن العطف لا ويجوز فيه الأمران توحيد الضمير كما في هذه الآية وفي قوله
وإذا رآها أو تحارة أو هو لا ينفصل عنها وقوله ومن يكسب خطيئة أو أثماً فليس ير بها برىء أو
وتثنيته كما في قوله تعالى أن يكن غنياً أو فقيراً فإنه أولى بهما ومن الأول في العطف بالواو
قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقيل إذا وحده الضمير بعد ذكر
شيئين أو أشياء فهو يتناول المذكورين أي فإن الله يعلم المذكورين به جزاً من عطية وذكر
القرطبي وذكر معناه كثير من الحاجة في مؤلفاتهم وما للظالمين انفسهم بما وقوا فيه من
الآثم بخالفه ما أمر الله به من الانفاق في وجوه الخير من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من
عقاب الله بما ظلموا به انفسهم والأولى أحمل على العموم من غير تخصيص بما يفيد السياسة
أي ما للظالمين بأي مظلمة كانت من أنصار وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في نذر الطاعة
والمعصية في الصحيح وغيره ما هو معروف كقوله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله وقوله من نذر
أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه وقوله النذر ما ابتغي به وجه الله
وثبت عنه في كفارة النذر ما هو معروف أن تبدوا الصدقات في عجايبها وإن تحفوها
وتنقوها الفقراء فهو خير لكم في هذا نوع تفصيل لما أجمل في الشرطية المتقدمة ولذا
ترك العطف بينهما أي أن تظهر الصدقات فتم شيئاً أظهرها وإن تحفوها وتصيبوا بها

وخالفه سائر العلماء في ذلك وما شفقوا من خير يوفى أي يود اليكم أجره وثوابه على الوجه
الذي تقدم ذكره من التضعيف قال عطاء بن راسي إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما
كان عمله وأنتم لا تظلمون أي لا تنقصون شيئاً من ثواب أعمالكم للفقراء الذين أحصوا وافي
سبيل الله بالغزو والجهاد وفيه بيان مصرف الصدقات واختاره ابن الأنباري قال ابن عباس
هم أصحاب لصفة يعني فقراء المهاجرين كانوا نحو أربع مائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن
ولا عشائر وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يعلمون القرآن بالليل وهم الذين حسبوا أنفسهم
على الجهاد خاصة أو على طاعة الله عامة قيل منعوا عن التكسب لما هم فيه من الضعف
لا يستطيعون صرى في الأرض للتكسب بالجارة فلا راحة ونحو ذلك بسبب ضعفهم قال مجاهد
بينة مع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قال سعيد بن جبير هم
في مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قال سعيد بن جبير هم
من يوصف بالفقر وما ذكر معه يحسبهم الجاهل
اولئك الفقراء ما يوجب الحق عليهم والشفقة بهم
المسكنة بحيث يظنهم الجاهل بهم ومن لم يختبر حالهم انهم
وهو بناء مبالغته من عطف عن الشيء إذا صلب عنه وتعبه وفي يحسبهم لغتان فتح
السين وكسرها قال أبو علي الفارسي والفهم اقل من العين من الماضي مكسوراً فياها ان تأتي
في المضارع مفتوحة فالقراءة على هذا الوجه وان كانت شاذة ومن لا ابتداء الغاية
وقيل لبيان الجنس ففهم أي فقيرهم يسر
الواهم من الجوع وضعف بدانهم من الفقر وسر
الخضوع والاول اولي والخطاب ما لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكل من يصلح للخطبة
والسيما مقصورة العلامة وقد قد وهي مقلوبة لأنها مشتقة من الوسم فهي من السمة أي العلامة
لا يستلون الناس الخافاً الخاف من الخاف وهو مشتق من الخاف سمي بذلك لاشتماله
على وجوه الطلب في المسئلة كاشتمال الخاف على التغطية والمعنى انهم لا يسألونهم البتة لسؤال
الخاف ولا سؤال غير الخاف وبه قال الطبري والزجاج واليه ذهب جمهور المفسرين ووجهه ان

التعفف صفة ثابتة لهم كفارقهم ومجرد السؤال يتألفها وقيل المراد أنهم إذا سألوا سألوا بلطف
ولا يلحفون في سؤالهم وهذا وإن كان هو الظاهر من توجه النفي إلى المقيد دون المقيد لكن
صفة التعفف تنافيها وإيضاح كون الجاهل بهم يحسبهم أغنياً لا يكون إلا مع عدم السؤال البتة
وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي
ترده القرعة والقرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف وأقروا أن شتمهم لا يسألون
الناس أحافاً وقد ورد في تحريم المسئلة أحاديث كثيرة إلا مخي سلطان أو في أمر لا يجد من بدا
وَمَا سَفَقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ أي يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه وفيه حث
على الصدقة والانفاق في الطاعة لا سيما على هؤلاء الذين يُنْفِقُونَ أموالهم بالليل والنهار
سراً وعلانية يُعِيد زيادة رغبتهم في الانفاق وشدة حرصهم عليه حتى أنهم لا يتركون ذلك
ليلاً ولا نهاراً ويفعلونه سرا وجهل اعتدائهم تنزل بهم حاجة المحتاجين في تظهر لديهم فاقة الفتا
في جميع الأذمنة على جميع الأحوال قال ابن عباس سئدة ضعيف تزلت في علي بن أبي طالب كانت
عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدينهم ليلاً ودينهم نهاراً ودينهم نهاراً ودينهم نهاراً ودينهم نهاراً
اشترى إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة
النهار وقدم السر على العلانية وقيل تزلت في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لأنهم
يعلفونها في هذه الأربعة الأحوال والأول أولى عن غريب المليك مرفوعاً قال تزلت هذه
الآية في أصحاب الخيل وقال أبو أمامة الباهلي فيمن لا يربطها خيلاً ولا رياء ولا سمعة وعن ابن
عباس قال هم الذين يعلفون الخيل في سبيل الله وقال قتادة هؤلاء قوم انفقوا في سبيل
الله الذي افترض عليهم في غير سرور ^{فأوم} أملاق ولا تبذروا قناباً وقال سعيد بن المسيب
تزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهم في جيش العسرة وكون ما ذكره سبباً
لتزلها لا يقتضي خصوص الحكم به بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلوهم أحسنهم عند ربهم
النساء للآية على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل هي لعطف ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
أي يوم القيمة أو في الدين الذين ياكلون الربوا الربا في اللغة الزيادة مطلقاً يقال ربي الشيء
ربوا إذا زاد وفي الشرع يطلق على شيئين على ربا الفضل وربا النسيئة صباه هو مفصل في كتب

عرب

الفروع وخالف ما كانت تفعله الجاهلية انه اذا حل احل الدين قال من هو له لمن هو عليه
 اتقضي ام تربي فاذا لم يقض زاد مقدارا في المال الذي عليه واخر له الاجل الى حين وهذا
 حرام بالانفاق وقياس كتابة الربا بالياء للكسرة في اوله وقد كتبت في المصحف بالواو وليس
 المراد بالذين ياكلون الربا اختصاص هذا الرعي من ياكله بل هو عام لكل من يعامل بالربا
 فيأخذه ويعطيه وانما خصه لكل لزيادة التشنيع على فاعله ولكونه هو الغرض الا لهم فان
 اخذ الربا انما اخذه للاكل عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكل الربا
 وموكله وكاتبه وشاهديه رواه مسلم لا يَقُومُونَ اي يوم القيمة من قبورهم وبهذا
 فسر جمهور المفسرين قالوا انه يبعث كالمجنون عقوبة له وتقية عند اهل المحشر وقيل ان
 المراد تشبيهه من يحرس في تجارته فيجمع ماله من الربا بقيام المجنون لان الحرص والطمع و
 الرغبة في الجمع قد استقرت حتى صار شديدا في حركته بالمجنون كما يقال لمن يسرع في مشيه
 ويضطرب في حركاته انه قد جن الا كما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ
 اي يصرعه واصل الخطب الضرب بغير استواء كخطب العشواء وهو المصروع والمس المجنون و
 المسوس المجنون وكذلك الاول قال سعيد بن جبير تلاوة علامة اكل الربا اذا استعمله يوم القيمة
 وفي الآية دليل على فساد قول من قال ان الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم انه من فعل
 الطباع وقال ان الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من ان الشيطان يصرع الانسان و
 ليس بصريح وان الشيطان لا يسلك في الانسان ولا يكون منه مس وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ان
 يتخطه الشيطان كما اخرجہ النسائي وغيره وقد وردت احاديث كثيرة في تفظيم ذنب الربا
 منها حديث عبد الله بن مسعود عند الحاكم وصححه والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الربا
 ثلاثة وسبعون بابا ايسرها مثل ان ينكح الرجل امه وان اربى الربا عرض الرجل المسلم و
 ورد هذا المعنى مع اختلاف العدد عن جماعة من الصحابة وورد عن جماعة منهم ان اخر
 اية انزلها على رسوله اية الربا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ذاك اشارة الى ما ذكر من حالهم
 وعقوبتهم بسبب قولهم إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا اي انهم جعلوا البيع والربا شيئا واحدا
 اي اعتقدوا مدلول هذا القول وفعلوا مقتضاه اي ذلك العقاب بسبب انهم نظمو

الربا والبيع في سلك واحد لانضامهما الى الربح فاستعملوا استهلاكه وقالوا يجوز بيع درهم بدرهم
 وانما شبهوا البيع بالربا مبالغة بجعلهم الربا اصلا والبيع فرعاً اي انما البيع بلا زيادة عند
 حلول الاجل كالبيع بزيادة عند حلوله فان العرب كانت لا تعرف ربا الا ذلك وهذا من
 عكس التشبيه مبالغة وهو على مراتبه نحو قولهم القمر كوجه زيد والبحر كفه اذ صار التشبيه
 مشابهاً وقد اشتهر عليهم بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا اي ان الله تعالى احل البيع وحرم
 نوعاً من انواعه وهو البيع المشتمل على الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل والبيع
 مصدر باع يبيع اي دفع عوضاً واخذ عوضاً وقد ذكر المفسرون في هذا المقام سبب تحريم
 الربا واختلاف اهل العلم في عللها واحكامها ومسائل القرض وانما عللها كتب الفروع فمن
 جاءه مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ اي من بلغته موعظة من الله من المواعظ التي تشتمل عليها الاوامر
 والنواهي ومنها ما وقع هنا من النهي عن الربا والموعظة والعظة والوعظ معناها واحد
 وهو الرجز والتخويف وتذكير العواقب والاتعاظ القبول والامتثال فَانْتَهَى عن اكله اي فاقترن
 النهي الذي جاء وانزجر عن المنهي عنه واتعظ وقبل فَلَمَّا سَكَتَ اي ما تقدم منه من الربا
 لا يؤخذ به لانه فعله قبل ان يبلغه تحريم الربا وقبل ان تنزل اية تحريم الربا وامر الربا
 الى الله في تحريمه على عباده واستمر اذ ذلك التحريم وقيل الضمير عائد الى ما سلف اي امر
 الى الله في العفو عنه واستطاعة التبعة فيه وقيل الضمير يرجع الى الربا اي امر من عامل
 بالربا الى الله في تشييته على الانتهاء والرجوع الى المعصية وقيل ان شاء عذبه وان شاء عفا
وَمَنْ عَادَ الى كل الربا والمعاملة به فَاُولَٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ الاشارة الى
 من عاد وجمع اصحاب باعتبار معنى من وقيل ان معنى من عاد هو ان يعود الى القول بانما
 البيع مثل الربا وانه يكفر بذلك فيستحق الخلود وعلى التقدير الاول يكون الخلود مستعاراً
 على معنى المبالغة كما نقول العرب ملك خالد اي طويل البقا والمصير الى هذا التأويل واجب
 للاحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحدين من النار قال سعيد بن جبير خالدون يعني
 لا يموتون يَحْقُقُ اللَّهُ الربوا اي يذهب بركته في الدنيا وان كان كثيراً فلا يبقى سيد صاحب
 وقيل يحق بركته في الآخرة قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجاً ولا جهاداً ولا سيرة

وَيُرِي الصَّدَقَاتِ أَي يَزِيدُهَا وَيُثَرِّهَا يَعْنِي يَزِيدُ فِي الْمَالِ الَّذِي أَخْرَجْتَ صَدَقَتَهُ وَقِيلَ بَارَكَ
 فِي ثَوَابِ الصَّدَقَةِ وَيُضَاعَفُهُ وَيَزِيدُ فِي أَجْرِ التَّصَدُّقِ وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِ ذَلِكَ عَلَى الْأَمْرِ جَمِيعًا
 وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرُفُوعًا مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ ثَمَرَةٌ مِنْ
 كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا يَمِينُهُ ثُمَّ يَرِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يَرِي أَحَدُكُمْ
 فَلَوْ هَتَمَ تَكُونُ مِثْلُ أَجْبَلٍ وَزَادَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ
 الْآيَةَ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ان
 الْعَبْدَ لِيَنْتَصِدِقْ بِالْكَسْرِ تَبِعَ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أَحَدِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ تَبِينَ مَعْنَى الْآيَةِ يَقَالُ
 أَرَبَاةً إِذَا زَادَ كَمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقَامُوسِ وَيَسْتَعْمَلُ لِأَمَّا يُضَافُ قَالَ أَرَبَى الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ فِي
 الرِّبَا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ أَي لَا يَرْضَى لِأَنَّهُ كَسْبٌ مُخْتَصٌ بِالتَّوَابِينَ كُلِّ كَقَارِ أَتَيْكُمْ فِيهِ تَشْدِيدٌ وَتَغْلِيظٌ
 عَظِيمٌ عَلَى مَنْ أَرَبَى حَيْثُ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ وَوَصِفَهُ بِأَنَّهُ لِمُبَاغَةِ وَقِيلَ لَانْتِلَاةُ الْإِشْرَافِ إِذَا
 قَدْ يَقَعُ عَلَى الزَّرْعِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ كُلُّ كَهَارٍ مَنْ صَدَرَتْ مِنْهُ خَصْلَةٌ تَوْجِبُ الْكَفْرَ وَجَوَازُ
 النَّصَاقَةِ بِالْمَقَامِ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا كَهَارٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ إِنَّ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ قِيلَ الْمُرَادُ بِهِ
 الَّذِينَ آمَنُوا بِتَحْرِيمِ الرِّبَا وَالْعُيُومِ أَوَّلَى وَالْإِيمَانِ بِالتَّصَدِّقِ بِهِ وَرَسُولِهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ
 بِهِ وَمَنْ جَعَلَهَا تَرَكَّ الرِّبَا وَالصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ هُمَا الْمَفْرُوضَتَانِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكْرُوهٍ يَأْتِي فِي
 الْمُسْتَقْبَلِ وَلَا هُمْ يَحْشَوْنَ عَلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ فَأَتَمَّ فِي الْمَاضِي يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا
 مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا أَي قُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَاتَرَكُوا الْبَقَايَا الَّتِي بَقِيَتْ لَكُمْ مِنَ الرِّبَا وَظَاهِرٌ
 أَنَّهُ أَبْطَلَ مِنَ الرِّبَا مَا لَمْ يَكُنْ مَقْبُوضًا قَالَ السَّيِّدِي نَزَلَتْ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٍ
 مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ كَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْحَا هَلِيَّةٍ يَسْلِفَانِ الرِّبَا إِلَى نَاسٍ مِنْ ثَقِيفٍ فِي الْإِسْلَامِ وَلَمَّا
 أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ فِي الرِّبَا فَانْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّ كُنْتُمْ مَوْصِينَ قِيلَ هُوَ شَرْطُ حَاجِزٍ عَلَى جَهَةِ
 الْمَقَابِلَةِ وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى إِذَا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَهُوَ مَرْدٌ وَدَلَّ يَعْرِفُ فِي اللُّغَةِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَعْنَى
 أَنَّ كُنْتُمْ مَوْصِينَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَلِزُّ أَمْتًا أَوْ أَمْرًا لِهَ وَنَوَاحِيهِ فَإِنَّ لَكُمْ
 تَقَعَلُوا يَعْنِي مَا مِنْ قَوْمٍ مِنَ الْإِتْقَاءِ وَتَرَكَ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا فَأَذْنُ أَقْرَبُ بِكسر الدالِّ وَلِلدَّلِ عَلَى

وزن اوتوا ومعناه فاعلموا بها غيركم من اذن بالشئ اذا علم به وقيل هو من الاذن وهو
الاستماع لانه من طريق العلم وقرئ بفتح الذا مع القص ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا بحرب
من الله ورسوله قال بن عباس يقال لكل الربا يوم القيمة خذ سلاحك للحرب يقال اهل
المعاني الحرب هنا السيف وقيل المراد بهذه الحاربة المبالغة في الوعيد والتهديد دون
الحرب وقيل بل نفس الحرب وذلك ان كان لكل الربا خاشوكة لا ينزع عنه فحق على الامام
ان يحاربه والا لاول اولى وقد دلت هذه الآية على ان اكل الربا والعمل به من الكبائر ولا خلا
في ذلك وتنكير الحرب للتعظيم و زادها تعظيما نسبتها الى اسم الله الاعظم الى رسوله الذي هو
اشرف خلقته وان سبكم من الربا فلكم رؤوسكم اموالكم نأخذونها دون الزيادة لا تظلمون
غرماءكم باخذ الزيادة مستأنفة اوحال من الكاف في لكم ولا تظلمون انتم من قبلهم بالطل
والنقص والجملة حالية او استينافية وفي هذا دليل على ان اموالهم مع عدم التوبة حلال
لمن اخذها من لائمة ونحوهم ممن ينوب عنهم وان كان ذو عسرة فنظر الى ميسرة بما حكم
سبحانه اهل الربا رؤوس اموالهم عند الواجدن للمال حكم في ذوى العسرة بالنظر الى يسار
والعسرة ضيق الحال من جهة عدم المال ومنه جيش العسرة والنظر الى التأخير والميسرة مضى
اليسر وارتفع ذوبكان التامة التي بمعنى وجد وهذا قول سيبويه وابي علي الفارسي وغيرهما في محض
أبي وان كان خاسرة على معنى وان كان المطلوب خاسرة وقرأ الاعشى وان كان معسرا قال النجاشي
وميك والنقاش وعلى هذا يختص لفظ الآية باهل الربا وعلى من قرأ ذوفي عامة في جميع من عليه
دين واليه ذهب الجمهور وقد وردت احاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما في الترغيب لمن له دين
على معسر ان ينظره وفي ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والا من بقضائه
وهي معروفة يطول ذكرها والميسرة في اللغة اليسار والسعة وان تصدقوا خيرا لكم اي على
معسر في غمها لكم بالابرأ من كل الدين او بعضه وفيه الترغيب لهم بان يتصدقوا برؤوس اموالهم
على من عسر وجعل ذلك خيرا من انظاره قاله السدي وابن زيد والضحك قال الطبري وقال
اخر من معنى الآية وان تصدقوا على الغني الفقير خيرا لكم والصحيح الاول وليس في الآية من خل الغني
ان كنتم تعلمون جوابه محذوف وان كنتم تعلمون انكم تعلمون خيرا لكم علمتم به وفي الحديث من انظر معسرا وضع

عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله رواه مسلم وانفقوا يوما ترجعون فيه الى الله هو
 يوم القيمة وتنكيره للتحويل وذهب قوم الى ان هذا اليوم المذكور هو يوم الموت وذهب الجمهور
 الى انه يوم القيمة كما تقدم فري ترجعون بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله وقري بعضهم
 فخرج الجحيم اي تردون فيه اليه ثم توفى كل نفس من النفوس المكلفه ما كسبت اي جزاء ما كسبت
 يعني عملت من خيرا وشرا وهم لا يظنون اي في ذلك اليوم والحكمة حاليتها وجمع الضمير لانه انسجبال
 الجحيم كما ان الافراد انسجبال الكسب وهذه الآية فيها الموعظة الحسنه لجميع الناس وفيه وعيد
 شديد وزجر عظيم عن ابن عباس قال اخراية نزلت من القرآن على النبي صلى الله عليه وآله
 كان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وآله ثمانون يوما وعن سعيد بن جبير انه عاش النبي
 صلى الله عليه وآله بعد نزولها تسع ليال ثم مات وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وآله ليلة من ربيع الاول
 في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة يا أيها الذين آمنوا اذا تدانتمكم بين هذا شروع
 في بيان حال المدينة الواقعة بين الناس بعد بيان حال الربا اي اذا دأب بعضكم بعضا
 وعامله بذلك سواء كان معطيا واخذوا ذكر الدين بعد ما يغير عنه من المدينة فقصا لنا
 مثل قوله ولا طامر يطير بحياضه وقيل انه ذكر لا يرجع اليه الضمير من قوله فاكتبوه ولو قال فاكتبوا
 الدين لم يكن فيه من الحسن ما في قوله اذا تدانتمكم بين والدين عبارة عن كل معاملة كان احد
 العوضين فيها نقدا والاخر في الزنة نسيئة فان العين عند العرب ما كان حاضرا والدين
 ما كان غائبا وقد بين الله سبحانه هذا المعنى بقوله الى اجل مسمى يعني الى مدة معلومة
 الاول والاخر مثل السنة والشهر والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب
 الحق الطلب قبل محل الاجل وقد استدل به على ان الاجل المجهول لا يجوز وخصوصا اجل
 السلم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله من اسلف في ثمن فليسلف في كيل معلوم الى اجل
 معلوم وقد قال بذلك الجمهور واشترطوا في قيته بالايام والاشهر والسنين قالوا ولا يجوز
 الى اخصاذا والدياس او رجوع القافلة او نحو ذلك وجوزة مالك قال ابن عباس لما حكم
 الربا باباح السلم فاكتبوه اي الدين باجلاه بيعا كان ذلك او سلم او قرضا لانه ادفع للزراع
 واقطع للخلاف قال ابن عباس نزلت يعني هذه الآية في السلم في كيل معلوم الى اجل معلوم

واخرج البخاري وغيره عنه قال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى ان الله قد احله و
 قرأ هذه الآية وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ هو بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وظاهر الامر
 الوجوب وبه قال عطاء والشعبي وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري واوجبوا
 على الكاتب ان يكتب اذا طلب منه ذلك ولم يوجد كاتب سواه وقيل الامر للندب الاستعانة
 وبه قال الجمهور بالعدل لصفة الكاتب اي كاتباً بالعدل اي يكتب بالسوية لا يزيد
 لا ينقص ولا يميل الى احد الجانبين وهو امر للتدائنين باختيار كاتب متصف بهذه الصفة
 لا يكون في قلبه وقلبه هواة لاحدهما على الاخر بل يتحرى الحق بينهم والمعدلة فيهم وَكَيْفَا
كَاتِبٌ ان يكتب كما علمه الله النكرة في سياق النفي مشعرة بالعموم اي لا يمتنع احد من الكُتَّابِ
 من ان يكتب كتاب التدوين على الطريقة التي علمه الله من الكتابة او كما علمه الله بقوله
 بالعدل فَلْيَكْتُبْ بِالْحَقِّ من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديراً اجل ولا تأخير بل يكتب ما
 يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ويكون كل واحد منهما كامناً من ابطال حقه وان يجترأ
 من اللفاظ التي يقع النزاع فيها وَلْيَكُلِّلْ بِالْأَمْلَالِ والاملاء لغتان الاولى لغة اهل الحجاز
 اسد والثانية لغة بني تميم فهذه الآية جاءت على اللغة الاولى وجاء على اللغة الثانية قوله
 تعالى في تملي عليه بكرة واصيلاً ولا دغام في مثل ذلك جائز ولا واجب الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
 هو من عليه الدين امره الله تعالى بالاملاء لان الشهادة انما تكون على اقراره بثبوت
 الدين في ذمته وَيَكْتُبُ اللَّهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ رَبَّهُ امره بالنقوى فيما عليه على الكاتب فلا
 يحذف جميع الحق والبعض كسياقي وبالغ في ذلك بالجمع بين الاسم والوصف ولا يحسن منه شيئاً
 نهاه عن النقص وهو النقص وقيل انه نهي للكاتب والاول اولى لان من عليه الحق هو الذي يتوقع
 منه النقص ولو كان نهيًا للكاتب لم يقتصر في نهيهِ على النقص لانه يتوقع منه الزيادة كما
 يتوقع منه النقص فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَظْهَرَ فِي مَقَامِ الْأَضْمَارِ لزيادة الكشف والبيان
 لان الامر والنهي لغيره سفيهاً السفيه هو الذي لا راي له في حسن التصرف فلا يحسن الاخذ
 ولا الاعطاء شبهة بالتوهم السفيه وهو اخفيف الشبه والعرب تطلق السفيه على ضعف العقل
 نكرة وعلى ضعف البدن اخرى وبالحجالة فالسفيه هو المبدأ اما بحجالة بالتصريح والتأخير

بالمال عبثا مع كونه لا يجمل لصواب وقيل الطفل الصغير اي جاهلا بالاملاء او ضعيفا وهو
 الشيخ الكبير والصبي قال اهل اللغة الضعف بضم الصاد في البدن وبفتحها في الرأي لغته
 او جنون او لا يستطيع ان يقبل هو يعني خرس او عي او عجمة في كلامه او حبس او عية لا يمكنه
 ان يحضر عند الكاتب ويجعل بماله وعليه او لا يقدر على التعبير كما ينبغي فهو لاء كلهم
 لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وقيل ان الضعيف هو المدخول العقل الناقص لفظه
 العاجز عن الاملاء والذي لا يستطيع هو الصغير فليقل ولية الضمير عائد الى الذي عليه الحق
 فيمل عن السفية وليه المنصوب عنه بعد حجرة عن التصرف في ماله ويميل عن الصبي وصيه
 او وليه وكذلك يميل عن العاجز الذي لا يستطيع الاملاء لضعفه وليه لانه في حكم الصبي او
 المنصوب عنه من الامام والقاضي ويميل عن الذي لا يستطيع وكيله اذا كان صحيح العقل وعرض
 له اقراره لسانه او لم تعرض ولكنه جاهل لا يقدر على التعبير كما ينبغي وقال الطبري ان الضمير
 في قوله وليه يعود الى الحق وهو ضعيف جدا قال القرطبي في تفسيره وتصرف السفية المحجور عليه
 دون وليه فاسد اجماعا مفسوخ ابد لا يوجب حكما ولا يقر شيئا فان تصرف سفية ولا
 يحجر عليه فقيه خلاف انتهى بالعدل اي الصدق من غير زيادة ولا نقص واستشهدوا
 شهيدين الاستشهاد طلب لشهادة وسماها شهيدين قبل الشهادة من جواز الاول اي
 باعتبار ما يؤول اليه امرها من الشهادة من رجال الكوفة كائنين من المسلمين فيجوز الحكم
 ولا وجه لحجج العبيد عن هذه الآية فهم اذا كانوا مسلمين من رجال المسلمين وبه قال شيخ
 وعثمان البقي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو ثور وقال ابو حنيفة ومالك والشافعي
 وجمهور العلماء لا يجوز شهادة العبد لما يلحقه من نقص الرق وقال الشعبي والنخعي تصح
 في الشيء اليسير دون الكثير واستدل الجمهور على عدم جواز شهادة العبد بان الخطاب في هذه
 الآية مع الذين يتعاملون بالمداينة والعبيد لا يملكون شيئا تجري فيه المعاملة ويحجب
 عن هذا بان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ايضا العبد تصح منه المداينة وسأ
 المعاملات اذا اذن له ما كره بذلك وقد اختلف للناس هل الاشهاد واجب او مندوب قال
 ابو موسى الاشعري وابن عمر والضحاك وعطاء وسعيد بن المسيب جابر بن زيد ومجاهد

الآخر لأجل تذكر أحدهما الأخرى إذا ضلت وعلى هذا فيكون في الكلام حذف وهو سؤال
 سأل عن وجه اعتبار امرأتين عوضاً عن الرجل الواحد فقيل وجهه أن تضل أحدهما فتدرك
 أحدهما الأخرى والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سبباً له نزل منزله
 وأبهم الفاعل في تضل وتذكر لأن كلامهما يجوز عليه الوصفان فالمعنى أن ضلت هذه
 ذكرتها هذه وإن ضلت هذه ذكرتها هذه لا على التحيين أي أن ضلت إحدى الأمرتين
 ذكرتها الأخرى وإنما اعتبر فيهما هذا التذكير لما يلحقهما من ضعف النساء بخلاف الرجال
 قد يكون الوجه في الإيهام أن ذلك يعني الضلال والتذكير يقع بينهما متناً وباحتى ربما
 ضلت هذه عن وجه وضلت تلك عن وجه آخر فذكرت كل واحدة منهما ما صاحبها وقال
 سفيان بن عيينة معنى قوله فتذكر أحدهما الأخرى تصير هذا ذكرًا يعني أن مجموع شهادة
المرأتين مثل شهادة الرجل الواحد وروى عن أبي عمر وابن العلاء ولا شك أن هذا باطل
 لا يدل عليه شرع ولا لغة ولا عقل ولا يأتى بالشهادة أما إذا دعوا أي لاداء الشهادة التي
قد تحملوها من قبل وقيل إذا دعوا لتحمل الشهادة وتسميتهم شهداء مجاز كما تقدم حملها
 أحسن على المعنيين وظاهر هذا النهي أن الامتناع من اداء الشهادة حرام ولا تستموا
 لا تملا ولا تضجوا والخطاب للمؤمنين أو للمتأملين أو للشهوج أن تكتبوا أي الذين الذين
تدأينهم به وقيل الحق وقيل الشاهد وقيل الكتاب بهما هو الله سبحانه عن ذلك لأنهم ربما
 ملوا من كثرة المدائنة أن يكتبوا ثم بالغ في ذلك فقال صغيراً أو كبيراً أي لا تملا في حال
من الأحوال سواء كان الدين كثيراً أو قليلاً وعلى أي حال كان الخطاب مختصراً أو مشبعاً
وقدم الصغير هنا على الكبير للاهتمام به لدفع ما عساه أن يقال أن هذا مال صغير
قليل لا احتياج إلى كتبه إلى أجله أي إلى محل الدين والحق ذلك أي المكتوب المذكور في
 ضمير قوله أن تكتبوا أقسط عند الله أي اعدل واحفظ وأصح من القسط بالكسر والقسط
الجر والعدل عن الحق وأقوم للشهادة أي اعون على إقامة الشهادة وثبت لها وهو
 مبني من أقام وكان القسط مبني من فعله أي أقسط وقد صرح سيبويه بأنه قياسي
 أي بناءً على فعل التفضيل وأدنى الأثر تأبوا أي اقرب لنفي الريب في معاملة التكميل التي

وذلك ان الكتاب الذي يكتبونه يدفع ما يعرض لهم من الريب كما انما كان إلا ان تكون
 التجارة أي تقع او توجد تجارة على ان كان تامة والتجارة تقليل الاموال وتصرفها لطلب النماء
 والزيادة بالارباح والاستثناء منقطع أي لكن وقت تباعكم وتجاركم فاذ يجوز عدم الاستشهاد ^{الكتاب}
 فيها قال العلقامة تصل بالاول والى قولي بالنصب على النافذة تكون التجارة حاضرة بحضرة البديهي ^{يعني} نعم لبيان
 بعين اودين سئل يروونها بينكم أي تعاطونها كيد ابدا فلا إدارة التعاطي والتقايض
 فالمراد بالتبايع الناجز يد ابدا فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها أي فلا حرج عليكم أن تكم
 كتابته وانما رخص الله في ترك الكتابة في هذا النوع من التجارة لكثرة جريانه بين الناس
 فلو كلفوا الكتابة فيه لشق عليهم ولا نه اذا اخذ كل واحد حقه في المجلس لم يكن هناك خوف
 الجور فلا حاجة الى الكتابة وأشهدوا اذا تبايعتم قيل معناه هذا التبايع المذكور هنا
 وهو التجارة الحاضرة على ان الاشهاد فيها كيفي وقيل معناه أي تبايع كان حاضرا او كليا
 لان ذلك ادفع لما دة الخلاف واقطع لمنشا الشجار وهذا وما قبله امر ندب وقد تقدم
 قريبا ذكر خلاف في كون هذا الاشهاد واجبا او مندوبا ولا يضاد كاتبا ولا شريفا يحل
 ان يكون مبديا للفاعل او للمفعول فعل الاول معناه لا يضاد كاتبا ولا شهيدا من طلب
 ذلك منهما أما بعد ملاحاة او بالتحريف والتبديل والزيادة والنقصان في كتابته ويدل
 على هذا قوله عمر بن عباس وغيرهما لا يضاد بكسر الراء الاولى وعلى الثاني لا يضاد كاتبا
 ولا شهيدا بان يدعي الى ذلك وهما مشغولان بهم لهما ويضيق عليهما في الاجابة ويؤدي
 ان حصل منهما التراخي او يطلب منهما الحضور من مكان بعيد ويدل على ذلك قراءة
 ابن مسعود لا يضاد بفتح الراء الاولى وصيغة المفاعلة تدل على اعتبار الامرين جميعا وقد
 تقدم في تفسير قوله تعالى لا تضار والدة بولها ما اذا راجعته زادك بصيرة ان شاء الله تعالى
وأن تفعلوا أي ما نهيتم عنه من المضادة فأنه أي فعلكم هذا فأنه أي فعلكم هذا فأنه أي فعلكم هذا
 الى المعصية ملتبس بكم واتقوا الله في فعل ما امركم به وترك ما نهاكم عنه ويعلم الله ما
تعتلون اليه من العلو حال مقدرة او مستأنفة والله بكل شيء عليم وفيه الوعد لمن
 اتقاه ان يعلمه وصحة قوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هذا الخرافة الذين وقروا

الله سبحانه فيها على الاحتياط في امر الاموال لكونها سببا لاصالح المعاش والمعاد قال القفال
ويدل على ذلك ان الفاظ القرآن جارية في الاكثر على الاختصار وفي هذه الآية بسط شديد
لا ترى انه قال اذا تدانين يزيدن الى اجل مسمى فاكتبوه ثم قال ثانيا وليكتب بينكم كتابا لعل
ثم قال ثالثا ولا ياب كتابان يكتب كما علمه الله فكان هذا كالتكرار لقوله وليكتب بينكم
كتاب بالعدل لان العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا فليكتب وهذا اعادة للامر الاول ثم
قال خامسا وليعمل الذي عليه الحق لان الكاتب العدل انما يكتب ما يملك عليه فترى ان الله
وليتق الله ربه وهذا تأكيد ثم قال سابعاً ولا يخفى منه شيئا وهذا كالمستفاد من قوله
ليتق الله ربه ثم قال ثامناً ولا تساموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً الى اجله وهو ايضا تأكيد
لما مضى ثم قال تاسعاً ذكركم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى ان لا تقاتلوا فذكر هذه القواعد
التالية لتلك التأكيدات السالفة وكل ذلك يدل على المبالغة في التوصية بحفظ المال
الحلال وصونه عن الهلاك لئلا يتمكن الانسان بواسطته من الاتفاق في سبيل الله والاعراض
عن مسأخطة من الرياء وغيره والمواظبة على ذكر الله وقوله كره الخطيب ان كنتم على سفر
لم تجدوا كاتباً فرهن من مقبوضة لما ذكر سبحانه مشروعية الكتابة والاشهاد بحفظ الاموال
ودفع الريب عقب ذلك بذكر حالة العذر عن وجود الكاتب ونص على حالة السفر فانها
من جملة احوال العذر ويلحق بذلك كل عذر يقوم مقام السفر وجعل الرهان المقبوضة
قائمة مقام الكتابة اي فان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً في سفركم فهان مقبوضة
وعلى هذا بمعنى وفيه اشارة ان على استعارة تبعية شبهة تمكنهم من السفر يتمكن الركاب من ركوبه
قال اهل العلم الرهن في السفر ثابت بنص التنزيل وفي الحضر يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت
في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم رهن در عاله من يهودي وافاد قوله مقبوضة اشترط القبض في الرهن
والاكتفاء به من الرهن ووكيله وقرأ الجمهور كاتباً اي رجلاً يكتب لكم كتاباً قال ابن الانبار
فسره ابن جاهد فقال معناه فان لم تجدوا ممددا في الاسفار وقرئ فوهن بضم الراء والهاء
جمع رهان وقرئ فوهن وقراءة الجمهور فوهان قال الزجاج يقال في الرهن رهنه وادهنت
وكذا قال ابن الاعرابي والاخفش وقال ابو علي الفارسي يقال رهنه في المعاملات واما في

القرض والبيع فوهنت وقال ابن السكيت ووهنت فيها بمعنى اسلفت والرهن الذي يأخذ
 الرهن والشئ مرهون ورهين وداهنت فلانا على كذا امر اهنة خاطرته وقد ذهب الجمهور
 الى انه يصح الارتهاك بالاجاب والقبول من دون قبض فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ اي الذين
 الدين على حقه فلم يرتبه يعني ان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق كظنه
 به وامانته واستغنى بامانته عن الارتهاك فَلْيُقِزْ أَلَدِي آمِنًا وهو المدين وامانته اي
 الدين الذي عليه والامانة مصدر سمي به الذي في الذمة واما قول الذي عليه الدين من
 حيث لها اليه نسبة وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ في ان لا يكثر من الحق شيئا وفي اداء الحق عند حلول
 الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة احسنة كما احسن ظنه فيه وفيه مبالغة
 من حيث الاتيان بصيغة الامر الظاهر في الوجوب الجمع بين ذكر الله والرب وذكر عقاب الامراء
 الدين وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى وَلَا تَتَّبِعُوا الشَّهَادَةَ هي للشهود ان يكتفوا بما
 تمخوله من الشهادة اذا دعوا لاقامتها وهو في حكم التفسير لقوله ولا يضاد كتابي لا
 يضاد بكسر الراء الاولى على احد التفسيرين المتقدمين وَمَنْ يَكْفُرْ يعني الشهادة وَاللَّهُ
 اي فاجر قلبه خسر القلب بالذکر لان الكم من افعاله ولكونه رئيس الاعضاء وهو المضعفة
 التيان صلت صليح الجسد كله وان فسدت فسد كله واسناد الفعل الى الجاحدة التي تعمله
 ابلغ وهو صريح في موازنة الشخص بأعمال القلب ارتفاع القلب على نه فاعل ومبتدأ واثم
 خبره على ما تقر في علم النحو ويجوز ان يكون قلبه بدلا من اثم يدل البعض من الكل ويجوز ايضا
 ان يكون بدلا من الضمير الذي في اثم الراجع الى من قرئ قلبه بالانصب كما في قوله الامن سفه
 نفسه والله مما تعملون عليهم فيه وعيد وتحذير لمن كثر الشهادة ولم يظهرها ويقال لهذه
 الآية اية الدين واخرج البخاري في تاريخه وابو داود وغيرهما عن ابي سعيد الخدري انه
 قرأ هذه الآية وقال هذه نسخت ما قبلها واقول رضي الله عن هذا الصحابي الجليل ليس هذا
 من باب النسخ فهذا مقيد بالائتمان وما قبله ثابت محكم لم ينسخ وهو مع عدم الايمان وعن
 سعيد بن المسيب انه بلغه ان احدث القرآن بالعرش اية الدين وعن ابن شهاب قال
 اخرا القرآن عهدا بالعرش اية الربا واية الدين لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ملكا

وأما ما له عديد وهو ما أنكم واستندل بسعة ملكه على سعة طمعه ^{فإن تبدوا ما في}
 أنفسكم أو تخفوه ^{وذلك} يحاسبكم به الله ^{ظاهرة} أن الله يحاسب العباد على ما ضمنته أنفسهم
 وأظهرته من الأمور التي يحاسب عليها فيغفر لمن يشاء منهم ما يغفر منها ويعذب من
 يشاء منهم بما أسرا وأظهر منها هذا معنى الآية على مقتضى اللغة العربية وقد اختلف اهل
 العلم في هذه الآية على أقوال الأول أنها وإن كانت عامة فهي مخصوصة بكمكان الشهادة
 وإن كانت للشهادة ^{على كتمه} سواء أظهر للناس أنه كاتم للشهادة أو لم يظهر وقد
 روي هذا عن ابن عباس وعكرمة والشعبي ومجاهد وهو مردود بما في الآية من عموم
 اللفظ ولا يصلح ما تقدم قبل هذه الآية من النفي عن كتم الشهادة أن تكون مختصة به والقول
 الثاني أن ما في الآية مختص بما يطرح على النفوس من الأمور التي هي بين الشك واليقين قاله مجاهد
 وهو أيضا تخصيص بلاغخصص والقول الثالث أنها محكمة عامة ولكن العذاب على ما في
 النفس مختص بالكفار والمنافقين حكاه الطبري عن قوم وهو أيضا تخصيص بلاغخصص
 فإن قوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يختص ببعض معين الأبدليل والقول الرابع
 أن هذه الآية منسوخة قاله ابن مسعود وعائشة وابو هريرة والشعبي وعطاء ومحمد بن
 سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وهو مروى عن ابن عباس وجماعة من الصحابة
 والتابعين وهذا هو الحق لما سياتي من التصريح بنسخها ولما ثبت عن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم ما حدثت به أنفسها وأخرج البخاري والبيهقي عن مروان الأصغر عن رجل
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمر أن تبدوا ما أنفسكم الآية قال نسخها الآية التي بعد
 وأخرج عبد بن حميد والترمذي عن علي بن خنوة وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود في ناسخه
 وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله
 وآله وسلم ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم الآية اشتد ذلك على
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تواد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئوا على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا
 من الأحمال ما نطيع الصلوة والصيام والحج والصدقة وقد نزل الله علينا هذه الآية
 ولا نطيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلهم

سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرنا لك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم
 واذلت بها السنتهم انزل الله في أثرها من الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
 فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخرها واخرج احمد ^{مسند}
 والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن عسكروا والبيهقي عن ابن عباس
 مرفوعا نحوه وزاد فانزل الله ربنا لا تقواخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد فعلت ^{بنا} ولا
 تحمل علينا اصر كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
 لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الآية قال قد فعلت وقد رويت هذه
 القصة عن ابن عباس من طرق وتجميع ما تقدم يظهر لك ضعف ما روي عن ابن عباس في
 هذه الآية انه قال نزلت في كتابان الشهادة فانها لو كانت كذلك لم يشتد الامر على
 الصحابة وعلى كل حال فبعد هذه الاحاديث المصححة بالشيخ والناسخ لم يبق مجال لخالفتها
 وما يؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين من السنن الاربع من حديث ابن هريرة قال قال رسول الله
 صلوات الله تعالى عليه عن امي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به واخرج ابن جرير عن
 عائشة قالت كل عبد لله ميسر ومعصية وحدثت نفسه به حاسبه الله في الدين كما كانت
 تجزن ويشند همه لا يناله من ذلك شيء كما هم بالسوء ولم يعمل بشيء والاحاديث المتقدمة ^{المصححة}
 بالشيخ تدفعه عن ابن عباس قال ان الله يقول يوم القيمة ان كتابي لم يكتبوا من اعمالكم الا ما
 ظهر منها فاما ما اسرتم في انفسكم فانا احاسبكم به اليوم فاغفر لمن شئت واعذب من
 شئت وهو مدغرج بما تقدم وقيل بحكمة لانه اذا حمل ما في النفس على خصوص الغرم
 لم يكن نسخ لانه مؤاخذ به وقد نظروا بعضهم مراتب القصد بقوله ^{مراتب} مراتب القصد خمس ما ذكرنا
 وخطا فحدث النفس فاستقام عليه هم فغرم كلها رفعت وسوى الاخير ففيه الاخذ قد
 والله على كل شيء قدير فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قال ابن عباس يغفر
 الذنب العظيم ويعذب على الذنب الصغير ^{مراتب} مراتب القصد خمس ما ذكرنا من انزل اليه من ربه للمؤمنين
 اي جميع ما انزل اليه قال الزجاج لما ذكر الله سبحانه في هذه السورة فرض الصلوة و
 الزكاة والصيام وبين احكام الحج والجهاد وحكم الحيض والطلاق والايلاء واقاصيص الاشياء

وبين حكم الربا ذكر تعظيمه ثم ذكر تصديق نبيه صلواته ثم ذكر تصديق جميع المؤمنين
بجميع ذلك فقال امن الرسول اي صدق الرسول بجميع هذه الاشياء التي جرى ذكرها
وكذلك المؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله افراد الضمير في امن لان المراد
ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله وكل اتوه اخرين وهذه
اربع مراتب من اصول الدين وضوابطه وسبب نزولها الآية التي قبلها وقد تقدم بيان
ذلك وقوله وملائكته اي من حيث كونهم عبادا للمكرمين للتوسطين بينه وبين انبيائه
في انزال كتبه وقوله وكتبه لانها المشقة على الشرائع التي تعبد بها عبادة وقوله ورسله لانهم
المبلغون لعبادة ما نزل اليهم وقرآن عباس وكتابه وقال الكتاب اكثر من الكتب وبينه
صاحب لكشاف فقال لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كالحكم
يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من المجموع انتهى ومن اراد تحقيق
المقام فليرجع الى شرح التلخيص المطول عند قول الماتن واستغراق المفرد اشمل لان الفرق بين
احد من رسله فهو من بعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى لم يقل بين احاد لان
الاحد يتناول الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى فما منكم من احد يحب
فوصفه بقوله حاجزين لكونه في معنى الجمع وقالوا سمعنا واطعنا اي اذ كنا باسما عنا وفما
واطعنا ما فيه وقيل معنى سمعنا اجبنا دعوتك غفرنا لك اي اغفر غفرا نك قاله الزجاج
وغیره وقيل نسألك غفرنا لك وقدم السمع والطاعة طلب المغفرة لكون الوسيلة تتقدم على
التوسل اليه واليك المصير اي الرجوع والمآب بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي ما
تسعه قد دها فضلا منه ورحمة او ما دون مدى طاقتها اي غاية طاقتها بحيث يتسع فيه
طوقها ويتيسر عليها التكليف هو الامر بما فيه مشقة وكلفة والوسع الطاقة والوسع
ما يسع الانسان ولا يضيق عليه وهذه جملة مستقلة جاءت عقب قوله سبحانه ان تبدوا
ما في انفسكم الآية لكشف كربة المسلمين ودفع المشقة عليهم في التكليف بما في الانفس وهي
كقوله سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه
الآية نزلت حديث النفس والوسوسة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فيه ترغيب وترهيب

اي لها ثواب ما كسبت من الخير وعليها وزر ما اكتسبت من الشر. تقديم لها وعليها على الفعلين يعني
ان ذلك لها لا لغيرها وعليها لا على غيرها وهذا مبني على ان كسب للخير فقط والكسب للشر فقط كما قاله
صاحب الكشف وغيره وقيل كل واحد من الفعلين يصدق على الامرين وانما كسر الفعل وضاع
بين النصي يفتن تحسينا للنظم كما وقع في قوله تعالى فهل الكفر من امهولهم روي او قيل اللام
للخير وعلى الضرر ولكن ينقض هذا بقوله تعالى ولهم العنة وعليهم صلوات اللهم لان يقال
ما يقتضيان ذلك عند الاطلاق بلا ذكر الحسنة والسيدة او انما يستعملان لذلك عند
تقابلهما كما في هذه الآية رَبَّنَا كُنْ أَكْثَرُ أَخْذًا لَّنَا إِنَّا لَتَّيْسِينَ أَوْ أَخْطَاؤُنَا اي لا تقبضنا يا ربنا يا ربنا
منا من هذين الامرين وقد استشكل هذا الدعاة جماعة من المفسرين وغيرهم قائلين ان
الخطأ والنسيان مغفوران غيرهما اخذ بهما فما معنى الدعاة بذلك فانه من تحصيل الحاصل و
اجيب عن ذلك بان المراد طلب عدم المواخذة بما صدر عنهم من الاسباب المؤدية الى النسيان
والخطأ من التفريط وعدم المبالاة لا من نفس النسيان والخطأ فانه لا مواخذة بهما كما يفيد
ذلك قوله صلواتم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وسيأتي تفصيله وقيل انه يجوز للانسان ان
يدعو بحصول ما هو حاصل له قبل الدعاة لقصد استدائمه وقيل انه وان ثبت شرعاً انه
لا مواخذة بهما فلا امتناع في المواخذة بهما عقلاً وقيل لانهم كانوا على جانب عظيم من التقوى
بحيث لا يصدر عنهم الذنب عمداً وانما يصدر عنهم خطأ ونسياناً فكانه وصفهم بالدعاة بذلك
ايذا نابتزاه ساحتهم عما يؤخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤخذ به فما
منهم سبب المواخذة الا الخطأ والنسيان قال القرطبي وهذا يختلف فيه ان لا تمر مرفوع وانما
اختلف فيما يتعلق على ذلك من الاحكام هل ذلك مرفوع ولا يلزم منه شيء او يلزم احكام ذلك
كله اختلف فيه والصحيح ان ذلك يختلف بحسب الوقائع فليسقط باتفاق كالغرامات والديات
والصلوات المفروضة وقسم يسقط باتفاق كالنقصا والنفق بكلمة الكفر وقسم ثالث يختلف
فيه كمن اكل ناسياً في رمضان او حدث ساهياً وما كان مثله مما يقع خطأ ونسياناً ويعرف
ذلك في الفروع انتهى والآية تعليم من اسلم عباد كيفية الدعاة وهذا من غاية الكرم حيث يعلمهم
الطلب بعظيم المطلوب رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَثْمَرَ تَكْوِينِ الدَّاءِ لا يذنبون بزيادة التضرع والرجاء

الى الله سبحانه والاصغر العبيء الثقيل الذي ياصر صاحبه اي يحبس مكاره لا يستقل به ثقله
 والمراد به هنا التكليف الشاق والاصغر الغليظ الصعب وقيل الاصر شدة العمل وما غلظ على يني
 اسراييل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وقيل الاصر المسخ قردة وخنازير وقيل العهد ومنه
 قوله تعالى واخذتم على ذلكم اصري وهذا الخلاف يرجع الى بيان ما هو الاصر الذي كان على
 من قبلنا لا الى معنى الاصر في لغة العرب فانه ما تقدم ذكره بلا نزاع ولا صا لمجمل الذي يربط
 به الاحمال ونحوها يقال اصر يا صرا صرا حبس والاصر بكسر الهمزة من ذلك قال الجوهري للموضع
 ما صر والجمع ما صر ومعنى الآية انهم طلبوا من الله سبحانه ان لا يحملهم من ثقل التكليف ما
 حمل الامم قبلهم كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليه ود ذلك ان الله فرض عليهم خمسين صلاة
 وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح و
 ذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاتقال والاصار ريبا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به تكرر ليدل
 للنكتة المذكورة قبل هذا والمعنى لا تحملنا من الاعمال ما لا نطيق وقيل هو عبارة عن انزال العقوب
 كانه قال لانزل علينا العقوبات بتفريطنا في المحافظة على تلك التكليف الشاقة التي كلفت
 بها من قبلنا وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطيع من التكليف والطاقة القدرة
 على الشيء واعف عتكا اي عن ذنوبنا يقال عفوت عن ذنبه اذا تركته ولم تعاقبه عليه
 واعفركنا اي استر على ذنوبنا ولا تفضحنا بالمواخذة والغفر الستر وارحمنا اي تفضل برحمة
 منك علينا وتعطف بنا انت مولنا اي ولينا وناصرينا وخرج هذا المخرج التعليم كيف يدعون
 وقيل معناه انت سيدنا ونحن عبيدك فانصر كما عك القوم الكافرين فان من حق المولى ان
 ينصر عبده والمراد عامة الكفرة وفيه اشارة الى اعلاء كلمة الله بالجهاد في سبيله وقد قد
 في شرح الآية التي قبل هذا انه ثبت في الصحيح عن النبي صلوات الله تعالى قال عقب كل دعوة
 من هذه الدعوات قد فعلت فكان ذلك دليلا على انه سبحانه لم يواخذهم بشيء من الخطا
 والنسيان ولا حمل عليهم شيئا من الاصر الذي حمل على من قبلهم ولا حملهم ما لا طاقة لهم به
 وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين والحمل الله رب العالمين وقد اخرج
 ابن ماجة وابن المنذر وابن حبان في صحيحه والطبراني والدارقطني والحاكم والبيهقي في سننه

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وزع من امتي اخطا والنسيان وما استكروا عليه وروي من طرق كثيرة وفي اسانيد ما مقال ولكنها يقوي بعضها بعضا فلا يقصر عن رتبة الحسن لغيره وقد تقدم حديث قد فعلت وهو يشهد لهذا الحديث وقد ورد عن جماعة من الصحابة وغيرهم ان جبريل لقن النبي صلى الله عليه وسلم خاتمة البقرة امين وقد ثبت عن النبيين واهل السنن غيرهم عن مسعود بن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه واخرج احمد والنسائي والطبراني والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اعطيت هذه الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واخرج الطبراني بسند جيد عن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل منه ايتين ختمهما سورة البقرة لا تقرأ في دار ثلاث ليال فيقر بها شيطان واخرج مسلم والنسائي واللفظ له عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل اذ سمع نقيضا فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشر بنورين قد اوتيتهم لم يؤتيا نبي قبلك فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة ان تقرأ احدهما لم يأتك الله بقرآن الا بقرآن فانه احاديث من روعة الى النبي صلى الله عليه وسلم في فضل هاتين الايتين وقد روي في فضلهما من غير المرفوع عن عمرو بن علي وابن مسعود وابي مسعود وكعب الاحبار والحسن وابي قلابة وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم ما يغني عن غيره والله الحمد

سورة آل عمران مكية وهي طائفة ايت

هي مدنية قال القرطبي بالاجماع ومما يدل على ذلك ان صدرها الى ثلاث وثمانين
نزل في وفد يجران وكان قد ومهم في سنة تسع من الهجرة واسمها في التوراة طيبة حكاة النقاش
بسم الله الرحمن الرحيم
السم الله اعلم بمراده بذلك وقد تقدم في اوائل سورة البقرة ما يغني عن الاعداد الله
لا اله الا هو الحي القيوم المجلة مستأنفة اي هو المستحق للعبودية لا يستحقها احد سواه

وأما هو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت والقيوم هو القائم بذاته وبتدبير الخلق ومصالحهم
 فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم وهو فيقول من قام وقد تقدم تفسير الحى القيوم
 نزول فيه ان وقت نزول هذه الآية لم يكن القرآن نازل نزوله عليك الكتاب الكتاب الفرد
 وهم الظرف على المفعول للاعتناء بالمنزل عليه صلعم والمراد بالكتاب ما نزل منه اذ
 ذلك او يقال الفعل المذكور قبله مستعمل في الماضي والمستقبل بالحق اي متلبسا به اخباره
 والحق بالصدق وقيل الحجة مصدق كالحال اخر من الكتاب مؤكدا وبهذا قال الجمهور وجوز
 بعضهم ان تكون الحال منتقلة على معنى انه مصدق لنفسه ولغيره لما بين يديه اي من
 الكتاب المنزلة وهو من محانا الكلام لان ما بين يديه فهو ما امامه فليل لكل شيء تقدم
 على الشيء هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره واللام في لما دامة تقوية العامل في انزل
 التي رتبة ولا في الخيل انما قال هنا انزل وفيما تقدم نزل لان القرآن نزل في مجامع مفصلا في اوقات
 كثيرة والكتابان نزلا دفعة واحدة ولم يذكر في الكتابين من انزله عليه وذكر فيما تقدم
 ان الكتاب نزل على رسول الله صلعم لان القصد هنا ليس الا الى ذكر الكتابين لا ذكر من
 نزلا عليه وهما اسمان عبرانيان وقيل سريانيان كالزبور وقيل التوراة مشتقة من قولهم
 ودى الزند اذا قدح فظهر منه نار وقيل من ودرت في كلامي من التورية وهي التعريض
 والانجيل مشتق من الغيل وهو التوسعة والاوّل من قبل اي قبل تنزيل الكتاب يعنى
 القرآن هدى حال او مفعول له الناس والمراد بالناس اهل الكتابين او ما هو اعم لان هذا
 الامة متعبد بما ينسخ من الشرائع قال ابن فوريث الناس المتقين وانزل القرآن الفارق
 بين الحق والباطل وهو القرآن وكرر ذكره تشريفا له مع ما يشتمل عليه هذا الذكر الاخر من
 الوصف له بانه يفرق بين الحق والباطل قال قتادة فاحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه و
 شرع فيه شرائعه وحد فيه حدوده وفرض فيه فرائضه ويبيّن فيه بيانه وامر بطاعته ونهى
 عن معصيته وقال محمد بن جعفر بن الزبير اي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاخر
 من امس عيسى وغيره وذكر التنزيل والا لانزال ثانيا لكونه جامع بين الوصفين فانه انزل
 الى سماء الدنيا جملة ثم نزل منها الى النبي صلعم مفرقا بمقتضى ما عليه حسب الاحداث كما سبق وقيل

انما الجرد التعدية والجمع بينهما للتفان وهو الاول وقيل اراد بالفرقان جميع الكتب المنزلة
من الله تعالى على رسله وقيل الزبور لاشتماله على المواعظ الحسنة والاولى اولها التي لا
كفر واقبل ارادهم نصارى وفد نجران وكفروا بالقرآن وعهد صلح وقيل ان خصوص السبب
لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من ايات الله يا ايها الذين آمنوا بما يصدق عليه
انه آية من الكتب المنزلة وغيرها وما في الكتب المنزلة المذكورة على وضع ايات الله وضع
الضمير العائد اليها وفيه بيان لامر الذي استحقوا به الكفر لهم بسبب هذا الكفر عذاب
شد يد اي عظيم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالخلود في النار والله عز وجل لا يغفل عما
فدوا تقاكم عظيم والنقمة السطوة يقال انتقم منه اذا عاقبه بسبب ذنب قد تقدم منه
وقال محمد بن جعفر بن الزبير اي ان الله ينتقم من كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفة بها
جاء منه فيها ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هذه الجملة استيعابية لبيان
سعة علمه واحاطته بالمعلومات لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزي وفيه رد على الجحاش
في قولهم انه لا يعلم الخفيات الا بوجه كلي لانه في الحقيقة نفي للعلم بالخبري وعبر عن معلوما
بما في الارض والسماء مع كونها اوسع من ذلك لقصوى عبادته عن العلم بما سواها من امكنة
مخلوقاته وسائر معلوماته ومن جملة ما لا يخفى عليه ما كان من امن من خلقه وكفر من كفر
وقال محمد بن جعفر اي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى اذ
جعلوه رباً والها وعندهم من علمه غير ذلك عزه بالله وكفرابه لان الاله هو الذي لا يخفى عليه
شيء وعيسى يخفى عليه بعض الاشياء باعتبارهم فلا يصلح ان يكون الها ففيه رد على النصارى
في دعواهم الوهية عيسى هو الذي يصوركم في الارحام اصل اشتقاق الصورة من صارة
الكل اي اماله اليه فالصورة مأثلة الى شبهه وهيئة والتصوير جعل الشيء على صورة والصورة
هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والارحام جمع رحم واصل الرحم من الرحمة لانه حمايتراحم به و
هذه الجملة مستأنفة مشتقة على بيان احاطة علمه وان من جملة معلوماته ما لا يدخل تحت
الوجود وهو تصوير عبادته في ارحام امهاتهم من نطفة بائتهم كيف يشاء من حسن وقبيح واسود
وابيض وطويل وقصير وذكر وانثى وكامل وناقص قيل وقد كان عيسى من صور في الارحام لا

يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم فكيف يكون لها وقد كان بنو البشر
 والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام صوراً مختلفة في الشكل والطبع واللون متفاوتة
 في الخلقة وذلك من نطفة وعن ابن عباس ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا اذا وقعت النطفة في
 الارحام طارت في الحسد اربعين يوماً ثم تكون علقة اربعين يوماً ثم تكون مضغة اربعين
 يوماً فاذا بلغ ان يخلق بعث ملكاً يصورها فياقي الملك بتراب بين اصبعيه فيخاط منه المضغة
 ثم يعجنه بها ثم يصورها كما يري من يقول اذكر امانى اشقي ام سعيد وما رزقه وما عمره وما
 اثره وما مصائبه فيقول الله ويكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن حيث اخذ ذلك
 التراب قيل هذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا اجسده ولد الله وكيف يكون ولد له وقد
 صورده الله في الرحم بل هو عبد مخلوق كثير وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله لا اله الا هو العزيز
الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب اي لقرا واللام للعهد وقدم الظرف وهو عليك
 لما يفيد من الاختصاص منه ايث تمكمت اي بينات مفصلات احكمت عبادتها من اجمال
 التأويل والاستباه كانه تعالى احكمها فنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها هـ
أم الكتاب اي صله الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الاحلال والحرام ويرد ما خالف
 اليه وهذه الجملة صفة لما قبلها ولم يقل امهات لان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية
 الواحدة اولانه واقع موقع الجمع اولانه بمعنى اصل الكتاب الاصل يوحد وآخر متشابهت لانهم
 معانيها يعينان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه كما واثل السور واخر جمع اخرى وانما لم
 تنصرف لانه عدل بها عن الاخر لان اصلها ان يكون كذلك قال ابو عبيد لم تنصرف لان واحد
 لا ينصرف في معنى ولا نكرة وانكر ذلك المبرج وقد اختلف العلماء في تفسير المحكمات والمتشابهات على
 اقوال فقيل ان المحكم ما عرفت تاويله وفهم معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لاحد من علمه سبيل
 ومن القائلين بهذا جابر بن عبد الله والشعبي وسفيان الثوري قالوا وذلك نحو الحروف المقطعة
 في اوائل السور وقيل المحكم ما لا يحتمل الا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل وجوهاً فاذا ردت الى
 وجه واحد وبطل الباقي صار المتشابه محكماً وقيل ان المحكم ناسخه وحرامه وحلاله فرائضه
 وما يؤمن به ويعمل عليه والمتشابه منسوخه وامثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل عليه

روي هذا عن ابن عباس وقيل المحكم الناسخ والمنسوخ روي هذا عن ابن مسعود
وقنادة والربيع والضحاك وقيل المحكم الذي ليس فيه تصريح ولا تحريف عما وضع له
والمتشابه ما فيه تصريح وتحريف وتأويل قاله مجاهد وابن اسحاق قال ابن عطية وهذا
احسن الاقوال وقيل المحكم ما كان قائما بنفسه لا يحتاج الى ان يرجع فيه الى غيره والمتشابه
ما يرجع فيه الى غيره قال الفخاس وهذا احسن ما قيل في الحكمات والمتشابهات قال القرطبي
ما قاله الفخاس يبين ما اختاره ابن عطية وهو الجاري على وضع اللسان وذلك ان المحكم
اسم مفعول من احكم والاحكام الاتقان ولا شك في ان ما كان واضح المعنى لا اشكال فيه
ولا تردد دائما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته واتقان تركيبها ومتى اختلف احد الامر
جاء التشابه والاشكال وقال ابن خوارزمي زاد للمتشابه وجوه ما اختلف فيه العمل كما في
الايتين نسخته الاخرى كما في الحامل المتوفى عنها زوجها فان من الصحابة من قال ان آية وضع
احمل نسخت آية الاربعة الاشهر والعشرون ومنهم من قال بالعكس وكما اختلف في الوصية
لوارث وكما عارض الايتين ايها الاولى ان تقدم اذا لم يعرف النسخ ولم توجد شرائطه وكما عارض
الاخبار وتعارض الاقيسة هذا معنى كلامه قاله في ان يقال ان المحكم هو الواضح المعنى الظاهر
الدلالة اما باعتبار نفسه او باعتبار غيره والمتشابه ما لا يتضح معناه او لا يظهر دلالة
لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره واذا عرفت هذا عرفت ان الاختلاف الذي قد مناه
ليس كما ينبغي وذلك لان اهل كل قول عرفوا الحكم ببعض صفاته وعرفوا التشابه بما يقابلها
وبيان ذلك ان اهل القول الاول جعلوا الحكم ما وجد الى علمه سبيل والمتشابه ما لا سبيل
الى علمه ولا شك ان مفهوم الحكم والمتشابه اوسع دائرة مما ذكره فان مجرد الخفاء وعدم
الظهور والاحتمال والتردد يوجب التشابه واهل القول الثاني خصوا الحكم بما ليس فيه
احتمال والمتشابه بما فيه احتمال ولا شك ان هذا بعض اوصاف الحكم والمتشابه لا كلها
وهكذا اهل القول الثالث فانهم خصوا كل واحد من القسمين بتلك الاوصاف المعينة دون
غيرها واهل القول الرابع خصوا كل واحد منهما ببعض الاوصاف التي ذكرها اهل القول الثالث اوسع مما قالوه جميعا واهل
القول الخامس خصوا الحكم بوصف عدم التصريح والتحريف وجعلوا التشابه مقابله واهل القول السادس جعلوا سبيل

الى علمه من دون تعريض وتخريع كقوله السور المقلدة واهل القول السادس خصوصا
 الحكم بما يقوم بنفسه والمتشابه بما لا يقوم بها وان هذا هو بعض اوصافها وصاحب القول
 السابع وهو ابن خرازمي ادعى الى صورة الوفاق فجعلها محكما والى صورة الخلاف المتأخر
 فجعلها متشابهة فاهل ما هو اخص واصف كل واحد منهما من كونه باعتبار نفسه مفهوم ^{المعنى}
 او غير مفهوم وعن ابن عباس قال المحكمات ثلث ايات من اخر سورة الانعام قل تعالوا
 والايتان بعدها وفي رواية عنه قال من هنا قل تعالوا الى ثلث ايات ومن هنا وقضى بك
 الاعتبار والايات الى ثلث ايات بعدها واقول رحمه الله ابن عباس ما اقل جدوى هذا الكلام
 المنقول عنه فان تعيين ثلث ايات او عشر ومائة من جميع ايات القرآن ووصفها بأنها
 محكمة ليس تحتمه من الفائدة شي فالحكمات هي اكثر القرآن على جميع الاقوال حتى على قول المنقول
 عنه قريبا من ان المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه وحدوده وفوائده وما يؤمن به المتشابهة
 ما يقابلها فامعنى تعيين تلك الايت من اخر سورة الانعام وقيل المحكمات ما اطلع الله عباده
 على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته فهو اخبر عن اشرار الساعة
 وقيل الحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في اوائل السور وقيل ان الحكم ما تشكر
 الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل غير ذلك وللسلف اقوال كثيرة هي راجعة الى ما
 قد منا في اول هذا البحث فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ اي ميل عن الحق كوفد نجران وغيرهم
 والزيف الليل ومنه مزاعمت الشمس ومزاعمت الابصار ويقال زاغ يزغ زيفا اذا ترك القصد
 ومنه قوله تعالى فلما مزاعوا اناغ الله قلوبهم وزاغ وزال وما ل متقاربة لكن زاغ لا
 يقال الا فيما كان من حق الى باطل وقال الراغب الزيف الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين
فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ اي يحيلون الحكم على المتشابه والمتشابه على الحكم وهذه الآية
 تعم كل طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق وسبب النزول نصارى نجران فيتعلقون
 بالمتشابه من الكتاب فيشكلون به على المؤمنين ويجعلونه دليلا على ما هم فيه من البلية
 المأثلة عن الحق كما تجده في كل طائفة من طوائف البدعة فانهم يتلاعبون بكتاب الله تلاعبا
 شديدا ويوردون منه لتنفيق جهالهم ما ليس من الدلالة في شيء أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ اي

جلياً منهم لغتة الناس في دينهم والتلبس عليهم وافساد ذوات بينهم لا تحق بالحق وابتغاء
 تأويلها في تفسيره على الوجه الذي يريدونه ويوافق مذاهم الفاسدة قال الزجاج المعنى
 انهم طلبوا تأويل بعثهم واحياهم فاعلم الله عز وجل ان تاويل ذلك ودقته لا يعلمه الا الله و
 الدليل على ذلك قوله هل ينظرون الا انا وياه يوم يأتي تأويله اي يوم يرون ما يوعدون
 من البعث والنشور والعذاب يقول الذين نسوة اي تركوه قد جاءت رسل بنا بالحق
 اي قد اينا تأويل ما انبأنا به الرسل وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة قالت تلى رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله اولوا الالباب قالت قال اخا
 رايتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى فاحذر^{الله} روههم وفي لفظ فاذا رايت الذين يتبعون
 ما تشابه منه فاولئك ساء لهم الله فاحذر روههم هذا لفظ البخاري ولفظ ابن جرير وغيره فاذا
 رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه والذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فلا تجالسوهم
 واخرج الطبراني واحمد والبيهقي وغيرهم عن ابي امامة عنه صلعم قال هم الخوارج وما يجعلهم
 تأويل^{الله} الا الله التأويل يكون بمعنى التفسير كقولهم تأويل هذه الكلمة على كذا اي تفسيرها وكيف
 بمعنى ما يؤل الامر اليه واشتقاقه من ال الامر الى كذا اي صار واؤلته تأويله
 اي صيرته وهذه الجملة حالية اي يتبعون المتشابهة لا بتغاء تأويله والحال انه ما يعلم
 تأويله الا الله وقد اختلف اهل العلم في قوله والراشخون في العلم يقولون امنا به هل هو
 كلام مقطوع عما قبله او معطوف على ما قبله فيكون الواو للجمع فالذي عليه الاكثر انه مقطوع
 عما قبله وان الكلام تم عند قوله الا الله قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر
 بن عبد العزيز وابن السكيت وابي نعيم وغيرهم وهو من هب الكسائي والفراء والاخفش
 وابي عبيد وحكاها ابن جرير الطبري عن مالك واختاره حكاها الخطابي عن ابن مسعود وابي
 بن كعب قال وانما روي عن جاهد انه نسق الراشخين على ما قبله وزعم انهم يعلمونه قال واجتج
 له بعض اهل اللغة فقال معناه والراشخون في العلم يعلمونه قائلان امنا به وزعم ان موضع يقول
 نصب على الحال وعامة اهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه لان العرب لا تضم الفعل والمفعول
 معاً ولا تتركها الا مع ظهور الفعل فاذا لم يظهر فعل لم يكن حالاً ولو جاز ذلك لجاز ان يقال

عبد الله راكباً يعني اقبل عبد الله راكباً وانما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله عبد الله
يتكلم يصلح بين الناس فكان قول يصلح حالاً فكان عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النجاشيين له
اولى من قول مجاهد وحده وايضا فانه لا يجوز ان ينفي الله سبحانه شيئا عن الحق وينسبه
لنفسه فيكون له في ذلك شريك لا ترى قوله عز وجل قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وقوله لا يجليها لوقتها الا هو وقوله كل شيء هالك الا وجهه فكان هذا كله
ما استأثر الله سبحانه به لا يشركه فيه غيره وكذلك قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله ولوحا
الواو في قوله والراسخون للنسق لم يكن لقوله كل من عندنا فائدة انتهى قال القرطبي ما حكاه
الخطابي من انه لم يقل يقول مجاهد غيره فقد روي عن ابن عباس ان الراسخين معطون
على اسم الله عز وجل وانهم داخلون في علم المتشابه وانهم مع علمهم به يقولون امنا به وقالة
الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم ويقولون على هذا التأويل نصب
الحال من الراسخين ولا يخفالك ان ما قاله الخطابي في وجه امتناع كون قوله يقولون امنا
به حالاً من ان العرب لا تذكر حال الامع ظهور الفعل الى اخر كلامه لا يتم الا على فرض انه لا
فعل هنا وليس الا من كذلك فالفعل مذكور وهو قوله وما يعلم تأويله ولكنه جاء الحال
المعطوف وهو قوله والراسخون دون المعطوف عليه وهو قوله الا الله وذلك جائز في اللغة
العربية وقد جاء مثله في الكتاب العزيز ومنه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم الى قوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا والآية وكقوله وجاءت
ولللك صفا صفا اي وجاءت الملائكة صفا صفا ولكن هنما مانع اخر من جعل ذلك حالاً
وهو ان تعييد علمهم بتأويله بحال كونهم قائلين امنا به ليس صحيحاً فان الراسخين في العلم على القول
بصورة العطف على الاسم الشريف يعلمونه في كل حال من الاحوال الا في هذه الحالة الخاصة
فانقضى هذا ان جعل قوله يقولون امنا به حالاً غير صحيح فتعين المصير الى الاستيناف والنجزم
بان قوله والراسخون في العلم مبتدأ خبره يقولون قال البغوي وهذا اقيس بالعربية واشبه
بظاهر الآية ومن جملة ما استدلل به القائلون بالعطف ان الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في
العلم فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك ويجاب عن هذا بان تركم لطلب علم ما يأتى الله به

ولا جعل خلقه الى علمه سبيلا هو من رسوخهم لانهم علموا ان ذلك مما استأثراه بعلمه وان
الذين يتبعونه هم الذين في قلوبهم زيغ وناهيك لهذا من رسوخ واصل الرسوخ في لغة
العرب الثبوت في الشيء وكل ثابت راسخ واصله في الاجرام ان يرسخ الجبل او الشجر في الارض
فهو لا تثبتوا في امتثال ما جاءهم عن الله من ترك اتباع المتشابه وارجاع علمه الى الله سبحانه
ومن اهل العلم من توسطين المقالين فقال التاويل يطلق ويراد به في القران شيئا واحدا
التاويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤل امره اليه ومنه قوله هذا تاويل رؤياي ومنه قوله
هل ينظرون الا تاويله يوم يأتي تاويله اي حقيقة ما اخبروا به من امر المعاد فان اريد بالتاويل
هذا فالوقوف على الجلالة لان حقائق الامور وكنهها لا يعلمها الا الله عز وجل ويكون قوله التاويل
في العلم مبتدأ ويقولون انما به خيرة وامّا ان اريد بالتاويل المعنى الاخر وهو التفسير والبيان
والتعبير عن الشيء بقوله مبتدأ ويلي اي بتفسيره فالوقوف على الراسخون في العلم لانهم يعلمون
ويقومون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا بعلم الحقائق الاشياء على كنه ما هي عليه
وعلى هذا فيكون يقولون انما به حالهم ورجح ابن فورك ان الراسخين يعلمون تاويله اطبق
في ذلك وهكذا اجماعة من محققي المفسرين رجحوا ذلك قال القرطبي قال شيخنا احمد بن عمرو هو
الصحيح فان تسميتهم راسخين يقضي بانهم يعلمون اكثر من الحكم الذي يستوي في علمه جميع من
يفهم كلام العرب وفي اي شيء هو رسوخهم اذ لم يعلموا الا ما يعلم الجميع لكن المتشابه يتنوع فمنه
ما لا يعلم البتة كامر الروح والساعة مما استأثراه بعلمه وهذا لا يتعلمه علمه احد فمن قال من
العلماء اخذوا بان الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فانما اراد هذا النوع واما ما يمكن حمله على
وجه في اللغة فيتاويل ويعلم تاويله المستقيم ويزال ما فيه من تاويل غير مستقيم
انتهى وقال الرازي لو كان الراسخون في العلم عالمين بتاويله لما كان
لتخصيصهم بالايمان به وجه فانهم لما عرفوا بالذلائل صاد الايمان
به كالايمان بالحكم فلا يكون في الايمان به بخصوصه مزيد مدح
واقول هنا الاضطراب الواقع في مقالات اهل العلم اعظم اسبابه
اختلاف اقوالهم في تحقيق معنى الحكم والمتشابه وقد قدّمنا

ما هو الصواب في تحقيقهما وتزديك ههنا ايضا كما وبينا ما نقول ان من جملة ما يصدر
عليه تفسير المتشابه الذي قد مناه فوائح السود فانها غير متضمنة للمعنى ولا ظاهرة الدلالة بالنسبة
الى نفسها لانه لا يدري من يعلم بلغة العرب ويعرف عرف الشرع ما معنى الامر المشترك طرس طرس
ونحوها لانه لا يجد بياها في شيء من كلام العرب ولا من كلام الشرع في غير متضمنة للمعنى
لا باعتبارها نفسها ولا باعتبار امر اخر يفسرها ويوضحها ومثل ذلك الالفاظ المنقولة عن لغة
الجم والالفاظ العربية التي لا يوجد في لغة العرب ولا في عرف الشرع ما يوضحها وهكذا
استأثر الله بعلمه كالروح وما في قوله ان الله عنده علم الساعة ويتزل الغيث ويعلم ما في الاكام
الى الخ لاية ولخو ذلك وهكذا اما كانت دلالة غير ظاهرة لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره كور
الشيء محتملا لامين احتمالا لا يترجح احدهما على الاخر باعتبار ذلك الشيء في نفسه وذلك كالالفاظ
المشتركة مع عدم ورود ما يبين المراد من معني ذلك المشترك من الامور خارجة وكذلك
ورود دليلين متعارضين تعارض كلي بحيث لا يمكن ترجيح احدهما على الاخر باعتبار نفسه و
لا باعتبار امر اخر يرجحهما اما ما كان واضح المعنى باعتبار نفسه بان يكون معروفا في لغة العرب
او في عرف الشرع او باعتبار غيره وذلك كالامور المجردة التي ورد بياها في موضع اخر في الكتاب
العزيز والسنة المطهرة والامور التي تعارضت دلالتها ثم ورد ما يبين راجحها من مرجوحها
في موضع اخر من الكتاب والسنة او سائر المبرجات المعروفة عند اهل الاصول المقبول
عند اهل الانصاف فلا شك ولا ريب ان هذه من المحكمات المتشابهة ومن زعم انها من المتشابهة
فقد اشتبه عليه الصواب فاشدد يدك على هذا فانك تنجوه من مضائق ومزالق وقعت
للناس في هذا المقام حتى صادت كل طائفة تسميها حل لما نذهب اليه محكما وما حل على ما
ينذهب اليه من يخافها متشابهة لاهل علم الكلام ومن انكر هذا فعليه بمؤلفاتهم واعلم انه
قد ورد في الكتاب العزيز ما يدل على انه جميعه محكم لكن لا بهذا المعنى الوارد في الاية هذه بل
بمعنى اخر ومن ذلك قوله تعالى كتاب حكمت اياته وقوله تلك ايات الكتاب الحكيم والمراد
بالحكم هذا المعنى انه صحيح الالفاظ قوي المعنى فائق في البلاغة والفصاحة على كل كلام وورد
ايضا ما يدل على انه جميعه متشابه لكن لا بهذا المعنى الوارد في هذه الاية التي نحن بصدد

تفسيرها بل بمعنى آخر ومنه قوله تعالى كما يا متشابهها والمراد بالمتشابهة بهذا المعنى انه يشبه
بعضه بعضا في الصحة والفصاحة والحسن والبلاغة وقد ذكر اهل العلم لورود المتشابهة في القرآن
فوائد منها انه يكون في الوصول الى الحق مع وجودها فيه مزيد صعوبة ومشقة وذلك
يوجب مزيد الثواب للمستخرجين للحق وهو لامة للمجتهدون وقد ذكر الزمخشري والوازي وغيرهما
وجوها هذا الحسنها وبقيتها لا تستحق الذكر ههنا واخرج ابن جرير والحاكم وصححه عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف
واحد وتزل القرآن على سبعة احرف زاجر وامر وحلال وحرام وصحكم ومتشابه وامثال
فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما امرتم به وانتهوا عما نهيتهم عنه واعتبروا بمثاله اعلموا
بحكمه وامنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل القرآن على سبعة احرف والمراد في القرآن كفر ما عرفتم فاعملوا
به وما جهلتم منه فردوه الى علمه واسناده صحيح واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس
تفسير القرآن على اربعة وجوه تفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعذر الناس بجهالة من جلال
او حرام وتفسير تعرفه العرب بلغتها وتفسير لا يعلم تاويله الا الله من ادعى علم فهو كاذب
واخرج الدارمي في مسنده ونصير المقدسي في الحجة عن سليمان بن يسار ان رجلا يقال لضبيع
قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فارسل اليه عمرو قد اعد له عراجين النخل فقال من
انت فقال انا ضبيع فقال وانا عبد الله عمر فاخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضرب به حتى دمي
راسه فقال يا امير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت اجد في راسي واخرج الدارمي
ايضا من وجه اخر وفيه انه ضرب به ثلاث مرات يتركه في كل مرة حتى يبرء ثم يضرب باصل
القصة اخرج ابن عساكر في تاريخه عن انس واخرج الدارمي وابن عساكر ان عمر كتب الى اهل البصرة
ان لا تجالسوا ضبيعا وقد اخرج هذه القصة جماعة واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني
عن انس وابي امامة واثالة بن الاسقع وابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرازي
في العلم فقال من برت عيینه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه قل
من الرازيين في العلم واخرج ابو داود والحاكم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في القرآن كفر اخرج نصر المقدسي في الحجة عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه و
 اله وسلم ومن وراء حجرته قوم يتجادلون بالقرآن فخرج حمزة وجنتاه كما نفا تقطران دما فقال يا
 قوم لا تجادلوا بالقرآن فانما ضل من كان قبلكم يجد الامان القرآن ليرى ان لي كذب بعضه
 ولكن تزل يصدق بعضه بعضا فما كان من محكمه فاعملوا به وما كان من متشابهه فامتنوا به
 كل من عند ربنا فيه ضمير مقدر عما تد على قسمي الحكم والمتشابه اي كله والخذوف ضمير
 اي كل واحد منهما وهذا من تمام المقول المذكور قبله وما يدرك الا اول الكتاب اي العقول
 الخالصة وهم الراستخون في العلم الواقفون عند متشابهه العالمون بحكمه بما ارشد الله اليه
 في هذه الآية ربنا لا تزغ قلوبنا قال ابن كيسان سألوا ان لا يزغوا فتزغ قلوبهم فقولته تعالى فلما
 زاغوا انزع الله قلوبهم كما هم لما سمعوا قوله تعالى واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
 منه قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا يا ربنا مع المتشابه بعد اذ هذا يتنا الى الحق بما اذنت لنا من العمل
 بالآيات والحكمات وهب لنا من لدنك رحمة اي كائنة من عندك ومن لا بد من الغاية
 ولدن بفتح اللام وضم الدال وسكون النون وفيه لغات اخر هذه افضها وهو ظرف مكان
 قد يضاف الى الزمان وتذكير رحمة للتعظيم اي رحمة عظيمة واسعة ترلفنا اليك ونفوز بها
 عندك او توفيقا للشيات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب تعليل للسؤل لا عطاء
 السؤل وهذا العموم مفهوم من عدم ذكر الموهوب فالخصيص به هو هوب مسؤل دون اخر
 تخصيص بلا تخصيص وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم به
 على عباده لا يجب عليه شيء لانه وهاب اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم ان النبي صلى الله عليه كان
 يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقرأ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية
 وقد ورد شعور من طرق اخر ربنا لا تزغ قلوبنا على دينك كما مع الناس اي باعتمهم ومحييمهم بعد تغريقهم وهو
 اضافة الفاعل الى المفعول ليوم هو يوم الحساب اي بحساب يوم القيمة او بحساب يوم على تقدر
 حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لا ريب فيه اي في وقوعه وقوع ما فيه من
 الحساب والجزاء وتقدر تفسير الريب ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون ما قبلها اي ان
 الوفاء بالوعد شان لاله سبحانه وخلفه بخلاف الوهية كما انها تنافيه واظهار الاسم

الجليل لابرار كمال التعظيم والاحلال الناشي من ذكر اليوم المصيب الهاكل بخلاف ما في آخر
 هذه السورة فإنه مقام طلب الانعام والميعاد مفعال من الوعد بمعنى المصدق لا الزمان و
 المكان قاله ابو البقاء واليه اشار في التقرير وفيه التفات من الخطاب ويحتمل ان يكون من
 كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان انهم امر الاخرة ولذلك سألوا الشياطين على ان ياتوا
 ثوابها اخرج ابن الجار في تاريخه عن جعفر بن محمد الخلدی قال روي عن النبي صلى الله
 عليه واله وسلم ان من قرأ هذه الآية على شيء ضاع منه رده الله عليه ويقول بعد قراءتها
 يجمع مع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين مالي انك على كل شيء قدير ان الذين
 كفروا المراد بالذين كفروا جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفدجران وقيل قريظة
 وقيل النصير وقيل مشركوا العرب كن تغني اي لن تنفع وان تدفع عنهم اموالهم ولا ولا ولا
 من الله اي من عذابه شيئا اي شيئا من الاغناء ومن لا ابتداء لغاية مجازا وقيل ان
 كلمة من بمعنى عند اي لا تغني عند الله شيئا قاله ابو عبيد وقيل هي بمعنى بدل والمغنى بدل
 رحمة الله قاله القاضي وهو بعيد قال ابو حيان انكرا كثر النفاة بل هي لا ابتداء لغاية كما
 قاله المبرز وأولئك هم وقود النار والوقود اسم للحطب وقد تقدم الكلام عليه في سورة
 البقرة اي هم حطب جهنم الذي تسع به والجملة مستأنفة مقررة لقوله لن تغني عنهم
 اموالهم الآية وقرئ وقود بضم الواو وهو مصدر اي هم اهل وقود كدأب ال فرعون
 الدأب الاجتهاد يقال دأب الرجل في عمله يدأب دأبا ودأبا اذا جلد واجتهده والدأبان
 الليل والنهار والدأب الحال والعادة والشأن والمراد هنا كعادته ال فرعون وشأنهم حاله
 وقال ابن عباس كفعل ال فرعون صنيعهم في الكفر وقيل كسنة ال فرعون واختلفوا في
 الكاف فقيل دأبهم كدأب ال فرعون مع موسى وقال الفراء كبرت العرب ككفر ال فرعون
 النحاس قيل اخذهم اخذة كما اخذ ال فرعون وقيل لم تغن عنهم غناء كما لم تغن عن ال فرعون و
 قيل العامل فعل مقدر ومن لفظ الوقود ويكون التشبيه في نفس الامراق قالوا ويؤيده قوله
 تعالى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا والقول الاول هو
 الذي قاله الجمهور من المفسرين ومنهم من لا يري ذلك من قائلين من قتل ال فرعون من الامم

الكافرة الماضية مثل عاد وثمود وغيرهما وكذا الذين من قبلهم كذا يابا يابا لما جاءهم
 بها الرسل يحتمل ان ياد بآيات المتلوقة ويحتمل ان ياد بها الآيات المنصوبة للدلالة على الوحدانية
 ويصح ارادة الجميع وقال في الانفال كذبوا وفي موضع اخر منها كفروا فنكروا على عادة العرب
 في تفنيدهم في الكلام فآخذ هم الله يد توب هم اي فماتهم الله بسبب تكذيبهم والمراد سائر
 ذنوبهم التي من جملة تكذيبهم والله شديد العقاب اي شديد عقابه فلا ضافة غير محضة
 وقيل المعنى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النعمة والعقوبة مثل
 ال فرعون وكفار لام الماضية فآخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم قل للذين كفروا
 سَتُغْلَبُونَ وَيَحْشُرُونَ اِلَى جَهَنَّمَ قِيلَ هُمُ الْيَهُودُ وقيل هم مشركوا مكة وقد صدق الله وعده
 بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضمى بها الجزيرة على سائر اليهود والله احمد قوى
 الفعلان بالتاء والياء فعلى الاولى معناه قل لهم سَتُغْلَبُونَ وَيَحْشُرُونَ وعلى الثانية معناه ^{محمد} سَتُغْلَبُونَ
 صلى الله عليه وسلم انهم سَيُغْلَبُونَ وَيَحْشُرُونَ وَيَكْفُرُونَ يحتمل ان يكون من تمام القول
 الذي امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ويحتمل ان يكون الجملة مستأنفة ^{تلي} مستأنفة
 وتقطيعا اي بشئ ما مهد لهم في النار والمهاد الفراش قد كان لكم آية اي علامة عظيمة
 دالة على صدق ما اقول لكم وهذه الجملة من تمام القول لما مر به لتقرير مضمون ما قبله و
 لليهود وقيل لجميع الكفار وقيل للمؤمنين وعلى الاخيرين تكون الآية مستأنفة غير مرتبطة
 بما قبلها ولم يقل كانت لان التاكيد غير حقيقي وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد
 كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال القراء انما ذكرناه كذا لانه حاله الصفة بين
 الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان
 لكم عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم سَتُغْلَبُونَ في فئتين اي فرقتين واصلا في الفئتين
 لان بعضهم يعني الى بعض اي يرجع والفئة الجماعة ولا واحد لها من لفظها وجمعها فئات
 وقد تجمع بالواو والنون جبر لما نقص وسميت الجماعة من الناس فئة لانه يُفَاء اليها اي يرجع
 وقت الشدة قاله القرطبي وقال الزجاج الفئة الفرقة مأخوذة من فأوت راسه بالسيف
 اذا قطعتة التفتك الاخلاص ان المراد بالفئتين هما المقتتلان يوم بدر وانما وقع الاختلاف

في الخطاب بهذا الخطاب فقبل الخطاب به المؤمنون وبه قال ابن مسعود وأحسن وقيل
 اليهود وفائدة الخطاب للمؤمنين تثبت نفوسهم وتشجيعها وفائدة إذا كان مع اليهود عكس
 الفائدة المقصودة بخطاب المسلمين وقيل هو خطاب لكفار مكة ففئة تقايل في سبيل الله
 أي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر
 رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون رجلا من الأنصار
 وكان صاحب رؤية المهاجرين علي بن أبي طالب صاحب رؤية الأنصار سعد بن عباد و
 كان فيهم سبعون بغير وفوسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وأكثر
 رجالة وأخرى كافرقة وهم مشركو مكة وكانوا تسعة مائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان
 رأسهم عتبة بن ربيعة وكان فيها مائة فارس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهيد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وفي الكلام شبهة احتباك تقديرة فئة مؤمنة تقايل
 في سبيل الله وأخرى كافرقة تقايل في سبيل الشيطان فخذ من الأول ما يفهم من الثاني و
 من الثاني ما يفهم من الأول يَوْمَ مِثْلَيْكُمْ رَأَى الْعَيْنُ قال أبو علي الفارسي الروية في
 هذه الآية رؤية العين ولذلك تعدت إلى مفعول واحد ويدل عليه قوله رأيت العين
 المراد أنه يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين أو مثلي عدد المسلمين وقد ذهب الجمهور
 إلى أن فاعل يرون هم المؤمنون والمفعول هم الكفار والضمير في مثليهم محتمل أن يكون للمشركين
 أي يرون المسلمون المشركين مثلي ما هم عليه من العدد وفيه بعد أن يكثر الله المشركين في
 أعين المسلمين وقد أخبرنا أنه قللهم في أعين المؤمنين فيكون المعنى ترون أيها المسلمون
 المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلثة أمثالهم فقلل الله المشركين في أعين المسلمين فأراهم
 أيهم مثلي عدد تم لتقوى أنفسهم للمسلمين أي ترون أيها المسلمون أنفسكم مثلي ما أنتم عليه
 من العدد لتقوى بذلك أنفسكم وقد قال من ذهب إلى التفسير الأول أعني أن فاعل الروية
 المشركون وأنهم رأوا المسلمين مثلي عدد هم أنه لا ينافي هذا في سورة الأتقال من قوله تعالى
 ويقللكم في أعينهم بل قلوا أولا في أعينهم ليلاقوه ويخترعوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم
 حتى غلبوا ورأيت العين مصداق مؤكدا لقوله يرونهم أي روية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها

وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ أَي يَقْوِي مَن يَشَاءُ أَن يَقْوِيَهُ وَلَوْ بَدَّلُوا الْأَسْبَابَ الْعَادِيَةَ
وَمِنْ حِجَّةِ ذَلِكَ تَأْيِيدُ أَهْلِ بَدْرَ بِنَصْرِكَ الرَّوِيَّةُ أَنَّ فِي ذَلِكَ أَي فِي رَوِيَّةِ الْقَلِيلِ كَثِيرًا الْعِبَرَةُ فَطَلَّةُ
مِنَ الْعِبَرِ كَالْجُلُوسِ مِنَ الْجُلُوسِ وَالْمَرَادُ الْأَتَاعُ وَالْتِكَادُ لِلتَّعْظِيمِ أَي عِبَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَوْعِظَةٌ
جَسِيمَةٌ لِأَوَّلَى الْأَبْصَارِ عَنِ الرَّبِّ يَقُولُ قَدْ كَانَ لَكُم فِي هَؤُلَاءِ عِبَرَةٌ وَمَتَفَكَّرُوا فِيهِمْ اللَّهُ وَنَصْرُهُمْ
عَلَى عَدُوِّهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ كَانَ الْمَشْرُوكُونَ تِسْعًا مِائَةً وَخَمْسِينَ رَجُلًا وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثَلَاثًا مِائَةً وَثَلَاثَةً عَشَرَ رَجُلًا وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ هَذَا يَوْمٌ بَدْرٌ نَظَرْنَا إِلَى الْمَشْرُوكِينَ فَوَيْلًا
يَضَعُفُونَ عَلَيْنَا ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْهِمْ فَمَارَيْنَا بِهِمْ زَيْدٌ وَنَظَرْنَا رَجُلًا وَاحِدًا وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أُنْزِلَتْ
فِي التَّخْفِيفِ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ ثَلَاثًا مِائَةً وَثَلَاثَةً عَشَرَ رَجُلًا وَكَانَ الْمَشْرُوكُونَ مِثْلَهُمْ
سِتْمِائَةً وَسِتَّةً وَعَشْرِينَ فَأَيَّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنًا لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ
لِيَبَانَ حَقَارَةُ مَا تَسْتَلْزِمُهُ النَّفْسُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَتَزْهِيْدُ النَّاسِ فِيهَا وَتُوجِّهُ رَغْبَاتَهُمْ
إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ وَالْمُزَيْنُ قِيلَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَبِهِ قَالَ عُمَرُ كَمَا حَكَاهُ عَنْهُ الْخَارِجِيُّ وَغَيْرُهُ وَيُؤَيِّدُ
قَوْلُهُ تَعَالَى أَنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ عَجَاهِدِينَ عَلَى الْبِنَاءِ
لِلْفَاعِلِ وَقِيلَ الْمُزَيْنُ هُوَ الشَّيْطَانُ وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَقَدْ جَاءَ صَرِيحًا فِي قَوْلِهِ وَزَيْنَ لَهُمْ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ وَالْآيَةُ فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى
وَالْمَرَادُ بِالنَّاسِ الْخَبَسُ وَالشَّهَوَاتُ جَمْعُ شَهْوَةٍ وَهِيَ تَرْوِغُ النَّفْسِ إِلَى مَا تَرِيدُهُ وَتَوْقَانِ النَّفْسِ
إِلَى الشَّيْءِ الْمَشْتَهَى وَالْمَرَادُ هُنَا الْمَشْتَهِيَّاتُ عَمَّا عَنِهَا الشَّهَوَاتُ مَبَالِغَةٌ فِي كَوْنِهَا مَرْغُوبًا فِيهَا أَوْ
لِهَا كَوْنُهَا مَسْرُوعَةً عِنْدَ الْعُقَلَاءِ مِنْ صِفَاتِ الطَّبَائِعِ الْبَهِيمِيَّةِ وَالشَّهْوَةُ أَمَّا كَاذِبَةٌ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ أَوْ صَادِقَةٌ كَقَوْلِهِ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ
قَالَ الْكُرَيْشِيُّ وَوَجْهٌ تَزِينُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهَا ابْتِلَاءٌ عِبَادَهُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى مِنَ النَّسَاءِ
بَدَأَ الْبَنَاتُ لِكَثْرَةِ تَشَوُّقِ النَّفْسِ إِلَيْهِنَّ وَالْإِسْتِنْسَاءُ وَالْإِلْتِنَازُ بِهِنَّ لِأَنَّهُنَّ جَبَائِلُ الشَّيْطَانِ
وَاقْتَرَبَ إِلَى الْإِفْتِتَانِ وَالتَّبَيُّنِ خَصْمَهُمْ دُونَ الْبَنَاتِ لَعَدَمِ الْأَطْرَافِ فِي مَحَبَّتِهِنَّ وَلِأَنَّ حُبَّ
الْوَلَدِ الَّذِي تَرَكَ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّ الْأَنْثَى وَالْقُنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ جَمْعُ قَنْطَارٍ وَهُوَ سَمٌّ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ قَالَ
الزَّجَاجُ الْقَنْطَارُ مَا خُذَ مِنْ عَقْدِ الشَّيْءِ وَاحِدًا مَقُولُ الْعَرَبِ قَنْطَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَحْكَمْتَهُ

ومنه سميت المقنطرة لاحكامها وقد اختلف في تقديره على اقوال للسلف اخرج
احمد وابن ماجه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القنطار
اثنا عشر الف اوقية واخرج الحاكم وصححه عن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن القناطر
المقنطرة فقال القنطار الف اوقية ورواه ابن ابي حاتم عنه مرفوعا بلفظ الفينار واخرج
ابن جرير عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الف اوقية وماثنا
اوقية وبه قال معاذ بن جبل وابن عمر وابو هريرة وجماعة من العلماء قال ابن عطية وهو
اصح الاقوال ولكن يختلف باختلاف البلاد في قدر الاوقية وعن ابي سعيد الخدري
قال القنطار مائة مثقال الثور ذهابا وعن ابن عمر سبعون الفا وعن سعيد بن المسيب
ثمانون الفا وعن ابي صالح مائة رطل وعن ابي جعفر خمسة عشر الف مثقال والمثقال
اربعة وعشرون قيراطا وعن الضحاك قال هو المال الكثير من الذهب والفضة وعن السدي
ان المقنطرة المضروبة وقال ابن جرير الطبري معناها المضعفة وقال القناطر ثلثة والمقنطرة
تسعة وقال الفراء القناطر جمع القنطار والمقنطرة جمع الجمع فيكون تسعة قناطر قيل
المقنطرة المكملة كما يقال بدرة مبدرة والوف مؤلفه وبه قال مكي وحكاة الهروي
وقال ابن كيسان لا يكون للمقنطرة اقل من سبع قناطر وفي فونه قولان احدهما وهو
قول جماعة انها اصلية وان وزنه فعلا كقيراطس والثاني انها زائدة ووزن فعال من
الذهب والفضة من بياينة وانما بدأ بالذهب والفضة من بين سائر اصناف
الاموال لانها قيم الاشياء قيل سمي الذهب ذهباً لانه يذهب ولا يبق والفضة لانها
تنفض اي تنفق واخيّل المسومة عطف على النساء لانه لا يذهب لانها لا تنفق قناطر
قاله ابو البقاء وتوهم مثل هذا بعيد جداً فلا حاجة الى التنبيه عليه قيل هي جمع لا واحدة
من لفظه كالقوم والرهط بل مفردة فرس وسميت الافراس خيلاً لاختيارها ومشتبهاً
وقيل لان اخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه خيلة اي عجا وقيل واحد خائل كراكب
وركب وتاجر وتجر وطائر وطير وفي هذا خلاف بين سيويه والاحفش فيسيويه يجعله
اسم جمع والاحفش يجعله جمع تكسير واختلفوا في معنى المسومة فقيل هي للرعية في المروج

وليسARCH يقال ساءت الدابة والساعة اذا سحرت وقيل هي المعدة للجهاذ وقيل المعلة من
 السومة وهي العلامة اي التي يجعل عليها علامة لتتميز عن غيرها قال ابن فارس في المحل
 السومة المرسله وعليها ركبناها قال ابن عباس هي الراعية والمطهمة الحسان وبه قال
 بجاهد وقال عكرمة تسويها حسنهما اي الغرة والتجمل وقال ابن كيسان البلق والاعنام
 هي الابل والبقر والغنم فاذا قلت نعم في الابل خاصة قاله الفراء وابن كيسان واحترث اسم
 لكل ما حثرت وهو مصدر سمي به المحرث تقول حرت الرجل حرتا اذا اثار الارض فيقع على الارض
 واحترث والزرع قال ابن الاعرابي احترث التفتيش ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا اي ما يقع
 به توبذ هب ولا يبق وفيه تهديد في الدنيا وتغليب في الآخرة والله عندك حسن المآب
 اي المرجع وهو الجنة يقال اب يوب اياك اذا بضع وفيه اشارة الى ان من اتاه الله الدنيا كان
 الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى قل
 أو تبتكم اي اخبركم استفهام تقرير وليس في القرآن همزة مضمومة بعد مفتوحة الا ما هنا
 وما في ص اترل عليه الذكر وما في اقتربت عاقي الذكر عليه تحريم ذكر اي ما هو
 خير لكم من تلك المستلذات ومتاع الدنيا واهلها من الخمر للتخيير ثم بينه بقوله للذين اتقوا
 عند ربهم جنت تجري من تحتها الأنهار رخص المتقين لانهم المنتفعون بذلك ويدخل في
 هذا الخطاب كل من اتقى الشرك وقال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار والاول اولي
 خليل بن اي مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها واذا راجع مطهرة من الحيض والنفس والنبي
 والبنات وغيرها يستقروا برضوان بكسر اوله وضمة لغتان وقد قرئ بهما في السبع في جميع
 القرآن الا في المائة فانه بالكسب يتفارق السبعة وهو قوله من اتبع رضوانه وها بمعز واحد
 وان كان الثاني سماعيا والاول قياسيا والتثنية للتكثير اي رضى كثير من الله عن ابي سعيد
 اخبرني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون
 ليسك ربنا وسعديك واخير كلمة في يدك فيقول هل رضىتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
 اعطينا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيتكم افضل من ذلك فيقولون اي شيء افضل من ذلك فيقول
 احل عليكم رضىي فلا ينخط عليكم بعد ابد اخره الجنان ومسلم والعبد اذا علم ان الله قد رضى عنه كان اتم

لمورده واعظم لفرجه والله بصير بالعباد أي عالم بمن يؤثر ما عنده من يؤثر شهود الدنيا
فيما يري كلا على عمله فيثبت يعاقب على قدر الأعمال وقيل بصير بالذين اتقوا فلذلك اعدل لهم
الجنات الذين يقولون ربنا أنما كنا مغفرون لنا ذنوبنا وفينا عذاب الشار في ترتيب هذا
السؤال على مجرد الإيمان دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة وفيه رد على أهل الاختلال
لأنهم يقولون ان استحقاق المغفرة لا يكون بمجرد الإيمان قاله الكرخي الصيرين والصدوقين
والقنبرين والمستفيين قد تقدم تفسير الصبر والصدق والقنوت والافتاق عن قتادة قال
قوم صبروا على طاعته وصبروا عن معارضة وصدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسننهم
وصدقوا في السر والعلامة والقانون هم المطيعون والمستغفرون هم السائلون للمغفرة
وقيل أهل الصلوة وقيل هم الذين يشهدون صلوة الصبح وعن عباس قال سمنا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نستغفر بالاسحار سبعين مرة وعن سعيد الحميري
قال بلغنا ان داود عليه السلام سأل جبريل أي الليل فضل قال يا داود ما أدري الا ان
العرش يهتز في السحر وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر
فيقول هل من سائل فاعطيه هل من داع فاستجب له هل من مستغفر فاعفر له وفي الباب
احاديث وفيه وفي مثاله مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه
وهو الحق بالاشكال جمع سحر بفتح الحاء وسكونها قال الزجاج هو من حين يدبر الليل ان يطلع الفجر
وقال الراغب السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار ثم جعل ذلك اسما لذلك الوقت وقيل
السحر من ثلث الليل الاخير الى طلوع الفجر وقيل السحر عند العرب من آخر الليل ثم يستمر حكم الاسف
كله يقال له سحر والسحر بفتح فسكون منتهى قصبة الحلقوم وخص الاسحار لانها من اوقاد الاجابة
اولاها وقت الغفلة ولذة النوم شهد الله أي بين الله واعلم قال الزجاج الشاهد هو الذي
يعلم الشيء ويبينه فقد دلنا الله على وحدانيته بما خلق وبين قال ابو عبيدة شهد الله بمعنى
قضاي اعلم قال ابن عطية وهذا مردود من جهات وقيل انها شبهت حالته صلى الله عليه وآله وسلم وحداثته
بأنصالة ووحية بشهادة الشاهد في كونها مبينة ان كماله الاكبر سئل بعض الاعراب بالليل

على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وانار القدم تدل على المسير فهيكلكم بهذه
الطائفة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدل ان على وجود الصانع انجبر وفي القرآن من دلائل
التوحيد كثير طيب وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله والملائكة عطف على
الاسم الشريف وشهادتهم اقرارهم بانه لا اله الا هو والو العليم معطوف ايضا على ما قبله وشهادتهم
بعبادته ايمان منهم وما يقع من البيان للناس على السنن وعلى هذا لا بد من حمل الشهادة على
معنى يشمل شهادة الله وشهادة الملائكة واولى العلم وقد اختلف في اولى العلم هؤلاء من فقيل
هم الانبياء وقيل المهاجرون والانصار قاله ابن كيسان وقيل مؤمنوا اهل الكتاب قاله مقاتل
وقيل المؤمنون كلهم قاله السدي والكلبي وهو الحق اذ لا وجه للتخصيص وفي ذلك فضيلة لاهل
العلم جليلة ومنقبة نبيلة لقربهم باسمه واسم ملائكته والمراد باولى العلم هنا علماء الكتاب
والسنة وما يتوصل به الى معرفتهما اذ لا اعتداد بعلم لا مدخل له في العلم الذي اشتمل عليه
الكتاب العزيز والسنة المطهرة قائما بالقياس بالعدل في جميع اموره او مقيما له وانتصاب
قائما على احوال من الاسم الشريف قال جعفر الصادق الاولى وصف وتوحيد والثانية اسم وتعليم
اي قولوا لا اله الا هو وقيل كره للتاكيد وقائدة تكريرها الاعلام بان هذه الكلمة اعظم
الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها ولا اشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل
بافضل العبادات وقوله العزيز الحكيم قلتم ايرغمنا او حدانية ان الدين عند الله حجة مستقلة
واية مستقلة على قراءة كسر ان واما على قراءة فتحها فهو من بقية الآية السابقة الاسلام
يعني الدين المضي هو الاسلام المبني على التوحيد كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً
قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه امهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول
في السلم وهو الاتقياء والطاعة وقد ذهب الجمهور الى ان الاسلام هنا بمعنى الايمان وان كانا
في الاصل متغايرين كما في حديث جبريل الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام الايمان صدقه
جبريل وهو في الصحيحين وغيرهما ولكن قد يسمى كل واحد منهما باسم الآخر وقد ورد ذلك في الكتاب
والسنة قال قتادة الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء به الرسول من عند الله وهو
دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسوله ودل عليه اولياؤه لا يقبل غيره وعلى الضم

قال لم يبعث الله رسولا الا بالاسلام وعن الاعمش قال انا شهيد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عند الله وقرأ ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا فلت وانا ايضا اشهد كما شهد الاعمش وبالله التوفيق وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فيه الاخبار بان اختلاف اليهود والنصارى كان مجرد البغي بعد ان علوا بانهم يجب عليهم الدخول في دين الاسلام بما تضمنته كتبهم المنزلة اليهم قال الاخفش وفي الكلام تقديم وتأخير والمعنى ما اختلف الذين اوتوا الكتاب في بغي اسرائيل بغيا بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم وفي التعبير عنهم بهذا العنوان زيادة تقيح لهم فان الاختلاف بعد اتيان الكتاب اقبح وقوله الا من بعد زيادة اخرى فان الاختلاف بعد العلم ازيد في القباحة وقوله بغيا بينهم زيادة ثالثة لانه في حيز الحصر فيكون ازيد في القبح والكتاب هو التوراة والانجيل والمراد بهذا الخلاف الواقع بينهم هو خلافهم في كون نبينا صلى الله عليه وسلم نبيا ام لا وقيل في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاة اخرون مطلقا وقيل في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل اختلافهم في نبوة عيسى وقيل اختلافهم في ذات بينهم حتى قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقال النصارى ليست اليهود على شيء قال ابو العالية بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها فقتل بعضهم بعضا على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس وسلطان الله عليهم الجبارة ومن كلف يات الله الدالة على ان الدين عند الله الاسلام او ثبات اية كانت على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله سريع الحساب يجازيهم على كفره باياته والاظهار في قوله فان الله مع كونه مقام الاضمار للتهويل عليهم والتمديد لهم فان حاجوك يا محمد صلماي خاصمك وجادلوك اليهود والنصارى بالشبه الباطلة والاقوال المحرفة بعد قيام الحجة عليهم في ان الدين عند الله هو الاسلام فقل اسلمت ونحيي لله اي اخلصت ذاتي لله وانقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وعبر بالوجه عن سائر الذات لكونه اشرف اعضاء الانسان واجمعها للحواس وقيل الوجه هنا بمعنى القصد ومن اتبعني غطف على فاعل اسلمت وجاز للفصل وقال الزمخشري الواو بمعنى مع وقل الذين اوتوا

الكتب يعني اليهود والنصارى والأماييين الذين لا كتاب لهم مشركوا العرب وقال ابن عباس هم الذين لا يكتبون وأسلمتمهم استغفمهم تقريبي يتضمن الامراي اسلموا الكذا قال ابن جرير وغيره وقال الزجاج اسلمتمهم يد والمعنى انه قد اتاكم من البراهين ما يوجب الاسلام فهل علمتم بوجوب ذلك ام لا تنبكتا لهم وتصغير الشانهم في قلة الانصاف وقبول الحق لان المنصف اذا خلعت له الحجة لم يتوقف في اذعان له الحق فَاِنْ اَسْلَمُوا فَقَدْ دَخَلَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْمَاضِي مَبَالِغَةً في تحقيق وقوع الفعل وكأنه قرب من الوقوع اهتدوا اي ظفروا بالهداية التي هي الخط الاكبر وفازوا بخيري الدنيا والاخرة وَإِنْ تَوَلَّوْا اي اعرضوا عن قبول الحجة ولم يعملوا بوجوبها فَأَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ اي انما عليك ان تبلغهم ما انزل اليك ولست عليهم بمصيطر فلا تنهك نفسك عليهم حصرات والبلاغ مصد بمعنى التبليغ قيل الآية محكمة والمراد بها تسليية النبي صلى الله عليه واله وسلم وقيل منسوخة بآية السيف وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فيه وعد ووعد لتضمنه انه عالم بجميع احوالهم إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ عدم الفرق بين آية وآية وهم اليهود والنصارى وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ يعني اليهوس قتلوا الانبياء بغير حق إِنَّمَا قِيدَ بِذَلِكَ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ بغير حق في اعتقادهم ايضا فهو ابلغ في التشنيع عليهم وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ اي القسط اي العدل من الناس قال المبرد كان ناس من بني اسرائيل جاءهم النسيون فدعوههم الى الله فقتلوههم فقام ناس من بعدهم من المؤمنين فامروهم بالاسلام فقتلوههم ففهم انزل الآية بَنِي إِسْرَءِيلَ بعد آية النبي خبر لقوله ان الذين كفروا وذهب بعض النحاة الى ان الخبر قوله اولنا والذ حبطت اعمالهم ومنهم سيبويه والاعفشي وذكر البشارة تمكيرا بهم وقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه واله هذه الآية الى قوله وما لهم من ناصي يَنْ قُلْ قال رسول الله صلى الله عليه واله يا ابا عبيدة قتل بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهى عن المنكر فقتلوه جميعا من اخر النهار من ذلك اليوم

فهم الذين ذكر الله في كتابه واتزل الآية فيهم وعن ابن عباس بسند صحيح قال بعثت عيسى
يحيى بن زكريا في اثني عشر رجلا من الحواريين يعلمون الناس فكان ينهى عن نكاح بنت الأخ
وكان ملك له بنت اخ تعجبه فارادها وجعل يقضي لها كل يوم حاجة فقالت لها امها اذا
سألك عن حاجة فقولي حاجتي ان تقتل يحيى بن زكريا فقال لي غير هذا فقالت لا اسألك
غير هذا فلما ابت امر به فذبح في طست فبدرت قطرة من دمه فلم يزل يغلي حتى بعث
الله نحت نصي فدلته بحوز عليه فالقي في نفسه ان لا يزال يقتل حتى يسكن هذا الدم فقتل
في يوم واحد من ضرب واحد وسن واحد سبعين الفا سكن أولئك الذين حيطت اليهم
بطلت أعمالهم كصدقة وصلة رحم في الدنيا والآخرة اي انه لم يبق لحسناتهم ثمر في الدنيا
حتى يعاملوا فيها معاملة اهل الحسنات لعدم الاسلام بل عوملوا معاملة اهل السيئات
فلعنوا وحل بهم الخزي والصغار ولهم في الآخرة عذاب النار وما نهم من نصيبين يمتنعون
من العذاب أكرم ترأى الذين أوثوا نصيبا من الكتاب فيه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه
والله وسلم او لكل من تصح منه الرؤية من حال هؤلاء وهم اجدار اليهود والكتاب التورية
وتكبير النصيب للتعظيم اي نصيبا عظيما كما يفيد مقام المبالغة والمراد بذلك النصيب ما
بين لهم في التورية من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوته النبي صلى
وحقيقة الاسلام والتعبير عنه بالنصيب لاشعار بكلال اختصاصه بهم ومن قال ان التنكير
للتحقير فلم يصح فيهم ان اختلافهم انما كان بعد ما جاءهم العلم فلا ينتفعوا بذلك وذاك بما
يدعون الى كتب الله الذي اوثوا نصيبا منه وهو التورية ليحكم بينهم اضافة الحكم
الى الكتاب هو على سبيل المجاز ثم يتولى عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم والاستبعاد لا التراخي
في الزمان فترى منهم في الرؤساء والعلماء وهم معروضون اي واحال انهم معروضون
عن الاجابة الى ما دعو اليه مع علمهم به واعترافهم بحجب الاجابة اليه قال السيوطي
تزل في اليهود زني منهم اثنان فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم عليهم بالرجوع فابوا فاجى بالتورية فوجها
فجما فغضبوا ذللك اي ما من من التولية ولا عر عن يائهم قالوا ان تمسنا النار الا
اينا ما معد وذيت اي اربعين يوما وهي مقدار عبادتهم المحل وقد تقدم تفسير ذلك

في البقرة وقال مجاهد يعنون الايام التي خلق الله فيها ادم وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون من
 الاكاذيب التي من اجلها هذا القول قالوا ان اباهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى عد
 يعقوب ان لا يمن اولاده الا حلة القسم وقال قتادة حين قالوا نحن ابناؤ الله واجباؤه وقيل
 قولهم نحن على الحق واتم على الباطل ومعنى يفترون يكذبون ويخلفون فكيف اذا جمعناهم
 ليؤكلوا ريب فيه هورد عليهم وابطال لما غرهم من الاكاذيب باستعظام ما سيقع لهم تهويل
 لما يخيقهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اجزاء الذي لا يرتاب مرتاب
 في وقوعه فانهم يقعون لالحالة فيه ويعجزون عن دفعه باحليل ولا كاذيب قال الكسائي
 اللام في قوله ليوم بمعنى في وقال البصريون المعنى كحساب يوم وقال ابن جرير الطبري المعنى
 لما يحدث في يوم ووقيت كل نفس من اهل الكتاب غيرهم ما كسبت اي جزاء ما كسبت
 من خير وشر على حذف المضاعف وهم لا يظلمون بزيادة سيئة ولا نقص حسنة من اعمالهم
 والمراد كل الناس المدلول عليهم بكل نفس قل اللهم قال الخليل وسيبويه وجميع البصريين
 ان اصل اللهم يا الله وذهب الفراء والكوفيون الى ان الاصل فيه يا الله امنا قال النحاس
 هذا عند البصريين من الخطاء العظمى والقول في هذا ما قاله الاولون قال النضر بن شميل
 من قال اللهم فقد دعي الله بجميع اسمائه ملك جنس الملك على الاطلاق وما لك العباد
 وما ملكوا وقيل المعنى مالك الدنيا والاخرة وقيل الملك هنا النبوة وقيل الغلبة وقيل المال
 والعبيد والظاهر شموله لما يصدق عليه اسم الملك من غير تخصيص تؤتي الملك من
 تشاء وتزعج الملك ممن تشاء المراد بما يؤتيه من الملك وينزعه هو نوع من انواع ذلك
 الملك العام قيل نزل لما وعد صلواته ملك فارس والروم عن ابن عباس قال اللهم
 الاعظم قل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب واخرج ابن ابي الدنيا والطبري عن
 معاذ انه شكى الى النبي صلى الله عليه واله وسلم ديناً عليه فعلم ان يتلو هذه الآية ثم
 يقول رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما تعطي من تشاء وتمنع من تشاء ارحمني رحمة تغنيني
 بها عن رحمة من سواك اللهم اغني عن الفقير واقض عني الدين واخرج الطبراني في
 عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا اعلمك دعاء تدعوه لو كان عليك مثل

جبل احد دينا لاداه الله عنك فذكره واسناده جيد وتغير من تشاء وتبدل من تشاء اي في الدنيا او في الآخرة او فيما يقال عز اذا غلب منه وعزني في الخطاب ويقال
 ذل يذل ذلا اذا غلب فيس بيدك الخير اي النص والغنية وقيل الالف واللام تفيده العمى
 والمعنى بيدك كل الخيرات وتقدير الخبر للتخصيص اي بيدك الخير لا بيد غيرك وذكر الخير
 دون الشر لان الخير تفضل محض بخلاف الشر فانه قد يكون جزاء لعمل من وصل اليه وقيل
 لان كل شر من حيث كونه من قضاائه سبحانه هو متضمن للخير فافعاله كلها خيرا لا تقا
 كالكشف وقيل انه حذف كما حذف في قوله سرايل تقيمكم احقراله البغوي واصلا به
 الخير الشر وقيل خص الخير لان المقام مقام دعاء انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق و
 تحقيق له توحيج الليل في النهار وهوان تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا في النهار حتى
 يكون النهار خمس عشر ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك
 غاية قصر الليل وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هذه الامور العظام المحيرة للعقول
 والافهام فقد رتبه على ان يذرع الملك من العجم ويذره لهم ويوتيه العرب ويعزهم هو هو
 من كل حين يقال ويجي يلج من باب وعد ولوجا وكجة كعدة والولوج الدخول ولا يلاجل الا
وتوحيج النهار في الليل اي تدخل ما نقص من احد هما في الآخر حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك
 غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المعنى تعاقب بينهما ويكون
 زوال احد هما ولو جافى الآخر واولى وقال ابن مسعود تأخذ الصيف من الشتاء و
 تأخذ الشتاء من الصيف وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قيل المراد اخراج
 الحيوان وهو حي من النطفة وهي ميتة واخراج النطفة وهي ميتة من الحيوان وهو حي وقيل المراد
 اخراج الطائر وهو حي من البيضة وهي ميتة واخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية و
 قال عكرمة النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبل والسنبل من الحبة
 وعن الحسن قال المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر
 عبد ميت الفؤاد قلت ويدل له قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه واخرج عبد الرزاق
 وابن سعد وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن عبيد الله بن عبد الله ان خالدة

بنت الاسود بن عبد يعوث دخلت على النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال من هذه
 قيل خالدة بنت الاسود قال سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان
 ابوها كافرا واخرج ابن سعد عن عائشة مثله وتردق من تشاء بغير حساب اي بغير
 تضيق ولا تقدير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسع عليه كما نقول فلان يعطي بغير حساب
 اذ الحسن يقال للقليل لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء فيه النهي المؤمنين عن
 مولاة الكفار بسبب من اسباب المصادقة والمعاشرة كقربة لوصلة جاهلية ونحوهما عن
 الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية ومثله قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونه
 الآية وقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية وقوله
 لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا وحداوي وعدوكم
 اولياء من دون المؤمنين اي متجاوزين المؤمنين الى الكافرين استقلا لا واشتركا
 ومن يفعل ذلك اتخذ المدلول عليه بقوله لا يتخذ فليس من الله اي من ولايته
 وقيل من دينه وقيل التقدير ليس كائن من الله في شيء من الاشياء بل هو منسلف
 عنه بكل حال وبرئ الله منه وهذا امر معقول ومولاة الله ومولاة الكفار ضدان لا يجتمعان
 الا ان تتقوا منهم تقية على صيغة الخطاب بطريق الالتفات اي لان تتقوا منهم امر واجب
 اتقاؤه وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال وتقاة مصدر واقع موقع المفعول به وهو
 ظاهر قول الزمخشري وزنه فعلة ويجمع على تقى كطبة ودرطب اصله وقية لانه من الوقاية
 والتقوى والتقوى واحد والتقاة التقية يقال اتقى تقية وتقاة وفي القاموس تقدير الشيء
 اتقيه من باب ضرب وفي ذلك دليل على جواز المولاة لهم مع الخوف منهم ولكنها تكون ظاهرا
 لا باطنا وخالف في ذلك قوم من السلف فقالوا لا تقية بعد ان اعز الله الاسلام عن ابي اس
 قال التقية باللسان من محل على امر يتكلم به وهو معصية الله في تكلم به مخافة الناس قلبه
 مطمئن بالايمان فان ذلك لا يضره انما التقية باللسان وعنه قال التقاة التكلم باللسان
 والقلب مطمئن بالايمان ولا يسطيد فيقتل ولا الى ثم فانه لا عد له وعن ابى العالية قال
 التقية باللسان وليس بالعمل وقال قتادة لا ان تكون بينك وبينه قرابة فتصاه لذلك

وأخرج عبد بن حميد والبخاري عن الحسن قال التقية جأزة إلى يوم القيامة وحكي البخاري
 عن أبي الدرداء أنه قال أنا لكش في وجوه أقوام وقلوبنا تلغزهم ويدل على جواز التقية قوله تعالى
 إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليه من الله ولهم عذاب
 عظيم ومن القائلين بجواز التقية باللسان أبو الشعثاء والضحاك والربيع بن انس وعن ابن عباس
 قال نهي الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار
 عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين وذلك قوله تعالى إلا أن تتقوا
 منهم تقاة ومغيرة الآية أن الله نهي المؤمنين عن مولاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا
 أن يكونوا غائبين ويكون المؤمن في قوم كفار فيداهنتهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان
 دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دما أو مأكلا حراما أو غير ذلك من المحرمات ويظهر الكفار
 على عوة المسلمين والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل مع سلامة النية ثم هذه التقية
 رخصة فلو صدر على اضطرار إيمان به حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وقال سعيد بن جبير
 ليس في الأمان التقية إنما التقية في الحرب قيل إنما تقية لصون النفس عن الضرر لأن
 دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الأمان ويجوز ذكر الله نفسه أي ذاته المقدسة أن
 تعصوه بأن ترتكبوا المنهي أو تخالفوا لما موبه أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله و
 إطلاق النفس عليه سبحانه جأز في المشاكلة كقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك
 وغيره وذهب بعض المتأخرين إلى منع ذلك للمشاكلة وقال الزجاج معناه ويجوز ذكر الله
 آية ثم استغنوا عن ذلك مجذا وصار المستعمل قال وأما قوله تعلم ما في نفسي فمعناه تعلم
 ما عندي وما في حقيقة ولا أعلم ما عندك ولا ما في حقيقة فكذلك وقال بعض أهل العلم معناه
 ويجوز ذكر الله عقابه مثل وأسأل القرية فجعلت النفس في موضع الضم والنفس عبادة عن
 وجود الشيء وذاته وإلى الله المصير في هذه الآية تهديد شديد وتخويف عظيم لعبادة
 أن يتعرضوا لعقابه بمولاة أعدائه قل إن تحقروا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله
 فيه أن كل ما يضمه العبد ويخفيه أو يظهره ويدليه فهو معلوم لله سبحانه لا يخفى عليه
 شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة ويعلم ما في السموات وما في الأرض مما هو أعم

من الأمور التي يخفونها أو يبدونها فلا يخف عليه ما هو اخص من ذلك والله على كل شيء قدير فيكون قادراً على عقوبتكم يوم ترجعون كل نفس مما عملت من خير محضاً يوم القيمة ولم ينجس منه شيء قال قتادة محضاً موفراً وما عملت من سوء محضاً تود لو أن ينبتا ويئنة أمداً بعيداً الأمد الغاية وجمعه أمداً قال السكاكي مكاناً بعيداً وعن ابن جريج أمد أي اجلاً وعن الحسن قال ليس احد كره ان لا يلقي عمله ذلك ابد ايكون ذلك مناه وما في الدنيا فقد كانت خطيئة يستلذها وفي السموات أمد غاية الشيء ومنتهى ما والفرق بين الأمد والابد ان الأبد مدة من الزمان غير محدودة ولا مددة لها حد والفرق بين الأمد والزمان ان الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدأ والغاية انتهى قال السيوطي أي غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها انتهى وهو اعم من المكان الزمان وعبرة الخازن أي مكاناً بعيداً كما بين المشرق والمغرب ويحذر ذكر الله نفسه كالتأكيد وللأستحضار ليكون هذا التهديد العظيم على ذكر منهم لا يغفلون عنه قيل والاحسن ما قاله الثغفاني ان ذكره اول المنع من مولاة الكافرين وثانياً للحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر والله رؤوف بالعباد ومن رافته بهم انه حذرهم نفسه قاله الحسن وفيه دليل على ان هذا التحذير الشديد مقترن بالرافة منه سبحانه لعبادة لطف بهم وما احسن ما يحكى عن بعض العرب انه قيل له انك تموت وتبعث وترجع الى الله فقال اتهدون من الماخير قط الامنه قل ان كنتم تحبون الله فأتبعوني يحبكم الله المحب المحبة ميل النفس الى الشيء كما ان ادركته فيه يقال احبه فهو محب وحببه يحبه بالكسر فهو محبوب قال ابن الدهاك في حب لغتان حب واحب وقد فسرت المحبة لله سبحانه بارادة طاعته قال الأزهري محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه امرهما ومحبة الله للعباد انعامه عليهم بالغفران قيل العبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا الله وان كل ما يراه كمالاً من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه الا الله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقرب به اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلواته وعبادته والحث على مطاعته قاله القاضي اخرج

ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن من طرق قال قال اقوام على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا محمد انا لنحب ربنا فانزل الله هذه الآية وعن
ابن الدرداء قال على البر والتقوى والتواضع وخلة النفس واخرج ابن أبي حاتم وابو نعيم
في الحلية والحاكم عن حايثة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله اخف من حبيب النمل
على الصفا في الليلة الظلماء وادناه ان تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العمل
وهل الدين الا الحب والبغض في الله قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية قيل نزلت
هذه الآية في اليهود والنصارى قالوا نحن ابناؤه واحباؤه وقيل نزلت في قریش قالوا نعم
اي الاصنام حبا لله لتقر بيننا الله ونفى والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا
مقادير لا وامرؤ وامرؤ له مطيعين لهما فان اتباع الرسول من محبة الله وطاعته
وفيه حث على اتباعه صلى الله عليه وآله واشارة الى ترك التقليد عند وضوح النص من الكتاب والسنة
ويعفى لكم ذنوبكم ^{يعنيان} من غفر له ازال عنه العذاب والله عفوٌ كريمٌ يعفى
ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه وهذا تذليل مقر لما قبله قل لقریش اطيعوا
الله واطيعوا رسوله وحذوا المتعلق مشعر بالتعظيم اي في جميع الامور والنواهي والمقلد غير مطيع لله و
لرسوله بل مشاقي لهما حيث ترك اطاعة الله ورسوله واطاع غيرهما من غير حجة نيرة وبرهان
جلي فان تولى ايمحتم ان يكون من تمام مقول القول فيكون مضارعا اي تتولوا ويحتمل ان
يكون من كلام الله تعالى فيكون ما ضيا من باب الالتفات فان الله لا يحب الكافرين اي لا
يرضى بفعلهم ولا يعفى لهم ونفي المحبة كناية عن البغض والسخط ووجه الاظهار في قوله فان
الله مع كون المقام مقام اضما لقصد التعظيم والتعظيم ولما فرغ سبحانه من ان الدين المرضي هو
الاسلام وان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الرسول الذي لا يصح لاحد ان يحب الله الا باتباعه
وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو لجهل البغي عليه واحسد له شيء في تقرير رسالة
النبي صلى الله عليه وآله وبين انه من اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة فقال ان الله اصطفى آدم و^{حم}
الاصطفاء الاختيار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء قال الزجاج اختار هو بالنبوة على
عليه زمانهم وقيل ان الكلام على حذف مضاف اي اصطفاه من آدم وتخصيص آدم بالذكر

لانه ابو البشر وكذلك نوح فانه ادم الثاني وحكي ابن الحواري عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم
نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه وعمر ادم تسعمائة وستون سنة نوح من نسل ادريس
بينه وبينه اثنان لانه ابن ملك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس وعمر نوح الف سنة وخمسون
ونوح اسم عجمي اشتقاق له عند محقق النفاة قال ابراهيم قيل يعني نفسه وقيل اسمعيل واسحق و
يعقوب وقيل من كان على دينه والثاني اولى وذلك ان الله جعل ابراهيم اصلا للشعبتين
فجعل اسماعيل اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه واله وسلم منهم فهو داخل في الاصطفاء فجعل
اسحاق اصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم ثم
جعل له ولا مته النبوة والملك الى يوم القيمة وعمر ابراهيم مائة وسبعون سنة وال عمران
قيل هو والد موسى وهارون وقيل هو من ولد سليمان وهو والد مريم والظاهر الثاني
بدليل القصة الآتية في عيسى ومريم وبنين العمرانيين من الزمن الف وثم مائة سنة وبن
الاول وبين يعقوب ثلاثة اجداد وبين الثاني وبين يعقوب ثلثون جدا وعمران اسم عجمي و
قيل عبري مشتق من العرو على كلا القولين ممنوع من الصرف اما للعلمية والعجمية او لزيادة
الالف والنون قاله السمين فلما كان عيسى عليه السلام منهم كان لتخصيصهم بالذكور وجه يعني
خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم على العالمين قد تقدم الكلام على
تفسيره اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم به من النبوة والرسالة والخصا
الروحانية والجسمانية دُرِّيَّةٌ قد تقدم تفسير الذرية قيل مشتق من الذرء وهو الخلق
فعلى هذا يطلق على الاصول حتى على ادم كما يطلق على الفروع وقيل منسوب الى الذرء
لان الله اخرجهم من ظهرا ادم كالذرء اي صفا والنمل ويكون هذا من النسب اسماعيلي ذلك
القياس فتح الذال والنصب على البدل من ادم او من نوح والية ابوالبقاء او من الالين واليه
فما الزعشري او النصب على الحال بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ معناه متناسلة متشعبة او متناصرة
متعاضدة في الدين قال قتادة في النية والعمل والاخلاص والتوحيد اخرج ابن جرير
وغیره عن ابن عباس قال هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد
صلى الله عليه وسلم والله سميع عليم انما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته وقولا

اذ نالت قال ابو عمر واذ زائدة وقال محمد بن يزيد تقديره اذ كراذ قالت وقال الزجاج
متعلق بقوله اصطفي قيل بقوله سمع عليم امره عمر بن الخطاب بالجملة والنون المشددة بذت
فانقذام مريم في جده عيسى وعمران هو ابن مائنان جد عيسى وليس نبيا ^{رسلا} نذر
لك هذا النذر كان جائزا في شريعتهم وتقدير الجار والمجرور كمال العناية ومعنى الذي
مما ذك ما في بطنه محمدا اي عتيقا خالصا لله خادما للكنيسة والمراد هنا الحرية التي
هي ضد العبودية وقيل المراد بالحر هنا الخالص لله سبحانه الذي لا يشوبه شيء من امر
الدينا ويرج هذا بانه لا خلاف ان عمران وامرأته حُرَّان وهلك عمران وهي حامل فقبل
منه التقبل اخذ الشيء على وجه الرضاء اي تقبل مني نذري بما في بطني عن ابن عباس
قال كانت نذرت ان تجعله في الكنيسة يتعبد بها وقال مجاهد خادما للبيعة اناك
انت السميع لتضري ودعاي العليم بنيي وما في ضميري فلما وضعتها التانيت باعتبار
ما علم من المقام ان الذي في بطنها انثى او كونه انثى في علم الله او بتاويل ما في بطنها
بالنفس والفسمة او نحو ذلك قالت يعني حنة رب اني وضعتها انثى انما قالت
هذه المقالة لانه لم يكن يقبل في النذر الا الذكر دون الانثى فكانها تحسرت وتقررت
لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه وتقدره والله اعلم بما وضعت بضم التاء فيكون
من جملة كلامها ويكون متصلا بما قبله وفيه معنى التسليم لله والخضوع والتزويه له ان
يخفي عليه شيء وقرأ الجمهور وضعت بسكون التاء فيكون من كلام الله سبحانه على جهة
التعظيم لما وضعته والتفخيم لشأنه والتجهيل لها حيث وقع منها التحسر والتخزن مع ان هذه
الانثى التي وضعها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين ويختصها بما لم يخص
به احد وقرأ ابن عباس وضعت بكسر التاء على انه خطاب من الله سبحانه لها اي انك
لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله فيه من الامور التي تتقاصر عنها الافهام تنصا
عندها العقول وان له شأنا عظيما وليس الذي ذكره كالأنتى اي ليس الذي ذكر الذي طلبت
كالانثى التي وضعت فان غاية ما لاد من كونه ذكر ان يكون نذرا خادما للكنيسة
وامر هذه الانثى عظيم وشأنها عظيم في خير منه وان لم تصلح للسداة فان فيها مزايا اخر لا تحصى

في الذكر وعلى هذا الكلام على ظاهرة ولا قلب فيه وهذه الجملة اعتراضية مبينة لما في
الجملة الأولى من تعظيم الموضوع ورفع شأنه وعلو منزلته واللام في الذكر والانتي للعهد
هذا على قراءة الجمهور وأما على قراءة أبي بكر وابن عباس فيكون قوله دليل على كمال انفي من جملة كلامها ومن تمام تحصيلها
أي ليس الذكر الذي يدان يكون دما ويصل للذكر كما انفي التي لا تصل لذلك بل هو خير منها لأنه يصل المقصود
دونها وكأنها اعتدت رتبها من جودها لها على خلاف ما قصد وعلى هذا في الكلام قلب كانت مريم من أجل
النساء وأفضلهن وقتها وإني سميتها مريم تعني العابدة مقصودها من هذا الخبر بالتسمية التي قرب إلى الله
سبحانه وإن يكون فعلها مطابقا لمعنى اسمها فإن معنى مريم خادم الرب بلغتهم فهي وإن لم
تكن صالحة لخدمة الكنيسة فذلك لا يمنع أن تكون من العابدات وإني
أعيد لها أي امنعها واجبرها بك وذريتها من الشيطان الرجيم عن أبي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا من نخسه إياه إلا مريم وابنها متفق عليه وللخاري عنه كل
ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب لطعن
فطعن في الحجاب والحديث الفاظ عنه وعن غيره والرجيم المردود المطرود وذكر في المقام
الطرح من معاني الرجم وأصله المرعي بالحجارة طلبت الإعادة لها ولولدها من الشيطان غوا
وفي المقام أشكال قوي لم أر من نبه عليه من المفسرين وحاصله أن قولها وإني أعيد لها
بك معطوف على ما قبله الواقع في حين لما وضعها فيقتضي أن طلب هذه الإعادة إنما وقع
بعد الوضع فلا يترتب عليه حفظ مريم من طعن الشيطان وقت نزولها وخروجها من بطن
أمها فلا يتلاقى الحديث مع الآية بل مقتضى ظاهر الآية أن أعادتها من الشيطان إنما
كان بعد وضعها وهذا لا ينافي في تسلط الشيطان عليها بطعنها ونخسها وقت ولادتها
الذي هو عادته فإن عادته طعن المولود وقت خروجه من بطن أمه تأمل قوله سلما
الجل فتقبلها ربها بقبول حسن أي رضي بها في النذر وسلك بها مسلك السعداء
وقال قوم معنى التقبل التكفل والتربية والقيام بشأنها وليست صيغة التفعل للتكلف
كما هو أصلها بل بمعنى الفعل كعجب بمعنى عجب وتبرأ بمعنى بري والقبول مصدر مؤكل للفعل

السابق والباء زائدة او هي على حالها وانبتها نبأنا حسنا المعنى انه سوى خلقها من غير
زيادة ولا نقصان قيل انها كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام وفيه بعد و
هو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها اي ضمها
اليه بالقرعة لا بالوحي وقال ابو عبيدة ضمن القيام بها وقال الكوفيون اجعله الله كافلا
لها وملازمها بمصالحها وفي معناه ما في صحف ابي واخفاها وقرأ الباقر بالتخفيف ومعناه
ما تقدم من كونه ضمها اليه وقرأ عجاهد فتقبلها وانبتها باسكان اللام والتاء وكفلها
على المسئلة والطلب ذكرها وكان من ذرية سليمان بن داود وروي عن ابن عباس
وابن مسعود وعجاءد وناس من الصحابة ان مريم كانت ابنة سيدهم واما مهم فتشاح
عليها احبارهم فاقرعوا فيها بسماهم اسم يكفلها وكان زكريا زوج اختها فكفلها ايه
جعلها معه في محرابه وكانت عنده وحضنها كأمها دخل عليها زكريا المحراب يعني
الغرفة والمحراب في اللغة اكرم موضع في المجلس قاله القرطبي وسميت محرابا لانها محل العبادة
التي يتعبد فيها محرابه وكذلك هو في المسجد وكذلك يقال لكل محل من محال
العبادة محراب وقيل ان زكريا جعل لها محرابا لا تترقي اليه الا بسلم وكان يغلق عليها حتى
كبرت وجعل عندها اي اصاب وصادف ولقي فيتعدى لواحدة رزقا اي نوعا من انواع
الرزق اي كان اذا دخل عليها وجد عندها فأكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتاء قال ابن عباس عن عائشة في مكنى في غير حينه قال يعني كرمي لك هذا اي ملين
يعني لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا قالت هو من عند الله فليس ذلك بحبيب
ولا مستنكر ان الله يرزق من يشاء بغير حساب جملة تعليلية لما قبلها وهو من تمام
كلامها ومن قال انه من كلام زكريا فتكون الجملة مستأنفة وهذا يدل على جواز الكلام
لاولياء الله تعالى هناك ظرف ويستعمل للزمان والمكان واصله للمكان وقيل انه للزمان
خاصة وهناك للمكان وقيل يجوز استعمال كل واحد منهما مكان الآخر واللام للدلالة
على البعد والكاف للخطاب عاثر زكريا رتبة يعني انه دعا في ذلك المكان الذي هو قائم
فيه عند من يمر وفي ذلك الزمان ان يهابه الله ذرية طيبة والذي بعثه على ذلك ما

رآه من ولادة حنة لمريم وقد كانت عاقراً فحصل له رجاء الولد وان كان كبيراً وامرته
 حاقراً وبعثه على ذلك ما رآه من فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في
 الشتاء عند مريلا من اوجده ذلك في غير وقته يقدر على ايجاد الولد من العاقر
 وكان اهل بيته انقرضوا وعلى هذا يكون هذا الكلام قصة سبقت في غصون قصة مريم
 لما بينهما من قوة الارتباط قال رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً الذرية النسل
 يكون للواحد ويكون للجمع ويدل على انها هنا للواحد قوله فهب لي من لدنك ولياً
 ولم يقل اولياء وتأنيث طيبة لكون لفظ الذرية مؤنثاً والمعنى اعطني يا رب عندي
 ولداً مباركاً تقياً صالحاً راضياً كهبتك حنة العجوز العاقرة مريم إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
 اي سامع ومجيبه فنادته الملكة قيل المراد هنا جبريل والتعبير بلفظ الجمع عن اهل
 جاتر في العربية ومنه الذين قال لهم الناس وقيل ناداه جميع الملكة وهو الظاهر من
 اسناد الفعل الى الجمع والمعنى الحقيقي مقدم فلا يصح ان الجازا القرينة وهو فَأَسْمُوهُ
يُصَلِّي فِي الْحُرَابِ اي في المسجد قال السدي الحراب المصلى وقد اخرج الطبري في البيهقي عن
 ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا هذه المذابح يعني المحاريب واخرج ابن ابي شيبة في
 المصنف عن موسى الجهمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تزال امتي يجي
 ما لم يتخذوا في مساجد هم مذابح كذا اجم النصارى وقد رويت كراهة ذلك عن جماعة
 من الصحابة إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُ بِبَيْتِهِ هو متنع لكونه اعجيباً او لكون وزن الفعل فيرفع
 العلمية كيحم ويعيش ويزيد ويشكر وتغلب قيل اعجبي لا اشتقاق له وهذا هو الظاهر
 فامتدحه للعلية والعجبة الشخصية قال القرطبي حاكياً عن النقاش كان اسمه في الكتاب
 الاول حناً انتهى والذي رأيناه في مواضع من الانجيل انه يوحنا قيل سمي بذلك
 لان الله احياه بالايمان والنبوة وقيل لان الله احياه به الناس بالهدى والمراد هنا ^{لتبشير}
 بولادته اي يبشرك بولادة يحيى مُصَدِّقاً لِكَلِمَةِ مَنْ الله اي بعيسى عليه السلام سمي
 كلمة الله لانه كان بقوله سبحانه كن وقيل لان الناس يمتدون به كما يمتدون بكلام
 الله وقيل لان الله تعالى بشره مريم على لسان جبريل وقيل لان الله اخبرني كتبه المنزلة

على الانبياء انه يخلق نبيا من غير واسطة اب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد
 الذي وعد وقال ابو عبيد بكلمة اي بكتاب من الله قال والعرب تقول انشدني كلمة
 اي قصيدة ويحيى اول من آمن بعيسى وصدقه وكان اكبر من عيسى بثلاث سنين وقيل ^{بستة}
 اشهر قال ابن عباس كان يحيى وعيسى ابني اخاله وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد لك
 في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديق عيسى في بطن امه وهو اول من صدق
عيسى وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى وسيدا وحصورا السيد الذي يسود قومه قال الزجاج
 السيد الذي يفوق اقرانه في كل شيء من الخير والها من سيادة ما اسناهاها والحصول اصل
 من احصر وهو احبس تقول حصر في الشيء واحصرني اذا حبسك والحصول الذي لا يات
 النساء كانه قحج عنهن كما يقال رجل حصور وحصير اذا حبس رفته ولم يخرجها فيحيى عليه السلام
 كان حصورا عن اتيان النساء اي محصوا لا ياتهن كغيره من الرجال اما العدم القدرة ^{على}
 ذلك او لكونه يكف عنهن منعاً لنفسه عن الشهوة مع القدرة وقال السمين الحصول فعول
 محول عن فاعل المبالغة كضروب محول من ضارب وهو الذي لا ياتي النساء اما الطبعة
 على ذلك واما المبالغة نفسه وفي القاموس الحصول من لا ياتي النساء وهو قادر على ذلك
 والمنوع منهم او من لا يشتهيهم ولا يقربهم انتهى وقد ربح الثاني بان المقام مقام مدح
 وهو لا يكون الا اعلام مكتسب يقدر فاعله على خلافة لا على ما كان من اصل الخلقة و
 في نفس الجبله قال ابن عباس سيدا جليما تقيا وقال مجاهد السيد الكريم على الله وقال ابن
 السيب السيد الفقيه العالم وعن ابن عمر عن النبي صلوات قال كان ذكره مثل هدية الثوب
 واخرجه احمد في الزهد من وجه اخر عنه موقوفا وهو اقوى وكان اسما يحيى اشيع نبيا
من الطيبين اي ناسيا من الصالحين لكونه من نسل الانبياء واصلاهم وكان شاملا من جملة
 الصالحين كما في قوله وانه في الاخرة لمن الصالحين قال الزجاج الصالح الذي يؤدي لله ما
 افترض عليه والى الناس حقوقهم وقيل المراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه
 في منصب النبوة قطعا من اقاصي مراتبه وعليه منه دعاء سليمان وادخلني رحمتك في
 عبادك الصالحين وفيه لانه لا صلاح فوق صلاح النبوة قال رَبِّ اَنْ يَكُونَ لِي خَلَامٌ

وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرًا نِي عَاقِرٌ ظَاهِرٌ هَذَا انْخِطَابُ مَنْهُ لِه سُبْحَانَهُ وَانْ كَانَ
 انْخِطَابُ الْوَاصِلِ إِلَيْهِ هُوَ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ وَذَلِكَ لِيُزِيدَ التَّضَرُّعَ وَالْجُهْدَ فِي طَلَبِ الْجَوَابِ عَنْ
 سُؤَالِهِ وَقِيلَ إِنَّهُ ارَادَ بِالرَّبِّ جِبْرِيلَ أَيْ يَاسِيدِي وَقِيلَ فِي مَعْنَى هَذَا الِاسْتِفْهَامِ وَجِهَانِ
 أَحَدُهُمَا أَنَّهُ سَأَلَ هَلْ يَرْزُقُ هَذَا الْوَلَدُ مِنْ أَمْرَأَتِهِ الْعَاقِرِ وَمِنْ غَيْرِهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ بَأَيِّ
 سَبَبٍ اسْتَوْجِبَ هَذَا وَأَنَا وَأَمْرَأَتِي عَلَى هَذَا الْحَالِ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ اسْتَبْعَدَ حَدَّ وَثُلُوهُ
 مِنْهُمَا مَعَ كَوْنِ الْعَادَةِ قَاضِيَةً بِأَنَّهُ لَا يَحْدُثُ مِنْ مِثْلِهِمَا لِأَنَّهُ كَانَ يَوْمَ التَّبَشِيرِ كَبِيرًا قَبْلَ
 فِي تِسْعِينَ سَنَةً وَقِيلَ ابْنُ عَشْرِينَ وَمِائَةً سَنَةً وَكَانَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي ثَمَانِي وَتِسْعِينَ سَنَةً
 وَلِذَلِكَ جَعَلَ الْكَبِيرَ كَالطَّالِبِ لَهُ لِكُونِهِ طَلِيعَةً مِنْ طُلُوعِ الْمَوْتِ فَاسْتَدَ الْفِعْلُ الْمِثْلَ الْعَاقِرِ
 الَّتِي لَا تَلِدُ أَيْ ذَاتِ عَقْرِ عَلَى النَّسَبِ لَوْ كَانَ عَلَى الْفِعْلِ لِقَالِ عَقِيرَةٍ أَيْ بِهَا عَقْرٌ مِنْهَا مِنْ الْوَلَدِ
 وَأَمَّا وَقَعُ مِنْهُ هَذَا الِاسْتِفْهَامُ بَعْدَ ذِكَارِهِ بِأَنَّهُ سَبَّحَ لَهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً وَمَشَاهِدَتَهُ
 لِتِلْكَ الْآيَةِ الْكُبْرَى فِي مَرِيحِ اسْتِعْظَامِ الْقُدْرَةِ أَلِهَ سُبْحَانَهُ لَا يَحْضُرُ الِاسْتِبْعَادُ وَقِيلَ إِنَّهُ قَدْ
 مِنْ بَعْدِ ذِكَارِهِ إِلَى وَقْتِ بَشَارَتِهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً وَقِيلَ عَشْرُونَ سَنَةً فَكَانَ الِاسْتِبْعَادُ
 مِنْ هَذِهِ الْحِكْمِيَّةِ قَالَتْ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مِنْ الْأَفْعَالِ الْعَجِيبَةِ مِثْلَ ذَلِكَ الْفِعْلِ
 وَهُوَ إِجَادَةُ الْوَلَدِ مِنَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْعَاقِرِ قَالَتْ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً أَيْ عِلَامَةً اعْرِضْ
 بِهَا صِحَّةَ الْحَبْلِ فَانْقَلَبَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ بِالشُّكْرِ وَالْحَبْلُ هُنَا بَعْنَةُ التَّصْيِيرِ أَوْ بِمَعْنَى الْخَلْقِ وَالْإِجَادِ
 وَأَمَّا سَأَلُ الْآيَةِ لِأَنَّ الْعُلُوقَ أَمْخَفِي فَأَرَادَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ لِيَتَلَقَّى تِلْكَ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ مِنْ
 حِينَ حَصُولِهَا وَلَا يَتَوَخَّرُ إِلَى ظُهُورِهَا لِلْعَتَادِ وَلَعَلَّ هَذَا السُّؤَالَ وَقَعَّ بَعْدَ الْبَشَارَةِ بِزَمَانٍ
 مُدِيدٍ أَذْهِ يَظْهَرُ مَا ذَكَرَ مِنْ كَوْنِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ سِنِّ يَحْيَى وَعِيسَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ لِأَنَّ ظُهُورَ الْعِلْمِ
 كَانَ عَقِبَ طَلَبِهَا بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحِجَابِ الْآيَةُ قَالَهُ أَبُو السَّعُودِ
 قَالَ أَيْتُكَ لَا تُكَلِّمِ النَّاسَ أَيْ عِلَامَتُكَ أَنْ تَحْبَسَ لِسَانُكَ عَنْ تَكْلِيمِ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
 عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَذْكَارٍ وَوَجْهٌ جَعَلَ الْآيَةَ هَذَا التَّخْلُصَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّ سُبْحَانَهُ شَكَرًا عَلَى
 مَا أَلْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ عَقُوبَةً مِنْ أَلِهَ سُبْحَانَهُ لَهُ بِسَبَبِ سُؤَالِهِ الْآيَةَ بَعْدَ مَشَاهِدَةِ
 الْمَلَائِكَةِ آيَاهُ حَكَاهُ الْقُطَيْبِيُّ عَنْ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَقِيلَ إِنَّهُ لَا تَقْدِرُ عَلَى تَكْلِيمِهِمْ وَتَقْتَنِعُ مِنْ كَلَامِهِمْ

فتم ايجيت لوحا ولت الكلام لم تقدر عليه ثلثة ايام بليا اليها لقوله تعالى في سورة مريم
 ثلث ليال سوي الارض اي اشارة والرمز في اللغة الايماء بالسفنتين او العينين او كحجيرة
 او البدين واصله امركة وهو استثناء منقطع لكون الرمز من غير جنس الكلام وبجملته
 وقيل هو متصل على معن ان الكلام ما حصل به الافهام من لفظ او اشارة او كتابة وهو
 والصواب الاول وبه قال الاخفش والكسائي وقيل اراد به صوم ثلثة ايام لانهم كانوا اذا
 صاموا لم يتكلموا والاول اولى لموافقة اهل اللغة عليه واذا ذكر ربك اي في مدة الحبس
 وعقد اللسان عن كلامهم شكر الهذبة النعمة كثيرا وسبح بالعيشي هو جمع عشية وهي
 اخر النهار قاله الواحد في قيل هو واحد وهو المشهور وهو من حين زوال الشمس الى ان
 تغيب منه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشاء فقبل من العصر الى ذهاب بصر
 الليل وهو ضعيف ولا يجزى بالكسر صدر واستعمل اسم الوقت الذي هو البكرة وهو من
 الفجر الى وقت الضحى وقيل المراد بالتسليم الصلوة وماذا قالت الملائكة عطف على اذ قالت امرأة
 عمران عطفاً لقصة البنت على قصة امها لما بينهما من كمال المناسبة وقصة ذكرى وقعت
 فاصلة بينهما المناسبة والمعنى اذ قالت الملائكة مشافهة لها بالكلام وهذا من التربية
 الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بها كبرها بعد التربية الجسدية الاتقيا
 صغرها ليعلم ان الله اصطفاك اختارك اولاديت قبلك من امك وقبل تخريك ولم
 يسبق ذلك لغريك من الاناث ورباك في حجر ذكرى وذكرك من الجنة وطهرتك من مسيس
 الرجال او الكفر ومن الذنوب ومن اذ الناس على عموها وكانت مريم لا تحيض اي خلقك
 مطهرة مما للنساء وبه جزم القاضي كالكشف وسياتي في سورة مريم ان مريم حاضت
 قبل حملها بعيسى مرتين واصطفاك قبل هذا الاصطفاء الاخير غير الاصطفاء الاول فاول
 هو حيث تقبلها بقبول حسن والاخير ولادة عيسى من غراب واصطفاه ايضا بان اسمها
 كلام الملائكة مشافهة ولم يقع لغريبها ذلك وقيل الاصطفاء الاخر تأكيد للاصطفاء
 الاول والمراد بهما جميعا واحداً على نساء العالمين المراد بهن هنا قليل نساء عالم زمانها
 وهو الحق وقيل نساء جميع العالم الى يوم القيمة واختاره الزجاج ليعلم ان قتي لربك اي اطلب

القيام في الصلوة او اذعيه وومي على طاعته بانواع الطاعات وقد تقدم الكلام في
 معناه القنوت وَأَرْكَعَ مَعَ الرَّكْعَيْنِ أي صلى مع المصلين اطلق الحجر واراد الكل وقد لم يحسن على الراجح لكونه
 افضل ان يكون صلاتهم لا ترتيب فيها مع كون الواو والجر الجمع لا ترتيب الظاهر انهم مع بعضهم فيدل على
 مشروعية صلوة الجماعة رقيق المعنى انها تفعل كفعلهم وان لم تصل معهم قال الاوزاعي
 لما قالت الملائكة لها ذلك شفاها قامت حتى تورمت قدمها واسالت دما وفيها وحكي
 عن جاهد نحوه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث علي قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول خير نساء ما ير بنت عمران وخير نساء ما اخذت بنت خويلد اخر
 احكام وصححه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل نساء العالمين خديجة وفاطمة
 ومريم واسية امرأة فرعون وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي موسى قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران واسية امرأة فرعون
 وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وفي المعنى احاديث كثيرة تفيد ان
 مريم عليها السلام سيدة نساء عالمها لانساء العالم ويؤيده ما أخرجه ابن عساکر عن ابن
 عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع نسوة سادات نساء عالمهن مريم بنت عمران
 واسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وافضلهن عائشة فاطمة ذَلِكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ أي اخبار ما غاب عنك فلاشارة الى ما سبق من الاصول التي اخبر الله بها
تُوحِيهِ إِلَيْكَ أي لا من الشان ان انا نوحى اليك الغيب ونعلمك به ونظهر لك على قصص من
 تقدم مع عدم مدارستك لاهل العلم والاخبار ولذلك اتى بالمضارع في توحيه وهذا حسن
 من عوده على ذلك والوحي في اللغة الاعلام في خفاء يقال وحي واوحى بمعنى قال بالفاres
 الوحي الاشارة والكتابة والسئلة وكلما القيته الى غيرك حتى يعلمه وما كنت لذكرهم اي محض
 يعني المتنازعين في تربية مريم وانما نفى حضوره عندهم مع كونه معلوما لانهم انكروا الحج
 فلو كان ذلك لا تنكار صحيحا لبقى طريق العلم به الا المشاهدة والحضور وهو لا يدعون لادفنت
 كونه وحيما مع تسليمهم انه ليس من يقر التوراة ولا من يلبس اهلها اذ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ في
 الماء يقرعون ولا قلام جمع قلم من قلده اذا قطعه وهو فعل بمعنى مفعول اي مقلد القلم

بنا

القطع ومنه قلست ظفري اي قطعته وسويته ومثله القبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض
اي اقلامهم التي يكتبون بها وقيل قد ارحم ليعلموا انهم يكفل من يري وذلك عند
اختصاصهم في كفايتها كما قال تعالى وما كنت لذكرهم لذي خصصون في كفايتها فقال ذكرها هو
احق بها لكون خالقتها عنده وهي اشيع اخت حة ام مريم وقال بنو اسرائيل نحن احق بها لكونها
بنت علمنا فاقترعوا وجعلوا اقلامهم في الماء الجاري على ان من وقف قلعة لم يخرج مع الماء فهو
صاحبها فخرجت اقلامهم ووقف قلعة ذكرها وقد استدبل هذا من اثبت القرعة والخلاف في ذلك
معروف وقد ثبتت احاديث صحيحة في اعتبارها وذكر المشوكاني في نيل الاوطار ان القرعة وردت
في خمسة مواضع ثمردا اذ قالت الملكة يمين ثوران الله يكسر بكلمة مئة اي كائنه
من عبده وفاشية منه من غير واسطة الاسباب العادية وهي ولد يولد لك من غير جعل
انزل وسمي كلمة لانه وجد بكلمة كن فهو من باب اطلاق السبب على المسبب في اب السعوى
في سورة النساء يحكى ان طيبيا حاد قانصوا نيا جاء لرشيد فناظر علي بن الحسين الواقدي
ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى جزء من الله وتلاهذه الآية اي قوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه فقرا الواقدي وسخر لكرما في السموات وما في الارض جميعا
وقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزء منه سبحانه فانقطع النص في واسلم وفرح الز
فراشد يدا واعطى للواقدي صلاة فاخرة وذلك الولد اسمه المسيح محيى ابن مريم المسيح
فيه مما اذا اخذ فصيل من المسح لانه مسح الارض اي ذهب فيها فلم يستكن بكن وقيل انه كان لا يسير
ذاعا هة الابرى فسمي مسيحا فهو على هذين فصيل بمعنى فاعل وقيل لانه كان يسير بالذن
كانت الانبياء تسميه به وقيل انه كان مسسوح الانمخين وقيل لان اجمال مسحه وقيل لانه مسح بالظهير
من الذنوب وهو على هذه الاربعة اقوال فعيل بمعنى مفعول وقال بوالهيم المسح ضد المسح بالحاء
المجحة وقال ابن الاعرابي المسيح الصديق وقال ابو عبيد اصلاه بالعبرانية مشيخا بالجمعتين فعرب
كما عرب موسى وقال في الكشاف هو لقب من الالقاب المشرفة ومعناه باللغة العبرية
المبارك واما الرجال فسمي مسيحا لانه مسسوح احدى العينين وقيل لانه مسح الارض اي يطوف بلادها
الامكة والمدينة وبيت المقدس وعيسى هو اسم اعجمي مأخوذ من العيسر وهو يياض تعلو حمرة

وقيل هو عربي مشتق من عاسه يعوسه اذا ساسه وقال في الكشف هو معرب من الشيوخ
انتهى والذي رأينا في الانجيل في مواضع ان اسمه يشوع بدون همزة وانما قيل ابن مريم
مع ان الخطاب معها تنبها على انه يولد من غير اب فنسب اليه امه فان قلت هذه ثلاثة
اشياء الاسم والكنية واللقب قلت المراد اسمه الذي يتميز به عن غيره وهو لا يتميز الا بمجموع
الثلاثة وبهذا تعلم ان الخبر عن اسمه انما هو مجموع الثلاثة من حيث المعنى لا من احد منها على حدة
فهذا على حد الرمان حلوا مض وقال ابن مريم ولم يقل ابنك كما هو الظاهر اشارة
الى انه يكنى بهذه الكنية المشتملة على الاضافة للظاهر فاطمها بنسبته اليها تنبها على انها ثلاثة
بلاب اذ عادة الناس نسبتهم الى ابائهم فاعلمت من نسبته اليها انه لا ينسب الى امه
وحيث في الدنيا والآخرة الوجه ذو الواجهة وهي القوة والمنعة ووجاهته في الدنيا
النبوة وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة ومن المقربين عند الله يوم القيمة وفي تنبيه
علوم منزله وانه رفعه الى السماء ويكلم الناس في المهد وكهلا المهد مضجع الصبي في رضاه
قاله ابن عباس ومهدت الامم هيئاته ووظاياه والكهل هو من كان بين سن
الشباب والشيوخة اي يكلم الناس حال كونه رضيعا في المهد قبل وقت الكلام وحال
كونه كهلا بالوحي والرسالة قاله الزجاج وقد ثبت في الصحيح انه لم يتكلم
في المهد الا ثلاثة منهم عيسى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهد
الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماسطة فرعون وقال قتادة في المهد
وكهلا يعني يكلمهم صغيرا وكبيرا وقال ابن عباس الكهل هو من في سن الكهولة وعن مجاهد
قال الكهل احليم وعن ابن عباس قال تكلم عيسى ساعة ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق والآن
تكلم به هو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الآية وتكلم ببراءة امه عمار ماها براهل القرية
من القدس قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلثون سنة ارسله الله فمكث في رسالتين ثلاثين
شهر ثم رفعه الله وقال هب مكث ثلث سنين قيل وفي الآية بشارة لمريم بانها تبقى حتى
يكتمل وفيه انه يتغير من حال الى حال ولو كان الهالم يدخل عليه التغير ففيه رد على
النصارى وقال الحسن بن الفضل يكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي نص على انه

سيزل من السماء الى الارض ومن العباد الصالحين مثل ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
وموسى وغيرهم من الانبياء وانما اخترنا وصافه بالصلاح لانه لا يسهل المرأصا
حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع احواله وذلك يتناول جميع المقامات
في الدين والدنيا في افعال القلوب في افعال الجوارح ولهذا قال سليمان بعد النبوة واخلى
برحمته في عبادك الصالحين فالت على طريقته لاستبعاد العادي العادي وبني كيف يكون
بني ولدكم يحيى بن مريم واي واحال انه على حالة منافية للحكمة المعتادة من كون بناء
ولم يصني رجل بتزوج ولا غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء يعني هكذا يخلق الله منك
ولدا من غير ان يمسه بش وعبر هنا بالخلق وفي قصة يحيى بالفعل لما كان ولادة العذراء من غير
ان يمسه بشرا بدع واغرب من ولادة عيسى عاقر من شيخ فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انساب
بهذا المقام من مطلق الفعل اذا قضى امره من كلام الله سبحانه واصل القضاء الاحكام
وقد تقدم وهو هنا الارادة اي اذا اراد امر من الامور فاما يقول الكن فيكون من غير عمل
والامزاة وهو تمثيل لكمال قدرته وعلمه بالنون والياء وعلى كلتا القرائين هو كلام مستأنف
لان الفاعل واهل البيان نصوص على ان الواو تكون للاستيناف عطف على يشر او وجها وقال التقى
انما يحسنان بعض الحسن على قراءة الياء واما على قراءة النون فلا يحسن الابتداء بالقول اي
ان الله يبشرك بعيسى ويقول نعلمه او وجها ومقولا فيه نعلمه الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل الكتاب الكتابة او جنس الكتب لالهية قال ابن عباس الكتاب اخطا بقلم وكان
احسن الناس خطا والحكمة العلم وقيل تهذيب الاخلاق ورسولا الى بني اسرائيل اي يجعل
رسولا او يكلمهم رسولا وارسلت رسولا اليهم في الصبا او بعد البلوغ وفي حديث ابي ذر
الطويل واول نبيا بني اسرائيل موسى واخرهم عيسى اي قد جئتكم باية من ربكم يعني
بعلامة على صدق قولي ولما قال ذلك لهم قالوا وما هذه الاية قال اي اخلق اي اصول
واقدر لكم خلقا او شيئا من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه اي في ذلك اخلق او ذلك الله
او في الطين قيل انهم لم يخلقوا شيئا من الطين فاشبهوا بالاصنام فالتهم بالاصنام فالتهم بالاصنام فالتهم بالاصنام
تطير قيل انهم طلبوا خلقا من غير الله فالتهم بالاصنام فالتهم بالاصنام فالتهم بالاصنام فالتهم بالاصنام

الطير لا يبيض كما يبيض سائر الطيور ولا يبصر نحو البصر في الظلمة بل إنما يبيض في ساعة من غروب الشمس ساعة وبعد طلوع
 الفجر ساعة وهو يصفى كما يصفى الإنسان وقيل إن سواهم له كان على وجه النعش قيل
 كان يطيرها داء للناس ينظرونه فإذا غاب عنهم سقط ميتا ليميز فعل الله من فعل
 غيره قال ابن عباس إنما خلق عيسى طائرا واحدا وهو الخفاش وقال هنا فانفتح فيه وفي
 المائدة فتفتح فيها بأعادة الضمير هذا إلى الطير والطين وفي المائدة إلى هيئة الطير
 على عادة العرب في تفتنهم في الكلام وخص ما هنا بتوحيد الضمير مذكرا وفي المائدة بجمعه
 مؤنثا لأن ما هنا أخبار من عيسى قبل الفعل فوحدة وما في المائدة خطاب من الله له في
 القيمة وقد سبق من عيسى الفعل مرات فجمعه قاله الكرخي فيكون طيرا اسم جنس يقع
 على الواحد والاثنين والجمع وقرئ طائرا على التوحيد بإذن الله فيه دليل على أنه
 لولا الإذن من الله عز وجل لم يقدر على ذلك وإن خلق ذلك كان بفعل الله سبحانه وإجازة
 على يد عيسى عليه السلام قيل كانت تسوية الطين والنخ من عيسى والخلق من الله عز وجل
 وأبرئ الأكمه والأبرص هو الذي يولد أعمى كذا قال أبو عبيدة وقال ابن
 الفارس الأكمه العن يولد به الإنسان وقد يعرض يقال كمه يكمه كمها إذا عمي كمه
 عينه إذا عمته وقيل الأكمه الذي يبصر بالنها ولا يبصر بالليل وقيل الأعمش وقيل
 هو المسوخ العين والبرص معروف وهو بياض يظهر في الجلد ولم تكن العرب تنفر من
 شيء نفر بها منه يقال برص يبرص برصا أصابه ذلك ويقال له الوخخ وفي الحديث وكان
 بها وخم والوضاح من ملوك العرب هابوا أن يقولوا له البرص ويقال للقمبر برص لشدة
 بياضه ولوزع سام برص لبياضه والبريص الذي يلعب على العين والبرص ويقاد بالبرص وقيل
 كان عيسى عليه السلام يبرئ من أمراض عدة كما اشتغل عليه الأنجيل وإنما خص الله
 سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنهما لا يبريان في الغالب بالمداواة وقال السيوطي لأنهما داء
 أحياء وكان بعثه في زمن الطب فابرا في يوم خمسين الف بالداء بشرط الإيمان ولم يقل
 في هذين بإذن الله لأنهما ليس فيهما كبير غرابة بالنسبة إلى الآخرين فتوهم الألوهية فيهما
 بعيد فلا يحتاج إلى التنبيه على نفيه خصوصا وكان فيهم أطباء كثيرون وأخي المولى

اي ذلك احياء الموتى قد اشتمل الانجيل على قصص من ذلك قال بن عباس قد
احيى اربعة انفس عازروا بن العجوز واسرة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له
الاسام قيل وكان دعاؤه باحيائهم يا حي يا قيوم يا ذن الله ذكره لنفي توهم الالهية فيه
فهو رد على النصارى لان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ
وَمَا تَذْكُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ اي بما اكلم الباصرة من طعام وما خباكم منه عن عباد بن
ياسر قال بما تاكلون من المائدة وما تذخرون منها وكان اخذ عليهم في المائدة حين
تلت ان ياكلوا ولا يدخروا فاكلوا وادخروا واثروا فجعلوا قرعة وخازيرو في هذا ليل
قاطع على صحة نبوة عيسى معجزة عظيمة له وهذا اخبار من المغيبات مع ما تقدم له من
الايات الباهرات واخباره عن الغيوب باعلامه ايا بذ لك وهذا مما لا سبيل لاحد من
الشر اليه الا للانبيا عليهم السلام ولما اخبار النجم والكاهن فلا بد لكل واحد منهما
من مقدّمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها وقد يخطئ في كثير ما يخبر به ان في ذلك اكله
من خلق الطير وغيره لاية لكم اي عبرة ودلالة على صدق ان كنتم مؤمنين يعني مصدق
بذلك انتفعتم بهذه الاية ومصدق قاي وحدثكم مصدق الكاين يدكي من التوراة
وذلك لان الانبياء يصدق بعضهم بعضا وبين نبي عيسى الفسنة وتسعمائة سنة وخمسة وسبعون سنة
ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم اي لاجل احل لكم بعض الذي حرم عليكم من الاطعم
في التوراة كالشعير وكل ذي ظفر كما في التمتع والى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية
وقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقيل انما احل لهم ما حرمته
عليهم الاحبار وروى حرمة التوراة وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون بعض بمعنى كل قال الفقيه
وهذا القول غلط عند اهل النظر من اهل اللغة لان البعض واخر لا يكونان بمعنى الكل
ولان عيسى لم يحلل لهم جميع ما حرمته عليهم التوراة فانه لم يحلل القتل والسرقة ولا الفاحشة
وغير ذلك من المحرمات الثابتة في الانجيل مع كونها ثابتة في التوراة وهي كثيرة غير
ذلك من يعرف الكتابين ولكنه قد يقع البعض موقع الكل مع القرينة عن وهبان
عيسى كان على شريعة موسى وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال ليني اسرائيل

اني لم اذكر الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاصل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع
 عنكم الاضار وعن الربيع قال كل الذي جاء به ^{عليه} الدين مما جاء به موسى وكان قد اضر عليهم فيما جاء به موسى محرم لابل التوراة
 فاحلوا لهم لسان ^{عليه} حرم عليهم اللحم فاحل لهم فيما جاء به ^{عليه} وفي اشياء من السما والارض وفي اشياء من الطير وفي اشياء اخرى
 حرمها عليهم وشدد عليهم فيها فجاءهم ^{عليه} بالتخفيف منه في الانجيل وجئتكم يا اية من ربكم
 في قوله ان الله ربي وربكم وانما كان ذلك اية لان من قبله من الرسل كانوا يقولون ذلك
 فجيئته بمجاء به الرسل يكون علامة على نبوته ويحتمل ان تكون هذه الآية هي الآية
 المتقدمة فيكون تكرير القول اني قد جئتكم يا اية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهنة
 الطير الآية وقيل هذه الجملة تأكيد للاول وقيل تأسيس لتأكيد فأتقوا الله يا معشر
 بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه وأطيعون فيما اذعواكم اليه لان طاعة الرسول
 من توابع تقوى الله ان الله ربي وربكم فاعبدوه وجميع الرسل كانوا على دين واحد
 وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله وفيه حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم
 هذا حصر المستقيم يعني التوحيد فذلك بوجه ولم يؤمنوا به فلما احسن ^{عليه} منهم الكفر احصر
 علم ووجد قاله الزجاج وقال ابو عبيدة معنى احسن عرف واصل ذلك وجود الشيء بالحاجة
 والاحساس العلم بالشيء قال تعالى هل تحس منهم من احد والمراد بالاحساس هنا الادراك
 القوي الجازي يجري المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وقيل سمع منهم كلمة الكفر
 وقال الغراء ارادوا قتله وعلى هذا معنى الآية فلما ادرك منهم ^{عليه} ارادوا قتله التي هي كفر
 والذين ارادوا قتله هم اليهود وذلك انهم كانوا اكارفين من التوراة بانه المسيح المبشر به
 في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه
 وطلبوا قتله وكفروا به فاستنص عليهم كما اخبر الله عنه بقوله قال من انصاري الانصار
 جمع نصير الى الله اي متوجه الى الله وملحقا اليه واذا هب اليه وقيل الى بمعنى مع كقوله
 تعالى ولانا كلوا اموالهم الى اموالكم وقيل المعنى من انصاري في السبيل الى الله وقيل المعنى
 من يضم نصيرته الى نصرة الله وقيل لما بعث الله عيسى وامره باظهار رسالته والدعاء
 اليه نفوة واخرجه من بينهم فخرج هو وامه يسحان في الارض يقول من انصاري الى الله

قال الحواريون جمع حواري وحواري الرجل صفوته وخلاصته وهو مأخوذ من الحور وهو
 البياض عند أهل اللغة حورت الثياب بيضتها والحواري من الطعام مأخوذ من الحور يبيض
 والحواري الناصر ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير
 وهو في البخاري وغيره قال ابن عباس كانوا صيادين وقال الضحاك أقصا روم مرهم عيسى
 فأنابوه وعن قتادة قال الحواريون هم الذين تصلم لهم خلافة وقيل هم إصفياء الأنبياء
 وقيل الحواري الوزير وقد اختلفت في سبب تسميتهم بذلك فقيل لبياض ثيابهم وقيل لخلو
 نياتهم وقيل لأنهم خاصة الأنبياء وكانوا اثني عشر رجلا وهم أول من آمن به نحن أنصار
 الله أي أنصار دينه ورسله أمنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله فان لايمان
 يبعث على النصره وأشهدك انت يا عيسى لنا يوم القيامة بأنك مسلمون أي مخلصون
 لايماننا متقادون لما تريد منا ايدنا بان غرضهم السعادة الآخوية ربنا أمنا بما أنزلت
 في كتابك ترضع الى الله سبحانه وعرض محالهم عليه بعد عرضها
 على الرسول مبالغة في اظهار رامهم وأتبعنا الرسول أي عيسى وحذت المتعلق مشعر
 بالتعميم أي اتبعناه في كل ما يأتي به فاكثبنا مع الشهيدين لك بالوحدانية ولرسولك
 بالرسالة فثبت اسماءنا باسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكررهم به والكتبنا
 مع الأنبياء الذين يشهدون لا محرم وقيل مع محمد صلوات الله عليهم شهد والله انه قد
 بلغ وشهد والرسول انهم قد بلغوا ومكروا أي الذين احسن عيسى منهم الكفر وهم كفار
 بني اسرائيل اذ وكلوا به من يقتله غيلة أي خفية وممكن الله هو استدرار الجاهل
 من حيث لا يعلمون قاله الفراء وغيره وقال الزجاج مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمي
 الجراء باسم الابتداء كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وهو خادعهم واصل المكر في اللغة
 الاختيال واتخذ حكاة ابن فارس وعلى هذا فلا يسند الى الله سبحانه الا على طريق
 التشاكاه وقيل مكر الله هنا القاء شبه عيسى على غيره ورفع عيسى اليه اخرج ابن جرير عن
 السدي قال ان بني اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت قال
 عيسى لا يحاربكم من يأخذني فيقتل وله الجنة فأخذوا رجلا منهم وصعد يعيسى السطح

فقد

فذلك قوله ومكر او مكر الله والله خير المكرين علي اقوامهم مكر او انفذهم كيد او اقرهم
 على افعال الضرر بمن يريد ابعاله من حيث لا يحتسب واذا قال الله يعيسى ائني
 متوفيك ورافعك الي قال الفراءان في الكلام تقدما وتأخيرا تقديره اني رافعك
 ومطهرك ومتوفيك بعد انزالك من السماء قال ابو زيد متوفيك قابضك وقيل
 الكلام على حاله من غير ادعاء تقدير وتأخير فيه والمعنى كما قال في الكشف مستوفي
 اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخر اهلك لاجل كتبته لك ميمتك
 حقت انك لا قتلا يا كيدهم عن مطر الوراق قال متوفيك من الدنيا وليس بوفات موت
 انما احتج المفسرين الى تاويل الوفاة بما ذكره لان الصحيح ان الله تعالى رفعه الى السماء من غير
 وفاة كما رجحه كثير من المفسرين واختاره ابن جرير الطبري ووجه ذلك انه قد صح
 في الاخبار عن النبي صلى الله عليه واله وسلم نزوله وقله الدجال وقيل ان الله سبحانه توفاه
 ثلث ساعات من ثم رفعه الى السماء وفيه ضعف وقيل المراد بالوفاة هنا النوم ومثل
 هو الذي يتوفىكم بالليل اي ينيكم وبه قال كثير من وقيل الواو في قوله ورافعك لا تنفيذ
 الترتيب لانها المطلق للجمع فلا فرق بين التقديم والتأخير قاله ابو البقاء وقال ابو بكر الواسطي
 اني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك وهذا بالتخريف اشبه منه بالتفسير عن سعيد
 بن المسيب قال رفع عيسى وهو ابن ثلث وثلثين سنة رفعه الله من بيت المقدس ليلة
 القدر من رمضان وحملت به امه ولها ثلث عشرة سنة وولدت له بمضي خمس سنين
 سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل وعاشت بعد رفعه ست سنين وادخل على
 هذا عبارة المواهب مع شرحها للزرقاني وانما يكون الوصف بالنبوة بعد بلوغ الموصوف
 بها اربعين سنة اذ هو سن الكمال ولها تبعث الرسل ومفاد هذا الحصر الشامل لجميع
 الانبياء حتى يحيى وعيسى هو الصحيح في زياد المعاد للحافظ ابن القيم رح ما يذكر ان عيسى رفع
 وهو ابن ثلث وثلثين سنة لا يعرف به اثر متصل بحبل المصير اليه قال الشامي وهو كما
 قال فان ذلك انما يروى عن النصارى والمصرح به في الاحاديث النبوية انه انما رفع
 وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم قال الزرقاني وقع للحافظ الجلال السيوطي في تكملة تفسيره

الحلي وشرح النقاية وغيرهما من كتبه الحزم بأن عيسى رفع وهو ابن ثلث وثلثين سنة
ويمكن بعد نزوله سبع سنين وما زلت اتعجب منه مع مزيد حفظه واتقانه وجمعه
المعقول والمنقول خبراً يثبته في مرقاة الصعود رجع عن ذلك انتهى قلت في حديث أبي أوفى
الطيا ليس بدل سبع سنين أربعين سنة ويتوفى ويصل عليه قال السيوطي فيتمل ان المراد مجموع
لبنه في الارض قبل الرفع وبعده انتهى وفيه ما تقدم واورد على قوله ليلة القدر انها
من خصائص هذه الامة وربما يقال في الجواب لعل الخصوصية على الوجه الذي هي عليه
الآن من كون العمل فيها خيراً من العمل في الف شهر ومن كون الدعاء فيها مجاباً كما لا يخفى
المطلوب وغير ذلك فلا ينافي انها كانت موجودة في الامر السابقة لكن على مزية و
فضل اقل مما هي عليه الآن ومطهرتك اي مبعذك ومخرجك من الذين كفروا اي من
خبت جواردهم وسوء صحبتهم وذنس معاشرتهم برفعك الى السماء وبعده عنهم قال
الحسن طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه لان كونه في جملة من غلب
التنجيس له بهم قاله الكرخي وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا اي الذين
اتبعوا ما جئت به وهم خلص اصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه الى ما بلغ من جعله
الها ومنهم المسلمون فانهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووضعه بما يستحقه من
دون غلو فلم يغرطوا في وصفه كما فرطت اليهود ولا افراطوا كما افطت النصارى وقد ذ
الى هذا كثير من اهل العلم وقيل المراد بالآية ان النصارى الذين هم اتباع عيسى لا يزالون
ظاهرين على اليهود غالبين لهم قاهرين لمن وجد منهم فيكون المراد بالذين كفروا هم
اليهود خاصة وقيل هم الروم لا يزالون ظاهرين على من خالفهم من الكافرين وقيل هم كوا
لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح وقيل هم المسلمون والنصارى وعلى كل حال فغلبة النصارى
لطاقفة من الكفار ولكل طوائف الكفار لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين لظوق
المسلمين كما يفيد الآيات الكثيرة بان هذه الملة الاسلامية ظاهرة على كل الملل
قاهرة لها مستعلية عليها وقد افرد الشوكاني هذه الآية بمؤلف سماه وبطل الغمامة في
تفسير وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة فمن اراد استيفاء ما

المقام فلا يرجع الى ذلك وحاصل ما ذكره ان صيغة الذين اتبعوا من صيغ العموم كذلك
 صيغة الذين كفروا من صيغ العموم والواجب العمل بما دل عليه النظم القرآني واذا ورد
 ما يقتضي تخصيصه او تقييده او صفة عن ظاهره وجب العمل به وان لم يرد ما يقتضي
 ذلك وجب البقاء على صيغة العموم وظاهره شمول كل متبع وانه مجعول فوق كل كافر
 وسواء كان الاتباع بالحجة او بالسيف او بما وفي كل الدين او بعضه او في جميع الاقضية
 ولا مكنة ولا احوال او في بعضها والمراد بالكافر الذي جعل المتبع فوقه كل كافر وسواء
 كان كفرة بالستر لما يعرفه من نبوة عيسى او بالمكره او بالخلافه لادينه اما بعد التمسك
 بدين من الاديان قط كعبدة الاوثان والنار والشمس والقمر والجاحدين لله والمنكوبين
 للمشائخ واما مع التمسك بدين يخالف دين عيسى قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
 كاليهود وسائر الملل الكفرية فالمتبعون لعيسى باي وجه من تلك الوجوه هم المجعولون
 فوق من كان كافرا باي تلك الانواع ثم بعد البعثة المحمدية لاشك ان المسلمين هم
 المتبعون لعيسى لا قزاره بنو محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره بما كما في القرآن الكريم الانجيل بل
 في الانجيل الامر لا يتابع عيسى بايتباع محمد صلى الله عليه وسلم فالمتبعون لعيسى بعد البعثة المحمدية هم
 المسلمون في امر الدين ومن بقي على النصرانية بعد البعثة المحمدية فهو وان لم يكن متبعا
 لعيسى في امر الدين ومعظمه لكنه متبوع له في الصورة وفي الاسم وجزئيات من اجزا الشريعة
 العيسوية فقد صدق عليهم انهم متبعون له في الصورة وفي الاسم وفي شيء مما جاء به
 وان كانوا على ضلال ووبال وكفر فذلك لا يوجب خروجهم عن العموم المذكور في القرآن
 الكريم ولا يستلزم اندراجهم تحت هذا العموم انهم على شيء بل هم هاكئون في الاخرة وكانوا
 مجعولين فوق الذين كفروا بذلك انما هو في هذه الدار ولهذا يقول الله جل وعلى ثم انزلوا
 فاحكم بينهم لا اية فالحاصل ان المجعولين فوق الذين كفروا هم اتباع عيسى قبل النبوة المحمدية
 وهم النصارى والحواريون وبعد النبوة المحمدية هم المسلمون والنصارى والحواريون والاولون هم الاتباع
 حقيقة وغيرهم هم الاتباع في الصورة وقد جعل الله الجميع فوق الذين كفروا من اليهود وسائر
 الطوائف الكفرية وقد كان الواقع هكذا فان الملة النصرانية قبل البعثة المحمدية كانت

جميع الملل الكفرية ظاهرة عليها غالبية لها وبعد البعثة المحمدية صارت جميع الامم الكفرية
 نهبا بين الملة الاسلامية والملة النصرانية ما بين قتل واسير ومسلم المجزية وهذا يعرفه
 كل من له المام باخبار العالم ولكن الله تعالى قد جعل الملة الاسلامية قاهرة الملة النصرانية
 مستظهرة عليها وفاء بوعده في كتابه العزيز كما في الايات المستطعة على الاخبار بان جذه
 هم الغالبون وخزيه هم المنصورون ومن ذلك قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم
 فاصبحوا ظاهرين والله العززة والرسولة والمؤمنين ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
 وقد اخبر الصادق المصدوق بظهور امته على جميع الامم وقهر ملته بجميع الامم وبالحجة انا
 اذا خرجنا النظر الى الملة الاسلامية والملة النصرانية فقد ثبت في الكتاب والسنة ما
 يدل على استظهار الملة الاسلامية على الملة النصرانية وان نظرتنا الى جميع الملل فالملة الاسلامية
 والملة النصرانية هما فوق سائر الملل الكفرية لهذه الآية ولا ملجأ الى جعل الضمير المذكور في
 الآية وهو الكاف لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما تكلفه جماعة من المفسرين لان
 جعله لعيسى كما يدل عليه السياق بل هو الظاهر الذي لا ينبغي العدول عنه لا يستلزم
 اخراج الملة المحمدية بعد البعثة اذ هم متبعون لعيسى كما عرفت سابقا ولا خلاف بين اهل
 الاسلام ان الملة النصرانية كانت قبل البعثة المحمدية هي القاهرة لجميع الملل الكفرية فلم
 يبق في تحويل الضمير عن
 ولا اخراج احد من الامم
 حررنا علم انه قد اعطى التركيب القرآني ما يليق ببلاغته من بقاء عموم الموصول المذكور
 الثاني وعدم التعرض لتخصيصه بما ليس بمختص وتقييده بما ليس بمقيد وعدم اخراجه عن
 في الاحاديث الصحيحة ان عيسى عليه السلام في اخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
 الجزية ويحكم بين العباد بالشريعة المحمدية فيكون المسلمون انصاره واتباعه اذ ذلك فلا
 ان يكون في هذه الآية اشارة الى هذه الحالة فيكون غايته للجعل والاستقرار المقدر
 في الظرف لاحد معان ذلكهم يفتي يوم القيامة بل على ان المسلمين يعلمون الى تلك

الغاية فاما بعدها فيفعل الله بهم ما يريد كما ذكره بقوله فاما الذين كفروا فلهم اجرهم
 ابن ابي حاتم وابن عساکر عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يقول لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يبالون بمن خالفهم حتى يأتي امر الله
 النعمان من قال اني اقول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تصديق ذلك في كتاب الله
 وجعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة واخرج ابن عساکر عن معاوية
 مرفوعا نحوه ثم قرأ معاوية الآية عن ابن زيد قال انصارك فوق اليهود في يوم القيمة ليس
 بل فيه احد من النصارى الا وهم فوق اليهود في شرق ولا غرب وهم في البلدان كلها مستذلون
 ثم الى مرجعكم اي مرجع الفريقين الذين اتبعوا عيسى والذين كفروا به والمرجع الرجوع
 وتقدير الظروف للقصر فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون اي من امور
 الدين فاما الذين كفروا فاعذ بهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة تفسير للحكم
 الواقع بين الفريقين الى اخر الآية وتعذب بهم في الدنيا بالقتل والسبي والجزية والصغار
 واما في الآخرة فيعذاب النار وما لهم من نصيب يمنعهم من عذابنا من مقابلة
 اجمع بالجمع واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم بايات النون اجورهم اي يعطيهم
 اياها كاملة موفرة والله لا يحب الظالمين نفى كناية عن بغضهم واستعمال عدم
 محبة الله في هذا المعنى شائع في جميع اللغات جار مجرى الحقيقة وهي جملة تذييلية مقترنة
 لما قبلها ذلك انما علم انما لف من نكاحه في الدنيا من الآيات
 والذكر الحكيم المشتمل على الحكم والحكم الذي لا حل فيه ان من عيسى عند الله اي شانه
 الغريب والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها تعلقا ضائعا بل تعلقا معنويا وزعم
 بعضهم انها جواب قسم وذلك القسم هو قوله والذكر الحكيم فالواحد من جملة من عطف
 وهذا بعيدا وممتنع اذ فيه تفكيك لنظم القرآن واذا هاب لرونقه وفصاحته كمثل
 ادم في الخلق والانشاء تشبيه عيسى بادم في كونه مخلوقا بغير اب كادم ولا يقدح في
 التشبيه اشتمال المشبه به على زيادة وهو كونه لادم كما انه لا اب له فذلك امر
 خارج عن الامر المراد بالتشبيه وان كان المشبه به اشد غرابة من المشبه واعظم عجاذا

اسلوباً وعبارة الأجنبي هو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس وبه قال
الشيخ طه حلقه من تراب جملة مفسر لما أبهم في المثل وخبر مستأنف على جملة التفسير كحال خلق
أدم أي أن آدم لم يكن له أب ولا أم بل خلقه الله من تراب وقد جسد من طين شبه حاله
بما هو غريباً فحما للخصم قطعاً للمواد الشبه وفي ذلك دفع الإنكار من أن خلق عيسى من غير أب
مع اعترافه بأن آدم خلق من غير أب أم ثم قال له كُنْ بَشَرًا لِي أَنْشَأَهُ خَلْقًا بِالْكَلِمَةِ وَكَذَلِكَ ^{عَلَيْهِ}
أَنْشَأَهُ خَلْقًا بِالْكَلِمَةِ وَقِيلَ الضمير يرجع إلى عيسى فيكون أي فكان بشر الردي بالمستقبل الماضي أي حكاية
حال ماضية عن ابن عباس أن هطاً من أهل بخران قدموا على النبي صلعم وكان فيهم السيد والعا
فقالوا أما شأناك تذكر صاحبنا قال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبدا لله قالوا فهل رأيت مثل عيسى
وانبئت به فخرجوا من عنده فجاء جابريل فقال قل لهمم إذا التوكل أن مثل عيسى
عند الله كمثال آدم الآية وقد رويت هذه القصة على وجوه عن جماعة من الصحابة و
التابعين وأصلها عند البخاري ومسلم وحكي أن بعض العلماء استر بعض بلاد الروم فقال
لهم لم تعبدوا من عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى لأنه لا أب له فلا أم قالوا وكان يحسب
الموتى فقال حزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف قالوا وكان يدرى
ألكم ولا برص قال فخر جيس أولى لأنه طنج وأحرق ثم قام سليمان الحق إلى جاءك الحق
من ربك يعني الذي أخبرنا به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق والحجة على هذا خبر مبتدأ
وقيل مستأنفة براسها والمعنى أن الحق الثابت الذي لا يضل هو من ربك ومن جملة ما جاء من ربك
قصة عيسى وأمه فهو حق ثابت فلا تكن من الممتزجين الخطأ ما لكل من يصلح له من الناس
أي لا يكن أحد منهم معتزلاً بالرسول صلعم ويكون النهي له لزيادة التثبيت لأنه لا يكون منه
شك في ذلك فمن شرعية وهو الظاهر وموضوعة حاجتك من النصارى في عيسى
وهو لا ظهر وقيل فالحق وهو الأقرب للحاجة مفاعلة وهي الخاصة من الاثنين وكان الأمر كذلك
من بعد ما جاءك من العلم بأن عيسى عبد الله ورسوله ومن التبعض الملبس الجف من المراد مجيء العلم
هنا مجيء سببه وهو الآيات البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا لي هلموا بالآيات والعزم العامة
على فتح اللام لأنه امر من تعال يتعالى كترامى يترامى وأصل الفة وأصل هذه الياء وأولاه

مشتق من العلو وهو لا ارتفاع تقول في الواحد تعال يا زيد وفي الجمع المذكر تعالوا وتقول يا زيدان
 تعالياً ويا هندان تعالياً ويا نسوة تعالين قال تعالى فتعالين امتعكن واسرحن وقول الحسن
 تعالوا بضم اللام وتعال فعل امر صريح وليس باسم فعل لا اتصال الضمائر المرفوعة البارزة قبل
 واصله طلب الاقبال من مكان مرتفع تعالوا بذلك واذنا للمدح لانه من العلو والرفعة ثم توسع
 فيه فاستعمل في مجرد طلب الجيئ حتى تقول ذلك لمن تريد اهانته كقولك للعدو تعال لمن
 لا يعقل كالبهايم ونحوها وتستعمل في الرأي اذا كان المخاطب جاضوا كما تقول لمن هو حاضر عندك تعال
 ننظر في هذا الامر وقيل هو الداء لكان مرتفع ثم توسع فيه حتى استعمل في طلب الاقبال الى كل مكان
 حتى المنخفض نذرع ابناؤنا وابناؤكم ونساءكم ونساءكم وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم
 نفسه واخره اهلها والصغيرم بقلبه الى المبالاة ويحمل عليها هذا وان كان عاماً فالمراد به
 الخاص وهم النصارى الذين وفدوا اليه مسلم من بخران كما اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي
 في الدلائل عن جابر قال قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم العاقب السيد فذاعها الى الاسلام فقال اسلمنا يا محمد
 فقال كن تباً ان شئت ما خبرتكم ما يمنعكم من الاسلام قالوا انها قال حب الصليب شرب الخمر وكل لحم
 الخنزير قال جابر فذاعها الى الملاعة فذاعها على ذلك الغد فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخذ بيده وفاء
 والحسين والحسين ثوارسل اليها فابا ان يجيبها واقواله فقال والذي بعثني بالحق لو فعلوا ما فعلوا
 عليهما انا ارا قال جابر فحملت قل تعالوا نذرع ابناؤنا الآية قال جابر انفسنا وانفسكم رسول الله صلى
 وعلي ابناؤنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة ورواه الحاكم من وجه اخر عن جابر وصححه وفيه انه قال
 للنبي صلى الله عليه وسلم لك ان نلاعنه واخرج مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم والبيهقي عن سعد
 بن ابي وقاص قال لما نزلت هذه الآية قل تعالوا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وحسنا
 وحسينا فقال اللهم هؤلاء اهلنا واخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن ابيه تعالوا نذرع ابناؤنا الآية
 قال فجاء ابي بكر وولده وعمر وولده وعثمان وولده وبعيل وولده ويمكن ان يقال هو على عمومها اهل
 الذين ان كان السبب خاصا فيدل على جنس المبالاة منه صلى الله عليه وسلم الكل من حجة في عيسى عليه السلام وامته
 اسوة قال في الكشف في حليل لشي اقوى منه على فضل اصحاب الكساء وفيه برهان واضح على صحة
 نبوة النبي صلى الله عليه وسلم واحد من موافق ولا يخالفهم جابوا الى اخلاق الله وقال البيضاوي وفيه دليل على نبوته

وفضل من ابق بهم من اهل بيته والتقى بذكر البنين عن البنات لما لدخولهن في النساء ولكنهم
الذين يحضرون مواقف الخصام دونهن وفي الآية دليل على ان ابناء البنات يسمون ابنا لكونهم
صلوا اراد بالابناء المحسنين كما تقدم وانما خص الابناء والنساء لانهم عزرا لاهل وانا قدّم
في الذكر على نفسه لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم ولان الرجل يخاطر
بنفسه لهم ويجارب دونهم ان قلت القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب
وهذا يختص به وعن يباهله فلم يضر اليه الابناء والنساء في المباهلة قلت ذلك انما
في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث تجرأ على تعرضه عن ربه في الدلالة
على ثقته بكذب خصمه ولاجل ان يهلك خصمه مع اعزته جميعا لو ثبت المباهلة فشر
نبتهل تنزع الى الله واصل الابتهاال الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره يقال بهله الله
لعنه والبهل اللعن قال ابو جريد والكسا في نبتهل تلعن ويطلق على الاجتهاد في الهلاك
قال في الكشف ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعاننا اخرج الحاكم وصححه
اليهم في سننه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الاخلاص شيار باصبعه
التي تلى الايهام وهذا الدعاء فوضع يديه حذو منكبيه وهذا الابتهاال فرفع يديه مدحا
في الجمل وقع البحث عند شيخنا العلامة الدواني قدس الله سره في جواز المباهلة بعد النبوة
صلواته فكتب رسالته في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار وكلام الائمة و
حاصل كلامه فيها انها لا تجز الا في امور مهم شرعا وقع فيها اشتباه وعناد لا يتسدد فعه
الا بالمباهلة فيستلزم كونها بعد اقامة الحجّة والسعي في ازالة الشبهة وتقدير النصح لا اله الا الله
وعدم نفع ذلك ومساس الضرورة اليها انتهى قلت قد دعي الحافظ محمد بن ابي بكر بن القيم
رح من خالفه في مسئلة صفات البات تعالى شأنه واجرائها على ظواهرها من غير تأويل
ولا تكيف ولا تحريف ولا تعطيل الى المباهلة بين الركن والمقام فلم يجبه الى ذلك وخاف سوء العاقبة
والقصة هذه مذكورة في اول كتابه المعروف بالنونية وآتت سبحانه وتعالى ضابطتين هما
على خطيتهم في مباهلة كانه يقول لهم لا تجلوا وتأنوا لعلهم ان يظهر لكم الحق فلذلك
ان جبر الترخي فجعل لعنت الله عطف بيان على الكاذبين يعني منا ومنكم بان نقول اللهم

العن الكاذب في شأن عيسى الذي يقول انه ابن الله ويقول انه هذه جملة مبينة لمخا
وفي الآية دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله ولم ير واحد من موافق ^{لغير}
انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم ان هذا اي الذي
قصده الله على رسوله من نبأ عيسى هو القصص الحق القصص التابع يقال فلان يقص اثر
فلان اي يتبعه فاطاق على الكلام الذي يتبع بعضه بعضا وهذا الفصل المحصور دخول
اللام عليه لزيادة تأكيد وزيادة من في قوله وما من الله لئلا يتكيد العموم ولا استغراق ^{الله}
وهو رد على من قال بالتثليث من النصير وان الله لهو العزيز اي الغالب المنتقم من
عصاه وخالف امره وادعى معه الها اخر احكيهم اي في تدبيره وفيه رد على النصير لان
عيسى لم يكن كذلك فان تولوا اي اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه فان الله عليهم ^{بما} شديد
اي الذين يعبدون غير الله ويذعنون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد
لهم شديد ووضع المظهر موضع المضمحل لادالة على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد
افساد للدين والاعتقاد المود الى فساد النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم قيل لخطاب لاهل بخران بدليل ما تقدم قبل هذه الآية قيل
ليهود المدينة وقيل لليهود والنصارى جميعا وهو ظاهر النظم القرآني لا وجه لتخصيصه
بالبعض لان هذه دعوة عامة لا تختص باللائك الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والسواء العدل قال الفراء يقال في معنى العدل سوى وسواء فاذا فحقت السنين
مددت اذا ضمنت او كسرت قصرت وفي قراءة ابن مسعود الى كلمة عدل فالتعدي
اقبل الى ما دعيت اليه وهي الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق
ولا يختلف فيها الرسل والكتب والعرب تسمي كل قصة او قصيدة لها اول واخر وشرح
كلمة وقد فسرها بقوله لا نعبد الا الله اي هي ان لا نعبد الا شيئا وذلك ان النصير
عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا
الواحد ثلاثة وقد اخرج البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال حدثنا ابو سفيان
ان هرقل دعى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك
 بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتاك الله اجر كمرتين فان توليت فان عليك اثم الاليسيين
 ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله يا انا مسلمون واخرج الطبراني
 عن ابن عباس ان كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الكفار تعالوا الى كلمة
 الآية واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن جريج قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 دعى يهود المدينة الى ما في هذه الآية فابوا عليه فجاهد هم حتى اقر ويا بنجرية وعن قتادة
 ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى يهود اهل المدينة الى الكلمة السواء ولا يتخذ بعضنا
 بعضا اربابا من دون الله تبيكت لمن اعتقد ربوبية المسيح وعن يرواشارة الى ان هؤلاء
 من جنس البشر وبعض منهم وازراء على من قلد الرجال في دين الله فخلل ما حللوه و
 حرم ما حرموه عليه فان من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده ربا ومنه اتخذ والجارهم
 ورهبانهم اربابا من دون الله قال ابن جريج لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله يقال
 ان تلك الربوبية ان يطيع الناس سادتهم فادتهم في غير عبادة وان لم يصلوا لهم وعن
 عكرمة قال سجد بعضهم بعضا فان قولوا اعرضوا عن التوحيد قال ابو البقا هو ما ضل
 ولا يجوز ان يكون التقدير فان تتولوا الفساد المعنى وهذا الذي قاله ظاهر جدا قاله السمين
 فقولوا اي انت والمؤمنون اشهدوا يا اباكم مسلمون موحدون لما لم تكونوا محجة فاعترفوا
 يا انا مسلمون وذكروا هلا الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل
 الا من بعد لما ادعت كل طائفة من طائفتي اليهود والنصارى ان ابراهيم عليه السلام كان
 على دينهم رد الله سبحانه ذلك عليهم واما بان الملة اليهودية والملة النصرانية انما كانتا
 من بعدة قال الزجاج هذه الآية ابين حجة على اليهود والنصارى ان التوراة والانجيل
 نزلا من بعدة وليس فيهما اسم لواحد من الاديان واسم الاسلام في كل كتاب وفيه نظر
 فان الانجيل مشحون بالايات من التوراة وذكر شريعة موسى والاحتجاج بها على اليهود
 وكذلك الزبور فيه في مواضع ذكر شريعة موسى وفي اوائله التبشير بعيسى ثم في التوراة
 ذكر كثير من الشئائع المتقدمة يعرف هذا كل من يعرف هذه الكتب المنزلة وقد اختلف

في قدرة المدّة التي بين ابراهيم وموسى والمدّة التي بين موسى وعيسى قال القرطبي يقال
كان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وبين موسى وعيسى الف سنة
سنة واثنتان وثلاثون سنة وقيل كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس مئة سنة
سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعمائة وعشرون سنة عن ابن عباس قال ^{حققت}
نصارى خزان واحبار يهود عند رسول الله صلعم قتنا دعوا عنده فقالت الاحبار ما
كان ابراهيم لا يهود يا وقال النصراني ما كان ابراهيم الا نصرانيا فنزل فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون الاية وقد روي في
عن جماعة من السلف افلا تعتقلون اي تتفكرون في دحوض حجتكم وبطالان قولكم
حتى لا تجدوا مثل هذا الجدل المحال ها انتم يا هؤلاء الرجال الحق حجتكم ها للتنبيه
وهو موضع النداء والمراد بهم اهل الكتابين والمعنى جادلتم وخاصتم وفي هؤلاء لغتان
المد والقصر فيما لك كم به علم المراد هو ما كان في التوراة وان خالفوا مقتضاه
وجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون فيما ليس كم به علم وهو زعمهم ان ابراهيم
كان على دينهم بجهلهم بالزمان الذي كان فيه وفي الآية دليل على منع الجدل بالباطل
بل ورد الترغيب في ترك الجدال من الحق كما في حديث من ترك المراء ولو محقا فانا ضمنه
على البيت في ربض الجنة وقد ورد تسوية الجدال بالتي هي احسن كقوله تعالى وجادلهم
بالتي هي احسن ولا تجدوا لاهل الكتاب الا بالتي هي احسن ونحو ذلك فينبغي ان يقتصر ^{جمله}
على المواطن التي تكون المصلحة في فعله اكثر من المفسدة وعلى المواطن التي المجادلة فيها
بالخاسنة لا بالخاشنة والله يعلم اي كل شيء فيدخل في ذلك ما حاجتكم به وانتم
لا تعلمون يعني ذلك وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ما كان ابراهيم يهوديا
لا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما يعني ما تلاعن الاديان كلها الى الدين المستقيم
وهو الاسلام وقيل انتم من الذي يوحد ويختن ويضي ويستقبل الكعبة في صلاته
وهو احسن الاديان واسماها واحمها الى الله عز وجل قال الشيعي كذبهم الله وادحضتم
في هذه الاية وما كان من المشركين فيه تعريض يكون التصاري مشركين لقولهم

بأن المسيح ابن الله وكذلك اليهود حيث قالوا عزير ابن الله إن أولى الناس بإبراهيم
 لأن من اتبعوه أي احقهم به واخصهم الذين اتبعوا ملته واقتدوا بدينه وهذا النبي يعني
 محمد صلا الله عليه وآله وسلم أفرجه بالذكور عظيم آله وتشريفه وأولوية صلته بإبراهيم من جهة
 كونه من ذريته ومن جهة موافقته لدينه في كثير من الشريعة المحمدية والذين آمنوا
 معه من أمة محمد صلا الله عليه وآله وولي المؤمنين بالنصر والمعونة أخرج الترمذي والحاكم وصححه
 وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن مسعود
 أن رسول الله صلا الله عليه وآله وسلم قال إن لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي منهم أي خليلي ربي ثم
 قرأ هذه الآية وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن مينا عن رسول الله صلا الله عليه وآله وسلم قال يا معشر
 قريش إن أولى الناس بالنبي المتقون فكونوا تتمسكوا بذلك فانظروا إن لا يلقاكن الناس
 بخون الأعمال وتلقوني بالدين يا محمدا فاصد عنكم بوجهي ثم قرأ أن أولى الناس بإبراهيم
 الآية وقال الحسن كل مؤمن ولي إبراهيم من مضمه ومن بقي ودت طائفة من أهل الكتاب
 لم يؤمنواكم الطائفة هم يهود بنى النضير وقريظة وبني قينقاع حين دعا جماعة من المسلمين
 لادينهم وقيل هم جميع أهل الكتاب فتكون من لبيان الجنس ولو مصدرية أي تمت واحبت
 اضلالكم وأحرقت امتناع والجواب محذوف أي ليس وابنك وفروا قاله السمين
 وما يؤمنون إلا أنفسهم بجملة حالية للالة على ثبوت قدم المسلمين في الأيمان فلا يعود وبك
 من الاد فتنتهم لأحليهم وما يشعرون أن وبك الاضلال يعود عليهم عن سفيان كل
 شيء في آل عمران من ذكر أهل الكتاب فهو في النصارى ويدفع هذا أن كثيرا من خطباء
 أهل الكتاب المذكورة في هذه السورة لا يصح حملها على النصارى البتة ومن ذلك هذه
 الآيات التي نحن بصدد تفسيرها فإن الطائفة التي ودت اضلال المسلمين وكذلك الطائفة
 التي قالت آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار كما سياتي من اليهود خاصة
 يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله المراد بآيات الله ما في كتبهم من دلائل نبوة محمد
 صلا الله عليه وآله وسلم وأنتم تشهدون ما في كتبكم من ذلك ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون
 به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل والفرقان تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء

ع

الذين تقرون بنبوتهم او المراد اكثر كل الايات عندا وانتم تعلمون انها حق وعن ابن جريج
قال وانتم تشهدون على ان الدين عند الله الاسلام ليس به دين غيره كما هل الكتاب
لم تليسون ^{أخوة} يا ثيا طيل ليس الحق بالباطل خلطه بما يتعدونه من التحريف قال البيهقي
تخلطون اليهودية والنصرانية بالاسلام وقد علمتم ان دين الله الذي لا يقبل من احد غيره
الاسلام وتكلمون ^{أخوة} شأن محمد ^{صلى الله عليه وسلم} وانتم تعلمون ^{أخوة} أي تجدونه مكتوبا عندكم
في التوراة والانجيل وعن قتادة مثله وقالت طائفة من أهل الكتاب ^{أخوة} آمنوا بالذي نزل
على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا ^{أخوة} لعلهم يرجعون ^{أخوة} هم رؤسائهم واشهرهم
قالو السفلة من قومهم هذه المقالة ووجه النهار اوله وسُمي بها لانه احسنه امرهم
بذلك لادخال الشك على المؤمنين لكونهم يعتقدون ان اهل الكتاب لديهم علم فاذا كفروا
بعد الايمان وقع الريب لغيرهم واعتراه الشك وهم لا يعلمون ان الله قد ثبت قلوب المؤمنين
ومكن اقدارهم فلا تزلزلهم ارجف اصداء الله ولا تحركهم ريج المعاندين عن ابن عباس قال قال
عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض تمالأوا من بما
اتزل على محمد ^{صلى الله عليه وسلم} واصحابه خدوة وتكفر به عشية حتى تلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون
كما نضع فيرجعون عن دينهم فانزل الله فيهم هذه الآية الى قوله واسمع عليم وقد روي نحو
عن جماعة من السلف ولا تؤمنوا هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض اي قال الرؤساء
للسفلة لا تصدقوا تصديقا صحيحا الا لمن تبع دينكم من اهل الملة التي عليها واما غيرهم
من اسلم فاطهر والهم ذلك خدا عا وجه النهار واكفروا ^{أخوة} ليقتنوا المعن ان ما بكم
من الحسد والبغي ان يؤتي احد مثل ما اوتيتهم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم
ما قلتم ولا تقبلوا منا صحيحا وتقر بما في صدوركم اقرارا صادقا لغير من تبع دينكم فقلتم
ذلك ودرت قوة ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة عند الله بالحق وقال لا خفش المعنى ولا
تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتي احد مثل ما اوتيتهم ولا تصدقوا ان يحاجوكم
وقيل المراد لا تؤمنوا وجه النهار وتكفروا ^{أخوة} الا لمن تبع دينكم اي لمن دخل في الاسلام
وكان من اهل دينكم قبل اسلامه لان الاسلام من كان منهم هو الذي قتلهم غيظا

وأما هم حسرة وأسفا وقيل لا تؤمنوا أي لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم
أي اسروا تصديقكم بأن المسلمين قد اتبعوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا نفشوه إلا
لاتباع دينكم وقيل المعنى لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لا
على الاستفهام تأكيد الالتكاف الذي قالوه أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتوه وقال ابن جريج
المعنى لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهة أن يؤتى وقيل المعنى لا تخبروا بما في كتابكم من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم إلا لمن تبع دينكم لئلا يكون ذلك سببا لإيمان غير محمد صلى الله
عليه وسلم والمفسرون والمعربون في هذه الآية على أوجه وذكرها تسعة أوجهها
واقربها ما ذكرناه وقال الفراء يجوز أن يكون قد انقطع كلام اليهود عند قوله إلا لمن
تبع دينكم ثم قال الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم قل إن الهدى هدى الله أي إن البيان الحق
بيان الله وأن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم على تقدير لا كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا
أي لئلا تضلوا أو يحاجوكم عند ربكم أو بمعنى آخر كذلك قال
الكسائي وهي عند الأخفش عاطفة وقد قيل إن هذه الآية أعظم أي هذه السورة أشكلا
وذلك صحيح قال الواحدي وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيرا وأغربا ولقد
تدبرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجدها قط في الآية من أولها
آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم انتهى قد خصه من كلام الناس الشيخ سليمان في الجمل
مع اختلافه فمن شاء فليرجع إليه قل إن الفضل يعز التوفيق للإيمان والهداية للإسلام
بيد الله يؤتيه من يشاء أي من إرادة من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم أن يؤتى
أحد مثل ما أوتيتم والله واسع أي ذو سعة يتفضل على من يشاء عليهم من هو الله
يختص برحمته من يشاء قيل هي الإسلام وقيل هي القرآن وقيل هي النبوة وقيل إعراف
منها وهو رده عليهم ودفع لما قالوه ودبروه وفيه دليل على أن النبوة لا تحصل إلا بالاختصاص
والفضل لا بالاستحقاق والله ذو الفضل العظيم أصل الفضل في اللغة الزيادة وأكثرها
يستعمل في زيادة الأحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومن أهل الكتب
من أن تأمنه بقطار يؤجر إليك ومنهم من أن تأمنه بدنيا لا يؤجر إليك هذا

هذا شوع في بيان خيانة اليهود في المال بعد بيان خيانتهم في الدين وقد تقدم
تفسير القنطار والدينار معروف قالوا ولم يختلف وزنه أصلاً وهو أربعة وعشرون
قيراط كل قيراط ثلث شعيرات معتدلات فالحجج اثنتان وسبعون شعيرة وصغى الآية تان
اهل الكتب فيهم الامين الذي يؤدي ما نته وان كانت كثيرة وفيهم الخائن الذي
لا يؤدي ما نته وان كانت حقيرة ومن كان اميناً في الكثير فهو في القليل امين بالاول
ومن كان خائناً في القليل فهو في الكثير خائن بالاولي قال عكرمة الموحى النصارى ولكن
لا يؤدي اليهود الا ما دُمّت عليه قائماً استثناء مفرغ اي لا يؤدي اليك في حال
من الاحوال الا ما دمت مطالباً له مضيقاً عليه متقاضياً لرد ذلك اي ترك الاداء
المدلول عليه بقوله لا يؤديه يا قوم قالوا ليس علينا في الامم سبيل الاميون هم
العرب الذين ليسوا باهل كتاب اي ليس علينا فيما اصبننا من مال العرب سبيل فانه
قتادة وعن السدي نحوه وليس علينا في ظلمهم حرج لما لغتهم لنا في ديننا وادعوا عنهم
الله ان ذلك في كتابهم فرج الله سبحانه عليهم بقوله وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ عن سعيد بن جابر عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال كذب اعداء الله
ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي هاتين الا الامانة فانها مؤداة الى البر
والفاجر اخرجها الطبراني وغيره مراسلة عليهم سبيل بكذبهم واستحلالهم اموال
العرب بقوله بل اثبات لما نفوه من السبيل قال الزجاج ثم الكلام بقوله بل ثم قال من
او في عهد الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بحمل صلى الله عليه وسلم وبالفرد
وباداء الامانة الى من ائتمنه وقيل الضمير راجع الى الموفي وقيل الى من اوالى الله تعالى
واثقى الشرك اي فليس هو من الكاذبين فَاِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الذين يتقون الشرك
وعوم المتقين قائم مقام العائد الى من اي فان الله يحبه وفيه وضع الظاهر موضع
المضمحل للاعتناء بشائهم واشارة الى عمومهم لكل متق ان الذين يشتركون اي يستبدلون
كما تقدم تحقيقه غير مرة يَعْمِدُ اللَّهُ هو ما عاهدوه عليه من الايمان بالنبي صلعم
وايما هم هي التي كانوا يحلفون انهم يؤمنون به وينصرونه متناً قليلاً اي شيئاً يسيراً

من حطام الدنيا وذلك ان المشتري ياخذ شيئاً ويعطي شيئاً فكل واحد من المعطي
والماخوذ غني لاخر فهذا معنى الشراء فاعلموا انكم نزلت في احبار اليهود رؤساءهم قيل الا قرب حمل الآية
على الكل ويدخل فيه جميع ما امر الله به وجميع اليهود والمواثق الماخوذة من جهة الرسل
وما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك يجب الوفاء به وهو الاول اولئك
الموصوفون بهذه الصفة لا اخلاق نصيب لهم في نعيم الآخرة ولا يكلمهم الله بشيء أصلاً
كما يفيد حذف المتعلق من التعظيم ولا يكلمهم الله بما ليس لهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا
يسطر اليهم يوم القيمة نظر رحمة ولا يزكيتهم يطهرهم من دنس الذنوب بالعذاب المقطع
ولا يثني عليهم بحمل بل يسخط عليهم ويعذبهم بذنوبهم كما يفيد قوله وكههم عذاب
اليوم مولم اخرج البخاري ومسلم واهل السنن عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو
عليه غضبان فقال الاشعث بن قيس في نزلت وقد روي ان سبب نزول الآية ان
رجلاً كان يحلف بالسوق لقد اعطيتكم ما يعطونها اخرجه البخاري وغيره وقيل غير ذلك
وقد ورد في وعيد الايمان الكاذبة احاديث كثيرة في الصحيح والسنن لا تطول بذكها
وان منهم كفى يقا اي طائفة من اليهود يَكُونُ السِّنَّةُ بِالْكِتَابِ اصل الي المليل ولفظ
تقول لوى براسه اذا ماله ولويت عنقه فتلته المصدر الي والليان ثم يطلق الي على
المراوغة في الحج والخصومة تشبيهاً للمعاني بالاجرام قاله السمين اي يميلون ويحرفون
ويعدلون به عن القصد ويعطفون وتحريف الكلام تعذيبه عن وجهه لان الحرف
يلويه لسانه عن سنن الصواب بما ياتي به من عند نفسه والاسنة جمع لسان هذا
على لغة من يذكره واما على لغة من يؤثته فيقول هذه لسان فانه مجمع على السن
وقال الغلام لم سمعه من العرب الامذكر او يعبر باللسان عن الكلام لانه ينشأ منه فيه
ويجري فيه ايضاً التذكير والتأنيث ^{للتسبوت} اي لتظن ان الحرف الذي جاؤا به من
الكتاب الذي انزل الله على انبيائه وما هو اي الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب في
الواقع وفي اعتقادهم ايضاً والجملة حالية ويقولون على طريقة التصحيح لا بالتورية و

التعريض مع ما ذكر من الي والتخريف هو أي الحرف من عند الله وإكمال ذلك ما هو من
 عند الله إنما كر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لأجل التأكيد ويقولون على الله
 الكتاب أي الأعم ما ذكر من التخريف والي وهم يعكسون أنهم كاذبون مفترون قال ابن
 عباس نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وأحقوا في
 كتاب الله ما ليس منه ما كان أي ما ينبغي ولا يستقيم بشي أي جميع بني آدم ولا أحد
 للفظ بشر القوم والرهط بيان لا فترأى على الأنبياء أثرياً ان افتراءهم على الله وإنما
 قيل لبشر أشعاراً بعبارة الحكم فإن البشرية منافية للأمر الذي تقولوه عليه أن يؤتية
 الله الكتاب الناطق بالحق والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو أمضاء الحكم من الله لا
 أولى والتبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للتأكي كونه عباداً لي من دون الله أي
 هذه للمقالة وهو متصف بتلك الصفة فيه بيان من الله سبحانه لعباده أن النصا
 افتروا على عيسى ما لا يصح عنه ولا ينبغي أن يقوله ولكن يقول كونه أرباباً وقال
 سيبويه الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف النون للمبالغة كما يقال لعظيم الحجة
 الحياني ولعظيم الجته جاني ولغليظ الرقبة رقباني وقيل الرباني الذي يربى الناس بصغار
 العلم قبل كباره فكانه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور وقال المبرد الربانيون
 أرباب العلم واحد هم رباني من قوله ربه يربه فهو ربان إذا دبره وأصله والياء النسب
 فعنه الرباني العالم بدين الرب لقوي التمسك بطاعة الله وقيل العالم الحكيم أي كونه
 ربانيين بسبب كونهم عالمين فان حصول العلم للإنسان والدراسة له يتسبب عنهما
 الربانية التي هي التعليم للعلم وقوة التمسك بطاعة الله قال ابن عباس معناه حكماً علماً
 وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل العالم بالحلل والحرام والأمر والنهي وقيل
 الجامع بين علم البصيرة والسياسة ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية اليوم مات
 رباني هذه الأمة وقيل هم ولاة الأمر والعلماء قال أبو عبيدة أحسبان هذه الكلمة
 عمرانية أو سانية بما كنتم تعلمون الكتاب بالتخفيف والتشديد قال مكي التشديد
 البالغ لأن العالم قد يكون عالماً غير معلم فالتشديد يدل على العلم والتعليم والتخفيف إنما

يدل على العلم فقط ويؤيد الأولى ويمالكتم تدرسون بالتخفيف والحاصل ان من
قرأ بالتشديد لزمه ان يحل الرباني على امرنا على العلم والتعليم وهو ان يكون مع ذلك
مخلصا او حكيما او حليما حتى تظهر السببية ومن قرأ بالتخفيف جازله ان يحل الرباني
على العالم الذي يعلم الناس فيكون المعنى كوننا معلمين بسبب كونكم علماء او بسبب كونكم
تدرسون العلم وفي هذه الآية اعظم باعث لمن علم على ان يعمل وان من اعظم العمل
بالعلم تعليمه والاخلاص لله سبحانه والدراسة مذاكرة العلم والفقه فدللت الآية
على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بها لا لهذا
المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اكراما اي ليس له ان يامر بعبادة نفسه ولا ان يامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
بل ينهي عنه والمعنى يقول ويا مرويل ولا ان يامركم وقرئ على الاستيناف برفع الراء
اي لا يامركم الله او محمد او عيسى او الانبياء ايامركم بال كفر بعد اذ انتم مسلمون
قاله على طريق التعجب والاحكام يعني لا يقول هذا ولا يفعله وقد استدل به من قال
ان سبب نزول الآية استيذان من استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين
في ان يسجدوا له واذا اخذ الله ميثاق النبي لما يفتح الامم للابتداء وتوكيد معنى القسم
الذي في اخذ الميثاق وبكسرها متعلقة باخذ وما موصولة على الوجهين اي للذي
انبتكم من كتب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم وجواب القسم
لتؤمنن به ولتنصنه قد اختلف في تفسير هذه الآية فقال سعيد بن جبير قتادة
وطاؤس والحسن والسدي انه اخذ الله ميثاق الانبياء ان يصدق بعضهم بعضا
بالايمان ويامر بعضهم بعضا بذلك فهذا معنى النصرة له والايمان به وهو ظاهر الآية
فحاصله ان الله اخذ ميثاق الاول من الانبياء ان يؤمن بما جاء به الاخر وينصرونه ان
ادركه وان لم يدركه يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن
بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلعم وقال الكسائي يجوز ان يكون معناها واذا اخذ الله
ميثاق الذين مع النبيين ويؤيده قراءة ابن مسعود واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا

الكتاب وقيل في الكلام حذف والمعنى واذا اخذ الله ميثاق النبيين ليعلمن الناس ما
 جاءهم من كتاب وحكمة وليأخذن على الناس ان يؤمنوا وحل على هذا الحذف قوله
 واخذتم على ذلك امرى قيل انما اخذ الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة
 وبه قال علي وابن عباس وقتادة والسدي وقيل اخذ الميثاق على الانبياء واممهم
 جميعا في امره صلى الله عليه وسلم فاكفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع
 الاتباع وبه قال علي بن ابي طالب والاول اولى وبه قال كثير من المفسرين والرسول
 محمد صلى الله عليه وسلم ذكر في التوراة والانجيل وصفه وشرح فيهما احواله قال البغوي اخذ
 الله هذا الميثاق منهم حين استخرج الذرية من صلب ادم وقال الرازي هذا الميثاق
 ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لله واجب والاول اولى وهو الظاهر
 من الآية قال الله تعالى للنبيين عاقرن قمر بآيمان به والنصر له اوقال كل نبي لامته
 عاقرن قمر والاول اولى واخذتم على ذلك امرى اي عهدي والاصري في اللغة ^{لنقل}
 سمي العهد اصري لما فيه من التشديد قالوا عاقرن قمرنا بما الزمنا من الايمان برسلك قال
 الله تعالى فاشهدوا اي انتم على انفسكم اولي شهد بعضكم على بعض وقيل الخطاب
 للملائكة والاول اولى وانما معكم اي على اقراركم وشهادة بعضكم على بعض ^{من الشهداء}
 هذا هو الخبر لانه محط الفائدة فمن تولى اي اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق
 فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الطاعة والفاصلون في الكفر واعاد
 الضمير في تولى مفردا على اللفظ من وجمع اولئك محلا على المعنى افعير دين الله يبغون
 عطف على مقدر اي تتولون فتبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود
 بالانكار وقرأ ابو عمرو وحده يبغون بالتحنية وترجعون بالفوقية قال لان الاول خاص
 والثاني عام ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى وكيف يبغون غير دينه والحال ان كل
 اسلم اي خضع وانقاد من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين ومكرهين
 والطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما فيه مشقة وهو من اسلم مخافة القتل
 واسلامه استسلام منه اخراج الطبراني بسند ضعيف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في قوله وله اسلم قال اما من في السموات فالملائكة واما من في الارض فمن ولد على
الاسلام واما كرها فمن اتى به من سبأيا الامم في السلاسل والاخلال يقادرون الى
الجنة وهم كارهون واخرج الديلمي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
في الآية الملائكة اطاعة في السماء والانصار وعبد القيس اطاعة في الارض قال ابن
عباس لم من في السموات ولا رضى حين اخذ عليهم الميثاق وعن قتادة قال اما المؤمن
فاسلم طائعا فنفعه ذلك وقيل منه واما الكافر فاسلم حين رأى بأس الله فلم ينفعه
ولم يقبل منه فلم يك ينفعهم ايما لم ياروا بأسنا واخرج الطبراني في الاوسط عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان فارقوا في
اذهافهم دين الله يبيعون واخرج ابن السني في عمل يريم وليلة عن يونس بن عبيد
قال ليس رجل يكون على دابة صعبة في قمر في اذنها افغير دين الله يبيعون الآية
الاذلت باذن الله عز وجل وَالَّذِينَ يَرْجِعُونَ اي مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيمة
فيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قُلْ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى
رَبِّنَا وَمَا نُنَاجِيهِ وَلَا سَمْعَ وَلَا يَعْصُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ
مِنْ رَبِّهِمْ اخبار عنه صلوات عن نفسه وعن امته وانما خص هؤلاء بالذكر لان اهل
الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم وعدي الا نزل هنا بعلة وفي البقرة
باللانه يصح تعليلته بكل فله جهة على باعتبار ابتداء وانتهاء باعتبار اخره وهو
باعتبار ابتداء متعلق بالنبي وباعتبار انتهائه متعلق بالمكلفين وما حصل الخطاب هنا
بالنبي صلوات ناسب الاستعلاء وما عم هناك جميع المؤمنين ناسبه الانتهاء والاسباط
كانوا اثني عشر وهم يَعْقُوبُ وَهُوَ بالنسبة لابراهيم احفاده لانهم اولاد ولد فالحاد
بالاسباط هنا الاحفاد لا المعنى اللغوي وهم اولاد البنات لا نقر بين احدهم كما ذكرت
اليهود والنصارى فامتنوا ببعض وكفوا ببعض وقد تقدم تفسير هذه الآية ونحوها مُسْلِمُونَ اي منقادون
مخلصون موجدون ومن يتبع غير الاسلام العامة على ارضها هذين الثقلين لان بينهما فاصلا وهو الباء فلم يلتصقا
الحقيقة ورواها اذ عام مراعاة للفظ وليس هذا هو صواب هذه الآية بل كلما التفت فيه مثلان يجري في الوجهان

فخوف لكره وان يكاذبا وقد استشكل على هذا نحو يا قوم مالي ويا قوم من ينصني
فانه لم يرو عن ابي عمر وخلاف في ادغامهما وكان القياس يقتضي جواز الوجهين لان
ياء المتكلم فاصلة تقديرا قاله السمين دَيْتَ فَلَئِنْ يُقْبَلَ مِنْهُ يَعْنِي
الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول لان
الدين الصحيح ما يرضى الله عن فاعله وينتبه عليه وهو في الآخرة من الْحَسَنِينَ اي
الواقعين في الحسن ان يوم القيامة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب باخرج
احمد والطبراني في الاوسط عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجْزَى الْاَعْمَالُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ فَيُجْزَى الصَّلَاةُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اَنَا الصَّلَاةُ فَيَقُولُ اَنْتَ عَلَى خَيْرٍ فَيُجْزَى الصَّدَقَةُ فَيَقُولُ
يَا رَبِّ اَنَا الصَّدَقَةُ فَيَقُولُ اَنْتَ عَلَى خَيْرٍ فَيُجْزَى الصِّيَامُ فَيَقُولُ اَنَا الصِّيَامُ فَيَقُولُ اَنْتَ
عَلَى خَيْرٍ فَيُجْزَى الْاَعْمَالُ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ اَنْتَ عَلَى خَيْرٍ فَيُجْزَى الْاِسْلَامُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ
اَنْتَ الْاِسْلَامُ وَاَنَا الْاِسْلَامُ فَيَقُولُ اَنْتَ عَلَى خَيْرٍ بِكَ الْيَوْمُ اخذ وبك اعطى قال الله تعالى
فِي كِتَابِهِ يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةُ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ هَذَا الْاِسْتِفْهَامُ مَعْنَاهُ الْاِحْدَاي لَا يَهْدِي
اللَّهُ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَمَلٌ عِنْدَ اللَّهِ اَي لَا عَمَلٌ لَهُمْ وَيُجْزَى اَنْ
الْاِسْتِفْهَامُ لِلتَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ لَكُنْهُمْ بَعْدَ الْاِيْمَانِ اَوَّلًا سُبْعًا وَالتَّوْبَةُ فَاَنْ اَلْجَاهِلُ عَنِ
الْحَقِّ بَعْدَ مَا وَضَعَهُ مِنْهُمْ فِي الضَّلَالِ بَعِيدٌ عَنِ الرَّشَادِ فَلَيْسَ بِالْاِنْكَارِ حَتَّى يَسْتَدْلِلَ بِهِ
عَلَى عَدَمِ تَوْبَةِ الْمُرْتَدِّ وَان كَانَ اِنْكَارًا فَالْاِسْتِفْهَامُ دَائِمٌ قَالَهُ الْكُرْنِيُّ قَوْمًا اَلِ الْحَقِّ كَفَرُوا
بَعْدَ اِيْمَانِهِمْ وَبَعْدَ مَا شَهِدُوا اَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَبَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمُعْجَزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
اي كيف يهدي المرتدين والحوالك انه لا يهدي من حصل منهم هجر الظلم لانفسهم ونهم
الباقون على الكفر ولا ريب ان ذنب المرتد اشد من ذنب من هو باق على الكفر لان المرتد
قد عرف الحق ثم اعرض عنه عناد وتمردا عن ابن عباس قال كان رجل من الانصاريين
اسلم ثم ارتد وكثر بالمشركين ثم ندبهم فارسل اليه قومه ان سلوا لي رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم هل لي توبة فنزلت هذه الآية الى قوله غفور رحيم فارسل اليه قومه

واسلم وروي هذا من طرق وعنه ايضا هم اهل الكتاب من اليهود عن قوامهم
 صلواته عليه وسلم ثم كفي وابه وروي نحوه عن الحسن اولئك اي للتصغير تلك
 الصفات السابقة جراً واهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
 خلدن فيها اي اللعنة او النار للدلول بها عليها وقد تقدم تفسير هذه
 الآية في سورة البقرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يؤخرون ويمهلون
 ثم استثنى التائبين فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك الا تردادوا اصلحوا بل لا يكلم
 ما كان قد افسدوه من دينهم بالردة وفيه دليل على قبول توبة المرتد اذا رجع الى
 الاسلام مخلصاً ولا خلاف في ذلك فيما احفظ وقيل ضمن الى التوبة الاعمال الصالحة
 لان التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل اصلح اي اطهرهم مع الحسن
 وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات والاول الصق بظاهر الآية فان الله عفو و
 لقباً عنهم في الدنيا بالستر وقيل بازالة العذاب رحيم في الآخرة بالعفو وقيل باعطاء
 الثواب ان الذين كفروا بعيسى بعد ايمانه ثم موسى ثم اذادوا وكفروا بعجل صلواته قال قتادة
 وعطاء بن السكيت واحسن نزلت في اليهود والنصارى كفروا بعجل صلواته عليه واله وسلم
 بعد ايمانه ثم بنعته وصفته ثم اذادوا باقامتهم على كفرهم بحمد صلواته عليه وسلم
 وقيل اذادوا وكفروا بالذنوب التي كتبوها ورجل بن جرير الطبري وجعلها في اليهود
 خاصة وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خلقهم
 ثم اذادوا وكفروا يعني باقامتهم على الكفر حتى هلكوا وقيل زيادة كفرهم هو قولهم
 نتر بص محمد صلواته عليه وسلم ريب لمنون وقيل نزلت في احد عشى رجلا من اصحاب
 الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحارث اقاموا على كفرهم بمكة وقد
 استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى ان تقبل توبتهم مع كون التوبة مقبولة كما في
 الآية الاولى وكما في قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وغير ذلك فقبل المعنى
 ان تقبل توبتهم عند الموت قال النحاس وهذا قول حسن كما قال تعالى وليست التوبة
 للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وبه قال الحسن

وفتادة وعطاء والسدي ومنه حديث ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغفره وقيل
 المعنى ان تقبل توبتهم التي كانوا عليها قبل ان يكفروا لان الكفر احبطها وقيل ان تقبل
 توبتهم اذا تابوا من كفر آخر وقال بن عباس انهم الذين ارتدوا عن مواعظهم
 التوبة لستراحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال بالعالية هم قوم تابوا من ذنوبهم
 في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك وقال مجاهد ان تقبل توبتهم اذا ما تواضعوا على الكفر
 وقال ابن جرير هو الازد ياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على
 كفره وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ اي هم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطأوا منها جبه
 والمراد هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم رادوا وكفروا الاولى ان يحمل عدم قبول
 التوبة في هذه الآية على من مات كافرا غير تائب فكانه عبر عن الموت على الكفر بعد
 قبول التوبة ويكون قوله إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا في حكم البيان لها
 قال بن عباس نزلت فيمن مات من اصحاب الجحارث على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع اصناف الكفار
 من اهل الكتاب وعبد الاصنام فالآية عامة فمن يقبل من احد منهم قتل الارض حيا الملائكة
 مقدار ما علموا الشيء والملائكة بالقيمة مصدر ملأت الشيء والمعنى مقدار ما علموا الارض مشرقها ومغربها
 مع انهم اعز الاشياء وقيمة كل شيء اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالكارف
 يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملا الارض حيا اكننت مفتديا فيقول نعم فيقال له لقد نلت
 ما هو ايسر من ذلك فذلك قوله تعالى ان الذين كفروا الآية ولو افتدى به قبل الواو زائدة مقحمة وقيل
 الواو للعطف والمعنى كذلك لو افتدى من العذاب في الآخرة بلا الارض حيا ان يقبل منه وهذا الكفر
 التخليط لانه تصوير بمن في القبول في جميع الوجوه والمراد بالواو التعميم في الاحوال كانه قيل ان يقبل منه في
 جميع الاحوال ولو في حال افتدائه نفسه في الآخرة وَأُولَئِكَ اشارة الى من مات على الكفر لهم اي استقر
 لهم عذاب الجحيم ومولودهم اي استقر لهم من نصيبهم من العذاب اتي بناصر من جمعا
 لتوافق الفواصل عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيمة
 لو ان لك ما في الارض من شيء اكننت تفتدي به فيقول نعم فيقول ردت منك اهون من هذا
 وانت في صلبك دم عليه السلام ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم

لَرَبُّكَ تَأْكُلُوا الرِّبَا

هذا كلام مستأنف خطاب للمؤمنين عقب ذكر ما لا ينفع الكفار والنيل ادراك
 الشيء وحقوقه يقال نالني من فلان معروفاً نالني لي وصل الي والنوال العطاء من
 قولك نولته تنويلاً اي اعطيته وقيل هو تناول الشيء باليد يقال نلته اناله شيئاً قال
 تعالى ولا ياكلون من عدوئنا ولا اموالنا النول بالواو وقعناه التناول يقال نلته انوله اي
 تناولته وانلته زيد انيله اياه اي ناولته اياه والبر فعل الخيرات والعمل الصالح ففى
 الآية حذف المضاف وقال ابن مسعود وابن عباس وعطاء ومجاهد وعمر بن ميمون
 والسدي هو الجنة فعن الآية لن يتناولوا العمل الصالح او الجنة وقيل التقوى وقيل الطاعة
 وقيل الثواب اصل البر التوسع في فعل الخير وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق و
 عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال
 البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكهت أن يطلع عليه الناس اخرجته مسلم
 والمعنى لن تصلوا ثواب البر المؤدى الى الجنة حتى تنفقوا اي تصدقوا حتى ينفقوا اي حتى
 تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها ومن تبعية وقيل بانيه وما موصولة او
 موصوفة المراد النفقة في سبيل الخير من صدقة او غيرها من الطاعات وقيل المراد
 الزكوة المفروضة قال البيضاوي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة
 الناس والبدن في طاعة الله والهجرة في سبيله انتهى وكتعليم العلم وقد اخرج البخاري
 وغيرهما عن انس بن ابي طلحة لما نزلت هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
 ان احب اموالي الي بديراء وانما صدقة الحديث وقد روي بالفاظ وعن ابن عمر
 اجد شيئاً احب الي من مرجانة جارية لي رومية فقلت هي حرة لوجه الله اجد شيئاً احب
 الي من رومية بن حميد وكذلك اعتق عمر جارية من سبي جلولا وجاء زيد بن حارثة
 بفرس له يقال له سبل لم يكن له اكل احب اليه منها فقال هي صدقة وما تنفقوا من شيء
 بيان لقوله ما تنفقوا اي ما تنفقوا من اي شيء سواء كان طيباً او خبيثاً جيداً او ردياً

فيما زكرو بحسبه وما شرطية جازمة فإن الله به عليم تعليل بحواب الشرط واقع موقعه
وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي بما لا يخفى كل الطعام
اي المطعوم كان حلالا احل مصدر يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وهو الحلال
كما ان الحرام لغة في الحرام لئني اسرائيل هو يعقوب كما تقدم تحقيقه يعني ان كل
المطعومات كانت حلالا لئني يعقوب لم يحرم عليهم شي منها الا ما حرم
اسرائيل على نفسه مستثنى من اسم كان وجوز ابو البقاء ان يكون مستثنى من مخير
مستثنى في حلال وفيه قولان احدهما انه متصل والتقدير يا اما حرام اسرائيل على نفسه
فحرم عليهم في التوراة فليس منها ما زاده من محرقات وادعوا صحة ذلك والثاني انه
منقطع والتقدير لكن حرم اسرائيل على نفسه خاصة ولم يحرمه عليهم ولا دل هو الصحيح
قاله السمين قد اخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس ان اليهود قالوا لئني صلما فاخبرنا
ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان يسكن البد وفاضت عرق النساء فلم يجد شيئا
يلاءه الا حريم لابل والباقي فلذلك حرمها قالوا صدقت وذكر الحديث واخرجه ايضا
احمد والنسائي وفي رواية عند الذي حرم اسرائيل على نفسه زائد تا الكبد والكليتان
والشحم اما كان على الظهر وعرق النساء بفتح النون والقصر عرق يخرج من الورك فيستبطن
الغنى قاله الكرخي ودواءه ما ذكره القرطبي ونصه اخرج الثعلبي في تفسيره من حديث
انس بن مالك قال قال رسول الله صلما في عرق النساء تؤخذ الية كبش عربي لاصغير
ولا كبير فتقطع قطعا صغيرا وتسل على النار ويؤخذ دهنها فيجعل ثلثة اقسام يشرب
المريض بذلك الداء على الريق كل يوم ثلثا قال انس فوصفته لاكثر من مائة كلهم
بأذن الله تعالى وفيه رد على اليهود لما انكروا ما قصه الله سبحانه على رسوله صلما
من ان سبب ما حرمه عليهم هو ظلمهم وبغيتهم كما في قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحوهما الى ذلك جزيناكم ببغيتهم وقالوا انها حرامت على
من قبلهم من الانبياء يريدون بذلك تكذيب ما قصه الله سبحانه على نبينا صلما

في كتابه العزيز من قبل ان تنزل التوراة فانها ناطقة بان بعض انواع الطعام انما
 حرم بسبب اسرائيل وذلك بعد ابراهيم بالف سنة ولم يكن على عهد ابراهيم كما زعموا
 وانما قال من قبل لان بعد نزولها حرم الله عليهم اشياء من انواع الطعام وذلك ^{على}
 اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله في ظلم الآية وقوله وعلى الذين هادوا الآية
 بان قالوا لسن اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح و ابراهيم ومن بعد حتى
 انتهى الامر اليها كما حرمت على من قبلنا ثم امر الله سبحانه بان يحاجهم بكتابتهم ويجعل بينه
 وبينهم حكما ما انزله الله عليهم لا ما انزل عليه فقال فَلْتَأْتُوا بِالَّتُورَةِ فَاتْلُوهَا حتى
 تعلموا صدق ما قصه الله في القرآن من انه لم يحرم على بني اسرائيل شي من قبل نزول
 التوراة الا ما حرمه يعقوب على نفسه وفي هذا من الانصاف للخصم ما لا يقادر ^{قده}
 ولا تبلغ مداه ان كنتم صدقين فيما ادعيتهم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة وبهتوا فقال تعالى
فَمَنْ افترى الا فتراء اختلاق الكذب والقذورات والافساد اصله من فري الاديم اخذ
قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود وقال البيضاوي افترى
ابتدع الجملة استينافية او منصوبة المحل ومن شوطية او موصولة على الله الكذب من
بعد ذلك اي احضار التوراة وتلاوتها متعلق بافترى وهذا هو الظاهر وبالكذب وجود
ابو البقاء فاولئك فيه مراعاة معني من كما في افترى مراعاة لفظها هم الظالمون اي المعطون
في الظلم المتبايعون فيه فانه لا اظلم من حوكم الى كتابه وما يعتقده شرعا صحيحا ثم جادل
من بعد ذلك مفتريا على الله الكذب ثم لما كان ما يفترونه من الكذب بعد قيام الحجة
عليهم بكتابتهم باطلا مدفوعا وكان ما قصه الله سبحانه في القرآن وصدقت التوراة صحيحا
صادقا وكان ثبوت هذا الصدق بالبرهان الذي لا يستطيع الخصم دفعه امر الله سبحانه
بنبيه صلى الله عليه وسلم بان ينادي لصدق الله بعد ان سجل عليهم بالكذب فقال قُلْ صدق
الله فأتبعوا ملة ابراهيم اي ملة الاسلام التي انا عليها حنيفا قد تقدم معنى الحنيف كانه
قال لهم اذ اتيتكم لكم صدقي وصدق ما جدت به فادخلوا في ديني فان من جملة ما انزله
الله علي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وما كان في امر من امور دينه اصلا

وفرعان المشركين الذين يدعون مع الله الهاء الأخر ويعبدون سواه وفيه تعرض
 بأشكال اليهود وتصريح بأنه صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبينهم علاقة دينية
 قطعاً والغرض بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم دين إبراهيم في الأصول لأنه لا يدعوا إلا إلى التوحيد
 والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى قاله الكرخي إن أول بيت هذا شروع
 في بيان شيء آخر مما جادلت فيه اليهود بالباطل وذلك أنهم قالوا إن بيت المقدس
 أفضل وأعظم من الكعبة لكونه مهاجر الأنبياء وأرض المحشر في الأرض المقدسة
 وقبلتهم فرداه ذلك عليهم ونبه تعالى بكونه أول متعبد على أنه أفضل من غيره
 والاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم الشيء الذي يوجد ابتداء
 سواء حصل عقيب شيء آخر أو لم يحصل قال عليه كانت البيوت قبله ولكنه كان أول
 بيت وضع لعبادة الله قبل خلق آدم بالفي عام ووضع بعده الأقصر وبينهما أربعون
 سنة كما في حديث الصحيحين وهذا يقتضي أن الأقصر بنته الملائكة أيضاً وقد اختلف
 في الباقي له في الابتداء فقيل الملائكة وقيل آدم وقيل إبراهيم ويجمع بين ذلك بأن أول
 من بناء الملائكة ثم جده آدم ثم إبراهيم وفي حديث أنه أول ما ظهر على وجه الماء
 عند خلق السموات والأرض ذبذبة بيضاء فدحيت الأرض من تحته ووضع للناس
 أي جميعهم كما قال سواء العاكف فيه والباد وضعه الله موضعاً للطاعات والعبادات
 وقبلة للصلاة ومقصداً للحج والعمرة ومكاناً للطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الحسنات
 وأجر الطاعات الذي يبيكة بكة علم البلد الحرام وكذا مكة وهما لغتان وقيل إن بكة
 اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد الحرام وقيل بكة للمسجد ومكة للحرم كله قيل سميت
 بذلك لأنها كانت تدق أعناق الحيا برة وما سميتها بمكة فقيل سميت بذلك لقلها بها
 وقيل لأنها تملك الحرم من العظم بما ينال سكانها من المشقة ومنه ملكت العظم إذا حرت
 ما فيه وملك المفصيل ضريح أمه وأمتك إذا امتصه وقيل سميت بذلك لأنها تملك
 من ظلم فيها أي تهلكه وقيل لأنها تملك الذنوب أي تزيلها وتغوها مباركاً يعني بركة
 وأصل البركة النمو والزيادة والبركة هنا كثرة الخير الحاصل لمن استقر فيه أو يقصد

اي الثواب المتضاعف وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوة
في مسجد ي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه من المساجد لا المسجد الحرام اخرجه
البخاري ومسلم وهدي للعلماء اي لانه قبلة المؤمنين يستدون به الى جهة
صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر
عليها غيره وقيل هدي لهم الى الجنة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي ذر قال
قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الأقصى
قلت كبريتهما قال اربعون سنة وعن ابن عمر قال خلق الله البيت قبل الارض بالفي سنة
وكان اذ كان عرشه على الماء زبد يفيض وكانت الارض تحتها كما تحا حشفة فدر حيث
الارض من تحتها اخرج الطبراني والبيهقي في الشعب وابن جرير وابن المنذر فيه اي
بيئت اي دلالات واضحات على حرمة ومزيد فضله واحترامه منها الصفا والمروة ومنها
اثر القدم في الصخرة الصماء ومنها ان الغيث اذا كان بناحية الركن اليماني كان اخصب
اليمن وان كان بناحية الشام كان اخصب الشام واذا عم البيت كان في جميع البلدان
ومنها اخراوان الطيور عن ان تمر على هوائه في جميع الازمان ومنها اهلالك من يقصده
من الجبابرة ومنها الحج الاسود والملازم وزمزم ومشاعر الحج ومنها ان الامر بيناء هذا
البيت هو الله الجليل والمهندس له جبريل والباقي هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنيانه
هو اسمعيل وهذه فضيلة عظيمة له وغير ذلك من الايات وقد وضعتها في كتابي
رحلة الصديق الى البيت العتيق فليرجع اليه وهذه الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
مقام ابراهيم يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قد بقي ابراهيم
فاندرس من كثرة المسح بالايدي وقد استشكل صاحب الكشف بيان الايات وهي جمع
والمقام وهو فرد واجاب بان المقام جعل وحدة بمنزلة ايات لقوة شأنه اوبانه مشتمل
على ايات قال ويجوز ان يراد فيه ايات يبنات مقام ابراهيم وآمن من دخله لان الشئ
نوع من الجمع وقال ابن عطية والراجح عندي ان المقام وامن الداخلين جعلامثلا لما
في حرم الله تعالى من الايات وخصا بالذكور اعظمها وانما تقوم بها الحجة على الكفار اذ هم

مدركون لها تين لايتين بحواسهم ومن دخله كان آمناً جملة فستأنفة من حيث
اللفظ لبيان حكم من أحكم الحرم وهو أن من دخله كان آمناً ومن حيث المعنى معطوفة
على مقام إبراهيم الذي هو مبتدأ مجزئ واختبرني ومنها أمن داخله ومن شرطية أو صيغة
وبه استدلال من قال إن من نجأ إلى الحرم وقد وجب عليه حد من الحد فإنه لا يقام عليه حد
حتى يخرج منه وهو قول أبي حنيفة ومن تابعه وخالفه الجمهور وقالوا تقام عليه الحد
في الحرم وبه قال الشافعي وقد قال جماعة إن الآية خبر في معنى الأمر أي ومن دخله فأمّن
كقوله فلا رقت ولا فسوق ولا جدال أي لا ترفقوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا أخرج عبد بن حميد
عن قتادة قال كان هذا في الجاهلية كان الرجل لو جر كل جربة على نفسه ثم كبا إلى الحرم لم يمتأول ولم يطلب
فأما في الإسلام فإنه لا يمنع جرد الله من سوق فيه قطع ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ومن
قتل فيه قتل وعن عمر بن الخطاب قال لو وجدت شيئا قاتل الخطأ بما مسسته حتى يخرج منه
وعن ابن عباس من حاذ بالبيت أعاده البيت ولكن لا يؤوي ولا يطعم ولا يستقى فإذا خرج
أخذ بزينة روي عنه هذا المعنى طريق أخرجه ابن جرير وغيره وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي شريح الثقفي
قال قام النبي صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح فقال إن مكة حرمها الله ولم يحرمها
الناس فلا يجمل لأمر يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعصدها شجرة فإن
أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما
أذن لي في ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وقيل المعنى من
دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمناً وقيل من دخله معظما لم تقربا
بذلك إلى الله كان آمناً من العذاب يوم القيمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم مات في أحد الحرة
بعث يوم القيامة آمناً وعنه الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما
مقبرتا مكة والمدينة وقيل آمناً من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك ولا أول أولى والله
على الناس حج البيت اللام في قوله الله هي التي يقال لها كرام الأحياء بالآرام ثم زاد هذا
المعنى تأكيداً حرف على فإنه من أوضح الدلالات على الوجوب عند العرب كما إذا قال القائل
فلان علي كذا فذكر الله سبحانه ما بلغ ما يدل على الوجوب تأكيداً تحقيراً وتعظيماً كحرمته وهذا

الخطأ بشا مل لجميع الناس لا يخرج عنه الا من خصه الدليل كالصبي والعبد والمعنة
 والله على الناس فرض حج البيت والناس عام فخصوص بالمستطيع قد خصص بدل
 البعض وهو قوله من استطاع لانه من التخصصات عند الاصوليين والحج بكسر الحاء
 وفتحها لغتان سبعيتان في مصدر حج بمعنى قصد والحج احد اركان الاسلام عن ابن عمر قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
 رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان اخرجه البخاري ومسلم فعلا
 النبي صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة وقد ورد في فضله وفضل البيت والعمرة
 احاديث منها عن ابي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة
 مساجد مسجد يدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى اخرجه الشيخان وعن ابي هريرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة اخرجه البخاري
 ومسلم وفي الباب احاديث لا تطيل بذكرها وقد ذكرنا طرأ منها في كتابنا رحلة الصديق
 من استطاع اليك سبيلا لا يعني من وجد السبيل الى الحج البيت الحرام من اهل التكليف لانه
 المحدث عنه وان كان يحتمل رجوع الضمير للبيت لكن الاول اولى وقد اختلف اهل العلم في
 الاستطاعة ما ذاهي ف قيل الزاد والراحلة وبه فسر صلح رواه الحاكم وغيره واليه ذهب
 جماعة من الصحابة وحكاها الترمذي عن اكثر اهل العلم وهو الحق وقال مالك وان الرجل
 اذا وثق بقوته لزوم الحج وان لم يكن له زاد وراحلة اذا كان يقدر على التكسب به قال
 ابن الزبير والشعبي وعكرمة وقال الضحاك ان كان شابا قويا صحيحا وليس له مال فعليه ان
 يواجه نفسه حتى يقضي حجه ومن حجة ما يدخل في الاستطاعة دخولا اوليا ان تكون الطريق
 الى الحج امانة بحيث يامن الحاج على نفسه وماله الذي لا يجد زاد غيره اما لو كانت غير امانة
 فلا استطاعة لان الله سبحانه يقول من استطاع اليه سبيلا وهذا الخائف على نفسه وماله
 لم يستطع اليه سبيلا بلا شك وشبهة وقد اختلف اهل العلم اذا كان في الطريق من الظلمة
 من يأخذ بعض الاموال على وجه لا يخفى زاد الحاج فقال لشافعي لا يعطي حجة ويسقط
 عنه فرض الحج ووافقه جماعة وخالفه اخرون والظاهر ان من تمكن من الزاد والراحلة

وكانت الطريق أمنة بحيث يتمكن من مرورها ولو عصا نعه بعض الظلة بدفع شيء من المال
 يتمكن منه الحاج ولا ينقص من زاده ولا يحجب به فألحج غير ساقط عنه بل واجب عليه
 لأنه قد استطاع السبيل بدفع شيء من المال ولكنه يكون هذا المال المدفوع في الطريق من
 جملة ما يتوقف عليه الاستطاعة ولو وجد الرجل زادا وراحلة ولم يجد ما يدفعه لمن يأخذ
 المكس في الطريق لم يجب عليه الحج لأنه لم يستطع إليه سبيلا وهذا لا بد منه لا ينافي تفسير
 الاستطاعة بالزاد والراحلة فإنه قد تعذر المرور في طريق الحج لمن وجد الزاد والراحلة
 إلا بذلك القدر الذي يأخذه المكاسون ولعل وجه قول الشافعي أنه يسقط الحج إن أخذ
 هذا المكس منكرو فلا يجب على الحاج أن يدخل في منكر وإنه بذلك غير مستطيع ومن جملة ما
 يدخل في الاستطاعة أن يكون الحاج صحيح البدن على وجه يمكنه الركوب فلو كان زمن الحج
 لا يقدر على المشي ولا على الركوب فهذا وإن وجد الزاد والراحلة فهو لم يستطع السبيل وقد
 روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الاستطاعة أنها الزاد والراحلة بطرق كثيرة
 عن جماعة من الصحابة عند أهل السنن وغيرهم وأقل أحوال هذا الحديث أن يكون حسنا
 بغيره فلا يضره ما وقع الكلام على بعض طرقه كما هو معروف وقد ثبت عنه صلعم النهي
 للمرأة أن تسافر بغير ذي رحم محرر واختلفت الأحاديث في قدر المدة ففي لفظ ثلثة أيام
 وفي لفظ يوم وليلة وفي لفظ بريد وقد ذكر بعض المفسرين ههنا أحكاما تتعلق بالحج و
 أطال في ذكرها وعملها كتب الفروع فلا تذكرها ومن كفى من شريطة وهو الظاهر أصح
 قيل أنه عبر بلفظ الكفر عن ترك الحج تأكيد الوجوبه وتشديد على تاركه وقيل المعنى ومن
 كفر بغرض الحج ولم يره واجبا وقيل إن من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر وعن ابن عمر من
 كفر بالله واليوم الآخر وعن ابن زيد من كفر بهذه الآيات وعن ابن مسعود ومن كفر فلم يؤمن
 فهو الكافر وقيل هو الذي إن حج لم يره براوان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم
 أصحاب الملل قالوا الحج غير واجب وكفروا به وعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها وقيل
 أنه كلام مستأنف كما تقدم عن ابن عمر فإن الله عليم الغيوب الأنس والجن والملائكة وعن عبادهتهم وبأجمل في قوله هذا من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة

وخذلانه وبعده من الله سبحانه ما يتعاطاه سامعه ويرجع له قلبه فان الله سبحانه
 انما شرع لعباده هذه الشرائع لنفعهم ومصلحتهم وهو تعالى شانه وتقدس سلطانه
 غني لا تعوج اليه طاعات عباده باسرها ينفع وقد وردت احاديث في تشديد ^{عبد} الانبياء
 على من ملك زادا وراحلة ولم يخرج الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه
 والبيهقي في الشعب عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
 من ملك زادا وراحلة قبله الى بيت الله ولم يخرج بيت الله فلا عليه بان يموت يهوديا
 ولا نصرانيا وذلك بان الله يقول والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
 ومن كفر فان الله غني عن العالمين وفي اسناده هلال اخراساني ابو هاشم قال البخاري
 منكر الحديث وقيل هو عجلول وقال ابن عدي هذا الحديث ليس محفوظ وفي اسناده
 ايضا الحارث الاعور وفيه ضعف وقد ذكره الشوكاني في الموضوعات ثم قال وحكم ابن
 الجوزي بضعفه ودفعه الحافظ ابن حجر بما هو معروف واخرج سعيد بن منصور واحمد
 في كتاب الايمان وابو يعلى والبيهقي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مات
 ولم يخرج حجة الاسلام لم يمنع مرضه حابس او سلطان جائرا او حاجة ظاهرة فلمت علي
 حال شاء يهوديا او نصرانيا واخرج سعيد بن منصور قال السيوطي بسند صحيح عن عمر بن
 الخطاب قال لقد هممت ان ابعث رجلا الى هذه الامصار فلينظر كل من كان له جد
 ولم يخرج فيضيوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين واخرج ^{اسناده} السمعيل عنه يقول من
 اطاق ولم يخرج فسواء عليه يهوديا مات او نصرانيا قال ابن كثير بعد ان ساق اسناده وهذا
 صحيح وعن ابن عمر بن مات وهو مرسو ولم يخرج جاء يوم القيامة وبين عينيه مكتوب كافر
 وعنه من وجد الى الحج سبيلا سنة ثمر سنة ثمر مات ولم يخرج لم يصل عليه ولا يدرك
 مات يهوديا او نصرانيا وعن عمر بن الخطاب قال لو ترك الناس الحج لقاتلتهم عليه كما
 نقاتلهم على الصلوة ومن شاء استيفاء مسأله فليرجع الى كتابي رحلة الصديق ^{البيت} الى البيت
 العتيق قل يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى وقيل لعلمائهم الذين علموا بصحة نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم وتخصيصهم بالخطاب دليل على ان كفرهم اوضح وان زعموا انهم مؤمنون بالتوبة

ولا نبخل ففهم كاثرون بما كُفِّرُوا يَأْتِي الله الدلالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وقيل المراد بها القران وقيل محمد صلى الله عليه وسلم
 ولا استفهام لانكار والتوبيخ لان يكون لكفرهم بما سبب من الاسباب والله شهيد على ما
تَعْمَلُونَ هذه الجملة الحالية مؤكدة للتوبيخ والانتكار وهكذا المجيء بصيغة المبالغة في شهيد
 يفيد من يد الشديد والتهويل قُلْ يَا هَلْ أَكْتَسِبَ امر بتوبيخهم باضلال غيرهم بعد توبيخهم
 بضلالهم لَمْ تَصْلُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الاستفهام يفيد ما افاده الاستفهام الاول كانوا
 يفتنون المؤمنين ويحتالون في صدقهم عن الاسلام ويقولون ان صفة محمد ليست في
 كتابنا ولا تقدمت به بشارة وصدأ وصدأ لغتان بمعنى تغير وانق وسبيل الله دينه
 الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام من آمن منهم بالفعل او من اراد الايمان
 الكفار تَبْعُوا نَحْنًا عِوَجًا بان تلبسوا على الناس وتوهمو ان فيه ميلا الى الحق بنفي النسخ
 تغيير صفة الرسول عن وجهها وغير ذلك اي تبغون لاجلها عوجا والعوج الميل والزيبغ
 يقال عوج بالكسر اذا كان في الدين والقول والعمل وبالفهم في الاجسام كاجساد رخواه
 روي ذلك عن ابي حنيفة وغيره والمعنى تطلبون لها اعوجاجا وصيلا عن القصد و
 الاستقامة بايها مكر على الناس بانها كذلك تنفيقا لتقريبكم وتقويم الدعا وكم
 الباطلة والهاء في تبغونها عائدة على السبيل والسبيل بذكر ويؤنث وم التانيث
 هذه الآية وقوله تعالى هذه سبيلي وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ جملة حالية في الحال انكم عالمون بان
 الدين المرضي هو القيمين الاسلام كما في كتابكم يعني كيف تطلبون ذلك بملة الاسلام والحال
 انكم تشهدون انها دين الله الذي لا يقبل غيره وان فيما نعت محمد صلما وقيل المراد
 وانتم العقلاء وقيل المعنى وانتم شهداء بين اهل دينكم مقبولون عندكم فكيف
 تاتون بالباطل الذي يخالف ما انتم عليه بين اهل دينكم وقيل وانتم تشهدون
 المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدلالة على نبوته وما الله بغافل عما
تَعْمَلُونَ فيه وعيد شديد وتهديد لهم وذلك انهم لما كانوا يجتهدون ويحتالون
 بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلما بطريق

الخمسة ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى بأعمالهم كما ان
 كفهم بايات الله لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادة تعالى على
 يعملون ثم توقعدهم سبحانه بقوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ خاطب سبحانه المؤمنين محذرا لهم
 عن طاعة اليهود والنصارى مبينا لهم ان تلك الطاعة تفضي الى ان يردوهم ويصيروهم
 بعد ايمانهم كافرين والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء ^{بينهم}
 الفتنه والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُسَلِّعُونَ
أَيْتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ الاستفهام لانكار والاستبعاد اي من اين يا تكفرون ذلك
 ولديكم ما يمنع منه ويقطع اثره وهو تلاوة ايات الله عليكم اي القرآن الذي في بيان
 الحق والباطل وكون رسول الله صلعم الذي يبين الحق ويدفع الشبهة بين اظهركم
 وقيل كيف كلمة تعجب وتوبيخ والمراد منه المنع التعليل قال قتادة في هذه الآية علمنا
 بينا ان كتاب الله تعالى ونبيه صلعم فاما النبي صلعم فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقا
 الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة قال الزجاج يجوز ان يكون هذا الخطاب لاصحاب
 محمد صلعم خاصة لان رسول الله صلعم كان فيهم وهم يشاهدونه ويجوز ان يكون الخطاب
 لجميع الامة لان اثاره وعلامته والقرآن الذي اوتي به فينا فكان رسول الله صلعم
 فينا وان لم نشاهده انتهى قرار شد هم الى الاختصاص بالله ليحصل لهم بذلك الهداية الى
 الصراط المستقيم الذي هو الاسلام فقال وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ اي يمتنع بالله ويستمسك
 بدينه وطاعته وقيل بالقرآن واصل العصمة الامتناع من الوقوع في افة يقال
 اعتصم به واستعصم وقسك واستسك اذا امتنع من غيره وعصمه الطعام منع
 الجوع منه وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله في دفع شر الكفار عنهم فقد هدي
 الى صراط مستقيم اي طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة وفي وصف الصراط
 بالاستقامة رد على ما ادعوه من العوج يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ
 اي التقوى التي تحق له وهي ان لا تترك العبد شيئا مما يلزمه فعله ولا يفعل شيئا

ما يلزمه تركه ويبذل في ذلك جهده ومستطاعة قال القرطبي ذكر المفسرون انها
 لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوى على هذا و
 شق عليهم ذلك فانزل الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية روي
 ذلك عن قتادة والربيع وابن زيد قال مقاتل وليس في آل عمران من المنسوخ شيء
 الا هذا وقيل ان قوله واتقوا الله مبين لقوله فاتقوا الله ما استطعتم والمعنى اتقوا الله
 حق قدره ما استطعتم قال هذا اصول بلان النسخ انما يكون عند عدم الجمع والجمع ممكن
 فهو اولى قال ابن عباس في الآية هوان يطاع ولا يعصى ويشكر ولا يكفر ويدرك ولا ينسى
 وقال مجاهد هوان تجاهدوا في الله حوججها دة ولا تأخذكم في الله لومة لائم
 وتقوموا لله بالقسط ولوعلى انفسكم واباءكم وابناءكم وقال انس لا يتق الله عبد حتى
 تقافته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقافته واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب
 المحارم وقيل غير ذلك تقافة مصدر وهو من باب ضافة الصفة الى موصوفها
 اذا اصل اتقوا الله التقاة الحق اي الثابتة ولا تموتن الا وانتم مسلمون الاستثناء
 مفرغ من اعم الاحوال اي لا تكونوا على حال سوى حال الاسلام وجاءت احوال جملة سمية
 لانها ابلغ واكثر لو قيل لا مسلمين لم يفد هذا التاكيد قال السيوطي في التحبير من عجيب ما اشهر
 في تفسير مسلمون قول العوام اي متزوجون وهو قول لا يعرف له اصل ولا يجوز الاقدام
 على تفسير كلام الله بحرف ما يحدث في النفس او يسمع من لاعمد عليه انتهى وقد تقدم
 في البقرة مثل هذه الآية وهو في في الصورة عن موتهم الا على هذه الحالة والمراد ^{مع} الموت
 الاسلام وذلك ان الموت لا بد منه فكانه قيل دو مواع على الاسلام الى الموت و
 قريب منه ما حكى عن سيويه لا اربناك ههنا اي لا تكن بالحضرة فيقع عليك رؤيتي
 عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فقال لو ان قطرة
 من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الارض معاشهم فكيف يمكن يكون
 طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
 لفظ مشترك واصله في اللغة السبيل الذي يتوصل به الى البغية وهو ما تمثيل الاستعانة

مصححة اصلية تحقيقية امرهم سبحانه بان يجتمعوا على التمسك بدين الاسلام وبالقرآن
 وقد وردت احاديث بان كتاب الله هو حبل الله وان القرآن هو حبل الله المتين قال
 ابو العالية بالاخلاص لله وحده وعن الحسن بطاعته وعن قتادة بعهدة واصرة
 وعن ابن زيد بالاسلام ولا تنفروا بعد الاسلام كما تنفرت اليهود والنصارى او كما كنتم
 في الجاهلية متدللين وقيل لا تحذروا ما يكون عنه التفرق ويحول معه الاجتماع
 والمعنى فها هم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك
 عادة اهل الجاهلية واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء قالف بين قلوبكم
 فاصبحتم بنعمته اخوانا امرهم بان يذكروا نعمة الله عليهم لان الشكر على الفعل البلغ
 من الشكر على اثره وبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام وهو انهم كانوا اعداء
 مختلفين يقتل بعضهم بعضا فاصبحوا بسبب هذه النعمة اخوانا في الدين والولاية ومعنى
 اصبحتم صرتم وليس المراد به معناه الاصل وهو الدخول في وقت الصباح وعن ابن جرير
 في الآية قال ما كان بين الاوس والخزرج في شان عايشة قال ابن عباس كانت الحرب
 بين الاوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الاسلام واطفأ الله ذلك الف
 بينهم وكنتم يا معشر الاوس والخزرج على شفاط وحفرة من النار يعني ليس بينكم
 وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم ففي الكلام تشبيه وشفاكل شيء حرفه وهو
 مقصور من ذوات الواو جمعه اشفاء ويشنى بالواو ونحو شفوان ويستعمل مضافا الى على
 الشيء واسفله فمن الاول شفا جوف ومن الثاني هذه الآية واشفى على كذا اي قاربته منه
 اشفى المريض على الصوت قال يعقوب يقال للرجل عند موته وللقرى عند الحاققة و
 للشمس عند غروبها كما بقي منه او منها الاشفا اي الاقليل فانقذكم الله مني اي
 من هذه الحفرة بالاسلام وهو تمثيل للحالة التي كانوا عليها في الجاهلية قال لسدي
 يقول كنتم على طرف النار من مات منكم وقع في النار فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
 واستنقذكم به من تلك الحفرة وقيل منها اي من الشفا لانه المحدث عنه وتأنيث
 الضمير لاكتساب المضاف التأنيث من المضاف اليه كذا لك اشارة الى مصدر الفعل

الذي بعده اي مثل ذلك البيان البليغ يُبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارشاد
لهم الى الشيات على الهدى ولا يذم منه وتكون منكم امة يذكرون الى اخير كلمة
من التبعية وقيل لبيان الجنس وقيل للتبيين وقيل زائدة ورجح القرطبي الاول
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات يختص باهل العلم الذين يعرفون
كون ما يأمرون به معروف ويتهنون عنه منكر وقد عينهم الله سبحانه بقوله الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة الآية ودوا بن مردويه عن ابي جعفر الباقر عنه
الخير اتباع القرآن وسنتي وعن ابي العالية قال كل آية ذكرها الله في القرآن في الامر
بالمعروف فهو الاسلام والنهي عن المنكر فهو عبادة الاوتان والشيطان انتهى وهو
تخصيص بغير محض فليس في لغة العرب ولا في عرف الشرع ما يدل على ذلك وقال
مقاتل بن حيان يدعون الى الاسلام ويأمرون بطاعة ربهم وينهون عن معصية
ربهم وعن الضحاك في الآية قال هم اصحاب محمد صلعم خاصة وهم الرواة انتهى ولا يرد
ما وجه هذا التخصيص فخطاب في هذه الآية كخطاب بسائر الامور التي شرعها الله
 لعبادة وكلفهم بها وفي الآية دليل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ووجوبه ثابت بالكتاب السنة وهو من اعظم واجبات الشريعة المطهرة واصل
 عظيم من اصولها وركن مشيد من اركانها وبه يكمل نظامها ويرتفع سننها ويأمر
 بالمعروف وينهى عن المنكر هذا من باب عطف الخاص على العام اظهرها
 لشرعها وانما الفرجان الكاملان من الخير الذي امر الله به عبادة بالكل عاقله
 كما قيل في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وحذف متعلق الافعال الثلاثة اي
 يدعون ويأمرون وينهون لقصد التعميم اي كل من وقع منه سبب يقتضي ذلك و
 المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما
 عرف بالعقل والشرع قبحه واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافها بما ذكر بعد
هم المفلحون اي المختصون بالفلاح الكاملون فيه الفاترون وتعريف المفلحين للعهد
 او الحقيقة التي يعمها كل احد ولا تكونوا كالكذابين تفارقوا واختلفوا هم اليهود و

النصارى عند جمهور المفسرين فقد تفرق كل منهما فرقا واحتلف كل منهما باسقاط
 التاويلات الزائفة وكم الآيات النافعة وقهر فيها لما اخذوا اليه من حطام الدنيا
 وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل الحورية والظاهر الاول قيل وهذا النهر
 عن التفرق والاختلاف يختص بالمسائل الاصولية واما المسائل الفروعية والاجتهادية
 فالاختلاف فيها جائز وما زال الصحابة فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم مختلفين في
 احكام الاحداث وفيه نظر فانه ما زال في تلك العصور المنكر للاختلاف موجودا و
 تخصيص بعض المسائل بجواز الاختلاف فيها دون البعض الاخر ليس بصوابا لمسائل
 الشرعية متساوية الاقدام في انتسابها الى الشرع اخرج ابوداود والترمذي و
 ابن ماجه والحاكم وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
 افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين
 فرقة وتفرقت اصمتي على ثلث وسبعين فرقة واخرج احمد وابوداود والحاكم عن معاوية
 مرفوعا نحوه وزاد كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة واخرج الحاكم عن ابن عمر نحوه
 ايضا وزاد كلها في النار الا املة واحدة فقل له ما الواحدة قال ما انا عليه اليوم و
 اصحابي واخرج ابن ماجه عن عوف بن مالك مرفوعا نحوه وفيه فواحدة في الجنة و
 ثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله فمن هم قال الجماعة واخرجه احمد من حديث
 انس وفيه قيل يا رسول الله من تلك الفرقة قال الجماعة وقد وردت آيات احاد
 كثيرة في الامم بالمعروف والنهي عن المنكر وفي الامم بالكون في الجماعة والنهي عن الفرقة
وَمَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ يَغْنَبِ الْوَاحِشَاتِ الْمُبِينَاتِ لِلْحَقِّ الْمَوْجِبَاتِ لَعْنَهُ
 الاختلاف والفرقة فعلوها ثم خالفوها ولم يقل جاءهم كجواز حذف علامة
 التانيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع وَأُولَئِكَ كُفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ وَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا عَدَاؤُكُمْ عَظِيمٌ وَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
 عن التفرق والاختلاف عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
 من فارق الجماعة شبرا فمقده خلع ربيعة الاسلام من عهده اخرجه ابوداود عن

عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سرة ان يسكن بجوذة الجنة فعليه
 بالجماعة فان الشيطان مع الفرد وهو من الاثنين ابعد رواه البغوي بسند لا يوم
 تبيض وجوه وتسود وجوه اي ذكر يوم القيمة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوه
 المؤمنين بيضاء ووجوه الكافرين مسودة ويقال ان ذلك عند قراءة الكتاب
 اذا قرأ المؤمن كتابه رأى حسنة فاستبشر وابيض وجهه واذا قرأ الكافر
 كتابه رأى سيئة فحزن واسود وجهه والتكثير في وجوه للتكثير اي وجوه كثيرة
 عن ابن عباس قال تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة
 والضلالة وروي نحوه عن ابن عمر واي سعيدي قيل ان البياض كناية عن الفرح
 والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وقيل هما حقيقة تحصلا في الوجه فاما
 الذين اسودت وجوههم تفصيل الاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالاً و
 تقديم بيان حال الكفار لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع
 بين الاجمال والتفصيل والا فضا الى خطر الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدأ بذلك
 عند الاجمال ففي الآية حسن ابتداء وحسن اختتام قيل هم اهل الكتاب وقيل
 المرتدون وقيل المبتدعون وقيل الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم اكفرتم
 الهمة للتوبيخ والتجيب من حالهم بعد ايمانكم قال ابو السعود والظاهر ان المخاطبة
 بهذا القول اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان
 اسلامهم وايمان انفسهم به قبل مبعثه وجميع الكفرة حيث كفر وابتعدوا اقروا
 بالتوحيد يوم اخذ الميثاق في عالم الذل وبعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح و
 الدلائل الواضحة والآيات البينة انتهى وقال احسن هم المنافقون وقال عكرمة هم
 اهل الكتاب امنوا بالمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به وقيل الذين ارتدوا
 من الكفر فذوقوا العذاب امرأته وهومن باب الاستعارة في ذوقوا استعاره
 تبعية تخيلية وفي العذاب استعارة مكنية حيث شبه العذاب بشي يذرك
 بحاسة الاكل والذوق فصورا بصورة ما يذاق واثبت له الذوق تخيلاً قال الكرخي

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك فهو مسبب عنه بخلاف
 دخول الجنة الا في فله يذكر له سببا شارعا الى انه يحض فضل الله واما الذين ابيضت
 وجوههم يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل ففي رحمة الله اي فهم مستقرون في
 وداركم من غير ذلك بالرحمة الشارعة الى ان العمل لا يستقل بدخول صاحبه الجنة بل
 لابد من الرحمة ومنه حديث لن يدخل احد الجنة بعمله وهو في الصحيح هو فيها
 خلل ون جملة استيناكية بانية كانه قيل فما حالهم فيها عن ابي بن كعب قال صاروا
 فرقتين يوم القيامة يقال لمن اسود وجهه اكثر تعريدا يمانكم فهو الايمان الذي
 كان في صلب آدم حيث كانوا امة واحدة واما الذين ابيضت وجوههم فهم الذين
 استقاموا على ايمانهم واخلصوا الى الذين فيض الله وجوههم وادخلهم في رضوانه
 وجنته وقد روي غير ذلك تلك آيات الله اي القرآن المشتمل على نعيم ابرار تعد
 الكفار والذين تقدمت مواهبها على محمل متلبسة بالحق وهو العدل جملة حاكية وما الله يريد
 ظلما للعلماء جملة تذييلية مقررة لمصنوع ما قبلها وفي توجه النفي الى الارادة
 الواقعة على النكرة دليل على انه سبحانه لا يريد فردا من افراد الظلم الواقعة على فرد
 افراد العالم فضلا ان يفعله وفاعله محذوف اي ظلمه للعالمين واما ظلم بعضهم
 بعضا فواقع كثير وكل واقع فهو بارادته واللام في العالمين زائدة لاتعلق لها شئ
 والله ما في السموات وما في الارض اي مخلوقاته سبحانه اي له ذلك يتصرف فيها كيف
 يشاء وعلى ما يريد وعبر ما تغلبا الغير العقل على العقل اكثر ثم اولت نزيل العقلاء
 منزلة غيرهم قال المهدوي وجه اتصال هذا بما قبله انه لما ذكر احوال المؤمنين
 والكافرين وانه لا يريد ظلما للعلمين وصله بذكر اتساع قدرته وغناه عن الظلم
 لكون ما في السموات والارض في قبضته وقيل هو ابتداء كلام يتضمن البياح بالعبادة
 بان جميع ما في السموات والارض له ملكا وخلقاً وجبده احق بيسا كونه ويعبدوه ولا
 يعبدوا غيره والى الله اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره لا شركة ولا استقلال
 ترجع اي تصير الامور الى امورهم كنتم خير امة هذا كلام مستأنف يتضمن بيان

حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم سبق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه
من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير وكان قيل هي التامة أي وجدتم وخلقتم
خيرامة ومنه قوله تعالى كيف تكلم من كان في المهد صبيا وقوله واذكروا كيثم قليلا
فذكرتم وقيل ناقصة قال الأخفش يريد أهل ملة أي خير أهل دين وقيل معناه
كنتم في اللوح المحفوظ وقيل كنتم منذ أنتم وقيل كنتم في علم الله خيرامة وقيل كنتم
مذكورين في الأمم الماضية بأنكم خيرامة وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يقال لهم عند
دخول الجنة كنتم خيرامة وقيل المعنى صلو خيرامة وفيه دليل على أن هذه الأمة
الاسلامية خير الأمم على الإطلاق وأن هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الأمة
وأخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم وإن كانت متفاضلة في ذات بينها كما ورد
في فضل الصحابة على غيرهم أخرجه أي أظهرت للناس أي لنفعهم ومصالحهم في
جميع الأعصار حتى تميزت وعرفت تأمرؤن بالمعروف ونهون عن المنكر وتؤمنون بالله
كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خيرامة مع ما يشغل عليه من أنهم خيرامة ما أقاموا
على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك ولهذا
قال مجاهد أنهم خيرامة على الشئ لظلم المذكورة في الآية وهذا يقتضي أن يكون تأمرؤن
وما بعده في محل النصب على الحال أي كنتم خيرامة حال كونكم أمريين بالمعروف ونهائين
عن المنكر مؤمنين بالله وبما يجب عليكم الإيمان به من كتابه ورسوله وما شرعه
لعباده فإنه لا يتم الإيمان بالله سبحانه إلا بالإيمان بهذه الأمور قال ابن عباس في الآية
هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن الخطاب لو شاء الله لقال أنتم فكلنا
كلنا ولكن قال كنتم في خاصة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن صنعهم مثل صنعهم كانوا خيرامة
وفي لفظ عنه يكون لأولنا ولا يكون لآخرنا وأيضا قال يا أيها الناس من سئله أن يكون
من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها وقال عكرمة نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر
وسلم مولى أبي حذيفة وأبي ابن كعب معاذ بن جبل وقال أبو هريرة خير الناس الناس
يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام أخرجه البخاري وغيره

وعن معاوية بن حيدة انه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الآية انكم
تتمون سبعين امة اتم خيرها واكرمها رواه الترمذي وحسنه احمد وابن ماجة
والحاكم وصححه والطبراني وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وروي من حديث معاذ
وابن سعيد نحوه وقد وردت احاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما انه يدخل من هذه
الامة الجنة سبعون الفا بغير حساب لا عذاب وهذا من فوائد كونها خيرا لامة وكون
اَمِّنْ اَهْلَ الْكِتَابِ في اليهود والنصارى ايمانا كما يمان المسلمون بالله ورسوله وكتبه
لكن خيرا لهم من الرياسة التي هم عليها وقيل من الكفر الذي هم عليه ولكنهم لم
يفعلوا ذلك بل قالوا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض وانما حملهم على ذلك
حب الرياسة واستتباع العوام فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تحكيمهم
ولم يتعرض للمؤمن به اشعارا بشهرته قاله ابو السعود وقال الكوفي لكان هذا
الايمان خيرا لهم من ايمان يسمي وعيسى فقط وج فافعل التفضيل على بابيه او هوليا
ان الايمان فاضل كما في قوله تعالى افمن يلقى في النار خيرا من بين حال اهل الكتاب
بقوله مَنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وهم الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم امنوا بما انزل
عليه وما انزل من قبله كابن سلام واصحابه من اليهود والنجاشي واصحابه من النصارى
واكثرهم الْفَاسِقُونَ اي الخارجون عن طريق الحق الممردون في باطلهم المكذبون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لما جاء به فيكون هذا التفصيل على هذا الكلام مستأنفا جوابا عن سوال
مقدرك انه قيل هل منهم من امن واستحق ما وعده الله وعبر عن كفرهم بالفسق اشارة
الى انهم فسقوا في دينهم ايضا فليسوا عدلا فيه فخرجوا عن الاسلام وعن دينهم
لَنْ يُضَيَّرُوا وكما اي اليهود يا معشر المسلمين بنوع من انواع الضرر الا بنوع اذى وهو
الكذب والتخريف والبهتان لا يقدر على الضرر الذي هو الضرر في الحقيقة بالخبر
والنهي نحوها فالاستثناء مفرغ قال الحسن سمعون منهم كذا على الله يدعوكم الى الضلالة
وهذا وعد من الله لرسوله وللمؤمنين ان اهل الكتاب لا يغلبونهم وانهم منصورون
عليهم وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لن يضرهم البتة لكن يؤذونكم يعني باللسان من

طعنهم في دينكم وتهديدوا والقاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب
والغم ثم بين سبحانه نفاذ من الضر بقوله وَأَنْ تَقَاتِلُوا كُفْرُكُمْ الآية وَالَّذِينَ كَفَرُوا
ولا يقدر^{ون} على مقاومتكم فضلا عن ان يضروكم ثم لا يصرون اي لا يوجب لهم نصر
ولا يثبت لهم غلب في حال من الاحوال بل شأنهم الخذلان ما داموا ولكم النصر عليهم
وقد وجدنا ما وعدنا سبحانه حقا فان اليهود لم يخفق لهم راية نصر ولا اجتمع لهم جيش
غلب بعد نزول هذه الآية فهي من معجزات النبوة ضربت عليهم الذلة الَّذِينَ كَفَرُوا
قد تقدم في البقرة ومعنى هذا التركيب والمعنى صارت الذلة محيطية بهم في كل حال وعلى
كل تقدير في اي مكان وجدوا كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة
قتلهم وسبيهم وخيبتة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار
وقيل خل القسك بالباطل وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا
معتبرا بل هم مستضعفون بين المسلمين والنصارى في جميع البلاد لَا أَنْ يَعْصِمُوا
مِنْ اللَّهِ قاله الغراء اي بزيمة الله او بكتابه قال الزجاج هو استثناء منقطع وقيل هو
استثناء مفرغ من الاحوال العامة قال الزجاج هي هو استثناء من اعلم الاحوال والمعنى
ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بجبل طيب انتهى اي بعمارة
من الله وهوان يسلموا فنزل عنهم الذلة وجعل اي بزيمة من الناس وهم المسلمون
بيد الجزية وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وآله رجعوا وقيل احتلوا فاصل
معناه في اللغة الزوم والاستحقاق بغضب اي لزمهم غضب من الله وهم مستحقون
له وضربت عليهم المسكنة احاطت بهم من جميع الجوانب قال الحسن المسكنة
هي الجزية وعن قتادة والحسن قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن الضحاك
وقيل المعنى ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان موسرا وهكذا حال اليهود
فانهم تحت الفقر المدقع والمسكنة الشديدة الا النادر الشاذ منهم ذلك اي ما تقدم
من ضرب الذلة والمسكنة والغضب وقع عليهم باثمهم اي بسبب انهم كانوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ اسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم

لرضا هم به كما ان التحريف مع كونه فعل اجبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم
 يغير حق اي في اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر وقتل الانبياء عما عصوا وكاؤوا
 يعندون اي بسبب عصيانهم لله واعتدائهم حدوده ومعنى الآية ان الله ضرب
 عليهم الذلة والمسكنة والبلاء بالغضب منه لكونهم كفروا بآياته وقتلوا الانبياء بسبب
 عصيانهم واعتدائهم حدود الله على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى
 الكبر وتروهي تفضي الى الكفر عن ابن جرير قال اشركهم في عزير وعيسى والصليب ^{لكن}
 سواء اي هم غير مستويين بل مختلفون ^{واجملة} مستانفة سيقينان ^{اهل} التفاوت بين
 الكتاب وقوله من اهل الكتاب امة قائمة هو استيناف ايضا يتضمن بيان الجهة
 التي تفادوا فيها من كون بعضهم امة قائمة الى قوله من الصالحين قال الاخفش
 التقدير من اهل الكتاب ذوا امة اي ذوا طريقة حسنة وبه قال الزجاج وقيل
 في الكلام حذف والتقدير من اهل الكتاب امة قائمة واخرى قائمة فترك الاخرى
 اكتفاء بالاولى وقال الفرع القدير ليس تستوي امة من اهل الكتاب قائمة يتلون آيات
 الله وامة كافرة وقال النحاس هذا القول خطأ انتهى وعندي ان ما قاله الفراء قوي
 قولهم وحاصله ان معنى الآية لا تستوي امة من اهل الكتاب شيئا كما اذا وامة اخرى
 شاكها كما والقائمة المستقيمة العادلة من قولهم اتمت العود فقام اي استقام عن
 ابن عباس يقول مهتدية قائمة على امر الله لم تنزع عنه ولم تتركه كما تركه الآخرون
 وضعوه وقيل قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل قائمة في الصلوة يتلون
 آيات الله اي يقرؤن كتابه اناء الليل اي ساعاته وقال ابن عباس جوف الليل واحد
 اني بفتح الهمزة والنون بزنة عصا اواني بكسر الهمزة وفتح النون بوزن معنى اواني بالفتح
 والسكون بوزن ظي اواني بوزن حمل اواني بزنة تجر وكل واحد من هذه المفردات
 الخمس يطلق على الساعة من الزمان كما يؤخذ من القاموس وهم يتجهدون وظاهره
 ان التلاوة قائمة منهم في حال السجود ولا يصح ذلك اذا كان المراد بهذه الامة الموصوفون
 في الآية هم من قد اسلم من اهل الكتاب لانه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قراء القرآن في

السجود فلا بد من تأويل هذا الظاهر بأن المراد بقوله وهم يسجدون وهم يصلون كما
 قاله الفراء والزجاج وإنما عبر بالسجود عن مجموع الصلوة لما فيه من الخضوع والتذلل
 ظاهر هذا أنهم يتلون آيات الله في صلاتهم من غير تخصيص لتلك الصلوة بصلوة
 معينة وقيل المراد بها الصلوة بين العشاءين وقيل صلوة الليل مطلقاً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وكتبه ورسله ورأس ذلك الأيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر
 والإيمان به يستلزم الحذر من فعل المعاصي وهم لا يخشون منها فلم يحصل الإيمان ^{لص}
 بالله وباليوم الآخر وَيَا مُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَهْرُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ صفتان أيضاً لامة أي
 أن هذا من شأنهم وصفتهم وظاهرة يفيد أنهم يأمرون وينهون على العموم وقيل
 المراد أمرهم باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ونهيهم عن مخالفته وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ أي يبادرون
 بها غير متناقلين عن تأديتها لمعرفتهم بقدر ثوابها والسريعة مخصوصة بأن يقدم ما
 ينبغي تقديمه والجملة مخصوصة بأن يقدم ما لا ينبغي تقديمه وان الجملة ليست ^{متممة}
 على الإطلاق قال الله تعالى وَجَعَلْنَا لِكُلِّ لَدُنَّا رُضًى وَأُولَئِكَ هِيَ الْأُمَّةُ الْمُوصَوَّةُ بِتِلْكَ
الصفات مِنَ الصَّالِحِينَ أي من جملة من قيل من بمعنى مع وهم الصالحة والظاهر أن المراد
 كل صالح وما يقعوا من خير أي خير كان فَلَنْ يَكْفُرُوا أي لن تعد موثوبه كأنه قيل
 فلن كفره كما قاله الزنخري بل يشكره لكم ويجازيكم به وفيه تعريض بكفرهم نعمته
 وأنه تعالى لا يفعل مثل فعلهم وحيى به على لفظ النبي للمفعول لتذميره عن اسناد الكفر
 اليه وقرئ بالياء التحتية في الفعلين وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ أي كل من ثبتت له صفات
 التقوى وقيل المراد من تقدم ذكره وهم الأمة الموصوفة بتلك الصفات ووضع الظاهر
 موضع المضمر مدحهم ورفعاً من شأنهم وفيه بشارة لهم بحزب الثواب ودلالة
 على أنه لا يفوز عنده إلا أهل الإيمان والتقوى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قيل هم بنو قريظة
 والنضير قال مقاتل لما ذكر تعالى مؤمني أهل الكتاب ذكر كفارهم في هذه الآية
 وقيل نزلت في مشركي قريش فان أبا جهل كان كثير الاختيار بالاموال وانفق ابوسفيان
 ما لا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين والظاهر أن المراد بذلك كل من كفر بما يجب

الايمان به لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه
 لَنُفَعِيَ اَي لَن تَدْفَعُ عَنْهُمْ اَمْوَالَهُمْ بِالْقُدِيَّةِ وَلَوْ اُتَتْ وَابَهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا اَوْكَلْتُمْ
 بالنصر وانما خص الاولاد لانهم احب القرابة وارجاهم لدفع ما ينوبهم من الله شيئا
 اي لا يفهم شيء من ذلك في الآخرة ولا مخلص لهم من عذاب الله وخصهما بالذكر لان
 الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد وأولئك هم
 النَّارُ لَهُمْ فِيهَا خُلِدُوا وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا يَفْقَهُونَهَا مِثْلُ مَا يُفْقَهُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا بَيِّنَاتٌ لِّكَيْفِيَّةِ عِلْمِ اَعْمَاءِ اَمْوَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ
 المضار قبل اراد نفقة ابي سفيان واحما به ببدر واحد في معاداة النبي صلواته وقيل
 اراد نفقة اليهود على علماءهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم
 في الدنيا وقيل اراد نفقة المرائي الذي لا يريد بها وجه الله كمثلي ريح في صحر الصبر
 الشديد وهو قول اكثر المفسرين وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد واصل
 من الصبر الذي هو الصوت فهو صوت الريح الشديد البارد وقال الزجاج الصبر صوت
 النار في تلك الريح وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وقيل هو الحر الشديد المحرق فظرفية
 الريح له واخيه والتشبيه على الوجهين صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد
 فهي محلكة او حرقها محرقه اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكوا
 اي الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقة الكافرين في بطلا نهارها وذهابها وقت الحاحها
 وعدم منفعتها كمثلي زرع اصابه ريح باردة او نار حارة فاحرقته واهلكته فم ينتفع
 اصحابه بشيء منه بعد ان كانوا على طمع من نفعه وفائدته وعلى هذا فلا بد من تقدير
 في جانب المشبه به فيقال كمثلي زرع اصابته ريح او مثل اهلاك ما ينتفعون كمثلي اهلاك
 ريح وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون اي بالكفر المانع من
 قبول النفقة التي انفقوا وتقدير المفعول لرعاية الفواصل لا التخصيص لان الكلام في
 الفعل باعتبار تعلقه بالفعل لا بالمفعول وهذا في جانب المشبه وهم الكفار وقول سابقا
 ظلموا انفسهم في جانب المشبه به وهم اصحاب الزرع فلا تكرار لياكلها الذين اموالهم لا تنفذوا

بطانة البطانة مصدر يسمى به الواحد والجمع وبطانة الرجل نجاسته الذي يستيطون
 امره واصله البطن الذي هو خلاف الظهر ويطن فلان بطن بطونا وبطانة اذا
 كان خاصا به مِنْ دُونِكُمْ اي سواكم قاله الفراء اي من دون المسلمين وهم الكفار
 اي بطانة كائنة من دونكم اي من غيركم وقدرة الزخشي من غير ابناء جنسكم وهم
 المسلمون وقيل من ذائفة اي دونكم في العمل والايمان قال ابن عباس كان رجال
 من المسلمين يواصلون رجالا من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في اجماع هليئة
 فانزل الله فيهم ينههم عن مباظنتهم بخوف الفتنة عليهم منهم هذه الآية وعند قال
 هم المنافقون واخرج الطبراني وابن ابي حاتم عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال هم الخوارج قال السيوطي وسند جيد وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار
 وهو لا ولي ويدخل فيه من هو سبب النزول دخولا اوليا لا يأتونكم خبايا مستأنفة ^{مبين}
 حالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة اي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم ^{فيما}
 يورثهم الشر والفساد يقال لا اله الا الله جهدا اي لا قصور والمراد لا يمنعكم خبايا ولا خبايا الخيل
 الفساد في الافعال والابدان والعقول وَدَوَّامًا عَنْكُمْ اي ما يشق عليكم من الضرر والشر
 والهلاك والعنت المشقة وشدة الضرر قال الراغب هنا المعاناة والمعاناة متقاربان لكن
 المعاناة هي الممانعة والمعاناة هي ان يتجرى مع الممانعة المشقة والجملة مستأنفة مؤكدة
 للنهي قد بدت البغضاء هي شدة البغض كالضراء لشدة الضرر مِنْ أَوْأَاهُمْ لا فؤاء جمع فم
 والمعنى انها قد ظهرت البغضاء في كلامهم لانهم لما خافهم من شدة البغض والحسد
 اظهرت السننهم ما في صدورهم فتركوا التقية وصرحوا بالكذب اما اليهود فالامر في
 ذلك واضح واما المنافقون فكان يظهر من فلتات السننهم ما يكشف عن خبث طويتهم وهذه
 الجملة مستأنفة ليبان حالهم وما تخفي صدورهم من العداوة والغيظ أَكْبَرُ مَا يَظْهَرُونَ
 لان فلتات اللسان اقل مما تخفيه الصدور بل تلك الفلتات بالنسبة الى ما في الصدور
 قليلة جدا ثم انه سبحانه امتن عليهم ببيان الايات الدالة على وجوب اخلاص ان كانوا
 من اهل العقول المدركة لذلك البيان فقال قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ان كنتم تعقلون

اي تعظون به هاتم اولاء الخاطون في مولاتهم ثم بين خطاهم بتلك المولاة بهن
 الجملة التذيلية فقال تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ قيل فحبوهم لما اظهروا لكم الايمان اولما
 بينكم وبينهم من القرابة ولا يحبونكم لما قد استحكم في صدورهم من الغيظ والحسد
وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ اي جنس الكتاب جميعا اي لا يحبونكم والحال انكم يؤمنون
 بكتب الله سبحانه التي من جملتها كتابهم فما بالكم تحبونهم ولا يؤمنون بكتابتكم وفيه
 توبخ لهم شديد لان من يبدل الحق احق بالصلابة والشدّة من هو على الباطل واذا
لَقَّوْكُمْ قَالُوا نَفَقًا وتقية امنّا واذا اخلوا عَصُوا عَلَيْكُمْ اي لاجلكم والعضد المساك
 بالاسنان اي قحامل الاسنان بعضها على بعض والعض كله بالاضا دلا في قولهم عظ
 الزمان اي اشتد وعظمت الحرجاي اشتدت فانما بالظاء اختطاء الا نامل جمع غلة
 وهي طرف الاصبع من الغيظ اي تأسفا وتحسرا حديفا عجز واعن الانتقام منكم والعرب
 النادم والمغتاط مجاز بعض الا قامل والبنان ومن لا ابتداء الغاية او بمعنى اللام اي من اجل
 الغيظ والغيظ مصدر غاظه يغظه اي اغضبه والتغيظ اظهار الغيظ وقد يكون مع ذلك
 صوت قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا قاله السمين ثم امره الله سبحانه بان يدعوا عليهم
 فقال قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ وهو دعاء يتضمن استمرار غيظهم ما داموا في الحياة بتضاعف
 قوة الاسلام واهله حتى ياتيهم الموت وهم عليه والباء للملابسة اي متلبسين بغيظكم ان
 الله عليهم كذا الْصُّدُورِ اي الخواطر القائمة بها والدواعي والصوارف الموجودة فيها
 وهو كلام داخل تحت قوله قل فهو من جملة المقول او مستأنفة اخبر الله بذلك لانهم كانوا
 يخفون غيظهم ما امكنوا فذكر ذلك لهم على سبيل الوعيد وذات هنا تانيث ذي معنى
 صاحبة الصدور وجعلت صاحبة لها الملازمة لها وعدم انفكاكها عنها نحو احيى ابنة
 واصحاب لنا والمراد بها المضمات اِنْ تَسْسِكُمْ حَسَنَةً تَنْسُوهُمْ وَاِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةً
 يَنْفِرْ حَوَارِيُّهَا هذه الجملة مستأنفة تليان تنافي عداوتهم الى كل حسنة واصل المسحور
 باليد ثم يطلق على كل ما يصل الى الشيء على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب
 قاله الخازن وحسنة وسينة تعمان كل ما يحسن وما يسوء وعبر باليس في حسنة وبالأصا

في السيئة للدلالة على ان مجرد من احسنة تحصل به المساءة ولا يفرحون الا باصا
 السيئة وقيل ان المس مستعار لمعنى الاصابة قال مقاتل احسنة النصر على العدو والرزق
 واخير ومنافع الدنيا والسيئة القتل والهزيمة والجهد والجذب ومعنى الآية ان من كانت
 هذه حالته لم يكن اهلا لان يتخذ بطانة وان تصبر واعلى عداوتهم واذا هم واعلى
 التكليف الشاقة وتشتقوا الله في موالاتهم او ما حرمة الله عليكم لا يصبركم وقرئ بكسر الضا
 وسكون الراء يقال ضار يضير ويضوره ضير ابغضض يضرة كيدهم شيئا والكيد احتيا لك
 لتوقع غيرك في مكروه والمعنى لا يضركم شيئا من الضر بفضل الله وحفظه ان الله تعالى
 يعملون من الكيد على قراءة الياء وعليها اتفق العشرة او من الصبر والتقوى على
 قراءة التاء وهي شاذة للحسن البصري محيط ما به حافظ له لا يعزب عنه شيء منه واذا
 اذ غدوت من منازلك اي من المنزل الذي فيه اهلك يعني عايشة وفيه منقبة
 عظيمة لها رضي الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله قد ذهب الجمهور
 الى ان هذه الآية نزلت في غزوة احد وقال الحسن في يوم بدر وفي رواية عنه يوم الاحزاب
 قال ابن جرير الطبري الاول الاحم للائمة الاثنية قد اتفق العلماء على ذلك كان يوم احد وبقا
 عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرري وقتادة والسدي والربيع وابن
 اسحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي في غزوة الخندق تبوء المؤمنون اي اتخذ لهم مقاعة
 للقتال واصل النبوة اتخذ المنزل يقال بوائه منزلا اذا سكنه اياه ومعنى الآية واذا
 اذ خرجت من منزل اهلك اتخذ للمؤمنين مراكزا ما كن يقعدون ويقفون فيها للقتال
 وعبر عن الخروج بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كونه صلحا خرج بعد صلوة الجمعة
 لانه قد يعبر بالغدو والرواح عن الخروج والدخول من غير اعتبار اصل معناها كما يقال
 اضحى وان لم يكن في وقت الضحى وقد ورد في كتب التاييخ والسير كيفية الاختلاف في
 المشورة على النبي صلعم في يوم احد فمن قائل فخرج اليهم ومن قائل نبى في المدينة فخرج
 وكان مما نزل من القرآن في يوم احد ستون اية من آل عمران فيها صفة ما كان في يوم
 ذلك ومعاينة من عاتب منهم بقول الله تعالى لنبيه صلعم واذا غدوت من اهلك

اي يوم احده والله سميع لا قول لكم عليم بديا تكم وما في ضما تركم اذ هممت طائفتان
منكم ان تفشلا ليه تجبنا وتضعفنا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخرج وبنو
حارثة من الاوس وكانا جنأحي العسكر يوم احد والفشل الجبن وقيل هو في الرأي
العجز وفي البدن الاعياء وعدم التهور وفي الحرب الجبن والخوف والفعل منه فشل
بكسر العينين باب تعب وتفاسل الماء اذا سأل والهمم من الطائفتين كان بعد الخروج و
المراد بالهم هنا حديث النفس والله تعالى لا يؤاخذ به ويعضده قول ابن عباس انهم
اضروا ان يرجعوا لما رجع عبد الله بن ابي من معه من المنافقين فحفظ الله قلوب
المؤمنين فلم يرجعوا وذلك قوله والله وليهم اي ناصرهما وحافظهما ومتولي امورها
بالتوفيق والعصمة وعلى الله فليتوكل المؤمنون التوكل التفعّل من وكل امره الى غيره
اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل
هو تفويض الامر الى الله ثقة بحسن تدبيره فامرهم الله ان لا يفوضوا امرهم الى غيره
وتقديم الظروف للاختصاص ولتناسب رؤس الادي ولقد نصيكم الله ببديل رحمة
مستأنفة سيقّت لتصبيرهم بتذكير ما يترتب على الصبر من النصر وهو العون وبدي
اسم لما كان في موضع الوقعة وقيل هو اسم الموضع نفسه وقيل موضع بين مكة
 والمدينة وكانت وقعت في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية وسبب
سياق قصته بدر في الانفال انشاء الله تعالى وانتم اذلة تجمع قلة ومعناه انهم كانوا
بسبب قلة اذلة وهو جمع ذليل استعير للقلة اذ لم يكونوا في انفسهم اذلة بل كانوا
اعزة قال الحسن وانتم قليل وهم يومئذ بضعة عشر وثلاث مائة وكان عدوهم من
كفار قريش ذهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة وكانت
المؤمنون في ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب وقلة المال خرجوا على نواحيهم وكان
الكثيرون رجالة ولم يكن معهم الا فرس وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وشرح
اهل التاريخ والسير غزوة بدر واحد بآتم شرح فلا حاجة لنا في سياق ذلك ههنا فانقلوا
الله في الشبكات مع رسول الله صلوات الله عليكم تشكرونا ما انعم عليكم من نصرة اذ تقول

الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا بِكُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ هَذَا لَأَنْبَأَكُمْ
 مِنْهُ صَلَواتُ عَلَيْهِمْ عَدِمَ التَّفَاتُ بِذَلِكَ الْمَدَدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَحِي بَلَدٍ دُونَ لَأَنْبَأَكُمْ
 فِي النَّفْيِ وَمَعْنَى الْكَفَايَةِ سَدُّ الْخَلَّةِ وَالْقِيَامُ بِالْأَمْرِ وَالْإِمْدَادُ فِي الْأَصْلِ اعْطَاءُ الشَّيْءِ حَاجَةً
 بَعْدَ حَالٍ قَالَ فَتَأْتِي هَذَا كَانَ يَوْمَ بَدَأَ مَدَّاهُمْ اللَّهُ بِأَلْفٍ مَلَائِكَةٍ ثُمَّ صَارَ وَاتْلُوهُ الْآفَ
 ثُمَّ صَارَ وَخَمْسَةَ آلَافٍ وَقِيلَ كَانَ هَذَا يَوْمَ أَحَدٍ وَهُوَ قَوْلُ عِكْرَمَةَ وَالضَّحَّاكَ وَمَقَاتِلَ
 وَالْأَوَّلِ أَوَّلِي وَهُوَ الرَّاجِحُ بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا أَوْيَا تُؤَكِّدُكُمْ مَنْ فُورِهِمْ هَذَا أَصْلُ الْفُورِ الْقَصْدُ
 إِلَى الشَّيْءِ وَالْأَخْذُ فِيهِ بِجِدٍّ وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ فَارْتَقِدُوا تَقْفُورُونَ فَإِذَا خَلَّتِ الْفُورُ الْغَلِيَّةُ
 وَفَارِغَتْ مِنْهُ إِذَا جَاشَ وَفَعَلَهُ مِنْ فُورِهِ أَيْ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَ وَالْفُورَةُ مَا يَفُورُ مِنَ الْقَدْرِ
 اسْتَعِيرَ لِلسَّرْعَةِ أَيْ إِنْ يَأْتِيكُمْ مِنْ سَاعَتِهِمْ هَذِهِ يُبَدِّلُكُمْ بِكُمْ خَمْسَةَ آلَافٍ مِنْ
 الْمَلَائِكَةِ فِي حَالِ اتِّبَاعِهِمْ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْ ذَلِكَ مُسَوِّمِينَ عَلَيْهِمْ مُعَلِّمِينَ بِعَلَامَاتٍ وَمُعَلِّمِينَ
 أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَةٍ عَلَى الْمُنْبِيِّ الْمَفْعُولِ أَوْ الْفَاعِلِ وَرَجَّحَ ابْنُ جَرِيرٍ الْأَخِيرَ وَالتَّسْوِيمُ أَظْهَرَ رِسْمًا
 الشَّيْءُ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مُسَوِّمِينَ أَيْ مَرْسُلِينَ خِيَلَهُمْ فِي الْفَارَةِ وَقِيلَ إِنْ الْمَلَائِكَةَ
 اعْتَمَدَتْ بِعَمَامٍ بَيْضٍ وَقِيلَ حُمْرٍ وَقِيلَ خَضِرٍ وَقِيلَ صُفْرٍ فَهَذِهِ هِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي عَلِمُوا بِهَا
 أَنْفُسَهُمْ حَكَى ذَلِكَ عَنِ الزَّجَاجِ وَقِيلَ كَانُوا عَلَى خَيْلٍ بَلَقَ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَفِي بَيَانِ التَّسْوِيمِ
 عَنِ السَّلَفِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ كَثِيرٌ فَائِدَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمْ تَقَاتِلِ الْمَلَائِكَةَ فِي
 مَعْرَكَةِ الْيَوْمِ بَدَأَ وَفِيمَا سِوَى ذَلِكَ يُشِيرُونَ الْقِتَالَ وَلَا يَقَاتِلُونَ إِنَّمَا يَكُونُونَ عِدَّةً
 وَمَدَدًا قَالَ أَحْسَنُ هَؤُلَاءِ خَمْسَةَ آلَافٍ رَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَقَدْ سَأَلَ
 السَّيِّكِيُّ عَنْ الْحِكْمَةِ فِي قِتَالِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ ابْنِ جَبْرِيلَ قَادِرَ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ الْكُفَّارَ بِرِيشَتِهِ
 مِنْ جَنَاحِهِ وَاجَابَ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا رَادَةَ أَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ لِلنَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ وَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ
 مَدَدًا عَلَى عَادَةِ مَدَدِ الْحَيَوَاتِ عَايَةً لَصُورَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي عِبَادَةِ
 وَاسِهِ فَاعْلَمْ الْجَمِيعُ أَنَّهُ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ أَيْ الْأَمْدَادُ وَالسَّقْمُ وَالْأَتْرَالُ وَرَجَّحَ الْأَوَّلُ
 صَاحِبُ الْكَشَافِ إِلَّا الْبَشْرَ كَثُرَ اسْتِثْنَاءُ مَفْرَغٍ مِنْ أَعْمِ الْعَامِ وَالْبَشْرَ أَيْ اسْمُ الْبَشَرَةِ
 وَهِيَ الْأَخْبَارُ بِمَا يَسُرُّ وَيَكْظُمُ قُلُوبُكُمْ بِهِ أَيْ لِتُسْكِنَ وَاللَّامُ لَمْ يَكُنْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ

الامداد بشرى بالنصر وطمانينة للقلوب وفي قصر الامداد عليهما اشارة الى عدم
مباشرة الملائكة للقتال يومئذ وما النصر الا من عند الله لا من عند غيره ولا ينفع
كثرة المقاتلة وجودة العدة والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين
امدادهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسببها العزيز الحكيم
فاستعينوا به وتوكلوا عليه ليقطع طرفا من الذين كفروا الطرف الطائفة والمعنى
نصرهم الله ببدل يقطع ويهلك طائفة من الكفار ويهدم ركن من اركان الشرك بالقتل
والاسر فقتل يوم بدر من قاداتهم وساداتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على
غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اويكبهم يخرجهم منهم والمكبوت المحزون وقال الكرخي
يدلهم اشكر به الى ان الكبت من الذلة يقال كبت الله العدو كبتا اي اخذه وصرفه قال
بعض اهل اللغة معناه يكبد هم اي يصيبهم بالحزن والغيط في الكباد هم وهو غير صحيح
فان معنى كبت احزن واغاظ واخذل ومعنى كبد اصاب الكبد واصل الكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه والمراد منه القتل والهزيمة والاهلاك واللعن واخرى فينقلبوا خائبين
اي غير ظافرين بمطلبهم عن قتادة قال قطع الله يوم بدر طرفا من الكفار وقتل صناديدهم
ورؤسهم وقاداتهم بالشروع عنه قال هذا يوم بدر قطع الله طائفة منهم وبقيت طائفة
وعن السدي ذكر الله قتله المشركين باحد وكانوا ثمانية عشر رجلا فقال ليقطع طرفا
ثم ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا واخرج البخاري ومسلم
 وغيرهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كسرت ربا عينه يوم احد وشج في وجهه حتى سال الدم
 فقال كيف يفعل قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعهم الى ربهم فانزل الله لك من الامر
 شيء اي است تمام اصلاحهم ولا تعذبهم بل ذلك ملك الله فاصبر او يتوب عليهم بالسلامة
 او يعذب بهم بالقتل والاسر والنهب فانهم ظالمون بالكفر وقد روي هذا المعنى في
 روايات كثيرة واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم احد اللهم العن ابا سفيان اللهم العن احارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو

اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية وللحديث الفاظ وطرق ومعنى الآية
 ان الله مالك امرهم يصنع بهم ما يشاء من الاهدالك والهرمية والتوبة ان اسلموا او
 العذاب ان اصرروا على الكفر وقال الفراء ومعنى الا والمعنى الا ان يتوب عليهم فتفرح
 بذلك او يعذبهم فتشتغي بهم وقال السيوطي ومعنى الى ان يعنى غاية في الصبر الى
 ان يتوب عليهم قيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من الغزاة بعثهم
 رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليعلموا الناس القرآن فقتلهم عامر بن الطفيل
 فوجد من ذلك وجدا شديدا وقت شهر في الصلوات كلها يدعوه على جماعة من
 تلك القبائل بالعن في البابا حديث الصحيحين لا يطول يذكرها والله ما في السموات وما في الارض
 هذا كالدليل على قوله ليس لك من الامر شيء الخ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ كلام
 مستأنف لبيان سعة ملكه اي يفعل في ملكه ما يشاء من المغفرة والعذاب ويجزم ما
 يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وفي قوله وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ اشارة الى ان رحمة
 سبقت غضبه وتبشير لعباده بانه المتصف بالمغفرة والرحمة على وجه المبالغة وما
 اوقع هذا التذييل الجليل واحبه الى قلوب العارفين باسرار التنزيل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ليس لتقييد النهي لما هو معلوم من تحريمه
 على كل حال ولكنه جيء به باعتبار ما كانوا عليه من العادة التي يعتادونها في الربا فانهم
 كانوا يربون الى اجل فاذا حل الاجل زادوا في المال مقدارا يتراضون عليه ثم يزيدون
 في اجل الدين فكانوا يفعلون ذلك مرة بعد مرة حتى يأخذ المرء اضعافا دينه الذي
 كان له في الابتداء وفيه اشارة الى تكرار التضعيف عما بعد عام والمبالغة في هذه العبارة
 تفيد تأكيد التوبيخ وفي السمين اضعافا جمع ضعفو لما كان جمع قلة والمقصود الكثرة
 اتبعه بما يدل على خلك وهو الوصف مُضَاعَفَةً وتَقْوَا اللَّهَ في اكل الربوا ومضاعفة فلا
 تأكلوه ولا تضعفوه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اي لكي تسعدوا وفيه دليل على ان اكل الربا من
 البكائر ولهذا عقبه بقوله وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ فيه اشارة الى تجنب

ما يفعله الكفار في معاملاتهم قال كثير من المفسرين وفيه انه يكفر من استحل الربا
وقيل معناه اتقوا الربا الذي ينزع منكم الايمان فتستوجبون النار وانما خص الربا في
هذه الآية لانه الذي توعد اليه بالحرب منه لفاعله قال ابن عباس هذا تهديد
للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم
ان هذه الآية اخوف آية في القرآن حيث اوعدها المؤمنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه ويحسبوا حرامه وقال الواحدي في هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين بحجة
من الله لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة لهم دون المؤمنين وأطيعوا الله و
الرسول حذف المتعلق مشعر بالتعظيم اي في كل امر ونهي قال محمد بن اسحق في هذه
الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد لعلمكم ومؤمنكم
اي راجين الرحمة من الله عز وجل وسار عوالم المعفرة من ربكم اي بادروا وسابقوا
الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الطاعات قرئ سارعوا بغير واو وبالواو قال ابو علي
كلا الامرين سارع مستقيم والمسارة المبادرة قال ابن عباس الى الاسلام وعنه التوبة
وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرائض وعن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة
الاولى وقيل الى الاخلاص في الاعمال وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد واللفظ مطلق فيعم الكل ولا يحل
لتخصيص نوع دون نوع وهذا وجه من قال الى جميع الطاعات والاعمال الصالحات و
جنة اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي إزالة العقاب
والجنة هي حصول الثواب فجعل بينهما للاشعار بان لا بد للمكلف من تحصيل الامرين عرضهما
اي عرض الجنة السموات والارض يعني كعرضهما لان نفس السموات والارض ليس
عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول في العادة يكون اكثر
من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها ومثله الآية الاخرى عرضها
كعرض السماء والارض وقد اختلف في معنى ذلك فذهب الجمهور الى انها تقرر السموات
بعضها الى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض فذلك عرض الجنة وقيل ان
هذا الكلام جاء على فحج كلام العرب من الاستعارة دون الحقيقة وذلك انها لما كانت

أجنة من الاتساع والانساح في غاية قصوى حسن التعبير عنها بعرض السموات والأرض
مبالغة لانما اوسع مخلوقات الله سبحانه فيما يعلمه عباده ولم يقصد بذلك التحديد كما
تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة طويلة عظيمة فجعل العرض كناية عن السعة
قال الزهري انما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله هذا على سبيل التمثيل لانها
كالسموات والأرض لا غير بل معناها كعرضها عند ظنكم كقوله تعالى خالد بن فيما مات
السموات والأرض اي عند ظنكم والا فمما زائلتان وسأل ناس من اليهود عمر بن الخطاب
اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين تكون النار فقال لهم ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون
النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا ان مثلها في التوراة ومعناه انه حيث
شاء الله وسئل انس بن مالك عن الجنة في السماء ام في الارض فقال واي ارض وسماء
تسع لجنه قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون
الجنة فوق السموات السبع وجنهم تحت الارضين السبع أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ اي هيت لهم فيه
دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان لان وهو الحق خلافا للمعتزلة اخرج عبد بن حميد وغيره
عن عطاء بن ابي رباح قال قال المسلمون يا رسول الله ابنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا
كانوا اذا ذنبا حادهم ذنبا اصبح كفارة ذنبه مكتوبة بابنه اجدع انفا اجدع
اذنك افعل كذا كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وسار عوا الآية الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرِّ
وَالصَّيْرَاءُ السراء اليسر والضراء العسر وقد تقدم تفسيرهما وقيل السراء الرخاء والضراء
الشدة وهو مثل الاول وقيل السراء في الحياة والضراء بعد الموت والمعنى لا يتركون الانفاق
في كلتي الحالين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة
وبلاء سواء كان الواحد منهم في عرس او مجلس فاول ما ذكره من اخلاقهم الموجهة
للجنة السخاء لانه اشق على النفوس وقد وردت احاديث كثيرة في مدح المنفق وذم
البخل وَالْمَسْكِينُ فِي الصَّحِيحِينَ وغيرها وَالْكُظَيِّينَ الْغِيْظَ اي الجارعين اياه عند امتلاء
نفوسهم عنه والكافين عن امضاءه مع القدرة والكظم حبس الشيء عند امتلائه يقال
كظم غيظا اي سكت عليه ولم يظهره ومنه كظمت السقاء اي ملأته والكظامة ما يسد به

يجري الماء وكظم البعير جريته اذا ردها في جوفه وقد وردت احاديث كثيرة في ثواب
 كظم الغيظ منها عن انس الجهمي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال
 من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى
 يخيره في اي الحور شاء اخرجه الترمذي وابوداود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
 صلعم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب واله الشيخان
 وعن عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء قال
 العسافين عن النكاس اي التاركين عقوبة من اذم اليهم واستحق المواخاة وذلك
 اجل ضرر وبخير وظاهرة العموم سواء كان من الممالك اعلم لا وقال الزجاج وغيره المراد
 الممالك والله يحب المحسنين الام يجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه كل محسن من
 هؤلاء وغيرهم ويجوز ان تكون للعهد فيختص بهؤلاء والاول اولى باعتبار العموم اللفظ
 لا بخصوص السياق فيدخل فيه كل من صدر منه مسمى الاحسان اي احسان كان والذين
 اذا فعلوا فاحشة اي فعلة فاحشة وهي تطلق على كل معصية وقد كثرت اختصاصها بالزنا
 واصل الغش القبح واخرج عن احد او ظلموا انفسهم باقتراف ذنب من الذنوب قيل هو
 ما دون الزنا مثل القبلة والمعانة واللمس والنظر وقيل او بمعنى الواو والمراد ما ذكره
 الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل غير ذلك قال النخعي الظلم من الفاحشة و
 الفاحشة من الظلم ذكره الله اي بالسنتهم عند الذنوب واخطروه في قلوبهم اذكروا
 وعدله ووعيده اوجلاه الموجب للحياء منه فاستغفروا والذنوب بهم اي طلبوا المغفرة
 لها من الله سبحانه وتفسيره بالتوبة خلاف المعانة لغته وفي الاستغفار بقوله ومن يغفر
 الذنوب من الانكار مع ما تضمنه من الدلالة على انه المختص بالسيئات دون غيرها لا يخفى
 اي لا يغفر جنس الذنوب الا الله وفيه ترغيب لطلب المغفرة من الله سبحانه وتنشيط
 للمذنبين ان يقفوا في مواقف الخضوع والتذلل وكم يصبروا على ما فعلوا اي ليقبوا
 على قبيل فعلهم ولكن استغفروا فقد عرفت ان الاصرار والمراد به هنا العزم على معاودة
 الذنب وعدم الاقلاع عنه بالتوبة منه قال السدي في الآية فيسكتون ولا يستغفرون

وَهُمْ يَعْلَمُونَ حِمْلَةَ حَالِيَةِ أَيِّ عَالَمِينَ بَقِيَهُ وَانْهَافَ مَعْصِيَةٍ وَأَنْ لَّهُمْ رَبًّا يَغْفِرُهَا وَقِيلَ
يَعْلَمُونَ أَنْ الْأَصْرَارَ ضَارٌّ وَقِيلَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَغْفِرَةَ الذَّنْبِ وَقِيلَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ
لَا يَتَعَاظَمُ الْعَفْوَ عَنِ الذُّنُوبِ وَأَنْ كَثُرَتْ وَقِيلَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَنْ اسْتَغْفَرُوا غُفِرَ لَهُمْ وَقِيلَ
يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يُتَوَبُّ عَلَى مَنْ تَابَ قَالَهُ جَاهِدُ وَقِيلَ يَعْلَمُونَ أَنَّ تَرْكَهُ أَوَّلَى قَالَهُ الْحَسَنُ وَقِيلَ يَعْلَمُونَ
الْمُؤَاخَذَةَ بِهَا أَوْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَالْعَاقِبَةُ مَتَقَارِبَةٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَلِمَتَيْنِ
مَا اخَذَ عَبْدٌ خِذْنَاهُمَا فَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ لِأَخِيهِمَا وَالَّذِينَ اخَذُوا فَاخْشَاهُ الْآيَةُ وَقَوْلُهُ
وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ الْآيَةُ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَاتِيِّ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ إِبْلِيسَ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ بَكَى وَعَنْ عَطَاةِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ هَذِهِ الْآيَةُ صَاحَ إِبْلِيسُ بِمَجْدَةٍ وَجَسَدٍ
عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ وَدَعَى بِالْوَيْلِ وَالشُّوْبِ حَتَّى جَاءَتْهُ جُنُودُهُ مِنْ كُلِّ تَرْجٍ فَقَالُوا مَا لَكَ يَا
سَيِّدَنَا قَالَ آيَةٌ نَزَلَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَا يَضُرُّ بَعْدَهَا أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ ذَنْبٌ قَالُوا وَمَا بِهِ
فَاخْبِرْهُمْ قَالُوا انْقَضَتْ لَهُمْ بَابُ الْأَهْوَاءِ فَلَا يُتَوَبُّونَ وَلَا يَسْتَغْفِرُونَ وَلَا يَرْوُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ قَرِيبٌ
مِنْهُمْ بِذَلِكَ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ بَشَرٍ
يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ عِنْدَ ذَنْبِهِ فَيَتَطَهَّرُ ثُمَّ يَصِلُ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَاكَ
الْأَخْفَرُ لَهُ ثُمَّ قَرَأُ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً الْآيَةُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاهْلُ السَّنَنِ الْأَرْبَعُ وَحَسَنُ
النَّسَائِيُّ وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابُودُودٌ وَأَوْدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصْرُ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَأَنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً وَقَدْ
وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي فَضْلِ الْاسْتِغْفَارِ وَلِلَّهِ الْمَذْكُورُونَ بِقَوْلِهِ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً جَزَاءُ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّكَمْ وَجَنَّتْ تَجَرَّتِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ
لَا يَخْسُ وَاجِرٌ لَا يُوَكِّسُ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْجَنَاتِ وَكَيْفِيَّةُ جَرِي الْأَنْهَارِ مِنْ تَحْتِهَا خَلْدٌ
فِيهَا أَيُّ مَقْدَرِينَ الْخُلُوعِ فِيهَا إِذَا خُلُوها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلَيْنِ بِطَاعَةِ اللَّهِ الْجَنَّةُ قَالَهُ مُقَاتِلُ
وَالْخُصُوصُ بِالْمَدْحِ مَحْذُوفٌ أَيُّ أَجْرِهِمْ أَوْ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ كَرِّ سُنِّ هَذَا
رُجُوعٌ إِلَى وَصْفِ بَاقِي قِصَّةِ أَحَدٍ بَعْدَ تَهْيِيدِ مَبَادِي الرُّشْدِ وَالصَّلَاحِ تَسْلِيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَأَبِ وَأَصْلُ الْخُلُوعِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْفِرَادُ وَالْمَكَانُ الْخَالِي هُوَ الْمُنْفَرِدُ

عن فيه ويستعمل ايضا في الزمان بمعنى المضي لان ما مضى انفرج عن الوجود وخلا عنه وكذا
الام الخالية والمراد بالسنة ما سنه الله في الام الماضية من وقائعها اي قد خلت من
زمانكم وقائع سنه الله في الام المكنونة بالهلاك والاستيصال لاجل مخالفتهم الانبياء
واصل السن جمع السنة وهي الطريقة المستقيمة والعادة والسنة الامام المتبع الموثوق
والسنة الأمة والسنن الام قاله المفضل الضبي وقال الزجاج اهل سنن فخذت المضائق
مجاهد قد خلت سنن تداول من الكفار والعق منين في الخير والشر فسيروا ايها المؤمنون
في الارض والمطلوب من هذا السير ما مودبه هو حصول المعرفة بذلك فان حصلت
بدونه فقد حصل المقصود وان كان لمشاهدة الآثار زيادة غير حاصلة لمن لم يشاهد
والامر للناب لا على سبيل الوجوب فانظروا كيف كان عاقبة المكنزين فانهم خالفوا
رسولهم بالحرف على الدنيا ثم انقضوا فلم يبق من دنياهم التي اثروها هذا قول الكثر المفسرين
والعاقبة اخر الامور رغبتهم في تامل احوال الام الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان
بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذا انها لان النظر الى آثار المتقدمين له اثر في النفس
وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى لهم في غزوة
أحد هذا بيان للناس الاشارة الى قوله قد خلت وقال الحسن الى القرآن والبيان التبيين
وقيل هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة وتعريف الناس للعهدين
المكذبتين والجنس الى المكذبتين وغيرهم وفيه حث على النظر في سوء عاقبة المكذبتين ما
انتهى اليه امرهم وهذا النظر مع كونه بيانا فيه هدى وموعظة فوعظ الهدى والموعظة
على البيان يدل على التغاثر ولو اعتبر المتعلق وبيانه ان اللام في الناس ان كانت للعهدين
المكذبتين والهدى والموعظة للمؤمنين وان كانت للجنس فالبيان لجميع الناس مؤمنهم
وكافرهم والهدى والوعظة للمؤمنين وحدهم والهدى بيان طريق الرشد المأمور
بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين
فما حصل ان البيان جنس تحت نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى
والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة

لأنهم المنتفعون بما دون غيرهم قال سعيد بن جبير أول ما نزل من آل عمران هذا بيان
للتناس ثم انزل بقية ما يوم أحد ولا تهنوا ولا تحزنوا عزاءهم وسلاهم لما نالهم يوم أحد من
القتل والجراح وحشهم على قتال عدوهم ونهاهم عن الجحور والنقل والمعنى لا تضعفوا على الجهاد
ولا تحزنوا على من قتل منكم لأنهم في الجنة ثم بين لهم أنهم لا علون على عدوهم بالنظر والظفر
فقال وأنتم ^{الذين} لا علون جمع على والأصل اعلون هي جملة حالية أي والحال أنكم لا علون عليهم
وعلى غيرهم بعد هذه الواقعة وقد صدق الله وعدك فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعد
واقعة أحد ظفر بعدوه في جميع وقعاته وقيل المعنى وأنتم لا علون عليهم بما أصبتم منهم
في يوم بدر فإنه أكثر مما أصابوا منكم اليوم أخرج ابن جرير وغيره عن ابن جريح قال نهزم
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب يوم أحد فساءلوا ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وما فعل فلان فنعى
بعضهم لبعض وتحدثوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا في هم وخرن فبينما هم كذلك علا ^{للهم}
بن الوليد بجبل المشركين فوقهم على الجبل وكانوا على إحدى جنبتي المشركين وهم أسفل
من الشعب فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا قوة لنا إلا بك وليس أحد
يعبدك بهذا البلد غير هؤلاء فلا تهلكهم وتاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا
المشركين حتى هزمهم الله وعلا المسلمون بجبل فذلك قوله وأنتم لا علون وقال الضحاك أنتم ^{لأن}
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أي صدقين بأن ناصيكم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فإنه حق وصدق
إِنْ يَسْأَلُكُمْ فَرَجٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَجٌ مِثْلُهُ الْقَرْحُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحُ الْجَرْحُ وَهَاتَانِ فِيهِ
قَالَ الْكَسَائِيُّ وَالْأَخْفَشُ وَمَعْنَاهَا وَاحِدٌ وَقَالَ الْفَرَاءُ هُوَ بِالْفَتْحِ الْجَرْحُ وَبِالضَّمِّ الْمَهْ وَقُرِئَ
قَرْحٌ عَلَى الْمَصْدَرِ وَالْآيَةُ خُطَابُ الْمُسْلِمِينَ حِينَ انْصَرَفُوا مِنْ أَحَدٍ مَعَ الْحَزْنِ وَالْكَآبَةِ
أَنْ يَسْأَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ قَرْحٌ وَنَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ أَحَدٍ فَقَدْ نَلْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَا تَهْنُوا
أَصَابَكُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَأَنْتُمْ لَمْ يَهْنُوا مَا أَصَابَكُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالصَّبْرِ مِنْهُمْ
وَقِيلَ الْمُرَادُ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ انْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ فِي الْبَدْرِ
فَأَصَابُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً ثُمَّ انْتَصَرُوا لَهُ الْكَافِرُ عَلَيْهِمْ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى لِأَنَّهُ مَا أَصَابَهُ
الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْكَافِرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُ مِنْهُمْ فِيهِ وَكَذَا مَا أَصَابَهُ الْمَشْرِكُونَ

في يوم احد لم يكن مثل ما اصابه المسلمون منهم يوم بدر بل ضعفه كما قال تعالى قد
 اصبتم مثلها فيمكن ان يكون المأثلة في القتلى من دون نظر الى الاسرى ويكون القول الاول
 ارجح كما سلف وتلك الايام الكائنة بين الامم في حروبها والائتية فيما بعد كالايام الكائنة
 في زمن النبوة تارة تغلب هذه الطائفة وتارة تغلب الاخرى كما وقع لكم ايها المسلمون في
 يوم بدر واحد وهو معنى قوله تلك الايام التكرار في قوله تلك مبتدأ والايام صفته والخبر
 نداء لها واصل المدح والمعاودة وادلتهم بينهم عاودته والدولة الكثرة يقال تداولته
 الايدي اذا انتقل من واحد الى اخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى اخرين ثم
 منهم الى غيرهم وقيل المدح والمناوبة على الشيء والمعاودة وتعمده مرة بعد اخرى
 قاله السمين والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس فيوم هؤلاء ويوم هؤلاء فكانت الدولة
 للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسرا سبعين واديل
 المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين والقصة في
 البخاري بطولها عن البراء بن عازب وفي الباب احاديث والمعنى نداء لها ليظهر امرهم قال
 ابن عباس اذال المشركين على النبي صلواته يوم احد وبلغني ان المشركين قتلوا من المسلمين
 احد بضعة وسبعين رجلا عدا الاسارى الذين اسروا يوم بدر من المشركين وكان عدا
 الاسارى يوم بدر ثلثة وسبعين رجلا اخرجه ابن جرير وغيره وليعلم الله علم ظهور
الذين امنوا اي انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز الحق من المخلص من يرتد عن
 الدين اذا اصابته نكبة وشدة وهو من باب التمثيل اي فعلنا فعل من يريد ان يعلم لانه
 سبحانه لم ينزل علما او يعلم الله الذين امنوا يصبرهم علما يقع عليه الجزاء كما علمه علما ازليا
 وقيل ليبرهم باعيانهم وقيل ليبرهم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تنجيما وقيل غير ذلك
 ويخبر منكم شهداء يعني ويكرمكم بالشهادة والشهداء جميع شهيد وهو من قتل من المسلمين
 بسيف الكفار في المعركة سمي بذلك لكونه مشهورا بالجنة او جمع شاهد لكونه كاشفا للجنة
 ومن التبويض وهم شهداء احد وقال ابن عباس ان المسلمين كانوا يسألون ربهم اللهم ربنا
 انا يوم اكيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبليك فيه خيرا ونلتبس فيه الشهادة فلقوا المشركين

يتمنون يوماً يكون فيه قتال فلما كان يوم أحد انهمزوا مع انهم الذين احووا على رسول الله
صلعم بالخروج ولم يصبر منهم الا تقيسير مثل انس بن النضر عم انس بن مالك وقد ورد في
عن قتيب الموت فلا بد من حمله هنا على الشهادة يعني حالة الشهادة من رفع المنزلة والجنة
وغير ذلك ويكون المراد بالموت هنا ما يؤول اليه لانفس الشهادة لانها مستدرة لقتني
الموت وغلبة الكفار وعلى هذا التاويل يزول الاشكال لان من طلب الجنة لا يقال انه
تمنى الموت قال القسبي وتمنى الموت من المسلمين يرجع الى غنى الشهادة المبينة على الثبات
والصبر على الجهاد لا الى قتل الكفار لهم لانه معصية وكفر ولا يجوز ارادة المعصية
وعلى هذا يحمل سؤال المسلمين من الله ان يرزقهم الشهادة فيسألون الصبر على الجهاد
وان ادى الى القتل من قبل ان تلقوه اي القتال او الشهادة التي هي سبب الجهاد والعود على
العدو والجهد على كسر الامم من قبل لانها معركة لا ضار فيها الى ان اي من قبل لقائه وقوى
تلقوه ومعناه معنى تلقوه لان لقي يستدعي ان يكون بين اثنين بما دته وان لم يكن على
المفاعلة فقد رايتموه اي القتال او ما هو سبب للموت يوم أحد والظاهر ان الرواية بصحة
وقيل عليه اي فقد علمتم الموت حاضراً وانتم تنظرون قيد الرواية بالنظر مع اتحاد
معناها للمبالغة اي قد رايتموه معانين له حين قتل وكنتم من قتل منكم قال لا خفشر
ان التكرير بمعنى التاكيد مثل قوله ولا طائر يطير بجناحيه وقيل معناه بصراء ليس في
اعينكم على تتاملون الحال كيف هي فلم انهمزتم وقيل معناه وانتم تنظرون الى محمد صلعم
اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس ان رجلاً من اصحاب رسول الله صلعم كانوا يقولون
لينا نقتل كما قتل اصحاب بدر ونستشهد اوليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين
ونبلي فيه خيرا ونلتبس الشهادة والجنة والحياة والرزق فاشهد هم الله احد فلم يثبتوا
الا من شاء الله منهم فقال الله ولقد كنتم تمنون الموت الآية وفيه توييح لهم على انهم
منوا الحرب وتسيبوا فيها ثم جبنوا وانهمزوا عنها او توييح لهم على الشهادة فان في قيمتها
تغلبت الكافرين وما محمد الا رسول سبب نزول هذه الآية ان النبي صلعم لما
اصيب يوم أحد صاح الشيطان قائلاً قد قتل محمد صلعم فغش بعض المسلمين حتى قال

ع
١٣

قائل قد أصيب محمد فأعطوا يديكم فأنما هم اخوانكم وقال اخر لو كان رسولا ما قتل
 فرداه عليه ذلك واخبرهم بأنه رسول قد خلعت من قبلة الرسل وسيخلو كما خلوا
 فهذه الجملة صفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقصص قصص افراد كانوا منهم استبعدوا
 هلاكه فانتبهوا له صفتين الرسالة وكونه لا يهلك فرداه عليهم ذلك بأنه رسول لا
 يتجاوز ذلك الى صفة عدم الهلاك وقيل هو قصص قلب ثم انكر الله عليهم بقوله أَفَأَنْتُمْ
مَكَاتُ الهمة للاستغفار الانكاري اي كيف تردون وتكفرون دينه اذ مات او قتل
 مع علمكم ان الرسل تخلوا ويمسك اتباعهم بدينهم وان فقدوا بموت او قتل وقيل لانكم
 تجعلهم خلوا الرسل قبله سببا لانقلابهم بموته او قتله وانما ذكر القتل سبحانه مع علمه انه
 لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين انقلبتم على اعقابكم اي ترجعون الى دينكم الاول
 يقال لكل من رجع الى ما كان عليه نكص على عقبيه ورجع وراءه والحاصل ان موته
 صلما او قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله
 وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم فلا ينبغي منكم الانقلاب والارتداد
 ج لان محمد ا عبد مبلغ لا معبود وقد بلغكم والمعبود باق فلا وجه لرجوعكم عن الدين الحق
 ولومات من بلغكم اياه ومن ينقلب على عقبيه بادباره عن القتال او بارتداده عن الاسلام
فَلَنْ يَرْضَى اللَّهُ شَيْئًا وانما يرض نفسه ويحجزى الله الشاكرين اي الذين صبروا ووقفوا
 استشهدوا ولا انهم بذلك شكر وانعمة الله عليهم بالاسلام ومن امتثل ما أمر به فقد
 شكر النعمة التي انعم الله بها عليه وقال علي الشاكرين الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه
 فكان علي يقول كان ابو بكر امير الشاكرين وكان اشكرهم واحبهم الى الله تعالى وعنده انه
 كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انقلب على اعقابنا بعد اذ هدانا الله والله
 ان مات او قتل لا قاتلن على ما قاتل عليه حتى اموت وما كان لنفس ان تموت هذا
 كلام مستأنف يتضمن الحث على الجهاد والاعلام بان الموت لا بد منه الا يا ذين الله اي
 ما كان لها ان تموت الا ما دونها لها فالاستثناء مفرغ والباء للمصاحبة يعنى بقضاء الله
 وقد روي امره وقيل هذه الجملة متضمنة للانكار على من قتل بسبب ذلك الارجاف

بقتله صلح فبين لهم ان الموت بالقتل او بغيره منوط باذن الله واستناذه الى النفس
مع كونها غير مختارة له الا ايدان بانه لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا باذنه وفيه تحريض
المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر
لا يدفع والنيات لا يقطع الحياة وان احد الاموت الا باجله وان خاض الممالك واقتحم
المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الجبن والخوف وفيه ايضا
ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم
عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله من عدوه سالما مسلما لم يضره شيء كتب مؤجلا
معناه كتب الله الموت كتابا والموت جل الوقت الذي لا يتقدم على اجله ولا يتأخر يعني وقتا
له اجل معلوم وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه اجال جميع الخلق والاول اولى
والغرض من هذا السياق توبيخ النعمانيين يوم احد ومن يرد بعمله ثواب الدنيا
كالغنيمة وغنائم تزلت في الذين تركوا المركز وطلبوا الغنيمة واللفظ يعنى كل ما يسمى ثواب الدنيا
وان كان السبب خاصا تؤتيه منها اي من ثوابها ما نشاء على ما قدرنا له فهو على حذف
المضاف ومن يرد بعمله ثواب الآخرة وهو الجنة تزلت في الذين تبعوا مع النبي صلح الكفا
حامة في جميع الاعمال تؤتيه منها اي من ثوابها ونضا عفت له الحسنات اضعافا كثيرة
وسيجزي الشكرين اي يجزئهم بامثال ما امرناهم به كالقتال ونهيناهم عنه كالفرار وقيل
الارجاف والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جند الشاكرين
وهم داخلون فيه دخول اوليا والاول اشار في التقدير والثاني اولى وكاين قال الخليل
وسيويه هي أي الاستغماية وكاف التشبيه بمعنى كم التكثرية وهي كناية عن عدد
مبهم ومن يتيقن لها وفي كاين خمس لغات ذكرها في الجمل واختار الشيخان كاين كلمة
بسيطة غير مركبة وان اخرها نون هي من نفس الكلمة لاثنتين لان هذه الدعوى لا
يقوم عليها دليل والشيخ سلك في ذلك الطريق الاسهل والفحوى ذكر هذه الاشياء
محافظة على اصولهم مع ما ينضم الى ذلك من الغوائد وتشعير الذهن وتمينه واطال في
اجمل الكلام على كاين من حيث الافراد والتركيب ليس في ذكره هنا كثير فائدة قرئ في

على البناء للجهول واختارها ابو حاتم ولها وجهان احدهما ان يكون في قتل ضمير يعود الى النبي
صلم وح يكون قوله معاً رِيْتُونَ جملة حالية والثاني ان يكون القتل واقعا على ربيون فلا
يكون في قتل ضمير والمعنى قتل بعض اصحابه وهم الربيون ورج الزمخشري هذا بقراءة
قتادة قتل بالتشديد وقرئ قاتل واختارها ابو عبيد وقال ان الله اذا احمد من قاتل
كان من قتل داخلا فيه واذا احمد من قتل لم يدخل فيه من قاتل ولم يقتل فقاتل اعم
واصح ويصح هذه القراءة الاخرى والوجه الثاني من القراءة الاولى قول الحسن ما قتل
نبي في حرب قط وقيل قتل فارغ من الضمير مسند الى ربيون والربيون بكسر الراء قراءة الجوهري
وقرأ علي بضمها وابن عباس بفتحها قال ابن جني والفتح لغة تميم واحدة ربي منسوب الى
الرب والربي بضم الراء وكسرها منسوب الى الربة بكسر الراء وضمها وهي الجماعة ولهذا فسهم
جماعة من السلف بالجماعات الكثيرة وقيل هم الاتباع قال الخليل الربى الواحد من العباد
الذين صبروا مع الانبياء وهم الربانيون نسبوا الى التاكه والعبادة ومعرفة الربوبية وقال
الربيون بالضم بالجماعات وقال النقاش هم المكثرون العلم من قولهم ربا يربوا اذا كثروا وقال ابن
مسعود ربيون الوف وعن الضحاك الربة الواحدة الف وعن ابن عباس قال جموع وعلماء
كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا فساوهم في ما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله قرئ
بفتح الهاء وبكسرها وهما لغتان والوهن انكسار الجدل بالخوف وهن الشيء يهين وهنا كوعيد
وهن يوهن كوجل يوجل ضعف اي ما وهنوا القتل نبيهم او قتل من قتل منهم لما احصوا
اي نالهم في سبيل الله من المجرور و قتل الانبياء والاصحاب القروح وما ضعفوا اي
عن عدوهم بل استمروا على جهادهم لان الذي احصاهم هو في سبيل الله وطاعته واقامة
دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم يا امة محمد صللم ان تفعلوا مثل ذلك قرئ ضعفوا
بضم العين وفتحها وحكاها الكسائي لغة وما استكانوا لما احصاهم في الجهاد والاستكانة الى
والخضوع وقال ابن عباس الخشوع وعبارة السمين فيه ثلاثة اقوال احدها انه استغفل
من الكون والكون الذل واصله استكون وقال الزهري وابو علي الاصل استكين وقال
الفراء وزنه افتعل من السكون انتهى وفي هذا توخي لمن انه لم يرم يوم احد وذل واستكان

وصنع بسبب ذلك الأوجاف الواقع من الشيطان ولم يضع كما صنع أصحاب من خلا من
 قبلهم من الرسل والله يحب الصابرين في الجهاد على قتل الشدائد وما كان قولهم أي قول
 أولئك الذين كانوا مع الأنبياء والاستثناء مفرغ أي ما كان قولهم عندان قتل منهم بانيث
 وقتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم عند لقاء العدو واقحام مضائق الحرب واصابة ما أصابهم
 من فنون الشدائد والأحوال شيء من الأشياء إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا قتل هي الصفا
 وأسأفنا في أمرنا قتل هي الكبر والظواهران الذنوب تعم كلما يسمى ذنبا من صغيرة أو كبيرة
 والأسراف ما فيه مجاوزة للحد فهو من عطف الخاص على العام قالوا ذلك مع كونهم ربانيين
 فضلا لا تقسم واستقصاء لما وأسناد لما أصابهم إلى أعمالهم وبراءة من التفريط في جنب الله
 وقد موالدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب حال من الدعاء بقولهم وثبتت أقدامنا
 أي في مواضع القتال ومواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عند الله وثبتنا على دين الحق
 وأنصرنا على القوم الكافرين تقريرا له إلى حيز القبول فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصالح
 عن ذكائه طهارة أقرب إلى الاستجابة والمعنى يزلوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان
 يصدر عنهم قول يومه شائبة الكبر والتعزول في مواقف الحرب ومراد الدين وفيه من
 التعريض بالمنهين ما لا يخفى الغرض من هذا ان يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة
 يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقتلتم مثل ما قالوا فاتهم الله بسبب ذلك الدعاء ثواب الدنيا
 من النصر والغنية والعزة وقهر الأعداء والثناء الجليل وغفران الذنوب والخطايا ونحوها
 وحسن ثواب الآخرة من إضافة الصفة إلى الموصوف أي ثواب الآخرة أحسن وهو نعم الجنة
 جعلنا الله تعالى من أهلها والتفضل فوق الاستحقاق والله يحب المحسنين الذين يفعلون
 ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله سبحانه لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء
 العدو وفيه دققة لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى
 محسنين ثم لما امر سبحانه بالاعتذار بمن تقدم من انصار الانبياء حذر عن طاعة الكفار وقال
 يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا وهم مشركوا العرب وقيل اليهود والنصارى قتل
 لنا ففوت في قولهم المؤمنين عند المضيئة ارجعوا إلى دين اباؤكم وقيل عامة في مطاوعة الكفرة

والنزول على حكمهم فانه يستقر الى موافقتهم يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ اي يخرجونكم من دين
 الاسلام الى الكفر فتتقلبون ترجعون خَيْرَين مغبونين فيما اما خسران الدنيا فلان اشق
 الاشياء على العقلاء الاتقيا دالى العدو واظهارا حاجة اليه واما خسران الآخرة فالحوكان
 عن الثواب الموعود والوقوع في العقاب المخلد بل الله مَوْلَاكُمْ اضرب عن مفهوم الجملة الاولى
 اي ان تطيعوا الكافرين يخذلوكم ولا ينصركم بل الله ناصر كرم دون غيره وهو خير النصيرين
 فاستعينوا به واطيعوه وَنَهُم سَلَاقِي بَنُونَ الْعِظَمَةِ وهو التفات عن الغيبة في قوله وهو
 خير النصيرين وذلك للتنبيه على عظم ما يليق به تعالى وقرئ بالياء جريا على الاصل يَرْجِعُ
قُلُوبَ الَّذِينَ كَفَرُوا واقد مخرج وعلى المفعول به اهتماما بذكر المحل قبل ذكر الحال الرَّعْبِ
 بضم الراء والعين وسكونها وهما لغتان ويمحزان يكون مصدرا والرعب بالضم الاسم وضم
 العين للاتباع واصله الملا يقال سبل راعبا اي يلا الوادي ورعبت الحوض ملاته فالعنى
 سفلو قلوب الكافرين رعبا اي خوفا وفرعا واللقاء يستعمل حقيقة في الاجسام ومجازا في غيرها
 كهذه الآية وذلك ان المشركين بعد وقعة احد ندموا ان لا يكونوا استأصلوا المسلمين قالوا
 بلئنا صنعنا فلناهم حتى اذلم يبق منهم الا الشريد تركناهم رجعا فاستأصلوهم فلما عجزوا
 على ذلك اتقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به بِمَا أَشْرَكُوا بالله اي بسبب شركهم
 به تعالى مَا كُنْ يَنْزِلُ بِهِ اي يجعله شريكا له سُلْطٰنًا حَاجَةً وبينا ناورها ناسميت الحجة سلطانا
 لقوتها على دفع الباطل او لوضوحها وانارتها او لحدتها ونقودها والنفي يتوجه الى القيد المقيد
 اي الحجة ولا تزال وَالْمَغْنَانِ الاشراك بالله لم يثبت في شيء من الملل وما وَأَنَّهُمْ مسكنهم النازيان
 لآحوالهم في الآخرة بعد بيان آحوالهم في الدنيا وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ اي المسكن الذين
 يستقرون فيه وكلمة بش تستعمل في جميع اللزام وفي جعلها متواهم بعد جعلها مأواهم
 رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الإقامة المنبئة عن الملك والمأوى المكان الذي يؤث
 اليه الانسان وقدم المأوى على المثوى لانه على الترتيب الوجودي يأوي ثم يثوى قاله
 الكرخي وَلَقَدْ صَدَّقَ كَذِبَ اللَّهِ وحده نزلت لما قال بعض المسلمين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا
 الله النصي وذلك انه كان الظفر لهم في الابتداء حتى قتلوا صاحب لواء المشركين تسعة

نفس بعده فلما اشتغلوا بالغنمة وترك الرماة مركزهم طلبا للغنمة كان ذلك سبب الحزب
 اذ تحسب لهم الحس الاستيصال بالقتل اي تستاصلونهم قتلا يقاتل حرا دحسوس اذ اقتله
 البرد وسنة حسوس اي جربة تاكل كل شيء قتل واصله من الحس الذي هو الادراك
 بالحاسة فمنع حسه اذهب حسه بالقتل قال الكرخي المراد به هنا البصر ثم وضع موضع العلم
 والوجود ومنه قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر اي علم ومنه قوله هل تحس منهم من احد
 اي ترى وبمعنى الطلب ومنه قوله فتحسبوا من يوسع اي اطلبوا خبره انتهى يا ذنبا اي بعلمه
 او بقضائه حتى اذ اقبلتم اي جئتم وضعتم قيل جوابه مقدرا متختم وقال الفراء جوابه
 وتنازعتم والواو مقحمة زائدة كقوله فلما اسما وتله للجبين وقال ابو علي جوابه صوكم عنهم
 الاق وقيل فيه تقديم وتأخير اي حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتكم فسلم وقيل ان الجواب
 وعصيتكم والواو مقحمة وقد جوز الاخفش مثله في قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما
 رحبت وضاحت عليهم وقيل حتى الى وح لا جواب لها واذا هذ على بابها والتنازع المذكور
 هو ما وقع من الرماة حين قال بعضهم لنلق الغنائم وقال بعضهم ثبت في مكاننا كما امر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من بعد ما اركم ما وقع لهم من النصر في الابتداء في يوم احد كما تقدم قال
 ابن عباس من بعد ما اركم يعني الغنائم وهي يمة القوم قال عروة كان الله وعدهم على الصبر والنقو
 ان يملهم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وكان قد فعل فلما عصوا امر رسول الله صلى
 وتركوا مصافهم وترك الرماة عهد الرسول اليهم ان لا يبرحوا من انزلهم وارادوا للدنيا رفع
 عنهم مد الملائكة دفعة واحدة مستوفاة في كتب السير والتواريخ فلا حاجة لاطالة الشرح هنا
 ما يحبون من النص والظفر يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا يعني الغنمة فتركوا المركز
 لها ومنكم من يريد الآخرة اي الاجر بالبقاء في مركزه امتثال الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت به حتى
 قتل كعب الله بن جبر واصحابه ثم صرهم فكم عنهم اي ردكم عن المشركين بالهزيمة بعد ان
 استوليت عليهم ليبتليكم اي ليعتكم فيظهر الخالص من غيره وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا
 اليه وتستغفروه والاول اولى وكلف عفا عنكم ما ارتكبتموه تفضلا لما علم من ندمكم
 فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة والخطاب لجميع المنهزمين وقيل للرماة فقط والله ذو فضل

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَفْوِ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْكِبَرَةِ مَوْءِنٌ إِذْ تَصْعَدُ وَنَ تَصْعَدُ
 بِقَوْلِهِ صَرْفُكُمْ أَوْ بَقَوْلِهِ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ أَوْ بَقَوْلِهِ لِيَبْتَلِيَكُمْ قَالَهُ الزَّهَّاقِيُّ وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ الْعَصِيُّ
 أَوْ تَنَازَعُمْ أَوْ فَشَلْتُمْ وَكُلُّ هَذِهِ الْوُجُوهُ سَائِغَةٌ وَكَوْنُهُ ظَرْفًا لَصَرْفُكُمْ جَيِّدٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى وَ
 لَعَفَا جَيِّدٌ مِنْ جِهَةِ الْقَرَبِ وَعَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَكُونُ الْمَسْئَلَةُ مِنْ بَابِ التَّنَازُعِ وَتَكُونُ
 عَلَى أَعْمَالٍ الْأَخِيرِ مِنْهَا لَعَدَمُ الْأَضْمَارِ فِي الْأَوَّلِ وَكَوْنُ التَّنَازُعِ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَامِلَيْنِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ يَقِينُ
 أَصْعَدَتْ إِذَا مَضَيْتُ حَيْالَ وَجْهَكَ وَصَعِدَتْ إِذَا رَتَقْتِ فِي جَبَلٍ فَلَا أَصْعَادَ السَّيْرِ فِي سَبْتِ
 الْأَرْضِ وَبَطُونِ الْأَدْوِيَةِ الصُّعُودُ الارتفاعُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسُّطُوحِ وَالسَّلَامِ وَالِدَبَجِ فَيَحْتَطِلُ أَنْ يَكُونَ
 صُعُودُ هِمٍّ فِي الْجَبَلِ بَعْدَ أَصْعَادٍ فِي الْوَادِي وَقَالَ الْقَتِيبِيُّ أَصْعَادًا بَعْدَ الَّذِي هَابَ وَامْعَنَ
 فِيهِ وَقَالَ الْفَرَاءُ الْأَصْعَادُ الْإِبْتِدَاءُ فِي السَّفَرِ وَالْإِغْدَارُ الْجُوعُ مِنْهُ يُقَالُ أَصْعَدْنَا مَنْ بَعْدَ دَا
 إِلَى مَكَّةَ وَالْيَ خَرَّاسَانٍ وَاشْتَبَاهُ ذَلِكَ إِذَا أَخْرَجْنَا إِلَيْهَا وَأَخَذْنَا فِي السَّفَرِ وَانْخَدَرْنَا إِذَا رَجَعْنَا
 وَقَالَ الْمُفَضَّلُ صَعِدَ وَاصْعَدَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقُرِئَ تَصْعَدُونَ بِالْشَّدِيدِ وَأَصْلُهَا تَصْعَدُونَ
 بِنَاءٍ عَلَى خَطِّابٍ وَقُرِئَ بَيَاءُ الْغَيْبَةِ عَلَى الْإِتْفَاتِ وَهُوَ حَسَنٌ وَالضَّاهِرُ يَعُودُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَكُونُ
 وَقُرِئَ بِضَمِّ التَّاءِ مِنَ الْوَيْ وَهِيَ لُغَةٌ فَعْلٌ وَافْعَلُ بِمَعْنَى وَقُرِئَ بِوَاوٍ وَاحِدَةٍ أَيْ لَا تَعْرِجُونَ مِنَ التَّعْرِجِ
 وَهِيَ الْقَامَةُ عَلَى الشَّيْءِ فَإِنَّ الْمَعْرِجَ إِلَى الشَّيْءِ يُلَوِي إِلَيْهِ عُنْقَهُ أَوْ عُنُقَ دَابَّتِهِ وَكَذَا شَأْنٌ لَمُتَّظَرٍ
 وَالْمَعْنَى لَا تَقِيمُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ وَقِيلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى وَلَا يَلْتَقِفُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ
 وَلَا يَقِفُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ لَوْ أَحَدٌ وَلَا يَنْتَظِرُهُ هَرَبًا وَالرَّسُولُ يُدْعُوكُمْ فِيهِ أُخْرَاكُمْ فِي الطَّائِفَةِ
 الْمَتَاخِرَةِ مِنْكُمْ يُقَالُ جَاءَ فُلَانٌ فِي آخِرِ النَّاسِ وَآخِرَةُ النَّاسِ آخِرُ النَّاسِ وَآخِرِيَاتِ النَّاسِ قِيلَ
 مِنْ وَرَائِكُمْ وَقَالَ أَبُو السَّعُودِ فِي سَاقَتِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمْ الْآخَرَى فَمَا كَانَ دَعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى إِلَى الْإِي
 عِبَادِ اللَّهِ أَيْ ارْجِعُوا فَإِنَّا نَكُفُّكُمْ أَيْ فَجَاؤَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ بِسَبَبِ غَمٍّ إِذْ قَتَمُوهُ سَوْدًا
 اللَّهُ صَلَّى بَعْضِيَاكُمْ أَوْ غَمًّا مَوْصُولًا بِغَمٍّ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْأَرْجَافِ وَاجْتِرَاحِ وَقَتْلِ وَظَفَرِ الْمُشْرِكِينَ
 وَالْبَاءُ عَلَى هَذَا بِمَعْنَى عَلَى أَيْ مَضَاعِفًا عَلَى غَمِّ فَوْتَ الْغَنِيمَةِ وَالْغَمِّ فِي الْأَصْلِ التَّغْطِيَةُ غَمِيَّتِ الشَّيْءِ
 غَطِيَّتُهُ وَيَوْمَ غَمٍّ وَلَيْلَةُ غَمٍّ إِذَا كَانَا مُظْلِمِينَ وَمِنْهُ غَمُّ الْهَلَالِ وَقِيلَ الْغَمُّ الْأَوَّلُ الْهَزِيمَةُ وَالثَّانِي
 أَشْرَافُ أَبِي سَفْيَانَ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَيْهِمُ فِي الْجَبَلِ وَقِيلَ الْغَمُّ الْأَوَّلُ هُوَ مَا قَاتَهُمُ مِنَ الظُّفْرِ

والثاني ما نالهم من الهزيمة وقيل الاول ما اصابهم من القتل والجراح والثاني ما سمعوا بان محمدا
صلى الله عليه وسلم قد قتل وقيل الاول بسبب اشرف خالد بن الوليد مع خيل المشركين والثاني حين اشرف
يوسف بن العنقة التي نزلت بهم ثوابا على سبيل الجواز لان لفظ الثواب لا يستعمل الا في الغلبة
الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشكر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كل ما يعود
الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمضى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان حقيقة
ومضى حملناه على الاغلب كان مجازا لكيلا يخرقوا على ما كانوا من الغنمة ولا ما اصابكم من
الهزيمة فمينا لكم على المصائب وتدرى الاحتمال الشدائد وقال المفضل لكي يخرقوا ولا رائدة
كقوله ان لا تتجدد وقوله لئلا يعلم اي ان تجد وليعلم والله خير مما تعملون من الاعمال خيرا
وشرا فيجزيكم عليها ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغنم التصريح بالبعدية مع
دلالة ثم عليها وعلى التراخي لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة امانة الامنة والامن سواء
وقيل الامنة انما تكون مع بقاء اسباب الخوف والامن مع عدمه وكان سبب الخوف بعد
بأنه انما كان وهو اخف من النوم بدل كل واشتمال واختار السمين يغشى طائفة منكم قال
ابن عباس انما ينعس من يامن واخافت لا ينام والطائفة تطلق على الواحد والجماعة والطائفة
الاولى هم المؤمنون الذين خرجوا للقتال طلبا للاجر والطائفة الاخرى هم معتب بن قشير واصحابه
وكا نواخر جواطمعا في الغنمة وجعلوا يتأسفون على الحضور ويقولون الا فويل وقد ثبت في
صحيح البخاري وغيره ان ابا طلحة قال غشيننا ونحن في مصافنا يوم احد فجعل سيفي يسقط من يدي
واخذ ويسقط فاحذرك قاله يعني هذه الآية عن الزبير بن العوام قال رفعت راسي يوم
احد فجعلت انظر وما منهم من احد الا وهو يميل تحت جحفته من النعاس وتلى هذه الآية
وطائفة قد اهتمهم انفسهم حملتهم على الهم اهنى الامور قلقية وجازا ابتداء بالنعرة لاعتقادها
على احوال او مستأنفة وقيل ان المعنى صارت همهم لاهم لهم خيرا فلارغبة لهم الانجافادون
لبي واصحابه فلم يناموا وهم المنافقون وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين اية
عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سببا من المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان
سببا فيهم يظنون بالله اي في الله اي في حكمه والحكمة استيناف على وجه البيان لما قبل ظنا

غير الحق الذي يجب ان يظن به وهو ظنهم ان امر النبي صلى الله عليه وآله باطل وان لا ينصر ولا يتم ما
دعى اليه من دين الحق ظن الجاهلية بدل من غير الحق وهو الظن المختص بملة الجاهلية قاله
القاضي فهو من اضافة الموصوف الى مصدر الصفة او من اضافة المصدر الى الفاعل على
حذف المضاعف اي ظن اهل الجاهلية واهل الشرك قاله التقاضي يقولون لرسول الله صلى
الله عليه وآله لئلا من الاكبر من شيء اي من امر الله نصيب وهذا الاستفهام معناه ان يحمد اي ما
لنا شيء من الامر وهو النصر والاستظهار على العدو وقيل هو الخروج اي انما خرجنا مكرهين
الله سبحانه فذلك عليهم بقوله قل ان الاكبر كله لله وليس لكم ولا غيركم منه شيء فالنص
بيد والظفر منه يخفون اي يضمرون في انفسهم ويقولون فيما بينهم بطريق الخفية وبالجملة
حال وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل النفاق بل يسألونك سؤال المسترشد
ما لا يبذرون لك من الكفر والشرك والشك في وعد الله يقولون لو كان لنا من الاكبر
استيناف على وجه البيان له او بدل من يخفون والاول احوط كما في الكشاف ما اقتلناهم
اي ما قتل من قتل منا في هذه المعركة فداه سبحانه ذلك عليهم بقوله قل لو كنتم قاعدات
في بيوتكم بالدين كما تقولون لبرئ الدين كتب عليكم القتل الى مضاجعهم اي لم يكن من
خروج من كتب عليه القتل في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البر والى هذه
المصارع التي صرعا فيها فان قضاء الله لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقاتليهم
الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعيين زمانه
ايضا لقوله فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة وليبتلي الله اي ليعتحن ما في صدوركم اي قلوبكم
من الاخلاص والنفاق وليحص اي يميز ما في قلوبكم من وساوس الشيطان والله عليم
بذات الصدور يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر الخفية التي
لا تحاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها لانه عالم بجميع المعلومات ان الذين تولوا منكم
عن القتال يوم النقي اجمعين جمع المسلمين وجمع الكفار اي انهزموا يوم احد وقيل المعنى ان
الذين تولوا المشركين يوم احد انما استزهم الشيطان استدعى زلهم بالقاء الوسوسة
في قلوبهم يعرض اي يشوم بعض ما كسبوا من الذنوب التي منها عاقبة رسول الله صلى

قيل لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الاثنته عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن
 الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف
 والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنهم وقيل استلهم بتدكير خطايا سبقت لهم
 فكر هو ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج وكذا عفا الله عنهم لتو
 واعتذارهم عن عبد الرحمن بن عوف قال هم ثلاثة واحد من المهاجرين واثنان من الانصار
 وعن ابن عباس قال تولى في عثمان ورافع بن المعلى وخارجة بن زيد وقد روي في تعيين من
 الآية روايات كثيرة ان الله غفرو لمن تاب واناب حليم لا يجعل بالعقوبة ولا يستأصلهم
 بالقتل يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا هم المنافقون الذين قالوا لو كان لنا من
 الامر شيء ما قتلنا ههنا وقالوا لا تخافنا في النفاق هو في النسب اي قالوا لاجلهم اذ اضرنا
 اي ساروا وسافروا وبعدوا في الارض للتجارة وتجوها قال مجاهد هذا قول عبد الله بن ابي
 بن سلول والمنافقين وعن السدي نحوه او كانوا اعز اجتماعا ذكر الكعور كعب وعائش غيب
 قيس غزاة كرام ورامة لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي لا تقولوا انهم ليحجل
 الله ذلك يعني قولهم وظنهم في عاقبة امرهم واجعل هنا معنى التصيير واللام لام العاقبة
 حسرة في قلوبهم يعني غما وتاسفا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد
 انه صار ظنهم انهم لو لم يخرجوا ولم يحضروا ما قتلوا حسرة وقيل معناه لا تكونوا مثلهم في اعتقاد
 ذلك ليحجله الله حسرة في قلوبهم فقط دون قلوبكم قال الزحخشري هو النطق بالقول والاعتقاد
 وقيل المعنى لا تلتفتوا اليهم ليحجل الله عدم التفاتكم اليهم حسرة في قلوبهم واجاز ابن عطية ان يكون
 النهي والانتفاء معا وقيل المراد حسرة يوم القيمة لما فيه من الحزني والندامة والله يحجي و
 يميت فيه رد على قولهم اي ذلك بيد الله سبحانه يصنع ما يشاء ويحكم ما يريد فيحيي من يريد
 ويميت من يريد من غير ان يكون للسفر والغزو اثر في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغزوي
 مع اقتحامهما للموت ويميت المقيم والقاعد مع حيازة اسباب السلامة والمعنى ان
 السفر والغزو ليسا مما يجلب الموت والقعود لا يمنع منه والله ما تعملون بالتأب والياء من خير وشي
 يصير فيكم به فاتقوه تهديد المؤمنين اي لا تكونوا مثل المنافقين المذكورين في تنفير

المؤمنين عن الجهاد أو عياد الذين كفروا واللفظ عام شامل لقولهم المذكور ولم ينشئه
الذي هو اعتقادهم ولكن وقع ذلك من أمر الله سبحانه وقيل لهم في سبيل الله أو متم شروعا
في تحقيق أن ما يحدرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله ليس مما ينبغي
أن يحدربل مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون إثر ابطال ترتبه عليهما قرئ متم بضم الميم
وكسرها من يموت ويمات وهما قراءتان سبعيتان لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم
في العاقبة خير مما تجمعون أي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم أو مما تجمعون
أيها المسلمون من غنائم الدنيا ومنافعها والمقصود في الآية بيان مزية القتل والموت في
سبيل الله وزيادة تأثيرهما في استجلاب المغفرة والرحمة ولكن متم أو قتلتم على أي وجه حسب
تعلق الإرادة الإلهية لا إلى الله أي إلى الرب الواسع الرحمة والمغفرة لا إلى غيره كما يفيد تقد
الظرف على الفعل مع ما في تخصيص اسم الله سبحانه بالذكر من الدلالة على كمال اللطف والتعظيم
تخشون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم قليل من عبد الله خوفا من ناره آمنه الله عما يخاف واليه
الإشارة بقوله لمغفرة من الله ومن عبدة شوقا إلى جنته أناله ما يرجو واليه الإشارة بقوله
ورحمة لأن الرحمة هي الجنة ومن عبدة شوقا إلى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد
المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه في دار كرامته واليه الإشارة بقوله لا إلى الله تخشون بما
رحمة من الله لنت لهم ما فاصلة غير كافية منيدة للتأكيد قاله سيدييه وغيره وقال ابن كثير
والأخفش أنها نكرة في موضع الجواب بالباء ورحمة بدل منها والاول اولى بقواعد العربية ومثله
قوله تعالى فيما نقصهم ميتاتهم والجوار والحجر ومتعلق بقوله لنت وقدم عليه لافتادة القصص
وتنوين رحمة للتعظيم والمعنى أن لينه لهم ما كان الاسباب الرحمة العظيمة منه وقيل إن
استغفار صيغة والمعنى فبأي رحمة من الله لنت لهم وفيه معنى التعجب وهو بعيد ولو كان
كذلك لقليل فبم رحمة بحذف الألف والمعنى سحلت لهم أخلاقك وكثرت احتمالك لم تسع
إليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم وكو لم تكن كذلك بل كنت فظا غليظ القلب أي
جافيا قاسي الفؤاد سي الخلق قليل الاحتمال والفظ الغليظ الجافي وقال الراغب لفظ هو
الكريه الخلق وذلك مستعار من الفظ وهو ماء الكرش وذلك مكروه شربه إلا في ضرورة

وعظ القلب قساوته وقلة اشفاقه وعدم انفعاله للخير وجمع بينهما تأكيد الانقضاء من حرك
 اي لنفروا عندك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم احد عندك والانقضاء المتفرق في الاجزاء
 وانتشارها ومنه فضخم الكتاب ثم استعير هذا الانقضاء للناس وغيرهم اي لتفرقوا عن
 حولك هيبة لك واحتشاما منك بسبب ما كان من توليهم واذا كان الامر كما ذكرنا فعرف
 عنهم فيما يتعلق بل من الحقوق واستغفر لهم الله سبحانه فيما هو الى الله سبحانه وشاؤهم
 في الامر الذي يرد عليك اي امر كان مما يشاء في مثله وفي امر الحرب خاصة كما
 يفيد السياق لما في ذلك من تطيب خواطرهم واستجلاب مودتهم ولتعريف الامة بتبشيرة
 ذلك حتى لا يأنف منهم احد بعد قال السمين جاء على احسن النسق وذلك انه امر ولا يعفو
 عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه فاذا انتهوا الى هذا المقام امران يستغفر لهم ما بينهم وبين
 الله فتراح عنهم التبعات فلما صاروا الى هذا امر بان يشاء ورهم في الامر اذا صاروا الى
 من التبعين متصفين منهما انتهى والمراد هنا المشاورة في غير الامور التي يرد الشرع بها
 قال اهل اللغة الاستشارة مأخوذة من قول العرب شرت الدابة وشورتها اذا علمت
 خيرا وقيل من قولهم شرت العسل اذا اخذته من موضعه قال ابن خوارزمي اذا جاز على
 الاشارة ومشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما اشكل عليهم من امور الدنيا ومشاورة وجوه الجيش
 فيما يتعلق بالحرب ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكتاب والعمال والوزراء فيما
 يتعلق بمصالح العباد وعمارتها وحكي القطيع عن ابن عطية انه لا خلاف في وجوب عزل
 من لا يستشير اهل العلم والدين واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب قال السيق بسند
 حسن عن ابن عباس قال لما تزلت وشأورهم في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يغنيان عنها ولكن الله جعلها رحمة لا حجة فمن استشار من امتي لم يعدم رشدا ومن تركها
 لم يعدم غيا وعنه في الآية قال هم ابو بكر وعمر وقال الحسن قد علم الله ان ما به الى مشاؤونهم
 حاجة ولكن ارحا ان يستن به من بعده من امته وقيل امر بها ليعلم مقدار عقولهم
 انها هم لا يستفيد منهم راياء وروى البغوي بسنده عن عائشة انها قالت ما رايت رجلا
 اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استشارة فواتد كثيرة ذكرها بعض المفتين

لا تظول بذكركها ويغني عنها امر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بها ولنعم ما قيل في ذلك
 وشاور اذا شاورت كل مهذب لبيب اخي خزم لترشد في الامر
 ولا تترك من يستبد برأي فتعجز او لا تستريح من الفكر
 الموتران الله قال لعبد وشاورهم في الامر حتما بلا تنكر

فَاِذَا عَزَمْتَ عَلَى امضاء ما تريد عقب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على
 الله في فعل ذلك اي اعتمد عليه وفوض اليه وقيل ان المعنى فاذا عزم على امر ان تعضي
 فيه فتوكل على الله وثق به لا على المشاورة والعزم في الاصل قصد الامضاء اي فاذا قصدت
 امضاء امر فتوكل على الله وفيه اشارة الى ان التوكل ليس هو اهل التدبير بالكلية ولا
 لكان الامر بالمشاورة صافيا للامر بالتوكل بل مراعاة الاسباب الظاهرة مع تفويض الاموال
 الله والاعتماد عليه بالقلب عن علي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مشاورة اهل
 الراي ثم اتبعهم اخرجهم ابن مردويه ان الله يحب المتوكلين عليه في جميع امورهم ان يصور
 الله كما فعل يوم بدر والنصر العون جملة مستأنفة لتأكيد التوكل والبحث عليه فلا غالب لكم
 عم الخطاب هنا تشييعا للمؤمنين لايحاب توكلهم عليه وان يتخذ لكم كما فعل يوم احد
 واخذ لان ترك العون اي وان يترك الله عنكم فمن ذا الذي يصوركم استفهام انكار
 من بعده الضمير راجع الى اخذ لان المدلول عليه بقوله وان يتخذ لكم والى الله وفيه لطعة
 بالمؤمنين حيث صرح لهم بعدم الغلبة في الاول ولم يصرح لهم بانه لا ناصر لهم في الثاني
 بل اتي به في صورة الاستفهام وان كان معناه نفيا ليكون ابلغ ومن علم انه لا ناصر له الا
 الله سبحانه وان من نصره الله لا غالب له ومن خذله لا ناصر له فوض امره اليه وتوكل
 عليه ولم يشتغل بغيره وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره وتقديم الجار والمجرور على
 الفعل لا فائدة القصص عليه وقد وردت في صفة التوكل احاديث كثيرة صحيحة وقد عد
 النبي صلى الله عليه وسلم من سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب كما في مسلم وما كان لبيبي
 ان يعمل ما صح له ذلك لتنافي الغلول والنوبة وقال ابن عباس ما كان له ان يثمه احمدا
 قال ابو عبيد الغلول من المغنم خاصة ولا نراه من الخيانة ولا من الحقد وما يبين ذلك

انه يقال من اخيانة اغل يغل ومن احمق غل يغل بالكسر ومن الغلول غل يغل بالضم يقال
 غل المغنم غلولة اي خان بان ياخذ لنفسه شيئا يستتره على اصحابه فمعنى القراءة بالبناء للفاعل
 ما صح لنبى ان يخون شيئا من المغنم فياخذه لنفسه من غير اطلاع اصحابه وفيه تنزيه الانبياء
 عن الغلول ومعناها على القراءة بالبناء للمفعول احمق لنبى ان يغله احد من اصحابه اي يخونه
 في الغنية وهو على هذه القراءة الاخرى فهو الناس عن الغلول في المغنم وانما خص خيانة الانبياء
 مع كون خيانة غيرهم من الائمة والسلاطين والامراء حراما لان خيانتهم للانبياء اشد ذنبا
 واعظم وزرا ومن يغفل يأت بما غل اي يأتي به حاملا على ظهره يوم القيمة كما صح ذلك
 عن النبي صلى الله عليه وسلم بين الخلائق وهذا الجملة تتضمن تأكيد تحريم الغلول والتنبيه
 بانه ذنب يختص فاعله يعقوبة على رؤس الاشهاد يطلع عليها اهل المحشر وهي عجيبة يوم
 القيمة بما غل حاملا له قبل ان يحاسب عليه ويعاقب به ثم توفى كل نفس جزاء ما كسبت
 وافيا من خير او شر هذه الآية تعم كل من كسب خيرا او شرا ويدخل تحتها الغال دخولا
 اوليا لكون السياق فيه فكانه ذكر مرتين اخرج عبد بن حميد وابوداود والترمذي وحسنه
 وابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في قطيفة حراما فقدت يوم
 بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فنزلت وهم لا يظلمون بل يعدل
 بينهم في الجزاء فيما رزى كل على عمله وقد وردت احاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما في ذم
 الغلول ووعيد الغال فمن اتبع الاستفهام لا ينكاراي ليس من اتبع رضوان الله في امره
 ونواهيه فعمل بامر الله واجتنب نهيه كمن بآء اي رجع بسخط عظيم كاش من الله بسبب الفتن
 لما امر به وفي عنه ويدخل تحت ذلك من اتبع رضوان الله بترك الغلول واجتنابه ومن
 باء بسخط منه بسبب قدامه على الغلول وما وده يعنى الغال والمتخلف عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ويكس المصير اي المرجع ونزول الآية في واقعة معينة لا يخصص العموم ثم اوضح ما
 بين الطائفتين من التفاوت فقال هم درجت عند الله اي متفوتون في الدرجات المعنى
 هم اولوا درجات اولهم درجات اطلاقا للملزم على اللازم على سبيل الاستعارة او جعلهم
 نفس الدرجات مبالغة في التفاوت بينهم فهو تشبيه بليغ بحد الاداة وهذا ما رجح القائلون

فدرجات من اتبع رضوان الله ليست كدرجات من باينخط من الله فان الاولين في ارض
الدرجات والاخرون في اسفل الدرجات والله بصير بما يعملون فيه تحريض على العمل بطا
وتحذير عن العمل بمعاصيه لقد من الله على المؤمنين اي احسن اليهم وتفضل عليهم بالنسبة
التميزة العظيمة وخص المؤمنين لكونهم المتفعين ببعثة اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
يعينهم من جنسهم عربيا مثلهم ولد بلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وقيل بشر امثالهم ووجه
التميزة على الاول انهم يفقهون عنه ويفهمون كلامه ولا يحتاجون الى ترجمان ومعناها على
الثاني انهم يأنسون به بجامع البشرية ولو كان ملكا لم يحصل كمال الانس به لاختلاف الجنسية
وقوى من انفسهم بفهم الفاء اي من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل من قريش
وقريش افضل العرب والعرب افضل من غيرهم ولعل وجه الامتنان على هذه القراءة انه
لما كان من اشرفهم كانوا اطوع له واقرّب الى تصديقهم ولا بد من تخصيص المؤمنين في هذه
بالعرب على الوجه الاول واما على الوجه الثاني فلا حاجة الى هذا التخصيص وكذا على قراءة
من قرأ بفهم الفاء لا حاجة الى التخصيص لان بني هاشم هم انفس العرب والعجم في شرف الاصل
وكرم التجار ورفاعة التجار ويدل على الوجه الاول قوله تعالى هو الذي بعث في الامم رسولا
منهم وقوله وانه لذكرك ولتقومك وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله
خديجة بنت خويلد وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد الذي جعلنا من ذرية
ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدة بيته وسواس حرمه وجعل
لنا بيتا محججا وحرمنا امننا وجعلنا الاحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن
فتى الاربع وهو والله بعد هذا نبي عظيم وخطب جليل يتلو عليهم آياته هذه منة ثانية
اي يتلو عليهم القرآن بعد ان كانوا اهل جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع ولم يطورق سمعهم
الوحي ويذكّرهم اي يظهرهم من نجاسة الكفر والذنوب ودرس المحرمات والنجاسات ويعلمهم
الكتاب اي القرآن والحكمة السنة وقد تقدم في البقرة تفسير ذلك وكل واحد من هذه
الامور نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر وان كانوا من قبل اي قبل محمد صلى الله
عليه وسلم بعثته كفي صلي مبین واضمح لا ريب فيه اولئك اصابتكم مصيبة الالف للاستفهام

لله
الاف
والالف
والالف

لقصد التعرّيع والمصيبة الغلبة والقتل الذي اصابوا به يوم احد قد اصبتم مثلهم ما يوم
 بدر وذلك ان الذين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعون وقد كانوا قتلوا من المشركين
 يوم بدر سبعين واسر واسبعين وكان مجموع القتل والاسرى يوم بدر مثلي القتل للمسلمين
 يوم احد والمعنى احياناً اصابكم من المشركين نصف ما اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقتلتم
 اني هذا اي من اين اصابنا هذا الا نهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ومعنا رسول الله
 صلّم وقد وعدنا الله بالنصر عليهم قل هو من عند انفسكم امر رسول الله صلّم بان يحجب
 عن سوالهم بهذا الجواب اي هذا الذي سئالتم عنه هو من عند انفسكم بسبب مخالفة
 الرماة لما امرهم النبي صلّم من لزوم المكان الذي عينه لهم وعدم مفارقتهم للمركز على
 كل حال وقيل ان المراد خروجهم من المدينة ويرد ان الوعد بالنصر انما كان بعد ذلك
 وقيل هو اختيارهم الفداء يوم بدر على القتل عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلّم فقال
 يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الاسارى وقد امرك ان تخبرهم بين امرين
 اما ان يقدر موافقنا عنّا قهم وبين ان ياخذ والفداء على ان يقتل منهم عدتهم فدمى
 رسول الله صلّم الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشاثرنا و
 اخواننا لا بل نأخذ فداهم فنقوى به على قتال عدونا ونشتهد متاعدتهم فليس في
 ذلك ما نكره فقتل منهم يوم احد سبعون رجلاً اعدا اسارى اهل بدر وهذا الحديث في
 سنن الترمذي والنسائي قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث ابن ابي زائدة
 وعن عمر بن الخطاب قال لما كان يوم احد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من
 اخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفراحياب محمد صلّم عنه وكسرت ربا عينته و
 هشمّت البيضة على راسه وسال الدم على وجهه فانزل الله سبحانه وتعالى يعني هذه
 الآية واخرجه احمد باطول منه ولكنه يشك على حديث التخيير السابق ما نزل من
 المعاتبة منه سبحانه وتعالى لمن اخذ الفداء بقوله ما كان لني ان يكون له اسرى
 حتى يخن في الارض وما روي من بكائه صلّم هو ابو بكر ندما على اخذ الفداء ولو كان
 اخذ ذلك بعد التخيير لهم من الله سبحانه لم يعاقبهم عليه ولا حصل ما حصل من النبي صلّم

ورسوله من المذمومين ولا صوب النبي صلى الله عليه وآله في حديثه أشار بقتل الأسرى
 وقال ما معناه لو نزلت عقوبة لهم لم ينزع منها إلا عمر وأجمع في كتب الحديث والسير أقول
 ويمكن الجمع بأن يقال إن العتاب نزل أولاً ثم نزل التحجير لأن العتاب على الشروع والغرم
 على الفداء والتحجير على تمامه ويؤيد قوله في الحديث إن الله قد ذكره ما صنع قومك إن
 الله على كل شيء قدير ومنه نصركم على الطاعة وترك نصركم مع المخالفة وما أصابكم
 يوم التقي الجملين أي ما أصابكم يوم أحد من القتل والجرح والهزيمة فبدأ الله أي
 فبعل الله وقيل بفضائه وقدره وقيل بتخليته بينكم وبينهم وليعلم الله علم ظهور المؤمنين
 حقاً وليعلم الله الذين نأفقوا قيل أعاد الفعل لقصد تشريف المؤمنين عن أن يكون
 الفعل المسند إليهم وإلى المنافقين واحداً والمراد بالعلم هنا التمييز والأظهار لأن علم تعالى
 ثابت قبل ذلك والمراد بالمنافقين هنا عبداً لله بن أبي وأصحابه والنفاق اسم إسلامي لولا
 العرب تعرفه قبل الإسلام وقيل لكم معطوف على قوله نأفقوا وقيل هو كلام مبتدئ
 أي قيل لعبداً لله المذكور وأصحابه نأفقوا قاتلوا في سبيل الله أعداءه أن كنتم من يؤمن
 بالله واليوم الآخر وأدفعوا عن أنفسكم أن كنتم لا تؤمنون بالله واليوم الآخر فبأجمع ذلك
 وقيل معنى الدفع هنا تكثير سواد المسلمين وقيل معناه رابطوا والمرابطة الإقامة في الثغور
 والقاتل للمنافقين هذه المقالة التي حكاها الله سبحانه هو عبداً لله بن عمرو بن حرام الأنصاري
 والد جابر بن عبداً لله وقالوا لو علم قاتل أي أنه سيكون قتال لا تبعناكم وقاتلنا معكم
 ولكنه لا قتال هناك وقيل المعنى لو كنا نقدد على القتال ونحسنه لا تبعناكم ولكن لا نقدد
 على ذلك ولا نحسنه وعبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لكونها مستلزماً له
 وفيه بعد لا ملجئ إليه وقيل معناه لو تعلم ما يصح أن يسمى قاتلاً لا تبعناكم ولكن ما انتقصه
 ليس بقتال ولكنه القاء بالنفس إلى التهلكة لعدم القدرة منا ومنكم على دفع ما ورد من
 الجيش بالبروز إليهم والخروج من المدينة وهذا أيضاً فيه بعد دون بعد ما قبله هم
 للكفر يومئذ أي هم في هذا اليوم الذي انخرطوا فيه عن المؤمنين إلى الكفر أقرب منهم
 للإيمان عند من كان يظن أنهم مسلمون لأنهم قد بينوا حالهم وهتكوا أستارهم وكشفوا

عن نفاقهم اذ خاف وقيل المعنى انهم لاهل الكفر يومئذ اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
يَقُولُونَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ مِثْلُكُمْ مَا لَكُم مِّنْ عَذَابٍ مِّمَّنْ لَّكُم بَعْدَ مَا كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ
اظهر لاهل الايمان وابطنوا الكفر وذكر الافواه للتاكيد مثل قوله يطير بخناحيه وقال الزنجشيري
ذكر القلوب مع الافواه تصوير لنفاقهم وانما ايمانهم موجود في افواههم فقط وهذا الذي
قاله الزنجشيري ينبغي كونه للتاكيد لتحقيق هذه الفائدة والله اعلم مما يكتُمُونَ من النفاق
الَّذِينَ قَالُوا الْاٰخِرَ اَنزَلْنَاهُمْ وَقَدْ قُتِلُوا قَالُوا هَؤُلَاءِ الْقَاتِلُونَ قَدْ قُتِلُوا
الْقَاتِلُونَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا قُتِلُوا فَرَدَّ لَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ يَقُولُهُ قُلْ قَادِرٌ
عَلَىٰ اَنْفُسِكُمْ الْمَوْتُ الَّذِي دَفَعُ اَيُّهَا لَيْتَنَعَ اَحَدٌ رَّعَى الْقَدْرَ فَاَنْ الْقَاتِلَ يَقْتُلُ بِاَجَلِهِ اِنْ كُنْتُمْ
صٰدِقِيْنَ فِي اَنكُمْ وَجَدْتُمْ اِلَى دَفْعِ الْقَتْلِ سَبِيْلًا وَهُوَ الْقَعُورُ عَنْ الْقِتَالِ فَخَذَّ اِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ
طَرِيقًا قِيلَ اِنَّهُ مَاتَ يَوْمَ قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةُ سَبْعُونَ مِثْقَالًا مِنْ خَيْرِ قِتَالٍ وَمِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ لِّهَا
كُتِبَ لَهُمْ وَاسَّهَ تَعَالَى اَعْلَمُ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَا۟هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يَرْزُقُوْنَ لَمَّا بَيَّنَّ اللّٰهُ سُبْحٰنَهُ اَنْ مَا جَرَىٰ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ اَحَدٌ كَانَ اَمْتًا كَانَ لَيْتَمِيْزُ الْمُؤْمِنِ مِنْ
الْمُنَافِقِ وَالصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ بَيْنَ هَهُنَا اَنْ لَمْ يَنْهَضْ وَمَقْتُلُ فَلَهُ هَذِهِ الْكَرَامَةُ وَالنَّعْمَةُ
وَإِنْ مِثْلُ هَذَا صَاحِبَيْتَانِ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ لَا يَخْشَوْنَ وَيَحْذَرُ كَمَا قَالَ وَحَكِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ لَوْ كَانُوا
عِنْدَ نَامَا مَا تَوَاوَمَا قَتَلُوا وَقَالُوا لَوْ اَطَاعُوا نَامَا قَتَلُوا فَهَذِهِ الْجَمَلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ لِّبَيَانِ هَذَا الْمَعْنَى
وَالْخَطَابُ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى وَكُلِّ اَحَدٍ وَقُرِئَ بِالْبَيِّنَاتِ اَيُّهَا الْحَسْبُ حَاسِبٌ وَقَدْ اُخْتَلَفَ
اَهْلُ الْعِلْمِ فِي الشَّهَادَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْاَيَّةِ مِنْ هُمْ فَقِيلَ شَهَدَاءُ اَحَدٍ وَقِيلَ شَهَدَاءُ
بَدَلٍ وَقِيلَ شَهَدَاءُ بِيْرٍ مَّعُونَةٍ وَعَلَى فَرْضِهَا تَرْتَلَتْ فِي سَبَبِ خَاصٍ فَالْاَعْتِبَارُ بِعُمُومِ الْفِعْلِ
بِخُصُوصِ السَّبَبِ وَمَعْنَى الْاَيَّةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ اَنَّهُمْ اَحْيَاءُ حَيَّةٌ مُحَقَّقَةٌ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَنَهَمُ مِنْ يَقُولُ
اَنَّهُمْ تَرَدُّدُ الْيَهُودِ وَارْحَمَهُمْ فِي قَبُولِهِمْ فَيَتَّبِعُونَ وَقَالَ هَاجِدُ بْنُ يَرْزُقُونَ مِنْ ثَرَايِينَةِ اَيُّ يَحْدُونَ
يَحْيَا وَيَلْسُو اَيْهَا وَذَهَبَ مِنْ عَدْلِ الْجُمْهُورِ اِلَى اَنَّهُمْ اَحْيَاءُ حَيَّةٌ زَيَّةٌ وَالْمَعْنَى اَنَّهُمْ فِي حُكْمِ اللّٰهِ مُسْتَحَقُّونَ
لِلنَّعْمِ فِي الْجَنَّةِ وَالصَّحِيحُ الْاَوَّلُ وَلَا مَوْجِبُ الْعَصْرِ اِلَى الْجَاوِزِ وَقَدْ وَرَدَتْ السَّنَةُ الْمَطْهُرَةُ بِاَنَّ اَرْوَاحَهُمْ
فِي اَعْوَانِ طَيْرٍ خَضِرٍ وَانَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ يَرْزُقُونَ وَيَاكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ فَالطَّيْرُ لِلْاَرْوَاحِ كَالطَّيْرِ

للجالسين فيها وبهذا قد استدل من قال ان الحيوة للروح فقط وقيل ان الحياة للروح والجسد
 معا واستدل له بقوله عندئذ هم يرزقون الخ وعلى الاول وجه اقتياهم من غيرهم ان ارواحهم
 تدخل الجنة من وقت خروجها من اجسادهم وارواح بقية المؤمنين فلا تدخل الامع اجسادها
 يوم القيامة والامتنان على الثاني ظاهر قال ابن عباس نزلت هذه الآية في حمزة واصحابه
 وعن ابى الضحى انها نزلت في قتل احد حمزة منهم واخرج عبد بن حميد ابو داود وابن جرير
 والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اخوانكم يا اعداء جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
 وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجد اطيب ما كلهم ومشرقهم
 وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا وفي لفظ قالوا من يبلغ اخواننا
 انا احياهم الجنة نزلت في هذا وفي الجهاد ولا يسكلوا عن الحرب فقال الله انا ابغضهم عنكم
 فانزل هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا الآية وما بعد ما وقد روي من وجوه كثيرة ان
 سبب نزول الآية قتل حمزة وعن انس ان سبب نزول هذه الآية قتل يرمعون وعلى كل حال
 فالآية باعتبار عموم لفظها يدخل تحتها كل شهيد في سبيل الله وقد ثبت في احاديث كثيرة
 في الصحيح وغيره ان ارواح الشهداء في اجواف طيور خضر وثبت في فضل الشهداء ما يطول
 تعداده ويكثر ابراده ما هو معروف في كتب الحديث وقوله الذين قتلوا هو المفعول الاول
 والحااسب هو النبي صلى الله عليه وسلم او كل احد كما سبق وقيل معناه لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم
 امواتا وهذا يحلف لاحاجة اليه ومعنى النظم القراني في غاية الوضوح والجلال قليل وفي
 الكلام حذف والتقدير عند كرامة ربهم قال سيويه هذه عندية الكرامة لا عند القرب
 والمراد بالرزق هو الرزق المعروف في العادات على ما ذهب اليه الجمهور كما سلف وعند من
 الجمهور المراد به الثناء الجميل ولا وجه يقتضيه تحريف الكلمات العربية في كتاب الله تعالى وحملها
 على مجازات بعيدة لا بسبب يقتضيه ذلك وقد تعلق بهذا من يقول بالتأنيخ من المبتدعة
 ويقول بان تنقل الارواح وتنعيمها في الصور الحسان الرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة
 ويزعمون ان هذا الخواب والعقاب وهذا اضلال مبين وقول ليس عليه اثار من علم لما فيه

من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار ولا احاديث الصبيحة
 تدفعه وترده فوجين مما انهم الله اي ما ساقه اليهم من الكرامة بالشهادة وما صاروا فيه
 من الحياة وما يصل اليهم من رزق الله سبحانه والزلزلي من الله والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا
 يستبشرون بالذين لم يحقوا اليهم من خلفهم من اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على
 منبر الايمان والجهاد والمراد للموت بهم في القتل والشهادة اي بل سيلحقون بهم من بعد وقل
 المراد لم يلحقوا بهم في الفضل وان كانوا اهل فضل في الجنة وقل المراد باخوانهم هنا جميع المسلمين
 الشهداء وغيرهم لانهم لما عاينوا ثواب الله وحصل لهم اليقين بحقيقة دين الاسلام استبشروا
 بذلك جميع اهل الاسلام الذين هم احياء علم بموتوا وهذا قوي لان معناه اوسع وفائدة اكثر
 واللفظ مختل بل هو الظاهر وبه قال الزجاج وابن فورك الاخفش عليهم في الآخرة والخوف غم
 يلحق الانسان بما يتوقعه من السوء ولا هم يحزنون على ما فاتهم من نعيم الدنيا والحزن غم
 يلحقه من فوات ما يقع او حصول ضار فمن كانت اعماله مشكوة فلا يخاف العاقبة ومن كان
 متقلبا في نعمة الله وفضل لا يحزن ابدا يستبشرون بنعمة من الله وفضل كر قوله يستبشرون
 لتأكيد الاول قاله الزحيري وليبان ان الاستبشار ليس مجرد عدم الخوف والحزن بل به نعمة
 الله وفضله والنعمة ما ينعم الله به على عباده والفضل ما يتفضل به عليهم وقل النعمة الثواب
 والفضل الزائد وقل النعمة الجنة والفضل داخل في النعمة ذكر بعد هذا لتأكيد ما قيل ان
 الاستبشار الاول متعلق بحال اخوانهم والاستبشار الثاني بحال انفسهم وان الله لا يضيع
 اجر المؤمنين كما لا يضيع اجر الشهداء والجاهدين وقد ورد في فضل الجهاد والشهادة في
 سبيل الله ما يطول تعداد من الاحاديث الصحيحة والآيات الكريمة الذين استجابوا لله و
 الرسول من بعد ما اصابهم القرع للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم صفة للمؤمنين
 او بدل منهم او من الذين لم يلحقوا بهم او هو مبتدأ خبره الذين احسنوا منهم مجلته او منضو
 على اللوح وقد تقدم تفسير القرع قال سعيد بن جبيرة القرع الجراحات اخرج البخاري ومسلم
 وغيرهما عن عائشة في هذه الآية انها قالت عروة ابن الزبير ابن اخي كان ابواك منهم
 وابوبكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد فصرف عنه المشركون خائف ان يرجعوا

وقوله

١٤
ع
١٦

فقال من يرجع في اثرهم فانتدب منهم سبعون فيهم ابو بكر والزبير والروايات في هذا الباب كثيرة قد اشتملت عليها كتب الحديث والسير الذين قال لهم الناس المراد بالناس هنا نعيم بن مسعود وجاز لفظ الناس عليه لكونه من جنسهم فهو من قبيل العام الذي اريد به الخاص او من اطلاق الكل واردة البعض كقوله ام يحسدون الناس بعضهم وحده ونقل عن القاري انه اسلم يوم اخذت وهو مصرح به في المواهب وقيل المراد بالناس ركب عبد القيس الذين مر بابا بن سفيان وقيل هم المنافقون والمراد بقوله ان الناس قد جمعوا لكم ابو سفيان وغيره من اصحابه والعرب تسمى الجيش جمعا فاخشوهم اي فخافوهم فانه لا طاعة لكم بهم فزادهم ثم اي تصديقنا الله ويعقينا والمراد انهم لم يقبلوا ما سمعوا ذلك ولا التفتوا اليه بل اخلصوا له وازدادوا طمأنينة وثقة في دينهم وثبتوا على نصر نبيهم وفيه دليل على ان الايمان يزيد وينقص وقالوا احسبنا الله حسب مصدر حسبه اي كفاه وهو بمعنى الفاعل اي محسب بمعنى كافر قال في الكشاف الدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه بمعنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل هو من يؤكل اليه الاموال اي نعم الموكل اليه امرنا او الكافي او الكافل والخصوص بالمدح محذوف اي نعم الوكيل الله سبحانه وقد ورد في فضل هذه الكلمة اعني حسبنا الله ونعم الوكيل احاديث منها ما اخرجها البخاري وغيره عن ابن عباس قال قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلعم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ابن كثير بعد اخراجه هذا حديث غريب من هذا الوجه واخرج ابو نعيم عن شداد بن اوس قال قال النبي صلعم حسبنا الله ونعم الوكيل امان كل خائف واخرج ابن ابي الدنيا في الذر عن عائشة ان النبي صلعم كان اذا اشتد غمه مسح بيده على راسه وكبته ثم تنفس الصعداء وقال حسبي الله ونعم الوكيل فانقلبوا نعمة من الله اي فخرجوا اليهم فانقلبوا والتنوين للتعظيم اي رجعوا متلبسين بنعمة عظيمة وهي السلامة من عدوهم وعافية فضل اي اجر تفضل الله به عليهم وقيل رجع في النجاة وقيل النعمة خاصة بمنافع الدنيا والفضل بمنافع الآخرة وقد تقدم تفسيرهما قريبا بما يناسب ذلك المقام لكون الكلام فيه مع الشهداء الذين

الذين صاروا في الدار الآخرة والكلام هنا مع الأحياء وقوله لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أي سالمين عن سوء
 لم يصيبهم قتل ولا جرح ولا ما يخافونه وقال ابن عباس لم يؤخذهم أحد وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ فيما
 باتون ويذرون واطاعوا الله ورسوله ومن ذلك خروجهم هذه الغزوة وعن ابن عباس النعمة
 انهم سلموا والفضل ان عيرا مرت وكان في ايام الموسم فاشترها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيع ما لا
 فقسمه بين اصحابه وعن مجاهد قال الفضل ما اصابوا من التجارة والاخر وقال السدي اما
 النعمة فهي العافية واما الفضل فالتجارة والسوء القتل والله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره
 ولا يبلغ مداه ومن تفضله عليهم تنبيتهم وخروجهم للقاء عدوهم وارشادهم الى ان يقولوا
 هذه المقالة التي هي جالبة خير ودافعة لكل شر وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب في قلوب
 المشركين حتى رجعو اليكم المتبطل الكفر والخوف اليها المؤمنون الشيطان والظاهر ان المراد
 هنا الشيطان نفسه باعتبار ما يصدر منه من الوسوسة المقتضية للتبشير وقيل المراد
 به نعيم بن مسعود لما قال لهم تلك المقالة وقيل ابو سفيان لما صدر منه الوعيد لهم المعنى
 ان الشيطان يخوف المؤمنين اولياءكم وهم الكافرون قال ابن عباس الشيطان يخوف اوليائه
 وقال ابو مالك يعظم اولياءه في عينكم وقال الحسن انما كان ذلك تخويف الشيطان ولا يخاف
 الشيطان الاولي الشيطان فلا تخافوهم اي اولياءه الذين يخوفكم بهم الشيطان او فلا تخافوا
 الناس المذكورين في قوله ان الناس قد جمعوا الكفر فها هم الله سبحانه ان يخافوهم فيجبوا
 عن اللقاء ويفشلوا عن الخروج وامرهم بان يخافوه سبحانه فقال وَحَاقُوقُ هذه الياء التي بعد
 النون اختلف السبعة في اثباتها لفظا واتفقوا على حذفها في الرسم لانها من ياءات الزوائد كلها
 لا رسم وجمعتها اثنان وستون والمعنى فافعلوا ما امركم به واتركوا ما نهاكم عنه لاني الحقيق الخ
 مني والمراقبة لامري وفيه لكون الخير والشر بيدي وقيدة بقوله اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ كان
 الايمان يقتضي ذلك ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه ولا يخفى انك الذي يسارعون
 في الكفر يقال خزنني الامر وهي لغة قريش واخرني وهي لغة قيم والاولى انهم والغرض من هذا
 تسليته صلما وتصديره على تعنتهم في الكفر وتعرضهم له بالاذى وضمن يسارعون يقعون
 يعني اي لا يجزئك مسارعهم لمقويات الكفر من قول وفعل فهذا هو الذي يسارع اليه

أي أهملوا المقوية له كالتهيأ لقتال النبي وأما الكفر فهو دائم فيهم فلا تفتق مسأرتهم
لوقوع فيه لأن هذا التعبير يشعر بطرف هذا الأمر وأما إثارة كلمة إلى في قوله تعالى وسأعزوا إلى
مغفرة من ربكم فلا ان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها قيل هم قوم ارتدوا فاعظم
النبي صلعم لذلك فسلا الله سبحانه ونهاه عن الحزن وعلى ذلك بقوله لهم لن يصروا والله شينا
وأنما ضرر وانفسهم بأن لاحظ لهم في الآخرة وقيل هم كفار قرش وقيل هم المنافقون ورؤساء
اليهود وقيل هو عام في جميع الكفار قال القشيري والحزن على كفر الكفا فوطاعة ولكن النبي صلعم
كان يفرط في الحزن فنهى عن ذلك كما قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال فلعلك
بأخع نفسك على أثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا والمعنى إن كفرهم لا ينقص من ملك
الله سبحانه شيئا وقيل المراد لن يصروا ولياءة ويحتمل أن يراد لن يصروا دينة الذي شرعه
لعبادة وفيه مزيد مبالغ في التسلية يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يُجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا نصيبا في الآخرة ان نصيبا
من الثواب وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها وفي الآية دليل على
أن الخير والشر بإرادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ في المنكر
بسبب مسأرتهم في الكفر فكان ضرر كفرهم عائدا عليهم جانبا لهم عدم احط في الآخرة و
مسيرهم إلى العذاب العظيم الَّذِينَ اشْتَرَوْا اسْتِبْدَالَ لِوَالْكَفَرِ بِالْإِيمَانِ وقد تقدم تحقيق
هذه الاستعارة والمراد المنافقون آمنوا ثم كفروا لَن يَصُرُوا وَاللَّهُ شَهِيدًا نفى الضرر معنا كالأول
وهو للتأكيد لما تقدم وقيل إن الأول خاص بالمنافقين والثاني يعم جميع الكفار والأول
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة ولما جرت العادة بسوء المشتري بما اشتراه عند كون الصفقة
رابحة وبتأمله عند كونها خاسرة ناسب وصف العذاب بالآليم ولا يحسن الذين كفروا
وقرئ بالتحية فالمعنى لا يحسن الكافرون أَنَّمَا مِثْلُهُمْ بتطويل الأعمار وتأخيرهم عن
العيش أو بما أصابوا من الظفر يوما حَيْرَةً لَا تُفْسِرُونَ فليس الأمر كذلك بل هو شرا ف
عليهم ونازل بهم وعلى الأولى لا تحسن يا محمد صلعم إن الأملاء الذين كفروا بما ذكر خير لهم
أَنَّمَا مِثْلُهُمْ لَا يَزِدُّهُمْ وَأَنَّمَا بكثرة المعاصي اللام لام الإرادة أي رادة زيادة الأثم وهي
جائزة عند الأشاعرة ولا تخلو عن حكمة وعند المعتزلة القائلين بأنه تعالى لا يريد القبيح ولا يفتق

وهي جملة مستأنفة مبنية لوجه الاملاء للكافرين او تكرير للاولى والاملاء الامهال و
التأخير واصله من الملوحة وهي المدقة من الزمان يقال اطليت له في الامراخوت واطليت
للبعير في القيد ارضيت له ووسعت وكهم عداء مهيئ في الآخرة قال ابو السعود
لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزيئها وذلك مما يقتضى التعرذ والتكرم صنف
عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا انتهى واحتج الجمهور بهذه الآية على بطلان
ما يقوله المعتزلة لانه سبحانه اخبر بانه يطيل اعمار الكافرين ويجعل عيشهم رغا ليزدادوا
اثما قال ابو حاتم وسمعت الاخفش يذكر كسر انما على الاولى وفتح الثانية ويحجز بذلك لاهل
القدر لانه منهم ويجعله على هذا التقدير ولا يحسن الذين كفروا انما على لهم ليزدادوا
اثما انما على لهم خيرا لانفسهم وقال في الكشاف ان ازدياد الاثم علة وما كل علة تضر
الاثر اك تقول قعدت عن الغزو والعجز والفاقة وخرجت من البلد لخافة الشر وليس شيء
من ذلك يعرض لك وانما هي اسباب وحل وعن ابن مسعود قال ما من نفس برقة
ولا فاجرة الا والموت خير لها من الحياة ان كان برا فقد قال تعالى وما عند الله خير
للابرار وان كان فاجرا فقد قال تعالى ولا يحسن الذين كفروا الآية وعن ابى الدرداء
ومحمد بن كعب ابى هريرة نحوه ما كان الله كلام مستأنفا ليدرك المؤمنيين هذه الام
تسمي الام المحمود وينصب بعدها المضارع باضمار ان ولا يجوز اظهارها ولهذا القول دلالة
واعتراضات مذكورة في كتب النحو والخطاب في قوله على ما انتم عليه عند جمهور المحدثين
للكفار والمنافقين وقيل الخطاب للمؤمنين والمنافقين اي ما كان الله ليركركم على حالكم
الذي عليه انتم من الاختلاط وقيل الخطاب للمشركين والمراد بالمؤمنين من في الاصلا
والارجام اي ما كان الله ليدرك اولادكم على ما انتم عليه حتى يفرق بينكم وبينهم وقيل الخطا
للمؤمنين اي ما كان الله ليدرككم معشر المسلمين على ما انتم عليه من الاختلاط بالمنا
حتى يميز بينكم وعلى هذا الوجه والوجه الثاني يكون في الكلام التفات حتى يميز الخبيث من
الطيب اي بعضكم من بعض قال ابن عباس يميز اهل السعادة من اهل الشقاوة
وقال قتادة يميز بينهم في الجهاد والهجرة وقرئ يميز بالتشديد فالحفف من ما زال الشيء

بميزه ميرا اذا فرق بين شيتين فان كانت اشياء قيل ميزها تميزا وما كان الله
 ليطلعكم على الغيب لخطاب لكفار قريش اي ما كان ليبين لكم المؤمن من الكافر فيقول
 فلان كافر وفلان مؤمن وفلان منافق لتعرفوا قبل التمييز لان المستأثر بعلم الغيب لا يظهر
 على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيما يبينكم كما وقع من نبينا صلعم من تعيين كثير
 من المنافقين فان ذلك كان بتعليم الله له لا بكونه يعلم الغيب ان يشاهد امرا يدل على
 امر يكون من بعد كما نصب له علامات دالة على مصارع الكفار يوم بدر وقيل المعنى ما كاد
 الله ليطلعكم على الغيب فيمن يستحق النبوة حتى يكون الوحي باختياركم ولكن الله يجتبي ما يشاء
 ويجتص قايه كما هو عن مالك يستخلص من رسله من يشاء فيطلعكم على ما يشاء من غيبه
 عن السدي قال قالوا ان كان محمد صلعم صادقا فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر فانزل الله هذه
 الآية وعن الحسن قال لا يطلع على الغيب الا رسول فامروا يا الله ورسله بصفة الاخلاص
 وان تؤمنوا وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم في الآخرة ولا تحسبن الذين ينجلون مما
 انهم الله من فضله هو خير الزم بل هو شر لهم اي لا تحسبن الباخلين البخل خيرا
 لهم قاله الخليل وسيدويه والغرائق بالقاء اي لا تحسبن يا محمد صلعم البخل الذين ينجلون خيرا
 لهم قال الزجاج هو مثل واسئل القرية والبخل هو امساك المغنيات عما يستحق حبسها عنه
 والاية دالة على ذم البخل وقد ورد فيه احاديث قال المبرد والسين في قوله سيطوفون
 ما ينجلوا به سين الوعيد وهذه الجملة مبدئية لمعنى ما قبلها قيل ومعنى التطويق هنا انه يكون
 ما ينجلوا به من المال طوقا من نار في اعناقهم وقيل معناه انهم سيمجلون عقاب ما ينجلوا به
 فهو من الطاقة وليس من التطويق وقيل المعنى انهم يلزمون اعمالهم كما يلزم الطوق العنق
 يقال طوق فلان عمله طوق الحماة اي الزم جزاء عمله وقيل ان ما لم يود زكاته من المال
 له شجاعة اقرب حتى يطوق به في عنقه كما ورد ذلك مرفوعا الى النبي صلعم قال القرطبي والبخل
 في اصل اللغة ان يمنع الانسان الحق الواجب فاما من منع ما لا يجب عليه فليس ببخل قال
 في القاموس البخل ضد الكرم فلا يستقيم ما ذكره القرطبي انه خاص بمنع الواجب وقد ذكر
 الشوكاني في شرحه المنتقى عند قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني عوذ بك من البخل انه قيل لبعضهم

بما يجب اخراجه ثم قال ولا وجه له لان البخل بما ليس بواجب من غرائز النقص المضادة للكمال
 والتعود منه حسن بلا شك فالاولى تبقيته الحديث على عمومها انتهى بمعنى البخل عام كما ذكره
 القرطبي واما في الآية فهو للواجب ولكن عياره تنفيذ التعميم والله اعلم قال ابن عباس هم اهل
 الكتاب بخلو به ان يبشوه للناس وعن مجاهد قال هم اليهود وعن السدي قال بخلو ان
 ينفقوها في سبيل الله ولم يؤدوا زكاتها يؤم القيمة بان يجعل حية في عنقه تمنشه كما اخبر
 البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من اتاه الله ما لا فلم يؤد زكاته مثل له ماله
 شيئا عا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمته يعني بشدقيه فيقول انا مالك
 انا لك ذلك ثم تلى هذه الآية وقد ورد هذا المعنى في احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة
 يرفعونها وَاللَّهُ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اي له وحده لا لغيره كما يفيد التقدير المعنى
 ان له ما فيها مما يتوارثه اهلها ومنه المال فبالله يخلون بذلك ولا ينفقونه وهو الله
 سبحانه لا لهم وانما كان عندهم عارية مستردة مثل هذه الآية قوله تعالى انا نحن نرث
 الارض ومن عليها وقوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والميراث في الاصل هو ما يورث
 من مالك الى اخر ولم يكن مملوكا لذلك الاخر قبل انتقاله اليه بالميراث ومعلوم ان الله سبحانه
 هو المالك بالحقيقة لجميع مخلوقاته وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ قَرِيبٌ بِالْيَاءِ عَلَى الْغَيْبَةِ عَلَى طَرِيقَةِ
الْاَلْفَاتِ وهي ابلغ في الوعيد وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ
قَالُوا اِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ قال اهل التفسير لما انزل الله من ذلك الذي يقرض الله قرضا
 حسنا قال قوم من اليهود هذه المقالة تعويها على ضعفائهم لانهم يعتقدون ذلك لانهم
 اهل كتاب بل اراد والله تعالى ان صح ما طلبه منا من القرض على لسان محمد فهو فقير
 ليسلكوا على اخوانهم في دين الاسلام سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا في صحف الملائكة او سنحفظه او
 سنجازيهم عليه والمراد الوعيد لهم وان ذلك لا يفوت على الله بل هو معد لهم ليوم الجزاء
 وجملة سنكتب على هذا مستأنفة جوا بالسؤال مقدر كانه قيل ماذا صنع الله هؤلاء الذين
 سمع منهم هذا القول الشنيع فقال قال لهم سنكتب ما قالوا ونكتب قتلكم الْأَنْبِيَاءُ اي قتل
 اسلافهم للانبيا وانما نسب لك اليهم لكونهم رضوا به جعل ذلك القول قرينا لقتل الانبياء

تنبه على انه من العظم والشناعة مكان يعدل قتل الانبياء بغير حق معني في اعتقادهم
 فيما نواي معتقدون ان قتلهم لا يجوز ولا يحل وحي فينا سبب شن الغارة عليهم ونقول اني انتقم
 منهم بعد الكتابة بهذا القول الذي نقوله لهم في النار او عند الموت او عند الحساب وقرئ
 بالياء اي يقول الله في الآخرة على لسان الملائكة ذوقوا عذاب الحريق الحريق اسم للنار ^{المقربة}
 واطلاق الن وق على احساس العذاب فيه مبالغة بليغة والاشارة بقوله ذلك بما قد مر
أي ذكر الى العذاب المذكور قبله واشار الى القرب بالصيغة التي يشاربها الى البعيد للدلالة
 على بعد منزلته في القضاة وذكر الايدي لكونها المباشرة لغالب المعاصي وان الله ليس بظالم
 للعبيد وجهاته سبحانه عذبهم بما اصابوا من الذنب وجازاهم على فعلهم فلم يكن ذلك ظلما
 او بمعنى انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وليس بظالم لمن عذبه بذنبه وقيل ان
 وجهه ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضيه لانه المحسن ومعاقبة المسيء ورد بان ترك التعذيب
 مع وجود سببه ليس بظلم عقلا ولا شرعا وقيل معناه الامران انه ليس بظالم للعبيد ^{لتعذيب}
 بذلك عن نفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم عند اهل السنة فضلا عن كونه
 ظلما بالغاليليان تنزهه عن ذلك ونفي ظلام المشعر بالكثرة يغيد ثبوت اصل الظلم ^{حيث}
 عن ذلك بان الذي توعد بان يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما ففناه على حد عظمه
 لو كان ثابتا عن ابن عباس قال ما انا بمعذب من لم يجترم الذين قالوا اي جماعة من اليهود
 ان الله عهد الينا في التوراة الا نؤمن برسول حتى ياتي بنا بقرآن ناكله التار وهذا
 منهم كذب على التوراة اذ الذي فيها مقيد بغير عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
 والقربان ما يتقرب به الى الله من نسكة وصدقة وعمل صالح وهو فعلا من القرية وقد
 كان داب بني اسرائيل انهم كانوا يقربون القربان فيقوم النبي فيدعو فتزل نار من السماء
 فخرقه ولم يتعبده الله بذلك كل انبيائه ولا جعله دليلا على صدق دعوى النبوة ولهذا
 رد الله عليهم فقال قل قد جاءكم رسول من قبلي يهيى بن زكريا وشعيا وسائر من قتلوا
 من الانبياء بالبينات اي الدلالات الواضحات على صدقهم وبالكذبي قتلهم اي بالقربان
 فلم قتلوه ^{وهم} اراد بذلك فعل اسلافهم ان كنتم صدقتم في دعواكم فان كذبوا يكذب

هو اءاليهود فقد لذب رسل من قبلك مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وخبرهم من الرسل
جاؤا بالبينات اي الحلال والحرام والمعجزات الباهرات والزبر جمع زبور وهو الكتاب وقد تقدم
تفسيره والكتاب المنير الواضح الجلي المعنى يقال نار الشئ واستنار واناره ونوره بمعنى وقال
فتادة الزبر كتب الانبياء والكتاب المنير هو القرآن الكريم وقيل الزبر الصحف والكتاب المنير
التوراة والانجيل كل نفس ذائقة الموت من الذوق وهذه الآية تتضمن الوعد والوعيد
المصدق والمكذب بعد اخباره عن الباقلين القائلين ان الله فقير ونحن اغنياء وقرئ
ذائقة الموت بالتثوين ونصب الموت وقيل المجهول بالاضافة والمعنى ذائقة موت اجسادها
ذ النفس لا موت ولو ماتت لما ذاق الموت في حال موتها لان احياة شروط الذوق وسائر
ادراكات قوله تعالى الله يتوفى النفس حين موتها معنا حين موت اجسادها قاله الكرخي هذا يقتضي
ان المراد بالنفس هنا الروح والحاصل له على تفسيرها بذلك التاينث في قوله ذائقة لانها
بمعنى الروح مؤنثة وتطلق ايضا على مجموع الجسد والروح الذي هو الحيوان وهي بهذا المعنى
مذكور وهذا المعنى الثاني لصحاح رادته هنا ايضا بل هو الاقرب المتبادر الى الفهم وانما هو قوله
اجور كرم يوم القيمة اجر المومن الثواب واجر الكافر العقاب اي ان توفية الاجور وتكليفها
على التمام انما يكون في ذلك اليوم وما يقع من الاجور في الدنيا اوق البرزخ فانما هو بعض
الاجر كما ينبي عنه قوله صللم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن
خرج عن النار وادخل الجنة فقد فاز الرخوة التخي والابعاد تكرير الزح وهو الحذب
بجملته قاله في الكشف وقد سبق الكلام عليه اي فمن بعد عن النار يومئذ ونحي فقد ظهر
بما يريد ونحي مما يخاف ونال غاية مطلوبه وهذا هو الفوز الحقيقي الذي لا فوز يقارن
فان كل فوز وان كان بجميع المطالبات من الجنة ليس بشئ بالنسبة اليها الا رؤية الله سبحانه
وتعالى فهو افضل نعيم الاخرة في الجنة اللهم لا فوز الا فوز الاخرة ولا عيش الا عيشها ولا نعيم الا
نعيمها فاغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وارض عنا رضاء لا يستخط بعده واجمع لنا بين الرضاء منك
علينا والجنة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صللم ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا
وما فيها اقر ان شئتم فمن خرج عن النار الى قوله الغر راخرجه الترمذي الحاكم وصححه غيرهما

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ المتاع كل ما يتمتع به الإنسان ويتنفع به فيزول ولا يبقى كذا قال
الكثير المفسرين وقيل المتاع كالفساد والقدر والقصعة ونحوها والاول اولى والغرور ما يغتر
الانسان مما لا يدوم وقيل الباطل والغرور الشيطان يغتر الناس بالاماني الباطلة ^{عبد} المتاع
الكاذبة شبه سبحانه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على من يريده وله ظاهر محبوب وباطر
مكروه قيل متاع متروك يوشك ان يضلل ويحول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة
الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن يشتغل بطلب الآخرة فاما من
اشتغل بطلبها فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها لَتَبْلُوكُمْ فِيْ اَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ
اللام لام القسم اي والله لتبْلُوكُمْ هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله تسليية لهم بما سيلقون
من الكفرة والفسقة ليوطنوا انفسهم على الثبات والصبر على المكاره والابتلاء لامتحان
والاختبار والمعنى لفتحون ولتختبرن في اموالكم بالمصائب والانفاقات الواجبة وسائر
التكاليف الشرعية المتعلقة بالاموال والابتلاء في الانفس بالموت والامراض وفقد
الاحباب والقتل في سبيل الله وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ هُمُ الْيَهُودُ النَّصَارَى
قال الزهري الذين اوتوا الكتاب هو كعب بن الاشرف وكان يحرض المشركين على سؤ
الله صلى الله عليه وآله واصحابه في شعرة وعن ابن جرير قال يعنى اليهود والنصارى فكان المسلمون
يسمعون من اليهود عزير بن الله ومن النصارى المسيح بن الله وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا
سائر الطوائف الكفرية من غير اهل الكتاب اذى كثير من الطعن في دينكم واعراضكم
وزاد السيوطي والتشبيب بنسائكم قال في الجمل هو ذكر اوصاف الجمل وكان يفعل ذلك
كعب بن الاشرف بنسائ المؤمنين وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا الصبر عبادرة عن احتمال الاذى
والمكروه والتقوى عن الاحتراز عما لا ينبغي فَإِنَّ ذَلِكَ الصبر والتقوى المدلول عليهما
بالفعلين واشار بما فيه من معنى البعد للايد ان بعلا درجتكما وبعلا منزلتكما وتوحيد
حرف الخطاب اما با اعتبار كل واحد من مخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه
من غير ملاحظة خصوصية احوال المخلصين مِنْ عَزَمَ الْأُمُورَ معز ما تها اي مما يجب
عليكم ان تعزموا عليه لكونه عزيمة من عزيمات الله التي اوجب عليهم القيام بها يقال عزم الامر

اي شدة واصحبه واصله ثابت الراي على الشيء الى امضا لله وقال المرتضى في نه نوطين
 النفس عند الفكر والراد ان يوطنوا انفسهم على الصبر فان العالم بترول البلاء عليه لا
 يعظم وقعه في قلبه بخلاف غير العالم فانه يعظم عنده ويشق عليه وقال ابن سيرين اي من
 القوة صاعزم الله عليه وامرك به واحاصل ان المصدر بمعنى اسم المفعول قال الثعلبي
 اما عزم العبد بمعنى انه يجب عليه العزم والتصميم عليه او عزوم الله بمعنى عزم الله
 اي اراد الله وفرض ان يكون ذلك ويحصل وإذا أخذ الله كلام مستأنف سبق لبيان بعض
 اذياتهم وهو كما أنهم شواهد النبوة ميتا الذين أوتوا الكتاب هذه الآية توجب لاهل الكتاب
 وهم اليهود والنصارى واليهود فقط على الخلاف في ذلك والظاهر ان المراد باهل الكتاب
 كل من اتاه الله علم شيء من الكتاب اي كتاب كان كما يفيد الطريق الجسدي في الكتاب
 احسن وقناعة ان الآية عامة لكل عالم وكذا قال محمد بن كعب يدل على ذلك قول اي هريرة
 لو لما اخذه الله على اهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلى هذه الآية والضمير في قوله الكتاب
 راجع الى الكتاب وقيل الى النبي صلعم وان لم يتقدم له ذكر لان الله اخذ على اليهود والنصارى
 ان يبينوا نبوته وهذا جواب لما تضمنته الميثاق من القسم كانه قيل لهم بالله لتبيننه وقول
 بالياء جريا على الاسم الظاهر وهو كالتعاقب والتقاء خطايا على الحكاية تقديرة وقلنا لهم
 للناس ولا تكتفون في اي الكتاب بالياء والتقاء والواو للحال واللعطف والني عن الكتمان بعد
 الاصل بالبيان اما للمبالغة في ايجاب لما موبيه واما لان المراد بالبيان ذكر الايات الناطقة
 بنبوته وبالكتمان القاء التاويلات الزائفة والشبه الباطلة فنبذوه اي الكتاب والميثاق
 وقرأ ابن عباس واخذ الله ميثاق النبيين لتبيننه ويشكل على هذه القراءة قوله فنبذوه
 فلا بد ان يكون فاعله الناس والنبذ الطرح وقد تقدم في البقرة وقوله وراء ظهورهم
 مبالغة في النبذ والطرح وترك العمل وضياحه ومثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية
واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانهم قليل اي حقيرا يسيرا
 من حطام الدنيا واعراضها والمأكول والشراب التي كانوا ياخذونها من عوامهم وسفلة هم
 في العلم فكيف خرجت فوته عليهم فبئس ما يشترون اي ببئس شيئا يشترونه بذلك الثمن وعن

ابن عباس قال كان الله امرهم ان يتبعوا النبي الا ممي وعنه قال في التوراة والا انجيل ان
الاسلام دين الله الذي افترضه على عباده وان محمدا رسول الله يجدر به مكتوبا عندهم
في التوراة والا انجيل فنبذوه وعن قتادة في الآية قال هذا ميتاق اخذه الله على اهل
العلم فمن علم علما فيعلمه الناس واياكم وكتان العلم فان كتمان العلم هلكة وعن الحسن قال
لولا الميتاق الذي اخذه الله على اهل العلم ما حدثتكم بكثير مما تسألون عنه وظاهر هذه
الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة
الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القرآن قال قتادة طوبى لعالم ناطق وسقيم وعاجل
علما فبذله وهذا سمع خبرا قبله ورواه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
علما يعلمه فكتمه اليكم يلجام من نار اخرج به الترمذي ولا يداود من سئل عن علم فكتمه اجمعه
الله يلجام من نار يوم القيمة وفي الباب اخبار واثار كثيرة لا تحسب ان الذين يعرفون الخطا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له قرى بالتاء والياء وهما سبعيتان بما أتوا أي بما فعلوا
من اضلال الناس وقد اختلف في سبب نزولها كما سيأتي ويحجبون أن يحمدوا بما هم
يعملون من التمسك بالحق وهم على ضلال والظاهر شمولها لكل من حصل منه ما تضمنته
هذه الآية عملا بعموم اللفظ وهو الاعتبار لا بخصوص السبب فمن فرح بما فعل واحسان
يحمد الناس بما لم يفعل فلا تحسبهم بمفازة من العذاب وقرى بالتخية أي لا يحسن
الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب والمفازة المجازة مفعلة من فاز يفوز اذا انجى
ليسوا بفائزين سمي موضع الخوف مفازة على جهة التناول قاله الاصمعي وقيل لانها
موضع تغويز ومظنة هلاك تقول العرب فوز الرجل اذا هلك وقال ثعلب حكيت لابن
الاعرابي قول الاصمعي فقال خطأ قال لي ابوالمكارم انما سميت مفازة لان من قطعها
فأز وقال ابن الاعرابي بل لانه مستسلم لما اصابه وقيل المعنى لا تحسبهم بمكان بعيد عن
العذاب لان الغول للتباع عن المكروه بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم وهم
عذاب اليم يعني مولى في الآخرة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما قال ابن عباس سألهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموا اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سألهم عنه

واستخروا بذلك اليه و فرجوا بما اتوا من كتمان ما سألهم عنه وفي البخاري ومسلم وغيرهما
عن ابي سعيد الخدري ان رجلا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو
وتخلفوا عنه فرجوا بمقعدهم خلف رسول الله فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتدوا
اليه وحلفوا واحبوا ان يحولوا بما لم يفعلوا وقد روي انها نزلت في فحاص اسير واشباهاهما
وروي انها نزلت في اليهود وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قال الخطيب فهو يملك اموالها
وما فيها من خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها انتهى والملك بالضم مقام القدرة واستحقاها
والعنى لله ملك خزائن السموات والارض يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكثر يلقاها
ان الله فقير ونحن اغنياء فمن كان له جميع ما فيها كيف يكون فقيرا والله على كل شيء قدير
لا يحجزه شيء ومنه تعذيب الكافرين وانحاء المؤمنين اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ هذه
جملة مستأنفة لتقرير اختصاصه سبحانه بما ذكره فيها والمراد ذات السموات والارض
صفاتها وما فيها من العجائب واختلاف الليل والنهار تعاقبهما بالجي والذهاب كون
كل واحد منهما ما يختلف الآخر وكون زيادة احدهما في نقصان الآخر وتفاوتهما طولا وقصورا وحرا
وبردا وغير ذلك لايت اي دلالات واضحة وبراهين بيينة تدل على الخالق سبحانه وقد
تقدم تفسير بعض ما هنا في سورة البقرة اَوَّلِ الْاَكْبَابِ اي لاهل العقول الصالحة الخاصة
عن شواهد النقص فان مجرد التفكير فيما قصه الله تعالى في هذه الآية يكفى العاقل ويوصله
الى الايمان الذي لا يزلزله الشبهة ولا يدفعه التشكيك اَلَّذِيْنَ يَنْدَرُوْنَ اَللّٰهَ قِيَامًا وقيل
وَعَلَىٰ جُفُوٰىهِمْ المراد بالذكرة هنا ذكره سبحانه في هذه الاحوال من غير فرق بين حال الصلوة وغيرها
وذهب جماعة من المفسرين الى ان الذكرة هنا عبارة عن الصلوة وبه قال علي وابن مسعود
وابن عباس وقتادة اي لا يضيعونها في حال من الاحوال فيصلونها قياما مع عدم العذر
وقعودا وعلى جنوبهم مع العذر وعن ابن مسعود قال انما هذا الصلوة اذا لم يستطع قائما
فقاعد وان لم يستطع قاعدا فعلى جنبه وقد ثبت في البخاري من حديث عمران بن حصين
قال كانت لي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلوة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان
لم تستطع فعلى جنب وثبت فيه عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة الرجل وهو قاعد فقال

من صلى قائماً فهو أفضل ومن صلى قاعاً فله نصف اجر القائم ومن صلى نائماً فله نصف
اجر القائم وعن قتادة قال هذه حالاتك كلها يا ابن آدم اذكر الله وانت قائم فان لم
فاذكروه جالساً فان لم تستطع جالساً فاذكروه وانت على جنبك يسر من الله وتخفيف واقول
هذا التقييد الذي ذكره بعدم الاستطاعة مع تعميم الذكر لا وجه له الا من الآية ولا من غيرها
فانه لم يرد في شيء من الكتاب ولا من السنة ما يدل على انه لا يجوز الذكر من قعود الا مع
عدم استطاعة الذكر من قيام ولا يجوز على جنب الا مع عدم استطاعته من قعود وانما
يصلح هذا التقييد لمن جعل المراد بالذكر هنا الصلوة كما سبق عن ابن مسعود ويتفكر
في خلق السموات والارض اي في بديع صنعها واتقانها مع عظم اجرامها فان هذا الفكر
اذا كان صادقا وصلهم الى الايمان بالله سبحانه وعن عائشة مرفوعاً يدل من قرأ هذه
الآية ولم يتفكر فيها وقد وردت احاديث وانبار عن السلف في استحباب التفكير مطلقاً
ويقولون ربنا ما خلقت هذا المخلوق الذي نراه باطلاً اي عبثاً وطوا بل خلقته دليلاً
على حكمتك ووحدانيتك وقدرتك والباطل الزائل الذاهب وخلق بمعنى جعل والاشارة
بقوله هذا الى السموات والارض اولى المخلوق على انه بمعنى المخلوق سبحانه انك تزيها لك
عما لا يليق بك من الامور التي من مجلتها ان يكون خلقك لهذه المخلوقات باطلاً وهراً
وعبثاً والفاء في فقناً لترتيب هذا الدعاء على ما قبله عذاب النار علم عبادة كيفية الدعاء
فمن اراد ان يدعو فليقدم الشاء على الله ولا ثم ياتي بالدعاء ربنا انك من تدخل النار
فقد اخبرتك تأكيداً لما تقدمه من استدعاء الوفاية من النار منه سبحانه وبين السبب
الذي لاجله دعاه عبادة بان يقيم عذاب النار وهوان من ادخله النار فقد اخراه
اي اذله واهانه وقال المفضل معنى اخبرته اهلكته ويقال معناه فضحته وابعده
يقال اخراه الله ابعده ومقته والاسم الخزي قال ابن السكيت خزي يخزي خزي اذا وقع في
بلية وعن انس قال من تدخل النار من تحلل وعن سعيد بن المسيب قال هذه خاصة
لمن لا يخرج منها وما للظالمين المشركين وفيه وضع الظاهر موضع المضمي اشعاراً بتخصيص
الخزي بهم من زائدة انصا ينصونهم يوم القيمة ويعنونهم من العذاب ربنا اننا سمعنا

مُنَادٍ هُوَ عِنْدَ الْفَرَسِيِّينَ النَّبِيُّ صَلَّمْ وَقِيلَ هُوَ الْقُرْآنُ وَأَوْقَعَ السَّمَاعُ عَلَى الْمُنَادِ
 مَعَ كَوْنِ السَّمْعِ هُوَ النَّدَاءُ لِأَنَّهُ قَدْ وَصِفَ الْمُنَادِي بِمَا يَسْمَعُ وَهُوَ قَوْلُهُ يُنَادِي قَالِ الْبَقْرُ
 الْفَارِسِيُّ ذَكَرَهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ فَهِمَ مِنْ قَوْلِهِ مُنَادٍ يَالْقَصْدُ التَّكْيِيدُ وَالتَّخْفِيمُ لِشَأْنِ هَذَا الْمُنَادِ
 بِهِ الْإِيمَانُ الْإِلَامُ بِمَعْنَى وَقِيلَ لِلْعَلَّةِ أَيُّ لَاجِلِهِ أَنْ أَمْنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا أَيُّ امْتِثَالًا مَا يَأْمُرُ
 بِهِ هَذَا الْمُنَادِي مِنَ الْإِيمَانِ وَتَكَرُّرِ النَّدَاءِ فِي قَوْلِهِ رَبَّنَا أَظْهَرَ التَّضَرُّعِ وَالْخُضُوعِ فَكَفَرْنَا
 الْفَاءَ لِمُتَرْتَبِ الْمَغْفِرَةِ وَالِدَعَاءِ بِهَا عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ تَعَالَى وَالْإِقْرَارِ بِرَبِّيَّتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَرَجِعُ
 الْمَغْفِرَةِ وَالِدَعَاءِ بِهَا دُوتُنَا وَكُفْرُنَا حُطَّ عَنْ سَيِّئَاتِنَا قِيلَ الْمُرَادُ بِالدُّنُوبِ هُنَا الْكِبَائِرُ وَبِالسَّيِّئَاتِ
 الصَّغَائِرُ وَالظَّاهِرُ عَدَمُ اخْتِصَاصِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ وَالْآخِرُ بِالْآخِرِ بَلْ يَكُونُ الْمَعْنَى
 الذُّنُوبُ وَالسَّيِّئَاتُ وَاحِدًا وَالتَّكْرِيرُ لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّكْيِيدُ كَمَا أَنَّ مَعْنَى الْغُفْرِ وَالْكَفْرِ السَّرُّ
 وَتَوَقُّفًا مَعَ الْأَمْرِ جَمْعُ بَارٍ وَأَوْ بِرِوَاصلِهِ مِنَ الْإِتْسَاعِ وَكَانَ الْبَارُ مُتَّسِعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمُتَّسِعَةً
 لَهُ رَحْمَةً قِيلَ هُمُ الْإِنْبِيَاءُ وَمَعْنَى الْفَرْقِ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ أَيُّ مَعْدُودِينَ وَمَحْشُورِينَ فِي جَلَّتْهُمْ
 أَوِ الْمُرَادُ فِي سَلَكِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ أَوْ أَنَّ مَعَ بَعْضٍ عَلَى أَيُّ عَمَالِ الْإِبْرَارِ وَمَحْشُورِينَ
 أَيُّ كَاتِبِينَ مَعَ الْإِبْرَارِ رَبَّنَا وَآلِهِنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ هَذَا دَعَاءُ الْآخِرِ وَالنَّكْتَةُ فِي تَكَرُّرِ النَّدَاءِ
 مَا تَقْدِمُ وَالْمَوْعُودُ بِهِ عَلَى السَّنِ الرَّسْلُ هُوَ الثَّوَابُ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ طَاعَتِهِ فَقِيلَ الْكَلَامُ
 حَذَفَ وَهُوَ لَفْظُ الْإِسْنِ كَقَوْلِهِ وَأَسْأَلُ الْقُرْبَى وَقِيلَ الْحَذْفُ وَالتَّصْدِيقُ أَيُّ مَا وَصَدْنَا
 تَصْدِيقُ رُسُلِكَ وَقِيلَ مَا وَعَدْنَا مِنْ لَدُنْ رُسُلِكَ وَحُجُولًا عَلَى رُسُلِكَ وَالْأَوَّلُ أَوَّلِي وَصَدْرُ
 هَذَا الدَّعَاءِ مِنْهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى السَّنِ رُسُلُهُ كَأَنَّ لِحَالَهُ إِمَّا
 لِقَصْدِ التَّجْمِيلِ أَوِ الْخُضُوعِ بِالِدَعَاءِ لِكُونِهِ تَحْقِيقَ الْعِبَادَةِ وَلَا تَحْزِينَ لَا تَقْضِيْنَا وَلَا تَهْنَأُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَخَفُوا خِلْفَ الْوَعْدِ وَأَنَّ الْحَاطِلَ لَهُمْ عَلَى الدَّعَاءِ
 هُوَ مَا ذَكَرْنَا فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اسْتِجَابَةً بِمَعْنَى الْجَابَةِ وَقِيلَ الْجَابَةُ عَامَةٌ وَالاسْتِجَابَةُ
 خَاصَّةٌ بِإِعْطَاءِ الْمَسْئُولِ وَهَذَا الْفِعْلُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِالْإِلَامِ يَقَالُ اسْتَجَابَ بِهِ وَاسْتَجَابَ لَهُ
 وَأَمَّا ذِكْرُ سُبْحَانَهُ لَاسْتِجَابَةً وَمَا بَعْدَهَا فِي جَمَلَةِ مَا لَهُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ لِأَنَّهُمَا مَعَاذُ
 مِنْ أَحْيَيْتِ دَعْوَتِهِ فَقَدْ رَفَعَتْ دَرَجَتَهُ أَيْ لَا أَصْبِيحُ عَمَلٌ عَامِلٌ مِنْكُمْ أَيُّ اعْطَاهُمْ مَا

بن سنان

سأله وقال لهم اني لا احبط عملكم ايها المؤمنون بل اني اذكركم عليه والمراد بالاضاعة ترك الاثابة
 مَن ذَكَرَ أَوْ أَتَى مِنْ بَيَانَةٍ مُؤَكَّدَةٍ لَمْ يَقْتَضِهَا النُّكْرَةُ الْوَاقِعَةُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ مِنَ الْعُمُومِ
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أَيْ رَجَالُكُمْ مِثْلُ نِسَاءِكُمْ فِي ثَوَابِ الطَّاعَةِ وَالْعِقَابِ وَنِسَاءُكُمْ مِثْلُ رَجَالِكُمْ
 فِيهِمَا وَقِيلَ فِي الدِّينِ وَالنَّصْرَةِ وَالْمَوْلَاةِ وَالْأَوَّلِ أَوَّلِيَّةُ الْحِجَلَةِ مُعْتَرِضَةٌ أَوْ مُسْتَأْنَفَةٌ لِيَسِيْرَ
 كَوْنُ كُلِّ مَتْنٍ مِنَ الْآخِرِ مَا أَجْمَلَ فِي قَوْلِهِ أَيْ لَا أَضِيعُ عَمَلُ عَامِلٍ مِنْكُمْ قَالِذِينَ هَاجَرُوا
 مِنْ أَوْطَانِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرَّحْمَنِيُّ هَذَا تَفْصِيلٌ لِعَمَلِ الْعَامِلِ مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ
 التَّعْظِيمِ قَالَ الْكُرْنِيُّ وَالظَّاهِرَانِ هَذِهِ الْجَمْلَةُ الَّتِي بَعْدَ الْمَوْصُولِ كُلُّهَا صِفَاتٌ لَهُ فَلَا يَكُونُ الْخَبَرُ
 إِلَّا مَنْ جُمِعَ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَيُحْوَزَانِ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى التَّنْوِيعِ قَدْ يَكُونُ حَذْفُ الْمَوْصُولِ لِيَفْهَمَ
 الْمَعْنَى فَيَكُونُ الْخَبَرُ يَقُولُهُ لَا كَفَرْنَ عَنْ كُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَكُلُّهُمْ
 مِنْ دِيَارِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِهِ إِذَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ بِسَبَبِ سَلَامَتِهِمْ
 الْمُهَاجِرُونَ وَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتِلُوا عَلَى التَّكْثِيرِ وَقَاتِلُوا
 وَقَاتِلُوا وَأَصْلُ الْوَاوِ يَطْلُقُ الْجَمْعُ بِلا تَرْتِيبٍ كَمَا قَالَ بِهِ الْجُمْهُورُ وَالْمُرَادُ هَذَا أَنَّهُمْ قَاتِلُوا وَقَاتِلَ
 بَعْضُهُمْ وَالسَّبِيلُ الدِّينُ الْحَقُّ وَالْمُرَادُ هَذَا مَا نَالَهُمْ مِنَ الْآذِيَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِسَبَبِ مَا نَالَهُمْ
 بِاللَّهِ وَعَلِمَهُمْ بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ لَا كَقَرْنٍ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ أَيْ وَاللَّهُ لَا غُفْرَانَ لَهَا لَهُمْ وَ
 لَا دُخْلَ لَهَا مِنْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَعْنِي تَكْفِيرَ سَيِّئَاتِهِمْ وَ
 ادْخَالَ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ عِنْدَهُ جُسْنُ الثَّوَابِ وَهُوَ مَا يُرْجَعُ عَلَى الْعَامِلِ مِنْ جَزَاءِ عَمَلِهِ
 مَنْ ثَابَ يَثُوبُ إِذَا رَجَعَ وَقَدْ وَدِدَ فِي فَضْلِ الْهَجْرَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَا يَغْنُرُكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ خُطَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ تَقْيِيدُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا أَمْنُوا وَخُطَابُ كُلِّ أَحَدٍ وَهَذِهِ الْآيَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِقَبْرِ حَالِ الْكُفَرِ بَعْدَ كَرْحَسَنِ جَالِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَعْنَى لَا يَغْنُرُكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ تَقْلِبِهِمْ فِي الْبِلَادِ بِالْأَسْفَارِ لِلتَّجَارَةِ الَّتِي يَتَوَسَّعُونَ
 بِهَا فِي مَعَاشِهِمْ وَالتَّقْلِبُ فِي الْبِلَادِ الْإِخْطَارُ فِي الْأَسْفَارِ إِلَى الْأَمَكَةِ قَالَ السُّدِّيُّ يَعْنِي
 ضَمُّهُمْ فِيهَا وَقَالَ عِكْرَمَةُ تَقْلِبُ لِيَلْهَمُ وَنَهَارَهُمْ وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ
 يَتَمَتَّعُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَيَقْنِي وَهُوَ مَتَاعٌ نَزَلَ أَعْتَادُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ثَوَابِ

الله سبحانه والمتاع ما يجعل الانتفاع به وسما قليلا لانه فان وكل فان وان كان كثير فهو
 قليل ثم ما و لهم اي ما ياء وون اليه جهم ويشت الهكاد ما مهد والانفسهم في جهنم بغيرهم
 او ما مهد الله لهم من النار فالخصوص بالذم محذوف وهو هذا القدر قال ابن عباس
 المنزل لكن الذين اتقوا ربهم وقعت لكن هنا احسن موقع فانها وقعت بين ضدين وذلك
 ان معنى الجملتين التي قبلها والتي بعدها ايل الى تعذيب الكفار وتنعيم المتقين وهو استدراك
 مما تقدمه لان معناه معنى النفي كانه قال ليس لهم في تقليمهم في البلاد كثيرا انتفاع لكن الذين
 اتقوا وان اخذوا في التجارة لا يضرهم ذلك وان لهم ما وعدهم به وفي الشهاب جمل استدراك
 انه رجع على الكفار فيما يتوهمون من انهم ينعمون والمؤمنين في عناء ومشقة فقال ليس لهم
 كما توهمتم فان المؤمنين لا عناء لهم اذا نظروا الى ما اعد لهم عند الله او انه لما ذكر تنعيمهم
 في البلاد اوهم ان الله لا ينعم المؤمنين فاستدرك عليه بان ما هم فيه عين النعيم لانه سبب
 لما بعده من النعم اجسام لهم حيث تجري من تحتها الا نهض خلد ين فيها اي مقدرين الخلود
 نزلا النزل ما يهيئ للنزول ويعد للضيف والجمع انزال ثم اتسع فيه فاطلق على الرزق والغذاء
 وان لم يكن ضيف ومنه فنزل من حميم وهو مصدر مؤكد عند البصريين او جمع نازل وقال
 العروى ثوابا من عند الله وقيل اكراما من الله لهم اعدا لهم كما يعد القرى للضيف اكراما
 وما عند الله مما اعد له من اطاعه خيرا للفضل وهو ظاهر الا بركار مما يحصل للكفار من البرح في
 الاسفار فانه متاع قليل عن قريب يزول عن ابن عمر قال لما سماهم ابرار الا انهم يروا الا بركار
 الا بناء كما ان لوالدك عليك حقا كذلك لوالدك عليك حق وروي هذا مرفوعا والا لوالدك
 قاله السيوطي وقال ابن زيد خير لمن يطيع الله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما
 انزل اليكم وما انزل اليهم هذه الجملة سبقت لبيان ان بعض اهل الكتاب لهم حظ من الدين
 وليسوا كسائرهم في فضايلهم التي حكاها الله عنهم فيما سبق وفيما سيأتي فان هذا البعض
 بين الايمان بالله وما انزله على نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وما انزله على انبياءهم حال كونهم شيعين
 لا يشرون تصحيح بحالهم للصوفين والجملة حال بآية الله التي عندهم في التوراة والانجيل
 مما قليل من الدنيا بالتخفيف والتبديل كما يفعل سائرهم لا يحكون كتاب الله كما هو اولئك

اي هذه الطائفة الصالحة من اهل الكتاب من حيث اتصافهم بهذه الصفات الحميدة
 لهم اجرهم الذي وعدهم الله سبحانه به بقوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين وتقديره انهم ينفذون
 اختصاص ذلك الاجر بهم عند ربهم يؤفیه اليهم يوم القيمة اخراج النساء والبزاري والنزدي
 وابن ابي حاتم وابن مردويه عن انس قال لما مات النجاشي قال صلوا عليه قالوا يا رسول
 الله نصلي على عبد حبشي فانزل الله يعني هذه الآية وفي الباب حديث وقال مجاهد هم مسلمة
 اهل الكتاب من اليهود والنصارى وعن الحسن قال هم اهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد
 صلوا والذين اتبعوا محمد صلوات الله سبب الحساب يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من
 ايام الدنيا فيجازي كل احد على قدر عمله لنفوذ عمله في كل شيء والمراد سرعة وصول الاجر للوعود
 به اليهم يا ايها الذين امنوا اصبروا هذه الآية العاشرة من قوله سبحانه ان في خلق السموات
 ختم بها هذه السورة لما اشتملت عليه من الوصايا التي جمعت خير الدنيا والاخرة فخص على الصبر
 على الطاعات وعن الشهوات والصبر حبس النفس وقد تقدم تحقيق معناه وهو لفظ عام
 تحته انواع من المعاني وقد خصه بعضهم بالصبر على طاعة الله وقيل على اداء الفرائض و
 قيل على تلاوة القرآن وقيل على امر الله ونهيه وقيل على اجهااد وقيل على البلاء وقيل على
 احكام الكتاب والسنة واللفظ اوسع من ذلك وصا بروا المصابرة مصابرة الاعل اعقاله
 الجهم راي غالبهم في الصبر على شدائد الحرب ولا تكونوا اضعف فيكونوا اشد منكم صبرا
 وخص المصابرة بالذكر بعد ان ذكر الصبر لكونها اشد منه واشق واحمل وافضل من الصبر
 على ما سواه فهو كعطف الصلوة الواسطة على الصلوات وقيل المعنى صابروا على الصلوات
 وقيل صابروا لانفس عن شهواتها وقيل صابروا للعد الذي وعدتم ولا تباؤا بالقول
 الاول هو المعنى العربي وقد روي عن السلف غير هذا في قصص الصبر على نوع من انواع
 الطاعات والمصابرة على نوع اخر ولا تقوم بذلك حجة فالواجب الرجوع الى المدلول اللغوي
 وقد قدمناه ورايطوا اي اقيموا في الثغور صراطين خيلكم فيها كما يربطها اعداءكم هذا
 قول جمهور المفسرين عن محمد بن عبد القزظ قال صبروا على دينكم صابروا للعد الذي وعدتم ولا تطواعدوا وكم
 وقال ابو مسلم بن الحجاج هذه الآية في انتظار الصلوة بعد الصلوة وامكن في زمن رسول الله صلوا غير رابط في رابط اللغو

هو الاول لا ينافيه تسميته صلعم غير رباطا ويمكن اطلاق الرباط على المعنى الاول وعلى انتظار الصلوة قال
 الخليل الرباط ملازمة الثغور ومواظبة الصلوة هكذا قال وهو من ائمة اللغة وحكي
 ابن فارس عن الشيباني انه قال يقال ماء مترابط دائم لا يبرح وهو يقتضي تعدية الربا^ط
 الى غير ارتباط الخيل في الثغور قال الخازن كل مقيم بثغر يدفع عن وراءه مرابط وان
 لم يكن له مركوب مربوط وعن ابي هريرة قال اما انه لم يكن في زمن النبي صلعم غزير^{بط}
 فيه ولكنها نزلت في قوم يعمرن المساجد يصلون الصلوات في مواقيتها ثم يذكرون الله
 فيها وقد ثبت في الصحيح وغيره من قول النبي صلعم الا اخبركم بما يحو الله به الخطايا ويرفع
 به الدرجات اسبغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلوة
 بعد الصلوة فذلکم الرباط فذلکم الرباط وقد وردت احاديث كثيرة في فضل الرباط
 وفيها التصريح بانه الرباط في سبيل الله وهو يرد ما قاله ابو سلمة بن عبد الرحمن فان
 رسول الله صلعم قد ندب الى الرباط في سبيل الله وهو الجهاد فيعمل ما في الآية عليه وقد ورد
 عنه صلعم انه سقى حراسة الجيش رباطا فاخرج الطبراني في الاوسط بسند جيد عن ابن
 قال سئل رسول الله صلعم عن اجر المرباط فقال من رباط ليلة حارسا من وراء المسلمين
 كان له اجر من خلفه ممن صام وصلوا وتكفوا الله في جميع احوالهم ولا تخالفوا ما شرعه لكم
 لعلكم تفلحون بالجحنة اي تكونون من جملة الفائزين بكل مطلوب وقد ورد في فضل هذه
 العشر الايات التي في اخر هذه السورة مرفوعا الى النبي صلعم ما أخرجه ابن السني وابن مردويه
 وابن عساکر عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم كان يقرأ عشر ايات من اخر سورة آل عمران
 كل ليلة وفي اسناده مظاہر بن اسلم وهو ضعيف ومن حديث ابن عباس في الصحيحين
 ان النبي صلعم قرأ هذا العشر الايات لما استيقظ واخرج الدارمي عن عثمان بن عفان قال
 من قرأ اخر آل عمران في ليلة كتب له قيام الليلة

سورة النساء

مدنية كلها وهي مائة وخمس وسبعون آية قال القرطبي الآية واحدة نزلت بمكة
 حاتم القرطبي في عثمان بن طلحة الحبيبي هو قوله ان الله يا مكرم ان تؤدوا الامانات الى اهلها

قال النقاش وقيل نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقال علقمة
 وغيره صدر بها مكية وقال النخاس هذه الآية مكية قال القرطبي والصحيح الاول فان
 في صحيح البخاري عن عائشة انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يعني قد بنى بها ولا خلاف بين العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم انما بنى بعائشة بالمدينة ومن
 تبين احكامها علم انها مدنية لاشك فيها وقد ورد في فضل هذه السورة اخبار
 واثار كثيرة ذكرت في محلها يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ يٰ أَيُّهَا النَّاسُ الْمُرَادُ بِهِمُ الْمَوْجُوْدُوْنَ
 عند الخطاب من بني ادم وهم اهل مكة ويدخل فيه من سيوجد بدليل خارجي وهو
 الانحاج على انهم مكلفون بما كلف به الموجودون وعند الحنابلة خطاب المشافهة
 يتناول القاصرين عن درجة التكليف فيتنظم في سلوكهم من احداثين بعد ذلك
 الى يوم القيامة وهو بطريق تغليب الموجودين على من لم يوجد كما غلب الذكور على
 الاناث في قوله اتَّقُوا رَبَّكُمْ لاختصاص ذلك بجمع المذكور وعدم تناوله حقيقة للاناث
 عند غير الحنابلة وقد تقدم في البقرة معنى التقوى والرب الذي خلقكم فان خلقه
 تعالى لهم على هذا المبدأ البديع من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نعمته و
 اتم الزاجر عن كفران نعمته وذلك لانه ينشئ عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي
 جملتها عقابهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من نفس واحدة ادم عليه السلام
وَحَقَّقَ مِنْهَا زَوْجَهَا حوى هذا ايضا من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما
 بينهم من حقوق الاخوة ومن لابتداء الغاية في الموضوعين وخلقها منه لم يكن بتوليد
 كخلق الاولاد من الاباء فلا يلزم منه ثبوت حكم البنوية والاحتية فيها قال كعب بن
 واثق خلق قبل دخول الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة
 بعد دخوله اياها وبثت فون ونشر منهما الضمير راجع الى ادم وحوى المعبر عنهما بالنفس
 والزوج رجلا كثيرا ووصف مؤكدا لما تفيد صيغة الجمع لكونها من جموع الكثرة وقيل
 هو نعت لمصدر محذوف اي بتا كثيرا ونساء كثيرة وترك لتصريح به استغناء و
 الكفاء بالوصف الاول وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ اِي يَسْأَلُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بالله

والأرحام فأنهم كانوا يقرنون بينهما في السؤال والمناشدة فيقولون أسألك بالله والرحم
وانشدك الله والرحم قال ابن عباس تسألون به تعاطون به وقال الربيع تعادون وتعاهدون
وقيل تعالفون به وقيل تعظمونه والمعاني متقاربة وقرئ والارحام بالحجر وانكره البصري
والكوفيون وسبويه والزجاج والمبرد واثبتته ابونصر القشيري ويحيى الحماني وزود ذلك في
اشعار العرب ومنه قوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم بإرازين وأما قراءة ^{لن} نصب
فمعناها وأضحج لي لانه عطفت الرحم على الاسم الشريف أي اتقوا الله واتقوا الارحام فلا تقطعوا
فانها كما امر الله به ان يوصل وهي الاولى وقرئ بالرفع على الابتداء واخبار مقدم اي و
الارحام صلواها او الارحام اهل ان توصل وقيل ان الرفع على الاعراء عند من يرفع به
وقيل التقدير واتقوا قطع مودة الارحام فان قطع الرحم من اكبر الكبائر وصلة الارحام باب
كل خير فتزيد في العمر وتبارك في الرزق وقطعها سبب لكل شر ولذلك وصل تقوى الرحم
بتقوى الله وصلة الرحم تختلف باختلاف الناس فتارة يكون عاقبته مع رحمه الصلة ^{حسان} بالا
وتارة يأخذ ممة وقضاء الحاجة وتارة بالمكاتبه وتارة بحسن العبادة وغير ذلك والارحام
اسم لجميع الاقارب من غير فرق بين المحرم وغيره لا خلاف في هذا بين اهل الشرع واللغة وقد خصص
الامام ابو حنيفة الرحم بالمحرم في منع الرجوع في الهبة مع موافقته على ان معناها اعم ولا وجه لهذا
التخصيص قال القرافي انفق الملة على ان صلة الرحم واجبة وان قطيعتها كحرمة انتهى قد رددت ذلك
لاحاديث كثيرة لا يحصى في الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله إنما استعين اسم الرحم للقرابة لان الاقارب يتراحمون ويعطف
بعضهم على بعض ^{صفة} ان الله كان حكيمًا رقيبًا حافظًا يعلم السر واخفى والرقيب المراقب وهي
مبالغة يقال رقت ارقب رقة ورقبانا اذا انتظرت وانتوا اعطوا اليتيم أموا لهم شروع في
موارد الاتقاء ومطانه وتقديم ما يتعلق باليتامى لاطهار كمال العناية بامرهم ولا يستهم
الارحام والخطاب الاولياء والاوصياء واليتيم من لا اب له وقد خصه الشرع بمن لم يبلغ
الحر وقد تقدم تفسير معناه في البقرة مستوفى واطلاق اسم اليتيم عليهم عند اعطاءهم أموا
مع انهم لا يعطون فيها الا بعد ارتفاع اسم اليتيم بالبلوغ مما زاب اعتبارا عما كانوا عليه ويجوز ان

والى الله المسمى الحقيقي وبالأيتاء ما يدفعه الأولياء والأوصياء إليهم من النفقة و
 الكسب لا دونهما جميعها وهذه الآية مقيدة بالآخرى وهي قوله تعالى فإن استعصم^{منهم} رشد
 فادفعوا إليهم أموالهم فلا يكون حجر ارتفاع اليتيم بالبلوغ مسوؤا لدفع أموالهم إليهم
 حتى يونس عنهم الرشد ولا تتبدل^{أو} السخيت هو مال اليتيم وإن كان جيدا لكونه حراما^{أصله} ما^{أصله}
 وهو مال الولي لكونه حلالا وإن كان رديا فالبراء داخله على المتروك فهي لهم عن أن يصنعوا
 صنع الجاهلية في أموال اليتامى فانهم كانوا يأخذون الطيب من أموال اليتامى ويعوضونه
 بالردى من أموالهم ولا يرون بذلك بأسا وقيل المعنى لا تأكلوا أموال اليتامى وهي حرم
 خبيثة وتل عوا الطيب من أموالكم وقيل المراد لا تتجملوا اكل الخبيث من أموالهم تدعوا
 انتظار الرزق الحلال من عند الله والأول أولى فإن تبدل الشيء بالشيء في اللغة أخذ^{نه} مكانه
 وكذلك استبداله ومنه قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل
 وقوله استبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وأما التبديل فقد يستعمل كذلك كما
 في قوله وبدلناهم بجناتهم جنتين وأخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخطم إذا
 اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الأزهري وذهب جماعة من المفسرين إلى أن المنهي عنه
 في هذه الآية يعني ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم هو الخلط فيكون الفعل مضمنا معنى الضم
 أي لا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم وهذا النهي عن منكر آخر كانوا يفعلونه بأموال
 اليتامى وخص النهي بالمضموم وإن كان أكل مال اليتيم حراما وإن لم يضم إلى مال الوصي لأن
 أكل ماله مع الاستغناء عنه أفحج فلذلك خص النهي به ولا أنهم كانوا ياكلونه مع الاستغناء
 عنه فجاء النهي على ما وقع منهم فالقيد للتشنيع وإذا كان التقيد لهذا الغرض لم يلزم القائل
 بمفهوم المخالفة جواز أكل أموالهم وحدها قاله الكرخي ثم نسخ هذا بقوله تعالى وأن تأكلوا أموالهم
 فاحذروا وقيل إن إلى بمعنى مع كقوله تعالى من أنصاري إلى الله والأول أولى لأنه أي كل مال اليتيم من غير حق
 أو التبدل المفهوم من لا تتبدلوا والمراد كلاهما ذهابا بها من هب اسم الإشارة فهو عنوان بين
 ذلك والأول أولى لأنه أقرب مذكور كان حوبا قرئ بضم الحاء وبفتحها وحابا بالالف لغات في
 المصدر والفتح لغة تميم وهو الأتم يقال حاب الرجل يحوب حوبا إذا اتم وأكتسب لا اشم

واصله الرنجل للابل فمجيلا ثم حوبالانه يزجر عنه والحوبة الحاجة والحوب ايضا الوحشة والحبوب
 الثخن عن سعيد بن جبير قال ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لا بن اخ له
 فلما بلغ اليتم طلب ماله فنصحه عنه فخاصمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فترت هذه الآية يقولون لا تستبدا
 احرام من اموال الناس بالحلال من اموالكم وعن مجاهد قال لا تجعل بالرزق احرام قبل
 ان ياتيك الحلال الذي قد رلك ولا تأكلوا اموالهم مع اموالكم تملطونها فتاكلوها جميعا انه
 كان اثما كبيرا وعن ابن زيد قال كان اهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار
 ياخذ الكبير نصيبه من الميراث طيب وهذا الذي ياخذ خبيث وان خفتم الا تقسطوا
 في اليتامى فاكثروا وجه ارتباط الحزاء بالشروط ان الرجل كان يكفل اليتيم لكونه وليا لها ويريد
 ان يتزوجها فلا يقسط لها في مهرها اي لا يعدل فيه ولا يعطيها ما يعطيها غيره من الزوجات
 فنهاهم الله ان ينكحوا من الا ان يقسطوا لهم وينبغي لهم ان اعلم ما هولهن من الصدقات وامروا
 ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن فهذا سبب نزول الآية فهو في شخص هذه الصورة
 وقال جماعة من السلف ان هذه الآية ناسخة لما كان في الجاهلية وفي اول الاسلام من ان
 للرجل ان يتزوج من الحواثر ما شاء فقصصهم بهذه الآية على اربع فيكون وجه ارتباط الحزاء
 بالشروط انهم اذا خافوا ان لا يقسطوا في اليتامى فذلك انما هو ان لا يقسطوا في النساء كما
 كانوا يتزوجون في اليتامى ولا يتزوجون في النساء والخوف من الاضرار فان الخوف قد يكون
 معلوما وقد يكون مضمونا ولهذا اختلف الائمة في معناه في الآية فقال ابو عبيد
 خفتم بمعنى ايقنتم وقال الآخرون بمعنى ظننتم قال ابن عطية وهو الذي اختاره المحققون
 انه على بابه من الظن من اليقين والمعنى من غلب على ظنه التقصير في العدل لليتيم فليتر
 وينكح غيرها والمعروف عند اهل اللغة ان اقسط بمعنى عدل وقسط بمعنى جار لان الهزنة
 تأتي للسلب فيقال اقسط اذا زال القسط اي الجور والظلم ولذلك جاء واما القاسطون الآية
 واقسطوا ان الله يحب المقسطين وجاء قسط قسطا من باب ضرب وقسطا جارا وعدل
 فهو من الاضرار قاله ابن القطاع والاسم القسط وما في قوله ما طاب لكم موصولة
 وجاء بما مكان من لانهما قد يتعاقبان فيقع كل واحد منهما مكان الآخر كما في قوله

والنساء وما بناها ومنهم من يشي على بطنه ومنهم من يشي على اربع قال بعضهم وحسن
وتوجها هنا انما واقعة على النساء ومن ناقضات العقول وقال البصريون ان ما يقع للنكاح
كما يقع ما لا يعقل يقال ما عندك فيقال ظريف وكريم وقيل هي انواع من يعقل فالمعنى فانكحوا
النوع الطيب من النساء اي احلال وما حرمه الله فليس بطيب وقيل ان ما هنا مديونية اي
ما دتم مستحسنين للنكاح وضعفه ابن عطية قال الفراء ان ما هنا مصدرية فتال
التماس وهذا بعيد جدا وقيل انها نكرة موصوفة اي النكاح اجنسا طيبا وحدا طيبا والاول
اولى وقرئ فانكحوا من طاب لكم وقد اتفق اهل العلم على ان هذا الشئ المذكور في الآية
لا مفهوم له وانه يجوز ان لم يخف ان يقسط في اليتامى ان ينجح اكثر من واحدة ومن في قوله
من النساء ما يمانية او تبعية لان المراد غير اليتامى بشهادة قرينة المقام والاصل النكاح
ما طاب لكم من النساء وفي ايتنا الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود
بالذات مزيد لطف في استئذانهم فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه على ان
وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب
فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح
المترب مشئ وثلاث ورباع اي اثنتين اثنتين وثلاثا وثلاثا واربع اربعا وهذه الالفاظ
المعدولة فيها خلاف وهل يجوز فيها القياس لا يقتصر فيها على السماع فالاول قول الكوفيين
وابي اسحق وغيره والثاني قول البصريين والمسموع من ذلك احد عشر لفظا احاد وموحد
وثنا ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع وخمس وعشار ولم يسمع خماس ولا غيره من بقية
العقد وجه هو النفاة على منع صفيها واجاز الفراء صفيها وان كان المنع عنده اولى وقد
استدل بالآية على تحريم ما زاد على الاربع وبينوا ذلك بانه خطاب بجميع الامة وان
كل نكاح له ان يختار ما اراد من هذا العدد كما يقال للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف
درهم او هذا المال الذي في البصرة درهمين درهمين وثلاثة وثلاثة واربعه اربعة وهذا
مسلم اذا كان المقسوم قد ذكرت جملته او عين مكانه اما لو كان مطلقا كما يقال اقتسموا
الدرهم ويراد به ما كسبه فليس المعنى هكذا والآية من الباب الاخر من الباب الاول

علم ان من قال لقوم تقسمون ما لامعينا كبيرا اقسام مثنى وثلاث ورباع فقسموا بعضهم
 درهمين درهمين وبعضه ثلاثة ثلاثة وبعضه اربعة اربعة كان هذا هو المعنى العربي و
 معلوم انه اذا قال القائل جاء في القوم مثنى وهم مائة الف كان المعنى انهم جاؤا اثنين اثنين
 وهكذا جاء في القوم ثلاث ورباع الخطاب للجميع بمنزلة الخطاب لكل فرد فرد كما في قوله تعالى اتلو
 المشركين اقيموا الصلوة اتوا الزكوة ونحوها فغير قوله فانكروا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
 ورباع لينسخ كل فرد منكم ما طاب له من النساء اثنتين اثنتين وثلاثا وثلاثا ورباعا اربعة
 هذا ما يقتضيه لغة العرب فالآية تدل على خلاف ما استدلوا به عليه ويؤيد هذا قوله
 تعالى في اخر الآية فان خفتكم الا تعدوا فواحدة فانه وان كان خطاب للجميع فهو بمنزلة الخطاب
 لكل فرد فرد فالاولى ان يستدل على تحريم الزيادة على الاربع بالسنة لا بالقرآن واما استدلال
 من استدلل بالآية على جواز تكاح التسع باعتبار الواو والجامعة وكانه قال انكوا مجموع هذا العدد
 المذكور فهذا اجهل بالمعنى العربي ولو قال انكوا اثنتين وثلاثا واربعاً كان هذا القول له وجه
 واما مع الجي بصيغة العدل فلا وانما جاء سبحانه بالواو والجامعة دون اعلان التحديد يشعر بأنه
 لا يجوز الا احدا احدا المذكورة دون غيره وذلك ليس بمراد من النظم القرآني واخرج الشافعي
 وابن ابي شيبة واحمد والترمذي وابن ماجة والدارقطني والبيهقي عن ابن عمر ان غيلان بن
 سلمة الثقفي اسلم وتحتة عشرة نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهن وفي لفظ امسك منهن
 اربعا وفارق سائرهن وروي هذا الحديث بالفاظ من طرق وعن نوفل بن معاوية الديلمي
 قال اسلمت وعندى خمس نسوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك اربعا وفارق الاخرى اخرج
 الشافعي في مسنده واخرج ابن ماجة والنحاس في ناسخه عن قيس بن الحارث الاسدي قال
 اسلمت وكان تحتي ثمان نسوة فابتليت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال اختر منهن اربعا وغل سائرهن
 ففعلت وهذه شواهد للحديث الاول كما قال البيهقي وعن الحكم قال اجمع اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على ان الملوكة لا يجمع من النساء فوق اثنتين فان خفتكم الا تعدوا لو ابين الزوجات في
 القسم والنفقة ونحوها فواحدة اي فانكروا واحدة وفيه المنع من الزيادة على الواحدة لمن
 خاف ذلك او انكروا واقتصر على ما ملكتم ايما كنتم من السرايى وان كنتم حرة من كما

عن ابن عباس
عن ابن عمر
عن ابن مسعود

بالبيع وإنما العيال المحلثون واتوا بحقوق الواجبة وقد حكى ابن الأثير أن العرب تقول عال
الرجل إذا كثر عياله وكفى بهذا وقد ورد عال لمعان غير السبعة التي ذكرها ابن العربي منها
عال اشتد وتقام حكاها الجوهري وعال الرجل في الأرض إذا ضرب فيها حكاها الهروي وعال
إذا عجز حكاها الأحمري فلهذا ثلاثة معان غير السبعة والرابع عال كثرة عياله فجملته معاني عال
أحد عشر معنى وعن قتادة في الآية قال يقول إن خفت أن لا تعدل في أربع فثلثا
والأقستين والأفواحدة فإن خفت أن لا تعدل في واحدة فما ملكك يمينك وعن البيع
مثله وعن الضحاك قال لا تعدلوا في الجماعة والحب وفيه نظر فقد ورد عن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك يعني في حبه لعائشة والله
تعالى يقول ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وعن السدي أو ما ملكك
أيما نكر قال السرياني وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عائشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أدنى أن لا تعملوا قال ابن لا تجوروا وقال ابن أبي حاتم هذا حديث
خطأ والصحيح عن عائشة موقوف وعن ابن عباس موقوف وعن ابن عباس قال لا تملوا
وعن مجاهد بن أبي رزين وأبي مالك والضحاك مثله وعن زيد بن أسلم أن لا يكثر من تعملوا
وعن سفيان بن عيينة أن لا تقتروا أو أثروا الخطاب للأزواج وقيل للأولياء النساء صدقة
بضم الدال جمع صدقة كسرة قال الأخفش وينوهم يقولون صدقة واجمع صدقات وإن شئت
فحنت وإن شئت أسكنت فحلة بكسر النون وضمها لغتان وأصلها العطاء غلت فلانا عطية
وعلى هذا فهي منصوبة على المصدر لأن الأيتام بمعنى الإعطاء وقيل الخلة التدين فمعنى فحلة
تديننا قاله الزجاج وعلى هذا فهي منصوبة على المفعول له وقال قتادة الفريضة وعلى هذا
فهي منصوبة على الحال وقيل طيبة النفس قال أبو عبيد ولا تكون الخلة إلا عن طيبة نفس و
قال ابن عباس المهر قاله عائشة واجبة وقال ابن جرير فريضة مساة وعن قتادة مثله
ومعنى الآية على كون الخطاب للأزواج أعطوا النساء اللاتي كنتم من مهورهن التي كنتم
عطية أو ديانة منكم أو فريضة عليكم أو طيبة من أنفسكم ومعناها على كون الخطاب
للأولياء أعطوا النساء من قراباتكم التي قبضتم مهورهن من أزواجهن تلك المهور وقد كان

الولي يأخذ مهر قريبته في الجاهلية ولا يعطيها شيئاً حتى ذلك عن أبي صالح والكبي و
الاول اول وهو الاشبه بظاهر الآية وعليه الاكثر لان الله تعالى خاطب الناكحين فيما قبل
كما تقدم فهذا ايضا خطاب لهم وفي الآية دليل على ان الصداق واجب على الازواج للنساء
وهو ^{عليه} كما قال القرطبي قال واجمع العلماء ^{عليه} انه لا حد لكثيرة واختلفوا في قليله فان طبن
لكثير بعض النساء المتزوجات للازواج عن شيء منه قال ابن عباس اذا كان من غير ضرار و
لا خديعة فهو هني مري كما قال الله تعالى والضمير في منه راجع الى الصداق الذي هو
واحد الصدقات اولي اللزوم وهو الصدقات وهو بمنزلة اسم الاشارة كانه قال من ذلك
والمعنى فان طبن النساء لكثيرها الازواج والاولياء عن شيء كاث من المهر ومن فيها وجهها
احد هما انها للتبعض ولذلك لا يجوز لها ان تهبه كل الصداق واليه ذهب الليث والثاني
انها للبيان ولذلك يجوز ان تهبه المهر كله وفي الكرخي وتذكر الضمير يعود على الصداق
المراد به الجنس قل وكثر فيكون محملاً على المعنى نفساً نصب على التمييز لان نفساً في معنى الجنس
وجيء بالتمييز مفرداً وان كان قبله جمعا لعدم اللبس اذ من المعلوم ان الكل ليس مشتركاً في
نفس واحدة اي فان طابت نفوسهن عن شيء من الصداق وفي طبن دليل على ان المعتبر
في تحليل ذلك منهن لهم انما هو طيبة النفس لا مجرد ما يصدر منها من الالفاظ التي لا يتحقق
معها طيبة النفس فاذا ظهر منها ما يدل على عدم طيبة نفسها لم يحل للزوج والولي وان كانت
قد تلفظت بالهبة والندرا ونحوهما وما اقوى دلالة هذه الآية على عدم اعتبار ما يصدر
من النساء من الالفاظ المفيدة للميلك مجرد ما لنقصان عقولهن وضعف ادراكهن وسرعة
الغفادعهن وانجذابهن الى ما يراى منهن بايسر ترغيب او ترهيب فكوة اي فخذوا ذلك الشيء
الذي طابت به نفوسهن وتصفوا فيه بانواع التصرفات وخص لا كل لانه معظم ما يراى
بالمال وان كان سائر الانتفاعات به جائزة كالاكل هيناً مرياً يقال هنا الطعام الشراب
يهنيه ومراه وامراه من الهناء والمراء والفعل هناً ومراً اي اتى من غير مشقة ولا غيظ
وقيل هو الطيب الذي لا تنغيص فيه وقيل المحمود العاقبة الطيب لهضم وقيل ما لا اثم فيه و
المقصود هنا انه حلال لهم خالص عن الشوائب ولا تؤتوا ايها الاولياء السفهاء المبذرين من

الرجال والنساء والصبيان أموالكم التي في أيديكم ولاضافة لا دني ملايسة هذا رجوع
 الى بقية الاحكام المتعلقة بأموال اليتامى وقد تقدم الامر بدفع اموالهم اليهم في قوله تعالى
 واتقوا اليتامى أموالهم فينن سبحانه ههنا ان السفيه وغير البالغ لا يجوز دفع ماله اليه وقد
 تقدم في البقرة معنى السفيه لغة واختلاف اهل العلم في هؤلاء السفهاء من هم فقال سعيه
 بن جبير اليتامى لا تقوا أموالهم قال النحاس وهذا من احسن ما قيل في الآية وقال مالك
 هم الاولاد الصغار لا تعطوهم أموالكم فيفسدوها ويبقوا بلا شيء وقال مجاهد هم النساء قال
 النحاس وغيره وهذا القول لا يصح انما تقول العرب سفاية او سفيهاة واختلفوا في اضافة
 الاموال الى الخاطبين وهي السفهاء فقيل اضافة اليهم لانها بايديهم وهم الناظرين فيها كقوله
 فسلوا على انفسكم وقوله فاقتلوا انفسكم اي ليسلم بعضهم على بعض وليقتل بعضهم بعضا وقيل
 اضافة اليهم لانها من جنس أموالهم فان الاموال جعلت مشتكة بين الخلق في الاصل وقيل
 المراد اموال الخاطبين حقيقة وبه قال ابو موسى الاشعري وابن عباس والحسن وقتادة والمراد
 النهي عن دفعها الى من لا يحسن تدبيرها كالنساء والصبيان ومن هو ضعيف الادراك لا
 يعتدي الى وجوه النفع التي تحصل المال ولا يجنب وجوه الضرر التي تهدد به الذي جعل
 الله اي صيدها وخلقها واولد ها لكم حال كونها قياء ما يعني قوام معاشكم قاله ابن عباس
 والقيام والقوام ما يقيمك يقال فلان قيام اهله وقوام بيته وهو الذي يقيم شأنه اي يصلحه
 وهو منصوب على المصدر اي فيقومون بها قياما وقال الاخفش المعنى قائمة بأموالكم فذهب
 الى انها جمع وقال لبصريون قيا جمع قيمة كريمة وديم اي جعلها الله قيمة للاشياء وخطابوا
 الفارسي هذا القول وقال هي مصدر كقيام وقوام والمعنى انها صلاح الحال وثبات له فاما على
 قول من قال ان المراد اموالهم على ما يقتضيه ظاهر الاضافة فالمعنى واضح واما على قول من قال
 انها اموال اليتامى فالمعنى انها من جنس ما تقوم به معاشكم ويصلح به حالكم من الاموال قال الفراء
 الاكثر في كلام العرب النساء اللواتي والاموال التي وكذا غير الاموال ذكره النحاس في قوله
 فيها اي اطعموهم منها قال ابن عباس انفقوا عليهم اي اجعلوا لهم فيها رزقا وافرضوا لهم
 واثر التعبير بنفي على من مع ان المعنى عليها اشارة الى انه ينبغي للولي ان يتجر لموليه في ماله

ويرجوه انه حتى تكون نفقته عليه من الرزق لا من اصل المال فالمعنى واجعلوها مكانا لرزقهم
وكسوتهم بان تجروا فيها وترجوها لهم واكسوهاهم هذا فمن تلزم نفقته وكسوته من الزوجات
والاولاد ونحوهم واما على قول من قال ان الاموال هي اموال اليتامى فالمعنى تجروا فيها حتى
ترجوها وتنفقوهم من الارباح او اجعلوا لهم من اموالهم رزقا ينفقونه على انفسهم ويكسبون
به وقد استدل بهذه الآية على جواز الحجر على السفهاء وبه قال الجمهور وقال ابو حنيفة لا الحجر
عليه من بلغ عاقلًا واستدل بها ايضا على وجوب نفقة القرابة والخلاف في ذلك معروف
في مواطنه وقولوا لهم قولاً معروفاً قال مجاهد مروان يقولوا لهم قولاً جليلاً في البر والصلوة
قليل معناه ادعوا لهم بآراء الله فيكم واحاطكم وضع لكم وقيل معناه عدوهم وعدا حسنا
قاله ابن جريج اي باعطاءهم اموالهم كان يقول الولي لليتيم مالك عندي وانا اامين عليه فاذا
بلغت ورشدت اعطيتك مالك ويقول الاب لابنه مالي سيصير اليك وانت ان شاء الله تعالى
صاحبه ونحو ذلك وذلك لاجل تطيب خواطرهم ولاجل ان يجدوا في اسباب الرشد والظاهر من
الآية ما يصدق عليه معنى القول الجميل ففيه ارشاد الى حسن اخلاق مع الاهل والاولاد ومع
اليتامى المكفولين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لا هله وانا خيركم لا هله وعن ابن
عباس في الآية لا تعد الى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه املاك ابنتك
ثم تضطر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصحح وكن انت الذي تنفق عليهم في كسوتهم
ورزقهم وموئنتهم وعنه لا تسلط السفهاء من ولدك على مالك وامره ان يرزقه منه ويكسوه
وعنه قال هم بنوك والنساء وعن ابي امامة مرفوعا عند ابن ابي حاتم ان النساء السفهاء الا
التي اطاعت قيمتها وعن ابي هريرة قال هم الخدم وهم شياطين الانس وقال بن مسعود هم النساء
الصبيان وعن حمزة بن ابي ان رجلا عمد فدفن ماله الى امرأته فوضعت في غير الحق فقال الله ولا
تؤثوا السفهاء اموالكم الآية وعن سعيد بن جبيرة قال هم اليتامى والنساء وعن عكرمة قال هو
مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤثته اياه وانفق عليه حتى يبلغ وابتكوا اليتمى شروع في تعيين
وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبين ان شرطه بعد الامريات انما على الاطلاق والنهي عنه عند
كون اصحابها سفهاء لا ابتلاء الاختيار وقد تقدم تحقيقه وقد اختلفوا في معنى الاختيار فقليل

عوان يتامل الوصي اخلاق يمينه ليعلم بنجاسته وحسن تصرفه فيدفع اليه ماله اذا بلغ
 النكاح والنس منه الرشد وقيل معنى الاختبار ان يدفع اليه شيئا من ماله ويأمره بالنصي
 فيه حتى يعلم حقيقة حاله وقيل معنى الاختبار ان يرد النظر اليه في نفقة الدار ليعرف كيف
 تدبره وان كانت جارية رد لها ما يرد الى ربة البيت من تدبير بيتها وهذا الخطاب الاول
 والاختبار واجب على الولي قيل تزلت هذه الآية في ثابت بن رفاعه وعمه حز اذا بلغوا
 النكاح المراد ببلوغ النكاح بلوغ الحلم لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ومن علاما بلوغ
 الانبات وبلوغ خمس عشرة سنة وقال مالك وابو حنيفة وغيرهما لا يحكم لمن لم يحتلم بالبلوغ
 الا بعد مضي سبع عشرة سنة وهذه العلامات تعم الذكور والانثى وتختص الانثى بالحبل والخير
 فان التمس البصر ثم ورايتم ومنه قوله انس من جانب الطور نارا قال الازهري تقول العرب
 اذهب فاستأنس هل ترى احدا معناه تبصر وقيل هو هنا بمعنى وجد وعلم اي فان وجدتم
 وعلمتم منهم رشد بضم الراء وفتحها قيل هما لغتان واختلاف اهل العلم في معنى الرشد ههنا
 فقيل الصلاح في العقل والدين وقيل في العقل خاصة قال سعيد بن جبير والشعبي انه لا يدفع
 الى اليتيم ماله اذ لم يوسد رشده وان كان شيئا قال الضحاك وان كان بلغ مائة سنة وجهود
 العلماء على ان الرشد لا يكون الا بعد البلوغ وعلى انه ان لم يرشد بعد بلوغ الحلم لا يزول عنه
 الحجر وقال الامام ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يحجر على المحر البالغ وان كان افسق الناس واشدهم
 تبذيرا وبه قال النخعي ونزفروظا هر النظم القراني انها لا تدفع اليهم اموالهم الا بعد بلوغهم
 هي بلوغ النكاح مقيدة هذه الغاية بائناس الرشد فلا بد من شجوع الامر من فلا تدفع الى
 اليتامى اموالهم قبل البلوغ وان كانوا معرفين بالرشد ولا بعد البلوغ الا بعد ائناس الرشد
 منهم والمراد بالرشد نوعه وهو المتعلق بحسن التصرف في امواله وعدم التبذير بها
 ووضعها في مواضعها فاذا فَعَوَّ اليهم اموالهم من غير تاخير الى حد البلوغ ولا تاكلا
 ايها الاولياء اسراقا وبكرا ان يَكْبُرُوا الاسراف في اللغة الافراط ومجازة المحذوفا
 حتى وقال النضر بن شميل السرف التبذير والبدا للمبادرة اي لا تاكلا اموال اليتامى اكل
 اسراف واكل مبادرة لكبرهم ولا تاكلا لاجل السرف ولاجل المبادرة ولا تاكلا لهما مسرفين

ومبادئين لكبرهم وتقولوا انفق اموال اليتامى فيما نشتهي قبل ان يبلغوا فيزعمونها من ايدينا ومن كان من الاولياء علينا فليستعفف اي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من اكله ومن كان فقيرا فلياكل منه بالمعروف بين سبحانه ما يحل لهم من اموال اليتامى فامر الغني بالاستعفاف وتوقيه مال الصبي عليه وعدم تناوله منه وسوخ للفقير ان ياكل بالمعروف واختلف اهل العلم فيه ما هو فقال قوم هو القرض اذا احتاج اليه ويقضي متى ايسر له عليه وبه قال عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيدة السلماني وابن جبير والشعبي ومجاهد وابو العالية ومقاتل والاذاعي وابو وائل وقال الثوري عطاء والحسن وقتادة لا قضاء على الفقير فيما ياكل بالمعروف وبه قال جمهور الفقهاء وهذا بالنظم القراني الصق فان يا اكل للفقير مشعرة بجواز ذلك له من غير قرض والمراد بالمعروف المتعارف به بين الناس فلا يترفع باموال اليتامى ويبالغ في التمتع بالماكل والمشرب والملبوس ولا يدع نفسه عن سعة الفاقة وستر العورة قال عطاء وعكرمة ياكل باطراف اصابعه ولا يسهق ولا يكتسي ولا يلبس الكتان ولا احلل لكن ياكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله وابن موشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا ياخذ منه شيئا فان اخذ وجب عليه ردة وقال الحلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم ليس له ان ياكل من ماله شيئا وقال قوم هو ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عايشة وجماعة من اهل العلم والاول اولي قال ابن عباس في الآية نستفهم ان الذين ياكلون اموال اليتامى الآية والخطاب في هذه الآية لاولياء اليتام القائمين بما يصلحهم كالاب والجد وصيها وقال بعض اهل العلم المراد بالآية اليتيم ان كان غنيا وسع عليه وعف عن ماله وان كان فقيرا كان الانفاق عليه بقدر ما يحصل له وهذا القول في غاية السقوط وعن ابن عباس قال ان كان فقيرا اخذ من فضل اللبن واخذ من فضل القوت لا يجاوز وما يستر عورته من الثياب فان ايسر قضاءه وان اعسر فهي في حل اخرج البيهقي وغيره عن عمر بن الخطاب انه قال اني انزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعفت وان احتجت اخذت منه بالمعروف فاذا اليسر قضيت اخرج احمد وابوداود والنسائي وابن حجة

وابن ابي حاتم عن ابن عمر ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس لي مال ولي يتيم فقال كل
من مال يتيمك غير مسرف ولا مبدل ولا متارلها ومن غير ان تقي مالك ماله فأذا حصل
مقتضى الدفع ودفعتم اليهم أموالهم بعد رعاية الشرائط المذكورة فأشهدوا عليهم
انهم قبضوها منك ليندفع عنكم التهم بأنمواعية الداء والصادرة منهم قيل ان الاشهاد المشروع هو علم انفق عليهم
الاولياء قبل شديهم وقيل هو على دماء سقر الى أموالهم ظاهر النظم القراني مشرعية الاشهاد على ما دفع اليهم من أموالهم
يعم الاتفاق قبل الرشد والدفع للجميع اليهم بعد الرشد وهذا امر شرعي وليس للوجوب كفى يا الله حسيباً لا يحكم شهادته
عليكم في كل شيء تعملونه ومن جملة ذلك معاملتكم لليتامى في أموالهم وفيه وعيد عظيم
والباء زائدة اي كفى الله قال ابو البقاء زيدت لتدل على معنى الامراذ التقدير اكتفياً لله
وهذا القول سبق اليه مكي والزجاج للرجال يعني الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب
حظاً ترك من الميراث والوالدان والاقرَّبون المتوفون لما ذكر سبحانه حكم أموال اليتامى وصلى
بأحكام المواريث وكيفية قسمتها بين الورثة وافرد سبحانه ذكر النسب بعد ذكر الرجال على
الاستقلال لاجل الاعتناء بامرهن وللايدان بأصالتهم في استحقاق الارث وللمبالغة في
ابطال ما عليه اجأهلية فقال وللنساء اي الاناث من اولاد الميت نصيب حظاً ترك
والوالدان والاقرَّبون اي من المال المخلوع عن الميت وفي ذكر القرابة بيان لعلة الميراث مع التعميم
لما يصدق عليه مسمى القرابة من دون تخصيص مما قل منه أو كثر بدل من قوله مما ترك
بأداة الجار والضمير في منه راجع الى المبدل منه وهذا الامر مراد في الجملة الا ان في بعض
مخذون للتعميل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة
كأخيل والة الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حق من كل ما دق وجل وقد اجمل
سبحانه في هذه المواضع قد النصيب المفروض ثم انزل قوله يوصيكم الله في اولادكم فين ميراث
كل فرد جعله الله نصيباً مفروضاً المفروض ما فرضه الله تعالى وهو اكد من الواجب ومعطو
بتسليمه اليهم فلا يسقط باسقاطهم ففي الآية دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه بالاعراض قاله البيضاوي واذا حصص القسمة يعني قسمة الميراث فعلى هذا ان يكون الخطأ
لوارثين أو لوالد القرابي المراد بالقرابة هنا غير الوارثين لكونه عاصباً محجوباً ولو كونه من ذوي الارحام

وكذا البتة والمساكين من الأجانب وإنما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم فأرزقوهم
قصة شيء الله سبحانه أنهم إذا حضوا قسمة التركة كان لهم منها رزق فيرضع لهم المتفلسون
شيئا منها قبل القسمة وقد ذهب قوم إلى أن الآية محكمة وإن الأمر للندب وذهب الآخرون إلى
أنها منسوخة بقوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم والاول راجح لان المذكور في الآية للقربة
غير الوارثين ليس هو من جملة الميراث حتى يقال انها منسوخة بآية الموارث إلا ان يقال
ان اولى القرب المذكورين هنا هم الوارثون كان للنسب وجه وقالت طائفة ان هذه الرضعة لغير الوارث
من القرابة واجبة بقدر ما تطيب به النفس الورثة وهو معنى الامر الحقيقي فلا يصح الالتماس
اللقربنة والضمير في قوله منه راجع الى المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل راجع
الى ما ترك وهذا خطاب للورثة الجاهلين وقوله فلو اخطأ لاولياء اليتامى اذا كان الورثة
صغارا لهم اي للاصناف الثلاثة قولا معروفا وهو القول الجليل الذي ليس فيه من مباهلة
اليهم من الرضخ ولا اذى وان يعتذر واليهم عن عدم الاعطاء اصلا وعن ابن عباس قال هي محكمة
وليست بمنسوخة وقد قضى بها ابو موسى وقال مجاهد هي واجبة على اهل الميراث ما طابت
بها نفوسهم كما قال الحسن والزهرى وقال ابن عباس يرضع لهم فان كان في ماله تقصير
اعتذر اليهم فهو قوله قولا معروفا وعن عائشة انها لم تنسخ ولكن تهاون الناس في تركه وعن
سعيد بن المسيب قال هي منسوخة اي بآية الميراث وعن سعيد بن جبير قال ان كانوا
كبيرا يرضعوا وان كانوا صغارا لا يعتذروا اليهم ولا يخش اي ليخف على اليتامى الذين لو تركوا
اي قاربوا ان يتركوا من خلفهم بعد موتهم رزقا ضعيفا ولا اوصاء رزقا عليهم الفقراء والضياع
وهذا الخطاب للاوصياء كما ذهب اليه طائفة من المفسرين وفيه وعظ لهم بان يفعلوا
باليتامى الذين في حوزتهم ما يحبون ان يفعلوا ولا دهم من بعدهم وبعضهم جعل الخطاب
لمن حضر المريض عنه الاوصاء واليه ذهب البيضاوي واما للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا ولا دهم بقوا
خلفهم ضعفاء مثلهم هل يجوز من حوائهم والاول اولى فليتقوا الله يعني في الامر الذي تقدم
ذكره قالت طائفة المراد جميع الناس اموالهم بآية الله في اليتامى واولاد الناس وان لم يكونوا

في جودهم وقال الآخرون ان المراد بهم من يحض الميت عند موته امرؤ يتقوى الله والتقوى
 مسببة عن الخوف للذي هو الخشية فلذلك ذكرت فاء السببية ففي الآية الجمع بين المبدأ
 والمنتهى وليقولوا المحتضن قول السدي أصواباً من شهادة الى التخلص عن حقوق الله وحقوق بني آدم
 والى الوصية بالقرب المقربة الى الله سبحانه والى ترك التبذير بماله واحرام ورثته كما يخشون على
 ورثتهم من بعدهم لو تركوهم فقراء عالة يتكففون الناس وقال ابن عطية الناس صنفان
 يصلح لاحدهما ان يقال له عند موته ما لا يصلح للآخر وذلك ان الرجل اذا ترك ورثته مستقلين
 بانفسهم اغنياء حسن التئدب الى الوصية ويحل على ان يقدم لنفسه واذا ترك ورثته ضعفاء
 مفلسين حسن ان يندب الى الترك لهم ولا احتياط فان اجرة في قصده ذلك كاجرة فالمسألة
 قال القرطبي وهذا التفصيل صحيح والمعنى والخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا
 خلفهم ذرية ضعافاً وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع من بعدهم لذاها بكافهم
 وكاسبهم ثم امرهم بتقوى الله والقول السدي للمحتضرين اولادهم من بعدهم على ما سبق
 ان الذين ياكلون اموال اليتيم استيناف جميع به لتقرير ما فصل من الامور والنواهي من
 الذي عن ظلم اليتيم من الاولياء والارصاء ظلماً حراماً بغير حق انما ياكلون في بطونهم ناراً
 المراد باكل النار ان يكون سبباً للنار تعبيراً بالمسبب عن السبب وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية
 والمعنى سبباً لكون يوم القيمة وهذا على المجاز وقيل بطونهم اوعية للنار بان يخلق الله لهم
 ناراً ياكلونها في بطونهم وهذا على الحقيقة وقيل غير ذلك قال السدي بيعت اكل مال
 اليتيم يوم القيمة وهب لنا ربح من فية من مائة اذنية وعينية وانفه يعرفه من رآه باكل مال
 اليتيم وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات
 المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتم فعبر عن الجميع بالاكل لانه معظم المقصود
 وذكر البطون للتاكيد كقولك رايت بعيني وسمعت باذني وسيصليون سعيوا باكلهم
 اليتامى قرئ سيصلون من التصلية لكثرة الفعل مرة بعد اخرى وقرأ الباقر بفتح الياء
 من صلى النار يصلها والصلاء هو التشنج بقرب النار او مباشرتها والسعي الجهد المشتعل وقيل
 النار الموقدة اخرج ابن ابي شيبة وابو يعلى الطبراني وابن حبان في صحيحه وابن ابي حاتم عن ابي هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث يوم القيمة قوم من قبورهم تأبج افواهم نارا فقليل يا رسول الله من هم قال المرتان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به قال نظرت فاذا يقوم لهم مشافركنا فالابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافركهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار فيقذف في في احداهم حتى يخرج من اسافلهم ولهم خوار وصراخ فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية وقال زيد بن اسلم هذه الآية لاهل الشرك حين كانوا لا يورثونهم وياكلون اموالهم يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِهِ هذا التفصيل لما أجمل في قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون من احكام الموارث وقد استدلل بذلك على جواز تاخير اليتامى عن وقت الحاجة وهذه الآية بطولها ركن من اركان الدين وعمدة من عمد الاحكام وام من امهات الايات لاشتغالها على ما يهتم من علم الفرائض وقد كان هذا العلم من اجل علوم الصحابة رضي الله عنهم واكثر مناظراتهم وسياتي بعد كمال تفسير ما اشتمل عليه كلام الله من الفرائض ذكر بعض فضائل هذا العلم ان شاء الله تعالى وبدا بالاولاد لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثر بقاء بعد الموت والمراد بالوصية في الاولاد الوصية في شأن ميراثهم وقد اختلفوا هل يدخل اولاد الاولاد ام لا فقالت الشافعية انهم يدخلون مجازا لا حقيقة وقالت الحنفية انه يتناكولهم لفظ الاولاد حقيقة اذ لم يوجد اولاد الصلب لا خلاف ان بنى البنين كالبنين في الميراث مع عدمهم وانما هذا الخلاف في دلالة لفظ الاولاد على ولادهم مع عدمهم ويدخل في لفظ الاولاد من كان منهم كافرا ويخرج بالسنة وكذلك يدخل القاتل عمدا ويخرج ايضا بالسنة والاجماع ويدخل فيه الخنثى قال القرطبي واجمع العلماء انه يورث من حيث يبول فان بال منهما فمن حيث سبق فان خرج البول منهما من غير سبق احداهما فله نصف نصيب الذكر ونصف نصيب الانثى وقيل يُعطى اقل النصيبين وهو نصيب الانثى قاله يحيى بن ادم وهو قول للشافعي وهذه الآية ناسخة لما كان في صدر الاسلام من الموارثة بالحلقة والحجرة والمعاقدة وقد اجمع العلماء على انه اذا كان مع

تاج
بنامه زدن
آتش بقال
الحق النار
فما جئت

الاولاد من له فرض مسمى اعطيه وكان ما بقي من المال للذكر مثل حظ الانثيين للحيات
 الثابت في الصحيحين وغيرهما بلغظ الحق الفرائض باهلها فاما البقت الفرائض فلا ولي رجل
 ذكر الا اذا كان ساقطاً معهم كالاخوة لأم للذكر مثل حظ الانثيين من جملة مستانفذين
 الوصية في الاولاد فلا بد من تقدير وضعهم يرجع اليهم اي يوصيكم الله في اولادكم للذكر
 منهم مثل حظ الانثيين والمراد حال اجتماع الذكور والافات واما حال لانفراد كل واحد من جميع
 البرات ولا تقي النصف والانثيين فصاعد التلثان وتخصيص الذكر بالتخصيص على
 حصة لان القصد الى بيان فضلاء والتنبيه على ان التضعيف كان في التفضيل ولا يخرج
 بطلية وقد اشتركا في الحيوة وان فائدة التخصيص ان العاصيا اذا انفرد حاز
 المال كله فلو كان في الاولاد المتر وكان التاكيد باعتبار الخبر والبسات او المولود او غيرها
 ليس معهن ذكر فلو في اثنتين اي زوات على اثنتين على ان فوق صفة النساء ويكون
 فائداً لكان فلهن ثلثاً ما ترك المثلث المدلول عليه بقربينة المقام وظاهر القظم القراني
 ان الثلثين فريضة الثلث من البنات فصاعداً ولم يسم الاثنتين فريضة وهذا الخط
 اهل علم في فريضتهما قد ذهب الجمهور الى انهما اذا انفردا عن البنين الثلثين وذهب
 ابن عباس الى ان فريضتهما النصف اجمع الجمهور بالقياس على الاثنتين فان امة متحكمة
 فكل في ثلثهما فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالحكم للبنين بالاثنتين في الثلثين فما
 الثلثين كما اخفوا الاخوات اذا زوجن على اثنتين بالبنات في الاشتراك في الثلثين قبل
 في الآية ما يدل على ان البنين الثلثين وذلك لانه ما كان الواحد مع اخيهما الثلث كان
 الاثنتين اذا انفردتا الثلثان هكذا اخفوا هذه الجهة اسمعيل بن عيسى والمهر جعفر بن
 وهذا الاخفى اجمع عند اهل النظر فلو لان الاختلاف في البنين اخا انفردا عن البنين فلهما
 النصف بقول جابر بن سمير واما قوله بنين النصف فهذا دليل على ان هذا الوضو
 يكون ثابتاً من اجمع الجمهور بعد ان اورد سبحانه في فرض البنات الواحدة النصف اخا انفردت
 بقوله وان كانت واحدة فهي النصف كان فرض بنتين اخا انفردت فوق فرض الواحدة
 ووجب لهما من ثلثيها او البنين على الثلثين وقيل ان قول الله في البنين

نساء اثنتين كقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق اي الاعناق وردد هذا النجاس ابن عطية
 فقال هو خطأ لان الظروف وجميع الاسماء لا يجوز في كلام العرب ان تراد لغير معنى قال
 ابن عطية ولان قوله فوق الاعناق هو انقصيم وليس فوق زائدة بل هي حكمة المعنى
 لان ضربة العنق انما يجب ان يكون فوق العظام في المفصل دون الدماغ كما قال جرير
 بن الصمة اخفض عن الدماغ وارفع عن العظم فهكذا كنت اضرب اعناق الابطال تقى
 وايضا لو كان لفظ فوق زائدا كما قالوا لقال فلها ثلثا ما ترك ولم يقل فلان ثلثا ما ترك واو
 ما يخرج للجهود ما اخرج به ابن ابي شيبة واحمد وابوداود والترمذي وابن ماجة وابو
 يعلى وابن ابي حاتم وابن جابر والحاكم والبيهقي في سننه عن جابر قال جاءت امرأة سعد
 بن الربيع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما
 معك في احد شهيدا وان عمهما اخذ ما لهما فلم يرد لهما ما لولا لا تشكان الا لهما مال فقال يقضى الله
 في ذلك فنزلت اية الميراث بوصيكم الله في اولادكم الآية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عمهما فقال اعطاني سعد الثلثين وامهما الثلث وما بقي فهو لك اخرجوه من طرق عن
 عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال الترمذي ولا يعرف الا من حديثه وان كانت
 واحدة فترى بالرفع على ان كان تامة بمعنى فان وجدت بنت واحدة او حدث واحدة
 وقرى بالنصب قال النجاس وهذه قراءة حسنة اي وان كانت اي المتركة او الملوودة
 واحدة فلها النصف يعني فرضا لهما ولا يويى اي الميت وهو كناية عن غير هذا كروى
 ذلك للدلالة الكلام عليه والمراد بالابوين الاب والام والنتية على لفظ الاب للتغليب وهذا
 شروع في اربط الاصول لكل واحد منهما السدس مما ترك بدل من لا يويى بتكرير
 العامل قاله الزمخشري وقائدة هذا البدل اللوقيل ولا يويى السدس لكان ظاهرهما
 اشتراكهما فيه ولوقيل لا يويى السدس لان لا وهم قسمة السدسين عليهم بالسوية وعلى خلاف
 وقد اختلف العلماء في الحمد هل هو بمنزلة الاب فيسقط به الاخوة ام لا فذهب ابو بكر الصديق
 الى انه بمنزلة الاب ولم يخالفه احد من الصحابة ايام خلافته واختلفوا في ذلك بعد وفاته
 فقال بقول ابي بكر ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعائشة ومعاذ بن جبل وابي بن كعب

وابوالدرداء وابوهيرة وعطاء وطائوس والحسن وقتادة وابوصيفة وابوثور واسحق
واحجي امثل قوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم وقوله يا بني ادم وقوله صللم ارموا يا بني اسعيل
وذهب علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت وابن مسعود الى توريت الجدة مع الاخوة لا اب
اولاب ولا ينقص معهم من الثلث ولا ينقص مع ذوى الفروض من السدس في قول زيد
ومالك والاوزاعي وابي يوسف ومحمد والشافعي وقيل يشرك بين الجدة والاخوة الى السدس
ولا ينقصه من السدس شيئا مع ذوى الفروض وغيرهم وهو قول ابن ابي ليلى وطائفة و
ذهب الجمهور الى ان الجدة يسقط بنى الاخوة وروى الشعبي عن علي انه اجرى بنى الاخوة
في المقاسمة مجرى الاخوة واجمع العلماء ان الجدة السدس اذا لم تكن للميت ام واجمعوا
على انها ساقطة مع وجود الام واجمعوا على ان الاب لا يسقط الجدة ام الام واختلفوا في ثبوت
الجدة وابنها مجرى فروني عن زيد بن ثابت وعثمان وعلي انها لا ترث وابنها مجرى وبه قال
مالك والثوري والاوزاعي وابوثور واصحاب الراي وروى عن عمر بن مسعود وابي موسى
انها ترث معه وروى ايضا عن علي وعثمان وبه قال شريح وجابر بن زيد وعلي بن
الحسن وشريك واسحق واسحق وابن المنذر ان كان له ولد يوقع على الذكر والانثى
لكنه اذا كان الموجود الذكر من الاولاد وحده او مع الانثى منهم فليس للجدة الا الثلث
وان كان الموجود انثى كان للجدة السدس بالفرض وهو عصبة فيما عدا السدس من الاولاد
ابن الميت كالاولاد الميت فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن لما تقدم من الاجماع وورثة
ابوائه منفردين عن سائر الورثة او مع زوج فلا ماله الثلث اي ثلث المال كما ذهب اليه
الجمهور من ان الام لا تأخذ ثلث التركة الا اذا لم يكن للميت وارث غير ابوين اما لو كان معها
احد الزوجين فليس للام الثلث الباقي بعد الموجودين من الزوجين وروى عن ابن عباس
ان للام ثلث الاصل مع احد الزوجين وهو يستلزم تفضيل الام على الاب في مسئلة الزوج
وابوين مع الاتفاق على انه افضل منها عند انفرادهما عن احد الزوجين فان كان له اخوة
يعني ذكورا واناثا اثنين فصاعدا فلا ماله السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان
معها اب واطلاق الاخوة يدل على انه لا فرق بين الاخوة لابوين ولا حدهما وقد اجمع اهل

العامر عليان الاثنين من الاخوة يقومان مقام الثلثة فصاعدا في حجب الام الى السادس الا
ما يروى عن ابن عباس انه جعل الاثنين كالواحد في عدم المحجب واجمعوا ايضا على بان
الاختين فصاعدا كالاخوين في حجب الام من بعد وصية يوصي بها أو دين يعني ان هذه
الانصبة والسواها انما تقسم بعد قضاء الدين انفاذ وصية الميت في ثلثه قرئ بوصي بقوم
الماد وكسرها واختار الكسري ابو حنيفة وابو حاتم لانه جرى ذكر الميت قبل هذا واختلف في وجه
تقديم الوصية على الدين مع كونه مقدما عليها بالاجماع فقليل المقصود تقديم الامر على
الميراث من غير قصد الى الترتيب بينهما وقيل لما كانت الوصية اقل لزوما من الدين قد
اهتمت بها وقيل قدمت لكثرة وقوعها فصارت كالامر اللازم لكل ميت وقيل قدمت
لكونها حظ المساكين والفقراء واخر الدين لكونه حظا غير يطلبه بقوة وسلطان وقيل
لما كانت الوصية ناشية من جهة الميت قدمت بخلاف الدين فانه ثابت مودى ذكر
اولم يذكر وقيل قدمت لكونها تشبه الميراث في كونها مأخوذة من غير عوض فبما يشق
على الورثة اخراجها بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة باذاته وهذه الوصية مفيدة
بقوله تعالى غير مضار كما سيأتي واخرج احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم عن علي
قال انكم تقرؤن هذه الآية من بعد وصية يوصي بها أو دين وان رسول الله صلى
فرض بالدين قبل الوصية وان اعيان بنى الام يتوارثون دون بنى العلات اباءكم و
ابناءكم قليل خبره مقدراي هم المقسوم عليهم وخبره لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
اي نفعه في الدعاء لكم والصدقة عنكم كما في الحديث الصحيح او ولد صلح يدعوه وقال ابن
عباس والحسن قد يكون الابن افضل فيشفع في ابيه وقال بعض المفسرين ان الابن اذا
كان ارفع درجة من ابيه في الاخرة سأل الله ان يرفع اليه اياه واذا كان الاب ارفع درجة
من ابنه سأل الله ان يرفع ابنه اليه وقيل المراد النفع في الدنيا والاخرة قاله ابن زيد
وقيل المعنى انكم لا تدرون من انفع لكم من اباكم وابناءكم امن اوصى منهم فعرضكم لثواب
الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا او من ترك الوصية ووفر عليكم عرض الدنيا
وقوى هذا صاحب الكشاف قال لان الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترا

بينه وبين نفسه فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَوْكَدِ وَقِيلَ عَلَى الْحَالِ وَلَا أَوَّلَ أَوَّلٍ
وَالْمَعْنَى مَا قَدَّمَ مِنَ الْمَوَارِيثِ لِأَهْلِهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا بِقِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ حَكِيمًا
حَكَمَ بِقِسْمَتِهَا وَبَيَّنَّهَا لِأَهْلِهَا وَقَالَ الزَّجَّاجُ عَلِيمًا بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ خَلْقِهَا حَكِيمًا فِيمَا يَقْدَرُهُ وَيَمْنِيهِ
مِنْهَا وَلَكُمْ نَصْفُ مَا تَرَكَ آزُوجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَّ وَلَدٌ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ أَخْطَابُ هَذَا
لِلرِّجَالِ وَالْمُرَادُ بِالْوَلَدِ وَلَدُ الصِّلْبِ أَوْ وَلَدُ الْوَلَدِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى لَمَّا قَدَّمَ مِنْ الْأَجْمَاعِ
فَإِنْ كَانَ هُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ وَهَذَا جَمْعٌ عَلَيْهِ لِيُخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الرِّبْعِ
مَعَ عَدَمِ الْوَلَدِ النِّصْفُ وَمَعَ وَجُودِهِ وَإِنْ سَقَطَ الرُّبْعُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ مِنْ
الْكَلَامِ فِيهِ كَمَا تَقْدُمُ أَيْ حَالَةٍ كُنَّ هُنَّ غَيْرَ مَضَارِينٍ فِي الْوَصِيَّةِ وَالْحَقُّ بِالْوَلَدِ فِي ذَلِكَ
وَالدَّيْنُ بِالْإِجْمَاعِ وَهَذَا مِيرَاثُ الْأَزْوَاجِ مِنَ الزَّوْجَاتِ وَقَالَ تَعَالَى فِي مِيرَاثِ الزَّوْجَاتِ
مِنْ الْأَزْوَاجِ وَلَهُنَّ أَيْ الزَّوْجَاتِ تَعْدَدُ مِنْ أَوْلَادِ الرُّبْعِ مِمَّا تَرَكَتُمُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ هُنَّ
أَوْ مِنْ غَيْرِ هُنَّ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ هَذَا النَّصِيبُ مَعَ الْوَلَدِ
وَالنَّصِيبُ مَعَ عَدَمِهِ تَنْفَرُ بِهِ الْوَاحِدَةُ مِنَ الزَّوْجَاتِ وَيَشْتَرِكُ فِيهِ الْأَكْثَرُ مِنَ الْوَاحِدَةِ
لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنَ النِّسَاءِ لَهَا الرُّبْعُ أَوِ الثَّمَنُ وَلَكِنْ لَوْ كُنَّ أَرْبَعُ زَوَاجٍ
فَأَنْهُنَّ يَشْتَرِكْنَ فِي الرُّبْعِ أَوِ الثَّمَنِ وَاسْمُ الْوَلَدِ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْوَلَدِ
وَوَلَدِ الْأُمِّ وَوَلَدِ الْبَنَاتِ فِي ذَلِكَ وَسَوَاءٌ كَانَ الْوَلَدُ لِلرَّجُلِ مِنَ الزَّوْجَةِ أَوْ مِنْ غَيْرِهَا
مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ مِنْ أَيْ مِنْ بَعْدِ أَحَدٍ هَذَيْنِ مِنْفَرَجًا أَوْ مَضْمُونًا إِلَى الْآخِرِ
حَالٌ كُنَّ غَيْرَ مَضَارِينٍ فِي الْوَصِيَّةِ وَالْكَلَامِ فِي الْوَصِيَّةِ وَالَّذِينَ كَمَا تَقْدُمُ فَإِنْ كَانَ رَجُلًا
مَيِّتٌ يُورَثُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مِنْ وَرَثَةٍ لَا مِنْ أَوْثَرِ كَلَلَةٍ مَّصْدَرٌ مِنْ كَلَلِهِ النَّسَبُ أَيْ
أَحَاطَ بِهِ وَبِهِ سَمِيَ الْأَكْلِيلُ لِأَحَاطَتِهِ بِالرَّاسِ وَهُوَ الْمَيِّتُ الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ هَذَا
قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعَمْرُو عَلِيٍّ وَجَهْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَبِهِ قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الْعَيْنِ أَبُو
مَنْصُورٍ الْغَوِي وَابْنُ عَرَفَةَ الْقَتَيْبِيُّ أَبُو حَلِيدٍ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا إِجْمَاعٌ وَقَالَ
ابْنُ كَثِيرٍ وَبِهِ يَقُولُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَهُوَ قَوْلُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ وَالْأَئِمَّةِ
الرَّابِعَةِ وَجَهْلُ السُّلَفِ وَخَلَفُ بُلْجَمِهِمْ وَقَدْ حَكِيَ الْإِجْمَاعُ غَيْرَ وَاحِدٍ وَوَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ

مرفوع انتهى وقال في الجمل هذا الحسن ما قيل في تفسير الكلالة ويدل على صحته ان
اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان و فلان اذا تباعدت القرابة بينهما فسميت القرابة
البعيدة كلالة من هذا الوجه وروى ابو حاتم ولا يترجم عن ابي عبيدة انه قال الكلالة
كل من لم يرته اب او ابن او اخ فهو عند العرب كلالة قال ابو عمى بن عبد البر ذكر ابو عبيدة
الاخ هنا مع الاب والابن في شرط الكلالة غلط لا وجه له ولم يذكر في شرط الكلالة
غيره وما يروى عن ابي بكر وعمر من ان الكلالة من لا ولد له خاصة فقد يجاع عنه و
قال زيد الكلالة احيى والميت جميعا وانما سموا القرابة كلالة لانهم اطا فوا بالميت من جوانبه
وليسوا منه ولا هو منهم بخلاف الابن والاب فانما طرفان له فاذا ذهب كلا النسبتين
ان الكلالة ما خرد من الكلال وهو الاعياء فكانه يصير الميراث الى الوارث عن بعد
واعياء وقال ابن الاعراب ان الكلالة بنو العم الاباعد وبالحجة من قرأ يورث كلالته بكسر
الراء مشددة وهو بعض الكوفيين او مخففة وهو الحسن وايوب جعل الكلالة القرابة
ومن قرأ يورث بفتح الراء وهم الجمهور احتمل ان يكون الكلالة الميت واحتمل ان تكون القرابة
وقد روي عن علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابراهيم بن عباس والشعبي ان الكلالة ما كان
سوى الولد والوالد من الورثة قال لطبري الصواب ان الكلالة هم الذين يرثون الميت
من عد اولده والدة لصحة خبر جابر قلت يا رسول الله انما يرثني كلاله افا وصي بما لي
كله قال لا انتهى وروي عن عطاء انه قال الكلالة المال قال ابن العربي وهذا قول ضعيف
لا وجه له وقال صاحب الكشف ان الكلالة تطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا
والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من الخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد انتهى
وفي السمين هذه الآية مما ينبغي ان يطول فيها القول لا شك لها واضطراب اقوال الناس
فيها ثم قال بعد ذكر الاختلاف فيها فقد تخلص مما تقدم انها اما الميت الموروث او
الورثة او المال الموروث او الارث او القرابة ثم تكلم في اشتقاقها واعرابها والذي ذكرنا
هو احسن ما قيل فيها او امرأة معطوف على رجل مقيد بما قيد به اي كانت المرأة للزوج
خالية من الوالد والولد وله اخ أو اخت قرأ سعد بن ابي وقاص وابن مسعود من ام

والقراءة الشاذة كخبر الأحاد لأنها ليست من قبل الرأي واطلق الشافعي الاحتجاج بها فيما
حكاه البويطي عنه في باب الرضاع وباب تحرير الجمع وعليه جمهور أصحابه لأنها منقولة
عن النبي صلى الله عليه وآله ولا يلزم من انتفاء خصوص قرأ بينهما انتفاء خصوص خبرتها قال الكرخي
قال القرطبي اجمع العلماء على أن الأخوة ههنا هم الأخوة لأم قال ولا خلاف بين أهل العلم
أن الأخوة للاب والام والاب ليس ميراثهم هكذا قل اجمعهم على أن الأخوة المذكورة
في قوله تعالى وإن كانوا أخوة رجالاً ونساءً فلذلك مثل حظ الأنثيين هم الأخوة لا بويين أو
لاب وأفرج الضمير في قوله وله أخ أو اخت لأن المراد كل واحد منهما كما جرت بذلك عادة
العرب إذا ذكروا السمين مستويين في الحكم فإنهم قد يذكرون الضمير الراجع إليهما مفرداً
كما في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها الكبيرة وقوله الذي يكفون الذنوب الغفيرة
ولا ينفقونها في سبيل الله وقد يذكرونه مثني كما في قوله إن يكن غنياً وفقيراً فإنه أولى
بهما وقد قدمنا في هذا الكلام أطول من المذكور هنا فليقل واحد منهما الشدس مشترك
الميراث فإن كانوا أكثر من ذلك الأخ المنفرد والأخت المنفردة بواحد وذلك بأن يكون
الموجود اثنين فصاعداً ذكرين أو اثنتين أو ذكرًا وأنثى وقد استدلل بذلك على أن الذكر
كأنثى من الأخوة لأم لأن الله شارك بينهما في الثلث ولم يبدل كفضل الذكر على الأنثى كما ذكره
في البنين والأخوة لا بويين أو لاب قال القرطبي وهذا اجماع وحلت الآية على أن الأخوة لأم
إذا استكمل بهم المسئلة كانوا أقدم من الأخوة لا بويين أو لاب وذلك في المسئلة للشما
بالحكارية وإذا تركت الميتة زوجاً وأماً وإخوين لأم وأخوة لا بويين فإن الزوج النصف وللأم
الشدس وللإخوين لأم الثلث ولا شيء للأخوة لا بويين ووجه ذلك أنه قد وجد الشرط الذي
يرث عنده الأخوة من الأم وهو كون الميت كلالاً ويؤيد هذا حديث الحقوا الفرائض أهلها
فما بقي فلا ولي رجل ذكر وهو في الصحيحين وغيرهما وقد قرر الشوكاني دلالة الآية والتخذي
على ذلك في الرسالة التي سماها المباحث الدرية في المسائل الحكارية وفي هذه المسئلة خلافاً
بين الصحابة فمن بعدهم معروف فهم شركاء في الثلث يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم لا خلاف
لخص الأئمة من يعمل وصية يؤمها أو دين الكلام فيه كما تقدم وظاهر الآية يدل على

جواز الوصية بكل المال وببعضه لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق بتخصيص
وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص قال لثلاث والثلاثون خريجه البخاري ومسلم
ففي هذا دليل على ان الوصية لا تجوز بأكثر من الثلاث وان النقصان عن الثلاث جائز
غير مضاعف أي حال كونه غير مضاعف لورثته بوجه من وجوه الأضرار كان يقر بشيء
ليس عليه أو وصي بوصية لا مقصده فيها إلا الأضرار بالورثة أو وصي لوارث مطلقا
أو غيره بزيادة على الثلاث ولم يجره الورثة وهذا القيد راجع إلى الوصية والدين المذكورين
فهو قيد لهما فأصدر من الأقربيات بالديون أو الوصايا المنهي عنها والتي لا مقصد
لصاحبها إلا المضارة لورثته فهو باطل مردود لا ينقل منه شيء إلا الثلاث ولا دونه قال
القرطبي وجمع على ان الوصية للوارث لا تجوز انتهى قال أبو السعود في تفسيره وتخصيص
القيد بهذا المقام لما أن الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم أخرج أحمد وعبد بن حمد
وابوداود والترمذي وحسنه وابن ماجة واللفظه واليهيقي عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى جاف في وصيته فيحتمل لشره
فيدخل النار وان الرجل يعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيحتمل لخير عمله
فيدخل الجنة ثم يقول أبو هريرة أقرؤا ان شئتم تلك حد وحده إلى قوله عذاب اليم وفيه
إسناده شهر بن حوشب وفيه مقال معروف وأخرج ابن ماجة عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطع ميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة يوم القيمة وقد ثبت في الصحيحين
من حديث سعد بن أبي وقاص ان النبي صلى الله عليه وآله يعود في مرضه فقال ان لي مالا كثيرا
وليس يرثني إلا ابنة لي أفا تصدق بالثلثين قال لا قال فالثلثون قال لا قال فالثلاث قال
الثلث والثلث كثير انك أن تدور رثتك أغنياً وخير من أن تدركهم عالة يتكففون الناس
وأخرج ابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل قال ان الله تصدق عليكم بثلاث أموالكم زيادة
في حسناتكم يعني الوصية وفي الصحيحين عن ابن عباس قال وددت ان الناس غصوا من
الثلث إلى الربع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلث كثير وقال عمر بن الخطاب لثلاث وسط لا تجس
ولا شطط وعن علي قال لان أوصي بأخمس أجلي من ان أوصي بالربع ولان أوصي بالربع

احب الي من ان اوصي بالثلث ومن اوصى بالثلث لم يترك وصية من الله نصب على المصدر
 المؤكدة اي يوصيكم بذلك وصية كاشفة من الله قال ابن عطية ويصم ان يعمل فيها مضار
 والمعنى ان يقع الضرر بها او يسببها فاوقع عليها تجوزا فيكون وصية على هذا مفعولها
 لان اسم الفاعل قد اعتقل على ذي الحال او لكونه منقيا معنى وفي كون هذه الوصية من
 الله سبحانه دليل على انه قد وصى عباده بهذه التفاصيل المذكورة في الفرائض وان كل
 وصية من عباده ينالها فهي مسبقة بوصية الله وذلك كالوصايا المتضمنة لتفصيل
 بعض الورثة على بعض والمشتقة على الضرر بوجه من الوجوه والله عليم حكيم قال ابن
 القيم ذو الصنع والا فانه الذي لا يستغفر غضب ولا يستخف جهل جاهل ولا شارة بقوله
 تلك حدود الله الى الاحكام المتقدمة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والموارث وسماها
 حدودا لكونها لا تجوز تجاوزها ولا يهل تعدد بعضها ومن يطع الله ورسوله في قسمة الموارث
 وغيرها من الاحكام الشرعية كما يفيد عموم اللفظ يدخله بالياء والنون جئت تحريمي من
 تحريمها الا نهر خلد ين فيها وذلك لقول العظم وهكذا قوله ومن يعص الله ورسوله و
 يعمل حدوده يدخله بالوجهين نارا خلد فيها وله عذاب مهيئ اي وله بعد احكام
 النار عذابا واهانة لا يعرف كنهه روعي في الضمائر في الايتين لفظ من وفي خالدين
 معناها قال الضحاك المعصية هنا الشرك وقال ابن عباس في معنى لا يتيم من لم يرض بقسمة الله يتعدا
 حدا وقال الكلبي يكفر بقسمة الموارث فاذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا
 لم يبت قبل موته واذا مات وهو مصري على ذلك كان محمدا في النار فلا دليل في الآية للمعتراة
 علان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار وقد ورد في الترغيب في تعلم
 الفرائض وتعليمها ما اخرجها الحاكم والبيهقي في سننه عن ابن مسعود قال قال رسول الله
 صلوات الله على الفرائض وعلومه الناس وان امر مقبوض وان العلم سيقبض وتظهر الفتن
 حتى يختلف الاثنان في الفريضة لا يجدان من يقضي بها واخرجنا عن ابي هريرة قال قال
 رسول الله صلوات الله على الفرائض وعلومها فانه نصفت العلم وانه ينشئ وهو اول ما ينزع من امتي
 واخرجه ابن ماجة والدارقطني ونفذهما هو اول علم ينشئ وهو اول شيء ينزع من امتي وقد

ع

روي عن عمر وابن مسعود وأنس أنهما في الترخيب في الفرائض وكذلك روي عن جماعة
 من التابعين ومن بعدهم وهذا العلم من أعظم العلوم قدرا وأشر فيها ذخرا وأفضلها
 ذكرا وهو ركن من أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الأول
 من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها وأصولها وكيفي في فضلها إن الله تولى قمقتها
 بنفسه وأنزلها في كتابه مبينة في محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها
 كما ذكرنا وقد ذكر بعض المفسرين أحكام الفرائض وأسباب الإرث في هذا المقام من تفسيره
 وإنما محلها كتب الفروع وذكرنا من تفاريع هذا العلم ما لم يكن له مستند إلا محض الراي ليس
 بحد الراي مستحقا للتدوين فلكل عالم رايه واجتهاده مع عدم الدلائل ولا حجة في اجتهاد
 بعض أهل العلم على البعض الآخر وكيفيك منها ما ثبت في الكتاب السنة وأعرض لك محال كين
 فيهما فأجتهد فيه برأيك عملا بحديث معاذ المشهور والسهام المحدث في كتاب الله العزيز
 ستة النصف والرابع والثلث والثلثان والثلث والسدس كما تقدم تفسيره اتفاقا والذي
 وردت به السنة المطهرة أنه يجب الابتداء بذي الفروض المقدرة وما بقي فللعصبة
 والأخوات مع البنات عصبة ولبنات الابن مع البنات السدس تكملة للثلثين وكذا الاخت
 لأب مع الاخت لأبوين وللجدة أو الجدات السدس مع عدم الأم وهو للجد مع من لا يسقطه
 ولا ميراث للأخوة والأخوات مطلقا مع الابن وابن الابن أو الأب في ميراثهم مع الجد
 ويرثون مع البنات إلا الأخوة للأم ويسقط الأخ لأب مع الأخ لأبوين وأولوا الأرحام
 يتوارثون وهم أقدم من بيت المال فإن تراجعت الفرائض فالعول ولا يرث المملوك
 والزانية إلا من أمه وقرباتها والعكس لا يرث المولود إلا إذا استهل وميراث العتيق
 لمعتقه ويسقط بالعصبات وله الباقي بعد ذوى السهام ويحرم بيع الولاء وهبته ولا
 توارث بين أهل ملتين ولا يرث القاتل من المقتول هذا جميع ما ثبت بالسنة المطهرة
 فأشدد عليه يدك والتي يأتين الفاحشة لما ذكر سبحانه في هذه السورة الأحسان
 إلى النساء وإيصال صدقاتهن إليهن وميراثهن مع الرجال ذكر التعليل طبعهن فيما يأتين
 به من الفاحشة لئلا يتوهمن أنه يسوغ لهن ترك التعفف واللاقي جمع التي بحسب المعنى

دون الغط وفيه لغات ويقال في جمع اللواتي واللواي واللوات واللواء والقاحشة
 الفعل القبيحة وهي مصدر كالعافية والعاقبة والمراد بها هنا الزنا خاصة وإتيانها فعلها
 ومباشرتها من نساء كثر هن المسلمات فاستشهدوا عليهن أربعة خطاب للزواج
 والحكام قال عمر بن الخطاب إنما جعل الله الشهود أربعة سترًا يستكبر به دون قوا
 منكم المراد به الرجال المسلمون فإن شهدوا وعليهن بها فأمسكوهن أحبسوهن في
 البيوت وامنعوهن من مخالطة الناس لأن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبرز
 إلى الرجال فإذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا عن ابن عباس قال كانت المرأة
 إذا فجرت حبست في البيت فإن ماتت ماتت وإن عاشت عاشت حتى تزلت الآية
 في سورة النور الزانية والزاني فاجلدوا فجعل الله لهم سبيلًا فمن عمل شيئًا جلدًا وارسل
 وقد روي عنه من وجوه وذهب بعض أهل العلم إلى أن الحبس المذكور وكذلك الأذى
 بآتيان مع الجلد لأنه لا تعارض بينهما بل الجمع ممكن قال الخطابي ليست منسوخة لأن قوله
 فأمسكوهن يدل على أن أمسكوهن في البيوت ممتد إلى غاية هي قوله حتى أي إلى أن تقوم
 الموت أي ملائكة الموت عند انقضاء أجالهن أو يجعل الله لهم سبيلًا وذلك السبيل
 كان محلاً فلما قال النبي صلوات الله عليه وسلم قد جعل الله لهم سبيلًا البكر بالبكر جلد مائة
 وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرحم رواه مسلم عن حديث عبادة صار
 هذا الحديث بياناً لتلك الآية لاستخفافها والذين يأتينها منكم القاحشة هي الزنا واللواط
 وهذان قولان للفسين وسيشرح الثاني بأمور والذان بثنية الذي وكان القياس أن
 يقال للذيان قال سيويه حذف الياء ليفرق بين الأسماء الممكنة وبين الأسماء المبهمة
 والمراد بالذيان هنا الزاني الزانية تغليبا وقيل الآية الأولى في النساء خاصة محصنات
 وغير محصنات والثانية في الرجال خاصة وجاء بلفظ الثنية لبيان صنف الرجال من
 حصن ومن لم يحصن فعقوبة النساء وعقوبة الرجال الأذى واختار هذه النحاس ورواه
 عن ابن عباس ورواه القرطبي عن مجاهد وغيره واستحسنه وقال السدي وقتادة وغيرهما
 الآية الأولى في النساء المحصنات ويدخل معهن الرجال المحصنون والآية الثانية في الرجل والمرأة

البكرين ورجحه الطبري وضعفه الناس وقال تغليب المؤنث على المذكور بعيد وقال ابن عطية
 ان معنى هذا القول تام الا ان لفظ الآية يصلق عنه وقيل كان الأمساك للمرأة الزانية
 دون الرجل فخصت المرأة بالذكر في الأمساك ثم جمعا في الايداء قال قتادة كانت المرأة ^{تجلس}
 ويؤذيان جميعا فأدوهما واختلف المفسرون في تفسير الأذى فقيل التوبيخ والذمير وقيل
 السب والكفاء من دون تعيير وتفريع وقيل النيل باللسان والضرب بالنعال وقد ذهب
 قوم الى ان الأذى منسوخ بالحد كما يحبس ان اريد به الزنا وكذلك ان اريد اللواط عند الشا
 لكن المفعول به لا يرحم عنده وان كان محصنا بل يجلد ويغرب واما الفاعل فيرجح ان كان
 محصنا واردة اللواط اظهر دليل تنحية الضمير وقيل ليس بمنسوخ كما تقدم في الحبس وقد
 قال بالنسخ جماعة من التابعين كجأه وقتادة والحسن وسعيد بن جبير والسدي فإن ^{نكاحا}
 من الفاحشة وأصلها العمل فيما بعد فأعرضوا عنها أي اتركوها وكفوا عنها الأذى إن
 الله كان توابا رحيمًا وهذا كان قبل نزول الحد وفي ابتداء الاسلام على ما تقدم من
 الخلاف فتبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبتت الرجم على النكاح المحصن بسنة رسول الله ^{صلى}
 فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عزا وكان قد حصن ^{قوله} إمام التوبة ^{قوله} حكي الله استيناف ^{قوله} فليما
 بان التوبة ليست بمقبولة على الإطلاق كما ينبغي ^{قوله} توابا رحيمًا بل إنما يقبل من البعض دون
 البعض كما بينه النظم القرآني ههنا وقيل المعنى إنما التوبة على فضل الله ورحمته لعباده
 وقيل المعنى إنما التوبة واجبة على الله وهذه ^{قوله} مذهب المعتزلة لانهم يوجبون على الله عز
 وجل واجبات من حملتها قبول توبة التائبين وقال اهل المعاني المعنى اوجب على نفسه من غير
 ايجاب احد عليه لانه يفعل ما يريد وقيل على هنا بمعنى عند وقيل بمعنى من وقد انفقت
 الأمة على ان التوبة فرض على المؤمنين لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وهذا
 الجمهور الى انها تصح من ذنب دون ذنب خلافا للمعتزلة وقيل ان قوله على الله هو الخبر ^{كان} وقال ابو
 التقديرا إنما قبول التوبة مترتب على فضل الله فتكون على هنا باقية على اصلها للذين يعملون
 الشوء أي العمل السيئ والمعصية متصفين ^{قوله} بجهالة ^{قوله} اوجاهلين اذا عصوا قال ابو العالكية
 هذه للمؤمنين وقد حكى القرطبي عن قتادة انه قال اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان

كل معصية فهو جهالة عمدًا كانت أو جهلا وحكي عن الضحاك ومجاهد أن الجهالة هنا العمد
وقال عكرمة أمور الدنيا كلها جهالة ومنه قوله تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وقال الزجاج
معنى جهالة اختيادهم اللذة الفانية على اللذة الباقية وقيل معناه أنهم لا يعلمون كنه
العقوبة ذكره ابن فورك وضعفه ابن عطية وعن أبي العالية أن أصحاب محمد صلوا كانوا
يقولون كل خير أصابنا به شبد فهو جهالة وعن ابن عباس قال من عمل السوء فهو جاهل
من جهالته عمل السوء ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ معناه قبل أن يحضرهم الموت كما يدل عليه قوله
حتى إذا حضروا أحدهم الموت قال لي تبت الآن وبه قال أبو مجاز والضحاك وعكرمة وغيرهم
وقيل المراد قبل المعاينة للملائكة وغلبة المرء على نفسه ومن التبعض أي يتوبون بعض زمان
قريب وهو ما عدا وقت حضور الموت وإنما كان الزمن الذي بين فعل المعصية وبين وقت
الغرغرة قريبا ولو كان سنين لأن كل ما هوات قريب وإن طال قليل وفيه تنبيه على أن الإنسان
ينبغي له أن يتوقع في كل ساعة نزول الموت به وقيل معناه قبل المرض وهو ضعيف بالاطل
لما قدمنا ولما أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب
عن ابن عمر عن النبي صلعم قال إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغتر وقيل معناه يتوبون على قرب
عهد من الذنب من غير إصرار قال ابن عباس في الحياة والصحة وقال الضحاك كل شيء قبل الموت
فهو قريب له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت فإذا تاب حين ينظر ملك الموت فليس له
ذلك وقال الحسن القريب ما لم يغتر وقد وردت أحاديث كثيرة في قبول توبة العبد ما لم يغتر
ذكرها ابن كثير في تفسيره ومنها الحديث الذي قدمنا ذكره والغرغرة أن يجعل المشروب في
فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل إلى جوفه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح إلى
الحلق وقيل الغرغرة تردد الروح في الحلق فأولئك يتوب الله عليهم هو وعد منه سبحانه
بأنه يتوب عليهم ويقبل توبتهم بعد بيان أن التوبة لهم مقصورة عليهم وكان الله حكيمًا
بما في قلوبهم من التصديق فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواف ناقة وقيل علم أنه ابتلاك
المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وإن تاب عن قريب حكمًا في
صنعه بهم وليست التوبة للذين يعملون السيئات الذين تاب عليهم من حصص

التوبة فيما سبق حل من عمل سوء بجهاالة ثم تاب عن قريب قال ابو العالية هذه لاهل النفاق
وبه قال سعيد بن جبير وقال ابن عباس يريد اهل الشرك اي الكفار وقال الثوري هم
المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار حتى حرف ابتداء ومجلة اذا حضر احدكم
الموت غاية لما قبلها وهذا وجه حسن وحضور الموت حضور علاماته وبلوغ المريض الى
حالة السباق ومصيده مغلوبا على نفسه مشغولا بغير وجهها من بدنه وهو وقت الغرزة ^{كذلك} الموت
في الحديث السابق وهي بلوغ روحه حلقومه قال الهروي قال عند مشاهدته ما هو في ^{هذه} ^{المرحلة}
يُبْتَغى الآن اي وقت حضور الموت لا يقبل من كافرا يمان ولا من عاص توبة قال تعالى فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا قيل قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدته
الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه حين
ادركه الغرق ولا الذين يموتون وهم كفار اذا تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب قال
ابو العالية هذه لاهل الشرك وروي عن الربيع مثله مع انه لا توبة لهم راسا وانما ذكرها
مبالغة في بيان عدم قبول توبة من حضرهم الموت وان وجودها كعدمها اي ليست التوبة
لهؤلاء ولا هؤلاء اولئك اعتدناهم اي احضرتنا وهيئنا لهم واحدا نأخذ ابا اليمان من لما
يأبونها الذين امنوا لا يحل لكم ايها الاولياء ان ترقوا النساء اي ذاهن ركها بالفتح والضم لغتنا
اي مكرهين على ذلك هذا متصل بما تقدم من ذكر الزوجات والمقصود نفى الظلم عنهم معنى
الآية يتضح بعرفة سبب نزولها وهو ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس قال كانوا اذا مات
الرجل كان اولياءه احق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاء وازوجوها وان شاء وا
لم يميزوا بينهم احق بها من اهلها فنزلت وفي لفظ لابي داود عنه في هذه الآية كان
الرجل يرث امرأة ذي قرينة فيعضلها حتى تموت او ترد اليه صداقتها وفي لفظ لابن جرير
وابن ابي حاتم عنه فان كانت جميلة تزوجها وان كانت ذميمة حبسها حتى تموت فيرثها و
قد روي هذا السبب بالفاظ فعناها لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث فترغمون انكم
احق بهن من غيركم وتحبسونهن لانفسكم ولا يحل لكم ان تعضلوهن عن ان يتزوجهن غيركم
ضربا لابتداهن ببيع بعض ما اتفقوهن اي لتأخذوا ميراتهن اخامتن اوليدفنن اليك صلاتهن

اذا اذنت لهم بالنكاح وقيل الخطاب للزواج النساء اذا حبسوهن مع سوء العشرة طمعا
 في ارضهن او يفتدين ببعض مهورهن واختاره ابن عطية واصل العضل المنع اي تمنعوهن
 من الازواج وحليل ذلك قوله اَلَا اَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ فانها اذا اذنت بفاحشة ^{فليس}
 للولي حبسها حتى يذهب بما لها اجماعا من الامة وانما ذلك للزوج قال الحسن اذا اذنت للبكر
 فانها تجلده مائة وتغى ويرد الى زوجها كما اخذت منه وقال ابو قلابة اذا اذنت امرأة الرجل
 فلا بأس ان يضارها ويشق عليها حتى تقتدي منه وقال السدي اذا فعلن ذلك فخذوا
 مهورهن وقال قوم الفاحشة البذاء باللسان وسوء العشرة قولوا فعلا وقال مالك و
 جماعة من اهل العلم للزوج ان يأخذ من النكاح جميع ما ملك هذا كله على ان الخطاب في
 قوله ولا تعضلوهن للزواج وقد عرفت ما قد صنف في سبب النزول ان الخطاب في قوله
 ولا تعضلوهن لمن خوطب بقوله لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها فيكون المعنى ولا يحل لكم
 ان تمنعوهن من الزواج لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن اي ما اتاهن من ترثونه الا ان يأتين
 بفاحشة مبينة جاز لكم حبسهن عن الازواج ولا يخفى ما في هذا من التعسف مع عدم
 جواز حبس من اتت بفاحشة عن ان تزوج وتستعف من الزنا وكما ان جعل قوله ولا
 تعضلوهن خطا بالاولياء فيه التعسف كذلك جعل قوله ولا يحل لكم ان ترثوا النساء
 كرها خطا بالازواج فيه تعسف ظاهر مع مخالفته بسبب نزول الآية الذي ذكرناه
 والاول ان يقال ان الخطاب في قوله ولا يحل لكم للمسلمين اي لا يحل لكم معاشر المسلمين ان
 ترثوا النساء كرها كما كانت تفعله الجاهلية ولا يحل لكم معاشر المسلمين ان تعضلوا زواجكم
 اي تحبسوهن عندكم مع عدم رغبكم فيهن بل لقصد ان تذهبوا ببعض ما اتيتموهن من
 المهور يفتدين به من الحبس والبقاء تحتكم وفي عقدتكم مع كل هتكتم لهن الا ان يأتين
 بفاحشة مبينة جاز لكم مخالفتهم ببعض ما اتيتموهن والاستثناء من اعم الاحوال الاول
 ومن اعم العلل اي لا يحل لكم عضلهم في حال او وقت او لعله الا في حال او وقت ولا جلا لئلا
 بها وقال الكرخي الاستثناء متصل وعليه جرى القاضى كالكشاف وهو استثناء من زمان عام
 ومن علة عامة وهذا الاول لان الاول يحتاج الى حذوف ما مضى وقيل منقطع اختاره الكواشي ^{البقاء}

والمدينة فروع بفتح الياء وكسر هاء اي ينبت ينشأ من يديها واوضحها واظهرها او هي
 بينة اي الزنا والنشوز وقرأ ابن عباس بكسر الموحدة من ابان الشيء فهو صين وعاشرو
 بالمعروف اي بما هو معروف في هذه الشريعة وبين اهلها من حسن المعاشرة والاجل
 في القول والنقطة والميت وهو خطاب للزواج اولما هو اعم وذلك مختلف باختلاف الأزواج
 في الغناء والفقر والرفاعة والوضاعة قال السدي عاشروهن اي خالطوهن وقال ابن جرير
 صحفه بعض الرواة وانما هو خالقوهن وعن عكرمة حقها عليك الصبغة الحسنة والكسوة
 والرزق المعروف فان كرهتموهن بسبب من الاسباب من غير ارتكاب فاحشة ولا
 نشوز فعسى ان يؤل الامر الى ما تحبونه من ذهاب الكراهة وتبدلها بالحببة فيكون في
 ذلك خير كثير من استدامة الصبغة وحصول الاولاد فيكون الخراء على هذا محذوفاً
 عليه بعلته اي فان كرهتموهن فاصبروا ولا تفارقوهن بمجرد هذه النفرة ^{فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا}
 شِيئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا عن ابن عباس قال اخير الكثير ان يعطف عليها فيزكو
 ولها ويجعل الله في ولدها خيراً كثيراً وعن السدي نحوه وقال مقاتل يطلقها فتزوج
 من بعده رجلاً فيجعل الله له منها ولداً ويجعل الله في تزويجها خيراً كثيراً وعن الحسن نحوه
 وقيل في الآية تدب الى مساك المرأة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحتها وتخل ذلك المكروه
 طلباً للثواب وانفق عليها واحسن هو صحتها استحق الثناء بحيل في الدنيا والثواب الجليل
 في الآخرة وَأَنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ أَخْبَابَ لِلرِّجَالِ واراد بالزوج الزوجة
 قيل لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما النشوز او الزنا
 بين في هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا وهي عن بحس الرجل حق
 المرأة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها وقد استقيم أحداهن وهي المرغوب عنها والمراد
 بالائتاء الالتزام والضمان كما في قوله اذا سلمتم ما استيطمي ما التزمتن وما ضمنتم فلا يرد
 ان حرمة الاخذ ثابتة وان لم يكن قد اتاها المسمى بل كان في خدمته او يده والوالحال
 وقيل للعطف وليس بظاهر فظناراً قد تقدم بيانه في آل عمران والمراد به هنا المال
 الكثير وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور فلا تأخذوا منه شيئاً قيل هي محكمة

وقيل هي منسوخة بقوله تعالى في سورة البقرة ولا تأخذوا مآماً اتفقوا من شيئاً الا ان يحياها
 ان لا يقيم احدهما واداه والاولى ان الكل حكم والمراد هنا غير المختلعة فلا يحل لزوجها ان يأخذ
 مما اتاها شيئاً وقال ابن عباس ان كرهت امرأتك واعجبك غيرها فطلقت هذه وتزوجت
 تلك فاعط هذه مهرها وان كان قطاراً واخرج سعيد بن منصور وابو يعلى قال السيوطي
 بسند جيد ان عمر بن الخطاب ان يزيروا النساء في صدقاتهن على اربع مائة درهم
 فاعترضت له امرأة من قريش فقالت اما سمعت ما انزل الله يقول واتيمم احداهن
 قطاراً فقال اللهم غفر لكل الناس افقه من عمر فركب المنبر فقال ايها الناس اني كنت نهيتمكم
 ان تزيدوا النساء في صدقاتهن على اربع مائة درهم فمن شاء ان يعطي من ماله ما احب
 ابو يعلى واظنه قال فمن طابت نفسه فليفعل قال ابن كثير اسناد جيد قوي وقد روت
 هذه القصة بالفاظ مختلفة هذا احدها وقيل المعنى لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقاً
 فلا تأخذوا منه شيئاً وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل
 الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المرأة فلا يحل له ان يأخذ شيئاً من جهدها
 وان كان الشوز من قبل المرأة جاز له ذلك اتأخذونه بؤهتاً ناء ولما ميئناً الاستفهام
والاكار والتفريق والجملة مقرر للجملة الاولى المشتقة على النهي وكيف كلمة تعجب تأخذونه
الكار بعد النكار ومشتق على العلة التي تقتضي منع الاخذ وهي الافضاء والمعنى لا ي
تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعقل ان يسترد شيئاً بذله لزوجته عن طيب
 وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب فقال وقد
 انضى بعضكم الى بعض قال الهروي والكلي وهو اذا كانا في محاف واحد جامع او لم
 يجمع وقال الفراء الافضاء ان يخلو الرجل والمرأة وان لم يجامعها وبه قال ابو حنيفة قال
 ابن عباس وجاهد والسدي واختار الزاجاج ان الافضاء في هذه الآية اجماع ولكن الله
 يكتفي وبه قال الشافعي واصل الافضاء في اللغة الخلطة يقال للشيء الخلط فضاء ويقال القوم
 فوضاً وفضاً أي مختلطون لا امير عليهم وقيل الوصول يقال افضى اليه أوصل وأخذن منكم
 وهذه الاسناد عجائب لان الاخذ للعهد حقيقة هو الله لكن بولغ فيه حتى جعل كل واحد

وَمِنْهَا قَوْلُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ عَقْدُ النِّكَاحِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ كُنْتُمْ تَوَهَّنَ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ
 فَرَوْحَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَقِيلَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِعْ بِأَحْسَانٍ قَالُوا بَعْضُكُمْ
 وَقِيلَ هُوَ الْوَلَدُ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا نَكَحَ قَالَ لِكُنْتُمْ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِعْ
 بِأَحْسَانٍ قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يُوْخَذُ عِنْدَ عَقْدِ النِّكَاحِ اللَّهُ عَلَيْكَ لِمَسْكِنٍ بِمَعْرُوفٍ
 أَوْ تَسْرِعْ بِأَحْسَانٍ وَعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ نَحْوُهُ وَعَلَى هَذَا هُوَ قَوْلُ الْعَاقِدِ عِنْدَ الْعَقْدِ
 وَعَلَى الْأَوَّلِ هُوَ كَلِمَةُ النِّكَاحِ الْمَعْقُودَةُ عَلَى الصَّدَاقِ وَلَا تَنْكُحُوا مَا نَكَحَ آبَاءُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
 فِي عَمَّاكَ عَلَى أَهْلِيَةٍ مِنْ نِكَاحٍ نَسَاءُ آبَاءِهِمْ إِذَا مَا تَوَاهَوْا وَشُرِعَ فِي بَيَانٍ مِنْ حَيْثُ نِكَاحِهِ
 مِنَ النِّسَاءِ وَمَنْ لَا يَحْرُمُ وَأَمَّا خَصُّ هَذَا النِّكَاحِ بِالْغَيْرِ لَمْ يَنْتَظَرْ فِي سَلَاكِ نِكَاحِ الْحُرِّ وَالْأَنْثَى
 مِبَالِغَةً فِي الزَّجْرِ عَنْهُ حَيْثُ كَانَ بَيْنَ مَصْرُفٍ عَلَى تَعَاطِيهِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْحُرِّ مَاتَ بِالْمَصَاهِرَةِ
 أَرْبَعَةَ زَوْجَاتٍ زَوْجَةُ الْأَبِ وَزَوْجَةُ الْأُمِّ وَزَوْجَةُ ابْنِ الْأُمِّ وَزَوْجَةُ ابْنِ الْأَبِ
 وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ دُخُولُ الْأَرْبَعَةِ فَلَا تَحْرِيمَ لِابْنِ الْأَبِ بِالدُّخُولِ بِأُمِّهَا وَهَذَا اسْتِفَادَ مِنْ كِلَايَتِ
 فَانْهَاهُمْ تَقْيِيدَ بِالْدُّخُولِ فِي الرِّبَاةِ عَلَى مَا سَأَيُّ وَالْمَرَادُ أَنَّ كَرَمَ مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ
 الْأَمَّا قَدْ سَلَفَ اسْتِثْنَاءُ مَنْقَطَعٍ لِأَنَّ الْمَاضِيَ لَا يَسْتَنْتَفِزُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ أَيْ لَكِنْ مَا قَدْ سَلَفَ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْتَنِبُوا وَدَعُوهُ فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ عَنْهُ وَقِيلَ لَا يَمْنَعُنِي بَعْدُ أَيْ بَعْدَ مَا سَلَفَ وَقِيلَ
 الْمَعْنَى وَلَا مَا سَلَفَ وَقِيلَ هُوَ اسْتِثْنَاءُ مَنْتَصِلٍ مِنْ قَوْلِهِ مَا نَكَحَ آبَاءُكُمْ يَفِيدُ الْمِبَالِغَةَ فِي التَّحْرِيمِ
 بِإِخْرَاجِ الْكَلَامِ عَنْ حُجْرِ التَّعْلِيلِ بِالْحَالِ يَعْنِي أَنَّ امْتِنَاعَكُمْ أَنْ تَنْكُحُوا مَا قَدْ سَلَفَ فَانْكَحُوا فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ
 غَيْرُهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْأَمَّا سَلَفُ مِنَ الْأَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الزَّنا بِأُمِّهَا فَإِنَّهُ يَجُوزُ لِلابْنِ تَزْوِجُهَا
 قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَالْأَوَّلُ أَوَّلُ تَحْرِيمٍ سَبَّحَانَهُ وَجْهٌ الْغَيْبِ عَنْهُ فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ فَأَحْشَرُهُ وَمَقْتًا
 هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ الْحُرْمَاتِ وَأَقْبَحُهَا وَقَدْ كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَسْمِيَهُ نِكَاحَ الْمَقْتِ
 قَالَ ثَعْلَبٌ سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ نِكَاحِ الْمَقْتِ فَقَالَ هُوَ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ امْرَأَةً أَبِيهَا إِذَا
 طَلَقَهَا أَوْ مَاتَ عَنْهَا وَيُقَالُ لِهَذَا الضَّيِّقِ وَأَصْلُ الْمَقْتِ الْبَغْضُ مِنْ مَقْتِهِ يَعْقِلُهُ مَقْتًا فَهُوَ
 مَقْقُوتٌ وَمَقِيتٌ وَالْعَرَبُ تَسْمِي وَلَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَةِ أَبِيهِ مَقِيتًا وَكَانَ مِنْهُمْ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ
 وَأَبُو مَعْطٍ بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمِيَّةٍ وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاحِدٌ وَاحِدًا كَرَمَ وَصَحَّ

ع

والبيهقي في سننه عن البراء قال لقيت خالي ومعه الآية قلت أين تريد قال بعثني
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده فامرني أن اضرب عنقه وأخذ
ماله وساء سبيلا أي ساء سبيل ذلك النكاح لأنه يؤدي إلى مقتله وقيل النقد
ساء سبيله وقيل مقولا في حقه ساء سبيلًا فان السنة الأهم كافة لم تزل ناطقة بذلك
في أمصار وأهصا ر قيل مراتب القبح ثلث وقد وصف الله هذا النكاح بكل ذلك فقول
فأحسنة مزية بقبح العقلي وقوله مقتا مزية بقبحه الشرعي وقوله ساء سبيلًا مزية بقبحه
العادي وما اجتمعت فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح حرمت عليكم
أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتُ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي فِي جُحُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمُوهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَاءِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَتَّخِذُوا بَيْنَ الْأَخَوَاتَيْنِ قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ سبحانه في هذه الآية ما يحل وما يحرم
من النساء فحرم سبعاً من النسب وستاً من الرضاع والصهر واحقت السنة المتواترة تحريم
الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ووقع عليه الإجماع والسبع المحرمات من النسب
الأمهات والبنات والأخوات والعلمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت والمحرمات
بالصهر والرضاع الأمهات من الرضاعة والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء والبنات
وحلائل الأبناء والجمع بين الأخنتين فهو لأست والسابعة منكوبات الآباء والثلثامنة الجمع
بين المرأة وعمتها قال الطحاوي وكل هذا من الحكم المتفق عليه وغير جائز نكاح واحدة
منهن بالإجماع الأمهات النساء اللواتي لم يدخلن أزواجهن فإن جمهور السلف ذهبوا
إلى أن الأم تحرم بالعقد على الابنة ولا تحرم الابنة بالأب بالدخول بالأم وقال بعض السلف الأم
والربيبية سواء لا تحرم واحدة منهما إلا بالدخول بالأخرى قالوا ومعنى قوله وأمهات نساكنكم
أي اللاتي دخلتمهن وزعموا أن قيد الدخول راجع إلى الأمهات والبنات جميعاً رواه خلا
عن علي بن أبي طالب وروى عن ابن عباس وجابر وزيد بن ثابت وابن الزبير ومجاهد قال
القرطبي ورواية خلاص عن علي لا تقوم به الحجة ولا تصح روايته عند أهل الحديث والصحيح

مثل قول الجماعة وقد اجيب عن قولهم ان الدخول راجع الى الامهات والرياء بان ذلك لا يجوز
من جهة الاسراب ان يكون اللاتي دخلن من نعتائهما جميعاً لان الخبيرين مختلفان قال المنذر
والصحيح قول الجمهور لدخول جميع امهات النساء في قوله وامهات نساءكم وما يدل على ما ذهب
اليه الجمهور ما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننهم
عن حماد بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله قال اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل لمن ينزح
امها دخل بالابنة ام لم يدخل واذا تزوج الام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج الابنة
قال ابن كثير في تفسيره مستدل بالجمهور وقد روي في ذلك خبر غيران في اسناده نظرا
فذكر هذا الحديث ثم قال وهذا الخبر وان كان في اسناده ما فيه فان الاجماع حجة على
صحة القول به يغني عن الاشتباه على صحته بغيره قال في الكشف وقد اتفقوا على
ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الرياء على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى انتهى
ودعوى الاجماع مدفوعة بخلاف من تقدم واعلم انه يدل على لفظ الامهات امهاتهن
وجداتهن وام الاب وجداته وان علون لان كلهن امهات لمن ولده من ولدته وان
ويدخل في لفظ البنات بنات الاولاد وان سفلن والاخوات تصدق على الاخت لاوين
اولادها والعمة اسم لكل انثى شاركت اباك او جدك في اصلية او احدهما وقل تكون
العمة من جهة الام وهي اخت اب الام والخالدة اسم لكل انثى شاركت امك في اصلية
واحد هما وقد تكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك وبنت الاخ اسم لكل انثى
الاخ لك عليها ولادة بواسطة ومباشرة وان بعدت وكذلك بنت الاخت وامهات الرضاعة
مطلق مقيد بما ورد في السنة من كون الرضاع في الحولين الا في مثل قصة ارضاع سالم
عولى ابي حذيفة وظاهر النظم القرآني انه يثبت حكم الرضاع بما يصدق عليه مسمى
الرضاع لغة وشرعاً ولكنه قد ورد تقييده بخمس رضعات في احاديث صحيحة عن جماعة
من الصحابة وتقرير ذلك وتحقيقه يطول وقد استوفاه الشوكاني في مصنفاته وقرر
ما هو الحق في كثير من مباحث الرضاع والاخت من الرضاع هي التي ارضعتها امك بلبان
ابيك سواء ارضعتها معك او مع من قبلك او بعدك من الاخوة والاخوات يلحق بذلك

بالنسبة البنات منها ومن رضعتهن موطوءته والعمان والحيات وبنات الاخوات من الرضاع ما
 يحرم من النسب واهل البخاري مسلم والاخر من الام هي التي رضعتهما املك بليان رجل اخر وامهات النساء من نسب
 رضاع قد تقدم الكلام عليهما على اعتبار الدخول وعدمه والريضة بنت امرأة الرجل من غير سميت بذلك لان ربيها
 في حجره فهي مربية فعليه بعض مفعولة قال القرطبي اتفق الفقهاء على ان الربيضة تهرم عزوجها اذا دخلت الام
 وان لم تكن الربيضة في حجره وشذ بعض المتقدمين واهل الظاهر فقالوا لا تهرم الربيضة الا ان تكون
 في حجر المتزوج فلو كانت في بلد اخر وفارق الام فله ان يتزوج بها وقد روي ذلك عن علي
 قال ابن المنذر والطحاوي لم يثبت ذلك عن علي لان راويه ابراهيم بن عبيد عن مالك
 بن اوس عن علي وابراهيم هذا لا يعرف وقال ابن كثير في تفسيره بعد اخراج هذا عن
 علي وهذا اسناد قوي ثابت الى علي بن ابي طالب على شرط مسلم والحجج جمع حجر بفتح الحاء وكسوة
 مقدم الثوب والمراد لازم الكون في الحجر وهو الكون في تربيتهم والمراد انهم في حضنة
 امهاتهن تحت حماية امرأتهن كما هو الغالب وقيل المراد بالحجج البيوت اي في بيوتكم
 كما لا تهرم عن ابي عبيدة وقيل هي صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها والباء في دخلتم
 بهن للتعديتة اي دخلتم الخلوة بهن والمراد لازمه العادي وهو الوطي اي جامعتهن
 فان لم تكن فوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم في نكاح الربائب اذا فارقتوهن او ماتن وهو تصريح
 بما دل عليه مفهوم ما قبله وقد اختلف اهل العلم في معنى الدخول الموجب لتحريم الربائب
 فروي عن ابن عباس انه قال الدخول الجماع وهو قول طاووس وعمر بن دينار وغيرهما
 وقال مالك والثوري وابو حنيفة والاوزاعي والليث ان الزوج اذا لمس الام بشهوة حرمت
 عليه ابنتها وهو احد قول الشافعي قال ابن جرير الطبري وفي اجماع الجميع على ان خلوة
 الرجل بامرأته لا تحرم ابنتها عليه اذا اطلقها قبل مسيسها ومباشرتها وقبل النظر الى فرجها
 بشهوة ما يدل على ان معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع انتهى وهكذا حكم الاجماع القرطبي
 فقال واجمع العلماء على ان الرجل اذا تزوج المرأة ثم طلقها او ماتت قبل ان يدخلها حل له
 نكاح ابنتها واختلفوا في النظر فقال الكوفيون اذا نظر الى فرجها الشهوة كان بمنزلة المس
 الشهوة وكذا قال الثوري ولم يذكر الشهوة وقال ابن ابي ليلى لا تهرم بالنظر حتى يلمس وهو قول

النسابة الذي ينبغي التعويل عليه في مثل هذا الخلاف هو النظر في معنى الدخول شرعاً أو لغة فان كان خاصاً بالجماع فلا وجه لاحاق غيره به من لمس او نظرا وغيرهما وان كان معناه اوسع من الجماع بحيث يصدق على ما حصل فيه نوع استمتاع كان مناط التحريم هو ذلك واما الربيعة في ملك اليمين فقد روي عن عمر بن الخطاب انه كره ذلك وقال ابن عباس احلتهما اية وحرمتهما اية ولم اكن لا فعله وقال ابن عبد البر لا خلاف بين العلماء انه لا يحل ان يطأ امرأة وابنتها من ملك اليمين لان الله حرم ذلك في النكاح قال وامهات نسائك وبناتكم اللاتي في حجركم من نسائك وملك اليمين عندهم تبع للنكاح الامار روي عن عمر بن عباس وليس على ذلك احد من ائمة الفتوى ولا من تبعهم انتهى والحال ان جميع حليلة وهي الزوجة سميت بذلك لانها تحل مع الزوج حيث حل فهي فعيلة بمعنى فاعلة وذهب الزجاج وقوم الى انها من لفظة احلال فهي حليلة بمعنى محلاة وقيل لان كل واحد منهما يحل اذا صاحبه وقد اجمع العلماء على تحريم ما عقد عليه الاباء على الابناء وما عقد عليه الابناء على الاباء سواء كان مع العقد وطى ام لم يكن لقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وقوله وحلائل ابناؤكم واختلف الفقهاء في العقد اذا كان فاسدا هل يقتضي التحريم ام لا كما هو مبين في كتب الفروع قال ابن المنذر اجمع كل من يحفظ عنه العلم من علماء الامصار ان الرجل اذا وطى امرأة بنكاح فاسد انها تحرم على ابيه وابنه وحل ابلاؤه واجمع العلماء على ان عقد الشراء على تجارية لا يحرمها على ابيه وابنه فاذا اشترى جارية فامس او قبل حرمت على ابيه وابنه لا اعلمهم يختلفون فيه فوجب تحريم ذلك تسليماً لهم ولما اختلفوا في تحريمها بالنظر دون المس لم يخرج ذلك لاختلافهم قال ولا يصح عن احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خلاف ما قلناه وقوله الذين من اصلابكم وصف للابناء امي دون من تنبتهم من ولد غيركم كما كانوا يفعلونه في الجاهلية ومنه قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ومنه قوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناؤكم ومنه ما كان محمد ابا احد من رجالكم فانكح حلائلهم اما زوجة الابن من الرضاع فقد ذهب الجمهور الى انها تحرم على ابيه وقد قيل انها اجماع

مع ان الابن من الرضاع ليس من اولاد الصلب ووجهه ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان مقتضى مفهوم الآية تحليلهن ولا خلاف في ان اولاد اولاد وان سفلوا بمنزلة اولاد الصلب في تحريم نكاح نسائهم على اباؤهم وقد اختلف اهل العلم في وطى الزنا هل يقتضى التحريم ام لا فقال اكثر اهل العلم اذا اصاب رجل امرأة بزنا لم يحرم عليه نكاحها بذلك وكذلك لا تحرم عليه امرأته اذا زنا بها ابنتها وحسبه ان يقام عليه الحد وكذلك يجوز له عندهم ان يتزوج بام من زنى بها وابنتها وقالت طائفة من اهل العلم ان الزنا يقتضى التحريم حكى ذلك عن عثمان بن حصين والشعبي وعطاء والحسن والثوري واحمد واسحق واصحاب الرأي وحكى ذلك عن مالك والصحاح كقول الجمهور احتج الجمهور بقوله تعالى ^{وقتها} نسائكم ويقولون حل لائل ابناؤكم والوطوءة بالزنا لا يصدق عليها انها من نسائهم ولا من اولاد ابنائهم وقد اخرج الدارقطني عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل زنى بامرأة فاراد ان يتزوجها او ابنتها فقال لا يحرم احرام الحلال واحتج المحرمون بما روي في قصة جرير النابتة في الصحيح انه قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فنسب الابن نفسه الى ابيه من الزنا وهذا احتج به ساقط واحتجوا ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل نظر الى فروج امرأة وابنتها ولم يفصل بين الحلال والحرام ويحارب عنه بان هذا مطلق مقيد بما ورد من الادلة الدالة على ان احرام لا يحرم الحلال ثم اختلفوا في اللواط هل يقتضى التحريم ام لا فقال الثوري اذا طوى بالصبي حرمت عليه امه وهو قول احمد بن حنبل قال اذا تلوط بامرأة او ابنتها او اخيها حرمت عليه امرأته وقال الاوزاعي اذا طوى بامرأة او ابنتها او اخيها حرمت عليه امرأته لانها بنت من قد دخل به ولا يخفى ما في قول هؤلاء من الضعف والسقوط النازل عن قول القائلين بان وطى الحرام يقتضى التحريم بدرجات لعدم صلاحية ما تمسك به اولئك من الشبه على ما زعمه هؤلاء من اقتضاء اللواط للتحريم والجمع بين الاختين من نسب الرضاع يشمل الجمع بينهما بالنكاح والوطى بملك اليمين وقيل ان الآية خاصة بالجمع في النكاح لا في ملك اليمين واما في الوطى بملك اليمين فلا حاق بالنكاح وقد اجمعت الامة على منع جمعها في عقد نكاح واختلفوا في الاختين بملك اليمين فذهب كافة العلماء الى انه لا يجوز الجمع بينهما في الوطى

بالمالك واجمعوا على انه يجوز الجمع بينهما في الملك فقط وقد توقف بعض السلف عن الجمع بين
الاختين في الوطي بالمملك سياقي بيان ذلك واختلفوا في جواز عقد النكاح على اخت
الجارية التي توطأ بالمملك فقال الاوزاعي اذا وطئ جارية له بملك اليمين لم يجز له ان يتزوج
اختها وقال الشافعي بملك اليمين لا يمنع نكاح الاخت وقد ذهبت الظاهرية الى جواز الجمع بين الاختين
بملك اليمين في الوطي كما يجوز الجمع بينهما في الملك قال ابن عبد البر بعد ان ذكر ما روي
عن عثمان بن عفان من جواز الجمع بين الاختين في الوطي بالمملك وقد روي مثل قول عثمان
عن طائفة من السلف منهم ابن عباس ولكنهم اختلف عليهم ولم يلتفت الى ذلك احد
من فقهاء الامصار باحجاز ولا بالعراق ولا ما وراءها من المشرق ولا بالشام ولا المغرب
الا من شذ عن جماعتهم باتباع الظاهر ونفي القياس وقد ترك من تعمد ذلك وجماعة
الفقهاء متفقون على انه لا يخل الجمع بين الاختين بملك اليمين في الوطي كما لا يخل ذلك في
النكاح وقد اجمع المسلمون على ان معنى قوله حرمت عليكم امها تكمل الآية ان النكاح بملك اليمين في هؤلاء
كلهن سواء فذلك يجب ان يكون قياسا ونظرا لجمع بين الاختين وامها تنال النساء والربائب
ولذلك هو عند جمهورهم وهي الحجة المحجج بها من خالفها وشذ عنها والله الموجد انتهى قوله
ههنا اشكال وهو انه قد تقرر ان النكاح يقال على العقد فقط وعلى الوطي فقط والخلاف
في كون احدهما حقيقة والاخر مجازا وكونهما حقيقتين معروف فان حملنا هذه التخيير المذكور
في قوله حرمت عليكم امها تكمل الى اعلان المراد بخرم العقد عليهن لم يكن في قوله تعالى ان
يجمعوا بين الاختين دلالة على تخريم الجمع بين المملوكتين في الوطي بالمملك وما وقع من اجتماع
المسلمين على ان قوله حرمت عليكم امها تكمل الى اخره يستوي فيه الحرائر والاماء والعقد و
المالك لا يستلزم ان يكون محل الخلاف هو الجمع بين الاختين في الوطي بملك اليمين مثل محل
الاجماع ومخرج القياس في مثل هذا الوطن لا تقوم بالحجج لما يرد عليه من النقوض ان حملنا
التخيير المذكور في الآية على الوطي فقط لم يصح ذلك الاجماع على تخريم عقد النكاح على جميع
المذكورات من اول الآية الى اخرها فلو طبق الاحمل التخيير في الآية على تخريم عقد النكاح فيحتاج
القائل بخرم الجمع بين الاختين في الوطي بالمملك الى دليل ولا ينفعه ان ذلك قول الجمهور

فالحكم يعرف بالرجال فان جاء بها لصاع يشوب الكدر فيها ونعمت ولا كان الاصل اصل ولا يصح حمل النكاح في الآية على
معنيها جميعا اعني العقد والوطي نهض بالجمع بين الحقيقة والمجاز وهو ممنوع او من بالجمع بين معني المشترك
وفيه اختلاف للمعروف في الاصول فقد برهنا وقال السقوطي ويحتوي اي بالاختين بالسنة الجمع بينهما وبين عمتها
او خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معا ويطأ واحدة انتهى قلت قد اختلف
اهل العلم اذا كان الرجل يطأ مملوكه بالملك فمرا اذا كان يطأ ختها بالملك ايضا فقال علي بن عمر والحسن
البصري والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق لا يجوز له وطئ الثانية حتى يهرم فرج الاخرى باخراجها من
ملكه ببيع او عتق او بان يزوجه قال ابن المنذر وفيه قول ثان لقنادة وهو انه بنوي حتى
الاولى على نفسه وان لا يقربها ثم أمسك عنهما حتى تستبرئ الحرة ثم يغشى الثانية وفيه
قول ثالث وهو انه لا يقرب واحدة منهما هكذا قاله الحكم وحماه وروي معنى ذلك عن النخعي
وقال مالك اذا كان عنده اختان بملك فله ان يطأ أيتهما شاء والكف عن الاخرى وهو كقول الى ما نته
فان اراد وطئ الاخرى فيلزمه ان يهرم على نفسه فرج الاولى بفعل يفعله من اخراج عن الملك وتزويج
بيع او عتق او كتابة او اخدام طويل فان كان يطأ أحدهما ثم وثب على الاخرى دون ان يهرم الاولى وثب
سهما ولم يجز له قرب احدتهما حتى يهرم الاخرى ولم يוכל ذلك الى ما نته لانه منهم قال القرطبي
وقد اجمع العلماء على ان الرجل اذا طلق زوجته طلاقا يملك رجعتها انه ليس له ان ينكح اختها حتى تنقضي
عدة المطلقة واختلفوا اذا طلقها طلاقا لا يملك رجعتها فقالت طائفة ليس له ان ينكح اختها
ولا رابعة حتى تنقضي عدة التي طلقها وروي ذلك عن علي وزيد بن ثابت وعطاء وعطاء النخعي
والثوري واحمد بن حنبل واصحاب الرأي وقالت طائفة له ان ينكح اختها وينكح الرابعة لمن كان
تحتها اربع وطلق واحدة منهم طلاقا بائنا روي ذلك عن سعيد بن المسيب والحسن القاسم
وعروة بن الزبير وابن ابي ليلى الشافعي في ابني ثور ابي عبيد قال ابن المنذر ولا احسبه الا قول مالك
وهو ايضا احدي الروايتين عن زيد بن ثابت وعطاء وقوله الاما قد سلف يحتل ان يكون
معناه ما تقدم من قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الاما قد سلف ويحتمل معنى اخر هو
حوازم سلف وانه اذا جرى الجمع في الجاهلية كان النكاح صحيحا واذا جرى في الاسلام خير بين
الاختين والصواب الاحتمال الاول ان الله كان غفورا راسخا منكم قبل النهي رجما بكم في ذلك

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ

عطف على المحرمات المذكورات أي وحرمت عليكم ذوات الأزواج وأصل المحصنة التي
ومنه قوله تعالى ليحصنكم من بأسكم أي ليفنعكم ومنه الحصان بكسر الحاء والمفرس لأنه يمنع
صاحبه من الهلاك والحصان بفتح الحاء المرأة العفيفة لمنعها نفسها والمصدر بالحصانة
بفتح الحاء والمراد بالحصنات هنا الأزواج وقد ورد في القرآن لمعان أحد الزوج
كما في هذه الآية وكما في قوله محصنين غير مسافحين والثاني يراد به الحرية ومنه قوله
تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات وقوله والحصنات من المؤمنات والمحصنات
من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والثالث يراد به العفة ومنه قوله تعالى محصنات
غير مسافحات والرابع الإسلام ومنه قوله تعالى فإذا حصن أي أسلمن وقد اختلف
أهل العلم في تفسير هذه الآية فقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري وأبو قلابة ومكحول
والزهري المراد بالحصنات هنا المسبيات ذوات الأزواج خاصة أي هن محرمات عليكم
أن تنكحن قبل مفارقة أزواجهن وقد قرئ المحصنات بفتح الصاد وكسرها فالفتح على
أن الأزواج أحصنوهن والكسر على أنهن أحصن فزوجهن من غير أزواجهن وحسن
أزواجهن إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ بالسبي من أرض الحرب فان تلك حلال لكم وطهر من أن
كان لها زوج في دار الحرب بعد الاستبراء وهو قول الشافعي أي أن السبا يقطع العصمة
وبه قال ابن وهب وابن عبد الحكم ورواه عن مالك وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وأحمد
وأصحابه وأبو ثور والاستثناء متصل لأن المستثنى المزوجات لكن فيه شائبة انقطاع
من حيث أن المستثنى منه نكاح المزوجات والمستثنى وطى الزوجات وقد صرح السمين ^{بأنه} منقطع ^{بأنه} منقطع
في استبراءها بما إذا يكون كما هو ممدون في كتب الفروع وقالت طائفة المحصنات في هذه
الآية العفائف وبه قال أبو العالية وعبيدة السلماني وطائفة وسعيد بن جبارة
ورواه عبيدة عن عمر ومعنى الآية عندهم كل النساء حرام إلا ما ملكت أيمانكم أي تملكون
عصقتهن بالنكاح وتلك الرقبة بالشراء وحكى ابن جرير الطبري أن رجلا قال لسعيد

اما راي ابن عباس حين سئل عن هذه الآية فلم يقل فيها شيئا فقال كان ابن عباس
 لا يعلمها وروى ابن جرير ايضا عن مجاهد انه قال لو اعلم من يفسر في هذه الآية لضرب
 اليه اكباد الابل انتهى ومعنى الآية والله اعلم واضح لا سترة به اي حرمت عليكم المحصات
 من النساء اي المزوجات اعم من ان يكن مسلمات او كافرات اما ملكت ايما نكحتم منهن
 اما بسبي فانها تحل وان كانت ذات زوج او بشراء فانها تحل ولو كانت مزروجة وتفسخ
 النكاح الذي كان عليها بنكحها عن ملك سيدها الذي زوجها والاعتبار بعموم اللفظ
 لا بخصوص السبب كتب الله عليكم اي كتب ذلك كتابا وفرضه فرضا وقيل الرزواكتا
 الله عليكم كتاب الله وروي عن عبيدة السلماني ان قوله هذا اشارة الى قوله تعالى
 مثني وثلاث ورباع وهو بعيد جدا بل هو اشارة الى التخيير المذكور في قوله حرمت عليكم
 الى اخر الآية وفي قوله واحل لكم ممَّا وراء ذلكم دلالة على انه يحل لهم نكاح ما سوى
 المذكورات وهذا عام مخصوص بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين المرأة وعمتها
 وبين المرأة وخالتها ومن ذلك نكاح المعتدة ومن ذلك ان من كان في نكاحه حرة
 لا يجوز له نكاح الامه ومن ذلك التقادر على احرقة لا يجوز له نكاح الامه ومن ذلك من
 عنده اربع زوجات لا يجوز له نكاح خامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محومة على
 الملاعن ابدًا وقيل لاحاجة للتنبيه على هذا لان الكلام في التخيير على التأكيد وما
 ذكره من الاقسام لا يجرم موبدا بل لعارض يزول نعم يظهر ما قالوه في الملاعنة لان
 تحريمها مؤبد وقد ابعد من قال ان تحريم الجمع بين المذكورات مأخوذ من الآية هذه
 لانه حرم الجمع بين الاختين فيكون ما في معناه في حكمه وهو الجمع بين المرأة وعمتها و
 وبين المرأة وخالتها وكذلك يحرم نكاح الامه لمن يستطيع نكاح حرة فانه يخص هذا
 العموم لاحل ان تتزوجوا باكم الكرم النساء اللاتي احلهن الله لكم ولا تتزوجوا بها الاحرام
 فتذهب وقيل هو بدل من ما في قوله ما وراء ذلكم والاول اولي واراد سبحانه بالاموال
 المذكورة ما يدفعونه في مهر الحرائر واثمان الاماء المحصنات اي حال كونكم متزوجين
 ومتسقين متعطفين عن الزنا غير مسافحين اي غير انيين والسفاح الزنا وهو مأخوذ من

دفع الماء أي صبه رسيلاً لأنه فكانه سبحانه أدرهم بأن يعلموا بأموالهم النساء على وجه
 النكاح لا على وجه السفاح واقتصر عليه هنا لأنه في الأحوال المسلمات ومن إلى النجاسة بعده
 من بقية النساء فما استغنوا به منهن قد اختلف أهل العلم في الآية فقال الحسن مجاهد
 وغيرهما المعنى فما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الشرعي وعلى هذا الآية وإرد
 في النكاح الصحيح وإن الزوج متي وطيمها ولو مرة وجب عليه مهرها المسمى أو مهر المثل ولكن
 يرد على هذا أنها تنكر مع قوله سابقاً وأقول النساء صدقاتهن وقال الجمهور إن المراد بهذه
 الآية نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام حيث كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً
 ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بشوب أو غيره ويقضي منها وطرة ثم يهرجها ويؤيد ذلك قراءة
 أبي بن كعب وابن عباس وسعيد بن جبيرة فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ثم نهن
 عنهن النبي صلى الله عليه وسلم كما صح ذلك من حديث علي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة وعن الجوهري
 الأهلية يوم خير وهو في الصحيحين وغيرهما وفي صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من
 النساء والله قد حرم ذلك إلى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فيلحق سبيلها ولا تأخذوا
 مما آتيتوهن شيئاً وفي لفظ مسلم أن ذلك كان في حجة الوداع فهذا هو الناسخ وقال سعيد
 بن جبيرة نسخها الآية الميراث إذ المتعة لا ميراث فيها وقالت عائشة والقاسم بن محمد ثم نهنها
 ونسخها في القرآن وذلك قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم
 أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين وليست المنكوحة بالمتعة من أزواجهم ولا ما
 ملكت أيمانهم فإن من شأن الزوجة أن تراث وتورث وليست المستتعة بها كذلك الأخاء
 في تحليل المتعة ثم نهنها وهل كان نسخها مرة أو مرتين مذكورة في كتب الحديث وقد روي
 عن ابن عباس أنه قال يجوز المتعة وأنها باقية لم تنسخ وروى عنه أنه رجح عن ذلك عند
 أن بلغه النسخ وقد قال بجوازها جماعة من الروافض ولا اعتبار بأقوالهم وقد اتعب نفسه
 بعض المتأخرين بتكثير الكلام على هذه المسئلة وتقوية ما قاله الجمهور وإن لها وليس هذا المقام
 مقام بيان بطلان كلامه وقد طول الشوكاني البحث ودفع الشبهة الباطلة التي تفسد بها الجمهور

في شرحه للسنن فليرجع اليه وقال ابن العربي واما متعة النساء في من غرائب الشريعة
 لانها ايجت في صدر الاسلام ثم حرمت يوم حبر فراجعت في غزوة اوطاس ثم حرمت بعد
 ذلك واستقر الامر على التحريم وليس لها اخت في الشريعة الامسألة القبلة فان النسخ طرأ
 عليها مرتين ثم استقرت حكاها القرطبي عنه فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ أي مهودهن التي فرضت
 لهن واما سمي المهر اجرا لانه بدل عن المنفعة لا عن العين فَرِيضَةٌ أي مفروضة مسماة
 وقد كمل بهذا الوصف ما قبله ودخل به على ما بعده في مصدر موكد او حال من اجورهن
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِنَ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ انتم وهن من بعد الفريضة أي من زيادة
 ونقصان في المهر فان ذلك سأتع عند التراضي هذا عند من قال ان الآية في النكاح
 الشرعي واما عند الجمهور القائلين بانها في المتعة فالمعنى التراضي في زيادة مدة المتعة
 ونقصانها وفي زيادة ما دفعه اليها الى مقابل الاستمتاع بها ونقصانها وقيل ما
 تراضيت به من الإبراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم
 ان هب المرأة الزوج مهرها وان هب الرجل للمرأة التي لم يدخلها نصف المهر الذي لا يجليه
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِمَا يُصْلِحُكُمْ فِي مَا تَحْكُمُ وغيرها من سائر اموركم وعلما بالاشياء قبل
 خلقكم أَحْكُمًا فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم وينهاكم منه ولا يدخل حكمه ظل ولا زلل
 وفيما فرض لكم من عقد النكاح الذي به حفظت الأنساب ومن شريطة او موصولة لكم
بَسْطُكُمْ مِنْكُمْ طَوْلًا الغناء والسعة قاله ابن عباس وجاهد وسعيد بن جبير و
 السدي وابوزيد ومالك والشافعي واحمد واسحاق وابو ثور وجمهور اهل العلم واما سمي
 الغناء طولا لانه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول كناية عما يصرف اليه المهر والنفقة
 يقال طال يطول طولا في الفضل والقدرة وفلان ذو طول اي ذو قدرة في ماله والطول
 بالضم ضد القصم وقال قتادة والفخي وعطاء والثوري ان الطول الصبر ومعنى الآية عند
 من كان يهوي امة حتى صار لذلك لا يستطيع ان يتزوج غيرها فان له ان يتزوجها
 اذ لم يملك نفسه وخاف ان يبغى بها وان كان يجد سعة في المال لنكاح حرة وقال ابو حنيفة
 وهو يروي عن مالك ان الطول المرأة المحرة فمن كان تحت حرة لم يحل له ان ينكح امة ومن لم يكن

تحت سرية داراه ان يتزوج امة ولو كان غنيابة قال ابو يوسف وانما امر ابن جبريل
 له والقول الاول هو المطابق لمعنى الآية ولا يخلو ما عداه عن شكك فلا يجوز للرجل ان يتزوج
 بالامة الا اذا كان لا يقدر على ان يتزوج بالحرة لعدم وجود ما يحتاج اليه في تكاثرها من مهر
 وغيره ان يتزوج المحصنة الحرة المؤمنة هو جري على الغالب فلا مضموم له ومعنى الآية فمن
 لم يستطع منكم غناء وسعة في ماله يقدر بها على تكاثر المحصنات المؤمنات
 فمن؟ اي فليكن مما ملكتم ايما كنتم يعني جارية اخيك المؤمن ودخلت الفاء
 في قوله فمما ملكتم لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقد عرفت انه لا يجوز للرجل الحرة ان يتزوج
 بالملوكة الا بشرط عدم القدرة على الحرة والشرط الثاني ما سيذكره الله سبحانه اذ اورد
 من قوله ذلك لمن خشي العنت منكم فلا يجل للفقران يتزوج بالملوكة الا اذا كان يخشى على
 نفسه العنت والمراد هنا امة المملوكة للغير واسما امة الانسان نفسه فقد وقع الاجماع على
 انه لا يجوز له ان يتزوجها وهي تحت ملكه لتعارض الحقوق واختلافها من فتية المؤمنين
 وقد استدلل بهذا على انه لا يجوز تكاثر امة الكناينة وبه قال اهل الحجاز وجوزة اهل العراق
 والفتيات جمع فتاة وهي الشابة من النساء والعرب تقول للمملوك فتى والمملوكة فتاة وفي
 الحديث الصحيح لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن ليقل فتاتي وفتاتي والله اعلم بايمانكم
 فيه تسليمة لمن يتزوج امة اذ اجتمع فيه الشرطان المذكوران اي كلهم بنو آدم وكرمهم
 عند الله اتقاكم فلا تستنكفوا من الزواج بالاماء عند الضرورة فوما كان ايمان بعض
 الاماء افضل من ايمان بعض الحرائر والجملة اعتراضية تفيد ان الايمان كاف في تكاثر امة
 المؤمنة ولو ظاهرا ولا يشترط في ذلك ان يعلم ايمانها علما يقينيا فان ذلك لا يطرح حليلا
 الله تعالى بعضكم من جنس بعض اي انهم متصلون في الانساب لانهم جميعا بنو آدم و
 متصلون في الدين لانهم جميعا اهل ملة واحدة وكنائهم واحد وبنيتهم واحد والمراد هنا
 توطئة نفوس العرب لانهم كانوا يستهجنون اولاد الاماء ويستصغرونهم ويغضون منهم
 ويسمون ابن امة الهجين فاعلم الله ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتدخلكم شيوخ وانفة
 من التزويج بالاماء فانكم متساوون في النسب الى آدم وقال ابن عباس يريدان المؤمنان

بعضهم أكفاء بعض أي فلا يترفع المحرم عن نكاح الأمة عند الحاجة إليه فأنكحوهن
 بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ أي بأذن المالكين لهن ومواليهن لأن منافعهن لهن لا يجوز لغيرهن أن
 ينتفع بشيء منها إلا بأذن من هي له واتفق أهل العلم على أن نكاح الأمة بغير إذن سيدها
 باطل لأن الله تعالى جعل إذن السيد شرطاً في جواز نكاح الأمة وأتواهم أجورهم
 بالمعروف أي ادوا اليهن مهورهن بما هو المعروف في الشرع من غير مطلق ولا نقص
 ولا ضرر وقيل مهوراً مثلاً لهن وقد استدلل بهذا لقول إن الأمة أحق بمهرها من سيدها
 وإلى ذلك ذهب مالك وذهب الجمهور إلى أن المهر للسيد وإنما أضافها إليهن لأن التادية
 إليهن تادية إلى سيدهن لكونهن ماله مخصصة عفائف حال غير مسفحة زانيات جبراً
 غير معلنات بالزنا وهذا الشرط على سبيل التدب بناء على المشهور من جواز نكاح الزواني
 ولو كان أماء قاله الخطيب ولا تتخذت أخداً إخلاء بزوني بهن سواء الأخدان الأخلاء
 والأخندن والأخندن المخادون أي المصاحب قيل ذات الأخدن هي التي تزني سراً فهو مقابل
 للمساخنة وهي التي تجاهر بالزنا وقيل المساخنة المهذولة ذات الأخدن التي تزني بواحد
 وكانت العرب تعيب الإعلان بالزنا ولا تعيب اتخاذ الأخدان ثم رفع الإسلام جميع ذلك
 فقال الله ولا تقر بوا القوا حش ما ظهر منها وما بطن وقال أبو زيد الأخدان الأصداق
 على الفاحشة فإذا أحصين فإن آتئين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من
 العذاب المراد بالاحصان هنا الإسلام روي ذلك عن ابن مسعود وابن عمر عن انس
 ولا سود بن يزيد وزر بن حبيش وسعيد بن جبيرة وعطاء والنخعي والشعبي والسدي
 وروي عن عمر بن الخطاب بأسناد منقطع وهو الذي نص عليه الشافعي وقال الجمهور
 وقال ابن عباس وأبو الدرداء وبجاءه دوعكرمة وطاؤس وسعيد بن جبيرة والحسن
 قتادة وغيرهم أنه التزويج وروي عن الشافعي فعل القول الأول لأحد على الأمة الكافرة
 وعلى الثاني لأحد على الأمة التي لم تزوج وقال القاسم وسالم أحصاها إسلامها وعفافها
 وقال ابن جرير إن معنى القرأتين مختلف فمن قرأ أحصن بضم الهمزة فتعناه التزويج و
 من قرأ بفتح الهمزة فتعناه الإسلام وقال قوم إن الاحصان المذكور في الآية هو التزويج

ولكن المحرم والمسلم على الامة المسلمة اذا زنت قبل ان تزوج بالسنة وبه قال الزهري قال
 ان عبد البر يظاهر قول الله عز وجل يقتضي انه لا حد على الامة وان كانت مسلمة الا بعد التزويج
 فجماعت السنة تجلدها وان لم تحصن وكان ذلك زيادة بيان قال القرطبي ظهر المسلم حتى
 لا يستباح الا بيقين ولا يقين مع الاختلاف لولا ما جاء في صحيح السنة من اجلد قال ابن كثير
 في تفسيره والظاهر والله اعلم ان المراد بالاحصان هنا التزويج لان سياق الآية يدل عليه
 حيث يقول سبحانه ومن لم يستطع منكم طولا لفته فاذ احصن الآية فالسياق كله في
 الفتيات المؤمنات فتعين ان المراد بقوله فاذ احصن اي تزوجن كما فسر به ابن عباس
 ومن تبعه قال صلى الله عليه وسلم كلا القولين اشكال على من ذهب الجمهور لانهم يقولون ان الامة اذا
 فعلوها خمسون جلدة سواء كانت مسلمة او كافرة مزوجة او بكرا مع ان مفهوم الآية
 يقتضي انه لا حد على غير المحصنة من الاماء وقد اختلفت اجوبتهم عن ذلك ثم ذكر ان
 منهم من جاب وهم الجمهور بتقديره منطوق الاحاديث على هذا المفهوم ومنهم من عمل
 على مفهوم الآية وقال اذا زنت ولم تحصن فلا حد عليها وانما تضر بتأديبا قال وهو المحكي
 عن ابن عباس واليه ذهب طائفة وسعيد بن جبير وابو عبيد وداود الظاهري في رواية
 عنه فهو لا يقدروا مفهوم الآية على العموم واجابوا عن مثل حديث ابي هريرة وزين
 خالد في الصحيحين وغيرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الامة اذا زنت ولم تحصن قال ان
 زنت فاجلدها ثم ان زنت فاجلدها ثم ان زنت فاجلدها ثم ان زنت فاجلدها ولو بضعف بيان
 المراد بجلدها التاديب وهو تعسف وايضا قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امرأة لم تجلد لها الحد ولا يثرب عليها ثم ان
 زنت فليجلدها الحد الحديث ولمسلم من حديث علي يا ايها الناس اقيموا على رقائكم الحد
 من احصن ومن لم يحصن فان الامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فامرني ان اجلدها الحديث
 واما ما اخرج سعيدي بن منصور وابن خزيمة والبيهقي عن ابن عباس قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على الامة حد حتى تحصن بزوجه فاذ احصنت بزوجه فليجلدها نصف ما على الحصنات
 من العزل فقيل قال ابن خزيمة والبيهقي ان رفعه خطأ والصواب وقفه والفاشحة هنا

فعلين نصف ما على المحصنات أي الحرائر لا بكراذ ان نين لان الشيب عليهما الرجم وهو
 لا ببعض وقيل المراد بالمحصنات هنا المزوجات لان عليهما الجلد والرجم والرجم لا يتبعض فصار
 عليهن نصف ما عليهن من الجلد فيجلدن خمسين ويعربن نصف سنة والمراد بالعذاب هنا
 الجلد وانما نقص حد الاماء عن حد الحرائر لضعف وقيل لافن لا يصلن الى مرادهن
 كما تصل الحرائر وقيل لان العقوبة تجب على قدر النعمة كما في قوله تعالى يضاعف لها العذاب ^{ضعفين}
 ولم يذكر الله سبحانه في هذه الآية العبيد وهم لاحقون بالاماء بطريق القياس كما يكون
 على الاماء والعبيد نصف احد في الزنا كذلك يكون عليهم نصف احد في القذف والشرب
 ذالك اي نكاح المملوك كالعبد الطويل خشي العنت العنت الوقوع في الاثم وقيل الزنا و
 اصله في اللغة انكسار العظم بعد الجبر ثم استعير لكل مشقة وارين ههنا ما يجر اليه الزنا
 من العقاب الديني والآخر دني والمعنى ذلك لمن خاف ان تحله شدة الشبق والغلبة
 وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهي شدة العزوبة
 فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت
 وكون الامة مؤمنة وفي القاموس العنت الفساد والاثم والهلاك ودخول المشقة على
 الانسان ولقاء الشدة والزنا والوهي والانكسار اكتساب لما ثم واعنته خيرة وعنته
 تعنتا شدد عليه والزما ما يصعب عليه منكم يخافون من لا يخافه من الاحرار ذالك الجدل
 في حكمها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعي وكذا مالك واحمد وان تصبروا
 اي صبركم عن نكاح الاماء خير لكم من نكاحهن لان نكاحهن يفضي الى ارفاق الولد و
 الغرض من النفس والله غفور رحيم هذا كالتاكيد لما تقدم يريد الله ليبين لكم استيناف
 مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وكونها جارية على مناهج المهتمدين من الانبياء والصالحين
 واللام ههنا لام كي التي تعاقبان ومنه يريدون ليطفئوا نوره باقوا همهم وامرهم لا
 ينكروا امرنا لنسلم الرب العالمين وخطأ الزوجاج هذا القول وقيل اللام زائدة لتأكيد معنى
 لا تقبال ولتأكيد ارادة التبيين وبه قال الزمخشري والسمين ومعنى الآية يريد الله ان
 يبين لكم مصلحتكم وما يحل لكم وما يحرّم عليكم وقيل بين لكم ما يقر بكم منه وقيل بين

ان الصبر على نكاح الامة خير لكم ويهدى لكم سنن الذين من قبلكم اي طرقهم في حرم
الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وهم الانبياء واتباعهم لم يقدروا
بهم ويريد ان يتوب عليكم يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها الى طاعته فبقوا اليه
وتلافوا ما فرط منكم بالتوبة يغفر لكم ذنوبكم والله عليم بمصالح عباده في امر دينهم دنياهم
حكيم فيما دبر امورهم والله يريد ان يتوب عليكم هذا تأكيد لما قد فهم من قوله ويتوب
عليكم المتقدم وقيل الاول معناه الارشاد الى الطاعات والثاني فعل اشباهها وقيل ان الثاني
ليبين كمال منفعة ارادته سبحانه وكمال ضرر ما يريد الذين يتبعون الشهوات ليس
المراد به مجرد ارادة التوبة حتى يكون من باب التكرير للتأكيد قيل هذه الارادة منه سبحانه
في جميع احكام الشرع وقيل في نكاح الامة فقط وقال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من
كل ما يكره الى ما يحب يرضى وقيل معناه يدل لكم على ما يكون سببا لتوبكم التي يغفر لكم بها
ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فنتوب عليكم ويغفر لكم
ويريد الذين يتبعون الشهوات المراد بالشهوات هنا ما حرمه الشرع دون ما احل الله
في تعيين متبعي الشهوات فقيل هم الزناة وقيل اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة وقيل
هم الجوس لانهم ارادوا ان يتبعهم المسلمون في نكاح الاخوات من الاب وبنت الاخ والاول
اولى ان يميلوا عن الحق وقصد السبيل بالمعصية فتكونوا مثلهم ميلا عظيما يعني
باتيانكم ما حرم الله عليكم والميل العدول عن طريق الاستواء ووصف الميل بالعظيم
بالنسبة الى ميل من اقترف خطية نادرا يريد الله ان يخفف عنكم احكام الشرع
بما من من الترخيص او بكل ما فيه تخفيف عليكم وخلق الانسان ضعيفا عاجزا غير قادر
على ملك نفسه ودفعها عن شهواتها وقلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وفاء بحق
التكليف فهو محتاج من هذه الحيثية الى التخفيف فلما اراد الله سبحانه التخفيف وقيل هو ضعف
في اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين وقيل انه لضعفه يستميله الهوى فهو ضعيف العزم
عن الهوى ياكها الذين امنوا شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس
اثريين المحرمات المتعلقة بالابضاع لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل يعني بالحرام الذي

لا يحل في الشرع والباطل ما ليس بحرم ووجوه ذلك كثيرة كالربا والقمار والغصب والسرقة
 والخيانة وشهادة الزور واخذ الاموال باليمين الكاذبة ونحو ذلك ومن الباطل البيوعات التي
 هي عنها الشرع وانما خص الاكل بالذكر ولفظ عنه تنبيه على غير من جميع التصرفات الواقعة
 على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل
 ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه
 وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
 التجارة في اللغة عبارة عن المعاوضة وهذا الاستثناء منقطع اي لكن اموال تجارة صادقة
 عن تراض منكم وطيب نفس جائزة بينكم ولكم ان تاكلوها ولكن كون تجارة عن تراض منكم
 حلالا لكم لان التجارة ليست من جنس اكل المال بالباطل ولان الاستثناء وقع على الكون
 والكون معنى من المعاني ليس مالا من الاموال فكان الالهنا بمعنى لكن وقوله عن تراض صفة
 للتجارة اي كائنة عن تراض وانما نص الله سبحانه على التجارة دون سائر انواع المعاوضات
 كالهبة والصدقة والوصية لكونها اكثرها واخْلِصها ولان اسباب الرزق متعلقة بها خالفا
 لانها ارفق بزوى المروءات بخلافها لانها بطلب الصدقات تطلق التجارة على جزاء الاعمال
 من الله على وجه الجواز ومنه قوله تعالى هل اذكركم على تجارة تخيبركم من عبد اليم ومولاه
 يرجون تجارة لن تبور واختلف العلماء في التراضي فقال طائفة تمامه وجوبه بافتراق الابدان
 بعد عقد البيع او بيان يقول احدهما صاحبه اخذوا اليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين
 وبه قال الشافعي والثوري والليث وابن عيينة واسحق وغيرهم وقال مالك وابو حنيفة
 تمام البيع هو ان يعقد البيع بالالسنة فيرفع بذلك الخيار واجابوا عن الحديث بما لا يطابق
 تحته وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة وبالنصب على انها ناقصة وروى الطبراني
 وابن ابي حاتم قال السيوطي بسند صحيح عن ابن مسعود قال انها يعني هذه الآية محكمة ^{لشئ}
 ولا تنسخ في يوم القيمة وعن عكرمة والحسن قال لا كان الرجل يخرج ان يأكل عند احد من الناس
 ما تزل هذه الآية ففهم ذلك الآية التي في النول ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم الآية واخرج ابن
 ماجه وابن المنذر عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما البيع عن تراض ^{لا تقتلوا انفسكم}

اي لا يقتل بعضكم ايها المسلمون بعض الا بسبب اثبتته الشريعة وانما قال انفسكم لانهم اهل
دين واحد ففهم كذفس واحد وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع الا لا ترجعوا
بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا لفي للناس من قتل نفسه
باركاب ما يؤدي الى هلاكها اخرج البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا فخلد فيها ابدا ومن شتى
سما فقتل نفسه فسمه في يده يخساره في نار جهنم خالدا فخلد فيها ابدا ومن قتل نفسه بحدية
خلد يديه في يده يتوجأ بهما في بطنه اي يضرب بها نفسه في نار جهنم خالدا فخلد فيها ابدا
وفي البا باحدين ولا تقتلوا انفسكم واقتلوا المعاصي يعني لا يفعل شيئا يستحق به القتل مثل
ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه بكسب الجريمة وقيل لا تقتلوا باكل
المال الباطل وقيل لا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا رما ادى الى قتلها والمراد النفي عن ان يقتل
الانسان نفسه حقيقة ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني وما يدل على ذلك احتجاج
عمر بن العاص بها حين لم يغتسل بالماء البارد حين اجنب في غزوة ذات السلاسل فقرر
النبي صلى الله عليه وسلم احتجاجه وهو في مسند احمد وسنن ابي داود وغيرهما ان الله كان بكم رحيمًا
ومن رحمته بكم ان يهاكم عن كل شيء تستوجبون به مشقة او محنة وقيل ان الله تعالى امرني
اسراييل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم رحيمًا حيث لم يكفر
تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اي القتل خاصة واكل اموال الناس باطلا
وقيل هو مشاركة الى كل ما في عنه في هذه السورة وقال ابن جرير انما تد على ما في عنه من
الخر وعيد وهو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا اجل لكم ان تراثوا النساء كرها لان كل ما في عنه
من اول السورة قرن به وعيد الا من قوله يا ايها الذين امنوا لا اجل لكم فانه لا وعيد
بعده الا قوله ذلك عدل وانما على الغير وظلم على النفس لاجهلا ونسيانا وسفها وعلى هذا
لا يرد انه كيف قدم الاخص على الاعم اذ التجاوز عن العدل جور ثم طغيان ثم تعدد والكل ظلم
والعدل ان تجاوز الحد والظلم وضع الشيء في غير موضعه وقيل ان معنى العدوان والظلم
واحد وتكريره لتقصد التاكيد لان يقال ان العطف باعتبار التعاير في المفهوم كما تقدم

وخرج بقيد العدوان والظلم ما كان من القتل بحق كالقصاص وقتل المرتد وسائر الحدود
 الشرعية وكذلك قتل الخطاء فسوّف نُصلي به أي ندخله في الآخرة فأرا عظميته يحترق فيها
 وقرئ نُصلي به بفتح النون وهو على هذا منقول من صله ومنه شاة مصلية وكان ذلك
 أي أصلاه النار على الله يسيراً أهيناً لأنه لا يجوز شيء إن تجتنبوا أكبراً ثم ما تنهون عنه
 أي الذنوب التي نهاكم الله عنها وفي الكلام حذف أي وتفعلوا الطاعات فكثير محذوكم
 أي يسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لأن أصل التكفير السر والتغطية سبباً تكو
 أي ذنوبكم التي هي صغائر فالتكفير ليس مرتباً على الاجتناب وحده وحمل السيئات على الصغائر
 هنا متعين لذكر الكبائر قبلها وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات واجتناب الشيء للكبائر
 عنه وتركه جانباً والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقد اختلف أهل
 الأصول في تحقيق معنى الكبائر فتر في عددها فاما في تحقيقها فقليل أن الذنوب كلها كبائر
 يقال لبعضها صغيرة بالاضافة الى ما هو أكبر منها كما يقال الزنا صغيرة بالاضافة الى الكفر
 والقبلة المحرمة صغيرة بالاضافة الى الزنا وقد روي نحو هذا عن الاسفرائيني والجمهور والقشيري
 وغيرهم قالوا والمراد بالكبائر التي يكون اجتنابها سبباً لتكفير السيئات هي الشرك واستدلوا
 على ذلك بقراءة من قرأ أن تجتنبوا كبير ما تنهون عنه وعلى قراءة الجمع فالمراد اجتناب
 الكفر واستدلوا على ما قالوه بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
 ذلك لمن يشاء قالوا فهذا الآية مقيدة لقوله ان تجتنبوا أكبراً ثم ما تنهون عنه وقال
 ابن عباس الكبيرة كل خبثته الله بناراً وغضبه لعنة او عذاب وقال ابن مسعود
 الكبائر ما نهى الله عنه في هذه السورة الى ثلث وثلثين آية قال سعيد بن جبير كل ذنب
 نسبته الله الى النار فهو كبيرة وقال جماعة من أهل الأصول الكبائر كل ذنب رتب الله عليه
 الحد وأصبح بالوعيد فيه وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذكره وقد ذكر الشوكاني
 جازاً في نيل الاوطار شرح منتهى الاخبار وقد ذكر رضي الله عنه في ارشاد الفحول من النصو
 عليها فوق الثلثين واما الاختلاف في عددها فقليل انها سبع وقيل سبعون وقيل سبعاً
 وقيل غير مخصصة ولكن بعضها أكبر من بعض وقد ثبت في الصحيحين وغيرها من حديث أبي هريرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هي يا رسول الله قال الشرك بالله و
 قتل النفس التي حرم الله الا بالحق والفسخ وكل الربا وكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنة
 الغافلة المؤمنات وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابي بكرة قال قال النبي صلى الله
 عليه وسلم الا انبئكم يا كبر الكبار ثقلنا بلى يا رسول الله قال لا شر لك بالله وعقوق الوالدين وكان
 متكئا فجلس وقال الا قول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت في
 لفظ عند البخاري عن ابن عمر وعنه صلى الله عليه وسلم واليمين الغموس واخرج الشيخان وغيرهما عن ابن
 عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكبر الكبار ان يلعن الرجل والديه قالوا وكيف يلعن الرجل
 والديه قال يسب ابا الرجل فيسب اباة ويسب امه فيسب امه وعن ابن مسعود قال
 سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي انبأ اعظم عند الله قال ان يجعل الله نكاحا وهو خلقك قلت ان
 ذلك لعظيم ثم اري قال ان تقتل ولداك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اري قال ان تزني حليلة
 جارك واخرجه البخاري وقد ثبت من الادلة المتقدمة ان من الذنوب كبائر وصغائر
 واليه ذهب الجمهور واذا تقرر هذا فنعني الآية ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وهي كل
 ذنب عظم فحبه وعظمت عقوبته اما في الدنيا باحد ودواما في الآخرة بالعدل عليه يسترها
 عليكم فصغار الذنوب تكفرها الحسنات ولا تكفر كبرها الا بالتوبة والاقلاع عنها والاكثار
 في تعداد الكبائر وتعيينها كثيرة جدا فمن رام الوقوف على ما ورد في ذلك فعليه بكتاب
 الزاوج عن اقران الكبار ثم فانه قد جمع فاعموا علم انه لا بد من تقييد ما في هذه الآية
 من تكفير السيئات بمجرد اجتناب الكبائر ثم اخرجنا النسائي وابن ماجه وابن جرير وابن
 ابان وابن جابر والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابي هريرة وابي سعيد ان النبي صلى الله
 عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان
 ويؤدى الزكاة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ابواب الجنة الثانية يوم القيمة حتى انها
 لتصفق ثم تلى هذه الآية وعن ابن مسعود قال ان في سورة النساء خمس ايات ما يسرني
 ان لي بها الدنيا وما فيها ولقد علمت ان العلماء اذا مروا بها يعرفونها قوله تعالى ان تجتنبوا
 كبائر ما تنهون عنه الآية وقوله تعالى ان الله لا يظلم شيئا قال ذرة الآية وقوله تعالى ان الله

لا يعفوان يشرك به ويعفوا ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم
 جاءوك الآية وقوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية وَنُدْ خَلِكُمْ مَدْ خَلَا كَرِيْمًا
 يعني حسنا شريفا من ضيائي مد خلا تكرمون فيه والمراد بالمدخل بفتح الميم في الآية مكان
 الدخول وهو الجنة وقرئ مَدْ خَلِكُمْ كلاهما اسم مكان ويجوز ان يكون مصدرا ولا تثقوا اما
فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ التمني نوع من الارادة يتعلق بالمستقبل كالتأليف نوع
 منها يتعلق بالماضي فهي الله سبحانه المؤمنين عن التمني لان فيه تعلق بالمال ونسيان
 الاجال قاله القرطبي وفيه النهي عن ان يبغي الانسان ما فضل الله به غيره من الناس
 عليه فان ذلك نوع من عدم الرضا بالقسمة التي قسمها الله بين عباده على مقتضى
 ارادته وحكمته البالغة وفيه ايضا نوع من الحسد المخفي عنه اذا حبه ارادة زوال تلك
 النعمة عن الغير وعبارة القرطبي فيدخل فيه ان يبغي الرجل حال الآخر من دين او دنيا
 علان يذهب ما عند الآخر وهذا هو الحسد بعينه وهو الذي ذمها الله تعالى بقوله ام
يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ويدخل فيه ايضا خطبة الرجل على خطبة اخيه
 وبيعه على بيعه لانه داعية الى الحسد والمقتاتى وقد اختلف العلماء في الغبطة هل تجوز
 ام لا وهي ان يكون له حال مثل حال صاحبه من حيث ان يبغي زوال ذلك الحال عن صاحبه
 فذهب الجمهور الى جواز ذلك واستدلوا بالحديث الصحيح احسدوا في اثنتين رجل اتاه الله
القران فهو يقوم به اثناء الليل واتاه النهار ورجل اتاه الله ما لا فهو ينفقه اثناء الليل و
اتاه النهار وقد ثوب عليه البخاري باب الاختباط في العلم والحكم وعموم لفظ الآية يَقْنِضُ
 فخرتمني ما وقع به التفضيل سواء كان مصحوبا بما يصير به من جنس الحسد ام لا وما ورد
 في السنة من جواز ذلك في امور معينة يكون غرضها هذا العموم ومن الناس من منع
 من الغبطة ايضا كالا مام مالك قال لان تلك العمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين
 او الدنيا ونحوه قال الحسن وسبب نزول الآية ما قال قتادة ان النساء قلن لوجعل انصبا منا
 في الميراث كانصبا الرجال وقال الرجال اننا لارجوان تفضل على النساء بعسنا تنافى في الآخرة كما
 فضلنا عليهن في الميراث ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب للرجال نصيب

مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ فِيهِ تَخْصِيصٌ بَعْدَ التَّعْمِيمِ وَرُجُوعٌ إِلَى مَا تَتَضَمَّنُهُ سَبَبُ
 نَزُولِ الْآيَةِ مِنْ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا تَغْزُو وَلَا تَقَاتِلُ فَتُسْتَشِيرُهُ
 وَأَمَّا لِنَاصِفِ الْمِيرَاثِ فَتَزَلَّتْ أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ حَمِيدٍ وَالتِّرْمِذِيُّ
 وَالحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَغَيْرُهُمْ وَقَدْ رَوَى نَحْوُ هَذَا السَّبَبِ مِنْ طَرِيقٍ بِالْقَاطِ
 مُخْتَلَفَةٍ وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِكُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ نَصِيبًا عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْإِدَّةُ
 وَحِكْمَتُهُ وَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ الْمَجْعُولِ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْ فَرِيقِي النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ بِالنَّصِيبِ مِمَّا اكْتَسَبُوا
 عَلَى طَرِيقِ الاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ شَبِيهَ اقْتِضَاءِ حَالِ كُلِّ فَرِيقٍ لِنَصِيبِهِ بِاِكْتِسَابِهِ آيَةً قَالَ قَنَادَةُ
 لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَلِلنِّسَاءِ كَذَلِكَ وَلِلْمَرْأَةِ الْجُزْءُ عَلَى الْحَسَنَةِ
 بَعَثْنَا مِثْلَهَا كَمَا لِلرِّجَالِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمِيرَاثُ وَالْاِكْتِسَابُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ
 بِمَعْنَى الْأَصَابَةِ لِذِكْرِ مِثْلِ حُظِّ الْأُنثَى فَنَحْنُ اللَّهُ عَنْ التَّمَيُّزِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاعِي
 الْحَسَدِ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِمْ مِنْهُمْ فَوْضَعَ الْقِسْمَةَ بَيْنَهُمْ عَلَى التَّفَاوُتِ عَلَى مَا عَلِمَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ
 وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ هَذَا الْأَمْرُ يَدُلُّ عَلَى وَجوبِ سَوْأَلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ
 أَهْلِ الْعِلْمِ وَعَنْ جَاهِدٍ قَالَ لَيْسَ بِعَرَضِ الدُّنْيَا وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ الْعِبَادَةُ لَيْسَ مِنْ
 أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْفَضْلُ الرِّزْقُ وَقِيلَ الْفَضْلُ خِزَانُ نِعْمَةٍ الَّتِي لَا تَفَادُلُهَا
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا أَيُّ مَا يَكُونُ صَلَاحًا لِلنَّاسِ ثَلَاثِينَ فَلْيَقْتَصِرِ السَّائِلُ عَلَى الْجَمَلِ فِي
 الطَّلَبِ وَكُلِّ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مَفْعُولٌ ثَانٍ قَدْ مَلَكَ كَيْدَ الشُّمُولِ جَعَلْنَا مَوَالِي يَلُونُ مِيرَاثَهُمْ
 وَهُوَ جَمْعُ مَوْلَى يُطْلَقُ عَلَى الْمُعْتَقِ الْمُعْتَقِ وَالنَّاصِرِ وَابْنُ الْعَمِّ وَالْحَارِ وَالْمُرَادُ هُنَا الْعَصْبَةُ أَيُّ السُّكُلِ
 جَعَلْنَا عَصْبَةَ يَرِثُونَ مَا بَقِيَ الْفَرَائِضُ فَلَا حَقَّ لِلْخَلِيفَةِ فِيهَا وَهُمْ يَرِثُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
 وَالْأَقْرَبُونَ مِنْ مِيرَاثِهِمْ وَهُمْ الْمَوْرُوثُونَ وَقِيلَ هُمُ الْوَارِثُونَ وَالْأَوَّلُ أَوَّلِي لَدُنْهُ مَوْثِي عَلَى ابْنِ
 عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مَقْرُوءَةٌ لِمُضْمُونِ مَا قَبْلُهَا أَيُّ لِيَتَّبِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا قَسَمَ اللَّهُ
 لَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ وَلَا يَتَّقَنَّ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فِيلَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ لِقَوْلِهِ
 لِعَدُوِّهَا وَالَّذِينَ عَقَدْتَ إِيْمَانَكُمْ وَقِيلَ الْعَكْسُ كَمَا رَوَى ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ وَذَهَبَ الْجَمْعُ إِلَى أَنَّ

النافع لقوله تعالى والذين عقدت ايمانكم قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
 والذين عقدت ايمانكم اي الحلفاء الذين عاهدتم في الجاهلية على النصرة لا ريب
 فالمراد بهم موالى المولاة فقد كان الرجل من اهل الجاهلية يعاهد الرجل اي يحالفه
 من ميراثه نصيبا ثم ثبت في صدر الاسلام هذه الآية ثم نسخ بقوله واولوا الارحام
 بعضهم اولى ببعض وهذا احد قولين في معنى الآية والاخر ما اخرج البخاري وابوداود
 والنسائي عن ابن عباس ولكل جعلنا موالى ورثة والذين عقدت ايمانكم قال كل المهاجرو
 لما قدموا المدينة يرث المهاجري الا نصا كودون ذوي رحمه للاخوة التي اتى النبي صلى الله
 عليه وسلم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى نسخت ثم قال والذين عقدت ايمانكم فانهم نصيبهم
 من النص والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث وبوصى له وفي الباب احاديث بطرق
 والفاظ وفي الجلالين نصيبهم حظهم من الميراث وهو السدس وهو منسوخ كما تقدم
 وقرئ عقدت بتشديد القاف على التثنية اي والذين عقدت ايمانكم احلفاء عقدت
 عندهم ايمانكم والتقدير على قراءة الجمهور والذين عاهدتم ايمانكم والامان جمع يمين مثل
 ان يراد به القسم او اليمين او جميعا ونسبة المعاقد او العقد الى الامان مما روي
 التقدير عقدت ذوا ايمانكم والمعاقد المعاقدان الله كان على كل شئ شهيدا
 قال عطاء يري ان لم يغيب عنه علم ما خلق برء فعله هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد
 عليه جميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيمة بكل ما عملوه فعلم هذا
 الشاهد بمعنى المحين وفيه وعد للطائعين وعيد للعصاة الخافين الرجال قومون
 مسلطون على النساء كلام مستأنف سيق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث
 تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وعلى ذلك با مرين او طما وهي والثاني كسبي
 والمعنى انهم يقومون بالذب عنهم كما يقوم المحكام والامراء بالذب عن الرعية وهم ايضا
 يقومون بما يحتاج اليه من النفقة والكسوة والمسكن وجاء بصيغة المبالغة لتدل على اخص
 في هذا الامر وهو جمع قوام وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب يشير به الى ان المراد
 قوام الولاة على الرعايا قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها وان

بما الباء سببية وما مصدرية فصل الله والضهير في قوله بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ للرجال و
النساء اي انما استحقوا هذه المزية لتفضيل الله اياهم عليهم بما فضلهم به من كون فيهم
الانبياء والخلفاء والسلاطين والحكام والائمة والغزاة وزيادة العقل والدين والشهادة
والجمعة والجماعات وان الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ونكاح
النصيب والتعصيب في الميراث وببداة الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانسحاب غير
ذلك من الامور فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء وَمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِي سَبِيلِ الْإِنْفَاقِ
وَمَا كُنْتُمْ فِيهِمْ مُهْرُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وكذلك ما ينفقونه في الجهاد وما يلزمهم في العقل
والدية وقد استدلل جماعة من العلماء بهذه الآية على جواز فسخ النكاح اذا عجز الزوج عن
نفقة زوجته وكسوتها وبه قال مالك والشافعي وغيرهما فَالطَّلَاقُ اي المحسنات العاملات
بالخير من النساء قُنِيَتْ اي مطيعات لله قائمات بما يحب عليهن من حقوق الله وحقوق
ازواجهن حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ لما يحب حفظه عند غيبة ازواجهن عنهن من حفظ نفقتهن
وفروجهن وحفظ اموالهن وما في قوله يَا حَفِظَ اللَّهُ مصدرية اي يحفظ الله اياهن و
معونته وتسديده او حافظات له بما استحفظهن من اداء الامانة الى ازواجهن على
الوجه الذي امر الله به او حافظات له بحفظ الله لهن بما اوصى به الا ازواج في شأ^{هن}
من حسن العشرة وقرئ بما حفظ الله بنصيب الاسم الشريف والمعنى بما حفظن اموره او
فخذت الضهير الراجع اليهن للعلم به وما على هذه القراءة مصدرية او موصولة كالقراءة
الاولى اي يحفظهن الله او بالذي حفظن الله به وقال السدي تحفظ على زوجها ما له
وفرعها حتى يرجع كما امرها الله والتي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ هذا خطاب للازواج قيل الخوف
هنا على بابه وهو حالة تحدث في القلب عند حدوث امر مكروه او عند ظن حدوثه
وقيل المراد بالخوف هنا العلم والنشوز العصيان وقد تقدم بيان اصل معناه في اللغة
قال ابن فارس يقال نشزت المرأة استصعبت على عملها ونشز بعلمها عليها اذا خسر^{ها}
وجفأها دلالات للنشوز قد تكون بالقول والفعل بان رفعت صوتها عليه او لم تحبه اذا
دعأها ولم تبادر الى امره اذا امرها او لا تخضع له اذا خاطبها او لا تقوم له اذا دخل عليها

يُطَوُّهُنَّ أَي ذَكَرَهُنَّ بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ الطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْمَعَاشَةِ وَرَغْبَتِهِنَّ
 وَرَهْبَتِهِنَّ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُنَّ أَمَارَاتُ النُّشُوزِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ لَهَا اتَّقِي اللَّهَ وَخَافِيهِ فَإِنْ لِي
 عَلَيْكَ حَقٌّ وَارْجِعِي غَمًّا أَنْتَ عَلَيْهِ وَاعْلَمِي أَنْ طَاعَتِي فَرَضٌ عَلَيْكَ وَخَوْذَكَ فَإِنْ أَصَبَتْ
 عَلَى ذَلِكَ هَجْرَهَا فِي الْمَضْجَعِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَالْهَجْرُ وَهْنٌ فِي الْمَضْجَعِ يَقَالُ هَجْرٌ أَي تَبَاعُدٌ مِنْهُ
 وَالْمَضْجَعُ جَمْعُ مَضْجَعٍ وَهُوَ مَحَلُّ الْأَضْطِجَاعِ أَي تَبَاعُدٌ عَنْ مَضَاجِعَتِهِنَّ وَلَا تَدْخُلُونَهُنَّ
 مَا تَجْعَلُونَهُ عَلَيْكُمْ حَالَ الْأَضْطِجَاعِ مِنَ الثِّيَابِ وَقِيلَ هُوَ أَنْ يُولِيَهَا ظَهْرَهُ عِنْدَ الْأَضْطِجَاعِ
 فِي الْفِرَاشِ وَقِيلَ هُوَ كِتَابَةٌ عَنْ تَرْكِ جَمَاعَتِهَا وَقِيلَ لَا تَبِيتَ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَضْطِجِعُ فِيهِ
 وَأَضْرَى بُوَهُنَّ أَنْ لَمْ يَنْزَعَنَّ بِالْهَجْرِ أَنْ ضَرَّ بِأَخِيرِ مَبْرَحٍ وَلَا شَائِنَ وَظَاهِرُ النِّظْمِ الْقِرَافِيُّ يَحْجُزُ
 لِلزَّوْجِ أَنْ يَفْعَلَ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ عِنْدَ خِفَافَةِ النُّشُوزِ وَقِيلَ حُكْمُ آيَةِ مُشْرُوعٍ عَلَى
 التَّرْتِيبِ وَأَنْ دَلَّ ظَاهِرُ الْعُطْفِ بِالْوَاوِ عَلَى الْجَمْعِ لِأَنَّ التَّرْتِيبَ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَرِينَةِ الْمَقَامِ
 وَسُوقِ الْكَلَامِ لِلرَّفْقِ فِي إِصْلَاحِهِنَّ وَادْخَالِهِنَّ تَحْتَ الطَّاعَةِ فَالْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ
 مَرْتَبَةٌ أَي لَا تَهْلِكُ الدَّفْعُ الضَّرْبُ كَدْفِ الصَّائِلِ فَاعْتَبِرْ فِيهَا الْأَخْفَ فَالْأَخْفَ وَقِيلَ إِنَّهَا
 لَا بَعْدَ عِلْمٍ تَأْثِيرِ الْوَعْظِ فَإِنَّ أَثَرَ الْوَعْظِ لَمْ يَنْتَقِلْ إِلَى الْهَجْرِ وَإِنْ كَفَاهُ الْهَجْرُ لَمْ يَنْتَقِلْ إِلَى
 الضَّرْبِ قِيلَ هُوَ أَنْ يَضْرِبَهَا بِالسَّوَاكِ وَنَحْوِهِ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ الضَّرْبُ مَبَاحٌ وَتَرْكُهُ أَفْضَلُ
 وَفِي الْحَمْلِ أَنْ كَلَامَ مِنَ الْهَجْرِ وَالضَّرْبُ مُقِيدٌ بِعِلْمِ النُّشُوزِ وَلَا يَجُوزُ بَحْرُ الظَّنِّ فَإِنْ أَطْعَمَكُمْ
 كَمَا يَجِبُ وَفَضْلٌ لَوْ أَجَبَ حَقُّكُمْ وَتَرَكْنَ النُّشُوزَ فَلَا تَتَّبِعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَي لَا تَتَعَرَّضُوا
 لَهُنَّ بِشَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُنَّ لَا يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ وَقِيلَ الْمَعْنَى لَا تَكْلِفُوهُنَّ الْحُبَّ لَكُمْ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ
 تَحْتَ اخْتِيَارِهِنَّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا إِشَارَةً إِلَى الْأَزْوَاجِ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ وَلِيْنِ الْجَانِبِ
 وَأَنْ كُنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَيْهِنَّ فَادْكُرُوا قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَإِنَّهَا فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ وَهُوَ أَصَابُ
 لَكُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تِلْكَ الْمَرْأَةُ تَنْشُرُ وَتَسْتَحْفُجُ بِحَقِّ زَوْجِهَا وَلَا تَطِيعُ أَمْرَهُ فَأَمَّا إِيَّاهُ
 يَعْظُمُهَا وَيَذْكُرُهَا بِاللَّهِ وَيَعْظُمُ حَقَّهُ عَلَيْهَا فَإِنْ قَبِلَتْ وَالْأَهْجَرُ هِيَ فِي الْمَضْجَعِ وَلَا يَكْلِمُهَا مِنْ
 قَبْرِهَا يَذْكُرُهَا وَذَلِكَ عَلَيْهَا شَدِيدٌ فَإِنْ رَجَعَتْ وَالْأَضْرَجُ هِيَ ضَرْبٌ بِأَخِيرِ مَبْرَحٍ وَلَا يَكْسُو
 لَهَا عَظْمًا وَلَا يَجْرَحُ لَهَا جَرْحًا فَإِنْ أَطَاعَتْكَ فَلَا تَقْبَلِي عَلَيْهَا الْعُلَى وَهِيَ قَالُ الْهَجْرِ هِيَ بِلِسَانِهِ

ويغلظ لها بالقول ولا يدع الجراح وسئل عن الضرب غير مبرح فقال بالسواك ونحوه
وقد اخرج الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب انه شهد خطبة
الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها انه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستوصوا بالنساء خيرا
فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة
فان فعلن فاجهن وهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اظعنكم فلا تنغوا
عليهن سبيلا واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايضرب احدكم امرأته كما يضرب العبد ترميها معها في اخر اليوم وفي هذه ليلة
علي ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج فلا يوالي بالضرب على موضع واحد
من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي
ان يكون الضرب بالمندبل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا ولا بحلقة فالتخفيف بالبلغ
شيء اول في هذا الباب قيل حكم الآية مشروع على الترتيب وقيل هذا الترتيب مراعى
عند خوف الشونر واما عند تحقق الشونر فلا بأس بالجمع بين الكل والاول اولى عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته اخرجها ابوداود
وإن خفتم شقاق بينهما قد تقدم معنى الشقاق في البقرة واصله ان كل واحد منهما
يأخذ شقا غير شق صاحبه اي ناحية غير ناحية واحدة واضيف الشقاق الى الطرفين لاجرائه
يجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقولهم يا سارق الليلة اهل الدار
الخطاب للامراء والحكام والضمر في بينهما للزوجين لانه قد تقدم ذكرهما يدل عليهما
وهو كل الرجال والنساء فابعدوا الى الزوجين برضاهما قيل الخطاب بذلك الامام وانابه
لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل كل احد من صاحب الامة وقيل هو خطاب للزوجين
حكماء رجلا من اهل اقداربه وحكماء من اهلها اي من يصلح للحكم بينهما من اهلها
فاذا لم يوجد الحكماء منهم كانا من غيرهم وهذا اذا اشكل امرهما ولم يتبين من هو المسيئ
منهما فاما اذا عرف المسيئ فانه يؤخذ لصاحبه الحق منه والبعث واجب كون الحكمين
من اهلها مندوبان ان يؤيد الاصلاح اي الحكماء وقيل الزوجان والاول اولى على

أحكمين أن يسعياً في إصلاح ذات البين جملتها فإن قدراً على ذلك عمل عليه وإن أعيانها
إصلاح حالها وإيا التفريق بينهما جاز لها ذلك من دون أن من الحكم في البلاد ولا توكل
بالفرقة من الزوجين وبه قال مالك والأوزاعي وأبو حنيفة وهو مروي عن عثمان وحلي وابن عباس
والشعبي والنخعي والشافعي وحكاة ابن كثير عن الجمهور قالوا لأن الله تعالى قال فابعدوا حكماء
من أهلها وحكام أهلها وهذا نص من الله سبحانه أنهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان
وقال الكوفيون وعطاء وابن زيد والحكم وهو أحد قولي الشافعي أن التفريق هو الإمام
أو الحاكم في البلاد إليهما ما لم يوطئهما الزوجان أو يأمرهما الإمام أو الحاكم لهما رسولان شاهدان
فليس اليهم التفريق ويرشد إلى هذا قوله أن يريد أي الحكم أن إصلاحاً يوفق الله بينهما لا نصاً
على ذكر الإصلاح دون التفريق ومعنى أن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما أي يوقع الألفة
والموافقة بين الزوجين حتى يعود إلى الألفة وحسن المعاشرة ومعنى الإرادة خلوص نيتهم
إصلاح الحال بين الزوجين وقيل إن الضمير في قوله بينهما للحكمين كما في قوله أن يريد
إصلاحاً أي يوفق بين الحكمين في اتخاذ كلمتهما وحصول مقصودهما وقيل كلا الضميرين
لزوجين أي أن يريد إصلاح ما بينهما من الشقاق أو وقع الله به بينهما الألفة والوفاق
وإذا اختلف الحكماء لم ينفذ حكمهما ولا يلزم قبول قولهما بالأخلاق وعن ابن عباس قال بعثت
أنا ومعاوية حكيمين فقيل لنا إن رأيتم أن تجمعاهما فجمعتهما وإن رأيتم أن تفرقاهما ففرقتهما والذين بعثتهما
عثمان إن الله كان عليهما خبيراً يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه
وعيد شديد للزوجين والحكمين أن سلوا غير طريق الحق وأعبأوا الله يعني وجدوه
وطيعوه وعبادة الله عبادة عن كل فعل يأتي به العبد لغير الله ويدخل فيه جميع أعمال
القلوب وأفعال الجوارح ولا تشترى كوابه العطف للتأسيس شيئاً أما مفعول به أي شيئاً
من الأشياء من غير فرق بين حي وميت وجماد وجوان وأما مصدر أي شيئاً من
الأشياء من غير فرق بين الشريك الأكبر والأصغر والواضح والخفي وأحسنوا بالوالدين
أحسناءاً بوالين جانب وقد دل ذكر الإحسان إليهما بعد الأمر بعبادة الله النهي عن
الأشياء به على عظم حقهما ومثله أن أشكرني ولو الذيك فأمر سبحانه بأن يشكر الله وهو

ان يقوم بخدمة منهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والا نفاقا عليهما بقية
القدرة وقد وردت احاديث كثيرة في حقوقهما وهي معرفة ويذكر القُرْبَى اي صاحب
القرباة وهو من يصح اطلاق اسم القربى عليه وان كان بعيدا وقيل ذورحمه من قبل
امه وابيه وعن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سُرَّ ان يبسط
له في رزقه وينسأله في اثره فليصل رحمه اخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم نظيره
في البقرة الا انه هنا قال باعادة الباء وذلك لانها في حق هذه الامة فالاعتناء بها
اكثر واعادة الباء تدل على زيادة التأكيد فناسب ذلك هنا بخلاف آية البقرة
فانها في حق بني اسرائيل واليتيم والمسكين وقد تقدم تفسيرهم والمعنى واحسنوا
اليهم اخر ما هو مذكور في هذه الآية انما امر بالاخصان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين
من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذي ركبته ذل الفاقة والفقر فتمسكن
لذلك وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا
واشار بالسياطة والوسطى وفرج بينهما شيئا اخرجه البخاري وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعي على الارملة والمسكين كالجاهدين في سبيل الله واحسبه قال وكالقائم
الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر اخرجه الشيخان والجارذي القُرْبَى اي القريب منك
جواره وقيل هو من له مع الجوار في الدار قرب في النسب والدين والجار الجنب يستوي
فيه المفرد والمتن والجمع مذكرا كان او مؤنثا قاله السمين اي الجانب وهو مقابل
لجار ذي القرب والمراد من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة وفي
ذلك دليل على تعميم الجيران بالاخصان اليهم سواء كانت الديار متقاربة او متباعدة
وعلى ان الجوار حرمة مرعية مأمور بها وفيه رد على من يظن ان الجوار يختص بالاصوة
دون من بينه وبينه حائل او يختص بالقريب دون البعيد وقيل ان المراد بالجار الجنب
هنا هو الغريب وقيل هو الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبين الجوار له وقرئ الجنب بفتح
الجيم وسكون النون اي ذي الجنب وهو الناحية وقيل المراد بالجار ذي القربى المسلم
وبالجار الجنب اليهودي والنصراني وقد اختلف اهل العلم في المقدار الذي علي صيد

مسمى أجوار ويتثبت لصاحبه الحق فروي عن الاوزاعي والحسن انه الى حداربعين
 دارا من كل ناحية وروي عن الزهري نحوه وقيل من سمع اقامة الصلوة وقيل اذا
 جمعتا محلة وقيل من سمع النداء والاولى ان يرجح في معنى الجار الى الشرع فان حد
 فيه ما يقتضي بيانه وانه يكون جار الى حد كذا من الدورا ومن مسافة الارض كذا
 العمل عليه متعين وان لم يوجد رجع الى معناه لغة او عرفا ولم يأت في الشرع ما يفيد
 ان الجار هو الذي بينه وبين جاره مقدار كذا ولا ورد في لغة العرب ايضا ما يفيد
 ذلك بل المراد بالجار في اللغة الجوار ويطلق على معان قال في القاموس الجار الجار والجار
 اجرة من ان يظلم والمجير والمستجير والشريك في التجارة وزوج المرأة وهي جارته وفرج
 المرأة وما قرب من المنازل والاسات كالجارة والمقاسم والحليف والناصر انتهى قال
 القرطبي في تفسيره وروي ان رجلا جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نزلت محلة قوم وان قرا
 الى جوار الشد هم لي اذى فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ابابكر وعمر عليا يصيرون على ابواب المساجد لا
 ان اربعين دارا جارا ولا يدخل الحجة من لا يامن جاره بوائقه انتهى قال الشوكاني ولو
 ثبت هذا كان مغنيا عن غيره ولكنه رواية كما ترى من غير عز وله الى احد كتب
 الحديث المعروفة وهو ان كان اما ما في علم الرواية فلا تقوم الحجة بما يرويه بغير سند
 مذكور ولا نقل عن كتاب مشهور ولا سيما وهو يذكر الواهيات كثيرا كما يفعل في تدوير
 انتهى اقول هذا الحديث بلفظه اخرجه الطبراني كما ذكر في الترغيب والترهيب وروي
 السيوطي في البحار مع الصغير اجوار اربعون دارا اخرجه البيهقي عن عايشة قال المناوي
 في شرحه وروي عن عايشة اوصاني جبريل بالجار الى اربعين دارا وكلها ضعيف
 والمرسول الذي اخرجه ابوداود وهكذا نقل عن السيوطي ثم قال ولفظ مرسل
 ابي داود حق اجوار اربعون دارا هكذا وهكذا اواشار قدما وعيننا وخلفا قال الزركشي
 سنده صحيح وقال ابن حجر رجاله ثقات ورواه ابو يعلى عن ابي هريرة مرفوعا باللفظ المذكور
 ولكن سنده كما قال الزركشي ضعيف قال ابن حجر فيه عبد السلام بن ابي محبوب منكرو
 الحديث انتهى فهذا يؤيد اصل ما نقله القرطبي واسه احلم وقد ورد في القرآن

ما يدل على ان المساكنة في مدينة مجاورة قال الله تعالى لن آمنه المتكفون له
 قوله ثولجا ورافيه الاقليل فجعل اجتماعهم في المدينة جوارا واما الاعراف في مسمى
 الجوار فهي تختلف باختلاف اهلها ولا يصح حمل القرآن على اعراف متعارفة واصطلاح
 متواضعة والصاحب بالجانب الباء بمعنى في او على بابها وهو الاولى ومعناه للملابسة
 اي حال كونه ملتصقا بالجانب اي بالقرب مجنبه قيل هو الرفيق في السفر قاله ابرعيا س
 سعيد بن جبير وعكرمة ونجاشد والضحاك وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن
 ابي سلمة هو الزوجة والمرأة وقال ابرعيا هو الذي يصحبك ويلزمك رجاء نفعتك
 وقال زيد بن اسلم هو جلسك في الحضرة ورفيقك في السفر وامرأتك التي تضاجعك
 ولا يبعد ان يتناول الآية جميع ما في هذه الاقوال مع زيادة عليها وهو كل من
 صدق عليه انه صاحب بالجانب اي مجنبك كمن يقف بمجنبك في تحصيل علم او تعلم
 صناعة او مباشرة تجارة او نحو ذلك فانه صاحبك وحصل بمجنبك ومنهم من قعد
 في محله او مجلس او غير ذلك مع ادنى صحبة بينك وبينه وابن السكيت قال مجاهد هو
 الذي يجتاز بك ما را والسبيل الطريق فنسب المسافر اليه لمروءة عليه ولزوم اياك
 فالاولى تفسيره من هو على سفر فان على المقيم ان يحسن اليه وقيل هو المنقطع به في سفره
 للجم او للفرار او مطلقا ولا يظهر ان يقول المسافر من غير قيد الانقطاع وقيل هو الضيف
 قاله القاري وقد وردت احاديث صحيحة في اكرام الضيف وجأزته ثلاثة ايام في
 الصحيين وغيرهما واحسنوا الى ما ملكتم ايما نكرم من الارقاء احسانا وهم العبيد
 والاماء وقيل اعم فيشمل الحيوانات وهي غير الارقاء اكثر في يد الانسان منهم فغلب جانب
 الكثرة وامر الله بالاحسان الى كل مخلوق ادني وغيره قاله القاري والاول اولى وقد
 امر النبي صلى الله عليه وسلم بانهم يطعمون مما يطعم ماكلهم ويلبسون مما يلبس قال مجاهد فما خلق
 الله فاحسن صحبته كل هذا وصي الله به وعن مقاتل نحوه والاحسان اليهم ان لا يكلفهم
 ما لا يطيقونه ولا يؤذيهم بالكلام اخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون
 اليه بقدر الكفاية وعن علي بن ابي طالب قال كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصلوة واتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وقد ورد مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلال بن
 رباح صلاة القراءة وفي الاحسان الى اليتامى والجار وفي القيام بما يحتاج اليه المالك واحد
 كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة لاحاجة بنا الى بسطها هنا وقوله ان الله علة كل
 تقدير ولا تقفوا عليهم لان الله لا يحب من كان مختالا في الخيلاء وهو الكبر والتفيه
 اسم فاعل من اختال يختال اي تكبر والعجب بنفسه اي لا يحب من
 كان متكبرا تأملها على الناس فتعجبوا منهم والفقير والذل للنفس والتواكل وتعدد المناقب
 والمحاسن وخصها بين الصفتين لانها لا يخلو صاحبها على الانفة عما ندب الله اليه
 في هذه الآية يعني يأنف من اقاربه الفقراء ومن حيرانه الضعفاء وغيرهم لا يلتفت
 اليهم ومن كان متكبرا لا يقوم بحقوق الناس وقد ورد في ذم الاختيال والكبر والخي
 ما هو معروف لَا يَنْجَلُونَ الْبَخْلَ الْمَذْمُومَ فِي الشَّرْعِ هو الامتناع من اداء ما اوجب الله
 وهو الامم المذكورون في هذه الآية ضموه الى ما وقعوا فيه من البخل الذي هو شتر خصا
 الشئ ما هو اقبح منه واحد على سقوط نفس فاعله وبلوغه في الرذالة الى غايتها وهو
 مع بخلهم باموالهم بما كانوا به وكتمهم بها انعم الله به عليهم من فضله يَا مَرْءُونَ النَّاسِ بِالْبَخْلِ
 كانوا يجدون في صدورهم من جودهم بماله حرجا ومضاضة فلا كثرا له في عبادته من
 امثالكم هذه اموالكم قد بخلتم بها الكونكم تظنون انتقاصها باخراج بعضها في مواضع
 فما بالكم بخلتم باموال غيركم مع انه لا يلحقكم في ذلك ضرر وهل هذا الا خاية اللوم
 وفحاشية الحق والرقاعة وقبح الطباع وسوء الاختيار وقد قيل ان المراد بهذه الآية الله
 فانهم جمعوا بين الاختيال والفخر والبخل بالمال وكما ان ما اتزل الله في التوراة وفي البخل
 اربع لغات فتح الباء والحاء وضمها وفتح الباء مع سكون الباء مع سكون الخاء
 وقرئ بها جميعا وقرأ الجمهور بالاخيرة وَيَكْتُمُونَ مَا أَنعَمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ من
 حمد او من العلم او الغنا قيل المراد بها المنافقون ولا يخفى ان اللفظ اوسع من ذلك واكثر
 واعم فائدة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ يعني الجاحدين لنعمة الله عليهم عذابا عظيمنا في الآخرة
 عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجتمعان في مؤمن البخل

وسوء الخلق اخرجهم الترمذي واستغربه والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر عطف على قوله الذين ينجلون ووجه ذلك الاولين قد فرطوا بالخل وبأموال الناس به وبكم ما اشتم الله من فضله وهؤلاء افرطوا بيزل أموالهم في غير مواضعها لجرد الرياء والسمعة وليقال ما اسخاكم وما اجودهم كما يفعل من يريد ان يتسامع الناس بانه كريم ويتطاول على غيره بذلك ويشخ بانه عليه مع ما ضم الى هذا الاتفاق الذي يعود عليه بالضرر من عدم الايمان بالله واليوم الآخر اي لا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن وكررت لا وكذلك الباء اشعارا بان الايمان بكل منهما متوقف على حدثه قيل نزلت في اليهود وقيل في المنافقين وقيل في مشركي مكة ومن يكن الشيطان له قريناً في الكلام ضمناً والتقدير ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فقريهم الشيطان ومن يكن الخ والقريون المقارن وهو الصاحب بالخليل فعيل بمعنى مفاعل كاخليط والجلس والقريون المحمل لا يقرن به بين البعيرين والمعنى من قبل من الشيطان في الدنيا فقد قارنه فيها او فهو قرينه في النار فسلك الشيطان قريناً وبش الصاحب وبش الخليل هو وفيه تبرع لهم على طاعة الشيطان وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قراءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار والاول اولى والصق بظواهر الآية وما اذا علمتم اي على هذه الطوائف لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا ومكروا زعمهم الله ابتغاء لوجهه امتثالاً لامره اي وما اذا يكون عليهم من ضرر ووبال لو فعلوا ذلك وكان الله عليهم عليماً فيه وعيد لهم وتهديد وتوبيخ على الجهل بمكان المنفعة ان الله لا يظلم شيئاً مفعال من الثقل كالمقدار من القدر اي لا يظلم شيئاً مقدار ذرة واحدة الذر وهي النمل الصغار وقيل راس النملة وقيل اخرج ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء الله يظهر فيما يدخل من الشمس من كوة او غيرها ذرة والاول هو المعنى اللغوي الذي يجب حل القرآن عليه والمراد من هذا الكلام ان الله لا يظلم كثيراً ولا قليلاً اي لا ينحسهم من ثواب اعمالهم ولا يزيد في عقاب ذنوبهم وزن ذرة فضلاً عما فوقها ومناسبة

هذه الآية لما قبلها واضحة وَإِنَّ تَكُ حَسَنَةً قَرَأَ اَهْلُ الْحِجَازِ بِالرَّفْعِ اَيَّ اِنْ تَوْجَدَ حَسَنَةٌ
 عَلَيَّ اِنْ كَانَ هِيَ اِتْنَامَةً لَا الناقصة وقراء من عداهم بالنصب اَيَّ اِنْ تَكُ فَعَلْتَهُ حَسَنَةٌ
 وحذفت منه النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقال
 الزجاج الاصل في تَكُ تكون فسقطت الضمة للجرم والواو لسكونها وسكون النون وسقوط
 النون لكثرة الاستعمال تشبيها بحروف اللين لانها ساكنة فحذفت استخفافا وقيل ان التقاء
 اِنْ يَكُ مثقال الذرة حسنة يُضَعِفُهَا اَنْتَ ضَمِيرُ الْمُثْقَالِ لكونه مضافا الى الموثق والاول
 اولى وقراء الحسن فضا عفها بالنون والباقون بالياء وهي الابحج وقدم تقدم الكلام
 في المضاعفة المراد مضاعفة ثواب الحسنة لان مضاعفة نفس الحسنة بان تجعل الصلوة
 الواحدة صلاتين مما لا يعقل عن سعيد بن جبير وان يَكُ حَسَنَةً وزن ذرة زادت
 على سيئاته يضاعفها فاما المشرک فيخفف بها عنه العذاب ولا يخرج من النار ابدأ قال
 قتادة لان تفضل حسنتي على سيئاتي بمنقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها وفي ذلك
 احاديث يطول ذكرها وهذا عند الحساب وَيُؤْتِي اَيَّ يَعْطِي صَاحِبَهَا مِنْ لَدُنْهُ اَيَّ
 مِنْ عِنْدِهِ عَلَى نَحْوِ التَّفَضُّلِ زائد على ما وعدته في مقابلة العمل اَجْرًا عَظِيمًا يعني الحسنة
 قال ابو هريرة اذا قال الله اَجْرًا عَظِيمًا فَمَنْ يَقْدَرُ وَتَدْرَهُ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ
 من اليهود والنصارى والمشرکين والمنافقين او حال كفار قريش خاصة يوم القيامة
 هذا الاستفهام معناه التوبيخ والتقريع اِذَا جِئْنَاكَ مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ شَهِيدٌ قال ابن عباس
 انه يؤتى نبي كل امة يشهد عليها ولها وَجِئْنَاكَ عَلَى هَؤُلَاءِ اَيَّ الانبياء اوجيع
 الامم والمنافقين والمشرکين وقيل على المؤمنين شَهِيدٌ عن ابن مسعود قال قال
 لي رسول الله صلِّم اقر على القرآن قلت يا رسول الله اقر عليك وعليك اترل قال
 نعم اني احب ان اسمعه من غيري فقرأت سورة النساء حتى اتيته الى هذه الآية
 فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هَؤُلَاءِ شهيدا قال حبيب بن ابي
 فاذا حيته تذر فان اخرجته الشيطان واللفظ للبخاري واخرجه الحاكم وصححه من حديث عمرو
 بن حرب يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَى الرَّسُولَ فَمَا امْرُهُمْ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ

لو تسوى يهوى الأرض قرى تسوى بفتح التاء وتشديد السين وبفتحها وتخفيف السين
 أي ان الأرض هي التي تسوى بهم أي انهم تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها وقيل
 بهم بمعنى عليهم وعلى القراءة الأولى بالبناء للمفعول معناه لو تسوى الله بهم الأرض فيعلم
 والأرض سواء حتى لا يعشوا ولا يكفون الله حديثاً أي انهم لا يقدر أن على الكفر في
 مواطن دون مواطن قال ابن عباس لا يكفون أي يجاوزهم ولا يقدر أن على ذلك
 يعني تشهد عليهم الجوارح والأعضاء والزمان والمكان فلم يستطيعوا الكتمان قال الزجاج
 هذا كلام مستأنف لأن ما محموله ظاهر عند الله لا يقدر أن على كتمانهم وقال بعضهم
 المعنى يودون ان الأرض سويت بهم وانهم لم يكفوا حديثاً لأنه ظهر كذبهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى جعل الخطاب خاصاً بالمؤمنين لانهم الذين كانوا
 يقربون الصلوة حال السكر وأما الكفار فهم لا يقربونها سكارى ولا غير سكارى قال
 أهل اللغة إذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلبس بالفعل وإذا كان يضم الراء كان
 معناه لا تدن منه والمراد هنا النهي عن التلبس بالصلوة وغشيانها وبه قال جماعة من
 المفسرين واليه ذهب أبو حنيفة وقال الآخرون المراد مواضع الصلوة وبه قال الشافعي وعلى
 هذا فلا بد من تقلير مضاف ويقوي هذا قوله ولا جنباً إلا على كسبيل وقالت طائفة المراد
 الصلوة ومواضعها معاً لانهم كانوا حينئذ لا يأتون المسجد إلا للصلوة ولا يصلون إلا مجتمعين
 فكانا متلاًزمين وسكارى جمع سكران مثل كسالى جمع كسلان وقرى سكرى بالفتح وهو
 تكسين سكران وقرأ الأعشى سكرى كجيلة والسكر لغة السد ومنه قيل لما يعرض للمؤمن
 شرب المسكر لانه يسد ما بين المرأ وعقله وأكثر ما يقال السكر لزالة العقل بالمسكر
 وقد يقال ذلك لازالته بغضب ونحوه من عشق وغيره والسكر بالفتح وسكون الكاف
 حبس الماء وبالكسر نفس الموضع المسدود وأما السكر بفتحهم فما يسكر به من المشروب ومنه
 سكر أورزاً حسناً وقد ذهب العلماء كافة إلى ان المراد بالسكر هنا سكر الخمر لا النضج أو فاته
 قال المراد سكر النوم وقال ابن عباس النعاس وسيأتي بيان سبب نزول الآية وبه يندفع
 ما يخالف الصواب من هذه الأقوال حتى تعلموا ما تقولون هذا غاية النهي عن قربان الصلوة

في حال السكر أي حتى يزول عنكم اثر السكر وتعلموا ما تقولونه وتصحوا وتفقهوا من السكر فان
 السكران لا يعلم ما يقوله وقد تمسك بهذا من قال ان طلاق السكران لا يقع لانه اذا لم
 يعلم ما يقوله انتفى القصد وبه قال عثمان بن عفان وابن عباس وطاؤس وعطاء الله القا^{سمي}
 وربيعه وهو قول الليث بن سعد واسحق وابي ثور والزهري واختاره الطحاوي وقال اجمع
 العلماء على ان طلاق المعتوه لا يجوز والسكران معتوه كالنفسوس واجازت طائفة وقوع
 طلاقه وهو محكي عن عمن الخطأ ومعاوية وجماعة من التابعين وهو قول ابي حنيفة
 والثوري والاوزاعي واختلف قول الشافعي في ذلك وقال مالك يلزمه الطلاق والقود
 في الجراح والقتل ولا يلزمه النكاح والبيع اخرج عبد بن حميد وابوداود والترمذي وحسنه
 والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والضياء في المختارة عن علي
 بن ابي طالب قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فذعنا وسقنا من الخمر فاخذت الخمر منا
 وحضرت الصلوة فقدموني فقرا أنت قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد
 ما تعبدون فانزل الله هذه الآية واخرج ابن جرير وابن المنذر ان الذي صلى بهم عبد الرحمن
 وروي بالفاظ من طرق ولا جنب الا كما برئ سبيل الجنب لا يؤنت ولا يثنى ولا يجمع لانه يلق
 بكصد كالبعد والقرب قال الفراء جنب الرجل واجنب من اجنابة وهو المشهور في اللغة ^{لفصي}
 وبه جاء القرآن وقيل يجمع الجنب في لغة على اجناب مثل عتق واعناق وطب اطباء ^{للعنف}
 جنباب الالاج واتزال ونصبه على الحال والاستثناء مفرغ أي لا تقربوها في حال من الاحوال
 الا في حال عبور السبيل والمراد به هنا السفر فانه يجوز لكرمان تصلوا بالتيمم وهذا قول علي
 وابن عباس وابن جابر ومجاهد والحاكم وغيرهم قالوا لا يصح لاحد ان يقرب الصلوة وهو
 جنب لا بعد الاغتسال الا المسافر فانه يتيمم لان الماء قد يعدم في السفر لا في الحضرة فان
 الغالب انه لا يعدم وقال ابن مسعود وعكرمة والنخعي وعمر بن دينار ومالك والشافعي
 عابر السبيل هو المجتاز في السجود وهو مروي عن ابن عباس فيكون معنى الآية على هذا لا تقربوا
 مواضع الصلوة وهي المساجد في حال الجنابة لان تكونوا مجتازين فيها من جانب الى جانب في
 القول الاول قوة من جهة تكون الصلوة قية بآقيه على معناها الحقيقية وضعف من جهة ما في محل

عابرا للسبيل على المسافر ان معناه انه يقر بالصلوة عند عدم الماء بالتيمم فان هذا الحكم
 يكون في المحاضرات اذ عدم الماء كما يكون في المسافر وفي القول الثاني قوة من جهة عدم التكليف
 في معنى قوله الا عابري سبيل وضعف من جهة محل الصلوة على مواضعها وبالحاجة فالحال الاول
 اعني قوله وانتم سكارى تقوي بقاء الصلوة على معناها الحقيقي من دون تقدير مضاعف
 وسبب نزول الآية كما سبق يقوي ذلك وقوله الا عابري سبيل يقوي تقدير المضاعف واي
 لا تقربوا مواضع الصلوة ويمكن ان يقال ان بعض قيود النهي اعني لا تقربوا وهو قوله وانتم
 سكارى يدل على ان المراد بالصلوة معناها الحقيقي وبعض قيود النهي وهو قوله الا عابري سبيل
 يدل على ان المراد مواضع الصلوة ولا مانع من اعتبار كل واحد منهما مع قيد الدال عليه يكون
 ذلك بمنزلة نهيين مقيد كل واحد منهما يقيد وهما لا تقربوا الصلوة التي هي ذات الاذكار
 والاركان وانتم سكارى ولا تقربوا مواضع الصلوة حال كونكم جنبا الاحال عبوركم للمسجد من
 جانب الى جانب وغاية ما يقال في هذا انه من الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو جازم ثبتا ودل
 مشهور وقال ابن جرير بعد حكايته للقولين والاول قول من قال ولا جنبا الا عابري سبيل
 جتازي طريق فيه وذلك انه قد بين حكم المسافر اذ عدم الماء وهو جنب في قوله وان
 كنتم مرضى او على سفر الآية فكان معلوما بذلك اني ان قوله ولا جنبا الا عابري سبيل لو كان
 معناه به المسافر لم يكن لاعادة ذكره في قوله وان كنتم مرضى او على سفر معنى مفهوما
 وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك فاذا كان ذلك كذلك فتاويل الآية يا ايها الذين امنوا
 لا تقربوا المساجد للصلوة مصلين فيها وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا تقربوا
 ايضا جنبا حتى تغسلوا الا عابري سبيل قال وعابرا للسبيل المجتاز مراو قطعاً يقال منه
 عبرت هذا الطريق فانما عبره عبرا وعبورا ومنه قيل عبر فلان النهر اذا قطع رجلا ورجه
 ومنه قيل للناقة القوية هي عبر اسفار لقوتها على قطع الاسفار قال ابن كثير وهذا الذي
 نصه يعني ابن جرير هو قول الجمهور وهو الظاهر من الآية انتهى حتى تغسلوا غاية النهي
 عن قربان الصلوة او مواضعها حال الجنابة والمعنى لا تقربوها حال الجنابة حتى تغسلوا
 الاحال عبوركم للمسجد من جانب الى جانب في المسافر تصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي وقال ابن جرير

ان لم تجد والماء فقد اخلت ان تسمى بالارض وعن مجاهد قال لا يمر الجنب ولا المحاض
 في المسجد انزلت ولا جنباً الا حارب سبيل للمساكين يتيم ثم يصلي وان كنت مؤمراً في المرض
 عبارة عن خروج البدن عن حد الاعتدال والاعتقاد الى الاعوجاج والشذوذ وهو على
 ضربين كبير ويسير والمراد هنا ان يخاف على نفسه التلف او الضرب باستعمال الماء
 او كان ضعيفاً في بدنه لا يقدر على الوصول الى موضع الماء وروي عن الحسن انه
 ينظم وان مات وهذا باطل يدفعه قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله
 ولا تقتلوا انفسكم وقوله يريد الله بكم اليسر او على سبيل فيه جواز التيمم لمن صدق عليه
 اسم لمساكين والخلاف مبسوط في كتب الفقه وقد ذهب الجمهور الى انه لا يشترط ان يكون
 سفر قصي وقال قوم لا بد من ذلك وقد اجمع العلماء على جواز التيمم للمساكين واختلفوا
 في المحاض فذهب مالك واصحابه وابو حنيفة ومحمد الى انه يجوز في المحاض والسفر وقال
 الشافعي لا يجوز للمحاض الصحيح ان يتيمم لان يخاف التلف او جاء احد منكم من الغائط
 هو المكان المنخفض المطمئن من الارض والحج منه كناية عن الحدث واجمع الغيطان الاغواط
 وكانت العرب تقصد هذا الصنف من المواضع لقضاء الحاجة تسترا عن اعيان الناس
 فسمى الحدث الخارج من الانسان غائطاً توسل من باب تسمية الشيء باسم مكانه وغلط
 في الغائط جميع الاحداث الناقضة للوضوء او لمستم النساء وقرئ لمستم قبل المراد بما في
 قراءتين اجماع وقيل المراد به مطلق المباشرة وقيل انه يجمع الامرين جميعاً وقال المبرد
 الاولى في اللغة ان يكون لامستم بمعنى قبلتم ونحوه ولمستم بمعنى غشيتم واختلف العلماء في
 معنى ذلك على احوال فقالت فرقة الملازمة هنا غتصة باليد دون اجماع قالوا واجنب
 لا سبيل له الى التيمم بل يغتسل او يدع الصلوة حتى يجد الماء وقد روي هذا عن عمر و
 بن مسعود قال ابن عبد البر لم يقل بقولهما في هذه المسئلة احد من فقهاء الامصار من
 اهل الراي وسكامة الآثار انتهى وايضاً الاحاديث الصحيحة تدفعه وتبطله كحديث عمار وعمران بن حصين
 وابو خزيمة بن ربيعة قال طائفة هو اجماع كما في قوله ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقوله وان طلقتموهن
 من قبل ان تمسوهن وهو يروي عن علي وابي بن كعب وابن عباس ومجاهد وطائفة من

والحسن وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان أبو حنيفة
وقال مالك الملامس بالجماع يتيم والملامس باليد يتيم إذا التذفان لمستها بغير شهوة فلا
وضوء وبه قال أحمد وإسحاق وقال الشافعي إذا اقضى الرجل بشيء من بدنه إلى بدن المرأة
سواء كان باليد أو بغيرها من أعضائها جسد انتقضت به الطهارة والأفلا وحكاة القرطبي
ابن مسعود وابن عمر والزهري وربيعة وقال الأوزاعي إذا كان الممس باليد نقض الطهر
وان كان بغير اليد لم ينقضه لقوله تعالى فلمسوه بأيديهم وقد احتجوا بحجج تزعهم كل طائفة احتجها
تدل على أن الملامسة المذكورة في الآية هي ما ذهبت إليه وليس الأمر كذلك فقد اختلفت
الصحابة ومن بعدهم في معنى الملامسة المذكورة في الآية وعلى فرض أنها ظاهرة في الجماع
فقد ثبتت القراءة المروية عن حمزة والكسائي بلفظ أو لمستم وهي محتملة بلا شك ولا شبهة مع
الاحتمال فلا تقوم الحجة بالمحتمل وهذا الحكم تعم بالبلوى وتثبت به التكليف العام فلا يحل إثباته
قد وقع النزاع في مفهومه وإذا عرفت هذا فقد ثبتت السنة الصحيحة بوجوب التيمم على من
اجنب ولم يجد الماء فكان الجنب إذا خلا في هذا الحكم بهذا الدليل وعلى فرض عدم دخوله
فالسنة تكفي في ذلك وأما وجوب الوضوء والتيمم على من لمس المرأة بيده أو بشيء من بدنه فلا
يصح القول به استدلالاً بهذه الآية لما عرفت من الاحتمال وأما ما استدلوا به من أنه صلوا أنه
رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل لقي امرأة لا يعرفها وليس يأق الرجل من امرأته شيئاً
الافتاء منها خير أنه لم يجامعها فأنزل الله أقم الصلوة طرفي النهار روزلاً من الليل إن أحسنتا
يدهبين السيئات ذلك ذكرى للذاكرين أخرجه أحمد والترمذي والنسائي من حديث معاذ
قالوا فامرأة بالوضوء لأن لمس المرأة ولم يجامعها ولا يخفك أنه لا دلالة لهذا الحديث على محل النزاع
فإن النبي صلى الله عليه وآله أمر بالوضوء ليأتي بالصلوة التي ذكرها الله سبحانه في هذه الآية إذا صلوة
الابوضوء وإيضاً فالحديث منقطع لأنه من رواية ابن أبي ليلى عن معاذ ولم يلقه وإذا عرفت هذا
فالأصل البراءة عن هذا الحكم فلا يثبت إلا بدليل خالص عن الشواش الموجبة لقصوره عن الحجة
وأيضاً قد ثبتت عن عائشة من طرق أنها قالت كان النبي صلى الله عليه وآله يترقب ثم يصلي ولا يؤم
وقد روي هذا الحديث بالفاظ مختلفة رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي وابن ماجة

فلم يجد ماءً تطهرون به فاصحوا^{به} الطلب والتفتيش وهذا القيد ان كان راجعاً الى جميع ما
تقدم مما هو مذکور بعد الشرط وهو المرض والسفر والحج من الغائط وملامسة النساء كان
فيه دليل على ان المرض والسفر مجردهما لا يستوعبان التيمم بل لا بد مع وجود احد السببين من
عدم الماء فلا يجوز للمريض والمسافر ان يتيمما الا اذا لم يجد ماءً ولكنه يشك على هذا ان الصحيح
والمقيم كالمرضى والمسافر اذا لم يجد الماء يتيمما فلا بد من فائدة في التنصيص على المرض والسفر
فقل وجه التنصيص عليهما ان المرض مظنة للعجز عن الوصول الى الماء وكذلك المسافر عدم
الماء في حقه غالب وان كان راجعاً الى الصورتين الاخيرتين اعني قوله او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء كما قال بعض المفسرين كان فيه اشكال وهو ان من صدق
عليه اسم المريض او المسافر جاز له التيمم وان كان واجداً للماء قادر على استعماله وقد قيل
انه رجع هذا القيد الى الاخيرين مع كونه معتبراً في الاولين لندرة وقوعه فيهما وانتخير
بان هذا كلام ساقط وتوجيهه بارد وقال مالك ومن تابعه ذكر الله المرض والسفر في شرط
التيمم اعتباراً بالاعلأ فحين لم يجد الماء بخلاف الحاضر فان الغالب وجوده فلذلك لم ينص اليه
سواءً عليه انتهى والظاهر ان المرض مجرد مسوغ للتيمم ان كان الماء موجوداً اذا كان يقدر
باستعماله في الحال او في المال ولا تعتبر خشية التلف فانه سبحانه يقول يريد بكره اليسر ويقول
ما جعل عليكم في الدين من حرج والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الذين يسرون ولا تعسروا
قلوة قتلهم الله ويقول امرت بالشريعة السهلة فاذا قلنا ان قيد عدم وجود الماء راجع الى
الجميع كان وجه التنصيص على المريض هو انه يجوز له التيمم والماء حاضراً موجوداً اذا كان
استعماله يضره فيكون اعتبار ذلك القيد في حقه اذا كان استعماله لا يضره فان في مجرد
المرض مع عدم الضرر باستعمال الماء ما يكون مظنة للعجز عن الطلب لانه يلحقه بالمرض نوع
ضعف واما وجه التنصيص على المسافر فلا شك ان الضرب في الارض مظنة لاحواز الماء
في بعض البقاع دون بعض فتيمم التيمم لغة القصد يقال تيممت الشيء قصده وتيممت
الصعيد تعمده وتيممت سبهي ورعي قصده دون من سواه قال ابن السكيت قوله تيمموا
اي اقصوا واثر كثر استعمال هذه الكلمة حتى صار التيمم مسيراً الوجه واليدين بالتراب وقال

ابن الاعرابي في قولهم قد تيمم الرجل معناه قد مسح التراب على وجهه وهذا خلط منهما
 له معنى اللغوي بالمعنى الشرعي فان العرب لا تعرف التيمم بمعنى مسح الوجه واليدين وانما هو
 معنى شرعي فقط وظاهره الامر الوجوب وهو جمع على خلات والاحاديث في هذا الباب كثيرة
 وتفاضيل التيمم وصفاته مبينة في السنة المطهرة مقالات اهل العلم مدونة في كتب الفقه
 والتيمم من خصائص هذه الامة عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس
 ثلث جعلت صفونا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا
 طهورا اذ الرخاء الماء اخرجه مسلم وكان سبب التيمم انقطاع عقد لعائشة في بعض الاسفار
 وقصته في الصحيحين صبيح طيبا الصعيد وجه الارض سواء كان عليه تراب من ارض
 قاله الخليل وابن الاعرابي والزجاج قال الزجاج لا اعلم فيه خلافا بين اهل اللغة قال الله تعالى
 وانما يحلون ما عليها صعيدا اجرزا اي ارضا غليظة لا تثبت شيئا وقال تعالى فتصير صعيدا
 زلقا وانما سمي صعيدا لانه نهاية ما يصعد اليه من الارض قال قتادة الصعيد الارض
 التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد المستوي من الارض وبه قال الليث وقال الفراء هو
 التراب وبه قال ابو حنيفة وجمع الصعيد سعادات وقد اختلف اهل العلم فيما يجزى التيمم به
 فقال مالك وابو حنيفة والثوري والطبراني انه يجزى بوجه الارض كله ترابا كان او رملا
 او حجارة وحملوا قوله طيبا على الطاهر الذي ليس بنجس وقال الشافعي واحمد واصحابهما انه
 لا يجزى التيمم الا بالتراب فقط واستدلوا بقوله تعالى صعيدا زلقا اي ترابا امس طيبا
 كذلك استدلوا بقوله طيبا قالوا والطيب التراب الذي يثبت وقد تنوع في معنى الطيب
 فقيل الطاهر كما تقدم وقيل المنبت كما هنا وقيل الحلال والمحل لا تقوم به حجة ولولم يوجد
 في الشيء الذي يتيمم به الا ما في الكتاب العزيز لكان الحق ما قاله الاولون لكن ثبت في صحيح
 من حديث حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا الناس بثلاث جعلت صفونا
 كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا الطهور اذ الرخاء الماء
 وفي لفظ وجعل ترابها لنا طهورا فهذا مبين لمعنى الصعيد المذكور في الآية او مخصص لعموم
 او مقيد لاطلاقه ويؤيد هذا ما حكاه ابن فارس عن كتاب الخليل تيمم بالصعيد اي خذ من

أغبارها انتهى والحج الصلاة لأغبار له فَأَسْتَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ هَذَا الْمَسْحُ مطلق يتناول المسح
بضربة أو ضربتين ويتناول المسح إلى المرفقين أو إلى الرسغين وقد بينته السنة بيانا متافيا
وقد جمع الشوكاني بين ما ورد في المسح بضربة وبضربتين وما ورد في المسح إلى الرسغ وإلى
المرفقين في شرحه للسنن وغيره مؤلفاته بما لا يحتاج الناظر فيه إلى خيرة والحاصل أن أحاديث
الضربتين لا يخلو جميع طرقها من مقال ولو صحت لكان الأخذ بها متعينا لما فيها من الزيادة
فالحق الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الأقتصار على ضربة واحدة حتى
تصح الزيادة على ذلك المقدار قال الخطابي لم يختلف أحد من العلماء في أنه لا يلزم مسح ما
وراء المرفقين واستحب أبو أقياس على الرضوء وهو فاسد الاعتبار قال الحافظان الأحاديث
أوردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهم وعمار وما عداهما فضعيف لا يختلف
في رفعه ووقفه والراجح عدم رفعه انتهى فالحق مع أهل المذهب الأول حتى يقوم دليل
يجب التصير إليه ولا شك أن الأحاديث المشتبهة على الزيادة أولى بالقبول ولكن إذا كانت
صاحبة للاحتجاج بها وليس في الباب شيء من ذلك إِنْ اللَّهُ كَانَ عَفْوَاً عَفْوَاً أَيْ عَفَا عَنْكُمْ وَغُفِرَ
لَكُمْ تَقْصِيرُكُمْ وَحُكْمُكُمْ بِالْتَرْخِصِ لَكُمْ وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْكُمْ أَلَمْ تَرَ كَلَامَ مُسْتَأْنَفٍ مَسْجُوقٍ لَتَجْعِبَ الْمُؤْمِنِينَ
من سوء حالهم والتحذير من موالاتهم والخطاب لكل من تتأق منه الرواية من المسلمين و
توجيهه إليه صلواتهم مع توجيهه فيما بعد إلى الكل مع الإيذان بكل حال شهرة شناعة حالهم
هنا بلغت من الظهور إلى حيث ينبغي منها كل من يراها والرواية هنا بصريّة إلى الَّذِينَ أَوْفُوا
نَصِيحًا حَظًّا مِنَ الْكِتَابِ التَّوْرَةِ والمراد أحماء اليهود يَشْتَرُونَ الصَّلَاةَ المراد بالاشتراء
الاستبدال وقد تقدم تحقيق معناه والمعنى أن اليهود استبدلوا الصلاة وهي البقاء
على اليهودية بالهدى أي بعد وضوح الحجة على صحة نبوة نبينا صلواتهم وقيل يأخذون الرشا
ويحرفون التوراة وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ عطف على قوله يشترون مشاركا في
بيان سوء صنيعهم وضعف اختيارهم أي لم يكفوا بما جفوه على أنفسهم من استبدال الهدى
بالهدى بل رادوا مع ضلالهم أن يتوصلوا بكمهم ومحمد هم إلى أن تضلوا انتم أي المؤمنون السبيل
الستقيم الذي هو سبيل الحق قال تعالى وَجَدُوا لَكُمْ كُفْرًا كَمَا كُفَرْتُمْ فَتُكُونُونَ سَوَاءً وَاللَّهُ أَعْلَمُ

منكم يا عدائكم ايها المؤمنون وما يريدونه بكم من الاضلال فيخبركم بهم ليحسبهم والحيلة
اعتراضيه وكفى بالله ولياً متولياً امركم وقائمه وحافظكم منهم ومن كان الله وليه
لم يضره احد وكفى بالله نصيراً اينصركم في مواطن الحرب وينعكم من كيدهم فالتفهم
بولايتهم ونصيهم ولا تتولوا غيرهم ولا تستنصوهم من الذين هادوا من يرفون كقوله وما منا الا له مقام
معلوم اي من له مقام وانكره المبرد والزجاج وقيل بيان لقوله الذين او تانصيبكم من
الكتاب والتعريف لا ماله ولا زالة اي يملونه ويزيلونه عن مواضعه ويجعلون مكانه غير
او المراد انهم يتاولونه على غير تأويله قال ابن عباس يرفون حدود الله في التورية وقال
بجاهد تبديل اليهود التورية وذمهم الله عز وجل بذلك لانهم يفعلونه عناداً وبغيّاً وايثماً
لعرض الدنيا قال الحافظ ابن القيم في اغانة اللفهان وقد اختلف في التورية التي يأتونكم
هل هي مبدلة تام التبديل وقع في التأويل دون التنزيل على ثلاثة اقوال قالت طائفة
كلها واكثرها مبدل وغالبهم حتى قال يجوز الاستحبابها وقالت طائفة من ائمة ائمة
والفقه والكلام انما وقع التبديل في التأويل قال البخاري في صحيحه يرفون يزيلون وليس
احد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يتاولونه على غير تأويله وهو اختيار الرازي ايضا
وسمعت شيخنا يقول وقع النزاع بين الفضلاء فاجاز هذا المذهب وهو غير فائز عليه
فاظهر خمسة عشر نقلاً به ومن حجة هؤلاء ان التورية قد طبقت مشارق الارض ومغاربها
وانشرت جنوباً وشمالاً ولا يعلم عدد نسخها الا الله فيمتنع التواطى على التبديل والتغيير في
جميع تلك النسخ حتى لا تبقى في الارض نسخة الا مبدلة وهذا مما يحيله العقل قالوا وقد قال
الله لنبيه قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين قالوا وقد اتفقوا على ترك فضيلة
الرجم ولم يمكنهم تغييرها من التورية ولذا لما قرأوها على النبي صلى الله عليه وسلم وضع القاري يده
على آية الرجم فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفعها فاذا هي تلوح تحتها وتوشط
طائفة فقالوا قد زيد فيها وخير اشياء يسيرة جداً واختار شيخنا في الجواب الصحيح بل بدل
دين المسيح قال وهذا كما في التورية عندهم ان الله سبحانه قال لابراهيم اخبر ابنك برك

او وحيدك اسحق فقلت والزيادة باطله من وجوه عشرة الاول ان بكره ووحيد اسمعيل
 باتفاق الملل الثلاث الثاني انه سبحانه امر ابراهيم ان ينقل هاجر وابنها اسمعيل عن سارة
 ويسكنها في بركة مكة لئلا تغارسارة فامر به بابعاد السرية وولدها عنها فكيف يامر بعد
 هذا بذيبح ابن سارة وابقاء ابن السرية وهذا لا يقتضيه الحكمة الثالث ان قصة الذبح
 كانت بمكة قطعاً ولذا جعل الله سبحانه ذبح الهدايا والقرايين بمكة تذكيراً للامة بما كان من
 ابراهيم وولده هناك الرابع ان الله بشر سارة ام اسحق باسحق ومن وراءه يعقوب فبشرها
 بها جميعاً فكيف يامر بعد ذلك بذيبح اسحاق وقد بشر ابويه بولد ولده الخامس ان الله لما
 ذكر قصة الذبح وتسليم نفسه لله واقدام ابراهيم على خبجه وفرغ من قصته قال بعدها
 وبشرناها باسحق نبياً من الصالحين فشكر الله له استسلامه وبذل ولده له وجعل من اياته
 على ذلك ان اتاه اسحق فحج اسمعيل من الذبح وزاد عليه اسحق السادس ان ابراهيم عليه
 السلام سأل ربه الولد فاجاب دعاءه وبشر به فلما بلغ معه السعي امره بذبحه قال تعالى
 وقال اني ذاهب الي ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حلیم فذا ذليل
 ان هذا الولد انما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه ان يهب له ولداً وهذا المبشر به هو لما أمر
 بذبحه قطعاً بنص القرآن واما اسحق فانه بشر به من غير دعوة منه بل على كبر السن وكون
 مثله لا يولد له وانما كانت البشارة به لامرأة سارة ولذا تعجبت من حصول الولد منها السابع
 ان ابراهيم لم يقدم باسمحق الى مكة البتة ولم يفرق بينه وبين امه وكيف يأمره الله ان يذب
 بآبن امرأته فيذبحه بموضع ضريحها وفي بلدها ويدع ابن ضريحها الثامن ان الله لما اتخذ
 ابراهيم خليلًا واخلة تتضمن ان يكون قلبه كله متعلقاً بربه ليس فيه سعة لغيره فلا سأل
 الولد وهب له اسمعيل فتعلق به شعبة من قلبه فاراد خليله ان تخلص تلك الشعبة له
 فأمتحنه بذبح ولده فلما امتثل خلصت تلك الاخلة فنتج لا مريد ذبحه كحصول الغرض وهو العزم
 وتوطيئ النفس على الاقتال ومن المعلوم ان هذا انما يكون في اول الاولاد لا في اخيها فلما
 حصل هذا المقصود مع الولد الاول لم يمتحن الى مثل ما مع الولد الاخر فانه لو زاحمت محبة الولد الاخر
 الاخلة لم يذبحه فلو كان الماء مورياً لم يذبحه هو الولد الاخر لكان قد اقره في الاول على مزاحمة الولد

به مدة طويلة ثم امر بما ينزل المزاج بعد ذلك وهو خلاف مقتضى الحكمة فليتنامل التاسع
 ان ابراهيم لما رزق اسحق على الكبر اسمعيل رزقه في عنفوان شبابه والعادة ان القلب
 اعلق بالاول العاشر ان النبي صلعم كان يفخر بانه ابن الذي يحين يعني اياه عبدالله وحده
 اسمعيل والمقصود ان هذه اللفظة مما زادوه في التوراة انتهى فليتنامل العاشر اسمعيل
 قولك وعصينا امرنا واسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا يصح لموت وهو محتمل
 ان يكون دعاء على النبي صلعم والمعنى اسمع لا سمعت او غير مسمع كلاما توحشا ويحتمل ان
 يكون المعنى اسمع منا غير مسمع جوابا كما نوايضا يطوبون به النبي صلعم استهزاء به مظهرين له
 ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول وقال ابن عباس غير مقبول وقد
 تقدم الكلام في راعنا اي يريدون بذلك نسبة الى الرعونه وقيل معناه راعنا سمعنا
 ومثل ذلك لا يخطب به الانبياء وهي كلمة سب بلغتهم ومعنى لينا يا لينا لينا انهم يلونها
 عن الحق اي يميلونها الى ما في قلوبهم واصل الى القتل اي قتلها وصفا للكلام عن نجه
 الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا سمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة
 لراعيها عري انظرنا او قتلها وضالما يظهر منه من الدعاء والتوقير الى ما يضرهم من السب
 والتحقير وطعننا اي قدحنا في الدين بقولهم لو كان نبيا لعلم ان نسبته فاطلع الله سبحانه عليه
 صلعم على ذلك ولو انهم قالوا اسمعنا قولك واظعننا امرنا واسمع ما نقول وانظرنا اي
 افهمنا لا تعجل علينا اي لو قالوا هذا مكان قولهم سمعنا وعصينا وراعا بلسان المقال
 او الحال لكان خيرا لهم مما قالوه واقوم اي اعدل واول من قولهم الاول وهو قولهم سمعنا
 وعصينا واسمع غير مسمع وراعا لما في هذا من المخالفة وسوء الادب واحتمال الذم وراعا
 ولكن لم يسلكوا ذلك المسلك احسن ولم يأتوا بما هو خيرا لهم واقوم بل استمى واصل كفرهم لهذا
 لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم وابعدهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون بعد ذلك الايمان
 قليلا وهو الايمان ببعض الكتب دون بعض ويبعض الرسل دون بعض وقيل هو اعتراضهم
 بان الله خلقهم ورزقهم وقيل لانهم قليل كعبد الله بن سلام وعبد الرحمن بن عوف
 عن هذا القليل بالعدم يعني انهم لا يؤمنون البتة يا ايها الذين آمنوا اتوا الكتب الخطاب

لليهود ولم يقل هنا وتواصيها من الكتب لان المقصود فيما سبق بيان خطئهم
 في التوريف وهو انما وقع في بعض التوراة والمقصود هنا بيان خطئهم في عدم ايمانهم
 بالقران وهو مصدق لجميع التوراة فانسب لتعبير هنا بايتائهم الكتاب امنوا بما نزلنا
 يعني القران مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ يعني التوراة معنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت
 لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس
 والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يترأى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب
 تفاوت الامم والاعصار فليس بخلافه في الحقيقة بل هو عين الموافقة من حيث ان كلامهما
 حق بالاضافة الى عصمه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تاخر نزول
 المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم ولذلك قال صلواته
 موسيما لما وسعها الاتباعي ثم قرن بهذا الامر الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه الكد
 فقال مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْمِسَ وُجُوهًا اصل الطمس استيصال اثر الشيء بالحوار والاعلام
 فاذا النجوم طمست يقال طمس الاثر اي محاه كاه ومنه رينا اطمس على مواضعهم اي اهلكها
 يقال مطوس البصر ومنه ولونشاء اطمس على اعينهم اي اغمناهم واختلف العلماء في المعنى
 المراد بهذه الآية هل هو حقيقة فيجعل الوجه كالقفا فيذهب بالانف والفم والحاجب البعير
 وهو هو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كحف البعير وقيل نعميها فيكون المراد
 بالوجه العين او ذلك عبارة عن الضلالة في قلوبهم وسليم التوفيق فذهب الى الاول طائفة
 والى الاخر آخرون وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل الخطاب في ابهامها لطيف بالخاطبين
 وحسن استدعاء لهم الى الايمان وعلى الاول فالمراد بقوله فَنَرُّهَا عَلَى آدَارِهَا يجعلها
 اقفا اي نذهب بانوار الوجوه وتخطيطه حتى يصير على هيئة القفا وقيل انه بعد الطمس
 يردھا الى مواضع القفا والقفا الى مواضعها وهذا هو الصق بالمعنى الذي يفيد قوله
فَنَرُّهَا عَلَى آدَارِهَا فان قيل كيف جاز ان يردھم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يفعل
 ذلك بهم فقيل انما آمن هؤلاء ومن اتبعهم رفع الوعيد عن الباقيين وقال المبرد الوعيد
 باق منتظر وقال لا بد من طمس في اليهود ومنه قبل يوم القيمة وقيل هو مختص بيوم القيمة

وقيل المراد طمس القلب والبصيرة وقيل المراد محو آثارهم من الموعظة وردهم إلى
 أذرعنا وأرجحنا من أرض الشام من حيث جاءوا لأول مرة والضمير في أوّلهم عام
 إلى أصحاب الوجوه كما لعن أصحاب السبب وكان لعن أصحاب السبب مستعملين قدوة وخبراً
 وقيل المراد نفس اللعنة وهم ملعونون بكل لسان والمراد وقوع أحد الأمرين أما الطمس
 أو اللعن وقد وقع اللعن ولكنه يقوى الأول تشبيه هذا اللعن بلعن أهل السبب كما
 أمر الله مفعول لا أي كأننا موجوداً لهالة أن لم يؤمنوا أو يرا بالامر المأمور والمعنى
 أنه متى أراد الله كان كقولنا أما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون إن الله لا يغفر
 أن يُشرك به ويعفو عما دون ذلك لمن يشاء هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من
 أهل الكتاب وغيرهم ولا يختص بكفار أهل الحرب لأن اليهود قالوا عزير ابن الله وقتل
 النصراني المسيح ابن الله وقالوا ثالث ثلاثة ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على
 شركه لم يكن من أهل المغفرة التي يفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما يقتضيه
 وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فذا خلون تحت المشية يغفر لمن يشاء ويعذب
 من يشاء قال ابن جرير قد بانّت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشية الله عز وجل
 أن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ما لم تكن كبيرة شركاً بالله عز وجل وظاهره أن المغفرة
 منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلاً منه ورحمة وإن لم يقع من ذلك المذنب
 توبة وقيل ذلك المعترلة بالتوبة وقد تقدم قوله تعالى أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
 نكفر عنكم سيئاتكم وهي تدل على أن الله سبحانه يغفر سيئات من اجتنب الكبائر فيكون
 مجتنب الكبائر من قد شاء الله غفران سيئاته عن ابن عمر بسند صحيح قال كنا منسكاً عن
 الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا صلّم أن الله لا يغفر الآية وقال إنني أذخرت
 دعوتي وشفاعتي لأهل الكبائر من امتي فامسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا وعن
 ابن عباس قال في هذه الآية أن الله حرم المغفرة على من مات وهو كافراً وارجح أهل
 التوحيد إلى مشيئته فلم يؤسّرهم عن المغفرة وأخرج الترمذي وحسنه عن علي قال ما في
 القرآن أحب إلي من هذه الآية أن الله لا يغفر إن يشرك به الآية وعن جابر قال جاءني

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموحبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل
 الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرج مسلم ومن يشرك بالله يعني يجعل معه شريكا
 غيره اظهر في موضع الاضمار لا دخل الروح فقد افترى اي اختلق ومن لا افترى
 كما يطلق على القول حقيقة يطلق على الفعل مجازا كما صحح التقيا زاني اثم اعطيا يعني ذنبا
 كبيرا غير مغفوران مات عليه الكرم ترالى الذين يكونون انفسهم اي يدعونها تعجيب
 من حالهم وقد اتفق المفسرون على ان المراد اليهود واختلفوا في معنى الذي زكوا به
 انفسهم فقال الحسن وقنادة هو قوطهم نحن ابناء الله واحباؤه وقوطهم من يدخل الجنة لا
 من كان هودا او نصارى وقال الضحاك هو قوطهم لا ذنوب لنا ونحن كالاطفال وقيل قوا
 ان اباؤهم يشفعون لهم وقيل ثناء بعضهم على بعض ومعنى التزكية التطهير والتزينة
 فلا يعد صدقها على جميع هذه التفاسير وحل غيرهما واللفظ يتناول كل من ذكر نفسه
 بحق او باطل من اليهود وغيرهم وكل من ذكر نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل او بزيادة
 الطاعة والتقوى او بزيادة الزلفى عند الله ويدخل في هذا التلقب باللقاب المتضمنة
 للتزكية كحي الدين وعز الدين وسلاطان العارفين ونحوها فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى
 فلهذا قال بل الله يريكم من يشاء اي بل ذلك اليه سبحانه فهو العالم بمن يستحق التزكية من
 عباده ومن لا يستحقها فليدع العباد تزكية انفسهم ويفوضوا امر ذلك الى الله سبحانه
 فان تزكيتهم لا انفسهم مجرد عا وفاسدة تحمل عليها حجة النفس وطلب العلو والترفع والتفخر
 ومثل هذه الآية قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم من اتقى ولا يظلمون هؤلاء المزكون
 انفسهم من اعلمهم فتيلا هو الخيط الذي في نواة التمر وقيل القشرة التي حول النواة وقيل
 هو ما يخرج بين اصبعيك او كفيك من الوسخ اذا فلتتهما فوفيتا بمعنى مفتول والمراد هنا
 الكناية عن الشيء الحقير ومثله ولا يظلمون فقيرا وهو النكته التي في ظهر النواة والمعنى ان
 هؤلاء الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم لا انفسهم بقدر هذا الذنب ولا يظلمون
 بالزيادة على ما يستحقون ويجوز ان يعود الضمير الى من يشاء اي لا يظلم هؤلاء الذين يزكهم
 الله فتيلا مما يستحقونه من الثواب وقدر ضربت العرب المثل في القلعة باربعة اشياء اجتمعت في

النواة وهي القليل والنقي وهو النقرة التي في ظهر النواة والقطمير وهو الغسر الرقيق فوقها
وهذه الثلاثة واردة في الكتاب العزيز الشفرون وهو ما بين النواة والقمع الذي يكون
في راس النقرة كالعلامة بينهما فترحب النبي صلى الله عليه وسلم من تركيتهم لانفسهم فقال نظر كيف تحمرون
على الله الكذب في قولهم ذلك ولا افتراء واختلاق ومنه افتراى فلان على فلان اى رماه
بما ليس فيه وفريت الشيء قطعه ولا افتراء والكذب متقاربان معنى او معناهما واحد
وفي قوله وكفى بكم أعما أميينا من تعظيم الذنب وقوليه ما لا يخفى اى كفى بالافتراء وحده
وبالاول اذا انضم الى التزكية والتنكير في اغما للشد يد الكفر تعجب من حالهم بعل التعجب
الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب هم اليهود يؤمنون بما كذبت والطاغوت يختلف
المفسرون في معنى اجبت والطاغوت فقال ابن عباس وابن جبير وابو العاكبية اجبت
الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن وروي عن عمن بن الخطاب ان اجبت السحر
والطاغوت الشيطان روي عن ابن مسعود ان اجبت والطاغوت هيكاب بن الاشرف وقال قتادة اجبت
الشيطان والطاغوت الكاهن وروي عن مالك ان الطاغوت ما عبد من دون الله
واجبت الشيطان وقيل هما كل معبود من دون الله او مطاع في معصية الله وقيل هما
صنمان كانا قريش وهما اللذان سجد اليهم وهما لمضاة قريش واصل اجبت الجبس وهو اللزج
لاخبر فيه فابدلت التاء من السين قاله قطرب وقيل ابليس والطاغوت اولياؤه وعن قطرب
بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من
اجبت اخرجه ابوداود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هي زجر الطير
والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة والطيرة هو ان يتطير بالشيء فيدفع
الشوم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطير والخط هو ضرب الرمل لا يستخرج
الضمير ويقولون اى اليهود الذين كفروا كما بي سفيان واصحابه واللام للتبليغ او للعلامة
كنظائرها هو كذا اى انتم اهتدي من الذين امنوا محمد سبيلا اى اقوم ديناً وارشد
طريقاً ولئك القائلون الذين نعزم الله اى طدهم وابعدهم من رحمته ومن يلعن
الله فكن محذرا يدفع عنه ما نزل به من عذاب الله وسخطه وفي الآية وعد

المؤمنين بأنهم المنصورون عليهم فإن المؤمنين يصعدونهم الذين قريهم الله و
 من يقربه الله فلن يجهل له خادما أم هم نصيب من الملك فإذا الأولون الناس فقد
 أم منقطعة والاستفهام لا إنكار يعني ليس لهم نصيب من الملك والبقاء لله بيده أي
 أن جعل لهم نصيب فإذا ن لا يعطون تقدير منه لشدة بخلهم وقوة حسد هم وهذا
 لهم بالبخل بعد أن ذمهم بالبخل لعدم جرمهم على مقتضى العلم وسيأتي ذمهم بالحسد
 والاول قوة عليية والثاني عليية والاول مقدم كما بينته الفخر وقيل المعنى بل لهم نصيب
 من الملك على أن معنى أم الاضراب عن الاول والاستئناف للثاني وقيل التقدير اهل
 بالنبوة من ارسلته أم لهم نصيب الآية والتقدير النقطة والنفرة في ظهر النواة وقيل ما نقر
 الرجل بأصبعه كما ينقر الارض والتقدير ايضا خشبة تنقر ويند ما فيها وقد هي النبي صلى
 عن التقدير كما ثبت في الصحيحين وغيرها والتقدير الاصل يقال فلان كره التقدير أي كره الاصل
 والمراد هنا المعنى الاول والمقصود به المبالغة في الحقارة كالقطيير القليل والتقدير يضرب
 المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له وفي القلة والحقارة وادأنا ملغاة غير عاملة
 الدخول فاء العطف عليها ولو نصب لجاز قال سيبويه إذ في عوامل الافعال بمنزلة اظن
 في عوامل الاسماء التي تلغى اذ لم يكن الكلام معتمدا عليها فان كانت في اول الكلام وكان
 الذي بعدها مستقبلا نصبت أم منقطعة مفيدة للانتقال عن توحيهم بأموال توحيهم
 بأخر أي بل يحسدون الناس يعني اليهود يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم فقط فهو عام اريد به
 الخاص واطلق عليه لفظ الناس لانه جمع كل اخصال الحميدة التي تفرقت في الناس
 على حد قول القائل أنت الناس كل الناس أيها الرجل وليس على الله يستنكره
 ان يجمع العالم في واحد او يحسدونه هو واصحابه واصل الحسد تمنى زوال النعمة عنهم
 هو مستحق لها واما يكون ذلك مع سعي في زوالها وهو اقبح مما قبلها لان البخل منع لما
 في ايديهم والحسد منع لما عند الله واعتراض عليه والاستفهام لا إنكار أي لا ينبغي
 ذلك على ما أشبه الله من فضله من النبوة والتصديق قصر الاعداء وقيل حسدوه
 على ما أحل الله له من النساء وكانت له يومئذ تسع نسوة والاول اولى فقد اتبعنا

اَلْاِبْرَاهِيْمَ الْكَتِبَ وَالْحِكْمَةَ هَذَا الزَّامُ لِلْيَهُودِ بِمَا يَمْتَرُونَ بِهِ لَا يَنْكُرُونَهُ وَهُوَ مُسْلِمٌ
 عِنْدَهُمْ أَيْ لَيْسَ مَا اتَيْنَا مُحَمَّدًا وَاصْحَابَهُ مِنْ فَضْلِنَا بِأَبَدٍ حَتَّى تَحْسُلَ لَهُمُ الْيَهُودُ عَلَى ذَلِكَ
 فَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا اتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ وَهُمْ أَسْلَافُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنَاءُ أَعْمَامِهِ وَفِيهِ حَسْمٌ مَا دَعَا
 حَسَدَهُمْ وَاسْتَبْعَادَهُمُ الْمُبْنِيِّينَ حَتَّى تَوْهَمَ عَدَمَ اسْتِقْقَاقِ الْمَحْسُودِ مَا أُوتِيَهُ مِنَ الْفَضْلِ
 بَيَانُ اسْتِقْقَاقِهِ لَهُ بِطَرِيقِ الْوَرَاثَةِ كَأَبْرَاعِنَ كَابِرٍ وَاجْرَاءِ الْكَلَامِ عَلَى سَنَنِ الْكَبِيرَاءِ
 بِطَرِيقِ الْإِلْتِفَاتِ لِأَظْهَارِ كَمَالِ الْعِنَايَةِ بِالْأَمْسِ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةُ
 بِعَنِ التَّوْرَةِ وَالنَّبُوَّةِ وَقَدْ حَصَلَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ جَمْعُوا بَيْنَ الْمُلْكِ وَالنَّبُوَّةِ
 مِثْلُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَلَمْ يَشْغَلْهُمْ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ النَّبُوَّةِ وَمِنْهُمْ
 الْفَضْلُ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ قَالَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ فِي حَقِّ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّكَ لَ
 لِدَاوُدَ مِائَةَ امْرَأَةٍ وَلِسُلَيْمَانَ الْمِائَةَ امْرَأَةً ثَلَاثِينَ حُرَّةً وَسَبْعِينَ سَرِيَّةً وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا تِسْعُ نِسَاءٍ وَقِيلَ هُوَ مَلِكُ سُلَيْمَانَ وَاسْتَحَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي
 قِسْمَتُهُمْ أَيْ مِنَ الْيَهُودِ مَنْ آمَنَ بِهِ أَيْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَاصْحَابِهِ وَقِيلَ
 الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ حَدِيثِ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَقِيلَ الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَالْمَعْنَى مَنْ
 آلَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْمَنَ بِإِبْرَاهِيمَ وَمِنْهُمْ مَنْ صَلَّاهُ عَنْهُ وَلَمْ يُوْثَمِنْ وَقِيلَ الضَّمِيرُ يَرْجِعُ
 إِلَى الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَوَّلَى وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا أَيْ نَارًا مُسْعِرَةً لِمَنْ لَا يُؤْمِنُ وَهُوَ إِنْ شَاءَ
 لِقِيَاسِ طَوِيلٍ فِيهِ الْكَمَرُ أَيْ هُوَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ وَمَنْ صَلَّاهُ عَنْهُ كَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا لَهُ
 يَنْبَغُ هُوَ لَا يَكْفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا لَهُمْ وَقَوْلُهُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَقْرِي هَذَا وَبَيَانُ لِكَيْفِيَّةِ عَذَابِهِمْ
 وَعَذَابُ جَمِيعٍ مِنْ كَفَرٍ بِآيَتِنَا الظَّاهِرُ عَدَمُ تَخْصِيصِهِ بِبَعْضِ الْآيَاتِ دُونَ بَعْضٍ سَوَاءٌ
 كَلِمَةُ تَذَكُّرٍ لِلتَّهْدِيدِ قَالَ سَيُؤَيِّدُهُ وَتَتَوَبَّعُهَا السَّيْنُ رُصِّلَتْ أَيْ نَدَّخَلَهُمْ نَارًا يُحْتَرَقُونَ
 فِيهَا كُلَّمَا نَضِجَتْ أَيْ احْتَرَقَتْ جُلُودُهُمْ يَدَّخَلُهُمْ جُلُودُ أَغْيَرِهَا أَيْ اعْطَيْنَاهُمْ مَكَانَ
 كُلِّ جِلْدٍ مُحْتَرَقٍ جِلْدًا آخَرَ يَحْتَرَقُ فَإِنَّ ذَلِكَ أَيْ بَلَّغَ فِي الْعَذَابِ لِلشَّخْصِ لَا أَحْسَاسَهُ
 لِعَمَلِ النَّارِ فِي الْجِلْدِ الَّذِي لَمْ يَحْتَرَقْ أَيْ بَلَّغَ مِنْ أَحْسَاسِهِ لِعَمَلِهَا فِي الْجِلْدِ الْمُحْتَرَقِ وَقِيلَ
 الْمُرَادُ بِالْجُلُودِ السَّرَابِيلُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَلَا مُوجِبَ لِمَنْ لَزَكَ

المعنى الحقيقي ههنا وان جاز اطلاق الجلود على السرايل مجازا وقيل المعنى اعدنا
 الجلد الاول جديدا ويأتي ذلك معنى التبدل قال ابن عمر يبدلون جلود ابيضاء امثلا
 القراطيس وقال معاذ تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى
 اخرج الطبراني بسند ضعيف والبعوي بغير سند وقال كعب عشرين ومائة مرة وعن
 ابن مسعود ان غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا وقال الحسن تاكلهم النار في كل
 يوم سبعين الف مرة ليد وقوا العذاب اي يحصل لهم الذوق الكامل بذلك التبدل
 ويقاسوا شدته وقيل معناه ليدوم لهم العذاب ولا ينقطع ان الله كان عزيزا انتقامه
 ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه احد حكيم في تدبيره وقضائه وانما يفعل
 الا ما هو الصواب شرعا تبع وصف حال الكفار بوصف حال المؤمنين فقال والذين آمنوا
وعملوا الصالحات وهو لفظ ونش مشوش على حد قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه و
 عادته تعالى من ذكر الوعيد مع الوعد وعكسه سند خلطهم اي يوم القيمة صنعتهم
 من تحتها الاخر خلطين فيها اكد تقدم تفسير الجنات وجري لانها من تحتها وذلك
 مخلود بغير نهاية ولا انقطاع وليس المراد به طول المكث لهم فيها ارواح مكشورة من
 الادناس التي تكون في نساء الدنيا ومن كل قدر وسوء الخلق هذا اعطف عام على خاص
 وتدخلهم ظلا ظليلا الظل الظليل الذي لا يدخله ما يدخل ظل الدنيا من الحر والبرد
 ونحو ذلك وقيل هو مجموع ظل الاشجار والقصور وقيل الظل الظليل هو الدائم الذي
 لا يزول واشتقاق الصفة من لفظ الموصوف للبالغة كما يقال ليل ليل قال الربيع بن النضر
 هو ظل العرش الذي لا يزول وقيل هو ظل الجنة والاول اولى ان الله يامر المؤمنين ان يودوا
 الامتثال لاهلها هذه الآية من امهات الايات المشتهرة على كثير من احكام الشريعة لان
 الظاهر ان الخطاب يشمل جميع الناس فاطبة في جميع الامانات وقد روي عن علي بن زيد
 بن اسلم وشهر بن حوشب انها خطاب لولاة المسلمين والاول اظهر ورودها على سبب
 كما سياتي لا ينافي ما فيها من العموم فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما نقرر في
 الاصول قال الواحدي اجمع المفسرون على ان ويل في هذه الآية ويل خولا اوليا

فيجب عليهم تادية مآلديهم من الامانات ورد الظلمات وتقرى العدل في احكامهم
 ويدخل غيرهم من الناس في الخطاب فيجب عليهم رد مآلديهم من الامانات والتقرى في
 الشهادات والاخبار ومن قال بعموم هذا الخطاب البراء بن عازب وابن مسعود
 وابن عباس وابن كعب واختاره جمهور المفسرين ومنهم ابن جرير واجمعوا على ان
 الامانات مودة الى اربابها الامراء منهم والنجار كما قال ابن المنذر والامانات جمع امانة
 وهي مصدر بمعنى المفعول وقد اخرج ابن مودويه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
 فتح مكة وقبض مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة فنزل جبريل عليه السلام برد المفتاح
 فدعى النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن طلحة فردة اليه وقراه في الآية وعن ابن جريح ان هذه الآية نزلت
 في عثمان بن طلحة لما قبض منه صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة فدعا به ودفعه اليه وقال هالك
 خالدة تالدة اي مستمرة الى اخر الزمان قديمة متصلة وقد روي هذا المعنى بطرق
 كثيرة واخرج ابوداود والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 اذا لامانة لمن ائتمتك ولا تخن من خانك وقد ثبت في الصحيح ان من خان اذا اؤتمن فغيبه
 خصلة من خصال النفاق ولا اذا حكمكم بين الناس ان تحكموا بالعدل هو فصل
 الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا الحكم بالرأي المجرد فان ذلك
 ليس من الحق في شيء الا اذا لم يوجد دليل تلك الحكومة في كتاب الله ولا في سنة رسوله
 فلا بأس باجتهاد الرأي من الحاكم الذي يعلم بحكم الله ورسوله ولا بما هو اقرب الى الحق
 عند عدم وجود النص واما الحاكم الذي لا يدري بحكم الله ورسوله ولا بما هو اقرب اليهما
 فهو لا يدري ما هو العدل لانه لا يعقل الحجة اذا جاءته فضلا عن ان يحكم بها بين عباده
 الله عن علي قال حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان يؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق
 على الناس ان يسمعوا له وان يطيعوا وان يجيبوا اذا دعوا واصل العدل هو المساواة في
 الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قيل ينبغي العدل بين الخصمين في
 خمسة اشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهم والاستماع منهما والحكم
 بالحق فيما لهما وعليهما فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق من وجب عليه لمن وجب له ويكون مقصوده

بحكمه يصل الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بفرض آخر وقد ورد في فضل العادلين
 من الولاية احاديث ان الله نعيمًا يعظمكم به اي نعم الشيء الذي يعظمكم به وهو اداء الامانة
 واحكم بالعدل على وفق السنة والكتاب دون الراي البحت والعقل الصرف تقليد الاجار
 والرهبان من غير حجة نيرة وبرهان واضح ان الله كان سميعًا بصيرًا فاذا حكمتم فوسميع
 حكمكم واذا اديتم الامانة فهو يبص فعلمكم كما ينها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
 واولى الامر منكم لما امر الله سبحانه القضاة والولاة اذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالحق
 امر الناس بطاعتهم هنا طاعة الله عز وجل هي امثال اوامره ونواهيه وطاعة رسوله صلعم
 هي فيما امر به وهي عنه واولوا الامر هم الائمة والسلاطين والقضاة وامراء الحق وولاة العدل
 كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين وكل من كانت له ولاية شرعية لا
 ولاية طاغوتية والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية فلا طاعة
 لمخلوق في معصية الله كما ثبت ذلك عن رسول الله صلعم وقال جابر بن عبد الله ومجاهد
 ان اولى الامر هم اهل القرآن والعلم وبه قال مالك والضحاك وروي عن مجاهد انهم اصحاب
 محمد صلعم وقال ابن كيسان هم اهل العقل والراي وعن ابن عباس قال هم الفقهاء و
 العلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد والراجح
 القول الاول لصحة الاخبار عن رسول الله صلعم بالامر بطاعة الائمة والولاية فيما كان لله
 والمسلمين مصلحة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما يجب طاعته فيما وافق
 الحق عن ابن عباس قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي اذ بعثه النبي
 صلعم في سرية وقصته معروفة قال عطاء طاعه الله والرسول اتباع الكتاب والسنة واولى
 قال اولى الفقه والعلم وعن ابي هريرة قال اولوا الامر هم الامراء وفي لفظهم امراء السن
 وقال جابر بن عبد الله هم اهل العلم وعن مجاهد وابي العالية نخوة ومن جملة ما استدل
 المقلد هذه الآية قالوا واولوا الامر هم العلماء والاحباب ان لنفسين في تفسيرها قولين
 احدهما انهم الامراء والثاني انهم العلماء كما تقدم ولا يمنع ارادة الطائفتين من الآية
 الكريمة ولكن اين هذا من الدلالة على مراد المقلدين فانه لا طاعة لاحد من الاوامر واطاعة

الله على وفق سنة رسوله وشريعته وايضا العلماء انما ارشدوا غيرهم الى ترك تقليد
 ونهواهم عن ذلك كما روي عن الائمة الاربعة وغيرهم فطاعتهم ترك تقليدهم ولو فرضنا
 ان في العلماء من يرشد الناس الى التقليد ويغيبهم فيه لكان يرشد الى معصية الله ولا
 طاعة بنص حديث من رسول الله صلى الله عليه وآله قلنا انه يرشد الى معصية الله لان من ارشد
 هؤلاء العامة الذين لا يعقلون الحج ولا يعرفون الصواب من الخطأ الى التمسك بالتقليد
 كان هذا الارشاد منه مستلزما لارشادهم الى ترك العمل بالكتاب والسنة الا بواسطة
 اراء العلماء الذين يقلدونهم فما عملوا به عملوا به وما لم يعملوا به لم يعملوا به لا يلتفتوا
 الى كتاب وسنة بل من شرط التقليد الذي صيوبا به ان يقبل من امامه رايه ولا يعول
 على روايته ولا يسأله عن كتاب ولا سنة فان سأل عنه ما خرج عن التقليد لانه قد صار
 مطالبا بالحجة ومن حجة ما يجب فيه طاعة اولى الامر تدبير الحروب التي تدهم الناس
 والانتفاع بارائهم فيها وفي غيرها من تدبير الامور المعاش وجلب المصالح ودفع المفاسد
 الدينية ولا يبعد ان تكون هذه الطاعة في هذه الامور التي ليست من الشريعة هي
 المبرادة بالامور بطاعتهم لانه لو كان المراد طاعتهم في الامور التي شرعها الله ورسوله
 لكان ذلك داخل تحت طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يبعد ايضا
 ان يكون الطاعة لهم في الامور الشرعية في مثل الواجبات الخيرية والواجبات الكفائية فاذا
 امروا بواجب من الواجبات الخيرية او الزواجب لانتهاص الدخول في واجبات الكفالية
 لزم ذلك فهو الشئ شرعي وجب فيه الطاعة وبالحجة فهذه الطاعة لاولي الامر المذكورة
 في الآية هي الطاعة التي ثبتت في الاحاديث المتواترة في طاعة الامراء ما لم يؤمر بمعصية
 الله او يرى المأمور كفرا بواحد هذه الاحاديث مفسرة لما في الكتاب العزيز وليس ذلك
 من التقليد في شئ بل هو في طاعة الامراء الذين غالبهم الجاهل والبعد عن العلم في
 تدبير الحاربات وسياسة الاجناد وجلب مصالح العباد واما الامور الشرعية المحضة
 فقد اغنى عنها كتاب الله العزيز وسنة رسوله المطهرة صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الذي سقناه
 هو عمدة ادلة المجوزين للتقليد وقد ابطنا كما عرفت ولهم شبهة غير ما سقناه وهي و

ما حررناه فإن تنازعنا المنازعة المجاذبة والفرع المجذب كان كل واحد ينتزع حجة الآخر
ويخذل بها والمراد بالاختلاف المجادلة والظاهر انه خطاب مستقل مستأنف وموجه للصحة
ولا يصح ان يكون لاولي الاكل على طريق الالتفات وليس المراد فان تنازعنا ايها الرعايا مع اولي
الامر المجتهدين لان المقلد ليس له ان ينازع المجتهد في حكمه قال ابو السعود ولا ولي ما قدمناه
وظاهر قوله في شيء يتناول امور الدين والدنيا ولكنه لما قال فردوه الى الله والرسول
تبين به ان الشيء المتنازع فيه يختص بامور الدين دون امور الدنيا والمعنى في شيء غير
منصوص نصا صريحا من الامور المختلف فيها ككذب الوتر وضمان العارية ونحوهما والرد الى
الله هو الرد الى كتابه العزيز والرد الى الرسول هو الرد الى سنته المطهرة بعد موته واما
في حياته فالرد اليه سؤاله هذا معنى الرد اليهما وقيل معنى الرد ان يقول لما لا يعلم الله رسول
اعلم وهو قول ساقط وتفسير يارد وليس في هذه الآية الا الرد المذكور في قوله تعالى لو
رُدُّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم والرد الى كتاب
الله وسنة رسوله واجب فان ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد فيه ففي سنة
رسوله فان لم يوجد فيها فسيبيله الاجتهاد ولا يلتفت عند وجود الحكم فيها او في احدهما
الى غيرهما من اراء الرجال وغيرهم فانه مشقة لله ورسوله من بعد ما تبين له الهدى
وفي قوله ان كنتم تؤمنون دليل على ان هذا الرد ممتنع على المتنازعين وانه شان من يؤمن
بالله واليوم الآخر وفي الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب متابعة الكتاب والسنة
والحكم بالنصوص القرآنية والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله لا يكون مؤمنا بالله ولا باليوم
الآخر ذلك اي الرد لما موربه خير واحسن تأويل لا ي مرجعا واحدا عاقبة من الاول
يقال ان يؤل الى كذا اي صار اليه والمعنى ان ذلك الرد خير لكم في حد ذاته من غير
اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية من التنازع والقول بالرأي واحسن من لا
مرجعا ترجعون اليه ويجوز ان يكون المعنى ان الرد احسن تأويلا من تأويلكم الذي صورتموه
عند التنازع وقال قتادة ذلك احسن تأويلا وخير عاقبة وقال مجاهد احسن جزاء وقد
وردت احاديث كثيرة في طاعة الامراء ثابتة في الصحيحين وغيرهما مقيدة بان يكون ذلك

في المعرف وانه لا طاعة في معصية الله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا
 أكبر علم أصول الفقه لأن الفقهاء زعموا أن أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة و
 الإجماع والقياس وهذه الآية مشتقة على تقرير هذه الأصول الأربعة بهذا الترتيب إما
 الكتاب والسنة فقل وقعت الإشارة إليهما بقوله ^{تعالى} وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فذلت
 عليه وجوب متابعة الكتاب والسنة وقوله ^{تعالى} إلى الأمر منكم يدل على أن إجماع الأمة حجة
 لأن الله تعالى أمر بطاعتهم على سبيل الجزم وهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والمراد بهم أهل
 العمل والعقل وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة وقوله فان تنازعتم في شئ فردوا
 إلى الله والرسول يدل على أن القياس حجة وهذه الآية دالة على أن الكتاب والسنة مقدمتان
 على القياس مطلقاً فلا يجوز ترك العمل بهما بسبب القياس ولا يجوز تخصيصهما بسبب القياس
 البتة سواء كان القياس جلياً أو خفياً وسواء كان النص مخصوصاً قبل ذلك أم لا وما يدل
 عليه أن قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أمر بطاعة الكتاب والسنة وهذا الأمر مطلق
 فثبت أن متابعتهم سواء حصل قياس يعارضهما أو يخصصهما أو لم يوجد واجب ومما
 يؤكد ذلك وجوه أخرى أحدها أن كلمة أن على قول الأكثرين للاشتراط صلى هذا كان
 قوله فان تنازعتم صريحاً في أنه لا يجوز العُدول إلى القياس إلا عند فقدان الأصول الثاني
 أنه تعالى أخرد ذكر القياس عن ذكر الأصول الثلاثة وهذا يشعر بأن العمل به مؤخر عن الأصول
 الثلاثة الثالث أنه صللم اعتبر هذا الترتيب في قصة معاذ حيث أخرج الاجتهاد عن الكتاب
 وعلق جوازه على عدم وجدان الكتاب والسنة بقوله فان لم تجدوا الرابع أنه تعالى أمر
 الملائكة بالسجود لأدم ثم إن إبليس لم يدفع هذا النص بالكلية بل خصص نفسه عن
 ذلك العموم بقياس ثم أجمع العقلاء على أنه جعل القياس مقدماً على النص وصار بذلك
 السبب ملعوناً وهذا يدل على أن تخصيص النص بالقياس تقدير للقياس على النص أنه
 غير جائز الخامس أن القرآن مقطوع في متنه لأنه ثبت بالتواتر والقياس ليس كذلك
 بل هو مظهر من جميع الجهات والمقطوع راجح على المظهر السادس قوله تعالى ومن لم
 يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وإذا وجدنا عموم الكتاب حاصلاً في الواقعة لم نأنا

لا تحكم به بل حكمنا بالقياس لزم الدخول تحت عموم السامع قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقفوا
 بين يدي الله ورسوله فاذا كان عموم القرآن حاضرا ثم قلنا القياس المحض من قوله لا تقفوا
 بين يدي الله ورسوله الشا من قوله تعالى سيقول الذين اشرأوا واشتبهوا بشا الله ان
 الاظن جعل اتباع الظن من صفات الكفار ومن الموجبات القوية في مذمتهم فهذا يقتضي
 ان لا يجوز العمل بالقياس البتة ترك هذا النص لما بينا انه يدل على جواز العمل بالقياس لكنه
 انما دل على ذلك عند فقدان النصوص فوجد عند وجدانها ان يبقى على الاصل التاسع
 ان القرآن كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس يعرق
 عقل الانسان الصعيف وكل من له عقل صحيح علم ان الاولى اقوى للتابعة والحوث
 وايضا هذه الآية دالة على ان ما سوى هذه الاصول اربعة مورد وباطل وليس للمكلف ان
 يتمسك بشيء سوى هذه الاصول فالقول بالاستحسان الذي يقول به ابو حنيفة والفقهاء
 بالاستصلاح الذي يقول به مالك ان كان المراد به احد هذه الامور اربعة فهو تغيير
 عبارة ولا فائدة فيه وان كان مغايرا لهذه الاربعة او ما حداها كالقول به باطلا
 فطعا لدلالة هذه الآية على بطلانه والامر في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
 للوجوب وبه زعم كثير من الفقهاء وادعى عليه المتكلمون بما لا يغني عن جوع هذه
 الآية دالة على ان ظاهر الامر للوجوب ولا شك انه اصل معتبر في الشرع وفي الآية دلالة
 ان شرط الاستدلال بالقياس في المسئلة ان لا يكون فيها نص من الكتاب والسنة لان قوله
 فان تنازعتم في شئ فردوه من غير هذا الاشرط ومعنى تنازعتم اختلفتم قال الزجاج اي
 قال كل فريق القول قولي والمنازعة عبارة عن مجاذبة كل واحد من الخصمين بحجة صحيحة لقوله
 او محمولة جذب لقوله ونزعه اياه عما يفسده والشر الآية يقتضي ان من لم يطع الله والرسول
 لا يكون مؤمنا والاعلام في الآية استنباطا وتفقهها وزاد تعقبا يطول وقد بسط القول فيه
 الرازي في تفسيره والذي ذكرناه هو حاصل ما يتعلق بالتفسير منه أَمْ تَرَى الَّذِينَ
يَقُولُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يُتَّخَذُوا كُفَّ
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ فِيهِ تُجِيبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى مِنْ حَالِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

ادعوا لانفسهم انهم قد جمعوا بين الايمان بما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وما انزل
 عليه من قبله من الانبياء فجاءوا بما ينقض عليهم هذه الدعوى ويبطلها من اصلها ويوضح انهم
 ليسوا على شيء من ذلك اصلا وهو اذ هم التواكروا الى الطاغوت وقد امروا فيما انزل على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من قبله ان يكفروا به وسيأتي بيان سبب نزول الآية وبه يتضح معناها وقد تقدم
 تفسير الطاغوت والاختلاف في معناه وبسند قال السيوطي صحيح عن ابن عباس قال كان
 برزة الاسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافرنا اليه من المسلمين فأنزل
 هذه الآية وعنه كان الحلاس بن الصامت قبل قتيبه ومعقب بن قشير ورافع بن زيد
 كانوا يدعون الاسلام فدل عاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوههم الى الكهان حكام الجاهلية فنزلت الآية وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى والحق ضلالا بعيدا مستقى الى الموت وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ نَكْمِلْ لَكُمُ الْكَلِمَةَ لِمَا دَعَاكُمْ بِهِ اعراضهم صيحا عن التواكروا الى كتاب الله رسول
 اثريان اعراضهم عن ذلك في ضمن التواكروا الى الطاغوت رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ اي بصبر
 كما هو الظاهر يُضِلُّونَ عَنْكَ صُدُّوا اسم للمصدر وهو الصدد عند الخليل وعند
 الكوفيين انما مصدران اي يعرضون عنك وعن حكيم اعراضا واي اعراض وانما اعراض
 لانهم علموا انه يحكم بالحق الصريح ولا يقبل الرشاك فكيف بيان لعاقبة امرهم وما صار اليه
 حالهم اي كيف يكون حالهم اذا اصابهم مصيبة اي وقت اصابهم فانهم يعجزون
 عند ذلك ولا يقدر على الدفع والمراحم قد امت اي لا يتم ما فعلوه من المعاصي
 التي من جملتها التواكروا الى الطاغوت ثم جاءوك يخلفون يا الله ان اردنا الا احسانا و
 توفيقا اي يعتذرون عن فعلهم وهو عطف على اصابهم ويخلفون ما اردنا ان احسانا
 الى غيرك الا الاحسان لا الاساءة والتوفيق بين الخصمين لا المخالفة لك وقال ابن كثير
 معناه ما اردنا الا احدا وحقا مثل قوله ولخلفن ان اردنا الا احسن فكل بهم الله بقوله
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ من النفاق والعداوة للحق وكذبهم في عدوهم قال
 الزجاج معناه قد علم الله انهم منافقون فاعرض عنهم اعني عقابهم بالصفر وقيل عن قول

اعتذارهم وقيل لمعرض عنهم في الملا وقيل لهم في اخلا لاه في السرا جمع وقيل هذا الاعراض
منسوخ بآية القتال وعظمهم اي خوفهم من النفاق والكفر والكذب والكيد وعذاب الآخرة
باللسان وقيل لهم في انفسهم اي في حق انفسهم اخيصة وقلوبهم المنطوية على السرور
التي يعلمها الله وقيل معناه قل لهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم قولا بليغا اي بالغافي وعظم
ومؤثرا فيهم واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سبق له من المقصود وذلك بان يوحد هم
بسفك دماهم وسبي نسائهم وسلب اموالهم والايدان بان ما في قلوبهم من مكونات
النس والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات والبلات
ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ وقيل حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل
سرعة الاجاز مع الافهام وحسن التصريف من غير اختيار وقيل ما قل لفظه وكثر معناه
وقيل ما طابق لفظه معناه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل
المسراد بالقول البليغ ما كان مشتتلا على الترضيب والترهيب والاعذار والانداز
والوعد والوعيد واذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب واثري في النفوس وما ارسلنا
من رسول من زائدة للتوكيد قاله الزجاج والمعنى وما ارسلنا رسولا الا ليطاع فيما امر
وفى عنه وهذه لام كي واستثناء مفرغ اي ما ارسلنا الشئ من الاشياء الا للطاعة
ياذن الله بعلمه وقيل بامره وقيل بتوقيفه وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين
تركوا احكام رسول الله صلعم ورضوا بحكم الطاغوت وكواهم اذ ظلموا انفسهم بترك
طاعتك والتحاكم الى غيرك من الطاغوت وغيره جاؤوك متوسلين اليك تائبين من
النفاق متصلين عن جنائياتهم ومخالفاتهم فاستغفروا الله لذنوبهم بالتوبة والاخلاص
ورضى عوا اليك حتى قمت شفيعا لهم فاستغفرت لهم وانما قال واستغفروا رسول الله
على طريق التلقات لقصد التخييم لشان الرسول صلعم وتعظيما لاستغفارة واجلالا
لحجي الله لوجده الله تعالى رجما اي كثير التوبة عليهم والرحمة لهم وهذا الجي يختص بمن
حياته صلعم وليس الجي اليه يعني الى مرقد المنور بعد وفاته صلعم كما يدل عليه هذه الآية
كما قرره في الصارم المبكي ولهذا لم يذهب الى هذا الاحتمال البعيد احد من سلفك امته واشتهرها

الامن الصحابة ولا من التابعين ولا من تبعهم بالاحسان قال ابن جرير قوله فلا رد على
 ما تقدم ذكره تقديره فليس الامر كما يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
 ثم استأنف القسم بقوله وربك لا يؤمنون وقيل انه قد تم لاجل القسم اهتماما بالنفي اظها
 لقوته ثم كرره بعد القسم تأكيد وقيل لا مزيد للتأكيد معنى القسم لا لتأكيد معنى النفي قاله
 الرغشري والتقدير فوربك لا يؤمنون كما في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم حتى غابني يتقني
 عنهم الايمان الى ان يحكموا لي يجعلوك حكما بينهم في جميع امورهم لا يحكمون احدا غيرك
 وقيل معناه يتحاكمون اليك ولا يلجئوا لذلك فيما شئنا اي اختلف بينهم واختلفت ومنه
 الشجر لا اختلاف اخصائه ومنه تشاجر الرياح اي اختلافها ثم لا يجحدوا في انفسهم حرجا مما
 قضيت قيل هو معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام اي تقتضي بينهم ثم لا يجحدوا والحج
 الضيق وقيل الشك ومنه قيل للشجر المتلف حرج وحرجة وجمعها حراج وقيل الحرج الاثر اي
 لا يجحدون في انفسهم اثما بانكارهم ما قضيت به ويسئلوا تسليما اي يتقاد والامر انك
 انقيا دالا يخالفونه في شيء بظاهريهم وباطنيهم قال الزجاج تسليما مصدر مؤكداي ويسلون
 بحكمك تسليما لا يدخلون على انفسهم ولا شبهة فيه والظاهر ان هذا شامل لكل فرد في كل
 حكم كما يؤيد ذلك قوله وما ارسلنا من رسول الا نيطاع باد الله فلا يختص بالمقصودين
 بقوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وهذا في حياته صلوا وما بعد موته فتحكم الكتاب
 والسنة تحكيم احكامهما فيهما من الامة والقضاة اذا كان لا يحكم بالرأي المجرد مع وجود الدليل
 في الكتاب والسنة او في احدهما وكان يعقل ما يرد عليه من حجج الكتاب والسنة بان يكون
 عالما باللغة العربية وما يتعلق بها من نحو وتصريف ومعاني وبيان عارفا بما يحتاج اليه
 من علم الاصول بصيرا بالسنة المطهرة ميزا بين الصحيح وما يلحق به والضعيف وما يلحق به
 منصف غير متعصب لمذهب من المذاهب ولا لفخذ من الفخذ ولا لحيث ولا لبيلا في حكمه
 فمن كان هكذا فهو قائم في مقام النبوة مترجم عنها احكامها وفي هذا الوعيد الشديد
 ما تشعرون له الجلود وترجف له الاثنية فانه الا اقسم سبحانه بنفسه مؤكدا لهذا القسم
 بحرف النفي بانهم لا يؤمنون فحق عنهم الايمان الذي هو راس كل صالح عباد الله حتى تحصل

غاية هي تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يكتف بجأته بذلك حتى قال ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
 مما قضيت فضم الى التحكيم امر اخر هو عدم وجود حرج اي حرج في صدورهم فلا يكون حرج التحكيم
 والاذعان كافيا حتى يكون من صميم القلب عن رضا واطمئنان وانتلاج قلب وطيب نفس ثم
 لم يكتف بهذا كله بل ضم اليه قوله ويسلموا اي يدعوا وينقادوا ظاهرا وباطنا ثم لم يكتف بذلك
 بل ضم اليه المصدر المؤكد فقال تسليما فلا يثبت الايمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم ثم
 لا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه ويسلم حكمه وشرعه تسليما لا يخالطه رد ولا تشويه
 مخالفة قال الرازي ظاهر الآية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على
 انه يجب متابعة قوله وحكمه على الاطلاق وانه لا يجوز العدول منه الى غيره ومثل هذه
 المباعدة المذكورة في هذه الآية قلما يوجد في شيء من التكليف وذلك يوجب تقدير عموم
 القرآن والخبر على حكم القياس وقوله ثم لا يجدوا الى اخره يشعر بذلك لانه متى خطر بباله
 قياس يفضي الى نقيض مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يمكن
 ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم النص تسليما كلياً وهذا الكلام قوي حسن
 لمن انصف انتهى اخراج البخاري ومسلم واهل السنن وغيرهم عن عبد الله الزبير بن
 الزبير خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في شراح من الحرة وكانا يستقيان به كلاهما الفحل فقال الانصار سريح الماء يمر فابي عليه
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصار وقال يا رسول الله
 ان كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى
 يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك واستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اشار على الزبير باني اراد فيه سعة له وللانصار فلما احتفظ رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الانصار باني استوى للزبير حقه في صريح الحكم فقال الزبير ما احب هذه الآية
 نزلت الا في ذلك واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن الاسود ان سبب نزول الآية
 انه اختصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ففرض بينهما فقال المقضي عليه ردنا الى عمر
 فردها فقتل عمر الذي قال ردنا وتلت الآية فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المقتول واخرج

لا يخطأ
 في خبر
 ابن

الحكيم الترمذي في نوادير الأصول عن محمول فذكر نحوه وبين ان الذي قبله عمر كان منافقا
 وهما مرسلان والقصة غريبة وابن لهيعة فيه ضعف ولو اننا كتبنا عليهم اي على هؤلاء
 الموجودين من اليهود والمنافقين كما كتبنا على بني اسرائيل ان اقتلوا انفسكم وانجروا
 من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم والمعنى لو كتب ذلك على المسلمين ما فعله الا القليل منهم
 والضمير في فعلوه راجع الى المكتوب الذي دل عليه كتبنا او الى القتل والخروج الدلول
 عليهما بالفعلين وتوحيد الضمير في مثل هذا قد قد منا وجهه وقرئ قليل بالرفع على البدل
 وبالنصب على الاستثناء والرفع عند الحاجة اجود ولو انهم فعلوا ما يؤعظون به من اتباع
 الشرع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك خيرا لهم وانفع في الدنيا والاخرة من غيره
 على تقدير ان الغيرة فيه خير وهذا اذا كان على بابه ويحتمل انه بمعنى اصل الفعل اي
 حصل لهم خيرهما واشد شتيئا لا قدرهم على الحق فلا يضطربون في امر دينهم واذا
 اي وقت فعلهم لما يؤعظون به لا دينهم من كذبنا اجر اعظم اي ثوابا وافرا جزيل وهو
 الجنة وهذا دينهم صراط مستقيما لا عوج فيه ليصلوا الى الخبر الذي يناله من اقتل ما
 امر به وانقاد لمن يدعوه الى الحق قال ابن عباس يعني دين الاسلام وقيل الاعمال الصالحة
 المؤدية الى الصراط الذي يمر عليه الناس الى الجنة ومن يطيع الله والرسول كلاما مستقيما
 لبيان فضل طاعة الله والرسول فيما امر به امر يوجب اذنب وفيما نهى عنه فهي تحريم او كراهة
 فالمراد بالطاعة الانقياد التام لجميع الاوامر والنواهي والاشارة بقوله فاولئك الى
 المطيعين كما يفيد من مع الذين اتبعوا الله فليعبدوا الله فليعبدوا الله فليعبدوا الله فليعبدوا الله
 الله لهم من النبيين بيان للذين وفي الآية سلوك طريق الله فان منزلة كل واحد من
 الاصناف الاربعة اعلى من منزلة ما بعده والصديقون والشهداء والصالحون
 الصديق المبالغ في الصدق كما يفيد الصيغة وقيل هم فضلاء اتباع الانبياء والشهداء
 من ثبت لهم الشهادة في سبيل الله والذين استشهدوا يوم احد والاول اولى الصالحين
 اهل الاعمال الصالحة وقيل المراد بالنبيين محمد صلى الله عليه وسلم والصدديقين ابو بكر والشهداء عمر
 وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة والعموم اولى ولا وجه للتخصيص وحسن اولئك

الاصناف الاربعة وفيه معنى التجب كانه قال وما احسن اولئك رفيقا في الجنة والرفيق
 ما اخذ من الرفق وهولين الجانب والمراد به المصاحب لا رفاقك بصحبته ومنه الرفقة
 لا رفاق بعضهم ببعض وانما واحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد
 والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا في الجنة بان يستقنع فيها بربوبيتهم
 وزيارتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة الى غيرهم اخرج
 الطبراني وابن ماجة وابونعيم في الحلية والضياء المقدسي في صفة الجنة وحسنه
 عن عائشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لا تحبني من نفسي وانك لا
 تحبني من ولدي واني لا اكون البيت فاذكرك فما اصاب حتى اتي فانظر اليك واذا ذكرت موتي
 وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة قضيت
 ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى تزل جبريل هذه الآية وقيل نزلت في ثوبان
 مول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه وعن اناس ان
 رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعدت لها قال لا شيء
 الا ان احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فيما فرحنا بشيئ اشد فرحنا
 بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجوان
 اكون معهم محبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم اخرجهم الشيطان اقول وانا ايضا احب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم واصحابه واتباعهم واهل بيته وسلف الامة واعتمها سيما الحديثين منهم رضي الله
 عنهم اجمعين حباً شديداً وارجوان يجمعني الله معهم في دار رحمة وكرامته بمنه ولطفه فانه
 ما يشاء قدير وبالكافة جدير ذلك اي ما ذكر من وصف الثواب او كونهم مع من ذكر
 الفضل كائن من الله يعني الذي اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم فضل تفضل به
 عليهم لانهم نالوه بطاعتهم وكفى بالله عليم بما يجزاه من اطاعه او عبادته فهو يوفى لهم بطاعة
 فتقول بما اخبركم به ولا يثبتك مثل خبير وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم
 بل انما نالوها بفضل الله ورحمته ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان من دخل الجنة قالوا لا انت يا رسول الله قال فلا انا الا ان تغفر لي الله منه

بفضل ورحمة أخرجه البخاري ومسلم نحوه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْذَرُوا حَدَّكُمْ هذا خطاب
 لخاص المؤمنين وأمر لهم بجماد الكفار والخروج في سبيل الله وَاحْذَرُوا حَدَّكُمْ لغة أن كل مثل والنزل
 قال الفراء أكثر الكلام احذر واحذر مسموع أيضا يقال حَذَرَكَ أي احذر وتيقظ
 له قيل معنى الآية الأمر لهم بأخذ السلاح حَذَرَ لأن به احذر فَاتَّقُوا وانفرو بغير بكسر
 الفاء نفيرا ونفرا للادابة تنفرو بضم الفاء نفورا والمعنى انفرو القتال العدو والنفيرا
 اسم للقوم الذين ينفرون واصله من النفار والنفور والنفر وهو الفرع ومنه قولهم
 ولوا على ديارهم نفورا أي نافرين يقال نفرا إليه أي فرغ والنفر الجماعة كالقوم والرهط
 والاسم للنفرتين وقوله تَبَاتٍ جمع تبة أي جماعة من الرجال فوق العشرة وقيل فوق
 الاثنين والمعنى نفرو واجتماعات متفرقات سرية بعد سرية أَنْفَرُوا جميعا أي مجتمعين
 جيشا واحدا ومعنى الآية الأمر لهم بأن ينفروا على أحد الوصفين ليكون ذلك أشد على
 عدوهم وليأمنوا من أن يخطفهم الأعداء إذا نفر كل واحد منهم وحده أو نحو ذلك وقيل
 أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى انفروا خفا وثقا لا ويقولوا الانفروا يعدل بكون الصحيح
 أن الأيتين جميعا حكمتان أحدهما في الوقت الذي يحتاج فيه إلى انفور الجميع والأخرى عند
 الاكتفاء بنفور البعض وَأَنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ كَيْبُطٌ التبطية والبطاء التأخر
 والمراد المنافقون كانوا يقعدون عن الخروج ويقعدون غيرهم والمعنى أن من دخلاكم
 وجنسكم ومن أظهر أيمانه لكم نفاقا من يبطل المؤمنين ويثبطهم واللام في قوله لمن لأم
 تؤكد الابتداء وفي قوله ليبطن لأم جواب القسم فَأَن أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ من قتل أو
 هزيمة أو ذهاب مال قال هذا المنافق فَدَا نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ كُنَّا كُمْ مَعَهُمْ شهيدا أي حاضر
 الواقعة حتى يصيبني ما أصابهم ولكن لأم قسم أصابكم فَضَلَّ من الله أي غيبت أو فتح
 ونسبة إضافة الفضل إلى جانب الله تعالى دون أصابة المصيبة من العادات الشريفة
 التذيلية كما في قوله وإذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الأولى لما انضموا
 لمقصدهم أو فواثر نفاقهم فيها أظهر ليغفون هذا المنافق قول نادم حاسد كان كمن
يَبِينُكُمْ وَيَبِينُهُ مَوَدَّةٌ أي معرفة وصداقة حقيقية والأفالمودة الظاهرة حاصلة بالفعل

جملة معتضة وقيل ان في الكلام تقدما وتأخيرا وقيل المعنى كان له نعم قد كرم على الجهاد
 بالثبته لا للنداء لدخولها على الحرب ليكني كنت معهم أي في تلك الغزوة التي هم المؤمنون
 فأكبرهم فوزا عظيما فوز بالنصب على جواب التمني وقرأ الحسن بالرفع أي فاحذ نصيبا وافرأ
 من العينة فليقاتل في سبيل الله هذا من المؤمنين وقيل للمنافقين أي ان بطاونا
 هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون البادون انفسهم في طلب الآخرة والذين يشروها
 ويخفونها على الآخرة وهم المبطلون والمعنى ختم على ترك ما حكمي عنهم وقدم الظرف على القاطن
 للاهتمام به الذين يشرون يبيعون وهم المؤمنون ويشتررون وهم المنافقون الحيوة الدنية
 بالآخرة أي ثوابها وما وعد الله فيها ومن يقاتل في سبيل الله لا عداية له فيقتل أي
 فيستشهد أو يغلب يعني يظفر بعدوه من الكفار وذو كرهين الامرين للاشارة الى ان
 حق المجاهد ان يوطن نفسه على احدهما ولا يخطر بباله القسم الثالث وهو مخرج اخذ المال
 فسوف نؤتيه في كلتا الحالتين الشهادة والظفر جرا عظيما يعني ثوابا وافرا وعدا الله
 لمقاتلين في سبيله بانه سيؤتيهم اجرا عظيما لا يقاد ر قدره وذلك انه اذا قتل با شهيدا
 التي هي اعلى درجات الاجور وان خلب وظفر كان له اجر من قاتل في سبيل الله مع ما قدنا
 من العلو الدنيا والغنية وظهر هذا يقتضيه التسوية بين من قتل شهيدا او انقلب غنائما
 وربما يقال ان التسوية بينهما انما هي في ايتاء الاجر العظيم ولا يلزم ان يكون اجرا مستويا
 فان كون الشيء عظيما هو من الامور النسبية التي يكون بعضها عظيما بالنسبة الى ما هو جود وحقير
 بالنسبة الى ما فرقه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في سبيله
 لايخرجه الا جهاد في سبيله وايمان بي وتصديق برسلي فهو على ضامن ان ادخل الجنة
 وارجمه الى مسكنه الذي خرج منه نال ما نال من اجرا وغنية اخرجته الشيطان واللفظ ^{لمسلم}
 وما لكم لا تتقاتلون في سبيل الله خطا بالمؤمنين المأمورين بالقتال على طريق الالتفات
 سبل المتضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى تخلصوهم من الاسر وترجوهم
 فانهم فيه من الجهد ويجوز ان يكون منصوبا على الاختصاص أي واخص المستضعفين
 فانهم من اعظم ما يصدق عليه سبيل الله واختار الاول انما جازع والازهري وقال محمد بن زيد

اختار ان يكون المعنى وفي المستضعفين فيكون عطف على السبيل لا على الجلالة وان كانت
على ما في تفسير الكواشي لان خلاص المستضعفين من ايدي المشركين سبيل الله لا سبيلهم
والمراحم المستضعفين هنا من كان بمكة من المؤمنين تحت اذلال الكفار وهم الذين كان
يدعونهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسملة بن هشام وعياش بن ابي سبيعة
والمستضعفين من المؤمنين كما في الصحيح وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا حذر
لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى فقد اخرج
البخاري عن ابن عباس قال انا وامي من المستضعفين وفي رواية قال كنت انا وامي من
عذراءه انا من ولدان وامي من النساء ولا يبعد ان يقال ان لفظ الآية اوسع من هذا
والاعتبار بعموم اللفظ لولا تقييده بقوله الَّذِينَ يَقُولُونَ دَاعِينَ رَبِّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ اَهْلُهَا فانه يشعر باختصاص ذلك بالمستضعفين الكائنين في مكة
لانهم قد اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية الظالم اهلها مكة واجعل لنا من لَدُنْكَ وَلِيًّا
يؤايننا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا واجعل لنا من لَدُنْكَ نَصِيرًا
على اصدائنا وقد استجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي خير ناص وهو محمد صلى
الله عليه وسلم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة وقال السيوطي لبعضهم
الخروج وبقي بعضهم الى ان فتح مكة وولي صلح عتاب بن اسيد فانصف مظلومهم من
ظالمهم انتهى وكان ابن ثمانية عشر سنة قال البخاري فكان يأخذ للضعيف من القوي
وينص المظلومين على الظالمين الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يعني في طاعة الله
واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته وهذا ترغيب للمؤمنين وتنشيطهم بان قتالهم لهذا
المقصد لا غيره وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ اي الشيطان والكفار
او الاصنام وتفسير الظالمين هنا بالشيطان اولى لقوله فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ وهم
الكفار اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ اَيْ مكره ومكر من اتبعه من الكفار كَانَ ضَعِيفًا فَلَا يُقَادِرُ
نص الله وتأييده وعن ابن عباس قال اذا رايتموا الشيطان فلا تقاوه واحملوا عليه
ان كيدته كان ضعيفا واهيا قال مجاهد كان الشيطان يترأى لي في الصلوة فكنيت

قول الجعاس فاجل عليه فيذهب عني والكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال الفرق
 الى الذين قيل كُفُّوا ايديكم واقِمُوا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ قيل هم جماعة من الصحابة
 ام وابترك القتال في مكة بعد ان تسرعوا اليه فلما كتب عليهم بالمدينة شطوا عن
 القتال من غير شك في الدين بل خوفا من الموت وفرعا من هول القتل وقيل انهم اترلت
 في اليهود وقيل في المنافقين اسلموا قبل فرض القتال فلما فرض كرهوه وهذا الشبه
 بالسياق لقوله وقالوا ربنا الى قوله قريب وقوله ان تصيهم حسنة الآية ويبعد صدور
 مثل هذا من الصحابة وفيه دليل على ان فرض الصلوة والزكاة كان قبل فرض الجهاد فلما كتب
 عليهم القتال اي فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر اذا فرّق بينهم اي
 جماعة من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس اي يخافون مشركي مكة
 خشية الله واشك خشية او للتبوع على معنى ان خشية بعضهم خشية الله وخشية
 بعضهم شد منها وقالوا اجزعا من الموت ربنا لم تكتب علينا القتال اي لم فرض علينا
 الجهاد لولا اهلنا اخرتنا يريدون المهلة الى اجل اي وقت اخر قريب من الوقت الذي
 فرض عليهم فيه القتال والقائلون لهذا القول هم المنافقون وقيل قاله بعض المؤمنين
 خوفا وجبنالا اعتقادا ثم تابوا منه وقال السدي الى اجل يعني الموت فامر الله سبحانه بان
 يجب عليهم فقال قل متاع الدنيا اي منفعتها والاستمتاع بها قليل سريع الفناء ائلا يد
 لصاحبه ائلا الفناء والاخرة اي ثوابها خيرا من المتاع القليل لمن اتقى الشر والمعصية
 منكروا غيب الثواب الدائم ولا تطلمون فتيلا اي قد رقتة يعني شيئا حقيرا يسيرا
 قد تقدم تفسير الفتل قريبا واذا كنتم توفرون اجودكم ولا تنقصون شيئا منها فكيف ترغبون
 عن ذلك تشتغلون بمتاع الدنيا مع قلة وانقطاعه اخرج النسائي وابن جرير وابن ابي حاتم
 واحكامه وصححه والبيهقي في سننه عن ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف وصاحبا بالانوا
 النبي صلى الله عليه وآله لما يابني الله كذا في غزاة فغن مشركون فلما انما صرنا اذلة فقال لي امرت باللعفو
 فلا تقا تلوا القوم فلما حوله الله الى المدينة امره بالقتال فكفوا فاترل الله هذه الآية وعن
 قتادة نحوه وعن مجاهد انها ترلت في اليهود اين ما تكونوا ايديكم الموت كلام مبتدئ

مسوق من قبله تعالى بطريق تلويح الخطاب وصرف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخطابين عندهما
 بالزامهم اثنيان جفارة الدنيا وعلوشان الآخرة وفيه حث لمن قعد عن القتال خشية الموت وبيان
 لفساد ما خالطه من الجبن وخامسه من الخشية فان الموت اذا كان كائنا لكان حاله نفس لم تمت بالسيف
 بغيره ولو كنت لم ترق بروج جمع برج وهو البناء المرتفع مشيد في رفعة مطولة من شاد القصور
 اثار رفعة وطلاءه بالشيد وهو الجص وقد اختلف في هذه البروج ما هي فقليل الحصون
 والقلاع التي في الارض وقيل هي القصور المحصنة الرفيعة قال الزجاج والقنبيعي معنى مشيد
 مطولة وقيل معناه مطلية بالشيد وهو الجص وقيل المراد بالبروج بروج في سماء الدنيا
 صنية حكاه علي عن مالك فقال لا ترى الى قوله والسماء ذات البروج وجعل فيها بروجاً
 ولقد جعلنا في السماء بروجاً وقيل ان المراد بالبروج المشيدة هنا قصور من حديد وان
 تصبرهم حسنة يقولوا هذه من عند الله هذا وما بعده فخص بالمتأفكين اي ان تصبرهم
 نعمة نسبوها الى الله تعالى وان تصبرهم سيئة اي بلية ونعمة يقولوا هذه من عندك
 نسبوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك عليهم بقوله قل كل من النعمة والبيعة من عند
 الله خلقوا بما ايد من غير ان يكون له مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه ليس
 كما يزعمون فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه فنسبهم الى الجهل
 وعدم الفهم فقال فما كان هو الا القوم اي فما بال هؤلاء المتأفكين وما شان اليم والذين
 قالوا ما قالوا الا يكادون لا يقاربون يعقرون حديثاً من الاحاديث اصلاً او معاني
 القرآن وان الاشياء كلها من الله ما اصابك من حسنة هذا الخطاب اما لكل من يصلي
 له من الناس او لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرضاً لامته اي ما اصابك من خصب ورخا وخير
 ونعمة وصحة وسلامة فمن الله بفضلها ورحمته احساناً منه اليك وتفصيلاً منه عليك
 وما اصابك من سيئة اي جهد وبلاء وشدة ومكروه ومشقة واذا في نفسك
 اي بذنب اتيت به وخطيئة اكتسبتها نفسك فعوقبت عليه وقيل هذا كلام الذي لا يفقه
 حديثاً وقيل ان الغنى الاستفهام مضمرة اي افسن نفسك ومثله قوله تعالى وتلك نعمة
 تمنها علي والمعنى او تلك نعمة ومثله قوله تعالى فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي اي اهذا ربي

وقد ورد في الكتاب العزيز ما يفيد مقادير هذه الآية كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقوله ولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أن هذا أفل هو من عندنا نفسكم وقد يظن أن قوله وما أصابكم من سيئة فمن نفسكم من الله لقوله كل من عند الله ولقوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله قولنبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من والي ليس هو كذلك فالجمع ممكن فإضافة الأشياء كلها إلى الله حقيقة وإلى فعل العبد مجازية قال قتادة حسنة أي نعمة وسيئة أي مصيبة كل من الله أي النعم والمصائب وعن أبي العالقة قال إن تصبهم حسنة هذه في السراء والضراء وما أصابكم من حسنة قال هذه في الحسنات والسيئات وعن ابن عباس قال الحسنات والسيئات من عند الله أما الحسنات فأنعم بها عليك وأما السيئات فابتلاك بها وما أصابكم من سيئة قال ما أصابكم يوم أحدان شبح وجهه وكسرت رباعيته وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدسية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها إلى الإنسان ولا متعلق لهم بها لأنه ليس المراد منها الكسب بل ما يصيب الناس من النعم والمحن ولو كانت على ما يقول أهل القدر لقال ما أصابت من حسنة وما أصابت من سيئة ولم يقل ما أصابكم وقال ابن الأنباري الفعلان راجعان إلى الله يعني ما أصابكم الله به من حسنة ومن سيئة وأرسلناك للناس رسولا فيه البيان لعموم رسالته صلعم إلى الجميع كما يفيد التأكيد بالمصدر والعموم في الناس ومثله قوله وما أرسلناك إلا كافة للناس وقوله يا أيها الناس أي رسول الله اليكم جميعا وفيه جلالة منجبه ومكانته عند الله وبيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه بناء على حملهم بشأنه الجليل وكفى بالله شهيدا على ذلك وعلى الحسنات والسيئات منه والأول أولى والمعنى شهيداً على رسالك للناس وعلى تبليغك ما أرسلت به إلى الناس من طاعة الرسول فقد أطاع الله فيه وإن طاعة الرسول طاعة الله وفي هذه من النداء بشرف رسول الله وعلو شأنه وارتفاع مرتبته ما لا يقا در قدره ولا يبلغ مداه ووجهه إن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا ما نهى عنه ولو لا بيان صلعم ما كنا نعرف كل فريضة في كتاب

الله كالحج والصلوة والزكاة والصوم كيف نأتيها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله طاعة
 وقامت به الحجة على المسلمين ومن قول أي عرض عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا
 أي حافظا لأعمالهم إنما عليك البلاغ وقد نسخ هذا بآية السيف ويقولون أمرنا وشأننا
 طاعة أو نطيع طاعة وهذه في المناقذين في قول أكثر المفسرين أي يقولون إذا كانوا
 عندك طاعة أي امتنا بك وصدقناك فإذا برزوا أي خرجوا من عندك بيتت أي زور
 طاعة منهم أي من هؤلاء القائلين وهم رؤسائهم ومن للتبعيض والتبديت التبدل
 يقال بيت الرجل الأمر إذا دبره ليلا ومنه قوله تعالى إذا يبيتون ما لا يرضى من القول
 غير الذي تقول لهم أنت وتامرهم به أو خير الذي تقول لك هي من الطاعة لك وقيل
 معناه غير ما وبدلوا وحرفوا قولك فيما عهدت إليهم والله يكتب أي ينبت في صحائف
 أعمالهم ما يثبتون أي ما يزورون ويغيرون ويقلدون وقال ابن عباس ما يسرون
 من النفاق ليأمرهم عليه ويحفظه عليهم وقال الزجاج المعنى ينزله عليك في الكتاب
 فأعرض عنهم أي دعهم وشأنهم حتى يمكن الانتقام منهم وقيل معناه لا تخبر بأسماهم
 وقيل لا تعاقبهم وقيل لا تغتر بأسلامهم وتوكل على الله أي ثق به وفوض امرك إليه
 في شأنهم وكفى بالله كيلا فلا تأس الك عليهم أمره بالتوكل عليه والثقة به في النصر على
 عدوه قيل وهذا منسوخ بآية السيف أو لا يتكبرون القرآن الهزيمة للأكابر والفناء
 للعطف على مقدر أي يعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه يقال تدبرت الشيء تفكرت
 في عاقبته وتأملت ثم استعمل في كل تأمل والتدبر أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى
 ما يصير إليه عاقبته ودلت هذه الآية وقوله تعالى فلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
 أقفالها على وجوب التدبر للقرآن ليعرف معناه والمعنى إنهم لو تدبروه حق تدبرة
 لو جدوه مؤتلفا غير مختلف صحيح المعاني قوي المباني بالغافي البلاغة إلى أعلى درجاتها
 قال ابن عباس فلا يتفكرون فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواظ
 والذكر والأمر والنهي وإن أحدا من الخلق لا يقدر عليه ولو كان من عند غير الله كما يزعمون
 لو جدوا فيه اختلافا أي تفاوتا وتناقضا كثيرا قاله ابن عباس ولا يدخل في هذا الاختلا

مقادير الآيات والسور لأن المراد اختلاف التناقص والتفاوت وعدم المطابقة للواقع وهذا شأن كلام البشر لا سيما إذا طال وتعرض قائله للاخبار بالغيب فإنه لا يوجد منه صحيح مطابق للواقع إلا القليل النادر عن قتادة يقول إن قول الله لا يختلف وهو حق ليس فيه باطل وإن قول الناس يختلف وإذا جاءهم أمر من الأمرين أو أخوف إذا عوا به يقال إذا الشيء وإذا عابه إذا افتناه وظهره وهو لا جماعة من ضعفة المسلمين كانوا إذا سمعوا شيئاً من أمر المسلمين فيه أو من يخطر المسلمين وقتل عدوهم أو فيه خوف نخوة هزيمة المسلمين وقتلهم أو فتوة وهم يظنون أنه لا شيء عليهم في ذلك وقيل هم المنافقون كانوا يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وآله وكورده إلى الرسول حتى يكون هو الذي يحدث به ويظهره وإلى أولي الأمر منهم وهم أهل العلم والبصيرة والعقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم وهم الولاة عليهم لعلمة الذين يستنبطونه منهم أي يستخرجونه بتدبرهم وصحة عقولهم والمعنى أنهم لو تركوا إذا عابه الأخبار حتى يكون النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يذيعها أو يكون أولوا الأمر منهم هم الذين يتولون ذلك لأنهم يعلمون بما ينبغي أن يفشى ويكتم والاستنباط مأخوذ من استنبط الماء إذا استخرجته والبطالة المستنبط أول ما يخرج من ماء البئر عند حفرها وقيل إن هؤلاء الضعفة كانوا يسمعون أراجافات المنافقين على المسلمين فيذيعونها فتحصل بذلك المفسدة وفي الآية إشارة إلى جواز القياس وإن من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما وكذا فضل الله أي ما يفضل الله به عليكم ورحمته من إرسال رسوله وإنزال كتابه لا تتبعهم الشيطان فيما يأمرهم به فبقيتكم على كفركم إلا قليلاً منهم أو لا اتباعاً قليلاً وقيل إذا عوا به إلا قليلاً منهم فإنه لم يذع ولم يفش قاله الكسائي والأخفش والفراء والبر عبيدة وأبو حاتم وابن جرير وقيل المعنى لعلمه الذين يستنبطونه إلا قليلاً منهم قاله الزجاج وبه قال الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة والأول أولى فقالت في سبيل الله لا تكلفوا أنفسكم الغناء في قوله فقالت قيل هي متعلقة بقوله ومن يقال في سبيل الله إلى آخره أي من أجل هذا فقالت وقيل متعلقة بقوله وما لكم لا تنقلون في سبيل الله

فقاتل وقيل تقديره اذا كان الامر ما ذكر من عدم طاعة المناقذين فقاتل واذا افردك
او تركوك فقاتل قال الزجاج امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وان قاتل وحده لانه قد ضمن
له النصر قال ابن عطية هذا ظاهر اللفظ الا انه لم يجهى في خبر قط ان القتال فرض عليه
دون امة والمعنى والله اعلم انه خطاب له في اللفظ وفي المعنى له ولا مته اي انت يا محمد
وكل واحد من امتك يقال له فقاتل في سبيل الله لا تكلف غير نفسك ولا تلزم فعل غيرك
وهو استئناف مقرر لما قبله لان اختصاص تكليفه بفعل نفسه من موجبات مباشرته
للقاتل وحده وقرئ لا تكلف بالخير على النهي وقرئ بالنون وفي الآية دليل على ان رسولا
الله صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال اذ لو لم يكن كذلك لما امره بذلك ولقد ائتم
به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة على الخروج ولو وحده وحرص المؤمنين اي وحضهم
على القتال والجهاد يقال حرصت فلان على كذا اذا امرته به وحرص فلان على الامور اك
عليه وواظب عليه بمعنى واحد والمعنى ليس عليك في شأنهم الا التحريض والترغيب في الثواب
فحسب لا التعنيف ثم عسى الله ان يكلف فيه اطاع المؤمنين بكف بأس الذين كفروا عنهم
والاطاع من الله عز وجل واجب فهو عدل منه سبحانه ووحده كاش لا محالة والله اشد اعظم
باسا اي صولة وسلطانا وشدّة وقوة واشد تنكيلا لعقوبة وعدا يقال تنكلت بالرجل تنكيلا
من النكال وهو العذاب والمتمكّل الشيء الذي يتكل بالانسان من يشفع شفاعة حسنة
اصل الشفاعة والشفعة ونحوها من الشفع وهو الزوج ومنه الشفع لانه يصير مع صاحب
الحاجة شفعا ومنه ناقة شفوع اذا جمعت بين محلبين في حلبة واحدة وناقة شفيع
اذا اجتمع لها حمل وولد يتبعها والشفع ضم واحد الى واحد والشفعة ضم ملك الشريك
الى ملكك فالشفاعة ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك فهي على التحقيق اظهر للمتر للشفيع
عند المشفع وايصال منفعة الى المشفوع له والشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة فمن شفيع
في الخير لينفع يَكُنُّ لَهُ نَصِيبٌ حظ منها اي من اجرها وقد بين النصيب في حديث
من دعا لاختيه بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك امين ولا مثل هذا فهذا بيان
لمقدار النصيب الموعود به قاله ابو السعود عن ابي موسى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجاء رجل يسأل فاقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا توجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما شاء اخرج الشيطان ومن يشفع شفاعة سيئة اي في المعاصي فمن شفع بالشرك من يسعي بالنيمة والغيبة ونقل الحديث لا يفتاح العداوة بين الناس قيل المراد دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره يقتل المؤمنين يكن له كفلا منها اي من وزرها والكفل الوزر واشتقاقه من الكساء الذي يجعله الراكب على سنام البعير لئلا يسقط يقال اكفلت البعير اذا درت على سنامه كساء وركبت عليه لانهم يستعمل الظم كله بل يستعمل نصيبا منه ويستعمل في النصيب من الخير والشر ومن استعمله في الخير قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته وكان الله على كل شيء مقبلا اي مقدر اقاله الكسائي وقال الغراء المقيت الذي يعطي كل انسان قوته يقال قوته اقوته قوتنا واقته اقبته اقاتة فان اقاتت ومقيت وحك الكسائي اقاتت يقيت وقال ابو حنيفة المقيت كما فظ وقال النحاس قول ابي عبيدة اولى لانه مشتق من القوت والقوت معناه مقدار ما يحفظ الانسان وقال ابن فارس في المحل المقيت المقتل والحافظ والشاهد وقال مجاهد مقبلا اي شهيدا حسيبا حفيظا وقال سعيد بن جبير ابن زيد قادر اقدرا وعن الضحاك المقيت الرزاق واذا حيينم تحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة بعد الترغيب فيها على الاطلاق فان تحية السلام شفاعة من الله للسلام عليه واصل التحية تفعله من حيث واصل التحية مثل ترضية واصلها الدعاء بالحياة والتحية السلام وهذا المعنى هو المراد هنا ومثله قوله تعالى واذا جاءوك حيوا بما يحييك به الله والى هذا ذهب جماعة من المفسرين وروي عن مالك ان المراد بالتحية هنا تشميت العاطس وقال اصحاب ابي حنيفة التحية هنا الهدية لقوله اوردوها ولا يمكن رد السلام بعينه وهذا فاسد لا ينبغي الالتفات اليه والمراد بقوله فحيوا يا احسن منها اي بان يزيد في الجواب على ما قاله المبتدي بالتحية فاذا قال المبتدي السلام عليكم قال الجيب عليكم السلام ورحمة الله واذا زاد المبتدي لفظا زاد الجيب على جملة ما جاء به المبتدي لفظا او الفاظ نحو وبركاته وموضااته وتحياته قال القرطبي اجمع العلماء على ان الابتداء بالسلام سنة مرغوب فيها وورده فريضة لقول فحيوا يا احسن منها وانما اختار الشرع لفظ السلام على لفظ

حياء الله لانه اتم واحسن واكمل وكان السلام من اسمائه تعالى أوردوها اي رددوا عليه
 كما سلم عليكم واقتصر واعلم مثل اللفظ الذي جاء به المبتدي فظاهر الآية انه لو ردد عليه
 باقل مما سلم عليه به انه لا يكفي وظاهر كلام الفقهاء انه يكفي وحوا الآية على انه لا اكمل
 واختلفوا اذا ردد واحد من جماعة هل يجزي او لا فذهب مالك والشافعي الى الاجراء وذهب
 الكوفيون الى انه لا يجزي عن غيره ويرد عليهم حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن
 الجماعة اذا رددوا ان يسلم احدهم ويجزي عن الجلولس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود وفي
 اسناده سعيد بن خالد الخزازي المدني وليس به بأس وقد ضعفه بعضهم وقد حسن الحديث
 ابن عبد البر وقد ورد في السنة المطهرة في تعيين من يجزي بالسلام ومن يستحق التحية
 ومن لا يستحقها وفي فضل السلام والبحث عليه وكيفية السلام وماله من الاحكام ما
 يعني عن البسط ههنا ان الله كان على كل شيء حسيباً يحاسبكم على كل شيء وقيل معناه
 مجازياً وقيل كافياً من قولهم احسبني كذا اي كفاني ومثله حسبك الله لا اله الا هو ليجمعكم
 بالحشر الى حساب يوم القيمة اي يوم القيام من القبور وقيل له بمعنى في واختاره الفاضل
 كالكشف وقيل انها دائدة لا ريب فيها اي في يوم القيمة او في الجمع اي جمعا لا ريب فيه
 وهذه الآية نزلت في منكري البعث ومن اصدق من الله حكماً ثانياً انكار لان يكون احد
 اصدق منه سبحانه والصدق اصل وقد تبدل زاي القرب عن حاء منها وهذا قرأه حمزة والكسائي
 ومن اردق بالزاي فما لكم الاستفهام لانكار والمعنى اي شيء كائن لكم في المنفقين اي
 في امرهم وشأنهم قال القرطبي والمراد هنا عبد الله بن ابي واصحابه الذين خذلوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوم احد وجعلوا بعسكرهم بعد ان خرجوا كما تقدم في آل عمران حال كونكم فتنين
 في ذلك وحاصله الانكار على المخاطبين ان يكون لهم شيء يوجب اختلافهم في شأن المنافقين
 وسبب نزول الآية به يتضح المعنى فقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث زيد بن ثابت
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فجمع ناس خرجوا معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ففتين فرقوا تقول تغتلبهم وفرقة تقول لا فانزل الله فما لكم في المنافقين الآية فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة وانها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة هذا الصحيح ما روي في سبب

السلام

الح

نزول الآية وقد رويت اسباب غير ذلك والله اعلم ^{بهم} حكم الغراء والنضيرين شميل و
الكسائي اركسهم وركسهم اي ردهم الى الكفر ونكسهم فالركس والتكس قلب الشيء على راسه
او دأوله الى اخره والتكوس المركوس مما كسبوا الباء للسببية اي اركسهم بسبب كسبهم
وهو حوقم بدار الكفر والاستغفار في قوله ^{يُرِيدُونَ} للتقريع والتوبيخ ^{أَنْ تَهْتَدُوا} مَنْ أَصْل
الله هذا خطاب للفتنة التي دافعت عن المنافقين وفيه دليل على ان من اضله الله لا
ينفع فيه هداية البشر انك لا تهدي من اخبت ولكن الله يهدي من يشاء ومن ^{يُضِلُّ}
الله عن الهدى قلن ^{يُحْدِثُ لَهُ سَبِيلًا} اي طريقا الى الهداية ودواؤا ^{لِتَكْفُرُونَ} كما كُفِرُوا ^{وَأَقْبَرُوا}
سواء هذا كلام مستأنف يتضمن بيان حال هؤلاء المنافقين وايضا يحتمل ان يكون
المؤمنون كما كفروا ويقنوا ذلك عنادوا وخوا في الكفر وقماديا في الضلال وقيل ودواؤا ككفرهم
وردوا ومسأوا ^{لَهُمْ} فلا ^{يُخَذُّ} ^{لَهُمْ} اولياء اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفرهم
فلا ^{يُخَذُّ} ^{لَهُمْ} اولياء وجمع الاولياء مراعاة لجمعية المخاطبين فالمراد الذي عن ان ^{يُخَذُّ} ^{لَهُمْ}
ولي ولو واحد احق ^{بِهَا} ^{يُجَاهِرُونَ} ^{فِي سَبِيلِ} ^{اللَّهِ} ^{هَجْرَةٍ} ^{صَحِيحَةٍ} ^{يُحَقِّقُ} ^{إِيمَانَهُمْ} ^{وَالْمَرَادُ} ^{بِالْهَجْرَةِ} ^{هَذَا} ^{الْمُرَاجَعُ} ^{مَعَ} ^{رَسُولِهِ}
صلواته للقتال في سبيله ^{مُخَاصِمِينَ} ^{صَابِرِينَ} ^{مُحْتَسِبِينَ} قال عكرمة هي هجرة اخرى فكان ^{تَوَاصُّوا} ^{بِالْهَجْرَةِ}
للقتال في سبيل الله ^{فُحِّدُوا} ^{وَهُمْ} ^{أَيُّهَا} ^{أَقْدَرُ} ^{عَلَيْهِمْ} ^{وَأَقْتُلُوهُمْ} ^{حَيْثُ} ^{وَجَدْتُمُوهُمْ} ^{فِي} ^{أَحْضَانِهِمْ}
فان حكمهم حكم سائر المشركين قتلا واسرا ولا ^{يُخَذُّ} ^{لَهُمْ} ^{أُولِيَاءُ} ^{وَلَيْتَا} ^{تَوَالَوْنَهُ} ^{وَلَا} ^{نَصِيرًا} ^{لِلْمُتَصَرِّفِينَ}
به الا الذين هذا مستثنى من الاخذ والقتل فقط واسما للموالاة فحرام مطلقا لا يجوز جأل ^{يُصَلُّونَ}
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق بالجوار والحلف فلا تقتلوهم لما بينكم وبينهم عهد وميثاق فان
العهد يشتملهم هذا اصح ما قيل في معنى الآية وقيل الاتصال هذا هو اتصال النسب والمعنى
الا الذين ينتسبون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق قاله ابو عبيدة وقد انكر ذلك عليه اهل العلم
لان النسب لا يمنع من القتال بالاجماع فقد كان بين المسلمين وبين المشركين اساءة ^{وَالْمُنَافِقِينَ}
ذلك من القتال وقد اختلف في هؤلاء القوم الذين كان بينهم وبين رسول الله صلواته
ميثاق فقيل هم قريش كان بينهم وبين النبي صلواته ميثاق والذين يصلون الى قريش هم
بنو مدية وقيل نزلت في هلال بن عويم وسراقة بن جهم وغزيمة بن عامر بن عبد مناف

كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقيل خزاعة وقيل بنو بكر بن زيد أو حم أو كهم حصرت
 صدورهم أي ضاقت عن القتال فامسكوا عنه واحصر الضيق والانقباض وقال محمد بن
 يزيد المبرد هو دعاء عليهم كما تقول لعن الله الكافر وضعفه بعض المفسرين وقيل أو بمعنى
 الوان أن يقا تلوا أو يقا تلوا قومهم أي حصرت صدورهم عن قتالكم والقتال معكم لقومهم
 فضاقت صدورهم عن قتال الطائفتين وكرهوا ذلك ولو شاء الله لسلطهم عليكم ابتلاء
 منه لكم واختبارا كما قال سبحانه ولنبلونكم حتى تعلموا ما كان منكم والصابرين ونبلاؤنا
 أو تحيصالكم أو عقوبة بذنوبكم ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك فالقى في قلوبهم الرعب فلما تلوا
 يذكر الله منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين فإن اعتزلوكم عن قتالكم فلم يقا تلوا
 أي لم يتعضوا القتالكم وألقوا إليكم السلم أي استسلموا لكم وانقادوا فما جعل الله لكم
 عليهم سبيلا أي طريقا فلا يحل لكم قتلهم ولا أسرهم ولا غلب أموالهم فهذا الاستسلام
 يمنع من ذلك ويحرمه قيل هذا منسوخ بآية القتال وقيل محكية بحجة على المعاهد في هذا
 هو الظاهر سجدون والآخرين والسين للاستمرار والاستقبال كقوله تعالى سيقول السفهاء
 قال السفاهة والحق أنها للاستقبال في الاستقرار للفعل لا في ابتداءه يريدون أن يأمروا
 ويأمنوا قومهم فيظهر من لكم السلام ويظهر من لقومهم الكفر ليأمنوا من كلا الطائفتين
 وهم قوم من أهل تهامة طلبوا الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمنوا عنده وعند قومهم
 وقيل هي قوم من أهل مكة وقيل نزلت في نعيم بن مسعود فإنه كان يامن المسلمين المشركين
 وقيل في قوم من المنافقين وقيل في أسد وغطفان كما رددوا إلى الفتنة أي دعاهم فيها
 إليها وطلبوا منهم قتال المسلمين أركسوا فيها أي قلبوا فرجعوا إلى قومهم وقاتلوا المسلمين
 ومعنى الارتكاس الانتكاس فإن لم يعتزلوكم يعني هؤلاء الذين يريدون أن يأمروا
 ويأمنوا قومهم ولم يكفوا عن قتالكم حتى يسروا إلى مكة وليلقوا إليكم السلم أي يستسلمون
 لكم ويدخلون في عهدكم وصلاحكم وينسلخون عن قومهم وليكفوا أي يأمروا عن قتالكم فخذوهم
 يعني أسروا وأقتلوهم حيث تقتضونهم أي حيث وجدتموهم وتمسكتم منهم وأولئك الموصوفون
 بتلك الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا أي حجة واضحة تسلطون بها عليهم وتقررونها

بها بسبب ما في قلوبهم من المرض وما في صدورهم من الدغل وارتكاسهم في الفتنة ^{على} ^{أبصر}
 وأقل سعي وما كان المؤمن أن يقتل مؤمنا هذا النفي هو بمعنى النفي المقضي ^{للقوم} ^{كقوله} ^{تعالى}
 ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولو كان هذا النفي على معناه لكان خيرا وهو يستلزم صدقه
 فلا يوجد مؤمن قتل مؤمنا قط وقيل المعنى ما كان له ذلك في عهد الله وقيل ما كان له
 ذلك فيما سلف كما ليس له الآن ذلك بوجه ثم استثنى منه استثناء منقطعا فقال ^{الخطأ}
 أي ما كان له أن يقتله البتة لكن أن قتله خطأ فعليه كذا هذا قول سيبويه والزجاج
 وقيل هو استثناء متصل والمعنى وما ثبت ولا وجد ولا سأل مؤمن أن يقتل مؤمنا إلا
 خطأ أذ هو مغلوب وقيل المعنى ولا خطأ قال الفخاس ولا يعرف ذلك في كلام العرب ولا يصح
 في المعنى لأن الخطأ لا يصر وقيل المعنى لا ينبغي أن يقتله لعله من العليل ^{الخطأ} ^{أوجه}
 فيكون قوله خطأ منتصبا بأنه مفعول له ووجه الخطأ الكثيرة ويضبطها عدم المقصد
 والخطأ أسم من خطأ خطأ أذ لم يتعمل أخرج ابن جرير عن حكيم قال كان الحارث بن يزيد
 من بني حاصر بن لؤي يعذب عياش بن الربيع مع أبي جهل ثم خرج مهاجرا إلى النبي صلى
 الله عليه وسلم يعني الحارث فلقبه عياش بالحرمة فعلا به بالسيف وهو يحسب أنه كافر ثم جاء إلى النبي صلى
 الله عليه وسلم فآخذه فزنت وما كان مؤمنا الآية فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له قم فخرروا خوجه ابن جرير
 وابن المنذر عن السدي بأطول من هذا وقد روي من طرق غير هذه وقال ابن زيد
 نزلت في رجل قتله أبو الدرداء كان في سريفة فجل عليه بالسيف فقال لا إله إلا الله فضرب
^{وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً} ^{بِأَن} ^{قَصْدَ} ^{رَمِي} ^{غَيْرَهُ} ^{كَصِيدٍ} ^{أَوْ} ^{شَجَرَةٍ} ^{فَأَصَابَهُ} ^{أَوْ} ^{ضَرَبَهُ} ^{بِمَا} ^{لَا} ^{يَقْتُلُ} ^{غَالِبًا}
^{فَخَرَّ} ^{يَرَى} ^{فَعَلِيهِ} ^{نَحْرُهُ} ^{رَقَبَةً} ^{أَي} ^{سِمَةً} ^{مُؤْمِنَةٍ} ^{يَعْتَقُهَا} ^{كَفَارَةً} ^{عَنْ} ^{قَتْلِ} ^{الْخَطَا} ^{وَعَبْرَ} ^{الرَّقَبَةِ}
 عن جميع الذات واختلف العلماء في تفسير الرقبة المؤمنة ف قيل هي التي صلت وعقلت الإيمان
 فلا يخرجها الصغيرة وقال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي وقتادة وخيرهم وقال عطاء ابن أبي رباح
 أنها يخرجها الصغيرة المولودة بين مسلمين وقال جماعة منهم مالك والشافعي بخبري كل
 من حكمه بوجوب الصلوة عليه أن مات ولا يخرج في قول جمهور العلماء أعمى ولا مقعد
 ولا استل ويخرج عند الأكثر الأخرى والأعور قال مالك إلا أن يكون عمره بالشديد ولا يخرج

من أكرم الجنون وفي المقام تفاصيل طويلة مذكورة في علم الفروع وأخرج عبد بن حميد
 وأبو داود والبيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يا رسول
 الله إن علي عتق رقبة مؤمنة فقال لها إن الله فاشارت إلى السماء بأصبعها فقال لها
 فمن أنا فاشارت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى السماء أي أنت رسول الله فقال اعتقها فأفقا
 مؤمنة وروى من طرق وهو في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي ورواه
 ما يعلو عوضا عن دم المقتول إلى ورثته مسلمة أي مدفوعة مؤداة إلى أهلها المراجع
 الورثة وأجناس الدية وتفاصيلها قد بينتها السنة المطهرة وقد وردت أحاديث في
 تقدير الدية وفي الفرق بين دية الخطأ ودية شبه العمد ودية المسلم ودية الكافر وهي
 معروفة فلا حاجة لنا في ذكرها في هذا الموضع إلا أن يصدق أو لا أن يتصدق أهل
 المقتول على القاتل بالدية بأن يعفو عنها مسمى العفو عنها صدقة ترغيبا فيه وهذا العمل
 المستثناة متعلقة بقوله ودية مسلمة أي فعلية دية مسلمة إلا أن يقع العفو من الورثة
 عنها فإن كان المقتول من قوم عدو لكم وهم الكفار المحرمون وهو مؤمن فخر برقبة
 مؤمنة هذه مسلمة المؤمن الذي يقتله المسلمون في بلاد الكفار الذين كان منهم ثم لم
 ولم يهاجروهم يظنون أنه لم يسلم وأنه باق على دين قومه فلا دية على قاتله بل عليه تحرير
 رقبة مؤمنة واختلعا في وجه سقوط الدية فقبل وجهه إن أولياء القاتل كفار لاحق
 لهم في الدية وقيل وجهه إن هذا الذي آمن ولم يهاجروهم من قبله لقول الله تعالى
 والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل العلم إن دينه ^{جنت}
 لبيت المال وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق أي عهد موقت أو مؤبد كأهل الذمة
 وقرأ الحسن وهو مؤمن فدية أي فعلية قاتله دية مسلمة مؤداة إلى أهلها من أهل الإسلام
 وهم ورثته وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهوديا أو نصرانيا وثلثا عشرها إن كان مجوسيا
 وخرير رقبة مؤمنة على قاتله كما تقدم فمن لم يجد أي الرقبة ولا اتسع ماله لشراها فصيام
 أي فعلية صيام شهرين متتابعين لم يفصل بين يومين من أيام صومها فطاف في ذلك
 فلو افطر استأنف هذا قول الجمهور وأما الإفطار بعد شرعي كالحض ونحوه فلا يوجب الاستئنا

واختلفت في الإفطار لعروض المرض ولم يذكر أنه سبحانه الانتقال إلى الطعام كالظهار
وبه أخذ الشافعي ^{توبة} أي شرع ذلك لكم قبولا لتوبتكم أو تاب عليكم توبة أو حال كونه
ذات توبة كائنه من الله قال سعيد بن جبير يعني تجاوزا من الله هذه الأمة حيث جعل
في مثل الخطأ الكفارة وكان الله محلياً بمن قتل خطأ حكماً فيما حكم به عليه من الدية ^{وتفاد}
واحكام الديات محلها كتب الفروع فلا فضول يذكرها ومن يقتل مؤمناً متعمداً أي قاصداً
لقتله لما بين سبحانه حكم القاتل خطيئتين حكم القاتل عمداً وقد اختلف العلماء في معنى
العمد فقال عطاء والنخعي وغيرهما هو القتل بجديرة كالسيوف والخنجر وسنان الرمح ونحو ذلك من
الحدود وأما يعلم أن فيه الموت من ثقال الحجارة ونحوها وقال الجمهور أنه كل قتل من قاتل قاصداً
للفعل بجديرة أو بحجارة أو بعضاً أو بغير ذلك وقيدة بعض أهل العلم بأن يكون بما يقتل مثله
في العادة وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن القتل ينقسم إلى ثلاثة أقسام عمداً وشبه عمداً
وخطأ واستدلوا على ذلك بأدلة ليس هذا مقام بسطها وذهب آخرون إلى أنه ينقسم إلى قسمين
عمداً وخطأ ولا ثالث لهما واستدلوا بأنه ليس في القرآن إلا القسمان ويحجب عن ذلك بأن اقتضاه
القرآن على القسمين لا يفي ثبوت قسم ثالث بالسنة وقد ثبت ذلك بالسنة في آية جهنم أي
فجعل جزاءه ذلك بكفره وارتداده وأحكم عليه بها وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم في
مكة ممن آمنه من أهلها فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة خالداً فيها وغضب الله عليه
لأجل كفره وقتله المؤمن متعمداً وكفراً طرده عن رحمة وأعد له عذاباً عظيماً في النار
وقد جاءت هذه الآية بتعليق عقوبة القاتل عمداً فجمع الله له فيها بين كون جهنم جزاء عمداً
يستحقها بسبب هذا الذنب وبين كونه خالداً فيها وبين غضب الله ولعنته له وأعد له
له عذاباً عظيماً وليس وراء هذا التشديد تشديد ولا مثل هذا الوعيد وعيد وقد اختلف
علماء أهل القاتل العمد من توبة أم فروى البخاري عن سعيد بن جبير قال اختلف فيها
علماء أهل الكوفة فرحلت فيما إلى ابن عباس فسأله عنها فقال نزلت هذه الآية ومن قتل
مؤمناً متعمداً وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء وقد روى النسائي عنه وعن زيد بن ثابت
نحوه ومن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف أبو هريرة وعبد الله بن عمرو وأبو سلمة وعبيد

بن عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والضحاك بن مزاحم نقلوا عن أبي حاتم عنه أنه سئل عن رجل من
 التوبة منه مقبولة واستدلوا بمثل قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات وقوله وهو الذي
 يقبل التوبة عن عباده وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله وإني لغفار لمن تاب قالوا أيضاً
 وأجمع حكيم بين آية النساء هذه وآية الفرقان فيكون معناها فخر آية جنتهم لأن تاب لا سيما وقد
 اتحد السبب وهو القتل والموجب وهو التوعد بالعقاب واستدلوا أيضاً بالحديث المذكور في
 الصحيحين عن عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وسلم قال تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزفوا
 ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ثم قال فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله
 إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ومحدث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه وغيره في
 الذي قتل مائة نفس وذهب جماعة منهم أبو حنيفة وأصحابه والشافعي إلى أن القاتل
 عدا داخل تحت المشية تاب ولم يترك قد أوضح الشوكاني في شرحه على المنتقى متمسك كل
 فريق والحق أن باب التوبة لم يغلق دون كل عاص بل هو مفتوح لكل من قصد له ورام الدخول
 منه وإذا كان الشريك وهو أعظم الذنوب واشدها فتحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه
 الخروج منه والدخول في باب التوبة فكيف بما دونه من المعاصي التي من جملتها القتل عدا
 لكن لا بد في توبة قاتل العمد من الإحتراف بالقتل وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً
 أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً وكان القاتل غنياً متمكناً من تسليمها أو بعضها
 وأما جرح التوبة من القاتل عدا وعزمه على أن لا يعود إلى قتل أحد من دون إحتراف ولا
 تسليم نفس فحق لا تقطع بقبولها والله أرحم الراحمين هو الذي يحكم بين عبادة فيما كانوا
 فيه يختلفون وقد تعلقت المعتزلة وغيرهم بهذه الآية على أن الفاسق يخلد في النار
 الجواب أن الآية تزلت في كاف قتل مسلماً وهو مقيس بن ضبابة وهي على هذا مخصوصة
 وقيل المعنى من قتل مسلماً مستحلاً لقتله وهو كافر وعن أبي مجلز قال هي جزاءه فإن شاء
 الله أن يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل الخلود لا يقتضي التأييد بل معناه
 طول المكث قاله البيضاوي وقد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيح إخراج جميع الموحدين
 من النار قال الكرخي الظاهر أنه إذا شدت والتوقيف والرجح العظيم عن قتل المؤمن لأنه

اراد بعدم قبول توبته علمه حقيقة وظاهر ان الآية من الحكم لانه لا يقع النسخ الا في
 الامر والنهي ولولا بلفظ التحريم ما اخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله نسخ ومنه الوعد
 والوعيد قاله الجلال في الاتقان يَكْفِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَلُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا
 هذا متصل بذكر الجهاد والقتال والضرب السير في الارض تقول العرب ضربت في
 الارض اذا سرت لتجارة او غزا وغيرهما وتقول ضربت الارض بدون في اذا قصدت
 قضاء حاجة الانسان ومنه قوله صلعم لا يخرج الرجلان يضربان الغائط والتبين هو
 التامل وهي قراءة الجحامة الاحمزة فانه قرأ فتبينوا من التثبت واختار القراءة الاولى
 ابو عبيدة وابوحاتم قال لان من امر بالتبين فقد أمر بالتثبت وانما خص السفر بالامر
 بالتبين مع ان التبين والتثبت في امر القتل واجبان حضرا وسفرا بلا خلاف لان الجحامة
 التي هي سبب نزول الآية كانت في السفر ولا تقولوا لمن اتقى اليكم السلام وقرى السلام
 ومعناها واحد واختار ابو عبيد السلام وخالفه اهل النظر فقالوا السلام هنا اشبه لانه
 بمعنى الانقياد والتسليم والمراد هنا لا تقولوا لمن اتقى اليكم واستسلم كسنت مؤمنا فام
 والسلام كلاهما بمعنى الاستسلام وقيل هما بمعنى الاسلام اي لا تقولوا لمن اتقى اليكم الاسلام
 اي كلمته وهي الشهادة قلست مؤمنا وقيل هما بمعنى التسليم وهو تحية اهل الاسلام اي
 لا تقولوا لمن اتقى اليكم التسليم فقال السلام عليكم لست مؤمنا وانما قلت هذا تقية لنفسك
 ومالك والمراد هي المسلمين عن ان يهلوا ما جاء به الكافر مما يستدل به على اسلامه ويقولوا
 انه انما جاء بذلك تعوذا وتقية ومؤمننا من امنه اذا جرت به فهو مؤمن وقيل المعنى لست
 من اهل الايمان وقد استدل بهذه الآية على ان من قتل كافرا بعد ان قال لا اله الا الله
 قتل به لانه قد عصم بهذه الكلمة دمه وماله واهله وانما اسقط القتل عن وقع منه ذلك
 في زمن النبي صلعم لانهم تناولوا فظنوا ان من قالها خوفا من السلاح لا يكون مسلما ولا يصير
 بهادمه معصوما وانه لا بد ان يقول هذه الكلمة وهو مطمئن غير خائف وفي حكم التكلم
 بكلمة الاسلام اظهرها لا انقياد بان يقول انا مسلم او انا على دينكم لما عرفت من ان معنى الآية
 الاستسلام والانقياد وهو يحصل بكل ما يشعر بالاسلام من قول او عمل ومن جملة ذلك

كلمة الشهادة وكلمة التسليم فالقولان في معنى الآية داخلان تحت القول الاول
 وقد اخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال الحق تاس من المسلمين رجلا معه غنيمته
 فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا غنيمته فزلت هذه الآية وفي سبب النزول روايات
 كثيرة وهذا الذي ذكرناه احسنها تَبْتَغُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا اي لا تقولوا تلك المقالة
 طالبين الغنيمه على ان يكون النفي راجعا الى القيد والمقيد لا الى القيد فقط وسمي متاع الدنيا
 عرضا لانه عرض زائل غير ثابت قال ابو عبيدة يقال جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء واما
 العرض بسكون الراء فهو ما سوى الدناير والدراهم فكل عرض بالسكون عرض بالفتح و
 ليس كل عرض بالفتح عرضا بالسكون وفي كتاب العين العرض ما نيل من الدنيا ومنه قوله تعالى
 تريدون عرض الدنيا وجميعه عرض وفي الجمل لابن فارس والعرض ما يعترض للانسان من
 مرض ونحوه وعرض الدنيا ما كان فيها من مال قل او اكثر والعرض من الاثاث ما كان غير
 نقد فعند الله هو تعليل للنهي في عند الله ما هو حلال لكم من دون ارتكاب محظور متعاضدا
 كثيرة تغفونها وتستغنون بها عن قتل من قتل من قدام استسلم وانقاد واغنام ماله وقيل فعنده
 ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن والمغانم جمع مغنم وهو يصح المصدر والزمان والمكان فيطلق
 على ما يوحى من مال العدو اطلاقا للمصدر على اسم المفعول فهو ضرب الامير كذلك كنتم
 من قبل اي كنتم مثل الرجل المذكور في مبادئ الاسلام كما راخفقت دماكم لما تكلمتم بكلمة الشهادة
 او كذلك كنتم من قبل تخفون ايمانكم عن قومكم خوفا على انفسكم حتى من الله عليكم باعزازهم
 فاطهر قرا لايمان واعلمتم به فمن الله عليكم يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال
 لا اله الا الله او من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل بالتوبة فتبينوا ولا تجعلوا
 بقتل مؤمن وكره الامر بالتبين للتاكيد عليهم لكونه واجبا لا فضيحة فيه ولا رخصة ان
 الله كان مما تعملون خيرا فلا تها فتوا في القتل وكونوا محترز بين محتاطين في ذلك
 لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والجهدون في سبيل الله باطاعتهم
 وانفسهم التفاوت بين درجات من قعد عن الجهاد من غير عذر ودرجات من
 جاهد في سبيل الله بماله ونفسه وان كان معلوما لكن اراد سبحانه هذا الاخيار وتنشيط

المجاهدين ليرغبوا وتبكي القاعدون ليا تقوا ونحوه قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
 والذين لا يعلمون فهو تحريك لطالب العلم وتوبيخ على الرضاء بالجهل وخير اولى الضرر بالرفع على
 انه صفة للقاعدين كما قال الاخفش لانهم لا يقصد بهم قوم باعيا منهم فصاروا كالنكرة فجاء
 وصفهم بغير وبكسر الراء على انه وصف للمؤمنين بفتحها على الاستثناء من القاعدون
 او من المؤمنين اي الاولى الضرر فانهم يستوون مع المجاهدين ويجوز ان يكون منتصبا
 على الحال من القاعدين اي لا يستوي القاعدون الاصحاء في حال صحتهم وجاز الحال
 منهم لان لفظهم لفظ المعرفة قال العلماء اهل الضرر هم اهل الاعذار من مرض او حادثة
 من عمن او عرج او زمانة او نحوها لانها اضرت بهم حتى منعتهم عن الجهاد وظاهر النظم
 القراني ان صاحب العذر يعطى مثل اجر المجاهد وقيل يعطى اجره من غير تضعيف فيفضل
 المجاهد بالتضعيف لاجل المباشرة قال القرطبي الاول اصح ان شاء الله الحديث الصحيح في ذلك
 ان بالمدنية رجلا ما قطعتم واديا ولا سرقه مسيرا الا كانوا معكم اولئك قوم حبسهم العذر
 قال وفي هذا المعنى ما ورد في الخبر اذا مرض العبد قال له تعالى اكتبوا العبد ما كان يعمل
 في الصحة الى ان يبرأ واقضه الي وقد اخرج البخاري واحمد وابوداود والترمذي والنسائي
 وغيرهم عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المؤمنين
 والمجاهدون في سبيل الله فخرج ابن مكرم وهو يميلها علي فقال يا رسول الله لو استطيع الجهاد
 لجاهدت وكان اعمى فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ونحوه حل فخذني خيرا اولى الضرر و
 اخرجه ايضا سعيد بن منصور واحمد وابوداود وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه
 من حديث خارجة بن زيد بن ثابت عن ابيه وعن ابن عباس قال خيرا اولى الضرر عن
 وانما خرجون الى بلد وعنه قال نزلت في قوم كانت تشغلهم امراض او جاع فانزل الله عز
 من السماء وعن انس بن مالك قال نزلت هذه الآية في ابن ام مكتوم ولقد رايت في بعض مشاهير
 المسلمين معه اللواء فصل الله المجاهدين يا موالهمم وانفسهم على القعيدين درجة هذا
 بان لما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم الاستواء اجمالا والمراد هنا
 غير اولى الضرر لانه مطلق على المقيد وقال خارجة وقال فيما بعد درجات فقال قوم التفضيل

بالدرجة ثم بالدرجات انما هو مبالغة وبيان وتأكيد وقال اخرون فضل الله المجاهدين
على القاعدين من اولى الضرر بدرجة واحدة وفضل الله المجاهدين على القاعدين من
غير اولى الضرر بدرجات قاله ابن جريح والسدي وغيرهما وقيل ان معنى درجة علواي
اعلى ذكرهم ورفعهم بالثناء والمدح وكلا مفعول اول لقوله وَعَدَ اللَّهُ قَدْرَ عَلَيْهِ لَا قَدْرَ
الْقَصَى اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة وهي الجنة قال
قتادة وَفَضَّلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ الذين لا عدول لهم ولا ضرر آخر عَظِيمًا اي
ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك بقوله دَرَجَاتٍ مِّنْهُ اي من الاجر ومن الله يعني منازل بعضها فوق
بعض من الكرامة قال ابن زيد الدرجات هن سبع ذكرها الله في سورة براءة يعني فوق
ذلك بانهم لا يصيدهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله الا كتب لهم وعن ابن جريح قال
كان يقال لاسلام درجة والحجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في
الجهاد درجة وعن ابن محيريز قال الدرجات سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو
الفرس الجواد المضر سبعين سنة واخرج البخاري والبيهقي في الاسماء والصفات عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة احدها لله للمجاهدين في
سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه
اوسط الجنة واحل الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرغها الجنة ومغفرة لذنوبهم
يستترها ويصنع عنها رافة بهم والمعنى غفر لهم مغفرة ورحمتهم رحمة وكان الله غفورا
لذنوبهم بتكفير العذر رَحِيمًا بهم بتوفير الاجر وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه
عز وجل قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له
ان ارجعته ارجعته بما اصاب من اجر او ضيعة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرج
النسائي ان الذين تُوفَّقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يحتمل ان يكون ما ضيا وحذفت منه علامة التانيث لان
تانيث الملائكة غير حقيقي ويحتمل ان يكون مستقبلا والاصل توفاهم وعن الحسن
تخشعهم الى النار وقيل تقبض ارواحهم وهو الاظهر والمراد بالملائكة ملك الموت وحده وانما
ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم لقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقيل ملك

الموت واعوانه وحمل الاول يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار
ظالمين انفسهم بالمقام مع الكفار وترك الحجرة نزل فيمن اسلم ولم يهاجر حين كانت الحجرة
فريضة وخرج مع المشركين الى بدر وموتوا فقتل كافرا قالوا اقيم كنتم سؤال توبخ اي في اي
شي كنتم من امر دينكم وقيل المعنى كنتم في اصحاب النبي صلوا كنتم مشركين قاله القرطبي وقيل
ان معنى السؤال المتفرع عنهم بانهم لم يكونوا في شيء من الدين قال ابو حيان اي في اي حال
كنتم بدليل الجواب اي في حالة قوة او ضعف قالوا على وجه الكذب معتدين كنتم
مستضعفين عاجزين عن الحجرة في الارض مكة لان سبب النزول من اسلم بها ولم يهاجر
وهذا اعتذار غير صحيح اذا كانوا يستطيعون الحيلة ويهدون السبيل ثم اوقفهم الملائكة
على ذنبهم والزمهم الحجرة وقطعت معدرتهم قالوا انكم كنتم ارض الله واسعة قيل المراد
هذه الارض المدينة والاولى العموم اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق
فيراد بالارض كل بقعة من بقاع الارض تصلح للحجارة اليها ويراد بالارض الاولى كل ارض في
الحجرة منها ثم اخرجوا فيها وقهر جوار من بين اظهر المشركين قال الواحدي وفيه ان الله لم ير
يا سلام اهل مكة حتى يهاجروا قالوا انكم ما واثم اي منكم جهنم وساءت اي جهنم مصيرا
اي مكانا يصيرون اليه والاية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه في بلد كما يجب عليه
سبب كان وعلم انه يتمكن من اقامته في غيره حقت عليه المهاجرة وفي الباب احاديث
ذكرناها في جواب سؤال عن الحجرة من ارض الهند اليوم بالقارسية فليرجع اليه الا
المستضعفين الذين صدقوا في استضعافهم من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا استثناء من الضمير في ما واثم وقيل هو استثناء منقطع لعدم
دخول المستضعفين في الموصول وضميره والمراد بهم من الرجال النساء ونحوهم والولدان
كعباش بن ابي ربيعة وسليمة بن هشام وانما ذكر الولدان مع عدم التكليف لهم لقصد التبيين
في امر الحجرة وانما يجب لو استطاعوا غير المكلف فكيف من كان مكلفا وقيل اذا ولدوا
المراهقين والمالك والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص اي لا يجدون حيلة في الخروج
منها لنفرهم ونحوهم ولا طريقا الى ذلك قيل السبيل سبيل المدينة فمن ابن جريج في قوله حيلة

قال قوة وعن حكمة قال نهوض الى المدينة سبيلا اي طريقا اليها فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم إشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر وحكي بكلمة الاطماع لتأكيد الهجرة حتى يظن انهم كما من لا يحب عليه يكون ذنبا يجب طلب العفو عنه وقال الكرخي يعفو عن خطي الهجرة بحيث يحتاج المعذور الى العفو قال ابن عباس كنت أنا واممي من المستضعفين أنا الوليد واممي من النساء وكان الله عفوًا غفورًا مبًا لغاف المغفرة فيغفر لهم ما فرط منهم من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج ومن ثم جاز في سبيل الله يجد في الأرض مراعى كثيرًا هذه الجملة متضمنة للترغيب في الهجرة والتنشيط اليها وفيه دليل على ان الهجرة لابد ان تكون بقصد صحيح ونية خالصة غير مشوبة بشيء من امور الدنيا ومنه الحديث الصحيح من كانت هجرته الى الله ورسوله فخرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فخرته الى ما هاجر اليه وقد اختلف في معنى الآية فقال ابن عباس وجاعة من التابعين ومن بعدهم المرغم المتحول والمذهب من ارض الى ارض وقال مجاهد المرغم المنزح عما يكره وقال ابن زيد المرغم المهاجر وبه قال ابو عبيدة قال الخاس هذه الاقوال متفقة المعاني فالمرغم المذهب والمتحول وهو الموضع الذي يرغم فيه وهو مشتق من الرغم وهو التراب ورغم انف فلان اي لصق بالتراب وراغمت فلانا اي هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه وهذا من الامثال التي جرت في كلامهم باسماء الاعضاء ولا يراد اغنياء بل وضعوها لمعان غير معاني الاسماء الظاهرة ولا حظ لظاهر الاسماء من طريق الحقيقة ومنه قولهم كلامه تحت قدمي وحاجته خلف ظهري يريدون الاهمال وعدم الاحتفال وقيل اكسني المهاجر مرغما لان الرجل كان اذا سلم حادى قومه وهجرهم فسمي خروجه مرغما وسمي مسيره الى النبي صلى الله عليه وسلم هجرة والحاصل في معنى الآية ان المهاجر يجد في الارض مكانا يسكن فيه على رغم انف قومه الذين هاجروهم اي على خلمهم وهوانهم وسعة اي في البلاد وقيل بالرزق وقال عطاء سعة اي رخاء وقيل في اظهار الدين اوفي تبدل الخوف بالامن او من الضلال الى الهدى ولا مانع من حمل السعة على ما هو اعلم من ذلك ومن ثم خرج من بينته مهاجرا الى الله ورسوله اي الى حيث امر الله ورسوله قالوا كل هجرة في فرض جيني

من طلب علم اوج اجها دا ونحو ذلك فهي هجرة الى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل ان يصل
الى مطلوبة وهو المكان الذي قصد الهجرة اليه او الامر الذي قصد الهجرة له فقد وقع الحرج
على الله اي ثبت ذلك عنده بثبوت الاختلاف يعني وجبا جر هجرته عليه يلجأ به على نفسه
بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق قيل ويدخل فيه من قصد فعل طاعة
ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كما لا و كان الله غفوراً رحيماً اي كثير
المغفرة كثير الرحمة وقد استدلل بهذه الآية على ان الهجرة واجبة على كل من كان بدار
الشرك او بدار يعمل فيها بمعاصي الله جهاراً اذا كان قادراً على الهجرة ولم يكن من المستضعفين
لما في هذه الآية الكريمة من العموم وان كان السبب خاصاً كما تقدم وظاهرها عدم
الفرق بين مكان ومكان وزمان وقد ورد في الهجرة احاديث وورد ما يدل
على ان الهجرة بعد الفتح وقد اوضح الشوكاني ما هو الحق في شرحه على المتن عن ابن عباس
بسند رجاله ثقات قال خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لقومه اهلوني فاحرقوني
من ارض الشرك الى رسول الله صلعم فمات الطريق قبل ان يصل الى النبي صلعم فنزل الوحي
اي هذه الآية اخرج ابن سعد واسحق والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنبل قال سمعت
النبي صلعم يقول من خرج من بيته مهاجراً في سبيل الله وامن المجاهدون في سبيل الله فخر
عن دابته فمات فقد وقع اجره على الله اول غنمه دابة فمات فقد وقع اجره على الله او مائة
حقن انفه فقد وقع اجره على الله يعني بحتف انفه على فراشه والله انها كلمة ما سمعتم بها من
احد من العرب قبل رسول الله صلعم ومن قتل قصاصاً فقد استوجب الجنة واخرج ابو يعلى
والبيهقي في شعب اليمان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من خرج مهاجراً فمات
كتب له اجر الحاج الى يوم القيامة ومن خرج معتمراً فمات كتب له اجر المعتمر الى يوم القيامة ومن
خرج غازياً في سبيل الله فمات كتب له اجر الغاзи الى يوم القيامة قال ابن كثير وهذا حديث
غريب من هذا الوجه واذا صحت في الأرض هذا شروع في بيان كيفية الصلوة عند
الضرورات من السفر ولقاء العدو والموض والمطوفية تأكيد لعزيمة المهاجر على الهجرة وتز
اله فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافر قراحي مسافة كانت لذلك لم تقيد بما قيد به المهاجر

وقد تقدم تفسير الضرب في الارض قريبا فليس عليكم جناح اي وزر وخرج في ان
تقصروا من الصلوة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلوة الظهر والعصر و
العشاء واصل القصص في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى اصله وفسر ابن الجوزي القصص
بالنقص ولم اراه لاحد من اهل التفسير واللغة ومن التبعض وفي الآية دليل على ان القصص
ليس بواجب واليه ذهب الجمهور وذهب الاقلون الى انه واجب ومنهم عمر بن عبد العزيز
والكوفيون والقاضي اسمعيل وسجاد بن سليمان وهو مروى عن مالك واستدلوا بحديث عائشة
الثابت في الصحيح فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فزيدت في الحضر واقرت في السفر ولا
يقدر في ذلك مخالفتها لما روت فالحمل على الرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حديث يعلى بن امية قال سألت عمر بن الخطاب قلت ليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال لي عمر عجبت مما
عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقة اخبره احمد ومسلم واهل السنن وظاهر قوله فاقبلوا صدقة ان القصص
واجب وظاهر هذا الشرط اعني ان خفتم ان يفتنكم كرمي لغتكم ويقتلکم في الصلوة
الذين كفروا ان القصص لا يجوز في السفر الا مع خوف الفتنة من الكافرين لا مع الامن ولكنه
قد تقر بالسنة ان النبي صلى الله عليه وسلم قص مع الامن كما عرفت فالقصص مع الخوف ثابت بالكتاب والقصص
مع الامن ثابت بالسنة ومفهوم الشرط لا يقوي على معارضة ما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم من القصص
مع الامن وقد قيل ان الشرط خرج عن حيز الغالبين الغالب على المسلمين اذ ذلك القصص للخوف لا لغيره
وهذا قال يعلى بن امية لعمر كما تقدم وذهب جماعة من اهل العلم الى ان هذه الآية انما
هي موجهة للقصص في السفر للخائف من العدو ومن كان امنا فلا قصص له واليه ذهب حارث
الظاهرى وذهب اخرون الى ان قوله ان خفتم ليس متصلا بما قبله وان الكلام ثم عند
قوله من الصلوة ثم افلح فقال ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فاقم لهم يا محمد صلوة الخوف
تال لفرأه اهل الحجاز يقولون فتنت الرجل وربيعه واقيس واستدل جميع اهل بخير بقوله
افلنت الرجل وفوق الخليل وسيبويه بينهما فاما لا فتنته جعلت فيه فتنة مثل جعلته

وافتنه جعلته مفتنة وزعم الأصمعي أنه لا يعرفنا فتنته والمراد بالفتنة القتال والتعرض
بما يكره قوله إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَكْثَرُ عُدُوِّ أُمَّيْنَا معترض ذكر معنى هذا الجرح جاني في الفتنة
وغيرها وردة القشيري والقاضي أبو بكر بن العربي وقد حكى القرطبي عن ابن عباس معنى
ما ذكره الجرح جاني ومن معه وما يرد هذا ويدفعه الواو في قوله وإذا كنت فيهم وقد
كلف بعض المفسرين فقال إن الواو زائدة وإن الجواب للشرط المذكور أعني قوله إن خفتهم
هو قوله فلتقم طائفة وذهب قوم إلى أن ذكر الخوف منسوخ بالسنة وهي حديث عمر
الذي قدمنا ذكره وما ورد في معناه وعن أمية أنه سأل ابن عمر أرايت قصر الصلوة في
السفر أنا لنجد لها في كتاب الله أنما نجد ذكر صلوة الخوف فقال يا ابن أخي إن الله أرسل محمد
ولا نعلم شيئا فأنما نفعل كما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل وقصر الصلوة في السفر سنة سنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وابن ماجه وابن جبان والبيهقي وعن حارثة بن وهب
أخبرني قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر بمضى أكثر ما كان الناس وأمنه ركعتين
أخرجه الشيخان وغيرهما وعن ابن عباس قال صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدنة
نحن آمنون لا تخاف شيئا ركعتين أخرجه الترمذي وصححه النسائي وإذا كنت فيهم
فأقم لهم الصلوة هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولين بعده من أهل الأمر حكمه كما هو معروف
في الأصول ومثله قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة ونحوه إلى هذا ذهب جمهور العلماء
وسد أبو يوسف وإسماعيل بن علية فقال لا تصل صلوة الخوف بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأن هذا
خطاب خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يليق غيره به لما له صلى الله عليه وسلم من الزية العظمى وهذا مدفع
فقد أقر الله باتباع رسوله والتأسي به وقد قال صلى الله عليه وسلم كما رأيتوني أصلي والصحابة أخرج
بمعان القرآن وقد صلوا بعد موته في غير مرة كما ذلك معروف والمعنى إذا كنت يا محمد في
أصحابك وشهدت معهم القتال وأردت إقامة الصلوة بهم كقولهم وإذا قمتم إلى الصلوة فقل
أنا قرأت القرآن وقال السمين الضمير المردود على الضماديين في الأرض وقيل على الخائفين
وما عمنهم فلتقم طائفة منهم معك يعني بعد أن تجعلهم طائفتين طائفة تقف بأمر
العدو وطائفة تقوم معهم معك في الصلوة وأما ما يصحح أنه لا يصح في الصلاة

اي الطائفة التي تصلي قبل الضمير راجع الى لطائفة التي بازاء العدو والاول اظهر لان
الطائفة القائمة بازاء العدو ولا بد ان تكون قائمة باسليحتها وانما يحتاج الى الامر بذلك من كان
في الصلوة لانه يظن ان ذلك ممنوع منه حال الصلوة فامر الله بان يكون اخذ السلاح في
غير واضح وليس المراد الاخذ باليد بل المراد ان يكونوا حاملين لسلحتهم ليتناولوه من قرب
اذا احتاجوا اليه وليكون ذلك اقسط لرجاء عدوهم من امكان فرصة فيهم وقد قال يجمع
الضمير الى الطائفة القائمة بازاء العدو وابن عباس قال لان المصلية لا تقارب وقد قال غير
ان الضمير راجع الى المصلية وجوز الزجاج والخاس ان يكون ذلك امر الطائفتين جميعا
لانه اربح للعدو وقد اوجب اخذ السلاح في هذه الصلوة اهل الظاهر حملا للامر على
الوجوب وذهب ابو حنيفة الى ان المصلين لا يحملون السلاح وان ذلك يبطل الصلوة
وهو مدفوع بما في هذه الآية وبما في الاحاديث الصحيحة والسلاح ما يقاتل به وجمعه
اسلحة وهو مذكور وقيل مؤنث باعتبار الشوكة يقال سلاح كحاروس سلاح كضلع وسلاح كصر
وسلحان كسلطان قاله ابو بكر بن زيد فاذا سجدوا اي القائمون في الصلوة فليكونوا
اي الطائفة القائمة بازاء العدو من وراءكم اي من وراء المصلين ويحتل ان يكون
المعنى فاذا سجد المصلون معه اي اتوا الركعة تعبيرا بالسجود عن جميع الركعة او عن جميع الصلوة
فليكونوا من وراءكم اي فليصنفوا بعد الفراغ الى مقابلة العدو والحراسة ولتأنيط الطائفة
اخرى لم يصلوا وهي القائمة في مقابلة العدو والتي لم تصل فليصلوا معك على الصفة التي
كانت عليها الطائفة الاولى وليأخذوا اي هذه الطائفة الاخرى حذرهم واسلحتهم
زيادة التوصية للطائفة الاخرى باخذ الحذر مع اخذ السلاح قيل وجهه ان هذه المرة
مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاعل وامام في المرة
الاولى فيما يظنونهم قائمين للحرب وقيل لان العدو لا يؤخر قصده عن هذا الوقت لانه اخر
الصلوة ولم يبين في الآية الكريمة كرتصلي كل طائفة من الطائفتين وقد وردت صلوة
الخوف في السنة المطهرة على انحاء مختلفة وصفات متعددة وكلها صحيحة بحجبة من
فعل واحدة منها فقد فعل ما امر به ومن ذهب من العلماء الى اختيار صفة دون غيرها

فقد ابعد عن الصواب وقد اوضحنا هذا في شرحنا لبلوغ المرام وفي شرحنا للدرر البهية وكذا
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ تَعْلَمُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً هَذِهِ
 الجملة متضمنة للعلة التي لاجلها امرهم الله بالحذر واخذ السلاح اي ودوا غفلتكم عن اخذ
 السلاح وعن الحذر اذا قمت الى الصلوة ليصلوا الى مقصودهم وينالوا فرغتهم فيشربون عليكم
 شدة واحدة ويحلبون عليكم حملة واحدة والامتنعة ما يقتنع به في الحرب ومنه الزاد الرحلة
 والخطاب للغريقين بطريق الالتفات ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم
 مَرْضًى اَنْ تَضَعُوا اَسْلِحَتَكُمْ رَخَصَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي وَضْعِ السِّلَاحِ اِذَا نَالَهُمْ اَذًى مِنْ مَطَرٍ
 وفي حال المرض لانه يصعب مع هذين الامرين حمل السلاح وعن ابن عباس قال نزلت
 في عبد الرحمن بن عوف كان حريصا اخرجه البخاري وخيره ثم امرهم باخذ الحذر فقال
 وَحُذُّوا وَاحِدًا رُكْبَةً لِشَلَايَا تِهْمِ الْعُدُوَّ عَلَى غُرَّةٍ وَهُمْ غَافِلُونَ والمعنى راقبوا عدوكم ولا
 تغفلوا عنه امرهم بالتحفظ والتحرز والاحتياط وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم العذر
 وهو احد قولين للشافعي الثاني انه سنة ورجحه الشيخان ان الله اَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابًا مُهِينًا يهاونون به اخباره يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر
 ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله فاذا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ اِمْسِكُوا
 صَلَاةَ الْخَوْفِ وَهُوَ اَحَدُ مَعَانِي الْقَضَاءِ وَمِثْلُهُ فَاِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سَلَكِكُمْ فَاِذَا قَضَيْتِ
 الصَّلَاةَ فَانْتَشِرُوا فِي الْاَرْضِ قَدْ ذُكِّرُوا وَاللهُ الْاَمْرُ لِلدَّبِّ لانه في الفضائل قِيَامًا وَ
 قُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ في جميع الاحوال حتى في حال القتال قال ابن عباس بالليل و
 النهار في البر والبحر في السفى والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلائية
 وعلى كل حال وعن ابن مسعود انه بلغه ان قوما يذكرون الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ
 فقال انما هذه اذا لم يستطع الرجل ان يصلي قائما صلى قاعدا وقد ذهب جمهور العلماء
 الى ان هذا ان ذكر المأمور به انما هو ثلث صلوة الخوف اي فاذا فرضتكم من الصلوة فاذكروا
 الله في هذه الاحوال وقيل معناها اذا صليتم فصلوا قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ حسب
 ما تقتضيه الحال عند ملاحة القتال فهي مثل قوله فان خفتهم فرجالا او ركباناً والمعنى

ان ما اتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع اليه وعن عائشة قالت
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل احيانه اخرج به الشيخان فاذا اطمانتم اي امنتم بعد
 ما وضعت الحرب اوزارها وسكنت قلوبكم والطمانينة سكوت النفس من الخوف فاقموا
 الصلوة اي فاتوا بالصلوة التي دخل وقتها على الصفة المشروعة من الاذكار والاركان
 ولا تفعلوا ما امكن فان ذلك انما هو في حال الخوف وقيل المعنى في الآية انهم يقضون ما
 صلوه في حال المسايقة لانها حالة قلق وانزعاج وتقصير في الاذكار والاركان وهو
 مروي عن الشافعي والاول ارجح وقال مجاهد فاذا اطمانتم اي اذا خرجتم من حاد السفر الى
 دار الاقامة فاقموا الصلوة قال اتموها اربعاً من غير قصر وعن قتادة وابن المنذر نحوه
 ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً اي فرضاً محدداً معيناً والكتاب هنا بمعنى
 المكتوب يعني موقته في اوقات محددة فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على
 اي حال كان من خوف او امن وقيل المعنى فرضاً واجباً مقدراً في احضار اربع ركعات
 في السفر ركعتين يقال وقته فهو موقت وقته فهو موقت والمقصود ان الله افترض
 على عباده الصلوات وكتبها عليهم في اوقاتها المحددة لا يجوز لاحد ان ياتي بها في غير ذلك
 الوقت الا لعذر شرعي من نوم او سهوا ونحوهما قال ابن عباس موقوتاً مفروضاً والموقوت
 الواجب فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهونوا في ابتغاء القوم من وهن
 بالكمس في الماضي او من وهن بالقبح اي لا تضعفوا في طلبهم وقتا لهم واطهر والقوة والجد
 وقرئ تهاونا من الاهانة مبنياً للمفعول اي لا تتعاطوا من احببوا والخور ما يكون سبباً في
 اهانتكم ان تكونوا تالمون فالتهم يالمون كما تالمون تعليل للنهي المذكور قبله اي ليس تجدوا
 من الم الجراح ومزاولة القتال مختصاً بكم بل هو امر مشترك بينكم وبينهم فليسوا باولى منكم
 بالصبر على حرا القتال ومرارة الحرب ومع ذلك فلكم عليهم مزية لا توجد فيهم وهي انكم
 ترجون من الله من الاصر وعظيم الجزاء ما لا يرجون لكفرهم وجحودهم فانتم احق بالصبر
 منهم واولى بعدم الضعف منهم فان انفسكم قوية لانها ترى الموت مغتماً وهم يرونه مغرماً
 ونظير هذه الآية قوله تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وقيل ان الرجاء هنا

١٥
ع

بمعنى الخوف لان من رجاشيا فهو غير قاطع بحصوله فلا يجلوا من خوف ما يرجو وقال الفراء
والزجاج لا يطلق الرجاء بمعنى الخوف الا مع النفي كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ليس
لا تخافون له عظمة وكان الله عليمًا حكيمًا لا يامركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم انما
انزلنا اليك الكتاب اي القرآن بالحق اي متلبس به والحق الصدق او الامر والنهي والفضل
بين الناس للحكم بين الناس بما ازلت اي احللك الله اما بوحى او بما هو جار على سنن ما
قد اوحى اليك به وليس المراد هنا روية العين لان الحكم لا يرى بل المراد ما عرفه الله به
وارشده اليه وانما سفي العلم اليقيني روية لانه جرى مجرى الروية في قوة الظهور وروى
عمرانه قال لا يقول احدكم قضيت بما اراى الله فان الله لم يجعل ذلك لئيبه صلعم كن
يجهد رايه لان الراى من رسول الله صلعم كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وان راى
احدا يكون ظنا ولا يكون علما وقد دلت هذه الآية على ان رسول الله صلعم ما كان يحكم
الا بالوحى الالهى ولا تكن الخائنين اي لا جعلهم خصما غاصا عنهم مجازا للحقين بسببهم
وفيه دليل على انه لا يجوز لاحد ان يخاصم عن احد الا بعد ان يعلم انه محق ونزلت هذه
الآية في بنى الايبرق وقد رويت هذه القصة مختصة ومطولة عن جماعة من التابعين
عند اهل السنن وغيرهم لا تطول بذكرها واستغفرا لله امر لرسول الله صلعم بالاستغفار
قال ابن جرير ان المعنى استغفرا الله من ذنبك في خصامك للخائنين وقيل المعنى واستغفر
الله للخائنين من امتك والخاصمين بالباطل والاول اصح ان الله كان غفورا رحيمًا
وقد نسك هذه الآية من يرى جواز صدق والذنب من الانبياء وقالوا لو يقع منه صلعم
ذنب لما امر بالاستغفار والحواب عنه بوجوه ذكرها الخازن في تفسيره ولا حاجة دل على
خارج عن الذين يحتجون اي يخونون انفسهم بالعاصية والمجادلة ما خوذ من الجدل وهو
القتل وقيل ما خوذ من الجدالة وهي وجه الارض لان كل واحد من الخصمين يريد ان يلقي
صاحبه عليها وسمى ذلك خيانة لانفسهم لان ضرر معصيتهم راجع اليهم ان الله لا يحب
عدم المحبة كناية عن البغض فما قال من كان خوانا ايما على المبالغة لانه تعالى علم منه
الاغواط في الخيانة ويكوب الماشم يستخفون من الناس اي يستترون منهم كقوله ومن هو

مستخف بالليل اي مستتر فتيل معناه يستحيون من الناس ولا يستخفون من
 الله اي لا يستترون ولا يستحيون منه وهو اي والحال انه معهم بالعلم والقدرة في
 جميع احوالهم عالم بما هم فيه فكيف يستخفون منه وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب
 الذنوب وكفى بهذه الآية ناعية على ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع
 علمهم انهم في حضرة لا ستر ولا غيبة اذ يَسْتَتُونَ اي يدبرون الرأي بينهم وسماه
 تبييتا لان الغالب ان تكون ادارة الراي لليل ما لا يرضى من القول اي من الراي الذي اثاره
 بينهم وسماه قوله لا يحصل الا بعدا لمقابلة بينهم وكان الله بما يعملون محيطا عالما
 علم احاطة لا يخفى عليه شيء من اسرار عباده وهو مطلع عليهم لا تخفى عليه خافية
 هَاكُنْتُمْ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ جَادَلُوا عَنْ صَاحِبِهِمُ السَّارِقَ قَالَ الزَّجَّاجُ اَوَّلًا مَعْنَى
 الَّذِينَ وَالْخَطَابُ هُنَا عَلَى خَطِّهِ الْاَلْفَاتُ لِلْإِذَانِ بَأَن تَعْدِيدَ جُنَايَاتِهِمْ يُوَسِّطُهُمْ
 بِالْتَوْبِ وَالْتَقْرِيعُ جَاءَتْهُمْ أَي خَاصَّتْهُمْ عَنْهُمْ وَجَاجَمَتْ وَاصِلُ الْحِدَالِ شِدَّةُ الْقَتْلِ لَأَن كُلَّ
 وَاحِدٍ مِنْ الْأَخْصِيَانِ يَرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ صَاحِبَهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ
 عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَسْتِفْهَامُ لِلانْكَارِ وَالتَّوْبِخِ أَي فَمَنْ يُخَاصِمُ وَيُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ عِنْدَ
 تَعْدِيدِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا أَي مُجَادِلًا وَمُخَاصِمًا وَالْوَكِيلُ فِي الْأَصْلِ
 الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ وَالْمَعْنَى مِنْ ذَلِكَ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ إِذَا خِذْلَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ بَابِهِ وَمَنْ يَكُونُ
 مُحَامِيًا عَنْهُمْ مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ وَمَنْ يَحْمِلُ سُوءَ هَذَا مِنْ قِيَامِ الْقِصَّةِ السَّابِقَةِ وَ
 الْمُرَادُ بِالسُّوءِ الْقَبِيحِ الَّذِي بِسُوءِ بِهِ خَيْرُهُ أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِفِعْلِ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي أَوْ
 ذَنْبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي لَا تَعْدَى إِلَى غَيْرِهِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا قَدْ
 مِنَ الذَّنْبِ يَحْدِثُ اللَّهُ عَقُورَ الذَّنْبِ رَحِيمًا بِهِ وَفِيهِ تَرْغِيبٌ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ السَّرِقُ مِنْ بَنِي
 إِدْرِيقَ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرَهُ وَأَنَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ يَسْتَغْفِرُهُ رَحِيمٌ بِهِ وَقَالَ الْفَخَّارُ
 أَنَّ هَذِهِ آيَةٌ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ وَحْشِي قَاتِلِ حَمْرَةَ أَشْرَكَ بِأَبِيهِ وَقَتْلَ حَمْرَةٍ ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى
 وَقَالَ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ فَنَزَلَتْ وَحَلَّى كُلَّ حَالٍ فَالْإِعْتِبَارُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ
 فِي كُلِّ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ إِذَا ذُنِبَ ذَنْبًا ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَخْبَرَنِي

عبادة بجملة وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن اذنب ذنبا صغيرا كان وكبرا
ثم استغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا ولو كانت ذنوبه اعظم من السموات والارض والجبال
وعن ابن مسعود من قراءاتين الايتين من سورة النساء قرا استغفر الله غفرا ومن
يعمل سوء الآية ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقد ورد في قبول الاستغفار وانه يحى
الذنوب احاديث كثيرة مدونة في كتب السنة وفي هذه الآية دليل على حكمي احدهما ان التوبة مقبولة
عن جميع الذنوب الكبار والصغائر والثاني ان مجرد الاستغفار كاف كما هو ظاهر الآية وقيل
انه مقيد بالتوبة ومن يكسب اثما من الاثم بذنب يذنبه وهو اجمال بعد تفصيل فاما
يكسبه على نفسه اي فعاقبته عائدة عليه ولا يرضى غيره والكسب ما يجز به الانسان
الى نفسه نفعا او يردفع به ضررا وهذا لا يسمى فعلى الرب كسبا قاله القرطبي وكان الله
عليه بما في قلب عبده عند اقراره على التوبة حكيمًا لا يعاقب بالذنب غير فاعله ويقاوزه
عن التائب ويغفر له يقبل توبته ومن يكسب خطيئة او اثما قيل هما بمعنى واحد كقول التاكيد
وقال الطبري ان الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وقيل خطيئة
الصغيرة والاثم الكبيرة وقيل الاول ذنب بينه وبين ربه والثاني ذنب في مظالم العباد
وقيل الخطيئة هي المختصة بفاعله والاثم المتعدى الى الغير ثم يبرح به بريًا منه توحيد
الضمير لكون العطف باوا ولتغليب الاثم على الخطيئة وقيل انه يرجع الى الكسب فقيل احتمل
بجنانا و اثما مبيها لما كانت الذنوب لازمة لفاعلها كانت كالثقل الذي يحمل ومثله يحمل
اثقالهم واثقالهم مع اثقالهم والبهتان ما خوذ من البهت وهو الكذب على البريء بما ينبت
له ويتحير منه يقال بهتت بهتًا وبهتانًا اذا قال عليه ما لم يقل ويقال بهت الرجل بالكسر اذا
دُهِش وخير وهُت بالضم ومنه فهمت الذي كفر واللبين الواضح ولا فضل الله عليكم و
رحمته خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الفضل والرحمة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم على الحق في قصة بني ابيرق وقيل المراد بهما العصمة والنبوة فهمت طائفة منهم
اي من الجماعة الذين عضدوا بني ابيرق يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة ان يضلوا و عن
القضاء بالحق وتوخي طريق العدل او يخطؤوا في الحكم ويلبسوا عليك الامر وما يضلون الا

أنفسهم لان وبال ذلك عائد عليهم بسبب تعا ونهم على الاثم وما يضرونك من شيء
 لان الله سبحانه هو صاحبك من الناس ولانك علمت بالظاهر فلا ضرر عليك في الحكم به
 قبل نزول الوحي ومن زائدة وانزل الله عليك الكتاب قبل هذا ابتداء كلام وقيل الواو
 للحال اي ما يضر من شيء حال انزال الله عليك القرآن او مع انزال الله ذلك عليك فالحاجة
 في معنى العلة لما قبله والحكمة اي القضاء بها وعلمك اي بالوحي من احكام الشرع وامور
 الدين او علم الغيب وخفيات الامور او من احوال المنافقين وكيدهم او من ضمائر القلوب وما
 لم تكن تعلم من قبل الوحي وقال فتادة علمه الله بيان الدنيا والاخرة وتبين حلاله وحرامه ليحتمل
 بذلك على خلقه وقال الضحاك علمه الخير والشر وكان فضل الله عليك عظيماً فيما علمك وانعلمك
 لانه لا فضل اعظم من النبوة التامة والرسالة العامة وفيه تنبيه منه سبحانه لرسوله على ما حياه
 من الطائف وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه لا خير في كثير من شئهم
 النجوى السنين الاثنين والجمعة تقول ناجيت فلاناً ما جاءه وجاء وهم ينتجون ينتجون ونحو ذلك
 انجوه نجوى اي ناجيته فنجوى مشتقة من نجوت الشيء انجوه اي خلصته وافردته بالنجوة من الارض
 المرتفع لانفراده بارتفاعه عما حوله فالنجوى المسارة مصدر وقد يسمى بالجماعة كما يقال قوم عدل
 قال الله تعالى واذهم نجوى وقيل النجوى جمع نجى نقله الكرماني وقد قال جماعة من المفسرين ان النجوى
 كلام الجماعة المنفردة الاثنين سواء كان ذلك سرا او جهرا وبه قال الزجاج والاية عامرة في
 حق جميع الناس كما اخذوا به البغوي والكواشي كالواحد وقيل عائد الى قوم طمعة و
 الاول اولى الا من آمن يصدق اي حث عليها والظاهر انها صدقة التطوع وقيل انها صدقة
 الغرض والاول اولى والاستثناء متصل كما اختاره القاضي كالكشف وقيل منقطع لان من شئ
 وليست من جنس التناجي فيكون بمعنى لكن في لغة الحجاز او معروفة لفظ عام يشمل جميع انواع
 التحميل وفنون اعمال البر وقال مقاتل المعروف هنا الغرض الاول اولى ومنطوقه كل معروف
 صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وقيل المعروف اخاتة الملهوف والغرض
 اخاتة المحتاج واعمال البر كلها معروفة لان العقول تعرفها او اصلاح بين الناس عطف خاص
 على عام قال ابو حيان وفيه انه لا يكون با وهو عام في الدماء والاعراض والاموال وفي كل

الشيء

يضع التراخي فيه وقد اخرج عبد بن حميد والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن ام حبيدة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا امر ايعرفن اني انا عن منكر اذكر الله عز وجل
قال سفيان الثوري هذا في كتاب الله يعني هذه الآية وقوله تعالى يوم يقوم الروح الملائكة
صفاء لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد وردت احاديث صحيحة
في الصمت وتحذير عن افات اللسان والترغيب في حفظه وفي البحث على الاصلاح بين الناس
ولعل وجه تخصيص هذه الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي للناس اما ايصال منفعة
او دفع مضرة والمنفعة اما جسمانية واليه الاشارة بقوله الامن امر بصدقة واماروتها
واليه الاشارة بالامن بالمعروف ودفع الضر راشير اليه بقوله او اصلاح بين الناس قال السعدي
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ شَارَكَ الْاُمُورَ الْمَذْكُورَةَ جَعَلَ مَجْرِدَ اَمْرِهَا خَيْرًا ثُمَّ رَغِبَ فِي فَعْلِهَا بِقَوْلِهِ هَذَا
لَانْ فَعْلَهَا اقْرَبَ اِلَى اللَّهِ مِنْ مَجْرِدِ اَمْرِهَا اذْ خَيْرِيَّةُ اَمْرِهَا اَمَّا هِيَ كَوْنُهُ وَسَبِيلَةُ اِلْفَعْلِهَا
او اراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل لان الامر بالفعل ايضا فعل من الافعال ابتغاء
مَرْضَاتِ اللَّهِ حَلَّةٌ لِلْفَعْلِ لَانْ مِنْ فَعْلِهَا لَغَيْرُ ذَلِكَ فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقْبَلٍ لِهَذَا الْمَدْحِ وَالْخَيْرُ بِلِقَاءِ
يَكُونُ خَيْرَ نَاجٍ مِنَ الْوُزْرِ اَمَّا اَلْاَعْمَالُ الْكَلْبِيَّاتُ فَسَوْفَ تُؤْتِيهِ فِي الْآخِرَةِ اذْ اَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءً
لِمَرْضَاتِ اللَّهِ اَجْرٌ عَظِيمًا اَحَدُهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ اَلَا اللَّهُ اَخْرَجَ ابُو نَصْرِ السَّجَرِي فِي الْاَبَانَةِ عَنْ
النَّسِ قَالَ جَاءَ اَعْرَابِي اِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَنْ اَنْزِلَ حَلِي الْقُرْآنَ بِاَعْرَابِي
لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ اِلَى قَوْلِهِ عَظِيمًا يَا اَعْرَابِي اَلْاَجْرُ الْعَظِيمُ اَلْجَنَّةُ قَالَ اَلْاَعْرَابِي اَلْحَمْدُ لِلَّهِ
هَذَا لِلْاِسْلَامِ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ الْمَشَاقَّةَ الْمَعَاوَاةَ وَلِخَالِفَةِ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ اَيُّ وَضْعٍ
وظَهَرَ الْهُدَى بَانَ يَعْلَمُ صَحَّةَ الرِّسَالَةِ يَا اِبْرَاهِيمَ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ يَفْعَلُ الْمَشَاقَّةَ وَيَكْبَغُ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ اَيُّ غَيْرِ طَبَقْتُمْ وَهِيَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِينِ الْاِسْلَامِ وَالتَّمَسُّكُ بِأَحْكَامِهِ فِي
الْاِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ تَوَكَّلْ اَيُّ يَفْعَلُهُ وَالْيَا لِمَا تَوَلَّاهُ وَاخْتَارَهُ مِنَ الضَّلَالِ بَانَ
فَخَلَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَنَتْرَكَهُ وَمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ وَتَضَرَّرَ لِيْلِهِ نَزَمَهُ وَنَدَخَلَهُ فِي
الْآخِرَةِ وَاصْلَاهُ مِنَ الصِّلَةِ وَهُوَ لَزِمَ النَّارَ وَتَوَلَّى لَهَا اسْتَدْفَأَ بِجَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا مَوْجِبًا

وقد اسند جماعة من اهل العلم هذه الآية على حجة الاجماع لقوله ويتبع غير سبيل
 المؤمنين ولا حجة في ذلك عندي لان المراد بغير سبيل المؤمنين هنا هو الخروج من دين
 الاسلام الى غيره كما يفيد اللفظ ويشهد به السبب فلا يصدق على عالم من علماء هذه
 الملة الاسلامية اجتهاد في بعض مسائل الدين فاداءه اجتهاده الى مخالفة من بعض ^{المجتهدين} من
 فانه اما رام السلوك في سبيل المؤمنين وهو الدين القويم والملة الحنيفية ولم يتبع غير ^{سبيل}
 وقد اخرج الترمذي والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
 لا يجمع الله هذه الامة على الضلالة ابدا ويد الله على الجماعة فمن شذ شذ في النار واخرج ^{الترمذي}
 والبيهقي ايضا عن ابن عباس مرفوعا ان الله لا يغفر ان يُشرك به هذا نص صريح بان الشرك
 غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لقول قل للذين كفروا الآية ويغفر ما دون ذلك اي ما
 دون الشرك ^{لن} كيشاء من اهل التوحيد وهذه المشية فمن لم يتب من ذنوبه ^{من الموحد} من الموحد
 فان شاء غفر له وان شاء عذبه ومن يُشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا اي ذهب
 عن طريق الهدى وحرم اخير كله اذا مات على شركه لان الشرك اعظم انواع الضلال ^{اذا} بعد
 من الصواب الاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشريعة
 فقد ضل وفيما سبق فقد افترى ثما عظيم حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه وفي السمين
 ختمت الآية المقدمة بقوله فقد افترى وهذه بقوله فقد ضل لان الاولى في شان اهل الكفر
 وهم عندهم علم بصحة نبوته وان شريعتهم ناسخة لجميع الشرائع ومع ذلك فقد كابروا في ذلك وافتروا
 على الله وهذه في شان قوم مشركين ليس لهم كتاب عند الله علم فناسبهم بالضلال ايضا وقد ^{هنا}
 ذكر الله ضد الضلال انتهى وقد تقدم تفسير هذه الآية وتكريرها بلفظها في موضعين من
 هذه السورة للتأكيد وقيل كرت هنا لاجل قصة بني ابرق وقيل انها تركت هنا بسبب غيب
 قصة بني ابرق وهو ما رواه الثعلبي والقرطبي في تفسيريهما عن الضحاك ان شيخا من الاعراب
 جاء الى رسول الله صلى فقال يا رسول الله اني شيخ منهما في الذنوب الخطايا الا اني لم اشرك
 بالله شيئا مذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا كرامة
 له واني لنادم وتائب ومستغفر في حال عند الله فانزل الله تعالى هذه الآية اخبرني ^{ابن}

عن علي أنه قال ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية قال الترمذي حسن غريبان يدل عوده
 من دونه إلا أنا كما قيل لما قبلها أي ما يدعون من دون الله إلا أصناما لها أسماء مؤنثة
 كاللات والعزى ومناة قاله أبي بن كعب وقيل المراد بالآلات الأموات التي لا روح لها
 كالخشبة وأحجر قاله ابن عباس قال الزجاج الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول
 هذه أحجر تعجيني وهذه الدرهم تنفعني وقد يطلق الاني على الجمادات وقيل المراد بالآلات
 الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله قال الضحاك اتخذوهن أربابا وصورا ومن صور الجوارح
 فخلوا وقلدوا وقالوا هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبد يعنون الملائكة وقرئ الأوثان
 بضم الواو والثاء جمع شئ ذي هذه عن عائشة وقرأ ابن عباس الأوثان جمع شئ أيضا والأوثان جمع
 وغدر وحكي الطبري أنه جمع آيات كثفارتهم وعلى جميع هذه القرائات فهذا الكلام خارج
 يخرج التوبيخ للمشركين والأزراء عليهم والتضعيف لعقوبهم لكونهم عبدا من دون الله
 نوعا ضعيفا وقال الحسن كان لكل حي من أحياء العرب صنم يعبدونها يسمونها أنثى بني
 فلان فأنزل الله هذه الآية وإن يدعون من دون الله الشيطان مرئيا وهو إبليس
 لعنه الله لأنهم إذا اطاعوه فيما سؤل لهم فقد عبدوه وتقدم اشتقاق لفظ الشيطان و
 المرید المتمرّد العاقب من مرد إذا عتاق قال الأزهری المرید الخارج عن الطاعة وقد مر الرجل
 مردا إذا عتق وخروج عن الطاعة فهو مارد ومريد ومترد وقال ابن عرفة هو الذي
 ظهر شره يقال شجرة مرداء إذا تساقط ورقها وظهرت عيدا غامضا ومنه قيل للرجل امرؤاى ظاهرا
 مكان الشعر من عارضته وقال ابن عباس نكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراعى للسنّة
 والكهنة ويكلمهم والاول اولى لعنه الله قيل مستأنفة وقيل دعاء عليه اصل اللعن الطرد
 والابعاد وقد تقدم تفسيره وهو في العرف ابعاد مقترن بسخط وقال لا تحذرت من عبادة
 نصيبا مفرّضا معطوف على قوله لعنه الله وأجملت أن صفة لشيطان أي شيطانا مریدا
 جامعاً بين لعنة الله له وبين هذا القول الشنيع وأحال على ضمائر قداي وقد قال واستينأ
 ولا تحذرن جواب قسم محذوف والاصيب المعروف هو المقطوع المقدراى لأجل قطعة مقدرة
 من عبادة الله تحت غوايته وفي جانب انزاله حتى أجبرهم من عبادة الله إلى الكفر به عن قتال

بن سبيان قال هذا ابليس يقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار واحدا الى
 الجنة وعن الربيع بن انس مثله قلت وهذا صحيح ومعنى يعصده قوله تعالى لادم يوم القيمة
 اخراج من ذريتك بعث النار فيقول يا رب ما بعث النار فيقول الله تعالى اخرج من كل الف
 تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك تشيد الاطفال من شدة الهول اخرجهم مسلم فصيب
 الشيطان هو بعث النار والمعنى لا تحزن منهم خطا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس هو
 نصيبه ومفروضة واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون
 وساوسه ولا ضللتهم اللام جواب قسم محذوف ولا ضلال الاصراف عن طريق الهداية الى
 طريق الغواية والمراد به التزيين والوسوسة ولا فليس اليه من الاضلال شيء قال بعضهم
 كان الاضلال الى ابليس لاضل جميع الخلق وهكذا اللام في قوله ولا ضللتهم والمراد بالاماني
 التي يمنيهم بها الشيطان هي الاماني الباطلة الناشئة عن تسويله ووسوسته قال ابن عباس
 يريد تسويل التوبة وتأخيرها وقال الكلبي امنهم انه لاجنة ولا نار ولا بعث وقيل ادراك الجنة
 مع المعاصي وقيل ازين لهم كوسيلة الهوى والاهوال الداعية الى العصيان وقيل طول البقاء في الدنيا
 وفيها الموت وهما على الآخرة ولا مانع من حمل اللفظ على الجميع ولا مرئهم فليبتكن ان اذان
 الأنعام اي ولا مرئهم بتبتيك اذ انها اي تقطيعها فليبتكنها بموجب امرى وبالتك القطع
 ومنه سيف باتك يقال بتكه وبتهك مخففا ومشددا وقد فعل الكفار ذلك امتثالا لامر
 الشيطان واتباعا لرسمه فشقوا اذان البحار والسوايب كما ذلك معروف قال قتادة التبتك
 في البحيرة والسائبة يبتكون اذانها الطواغيتهم ولا مرئهم فليغيرن خلق الله بموجب امر
 لهم واختلف العلماء في هذا التغيير ما هو فقالت طائفة هو اخصه وفقوا العين وقطع الاذن
 وقال الآخرون ان المراد هو ان الله سبحانه خلق الشمس والقمر والاحجار والنار وهما من المخلوقات
 لما خلقها له فغيرها الكفار بان جعلوها الهة معبودة وبه قال الزجاج وقيل المراد تغيير الفطرة
 التي فطر الله الناس عليها وقيل نفى الانساب واستلحاقها او بتغيير الشيب بالسواد او بالتخوير
 والتحليل او بالتخت او بتغيير دين الاسلام ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الامور حمل شتمها
 او بدليا وقد رخص طائفة من العلماء في خصي البهايم اذا قصد بذلك زيادة الانتفاع به لاسيما

او غيره وكرة ذلك اخرون واما خصي بني ادم فحرام وقد كره قوم شراء الخصي قال القرطبي
 ولم يختلفوا ان خصي بني ادم لا يحل ولا يجوز وانه مثله وتغير خلق الله وكذلك قطع اسائر
 اعضائهم في غير حد ولا قود قاله ابو عمرو بن عبد البر اخرج ابن ابي شيبة والبيهقي عن
 ابن عمر قال قال نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهاثم واخيل واخرج ابن المنذر والبيهقي عن ابن عباس
 قال قال نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الروح واطصاء البهائم وعن ابن عباس فليغيرن خلق الله
 قال ابن الله وعن الضحاك وسعيد بن جبيرة مثله وعن الحسن قال الوشم وصل الشعر هذه
 الجمل الخمسة المحكية عن اللعين ما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات الخمس
 للنعم كما تقدم ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله ياتبعه وامتثال ما يامره به و
 ايثار ما يدعوا اليه من دون اتباع لما امر الله به ولا امتثال له وقيل الولي من المولاة وهو
 الناصي فقد خير بتضييع رأس ماله الفطري حسرا ثُمَّ مَيِّتْنَا اي واضحا ظاهرا لان طاعة
 الشيطان توصله الى تار جهنم المؤبدة عليه وهي غاية الخسران يَعِدُّهُمْ المواعيد الباطلة
 كطول العمر وَيَمَيِّنُهُمْ الاماني العاطلة في الدنيا عطف خاص للاهتمام وما يعد لهم الشيطان
 اي بما يوقعه في خواطرهم من الوساس الفارغة الْأَعْرُورُ ويظهر لهم فيه
 النفع وهو ضرر محض قال ابن عرفة الغرور ما رأيت له ظاهرا تحبه ولدا باطن مكره وَهُوَ
الْجَلَّةُ اعتراضية أُولَئِكَ اشارة الى ولياء الشيطان بمراعاة معنى من وهذا مبتدأ وخبره
 قوله ما وَهُمْ جمعهم وقيل ما واهم مبتدأ ثان وجمعهم خبر الثاني والجملة خبر الاول وَالْجَلَّةُ
عَنْهَا محيصا اي معذرا من حاص يحيص وقيل ملجأ ومخلصا ومعيدا ومهربا والمحيص اسم
 مكان وقيل مصدر وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بيان لوعده الله المؤمنين عقوبات
 وعد الشيطان للكافرين سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ اي من تحت المسكن
 والغرف تَجَالِدِينَ فيها كابد لا انهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد
 الذي لا تنقطع له وعد الله حقا قال في الكشف مصدر ان الاول موكد لنفسه الثاني
 موكد لغيره ووجهه ان الاول موكد لمضمون الجملة الاسمية ومضمونها وعد والثاني موكد
 لغيره اي حقا ومن اصدق من الله قيلا هذه الجملة مؤكدة لما قبلها والقيلا

مصدر قال كالقول والقال والاستفهام بمعنى النفي أي لا أحد صدق قوله من الله عز وجل وقيل إن قيل اسم لا مصدر وأنه منتصب على التمييز قاله ابن السكيت ليس دخول الجنة أو الفضل أو القرب من الله أو الأمر متوطأ بما ذكره ولا أماني أهل الكتاب بل بالعمل الصالح والإيمان كما يدل على ذلك سبب نزول الآية وقيل الضمير يعود إلى ما وعد الله وهو بعيد ومن أماني أهل الكتاب قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم نحن أبناء الله وأحباءه وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة عن مسروق قال تفاخر النصارى وأهل الإسلام فقال هؤلاء نحن أفضل منكم وقال هؤلاء نحن أفضل منكم فنزلت وقد ورد معنى هذه الرواية من طرق كثيرة مختصرة ومطولة والأماني جمع منية أفعولة من التمنية والتمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة حاصلة في النفس وقيل الخطاب للمسلمين واليهود والنصارى وقيل لمشركي مكة في قولهم لا تبعث ولا تخاسب من يعمل سوءا يجزيه قال الحسن هذا في حق الكفار ولا وجه له وقال ابن عباس هي عامة في كل من عمل سوء وفي هذه الجملة ما ترجف له القلوب من الوعيد الشديد وقد كان لها في صدور المسلمين عند نزولها موقع عظيم كما ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجزيه بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو اسود وأبى في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها والشوك تشاكها أخرج عبد بن حميد والترمذي وابن المنذر عن أبي بكر الصديق أن النبي صلى الله عليه وآله قال لما نزلت هذه الآية أما أنت وأصحابك يا أبا بكر فجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب أما الآخرون فجمع لهم ذلك حتى جزوا به يوم القيمة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما يصيب المؤمن من وصب ولا سهم ولا سحر حتى ألهم بهمه لا كفر له به من سيئاته وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة ولا يجز ذلك من دون الله أي غيره دليلا يحفظه ولا نصيرا يمنع منه ومن يعمل من التبعض أي بعض الصلوات وهي الفرائض قاله ابن عباس وقال الطبري من زائدة عند قوم وهو ضعيف لأن المكلف

لا يطبق على كل الصالحات حال كونه من ذكر أو أنثى وهو مؤمن أي حال كونه مؤمنا والحق
 الاقرب لبيان من يعمل والحال الاخرى لانفاة اشتراط الايمان في كل عمل صالح وفيه اشارة الى
 ان الاعمال ليست من الايمان فالله اشارة الى العالم المتصف بالايمان قرئ يدحجون
 الجنة على النساء الجاهول وللعلوم والجمع باعتبار معناه من كان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
 ولا يظلمون تغير أي قدر النقيض وهو النقرة في ظم النواة ومنها تنبت الخلة وهذا على سبيل
 المبالغة في نفي الظلم ووعد بوقية جزاء احب اليهم من غير نقصان كيف والمجازي احب الراجح
 ومن أي لا احد فهو استفهام انكاري احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن أي
 اخلص نفسه له حال كونه محسنا أي عاملا للحسنات وقيل معنى اسلم قوض امره الى الله و
 قال ابن عباس هو محسن أي هو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا وانما اخلص الوجه بالذكر لانه اشرف
 الاعضاء فاذا انقاد لله فقد انقاد له جميع الاعضاء لانها تابعة له واتبع ملة ابراهيم
 حنيفا أي اتبع دين ابراهيم حال كون المنع ما تلاعن الاديان الباطلة الى دين الحق وهو الاسلام
 وخص ابراهيم للاتفاق على مدحه حتى من اليهود النصارى واتخذ الله ابراهيم خليلا
 أي جعله صفيق له وخصه بكراماته وفيه اظهر في مقام الاضمار لتفخيم شأنه والتخصيص على
 انه متفق على مدحه وفائدة هذه الجملة تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلف عند
 الله ان اتخذ خليلا كان جديرا بان يتبع ملته قال ثعلبنا سمي خليل خليل لان محبة
 تحلل القلب فلا تدع فيه خيلا الا ملائكة و خليل فعيل بمعنى فاعل كالعليم بمعنى العالم وقيل
 هو بمعنى المفعول كالخبيب بمعنى المحبوب وقد كان ابراهيم خليله محبوا لله ومحبا له وقيل
 اخبر من الاختصاص فالله سبحانه اختص ابراهيم برسالته في ذلك الوقت واختاره لها
 اختار الناس قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبة خلل اخرج الحاكم وصححه عن جرير
 انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يتوفى ان الله اتخذني خليل كما اتخذ ابراهيم خليله وخرج
 الحاكم ايضا وصححه عن ابن عباس قال تعجبون ان تكون اخلة لابراهيم والكلام لموسى والروية
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعريف اخلة والسبب الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليله ان قال شكر اهل
 لتفسير ربه ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقنا وصيلا فيه اشارة الى تسجيانه

اتخذ إبراهيم خليلاً لطاعته لا لاجته ولا لتكثربه ولا اعتضاد بخلقه وإنما قال ما لم
 يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بلفظ ما
 قيل مستأنفة لتقرير وجوب طاعته وقيل لبيان ان الخلوة لا تخرج ابراهيم عن رتبة العودية
 وكان الله بكل شيء عليم هذه الجملة مقررة لمعنى الجملة التي قبلها اي جاط كل شيء علماً وقدرة لا يغا
 صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ويستعقونك يطلبون منك القوي وهي بالواو مفتحة
 الفاء وبالياء فتم وهي اسم من افعى العالم اذا بين الحكم واستفتيته سألته ان يقي والجمع
 القتوي بكسر الواو على الاصل وقيل بجوز الفتح للتخفيف في شأن النساء وميراثهن قُلْ لهنَّ الله
يُفْتِكُمْ فِيهِنَّ سبب نزول هذه الآية سؤال قوم من الصحابة عن امر النساء واحكامهن
 في الميراث وغيره فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهن ان الله يبين لكم حكم ما سألتم عنه
 وهذه الآية رجوع الى ما افتحت به السورة من امر النساء كان قد بقيت لهن احكام
 لم يعرفوها فسألو فقيل لهن الله يفتيكم قال مجاهد كان اهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا
 الصبيان شيئاً كانوا يقولون لا يغزون ولا يغنمون خيراً ففرض الله لهن الميراث حقاً وجباً
 وعن ابراهيم كانوا اذا كانتا تجارية يتيمة دمية لم يعطوها ميراثها وجسوها من التزويج
 حتى تموت فيرثونها فاتل الله هذا وما تكتب عليكم في القرآن الذي تكتب عليكم
 يفتيكم فيهن والمتلوفى الكتاب في معنى اليتامى قوله تعالى وان خفتم الا تبسطوا في اليتامى
 وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التي عليكم وانها في
 اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله التي يجب
 مراعاتها وان الخل بها ظالم في يسمي النساء فيه خمسة اوجه احدها انه بدل اي في حكم
 يتامى الثاني ان يتعلق بمتلى قاله ابو البقاء الثالث انه بدل من فيهن باعادة العامل الرابع
 ان يتعلق بنفس الكتاب اي فيما كتب في حكم اليتامى انما من انه حال اي كائن في حكم
 يتامى والاضافة من باب اضافة الصفة الى الموصوف اذا اصل في النساء اليتامى الذين
لا يؤثرون ما كتب اي فرض لهن من الميراث وقيل من الصداق وغيره وذلك لانهم كانوا
 يورثون الرجال دون النساء والكبار دون الصغار وتزعمون ان ننكحهن نكحهن نكحهن وما كن

بتقدير في اول عدم جملتهن ودمامتهن بتقدير عن والاية محتملة للوجهين السُّتْعَفَانِ
 من الولدان وهو قوله يوصيكم الله في اولادكم الاية وقد كان اهل الجاهلية يورثون
 النساء ولا من كان مستضعفا من الولدان كما سلف وانما يورثون الرجال القاطنين
 بالقتال وسائر الاموال وما يورثون ان تَقْوُوهُ لِلْيَكْمِ بِالْقِسْطِ اي العدل في مهووهن
 وموارثتهن وما تفعلوهن من خير في حقوق المذكورين او من شرف فيه اكفاء فان
 الله كان به عليمًا يجازيكم بحسب فعلكم من خير وشر وان امرأة موفوع بفعل يفسره
 حاكمت اي توقعت ما يخاف من زوجها وقيل معناه تيقنت وهو خطأ من بَعُولَهَا
 اي زوجها والبعل هو السيد شُوزَاد وام النشوز قال الزجاج يعني ترفعها بترك مضاعفها
 والتقصير في نفقتها لبغضها وطوح عينه الى اهل منها او اعراضا عنها بوجهه قال الخاس
 الفرق بين النشوز والاعراض ان النشوز التباعد والاعراض ان لا ينكحها ولا ينسبها
 ولا جناح عليهما اي لا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة قال ابو السعود نفى الجناح عن الزوج
 ظاهرا لانه يأخذ شيئا من قبلها والاخذ مظنة الجناح ومظنة ان يكون من قبيل الرشوة
 المحرمة واما نفى الجناح عنها مع ان الذي هو من قبلها هو الدفع لا الاخذ فليكن ان
 الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للعطي والاخذ انتهى ان يصلح من المصاحبة على قراءة
 الجمهور وظاهر الاية انها تجوز المصاحبة عند مخافة اي نشوز او اي اعراض والاعتبار
 بمجموع اللفظ لا بخصوص السبب وظاهرها انه يجوز التصالح باي نوع من انواعه باسقاط النشوز
 او بعضها او بعض النفقة او بعض المهر وقرأ الكوفيون ان يصلح من الاصلاح والاول
 لان قاعدة العرب ان الفعل اذا كان بين اثنين فصاحدا قيل تصالح الرجلان والقوم لا
 لا يصلح بينهم ما صلح اي في القسمة والنفقة قال ابن عباس فان صاحبه على بعض جهتها
 جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح لفظ عام يقتضي ان الصلح
 الذي تسكن اليه النفس وينزل بها الخلاف خير على الاطلاق او خير من الفرقة او من
 الخصومة او من النشوز والاعراض وهذه الجملة اعتراضية قاله الزنجشيري واللام في الصلح
 للجنس والعهد قد اخرج الترمذي وحسنه وابن المنذر والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال

خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي
لعائشة ففعل ونزلت هذه الآية قال ابن عباس فما اصابها عليه من شيء فهو جائز واخرج
ابو داود والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة ان سبب نزول الآية هو قصة سودة المذكورة
واخرج البخاري وغيره عنها في الآية قالت الرجل يكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها
يريد ان يفارقها فتقول اجعلك من شيك في حل فنزلت هذه الآية وقد ورد عن جماعة
من الصحابة نفي هذا وثبت في الصحيحين من حديث عائشة قالت لما كبرت سودة بذنت معي
وهبت يومها لعائشة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لها يوم سودة وأخضت الأنف
الشئ أي شدة الغل وهذا الخبر منه سبحانه بان الشئ في كل واحد منهما ما يل في كل الأنف لئلا ينسأ
كأن وانه جعل كانه حاضرا لها لا يغيب عنها بحال من الاحوال وان ذلك يحكم بحكمة الطبيعة
فالرجل يشبع بما يلزمه المرأة من حسن العشرة وحسن النفقة ونحو ذلك والمرأة تشبع على الرجل
بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئا منها وشبع الأنف بخلافها بما يلزمها ويحسن فعله
لوجه من الوجوه ومنه ومن يوق شبع نفسه فأولئك هم المفلحون عن ابن عباس قال هو ا
في الشيء يحرص عليه والشئ قبح الغل وحقيقته احرص على منع اخير وكان تحسنوا ايها الأزواج
الصحة والعشرة وتتقوا ما لا يجوز من النشوز والاعراض في حق المرأة فانها امانة عندكم
وقيل المعنى ان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور فإن الله كان بما تعملون
خبيراً فيجازيكم الله يا معشر الأزواج بما تستحقونه ولكن تستطيعون ان تعدلوا بين النساء خبر
سبحانه بنفي استطاعتهم للعدل بين النساء على الوجه الذي لا ميل فيه البتة لما جعلت عليه
الطباع البشرية من ميل النفس الى هذه دون هذه وزيادة هذه في المحبة ونقصان هذه
وذلك يحكم الخلق بحيث لا يملكون قلوبهم ولا يستطيعون توقيف انفسهم على التسوية بهذا
كان يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تملكني فيما تملك فلا املك
رواه ابن ابي شيبة واحمد وابوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن المنذر عن
عائشة واسناده صحيح قال ابن مسعود العدل بين النساء الجماع وقال الحسن الحب كذا الحاد
والجائسة والنظر اليهن والتمتع وكوثر ضم يعني على العدل والتسوية بينهما في الحب وميل القلب

فَلَا يَتَّبِعُوا كُلَّ الْمِيلِ إِلَى الَّتِي تَحْبُونَهَا فِي الْقِسْمِ وَالنَّفَقَةِ وَلَمَّا كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ وَلَوْ صَحَّ
 عَلَيْهِ وَبِالْعَوَافِيهِ نَحَاهُمْ عَنْ زَوْجٍ عَنْ أَنْ يَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ لِأَنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَتَجْنِبَ الْجَوْرَ كُلَّ الْجَوْرِ
 فِي وَسْعِهِمْ وَدَاخِلِ نَحْتِ طَائِفَتِهِمْ فَلَا يَجُورُ لِحَمٍّ أَنْ يَمِيلُوا عَنْ أَحَدِهِمْ إِلَى الْآخَرِ كُلَّ الْمِيلِ قَدْ رُفِئَ
 أَيُّ الْآخَرِ الْمَالِ عَنْهَا كَمَا لَمُعَلِّقَةٍ الَّتِي لَيْسَتْ ذَاتُ زَوْجٍ وَلَا مَطْلَقَةٍ تَشْبِيهَا بِالشَّيْءِ الَّذِي هُوَ مَعْلُوقٌ
 غَيْرُ مُسْتَقَرٍّ عَلَى شَيْءٍ لَا فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ أَيُّ لَا أَيْمًا وَلَا ذَاتُ زَوْجٍ وَتَرَأَى بَنَاتِهَا
 كَالْمَسْجُونَةِ لَا هِيَ مَخْلُصَةٌ فَتَزَوِّجُ وَلَا هِيَ ذَاتُ بَعْلٍ فَيَحْسِبُ الْيَمَانُ وَأَخْرَجَ ابْنَ أَبِي شَيْبَةَ وَاحِدًا
 عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَأَهْلُ السَّنَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ
 إِلَى أَحَدِهِمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاحِدٌ شَقِيحٌ سَاقِطٌ وَلَنْ تُصْلَحَ أَمَّا أَفْسَدُكُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَرَكْتُمْ مَلِكِي
 عَلَيْكُمْ فِيهَا مِنْ عَشْرَةِ النِّسَاءِ وَالْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ فِي الْقِسْمِ وَالْحَبِّ وَتَشَقُّوهُنَّ فِي الْقِسْمِ وَكُلَّ الْمِيلِ
 الَّذِي هَتَمْتُمْ عَنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا بِكُمْ لَا يَأْخُذُكُمْ بِمَا فُطِمْتُمْ مِنْهُ مِنَ الْمِيلِ إِلَى بَعْضِهِمْ
 دُونَ بَعْضٍ وَإِنْ يَتَفَرَّقُوا أَيُّ لَمْ يَتَصَحَّحَا بِلَ فَارَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بِالطَّلَاقِ يُعْنِ اللَّهُ
 كُلًّا مِنْهُمَا أَيُّ يَجْعَلُهُ مُسْتَغْنِيًا عَنْ الْآخَرِ بَانَ هِيَ لِلرَّجُلِ امْرَأَةٌ تَوَافَقَهُ وَتَقْرُبُهَا عَيْنُهُ وَالْمَرْأَةُ
 جَلَا تَغْتَبِطُ بِصِحْبَتِهِ وَيَرْزُقُهُمَا مِنْ سَعَتِهِ رِزْقًا يَغْنِيُهُمَا بِهِ عَنْ الْحَاجَةِ وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِكُلِّ
 وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ بَعْدَ الطَّلَاقِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا وَاسِعَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ وَقِيلَ الْقُدَّةُ
 وَالْعِلْمُ وَالرِّزْقُ صَادِرَةٌ أَعْمَالُهُ عَلَى حُجَّةِ الْأَحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَبِاللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 هَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لِنَقْرِيزِ كَمَالِ سَعَتِهِ سُبْحَانَهُ وَشَمُولِ قُدْرَتِهِ لِأَنْ مِنْ مَلِكِهِمَا لَا يَغْنِيهِ خِزَانَتُهُ
 وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَيُّ أَمْرَانَهُمْ فِيمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْإِلَامِ فِي الْكِتَابِ
 لِلْجَنَسِ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَاصْحَابِ الْكِتَابِ الْقَدِيمَةِ وَإِنَّا كَرِّمْنَا أَهْلَ الْقُرْآنِ فِي
 كِتَابِكُمْ إِنْ اتَّقَوْا اللَّهَ أَيُّ أَمْرَانَهُمْ وَأَمْرَانَهُم بِالْتَّقْوَى وَقَالَ الْأَخْفَشُ بَانَ اتَّقُوا اللَّهَ وَيَجُوزُ أَنْ
 تَكُونَ أَنْ مَغْسَرَةً لِأَنَّ التَّوَصِيَةَ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ وَهُوَ أَنْ تَوْحِدَ وَهَ وَتَطِيعَ وَتَحْذَرُ وَتَقَافَ
 وَلَا تَخْلَفُوا أَمْرَهُ الْمَعْنَى الْأَمْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرِيعَةً قَدِيمَةً أَوْصَى اللَّهُ بِهَا جَمِيعَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ فِي
 عَلَى السَّنَنِ رَسُلَهُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا أَيُّ وَقَدْ نَاهَيْتُمْ وَلَكِنْ تَكْفُرُوا وَتَجَاهِدُوا أَمَّا أَوْصَاكُمْ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلَقًا وَمَلِكًا وَعَبِيدًا فَلَا يَضُرُّ كُفْرَكُمْ وَفَائِدَةُ هَذَا التَّكْرِيرُ التَّكْيِيدُ

ليتنبه العباد على سعة ملكه وينظروا في ذلك ويعلموا انه غني عن خلقه وكان الله غنياً عن جميع خلقه حميداً مستحقاً اليهم قاله ابن عباس وعن علي مثله وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أي عبداً وملكاً قيل تكبرها تعديداً لما هو موجب تقواه لان التقوى والخشية اصل كل خير وقيل كلام مبتدأ سبق للخاطبين توطئة لما بعده من الشريعة خير داخل تحت القول المحكي وكفى بالله وكيلاً أي حفيظاً قاله قتادة وقال ابن عباس شهيداً صلى الله عليه وسلم له فيهم عبداً وقيل دافعاً لمجير ان يشأيد هيبكم أي يغنيكم أيها الناس ويستأصلكم بالوفاة قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين ويأتى أي يوجد دفعة مكانكم بالآخرين أي بقوم آخرين من البشر وخلقاً مكان الانس غيركم هم خير منكم وهو كقوله تعالى وان تقولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وكان الله على ذلك أي على ان يهلك من خلقه ما شاء ويأتي بالآخرين من بعدهم قد يراد لا يمنع عليه شيء اذ اده ولم يزل ولا يزال موصوفاً بالقدرة على جميع الاشياء من كان يريد ثواب الدنيا هو من يطلب بعمله شيئاً من الدنيا كالجاهد يطلب الغنية دون الاجر فعند الله أي فما باله يقتصر على ادنى الثوابين واحقر الآخرين وهلاً طلب بعمله ما عنده سبحانه وهو ثواب الدنيا والآخرة فيجزها جميعاً ويفوز بها ظاهر الآية العموم وقال ابن جرير الطبري انها خاصة بالمشركون والمنافقين وكان الله سميعاً أي يسمع ما يقولونه بصيراً أي يبصر ما يفعلونه وهذا يدل بمعنى التبيين يأتيها الذين آمنوا كونوا قوامين صيغة مبالغة أي ليتكرر منكم القيام بالقسط وهو العدل في شهادتكم أي مدينين القيام ومن عدل مرة او مرتين لا يكون في الحقيقة قواماً شهادته بالحق وقيل بالوجدانية جمع شهادته قياساً وشاهد على غير قياس وهو خبر بعد خبر لكان قال ابن عطية والحال فيه ضعيفة في المعنى لانها تخصيص القيام بالقسط الى معنى الشهادته فقط وليس اي لرضاه وثوابه والاول اولى ولو على انفسكم متعلق بشهادة هذا المعنى هو الظاهر من الآية وهو الاقرار بما عليكم من الحقوق أو الوالدان والاقربان أي من ذوي رحمه واقاربه فاما شهادته على والديه فبان يشهد عليهما بحق للغير وكذلك الشهادته على الاقربان وذكر الابوين لوجوب برهما وكونهما احب الخلق اليه ثم ذكر الاقربين لانهم مظنة المودة والتعصب

فأشهد وأعلم هؤلاء بما عليهم فلا يجني من الناس أحري أن يشهدوا عليه وقد قيل
 إن معنى الشهادة على النفس أن يشهد بحق على من خشي حقوق غيره منه على نفسه هو بعيد
 إن يكن المشهود عليه من الأقارب والأجانب غنياً فلا يرأى لأجل غناؤه استجلاً بل ينفعه
 واستدفاعاً لضره فيترك الشهادة عليه أو فقيراً فلا يرأى لفقره رحمة له واشفاقاً
 عليه فيترك الشهادة عليه وقرأ ابن مسعود أن يكن غني أو فقير على أن كان تامة وإنما
 قال قَالَ أَوَّلَى بِهِمَا ولم يقل به مع أن الخيار إنما يدل على الحصول لواحد لأن المعنى فاهما وفي
 بكل واحد منهما وقيل رد الضمير إلى المعنى دون اللفظ ومثال الاخفش يكون أو بمعنى الواو
 أنه يجوز ذلك مع تقدم ذكرهما كما في قوله تعالى له أخ أو اخت فكل واحد منهما السدس
 وقد تقدم في مثل هذا ما هو أبسط مما هنا وقرأ أبي فله أولى بهم فلا تتبعوا الهوى في الشهادة
 أن تعدلوا أما من العدل كانه قال فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس واختاره
 الزمخشري ومن العدل واختاره القاضي كانه قال فلا تتبعوا الهوى مخافة أن تعدلوا بين الحق وأكره أن تعدلوا
 أي لا تعدلوا وهو صلة للنفية والمنع عنه فلا تقدر لا وهو ولي لقلة التكلف وإن تلووا من
 التي يقال لويت فلا نأحقه إذا دفعت عنه والمراد في الشهادة ميلاً إلى المشهود عليه و
 قر الكوفيون وإن تلووا من الولاية أي أن تلووا الشهادة وتتركوا ما يجب عليكم من تاديتها على
 وجه الحق وقد قيل إن هذه القراءة تفيد معنيين الولاية والأعراض والقراءة الأولى
 تفيد معنى واحد وهو الأعراض وزعم بعض النحويين أن القراءة الثانية غلط وكأنه
 لا معنى للولاية هنا قال النحاس وغيره وليس يلزم هذا ولكن يكون تلووا بمعنى تلووا والمعنى
 ما قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها أو تعرضوا عن تأدية
 الشهادة من الأصل وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة وقيل هو خطاب مع
 الحكام أن يميلوا مع أحد الخصمين أو يعرضوا عنه بالكلية وَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا نَعْمَلُونَ من
 إلى والأعراض أو من كل عمل خيراً وفي هذا وعيد شديد للربيات بالشهادة كما يجب عليه
 وقد روي أن هذه الآية تنعم القاضي والشهود أما الشهود فظاهر وأما القاضي فذلك
 بأن يعرض عن أحد الخصمين أو يلوي عن الكلام معه وقيل هي خاصة باليهود قال ابن عباس

امر الله المؤمنين ان يقولوا باحق ولو على انفسهم وابائهم وابنائهم لا يهابون غنيا لغناهم
 ولا يرحمون مسكينا لمسكنته وقال الرجلان يجلسان عند القاضي فيكون لي القاضي و
 اعراضه لاحد الرجلين على الاخر يا ايها الذين امنوا اخطاب لكافة المسلمين وذكر ذلك
 عقب الامر بالعدل لانه لا يكون العدل الا بعد الاتصاف بالايمان فهو من ذكر السب بعد
 المسبب امنوا يا الله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزلنا
 من قبل اي اثبتوا على ايمانكم وداوموا عليه على حد علم ان لا اله الا الله وبها
 النبي اتق الله والكتاب هو القرآن واللام للعهد والكتاب الثاني هو كل كتاب واللام للمفسر
 وقيل ان الآية نزلت في المنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا في الظاهر اخلصوا الله وقيل
 نزلت في المشركين والمعنى يا ايها الذين امنوا باللات والعزى امنوا بالله وهما ضعيفان
 ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشي من ذلك كما جرى عليه القاضي
 كالكتاب وذكر الرسول فيما سبق لذكر الكتاب الذي انزل عليه وذكر الرسل هناك لذكر الكتاب
 جملة فناسبه ذكر الرسل جملة وجمع ايضا لما ان الكفر بكتاب او رسول كفر بالكل قاله الكوفي
 وتقديم الملكة على الرسل لانهم الوسائط بين الله وبين رسله قال الضحاك يعني بذلك
 اهل الكتاب كان الله قد اخذ ميثاقهم في التوراة والانجيل واقرواعلى انفسهم ان يؤمنوا
 بحمد صلعم فلما بعث الله رسوله داعاهم الى ان يؤمنوا بحمد القرآن وذكرهم الذي اخذ
 عليهم من الميثاق فمنهم من صدق النبي صلعم واتبعه ومنهم من كفر فقد ضل عن القصد
 لان الكفر ببعضه كفر بأكمله ضللا بعيدا عن الحق بحيث يعسر العود منه الى سواء الطريق
 وقول القاضي بحيث لا يعود الى طريقه لا يصح الا اذا كانت الآية في جمع مخصوص علم الله
 انهم يموتون على الكفر ولا يتوبون عنه والظاهر انه لا يحتاج الى هذه المقالة بل المراد ما اشترنا
 اليه لما انه بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اطلاقا ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم
 كفروا ثم اردوا وكفروا اخبر الله سبحانه عن هذه الطائفة التي امن ثم كفرت ثم امن
 ثم كفرت اذ دلت كفر بعد ذلك كالمؤمنين بالله سبحانه ليغفر لهم ذنوبهم ما اقاموا عليه ولا يهدى لهم
 سبيلا لطريقا يتوصلون به الى الحق ويسلكونه الى الخير لانه يبعد منهم كل البعد ان يخلصوا

ويؤمنوا بما جاء صحيحا لان قلوبهم قد تعودت الكفر وتقرنت على الردة وكان الايمان عندهم
 اهنون شيئا وادونه لانهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وفي هذا الشارة الى
 ان الكفر بعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة كما قاله الاصفهاني وغيره وهذا الاضطراب
 منهم تارة يدعون انهم مؤمنون وتارة يترقبون من الايمان ويرجعون الى ما هوداهم و
 شانهم من الكفر المستمر والحجج الدائمة يدل البغ على انهم متلاعبون بالدين ليست
 لهم نية صحيحة ولا قصد خالص قيل المراد باليهود فانهم امنوا بموسى والتوراة ثم كفروا
 بعزير وعبادتهم العجل ثم امنوا بعزير ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا وكفرا بكفرهم فحج
 صلهم والقران والمراد بازدياد الكفر انهم استمروا على ذلك كما هو الظاهر من حالهم ولا فاك
 اذا امن واخلصا يمانه واقلع عن الكفر فقد هداه الله السبيل الموجب للمغفرة والاسلام يجب
 ما قبله ولكن لما كان هذا مستبعدا منهم جدا كان غفران ذنوبهم وهذا ايتهم الى سبيل
 الحق مستبعدا وعن قتادة قال هم اليهود والنصارى امنوا بالتوراة ثم كفرت و
 امنوا بالنصارى بالانجيل ثم كفرت ثم ازدادوا وكفرا بمحمد صلهم وعن ابن زيد قال هو الذي
 امنوا مرتين ثم كفروا مرتين ثم ازدادوا وكفرا بعد ذلك بمقامهم على الكفر وذلك لان من تكررت
 الايمان والكفر بعد الايمان مرات كثيرة دل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان
 كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايماننا كما لا يصححوا وازدادوا هم الكفر هو استهزاءهم وتلاعبهم بالايمان
 قال علي لا تقبل توبته اي توبة مثل هذا المتلاعب وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة
 وظاهر القران مع علي بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا موما هو عذاب النار اطلاقا بِشْنَاءِ
 على ما هو شر خالص لهم تكلم بهم وقد مر تحقيقه وقيل البشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه
 سارا كان ذلك الخبر او غير سار والاول اولى وقيل المعنى اجعل موضع بشارتك لهم العذاب
 لان العرب تقول تحببك الغضب اي هذا بدل من تحببك الذين يتخذون الكافرين اولياء
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وصف للمنافقين او منصوب على الذم اي يجعلون الكفار اولياء لهم
 يوالونهم على كفرهم ويمالونهم على ضلالهم متجاوزين ولاية المؤمنين لما يتوهمون فيهم من القوة
 والقول ان ملك محمد سيد ذل اَيُّبْنُغُونْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ هذا لاستفهام للترقيع والتوبيخ والجلل

معترضة اي لا يجوزوها عندهم فان العزة لله جميعا هذه الجملة تعليل لما تقدم من توجيههم
 باتباع العزة عند الكافرين وجميع انواع العزة وافرادها من الله سبحانه في الدنيا والاخرة
 ولا ينالها الا اولياءه الذين كتب لهم العزة وما كان منها مع غيره فهو من فيضه وتفضله
 كما في قوله وهذه العزة ورسوله وللمؤمنين وهذا يقتضي بطلان النعز بغير سبحانه وسبحانه
 الانتفاع به وعزة الكفار ليس معتد بها بالنسبة الى عزة المؤمنين لانه لا يعز الا من اعز الله
 والعزة الغلبة يقال عزه عزه عز اذا غلبه وقد نزل عليك في الكتاب الخطا بجميع من اظهر
 الايمان من مؤمن ومناق لان اظهر الايمان فقد لزمه ان يمثل ما اتزل الله وقيل ان خطا
 للمنافقين فقط كما يفيد التشديد والتوبيخ والكتاب هو القرآن والذي اتزل الله عليه في الكتاب
 هو قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
 وهذا نزل بمكة لانه قد كان جماعة من الداخلين في الاسلام يقعدون مع المشركين و
 اليهود حال سخرتهم بالقران واستهزاءهم به فهو اعن ذلك ثم ان احبار اليهود بالمدينة
 كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء
 بالقران فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها
 وليستخف بها اي اذا سمعتم الكفر والاستهزاء بايات الله فاقع السماع على الايات والراد
 سماع الكفر والاستهزاء فلا تقعدوا معهم ما داموا كذلك حتى غاية النبي يخوضوا في حديث
 غيره اي حديث الكفر والاستهزاء وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها الذي هو المعتبر
 دون خصوص السبب دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه اهله بما يفيد النقص
 والاستهزاء للادلة الشرعية كما يقع كثيرا من اسراء التقليد الذين استبدلوا اراء الرجال بالكتاب
 والسنة ولم يبق في ايديهم سوى قال امام مذهبنا كذا او قال فلان من اتباعه بكذا واذا
 سمعوا من يستدل على تلك المسئلة بآية قرآنية او حديث نبوي سخر وامنه ولم يرفعوا الى
 ما قاله راسا ولا بالوابه بالة وظنوا انه قد جاء بما رقتيع وخطب شنيع وخالف مذهب امامهم
 الذي نزلوه منزلة معلم الشرائع بل بالغوا في ذلك حتى جعلوا رايه القاتل واجتهاده الذي هو
 عن فهم الحق مائل مقدما على الله وحله كتابه وعلى رسوله فان الله وانا اليه راجعون ما صنعت

هذه المذاهب بأهلها ولائمة الذين انتسب هؤلاء المقلدة اليهم براء من فعلهم فانهم قد حرموا
 في مؤلفاتهم بالشيء عن تقليد هم كما اوضح الشوكاني ذلك في القول المفيد واجب الطلب اليهم
 انفعنا بما علمتنا واجعلنا من المتقيدين بالكتاب والسنة وباعد بيننا وبين اراء الرجال البينة
 على شفا جرت هار يا عجيب السائلين قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين
 وكل مبتدع الى يوم القيام **اَتَكْفُرُ اِذَا امْتَلَأْتُمْ** مستأنفة سيقت لتعليل النجاشي انكم ان فعلتم ذلك
 وقد تم معهم ولم تنتهوا فانتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب قيل وهذه المماثلة ليست
 في جميع الصفات ولكنه الزام شبه بحكم الظاهر كما في قول القائل وكل قرين بالمقارن يقتل
 وهذه الآية محكمة عند جميع اهل العلم الا ما يروى عن الحلبي فانه قال هي منسوخة بقوله تعالى
 وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وهو مردود فان من التقوى اجتناب ما نهى الله
 هو لا الذين يكفرون بآيات الله وليست هنوزن بها قال اهل العلم هذا يدل على ان من رضي
 بالكفر فهو كما فرو من رضي منكرا وخالط اهلها كان في الاثم بمنزلة من اذ رضي به وان لم يباشره
 فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على التقية والخوف لا امر
 فيه اهون من المجالسة مع الرضاء وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في عمله
 او منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز مجال والاول اولى ان الله جامع للمنافقين
 والكافرين هذا لتعليل لكونهم مثلهم في الكفر قيل وهم القاعدون والمفعود اليهم عند من
 جعل الخطاب موجها الى المنافقين وعن سعيد بن جبير قال ان الله جامع للمنافقين
 من اهل المدينة والمشركين من اهل مكة الذين خاضوا واستهزؤا بالقران في جهنم جميعا
 كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء **الَّذِينَ يَكْرَهُونَ** يكرون اي ينتظرون بكر ما يجد
 ويحدث لكم من خيرا وشرا يقال تربصت الامر تربصا انتظرتة والريصة وزان غرة منهم
 وتربصت الامر بفلان انتظرت وقوة به الخطاب في كبر المؤمنين والموصول صفة للمنافقين
 او يدل منهم فقط دون الكافرين لان التربص المذكور هو من المنافقين دون الكافرين عليه
 جرى القاضي كالكشف ويجوز ان يكون على الذم فان كان ككفر هذه الجملة والتي بعدها
 حكاية لترجمهم اي ان حصل لكم فتم من الله بالنصر على من يخالفكم من الكفار وبالشفقة على من

وخصيصة تناولون منهم قائلوا لكم انكم كنتم معكم في الانتصاف بظواهر الاسلام والتزام احكامه و
المظاهرة والتسويد وتكثير العدد وان كان للكافرين نصيب من الغلبة والظفر بكم قائلوا
للكافرين انكم استحقوا عليكم اي الم تقهركم وتغلبكم وتمكن منكم ولكن ابقينا عليكم وقيل المعنى
انهم قائلوا للكفار الذين ظفروا بالمسلمين الم يستحق عليكم حتى هابكم المسلمون وخذلناهم عنكم
والاول اولى فان معنى الاستحقاق الغلب يقال استحقى على كذا اي غلب عليه ومنه قوله
تعالى استحق عليهم الشيطان ولا يصح ان يقال الم تغلبكم حتى هابكم المسلمون ولكن المعنى الم
تغلبكم يا معشر الكافرين وتمكن منكم فتركناكم وابقينا عليكم حتى حصل لكم هذا الظفر
بالمسلمين وسمي ظفر المسلمين فخا وظفر الكافرين نصيبا تعظيما لشان المسلمين وتقديرا لخط
الكافرين لتضمن الاول نصرة دين الله واعلاء كلمته ولهذا اضاف الفتح اليه تعالى فخط الكافرون
في ظفرهم دنوي سريع الزوال قاله الكرخي وَمَنْعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَدِّ يَلَهُمْ وَتَبْطِئُهُمْ عَنْكُمْ
حتى ضعفت قلوبهم عن الدفع لكم وعجزوا عن الانتصاف منكم والمراد انهم يميلون الى من له
الغلب والظفر من الطائفتين ويظهرون لهم انهم كانوا معهم على الطائفة المغلوية وهذا شأن
المنافقين ابعد هم الله وشأن من حداذ وهم من اهل الاسلام من تظهر لكل طائفة بانها
معها على الاخرى والميل الى من معها لخط من الدنيا في مال او جاه فيلقاه بالقلق والتودد
والخضوع والذلة ويلقى من لاحظه من الدنيا بالشدّة والغلظة وسوء اخلاق ويزدري به ويكافئ
بكل مكروه ففج الله اخلاق اهل النفاق وابعدها فالفهم بينكم وبينهم يوم القيمة بما
انطوت عليه ضمائرهم من النفاق والبغض للحق واهله ففي هذا اليوم تكشف الحقائق وتظهر
الضمائر وان حقنوا في الدنيا دماءهم وحفظوا اموالهم بالتكلم بكلمة الاسلام نفاقا وقيل يحكم
بان يدخلهم الجنة ويدخلهم النار وَكُنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا هذا في يوم
القيامة اذا كان المراد بالسبيل النص والغلب وفي الدنيا ان كان المراد به الحجة يعينان حجة
المؤمنين خالصة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يعلمهم بالحجة قال ابن عطية قال جميع هذا
ان المراد بذلك يوم القيمة وبه قال علي بن عباس قال ابن العربي وهذا ضعيف لعدم فائدة
الخبر فيه وسببه قومه من قومه ان اخر الكلام يرجع الى اوله يعني قوله فالفهم بينكم وبينهم يوم القيمة

وذلك يسقط فائدته اذ يكون تكرار هذا معنى كلامه وقيل المعنى ان الله لا يجعل للكافرين
سيلا على المؤمنين يحويه دولتهم بالكلية ويذهب آثارهم ويستريح بيهضهم ولو اجتمع عليهم
من باق طارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبب بعضهم بعضا وقيل انه سبحانه لا يجعل
للكافرين سيلا على المؤمنين ما داموا عاملين بالحق غير راضين بالباطل ولا تاركين للنجس
عن المنكر كما قال تعالى ما اصابكم من مصيبة فمأكسبت ايديكم قال ابن العربي وهذا تقدير
جدا وقيل ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سيلا شرعا فان وجد فخلاص الشرع فان
شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيمة هذا خلاصة ما قاله اهل العلم في هذه الآية وهي
صاحبة الاجتهاد بها على كثير من المسائل منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا
استولى على مال المسلم لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها
ان المسلم لا يقتل بالذي الى غير ذلك من الاحكام ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
هذا كلام مبتدئ يتضمن بيان بعض قبائح المنافقين وفضائحهم وقد تقدم معنى اخذ
في البقرة وخادعهم الله هي انهم يفعلون فعل الخادع من اظهار الايمان واطمان الكفر
ليدفعوا عنهم احكام الدينوية ومعنى كون الله خادعهم انه صنع بهم صنع من يخادع من
خادعه وذلك بانه تركهم على ما هم عليه من التظاهر بالاسلام في الدنيا فعصم به اموالهم
ودماءهم واخر عقوبتهم الى الدار الآخرة فجازاهم على خداعهم بالذل الاسفل من النار
في الكشاف والخادع اسم فاعل من خادعته فخرعته اذا غلبته وكنت اخذع منه وقال الجوزي
في قوله يخادعون الله يلقي على كل مؤمن ومنافق نوب يشنون به يوم القيمة حتى اذا اتوا
الى الصراط طغى نوابغ المنافقين ومضى المؤمنون بنورهم فتلك خديعة الله اياهم وعن السدوسي
وجاهد وسعيد بن جابر نحوه ولا ادري من اين جاء لهم هذا التفسير فان مثله لا ينقل
الا عن النبي صلى الله عليه وآله واذا قاموا الى الصلوة مع منير قاموا كساجد كسلان والمراد انهم يصلون
وهم متكاسلون متثاقلون لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا وقرئ كسل والكسل الغفور والتواني
واكسل اذا جامع ولم ينزل وفتر يؤمن الناس اي لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء السمعة
لا لاجل الدين قال قتادة والله لو لا الناس ما حصل منافع والرياء اظهارا بحيل ليراه الناس لا لشيء

امراه وقد تقدم بيانه والمرأة المفاعة قاله الزحشمي والحكمة حال وقيل استيناف وقيل
بدل وفيه نظر ولا يذكرون الله الا ذكرا قليلا او يصلون الصلوة قليلة ووصف
الذكر بالقلة لعدم الاخلاص او لكونه غير مقبول او لكونه قليلا في نفسه لان الذي
يفعل الطاعة لقصد الرياء انما يفعلها في الجامع ولا يفعلها خاليا كالمخلص قال ابن عباس
انما قل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثير اعن
ابن جرير في الآية قال نزلت في عبد الله بن ابي عامر بن النعمان وقد ورد في الأحاديث
الصحيحة وصف صلوة المنافق وانه يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قري شيطان قام فنقرها
اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا مَذَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ذلك اي بين الايمان والكفر المعلومين
من المقام والمذنب بمرتد دين اميرين والمذنب بة الاضطراب يقال ذنبه فذنبه
قال ابن جني المذنب بالقلق الذي لا يثبت على حال فهو لاء المنافقون مترددون
بين المؤمنين والمشركين لا مخلصين الايمان ولا مصرحين بالكفر قال في الكشف وحقيقة الذنب
الذي يذنب عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى اي يذاو ويدفع فلا يقر في جانب واحد لان
الذنب بة فيها تكرير ليس في الذنب كان المعنى كلما مال الى جانب ذنب عنه انتهى وانتصاب
مذنبين اما على حال وعلى الذم لا الى هو لاء وكذا هو لاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا
الى الكافرين قال مجاهد هم المنافقون لا الى هو لاء اي اصحاب محمد صلعم ولا الى هو لاء اي
اليهود وثبت في الصحيح عن النبي صلعم ان مثل المنافق مثل المشاة العائرة بين الغنمين تعير الى
هذه مرة والى هذه مرة فلا تدري ايها تتبع ومن يضل الله اي يخذله ويسلبه التوفيق
فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا اي طريقا توصله الى الحق يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خطاب للمؤمنين المختص
لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ اي لا تجعلوهم خاصة لكم وبطانة توالوهم
من دون اخوانكم من المؤمنين كما فعل المنافقون من موالاتهم للكافرين أَتُرِيدُونَ استفهام
للتقريع والتوبيخ وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون للباطل في
انكاره وتحويل امره ببيان انه لا ينبغي ان يصدر عن العاقل ارادة فضلا عن صدور نفسه
أَنْ تَفْعَلُوا الله عليكم سُلْطَانًا مُبِينًا اي حجة بينة بعدكم بسبب انكاركم لما نهاكم عنه من موالاتهم

الكافرين قال قتادة ان الله السلطان على خلقه ولكنه يقول عذرا مبينا وعن ابن عباس قال
 كل سلطان في القرآن فهو حجة واسم سبحانه والسلطان يذكر ويؤتى فتذكيره باعتبار الجبر
 وتأييده باعتبار الحجة الا ان التائيت اكثر عند الفصحاء وقال الفراء التذكير اشتهر وهي لغة
 القرآن ان المناقذين في الدرك الاسفل من النار اي في الطبقة الذي في قعر جهنم قرئ
 الدرك بسكون الراء ونحو يكها قال ابو علي هما لغتان والجمع ادراك وقيل جمع الحرك ادراك مثل
 جمل وأجمل وجمع الساكن ادراك مثل فلس وافلس قال النحاس والتحريك فصيح والدرك الطبقة
 والنار دركات سبع بعضها فوق بعض وسميت طبقاتها دركات لانها متدركة متتابعة
 فلما فوق في الدرك الاسفل منها وهي الهاوية لغلط كفرة وكثرة غوائله واعلى الدركات جهنم
 ثم نظمت الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الحميم ثم الهاوية وقد يسمى جميعها باسم الطبقة العليا احاطا
 به من عذابها وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتمل انما
 كان المناقش اشد عذابا من الكافر لانه امن السيف في الدنيا فاستحق الدرك الاسفل في الآخرة
 تعدى لانه مثله في الكفر وضم الى كفرة الاستهزاء باسلام واهله قال ابن مسعود الدرك
 الاسفل توايت من حديد مقفلة عليهم وفي لفظ مبهم عليهم اي مغلقة لا يهتدى اليها
 فتحها وعن ابي هريرة نحوه ولكن يجعل لهم نصيرا ليخلصهم من ذلك الدرك والخطاب لكل من يصلح
 عليه وسلم الا الذين تابوا من النفاق واصلحوا فاندوا من احوالهم واعمالهم اغتصموا بالله
 اي تمسكوا بعهدك وثقوا به والاعتصام به التمسك به والوثوق بوعده واخلصوا دينهم لله
 اي جعلوه خالصا له غير مشوب بطاعة غيره فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل
 الايمان وذلك قوله فاولئك الذين اتصفوا بالصفات السابقة الاربعة والاشارة بما فيه من
 معنى البعد للايدان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين فيما يؤتونه قال الفراء اي المؤمنين
 يعني الذين لم يصدر منهم نفاق اصلا قال القتيبي حاد عن كلامهم غضبا عليهم فقال اولئك مع
 المؤمنين ولم يقل هم المؤمنين اتهم والظاهر ان معنى مع معتبر هنا اي فاولئك مصاحبون للمؤمنين
 في احكام الدنيا والآخرة ثم بين ما اعد الله للمؤمنين الذين هم هؤلاء معهم فقال وسوف يؤت
 الله المؤمنين اجمعا عظيم في الآخرة وحذفت الياء من يؤتي في الخط كما حذفت في اللفظ لسكونها

وسكون اللام بعدها ومثله يوم يدع الداع وسندع الزانية ويوم ينادي المتأد ونحوها فان الحد
في الجميع لا يتقاء الساكنين فجاء الرسم تابعا للفظ والقراء يقفون عليه دون ياء اتباعا للخط
الكرام لا يعقوب والكسائي وحسنه فانهم يقفون بالياء نظر الى الاصل ما يفعل الله بعد ابراهيم
هذه الجملة متضمنة لبيان انه لا غرض له سبحانه في التعذيب الا بجر الجأزة للعصاة ولا يستفاد
للتقوى المعنى في منفعته في عذابكم ان شكرتم وامنتم فان ذلك لا يزيد في ملكه كما ان ترك
عذابكم لا ينقص من سلطانه وكان الله شاكرا عليما اي يشكر عباده على طاعته فيثيبهم
عليها ويتقبلها منهم والشكر في اللغة الظهور يقال اشكروا ظاهر منيها فوق ما تعطى من العلف

لا يحجب الله

نفى احب كناية عن البغض اي يبغض الجحيم بالسوء من القول الا من ظلم قري على البناء
للجحيم وعلى البناء للمعلوم واختلف اهل العلم في كيفية الجهر بالسوء القبيح بل ظلم
ف قيل هو ان يدعوا على من ظلمه وقيل لا بأس بان يجهر بالسوء من القول على من ظلمه بان يقول
فلان ظلمي او هو ظالم او نحو ذلك وقيل معناه الا من اكره على ان يجهر بسوء من القول من كفر
او نحو فهو مباح له والاية على هذا في الاكراه وكذا قال قطرب الظاهر من الآية انه يجوز
لمن ظلم ان يتكلم بالكلام الذي هو من السوء في جانب من ظلمه ويؤيده الحديث الثابت في
الصحيح لفظي الواجد ظلم رجل عرضه وعقوبته واما على القراءة الثانية فاستشهد منقطع اي لا
من ظلم في فعل او قول فاجهر به بالسوء من القول في معنى النهي عن فعله والتوبيخ له
وقال قوم معنى الكلام لا يحجب الله ان يجهر احد بالسوء من القول لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء
ظلمه وعدوانا وهو ظالم في ذلك وهذا شان كثير من الظلمة فانهم مع ظلمهم يستطيعون بان
على من ظلموه ويتألمون من عرضه وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى الا من ظلم فقال سوء
فانه ينبغي ان ياخذوا على يديه وعن ابن عباس قال لا يحجب الله ان يدعوا احد على احد الا ان
يكون مظلوما فانه رخص له ان يدعوا على من ظلمه وان يصبر فهو خير له وقد اخرج
ابن ابي شيبة والترمذي عن عائشة ان رسول الله قال من دعى على من ظلمه فقد انتصر
وقد اخرج ابو داود من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمتسائل ما قال لا فعله الباء

منهما ما لم يعتد المظلوم قال الحسن هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني
 عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت في
 الضعفاء انزل بقوم فلم يعرفوه فله ان يشكو ما صنع به وبه قال مجاهد والاول اولى وقال
 مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي حاضر فسكت عنه ابو بكر
 مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شقني فلم تقل له شيئا حتى اذا حذرت
 عليه قتلت قال ان ملكا كان يحجب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان
 ففتن هذه الآية وكان الله سميعا عليمًا هذا تحذير للظالم بان الله يسمع ما يصدر منه
 ويعلم به ثم بعد ان اباح للمظلوم ان يجهر بالسوء ندب الى ما هو الاولى والا فضل فقال المرن
 تبدوا خيرا او تحفوا يدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضرر والعصا
 سوء تصابون به فان الله كان عفوًا عن عباده قد يراد على الانتقام منهم بما كسبت ايديهم
 فاقتدوا به سبحانه فانه يعفو مع القدرة وهو حث للمظلوم على تهديد العفو بعد ما خسر
 له في الانتصار على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله لما فرغ سبحانه من ذكر
 المشركين والمنافقين ذكر الكفار من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى لانهم كفروا
 بمحمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كالكفر بجميع الرسل والكتب المنزلة والكفر بذلك كفر بالله وينبغي حل
 هذه الآية على انه استلزم ذلك كفرهم ببعض الكتب الرسل لانهم كفروا بالله ورسله جميعا
 فان اهل الكتاب لم يكفروا بالله ولا بجميع رسله لكنهم لما كفروا باللبعض كان ذلك كفرا
 بالله وبجميع الرسل ويؤيدون ان يؤيدوا بين الله ورسله يعني انهم كفروا بالرسول بسبب
 بعضهم وامنوا بالله فكان ذلك تفرقا بين الله وبين رسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
 ببعض وهم اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد وكذلك النصارى امنوا بعيسى وكفروا
 بمحمد ويؤيدون ان يؤيدوا بين ذلك اي الايمان والكفر سبيل اي دينا متوسطا بينهما قال
 قتادة اولئك اعداء الله اليهود والنصارى امنوا بالانجيل وبموسى وكفروا بالانجيل
 وعيسى وامنوا بالنصارى بالانجيل وعيسى وكفروا بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم واليهود والنصارى
 وهما بدعتان ليستا من الله وتركوا الاسلام وهودين الله الذي بعث به رسله وعن السنة

وابن جريج رضي الله عنه أولئك هم الكافرون أي الكاملون في الكفر حقاً مصداقاً لمؤكل بضوئ الجمل
 أي حق ذلك حقاً أو بمعنى كفر حقاً وقال أبو البقاء كافر من غير شك وقد طعن الواحد
 في هذا التوجيه فقال الكفر لا يكون حقاً بوجه من الوجوه والنجابة أن الحق هنا ليس يراد به
 ما يقابل الباطل بل المراد أنه كائن لا محالة وإن كفرهم مقطوع به واعتدنا للكافرين عدداً
 مهيناً يكون فيه في الآخرة وهو عذاب النار وإنما أظهر في مقام الاختصار ذمهم وتذكير الوصفهم
 والمراد جميع الكافرين والذين آمنوا بالله ورسوله كالهم ولم يفرقوا بين أحد منهم أي من
 الرسل بل آمنوا بجميعهم ولم يقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ودخول بين أحد كونه عاماً
 في المفرد مذكراً ومؤنثاً ومثناً وجمعاً وقد تقدم تحقيقاً وأنتك يعني من هذه صفتهم
 سوف يؤتوا أجورهم يعني جزاء إيمانهم بالله وجميع كتبه ورسوله وثواب أعمالهم وكذا
 الله غفوراً رحيماً يستتر السيدات ويقبل الحسنات ولاية تدل على بطلان قول المعتزلة
 في تخليد مرتكب الكبيرة من آمن بالله ورسوله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم
 كتباً من السماء هم اليهود سألوهم صلواتهم ان يرقى إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتباً
 مكتوباً فيما يدعيه يدل على صدقه دفعة واحدة كما أن موسى بالتوراة تغتصم
 بعد هم الله فقد سألوهم موسى سوا أكبر من ذلك السؤال فقالوا إنا لله جهرت أي
 عياناً وقد تقدم معناها في البقرة والجمرة نعت لمصدر محذوف أي روية جهرت
 فآخذتهم الصاعقة هي النار التي نزلت عليهم من السماء فهاككتهم بظلمهم في سؤالهم الباطل
 لا متناع الروية عياناً في هذه الحالة وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيمة فقد جاءت
 بذلك الأحاديث المتواترة ومن استدلل بهذه الآية على امتناع الروية يوم القيمة فقد غلط
 غلطاً بيناً ثم لم يكتفوا بهذا السؤال الباطل الذي نشأ منهم بسبب ظلمهم بعد ما رأوا المعجزات
 بل ضمو إليه ما هو أفتح منه وهو عبادة الجمل كما قال تعالى ثم للترتيب في الأخبار اتخذوا
 الجمل الهاوهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هارون حين خرج إلى ميقات ربه وفي الكلام
 أي فاجتمعوا فآخذوا الجمل من بعد ما جاءتهم البينات البراهين والدلائل والمعجزات
 الواضحات من اليد والعصر وخلق البحر وغيرها فعفونا عن ذلك أي عما كان منهم من التبعث

وعبادة العجل وفيه استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل إن أولئك الذين أجروا قذارتكم فاعفوا
عنهم فتوبوا انتم حتى نغفوعنكم وأتينا موسى سلطاناً مبيناً أي حجة بينة وهي الآيات التي
جاء بها وسميت سلطاناً لأن من جاء بها قهر خصمه ومن ذلك أمر الله سبحانه له بأن يأمرهم
بقتل أنفسهم توبة عن معصيتهم فإنه من حجة السلطان الذي قهرهم به والسلطنة القهر
ورفعنا فوقهم الطور أي الجبل المشهور وهو يظلمهم ميتاً ثم الباء للسببية أي بسبب ميتاتهم
ليعطوه لأنه روي أنهم امتنعوا من قبول شريعة موسى فرفع الله عليهم الطور فقبلوها وقيل إن
المعنى بسبب نقضهم ميتاً ثم الذي أخذ عليهم وهو العمل بما في التوراة وقد تقدم رفع الجبل في
البقرة وكذلك تفسير قوله وَقُلْنَا لَهُمْ مِثْلَ مَا لَقَّيْنَاهُم بِالْقُرْآنِ فَنَجَحُوا
وَدَخَلُوا فِي الْوَعْدِ أي استأثروا على أنفسهم وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا أي لا تعتدوا فنفو من الاعتداء بليل
اجماع السبعة على اعتدوا منكم في السبت فتأخذوا ما أمرتم بتركه فيه من الحيات وقد
تقام تفسير ذلك وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا هو العهد الذي أخذ الله عليهم في التوراة
وقيل إنه عهد مؤكد باليمين فمعي غليظاً لذلك فِيمَا نَقَضْتُمْ مِّيثَاقَهُمْ التقدير فنقضهم
ميتاً ثم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم فعلننا وما مزينة للتوكيد والباء للسببية وقال الكسائي
المعنى فأخذتهم الصاعقة بسبب نقضهم ميتاً ثم وما بعده وانكر ذلك ابن جرير الطبري
وخيره لأن الذين أخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الأنبياء ورموا
مهم بالبهتان كانوا بعد موسى زمان فلم تأخذ الصاعقة الذين أخذتهم برميهم بالبهتان قال
المهدوي وغيره وهذا لا يلزم لأنه يجوز أن يخبر عنهم والمراد آباءهم وقال الزجاج المعنى
فبنقضهم ميتاً ثم حرمانا عليهم طيبات أحلت لهم لأن هذه القصة مستلزمة إلى قوله فظلم من
الذين هادوا وحرمانا ونقضهم الميثاق أنه أخذ عليهم أن يمينوا بصفة النبي صلماً وقيل المعنى
فبنقضهم ميتاً ثم وفعلناهم كذا طبع الله على قلوبهم وقيل المعنى فبنقضهم لا يؤمنون إلا قليلاً
وَكُفِّرْهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ أي كثرها التي حرقها ونجسها بهم بآياته الدالة على صدق أنبيائه وقيل لهم
الأنبياء يعني بعد قيام الحجج والدلالة على صحة نبوتهم والمراد بالأنبياء يعني ذكريا وإسحاق
بغير استحقاق لذلك القتل وقولهم قُلُوبُنَا حُلِفَ جمع أخلف وهو المنطوق بالخلاف أي قلوبنا

في اغطية فلا نفقه ما تقول وقيل ان خلف جمع خلاف والمعنى ان قلوبهم اوعية للعلم فلا
 حاجة لهم الى علم غير ما قد حوته قلوبهم وهو كقولهم قلوبنا في الكفة وعرضهم بهذا رد حجة الرسل
 بل طبع الله عليهم بكفرهم هذا ضرب عن الكلام الاول اي ليس عدم قبولهم للحق بسبب
 كونها خلفا بحسب مقصد هم الذي يريدونه بل بحسب الطبع من الله عليها والطبع الختم قد
 تقدم ايضا معناه في البقرة وهي مطبوع من الله عليها بسبب كفرهم فلا تنفي وعظاي احد
 عليها بصورة مانعة عن وصول الحق اليها وقيل الباء للالة فلا يؤمنون الا ايماننا اوز ما نأقيد
 او الا قليلا منهم كعبدا لله بن سلام ومن اسلم منهم معه وجى عليه البيضاوي وغيره
 وكفرهم هذا التكرير لا فائدة انهم كفروا كفرا بعد كفر وقيل ان المراد بهذا الكفر كفرهم بالمسيح
 فخذن لالة ما بعدا عليه وذلك انهم كروا قدرة الله على خلق الولد من غير اب المنكر
 لها كافر وهو معطوف على فيما نقضهم او على بكفرهم الذي بعد طبع وقد اوضح الزمخشري
 ذلك غاية الايضاح واعتراض واجاب احسن جواب وقولهم على مرتهم ههنا هو لكن المفرد
 الذي يتجسس منه وهو ههنا ميمها يتوغل في النجار وكان من اصحابه وقال ابن عباس رموا بابا لانا وانا
 سماه عظيم لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك وقولهم
 انا قتلنا المسيح عليه بن مريم هو من جملة جنائياتهم وذنوبهم لانهم كذبوا بانهم قتلوه وانفخروا
 بقتله قال ابو حيان لم نعلم كيفية القتل ولا من القى عليه الشهادة ولم يصح بذلك حديث رسول
 الله ذكره بالرسالة استهزاء لانهم ينكرونها ولا يعترفون بانها نبي او هذا من كلامه تعالى لمدحه
 وتنزيهه عن مغالته فيه واادعوه من انهم قتلوه قد اشتمل على بيان صفته وايضاح حقيقته
 الانجيل وما فيه هو من تحريف النصارى ابعدهم الله فقد كذبوا وصدق الله القائل في كتابه
 العزيز وما قتلوه وما صلبوه بحالهم ولكن شبهتهم اي القى شبه عليهم على غيره حتى
 قتل وصلب قيل لم يكونوا يعرفون شخصه وقتلوا الذي قتلوه وهم شاكون فيه اخرج سعيد
 بن منصور والنسائي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال لما اراد الله ان يرفع عيسى
 الى السماء اخرج الى صحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين فخرج عليهم من حين في البيت
 ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر في اثني عشر مرة بعد ان امن بي ثم قال ايكم يلي عيسى

شبهى فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام شاب من احد ثم سنا فقال له اجلس فواءد
عليهم فقام الشاب فقال اجلس ثم اعد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال انت ذاك فالتقى عليه
شبه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت الى السماء قال وجاء الطلب من يهود فاحرقوا ^{فقتلوه} ^{والسبية}
ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد ان امن به وافتروا ثلث فرق فقالت طائفة كان الله
فيها ماشاء ثم صعد الى السماء فهو لاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء ثم رفعه
اليه وهو لاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله وهو لاء المسلمون فظاهروا
الكافران على المسئلة فقتلوا فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلعم فانزل الله فامنت
طائفة من بني اسرائيل يعني الطائفة التي امنت في زمن عيسى وكفرت طائفة يعني التي كفرت
في زمن عيسى فايدينا الذين امنوا في زمن عيسى باظهار محمد دينهم على دين الكافرين قال ابن
كثير بعد ان ساقه بهذه اللفظ عند ابن ابي حاتم قال حدثنا احمد بن سنان حدثنا ابو معاوية
عن الانعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره وهذا السناد صحيح
ابن عباس وصدق ابن كثير فهو لاء كلهم من رجال الصحيح واخرجه النسائي من حديث ابي كريب
عن ابي معاوية بن يحيى وقد رويت قصته عليه السلام من طرق بالفاظ مختلفة وساقها عبد بن حميد
وابن جرير وابن المنذر على صفة قريبة مما في الاخير وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ اِي فِي شَأْنِ عِيسَى
وهم النصارى فقال بعضهم قتلناه وقال من عاين رفعه الى السماء ما قتلناه وقيل ان الاختلاف
بينهم هو ان النسطورية من النصارى قالوا صلب عيسى من جهة ناسوته ولا هوته ولا هوته
وقالت الملكانية وقع القتل والصلب على المسيح بمكان ناسوته ولا هوته ولا هوته من جنس هذا الاختلاف
كلام طويل لا اصل له ولهذا قال الله وان الذين اختلفوا فيه لغيري شك منه اي في تردد
من قتله لا يخرج الى حيز الصحة ولا الى حيز البطلان في اعتقادهم بل هم مترددون مرتابون في
شكهم بعمهون وفي جعلهم يتخيرون ما لهم به من علم من دأدة لتوكيد في العلم الا اتباع الظن
الاستثناء منقطع وهو الصحيح الذي لم يذكر الجمهور غيره وهي لغة النجاشي لئلا يتبعون الظن في قتله
ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى وغيره لان الظن واتباعه ليس من جنس العلم الذي هو
اليقين فاذا الظن اطرف الواجب وقيل مستثناه مما قبله والاول اولى قال ابو البقاء انه متصل لان العلم والظن

مجعها مطلق لا دراك انت لا يقال ان اتباع الظن ينفي الشك الذي اخبر الله عنهم بانهم فيه
 لان المراد هنا بالشك التردد كما قد مناه والظن نوع منه وليس المراد به هنا ترجيح احد الجانبين وما
 قتلوه يقيناً اي قتلوا يقيناً وهذا على ان الضمير في قتلوه لعيسى وقيل انه يعود الى الظن قاله
 ابن عباس والمعنى ما قتلوا ظنهم يقيناً قال ابو عبيدة ولو كان المعنى وما قتلوا عيسى يقيناً
 لقال وما قتلوه فقط وقيل ان المعنى وما قتلوا الذي شبه لهم وقيل المعنى بل رفع الله اليه
 يقيناً وهو خطأ لانه لا يعمل ما بعد بل فيما قبلها وذكر السمين فيه خمسة اوجه ولا وجه لهذه
 الاقوال والصائرا قبل قتلوه وبعد عيسى وذكر اليقين هنا قصد التهكم بهم لاستناده بعلمهم
 في الجملة بل رفعه الله اليه اي الى موضع لا يجري فيه حكم غير الله كما في الخبر وهذا الموضع
 هو السماء الثالثة كما في حديث الجامع الصغير وفي بعض المعارج انه في السماء الثانية رده عليهم
 واشتاتلما هو الصحيح وقد تقدم ذكر رفعه عليه السلام في آل عمران بما فيه كفاية وكان الله
 عز وجل حكيم في انجاء عيسى وتخليصه من اليهود انتقاماً منهم رفعه اليه وان من أهل الكتاب
 اي اليهود والنصارى والمعنى وما منهم احد الا والله ليؤمنن والضمير في به راجع الى عيسى
 وبه قال ابن عباس واكثر المفسرين وفي قبل موته راجع الى ما حل عليه الكلام وهو لفظ
 احد المقدار والكتابي المدلول عليه باهل الكتاب وقال ابن عباس قبل موت عيسى وعنه
 ايضا قال قبل موت اليهودي وفيه دليل على انه لا يموت يهود ولا نصرا في الا وقد امن بكليس
 وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى انه لا يموت عيسى حتى يؤمن به كل كتابي في عصره وقيل الضمير
 الاول لله وقيل الى محمد صلعم وبه قال عكرمة وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلعم ذكر
 قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقد اختلف كون الضمير بن عيسى بن جبر وبه قال جماعة
 من السلف وهو الظاهر لانه تقدم ذكر عيسى فكان عود الضمير اليه اولى والمراد بالايمان حين
 يعاين ملك الموت فلا ينفعه ايمان قال شهر بن حوشب اليهودي اذا حضرة الموت ضربت الملائكة
 وجهه ودبره وقال يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت يا عبد الله ورسوله
 ويقال للنصري اتاك عيسى نبيا فرغمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه عبد الله فاهل الكتاب
 يؤمنون به حيث لا ينفعهم ذلك الايمان او عند نزوله في اخر الزمان كما وردت للاحاديث

المتواترة قال ابن عباس سيرك اناس من اهل الكتاب عيسى حين بيعت فيؤمنون به
وعنه قال ليس يهودي يموت ابدا حتى يؤمن بعيسى قيل لا بن عباس ارايت ان خر من
فوق بيت قال يتكلم به في الهوى فقل ان ضرب عنق احدهم قال تجلبها الساكنه وقد
روي نحو هذا عنه من طرق وقال به جماعة من التابعين وذهب كثير من التابعين
فمن بعدهم الى ان المراد قبل موت عيسى كما روي عن ابن عباس قبل هذا وفيه كثير
منهم بانه يؤمن به من ادركه عند نزوله الى الارض حتى تصير الملة كلها اسلامية وقال
الزجاج هذا القول بعيد لعموم قوله تعالى وان من اهل الكتاب والذين يبقون يومئذ
يعني عند نزوله شريحة قليلة منهم واجيب بان المراد بهذا العموم الذين يشاهدون
ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به وصحح الطبري هذا القول وقد تواترت الاحاديث
بنزول عيسى حسبا وضم ذلك الشوكاني في مؤلف مستقل يتضمن ذكر ما ورد في المنتظر و
الرجال والمسيح وخيرة في خيرة ويوم القيامة يكون عيسى عليهم اي على اهل الكتاب شهيدا
يشهد على اليهود بالتكذيب به والطعن فيه وعلى النصارى بالغلو فيه حتى قالوا هو ابن
وقال قتادة يكون شهيدا على ان قد بلغ رسالة ربه واقرب على نفسه بالعبودية فظلم
الباء للسببية والتكثير والتنوين للتعظيم اي بسبب ظلم عظيم لا بسبب شيء اخر كما زعموا انها
كانت محرمة على من قبلهم من الذين هادوا والعل ذكرهم بهذا العنوان للايدان بحالهم
بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا ورجعوا عن عبادة العجل حرمنا عليهم طيبات اجلت
لهم الطيبات المذكورة هي ما نصده سبحانه في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الاية قال الواحدي واما وجه تسمي الطيبات عليهم كيف كان ومتى كان على
لسان من حرم فلم يجد فيه شيئا انتهى اليه فتركته قال الخازن ولقد انصف الواحدي
نما قال فان هذه الاية في غاية الاشكال انتهى قلت ولهذا لم يذكر الرازي والشوكاني
في تفسيرها ما ذكره المفسرون في معنى الظلم المذكور في الاية وذكرها تفسير اجماليا فكانوا
كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقرهاها يحرم الله عليهم نوعا من الطيبات التي كانت
حلالا لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه

ويقولون لسنا بأول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على إبراهيم ونوح ومن بعدهم
حتى انتهى الأمر إلى كذبهم الله تعالى في مواضع كثيرة وبكتم بقوله كل الطعام كان حلالاً
لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة الآية قاله أبو السعد
ووصلت بهم أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبخبر نفيم وفتلهم
الأنبياء وما صدر منهم من الذنوب المعروفة كثيراً أي بصدفهم كثيراً الوعد كثيراً
أوزمناً كثيراً أو الأول وأخذهم الروايات معاملة لهم فيما بينهم بالربا وكلهم ^{هو}
حرم عليهم وقد نهوا عنه في التوراة وكلهم أموال الناس بالباطل كالرشوة والسم
الذي كانوا يأخذونه وهذه الذنوب الأربع هي التي شدد عليهم بسببها في الدنيا
والآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات وأما التشديد في الآخرة
فهو المراد بقوله واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً وإنما قال منهم لأن الله علم أن قوماً منهم
سيؤمنون فيما منون من العذاب لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله تعالى
واعتدنا الآية أو من الذين هادوا وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلاً وأجلاً
وذلك أن اليهود أنكروا وقالوا إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل وانت تحلها فنزل
لكن الراسخون والراسخ هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه والراسخون الثبوت وقد تقدم
الكلام عليه في آل عمران والمراد بهم عبد الله بن سلام وكعب الأجاز ونحوهما والمؤمنون
بالله ورسوله والمراد ما من آمن من أهل الكتاب ومن المهاجرين والأنصار ومن الجميع
يؤمنون بما أنزل إليك أي القرآن وما أنزل من قبلك أي سائر الكتب المنزلة على الأنبياء
والمؤمنين الصلوة فرأى جماعة المقيمين على العطف على ما قبله وكذا في صحف ابن مسعود تنزل
للتغايير العنواني منزلة التغايير الذاتي ونصب مقيمين على قراءة الجمهور هو على المدح وإعظيم
عند سبويه وهو أولى الأعراب وقال الخليل والكسائي هو معطوف على قوله بما أنزل إليك
واستعمده الأخفش وجهه محمد بن يزيد المبرد وعن عائشة أنها سألت عن المقيمين
عن قوله إن هذان لساحران والصائبون في المائة فقالت يا ابن أخي الكتاب أخطوا
روي عن عثمان بن عفان أنه لما فرغ من المصحف أتى به قال أرى فيه شيئاً من محسنات

العرب بالسنتها فقبل له الانتقير فقال دعوة فانه لا يعمل حراما ولا يجرم حلالا قال ابن ابي شيبة
وما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فكسب البصحة غيره و
لان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن شعور الحسن فيه وقال الزعزعي في
الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع كمن في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في
الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص
والملاح من الاقتنان وهو باء اسع قد ذكره سيبويه على امثله وشواهد مما خفي عليه
ان السابقين الاولين كانوا بعد همة في الغيرة على الاسلام وذبا للطاعن عنه من ان يتكلموا
في كتاب الله عز وجل ثمة يسد لها من بعدهم وخير قايروه من يلحق بهم تقوى قد ربح قول سيبويه
كثير من ائمة النحوي والتفسير واختاره الزجاج ورجح قول الخليل والكسائي ابن جرير الطبري
والقفال والمؤثون الزكوة عطف على المؤمنين لانه من صفتهم والمؤمنون يؤمنون بالله
واليوم الآخر هم مؤمنوا اهل الكتاب وصفوا اول بالرسوخ في العلم ثم بالايمان بكتاب الله ولهم
يقومون الصلوة ويؤتون الزكوة ويؤمنون بالله واليوم الآخر وقيل المراد بهم المؤمنين من المهاجرين
والانصار من هذه الامة كما سلف وانهم جامعون بين هذه الاوصاف اولئك اي الراشدين
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلود رجعتهم في الفضل سُوِّيَتْ هم اي سنعطيهم على ما كان
منهم من طاعة الله واتباع امره والسين لتأكيد الوعد آخر انوايا عظيما وهو محنة والتذكير للتخيم
وهذا الاعراب انبجأ وب طرفي الاستدراك حيث وعد الاولون بالعذاب اليم وعد الاخرين
بالاجر العظيم اَنَا اَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ هذا متصل بقوله يسألك اهل الكتاب والمعنى
ان امي محمد صلى الله عليه وسلم كاس من تقدمه من الانبياء فما بالكتم تطلبون منه ما لم يطلبه احد من المعاصرون
لرسل والوحي اعلام في خفاء يقال وحى اليه بالكلام وحيا ووحى يوحي اليه وخصه فوحا
لكونه اول نبي شرعت على لسانه الشرائع واول نذير على الشرك واول من عذب بامته لردهم
دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كادم واطول الانبياء عمرا وصبر على اذى
قومه طول عمره وقيل غير ذلك اي ايجاء مثل ايجاءنا الى نوح او حال كونه مشبها بابا ايجاءنا الى نوح
والنبيين من بعده كهود وصالح وشعيب وغيرهم اَوْحَيْنَا إِلَى اِبْرَاهِيمَ وهو ابن تارخ واسم

تاريخ ازروبعث بعده اسمعيل فمات بمكة واسحاق اي قريعت اخاه اسحق فمات بالشام
ويعقوب وهو اسرائيل بن اسحاق ثم يوسف بن يعقوب ثم شعيب بن نوب ثم هود بن
عبد الله ثم صالح بن اسف ثم موسى وهارون ابني عمران ثم ايوب ثم اخضر ثم داود بن
ايشا ثم سليمان بن داود ثم يونس بن متى ثم الياس ثم ذا الكفل واسمه عويد يا وهو
من سبط يهوذا بن يعقوب وبين موسى بن عمران ومريم بنت عمران الف سنة وسبعائة
سنة قال الزبير بن بكار كل بني ذك في القرآن فهو من ولد ابراهيم خيرا ادريس ونوح
وهود ولوط وصالح ولم يكن من العرب الانبياء الا خمسة هود وصالح واسماعيل وشعيب
وعمد صلح وانما سموا عربا لانهم يتكلم بالعربية غير ذكره القرطبي والاسباط هم اولاد
يعقوب وكانوا اثني عشر ومنهم يوسف نبي رسول الله تعالى وفي البقية تخلا وعيسى وايوب و
يونس فيه ست لغات افصحها واخالصة ونون مضمومة وهي لغة الحجاز وهارون
وسليمان وخص هؤلاء بالذكور بعد خولهم في لفظ النبيين تشريفا لهم كقوله وملائكته
ورسله وجبريل وقدم عيسى على ايوب ومن بعده مع كونهم في زمان قبل زمانه ردا
على اليهود الذين كفوا به وايضا قالوا وليست الا لطلب الجمع والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء
الانبياء المذكورين في هذه الآية وانتم يا معشر اليهود معتزون بذلك وما انزل الله على احد
من هؤلاء كتابا جملة واحدة فلما لم يكن ذلك قادحا في نبوتهم فكذلك لم يكن انزال القرآن مفرا
على محمد قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم وانما كان داود زبور اي كتابا
مزبورا يعني مكتوبا والزبور بالفقه كتاب داود قال القرطبي وهو مائة وخمسون سورة
ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام وانما هي حكم ومواعظ انتهى قلت هو مائة وخمسون
مزمورا والمزمور فصل يشتمل على كلام داود يستغث بالله من خصومه ويدعو الله عليهم
ويستنصره وتارة ياتي بمواعظ وكان يقول ذلك في الغالب في الكنيسة ويستغل مع بكثرة
بذلك شيئا من الآلات التي لها نغمات حسنة كما هو مصرح بذلك في كثير من تلك المزمورات
والزبور المكتوبة والزبور بمعنى المزمور اي المكتوب كالرسول والحلو بالركوب وقرأ حمزة زبوراً بضم
الزاي جمع زبر كفلس وفلوس والزبر بمعنى المزمور والاصل في الكلمة التوثيق يقال يبر

مزبورة اي مطوية بالكجاجة والكتاب سمي زبور القوم الوثيقة به عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلعم لو رايتني البارحة وانا استمع لقرائك لقد اعطيت مزمارا من مزامير
ال داود اخرج الشيخان قال الحميدي زاد البرقاني قلت يا رسول الله لو علمت انك استمع
لقراءتي خبر فمالك تحبذ والتحبير تحسين الصوت بالقراءة وانما لم يذكر موسى في هذه الآية لان
الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وارسلنا رسلا وقرأ ابي رسل بالرفع على تقدير ومنهم
قد قصصناهم عليك اي سميناهم لك في القرآن وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا من
الاهم وما حصل لهم من قومهم ومعنى من قبل انه قصهم عليه من قبل هذه السورة او من
قبل هذا اليوم ورسلا لم تقصصهم عليك اي لم نسهمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قيل انه
لما قص الله في كتابه بعض اسماء الانبياء ولم يذكر اسماء بعض قائل اليهود ذكرهم الانبياء
ولم يذكر موسى فنزل وكلم الله موسى بلا واسطة اي ازال عنه الحجاب حتى سمع كلام الله سبحانه
ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم ولم يكن ذلك قادحا في
نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم ان نزول التوراة جملة قادح في نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا
قرأ الجمهور برفع الاسم الشريف على ان الله هو الذي كلم موسى قرأ النخعي ويعقوب بن وثاب بنصب
الاسم الشريف على ان موسى هو الذي كلم الله سبحانه وتكليما مصدرا مؤكدا وفائدة التأكيد
دفع توهم كون التكليم مجازا كما قال الغراء ان العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي
طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا أكد لم يكن الاحقيقة الكلام قال النحاس واجمع الفخرون
على انك اذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا وفيه رد على من يقول ان الله خلق كلاما
في محل فسمع موسى ذلك الكلام اخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابن
جبان في صحيحه والحاكم وابن عساكر عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قلت كم الرسل منهم قال ثلث مائة وثلاثة عشر خم غفيرا واخرج نحوه
ابن ابي حاتم عن ابي امامة مرفوعا الا انه قال والرسل ثلثمائة وخمسة عشر واخرج ابو يعلى
والحاكم بسند ضعيف عن انس قال قال رسول الله صلعم كان فيمن خلى من اخواني من الانبياء اثنا
الاون نبي ثم كان عيسى ثم كنت انا بعده رسلا مبشرين لاهل الطاعات بالجنة ومنذرين لاهل المعاصي

بالعذاب لئلا يلامكم ويتعلق بمنذرين على المختار للبصريين ومبشرين عند الخوفيين فان
 المسئلة من باب التنازع والاول اول وله في القران نظائر وقيل تتعلق بخذوف ابي رسلنا
 كيلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها كما في قوله تعالى ولوانا اهلكنا
 بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وسميت المعذرة حجة مع انه
 لم يكن لاحد من العباد على الله حجة تنهيا على ان هذه المعذرة مقبولة لديه تفضلا منه ورحمة
 بعد ارسال الرسل وانزال الكتب وفيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس
 عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وعلى ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى
 وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه حجة لاهل السنة على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسبع
 وكان الله عز وجل لا يغالبنا في حكمنا في افعاله التي من جملتها ارسال الرسل اخرج البخاري ومسلم
 وخبرهما عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احدا غير من الله من اجل ذلك حرم
 الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احدا حب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه
 ولا احدا حب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين وفي لفظ
 مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله احديث لكن الله يشهد بما اترلك اليك هذا الاستدراك
 من محذون مقدركا ثم قالوا ما نشهدك يا محمد بهذا الوحي والنبوة فقل لكن الله يشهد
 وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القران البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث
 عجز الالوان والآخر عن المعارضة والانيان بمثله فكان ذلك معجزا واطهارا المعجزة شهادة
 يكون المدعي صادقا لا حرم قال تعالى لك اتركه يعلمه جملة حالية اي متساويا بعلمه الذي لا يعلم
 غيره من كونك اهلا لما اصطفاك الله له من النبوة وانزله عليك من القران واستعدادك
 لاقتباس الانوار القدسية وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه اثبت لنفسه العلم
 وقيل العلم هنا بمعنى المعلوم اي بمعلومه مما يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
 والملائكة يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة
 الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشي شهدت الملائكة به وكفى بالله شهيدا على صحتك
 حيث نصب لها محجرات باهرة وحجج اظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها وان لم يشهد

وفيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له وشهادة الله سبحانه هي ما قصد من المعجزة
الدالة على صحة النبوة فان وجود هذه المعجزة شهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بصدقه اخبر به من هذا
اوغیره عن ابن عباس قال دخل جماعة من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني والله
اعلم انكم تعلمون اني رسول الله قالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الآية ان الذين كفروا بالله
وبكل ما يجب الايمان به او بهذا الامر خاص وهو ما في هذا المقام وصدوا الناس عن سبيل
الله وهودين الاسلام بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نجد صفته في كتابنا وانما النبوة
في ولد هارون وداود وبقولهم ان شرع موسى لا ينسخ قد ضلوا ضلالا لا يعيد اعن الحق و
الصواب بما فعلوا لانهم مع كفرهم منعوا غيرهم عن الحق فجمعوا بين الضلال والاضلال ولان
المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقطاع منه ان الذين كفروا يحميهم وظلوا
غيرهم بصددهم عن السبيل وظلوا محمدا بكنائهم نبوته او ظلوا انفسهم بكفرهم ويجوز ان يحل على
جميع هذه المعاني لم يكن الله ليغفرهم اذا استغروا على كفرهم وما تواكفون ولا يهدى لهم
طريقا من الطرق الا طريق جهنم لكونهم قد فوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفطشقا
ومجد والواضح وصاند والبين اي يدخلهم جهنم والاستثناء متصل لانه من جنس الاول والاول
عام لانه نكرة في سياق النفي وان اريد به طريق خاص اي عمل صالح فالاستثناء منقطع قاله
الكرخي خالدين فيها وهي حال مقدرة ابدا منصوب على الظرفية توكيد لخالدين وهو لدفع
احتمال ان اخلود هنا يراد به المكث الطويل وكان ذلك اي تخليد هم في جهنم وترك المغفرة
لهم والحمد لله مع اخلود في جهنم على الله ليسير لانه سبحانه لا يصعب عليه شيء من مراداته
فما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع
الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي مكة والعبادة
بمفهوم اللفظ وهو عام قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم اي محمد صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام الذي
ارتضاه الله لعباده او بالقران الذي هو الحق من عند ربكم وهذا تكرير للشهادة وتقدير
حقيقة المشهود به وتفهيد لما بعده من الامر بالايمان فامضوا قال سيبويه والتحليل الي قصد
وانوا خير لكم وقال الغراء فامضوا اي انا خير لكم وقال ابو عبيدة والكسائي فامضوا ايكن الايمان

خير لكم واقوى هذه الاقوال الثالث ثم الاول ثم الثاني على ضعف فيه وإن تكفروا اي وان
تستمروا على كفركم وتجدوا رسالة محمد صلعم وتكنوا بما جاءكم به من الحق فإن الله وما في
السموات والأرض من مخلوقاته وانتم من جملتهم ومن كان خالفا لكم ولها فهو قادر على حجازكم
بقبيح افعالكم ففي هذه الجملة وعيد لهم مع ايضاح وجه البرهان واماطة الستر عن الدليل
بما يوجب عليهم القبول والاذعان لانهم يعترفون بان الله خالقهم ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله وهو يعلم ما استئنا عليه وما تركنا منه وكان الله عليمًا بمن يؤمن ومن يكفر
حكما لا يسوي بينهما في الجزاء يا اهل الكتاب قيل نزلت في النصارى وقيل فيهم وفي اليهود
لا تغلوا في دينكم الغلو هو التجاوز في الحد ومنه غلى السعر يغلو غلاء وغلى الرجل في الامر
غلو او غلى بالجارية كجها وعظمها اذا سرعت الشباب فجاوزت لذاتها والمراد بالآية النهي
لهم عن الافراط تارة والتفريط اخرى فمن الافراط غلو النصارى في عيسى حتى جعلوه رباً ومن
التفريط غلو اليهود فيه عليه السلام حتى جعلوه لغير رشدة وما احسن قول الشاعر
ولا تقل في شيء من الامر واقتصد + ولا طر في قصد الامور ذميم + ولا تقولوا على الله الا
الحق وهو ما وصف به نفسه ووصفته به رساله ولا تقولوا الباطل كقول اليهود عزير بن الله
وقول النصارى المسيح ابن الله وهذا الاستثناء مفرغ انما المسيح مسيح ابن مريم الجملة تعليل
للنهي وقد تقدم الكلام على المسيح في آل عمران والمعنى ليس له نسب غير هذا وانه رسول
الله فمن زعم غير هذا فقد اشرك وكفر وكلمة أي كونه بقوله كن فكان بشراً من غير اب
وقيل كلمة بشارة الله مريم ورسالته اليها على لسان جبريل بقوله اذ قالت الملائكة يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه وقيل الكلمة ههنا بمعنى الآية ومنه وصدقت بكلمات ربها وقوله
ما نفدت كلمات الله الغها الى مريم أي اوصلها اليها وروح أي دور روح منه وسمي روحاً
لانه حصل من الريح الحاصل من نفخ جبريل أي ارسل جبريل نفخ في جيب درع مريم فخلت
بآذن الله وهذه الاضافة للتفضيل والتشريف وان كان جميع الارواح من خلقه تعالى قيل
قد يسمى من تظهر منه الاشياء العجيبة روحاً ويضاف الى الله فيقال هذا روح من الله أي
من خلقه كما يقال في النعمة انها من الله وقيل روح منه أي من خلقه كما قال تعالى

وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه أي من خلقه وقيل رحمة منه وقيل برهان
منه وكان عيسى برهاناً وحجة على قومه والمعنى روح كائنة منه وجعل الروح منه سبحانه أن
كانت بنفخ جبريل لكونه تعالى الأمر جبريل بالنفخ والمعنى ليس هو كما ذهبتم أن الله والهامعه أو
ثالث ثلاثة لأن خال الروح مركب والآله منزلة عن التركيب وعن نسبة المركب إليه عن أبي مؤ
ان البخاري قال بجعفر ما يقول صاحبك في ابن مريم قال يقول فيه قول الله هو روح الله كلمة
أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر فتناول عوداً من الأرض فرفعه فقال يا معشر القسيسين
والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه وعن ابن مسعود بأطول من
هذا وأخرج البخاري عن عمر قال قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى
بن مريم فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن عباد بن الصامت قال قال رسول الله
صلوات الله عليه وآله وسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمد عبده ورسوله وإن عيسى عبده
ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من
العمل أخرجه الشيخان فأومئوا بالله ورسوله أي بأنه سبحانه له واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفو واحد وبأن رسوله صادقون مبلغون عن الله ما أمرهم بتبليغه ولا تكذبونهم ولا تغلوها
فيهم فاجعلوا بعضهم الهة ولا تقولوا ثلاثة قال الزجاج أي لا تقولوا الهة ثلاثة وقال الفراء
وأبو عبيد أي لا تقولوا هم ثلاثة كقوله سيقولون ثلاثة وقال أبو علي الفارسي لا تقولوا هو
ثالث ثلاثة فحذف المبتدأ والمضاف والنصارى مع تفرق مذاهبهم متفقون على التثليث
ويعنون بالثلاثة الثلاثة الأقاليم فيجعلونه سبحانه جوهر واحد وله ثلاثة أقاليم ويعنون
بالأقاليم اقنوم الوجود واقنوم الحياة واقنوم العلم وإنما يعبرون عن الأقاليم بالأب والابن
وروح القدس فيعنون بالأب الوجود وبالروح الحياة وبابن المسيح وقيل المراد بالالهة
الثلاثة الله سبحانه وتعالى ومريم والمسيح وقد اختلط النصارى في هذا اختلاطاً طويلاً ووقفنا
في الأناجيل الأربعة التي يطلق عليها اسم الأناجيل عندهم على اختلاف كثير في عيسى فتارة
يوصف بأنه الإنسان تارة يوصف بأنه الله تارة يوصف بأنه الروح هذه تناقض ظاهر وتلاعب بالدين
والحق ما أخبرنا الله به في القرآن وما خالف في التوراة والأناجيل والزبور فهو من تحريف المحرفين

وتلاعب المتلاعبين ومن اعجب ما رأينا ان الاناجيل الاربعة كل واحد منها منسوب الى واحد
 من اصحاب عيسى عليه السلام وحاصل ما فيها جميعا ان كل واحد من هؤلاء الاربعة ذكر سيرة
 عيسى من عند ان بعثه الله الى ان رفعه الله وذكر ما جرى له من المعجزات والمراجعات لليهود
 ونحوهم فاختلفت الفاظهم وانفقت معانيها وقد يزيد بعضهم على بعض بحسب ما يقتضيه
 الحفظ والضبط وذكر ما قاله عيسى وقيل له وليس فيها من كلام الله سبحانه شيء ولا انزل على
 عيسى من عنده كتابا بل كان عيسى عليه السلام يخرج عليهم بما في التوراة ويدكر
 انه لم يات بما يخالفها وهكذا الزبور فانه من اوله الى اخره من كلام داود عليه السلام
 وكلام الله اصدق وكتابه احق وقد اخبرنا ان الانجيل كتابه انزله على عبده ورسوله
 عيسى بن مريم وان الزبور كتابه اتاه داود وانزل عليه انتهوا خيرا لكونهم انتهوا عن التثنية
 ولا تقولوا الالهة ثلاثة وانتصاب خيرا هنا فيه الوجوه الثلاثة التي تقدمت في قوله فامنوا
 خيرا لكونهم انما الله اله واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد متجناه اي اسمه تسمي عذر
ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وهو متعال عن التجزية وصفات الحدوث ولكن
 جعلوا له من عبادة جزءا ان الانسان لكفور له ما في السموات وما في الارض ملكا وعبدا وما
 جعلوا له شريكا او ولدا هو من جملة ذلك والملوك المخلوق لا يكون شريكا ولا واردا كقوله يا الله
 وكيفا مستقلا بتدبير خلقه يكل المخلق اموره اليه لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فلا حاجة
 اليه لدايعينه وقيل شهيدا على ذلك ان يستنكف اي لا يتكبر ولا يأنف المسيح الذي زعمتم
 انه اله عن ان يكون عبدا لله اصل يستنكف تكف وباقي الحروف نائدة يقال تكفت من
 الشيء واستنكفت منه وانكفته اي نزهته عما يستنكف منه قال الزجاج استنكف اي انف
 ما خذ من تكفت الدمع اذا اغتيت يا صبعك عن خديك وقيل هو من النكف وهو العيب يقال
 ما عليه في هذا الامر تكف ولا وكفاي عيب ومعنى الاول ان يأنف عن العبودية ولن يترده
 عنها ومعنى الثاني لن يعيب العبودية ولن ينقطع عنها ولا الملائكة المقرَّبون اي لن
 يستنكف حملة العرش وفاضل الملائكة مثل جبريل وخيره عن ان يكونوا عبادا لله وهذا
 من احسن الاستطراد ذكر الرد على من زعم انها الهة او بنات الله كما رد بما قبله على النصارى

انواعهم ذلك المقصود خطاهم وقد استدلل هذا القائلون بتفضيل الملائكة على الانبياء
وقرر صاحب الكشاف وجه الدلالة بما لا يضمن ولا يغني من جوع وادعى ان الذوق قاض بذلك
ونعم الذوق العربي اذا خالط حجة المذهب وشابه شوايب الجود كان هكذا وعلى من يفهم
لغة العرب يعلم ان من قال لا يانف من هذه المقالة امام ولا ماموم ولا كبير ولا صغير ولا
جيل ولا حقير يدل هذا على ان المعطون اعظم شأننا من المعطوف عليه وعلى كل حال
فما ابردا اشتغال بهذه المسئلة وما اقل فائدتها وما ابعدها عن ان يكون مركزا من المراكز
الدينية وجس من اجسور الشرعية ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر اي يانف تكبرا
وبعد نفسه كبير عن العبادة فيستكبر هو اليه جميعا المستنكف وخيرة فيجازي كلابعه
لا يملكون لانفسهم شيئا وترك ذكر غير المستنكف هنا دلالة اول الكلام عليه ولكون اخبر
بالطائفتين فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيؤتيهم اجرهم اي ثواب اعمالهم من غير
ان يفوتهم منها شيء ولا يذنبهم من فضلهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
اي على وجه التفصيل واحاطة العلم بها والافساد لرفعهم ايجان يخطر على قلوبنا ونسمع من السنة
لكن على وجه الاجمال واخرج ابن المنذر وغيره بسند ضعيف عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة فيمن وجبت له النار من صنع اليهم
المعروف في الدنيا وقد ساقه ابن كثير في تفسيره ثم قال هذا السناد لا يثبت واذا روي
عن ابن مسعود موقوفا فهو جيد واما الذين استنكفوا واستكبروا عن عبادته فيعذبهم
بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا لئلا هو عذاب النار ولا يحذرون لهم من دون الله
ولئلا يواليهم ولا نصيرا ينصرونهم يا ايها الناس خطا بالكافة قد جاءكم برهان من ربكم بما
انزل عليكم من كتابه وبين ارسل اليكم من رسله وما نصبه لهم من المعجرات والبرهان ما
يرهن به على المطلوب قال قتادة البرهان البينة وقال مجاهد اجماع وقيل محمد صلى الله
عليه وسلم والتقدير كائن من ربكم او من براعين ربكم وقيل من لا بداء الغاية وانزلنا اليكم نورا
مبيننا وهو القرآن وسماه نور الانوار يهدي به من ظلمة الضلال فاما اي فمنكم من امن ومنكم
من كفر فاما الذين امنوا بالله محمد نورا بانيه وبما ارسل من سول وانزل من كتاب وترك الشك

الآخر إشارة إلى مما لهم لأنهم في حيز الطرح واعتصموا به أي بالله أو بالقرآن وقيل بالنور
المذكور فسيدخلهم في رحمة منة يرحمهم بها قال ابن عباس الرحمة الجنة سميت باسم
عملها أو فضل يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة كالنظر إلى وجهه الكريم وغيره من مواهب
الجنة ويعد يوم القيمة أي إلى مثقال ما أمربه واجتنب ما هوى عنه الله سبحانه وتعالى باعتبار
مصيرهم إلى جزاءه وتفضله قال أبو علي الفارسي الهاء في إليه راجعة إلى ما تقدم من اسم
الله وقيل إلى القرآن وقيل إلى الفضل وقيل إلى الرحمة والفضل لأنها بمعنى الثواب وآخر هذا
مع أنه سابق في الوجود الخارجي على ما قبله تعجلا للمسرة والفرح على حد سعد في دارك صوابا
أي طريقا يسلكونه إليه مستقيما لا عوج فيه وهو التمسك بدين الإسلام وترك غيره من
الاديان يستفتيئك ختم السورة بذكر الأموال كما أنه افتتحها بذلك لتحصل المشاكلة بين المبدأ
والختام وجملة ما في هذه السورة من آيات الموارث ثلاثة الأولى في بيان ارث الأموال الفروع
والثانية في بيان ارث الزوجين والأخوة والأخوات من الأم والثلثة وهي هذه في ارث الأخوة
والأخوات الأشقاء والأب وأما أولوا الأحكام فقد كورون في الخرافة فقال والمستفتي عن الكلالة
فهو جابر كما سيأتي وعن قتادة أن الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسأوا عنها النبي صلى الله عليه وآله
هذه الآية قل الله يفتيكم في الكلالة قد تقدم الكلام في الكلالة في أول هذه السورة واسم
الكلالة يقع على الوارث وعلى المورث فإن وقع على الأول فهم من سوى الوالد والولد وإن وقع
على الثاني فهو من مات ولا يرثه أحد الأبوين ولا أحد الأولاد قد أخرج البخاري ومسلم وأهل
السنن وغيرهم عن جابر بن عبد الله قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مريض لا عقل
فتوضأ ثم صب علي فعقلت فقلت أنه لا يرثني الكلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض
وعنه عند ابن سعد وابن أبي حاتم بلفظ أنزلت في قل الله يفتيكم في الكلالة وعن عمر بن
سالم رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تورث الكلالة فانزل الله هذه الآية وأخرج مالك ومسلم وابن
جرير والبيهقي عن عمر قال ما سألت النبي صلى الله عليه وآله عن شيء أكثر مما سألت في الكلالة حتى طعن
بأصبعه في صدري وقال ما يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وأخرج البخاري
ومسلم وغيرهما عن عمر قال ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عهد الينا فيهن عهدا

نزلت في جابر وقد ماتت عن اخوات سبع اولسبع والعطف على الشريعة السابقة والتأنيث
 والتثنية وكذلك الجمع في قوله وان كانوا اخوة باعتبار اخبر فلوهما الثلثان مما تركوا الاخ
 ان لم يكن له ولد كما سلف وما فوق الاثنتين من الاخوات يكون هن الثلثان بالاولى وان
 كانوا اي من يرث بالاخوة اخوة اي واخوات فعلى الذكور على الاناث وفيه اكتفاء بتد
 رجال ونساء اي مختلطين ذكورا واناثا فلذلك ذكرهم مثل حظ الانثيين تعصبا ببيان
 الله لكم حكم الخلافة وسائر الاحكام كراهة ان تضلوا هكذا حكاها القرطبي عن ابي
 وبه قال في الكشاف تبعه القاضى رحمه وقال الكسائي المعنى لثلاث تضلوا وافقه الفراء وغيره
 من الجوفين قال ابو عبيد روى الكسائي حديث ابن عمر لا يدعوا احدكم على ولده ان يوافق
 من الله ساعة اجابة فاستحسنه اي لئلا يوافق والله بكل شيء من الاشياء التي هذه الا
 المذكورة منها عليهم اي كثير العلم يعلم مصلح العباد في المبدأ والمعاد وفيما كلفهم من الاحكام
 وهذه السورة اشتمل عليها على كمال تنزه الله وسعة قدرته واخرها اشتمل على بيان
 كمال العلم وهذا ان الوصفان بما تثبت الربوبية والالوهية والجلال والعزة وبما يجب
 ان يكون العبد منقادا للتكاليف قاله ابو جابر بن الشيطان عن البراء انها اخراية نزلت من الغمام
 وروى عن ابن عباس اخراية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى
 انه صلح بعد ما نزلت سورة النصر عاش عاما ونزلت بعدها براءة وهي اخر سورة نزلت
 كاملة فعاش صلح بعد هاستة اشهر ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك الآية فسميت
 اية الصيف لانها نزلت في الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش
 بعدها احد وثمانين يوما ثم نزلت اية الربا ثم نزلت والتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد وعشرين

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

في مائة وثلاث وعشرون آية قال القرطبي هي مدينة بالاجماع وبه قال قتادة وعن محمد بن كعب القرظي قال انها نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة واخرج ابو عبيد عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المائدة من اخر القرآن تنزل فاحلوا احلالها وحرموا احرامها وعن عمرو بن شعيب قال لم ينسخ من المائدة شي عو قال الشعبي

الاهذه الآية يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شئاً مما ترك الله ولا السر والاحرام ولا الهدي ولا القلائد
وزاد ابن عباس فان جاؤك فاحكم بينهم واعرض عنهم قال ميسرة ان الله اتزل في هذه السورة
ثمانية عشر حكماً لم ينزلها في غيرها من سور القرآن وهي قوله المنحة قتال قوله اذا حضر احدكم الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا هذه الآية التي افتتح الله تعالى بها هذه السورة الى قوله ان الله يحكم ما يريد
فيها من النبلا خة ما يتقاص عند القوي البشرية مع شمولها الاحكام عدة منها الوفاء بالعقود ومنها
تحليل بجملة الانعام ومنها استثناء ما يستلزم لا يحل ومنها قهر الصيد على الحرم ومنها اباحة
الصيد لمن ليس بحرم وقد حكى النقاش ان اصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له ايها الحكماء اعمل
لنا مثل هذا القرآن فقال نعم اعمل مثل بعضه فاحتجب اياماً كثيرة ثم خرج فقال والله ما اقدر
ولا يطبق هذا احداً في ففتح المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو قد نطق بالوفاء ^{عن} ^{بها}
النكث وحل تحليله عما ثم استثنى بعد استثناء ثم اخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا
يقدر احداً ان يأتي بهذا الوفاء يقال او في ووفى لغتان والوفاء القيام بموجب العقد وكذا لا
بالعقود العمود واصليها الربوط واحد ها عقد قال عقدت الحبل والعهد فهو يستعمل في الاجسام و
المعاني واذا استعمل في المعاني كما هنا افادته شديد الاحكام قوي التوثيق قبل المراتب العقد
هي التي عقدها الله على عباده والزمهم بها من الاحكام وقيل هي العقود التي يعقدونها
بينهم عن عقود المعاملات والامانات ونحوها والاولى شمول الآية للامرين جميعاً ولا وجه
لتخصيص بعضها دون بعض قال الزجاج المعنى او فوا بعقد الله عليكم وبعقدكم بعضهم
على بعض انتهى والعقد الذي يجب الوفاء به ما وافق كتاب الله وسنة رسوله ^{عليه} ^{وسلم}
فان خالفها فهو رد لا يجب الوفاء به ولا يحل قال ابن عباس او فوا بالعقود اي ما احل الله وما حرم
وما فرض وما حذر في القرآن كله لا تغدروا ولا تنكثوا وعن قتادة قال هي عقود ايجاهلية
الحلف وعنه قال ذكر لنا ان نبيا لله صلعم كان يقول او فوا بعقد ايجاهلية ولا تغدروا عقدا
في الاسلام وقال ابن جريح الخطاب لاهل الكتاب اي العقود التي عهدتها اليكم في شان محمد
صلعم والامان به وما بعده وقيل هو خطاب المؤمنين وهذا هو الظاهر والعقود خمس عقود المؤمنين

وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة وزاد بعضهم وعقد الحلف قال
الطبري وأولى الأقوال ما قاله ابن عباس وقد تقدم لأن الله تعالى تبعه بالبيان عما حل
لعبادته وحرّم عليهم فقال أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ الخطاب للذين آمنوا خاصة والبهيمة اسم
لكل ذي أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وإنما
سميت بذلك لأنها من جهة نقص نظرها وفهمها وعقلها ومنه باب مبهم أي مغلق وليل
بهم وبهيمة للشجاع الذي لا يدرى من أين يوقى وحلقة مبهم لا يدرى أين طرفاها قال
الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والأنعام اسم للابل والبق والغنم سميت بذلك لما في مشيها
من اللين وقيل بهيمة الأنعام وحشيتها كالظبا وبقرة الوحش والحمر الوحشية وغير ذلك قاله
الكلبي وحكاها ابن جرير الطبري عن قوم وحكاها غيره عن السدي والربيع وقتادة والضحاك
قال ابن عطية وهذا قول حسن وذلك أن الأنعام هي الثمانية الأزواج وما أنضاف إليها من
سائر الحيوانات يقال له أنعام مجموعة معها وكان المفترس كالأسد وكل ذي ناب خارج عن
حد الأنعام ولا يدخل فيها ذوات الحوافر في قول جميع أهل اللغة فبهيمة الأنعام هي الراعي من
ذوات الأربع وقيل بهيمة الأنعام ما لم يكن صيدا لأن الصيد ^{يسمى} حشيا لا بهيمة وقيل بهيمة الأنعام الأجنة
التي تخرج عند الذبح من بطون الأنعام فهي توكل من دون ذكاة قاله ابن عباس وعلى القول
الأول أعني تخصيص الأنعام بالابل والبق والغنم تكون الأضافة بيانية من إضافة الجنس إلى
أخص منه أو هي بمعنى من لأن البهيمة أعم فأضيف إلى أخص كثوب خز قاله الكوفي الأول
أولى ويلحق بها ما يحل مما هو خارج عنها بالقياس بل وبالنصوص التي في الكتاب والسنة
كقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة الآية وقوله صلى الله عليه وسلم
كل ذي ناب من السبع ومخلب من الطير فإنه يبدل بمفهومه على أن ما عداه حلال وكذلك
سائر النصوص الخاصة بنوع كما في كتب السنة المطهرة إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ تحريمه
استثناء من قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام أي الأمدلول ما يتل عليكم فإنه ليس بحلال والمتلو
هو ما نص الله على تحريمه فحقيقته تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به
لغير الله وذلك عشرة أشياء ماؤها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب قال ابن عباس هذا ما حرم الله

من بهيمة الأنعام ويلحق به ما صرح السنة بغيره وهذا الاستثناء محتمل ان يكون المراد به
الاما يتل عليكم الآن ويحتمل ان يكون المراد به في مستقبل الزمان فيدل على جواز تأخير
البيان عن وقت الحاجة ويحتمل الامرين جميعا غير محل الصيد ذهب البصريون الى ان قوله
الاول استثناء من بهيمة الأنعام وقوله غير محل الصيد استثناء اخر منه ايضا فالاستثناء
جميعا من بهيمة الأنعام والتقدير احلت لكم بهيمة الأنعام اما يتل عليكم الا الصيد وتحر
محرمون وقيل الاستثناء الاول من بهيمة الأنعام والثاني هو من الاستثناء الاول وقد بان هذا
يستلزم اباحة الصيد في حال الاحرام لانه مستثنى من المحظور فيكون مباحا وقيل التقدير
احلت لكم بهيمة الأنعام غير محل الصيد اي الا صيدا في البر وكل صيده ومعنى عدم
احلالهم له تقرير حرمة عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة ونصب غير على المحل
من ضمير لكم وعليه كلام الجمهور وذهب اليه الزمخشري وتعقب واجب ومعنى هذا ^{لتقيد}
اي وانكم حرم ظاهر عند من يخص بهيمة الأنعام بالحيوانات الوحشية البرية التي يحل
اكلها كانه قال احل لكم صيد البر في حال الاحرام واما على قول من يجعل الاضافة بيانية
فالمعنى احلت لكم بهيمة هي الأنعام حال تحريم الصيد عليكم بدخولكم في الاحرام لكونكم محرمين
الى ذلك فيكون المراد بهذا التقيد الامتنان عليهم بتقليل ما عدا ما هو محرم عليهم في تلك
الحال والمراد بالحرم من هو محرم بالحج والعمرة او بهما وسمي محرم لكونه يحرر عليه الصيد والطيب
والنساء وهكذا وجه تسمية الحرم حرم والاحرام احراما ان الله يحكمكم ما يريد من الاحكام
الخالفة لما كانت العرب تعتاده فهو مالك لكل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب حكمه
ولا اعتراض عليه لا ما يقوله المعتزلة من مراعاة المصالح قاله ابو حيان يائيها الذين
اصنوا الاثنا عشر اشعارا لله الشعائر جمع شعيرة على وزن فعيلة قال ابن فارس ويقال للواحدة
شعارة وهو احسن ومنه الاشعار الهدى والمشاعر المعالم واحد ما شعر وهي المواضع التي
قد اشعرت بالعلامات قيل المراد بها جميع مناسك الحج وقيل الصفا والمروة والهدي
والبدن والمعنى على هذين القولين لا تخلوا هذه الامور بان يقع منكم الاخلال بشيء منها
او بان تخلوا بينها وبين من اراد فعلها ذكر سبحانه النهي عن ان يخلوا اشعار الله عقب ذكره

فخرهم سيد المحرم واشعار الهدى ان يطعن في صحة سنام البعير جديدة حتى يسيل دمه فيكون
 ذلك علامة هدي وهو سنة في الابل والبقرون الغنم ويدل عليه احاديث صحيحة في كتب
 السنة المطهرة وقيل المراد بالشعائر هنا فرائض الله ومنه ومن يعظم شعائره وقيل هو حرمته
 الله وقال ابن عباس هي ان تصيد وانت محرم وقيل شوائع الله ومعالم دينه ولا مانع من حمل
 ذلك على الجميع اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا بما يدل عليه السياق ولا الشهر الحرام
 المراد به المحسن فيدخل في ذلك جميع الاشهر الحرم وهي اربعة ذوالقعدة وذو الحجة ومحرم
 ورجب لا تخلوها بالقتال فيها وقيل المراد به هنا شهر الحج فقط وقيل ذوالقعدة وقيل رجب
 ذكرهما ابن جرير والاول اولى ولا الهدي هو ما يهدي الى بيت الله من ناقة او بقرة او شاة
 الواحدة هدية فها هم سبحانه عن ان يجلوا حرمة الهدى بان يأخذوه على صاحبه او يجلوا
 بينه وبين المكان الذي يهدي اليه وعطف الهدى على الشعائر مع دخوله تحتها لقصد التنبيه
 على مزيد خصوصيته والتشديد في شأنه ولا القلائد جمع قلادة وهي ما تقلد به الهدى
 من نعل او نحوه وما تشد في عنق البعير وغيره واحلالها بان تؤخذ غصبا وفي النبي عن احلال
 القلائد تأكيد للنهي عن احلال الهدى وقيل المراد بالقلائد المقلدات بها ويكون عطف على
 الهدى لزيادة التوصية بالهدى والاول اولى وقيل المراد بالقلائد ما كان الناس يتقلدونه
 امانة لهم فهو على حذف مضاف اي ولا يحملها بالقلائد وقيل اراد بالقلائد نفس القلائد
 فهو نهي عن اخذها شجر الحرم حتى يتقلد به طلبا لامر قاله مجاهد وعطاء وغيرهما ولا آمين
 البيت الحرام اي قاصديه من قولهم تمت كذا اي قصده والمعنى لا تمتعوا من قصد البيت
 الحرام الحج او عمرة او يسكن فيه وقيل لا تخلوا قتال قوم واذا قوم امين وقال ابن عباس سبب
 نزول هذه الآية ان المشركين كانوا يحجون ويعتقرون ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر
 ويخرجون في جهنم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فتزل هذه الآية الى اخرها فيكون ذلك منسوخا
 بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله لا
 يجزى بعد العام مشرك به قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقادة واكثر المفسرين وقال قوم
 الآية محكمة وهي في المسلمين قال الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة

وان هذه محكمة وقال آخرون لم ينفخ من ذلك شيء سوى القلاقل التي كانت في الجاهلية يتقلاقل
من حياء شجر الحرم والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نفي هذه الآية لاجتماع العلماء على ان الله
تعالى قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على منع من قصد
البيت شجر احمره من المشركين والله اعلم بالصواب فمن كان من رضى الله تعالى عنه قال جمهور المفتون
معناه يعنون الفضل للزينة والاباح في التجارة ويتفقون مع ذلك رضوان الله تعالى قيل كان منهم من يطلب التجارة منهم
من يغني بحجر رضوان الله فيكون هذا ابتغاء للرضوان بحسب اعتقادهم في ظنهم عند من جعل الآية للمشركين قيل المراد باللفظ
هذا التوابع في التجارة واذا اكلتم فاصطادوا هذا الصريح بما افاده فهو ثم حرم اكل الصيد بعد ان حرم
نزول السبب الذي حرم لاجله وهو الاحرام ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانكثروا
في الارض والامر لا باحة لان الله حرم ذلك في الحرم حاله الاحرام بقوله غيره على الصيد
وانتم حرموا وابطاحه اذا حل من احرامه بقوله واذا حلتم فاصطادوا وانما قلنا امرنا باحة لانه
ليس بواجب على الحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد وقرئ احلتم وهي لغته في حل يقال احل
من احرامه كما يقال حل ولا خير منكم فحل هذا النهي فان الذين صد المسلمون عن دخول مكة
كانوا كاهن احرابين فكيف ينهى عن التعرض لهم وعن مقاتلتهم فلا يظهروا لان هذا النهي نسخ
ولم ار من نبه عليه او يقال ان النهي عن التعرض لهم من حين عقد الصلح الذي وقع في احد
نفسه صار وامر منين ونج فلا يجوز التعرض لهم ولم ار من نبه على هذا ايضا قال ابن فادس
جزم واجرم ولا حرم بمعنى قولك لا بد ولا محالة واصلاها من جرم اي كسب وقيل المعنى لا يحلنكم
قاله الكسائي وتعلب وهو يتعدى الى مفعولين يقال جرمني كذا على بغضك اي حطلي عليه
وقال ابو عبيدة والغرام المعنى لا يكسبنكم بغضكم ان تعتدوا الحق الى الباطل والعدل الى الجور
والجرمة والجارم بمعنى الكاسب والمعنى في الآية لا يحلنكم بغض قوم على الاعتداء عليهم
ولا يكسبنكم بغضهم اعتداءكم الحق الى الباطل ويقال جرم بجرم جرما اذا قطع قال علي
بن عيسى الروماني وهو كالمصل فجرم بمعنى حمل على الشيء لقطعه من غيره وجرم بمعنى كسب
لانقطعه الى الكسب وجرم بمعنى حق لان الحق يقطع عليه قال الخليل معنى لاجرم ان لهم النار
لقد حق ان لهم النار وقال الكسائي جرم واجرم لغتان بمعنى واحد اي الكسب وراى ابن مسعود

لا يحرم منكم انتم الياء والمعنى لا يكسبكم ولا يعرف البصريون اجرم وانما يقولون جرم لا غير شتان
 فجمع مصدر مضارع مفعوله لا الى فاعله كما قيل والشتان البغض يقال شنت الرجل اشنوه
 شنا و شنانا كل ذلك اذا بغضته وقد انكر ابو حاتم وابو عبيدة شنان بسكون النون لان المصاح
 انما تأتي في مثل هذا متحركة وخالفها غيرها فقال ليس هذا مصدرا ولكنه اسم فاعل على وزن
 كسلان وغضبان وقيل سماعي يخالف للقياس من وجهين تعدى فعله وكسر عينه لا لا يقرأ
 الا في مفتوحها الا لازم ان صدق وكسر يفتح الهززة مفعول لاجله اي لان صدركم وهي قراءة واصحها
 قراءة الشريفة بكسر الهززة لا يهلكنكم بعضهم ان وقع منهم الصد لكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
 اي على الاعتداء عليهم بالقتل واخذ المال قال النحاس واما ان صدركم بكسران فالعلماء اجمعون
 واحمد بن حنبل والنظر يمنعون القراءة بها لا شيئا منها ان الآية تزلت عام الفتح سنة ثمان وكان المشركون
 صدوا المؤمنين عام الحديبية سنة ست فالصد كان قبل الآية ولما نهاهم عن الاعتداء امرهم
 بالاعتناء على البر والتقوى فقال وَلَوْ اَعْلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى اي ليعن بعضكم بعضا على
 ذلك وهو يشمل كل امر يصدق عليه انه من البر والتقوى كائنا ما كان قيل ان البر والتقوى
 لفتان لمعنى احد وكروا لنا كيد وقال ابن عطية ان البر يتناول الواجب والمندوب والتقوى
 يختص بالواجب وقال الماوردي ان في البر رضى الناس وفي التقوى رضى الله فمن جمع بينهما
 فقد تمت سعادته قال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه ولا تعا وتوا
عَلَى الْاَثَمِ وَالْعُدْوَانِ اي لا يعن بعضكم بعضا على ذلك والاثم كل فعل او قول يوجب ثم فاعله
 او قاتله والعدوان التعدي على الناس بما فيه ظلم فلا يبقى نوع من انواع الموجبات للاثم ولا
 نوع من انواع الظلم للناس الا وهو داخل تحت هذا النهي لصدق هذين النوعين على كل
 ما يوجد فيه معناهما وقيل الاثم هو الكفر والعدوان هو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان
 البدعة والاول اولى اخرج احمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه عن ابصه ان النبي صلى
 قال له البر ما اطمان اليه القلب اطمانت اليه النفس الاثم ما حاك في القلب وتردد في الصد
 وان افتاك الناس واقتولا وخرج ابن ابي شيبة واحمد والبخاري في الادب ومسلم والترمذي
 والحاكم والبيهقي عن النواس بن سمعان قال سألت النبي صلى عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق

والأم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس واخرج احمد وعبد بن حميد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن ابي مامة ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حاك في نفسك فدعه قال فما الايمان قل من ساءتة سيئته وشربه حسنة فهو مؤمن واتقوا الله ان الله شديد العقاب امر سبحانه عباده بالتقوى وتوعد من خالف ما امر به فتركه او خالف ما نهى عنه ففعله ففيه تقدير عظيم ووعد شديد حرمت عليكم هذا شرع في تفصيل المحرمات التي اشار اليها سبحانه بقوله الاما يتل عليكم بالاجمال وحاصل ما ذكر في هذا البيان احد عشر شيئا كلها من قبيل المطعوم الا الاخير وهو الاستقسام بالازلام الميتة المراد البهيمة التي تموت حتف انفها اي اكلها والذم وما هنا من تحريم مطلق الدم مقيد بكونه مسفوحا كما تقدم حلال المطلق على المقيد وقد ورد في السنة تخصيص الميتة بقوله صلى الله عليه وسلم حل لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالحوت والحبار واما الدمان فالكبد والطحال اخرج الشافعي واهل حنابلة والدارقطني والبيهقي وفي اسناده مقال ويقويه حديث هو الطهور ماء واحل ميتته وهو عند احمد واهل السنن وغيرهم وصححه جماعة منهم ابن خزيمة وابن جبان وقد اطل الشوكاني الكلام عليه في شرحه للتلقي وحكم الخبر بغيره كراهة جنس وانما خص اللحم لانه معظم المقصود بالاكل وما اهل لغاير الله به اي ما ذكر على ذبحه او عند ذبحه غير اسم الله تعالى والاهلال دفع الصوت لغيا لله كان يقول باسم اللات والعزى ونحو ذلك فخرمه الله بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ولا حاجة بنا هنا الى تكرير ما قد اسلفناه في سورة البقرة من احكام هذه الاربعة ففيه ما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره والمُخْنَقَةُ هي التي تموت بالخنق وهو حبس النفس سواء كان ذلك بفعلها كان تدخل راسها في جبل او بين عودين او بفعل ادمي او غيره وقد كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها والغرق بينما ان الميتة تموت بسبب احد والمخنقة تموت بسبب الخنق والمؤثومة هي التي تضرب بحجر او عصا حتى تموت من غير تذكية يقال وقذه يقذه وقذا فهو وقيد الوقد شدة الضرب حتى يسترخي ويشرف على الموت وبابه وحد وشاة مؤثومة قتلت بالخشب وفلان وقيداني مثخن ضربا وقد كان اهل

الجاهلية يفعلون ذلك فيضربون الانعام بالخشب لاهتهم حتى تموت ثم يأكلونها قال ابن عبد البر
واختلف العلماء قدما وحديثا في الصيد بالبندق والحجر والمعرض ويعني بالبندق قوس البندق
وبالمعرض السهم الذي لا ريش له او العصا التي راسها محدد قال فمن ذهب الى انه وقيد
لم يجره الا ما ادرك ذكانه على ما روي عن ابن عمر وهو قول مالك وابي حنيفة واصحابه والنور
والشافعي وخالفهم الشافعيون في ذلك قال الاوزاعي في المعراض كله خرق ولم يخرق فقد كان
ابو الدرداء وفضالة بن عبيد وعبد الله بن عمر وعكول لا يرون به باسا قال ابن عبد البر هكذا
ذكر الاوزاعي عن عبد الله بن عمر والمعرف عن ابن عمر ما ذكره مالك عن نافع قال والا اصل
في هذا الباب والذي عليه العمل وفيه الحجة حديث عدي بن حاتم وفيه ما اصاب بعرضه
فلا تأكل فانه وقيد انتهى قلت والحديث في الصحيحين وغيرهما عن عدي قال قلت يا رسول الله
اني ارمي بالمعرض الصيد فاصيب فقال اذ ارميت بالمعرض فخرق فكله وان اصاب بعرضه فكله
هو وقيد فلا تأكله فقد اعتبر صلح الخرق وعدمه فالحق انه لا يحل الا ما خرق لا ما صدم فلا بد
من التذكية قبل الموت والا كان وقيد اقال الشوكاني واما البناء للمعروفه لان وهي بناء دق
الحديد التي يجعل فيها البارود والرصاص ويرمي بها فلم يتمكن عليها اهل العلم لتأخر حدوها فكلها
لم تصل اليه الديار اليمنية الا في المائة العاشرة من الهجرة وقد سألني جماعة من اهل العلم عن
الصيد بها اخامات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حيا والذي يظن ان له حلال لانها
خرقت وتدخل في الغالب من جانب منه وتخرج من الجانب الآخر وقد قال صلح في الحديث العج
السابق اذ ارميت بالمعرض فخرق فكله فاعتبر الخرق في تحليل الصيد انتهى المتركية هي التي
تردى من علوكا لسطح والجبل ونحوها الى سفلى فتوت من غير فرق بين ان تردى من جبل
او بئر او مدفن او غيرها والتردي ما خوذ من الرود او هو الهلاك وسواء تردت بنفسها
او رذاها غيرها والنطيحة هي فعيلة بمعنى مفعولة وهي التي تنطجها اخرى فتوت من دون
تذكية وقال قوم انها فعيلة بمعنى فاعلة لان الدابتين تنطجان فتموتان وقال نطيحة
فلم يقل نطيم مع انه قياس فعيل لان لزوم الحذف ومختص ما كان من هذا الباب بصفة لموصوفه
فان لم يذكر ثبت التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وفي لقاموس نطيم كمنعة وضربه اصاب يقربه

وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ أَي مَا افترسه منه ذنوب كالأسد والنمر والذئب والفهد والضبع ونحوها
والمراد هنا ما أكل بعضه السبع لا يأكله السبع كله قد فني فلا حكم له وإنما الحكم لما بقي منه والسبع
اسم يقع على كل حيوان لا يأكله الإنسان والدواب فيقترب بنابه ومن العرب من يخص
اسم السبع بالأسد وكانت العرب إذا أكل السبع شاة ثم خلصوها منه أكلوها وإن ماتت لم يذكرها
إلا ما ذكرتم استثناء متصل عند الجمهور وهو راجع على ما أدركت ذكاته من المذكورات
سابقاً وفيه حياة وبه قال علي بن أبي طالب وابن عباس وأحسن وقتادة وقال المديون وهو
المشهور من مذهب مالك وهو أحد قولي الشافعي أنه إذا بلغ السبع منها إلى ما لا حياة معه فأما
لا توكل وحكامه في المؤطا عن زيد بن ثابت واليه ذهب اسمعيل القاضي فيكون الاستثناء ^{على}
هذا منقطعاً أي حرمت عليكم هذه الأشياء لكن ما ذكيت فهو الذي يحل ولا يجرم قال الكلبي
هذا استثناء عما أكل السبع خاصة ولا أول وأولى والذكاة في كلام العرب الذبح قاله قطيب
وغیره واصل الذكاة في اللغة التمام أي تمام استحكال القوة والذكاء حدة انقلب سرعة الفطنة
والذكوة ما تذك منه النار ومنه أخذت الحرب والنار وأوقدها وذكر اسمه الشمس والمراد هنا الأما
أدركتم ذكاته على التمام والتذكية في الشرع عبارة عن إنبال الدم وفري الأوجاج في الذبوح والنحر
في المنحر والعقر في غير المقدور ومقرناً بقصدسه وذكر اسمه عليه وأما الآلة التي يقع بها الذكاة
فذهب الجمهور إلى أن كل ما أنهر الدم وفري لأوجاج فهو آلة للذكاة ما خلا السن والعظم وبهذا
جاءت الأحاديث الصحيحة وأما كيفية أدراكها فقال أهل العلم من المفسرين إن أدركت حياته بأن
توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز وقيل إذا طرفت عينها أو ركضت برجلها أو تحركت فأنشأ
فهو حلال وذهب بعض أهل العلم إلى أن السبع إذا جرح الحشوة أو قطع الجوف قطعاً يؤثّر معه
من الحياة فلا ذكاة وإن كان به حركة ورمق لأنه صار إلى حالة لا يؤثر فيها الذبح وهو مذهب مالك
واختاره الزجاج وابن الأنباري وحرم ما خرج على النصب أي ما قصد بذبحه النصب ولم يذكرها
عند ذبحه بل قصد تعظيمها بذبحه فعلى معنى اللام فليس هذا مكرراً مع ما سبق أخذك فيما ذكر عند
ذبحه اسم الصنم وهذا فيما قصد بذبحه تعظيم الصنم من غير ذكره وقال ابن فارس النصب
كان ينصب فيعيد وتصب عليه دماء الذبايح والنصاب حجارة تنصب حوالي شفير البئر فتجعل

عضائهم وقيل النصب جمع واحده نصب كجاروسم وقرأ الجحدري كاجل واجل والجمع انصا كاجل
والاجل قال جاهد هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون
حجر منصوبة قال ابن عباس هن الاصنام المنصوبة قال ابن جرير كانت العرب تذبح بمكة وتنضح
بالدم ما قبل من البيت ويسرحون اللحم ويضعونه على الحجارة فلما جاء الاسلام قال المسلمون
للنبي صلى الله عليه وسلم نحن احق ان نعظم هذا البيت بهذه الافعال فانزل الله وما ذبح على النصب والمعنى
والنية بذلك تعظيم النصب لان الذبح عليهما غير جائز ولهذا قيل ان على بمعنى اللام اي
لاجلها قاله قطرب هو على هذا داخل فيما اهل به لغيره وخص بالذكر تأكيد تحريمه ولرفع
ما كانوا يظنون من ان ذلك لتشريف البيت وتعظيمه وان تستقسموا بالاذكار كما هو وهي قروح
الميسر واحد هانم والاذلام للعرب ثلثة انواع احدها مكتوب فيه افعل والاخر مكتوب فيه
لا تفعل والثالث محمل لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه فاذا اراد فعل شيء ادخل يده وهي
متشابهة فاخرج واحدا منها فان خرج الاول فعل ما عزم عليه ان خرج الثاني تركه وان خرج
الثالث اعاد الضرب حتى يخرج واحدا من الاولين وانما قيل لهذا الفعل استقسام لانهم كانوا
يستقسمون به الرزق وما يريدون فعله كما يقال استسقى اي استدعى السقي فالاستقسام
طلب القسم والنصيب والحكم من القدر وجملة قداح الميسر عشرة وكانوا يضربون بها في المقامرة
وقيل ان الازلام كعاب فارس والروم التي يتقمارون بها وقيل هي الرد وقيل الشطرنج وانما حكم
الله الاستقسام بالازلام لانه تعرض لدعوى علم الغيب ضرب من الكهانة قال الزجاج لا فرق
بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج لطوع نجم كذا وانكر ذلك في شرح
التاويلات بما لا يسمي ولا يعني من جوع ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام خاصة والى جميع
الحجومات المذكورة هنا فسق لانه وان اشبه القرعة فهو دخول في علم الغيب ذلك حرام لقوله
تعالى وما تدرى نفس ما اكتسب خدا وقال لا يعلمون في السموات والارض الغيب الا الله الفسق
الخروج من الحد وقد تقدم بيان معناه وفي هذا وعيد شديد لان الفسق هو اشد الكفر لانه ما
عليه اصطلاح قوم من انه منزلة متوسطة بين الايمان والكفر اليوم ليس الذين كفروا من دينكم
الواحد باليوم الذي نزلت فيه الآية وهو يوم فتح مكة ثمان بقين من رمضان سنة تسع فقل سنكون

وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فترلت هذه الآية والنبي صلّم واقف بعرفة وقيل المراد باليوم
الحاضر وما يتصل به ولم يرد يوما معينا اي حصل لهم الياس من ابطال امر دينكم وان حرم
احد منهم كما كانوا يعمون الياس انقطاع لرجاء وهو ضد الطمع فلا تخشونهم اي لا تخافوا الكفار لان غلبوا
او بطلوا دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم واخشون فاننا القادر على كل شيء ان نصركم
فلا غالب لكم وانخذلتكم لم يستطع غيرنا ان ينصركم اليوم المراد يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد
العصر في حجة الوداع هكذا ثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب وقيل نزلت في يوم الحج الاكبر
وقال ابن عباس ترلت في يوم عرفة وعرفة اخر حجة الترمذي وقال الحسن عيسى اتممت
لكم دينكم اي جعلته كاملا غير محتاج الى اكمال لظهوره على الاديان كلها وغلته لها وكال
احكامه التي يحتاج مسلمون اليها من الاحلال والحرام والمشتبه والفرائض والسنن والحدود
والاحكام وما تضمنه الكتاب السنة من ذلك ولا يخفى ما يستفاد من تقدير قوله لكم قال
الجهول المراد بالاكمال هنا نزول معظم الفرائض والتحليل والتحريم قالوا وقد نزل بعد ذلك
قرآن كثير كاية الربا واية الكلاله ونحوهما وقيل لم ينزل بعد هذه الآية حلال الاحرام
ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معناه اي
حيث لم ينج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلّم والمسلمين وقيل اكماله انه لا ينزل
ولا ينسخ ويبقى الى اخر الدهر وقيل المعنى انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا الفير هذه
الامة وقال ابن النباري اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت
وهذه اقوال ضعيفة ولا معنى للاكمال الاوفاء النصوص بما يحتاج اليه الشرع اما بالنص على كل
فرد او باندراج ما يحتاج اليه تحت العمومات الشاملة وما يؤيد ذلك قوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وقوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقد صح عنه صلّم انه قال تركتكم
على الواضحة ليلها كنهارها وجاءت نصوص الكتاب العزيز باكمال الدين وبما يفيد هذا المعنى
ويصح دلالته ويؤيد برهانه ويكفي في دفع الرأي وانه ليس من الدين قول الله تعالى هذا فانه اذا
كان لله قد اكمل دينه قبل ان يقبض اليه نبيه صلّم فما هذا الرأي الذي احدثه اهل بعد ان اكمل الله
دينه لانه ان كان من الدين في اعتقادهم فهو لم يكمل عندهم الا برأيهم وهذا فيه رد للقرآن وان

من الدين فأي فائدة في الاشتغال بما ليس منه وما ليس منه فهو مرد بنص السنة المطهرة كما
 ثبت في الصحيح وهذه حجة قاهرة ودليل باهر لا يمكن اهل الرأي ان يدفعوا بدافع ابدافا جعل
 هذه الآية الشريفة اول ما تصك به وجوه اهل الرأي وترغم به انافهم وتدحض به حججهم
 فقد اخبرنا الله في محكم كتابه انه اكل دينه ولم يمت رسول الله صلعم الا بعد ان اخبرنا بهذا الخبر
 عن الله عز وجل فمن جاء بشيء من عند نفسه وزعم انه من ديننا قلنا له ان الله اصدق منك
 ومن اصدق من الله قبيلا اذهب لاحاجة لنا في رأيك وليت المقلدة فهو هذه الآية حق الفهم
 حتى ليست بها ويرجوا وقد اخبرنا في محكم كتابه ان القرآن احاط بكل شيء فقال ما فرطنا في الكتاب
 من شيء وقال تبيان لكل شيء وهدى ورحمة ثم امر عباده بالحكم بكتابه فقال وان احكم بينهم
 بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم وقال لتحكم بين الناس بما اركب الله وقال ان احكمكم الله يقص
 الحق وهو خير الفاصلين وقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وفي آية هم الظالمون
 وفي اخرى هم الفاسقون وامر عباده ايضا في محكم كتابه باتباع ما جاء برسوله صلعم فقال ما اتاكم
 الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذه اعم آية في القرآن وابينها في الاخذ بالسنة المطهرة
 وقال اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقد تكرر هذا في مواضع من الكتاب العزيز وقال انما كان قول
 المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وقال لقد كان لكم في رسول الله
 اسوة حسنة والاسكتار من الاستدلال على وجوب طاعة الله وطاعة رسوله لا يأتي بعبادة ولا فائدة
 زائدة فليس احد من المسلمين يغالي في ذلك ومن انكره فهو خارج عن حزب المسلمين وانما اوردنا هذه
 الايات الكريمة والبيانات العظيمة تليين القلب المقلد الذي قد جحد وصار كالجملد فانه اذا سمع مثل
 هذه الاوامر القرائية ربما امتثلها واخذ دينه من كتاب الله وسنة رسوله صلعم طاعة لا امر
 فان هذه الطاعة وان كانت معلومة لكل مسلم لكن الانسان قديس هل عن القوارع الفرقانية
 والزواج المحمدية فاذا ذكرها ذكر ولا سيما من شأ على التقليد وادرك سلفه ثابتين عليه غير
 مترشحين عنه فانه يقع في قلبه ان دين الاسلام هو هذا الذي هو عليه وما كان مخالف
 له فليس من الاسلام في شيء فاذا رجع نفسه رجع ولهذا تجد الرجل اذا نشأ على مذهب من هذه
 المذاهب ثم سمع قبل ان يتعمق بالعلم ويعرف ما قاله الناس خلاف ذلك المألوف استنكرة اياه

قلبه ونفر عنه طبعه وقد رأينا وسمعنا من هذا الجنس ما يأتي عليه المحصر ولكن اذا وازن العاقل بعقله بين من اتبع احدا من المذاهب في مسألة من مسائل التي رواها عنه المقلد ولا مستند لذلك العالم فيها بل قالها بحض الرأي لعدم وقوفه على الدليل وبين من تمسك في تلك المسئلة بخصوصها بالدليل الثابت في القرآن او السنة افادة العقل بان بينهما مسافات تنقطع فيها اعتناق الابل لاجماع بينهما لان من تمسك بالدليل اخذ بما اوجب الله عليه الاخذ به واتبع ما شرعه الشارع بجميع الامة اولها واخرها وحيها وميتها والعالم يمكنه الوقوف على الدليل من دون ان يرجع الى غيره والحاكم هل يمكنه الوقوف على الدليل بسؤال علماء الشريعة واستروا النص وكيف حكم الله فيكم كتابه او على لسان رسوله في تلك المسئلة فيفيد منه النص ان كان من يعقل الحق اذ ادل عليها او يفيد منه مضمون النص بالتعبير بعبارة يفهمها فهم رواية وهو مستر و هذا حامل بالرواية لا بالرأي والمقلد حامل بالرأي لا بالرواية لانه يقبل قول الغير من دون ان يطالبه بحجة وذلك في سؤاله يطالب بالحجة لا بالرأي فهو قابل لرواية الغير لا لروايه وهما من هذه الحيثية متقابلان فانظر كيف الفرق بين المترتين الكلام في ذلك يطول ويستدعي استغراق الاوراق الكثيرة وهو مبسوط في موطنه وفيما ذكرناه مقنع وبلاغ وبالله التوفيق وفي الآية دلالة على بطلان القياس وعلى انه تعالى قد نص على الحكم في جميع الوقائع اذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملا واذا حصل النص في جميع الوقائع فالقياس ان كان على فوطك النص ان عشنا وان كان على خلافه كان باطلا وقد اجاب مثبتوا القياس عن هذا بما لا يكفي في الجواب الله اعلم بالصواب اتممت عليكم نعمتي بكمال الدين المشتمل على الاحكام وبفتح مكة وقهر الكفار واياهم عن الظهور عليكم كما وعدكم بقولي ولا تم نغية عليكم وقال ابن عباس حكمهم بدخول الجنة ورضيت لكم الاسلام ديناً اي اخبرتمكم برضائي بكم فاحملوا مستأنفا لا معطوفة على اكملت والا كان معنوم ذلك انه لم يرض لهم الاسلام ديناً قبل ذلك وليس كذلك فانه سبحانه لم يزل راضيا لامة نبيه صلما بالاسلام فلا يكون لاختصاص الرضا بهذا اليوم كناية فائدة ان حملناه على ظاهرة ويحمل ان يريد رضيت لكم الاسلام الذي اتمم عليه اليوم ديناً باقيا لا انقضاء ايام الدنيا وديننا منتصب على التمييز وهو ان يكون مفعولاً ثانياً قال ابن عباس اخبر الله نبيه في

انه احل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة ابداء وقدايمه فلا ينقص ابداء وقد رضية فلا يخطئ
 ابداء واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن طارق بن شهاب قال قالت اليهود لعمر انكم تقرؤن آية في
 كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال واي آية قالوا اليوم اكملت لكم دينكم
 قال عمر والله اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها نزلت
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفت في يوم الجمعة اشأ عمر ان ذلك اليوم يوم عيد لنا قال ابن عباس فكش
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية احد او ثمانين يوماً ثم قبضه الله اليه اخرج البيهقي ومات
 صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احد عشرة
 من الهجرة قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم الجمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد
 للنصارى وعيد للمجوس ولم يتجمع اعياد اهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده فمن اضطر في خصية
 هذا متصل بذكر الحرمات وما بينهما اعتراض اي من دعت الضرورة فيخصه في جماعة
 الاكل الميتة وما بعد ما من الحرمات والخص ضرور البطن ورجل خيصر وخصان وامرأة خبيصة
 ومنه اخص القدم لذقتها وهي صفة حمودة في النساء ويستعمل كثير في الجوع ودقت هذه الآية
 هنا وفي البقرة والانعام والمخل ولم يذكر جواب الشرط الا في البقرة فيقدر في غيرها
 وهو فلاثم عليه غير متجانف لا ثم الجحف الليل ولا ثم الحرام اي حال كون المضطر في خصية غير
 ما تل لا ثم وهو معنى غير باغ ولا عا د وكل ما تل فهو متجانف وجنف وقرى متجنف وهو ان
 ياكل فوق الشيع هو قول فقهاء العراق قال ابن عطية وهو ابلغ من متجانف وقيل المعنى غير متعر
 لمعصية في خصية وهو قول فقهاء الحجاز وقال ابن عباس غير متحل لا ثم فان الله عفو رحيم
 رحيم به لا يؤخذ بما اجأته اليه الضرورة في الجوع مع عدم ميله باكل ما حرم عليه الا ان
 بان يكون باغياً على غيره او متعلداً لما دعت اليه الضرورة حسبما تقدم وهذه الآية
 من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها ومن قوله ذلك فسق
 الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره في معنى التحريم لان تحريم
 هذه الخبائث من جملة الدين الكامل يسألونك ما اذا حل لهم هذا شرع في بيان ما حل
 الله لهم من الطعام بعد بيان ما حرمه الله عليهم والمعنى اي شيء حل لهم وما الذي احل لهم

من المطعم اجمالا ومن الصيد ومن طعام اهل الكتاب ومن نسائهم قل اهل لكرم الطيبات هي
ما يستلزا كلة ويستطبه اصحاب الطباع السليمة مما احله الله لعباده او عالمين من نص تحريمه
من كتاب او سنة او اجماع عند من يقول بحجية لاقياس كذلك وقيل هي احلال وقد سبق الكلام
في هذا وقيل الطيبات الذبايح اي ما ذبح على اسم الله عز وجل لانها طابت بالتزكية وهو تخصيص
للعام بغير محض والسبب والسياق لا يصلح ان لذلك والعبرة في الاستطابة والاستلزا ذبا
المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيعون كل جميع الحيوانات فلا
عبرة بهم لقوله تعالى ويجعل لهم الطيبات ويجعل عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فثبت
هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويجرم من الاطعمة وما علمتم من الجوارح اي احل لكم صيدها علمتم
وقرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام اي علمتم من امر الجوارح والصيد بها
قال القرطبي وقد ذكر بعض من صنف في احكام القرآن ان الآية تدل على ان الاباحة تناولت ما
علمنا من الجوارح وهو ينظم الكلب وسائر جوارح الطير وذلك بوجوب اباحة سائر جوارح الا
نزل على جوارح بيع الكلب والجوارح والانتفاع بها بسائر وجوه المنافع الا ما خصه الدليل وهو
الاكل والجوارح الكواسب من الكلاب وسباع الطير قال اجمعت الامة على ان الكلب اذا لم
يكن اسود وعلمه مسلم ولم يأكل من صيده الذي ضاده واثر فيه يجرح او تنيب وصاح به
مسلم وذكر اسم الله عند ارساله ان صيده صحيح يוכל بالاخلاق فان اخبر بشرط من هذه
الشروط دخل اخلاف فان كان الذي يصاد به غير كلب كالفهد وما اشبه ذلك وكالباز
والصقر ونحوهما من الطير فجمهور الامة على ان كل ما صاد بعد التعليم فهو جرح كاسب يقال
جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه اجترحة لانها يكتسب بها ومنه اجترح السيئات ومنه
قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار وقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات مكيلين المكمل
الكلاب لكيفية الاصداد وحص معلم الكلاب وان كان معلم سائر الجوارح مثله لان الاصداد
بالكلاب هو الغالب علم يكتف بقوله وما علمتم من الجوارح مع ان التكليب هو في اللغة التعليم
لقصد التاكيد لما لا بد منه من التعليم وقسره في اجمالين بالارسال فليتأمل مستندة في هذا
التفسير والتفسير فسرته بالتعليم وقيل ان السبع يسمى كلبا فيدخل كل سبع يصاد به وقيل ان

هذه الآية خاصة بالكلاب وقد حكى ابن المنذر عن ابن عمر انه قال ما يصاد بالبراة وغيرها
من الطير فما ادركت ذكاته فهو للحلال ولا فلا تطعمه قال بن المنذر وسئل ابو جعفر عن البائر
هل يحل صيده قال لا الا ان تدرك ذكاته وقال الضحاك والسدوسي علمتم من الجوارح مكبلين هي الكلاب
خاصة فان كان الكلب الاسود يحمي فكره صيده الحسن وقتادة والنخعي وقال احمد ما اعرف احدا
يرخص فيه اذا كان يحمي وبه قال بن راهويه فاما عامة اهل العلم بالمدينة والكوفة فيرون جواز
صيد كل كلب معلم واجتمع من منع من صيد الكلب الاسود بقوله صل الله على الكلب الاسود شيطان اخرجه
وغیره الخ لانه يحل صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين الكلب غيره وبين الاسود وغيره وبين الطير
وغیره ويؤيد هذا ان سبب نزول الآية سؤال عدي بن حاتم عن صيد البازي ^{تعلقه} اي تعلقون الجوارح الاصطبا
وتؤدبوهن والحيلة مستأنفة او حالية ومنعه بولبقا واعتراضية فاما اي من اداب الصيد ^{عليكم الله} اي ادبكم
بما خلقه فيكم من العقل الذي يقتضون به تعليمها وتدريبها حتى تصير قابلة لامساك الصيد عند ارسالكم لها فكلوا مما
امسكن عليكم الفاء للتفريع والجملة متفرعة على ما تقدم من تحليل صيد ما علموه من الجوارح
ومن في ما للتبعض لان بعض الصيد لا يוכל كالجمل والعظم والدم والغرث وما اكله الكلب من غيره
وفيه دليل على انه لا بد ان يمسكه على صاحبه فان اكل منه فاما امسكه على نفسه كما في
الحديث الثابت في الصحيح وقد ذهب الجمهور الى انه لا يحل اكل الصيد الذي يقصده الجارح من
تلقاء نفسه من غير ارسال وقال عطاء بن ابي رباح والا وراعي وهو مروي عن سلمان الفارسي
وسعد بن ابي وقاص ابي هريرة وعبد الله بن عمرو وروي عن علي بن ابي عباس والحسن البصري
والزهري وربيعة بن مالك الشافعي في القديم انه يוכל صيده ويرد عليهم قوله تعالى مما امسك
عليكم وقوله صل الله على من يبرح ^{تم} اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما
امسك عليك وهو في الصحيحين وغيرها وفي لفظها فان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون
امسك على نفسه واما ما اخرجه ابو داود باسناد جيد من حديث ابي ثعلبة قال قال رسول الله
صل الله على من ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل وان لكل منه وقد اخرجه ايضا باسناد جيد
من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده واخرجه ايضا النسائي فقد جمع بعض المشافعية
بين هذه الاحاديث بانها ان اكل عقب ما امسكه فانه يجرم كحديث عدي بن حاتم وان

امسكتم انتظر صاحبه فطال عليه الانتظار وجاع فاكل من الصيد بحجوه لا يكونه امسكه على
 نفسه فانه لا يؤثر ذلك ولا يحرم به الصيد وحملوا على ذلك حديث ابي ثعلبة الخشني وحديث
 عمرو بن شعيب وهذا جمع حسن وقال اخرون انه اذا اكل الكلب منه حرم كحديث عدي
 بن حاتم وان اكل غيره لم يحرم للحديثين الاخيرين وقيل يحل حديث ابي ثعلبة على ما اذا
 وخلاه ثم عاد فاكل منه وقد سلك كثير من اهل العلم طريق الترجيح ولم يسلكوا طريق الجمع لما فيه
 من البعد قالوا وحديث عدي بن حاتم ارجح لكونه في الصحيحين وقد قرر الشوكاني هذا المسك
 في شرحه للنتقي بما يزيد الناظر فيه بصيرة وأذكروا اسم الله عليه الضمير في عليه يعود الى
 ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن عليكم اي سموا عليه اذا اتم ذكاته وقيل
 يعود على المصدر المفهوم من الفعل وهو اكل كانه قيل اذكروا اسم الله على اكل وفيه بعد ^{هـ} وقد
 الجمهور الى وجوب التسمية عند ارسال الجارح واستدلوا بهذه الآية ويؤيد حديث عدي بن حاتم
 الثابت في الصحيحين وغيرها بلفظ اذا ارسلت كلبك فاذكر اسم الله واذا رميت بسهمك فاذكر اسم
 الله وقال بعض اهل العلم ان المراد التسمية عند الاكل قال القرطبي وهو الاظهر واستدلوا بأحد ^{بـ}
 التي فيها الارشاد الى التسمية وهذا خطأ فان النبي صلى الله عليه وسلم قد وقت التسمية بارسال الكلب وارسال
 السهم ومشروعية التسمية عند الاكل حكم اخر ومسئلة غير هذه المسئلة فلا وجه لحمل ما ورد
 في الكتاب والسنة هنا على ما ورد في التسمية عند الاكل ولا يلجئ الى ذلك وفي لفظ ^{لصحي} من
 حديث عدي ان ارسلت كلبك وسعيت فاخذ فكل وقد ذهب جماعة الى ان التسمية شرط ^{هـ}
 اخرون الى انها سنة فقط وذهب جماعة الى انها شرط على الذاكر لا الناسي وهذا اقوى الاقوال
 واجمعها وأتقوا الله فيما احل لكم وحرم عليكم واحذروا مخالفة امره في هذا كله ان الله سبحانه
 يحاسب ابي حاسبه سبحانه سريعا اتيانا وكل ات قريب وفيه تخويف لمن خالف مرة وفعل ما نهى
 عنه اليوم احل لكم الطيبات هذه الجملة مؤكدة للجملة الاولى وهي قوله احل لكم الطيبات قد
 تقدم بيان الطيبات ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي انزلت فيه او اليوم الذي تقدم ذكره في
 قوله اليوم يئس واليوم احملت وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقال ابو السعود المراد بالايام ^{ثـ} الثلاثة
 وقت واحد وانما كره التاكيد لاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره وقال القرطبي اعاد

ذكر اليوم تأكيداً وقيل أشار بذكر اليوم إلى وقت محمد كما تقول هذه أيام فلان أي هذا أو أن يكون
 انتهى وفيه بعد وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم بخلاف الذين تمسكوا بغير التوراة ولا يجوز
 كصنف إبراهيم فلا تحل ذبائحهم والحاصل أن حل الذبيحة تابع حل المناسك على التفصيل المقرر في الفروع
 والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبايح وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبايح ووجهه أن حازن في
 هذه الآية دليل على أن جميع طعام أهل الكتب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وإن
 كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هذه الآية مخصوصة لعموم قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر
 اسم الله عليه وظاهر هذا أن ذبايح أهل الكتاب حلال وإن ذكر اليهود على ذبيحته اسم عزيز ذكر
 النصراني على ذبيحته اسم المسيح واليه ذهب أبو الدرداء وعباد بن الصامت
 وابن عباس والزهري وربيعه والشعبي ومحول وقال علي وعائشة وابن عمر إذا سمعت الكتابي
 يسمي غير الله فلا تأكل وهو قول طائفة وأحسن وتمسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم
 الله عليه ويدل عليه أيضاً قوله وما أهل به لغير الله وقال مالك أنه يكره ولا يحرم وسئل
 الشعبي وعطاء عنه فقال لا حل فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون فهذا الخلاف إذا
 أن أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم اسم غير الله وأما منع عدم العلم فقد حكى الكيا الطبري وابن
 كثير الإجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد في السنة من أكله صلح من الشاة المصلية التي أهدتها
 إليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جواب الشتم الذي أخذ بعض الصحابة من خير وعلم بذلك
 صلح وهو في الصحيح أيضاً وغير ذلك والمراد بأهل الكتاب هنا اليهود والنصارى وقيل ومن دخل في
 دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي صلح فاما من دخل بعده وهم متنصرون العرب من بني ثعلبة
 فلا تحل ذبيحتهم وبه قال علي ابن مسعود ومذهب الشافعي أن من دخل في دين أهل الكتاب
 بعد نزول القرآن فإنه لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب فقال لا بأس
 بها ثم قرأ ومن يتولهم منكم فإنه منهم وبه قال الحسن وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعكرمة وهو من
 أبي حنيفة وأما الجمهور فذهب الجمهور إلى أنها لا تؤكل ذبائحهم ولا تنحسوا وهم لا يسمون أهل الكتاب
 على المشهور عند أهل العلم وكذا سائر أهل الشرك من مشركي العرب وعبد الأصنام ومن لا كتاب
 له وخالف في ذلك أبو ثور وأبو حنيفة الفقهاء ذلك حتى قال أحمد أبو ثور كاسم في هذه المسئلة وكذا

تسك بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في المجوس سبواهم سنة اهل الكتاب ولم يثبت
 هذا اللفظ وعلى فرض ان له اصلا ففيه زيادة تدفع ما قاله وهي قوله خيرا كل ذي بائعهم ولا
 تاكي نسائهم وقد رواه هذه الزيادة جماعة ممن لا خبرة له بفن الحديث من المفسرين والفقهاء
 ولم يثبت الاصل ولا الزيادة بل الذي ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الخزيرة من مجوس هجر واما
 بنو تلب فكان علي بن ابي طالب يفتي عن ذبايحهم لانهم عرب وكان يقول انهم لم يتسكوا بشي من نصيب
 الاشرار بخير وهكذا سائر العرب المنتصرة كتنوخ وجزام وكهم وعاملة ومن اشبههم قال ابن كثير وروى
 قول غير واحد من السلف والخلف وروى عن سعيد بن المسيب الحسن البصري انهما كانا لا يريان
 باسا بذبيحة نصارى بني تغلب وقال القرطبي قال جمهور الامامة ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء
 كان من بني تغلب ومن غيرهم وكذلك اليهود قال ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى ذكاة ^{الطعام} كما
 يجوزنا كله وزعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبايح اهل الكتاب مطلقا وان ذكر واغري اسم
 الله فيكون هذا ناسخا لقوله ولا تاكلوا مما علم يذكروا اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا وجه للسسخ
 وطعامكم حل لهم أي وطعام المسلمين حلال لاهل الكتاب وفيه دليل على انه يجوز للمسلمين
 ان يطعموا اهل الكتاب من ذبايحهم وهذا من باب المكافاة والمجازاة واخبار المسلمين بان ما تأخذ^ه
 منهم من عواطر الطعام حلال لهم بطريق الدلالة الالتزامية وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا
 قال الزجاج معناه ويجعل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود
 على اطعامنا اياهم لا عليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبايحنا وقيل ان الفائدة
 في ذكر ذلك ان اباحة المناسحة خير حاصلة من الجائزتين واما الذبايح حاصلة فيهما فذكر الله
 ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال والمحصنات من المؤمنات اختلف في تفسير
 المحصنات هنا فقيل العفاف قاله ابن عباس وقيل الحرائر قاله مجاهد وقد تقدم الكلام في
 هذا مستوفى في البقرة والنساء والمحصنات مبتدأ ومن المؤمنات وصف له واخبار محزون
 اي حل لكم وذكرهن توطئة وتفهيد لقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
 والمراد بهن الحرائر قاله ابن عباس ومن الاماء فلا تدخل الامة المؤمنة في هذا القليل ومن اجاز
 انما احسن اجازة بشرطين خوف العنت وعدم طول احرة هكذا قال الجمهور وحكى ابن جرير عن طائفة

من السلف ان هذه الآية تعم كل كتابية جرة او امة وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد
 العفائف قيل المراد باهل الكتاب هنا الاسرائيليات وبه قال الشافعي وهو تخصيص بغير تخصيص
 وقال عبدالله بن عمر لا نقل النصيرية قال ولا علم شركا كبيرا من ان تقول ربها عيسى وقد قال الله
 تعالى ولا تشكوا للمشركات حتى يؤمن الآية ويجاب عنه بان هذه الآية مخصصة للكتابيات من
 عموم المشركات فيدني العام على الخاص وقد استدلل من حرم نكاح الاماء الكتابيات بهذه الآية
 لانه حملها على الحرائر بقوله تعالى فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات وقد ذهب اهل
 كثير من اهل العلم وخالفهم من قال ان الآية تعم واتخص العفائف تقدم والحاصل انه يدخل تحت
 هذه الآية الحرة العفيفة من الكتابيات على جميع الاقوال الا على قول ابن عمر في النصيرية ويدخل
 تحتها الحرة التي ليست بعفيفة والامة العفيفة على قول من يقول انه يجوز استعمال المشترك في
 كلام معنييه واما من لم يجوز ذلك فان حمل المحصنات هنا على الحرائر لم يقل يجوز نكاح الامة
 عفيفة كانت او غير عفيفة الا بدليل اخر ويقول يجوز نكاح الحرة عفيفة كانت او غير عفيفة
 وان حمل المحصنات هنا على العفائف قال يجوز نكاح الحرة العفيفة والامة العفيفة دون غير
 العفيفة منهما ومذهب ابي حنيفة انه يجوز التزويج بالامة الكتابية للعموم هذه الآية اذا
 انكحوا من اجورهن اي مودهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة وحوايا دحلج وناي
 فمن حلال اوهي ظن نكاح المحصنات المقدراي حل لكم وهذا الشرط بيان لا اكمل والاولى
 لا لصحة العقد لا تتوقف على دفع المهر ولا على التزامه كما لا يخفى فُحْصِنَتْنِ اي حال كونكم
 اعفاء بالنكاح وكذا قوله غَيْرَ مُسْكِنَيْنِ اي غير مجاهرين بالزنا ولا مُتَّحِذَيْنِ اخذوا
 يقع على الذكور والانثى وهو الصديق في السر والجمع اخذان اي لم يتخذوا معشوقات فقد شرط
 الله في الرجال العفة وعدم المجاهرة بالزنا وعدم اتخاذ اخدان كما شرط في النساء ان يكن
 محصنات ومن يكفرا لايمان اي بشرائع الاسلام والباء بمعنى عن اي يرتد والمراد بالكفر
 هنا الارتداد فقد حيط على اي بطل فلا يعتد به ولو عاد الى الاسلام ولا يشاك عليه
 وهو في الآخرة من الخاسرين اذ مات عليه يعني ان تزوج المسلمين اياهن ليس بالذي
 يخرجهن من الكفر يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام تعبيرا

بالمسبب عن السبب كما في قوله اذا قرأت القرآن فاستعذ بالله لان القيام متسبب عن الارادة
والارادة سببه والمراد بالقيام الاشتغال بها والتلبس بها من قيام او غيره وقد اختلف اهل
العلم في هذا الامر عند ارادة القيام الى الصلوة فقالت طائفة هو عام في كل قيام اليها
سواء كان قائم متطهرا او محدثا فانه ينبغي له اذا قام الى الصلوة ان يتوضأ وهو مروي
عن علي وعكرمة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلوة وهو ظاهر الآية واليه ذهب
داود الظاهري قال ابن سيرين كان الخلفاء يتوضؤون لكل صلوة وقالت طائفة اخرى ان
هذا الامر خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف فان الخطاب للمؤمنين والامر لهم قالت طائفة
الامر للندب طلبا للفضل وقال الآخرون ان الوضوء لكل صلوة كان فرضا عليهم بهذه الآية
نورسج في فتح مكة وقال جماعة هذا الامر خاص بمن كان محدثا وقال الآخرون المراد اذا قم
النوم الى الصلوة فيعم الخطاب كل قائم من نوم وقد اخرج احمد ومسلم واهل السنن عن بريدة قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلوة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوة
بوضوء واحد فقال له عمر يا رسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر
مروي من طرق كثيرة بالفاظ متفقة في المعنى واخرج البخاري واهل السنن عن عمرو
عمر الانصاري سمعت انس بن مالك يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلوة قال
قلت فانتزعت كيف كنت تصنعون قال كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث فقرر بما ذكر
ان الوضوء لا يجب الا على المحدث وبه قال جمهور اهل العلم وهو الحق وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم يوم اخذ
الربع صلوات بوضوء واحد وفي الباب احاديث والتقديرا اذا قمتم الى الصلوة وانتزعت على غير طهر
وهذا احد اختصاصات القرآن وهو كثير جدا وفروض الوضوء في هذه الآية اربعة الاول قوله
فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ الوجه في اللغة ما خوذ من المواجهة وهو عضو مشتمل على اعضاء وله
طول وعرض فخذ في الطول من مبتدأ سطح الجهة الى منتهى اللحيين وفي العرض من الاذن
الى الاذن وقد ورد الدليل بتجليل الجهة واختلف العلماء في غسل ما استرسل والكلام في
ذلك مبسوط في مواضعه وقد اختلف اهل العلم ايضا هل يعتبر في الغسل بذلك باليد ام
امرار الماء والخلاف في ذلك معروف والمرجع اللغة العربية فان ثبت فيها ان ذلك دخل

في مسمى الغسل كان معتبرا ولا فلا قال في شمس العلوم غسل الشيء غسلا اذا جرى الماء وذلكه
 انتهى واما المضمضة والاستنشاق فاذ لم يكن لفظ الوجه يشمل باطن الفم والانتف فقد ثبت غسلها
 بالسنة الصحيحة والخلاف في الوجوب وعدمه معروف وقد اوضح الشوكاني ما هو الحق في
 مؤلفاته وقد استدلل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وبقوله صلعم انما
 الاعمال بالنيات لان الموضوع ما مور به وكل ما مور به يجب ان يكون منويا ويدل له قوله
 تعالى وما امروا الا لعبد الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الصالحة و
 استدلل ابو حنيفة بها لعدم وجوب النية فيه لان الله اوجب غسل الاربعة في هذه الآية
 ولم يوجب النية فيها فايها زيادة على النص وهي نسخ ولا يجوز نسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس
 والاحواب ان ايجابها بدلالة القرآن كما تقدم والاحواب عن الزيادة والنسخ قد ذكرناه في حصول المأمول
 فليرجع اليه والفرض الثاني قوله وايكم الى المرافق الى للغاية واما كون ما بعدها يدخل فيما قبلها
 فحل خلاف وقد ذهب سيبويه وجماعة الى ان ما بعدها ان كان من نوع ما قبلها دخل والا فلا
 ويعزى لابي العباس وقيل انها بمعنى مع وذهب قوم الى انها تفيد للغاية مطلقا واما الدخول و
 عدمه فامر يدور مع الدليل وقيل ان ما بعدها لا يدخل فيما قبلها قال سليمان الجمل وهو لا يخفى
 عند النجاة انتهى وهذه الاقوال دلائلها في كتاب شرح التسهيل وقد ذهب الجمهور الى ان المرافق
 تغسل واستدلوا بما اخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلعم
 اذا توضأ اذار الماء على مرفقيه وفيه القاسم وهو متروك وجده عبد الله بن عمر ضعيف المرفق
 بالكرس هو من الانسان اعلى الذراع واسفل العضد والفرض الثالث وامسحوا برؤوسكم قيل الباء
 زائدة والمعنى امسحوا رؤوسكم وذلك يقتضي تيميم المسح بجميع الراس وقيل هي للتبويض وذلك يقتضي
 انه يجزي مسح بعضه واستدل القائلون بالتعميم بقوله تعالى في التيمم فامسحوا بوجوهكم ولا يجزي
 مسح بعض الوجه اتفاقا وقيل انها للإصاق اي الصقوا اليكم رؤوسكم وهو مذهب سيبويه وبه
 قال الزعشمي لكن في شرح المذهب عن جماعة من اهل العربية ان الباء اذا دخلت على متعدد كما في
 الآية تكون للتبويض او على غير متعدد كما في ليطوفوا بالبيت تكون للإصاق وعلى كل حال فقد
 في السنة المطهرة ما يفيد انه يكفي مسح بعض الراس كما اوضحناه في مؤلفاتنا فكان هذا دليلا على المطلوب

غير محتمل كاحتمال الآية على فرض انها محتملة ولا شك ان من امر غيره بان يمسح راسه كان
مثلا بفعل ما يصدق عليه مسمى المسح وليس في لغة العرب ما يقتضيه انه لا بد في مثل هذا
الفعل من مسح جميع الراس وهكذا في الأفعال المتعدية نحو ضرب زيد او اطعته او آجبه
فانه يوجد المعنى العربي بوقوع الضرب او الطعن او الرجم على عضو من أعضائه ولا يقول قائل
من اهل اللغة او من هو عالم بها انه لا يكون ضاربا الا بايقاع الضرب على كل جزء من اجزاء
زيد وكذلك الطعن والرجم وسائر الأفعال فاعرف هذا حتى يتبين لك ما هو الصواب من
الأقوال في مسح الراس فان قلت يلزم مثل هذا في غسل الوجه واليدين والرجلين قلت ملزم ولا
البيان من السنة في الوجه والتحديد بالغاية في اليدين والرجلين بخلاف الراس فانه ورد في
السنة مسح الكل ومسح البعض والفرض الرابع قوله وأرجلكم قرأنا في نصوص الأئمة وهي قراءة
الحسن البصري والأعمش وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحزمة بالجر وقراءة النصب تدل على انه يجب غسل
الرجلين لانها معطوفة على الوجه والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم
والأئمة الأربعة واصحابهم وقراءة الجرد تدل على انه يجوز الاقتصار على مسح الرجلين لانها معطوفة
على الراس واليه ذهب ابن جرير الطبري وهو مروي عن ابن عباس قال ابن العربي واتفقت
الامة على وجوب غسلهما وما علمت من رد ذلك الا الطبري من فقهاء المسلمين والرافضة
من غيرهم وتعلق الطبري بقراءة الجرد لان التحريم عليه ضعيف عطفا على الايدي المغسولة
لضعف الجوار من حيث الجملة وايضا فان اخفض على الجوارغا ورد في النعت لا في العطف وقد
ورد في التوكيد قليلا في ضرورة الشعر وقيل لها انما جرت للتنبيه على عدم الاسراف في استعمال
الماء فيها لانها مظنة لصب الماء كثيرا فعطفت على المسح والمراد غسلها واليه ذهب الرافضي
وقيل التقدير وافعلوا بأرجلكم غسلا قال ابو البقاء وحذف حرف الجر وابقاء الجر جاء في قول القائل
قد روي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان قال وكان عكرمة يمسح رجليه
وقال ليس في الرجلين غسل انما ترل فيها المسح وقال عامر الشعبي ترل جبريل بالمسح قال وقال
فتادة افترض الله غسلتين ومسحتين قال وذهب ابن جرير الطبري الى ان فرضهما التخيير
بين الغسل والمسح وجعل القراءة تين كالروايتين وقواه النحاس ولكنه قد ثبت في السنة المطهرة

بالأحاديث الصحيحة من فعله صلوات الله عليه وقوله غسل الرجلين فقط وثبت عنه أنه قال ويل للاعقاب
 من النار وهو في الصحيحين وغيرهما فأفاد وجوب غسل الرجلين وأنه لا يجزئ مسحهما لأن شأن
 المسح أن يصيب ما أصاب ويخطي ما أخطأ فلو كان مجزئاً لما قال ويل للاعقاب من النار وقد
 ثبت عنه أنه قال بعد أن توضأ وغسل رجله هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة إلا به وقد ثبت
 في صحيح مسلم وغيره أن توضأ فترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له ارجع فأحسن وضوءك
 وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اجتمع أصحاب رسول الله صلوات الله عليه على غسل القدمين وأما المسح على الخفين
 فهو ثابت بالأحاديث المتواترة وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن
 جرير الطبري المكلف بخير بين الغسل والمسح والحق هو الأول ويدل عليه فعل النبي صلوات الله عليه
 وعمل أصحابه والتابعين وقوله لَا كَعْبَيْنِ أي معهما كما بينت السنة والكلام فيه كالكلام في قوله
افق وقيل في وجه المرافق وتثنية الكعبين لما كان في كل رجل كعبان والمعنى في كل رجل كعبان أحدهما في كل رجل
 على أن لكل رجل كعبين بخلاف المرافق فانه جمع لأنهما كان في كل يد رفق أحدهما في كل يد رفق أحدهما في كل يد رفق
 وقال الكواشي ثنى الكعبين وجمع المرافق لنفي توهم أن في كل واحدة من الرجلين كعبين وإنما في كل
 واحدة كعب واحد له طرفان من جانبي الرجل بخلاف المرفق فهي بعد عن الوهم انتهى وفي هذه
 الآية دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين والمعنى اغسلوا أرجلكم مع الكعبين والكعبان هما
 العظامان الناتيتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم واليه ذهب جمهور العلماء من أهل اللغة
 والفقه وهاتان العظامان من الساق وبقي من فرائض الوضوء النية والتسمية ولم يذكر في هذه
 الآية بل وردت بهما السنة وقيل إن في هذه الآية ما يدل على النية لأنه لما قال إذا قمتم إلى الصلوة
 فاغسلوا وجوهكم كان تقدير الكلام فاغسلوا وجوهكم لها وذلك هو النية المعتبرة وقد اشترنا
 فيما تقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المفسولة بالراس المسح يفيذ وجوب الترتيب في طهارة
 هذه الأجزاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات وقد
 ورد في صفة الوضوء بوضوئه من الأحاديث الصحيحة الكثير الطيب لا تطول بذكرها هنا وإن كنتم
جنباً فاطهروا أي فاغسلوا بالماء وقد ذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود إلى أن الجنب لا يقيم
 البتة بل يدع الصلوة حتى يجد الماء استدلالاً بهذه الآية وذهب الجمهور إلى وجوب التيمم للجنب

مع عدم الماء وهذه الآية هي الواجد على أن التطهر هو اعم من احاصل بالماء او بما هو عوض عنه
 مع عدمه وهو التراب وقد صح عن عمر وابن مسعود الرجوع الى ما قاله الجمهور للاحاديث الصحيحة
 الواردة في تيمم الحنبل مع عدم الماء وقد تقدم تفسير الحنبل في النساء والمراد بالحنبلية هي
 الحاصلة بدخول حشفة او نزول مني وهذا هو حقيقتها الشرعية وانظر لم يجعلوا شاة للغير
 والنفاس مع انه افيد وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بد أفضل بين
 ثم يفرغ يمينه على شاة فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء ^{تخلل}
 بها اصول شعرة فريصب على اسه ثلث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده ^{وجه} آخر
 الشيخان وَأَن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَسْتُمْ عَلَىٰ الْمَاءِ فَغُتِلْ
تَحْدُ وَأَمَّا فَنَمَسَتْ مَا فِي جَنَابِهَا فَأَسْبَغَتْ يَدَيْهَا وَمِنْهُ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ
 هذا واحكامه في سورة النساء مستوفى ومن في قوله منه لابتداء الغاية وقيل للتبعض
 قيل ووجه تكرير هذا هو استيفاء الكلام في انواع الطهارة وفيه دليل على انه يجب مسح ^{الوجه}
 واليدين بالصعيد وهو التراب وقد اشتملت هذه الآية على سبعة امور كلها مثنى لها تارة
 اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب غير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل
 ومسح باعتبار المحل محدود وغير محدود وان التيمم ما مانع وجامد وموجب ما حدث اصغروا
 اكبر وان المسح للعدل الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة
 قاله البيضاوي مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ اي ما يريد بامركم بالطهارة بالماء وبالتراب
 التضييق عليكم في الدين ومنه قوله تعالى وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ والجعل هنا
 بمعنى الايجاد والخلق ومن مزية فيه او بمعنى التصدير ثم قال وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ
وَأَخْطَا يَا لَانَ الْوَضوءِ تَكْفِيرُهَا وَقِيلَ مِنْ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ وَلِيُرِيَنَّكُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ اي
 بالتخصيص لكم والتميم عند عدم الماء وبما شرع لكم من الشرائع التي عرضكم لها للثواب ولتحتاجوا
 اليه من امر دينكم فَعَلَّامٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ مُّشْكُرُونَ نعمته عليكم فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين قال سعيد
 بن جبير تمام النعمة دخول الجنة لم يتم نعمته على عبد لم يدخل الجنة وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها وقيل هي الاسلام وميثاقه الذي وَأَتَقَرُّكُمْ بِهِ بِمِيثَاقِ الْعَهْدِ

قيل المراد به هنا ما اخذه علي بن ادم كما قال واذا اخذ ربك من بني ادم لآية قال بجاهد وغيره
 ومن المندكرة فقد اخبرنا الله به وقيل هو خطاب لليهود العهد ما اخذه عليهم في التوراة وذهب
 جمهور المفسرين من السلف فمن بعدهم الى انه العهد الذي اخذه النبي صلى ليلة العقبة عليهم وهو
 السمع والطاعة في المنشط والمكره واصله تعالى الى نفسه لانه عن امره واذنه كما قال انما يبايعون
 الله اذ قلتم للنبي صلى حين بايعتموه سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا اي وقت قولكم هذا القول واتقوا الله فيما
 اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه ان الله عليكم بذلك الصلوة وهي ما تحفيه الصدور ^{كفها}
 فخصه بها لا يعلمها أحد ولهذا اطلق عليها ذات التي بمعنى صاحب اذا كان سبحانه عالما بها
 فكيف بما كان ظاهر اجليا يا ايها الذين امنوا كونوا اقوامين قد تقدم تفسيرها في النساء و
 صيغة المبالغة في قوامين تفيد انهم مأمورون بان يقوموا بها اتم قيام لله اي لاجله تعظيما
 لامره وطعنا في ثوابه شهدا بالانقياد اي العدل ولا يجر منكم شئان قوم اي لا يجلونكم
 بغض قوم او يسببكم وهما متقاربان قيل الخطاب مختص بقريش لانها نزلت فيهم وعليه جرى
 القاضيك الكشاف وغيرها على ان الخطاب عام وهو الحق لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
 السبب قال عبد الله بن كثير نزلت في يهود خيبر ذهب اليهم رسول الله صلى يستعينهم في دية
 فهو ان يقتلوه فذلك قوله ولا يجر منكم شئان قوم الآية على ان لا تعدلوا اي على ترك العدل
 فيهم لعداوتهم وكنتم الشهادة وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفي اعدلوا امرا بالعدل في كل
 احد القريب والبعيد والصديق والعدو وتصريح بوجوبه بعدما علم من النهي عن تركه التزاما
 هو اي العدل للدول عليه بقوله اعدلوا اقرب للتقوى التي امرت بها غير مرة اي اقرب ^{تتقوا}
 الله اولون تقوا النار واتقوا الله ان الله خير بما تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
 اي دفوا بالعهود والعهود اولى لهم مغفرة واخر عظيم هذه الجملة في محل النصب على انها المفعول
 الثاني لقوله وعد على معنى عدم ان لهم مغفرة او عدم مغفرة فوقعت الجملة موقع المفعول فاعتبرت
 وذكر الجمل والنخسري في الآية احتمالات اخر لا تطول بذكرها واذا واصلهم انجز لهم الوعد فانزعج
 لا يختلف الميعاد والاجر العظيم هو الجنة والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك اصحاب النجيم
 اي ملابسوها والجملة مستأنفة اني بها اسمية دالة على المشيئة والاستقرار ولم يثبت بها في

في سياق الوعيد كما في بحلة قبلها في سياق الوعد صما رجا ثم هذه الآية نص قاطع في
 ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة يا ايها الذين امنوا اذكروا
 نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان ينسطوا اليكم ايدهم يعني بالقتل والبطش بكم يقال بسط^{الله}
 يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وذكرهم للايمان بوقوعها عند مزيد الحاجة
 اليها فكلف ايدهم عنكم اي صرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما ارادوه بكم اخرج عبد الرزاق
 وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى
 نزل منزلا فتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي صلى سلحه بشجرة فجا اعرابي
 الى سيفه فاحذله وسله ثم اقبل على رسول الله صلى فقال من يمنعك مني قال الله قال الاعراب
 صريتين او ثلاثا من يمنعك مني والنبي صلى يقول انه فتناهم الاعرابي السيف فدعى النبي صلى اصحابه
 فاخبرهم بصنيع الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه قال معمر وكان قتادة يذكخوه ويذكر
 ان قوما من العرب ارادوا ان يفتكوا بالنبي صلى فارسلوا هذا الاعرابي واخرج الحاكم وصححه
 بخوه وذكر ان اسم الرجل عوث بن الحارث وانه لما قال النبي صلى الله سقط السيف من يده
 فاحذله النبي صلى وقال من يمنعك مني قال كن خيراخذ قال فشهد ان لا اله الا الله واخرج ابو نعيم
 في الدلائل عن ابن عباس ان بنو النضير هم ان يطرحوا على النبي صلى ومن معه فجاء جبريل فكسبه
 بما هو افقاه ومن معه فتلت اذ هم قوم وقصة الاعرابي وهو غورث ثابتة في الصحيح واتقوا الله
 فيما امركم به ونهاكم عنه وعلى الله اعلى خيره فليتوكل المؤمن فانه هو الذي ينقب عن
 احوال القوم ويفتش عنها ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستأنف يتضمن ذكر بعض ما
 صدر من بني اسرائيل من الخيانة وقد تقدم بيان الميثاق الذي اخذه الله عليهم وان الميثاق هو
 العهد المؤكد باليمين واسناد اخذ الى الله من حيث انه امر به موسى والا فلا اخذ هو موسى بامر
 الله بذلك وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اختلف المفسرون في كيفية بعث هؤلاء النقباء
 بعد الاجتماع منهم على ان النقيب كبير القوم القائم بامورهم الذي ينقب عنها وعن مصالحهم فيها
 والنقاب الرجل العظيم الذي عرف في الناس على هذه الطريقة ويقال نقيب القوم لشاهدهم وضميمهم
 والنقيب الطريق في الجبل هذا الصلة وسمي به نقيب القوم لانه طريق المعرفة بامورهم والنقيب اعلى

مكانا من العريف وقيل مشتق من التنقيب وهو التفتيش ومنه فتقوا في البلاد فقيل المراد ببعث
 هؤلاء النقباء انهم بحثوا مناء على الاطلاع على الجبارين والنظر في قوتهم ومنعهم فساروا ليختبروا
 حال من بها ويخبروا بذلك فاطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة وظنوا انهم لا قبل لهم بها فتعاقدا
 بينهم على ان يغفوا ذلك عن بني اسرائيل وان يعلموا به موسى عليه السلام فلما انصرفوا الى بني اسرائيل
 خان منهم عشرة فاخبروا قرايبهم ففضى الخبر حتى بطل امر الغزو وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا
 وقيل ان هؤلاء النقباء كف كل واحد منهم سبطه بان يؤمنوا ويتقوا الله وهذا معنى بعثهم وقيل
 لما توجه النقباء ليجسس احوال الجبارين لقيهم عوج بن عنق وكان كذا وكذا وهذه القصة ذكرها
 كثير من المفسرين والمحققين من اهل الحديث على انها لا اصل لها ولا عوج ولا عنق وقال ابن عباس
 النقيب الضمين وقال قتادة هو الشريد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن
 القوم وعن احوالهم والمعاني متقاربة وقال الله اِنِّي مَعَكُمْ اِي قَالَ ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَقِيلَ
 لَهُمْ اُولَئِكَ اَصْحَابُ الْاَلْأَمَامِ هِيَ الْمُوطِئَةُ لِلْقَسَمِ اِي وَاَسْهَلُ لَنَا اَقَامَتُهَا الصَّلَاةُ
 وَاتِمُّوا الزَّكَاةَ وَامْنُكُمْ بِرُسُلِي تَاخِيرُ الْاِيْمَانَ عَنْ اِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَاِيْتَاءِ الزَّكَاةِ مَعَ كَوْنِهِمَا مِنَ الْفُرُوعِ الْمُنْتَبِ
 عَلَيْهِ لَمَّا اَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِوُجُوبِهَا مَعَ اِرْتِكَابِهِمْ تَكْذِيبَ بَعْضِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 وَعَزَّزَتْهُمْ التَّعْزِيزُ الْعَظِيمُ وَالتَّوْقِيرُ وَيُطْلَقُ التَّعْزِيزُ عَلَى الصُّوبِ دُونَ الْحُدِّ وَيُقَالُ عَزَزْتُ فُلَانًا
 اِذَا دَبَّتْهُ وَرَدَّتْهُ عَنِ الْقِيَمِ وَالْمَعْنَى عَظَمَتْهُمْ عَلَى الْاَوَّلِ اَوْ دَبَّتْ عَنْهُمْ اَعْدَاءُهُمْ وَمَنْعَتْهُمْ عَلَى التَّائِي
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ اِي عَنَتُهُمْ وَقَالَ مَجَاهِدٌ نَصَوْتُهُمْ وَاقْرَأْتُمْ اللهَ قُرْصًا حَسَنًا اِي نَفَقْتُمْ فِي وُجُوهِ
 الْاُخَيْرِ وَالْحَسَنُ قِيلَ هُوَ مَا طَابَتْ بِهِ النَّفْسُ قِيلَ مَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللهِ وَقِيلَ الْحَالِلُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ
 الْوَاجِبَةُ وَبِالْقَرْضِ الصَّدَقَةُ الْمُنْدُوبَةُ وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَنْبِيْهَا عَلَى شَرِّهَا لَا كَقُرْآنٍ عَنْكُمْ سَيِّئًا تَكْرُ اِشَارَةً
 اِلَى زَالَةِ الْعَذَابِ وَلَا دُخْلَكُمْ حُجَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَكْهَارُ اِشَارَةً اِلَى اِيصَالِ الثَّوَابِ مِمَّنْ كَفَرَ
 بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمِيتَاتِ مِنْكُمْ اَوْ بَعْدَ الشَّرِّ الْمَذْكُورِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ فَقَدْ اَخْطَا وَسَطَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
 فَمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ الْبَاءُ لِلْسَّبِيَةِ وَمَا زَانِدَةٌ اِي سَبَبُ نَقْضِهِمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ مِيثَاقُ اخْذِ
 اِسْمِهِ عَلَى اَهْلِ التَّوْبَةِ فَقَضَوْهُ لَعْنَتُهُمْ اِي طَرَدْنَاهُمْ وَابْعَدْنَاهُمْ عَنْ دَحْمَتِنَا وَفِيهِ اخْلَاقُ الْمَرْغُومِ عَلَى
 الْاِزْمِ وَعَكْسُهُ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً اِي صَلْبَةً لَا تَعْنِي خَيْرًا وَلَا تَعْقِلُهُ وَغَلِيظَةً يَابِسَةً لَا تَلِينُ

ولا رحمة فيها لان القسوة خلاف الرقة وقيل ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل مشوبة بالكفر والنفاق
 يُخْرِقُونَ الْكَلِمَ الَّذِي فِي التَّوْرَةِ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى وَغَيْرِهِ عَزَّ وَاجَّاهُ حَلَّةً مُسْتَنْزَفَةً لِبَيَانِ حَالِهِمْ
 اوحالية اي يبدلون بغيره او يتأولونه على غير تأويله وقيل يزيلونه ويميلونه قال ابن عباس يعني جدد
 اسه قال عبد الرحمن بن خالد بن في كتاب العبر واما ما يقال من ان علماءهم بدلوا مواضع من
 التوراة بحسب اغراضهم في ديارهم فقد قال ابراهيم بن علي ما نقل عنه البخاري في صحيحه ان ذلك
 بعيد وقال معاذ بن ابي ان تعمدت من كلامهم الى كتابها المنزل على نبي فبطلت له او ما في معناه قال واغما
 بدلوه وسرفوه بالتأويل ويشهد لذلك قوله تعالى وعندهم التوراة فيها حكم الله ولو بدلوا من التوراة
 الفاظهم لم يكن عندهم التوراة التي فيها حكم الله وما وقع في القرآن من نسبة التزييف والتبديل فيها
 اليهم فانما المعنى بالتأويل اللهم الا ان يطرقها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط
 وتزيف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن في العادة لاسيما وملكهم قد ذهب وجماعتهم لم يثبتوا
 في الافاق واستوى الضابط منهم وغير الضابط والعالم واجاهل ولم يكن وازع يحفظ طمأنينة
 القدرة بذهاب الملك فطرق من اجل ذلك الى صحف التوراة والغالب تبديل وتزيف غير معتدل
 من علماءهم واحباؤهم ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها اذا خرم القاصد لذلك بالبحث عنه انتهى
 والحاصل انهم يقولون ان امرهم محمد ما انتم عليه فاقبلوه وان خالفكم فاحذروا وكسوا خطا عظيما
 ذكر روايه اي الكتاب وما امروا به من الايمان بمحمد صلى وبيان نفعه وصفته ولا تزال تطالع
 على خائنة منهم اخطاب للنبي صلى والخائنة الخيانة وقيل التقدير فرقة خائنة وقد يقع
 للمبالغة نفي علامة ونسابة اذا اردت المبالغة في وصفه بالخيانة وقيل خائنة معصية قاله
 ابن عباس قال مجاهد هم يهود مثل الذي هو ابه من النبي صلى يوم دخل عليهم جابطم وقال
 قتادة خائنة كذب وفجور الا قليلا منهم يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله
 بن سلام واصحابه ولم يؤمر يومئذ بقتالهم فامر الله ان يعفو عنهم ويصفح فقال فاعف
 عنهم واصفح ثم نسخ ذلك في براءة فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وقيل
 هو خاص بالمعاهدين وانها غير منسوخة ان الله يحب المحسنين اي اذا عفوت عنهم فانك
 تحسن وهو يجب اهل الاحسان ومن الذين قالوا انا نصي ائخذنا ميتة فقمنا اي فليتنا

في الايمان بحمد صلته وبما جاء به قال الكوفيون الضمير في ميثاقهم راجع الى بني اسرائيل اي
 اخذنا من النصارى مثل ميثاق المذكورين قبلهم من بني اسرائيل وقال من الذين قالوا
 اننا نصارى ولم يقل من النصارى للايزان بانهم كاذبون في دعوى النصرانية وانهم
 انصار الله ولا هم الذين ابتدوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لان الله سماهم به ففسوا
 من الميثاق لما اخذ عليهم خطا اي نصيبا وافرا عقب اخذ عليهم خطا ذكرنا واية من
 الايمان بحمد صلته فاغريتنا اي الصفتا ذلك لهم ما خوذ من الغر وهو ما يلصق الشيء بالشيء
 كالصمغ وشبهه يقال غري بالشيء يغري غريا وغراء اي اولع به حتى كانه صار ملتصقا
 به ومثل اغراء التحريش واغريت الكلب اي اولعته بالصيد والمراد بقوله يكنهم اليهود
 والنصارى لتقدم ذكرهم جميعا وقيل بين النصارى خاصة لانهم اقرب مذكور وذلك
 لانهم افرقوا الى البعقونية والانسطورية والملكانية وكفر بعضهم ببعض وتظاهروا ^{لعداوة}
 في ذات بينهم قال الشعبي اغري بعضهم ببعض الخصومات والجدال في الدين قال النحاس
 ومن احسن ما قيل في معنى اغرينا بينهم العداوة والبغضاء ان الله عز وجل امر بعبادة
 الكفار ابغاضهم فكل فرقة مأمورة بعبادة صاحبها وابغاضها الى يوم القيمة
 بالاهواء المختلفة وسوف يبينهم الله بما كانوا يصنعون اي سيلقون جزاء نقض الميثاق
 وفيه تهديد لهم ووعد يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا الالف واللام في الكتاب ^{للخبر}
 والخطاب لليهود والنصارى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون كاية الرحمة وقصة اصحاب
 السبت المسوخين فرقة من الكتاب اي التوراة والا انجيل ويعفون عن كثير مما تخفونه
 فيترك بيانه لعدم اشتماله على ما يجب بيانه عليه من الاحكام الشرعية فان لم يكن كذلك
 لفائدة تتعلق ببيانه الاجر اقضاء حكم وقيل المعنى يعفون كثيرا فيجاء ونزه ولا يخبركم به وقيل
 يعفون كثيرا منكم فلا يؤخذكم بما يصدر منكم قال قتادة يعفون عن كثير من الذنوب
 قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين جملة مستأنفة مستقلة على بيان ان محمدا صلوات
 تضمنت بعثته فوائد غير ما تقدم من مجرد البيان قال الزجاج النور محمدا صلوات وقيل الاسلام
 والكتاب المبين القران فانه المبين والضمير في يهديني به الله راجع الى الكتاب واليه والالتفات

ليكونا كالشيء الواحد من أتباع روضاته أي مَرْضِيَّه وهو دين الإسلام سُبُلُ السَّلام
 طرق السلامة من العذاب الموصلة إلى دار السلام المنزهة عن كل آفة وقبل المراد بالسلا
 م الإسلام وعن السدي قال سبُلُ السَّلام هي سبيل الله الذي شرعه لعباده ودوامه إلى
 بعث به رسوله وهو الإسلام ويخرجهم من الظلمات أي الكفر إلى النور أي الإسلام
 ويهديهم إلى صراط مستقيم أي إلى طريق يتوصلون بها إلى الحق لا عوج فيها ولا مخافة وهذا
 الهداية خير الهداية إلى سبيل السلام وإنما عطفت عليها تنزيلاً للتقارير الوصفية من التقارير
 الذاتي لقد كفر الذين قالوا إن الله هو ضمير الفصل يفيد إحصاء المسيح بن مريم قيل وقد قال به
 بعض طوائف النصارى وقال ابن عباس هو لا نصارى فخران وهو مذهب اليعاقبية والملكانية
 من النصارى وقيل لم يقل به أحد منهم ولكن استلزم قولهم إن الله هو المسيح لا غيره وقد تقدم في
 الخسرة النساء ما يكفي ويغني عن التكرار قل فمن يملك من الله شيئاً الاستفهام للتوبيخ
 والتفريع والملك الضبط والحفظ والقدرة من قوهم ملكت على فلان امرء أي قدرته عليه
 أي فمن يقدر أن يمنع أن أراد أن يملك المسيح بن مريم وأمه وأذلم يقدر أحداً يمنع من
 ذلك فلا إله إلا الله ولا رب غيره ولا معبود بحق سواه ولو كان المسيح الها كما يزعم النصارى
 لكان له من الأمور شي ولقد بان يدفع عن نفسه أفل حال لم يقدر على أن يدفع عن أمه الموت
 عند نزوله بها وتخصيصها بالذكر مع دخولها في عموم ومن في الأرض جميعاً لكون الدفع
 منه عنها أولى وأحق من غيرها فهو أذلم يقدر على الدفع عنها أعجز عن أن يدفع عن غيرها
 وذكر من في الأرض للدلالة على شمول قدرته وأنه إذا أراد شيئاً كان لا معارض له في أمره و
 لا مشارك له في قضائه والله مالك السموات والأرض ما بينهما أي ما بين النوصين من المخلوقات
 فإنها ملكه وأهلها عبده وعيسى وأمه من جملة عبده يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة
 لبيان أنه سبحانه خالق الخلق بحسب مشيئته من غير اعتراض عليه فيما يخلق لأنه خلق آدم من
 غراب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب خلق سائر الخلق من أب وأم والله على كل شيء قدير
 لا يستصعب عليه شيء وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أثبت اليهود
 لأنفسها ما أثبتته لعزير حيث قال عزير بن الله وأثبت النصارى لأنفسها ما أثبتته للمسيح

قال المسيح بن الله وقيل هو على حذف مضاف من اتبع ابا الله وقيل ابا انبياء الله و
 نظيره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله قاله الكرخي وهكذا اثبتوا لانفسهم انهم احبا لله
 بخبر الدعاوى لباطلة والاماني العاطلة فامر الله سبحانه رسوله صلعم ان يرد عليهم فقال قل
 فليعمل بكم بذكر بكم اي ان كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب
 بالقتل والمسخ وبالنار في يوم القيمة كما تعترفون بذلك بقولكم انتم تسنا لنا دالا ايما معد
 فان الابن من جنس ابيه لا يصد عنه ما يستحيل على الاب وانتم تذبنون والحبيب لا يعذب
 حبيبه وانتم تعذبون فهذا يدل على انكم كاذبون في هذه الدعوى وهذا البرهان هو
 المسمى عند الجليليين ببرهان الخلف واخرج احمد في مسنده عن انس قال مر النبي صلعم
 في نفر من اصحابه وصبي في الطويق فلما رأت امه القوم خشيت على ولدها ان يوطأ فاقبلت
 تسعى وتقول انبي ابني فسعت فاخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتليق ابنها
 في النار فقال النبي صلعم لا والله لا يليق حبيبه في النار واسناده في المسند هكذا حدثنا
 ابن عدي عن حميد عن انس فذكره ومعنى الآية يشير الى معنى هذا الحديث ولهذا قال بعض
 مشايخ الصوفية لبعض الفقهاء ان تجد في القرآن ان الحبيب لا يعذب حبيبه فلم يرد عليه
 قتله الصوفي هذه الآية واخرج احمد في الزهد عن الحسن ان النبي صلعم قال لا والله لا يعذب الله
 حبيبه ولكن قد يتلوه في الدنيا بل انتم بشر فمن خلق عطف على مقدر يدل عليه الكلام اي فليست
 ح كذلك بل انتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى يحاسبهم على الخير والشر ويجازي كل عامل
 بعمله يعجز عن ان يشاء ويعذب من يشاء قال السدي اي يهدي من يشاء في الدنيا
 فيعقله ويميت من يشاء منكم على كفره فيعذب به لا اعتراض عليه لانه القادر الفعال لا اخذنا
 والله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا شريك له في ذلك فيعارضه فيه
 دليل على انه تعالى لا دله لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من
 خلقه او شريك في ملكه واليه المصير اي تصيرون اليه وحده عند انتقاكم من دال انما
 الى دار الآخرة يا اهل الكتاب قد جاءكم من سؤلنا بآياتكم على فترة من الرسل المراد يا اهل
 الكتاب اليهود والنصارى والرسول محمد صلعم والمبين هو ما شرعه الله لعباده وحذف للعلم

به لان بعثة الرسل انما هي بذلك والفترة اصلها السكون يقال فتر الشئ سكن وقيل هي الانقطاع
 قاله ابو علي الفارسي وغيره ومنه فتر الماء اذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة وفتر الويل
 عن عمله اذا انقطع عما كان عليه من الجح فيه وامرأة فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة
 النظر والمعنى انه انقطع الرسل قبل بعثته صلعم مدة من الزمان واختلف في قدر مدة تلك الفترة
 قال سلمان فترة ما بين عيسى ومحمد صلعم ستماية سنة اخرجها البخاري قال قتادة كانت الفترة
 بين عيسى ومحمد ستماية سنة وما شاء الله من ذلك وعنه قال خمسماية سنة وستون سنة
 وعن الكلبي قال خمسماية سنة واربعون سنة وقال ابن جريح كانت خمسماية سنة وقال
 الضحاك كانت اربعمائة سنة ونصفا وثلاثين سنة وعن ابن عباس قال كان بين موسى
 وعيسى الف سنة وتسعمائة سنة ولم تكن بينهما فترة فانه ارسل بينهما الف نبى من بني اسرائيل
 سوى من ارسل من خيرهم وكان بين ميلاد عيسى ومحمد صلعم خمسماية سنة وتسع وستون
 سنة بعث في اولها ثلاثة انبياء كما قال تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنتين فكن بينهما فغرنا بثالث و
 الذي عزز به شمعون وكان من الحواريين وكانت لفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا اربعمائة
 واربعة وثلاثين سنة وقد قيل غير ما ذكرناه قال الرازي والفائدة في بعثة محمد صلعم عند
 فترة الرسل هي ان التحريف والتغيير قد كان تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقدم عهدا وطول
 ازمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهر في
 اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا انما عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكننا ما عرفنا
 كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلعم لازالة هذا العذر فذلك قوله تعالى ان تقولوا
 ما جاءنا من بشير ولا نذير فليحل لحي الرسول بالبيان على حين فترة اي كراهة ان تقولوا هذا
 القول معتذرين عن تفريطكم ومن زائدة للبالغة في نفي الحي والفاء في قوله فقد جاءكم هي
 الفصيحة بشير ونذير وهو محمد صلعم لازالة هذا العذر والله على كل شيء قدير ومن جملة
 مقدراته ارسال رسوله على فترة من الرسل واذا قال موسى ليقوم به يقوم اذكروا نعمة
 الله عليكم هذه الايات متضمنة للبيان من الله سبحانه بان اسلاف اليهود الموجودين في عصر
 محمد صلعم تمردوا على موسى وعصوا كما تمرد هؤلاء على نبيينا صلعم عصوه وفي ذلك تسلية له صلعم

وقال عبد الله بن كثير التقدير يا ايها القوم اذكروا نعمة الله عليكم وقت هذا الجبل وايقظ
 الذكر على الوقت مع كون المقصود ما وقع فيه من الاحداث للبالغة لان الامر بذكر الوقت امر بذكر
 ما وقع فيه بطريق الاولى والحجة مستانفة لبيان ما فعلوا بعد اخذ الميثاق فخطب النبي صلى الله عليه
 وسلم في الخطاب عن اهل الكتاب ليعدد عليه ما صدر عن بعضهم اذ جعل فيكم انبياء امتن
 بجعل الانبياء فيهم مع كونه قد جعل انبياء من غيرهم لكثرة من بعثه من الانبياء منهم وقت
 النبي هم السبعون الذين اختارهم موسى وانطلق بهم الى الجبل وقيل اعلم الله موسى انه يبعث
 من بعده في بني اسرائيل انبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم وانما حذرت حرف
 البحر من قوله وجعلكم مملوكا للظهور ان معنى الكلام على تقديره ويمكن ان يقال ان منصب النبوة
 لما كان لعظم قدره وجلالة رتبته بحيث لا ينسب اليه غير من هو له قال فيه اذ جعل فيكم انبياء ولما كان منصب الملك مما
 لا ينسب اليه الا لغيره كما يقول قرابة الملك بن الملوك قال فيه وجعلكم ملوكا وقيل المراد بالملك انهم ملوكا امرهم به
 ان كانوا ملوكا ليرعونهم جميعا ملوكا بهذا المعنى قيل معناه انه جعلهم ملوكا ليدخل عليهم غيرهم الا ان قيل غير ذلك
 قال قتادة ملكهم لخدمهم وكان اول من ملك لخدمهم ولم يكن من قبلهم خدم وقال ابن عباس كان الرجل من بني اسرائيل اذا كانت له
 الزوجة واتخاذهم الدار يسمى ملكا وعنه قال الزوجة واتخاذهم البيت وعنه قال المرأة واتخاذهم وقال الضحاك كانت دار
 واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك واخرج ابن ابي حاتم
 عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل اذا كان لاحد منهم خادم دابة
 وامرأة كتب ملكا واخرج ابن جرير والزبير بن بكار عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من كان له بيت وخادم فهو ملك واخرج ابوداود في مراسله عن زيد بن اسلم في الآية قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة ومسكن وخادم وعن ابن عمرو بن العاص انه سأل رجل السنا من
 فقرا للمهاجرين قال الملك امرأة تاوي اليها قال نعم قال الملك مسكن قال نعم قال فانت من الاغنياء
 قال ان لي خادما قال فانت من المملوك وقال مجاهد جعل لهما نزع ابا وخدما وميتا وقد ثبت
 في الحديث الصحيح من اصبح منكم معاق في جسده امنافى سر به عنده فقت يومه فكانما
 حيزت له الدنيا يحذاقها والظاهر ان المراد بالآية الملك الحقيقي ولو كان بمعنى اخر لما كان
 للاعتناء به كثير معنى فان قلت قد جعل غيرهم ملوكا كما جعلهم قلت قد كثرت الملوك فيهم كما كثرت

الانبياء فهذا وجه الامتنان وانما كرم ما كرم نبوت احكام من العالمين اي من المن والسلوى والنجى
 والنعام وكثرة الانبياء وكثرة الملوك وفق البحر واهلاك عدوكم وغير ذلك والمراد عالمي زمانهم
 او الامم الخالية الى زمانهم وقيل ان الخطاب ههنا لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو عدو لعدو الظاهر لغيره
 والصواب ما ذهب اليه جمهور المفسرين من انه من كلام موسى لقومه وخطبهم بهذا الخطاب
 توطئة وتمهيدا لما بعده من امرهم بدخول الارض المقدسة يقوم ادخلوا الارض المقدسة
 اي المطهرة وقيل المباركة قال الحلي سعد ابراهيم جبل لبنان فقيل له انظر فادرك بصرك ^{شوق}
 مقدس وهو ميراث لذريتك وقد اختلف في تعيينها فقال قتادة هي الشام كلها وقال مجاهد
 الطور وما حوله وقال معاذ بن جبل هي ما بين العرش الى الفرات وقال السدي وابن عباس
 وخبرهما هي ارجاء وقال الزجاج دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقول قتادة يجمع هذه ^{قوله}
 المذكورة بعد التي كتب الله اي قسمها وقد رهاكم في سابق عمله وجعلها مسكنا لكم وقال
 السدي التي امركم الله بها وقال قتادة امر القوم بها كما امروا بالصلوة والزكاة والحج والعمره
 وقال الكرخي امركم بدخولها وكتب في اللوح المحفوظ انها لكم ان امنتم واطعمتم فلا ينافيه قوله فانها
 محرمة عليهم اربعين سنة لان الوعد مشروط بقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشرق
 ولا تذكروا على ادباركم اي لا ترجعوا عن امري وتتركوا طاعتي وما واجبتكم عليه من قبل
 الجبارين جينا وفلا تشكوا بسبب ذلك خاسرين بخيري الدنيا والاخرة قالوا يا موسى ان فينا
 قوما جبارين قال الزجاج الجبار من الادميين العاقي وهو الذي يحبر الناس على ما يريد واصلاه
 على هذا من الاجبار وهو الاكراه فانه يحبر غيره على ما يريد يقال اجبره اذا كرهه وقيل هو ما خوذ
 من جبر العظم فاصل الجبار على هذا الصلح لا من نفسه ثم استعمل في كل من جال نفسه
 بحق او باطل وقيل ان جبر العظم راجع الى معنى الاكراه قال الفراء لم اسمع فعلا من افعلى الا في حرقان ^{جبار}
 من اجبر ودراك من ادرك والمراد هنا انهم قوم عظام طوال متعاطون قليل هم قوم من بقية
 قوم عاد وقليل هم من ولد حميص بن اسحق وقليل هم من الروم ويقال ان منهم عوج بن عتق المشهور
 بالطول المفرط وعتق بنت ادم قيل كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا
 وثلاث ذراع قال ابن كثير وهذا شيء يستقيم من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم}

قال ان الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص ثم قد ذكر وان هذا الرجل كان كافرا وانه كان ولد زنية وانه امتنع من ركوب السفينة وان الطوفان لم يصل الى ركبته وهذا كذب وافتراء فان الله ذكر ان نوحا دعا على اهل الارض من الكافرين فقال رب لا تدعني على الارض من الكافرين ديارا وقال تعالى فنجيناها ومن معه في الفلك المشحون ثم اخبرنا بعد الباقي وقال تعالى لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وادى كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج عنق وهو كافر ولد زنية هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله اعلم انتهى كلامه قلت لم يأت في امر هذا الرجل ما يقتضي تطويل الكلام في شأنه وما هذه باول كذبة اشتهرت في الناس ولستنا بملزمين بدفع الاكاذيب التي وضعها القصاص ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم ذكر في بطون دفاتر التفسير من اكاذيب وبلايا واقاصيص كلها حديث خرافة وما احق من لا يميز عنده لغز الرواية ولا معرفة ان يدع التعرض لتفسير كتاب الله ويضع هذه الاحقاكات والاضحكات في المواضع المناسبة لها من كتب القصاص وهي في الخازن ايضا عفا الله عنا وعنه واذا كان قد خطا حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانما اذا خلون هذا تصريح بما هو مفهوم من الجملة التي قبل هذه الجملة لبيان ان امتناعهم من الدخول ليس لاهذ السبب وقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس امرهم ان يدخل مدينة الجبارين فسار من معه حتى نزل قريبا من المدينة وهي ريجا فبعث اليهم عشرة عينا من كل سبط منهم عين لياثقة بنجر القوم فدخلوا المدينة فراوا امر اعظيا من هيئتهم وجمهم وعظهم فدخلوا حائط البعض فجاء صاحب الحائط ليحني الثمار من حائطه فجعل يحثي الثمار فظفر الى اثارهم فتبعهم فكلما اصاب واحدا منهم اخذته فجعله في كفه مع الفاكهة حتى التقط الاثني عشر كلهم فجعلهم في كفه مع الفاكهة وذهب الى ملكهم فنذرهم بين يديه فقال الملك قد رايتم شائنا وامرنا اذهبوا فاخبروا صاحبكم قال فرجعوا الى موسى فاخبروه بما عاينوه من امرهم فقال اكتبوا عنا ففعل الرجل بنجر اياه وصد يقه ويقول اكنم عني فاشيع ذلك في عسكرهم ليكنمهم الا رجلا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما اللذان انزل الله فيهما قال رجلا من الذين يخافون وقد روي نحو هذا مما يتضمن المبالغة في وصف هؤلاء وعظم اجسادهم لا فائدة في بسط ذلك فغالبه

من اكا ذيب القصاص كما قد منا قال وجلان هما يوشع بن نون وكالبن يوفنا واين فانيا وكانا
 من الاتي عشرة تقبلاهما مريان ذلك من الذين يخافون من الله عز وجل ويراقبونه وقيل
 من الجبارين اي هذان الرجلان من جملة القوم الذين يخافون من الجبارين وقيل من الذين
 يخافون ضعف بني اسرائيل وجبنهم وقيل ان الواو في يخافون لبني اسرائيل اي من الذين يخافهم
 بنو اسرائيل وقرى يخافون بضم الياء اي يخافهم خيرهم انعم الله عليهم كما صفة ثانية لرجلان
 انعم عليهم بالايمان واليقين بحصول ما وعدوا به من النصر والظفر وقيل انعم عليهم بالعصمة
 ما اطلعوا عليه من حالهم الا عن موسى بخلاف بقية النقباء فافشوا فجنبوا وقيل انها جملة معتز
 وهو ايضا ظاهر وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان ادخلوا عليهم الباب اي باب
 بلد الجبارين وامنعوهم من الخروج الى الصحراء لئلا يجدوا الحرب مجالا بخلاف ما اذا دخلتم عليهم
 القرية بغتة فاهم لا يتقدرون فيها على الكو والفرقا اذا دخلتموه وانكم غالبون قالا هذه المقالة لبني
 اسرائيل والظاهر انها قد علمنا ذلك من خبر موسى ولا ثقة بوجدانه او كانا قد عرفا ان الجبارين
 قد ملئت قلوبهم خوفا ورعبا وعلى الله توكلا اي ثقبوا به بعد ترتيبه لاسباب ولا تعتمدوا
 عليها فانها غير موثرة وانه معكم وفاضل كمر ان كنتم مؤمنين اذا لايمان به يقتضي التوكل عليه
 وهو قطع العلائق وترك التعلق بالخلاق فلما قال ذلك اراد بنو اسرائيل ان يرجعوا بالحجارة وعصوا
 امرهما وقالوا ما اخبرنا به عنهم يؤمنون اننا لن نذ حقا وكان هذا القول منهم فشلا وجبنا او عنا
 او جرة على الله ورسوله ابدا يعني مدة حياتنا تعليق للنفي التوكيد بالذكر المتناول فما داموا
 فيها كايان لا بد اي مقيمين فيها فاذهب انت وربك فقاتلا قالا هذا جهلا بالله عز وجل و
 بصفاة وكفر بما يجب له واستهانة بالله ورسوله وقيل ارادوا بالذهاب لارادة القصد وقيل
 ارادوا بالرب هادون وكان اكبر موسى كان مو يطيعه والا والاولى اننا ههنا قاعدون اي
 لا نخرج ههنا لا نتقدم معك ولا نتأخر عن هذا الموضع وقيل ارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم
 التأخر قال موسى رب اني لا امالك الا نفسي يحفل ان يعطف اخي على نفسي ان يعطف على
 الضمير في اني اي اني لا امالك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وفيه سنة اوجه ذكرها السني
 قال هذا تحسرا ونحرا واستجلا بالنقص من الله عز وجل وانما قال واخي لان كان معه في طاعته

يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتناء بأخيه او المعنى وان
في الدين والاول اولى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي افصل بيننا يعني نفسه
واخاه وبينهم وميزنا عن جملتهم ولا تلحقنا بهم في العقوبة وقيل المعنى فاقض بيننا وبينهم
وقيل انما اراد في الآخرة قال فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اي على هؤلاء العصاة
بسبب امتناعهم من قتال الجبارين اربعين سنة ظرف التحريم اي انه محرم عليهم دخولها
هذه المدة لازية عليها فلا يخالف هذا التحريم ما تقدم من قوله التي كتب الله لكم فانها
مكتوبة لمن بقي منهم بعد هذه المدة وقيل انه لم يدخلها احد من قال اننا لن ندخلها فيكون تو
التحريم بهذه المدة باعتبار ذرايرهم وقيل ان اربعين سنة ظرف لقوله يتيهون في الارض
اي يتيهون هذا المقدار فيكون التحريم مطلقا والموقت هو التيه وهو في اللغة الحيرة يقال منه
تاه يتيه تها او توها اذا تحير فالمعنى يتيرون في الارض قيل ان هذه الارض التي تاهوا فيها
كانت صغيرة نحو ستة فراسخ كانوا يمسون حيث اصبحوا ويصبحون حيث امسوا وكانوا يسافرون
مستترين على ذلك لا قرار لهم وقيل ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلثين فرسخا
وكان القوم ستمائة الف مقاتل واختلف اهل العلم هل كان معهم موسى وهارون ام لا
فقيل لم يكونا معهم لان التيه عقوبة وقيل كانا معهم لكن سهل الله عليهما ذلك كما جعل النار
بردار سلاما على ابراهيم وقد قيل كيف يقع هذه الجماعة من العقلاء في مثل هذه الارض
اليسيرة في هذه المدة الطويلة قال ابو علي يكون ذلك بان يحول الله الارض التي هم عليها اذا
ناموا الى المكان الذي ابتدءوا منه وقد يكون بغير ذلك من الاسباب المانعة من الخروج عنها
على طريق المعجزة الخارقة للعادة فلا تناس على القوم الفاسقين اي لا تحزن عليهم لانهم اهل
مخالفة وخروج عن الطاعة قال الزجاج ويجوز ان يكون خطا بالمحمد صلما اي لا تحزن على قوم لم
ينزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال تاهوا اربعين
سنة فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاؤا لاربعين سنة فلما مضت الاربعون سنة
ناهضهم يوشع بن نون وهو الذي قام بالامر بعد موسى وهو الذي افتتحها وهو الذي قيل
له اليوم يوم جمعة فهو بافتتاحها فذنت الشمس للغروب فحشيان دخلت ليلة السبت ان يستبوا

فنادى الشمس في ما مور وانت ما مودة فوقفت حتى اقتطعها فوجد فيها من الاموال ما لم ير مثله
قط فقبوه الى النار فلم تات فقال فيكم الغلول فذعى رؤس الاسباط وهم اثنا عشر رجلا فبايعهم
فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال الغلول عندك فاخرجه فاخرج راس بقرة من ذهب لها
صينان من يا قوت واسنان من لؤلؤ فوضعه مع القرنين فانت النار فاكلتها وعنه قال خلق لهم
في البنية ثياب لا تحلق ولا تدردن وكان عمر موسى مائة سنة وعشرين سنة ومات هارون بسنة
عليهما الصلوة والسلام واخرج الشيخان من حديث ابي هريرة مرفوعا قصة رد الشمس لنبى من
الانبياء ولم يسم يوشع واختلف الناس في حبس الشمس فقبل ردت الى رائها وقيل وقفت ولم ترد
وقيل بطا حركتها ومات يوشع ودفن في جبل افرايم وله مائة سنة وست وعشرون سنة وقيل
الذي فتح اريحا هو موسى وكان يوشع على مقدمته وهذا الصحيح واختاره الطبري والقرطبي واثبت
عليهم بنو ابي ادم وجه اتصال هذا بما قبله التنبيه من الله على ان ظلم اليهود ونقضهم المواعيد
والمعجود هو كظم ابن ادم اخيه فالدا قديم والشر اصيل وقد اختلف اهل العلم في ابني ادم المذكورين
هل هما الصلبيان ام لا فذهب الجمهور الى الاول وذهب الحسن والضحاك الى الثاني وقالوا هما كانا من بني
اسرائيل فضرب لهما المثل في بآنة حسد اليهود وكانت بينهما خصومة فقبوا بقر بائنين ولم يكن
القرابيين الا في بني اسرائيل قال ابن عطية هذا وهم كيف يحمل صورة الدفن احد من بني اسرائيل
حتى يقتدي بالغراب قال الجمهور من الصحابة فمن بعدهم اسمهما قابيل وها بيل باحق اي تلاوة
متلبسة باحق واختاره الزنجشيري او بنأ متلبسا باحق اذ قتر باقربا القربان اسم لما يتقرب به الى
الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك وغير ذلك مما يتقرب به قاله الزنجشيري قيل مصدر اطلق
على الشيء المتقرب قال ابو علي الفارسي وكان قربان قابيل خزيمة من سبل لانه كان صاحب زرع و
اختارها من اردء زرع حتى انه وجد فيها سنبل طيبة ففركها واكلها وكان قربان هابيل كبتا
لانه كان صاحب غنم اخذه من اجود غنمه فتقبل القربان من احد هما وهو هابيل فرفع الحجة
فلم ينزل يوعى فيها الى ان فدى به الذبيح عليه السلام كذا قال جماعة من السلف وقيل تزلت ناز من
السماء فاكتت قربانه ولم يتقبل من الآخر اى قابيل فحسده واضمر حسد في نفسه الى ان
اوحى ادم قال لا تقتلك قيل سبب هذا القربان ان حوى كانت تلد في كل بطن خكرا وانثى الاشيتا

نصف

عليه السلام فانها ولدته منفردا وكان ادم عليه السلام يزوج الذكر من هذا البطن بالانثى من
 الاخر ولا تحل له اخته التي ولدت معه فولدت مع قابيل اخت جميلة واسمها اقليميا ومع هابيل اخت
 كذلك واسمها ليوا فلما اراد ادم تزويجهما قال قابيل انا الحق باختي فامر ادم فلم يأتمر وزجره فلم
 يترجرفا تفقوا على القربان وانه يترد وجهها من تقبل قربانه قاله ابن عباس قال ابن كثير وتفسير
 اسناده جيد وكذا قال السيوطي في الدر المنثور قال انما يتقبل الله من المتقين استينا في الاول
 كانه قيل فماذا قال الذي تقبل قربانه فقال قال النحر وانما للحصري انما يتقبل القربان من المتقين لا
 من غيرهم وكانه يقول لاختيه انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فان عدم تقبل قربانك بسبب
 عدم تقواك وان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال وعن ابن عباس قال كان من شان بني آدم
 انه لم يكن مسكين يتصدق عليه وانما كان القربان يقرب به الرجل فينبأ ابنا ادم قاعدان اذا كلا
 لو قربنا قربانا ثم ذكر ما قرناه لكن بسطت يديك لتقتلني اي لئن قصدت قتلي واللام هي الموطئة
 للقسم ما انا بسطت يدي اليك لا قتلك هذا استسلام للقتل من هابيل كما ورد في الحديث اذا
 كانت الفتنة فكن بخير ابني ادم وتلى النبي صلعم هذه الآية قال مجاهد كان الفرض عليهم حينئذ ان لا
 يسئل احد سيفا وان لا يمنع من يريد قتله وعن ابن جريج نحوه قال القرطبي قال علماءنا وذلك لما يجوز
 ورود التعبد به الا ان في شرعنا يجوز دفعه اجماعا فيجوز ذلك عليه خلاف ولاصح وجوب ذلك
 لما فيه من النهي عن المنكر وفي الحشوية قوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع واحتجوا بحدِيث ابْنِ
 وحمله العلماء على ترك القتال في الفتنة وكف اليد عند الشبهة على ما بيناه في كتاب التذكرة
 كلامه وحديث ابْنِ ذَرٍّ المشار اليه هو عند مسلم واهل السنن الا النسائي وفيه ان النبي صلعم
 قال له يا ابا ذر رايت ان قتل الناس بعضهم بعضا كيف تصنع قلت الله ورسوله اعلم قال اعد في
 بيتك واخلق عليك بابك قال فان لم تترك قال فات من انت منهم فكن فيهم قال فاخذ سلاحي قال
 اذن تشاركهم فيما هم فيه ولكن ان خشيت ان يروك شعاع السيف فالتق طرقت ردك على وجهك
 كي يوبأ ثمة واثمة وفي معناه احاديث عن جماعة من الصحابة وقيل معناه ما كنت بمهدد بك بالقتل
اِنَّيْ اَخَافُ اللهَ فِي بَسْطِ يَدِي طَلِيكَ ان بسطتها لقتلك ان يعاقبني على ذلك رَبِّ الْعَالَمِينَ قيل كان
 المقتول اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه هرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله لان الدفع

لم يكن مباحا في ذلك الوقت اني اريد ان تبوء باثمي واثمك هذا تعليل ثان لا متناح من
 المقاتلة بعد التعليل الاول واختلف المفسرون في المعنى فقيل ارادها بيل اي اريد ان تبوء
 بالاثم الذي كان يلحقني لو كنت حريصا على قتلك واثمك الذي تحمله بسبب قتلي وقيل المراد
 باثمي الذي يختص بي بسبب سياقي فيطرح عليك بسبب ظلمك لي وتبوء باثمك في قتلي وهذا
 يوافق معناه معنى ما ثبت في صحيح مسلم من قوله صلعم يوق يوم القيمة بالظالم والمظلوم فيؤخذ من
 حسنات الظالم فتزاد في حسنات المظلوم حتى يتصف فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات
 المظلوم فتطرح عليه ومثله قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالهم وقيل المعنى اني اريد
 ان لا تبوء باثمي واثمك كما في قوله تعالى والقي في الارض رواسي ان تميد بكراي ان لا تميد
 وقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا وقال اكثر العلماء ان المعنى اني اريد ان تبوء باثمي
 اي باثم قتلك لي واثمك الذي قد صار عليك بذنوبك من قبل قتلي قال التعليل هذا قول عامة
 المفسرين وقيل المعنى ان تبوء بعقاب اثمك فحذف المضاعف وقيل هو على وجه الانحاء
 كقوله تعالى وتلك نعمة اي او تلك نعمة قاله القشيري ووجهه بان ارادة القتل معصية وسئل
 ابو الحسن بن كيسان كيف يريد المؤمن ان ياثم اخوه وان يدخل النار فقال وقعت الارادة
 بعد ما بسط يده اليه بالقتل وهذا بعيد جدا وكذلك الذي قبله وقال الرخشي ليس ذلك
 بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لاحالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للتوبة
 فكانه صار مريدا للقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة انتهى واصل باجمع الى المباهة وهي المنزل
 وباوا بغضب من الله اي رجعوا فتكون من اصحاب النار اي الملازمين لها وذلك جزاء
 الظالمين اي جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما فطوعت له نفسه اي سهلت نفسه عليه الامر
 وشجعت وزينت له وصورت له ان قتل اخيه طوع يده سهل عليه يقال تطوع الشيء اي
 سهل وانقاد وطوعه فلان له اي سهله قال الهروي طوعت وطاعته واحد يقال طاع له
 كذا اذا اتاه طوعا وفي ذكر تطوع نفسه له بعد ما تقدم من قول قابيل لا تقتلك وقول هابيل
 لا تقتلني دليل على ان التطوع لم يكن قد حصل له عند تلك المقابلة فقتله قال ابن جرير وهذا
 وخبرهما روي انه جعل كيف يقتل اخاه فجاءه ابليس بظائر او حيوان غيره فجعل يشدخ راسه بين

حجرين ليقندي به قابيل ففعل وقيل غير ذلك مما يحتاج الى تصحيح الرواية اخبر ابن جرير عن
 ابن مسعود وناس من الصحابة في الآية قالوا اطلبه ليقنله فراغ الغلام منه في رؤس الجبال
 فاناه من الايام وهو يرعى غناله وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها راسه فمات فتركه بالعراء ولا
 يعلم كيف يدفنه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله
 صل الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سب القتل
 واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة
 مسجد اكاظم وكان عمرها بيل يوم قتل عشرين سنة فاصبح من الخاسرين قال ابن عباس
 خسر دنياه واخرته اما دنياه فاسقاط والديه وبقي بلا اخ واما اخرته فاسقاط ربه وصار الى النار
 فبعث الله عز وجل نوحا في الاقطار اي يحفرها وينثر ترابها وينبش بمنقارة وبرجليه ويثيرة
 على غراب ميت معه حتى اراده ليريه الله او الغراب كيف يوارى سواة اخيه اي عورته وحيث
 وما لا يجوز ان ينكشف من جسده قيل انه لما قتل اخاه لم يدرك كيف يواريه لكونه اول ميت
 من بني ادم فبعث الله غرابين اخوين فاقتلا فقتل احدهما صاحبه فحفره ثم حش عليه فلما راه
 قابيل قال يا ويلتي كلمة تخسر وتحزن وتلهف وتجزع والالف بدل من ياء المتكلم كانه
 ويلته ان تحضري ذلك الوقت وتزمره وقال الكرخي اي يا هياكي تعال والويلة الهلكة وتستعمل
 عند وقوع الداهية العظيمة وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب واصل النداء ان يكون
 لمن يعقل وقد ينادى ما لا يعقل مجازا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب
 الاخر والكلام خارج مخرج التعجب منه من عدم اهتدائه لواراة اخيه كما اهتدى الغراب الى
 ذلك فاواري سواة اخي يعني فاسترجعته وعورته عن الاعين فاصبح من الثايمين قيل
 لم يكن ندمه ندم توبة بل ندم لفقد لا حلة قتله وقيل غير ذلك روي انه لما قتله اسود جسده
 وكان ابيض فالسودان من ملده وكان ادم يومئذ بمكة فاشتاك الشجر تغيرت الاطعمة وحضت
 الفواكه فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاني الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل قال الرخشي
 ويروى انه فاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا حول ملحون وقد صحح ان الانبياء عليهم السلام
 معصومون من الشعر قال الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركا

لا يليق إلا بالحقاء من المتعلمين فكيف ينسب إلى من جعل الله عليه حجة على الملائكة من أجل
 ذلك القاتل وجريته وبسبب معصيته وقال الزجاج أي من جنائنه قال يقال أجل الرجل على
 شرايا أجل إذا جنى مثل أخذ يأخذ الكذب على بني إسرائيل أي فرضنا وأوجبنا عليهم
 يعني أن نبأ بني آدم هو الذي تسبب عنه الكتب المذكور على بني إسرائيل وعلى هذا جمهور
 المفسرين وخص بني إسرائيل بالذكر لأن السياق في تعدد جنائهم ولا نهم أول أمة نزلت ^{عليه} الوحي
 عليهم في قتل النفس ووقع التغليب فيهم إذ ذاك لكثرة سفكهم للدماء وقتلهم للأنبياء
 وهذا مشكل لأنه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني إسرائيل
 قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من أجل ذلك يعني من
 أجل أنه قتل هابيل ولم يوارده ويرى عن نافع أنه كان يقف على قوله من أجل ذلك
 ويجعله من تمام الكلام الأول فعلى هذا يزول الإشكال ولكن جمهور المفسرين وأصحاب
 المعاني على أنه ابتداء كلام متعلق بكتبتنا فلا يوقف عليه وفي السيد على الكشاف يخصص
 بني إسرائيل مع أن الحكم عام لكثرة القتل فيهم حتى أنهم خرجوا على قتل الأنبياء انتهى وقيل
 غير ذلك أنه من قتل نفساً واحدة من هذه النفوس ظلماً يغير نفس توجب القصاص
 فيخرج عن هذا من قتل نفساً بنفس قصاصاً وقد قرر أن كل حكم مشروط بتحقيق أحد
 شيئين فنقيضه مشروط بانتفاءهما معاً وكل حكم مشروط بتحققهما معاً فنقيضه مشروط
 بانتفاء أحدهما ضرورة أن نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه أو فساده ^{ففساد} في الأرض
 به القتل وقد اختلف في هذا الفساد المذكور في هذه الآية ما إذا هو فليل هو الشرك والكفر
 بعد الإيمان وقيل قطع الطريق وظاهر النظم القرآني أنه ما يصدق عليه أنه فساد في الأرض
 فالشرك فساد في الأرض وقطع الطريق فساد في الأرض وسفك الدماء وهتك الحرم
 مخب الأموال فساد في الأرض والبيع على عبادة الله بغير حق فساد في الأرض وهذا للنبات
 وقطع الأشجار وتغوير الأنهار فساد في الأرض فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع
 أنها فساد في الأرض وهكذا الفساد الذي يأتي في قوله ويسعون في الأرض فساداً يصدق
 على هذا الأنواع وسياق تمام الكلام على معنى الفساد قريباً فكأنما قتل الناس جميعاً أي في

الذنب قاله الحسن واختلف المفسرون في تحقيق هذا التشبيه للقطع بان عقاب من قتل
الناس جميعا اشد من عقاب من قتل واحد منهم فروي عن ابن عباس انه قال المعنى من
قتل نبيا او امام عدل فكما قتل الناس جميعا ومن احياها بان شد عضده ونصره فكما
احيا الناس جميعا اي في الاجر قاله الحسن وروي عن مجاهد انه قال المعنى ان الذي يقتل
النفس المؤمنة متعمدا جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما فلو
قتل الناس جميعا لم يزد على هذا قال ومن سلم من قتلها فلم يقتل احدا فكما احيا الناس جميعا
وقال ابن زيد المعنى ان من قتل نفسا فيلزمه من القود والقصاص ما يلزمه من قتل الناس
جميعا ومن احياها اي من عفى عن من وجب قتله فله من الثواب مثل ثواب من احيا الناس
جميعا حكى عن الحسن انه العفو بعد القدية يعني احياها وروي عن مجاهد ان احياها اجزاها
من غرق او حرق او هدم او هلكة وقيل المعنى ان من قتل نفسا فالمؤمنون كلهم خصماءه
لانه قد وتر الجميع ومن احياها فكما احيا الناس جميعا اي وجب على الكل شكره وقيل المعنى
ان من استحل واحد فقد استحل الجميع لانه انكر الشرع ومن تورع عن قتل مسلم فكما تورع
عن قتل جميعهم فقد سلموا منه وحل كل حال فالاحياء هنا عبارة عن الترك والا نقاذ من
هلكة فهو مجازا المعنى الحقيقي فخص بالله عز وجل والمراد بهذا التشبيه في جانب القتل قول
امر القتل وتعظيم امره في النفوس حتى ينزجر عنه اهل الجحاة والجسارة وفي جانب الاحياء القرب
في العفو عن الجحاة واستنقاذ المتورطين في الهلكات ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ
عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان سئل الحسن عن هذه الآية لهي لنا كما كانت
لبنية اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دماءنا
ولقد جاءهم اي بني اسرائيل رسلنا بالبينات الدلالات الواضحات جملة مستقلة مؤكدة باللام
الموطئة للقسم متضمنة للاخبار بان الرسل عليهم الصلوة والسلام قد جاءوا بالعباد بما شرعه الله
لهم من الاحكام التي من جملتها امر القتل وثم في قوله تَرَأَوْا كَثِيرًا مِنْهُمْ للتراخي الرتبة الاستيعا
العقلى بعد ذلك اي ما ذكر ما كتبه الله على بني اسرائيل من تحريم القتل في الارض كسوق
في القتل لا ينتهون عنه او لمجاوزون الحق لا يبالون بعظمته انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

قد اختلف الناس في سبب نزول هذه الآية فذهب الجمهور الى انها نزلت في العريتين قال
مالك والثشافعي وابو ثور واصحاب الراي انها نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع الطريق ويسعى
في الارض بالنفسا قال ابن المنذر قول مالك صحيح قال ابو ثور يحتاج لهذا القول ان قوله في هذه
الآية الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم يدل على انها نزلت في غير اهل الشرك لانهم
قد اجتمعوا على ان اهل الشرك اذا وقعوا في ايدينا فاسلموا ان دما ثم تحرم قتل ذلك على ان الآية
نزلت في اهل الاسلام انتهى وهكذا يدل على هذا قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف وقوله صللم الاسلام يهدم ما قبله اخرجه مسلم وغيره وحكى ابن جرير الطبري
في تفسيره عن بعض اهل العلم ان هذه الآية اعني آية الحاربة نزلت فعل النبي صللم في الغزوة
ووقف الامر على هذه الحدود وروي عن محمد بن سيرين انه قال كان هذا قبل ان ينزل الحد
يعني فعله صللم بالعريتين وبهذا قال جماعة من اهل العلم وذهب جماعة اخرون الى ان فعله
صللم بالعريتين منسوخ بنهي النبي صللم عن المشلة والقاتل بهذا مطلب ببيان تاخر النسخ وكذا
ان هذه الآية تعم المشرك وغيره ممن ارتكب ما تضمنته ولا اعتبار بخصوص السبب بل
الاعتبار بعموم اللفظ قال القرطبي في تفسيره ولا خلاف بين اهل العلم في ان حكم هذه الآية
مرتب في المحاربين من اهل الاسلام وان كانت نزلت في المرتدين او اليهود انتهى ومعنى قوله من
اي ثابت قيل المراد بحاربة الله المذكورة في الآية هي محاربة رسول الله صللم ومحاربة المسلمين
في عصره ومن بعد عصره بطريق العبارة دون الدلالة ودون القياس لان ورد النص
بطريق المشافهة حتى يقتض حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تميم الخطاب لغيرهم
الى دليل اخر وقيل انها جعلت محاربة المسلمين محاربة لله ولرسوله اكبارا حربيهم وتعظيما لاديتهم
لان الله سبحانه لا يجازب ولا يغالب الاولي ان تفسر محاربة الله سبحانه بمعاصيه ومخالفة شراعه
ومحاربة الرسول تحمل على معناها الحقيقية وحكم امته حكمه وهم اسوته ويسعون في الارض فسادا
بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق والسعي فيها فسادا
يطلق على انواع من الشرك كما قد منّا قريبا وانتصا بفساد اهل المصدية او على انه مفعول
اي للفساد او على الحال بالثاويل اي مفسدين قال ابن كثير في تفسيره قال كثير من السلف

منهم سعيد بن المسيب ان قرض الدراهم والدنانير من الافساد في الارض وقد قال تعالى
 واذا تولي سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد انتهى واذا
 تقر ذلك ما قرناه من عموم الآية ومن معنى المجازية والسعي في الارض فسادا فاحتمل ان ذلك
 يصدق على كل من وقع منه ذلك سواء كان مسلما او كافرا في مصر او غير مصر في قليل وكثير
 وجليل وحقيق وان حكم الله في ذلك هو ما ورد في هذه الآية من القتل او الصليب وقطع اليد
 والارجل من خلاف او النفي من الارض ولكن لا يكون هذا الحكم من فعل اي ذنب من الذنوب
 بل من كان ذنبه هو التعدي على ماء العباد واموالهم فيما عدا ما قد ورد له حكم غير هذا
 في كتاب الله او سنة رسوله كالسرقة وما يجب فيه القصاص لا نافع لم انه قد كان في زمنه
 صلعم من تقع منه ذنوب ومعاص غير ذلك ولا يجري عليه صلعم هذا الحكم المذكور في هذه
 الآية وبهذا يعرف ضعف ما روي عن مجاهد في تفسير المجازية المذكورة في هذه الآية
 انها الزنا والسرقة ووجه ذلك ان هذين الذنوب قد ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلعم
 لما حكم غير هذا الحكم واذا عرفت ما هو الظاهر من معنى هذه الآية على مقتضى لغة العرب
 التي امرنا ان نفسر كتاب الله وسنة رسوله بها فاياك ان تغتر بشيء من التفصيل المروية و
 المذاهب الحكيمة الا ان ياتيك الدليل الموجب لتخصيص هذا العموم وتقييد هذا المعنى
 المفهوم من لغة العرب فانت وذاك اعلم به وضعه في موضعه واما ما عداه **س**
 قد عرفت عنك غيبا صريح في حجراته وهات حديثا ما حديث الرواحل على اناس ذكر من هذه
 المذاهب ما نسعه اعلم انه قد اختلف العلماء فيمن يستحق اسم المجازية فقال ابن عباس وسعيد
 بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وابراهيم النخعي والضحاك وابوثوران من شهر السلاح
 في قبة الاسلام واخاف السبيل ثم ظفربه وقد ر عليه فامام المسلمين فيه بالخيار ان شاء الله
 وان شاء صلبه وان شاء قطع يده ورجله وبهذا قال مالك وصريح بان المجازية عند من حمل
 على الناس في مصر او في بركة او كابرهم على انفسهم واموالهم دون نائرة ولا دخل ولا عداوة
 قال ابن المنذر اختلف على مالك في هذه المسئلة فاثبت المجازية في مصرة ونفى ذلك ^{احمد} قروي
 عن ابن عباس غير ما تقدم فقال في قطاع الطريق اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا

قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعوا ايديهم وارجلهم
من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وروى عن مجلز وسعيد بن جبير
وابراهيم النخعي والحسن وقتادة والسدي وعطاء عن اختلاف الرواية عن بعضهم
حكاها ابن كثير عن الجمهور وقال ايضا وهكذا عن غير واحد من السلف والائمة وقال ابو حنيفة
اذا قتل قتل واذا اخذ المال ولم يقتل قطع يده ورجله من خلاف واذا اخذ المال وقتل
السلطان مجنيده ان شاء قطع يده ورجله وان شاء لم يقطع وقته وصلبه وقال ابو يوسف
القتل يأتي على كل شيء ونحوه قول الاوزاعي وقال الشافعي اذا اخذ المال قطع يده اليمنى
وحسنت ثم قطع رجله اليسرى وحسنت وخلف لان هذه الجناية زادت على السرقة بالحراية
واذا قتل قتل واذا اخذ المال وقتل قتل وصلب وروى عنه انه قال يصلب ثلاثة ايام وقال
احمد ان قتل قتل وان اخذ المال قطع يده ورجله كقول الشافعي ولا اعلم هذه التفاصيل
دليلا لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله الامار واه ابن جرير في تفسيره وتغرد بروايته
فقال حدثنا علي بن سهل ثنا الوليد بن مسلم عن يزيد بن حبيب عن عبد الملك بن مروان كتب
الى انس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب اليه يخبره ان هذه الآية تزلت في اولئك النفر
العرنيين وهم من بجيلة قال انس فارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الابل واخافوا
السبيل واصابوا الفرج الحرام فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن القضاء فيمن حارب فقال من
سرق واخاف السبيل فاقطع يده لسرقته ورجله باخافته ومن قتل فاقطعه ومن قتل واخاف
السبيل فاستحل الفرج الحرام فاصلبه وهذا مع ما فيه من النكارة الشديدة لا يدري كيف صحته
قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره شيء من هذه التفاصيل التي ذكرناها ما لفظه ويشهد لهذا
التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره ان صح سند ثم ذكره ان يُقَتَّلُوا السَّعِيلُ
للتكثير وهو هنا باعتبار المتعلق يقتلوا واحدا بعد واحد او يصلبوا ظاهرة انهم يصلبون
حيا حتى يموتوا لانه احد الانواع التي خيرا الله بينها وقال قوم الصلابة انما يكون بعد القتل ولا يجوز
ان يصلب قبل القتل فيقال بينه وبين الصلابة والاكل والشرب ويجاب بان هذه عقوبة شرعا
الله سبحانه في كتابه لعباده او تُقَطَّعْ اَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ظاهرة قطع احد اليدين

واحدى الرجلين من خلاف سواء كانت المقطوعة من اليدين هي اليمنى او اليسرى وكذلك الرجلان
ولا يعتبر الا ان يكون القطع من خلاف اما يمين اليد من مع يسرى الرجلين او يسرى اليدين مع يميني
الرجلين وقيل المراد بهذا القطع اليد اليمنى والرجل اليسرى فقط او ينقو من الارض اختلاف المفسر
في معناه فقال السدي هو ان يطلب بالخيول والرجل حتى يوخذ فيقام عليه احد او يخرج من دار
الاسلام هربا وهو محكي عن ابن عباس وانس ومالك واكحس البصري والسدي والضحاك وقتادة
وسعيد بن جبير والربيع بن انس والزهري حكاة الروماني في كتابه عنهم وحكي عن الشافعي انهم
يخرجون من بلد الى بلد ويطلبون لتقام عليهم احد ودوبه قال الليث بن سعد وروي عن مالك
انه ينفي من البلد الذي احدث فيه الرخيرة ويجلس فيه كالزاني ورجحه ابن جرير والقروطي وقال
الكوفيون نعيم بن جهم فينفي من سعة الدنيا الى ضيقها والظاهر من الآية انه يطود من الارض التي
وقع منه فيها ما وقع من خير سجن ولا غيره والنفي قد يقع بمعنى الاهلاك وليس هو مراد هنا
قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجن يعني من هذه الامة وقال احبسه حتى
اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد اخر فيؤذيهم وقال الكرخي ينفوا من الارض الى مسافة قصر فما فوقها
لان المقصود من النفي الوحشة والبعد عن الاهل والوطن فاذا عين الامام جهة فليس المنفي يطلب
غيرها ولا يتعين احبس ذلك اشارة الى ما سبق ذكره من الاحكام لهم اي للمحاربين بخزري في
الدنيا اخر في الدل والفضيحة وطم في الاخرة عذاب عظيم هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت
الآية فيهم واما المسلم فانه اذا اقيم عليه الحد الدنيا سقطت عنه عقوبة الاخرة الا الذين تابوا من قبل
ان تقدر واعلمهم استثنى الله سبحانه للتائبين من عموم المعاقبين بالعقوبات السابقة الظاهر من الفرق بين الدماء والاموال
بين غيرها من الذنوب الموجبة للعقاب المعينة للحدود فلا يطالب التائب قبل القدرة بشيء
من ذلك وعليه عمل الصحابة وذهب بعض اهل العلم الى انه لا يسقط القصاص وسائر حقوق الامميين
بالتوبة قبل القدرة والحق الاول واما التوبة بعد القدرة فلا يسقط بها العقوبة المذكورة في الآية كما
يدل عليه ذكر قيد قبل ان تقدر واعلمهم قال القروطي واجمع اهل العلم على ان السلطان ولي من حارب
فان قتل محاربا خطأ او اياه في حال المحاربة فليس الى طالب الدم من امر المحاربة شيء ولا يجوز عفو ولي
الدم فاعلموا ان الله عفو رحيمهم عبر بذلك دون فلا تحذوهم ليفيد انه لا يسقط عنه بتوبته

الأحمد لله وحقوق الأدميين قال السيوطي كذا ظهر لي ولم أر من تعرض له والله أعلم انقري
 مرجع هذه الآية وان كان في نفسه ظاهرا اخرج ابوداود والنسائي عن ابن عباس قال نزلت
 في المشركين فمن تاب منهم قبل ان يقدر عليه لم يكن عليه سبيل وليست تحرق هذه الآية الرجل
 المسلم من اعدان قتل وفسد في الارض واحارب الله ورسوله عنه عند ابن جرير والطبراني في
 الكبير فان جاء تابا فدخل في الاسلام قبل منه ولم يؤخذ بما سلف واخرج ابن مردويه عن سعد
 بن وقاص ان هذه الآية نزلت في الحردية واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس ان نزلت
 على قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا واجتنبوا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتوا بل الصدقة
 فيشربوا من ابوابها والبابان ففعلوا ذلك واستاقوها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم قافلة فابى بهم فقطع
 ايديهم وارجلهم وحمل اعيانهم ولم يحسبهم وتركهم حتى ما توافوا فبكت الله انما جزاء الذين يماربون الله
 الآية وفي مسلم عن انس لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم اولئك لانهم سملوا عيني الرعاء وعن الشعبي قال كان
 ابن بدر التميمي من اهل البصرة قد افسد في الارض وحارب فكلهم رجلا من قريش ان يستأمنوا له
 عليا فابوا فاتي سعيد بن قيس الحميري فاتي حليا فقال يا امير المؤمنين ما جزاء الذين يماربون الله
 ورسوله ويسعون في الارض فسادا قال ان يقتلوا ويصلبوا وتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
 او ينفوا من الارض ثم قال الا الذين تابوا من قبل ان تقدر واعلمهم فقال سعيد وان كان حارثة
 بن بدر قال وان كان حارثة بن بدر قال هذا حارثة بن بدر قد جاء تابا فوا من قال نعم قال
 فجاء به اليه وقبل ذلك منه وكتب له امانا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي خافوا الله بترك المنكرات
 وابغوا اليه اي اطلبوا اليه لا الى غيره الوسيلة فعيلة من توسلت اليه اذا تقرب اليه فالوسيلة
 القرية التي ينبغي ان تطلب وبه قال ابو وائل والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وروي
 عن ابن عباس وعطاء وعبد الله ابن كثر قال بركت كثير في تفسيره وهذا الذي قاله هو لا غيره
 لا خلاف بين المفسرين فيه والوسيلة ايضا درجة في الجنة مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت
 في صحيح البخاري من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين يسمع النداء اللهم رب
 الدعوة التامة والصلاة القائمة ات عبدك الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وصفته
 الاصلت له الشفاعة يوم القيمة وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا

سمعت المؤمن يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فاته من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا
 لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارحوا ان اكون هو فمن سألني الوسيلة
 حلت عليه الشفاعة وفي الباب ما حديث والعطف على ايها الذين يفيد ان الوسيلة خير التقوى قيل
 هي التقوى لانها ملائكة الامروكل اخير فتكون الحجة الثانية على هذا مفسرة للحجة الاولى والظاهر ان
 الوسيلة التي هي القرية تصدق على التقوى وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب بها العباد الى
 ربهم وقيل معنى الوسيلة المحبة اي تقبيل الله والاول اولى وجاهدوا في سبيله من لم يقبل دينه
 وقيل اعداء البارزة والكامنة لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اي لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح
 اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب ان الذي يَرْكَبُ عُرْوَاتِهَا لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ لَمْ
 مبتدأ مسوق لزعج الكفار وترغيب المسلمين في امتثال امر الله سبحانه اي لو ان لهم ما في الارض
 من اصناف اموالها وذاخرها ومنافعها قاطبة وقيل المراد لكل واحد منهم ليكون اشد تقوى واد
 كان الظاهر من ضمير الجمع خلاف ذلك جميعا تأكيد وَمِثْلَهُ مَعَهُ اي ان الكافر لو ملك الدنيا
 ودنيا اخرى مثلها معها لَيَقْتَدِرَ أَبَاهُ اي ليجعلوا كلامهم كاذبة لانفسهم من العذاب وافرد الضمير
 اما لكونه راجعا الى المذكور او لكونه بمنزلة اسم الاشارة اي ليقدر بذلك من عذاب يوم القيمة
مَّا تَقْبَلُ مِنْهُمْ ذَلِكَ الْقَدَرُ وَهُمْ عَذَابُ الْأَلِيمِ اي لا زرع ولا سبيل لهم الى اخلاص منه بوجه من
 الوجوه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كان
 لك الدنيا كلها اكنتم مفقديا بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلبهم
 ان لا تشرك بي ولا ادخل النار وادخل الجنة فابيت الا لشرك هذا اللفظ مسلم وفي رواية البخاري
 جاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملا الارض ذهب اكنتم تقفدي به فيقول نعم
 فيقال له لقد كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي يريدون ان يخرجوا من النار هذا
 استئناف بياني كانه قيل كيف حالهم فيما هم فيه من هذا العذاب لا ليم فليل يقصد من الخروج
 من النار ويطلبونه لو يمتنون وما هم بخارجين منها اي لا يستطيعون ذلك وعملها النصب على
 الحال وقيل انها جملة اعتراضية وَهُمْ عَذَابُ الْمُقِيمِ اي حاتم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا خرج
 مسلم وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج

من النار قوم فيدخلون الجنة قال يزيد الفقير قلت كجا بريقول الله يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها قال اتل اول الآية ان الذين كفروا الآية الا انهم الذين كفروا
وعن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد
قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ابن عباس ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفا قال
الزخشي في الكشاف بعد ذكره لهذا انه لما لفته المجرية انتهى وبالله العجب من رجل لا يفتر
بين اصح الصحيح وبين الكذب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعرض للكلام على ما لا يعرفه ولا
يدري ما هو وقد تواترت الاحاديث تواتر الا يخفى على من له ادنى المام بعلم الرواية بان
الموحد بن يخرجون من النار فمن انكر هذا فليس باهل المناظرة لانه انكر ما هو من ضروريات
الشريعة والسارق والسارقة فاقطعوا الماذكر بجائز حكمه من ياخذ المال جوارا وهو الحار ب عقبه
يدكر من ياخذ المال خفية وهو السارق وذكر السارقة مع السارق لزيادة البيان لان غا
القران الاقتصار على الرجال في تشريع الاحكام فداختلفت ائمة النحوي في خبر السارق والسارقة
هل هو مقدم فاقطعوا فذهب الى الاول سيبويه وقال تقديره فيما فرض عليكم او فيما تلى
عليكم السارق والسارقة اي حكمها وذهب المبرج والزجاج الى الثاني ودخول الفاء لتضمن
المبتدأ معنى الشرط والسوقة بكسر الراء اسم الشيء المسروق والمصدر هو السروق من سرق يسرق
سرقا قاله الجوهري وهو اخذ الشيء في خفية من الاعين ومنه استرق السمع وسارقة النظر
والقطع معناه الابانة والازالة وقدم السارق هنا والزانية في اية الزنا لان الرجال الى السرقة اميل
والنساء الى الزنا اميل اي يمين كل منهما من الكوع وجمع الايدي لكراهة الجمع بين
التثنيتين وقيل لانه اراد يميننا من هذا ويمينا من هذا فانه ليس للانسان ايمين واحدة وكل شيء
موحد من اعضاء الانسان اذا ذكره مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا اليمين قاله
الحسن والتشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة ابن مسعود فاقطعوا يمانهما وقيل بجارحة وحدها
عند جمهور اهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها من الكوع وقد بينت السنة المطهرة
ان موضع القطع الرسغ وقال قوم يقطع من المرفق وقال الخوارج من المنكب والسرقة لا بد ان تكون
ربع دينار فصاعدا ولا بد ان تكون من حرز كاهن ردت بذلك الاحاديث الصحيحة وقد ذهب

الى اعتبار الحرز وربع الدنيا الجمهور وذهب قوم الى التقدير بعشرة دراهم وقال الحسن البصري اذا
جمع الثياب في البيت قطع وقد اطل الكلام في بحث السرقة ائمة الفقه وشرح الحديث بما لا ياتي
التطويل هنا بكثير فائدة واوضحت البحث في ذلك في شرحي لمبلغ المرام جزاء عما كسب اي ذلك لقطع جزاء
على فعلهم بِكَافَرٍ مِنَ اللَّهِ اي عقوبة منه بقول بكتبت به اذا فعلت به ما يجب ان ينكل به عن ذلك
الفعل وعن قتادة قال لا تروا لهم فيه فانه امر الله الذي امر به قال وذكر لنا ان عمر بن الخطاب
كان يقول اشتد اعلى الفساق واجعلوهم يدايداً ورجلاً رجلاً والله عز وجل انتقام من عصاه
لا يعارض في حكمه حكيم فيما اوجبه من قطع يد السارق فمن تاب من بعد طُلِيَ السياق يفيد
ان المراد بالظلم هنا السرقة اي فمن تاب من بعد سرقة وَاصْلَحَ امره ولكن اللفظ عام فيمثل السارق
وغيره من المذنبين والاعتبار بنجوم اللفظ لا بخصوص السبب فان الله يتوب عليه اي يغفر له
ويتجاوز عنه ويقبل توبته إِنَّ اللَّهَ كَفُورٌ لِّمَن تَابَ تَجِبُكُمْ رحمه وقد استدلل بهذا عطاء وجماعة على
ان القطع يسقط بالتوبة وليس هذا الاستدلال بصحيح لان هذه الجملة الشرطية لا تفيد الا مجرد قبول التوبة
وليس فيها ما يفيد انه لا قطع على التائب وقد كان في زمن النبوة ياتي الى النبي صلعم من وجب عليه
حد تائب عن الذنب الذي ارتكبه طالباً للتطهير باحد فيجد به النبي صلعم وقد روي عن النبي صلعم
انه قال للسارق بعد قطعه تب الى الله ثم قال تاب الله عليك اخرجته الدارقطني من حديث ابي هريرة
واخرج احمد وخيرة ان هذه الآية نزلت في المرأة التي كانت تسرق المتاع لما قالت للنبي صلعم بعد قطعها
هل لي توبة وقد ورد في السنة المطهرة ما يدل على ان الحد وادارفت الى الامة وجبت اذ انتفع
اسقاطها وان عفا عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع وعليه الشافعي أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هذا الاستفهام لانكار مع تقرير العلم وهو كالعنوان لقوله يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
اي من كان له ملك السموات والارض فهو قادر على هذا التعذيب الموكول الى المشيئة والمغفرة للوكو
ليها والخطاب للنبي صلعم والمراد به جميع الناس وقيل الخطاب لكل فرد من الناس وَيَغْفِرُ مَن يَشَاءُ
وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة
في قولهم بوجوب الرحمة للطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان
الى المشيئة والوجوب ينافي في ذلك والله على كل شيء قدير لان الخلق كلهم عبيد وفي ملكه يا ايها الرسول

هذا خطا بتعريف وتكثير وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بآياتها النبي في مواضع من كتابه وبآياتها
 الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك لا تحزن
 الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَيْ لَا تَهْتَم وَلَا تَبَال بِهِمْ فإني ناصرهم عليهم وكافيك شرهم واخزن واخزن
 خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين واخزنه غيره قال اليزيدي حزنه لغة قلة
 احزنه لغة تميم وقد قرئ بهما وفي الآية النجيلة صلعم عن التأثر لمسارعة الكفرة في كفرهم تأثر أبلغ ما
 بلغ وجهه وكذلك فان النجيم عن أسباب الشيء ومبادئه يخبر عنه بالطريق البرهاني وقطع له من أصله لأن
 الله سبحانه قد وعدة في غير موطن بالنصر عليهم والمسارعة إلى الشيء الوقوع فيه سرعة والمراد هنا
 وقوعهم في الكفر بسرعة عند وجود فرصة واثر لفظ في على لفظ ال للدلالة على استقرارهم فيه
 والمسارعون هم اليهود قاله ابن عباس من الَّذِينَ قَالُوا مَنْ بَيِّنَةٌ وَأَيُّ حُجَّةٍ مَبِينَةٍ الْمَسَارِعِينَ فِي الْكُفْرِ
 وهؤلاء الذين قالوا آمنا يا أيها الذين آمنتم بالسنتهم وَأَمْ نُوْنُ مَنْ قُلُوْبُهُمْ هم المنافقون قاله ابن عباس والمعنى
 ان المسارعين في الكفر طائفة من المنافقين ومن الَّذِينَ هَادُوا أَيْ وطائفة من اليهود قال
 الزجاج الكلام ثم عند قوله هذا ثم ابتدأ الكلام بقوله سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ وهذا راجع إلى الفريقين
 أو إلى المسارعين واللام في قوله للكب للتعوية أو لتضمين السماع معنى القول وقيل معناه من الذين
 هادوا وقوم قائلون الكذب من رؤسائهم المحرفين للتوراة سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ أي الكلام رسول
 الله صلعم لأجل الكذب عليه وجهوهم عيونهم وجواسيسهم لأجل يبلغونهم ما سمعوا من رسول الله صلعم
 قال الغراء ويجوز سماعين كما قال طعونين أيما تثقفوا وحاصل ان هؤلاء القوم من اليهود طعن
 صفتان سماع الكذب من اخبارهم ونقله إلى عوامهم وسماع الحق منك ونقله إلى اخبارهم لغيره
أَمْ يَأْتُونَكَ بِهَدْيٍ لِقَوْمٍ أي لم يحضر واجلسك وهم طائفة من اليهود كانوا لا يحضرون مجلس رسول
 الله صلعم تكبرا وتمردا وقيل هم جماعة من المنافقين كانوا يستجيبون مجالس رسول الله صلعم يَحْرِقُونَ
 النكول الذي في التوبة كاية الرجم أي يزيلونه ويميلونه أو يتاولونه على غير تأويله والمحرفون هم
 اليهود قال القسطلاني في إرشاد الساري وقد صرح كثير بان اليهود والنصارى بدلوا الفاظ
 كثيرة من التوراة والإنجيل واتوا بغيرها من قبل انقسم وحرفوا أيضا كثيرا من المعاني بتأويلها
 على غير الوجه ومنهم من قال أنهم لو هم كلهم ما ومن ثم قيل بامتثالها وفيه نظائر الآيات والأخبار

كثيرة في انه بقي منهما اشياء كثيرة لم تبدل منها اية الذين يتبعون الرسول النبي الامي و
 قصة رجم اليهوديين وقيل التبديل وقع في السير منها وقيل وقع في المعاني لا في الالفاظ وفي
 نظر فقد وجد في الكتابين ما لا يجوز ان يكون بهذه الالفاظ من عند الله اصلا وقد نقل بعضهم
 الاجتماع على انه لا يجوز الاشتغال بالتوراة والانجيل ولا كتابهما ولا نظرهما وعند احمد والبرار واللفظ
 من حديث جابر قال نسخ عمر كتابا من التوراة بالعربية فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ففعل بقرأ وجه النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال له رجل من الانصار ويحك يا ابن الخطاب الان ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا وانكم امانان تكدن بواجب او
 تصدقوا بباطل والله لو كان موسى بين اظهركم ما حل له الا اتباعي وروي في ذلك احاديث
 اخر كلها ضعيف لكن مجموعها يقتضي ان لها اصلا قال الحافظ بن حجر في الفتح ومنه كحضرة ذكرته
 والذي يظهر ان كراهة ذلك للتنزيه لا للتحريم والاولى في هذه المسئلة التفرقة بين من لم يتمكن
 ويصر من الراشدين في الايمان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك بخلاف الراشخ فيه ولا سيما
 عند الاحتياج الى الرد على المخالف ويدل له نقل الائمة قديما وحديثا من التوراة والزمان لم ينص
 ليجد صلما بما يستخرجونه من كتابهم واما الاستدلال بالتحريم بما ورد من غضبه صلما فمردود بانه
 قد يغضب من فعل المكروه ومن فعل ما هو خلاف الاول اذا صدر من لا يليق به ذلك كغضبه
 من تطويل معاذ الصلوة بالقراءة انتهى اقول وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة في سورة النساء
 باطول من ذلك وقد قال جماعة من اهل المعرفة بالتحقيق بان التحريف الواقع في التوراة معنوي
 لا لفظي واليه ذهب جبر الامة وترجمان القرآن ابن عباس والشيخ ولي الله المحدث الدهلوي في
 القول الكبير وغيرهما والله سبحانه اعلم من بعد كونه موضوعا في مواضع او من بعد وضعه في
 مواضع التي وضعه الله فيها من حيث لفظه او من حيث معناه اخرج البخاري ومسلم وغيرهما
 من حديث عبد الله بن عمران اليهودي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان رجلا
 منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة قالوا انقضوهم ويجلدون قال
 عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احد هم يده على آية الرجم
 فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفعها فآية الرجم قالوا صدق فامروا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما وقال الحسن في الآية انهم يغيرون ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب
 عليه ولاول اول وقال ابن جرير الطبري يجر فون حكم الكلام فخذ ذكرا حكم لمعرف السامعين
 به وفيه بعد يَقُولُونَ اِنْ اَوْتِيْتُمْ هَذَا الْاِشَارَةَ اِلَى الْكَلَامِ الْحَرْفِ اَي قَالَ يَهُودُ فَنَدَّ لِيَهُودِ
 الْمَدِينَةَ اِنْ اَوْتِيْتُمْ مِنْ حِجَّةٍ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي حَرَفْنَا اَي اَجْلَدُ فَخَذُوهُ وَاَعْمَلُوا بِهِ وَاِنْ
 لَكُمْ تَوْتُوهُ بَلْ جَاءَكُمْ بِغَيْرِهِ وَاَفْتَاكُمْ بِخِلَافِهِ فَاحْذَرُوا مِنْ قَوْلِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ
 اَي ضَلَالَتَهُ فَمَنْ تَمَلَّكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا اَي فَلَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى نَفْعِهِ
 وهدايتة وهذه الجملة مستأنفة مقربة لما قبلها وظاهرها العموم ويدخل فيها هؤلاء الذين
 سياق الكلام معهم دخولا اوليا وَلِئِكَ الْاِشَارَةُ اِلَى مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا امْنَا
 بِاَقْوَاهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَمَا فِي اسْمِ الْاِشَارَةِ مِنْ مَعْنَى الْبَعْدِ لَا يَذَانُ بَعْدَ مِثْلِهِمْ فَالْفَسَادُ
 الَّذِي لَمْ يَرُدِّ اللَّهُ اَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ اَي لَمْ يَرُدِّ تَطْهِيرَهَا مِنْ اَجَاسِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَخَبَرِ الضَّلَالَةِ
 كَمَا طَهَّرَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْجَمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ صَبِيحٌ لِيَكُونَ ارَادَتُهُ تَعَالَى لِفِتْنَتِهِمْ مِنْ طَوْرَةِ سُبُوْءِ اَخْبَارِهِمْ
 وَقَبْحِ صَنِيعِهِمْ الْمَوْجِبِ لَهَا اَوَاقِعُهُ مِنْهُ تَعَالَى ابْتِدَاءً فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى اَنْ اَللَّهَ تَعَالَى
 لَمْ يَرُدِّ اِسْلَامَ الْكَافِرِ وَاَنَّهُ لَمْ يَطْهَرْ قَلْبَهُ مِنَ الشُّكِّ وَالشَّرْكِ وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَأَمْنُ وَهَذِهِ الْآيَةُ
 مِنْ اَشْدَدِّ اَيَّاتٍ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ لَوْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خَرَجِي بظهور تفاق المنافقين وبصوب
 الجزية على الكافرين وظهور تحريفهم وكنهم لما نزل الله في التوراة وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ يَعْنِي الْخُلُودَ فِي النَّارِ سَمَّا عَوْنٌ لِلَّذِينَ كَرِهَتْ تَاكِيدَ الْقَبِيحِ وَلِيَكُونَ كَالْمَقْدَمَةِ الْمُبَعْدَةِ
 وَهِيَ كَالْوَنِّ لِلْسَّحْتِ وَهُوَ بَضْمُ السَّيْنِ وَسُكُونُ اَحْجَاءِ الْمَالِ اِحْرَامُ وَاَصْلُهُ الْهَلَاكُ وَالسُّدَّةُ
 مِنْ سَحْتِهِ اِذَا هُنْكَ وَمِنْهُ فَيَسْحَتُ كَرَجْزَابٍ وَيُقَالُ لِلْحَائِقِ اسْحَتَ اَي اسْتَاَصَلَ وَسَمِيَ اِحْرَامُ
 سَحْتًا لِأَنَّهُ يَسْحَتُ الطَّاعَاتِ اَي يَذْهَبُهَا وَيَسْتَاَصِلُهَا وَقَالَ الْفَرَاءُ اَصْلُهُ كَلْبُ الْجَوْعِ وَقِيلَ
 هُوَ الرِّشْوَةُ وَالْاَوَّلُ اَوَّلَى وَالرِّشْوَةُ تَدْخُلُ فِي اِحْرَامِ دُخُولِ اَوَّلِيَا وَقَدْ نُسِخَتْ بِجَمَاعَةِ بَنُوْعٍ مِنْ اَنْوَاعِ
 اِحْرَامِ خَاصٍ كَالْهَدْيَةِ لِمَنْ يَقْضِي لَهُ حَاجَةٌ اَوْ حُلُوفَانِ الْكَاهِنِ وَالتَّعْمِيمُ اَوَّلَى بِالصَّوَابِ قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ اخَذَ الرِّشْوَةَ فِي الْحَكْمِ وَقَضَا بِالْكَذِبِ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ السَّحْتُ الرِّشْوَةُ فِي الدِّينِ
 وَقَالَ سَفْيَانٌ فِي الْحَكْمِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رِشْوَةُ اِحْكَامٍ حَرَامٌ وَهِيَ السَّحْتُ الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ

في كتابه وعن علي انه سئل عن السحت فقال الرشأ فقييل له في الحكم قال ذلك الكفر وعنه
قال بابان من السحت ياكلهما الناس الرشأ في الحكم ومهر الزانية وقد ثبت عن رسول الله صلى
في تحريم الرشوة ما هو معروف وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى لعن الراشي والمرشى
في الحكم اخرج الترمذي واخرجه ابو داود عن ابن عمرو بن العاص فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ
بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ فيه تغيير لرسول الله صلى بين الحكم بينهم ولا اعراض عنهم وقد
استدل به على ان حكام المسلمين مخيرون بين الامرين وقد اجمع العلماء على انه يجب
على حكام المسلمين ان يحكموا بين المسلم والذمي اذا تراءفوا اليهم واختلفوا في اهل الذمة
اذا تراءفوا فيما بينهم فذهب قوم الى التغيير وبه قال الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه
قال احمد وذهب اخرون الى الوجوب وقالوا ان هذه الآية منسوخة بقوله وان احكم بينهم
بما انزل الله وبه قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز
والسدي وهو الصحيح من قول الشافعي وحكاة القرطبي عن اكثر العلماء وليس في هذه السورة
منسوخ الا هذا وقوله ولا ائمن البيت على ما سبق ومعنى إِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ ان اخترت الاعراض
عن الحكم بينهم فَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْئًا اي اذا عا دوك لا اعراضك عنهم فان الله يعصمك الناس
ولا سبيل لهم عليك لانه سبحانه حافظك وناصرك عليهم وَإِنْ حَكَمْتَ اي اخترت الحكم
بينهم فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ اي بالعدل الذي امرك الله به وانزله عليك إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ العادلين فيما ولوا وحكموا فيه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين
يعدلون في حكمهم واهلهم وما ولوا اخرج مسلم وكيف يحكمونك وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ
فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ فيه تعجيب للنبي صلى من تحكيمهم اياه مع كونهم لا يؤمنون به ولا بما جاء به مع
ان ما يحكمونه فيه موجود عندهم في التوراة كالرجم ونحوه وانما ياتون اليه صلى ويحكمونه
طعما منهم في ان يوافق تحريمهم وما صنعوه بالتوراة من التغيير ثم يتولون من بعد ذلك
اي من بعد تحكيمهم لك وحكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بِالْمُؤْمِنِينَ بك او بكتابهم كما يدعون
ويزعمون لا اعراضهم عنه اولا وعما يوافقونه ثانيا وهذه جملة مقررة لضمون ما قبلها

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ اسْتِغْنَى عَنْهُ تَعْلِيمُ التَّوْرَةِ وَتَفْهِيمُ شَأْنِهَا وَإِنْ فِيهَا
 بَيَانُ الشَّرَائِعِ وَالتَّبَشِيرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبَاتُ تَبَاعُدِهِمْ بِهَا النَّبِيُّونَ هُمْ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبِهِ
 تَمَسُّكٌ مِنْ ذَهَبٍ أَنَّ شَرِيعَةً مِنْ قَبْلِنَا شَرِيعَةٌ لَنَا مَا مِمَّا تَنْتَهَى وَالمَرَادُ بِالنَّبِيِّينَ الَّذِينَ بَعَثُوا بَعْدَ
 وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيهِمْ الْوَفَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ مَعَهُمْ كِتَابٌ أَنْتُمْ بَعَثُوا بِأَقَامَةِ التَّوْرَةِ وَاحْكَامِهَا
 وَحَمَلُ النَّاسِ عَلَيْهَا وَالحَمَلَةُ أَمَامُ سِتَانَةِ أَوَّلِيَّةِ الَّذِينَ اسْلَمُوا أَصْفَةً مَادَّةَ لِلنَّبِيِّينَ وَفِيهِ أَرْغَامُ
 لِلْيَهُودِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ الَّذِينَ بَدَلُوا دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي دَانَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى
 وَقِيلَ الْمَرَادُ بِالنَّبِيِّينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَبْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ تَعْظِيمًا قَالَ بَنِي الْأَنْبَارِيِّ هَذَا رَدُّ عَلَى
 الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَا كَانُوا مَوْصُوفِينَ بِالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ بَلْ كَانُوا مُسْلِمِينَ
 اللَّهُ تَعَالَى مُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالْعَلَّ بِكَتَابِهِ لِلَّذِينَ هَادُوا وَامْتَلَقَ بِحُكْمِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُحْكَمُ بِهَا
 النَّبِيُّونَ لِلَّذِينَ هَادُوا وَقَالَ الزَّجَّاجُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ عَلَى مَعْنَى فِيهَا
 هُدًى وَنُورٌ لِلَّذِينَ هَادُوا وَيُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ اسْلَمُوا وَاللَّامُ أَمَّا الْبَيَانُ اخْتِصَاصُ الْحُكْمِ بِهِمْ
 أَعْمٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ كَانَهُ قِيلَ لِأَجْلِ الَّذِينَ هَادُوا وَأَمَّا اللَّائِذَانِ بِنَفْعِهِ لِلْحُكْمِ عَلَيْهِ
 أَيْضًا بِاسْتِقْطَاطِ التَّبَعَةِ عَنْهُ وَأَمَّا اللَّاشْعَارُ بِكَمَالِ رِضَاهُمْ بِهِ وَانْقِيَادِهِمْ لَهُ كَانَهُ أَمْرًا نَافِعًا لِلْفَرِيقَيْنِ
 فِيهِ تَعْرِيفٌ بِالْمُحَرِّفِينَ وَقِيلَ لِلَّذِينَ هَادُوا وَعَلَيْهِمْ الرَّيَانِيُّونَ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ مِنْ أَوْلَادِ هَارُونَ
 الَّذِينَ التَزَمُوا طَرِيقَةَ النَّبِيِّينَ وَجَانِبُوا دِينَ الْيَهُودِ وَقَالَ أَحْسَنُ الْفُقَهَاءِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ هُمْ فَوْقَ
 الْأَحْبَارِ وَقَالَ أَحْسَنُ الرَّبَّانِيِّينَ الْعِبَادِ وَالزَّهَادِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ الرَّبَّانِيُّونَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ بِالْأَحْبَارِ
 هُمْ الْقُرَّاءُ وَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي آلِ عِمْرَانَ وَالْأَحْبَارُ الْعُلَمَاءُ أَخُوذُ مِنَ التَّحْبِيرِ وَهُوَ التَّحْسِينُ فَهَمْ بِحُجْرَتِ
 الْعِلْمِ أَيْ يَحْسُنُونَهُ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ أَحْبَرُ وَاحِدُ أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ وَقَالَ الْفَرَّاءُ
 أَنَّمَا هُوَ بِالْكَسْرِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هُوَ بِالْفَتْحِ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ وَمِنْ الْبَيَانِ
 وَالْمَعْنَى أَمْرًا بِالْحِفْظِ أَيْ أَمْرُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ بِحِفْظِ التَّوْرَةِ عَنْ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَاليَهُودُ نَحْوُ الزُّنْجَشَرِيِّ
 يُحْكَمُونَ بِهَا سَبَبُ هِيَ الْأَسْتِحْفَاطُ فَهُمْ طِفْلَانِ وَابْعَثْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ وَكَانُوا عَلَيْهِ أَيْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَأَنَّهُ
 شَهِدَ أَيْ رَقِيعًا يَحْمِلُونَهُ عَنْ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ لِهَذِهِ الْمَرَاقِبَةِ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ يَا رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ
 فَتَكْتُمُوا أَمَا أَنْزَلْتُ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ وَأَخْشَوْنَ فِي كِتَابِنَا ذَلِكَ وَلَا تَشْتَرُوا الْإِسْتِغْنَى

بأيأتي قننا قليلا من الدنيا على ان تكتموا ما انزلت قال ابن بكنا تاكلوا السمحت على كتابي يعني الرشوة وقد
تقدم تحقيقه ومن لم يحكم بما انزل الله لفظ من من صيغ العموم فيفيد ان هذا غير مختص بطائفة
معينة بل لكل من ولي الحكم وهو الاول وقال السدي قيل انها مختصة باهل الكتاب وقيل بالكفار مطلقا
لان المسلم لا يكفر بارتكاب لكيرة وبه قال ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل في خصوص بني قريظة و
النضير وعن البراء بن عازب قال انزل الله هذه الايات الثلاث في الكفار اخرجه مسلم وقال ابن
مسعود والحسن والخفي هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى حكم
بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق وهو الاول لان الاعتبار بعجم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل
هو محمول على ان الحكم بغير ما انزل الله وقع استخفافا واستحلالا او محمدا قاله ابو السعود والاشارة
بقوله فاولئك الى من واجمع باعتبار معناها وكذلك ضمير الجماعة في قوله هم الكافرون ذكر
الكفر هنا مناسب لانه جاء عقب قوله ولا تشروا باياتي قننا قليلا وهذا كفر فناسخ كالكفر
هنا قاله ابو حيان قال ابن عباس يقول من محمدا الحكم بما انزل الله فقد كفر ومن اقر به ولم
يحكم فهو ظالم فاسق وعنه قال انه ليس بالكفر الذي يذهبون اليه انه ليس كفر ينقل من الملة
كفرون كفر وقال عطاء هم الظالمون هم الفاسقون هم الكافرون قال كفرون كفر وظلم دون
ظلم وفسق دون فسق وعن ابن عباس قال نزلت في اليهود خاصة وقد روي نحو هذا عن
جماعة من السلف وعن حذيفة بسند صحيح ان هذه الايات ذكرت عنده ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وقال رجل ان هذا في بني اسرائيل
فقال حذيفة نعم الاخوة لكم بنو اسرائيل ان كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة كلا والله لتسلكن طريقهم
قد الشراك وعن ابن عباس نحوه واقول هذه الآية وان نزلت في اليهود لكنها ليست مختصة
بهم لان الاعتبار بعجم اللفظ لا بخصوص السبب وكلمة من وقعت في معرض الشرط فتكون للعموم
فهذه الآية الكريمة متناولة لكل من لم يحكم بما انزل الله وهو الكتاب السنة والمقل لا يدعيه
حكم بما انزل الله بل يقل انه حكم بقول العالم الفلاني وهو لا يدري هل ذلك الحكم الذي حكم
هو من محض رايه ام من المسائل التي استدل عليها بالدليل ثم لا يدري اهو اصاب في
الاستدلال ام اخطأ وهل اخذ بالدليل القوي ام الضعيف فانظر يا مسكين ما اذا صنعت بنفسك

القاضي المسكين فإنه ربحا دعا الله في خلواته وبعد صلواته ان يديم عليه تلك العهدة ويحرمها
عن الزوال حتى لا يتمكن من فضله ولا يقدر واعي عزله وقد يبذل في استمراره على ذلك انقاس
الاموال ويدفع الرشاء والبراطيل لمن كان له في امره مدخل فيجمع بهذا الافعال بين خسرات
الدنيا والآخرة وتسم نفسه بهما جميعا في حصول ذلك القضاء فيشتري بهما النار ولا يخرج
عن هذه الاوصاف الا القليل النادر والايات الكريمة في هذا المبنى والاحاديث الصحيحة
في هذا المعنى كثيرة جدا ولولم تكن من الزواجر عن هذا الالهة الآية وهذا الحديث المتقدم
لكفت فالمقلد لا يصلح للقضاء وانما يصح قضاء من كان مجتهدا متورعا عن اموال الناس عاكفا
في القضية حاكما بالسوية ويحرم عليه المحصر على القضاء وطلبه ولا يحل للامام تولية من كان
كذلك وممكن متاهلا للقضاء فهو على خطر عظيم وله مع الاصابة اجران ومع الخطأ اجران
يال حمدا في البحث ويحرم عليه الرشوة والهدية التي اهديت اليه لاجل كونه قاضيا ولا يجوز
له الحكم حال الغضب وعليه التسوية بين الخصمين الا اذا كان احدهما كافرا والسمع منهما قبل
وتسهيل الحجاب بحسب الامكان ويجوز له اتخاذ الاعوان مع الحاجة والشفاعة والاستيضاح و
الارشاد الى الصلح وحكمه ينفذ ظاهرا فقط فمن قضى بشئ فلا يحل له الا اذا كان الحكم مطا
لواقع هذا ما ذكره الشوكاني في القول المفيد والمختصر المسمى بالدرر البهية فان قلت اذا كان
المقلد لا يصلح للقضاء ولا يحل له ان يتولى ذلك ولا غيره ان يوليّه فما تقول في المفتي المقلد قلت
ان كنت تسأل عن القيل والقال ومذاهب الرجال فالكلام في شروط المفتي وما يعتبر فيه مبسوط
في كتب الاصول والفقه وقد اوضحها الشوكاني في ارشاد الفحول ونيل الاوطار والحافظ
بن القيم رحمه الله تعالى في احلام الموقعين عن رب العالمين بما يشفي العليل ويروى الغليل
فان شئت الاطلاع والاستيفاء فارجع الى هذه الكتب يتضح لك الحق من الباطل والخطأ من
الصواب ولا تكن من الممتزين وكتبنا عليهم فيها ان النفس تقتل بالنفس اذا قتلتها والعين
تقتل بالعين والاذن تقطع بالاذن والسنن تقطع بالسنن معطوف على
انزلنا التوراة بين الله سبحانه في هذه الآية ما فرضه على بني اسرائيل من القصاص في
النفس والعين والاذن والسنن والجروح وقد استدل ابو حنيفة وجماعة من اهل العلم

بهذه الآية فقالوا انه يقتل المسلم بالذمي لانه نفس وقال الشافعي وجاعة من اهل العلم ان هذه
 الآية خبر عن شرع من قبلنا وليس بشرع لنا وقد قدمنا في البقرة في شرح قوله تعالى كتب عليكم
 القصاص في القتلى ما فيه كفاية وقد اختلف اهل العلم في شرع من قبلنا هل يلزمنا ام لا فذهب
 الجمهور الى انه يلزمنا اذ لم ينسخ وهو الحق وقد ذكر ابن الصباغ في الشامل اجماع العلماء على الاحتجاج
 بهذه الآية على ما دللت عليه قال ابن كثير في تفسيره وقد اجمع الامة كلهم على ان الرجل يقتل
 بالمرأة لعوم هذه الآية الكريمة انتهى وقد اوضح الشوكاني ما هو الحق في هذا في شرحه على المنتقى
 وفي هذه الآية توييح لليهود وتقريع لكونهم يخالفون ما كتبه الله عليهم في التوراة كما حكاها هنا
 ويفاضلون بين الانفس كما سبق بيانه وقد كانوا يقيدون بنى النضير من بني قريظة ولا يقيدون
 بنى قريظة من بنى النضير والظاهر من النظم القرآني ان العين اذا فقت حتى لم يبق فيها مجال للادراك
 انها تفقت عين الجاني بها والانف اذا جردت جميعها فانها تجرد عن انف الجاني بها والاذن اذا
 قطعت جميعها فانها تقطع اذن الجاني بها وكذلك السن فاما لو كانت الجناية ذهبت ببعض
 ادراك العين او بعض الانف او بعض الاذن او بعض السن فليس في هذه الآية ما يدل
 على ثبوت القصاص وقد اختلف اهل العلم في ذلك اذا كان معلوم القدر يمكن الوقوف
 على حقيقته وكلامهم ممدون في كتب الفروع والظاهر من قوله والسن بالسن انه لا فرق
 بين الثنياب والانياب والاضراس والرباعيات وانه يؤخذ بعضها ببعض ولا فضل لبعضها على
 بعض واليه ذهب اكثر اهل العلم كما قال ابن المنذر وخالف في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه ومن تبعه وكلامهم ممدون في مواطنه ولكنه ينبغي ان يكون الماخوذ في القصاص
 من الجاني هو المماثل للسن الماخوذة من المجني عليه فان كانت ذاهبة فما يليها والجرح يشعل
 الاطراف قصاص اي ذوات قصاص فيما يمكن ان يقتص منه والاخوذة عدل وهذا التعميم
 بعد التحصيل وقد ذكر اهل العلم انه لا قصاص في الجرح التي يخاف منها التلف ولا فيما كان
 لا يعرف مقداره عمقا او طولا او عرضا وقد قدر ائمة الفقه ادرش جراحة بمقادير معلومة
 وليس هذا موضع بيان كلامهم ولا موضع استيفاء بيان ما ورد له ادرش مقدرو فيه دليل
 على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل

قال هي حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة واختار الاول ابن الحاجب وهو الحق و
ذهب الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الامدي وقد اوضحنا هذا في كتابنا
حصول المأمول فمن تصدق من المستحقين للقصاص بآي بالقصاص بان عفى عن الحجة
ولم يقتص منه فهو كفارة له أي للتصدق بكفر الله عنه بها ذنوبه وهذا قول ابن مسعود
وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل له ما اخرج احمد والترمذي وابن ماجة عن ابى
الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يصاب بشئ في جسده فيتصدق به
الارفعه الله به درجة وخط عنه به خطيئة وعن انس ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ
فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرج ابو داود والنسائي وقيل ان المعنى فهو كفارة للجراح فلا يؤخذ
بجنايته في الاخرة وبه قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل لان العفو يقوم مقام اخذ الحق منه الاول
ارجح لان الضمير يعود على هذا التفسير الاخر الى غير مذكور قال الحافظ ابن القيم والتحقيق ان القاتل
يتعلق به ثلاثة حقوق حق لله تعالى وحق للمقتول وحق للولي فاذا اسلم القاتل نفسه طوعا واختيارا
الى الولي ندما على ما فعل خوفا من الله وتوبة نصوحا سقط حق الله بالتوبة وحق الاولياء بالاستيفاء
او الصلح او العفو بقي حق للمقتول يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبدة التائب ويصلح بينه
وبينته انقروا ما اسلم القاتل نفسه اختيارا من غير ندم ولا توبة او قتل كرها فيسقط حق الوارث
فقط ويبقى حق الله تعالى لانه لا يسقطه الا التوبة كما علمت يسقى حق للمقتول ايضا لانه لم يصل شئ
من القاتل وبطلان به في الاخرة ولا يقال يعوضه الله عنه مثل ما تقدم لانه لم يسلم نفسه تائبا
تأمل قاله سليمان الجمل وعبارة الرمي على المتهاج وبالقدود والعفو واخذ الدية لا تبقى طالبة اخوة
ومن لم يحكم بما انزل الله قيل نزلت هذه الآية حين اصطالحوا على ان لا يقتل الشريف بالوضيع ولا
الرجل بالمرأة فاولئك هم الظالمون ضمير الفصل مع اسم الاشارة وتعرف الخبر يستفاد منها ان
هذا الظلم الصادر منهم ظلم عظيم بالغ الى الغاية وذكر الظلم هنا مناسب لانه جاء عقب اشياء
مخصوصة من امر القتل والجرح فناسب ذكر الظلم المتناهي للقصاص وعدم التسوية فيه وهذه الآية
من اعادة على ان تراط الاجتهاد فانه لا يحكم بما انزل الله الا من عرف التنزيل والتاويل وما يدل على ذلك
حديث معاوية بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن يعني قاضيا قال اي افتحنا له كيف تقضي

اذا عرض لك قضاء قال اقلي بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتهد رأيي ولا الوأي لا اقصر في الاجتهاد
 والتحري للصواب قال اي الراوي فضر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال الحمد لله الذي ^{رسول} قد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى به رسول الله رواء الترمذي والبوداود والدارمي وهو حديث
 مشهور قد بين الشوكاني بح طرقه ومن خرج في بحث مستقل ومعلوم ان المقلد لا يعرف كتابا
 ولا سنة ولا رأي له بل لا يدري بان الحكم موجود في الكتاب السنة فيقضي وليس بموجبه ^{فجهته}
 رايه فاذا ادعى المقلد انه يحكم برأيه فهو يعلم انه يكذب على نفسه لاعترافه بانه لا يعرف ^{كتابا}
 ولا سنة فاذا زعم انه حكم برأيه فقد اقر على نفسه بانه حكم بالطاغوت وقد سئل القاضي
 الشوكاني هل الرأى جواز قضاء المقلد ام لا فاجاب بما لفظه لا وامر القرآنية ليس فيها الامر ^{الحكم}
 بان يحكم بالعدل والحق وما انزل الله وما اراه الله ومن المعلوم لكل عارف انه لا يعرف
 هذه الامور الا من كان مجتهدا اذا المقلد انما هو قابل قول الغير دون حجة وليس الطريق
 الى العلم بكون الشيء حقا وعدلا الا بالحجة والمقلد لا يعقل الحجة اذا جاءته فكيف يهتدي للاحتجاج
 بها وهكذا لا علم عنده بما انزل الله انما عنده علم بقول من قلده فلو فرض انه يعلم بما انزل الله
 وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيا لم يكن مقلدا بل هو مجتهد وهكذا لا نظر للمقلد فاذا حكم
 بشيء فهو لم يحكم بما اراه الله بل بما اراه امامه ولا يدري اذ لك القول الذي قاله اماما موافق
 للحق ام مخالف له وبالجملة فالقاضي هو من يقضي بين المسلمين بما جاء عن الشارع كما جاء في حديث
 معاذ المتقدم وهذا الحديث وان كان فيه مقال فقد جمع طرق وشواهد الحفاظ ابن الكثير في
 جزء وقال هو حديث حسن مشهور اعتمد عليه ائمة الاسلام وقد اخرج ايضا احمد وابن عبد
 والطبراني والبيهقي ولائمة الحديث فيه كلام طويل والحق انه من احسن لغيرة وهو معمول به
 وقد حل هذا الحديث على انه يجب على القاضي ان يقدم القضاء بكتاب الله تعالى ثم اذا لم يجد ^{فيه}
 قضى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا لم يجد فيها اجتهد رايه والمقلد لا يتمكن من القضاء بما في كتاب الله
 سيما انه لا يعرف الاستدلال ولا كيفيته ولا يمكنه القضاء بما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولا به لا يميز بين الصحيح والموضوع والضعيف المعلل بأي علة ولا يعرف الاسباب ولا يدري بالتقدم

والتأخر والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ بل لا يعرف مفاهيم
هذه الألفاظ ولا يتعقل معانيها فضلا عن ان يتمكن من ان يعرف اتصاف الدليل بشيء منها
وبالجمل فالمقلد اذا قال صح عندي فلا عنده وان قال صح شرعا فهو لا يدري ما هو الشرع وغا^{ية}
ما يمكنه ان يقول صح هذا من قول فلان وهو لا يدري هل هو صحيح في نفس الامور ام لا فهو
احد قضاة النار لانه اما ان يصادف حكمه الحق فهو حكم بالحق ولا يعلم انه الحق او يحكم بالباطل
وهو لا يعلم انه باطل وكلا الرجلين في النار كما ورد بذلك النص من المختار واما قاضي الجحنة
فهو الذي يحكم بالحق ويعلم انه الحق ولا شك ان من يعلم بالحق فهو مجتهد لا مقلد هذا يعرفه كل
عارف فان قال المقلد انه يعلم ان ما حكم به من قول امامه حق لان كل مجتهد مصيب نقول
له هل انت مقلد في هذه المسئلة ام مجتهد فان كنت مقلدا في هذه المسئلة فقد جعلت ما هو
حل النزاع دليلا لك وهو مصادرة باطلة فانك لا تعلم انها حق في نفسها فضلا ان تعلم زيادة
على ذلك وان كنت مجتهدا فيها فكيف خفي عليك ان المواد يكون كل مجتهد مصيبا هو من
الصواب لا من الاصابة كما اقر بذلك القائلون بتصويب المجتهدين وجرده في مؤلفاتهم
المعروفة الموجودة بأيدي الناس واذا كان ذلك من الصواب لا من الاصابة فلا استفاد
من المسئلة ما تزعمه من كون مذهب امامك حقا فانه لا ينافي في الخطأ ولهذا صح عنه صلعم
انه قال اذا حكم الحاكم فاجتهد واصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد واخطأ فله اجر واحد
اخرجه الشيخان عن ابي هريرة وابن عمر وهذا لا يخفى الا على اعمى واذا لم تتعقل الفرق
بين الصواب والاصابة فاستر نفسك بالسكوت وذرع عنك الكلام في المباحث العلمية
وتعلم من يعلم حتى تذوق حلاوة العلم فهذا حاصل ما لذي في هذه المسئلة وان كانت
طويلة الذيل والخلاف فيها ممدون في الاصول والفروع ولكن السائل لم يسأل عن اقوال
الرجال انما سأل عن تحقيق الحق انتهى كلامه في ارشاد السائل الى دليل المسائل وقد حققنا
ذلك المقام في كتابنا الجحنة في الاسوة الحسنة بالسنة وكشفنا القناع عن وجه التقليد لاتباع
فارجع اليه وعول في معرفته الحق عليه وبالله التوفيق وهو المستعان وقفيناه على انهم
يعيسى بن مريم هذا شروع في بيان حكم الانجيل بعد بيان حكم التوراة اي جعلنا عيسى بن

مريم يقفوا آثارهم أي آثار النبيين الذين أسلموا من بني إسرائيل أو آثار من كتب عليهم تلك
 الأحكام والاول اظهر لقوله في موضع آخر بسلنا يقال قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال
 قفيته بفلان وعقبته به فيتعدى الى الثاني بالباء والمفعول الاول محذوف استغناء عنه
 بالظرف وهو على آثارهم لانه اذا قفاه على اثره فقد قف به اياه مصدق لما بين يديه من
 التوراة وهي حال مؤكدة قاله ابن عطية وأتينا الأنجيل فيه هدى ونورا أي ان الانجيل
 اوتي عيسى حال كونه مشتتلا على الهدى من الجهالة والنور من عي البصيرة ومصدق لما
 بين يديه من التوراة وهدى وموعظة أي مصدقا وهاذا يا واعظا للمتقين وهذا
 ليس بتكرار للاول الا في الاول اخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني
 اخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بينهما وانما خص المتقين بالذكر لانهم الذين
 ينتفعون بالموعظ ويحكمهم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه هذا امر لاهل الانجيل وهم النصارى
 بان يحكموا بما في كتابهم وهو الانجيل فانه قبل البعثة المحمدية حق ولما بعدها فقد امر وافي
 غير موضع بان يعملوا بما انزل على محمد صلعم في القرآن الناصح لجميع الكتب المنزلة فري بنصب
 الفعل من يحكم على ان اللام لام كي هي على ان اللام لام امر فعلى الاول تكون اللام متعلقة بقوله
 واتينا الانجيل ليحكم اهلها بما انزل الله فيه وعلى الثانية هو كلام مستأنف قال مكي والاختيار
 اجزم لان الجماعة عليه ولان ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على انه الزام من الله تعالى
 لاهل الانجيل وقال النحاس والصواب عندي انهما قرأتان حسنتان لان الله تعالى لم ينزل
 كتابا الا لينزل بما فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله أي بما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة فهو
 تعالى وما أشكر الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولقوله صلعم الا في اوتيت القرآن
 ومثله معه رواه ابو داود والدارمي وابن ماجه عن المقدام بن معديكرب قال ولناكم
 الفاسقون الخارجون عن الطاعة وذكر الفسق هنا مناسب لانه خروج عن امر الله اذ نقض
 قوله وليحكم اهل الانجيل وهو امر قاله ابو حيان وفي هذه الآية واليتين المتقدمتين من الوعد
 والتهديد ما لا يقادر قدره وقد تقدم ان هذه الآيات وان نزلت في اهل الكتاب فليست
 مختصة بهم بل هي عامة لكل من لم يحكم بما أنزل الله اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ويدخل فيه السبب دخولاً اولياً وفيها دلالة على اشتراط الاجتهاد في القضية وإشارة إلى ترك
 الحكم بالتقليد فان قلت اذا كان القاصم يلد لا يوجد فيها مجتهد هل يجوز للخصمين التراجع إلى من
 بهما من القضية للمقلدين قلت اذا كان يمكن وصولهما إلى قاض مجتهد لم يجز للمقلد ان يقضي
 بينهما بل يرشد هما إلى القاضى المجتهد ويرفع القضية اليه ليحكم فيها بما أنزل الله وبما رآه الله
 فان كان الوصول إلى القاضى المجتهد متعذراً أو متعسراً فلا بأس بان يتولى ذلك القاضى المقلد
 فصل خصوصاً ما تم الكسب عليه ان لا يدعي علم ما ليس من شأنه فلا يقول صح او لم يصح شرعاً
 بل يقول قال امامه كذا ويعرف الخصمين انه لم يحكم بينهما الا بما قاله الامام القلا في وفي
 الحقيقة هو محكم لا حاكم وقد ثبت التحكيم في هذه الشريعة المطهرة كما جاء ذلك في القرآن الكريم
 في شأن الزوجين وانه يوكل الأمر إلى حكم من اهل الزوج وحكم من اهل المرأة وكما في قوله
 تعالى يحكم به ذوا عدل منكم وكما وقع في زمن النبوة والصحابة في غير قضية ومن لم يحمل
 تيمم بالتراب والعور خير من العمي ولا يغتر العاقل بما ينزغفه المقلدون ويوهون به على العاقل
 من تعظيم شأن من يقلدونه ونشر فضائله ومناقبه والموازنة بينه وبين من يبلغ رتبة
 الاجتهاد في عصر هؤلاء المقلدين فان هذا خروج عن محل النزاع ومغالطة قبيحة وما اسرع
 نفاقها عند العامة لان افهامهم قاصرة عن ادراك الحقائق والحق عندهم يعرف بالرجال
 وللأموات في صدورهم جلالة وفضامة وطباع المقلدين قريبة من طبائعهم فهم إلى قبول
 اقوالهم اقرب منهم إلى قبول اقوال العلماء المجتهدين لان المجتهدين قد باينوا العامة وارتفعوا
 إلى رتبة تضيق اذهان العامة عن تصور ما فاذا قال المقلد مثلاً انا احكم بمذهب الشافعي وهو
 اعلم من هذا المجتهد المعاصري واعرف بالحق منه كانت العامة إلى تصديق هذه المقالة
 والاذا كان لها اسرع من السيل المتحد وتنفعل اذا فهم ذلك كل انفعال فاذا قال المجتهد
 على ذلك المقلدان محل النزاع هو الموازنة بيني وبينك لا بيني وبين الشافعي فاني اعرف العدل
 والحق وما أنزل الله واجتهد رأيي اذ لم اجد في كتاب الله وسنة رسوله نصاً وانت لا تعرف
 شيئاً من ذلك ولا تقدر على ان تجتهد رأيك اذ لا رأي لك ولا اجتهد لان اجتهاد الرأي هو
 ارجاع الحكم إلى الكتاب والسنة بالمقاييس او بعلاقة يسوغها الاجتهاد وانت لا تعرف كتاباً ولا

فضلا ان تعرف كيفية الارجاع اليهما بوجوه مقبولة كان هذا الجواب الذي اجاب به المجتهد مع كونه حقا يحتاجا بعدا عن ان يفهمه العامة او تدع عن لصاحبه لهذا ترى في هذه الاوقات الغربية الشأن ما ينقله المقلد عن امامه او وقع في النفوس ما ينقله المجتهد من كتاب الله وسنة رسوله صلعم وان جاء من ذلك بالكثير الطيب قد رأينا وسمعنا ما لا يشك فيه انه من علامات القيامة على ان كثيرا من المقلدين قد ينقل في حكمه او فتواه عن مقلد مثله قد صار تحت اطباق الثرى وامامه عنه براء فيجول ويصهل وينسج لك الى مذهب الامام وينسب من يات بما يخالفه من كتاب او سنة الى الابتداع ومخالفة المذهب وصيانة اهل العلم وهو لو ارتفعت رتبته عن هذا الحضيض قليلا لعلم انه المخالف لامامه لا الموافق له ومن كان بهذه المنزلة فهو صاحب الجهل المركب الذي لا يستحق ان يخاطب بل على كل صاحب علم ان يرفع نفسه عن مجادلته ويصون شأنه عن مقاولته الا ان يطلب منه ان يعلم ما علم الله وبالله التوفيق واثر لنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب خطاب لمحمد صلعم والكتاب القران والتعريف للعهد والتعريف في الكتاب الثاني للجنس اي انزلنا اليك يا محمد القران حال كونه متلبسا بالحق وحال كونه مصدقا لما بين يديه من كتب الله المنزلة لكونه مشتقا على الدعوة الى الله والامر بالخير والنهي عن الشر كما اشتملت عليه واماما يترأى من مخالفة بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليس بخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلام تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي يدور عليها امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناس المتأخر وانما يدل على مشروعيةها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها مع ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها ومهمنا عليه الضمير عائد الى الكتاب الذي صدقه القران وهمين عليه والمهمين الرقيب وقيل الغالب المرتفع وقيل الشاهد وقيل الحافظ وقيل المؤمن قال المبرد اصله مؤمن ابدل من المهمزة هاء كما قيل في اרכת الماء هزقت وبه قال الزجاج وابو علي الفارسي قال الجوهري هو من امن خيرة من اخوف واصله آمن فهو ما آمن يقال همين على الشيء همين اذا كان له حافظا فهو له همين كذا عن ابي عبيد وقرأنا

وابن محيص مهيئنا بفتح الميم اي عيّن عليه الله سبحانه والمعنى على قراءة الجهور ان القليل من
 شاذ هذا بصحة الكتب المتزلة ومقر ما فيها مما لم ينسخ وناقصا لما خالف منها ورفيا عليها وحافظا
 لما فيها من اصول الشرائع وغالبها لكونه المرجع في الحكم منها والمنسوخ ومؤتمنا عليها لكونه مشتقا
 على ما هو معمول به منها وما هو متروك فاحكم بينهم اي بين اهل الكتاب عند قضاكم اليك
 وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم احكامهم بما انزل الله اي بما انزله اليك في القرآن لا شقاله
 على جميع ما شرعه الله لعباده في جميع الكتب السابقة عليه الاتفاقيات بظواهر الاسماء اجليل لتربية القضاة
 والاشعار بعلّة احكامهم ولا تتبع اهلهم اي اهواء اهل الملل السابقة وقال ابن عباس لا تأخذ
 باهوائهم في جلد الحصن عما جاءك من الحق اي لا تعدل ولا تتحرف عما جاءك من الحق فبقيا
 لا هوأئهم ولا تتبع اهواءهم عادة او مخرفا عن الحق وفيه انهجه له صلعم عن ان يتبع اهوية اهل
 الكتاب ويعدل عن الحق الذي انزله الله عليه فان كل مرة من الملل تهوي ان يكون الامر على
 ما هم عليه وما ادر كوا عليه سلفهم وان كان باطلا منسوخا ومخرفا عن الحكم الذي انزله الله
 على الانبياء كما وقع في الرجم وغيره مما حرقوه من كتب الله والخطاب وان كان للنبي صلعم لكن المراد
 به غيره لانه صلعم لم يتبع اهواءهم لكل جعلنا منكم الخطاب الامم الثلاثة امم عليهما السلام
 صلعم سلم عليهم اجمعين والناس كافة لكن لا للموسويين خاصة بل لما ضيق بين اهلها بطريق التوسيع
 وجه التلوين والاتفاقيات شرعية منها ما الشرع والشرعية في الاصل الطريقة الظاهرة التي
 يتوصل بها الى الماء ثم استعملت فيما شرعه الله له اعادة من الدين والمنهاج الطريقة الواضحة البينة
 وقال محمد بن يزيد المبرج الشرعية ابتداء الطريق والمنهاج الطريقة المستتم ومعه الآية انه جعل
 التوراة لاهلها والانجيل لاهله والقرآن لاهله وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن واما بعد
 فلا شرعة ولا منهاج الا ما جاء به صلعم قال ابن عباس في الآية سنة وسبيل وقال قتادة سبيل
 وسنة وقد وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء وعلى حصول التباين بينهم
 والجمع بينهم ان الاولى في اصول الدين والثانية في فروعها وما يتعلق بظاهر العبادات الله اعلم
ولو شاء الله جعلكم امة واحدة بشرية واحدة وكتابا واحدا ورسولا واحدا في جميع الاعمال
 من غير نسخ وتحويل ولكن ليبين لكم اي ولكن لم يسألكم ذلك الاتقاد بل ساء الا بطلا لكونه اختلافا

الشرائع فيكون ليلوكم متعلقا بخذوف دل عليه سياق الكلام فيما آتاكم اي فيما انزل عليكم
 من الشرائع المختلفة باختلاف الاوقات والرسول هل تعاون بذلك وقد عنون له او تتركونه وتخالفونه
 اقتضاه مشيئة الله وحكمته وقيامون الى الهوى وتشترون الضلالة بالهدى وفيه دليل على ان
 اختلاف الشرائع هو لهذه العلة اعنى الابتلاء والامتحان لا يكون مصالح العباد مختلفة باختلاف
 الاوقات والاختصاص فاستيقن الخيرات اي اذا كانت المشيئة قد قصت باختلاف الشرائع ^{سقطت}
 الى فعل ما امركم بفعله وترك ما امركم بتركه اي فابتدروا انتهازا للفرصة وحيازة لفضل
 السابق والتقدم والاستباق المسارعة الى الله لا الى غيره مرجكم جميعا وهذه الجملة كالعلة لما قبلها
فيتبينكم بما كنتم فيهم فتنتم من امر الدين والدنيا فيفصل بين الحق والمبطل والطائع والمعا
 بالثواب والعقاب واين احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي ازلنا عليك الكتاب
 واحكم بما فيه وقد استدلل بهذا على نعم التخيير المتقدم في قوله او اعرض عنهم وقد تقدم ^{تفسير}
 ولا تتبع اهواءهم اي فيما امروك به وليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وانما انزلت في حكمين ^{فما غلب}
 اما الآية الاولى فنزلت في شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلد وهذه الآية نزلت في
 شأن الدماء والديات حين قاتلوا اليه في امر قتل كان بينهم واحد ثم ان يفتنوك عن بعض
 ما انزل الله اليك اي يضلوك عنه ويصرفوك بسبب هواهم التي يريدون منك ان تعمل عليها
 وتؤثرها ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق فان تولوا اي ان اعرضوا عن قبول حكمك
 بما انزل الله عليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم بالعقوبة في الدنيا فذلك لما
 اراده الله من تعذيبهم ببعض ذنوبهم وهو خير التولي عنك والاعراض عما جئت به وانما عابر
 بذلك ايدافا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم التولي
 وان كثرة من الناس لفاسقون متمردون عن قبول الحق خارجون عن الانصاف احكم اجماعهم
 يعنيهم الاستفهام لانكار والتوبيخ والمعنى اعرضون عن حكمك بما انزل الله عليك ويتولون عنه
 ويتقون حكم اجماعهم التي هي متابعة الهوى الموجبة لليل والمداهنة في الاحكام واما اهل اجماع ^{هذه}
 وحكمهم فهو ما كانوا عليه من المفاضلة بين القتل من بني النضير وقرينة قال ابن عباس هو ما
 كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام وتقريرهم اياها عما امر الله به والاستفهام في ومن احسن

ع

مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ^{لأنكار} أيضا أي لا يكون أحد حكمه أحسن من حكمه أو مسأوله
 عند أهل اليقين لا عند أهل الجمل والأهواء وإن كان ظاهر المسبك غير متعرض لمنفي المساواة ^{والتكامل}
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ^{منافين} الظاهر أنه خطاب عام يعم حكمه كافة المؤمنين
 حقيقة وقيل المراد بهم المنافقون ووصفهم بالإيمان باعتبار ما كانوا يظهرونه وقد كانوا يوالون
 اليهود والنصارى فهو بمن ذلك والاولى أن يكون خطا بالكل من يتصف بالإيمان اعم من أن
 يكون ظاهرا وباطنا أو ظاهرا فقط فيدخل المسلم والمنافق ويؤيد هذا قوله فترى الذين في
 قلوبهم مرض والاعتبار بعموم اللفظ قل ابن عباس أسلم عبد الله بن أبي بن سلول ثم قال إن بيني
 وبين قريظة حلفا وإني أخا فالدائر فاردا كافرا وقال عبادة بن الصامت أبرأ إلى الله من
 قريظة والنضير واتولى الله ورسوله فتركت وهذا يتضح المراد والمراد من النهي عن اتخاذهم أولياء
 أن يعاملوا معاملة الأولياء في المصداقة والمعاشرة والمناصرة ^{بعضهم أولياء لبعض المؤمنين اليهود}
 لبعض الآخر منهم وبعض النصارى أولياء لبعض الآخر منهم وليس المراد ببعض خطائهم
 اليهود والنصارى وبالبعض الآخر الطائفة الأخرى للقطع بأنهم في غاية من العداوة والشقاق
 وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وقيل المراد أن
 كل واحدة من الطائفتين توالى الأخرى وتعاضدها وتناصرها على عداوة النبي صلعم وعداوة
 ما جاء به وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين ووجه تعليل النهي بهذه الجملة أنها
 تقتضي أن هذه الموالاة هي شأن هؤلاء الكفار لا شأنكم فلا تفعلوا ما هو من فعلهم فتكونوا
 مثلهم ولهذا عقب هذه الجملة التعليلية بما هو كالنتيجة لها فقال وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ ^{مَنْكُرٌ} أَي مَنْ
 يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم
 لأنه لا يوالى أحد إلا وهو عنه راض فإرضاه عنه رضوخه فيه فصار من أهل ملته
 وهو وعيد شديد فإن العصية الموجبة للكفر هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية و
 هذا تعليل من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين
 الإسلام وسنة رسول الله صلعم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ^{تعليل للجملة التي قبلها أي}
 أن وقوعهم في الكفر هو بسبب عدم هدايته سبحانه لمن ظلم نفسه بما يوجب الكفر كمن يوال الكافرين

نذكر

قال حذيفة ليقبض احدكم ان يكون يهوديا او نصرانيا وهو لا يشعر وتلى هذه الآية وعنه اي
 موسى قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كتابا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله الا اتخذت
 حذيفا يعني مسلما اما سمعت قول الله وتلى هذه الآية قلت له دينه ولي كتابه فقال لا اكرهم
 اذا هانم الله ولا اعزهم اذا اظلم الله ولا ادنيهم اذا بعد هم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا
 به فقال مات النصاني والسلام يعني هب نه مات فما تصنع بعده فما تعلمه بعد موته فما
 الآن واستعن عنه بغيره من المسلمين فترى الذين في قلوبهم مرض الفاء للسببية والخطاب
 اما الرسول ضلما او لكل من يصلح له اي ما ارتكبه من الموالاة ووقعوا فيه من الكفر ^{بسبب} فحق
 ما في قلوبهم من مرض النفاق والشك في الدين والروية اما قلبية او بصرية وقرئ فيرى
 بالتحية واختلف في فاعله ما هو فقيل هو الله عز وجل وقيل هو كل من يصلح منه الروية وقيل
 هو الموصول اي فيرى القوم الذين يسارعون فيهم اي في مودة اليهود والنصارى ^{تتم} موالاة
 ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسارعونهم ويفشونهم لاجل ذلك نزلت في ابن ابي
 المنافق واصحابه وجعل المسارعة في موالاةهم مسارعة فيهم للمبالغة في بيان رغبهم في ذلك
 حتى كانت مستقرة فيهم داخلون في عدادهم يقولون نخشى ان نصيبنا دائرة ^{تتم} مستقلة
 على تعليل المسارعة في الموالاة اي ان هذه الخشية هي الحاملة لهم على المسارعة والدائرة ما
 يدور من مكابرة الدهر ودائرة كالدولة التي تدور اي يقول المنافقون انما نالنا اليهود لاننا
 نخشى ان يدور علينا الدهر بمكره وهو الهزيمة في الحرب والقطر والجذب والحوادث الخفية
 قال ابن عباس نخشى ان لا يتم امر محمد صلعم فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد يعني نخشى ان يظفر
 الكفار بمحمد صلعم فتكون الدولة لهم وتبطل دولته فيصيبنا منهم مكروه وقرئ الراغب بين
 الدائرة والدولة بان الدائرة هي الخط المحيط ثم عبر بها عن الحادثة وانما يقال في المكروه والدولة
 في المحبوب فعسى الله ان ياتي بالفتح رد عليهم ودفع لما وقع لهم من الخشية وعسى في كلام الله
 سبحانه وصدصادق لا يتخلف والفتح ظهور النبي صلعم على الكافرين ومنه ما وقع من قتل مقاتلة
 بني قريظة وسبي ذراريهم واجلاء بني النضير وقيل هو فتح بلاد المشركين على المسلمين وقيل
 فتح مكة او اسر من عنده هو كل ما تنفذ به صولة اليهود ومن معهم وتنكس به شوكتهم وقيل

هو اظهرها امر المنافقين واخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما اسروا في انفسهم وامره بقتلهم وقيل هو الخبيثة
 التي جعلها الله عليهم وقيل الخصب والسعة للمسلمين فيصبحوا اي المنافقون على ما اسروا في
 انفسهم من النفاق الاحمال لهم على الموالاة نادمين على ذلك لبطلان الاسباب التي جعلوها
 وانكشاف خلافها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان ما وقع من هذه الاطراف
 اي يقول الذين آمنوا اطباء لليهود ومشيرين الى المنافقين وقت اظهر الله تعالى نعمته
 اهل الآخرة للاستفهام التعجبي الذين آمنوا بالله محمد ايمانهم انهم لمعكم بالمناصرة
 والمعاودة في القتال او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين وهذه الجملة مفسرة
 للقول ومحمد لا يمان اذ ظنها حبطت اعمالهم اي بطلت وهو من تمام قول المؤمنين واستظهره
 ابو حيان وبه قال الزنجشيري اجملة مستأنفة والقائل الله سبحانه والاعمال هي التي عملوها في الموالاة
 وكل عمل يعملونه وعليه هو المفسرين فاصبحوا خاسرين في الدنيا باقتضاحهم وفي الآخرة
 باسباط ثواب اعمالهم وحصول العذاب الدائم المقيم يا ايها الذين آمنوا من يردكم عن ديني
 هذا شروع في بيان احكام المرتدين بعد بيان ان موالاة الكافرين من المسلم كفر وذلك نوع
 من انواع الردة ذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدية ورئيسهم ذوالحمار وبنو حنيفة وهم قوم مسيلة الكذاب بنو سبد
 وهم قوم طلحة بن خويلد وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فرقة قوم عيينة بن
 حصن الفراري وخطفان قوم فرقة بن سلمة العشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو
 يربوع قوم مالك بن بريدة وبعض قديم قوم سجاح بنت المنذر وكندة قوم الاشعث بن قيس
 الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الخطمي بن يزيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق
 وفرقة واحدة ارتدت في زمن خلافة عمر بن الخطاب وهم عنان قوم جبلة بن الاهيم فكفى
 الله امرهم على يد عمر رضي الله عنه فسوف يأتي الله بقوم المراد بالقوم الذين وعد الله سبحانه
 بالاتبان هم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتلهم
 اهل الردة ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين في جميع الزمن قال بعض الصحابة ما ولد
 بعد النبيين افضل من ابي بكر لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة ولما هم ابو بكر فيقتلهم

فكرة ذلك بعض الصحابة وقال بعضهم هم اهل القبلة فقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجد وابدا من الخرج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك الا بئله تجدناه في الانتهاء اخرج الحكم والبيهقي وخبرهما عن ابي موسى الاشعري قال تليت عند النبي صلعم هذه الآية فقال النبي صلعم قومك يا ابا موسى اهل اليمن وفي الباب روايات واخرج البخاري في تاريخه وابن ابي شيبة وابو الشيخ عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلعم عن قوله فسوف ياق الله بقوم الآية فقال هؤلاء قوم من اهل اليمن ثم كذبة ثم السكون ثم تحيب وعن ابن عباس هم اهل القادسية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصره وارسول الله صلعم واعانوه على اظهار الدين والاول اولي ثم وصف الله سبحانه هؤلاء القوم بهذه الاوصاف العظيمة المشقة على غايتهم الملاح ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم فقال يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ومن كونهم اذلة على المؤمنين اعززة على الكافرين هذه من صفات الذين اصطفاهم الله يعني انهم ارقاء رجاء لاهل دينهم اشداء اقرباء غلظة على عدائهم قاله علي قال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته قال ابن الانباري اتفق الله عليهم بانهم يتواضعون للمؤمنين اذ القوهم ويعنفون الكافرين اذ القوهم ولم يرد ذلك الهوان بل الشفقة والرحمة وانما اتى بلفظة على ليدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم ولا ذلك جمع ذليل لاذلول والاعزة جمع عزراي يظهر من اخنوخ والعطف والتواضع للمؤمنين ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون كومة لا يمدحون عاذل في نصرهم الدين اي يجمعون بين المجاهدة في سبيل الله عدم خوف الملامة في الدين بل هم متصلون لا يبالون بما يفعله اعداء الحق وحزب الشيطان من الاذراء باهل الدين وقلوبهم منهم مساوي مناقبهم مثالب حسدا وبغضا وكراهة للحق واهله ولاشارة بقوله ذلك الى اتقاد من الصفات التي تخصهم الله بها فضل الله اي لطفه واحسانه يؤتيه من يشاء والله واسع الفضل وكثير الفضائل عليهم من هو اهلها انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يصومون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون عن ابن عباس قال تصدق علي بخاتم وهو كرم فانزل الله فيه هذه الآية وعن علي بن ابي حمزة ابو الشيخ وابن عساكر قلت لما فرغ سبحانه من بيان

ع

من لا تفل مولاته بين من هو الولي الذي يجب مولاته والمراد بالركوع الخشوع والخضوع اي
 وهم خاشعون خاضعون يتكبرون قليل يضعون الزكوة في مواضعها غير متكبرين على الفقراء
 ولا مترفعين عليهم وقيل المراد بالركوع على المعنى الثاني ركوع الصلوة ويدفعه عدم جواز
 اخراج الزكوة في تلك الحال وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرِيدُ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ أَيْ نَصْرَ حَزِينِهِمُ الْغَالِبُونَ بِالْحِجْرَةِ الْبَرَاءَةِ
 فَانْهَامُ مَسْتَمِرَّةٌ أَبَدًا بِالْأَمَلِ وَالصَّلَاةِ وَالْأَمَلِ غَلَبَ حَرْبَ اللَّهِ غَيْرَ مَرَّةٍ حَتَّى فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكُوفِيُّ وَصَلَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَهْمُ الْغَالِبِينَ لَعَدُوَّهُمْ
 وَالْحَرْبُ الصَّنْفُ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَوْلِهِمْ حَزْبُهُ كَذَلِكَ أَيْ نَابَهُ فَمَا كَانَ الْمُخْتَلِفِينَ مَجْتَمِعِينَ كَأَجْمَاعِ أَهْلِ
 النَّبَاةِ الَّتِي تَنْوِبُ وَحَزْبُ الرَّجُلِ أَصْحَابُهُ وَالْحَرْبُ الْوَرْدُ وَفِي الْحَدِيثِ فَضْنُ فَاتِهِ حَزْبُهُ مِنَ الْبَيْلِ
 وَتَحْزَبُوا اجْتَمَعُوا وَالْحَرْبُ الطَّوَائِفُ وَقَدْ وَقَعَ وَهُوَ الْحَمْدُ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءُ سُلَيْمٍ
 وَأَوْلِيَاءُ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْغَلَبِ لَعَدُوَّهُمْ فَانْهَامُ غَلَبُوا الْيَهُودَ بِالسَّبْيِ وَالْقَتْلِ وَالْأَجْلَاءُ خُزْنُ
 الْحِزْبِ حَتَّى صَارَ وَالْعَنَمُ اللَّهُ أَذِلَّ الطَّوَائِفُ الْكُفْرِيَّةُ وَأَقْلَاهُ شَوْكَةٌ وَمَا زِلَّ الْوَأَحْتِ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ
 يُطْعَمُونَ كَيْفَ شَاءُوا وَيَمْتَنِعُونَ نَهْمُ كَمَا يَرِيدُونَ مِنْ بَعْدِ الْبَعْثَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَجْدِيَّةِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَكُمْ هُنَّ وَأَوْلِعَاءُ هَذَا النَّهْيُ عَنْ مَوَالَاةِ الْمُخْتَلِفِينَ
 لِلَّذِينَ هُنَّ وَأَوْلِعَاءُ يَمُكُّ كُلُّ مَنْ حَصَلَ مِنْهُ ذَلِكَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ
 الْمُنْتَمِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْبَيَانُ بِقَوْلِهِ مِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَا يَنَافِي دُخُولُهُمْ
 تَحْتَ النَّهْيِ إِذَا وَجَدَتْ فِيهِ الْعِلَّةُ الْمَذْكُورَةُ الَّتِي هِيَ الْبَاعِثَةُ عَلَى النَّهْيِ وَالْكَفَّارُ الْمَشْرِكُ وَالْمُنَافِقُ
 أَوْ كَيْلَاءُ أَيْ أَنْصَارُ الْكُوفِيِّ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَاتَّقُوا اللَّهَ بَتَرُكُ مَوَالَاتِهِمْ وَتَرْكُ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنْ
 هَذَا وَخَيْرُهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَقْتَضِي ذَلِكَ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ الدُّعَاءُ
 الدُّعَاءُ بَرَفْعِ الصَّوْتِ وَنَادَاةُ مَنَادَاةٍ وَنَدَاءُ صَاحٍ بِهِ وَتَنَادَاةُ أَيْ نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَتَنَادَاةُ
 أَيْ جَلَسُوا فِي النَّادِي اتَّخَذُوا هَاهُنَا أَوْلِيَاءًا أَيْ اتَّخَذُوا أَصْلَاتَكُمْ وَقِيلَ الضَّمِيرُ لِلْمَنَادَاةِ الْمَذْكُورَةِ
 عَلَيْهَا بِنَادَيْتُمْ قِيلَ وَلَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ الْأَذَانِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فَيُسَوِّدُ
 الْجَمْعَ إِذَا نَادَى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَهُوَ خَاصٌّ بِنَدَاءِ الْجَمْعَةِ وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي كَوْنِ

الأذان واجبا او غير واجب وفي الفاظه وهو مبسوط في مواطنه ذلك بانهم قوم لا يعقلون
 الباء للسببية لان المزو واللعب شان اهل السفه والخفة والطيش قل يا اهل الكتاب هل
 تنقمون منا اي تكرهون مواصفنا واحوالنا قرا الحجه وكسر القاف وقوي بقومها وان مفرغتان ^{على} الله وفيهتان الفصحى
 نعم بفتح القاف ينقم بكسر ها حكاها ثعلب الاخرى بعكس ذلك فيها حكاها الكسائي ولم يقرأ قوله
 وما تنقموا له بالفصح واصل نعم ان يتعدى بعل يقال نعمت على الرجل انقم بالكسر فيها فانا
 ما نقم اذا عنت عليه وانما عدي هنا بمن تضمنه معنى تكرهون وتكفرون في الصحاح ما نقم
 منه الا الاحسان وقال الكسائي نعمت بالكسر لغة ونقت الامر ايضا ونعمته اذا كرهته وانقم
 الله منه اي عاقبه والاسم منه النعمة والجمع نعمات ونعم مثل كلمة وكلمات وكل وان شئت
 سكنت القاف ونقلت حركتها الى نون فقلت نعمة والجمع نعم مثل نعمة ونعم وقيل المعنى تسخطون
 وقيل تنكرون اي هل تعيبون او تسخطون او تنكرون او تكرهون منا الا ان امنا بالله وما انزل النيا
 وما انزل من قبل اي الا ايماننا بالله وبكتبه المنزل وقد علمنا باننا على الحق وهذا على سبيل
 التعجب من فعل اهل الكتاب والاستثناء مفرغ اي ليس هذا مما ينكرون وينقم به وان اكثرهم
 فاسقون بتركهم للايمان واخراجهم عن امثال او امرائه اي ما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا
 وبين تركهم وخروجهم عن الايمان وفيه ان المؤمنين لم يجمعوا بين الامرين المذكورين فان
 الايمان من جهة التمسك بالقرآن والخروج من الناقمين وقيل هو على تقدير محذوف اي واعتقادنا
 ان اكثرهم فاسقون وقيل غير ذلك قل هل انتنكموا بشي من ذلك بين الله سبحانه لرسوله ان
 فيهم من العيب ما هو اولى باللعيب وهو ما هم عليه من الكفر الموجب لعن الله وغضبه ^{مسخه}
 والمعنى هل انبئكموا بها اليهود بشر من نعمكم علينا او بشر ما تريدون بنا من المكروه او بشر
 اهل الكتاب او بشر من دينهم ^{مستوبة} عند الله اي جزاء ثابتا وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة
 مختصة بالشئ وضعت هنا موضع العقوبة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم وهي منصوبة على
 التمييز من بشر من لعنه الله اي هولاء من لعنه الله او هودين من لعنه الله وغضب عليه
 اي انتقم منه لان الغضب رادة الانتقام من العصابة وجعل منهم الفرقة وانما يراي
 مسخ بعضهم قررة وبعضهم خنازير وهم اليهود فان الله مسخ اصحاب السبب قررة وكفار طائفة

عيسى منهم خنازير وقال ابن عباس ان المسوخين كلاهما اصحاب السبت فشانهم مسخوا قرودة ومشاقهم
 مسخوا خنازير وعبد الطاغوت اي جعل منهم عبد الطاغوت باضافة عبد الى الطاغوت
 والمعنى وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت لان فعل من صيغ المبالغة كحذر وفطن للتبليغ
 في الحذر والفطنة وقرئ على ان عبد فعل ماض معطوف على غضب ولعن كانه قيل ومن
 عبد الطاغوت او معطوف على القرودة والخنازير اي وجعل منهم عبد الطاغوت حملا
 على لفظ من وقرأ ابن مسعود عبد الطاغوت حملا على معناها وقرأ ابن عباس عبد كانه
 جمع عبد كما يقال سقف وسقف ويجوز ان يكون جمع عبيد كخفيف ورغف او جمع حابد
 كبانزل وبزل وقرئ عبدا جمع عابد للمبالغة كعامل وعمال وقرئ عبد على البناء للمفعول
 والتقدير وعبد الطاغوت فيهم وقرئ عابد الطاغوت على التوحيد وقرئ عبدة وعبدة
 الطاغوت مثل كلب اكلب وقرئ وعبد عطفا على الموصول وهي قراءة ضعيفة جدا وجملة
 القراءات في هذه الآية اربع وعشرون منها ثنتان سبعيتان والباقية شاذة ذكرها السمين
 والطاغوت الشيطان او الكهنة او العجل او الاحبار او غيرها مما تقدم مستوفى وجملة ان كل
 من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت او لك في الموصوفون بالصفاء
 المتقدمة وشرك هنا على باب من التفضيل والمفضل عليه فيه احتمالان احدهما انهم لم يؤمنوا
 والثاني انهم طائفة من الكفار ومكانا تميز لان ما في النار وجعلت الشرارة للمكان وهي
 لاهله للمبالغة ويجوز ان يكون الاسناد مجازيا واضل عن سوء السبيل اي هم اضل من غيره
 عن الطريق المستقيم قيل التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا او لكونهم اشر واضل من
 يشاركهم في اصل الشرارة والضلال واذا جاءكم اي منافقوا اليهود قالوا امنا اي اظهروا
 الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به جملتان حاليتان اي جاءكم حال كونهم قد
 دخلوا عندك متلبسين بالكفر وخرجوا من عندك متلبسين به لم يؤثروا فيهم ما سمعوا منك
 بل خرجوا كما دخلوا والله اعلم بما كانوا يكتمون عنك من الكفر والنفاق وفيه وعيد شديد
 وهو لاهل المنافقون وقيل هم اليهود الذين قالوا امنا بالذي انزل على الذين امنوا وجهه
 واكفر والآخره وترى كثير امنهم يسارعون في الاثم الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلي

والضمير في منهم عائد الى المنافقين او اليهود والى الطائفتين جميعا والنصب على الحال على ان
 الروية بصرية او هو مفعول ثان لتزى على انها قلبية والمسارة في الشيء المباورة الية الاثم
 الكذب او الشرك او الحرام والعُدْوَانُ الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في الذنوب و
اَكْلِهِمُ السَّحْتِ هو احرام فعل قول من فسر الاثم باحرام يكون تكريره للمبالغة كَيْسَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ من المسارة الى الاثم والعدوان واكل السحت وهو الرشاء وما كانوا ياكلونه من غير
 وجهه كولا اي هلا وهي هنا التخصيص والتوبيخ لعلمائهم وعبادهم عن تركهم النهي عن المنكر
 ينهائهم الرَّكَّابِيُّونَ والاَحْبَارُ قال الحسن الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود وقيل
 الكل من اليهود لان هذه الايات فيهم عن قولهم الْاَثَرُ يعني الكذب واَكْلِهِمُ السَّحْتِ اي الرشاء
 واحرام كَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ اي الاحبار والرهبان اذا لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا
 فيه زيادة على قوله لبسما كانوا يعملون لان العمل لا يبلغ درجة الصنع حتى يتدرب فيه صا
 ولهذا تقول العرب سيف صنيع اذا جرد عامله عمله فالصنع هو العمل الجيد لا مطلق العمل فوج
 سبحانه الخاصة وهم العلماء التاركون للامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما هو اغلظ واشد من توبيخ
 فاعلى المعاصي فليقم العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرجوا لها عن قلوبهم فانها قد جاءت
 بما فيه البيان الشافي لهم بان كفهم عن المعاصي مع ترك انكارهم على اهلها لا يمين ولا يمين
 من جوع بل هم اشد حالا واعظم وبالا من العصاة فرحم الله عالما قام بما اوجبه الله عليه من
 فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو اعظم ما افترضه الله عليه وواجب ما وجبت عليه
 النهوض به اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين
 لا يخافون قبلك لومة لائم واعنا على ذلك وقونا عليه ويسره لنا وانصرنا على من تعدى ^{حدودك}
 وظلم عبادك انه لا ناصر لنا سواك ولا مستعان غيرك يا مالئ يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين
 وقد وردت احاديث كثيرة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لاحاجة لنا في بسطها هنا
 ففى الآية ايضا ذم لعلماء المسلمين على توانيهم في النهي عن المنكرات ولذلك قال ابن عباس
 ما في القرآن آية اشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها
 وفيه دلالة على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكب لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ أَي مَقْبُوضَةٌ عَنْ إِدَارِ الرِّزْقِ عَلَيْنَا كَوَافٍ عَنْ الْبُخْلِ تَعَالَى
 اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَالْيَدُ عِنْدَ الْعَرَبِ تَطْلُقُ عَلَى الْجَارِحَةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا
 وَعَلَى النِّعْمَةِ يَقُولُونَ كَمَا يَدِي عِنْدَ فُلَانٍ وَعَلَى الْقُدْرَةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ
 اللَّهِ وَعَلَى التَّائِيدِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْقَاضِي حِينَ يَقْضِي وَعَلَى الْمَلِكِ يَقَالُ هَذِهِ
 الضِّعْفَةُ فِي يَدِ فُلَانٍ أَيْ فِي مَلِكِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ أَيْ يَمْلِكُ
 ذَلِكَ مَا الْجَارِحَةُ مُنْقِيَةٌ فِي صِفَتِهِ عَنْ وَجَلٍ وَأَمَّا سَائِرُ الْمَعَانِي الَّتِي فَسَّرْتُ الْيَدَ بِهَا عِنْدِي فَهِيَ
 الْمُسْكِلِينَ وَأَهْلُ التَّوْبِيلِ فِيهِ أَشْكَالٌ لِأَنَّهُ إِذَا فَسَّرْتُ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ فَقُدْرَتُهُ وَاحِدَةٌ وَالْقُرْآنُ
 نَاطِقٌ بِأَثْبَاتِ الْيَدَيْنِ وَاجْتِيبَ عَنْهُ بَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى طَرِيقِ التَّمَثِيلِ عَلَى وَفْقِ كَلَامِهِمْ كَقَوْلِهِ
 تَعَالَى وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَالْعَرَبُ تَطْلُقُ عَلَى الْيَدِ عَلَى الْبُخْلِ وَبَسْطِهَا عَلَى الْجُودِ
 حِجَازًا وَلَا يَرِيدُونَ الْجَارِحَةَ كَمَا يَصِفُونَ الْبُخْلَ بِأَنَّهُ جَعْدٌ لَا نَامِلٌ وَمَقْبُوضُ الْكَفِّ فَمَرَادُ اللَّهِ هُنَا
 عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بَخِيلٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَغْلُولَةٌ أَيْ بَخِيلَةٌ وَإِنْ فَسَّرْتُ بِالنِّعْمَةِ فَفَضُّ الْقُرْآنِ
 يَنْطِقُ بِالْيَدَيْنِ وَنِعْمَةٍ غَيْرِ مُحْصَوْرَةٍ وَاجْتِيبَ عَنْهُ بِأَنَّ هَذَا بِحَسَبِ الْجِنْسِ وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ أَنْوَاعُ كَثِيرَةٌ
 لِأَنَّهُ لَا لَهَا وَمَا الْبَعْدُ وَأَجْوَابُ عَنْ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْيَدَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ وَهِيَ صِفَةٌ
 سِوَى الْقُدْرَةِ مِنْ شَأْنِهَا التَّكْوِينِ عَلَى سَبِيلِ الْأَصْطِفَاءِ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
 أَخْبَرَ عَنْ أَدَمَ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْكَرَامَةِ وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ بِقُدْرَتِهِ أَوْ نِعْمَتِهِ أَوْ مَلَكِهِ
 لَمْ يَكُنْ تَخْصُوصِيَّةً أَدَمَ بِذَلِكَ وَجِهَ مَفْهُومٌ وَأَمْتَنَ كَوْنُ أَدَمَ مُصْطَفًى بِذَلِكَ لِأَنَّ ذَلِكَ حَاصِلٌ
 فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فَلَا يَدُ مِنْ أَثْبَاتِ صِفَةٍ أُخْرَى وَرَاءَ ذَلِكَ يَقَعُ بِهَا الْخَلْقُ وَالتَّكْوِينُ عَلَى سَبِيلِ
 الْأَصْطِفَاءِ وَبِهِ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ عَلَيْهِ مَا نَقَلَهُ الرَّازِيُّ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَكُنْجُو
 عَنْ الْجَوَابِ لثَانِي أَنَّ الْأَسْمَ إِذَا ثَنِيَ لَا يُؤْدِي فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا عَنْ أَثْنَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا دُونَ الْجَمْعِ
 وَلَا يُؤْدِي عَنْ الْجِنْسِ فَثَبَّتْ أَنَّ الْيَدَ صِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ كَمَا قَالَتْ
 الْجَمْعَةُ وَالْيَهُودُ وَلَا نِعْمَةٌ وَقُدْرَةٌ كَمَا قَالَتِ الْمَعْتَزِلَةُ وَلَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ ذَلِكَ أَجَابَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ
 بِقَوْلِهِ عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ هَذَا عَاءٌ عَلَيْهِمْ بِالْبُخْلِ فَيَكُونُ الْجَوَابُ عَلَيْهِمْ مُطَابِقًا لِمَا ارَادَهُ بِقَوْلِهِمْ
 يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ وَيَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ أَيْدِيهِمْ حَقِيقَةً بِالْإِسْرَافِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ وَيَقْوَى

المعنى الاول ان النخل قد لزمت اليهود لزوم الظل للشمس فلا ترى يهوديا وان كان ماله في عاية
الكثرة الا وهو من النخل خلق الله وقيل الجازا وفق بالمقام لمطابقة ما قبله عن ابن عباس قال
قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس ان ربك يخيل لا ينفق فانزل الله هذه الآية
وحسنه انها نزلت في قحاص اليهودي وعن عكرمة نخوة والمعنى امسكت ايديهم عن كل
خير قال الزجاج رحمه الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهو الخلاء وايديهم هي الممسكة ولعنوا
بما قالوا انباء لسببية ايما بعدوا من رحمة الله بسبب قولهم هذا فمن لعنتهم انهم مستحقون
الدينيا فردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والحزن في روفي الآخرة لهم عذاب النار
ثم رد الله سبحانه بقوله ^{عليهم} بل يداه مبسوطتان اي بل هو في غاية ما يكون من الجود وذكر
اليدين مع كونهم لم يذكر والا اليد الواحدة مبالغة في الرد عليهم باثبات ما يدل على غاية
السخاء فان نسبة الجود الى اليدين ابلغ من نسبته الى اليد الواحدة لافادة الكثرة اذ
ما يبذله السخي من ماله ان يعطي يديه وهذه الجملة الاضربية معطوفة على جملة مقدرة
يقتضيها المقام اي كلاليس الامر كذلك بل يداه مبسوطتان يعني هو جواد كريه على سبيل
الكمال وحكي الاخفش عن ابن مسعود انه قرأ بل يداه مبسوطتان اي منطلقا ويد الله
من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجع فيجب علينا الايمان بها والتسليم واثباتها له تعالى و
اصرارها كما جاءت في الكتاب السنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال تعالى لما خلقت بيدي
وقال النبي صلعم عن عيين الرحمن وكلتا يديه يمين فاجارة متنفية في صفته عز وجل ^{كجسمة}
انكروها وتاؤلوا بالنعمة والقدرة وهم المعطلة وهذا الانتفاء انما هو عند المؤمنين واليهود
فانهم مجسمة فيجعل حمل اليد عندهم على اجارة بحسب اعتقادهم الفاسد ^{ويوفق} كيف يشاء
جملة مستأنفة مؤكدة كمال جوده سبحانه اي انفاقه على ما تقتضيه مشيئته وحكمته فاذ
وسع وان شاء قتر لا اعتراض فهو القابض الباسط فان قبض كان ذلك لما يقتضيه
حكيمته الباهرة لا شيء اخر فان خزان ملكه لا تقني ومواد جواره لا تنتهي قال تعالى لو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وقال يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يداه ملائ لا تغنيها نفقة بقاء الليل

وقف لانهم

والنهار ارايتهم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه
على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض اخرجه البخاري ومسلم وفي الباب احاديث كثيرة
اللام هي لام القسم اي ليزيد ^{والله} كثير ^{منهم} علماء اليهود والنصارى ورؤساؤهم ^{ما انزل}
اليك من القرآن ^{والله} المشتغل على هذه الاحكام احسنة من ربك طغيانا الى طغيانهم وكفرا
الى كفرهم عن قتادة قال حملهم حسد محمد صلعم والعرب على ان تركوا القرآن وكفروا به
ودينه هم جيدونه مكتوبا عندهم والقينا بينهم اي بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء
اليوم القيمة فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجية وبعضهم مشبهة
او بين اليهود والنصارى فهم فرق كالمكانية والنسبورية واليعقوبية والماروانية لا يقال
ان هذا المعنى حاصل بين المسلمين ايضا فكيف يكون عيبا عليهم لا على المسلمين لانا نقول
ان هذه البدع والافتراق ليس شيئا منها حاصل بينهم في الصدر الاول وانما حدثت بعد عصر
النبي صلعم فحسن جعل ذلك عيبا عليهم في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلعم
قال ابو حيان العداوة اخض من البغضاء لان كل عدو مبغض وقد يبغض من ليس بعدو
قاله الكرخي ^{كلما} او قد وانا نار الحرب اطفأها الله اي كلما جمعوا للحرب جمعا واحدا والعدا
شئت الله جمعهم وذهب برحمتهم فلم يظفوا بباطل ولا عادوا بغاظة بل لا يحصلون من ذلك
الا على انفسهم ذلك بان بعث الله عليهم نخت نصر الباطلي ثم افسدوا فبعث عليهم طيطوس الرومي
ثم افسدوا فاسطط عليهم المجوس وهم اهل الفرس ثم افسدوا وقالوا يدا الله مغولة فبعث الله التليد
فلا تزال اليهود في ذلة ابداهن هكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ثم يبطل الله ذلك
قال مجاهد كلما مكر وامكر في حرب محمد صلعم اطفأه الله تعالى وعن السدي قال كلما جمعوا
امرهم على شيء فرقه الله وقذف في قلوبهم الرعب والآية مشتقة على استعارة بليغة وسلوة
بديع وقيل المراد بالنار هنا الغضب اي كلما اتاروا في انفسهم غضبا اطفأه الله بما جعله من
الرعب في صدورهم والذلة والمسكنة المضروبين عليهم قال قتادة لا تلقى اليهود بيلدة الا
وجدتهم من اخل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه ويسعون في الارض فسادا لا يجهدون
في فعل ما فيه فساد ومن اعظمه ما يريدونه من ابطال الاسلام وكيد اهل الله والله لا يحب

المفسدين ان كانت اللام للجنس فهم داخلون في ذلك دخول اوليا وان كانت للعهد
 فوضع الظاهر موضع المضمحلين شدة فسادهم وكونهم لا ينفكون عنه ولو ان اهل
 الكتاب اي لوان المتسكين بالكتاب وهم اليهود والنصارى على ان التعريف للجنس بيان
 كالحالهم في الآخرة امنوا الايمان الذي طلبه الله منهم ومن اهل الايمان بما جاء به محمد صلعم
 كما امروا بذلك في كتب الله المنزل عليهم واتقوا المعاصي التي من اعظمها ما هم عليه من
 الكفر بالله وبمحمد لما جاء به رسول الله صلعم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان
 كانت كثيرة متنوعة لان الاسلام يجب ما قبله وقيل المعنى لو سئنا عليهم في اركانهم لا دخلنا
 تكرير اللام لتأكيد الوعد جئات التعميم مع المسلمين يوم القيمة وتوابعهم اقاموا التوراة والانجيل
 بما فيها من الاحكام التي من جملتها الايمان بما جاء به محمد صلعم وما انزل اليهم من ربهم اي
 من سائر كتب الله التي من جملتها القرآن فانها كلها وان تزلت على غيرهم هي في حكم المنزلة عليهم
 لكونهم متعبدين بما فيها لا ككوا من فوقهم ومن تحت اجلهم ذكر فوق وتحت للمبالغة في تيسر
 اسباب الرزق لهم وكثرها وتعدد انواعها عن ابن عباس قال لا كلوا من فوقهم يعني لا رسل
 عليهم السماء مدرا ومن تحت اجلهم قال يخرج الارض من بركاتها وعن قتادة نحوه منهم
 امة مقتصد في جواب سوال مقد كانه قيل هل جميعهم متصفون بالاوصاف السابقة وبعض
 منهم ون بعض فقال منهم امة حادثة غير غالية ولا مقصورة والمقتصدون منهم هم المؤمنون
 كعب الله بن سلام ومن تبعه وطائفة من النصارى قال مجاهد هم مسلمة اهل الكتاب وعن الربيع
 بن انس قال الامة للمقتصد الذين لا هم فسقوا في الدين ولا هم غلوا والغلو الرغبة والفسق التقصير
 عنه وعن السدي مقتصد اي مؤمنة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير
 وكثير منهم ساء ما يعملون وهم المصدرون على الكفر المتمادون عن اجابة محمد صلعم والايمان بما جاء به
 مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود اخرج ابن مردويه عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله
 صلعم فذكر حديثا قال ثم حدثني النبي صلعم وقال تفرقت امة موسى على اثنين وسبعين ملة واحدة منها
 في الجنة واحد وسبعون منها في النار وتفرقت امة عيسى على اثنين وسبعين ملة واحدة منها
 في الجنة واحد وسبعون منها في النار تعلوا امتي على الفريقين جميعا ملة واحدة في الجنة وثلثان في النار

منها في النار قالوا من هم يا رسول الله قال الجاحات الجاحات قال يعقوب بن زيد كان علي بن ابي طالب
 اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث تلى فيه قرأنا قال ولوان اصل الكتاب امنوا الآية
 وتلى ايضا ومن خلقنا امة يهدون بالحن وبه يعدلون يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير
 في تفسيره بعد ذكره لهذا الحديث ما لفظه وحديث افتراق الامم الى بضع وسبعين مئة
 من طرق عديدة قد ذكرناها في موضع اخر انتهى قلت اما زيادة كونها في النار لا واحدة فقد
 ضعفها جماعة من الحديثين بل قال ابن حزم انها موضوعة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
 من ربك العجوم الكائن في ما انزل يفيد انه يجب عليه صلوات يبلغ جميع ما انزل الله عليه
 لا يكتم منه شيئا وفيه دليل على انه لم يسر الى حد ما يتعلق بما انزل الله شيئا ولهذا ثبت
 في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد
 كذب وفي صحيح البخاري من حديث ابي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال قلت لعلي بن ابي طالب
 هل عندكم شيء من الوحي ما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرء النسمة الا هما يعطيه
 الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير
 لا يقتل مسلم بكافر وان لم تفعل ما امرت به من تبليغ الجميع بل كتمت ولو بجزء من ذلك خوفا
 من ان تنال بمكره فما بلغت قرا اهل الكوفة رسالتك بالتوحيد وقرا اهل المدينة واهل
 الشام رسالاته على اجمع قال النخاس والجمع ابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الوحي
 شيئا فشيئا ثم يبينه انتهى وفيه نظر فان نفي التبليغ عن الرسالة الواحدة البتة من نفيه عن
 الرسالات كما ذكره علماء البيان على خلاف في ذلك وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل
 اليه وقال لهم في غير موطن هل بلغت فيشهدون له بالبيان فجزاه الله عن امته خيرا وشاهدا
 ان يكتم شيئا مما اوحى اليه عن ابي سعيد الخدري قال تلت هذه الآية يوم غد يرخم في حلي ابن
 ابي طالب وعن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الرسول بلغ ما انزل
 من ربك ان عليا مولى المؤمنين وان لم تفعل فما بلغت رسالته وعن الحسن ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني برسالة فضقت بها ذراعا وعرفت ان الناس مكن في فوجدني لا بلغت
 اولي عذ بني فاتلت يا ايها الرسول الآية والله يعصمك من الناس ان الله سبحانه وعده بالعضة

من الناس دفعا لما يظن انه حامل على كتم البيان وهو خوف لحوق الضرر من الناس وقد كان
 ذلك مجدا لله فانه بين لعباده ما نزل اليهم على وجه التمام ثم حل من ابى من الدخول في الدين
 على الدخول فيه طوعا او كرها وقتل منها ديد الشراك وقرق جوعهم وبيده شملهم وكانت كلمة
 الله هي العليا واسلم كل من ارعاه من لم يسبق فيه السيف العذل حتى قال يوم الفتح لصناديد المشركين
 واكابرهم ما تظنون اني فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء وهكذا
 من سبقت له العناية من علماء هذه الامة يعصمه الله من الناس ان قام ببيان حججه الله ايضا
 براهينه وصريح بين ظهراني من ضاده وعانده ومن لم يمثل لشرعه كطوائف المبتدعة وقد
 من هذا في انفسنا وسمعنا منه في غيرنا ما يزيد المؤمن ايمانا وصلابة في دين الله وشدة شكيته
 في القيام بحجة الله وكما يظنه مترلا لوالاقدام ومضطربا للقلوب من نزول الضرر بهم وهو
 المحي عليهم في خيالات مختلفة وتوهمات باطلة فان كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة لانها
 لا تأتي الا بخير في الاول والاخرى ان في ذلك لعبرة لمن كان قلبا والقي السمع وهو شهيد وقصة
 غورث بن احارث ثابتة في الصحيح وهي معروفة مشهورة كما تقدم فان قلت اليس قد شرب الله
 وكسرت رباعيته يوما واحدا وقد اذى بضرب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين هذه
 الآية قلت المراد انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد ويدل له حديث جابر في الصحيح
 فقال ان هذا اخضرط علي سيفي الى قوله فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا وقيل ان هذه
 الآية نزلت بعد ما شرب راسه في يوم احد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وكان
 الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت فقال نصر فوا فقد عصمتي الله رواه احكام بطوله ان الله لا يهدي
 القوم الكافرين جملة متضمنة للتعليل ما سبق من العصمة ايمان الله لا يجعل لهم سبيلا الى
 الاضرار بك فلا تخف وبلغ ما امرت بتليغته وقال ابن عباس لا يرشد من كذبتك واعرض عنك
 وقال ابن جرير الطبري المعنى ان الله لا يرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل
 وحجده ما حدث به من عند الله ولم ينته فيما فرض عليه واوجبه قل يا اهل الكتاب لستم
 على شيء فيه تخفير وتقليل لما هم عليه اي استم على شيء يعتد به من الدين المرتضى عند الله
 حتى يقيموا التوراة والانجيل اي حتى يعملوا بما فيها من اوامره ونواهيه التي من جلتها امرهم

بإتباع محمد صلعم ونهيك عن مخالفته قال ابو علي الفارسي ويجوز ان يكون ذلك قبل النسخ لهما
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ قِيلَ هُوَ الْقُرْآنُ فان اقامة الكتابين لا تصح بغير اقامته ويجوز ان
يكون المراد ما انزل اليهم على لسان الانبياء من غير الكتابين وليكن ذلك كثير آمنهم ^{بما} انزل
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا أي كفر الى كفرهم وطغيانا الى طغيانهم والمراد بالكثير منهم من
يسلم واستمر على المعاندة وقيل المراد به العلماء منهم ونصدي هذه الجملة بالقسم كيد مضمونها
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ أي دع عنك التأسف على هؤلاء فان ضرر ذلك راجع اليهم
ونازل بهم ^{ان} الَّذِينَ آمَنُوا بالسنتهم وهم المنافقون وَالَّذِينَ هَادُوا أي دخلوا في دين اليهود
وهو مستلزم والواو لعطف الجمل والاستيناف والصائبون النصابة معطوفان على المبتدأ وقال الخليل
وسبويه الرفع محمول على التقديم والتأخير والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا من
بالله واليوم الآخر والصائبون والنصارى كذلك وقيل غير ذلك وفي المقام وجوه تسع آخر
ذكرها السمين والذي مشينا عليه اوضح واظهر من الكل وظاهر الاعراب يقتضي ان يقال ^{عائذ} الصائبون
وكذا قرأ ابي وابن مسعود وابن كثير وقرأ الجمهور بالرفع وقد تقدم الكلام على الصائبة النص
في سورة البقرة وهو من صبا يصبولانهم صبو الى اتباع الهوى ويبدل من المبتدأ الذي هو الفرق
الثلاثة بدل بعض قوله مَنْ آمَنَ بِاللهِ ايمانا خالصا على الوجه المطلوب واليوم
الآخر منهم وحذف لكونه معلوما عند السامعين ومحل علاصا محلا فلا خوف عليهم
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أي فهو الذي لا خوف عليه ولا حزن هذا على كون المراد بالذين آمنوا المنافقين
واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا جميع اهل الاسلام للخلص المتناهي فالمراد بمن آمن من
اتصف بالايان الخالص واستمر عليه ومن احدث ايمانا خالصا بعد نفاقه لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ كَلَامَ مَبْدَأِ لِبَيَانِ بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ اخْبِيْثَةٌ وَجَنَاحَاتُهَا الْمَنَادِيَةُ بِاسْتِعْدَادِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ
أي والله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة
وقد تقدم في البقرة بيان معنى الميثاق وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا لِيَعْرِفُوهُمْ بِالشَّرَائِعِ وَيُنْذِرُوهُمْ
كَلَّمَآ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّمَّا لَا هُوَ كِي أَنْفُسُهُمْ حِمْلَةٌ شَرْطِيَّةٌ وَقَعَتْ جَوَابًا لِسُؤَالِ نَاشٍ مِنَ الْآخِيَارِ
بارسال الرسل كانه قيل ما فعلوا بالرسول وجواب الشرط محذوف أي عصوه فريقا كذا جوابا لجملة مستأنفة

باجواب عن سوال ناش عن الجواب الاول كانه قيل كيف فعلوا بهم ف قيل فريقا كذبوا منهم ولم
يتعرضوا لهم بضرب وفريقا اخر منهم يقتلون اي قتلوهم ولم يكتفوا بتكذيبهم وانما قال وفريقا
يقتلون لمراعاة رؤس الامي فمن كذبوه عليه واصناله من الانبياء ومن قتلوه زكريا ويحيى
وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله ومخالفة لامره وحسبوا الا تكون فتنة اي حسب
هو الذين اخذ الله عليهم الميثاق ان لا يقع من الله عز وجل ابتلاء واختبار بالشدة اذا غارت
بكم لان نحن ابناء الله واجباؤه وحسب بمعنى علم لان ان معناه التحقيق وحسب بمعنى الظن على
ان ان ناصبة للفعل قال الخاس والرفع عند النحويين في حسب واخواتها اجود وانما حملهم على
ذلك الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرح اخر غير شرعهم يحجبهم
تدريسه وقتله فلهذا حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما قدموا على
ذلك لا اعتقادهم ان اباؤهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة فعموا عن اصدار
الهدى وصموا عن استماع الحق وهذا الشارة الى ما وقع من بني اسرائيل في الابتداء من مخالفة
احكام التوراة وقتل شعبيا وقيل سببه عبادتهم الجبل في زمن موسى عليه السلام ولا يصح
فانها وان كانت معصية عظيمة ناشية عن كمال العجب والصمم لكنها في عصر موسى ولا تعلق
لها بما حكى عنهم ما فعلوا بالرسول الذين جاءوا اليهم بعد موسى عليه السلام ثم تاب الله عليهم
حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا بابل دهر طويلا تحت قهر بن نبي
اسارى في غاية الذل والمهانة فكشف عنهم الذلة والخط رشموا وصموا وهذه
شارة الى ما وقع منهم بعد التوبة من قتل يحيى بن زكريا وقصد لهم لقتل عيسى وقيل بسبب الكفر
بما كانوا عليه من الضمير قال الكرخي هذا الابدال في غاية البلاغة والله بصير بما يعملون
من قتل الانبياء وتكذيب الرسل فيجازيهم حسب عملهم وصيغة المضارع كحكاية الحال الماضية
ولرعاية الفواصل كقَدْ كَفَرُ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ هذا كلام مبتدأ يتضمن
ان بعض فضاخ اهل الكتاب والقائلون بهذه المقالة هم فرقة منهم يقال لهم يعقوبية وقيل
هم ملاحية قالوا ان الله عز وجل حل في ذات عيسى فان مريم ولدت الها فرد الله عليهم بقوله قال
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ اِي وَاحِدًا ان قد قال المسيح هذه المقالة فكيف يدعون

الاحدية لمن يعترف على نفسه بانه عبد مثلهم ودلائل حدوث ظاهرة عليه انك الشان من
 يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة كلام مبتدأ يتضمن بيان ان الشرك يوجب قهر يخرج
 الجنة اذا صاحبه على شركه قيل هو من قول عيسى ومآونة النار اي مصيره اليها في الآخرة
 وما للظالمين اي المشركين فيه مراعاة معني من بعد مراعاة لفظها وفي الاظهار في مقام
 الاضمار للتبجيل عليهم بوصف الظلم من انصار ينصرونهم فيدخلونهم الجنة ويخلصونهم من النار
 ويعنونهم من عذاب الله وصيغة الجمع هنا للاشعار بان نصره الواحد مرغيد يحتاج الى التضرع
 لنفسه لشدة ظهوره وانما يغني التعرض لنفي نصره لجمع لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة
 كلام مبتدأ ايضا لبيان بعض مخازيمهم والمراد بثالث ثلثة واحد من ثلثة ولهذا ايضا انما بعد
 ولا يجوز فيه التنوين كما قال الزجاج وغيره وانما ينون ينصب بعد اخا كان بعد ثلثة بمرتبة نحو ثالث اثنين
 ورابع ثلثة والقاتل بانه سبحانه وتعالى ثالث ثلثة هم النصاري والمراد بالثلاثة الله سبحانه وعيسى
 ومريم كما يدل عليه قوله انت قلت للناس اتخذوني واممي الهين وهذا هو المراد بقولهم ثلثة
 اقنيم اقنيم الاب واقنيم الابن واقنيم روح القدس وقد تقدم في سورة النساء كلام في هذا
 وهو كلام معلوم البطلان ولا ترى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة
 النصاري قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلثة ولم يرد به انه ثالث ثلثة الهة
 لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة البقرة ما يكون من
 نجوى ثلثة الا هو ابعهم ولا خسة الا هو سادهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يكر ما ظنك بآبائهم
 الله ثالثهما ثم رد الله سبحانه عليهم هذه الدعوى الباطلة فقال وما من الله الا اله واحد اية
 ليس في الوجود اله الاثافي له ولا شريك له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله سبحانه وهذه الجملة
 حاكية والمعنى قالوا تلك المقالة والحال انه لا موجود الا الله ومن في قوله من اله لتأكيد الاستغراق
 المستفاد من النفي قاله الزمخشري قال السمين ولكن لم ادرهم قالوه وفيه مجال للنظر وقيل زائدة وان
 لم ينتهوا عما يقولون من الكفر وهذه المقالة الخبيثة ليس من الذين كفروا منهم من بيانية
 او تبعية عذاب اليم انواع شديد الالم من العذاب وجميع في الآخرة افلا الهة الا انكار والقاء
 للعطف حل مقدرون من قولهم بالتثنية الى الله ويستغفرونه فيه تعجيب من اصرارهم

وقيل لا

بمعنى الامري ليتوبوا وليستغفروا والله عفو رحيم لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم والوا والحال رحيم بهم
 ما المسيح بن مريم ^{عليه السلام} الرسول اي هو مقصور على الرسالة لا يجاوزها كما دعمت جملة قد دخلت صفة
 لرسول اي ما هو الرسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وما وقع من المعجزات لا يوجب
 كونه الها فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها فان الله احيا العصا في يد موسى وخلق آدم من
 غير اب فكيف جعلتم احياء عيسى للموتى وجوده من غير اب انه يوجب كونه الها فان كان
 كما تزعمون الهالذلك فمن قبله من الرسل الذين جاوا بمثل ما جاء به الحق وانتم لا تقولون
 بذلك وامم عطف على المسيح اي وما امه الا صديق يصادق فيما تقولوا ومصدق لما جاء به
 ولها من الرسالة وذلك لا يستلزم الاطهية لها بل هي كسائر من يتصف بهذا الوصف ^{النساء}
 اللاتي يلزمن الصدق او التصديق وبالعن في الاتصاف به فما رتبتهما الاربعة بشر ^{اصل}
 نبى والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوها بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم ووقع اسم
 الصديقة عليها القول تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه كاتبا لا لان الطعام ستيئا
 يتضمن للتقريب لما اشير اليه من انها كسائر افراد البشري من كان ياكل الطعام كسائر المخلوقين
 فليس برب بل عبد مروب ولدته النساء فتى يصلح ان يكون ربا واما قولكم انه كان ياكل ^{طعام}
 بنا سوته لا بلاهوته فهو كلام باطل يستلزم اختلاط الاله بغير الاله ولو جاز اختلاط المقدس ^{بالحادث}
 كما ان يكون القديس حادنا ولو صح هذا في حق عيسى لصح في حق غيره من العباد انظر كيف
 ثبت لهم الايات اي الدلالات الواضحات على وحدانيتنا وفيه تعجيب من حال هؤلاء الذين
 يجعلون تلك الاوصاف مستلزما للاطهية ويغفلون عن كونها موجودة فيمن لا يقولون بانه الله
 ثم انظر اني بؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان يقال افك يافكه اذا صغر
 وكره الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب جاء بثم لاظهار ما بين العجيبين من التفاوت وقيل الاول
 امر بالنظر في كيفية ايضاح الله تعالى لهم الايات وبيانها والثاني بالنظر في كونهم صرفوا عن
 تدبرها والايمان بها قل اتعبدون امراة سبحانه رسوله صلوات الله عليه وسلم هذا القول
 الزايلهم وقطعا الشبهة عنهم بعد تعجبه من احوالهم اي اتعبدون من دون الله فحقا ونرين اياه
 ملائكتكم لكم خيرا وانتم تعلمون هو عبد مامور وما جرى على يده من النفع او وقع من الضرر

فهو باقدار الله وتمكينه منه واما هو فهو يعجز عن ان يملك لنفسه شيئا من ذلك فضلا عن
 ان يملكه لغيره ومن كان لا ينفع ولا يضر فكيف تتخذونه الها وتعبدونه واي سبب يقتضي
 ذلك والمراد هنا المسيح عليه السلام واشار ما على من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمنزل عن
 الألوهية راسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وقد
 سبحانه الضر على النفع لان دفع المفساد اثم من جلب المصالح وهذا دليل قاطع على ان امره
 الربوبية والالهية حيث لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب والاله ان يكون قادرا على كل شيء
 لا يخرج مقدور عن قدرته وهذا في حق عيسى النبي فما ظنك بولي من الاولياء فانهما على ذلك
 واحال ان الله هو السميع العليم ومن كان كذلك فهو القادر على الضر والنفع لاحاطته بكل مسمع
 ومعلوم ومن جملة ذلك مضاركم ومنافعكم وقيل ان الله هو المستحق للعبادة لانه يسمع كل شيء
 يعلمه واليه يحو كلام النخسري قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم لما ابطال سبحانه جميع
 ما تعلقوا به من الشبه الباطلة نهاهم عن الغلو في دينهم وهو المجاوزة للحد كاثبات الالهية
 لعيسى كما يقوله النصارى او حطه عن مرتبته العلية كما يقوله اليهود فان كل ذلك من
 الغلو المذموم وسلوك طريقة الافراط والتفريط واختيارهما على طريق الصواب وشأنه
 على انه نعمت لمصدر محمد ون اي غلوا خير غلوا الحق واما الغلو في الحق بلاغ كلية الجهد
 في البحث عنه واستخراج حقائقه فليس بمذموم وقيل ان النصب على الاستثناء المتصل وقيل
 على المنقطع قال قتادة لا تغلوا اي لا تبدعوا عن ابن زيد قال كان مما غلوا فيه ان دعوا
 صاحبة ولدا ولا تتبعوا الهوى تقوم جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه وتال
 الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا وذمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا
 موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى اخيرا انما يقال فلان يحب اخيرا ويريد ان الخطاب لليهود
 والنصارى الذين كانوا في زمن رسول الله صلعم هو اعن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوا من
 الضلالة باهوانهم هو المراد بقوله قد صلوا امن قبل اي قبل البعثة الحمدية على صاحبها الصلوة
 والحقية وصلوا عن قصد هم طريق محمد صلعم بعد البعثة المراد ان اسلافهم وصلوا قبل البعثة
 بغلوه في عيسى واصلوا كثير من الناس اذ ذاك وصلوا من بعد البعثة اما بانفسهم

ع

او جعل ضلال من اضلوه ضلالا لهم لكونهم سنوا لهم ذلك ونحوه لهم وقيل المراد بالاول كفرهم
 بما يقتضيه العقل والثاني كفرهم بما يقتضيه الشرع وقيل الاول ضلالهم عن الانجيل والثاني
 ضلالهم عن القرآن عن سَوَاءِ السَّبِيلِ اي عن طريق الحق لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
 على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله سبحانه في الزبور والانجيل على لسان داود وعيسى
 بما فعلوه من المعاصي لا اعتداهم في السبت وكفرهم بعيسى وعن ابي مالك الغفاري قال
 لعنوا اي اليهود على لسان داود فجعلوا قرده وهم اصحاب ايلة والنصارى على لسان عيسى
 فجعلوا خنازير وهم اصحاب المائدة وكانوا خمسة الاف ليس فيهم امرأة ولا صبي والفريقان من
 بني اسرائيل وعن قتادة نحوه وكان داود بعد موسى وقبل عيسى ذلك بما عصوا وكانوا
 يُعْتَدُونَ جملة مستأنفة والمعنى ذلك اللعن بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب اخرجه من سبب
 المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون عن مُنْكَرِ فَعْلَوْهُ اسند الفعل اليهم لكون فاعله
 من جملتهم وان لم يفعلوه جميعا والمعنى انهم كانوا لا ينهون العاصي عن معاودة معصية
 قد فعلها او تخيلوا فعلها ويحتل ان وصفهم بانهم قد فعلوا المنكر باعتبار حالة النزول لاجل
 ترك الانكار وبيان العصيان والاعتداء بترك التناهي عن المنكر لان من اخل بواجب التنهي
 عن المنكر فقد عصى الله سبحانه وتعدى حدوده والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اهم
 القواعد الاسلامية واجل الفرائض الشرعية ولهذا كان تاركه شريكا لفاعل المعصية مستحقا
 لغضب الله وانتقامه كما وقع لاهل السبت فان الله سبحانه مسخ من لم يشاركهم في الفعل ولكن ترك
 الانكار عليهم كما مسخ المعتدين فصاروا جميعا قرده وخنازيان في ذلك لعل من كان له قلب
 والى السمع وهو شهيد ثم ان الله سبحانه قال مقبلا عدم التناهي عن المنكر لِيَسْمَاكَ كُتُوبًا
 يفعلون من تركهم لانكار ما يجب عليهم انكاره واللام لام القسم عن ابن مسعود قال قال رسول
 صلوات الله عليه وسلم ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله
 ودع ما تنصنع فانه لا يحل لك تولي قاء من الغد وهو على حاله فلا يمنع ذلك ان يكون اكيله و
 شربه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا الى قوله
 فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتؤطرنه

على الحق اطراء ولتقصصه على الحق قصرا زاد في رواية اوليضر بن الله قلوب بعضكم ببعض ثم
يلعنكم كما لعنهم اخرجهم ابوداود والترمذي وحسنه وابن ماجة وغيرهم وقلوب من طرق
كثيرة والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا فلا تطول بذكرها وعن ابي عبيدة بن الجراح يرفع
قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباده
فامروهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا في اخر النهار فهم الذين كفروا من بني اسرائيل
الايات ترى كثيرا منهم اي من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا
اي المشركين وليسوا على دينهم ليس ما قد كنت اي سولت وزينت لهم انفسهم او ما قد موه
لا نفسهم ليردوا عليه يوم القيامة والخصوص بالذم هو ان يخط الله عليهم اي يخط
الله عليهم حل حذف مضان او هو يخط الله حل حذف المبتدأ اي بما فعلوا من موالات الكفار
وفي العذاب هم خالدون يعني في الآخرة ولو كانوا يؤمنون بالله واليومئذ اي نبيهم محمدا
انزل اليه من الكتاب اتخذ وهو اي المشركين والكفار اولياء لان الله سبحانه ورسوله المرسل
اليهم وكتابه المنزل عليه قد نهوه عن ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون اي خارجون
عن ولاية الله وعن الايمان به ورسوله وكتابه قال مجاهد هم المنافقون يتحدثون اشدة
التأين عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا هذه جملة مستأنفة مفرقة لما قبلها
من تعداد مساوي اليهود وهناتهم ودخول لام القسم عليها يزيد لها تأكيدا وتقريرا وقال
ابن عطية اللام للابداء وليس بشيء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له كما في غير
الموضع من الكتاب العزيز والمعنى ان اليهود والمشركين لعنهم الله اشد جميع الناس عداوة للمؤمنين
واصلهم في ذلك ويتحدثون اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى اي ان النصارى
اقرب الناس مودة للمؤمنين وصنفهم بدين العربية وسهولة قبولهم الحق قيل مذهب اليهود
انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين بأي طريق كان مثل القتل
ونهب المال او بانواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء
في مذهبهم حرام فحصل الفرق بينهما وقيل ان اليهود مخصوصون بالحصر الشديد على الدنيا
وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديدا للعداوة الغير في النصارى من هو معرض عن الدنيا

ولذا انها وترك طلب الرياسة فمن كان كذلك فانه لا يفسد احد ولا يعاد يبل يكون لين العريكة في طلب الحق
والاول اولي قال مجاهد هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر واصحابه من ارض الحبشة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
ما حلى يهودي يسلم الا هم يقتله وفي لفظ الاحدث نفسه يقتله رواه ابو الشيخ قال ابن كثير وهو غير جدا
وعن عطاء قال ما ذكر الله به النصارى من خير فانما يراد به النجاشي واصحابه وعنه
قال هم ناس من الحبشة امنوا اذا جاءتهم مهاجرة المؤمنين فذلك لهم ولكن الاعتبار بمو
اللفظ لا بخصوص السبب لك اي كونهم اقرب مودة بان الباء للسببية منهم قسيسين
جمع قس وقسيس قاله قطرب والقسيس العالم واصله من قس اذا تتبع الشيء وطلبه و
تقسست اصواتهم بالليل سمعتها والقس النيمة والقس ايضا رئيس النصارى في الدين
والعلم وجمعه قسوس ايضا وكذلك القسيس مثل الشر والشرير ويقال في جمع قسيس تكسيرا
قساوسة والاصل قساوسة فالمراد بالقسيسين في الآية المتبعون للعلماء والعباد وهو اما
عجي خلطته العرب بكلامها او عربي ورهبانا جمع راهب كركبان وراكب والفعل رهب الله
يرهبه اي خافه والرهبانية والتربس التعبد في الصوامع قال ابو عبيد وقد يكون رهبان
لواحد والجمع قال الفراء ويجمع رهبان اذا كان للمفرد رهبانين كقربان وقربان ثم وصفهم
الله سبحانه بعدم الاستكبار عن قول الحق فقال وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ بل هم متواضعون
بخلاف اليهود فانهم على ضد ذلك قيل ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في
عداوة المسلمين كاليهود بل الآية فيمن امن منهم مثل النجاشي واصحابه والعمرو اولي ولا وجه
لتخصيص قوم دون قوم والاية الكريمة ساكنة عن قيد الايمان وانما هو مدح في مقابلة
ذم اليهود وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين وصف اليهود بشدة الشكامة و
النصارى بلين العريكة وفي الآية دليل على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وان كان علم
القسيسين وكذا علم الاخرة وان كان في اهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصرانية

وَإِذَا سَمِعُوا

مستأنفة قاله الجلال السيوطي او معطوفة على لا يستكبرون قاله ابو السعود والضمير يعود
على النصارى المتقدمين بعمومهم وقيل هو لمن جاء من الحبشة الى النبي صلى الله عليه وآله قال ابن عطية لان كل

النصارى ليسوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول أي القرآن ترى أعينهم تفيض من الدمع ممسكا
 عن قوائم الحق أي تمتلئ تفيض لأن الفيض لا يكون إلا بعد الامتلاء جعل العين تفيض
 والفائض إنما هو الدمع قصد المبالغة كقولهم دمعت عينه ووضع الفيض الذي ينشأ من
 الامتلاء موضع الامتلاء من اقامة المسبب مقام السبب ومن الأولى لا ابتداء الغاية والثانية بنية
 أي كان ابتداء الفيض ناشيا من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه ويجوز أن تكون الثانية
 تبعية وقدا وضح بالقسم هذه غاية الايضاح والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فاشتد بكاءهم
 فكنت اذا عرفوه كله وقرء القرآن واحاطوا بالسنة عن ابن الزبير قال نزلت هذه الآية في المشركين
 واحبايهم وعن ابن عباس نحوه والروايات في هذا الباب كثيرة وهذا المقدار يكفي فليس المراد
 الايمان سبب نزول الآية وصفهم سبحانه بسبيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع
 القرآن يقولون مستأنفة لا محل لها كانه قيل فما حالهم عند سماع القرآن فقال يقولون يعني
 القسيسين والرهبان او حال من اعينهم او من فاعل عرفوا ربنا أمنا بهذا الكتاب النازل من
 عندك على محمد صلعم ومن انزلته عليه فكتبنا مع الشاهدين على الناس يوم القيامة من
 امة محمد ومع الشاهدين بانه حق ومع الشاهدين بصدق محمد وانه رسولك الى الناس
 وما لنا كلام مستأنف والاستفهام للاستبعاد أي أي شيء حصل لنا حال كوننا لا نؤمن بالله
 على توجيه الانكار الى السبب والسبب جميعا لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب وما جاءنا من
 الحق أي القرآن من عنده على لسان رسوله او المراد به الباري تعالى والمعنى أنهم استبعدوا انتفاء
 الايمان منهم مع وجود مقتضى له وهو الطمع في انعام الله بالاستفهام والنفي متوجها الى القيد
 والمقيد جميعا كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ونطعم عطف على نؤمن لا على لا نؤمن كما وقع
 للزخري ذكر ذلك ابو البقاء باختصار ولم يطلع عليه ابو حيان فحشه وقال لم يذكره أن
 يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين أي ما لنا نجوع بين ترك الايمان وبين الطمع في صحبة
 الصالحين يعني مع امة محمد صلعم وقيل مع الانبياء والمؤمنين فانما هم الله بما قالوا أي على هذا
 القول مخلصين له معتقدين بضمونه جئات تجري من تحتها الأنهار يخرج القول لأنه قد سبق وأ
 بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء واستنكات القلب خلد في فيها أي في الجنات ذلك

جزاء المحسنين الموحدين المخلصين في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا التكذيب لايات
 كفر فهو من باب عطفت الخاص على العام أو ليك احجاب بحجج هذا الرد في حق الاحياء
 والاول اثر القبول للاولياء وبحجج النار الشديدة الانتقاد ويقال حمر فلان النار اذا شد دايقاد^{ها}
 ويقال ايضا لعين الاسد حمة لشدة انتقادها يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
 لكم الطيبات هي المستلذات مما احله الله لعباده الذين امنوا ان يحرموا على انفسهم شيئا منها
 اما لظنهم ان في ذلك طاعة لله وتقربا اليه وانه من الزهد في الدنيا وقمع النفس عن شهواتها
 أو لقصدها ان يحرموا على انفسهم شيئا مما احله لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم حرام
 علي وحرمته على نفسي وهو ذلك من الالفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني قال ابن جرير لا يجوز
 لاحد من المسلمين تحريم شيء مما احل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس
 والمنالك ولذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم القتل على عثمان بن مظعون فثبت انه لا فضل في ترك شيء مما احله
 الله لعباده وان الفضل والبر انما هو في فعل ما ندب الله اليه عباده وعمل به رسول الله صلى الله
 وسنة لامته واتبعه على منهاج ائمة الراشدون اذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله
 كان ذلك كذلك تين خطأ من اثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان اذ اقتص
 على لباس ذلك من حلة واثر اكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرا من عارض الحاجة
 الى النساء قال فان ظن ان الفضل في خير الذي قلنا لما في لباس الخشن واكله من المشقة على
 النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة الى اهل الحاجة فقد ظن خطأ وذلك ان الاول لا يلائم
 صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها ولا شيء اضر على الجسم من المطاعم الردية لانها مفسدة
 لعقله ومضعفة لادواته التي جعلها الله سبيلا الى طاعته انتهى ولا تعتدوا على الله بتحريم طيبات
 ما احل لكم ولا تعتدوا فاحلوا ما حرم الله عليكم اي تترخصوا فاحلوا حراما كما غيتم عن التشديد
 على انفسكم بتحريم الحلال وقد ذهب جمهور العلماء الى ان من حرم على نفسه شيئا مما احل الله له
 فلا يجرم عليه ولا تزمه كفارة وقال ابو حنيفة واحمد ومن تابعهما ان من حرم شيئا صار حراما
 عليه فذا تناوله لزمته الكفارة وهو خلاف ما في هذه الآية وخلاف ما دلت عليه الاحاديث
 الصحيحة ولعله يأتي في سورة التحريم ما هو ايسر من هذا ان شاء الله تعالى وظاهرة تحريم كل اعتداء

اي مجاوزة لما شرعه الله في كل امر من الامور اخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اذا اكلت اللحم انتشرت للنساء واخذتني شهوة واني حرمت علي اللحم فقلت هذه الآية واخرجه الترمذي وقال حسن غريب واخرج ابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه عنه في الآية قال نزلت في رهط من الصحابة قالوا انقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسبح في الارض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصوموا فطروا انا وام وانك النساء فمن اخذ بسنتي فموني ومن لم ياخذ بسنتي فليس مني وقد ثبت في هذا في الصحيحين وغيرهما من دون ذكر ان ذلك سب نزول الآية وفي الباب روايات كثيرة بهذا المعنى وكثير منها موضح بان ذلك سب نزول الآية ان الله لا يحب المعتدين اي المجاوزين الاحلال الى الحرام وكوا ايمارا ذكروا الله اي تمتعوا بانواع الرزق وانما خص الاكل لانه اغلب الانتفاع بالرزق حلالا طيبا اي غير محرم ولا مستقذر او اكلا حلالا طيبا او كوا حلالا طيبا قال ابن المبارك الاحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما اخذته وانما فاما الجاهل كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه الاعلى وجه التداوي ثم وصاهم الله تعالى بالتقوى فقال واذكروا الله الذي انتم به مؤمنون هذا تأكيد للوصية وفي الآية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده لا يؤخذكم الله بالغفوي ايماءكم قد تقدر تفسير اللغو واختلاف فيه في سورة البقرة عن سعيد بن جبير قال هو الرجل يحلف على احلال وقال مجاهد هما رجلان يتبايعان يقول احدهما والله لا ابيعك ويقول الاخر والله لا اشتري بكذا وعن النخعي قال اللغو ان يصل كلامه بالحلف والله لا تأكلن والله لا تشربن ونحو هذا لا يريد به عينا ولا يتعمد حلفا فهو لغو اليمين ليس عليه كفارة قيل في معنى من قاله القرطبي والايمان جمع يمين وفي الآية دليل على ان ايمان اللغو لا يؤخذ الله احلف بها ولا تقب فيها الكفارة وقد ذهب الجمهور من الصحابة ومن بعدهم الى انها قول الرجل لا والله وبلى والله في كلامه غير معتقد لليمين وبه فسر الصحابة الآية وهم اعرف بمعاني القرآن قال الشافعي وذلك عند اللجاج والغضب والجلل ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان اي بما تمسكتم وقصدتم به اليمين قاله مجاهد وقرئ عقدتم مخففا ومشدا والتشديد ما التكثر لان المخاطب به جماعة او بمعنى المجرى او لتوكيد اليمين ونحو والله

لا اله الا هو قري عاقدة وهو معنى المجرد او على بابه وهذا كله مبني على ان ما موصول اسمي
وقيل مصدرية على القراءات الثلاثة وعليه جرى ابو السعود والعقد على ضربين حسي كعقد
الحبل وحكي كعقد البيع واليمين والعهد فاليمين المعقدة من عقد القلب يفعلن او لا يفعلن
في المستقبل اي ولكن يؤخذ كما يمانكم المعقدة الموثقة بالقصد والنية اذا صحت فيها واما اليمين
الغموس فهي مكر وخديعة وكذب قد باء الحالف باثمها وليست بمعقودة ولا كفارة فيها
كما ذهب اليه الجمهور وقال الشافعي هي يمين معقودة لانها مكتوبة بالقلب معقودة بخير
مقرنة باسم الله والراجح الاول وجميع الاحاديث الواردة في تكفير اليمين متوجهة الى المعقودة
ولا يدل شيء منها على الغموس بل ما ورد في الغموس الا الوعيد والترغيب وانها من الكبائر بل
من اكبر الكبائر وفيها ترل قوته تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية
فكفارة هي مأخوذة من التكفير وهو التستر وكذلك الكفر هو الستر والكافر هو السا ترسميت
بها لانها تستر الذنب وتغطي الضمير في كفارة راجع الى الحث الدال عليه سياق الكلام وقيل
الى العقد لتقدم الفعل الدال عليه وقيل الى اليمين وان كانت مؤنثة لانها بمعنى الحلف فالهما
ابو البقاء وليسا بظاهرين وقيل الى ما ان جعلناها موصولة اسمية اي فكفارة نكتة كذا قدرة
الزنجشري اطعام عشرة مساكين هو ان يغديهم ويعشيمهم ويعطيهم بطريق التملك وقيل كل
مسكين مد ولا يتعين كونه من فقراء بلد الحالف من اوسط ما تطعمون المواد بالوسط هنا
المتوسط بين طرفي الاسراف والتقتير وليس المراد به الاعلى كما في غير هذا الموضع اي اطعموهم
من المتوسط مما تعتادون اطعام اهليلكم ولا يجب عليكم ان تطعموهم من اعلاء ولا يجوز لكم ان
تطعموهم من ادناه بل من غالب قوت بلد الحالف اي محل الحث قال ابن عباس يعني من عسرهم
ويسركم وظاهرة انه يجزي اطعام عشرة حتى يشبعوا وقد روي عن علي بن ابي طالب قال لا يجزي
اطعام العشرة خداء دون عشاء حتى يغديهم ويعشيمهم قال ابو عمر وهو قول ائمة الفتوى لا ماصا
وقال الحسن البصري وابن سيرين يكفيهم ان يطعم عشرة مساكين اكلة واحدة خبزا وسمنا او خبزا
وسما وقال عمر بن الخطاب وحاشية وجهاد والشعبي وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وميمون بن
مهران وابو مالك والضحك والحكم ومجول وابو قلابة ومقاتل يدفع الى كل واحد من العشرة نصف

صاع من براوترودي ذلك عن علي وقال ابو حنيفة نصف صاع من بروض صاع مما عدها وقد
 اخرج ابن ماجة وابن مردويه عن ابن عباس قال كَفَّرَ رسول الله صلعم بصالح من تركوا كَفَرُ الذَّائِرَةِ
 ومن لم يجد فنصف صاع من برو في اسناده عمر الثقي وهو مجمع على ضعفه وقال الدارقطني
 متروك أو كَسَوْهُمْ قَرِي بضم الكاف وكسرها وهما لغتان مثل أسوة واسوة والكسوة في الرجال
 تصدت على ما يكسو البدن ولو كان ثوبا واحدا وهكذا في كسوة النساء وقيل الكسوة للنساء
 درع وخمار وقيل المواد بالكسوة ما تجزي به الصلوة اخرج الطبراني عن عائشة عن النبي صلعم
 في قوله أو كَسَوْهُمْ قال عباءة لكل مسكين قال ابن كثير حديث غريب وعن حذيفة قال قلت
 يا رسول الله أو كَسَوْهُمْ ما هو قال عباءة عباءة اخرج ابن مردويه وعن ابن عمر قال الكسوة
 ثوب ازار وقيل قميص وعمامة أو خِرِيرٌ رِقَبَةٌ أي اعتاق مملوك والتحرير الاخراج من الرق
 وليست عمل التحرير في فك الاسير واعفاء الجهود لعمل عن عمله وترك انزال الضر به ولا هل العلم
 ابحاث في الرقبة التي تجزي في الكفارة وظاهر هذه الآية انها تجزي كل رقبة على أي صفة كانت
 وذهب جماعة منهم الشافعي الى اشتراط الايمان فيها قياسا على كفارة القتل حلالا لمطلق على
 المقيد جمعا بين الدليلين واللتخير واليجاب احدى الكفارات لثالث فمن لم يجد شيئا من الامور
 المذكورة فصيام أي كفارته صيام ثلاثة ايام وقرئ متتابعات حكى ذلك عن ابن مسعود
 واني فتكون هذه القراءة مقيدة لمطلق الصوم وبه قال ابو حنيفة والثوري وهو احد قول الشافعي
 وقال مالك والشافعي في قوله الاخير تجزي التفريق وظاهره انه لا يشترط التتابع ذلك المذكور
 كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحبثتم واحفظوا ايمانكم امرهم بحفظ الايمان وعدم المسارعة
 اليها او الخشع بها وفيه النهي عن كثرة الحلف والنكث ما لم يكن على فعل براء واصلاح بين الناس كما في سورة البقرة عن
 ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلعم قال في الله شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كُفِرْتُ عن يميني
 واتيت الذي هو خير اخرجه الشيخان كذلك أي مثل ذلك البيان يمين الله لكم أي جميع
 ما تحتاجون اليه في امردينكم وقد تكرر هذا في مواضع من الكتاب العز يلعنكم تشكرونها
 ما انعم الله به عليكم من بيان شرائعه وايضاح احكامه يا ايها الذين آمنوا انما الحن واليسير
 خطاب لجميع المؤمنين وقد تقدم تفسير الحن واليسير في سورة البقرة والانصاف هي الاصنام

المنصوبة للعبادة جمع نصب كحل او نصب بضمين ولا ذكر لأم قد تقدم تفسيرها في اول هذه
السورة اي قد اوح الاستقسام رجس يطلق على العذرة والاقدار قال الزجاج الرجس اسم لكل
ما استقدر من عمل قبيح يقال رجس بكسر الجيم وفتحها رجس رجسا اذا عمل عملا قبيحا واصلا من
الرجس بفتح الراء وهو شدة صوت الرعد وفرق ابن جرير بين الرجس والرجز والركس فجعل الرجس
الشر والرجز العذاب والركس العذرة والنقن وهو خبر الخمر وخبر المعطوف عليه محذوف من عمل
الشیطان صفة لرجس اي كائن من عمله بسبب تحسينه لذلك وتزيينه له ودعائه اياكم
اليها وليس المراد انها من عمل يديه وقيل هو الذي كان عمل هذه الامور بنفسه فاتخذى به بؤاء
والضمير في فاجنبوه راجع الى الرجس والى المذكور اي كونا جانيا منه لعلكم تفلحون اي لكي
تذكو الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قال في الكشاف اكد تحريم الخمر والميسر
وجوها من التاكيد منها تصديرا بحجة بانما ومنها انه قونما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلوا
شارب الخمر كعابد لوثن ومنها انه يجعلها رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها
انه جعلها من عمل الشیطان والشیطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب منها
انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها
انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤد
اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوات انتهى وفي هذه الآية دليل على تحريم
الخمر لما تضمنه الامر بالاجتناب من الوجوب وتحريم الصد لما تقر في الشريعة من تحريم قربان الرجس
فضلا عن جعله شرا يشرى قال اهل العلم من المفسرين وغيرهم كان تحريم الخمر بتدريج ونوازل
كثيرة لانهم كانوا قد افواشروها وحيبها الشیطان الى قلوبهم فاوّل ما نزل في امرها ليساؤنك
عن الخمر والميسر قل فيهما اتركبير ومنافع للناس فترك عند ذلك بعض من المسلمين شربها
ولم يتركه اخرون فترّل قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فتركها البعض ايضا وقالوا
لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلوة وشربها البعض في غير اوقات الصلوة حتى نزلت هذه الآية
انما الخمر والميسر فصار حراما عليهم حتى كان يقول بعضهم ما حرم الله شيئا اشد من الخمر وذلك
لما فهموه من الشدة وفيما تضمنته هذه الآية من الزواجر وفيما جاءت به الاحاديث الصحيحة من

الوعيد شاربها وانها من كبار الذنوب وقد اجمع على ذلك المسلمون جميعا لا شك فيه ولا
 شبهة واجمعوا ايضا على تحريم بيعها ولا تنقاع بها ما دامت خمر او كما دلت هذه الآية على تحريم
 دلت ايضا على تحريم الميسر والانصاب الا لزام قال قتادة الميسر هو القمار وقال ابن عباس كل
 القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكباب وعن علي بن ابي طالب قال الزد والشطرنج
 من الميسر عنه قال الشطرنج ميسر الاعاجم وقال قاسم بن محمد كل ما الهى عن ذكر الله وعن الصلوة
 فهو ميسر وعن ابن الزبير قال يا اهل مكة بلغني عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها نرد بشير
 والله يقول في كتابه انما الخمر والميسر الآية الى قوله فهل انتم متهنون واني احلف بالله لا اوتي
 باحد يلعب بها الا عاقبته في شعرة وبشرة واعطيت سلبه من اتاني به وعن انس بن مالك
 قال الشطرنج من الزد بلغنا عن ابن عباس انه ولي مال يتيم فاحرقها وسئل ابن عمر عن الشطرنج
 فقال هي شر من الزد وسئل ابو جعفر عنه فقال تلك المجوسية فلا تلعبوا بها واخرج ابن ابي شيبة عن
 ابي الدنيا عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالزرد شير فقد عصي الله
 ورسوله واخرج ابن ابي الدنيا عن يحيى بن كثير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعبون بالزرد فقال
 قلوب لاهية وايد عليله والسنة لاغية وقال ابن سيرين ما كان من لعب فيه قمار او صيغ
 او شر فهو من الميسر وفي الباب ما كثيرة مشقة على الوعيد الشديد لا نطول بذكرها وقد اشار
 سبحانه الى ما في الخمر والميسر من المفساد الدينية بقوله اِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ اَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ومن المفساد الدينية بقوله وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَاةِ لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلوة وكذلك القمار يشغل صاحبه
 عن ذكره سبحانه وعن الصلوة فَهَلْ اَنْتُمْ مُنْتَهُونَ فيه زجر يبلغ يفيد الاستفهام الدال
 على التقرع والتوبيخ ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما سمع هذا التهمين وقد وردت احاديث
 كثيرة في ذم الخمر وشاربها والوعيد الشديد عليه وان كل مسكر حرام وهي مدونة في كتب
 الحديث ورويت في سبيل الزول روايات كثيرة فلا نطول المقام بذكرها فلنسا بصدد ذلك
 بل نحن بصدد ما هو متعلق بالتفسير ثم اكد الله سبحانه هذا التحريم بقوله وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا
الرَّسُولَ فيما امركم به ونهىكم عنه واحذرُوا مخالفتها فان هذا وان كان امرا مطلقا فالجواب

في هذا الموضع يقيد ما ذكرناه من التأكيد وهكذا ما افاده بقوله فَإِنْ تَوَكَّيْتُمْ أي اعرضتم
عن الامتنال فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَّمَ رَسُولُنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أي فقد فعل الرسول ما هو الواجب عليه
من البلاغ الذي فيه رشادكم وصلاحكم ولم تضربوا بالمخالفة الا انفسكم وفي هذا من الزجما لا
يقادر قدره ولا يبلغ مداه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الطعام
التي يشتهونها والطعم وان كان استعماله في الاكل اكثر لكنه يجوز استعماله في الشرب منه قولنا
ومن لم يطعمه فانه مني اباخ الله لهم سبحانه في هذه الآية جميع ما طعموا كما انما كان مقيدا
بقوله إِذَا مَا اتَّقَوْا مَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ كالخمر وغيره من الكبائر وجميع المعاصي وَأَمْنُوا بِاللهِ رسول
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ من الاعمال التي شرعها الله لهم واستقروا على عملها ثم اتقوا ما حرم عليهم
بعد ذلك مع كونه مباحا فيا سبق وَأَمْنُوا بِتَحْوِيهِ واستمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي هذا معنى
الآية وقيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة وقيل باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى
وقيل باعتبار ما يتقيه الانسان فانه ينبغي له ان يترك المحرمات توقيا من العذاب الشبهها
توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسرة وقهرا بآلها عن دنس الطبيعة
وقيل لتجديد التأكيد كما في قوله تعالى كَلَّا سَوْفَ يَعْلَمُونَ ثم كلاسوف يعلمون هذه الوجوه كلها مع قطع النظر
عن سبب نزول الآية اما مع النظر الى سبب نزولها وهو انه لما نزل تحريم الخمر قال قوم الصحابة
كيف بمن مات منا وهو شربها ويأكل الميسر فنزلت فقد قيل ان المعنى اتقوا الشرك وامنوا
بالله ورسوله ثم اتقوا الكبائر وامنوا اي اذدادوا ايمانا ثم اتقوا الصغائر واحسنوا اي تقبلوا
قال ابن جرير الطبري الاتقاء الاول هو الاتقاء بتلقي امر الله بالقبول والتصديق والديونة
به والعمل والاتقاء الثاني الاتقاء بالثبات على التصديق والاتقاء الثالث الاتقاء بالاحسان
والتقرب بالنوافل والله يحب المحسنين اي المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى
والاحسان وهذا شاء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من
اشرف الدرجات واعلاها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْيَسْبُلُوكُمْ اللام القسم اي والله ليختبرنكم
الله بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ لما كان الصيد احد معاش العرب ابتلاهم الله بتجريمه مع الاحرام وفي
الحرم كما ابتلي بني اسرائيل ان لا يعتدوا في السبت وقد اختلف العلماء في مخاطبين بهذه الآية

هل هم المحلون والمحرمون فذهب إلى الأول مالك وإلى الثاني ابن عباس ولما راجع أن الخطاب
 للجميع ولا وجه لقصره على البعض دون البعض ومن في من الصيد للتعويض وهو صيد البر
 قاله ابن جرير الطبري وغيره وقيل إن من بيانية أي بشيء حقير من الصيد وتكثير شيء للتحقير
 والصيد بمعنى المصيد لا بمعنى المصدر لأنه حدث تنالهُ أي يَكْمُرُ وَرَ مَا حَكُمُ هذه الجملة تقتضي
 تعميم الصيد وأنه لا فرق بين ما يؤخذ باليد وهو ما لا يطبق الفرار من صغار الصيد كالبيض
 والفرخ وبين ما تناله الرماح وهو ما يطبق الفرار من كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وخص
 الأيدي بالذكر لأنها أكثر ما يتصرف به الصائد في أخذ الصيد وخص الرماح بالذكر لأنها أعظم
 الآلات للصيد عند العرب وكان ذلك لا ابتلاء بالحديدية سنة ست وهم محرمون بالجمرة فكانت
 الوحش والطير تغشاهم في رحالهم لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ أي ليقبض الله من يخافه
 منكوب بسبب عقابه الأخرى فإنه غائب عنكم غير حاضر وفي البيضاوي ذكر العلم وأراد وقوع
 المعلوم وظهوره أو تعلق العلم وقال السيوطي ليعلم علم ظهوره وتعلق من اعتدَى بَعْدَ ذَلِكَ الْبَيِّنَاتِ
 أو النهي الذي امتنعكم الله به فاصطاده لأن الاعتداء بعد العلم بالتحريم معاندة لله سبحانه
 وتجر عليه فله عَذَابُ أَلِيمٍ يعني في الدنيا قال ابن عباس هو أن يوشع ظهره وبطنه جلدًا قسلب
 ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين في معنى هذه الآية لأنه قد سمي الجلد عذاباً وهو قوله وليس شهد
 حذابهما طائفة من المؤمنين وقيل المواد عذاب الدارين يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ
 وَأَنْتُمْ حُرْمٌ نهاهم عن قتل الصيد في حال الأحرام وفي معناه غير محلي الصيد وأنتم حُرْمٌ التصريح
 بقوله لا تقتلوا مع كونه معلوماً مما قبله لتأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد
 للعهد حسبما سلف وهذا الوجه شامل لكل أحد من كور المسلمين وأنا شهر لأنه يقال رجل حرام امرأة
 حرام والجمع حرم وأحرم الرجل دخل في الحرم قيل هما مرادان بالآية وسيان في النهي عن قتل الصيد
 فلا يجوز قتل الصيد للحرم ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم قاله الشافعي
 وقال أبو حنيفة سواء كان مأكولاً أو لم يكن فيجب عذبة الضمان على من قتل سبعاً أو ثوراً ونحو ذلك
 واستثنى الشارح خمس فواسق فأجاز قتلهم وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مِثْقَالاً هُوَ الْقَاصِدُ لشيء مع العلم
 بالأحرام والمخطئ هو الذي يقصد شيئاً فيصيب صيداً والناسي هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر أحرام

التوكل
 في جسد
 مصلح

وقد استدلل ابن عباس واسجد في رواية عنه ودافد بأقتصاده سبحانه على العامد بأنه لا كفارة
على غيره بل لا تجب الا عليه وحده وبه قال سعيد بن جبير وطاؤس وابوثور وقيل انها تلزم
الكفارة للمخطئ والناسي كما يلزم المتعمد وجعلوا قيد التعمد خارجا عن خروج الغاوه مروي عن عمرو
والحسن والنفخي والزهري وبه قال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم وروي عن ابن عباس
وقيل انه يجب التكفير على العامد للناسي لاحرامه وبه قال مجاهد قال فان كان ذاكر الاحرامه
فقد حل ولا حج له لا تركابه محظور احرامه فبطل عليه كما لو تكلم في الصلوة او احدث فيها
فجزاء اي فعلية جزاء مقتل ما قتل من التعمد بيان للجزاء المماثل قيل المراد المماثلة في القيمة وقيل في
اخلقة وقد ذهب الى الاول ابو حنيفة وذهب الى الثاني مالك والشافعي واسجد والجمهور من الصحابة
ومن بعدهم وهو الحق لان البيان للمماثل بالنعم يفيد ذلك وكذلك يفيد هديا بالغ الكعبة
وروي عن ابي حنيفة انه يجوز اخراج القيمة ولو وجد الممثل وان المحرم مخير وللشافعي في تقد
الجزاء المماثل وتقدير القيمة اقوال مبسطة في مواضعها قال الواحدي ولا يجوز اضافة الجزاء
الى المثل لان عليه جزاء المقتول لاجزاء مثله فانه لاجزاء عليه لما لم يقتله وقد اجاب الناس
عنهما باجوبة سديدة ذكرها السمين يحكم به اي بالجزاء او بمثل ما قتل ذوا عدل منكرو اي
رجلان معروفان بالعدل التبين المسلمين لهما فطنة يميزان بها اشبه الاشياء به وقد
حكم ابن عباس وعمر وعلي في النعامة ببذنة وابن عباس وابو عبيد في بقر الوحش وحمارة
ببقرة وابن عمر وابن عوف في الظبية بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لانها تشبهه
في العباي شرب الماء بلامصل لان المشابهة مسندة في الآية للجزاء لا للمقتول وان كانت في
الواقع قائمة به فاذا حكمنا بشي لزم وان اختلفا رجع الى غيرهما ولا يجوز ان يكون الجاني احد
الحكمين وقيل يجوز وبالاول قال ابو حنيفة وبالثاني قال الشافعي في احد قوليه وظاهر الآية
يقضي حكمين غير الجاني هديا منصوب على الحال والبدل من مثل بالغ الكعبة صفة طهري لا
الاضافة غير حقيقية والمعنى انما اذا حكمنا بالجزاء فانه يفعل به ما يفعل بالهدي من ارسال
الى مكة والنحر هناك والاشعار والتقليد ولم يرد الكعبة بعينها فان الهدى لا يبلغها وانما اراد
جميع الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز ان يذبح حيث كان ولا خلاف في هذا

أو كفارة معطوف على محل من النعم وهو الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف طعام مساكين
 من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة اجزاء لكل مسكين مداً أو عدل ذلك الطعام صيماً
 يصومه عن كل من يوم ما وان وجده وجب له عليه فاجاني فخير بين هذه الانواع المذكورة
 واليه ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة وقال احمد وزفران كلمة اول الترتيب وهما روايتان
 عن ابن عباس وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه وقد قدر العلماء عدل كل صيد بالطعام
 والصيام وقد ذهب الى ان اجاني فخير بينهما جمهور العلماء وروي عن ابن عباس انه لا يخفى
 المحرم الاطعام الصوم الا اذا لم يجد الهدي والعدل بفتح العين وكسر الفتان وهما المثل قال الكشي
 وقال الغراء عدل الشيء بكسر العين مثله من جنسه وبفتح العين مثله من غير جنسه واوجبنا ذلك
 عليه ليدقق وبأل امره فهذا علة لاجاب اجزاء والذوق مستعار لادراك المشقة ومثله
 ذوق انك انت العزيز الكريم والوبال سوء العاقبة والمرعى الويل الذي يتأذى به بعد اكل وطعام
 وويل اذا كان ثقيلاً وانما سمي الله ذلك وبالألان اخراج اجزاء ثقيل على النفس لما فيه تنقيص
 المال وثقل الصوم من حيث ان فيه انهماك البدن عفا الله عما سلف يعني في جاهليتكم من
 الصيد فلم يواخذكم به وقيل عما سلف قبل التحريم وتزول الكفارة ومن عاد الى ما نهى عنه
 قتل الصيد مرة ثانية بعد هذا البيان فينتقم الله منه في الآخرة فيعذبه بذنبه وقيل
 ينتقم منه بالكفارة قال شريح وسعيد بن جبيرة يحكم عليه في اول امره فاذا حاد لم يحكم عليه
 بل يقال له اذهب ينتقم الله منك اي ذنبك اعظم من ان يكفر والانتقام المبالغة والعقوبة
 ولكن هذا الوعيد لا يمنع ايجاب اجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد
 عليه اجزاء وهذا قول الجمهور وقد روي عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل
 الصيد مرة ثالثة فلا اجزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه والله عز وجل غالب على امره وثبتنا
 من عصاه وجاؤنا بحد الاسلام احل لكم اخطاب لكل مسلم وللهموم خاصة صيد البحر
 هو ما يصاد فيه والمراد بالبحر هنا كل ما يوجد فيه صيد مجري وان كان نهراً او خديراً فالمراد
 بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة وطعامه هو اسم لكل ما يطعم وقد تقدم وقد اختلف في المراد
 منه هنا فقيل هو ما قذف به البحر الى الساحل ميتاً وطفئ عليه وبه قال كثير من الصحابة ^{بعض} والثاني

منهم أبو بكر وعمر وابن عمر وأبو أيوب وقتادة وقيل طعامه ما ملح منه وبقي وبه قال جماعة
وروي هذا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي وقيل طعامه
ملح الذي ينعقد من مائه وسائر ما فيه من نبات وغيره وبه قال قوم وقيل المراد به ما يطعم
من الصيد أي ما يحل أكله وهو السمك فقط وبه قالت الحنفية والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما
يصاد في البحر وأحل لكم المأكول منه وهو السمك فيكون كال تخصيص بعد التعميم وهو تكلف لا
وجه له بحجة حيوان الماء على نوعين سمك وغير سمك فالسمك جميعه حلال على اختلاف جنس^ه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماءه والحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي
لا فرق بين أن يموت بسببه وغير سبب فيحل أكله وبه قال الشافعي وأهل الحديث وما عدا
السمك فثمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما وقال سفيان
أرجوان لا يكون بالسرطان بأس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل أكله للحرم
وقال الجمهور أنه من صيد البر ولا يحل أكله وطير الماء من صيد البر أيضاً قال أحمد يوك كل
ما في البحر إلا الضفدع والتمساح وقال ابن أبي ليلى وما لك يباح كل ما في البحر وأخرج ابن جري عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لفظه ميتاً فهو طعامه وعن أبي بكر الصديق
قال صيد البحر ما تصطاد أي ما لا ينال وطعامه لا الثمر في لفظ طعامه كل ما فيه في لفظ طعامه ميتته ويؤيد هذا
ما في الصحيحين من حديث العنبرة التي القاهم البحر فاكل الصحابة منها وقرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك وحديث هو الطهور ماءه وأحل ميتته وحديث أحل لكم ميتتان ودمان متاعاً
تأخروا أي منعهن به متاعاً وقيل يختص بالطعام أي أحل لكم طعام البحر متاعاً وهو تكلف جاء به
من قال بالقول الأخير بل إذا كان مفعولاً له كان من الجميع أي لمن كان مقيماً منكم يا كاه طراً
وللشيخة أي المسافرين منكرية زودونه ويجعلونه قديداً وقيل السيارة هم الذين يركبون
خاصة وحرم عليكم صيد البر أي ما يصاد فيه وهو ما لا يعيش إلا فيه من الوحش المأكول
أن تصيده ما دامتم حرموا أي حرموا وظاهرة تحريم صيده على الحرم ولو كان الصائد حلالاً
واليه ذهب الجمهور أن كان الحلال صاده للحرم لا إذا لم يصد لأجله وهو القول الراجح وبه
يجمع بين الأحاديث وقيل أنه يحل له مطلقاً وذهب إليه جماعة وقيل يحرم عليه مطلقاً واليه

ذهب الآخرون وقد بسط الشوكاني هذا في شرحه نيل الأوطار وقد ذكر الله تحريم الصيد على الحرم
 في ثلاثة مواضع من هذه السورة أحدها أولها وهو قوله غير على الصيد بانتم حرم الثاني قوله
 لا تقتلوا الصيد وانتم حرم الثالث هذه الآية وكل ذلك لتأكيد تحريم الصيد على الحرم وأثقل الله
 فيما نهاكم عنه فلا تستحلوا الصيد في حال الأحرار ولا في الحرم وفي جميع الجائزات والحرمات ثم
 حذرهم بقوله الذي إليه لا إلى غيره تخشرون وفيه تشديد ومبالغة في التحذير جعل الله الكعبة
 جعل هنا بمعنى خلق وقيل بمعنى صير وقيل بمعنى بين وحكم وهذا ينبغي أن يحل على تفسير المعنى لا تفسير
 اللغة أدخله ينقل أهل العربية أنها تكون بمعنى بين ولا حكم ولكن يلزم من الجعل البيان والاول إلى
 وسميت الكعبة كعبة لأنها مربعة والتكعيب التربع والتزيوت العرب مدورة لا مربعة وقيل سميت
 كعبة لتنتوها وبروزها وكل يار كعب مستديرا كان أو غير مستدير ومنه كعب القدم وكعب
 القنا وكعب ثدي المرأة البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح قاله الرغشري
 وقيل مفعول ثان ولا وجه له وقيل بدل وسمي بيتا لأن له سقوفا وجدا وهي حقيقة البيت
 وإن لم يكن به ساكن وسمي حراما لتحريم الله سبحانه إياديه ومعنى كونه قِيَامًا لِلنَّاسِ أنه مدارعاشهم
 ودينهم أي يقومون فيه بما يصلح دينهم ودنياهم يأمنون فيه خائفهم وينصرف فيه ضعيفهم وترجع
 فيه تجارتهم ويتعبد فيه متعبدتهم وقال ابن عباس قياما لدينهم ومعالم الحج وعنه قال قياما
 أن يأمن من توجه إليها وعن ابن شهاب قال يأمنون به في الحاحلية الأولى لا في الحاحيات بعضهم من
 بعض حين يلقونهم عند البيت أو في الحرم أو في الشهر الحرام والشهر الحرام عطف على الكعبة
 وهو ذو الحجة وخصه من بين الأشهر الحرم لكونه زمان تأدية الحج وقيل هو اسم جنس والمراد به
 الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب فانهم كانوا لا يطلبون فيها دما ولا يقاتلون
 بهاءد ولا يهتكون فيها حرمة فكانت من هذه الحثية قياما للناس وجعل الله الهدى القلائد
 قياما لمصالحهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد من الهدى وهي البدن خصت بالذكور لأن النوا
 فيها أكثر وبها الحج بها اظهر فهو من عطفها لخاص على العام قاله أبو السعود ولا مانع من أن
 القلائد انفسها أي التي كانوا يقلدون بها انفسهم يأخذونها من كساء شجر الحرم إذا رجعوا من
 مكة ليأمنوا على انفسهم من العدو وذلك الجعل المذكور وقيل شرع الله ذلك وهو أقوى الوجوه لتنكحوا

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا وَيَعْلَمُ مَصَاحِكُهَا الدِّينِيَّةَ وَ
 الدِّنْيَوِيَّةَ فَانْهَازَهَا مِنْ جَمَلَةٍ مَا فِيهِمَا فَكَلَّمَ بِأَمْرِهِ لَكُمْ فَوَجَلِبْ لِمَا كُتِبَ لَكُمْ وَفَعَلْ مَا يُصْرِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يُكَلِّمُ
 شَيْئًا عَالِمًا هَذَا تَعْلِيمٌ بَعْدَ التَّخْصِصِ وَالْمَعْنَى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ إِنْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَوِمْ
 وَلَمْ يَتَبَّعْ عَنْ ذَلِكَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِأَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُصُولِ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْبَأْ
 وَأَنَابَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَا كَلَّمَ الرَّسُولَ إِلَّا الْبَلَاغُ لَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَمِثُّوا وَلَمْ يَطِيعُوا
 فَمَا ضَرُّوهُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا حُجُّوا إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا عَذْرَ لَهُمْ فِي التَّفْرِيطِ وَأَمَّا الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ فَقَدْ فَعَلَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ بِهِ وَبِالْبَلَاغِ هُوَ الْبَلَاغُ قَالَهُ السَّيُوطِيُّ وَعَبَّرَ
 الْقَاضِي كَالْكَتَائِفِ بِقَوْلِهِ أَنَّ بِمَا أَمَرَهُ مِنَ التَّبْلِغِ وَذَلِكَ لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّكْثِيرِ فِي زِيَادَةِ
 الْفِعْلِ وَالِاسْتِثْنَاءِ مَفْرُغٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْوَالِكُمْ
 أَي نَفَاقِكُمْ وَوَفَاقِكُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَيَجَازِيكُمْ بِهِ قُلْ لَا يَسْتَوِي فِي الدَّرَجَةِ وَالرَّتَبَةِ وَلَا يَعْتَدِلُ
 الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ قِيلَ الْمُرَادُ بِهِمَا الْحَرَامُ وَالْحَلَالُ وَقِيلَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَقِيلَ الْعَاصِي الْمَطِيعُ
 وَقِيلَ الرَّدِي وَالْحَجِيدُ وَالْأَوَّلَى أَنْ الْأَعْتَابَ يَعْمُومُ الْفِعْلُ فَيَشْمَلُ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَغَيْرَهَا مَا يَنْصَفُ
 بِوصفِ الْخَبَثِ وَالطَّيِّبِ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ فَالْخَبِيثُ لَا يَسَاوِي الطَّيِّبَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ
 وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ الْخَطَابِ لِلنَّبِيِّ صَلَّوْهُ وَقِيلَ لِكُلِّ مَخَاطَبٍ يَصِلُحُ خُطَابُهُ بِهَذَا الْمُرَادِ
 نَفَى الْإِسْتِثْنَاءَ فِي كُلِّ حَالٍ وَلَوْ فِي حَالٍ كَوْنِ الْخَبِيثِ مَعْجَبًا لِلرَّائِي لَكَثْرَتُهُ الَّتِي فِيهِ فَإِنْ هَذِهِ الْكَثْرَةُ مَعَ
 الْخَبَثِ فِي حُكْمِ الْعَدَمِ لِأَنَّ خَبَثَ الشَّيْءِ يَبْطُلُ فَائِدَتُهُ وَيَحْقُ بَرَكَتُهُ وَيَذْهَبُ بِمَنْفَعَتِهِ وَالْوَاوُ أَمَّا
 الْحَالُ أَوَّلُ الْعُظْفِ عَلَى مَقْدَرِ مَا لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لَوْلَمْ يَعْجَبْ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ
 كَقَوْلِكَ أَحْسَنَ إِلَى فُلَانٍ وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ أَيْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ أَيْ لِيْلِي سَاءَ إِلَيْكَ وَحَاصِلُ أَنَّ أَهْلَ
 الدُّنْيَا يَعْجَبُهُمْ كَثْرَةُ الْمَالِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قِلَّةِ الْخَيْرِ كَثْرَةُ
 الشَّرِّ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمَا أَمْرُكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ وَاتَّقُوا الطَّيِّبَ وَإِنْ قَلَّ عَلَى الْخَبِيثِ وَإِنْ كَثُرَ أَوَّلَى
 الْأَلْبَابِ الْعُقُولِ السَّالِمَةِ الْخَالِصَةِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ تَفُوزُونَ وَتَنْجُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ لَا حَاجَةَ لَكُمْ بِالسُّؤَالِ عَنْهَا وَلَا هِيَ مَا يَعِينُكُمْ فِي أُمُورِكُمْ وَفِي أَشْيَاءٍ
 مِنْ أَهْلِ الْخَلْقَةِ أَحَدُهَا أَنَّهُ اسْمُ جَمْعٍ مِنْ لَفْظِ شَيْءٍ فَهُوَ مُفْرَدٌ لَفْظًا جَمْعٌ مَعْنَى وَهُوَ رَأْيُ الْخَلِيلِ وَسَيَتَوَّ

الثاني وبه قال الغوامع ما جمع شي كمين الثالث وبه قال الاخفش انها جمع شئ بزنة فلس الرابع
وهو قول الكسائي وابي حاتم انه جمع شي كبيت واعترض الناس عليه الخامس ان وزنه افعلاء
ايضا جمع لشئ بزنة ظرفان تبد اي اذابت وظهرت لكم وكلفتم بها تسوكم اي ساءتكم
لما فيها من المشقة فهاهم الله تعالى عن كثرة مسائلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان السوال عملا يعني
ولا تدعوا اليه حاجة قد يكون سببا لاجابه على السائل وعلى غيره وقد اخرج البخاري ومسلم
وغیرهما عن انس قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثله قط فقال رجل من ابي فقال فلان
فترلت هذه الآية لا تسألوا عن اشياء واخرج البخاري وغيره نحوه عن ابن عباس وقد بين هذا
السائل في روايات اخرائه عبد الله بن حذافة وانه قال من ابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابوك حذافة اخرج
ابن حبان عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال يا ايها الناس ان الله قد افترض عليكم
الحج فقام رجل فقال كل عام يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت عنه فاعادها ثلاث مرات فقال لو قلت
نعم لو جئت ولو وجبت ما قمت بها ذروني ما تركتكم فانما هلك الذين قبلكم بكثرة سؤلهم اخلا
على انبياءهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم وذلك
ان هذه الآية اعني لا تسألوا عن اشياء نزلت في ذلك واخرجه ايضا جماعة من اهل الحديث
وكل هؤلاء صرحوا في احاديثهم ان الآية نزلت في ذلك واخرج البخاري ومسلم وغيرهما
عن سعد بن ابي وقاص قال كانوا يسألون عن الشيء وهو لهم حلال فما ذا لو ايسألون حتى
يحرّم عليهم واذا حرم عليهم وقعوا فيه واخرج ابن المنذر وهو في مسلم عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فيحرم من اجل مسألته واخرج
ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
حد واد فلا تعتدوها وفوض لكم فرائض فلا تضيعوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وترك اشياء
في غير نسيان ولكن رحمة لكم فاقبلوها ولا تجتثوا عنها وعن ابن عباس قال لا تسألوا عن
اشياء قال البصيرة والسائبة والوصيلة والحام وان تسألوا عنها الضمير يعود على نوع الاشياء
المنهي عنها لا عليها انفسها قاله ابن عطية ونقله الواحدي عن صاحب النظم ومحل ان يعود عليها
انفسها قاله الزمخشري بمعنى حين ينزل القرآن اي مع وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهركم

وتزول الوحي عليه يُبدَأُ أي تظلم لكم بما يجب به عليكم النبي صلى الله عليه وآله ويُنزل به الوحي فيكون ذلك سبباً للتكاليف الشاقة والحجاب ما لم يكن واجباً وتقرير ما لم يكن محرماً بخلاف السؤال عنها بعد انقطاع الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه لا يجاب لا تقرير يتسبب عن السؤال وقد ظن بعض أهل التفسير أن الشرطية الثانية فيها إباحة السؤال مع وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وتزول الوحي عليه فقال إن الشرطية الأولى أفادت عدم جوازها فقال إن المعنى وإن تسألوا عن غيرها مما مسّت إليه الحاجة تبدل لكم بحجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل الضمير في عنها راجعاً إلى أشياء غير الأشياء المذكورة وجعل ذلك كقوله ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين وهو آدم ثم قال ثم جعلناه نطفة أي ابن آدم وقد اطلّ سليمان الجمل الكلام على هذه الآية بذكر أقوال الكوفي والخازن والقرطبي والجرجاني لا يطول بذكرها عفا الله عنهم أي عن ماسلف من مسائلهم فلا تعود وإلى ذلك وقيل المعنى إن تلك الأشياء التي سألتهم عنها هي ما عفى عنه ولم يوجب عليكم فكيف يتسببون بالسؤال لإيجاب ما هو عفو من الله غير لازم وضمير عنها عائد إلى المسألة الأولى وإلى أشياء على الثاني على أن يكون جملة عفى الله عنها صفة ثالثة لأشياء والأول أولى لأن الثاني يستلزم أن يكون ذلك السؤال عنه قد شرعه الله ثم عفى عنه ويمكن أن يقال إن العفو بمعنى الترك أي تركها الله ولم يذكرها شيء فلا يتشعروا عنها وهذا معنى صحيح لا يستلزم ذلك إلا أن ^{طلب} الله غفوراً رحيم جاء سبحانه بصيغة المبالغة ليدل ذلك على أنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة لكثرة مغفرته وسعة حلمه قد سألتها الضمير يرجع إلى المسئلة المفهومة من لا تسألوا لکن ليست هذه المسئلة بعينها بل مثلها في كونها لإحاجة اليها ولا توجيهها الضرورة الدينية والآثار الزخشرية ونحوها ابن عطية مناهة قال الشيخ ولا يتجه قولهما إلا على حذف مضاف وقد صرح به بعض المفسرين أي سألت أمثالها أو أمثال هذه السؤالات قَوْمٌ مِّنْ فِتْيِكُمْ كما سأل قوم صالح الناقة وسأل قوم عيسى المائدة وسأل قوم موسى رؤية الله جهرَةً ثم لم يعملوا بها بل أصحى بها كافرين أي سأتين لها تاركين للعمل بها فان بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فاذا أمروا بها تركوها فهل كوا ولا بد من تقييد النهي في هذه بما لا تدعو إليه حاجة كما قد منّا لأن الأمر الذي تدعو إليه الحاجة في أمور الدين والدنيا قد أذن الله بالسؤال عنه فقتال

فاستألو أهل الذكوان كنتم لا تعلمون وقال صلواتهم الله الأسألوها فأنشأ العي السؤال ما
 جعل الله هذا كلام مبتدأ يتضمن الرد على أهل الجاهلية فيما ابتدعوه وجعل ههنا بمعنى سمي كما قال
 أنا جعلناه قرأنا عرياً قاله ابن عطية والمعنى ما أنزل الله ولا حكم به وقال الزمخشري وأبو البقاء
 أنها تكون بمعنى شرع ووضع أي ما شرع الله ولا امر وقال ابن عطية وجعل في هذه الآية لا
 تكون بمعنى خلق لأن الله خلق هذه الأشياء كلها ولا بمعنى صير لأن التصيير لا بد له من مفعول
 ثان فمعناه ما بين الله ولا شرع ومنع التثنية هذه النقول كلها بأن جعل لم يعد اللغويون ومعانيها
 شرع وخرج الآية على التصيير أي ما صير الله من بحيرة مشروعة ففعيلة بمعنى مفعولة كالنظير
 والذبيحة مأخوذة من البحر وهو شق الأذن قال ابن سيد الناس البحيرة هي التي خليت بلا راع قيل
 هي التي يجعل دثها للطواغيت فلا يحتلبها أحد من الناس وجعل شق أذنها علامة لذلك قاله
 سعيد بن المسيب قال الشافعي كانوا إذا أنجحت الناقة خمسة أبطن أنا إذا أنجرت أذنها فحرمت وبه
 قال أبو عبيدة زاد فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء وأذا لقيها الضعيف لم يركبها وقيل
 إن الناقة إذا أنجحت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكر البحر وأذنه فأكله الرجال والنساء وإن كان
 الخامس أنثى بحر وأذنها وكانت حراماً على النساء كحمها ولبنها وقيل إذا أنجحت خمسة أبطن من غير
 تقييد بالأنثى شق أذنها وحر مواركوبها ودورها وقيل خير ذلك وجه الجمع بين هذه الأقوال
 أن العرب كانت تختلف أفعالها في البحيرة ولا أي ما جعل من سائبة أي سبيبة محلاة وهي الناقة
 تسبب البعير يسبب نذ على الرجل إن سلمه الله من مرض أو بلغه منزله فلا يجبس عن رعي ولا
 ماء ولا يركبه أحد قاله أبو عبيدة وقيل هي التي تسبب فلا قيد عليها ولا راعي لها وقيل هي التي
 تابعت بين عشرا ناث ليس بينهما ذكر فعند ذلك لا يركب ظهرها ولا يجزورها ولا يشرب لبنها إلا
 الضعيف قال الفراء وقيل كانوا يسيبون العبد فيذهب حيث يشاء لا يد عليه لأحد ولا أي ما جعل
 من وصيلة قيل هي ناقة ولدت أنثى بعد أنثى وقيل هي الشاة كانت إذا ولدت أنثى فهي لهم أن
 ولدت ذكراً فهي لهم ثم أن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت إناها فلم يذبحوا الذكر ولا هتتم وقيل كانوا إذا ولدت الشاة سبعة
 أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبحوا فاكل منه الرجال والنساء وإن كانت أنثى تركت في الغنم
 وإن كان ذكراً وأنثى قالوا وصلت إناها فلم يذبحوا لمكانها وكان كحمها حراماً على النساء إلا أن تموت

فيما كلفها الرجال والنساء وقيل هي الناقة بتكر فتلد اثني ثم اثني بولادة اثني اخرين ليس بينهما كثر فيكون
 لأهلهم ويقولون قد وصلت اثني بانثي ولا جعل من حامي هو الفحل الحامي ظهره عن ان يركب فينتفع
 به وكانوا اذا ركب ولد ولد الفحل قالوا حامي ظهره فلا يركب وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة
 قالوا حامي ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء وقيل هو الفحل ينتج من بين اولاده عشر اناث
 رواه ابن عطية وقيل هو الفحل يولد من صلبه عشرة ابطن وهو قول ابن عباس وابن مسعود
 واليه مال ابو عبيدة والزجاج وقال الشافعي انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين قال
 ابن دريد هو الفحل ينتج له سبع اناث متواليات فيحامي ظهره فيفعل به ما تقدم وقد عرفت منشأ
 خلاف اهل اللغة في هذه الاشياء وانه باعتماد الاختلاف في هذا المذهب العربي اراهم الفاسدة فيها واخرج
 البخاري ومسلم وغيرهما عن سعيد بن المسيب قال البعيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا يجلبها
 احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لأهلهم لا يحل عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تترك
 في اول نتاج الابل بانثي ثم اثني بعد بالانثي وكانوا يسيبونها للطواغيتهم ان وصلت احداهما بالآخر
 ليس بينهما ذكر والحامي فحل الابل يضرب لضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت
 واعفوه من الحمل فلم يحل عليه شيء وسعوه الحامي وعن عايشة قالت قال رسول الله صلوات الله عليهم
 يخطم بعضها بعضا ورايت عمر ابني عمرو بن لحي يخرق صبه اي امعاء وهو اول من سب السواشب
 اخرج الشيطان ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وصفهم الله سبحانه بانهم ما قالوا ذلك
 الا افتراء على الله وكذبا لا شرع شرعه الله لهم ولا عقل دلهم عليه سبحانه الله العظيم ما ادرك عقول
 هؤلاء واضعفها يفعلون هذه الافاعيل التي هي محض الرفاعة ونفس الحق وهذا شان علماءهم
 ورؤسائهم وكبرائهم واكثرهم اي اراذلهم وعوامهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله
 صلوات الله عليهم كما يشهد به سياق النظم لا يعقلون ان هذا الكذب باطل وافتراء من الرؤساء على الله
 سبحانه حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فاستمروا في اشد التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم
 وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم واذا قيل لهم اي لعوامهم المعبر عنهم بالكثر تعالى الى ما انزل الله
 والى الرسول اي الوكتاب له وسنة رسوله وحكمهما قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا وهذه افعال
 اباؤهم وسننهم التي سنوها لهم وصدق الله سبحانه حيث يقول اولوا الحال دخلت عليها هرة الاستفهام

لا يرد عليهم وقيل للعطف على جملة مستندة وهو لا يظهر اي احسبهم ذلك لو كان اباؤهم
 - افاضالين لا يعلمون شيئا ولا يهتدون وقد تقدم الكلام على مثل هذه الآية في البقرة وقال
 اما بعد فاما ما الفينا ولا يعامون معنا ولا يعقلون فهناك للتقن واساليب من التعبير وهذا
 ما استحسنه اممحيان والسيين والعنى ان الاقتداء انما يصح بالعلم المهتدى الذي يبنى قوله على
 الحجة والبرهان والدليل وان اباؤهم ما كانوا كذلك فكيف يصح الاقتداء بهم وقد صارت هذه
 المقالة التي قالتها الجاهلية نصب عين المقلدة وعصاهم التي يتوكلون عليها ان دعاهم اعمى الحق
 وصنع بهم صارخ الكتاب والسنة فاحيواهم من قلدوه ممن هو مثلهم في التعبد بشرع الله مع
 مخالفة قوله لكتاب الله والسنة رسوله هو كقول هؤلاء وليس الفرق الا في مجرد العبادة اللفظية
 لا في المعنى الذي عليه تدور الانادة الاستفادة اللهم غفرا يا ايها الذين آمنوا اعلموا اني انزل
 انفسكم واحفظوها من ملابسة الذنوب والاصرار حتى المعاصي وقوموا بصلاحتها يقال عليك
 زيد اي الزم زيدا فالنصب على الاغراء واختلاف النحاة في الضمير المتصل بها وبأخواتها نحو عليك والى
 ومكانك والصحيح انه في موضع جر كما كان قبل ان تنقل الكلمة الى الاغراء وهذا من ذهب سيبويه وهب
 الكسائي الى انها منصوبة المحل وفيه بعد لنصب ما بعده وذهب الغرالى الى انه مرفوع وقد حقت
 هذه المسألة بذكرها مبسوطا في شرح التسهيل لا يضرب كوضلال من صل من الناس اي اهل
 الكتاب وغيرهم اذا ائتمروا بامر الله في انفسكم وليس في الآية ما يدل على سقوط الامر بغيره
 والني عن المنكر فان من تركه مع كونه من اعظم الفروض الدينية فليس بمهتد وقد قال الله
 اذا ائتمروا بامر الله في انفسكم وليس في الآية ما يدل على سقوط الامر بغيره والني
 عن المنكر وسجوا مضيقا مختصا بفصل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الامر والنهي ولا
 زيان التاني بحال من الاحوال او يفتش على نفسه ان يحل به ما يضره ضررا يسوغ له معه الترك
 انخرج الترمذي رحمه الله وابن ماجه وابن جرير البغوي وابن ابي حاتم والطبراني وابو الشيخ الحاكم
 وصححه ابن مردويه والبيهقي عن ابي ثعلبة الخشني قال ما والله لقد سألت عنها خيرا سألت عنها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل انتم وابالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شتم مطاعا أو طغوا فمبا
 وعدينا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العام فان من

وراءكم اياما الصبر فيهن مثل القبض على الحجر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي
لفظ قيل يا رسول الله منا او منهم قال بل اجر خمسين منكم واخرج احمد وابن ابي حاتم والطبراني
وابن مردويه عن عامر الاشعري انه كان فيهم اعمى فاحتسب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ما
حبسك قال يا رسول الله قرأت هذه الآية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم الآية قال فقال له
النبي صلى الله عليه وآله ذهبت انما هي لا يضركم من ضل من الكفار اذا هتد يثم واخرج ابوداود والترمذي
وصححه والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن جبان والدارقطني والحمد
وغيرهم عن قيس بن ابي حازم قال قام ابو بكر فحمد الله واشتفى عليه وقال يا ايها الناس انكم تقرؤن
هذه الآية وانكم تضعونها على غير مواضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان الناس
اذا رأوا والمنكر ولم يغيروه واشك ان يعيهم الله بعقاب وفي لفظ لابن جرير عنه والله لتأمرن بالمعروف
وتنهيون عن المنكر وليعمنكم الله منه بعقاب وعن ابن مسعود وسأله رجل عن قوله عليكم
انفسكم قال انه ليس بزمانها انما اليوم مقبولة ولكنه قد اوشك ان ياتي زمان تأمرون بالمعروف
فيضع بكم كذا وكذا او قال فلا يقبل منكم في عليكم انفسكم وعن ابن عمر انها لا قوام يجيئون بها
ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي بن كعب انما تأويلها في آخر الزمان واخرج ابن مردويه عن ابي
سعيد الخدري قال ذكرت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لم يجي تأويلها لا يجي تأويلها
حتى يهبط عيسى بن مريم عليه السلام قال الطبري واولى هذه الاقوال او ضم التاويلات عندنا
في هذه الآية ما روي عن ابي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما نزل من الامور بالمعروف
والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم والله ما نزل اية اشد منها وعن ابن المبارك هذه الآية
اوكد اية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل
دينكم بان يعظ بعضهم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات وقال
مجاهد وابن جبير في اليهود والنصارى خذوا منهم الجزية واتركوهم وقال ابو السعود ولا
يتوهم ان في هذه الآية رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتها كما كيف لا
ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تنفي به الطاقة انتهى والاقوال والروايات في هذا الباب
كثيرة وفيما ذكرناه كفاية فغني يرشد الى ما قدمنا من الجمع بين هذه الآية وبين الايات والآحاد

الواردة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى الله مرجع جميعا اي اليه في الآخرة رجوع
الطائع والعاصي والضال والمهتدي ففي الآية الكفاء فينكر ما كنتم تعملون فيخبركم بأعمالكم
ويجزىكم عليها وفي هذا وعد ووعد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤخذ بعمل غيره يائها
الذين آمنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دينهم اثريان الاحوال المتعلقة
بامور دينهم شهادة بينكم قال في كتابه المسمى بالكشف هذه الايات الثلاث يعني هذه واللذان
بعدها عند اهل المعاني من اشكل ما في القرآن اعرابا ومعنى وحكما وتفسير او لم ينزل العلماء
ليشكرونها ويكفون عنها قال ويحتمل ان يبسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة او اكثر وقد
ذكرناها مشروحة في كتاب مفرد قال ابن عطية هذا كلام من لم يقع له النتاج في تفسير ما ورد
بين من كتابه رحمه الله تعالى يعني من كتاب مكي قال القرطبي ما ذكره مكي ذكره ابو جعفر الخاس
قبله ايضا قال السعد في حاشيته على الكشاف وتفقوا على انها اصعب ما في القرآن اعرابا ونظما
وحكما انتهى قال السخاوي لم ارا احدا من العلماء تخلص كلامه من اولها الى اخرها قلت فلما استعين
الله تعالى في توجيه اعرابها واشتقاق مفرداتها وتصريف كلماتها وقراءتها ومعرفة تاليفها
واما بقية علومها فنسأل الله العون في تهذيبها الى اخر ما في عبارة السمين فارجع اليه انشئت
واضاف الشهادة الى البين توسعا لانها جارية بينهم وقيل اصله شهادة ما بينكم فخرت ما
واضيفت الى الظرف كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار ومنه قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك
واختلف في هذه الشهادة فقيل هي هنا بمعنى الوصية وقيل بمعنى الحضور للوصية وقال ابن جرير
الطبري هي هنا بمعنى اليمين اي يمين ما بينكم ان يحلف اثنان واستدل على ما قاله بانه لا
يعلم الله حكما يجب فيه على الشاهد يمين واختار هذا القول القفال وضعف ذلك ابن عطية
واختار انها هنا هي الشهادة التي تؤدي من الشهود اي الاخبار بحق للغير على الغير اذا حضر
احدكم الموت المراد بحضور الموت حضور علاماته لان من مات لا يمكنه الاشهاد وتقدير
المفعول للاهتمام والحال تمكن الفاعل عند النفس حين الوصية اثنان ذو عدل منكم اي
شهادة كاثنين من اقباكم او اخران كاثنان من غيركم اي من الاجانب وقيل ان الضمير في
منكم للمسلمين وفي غيركم للكفار وهو الانسب بسياق الآية وبه قال ابو موسى الاشعري ابن سينا

وغيرهما فيكون في الآية دليل على جواز شهادة اهل الذمة على المسلمين في السفر في خصوص
 الوصايا كما يغير النظم القراني ويشهد له السبب المنزول وسيأتي فاذا لم يكن مع الموصي من يشهد
 على وصيته من المسلمين فليشهد رجلان من اهل الكفر فاذا قرا ما وادى الشهادة على وصيته
 حلفا بعد الصلوة انهما ما كذبا ولا بدلا وان ما شهد به حتى فيحكم حينئذ بشهادتهما فان عثر بعد
 ذلك على انهما كذبا او خافا حلف رجلان من اولياء الموصي وغرم الشاهدان الكافران ما ظهر عليهما
 من خيانة او نحوها كذا معنى الآية عند من تقدم ذكره وبه قال سعيد بن المسيب ويحيى بن يحيى
 وسعيد بن جبير وابو عجلو والنخعي وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وقتادة والسدي
 والثوري وابو عبيد واحمد بن حنبل وذهب الى الاول اعني تفسير ضمير منكم بالقرابة او العشيرة
 وتفسير غيركم بالاجانب الزهري والحسن وعكرمة وذهب مالك والشافعي وابو حنيفة وغيرهم
 من الفقهاء الى ان الآية منسوخة واحتجوا بقوله ممن ترضون من الشهداء وقوله واشهد واذوي
 عدل منكم والكفار ليسوا بوضيين ولا عدول فخالفهم الجمهور فقالوا الآية محكمة وهو الحق لعدم
 وجود دليل صحيح يدل على النسخ وما قوله تعالى ممن ترضون من الشهداء وقوله واشهد واذوي
 عدل منكم فهما عامان في الاشخاص والازمان والاحوال وهذه الآية خاصة بحالة الضرب في
 الارض وبالصيغة وبجالة عدم الشهود المسلمين ولا تعارض بين خاص وعام ان انتم ضربتم
 في الارض الضرب في الارض هو السفر اي ان سافرتم فيها قال السمين قوله ان انتم قيد في قوله والخران
 وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب ولو جرح على لفظ اذ احضركم الموت لكان التركيب هكذا
 ان هو ضرب في الارض فاصابته فاصابكم مؤصبة الموت اي فقتل بكم اسباب الموت وقادركم
 الاجل وارادتم الوصية ولم تجدوا شهودا عليها من المسلمين فاوصيتم اليها ودفعتكم ما لكم اليها
 ثم ذهبوا الى ورثتكم بوصيتكم وبما تركتم فارتابوا في امرها وادعوا عليها بخيانة فاحكم فيها انكم
 تحبسونهما وتوقفونهما ويحوزان يكون استينا فاكاذم قالوا فكيف نضع ان ارتبنا في الشهادة
 فقال تحبسونهما من بعد الصلوة ان ارتبتم في شهادتهما وهي صلوة العصر قاله الاكثر لكونه
 الوقت الذي يغضب الله على من جلف فيه فاجرا كما في الحديث الصبر وعدم تعيينها في الآية لتعينها
 عند هم التحليف بعد ما قيل وجميع اهل الاديان يعظون ذلك الوقت ويحذرون فيه الحلف الكاذب

وقيل لكونه وقت اجتماع الناس وقعود الحكام للحكومة وقيل لانه وقت تصادم ملائكة الليل
وملائكة النهار وقيل صلوة اهل دينها وقيل صلوة الظهر قاله الحسن وقيل اي صلوة كانت قاله
القرطبي والمراد بالحبس توقيف الشاهدين في ذلك الوقت لتخليفهما وفيه دليل على جواز الحبس ^{بالمعنى}
العام وعلى جواز التغليب على الحالف بالزمان والمكان ونحوهما فيقيم ^{أي} الشاهدان على الوصية
او الوصيان بالله وقد استدل بذلك ابن ليلى على تخليف الشاهدين مطلقا اذا حصلت الرتبة في
شهادتهما وفيه نظر لان تخليف الشاهدين هنا انما هو بوقوع الدعوى عليهما بالخيانة او غيرها قال
الشافعي الايمان تغاظ في الدماء والطلاق والعناق والمال اذا بلغ ما تبي درهم فيخلف بعد صلوة
العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان في بيت المقدس
فعند الصخرة وفي سائر البلاد في اشرف المساجد واعظمها بها ان ارتبتم اي شككتم ايها الورثة
في قول الشاهدين وصدقهم فخلعوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمدح عليهما
لان تخليف الشاهد المسلم غير مشروع لا تشتري به ^{ثمنا} الضمير راجع الى الله تعالى والمعنى لا ينبع
حفظنا من الله تعالى وعهده بهذا العرض النذر من الدنيا فخلف به كاذبين لاجل مال ادعيته
علينا وعوض ناخذه او حق نجده وقيل يعود الى القسم اي لا يستبدل لصحة القسم بالله عرضا لم يعمل
الدنيا وقيل يعود الى تحريف الشهادة قاله ابو علي وانما ذكر الضمير لانها بمعنى القول اي لا يستبدل
بشهادتنا وهذا اقوى من حيث المعنى قال الكوفيون المعنى ذا ثمن وهذا مبني على ان العروض لا
تسمى ثمنا وعند اكثر انهما تسمى ثمنا كما تسمى مبيعا ولو كان ذا ثمن في اي ولو كان المشهود له والمقسم
ذا قرابة منا وانما خص القرب بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم والمعنى لا تؤثر العرض الديني
ولا القرابة وجواب لو محذوف دلالة ما قبلها عليه اي ولو كان ذا قرابي لا تشتري به ثمنا ولا
كلمة شهادة الله معطوف على لا تشتري داخل معه في حكم القسم واذن الشهاداة الى الله سبحانه
لكنه الامرياقا منها والناهي عن كتمها قال ابن زيد لا ناخذ به رشوة انا اذا ان كتمنا الشهادة
من الاثنين اخبر البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والنحاس
والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم
مع تميم الداري وحدي بن بدأ فمات السهمي بارض ليس فيها مسلم فاوصى اليهما فلما قدما مكر

بتركته فقد واجاه من قضية مخصوصا بالذهب فاحلف ما رسول الله صلى الله عليه وآله ما كتمنا هاهنا ولا
 اطلعنا شئ وجد والحكام بمكة فقبل اشتريناها من تميم وعدي وقام رجلان من اهل البيت السمي
 خلفا بانه لشهادتنا احق من شهادتهما وان الحكم لصاحبهم واخذوا الحكم وفيهم نزلت هذه
 الآية وفي اسناد محمد بن ابي القاسم الكوفي قال الترمذي قيل انه صالح الحديث وقد روى
 ذلك ابوداود من طريقه وقد روى جماعة من التابعين ان هذه القصة هي السبب في نزول
 الآية وذكرها المفسرون مختصرة ومطولة في تفاسيرهم وقال القرطبي انه اجمع اهل التفسير
 على ان هذه القصة هي سبب نزول الآية قَالَ عَثْرٌ يقال عثر على كذا اطلع عليه يقال عثر
 منه على خيانة اي اطلعت واعثرت غيري عليه ومنه قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم اصل
 العثر الوقوع السقوط على الشئ وقيل لِيُجْعَلَ عَلَيْهِ غِيْرُهُ وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه قيل
 له قد عثر عليه والمعنى انه اذا اطلع وظهر بعد الخلف على أَكْثَرِ أي الشاهدين او الوصيين
 على الخلاف في ان الاثنين وصيان او شاهدان على الوصية أَسْتَحَقُّ أي استوجبانما أما بكذب
 في الشهادة او اليمين او بظهور خيانة بان وجد عندهما مثلاما اتهمابه وادعيا انهما ابتاعاه من
 الميت او وصى لهما به قال ابو علي الفارسي الاثم هنا اسم الشئ الماخوذ لان اخذه ياتم باخذه فسمي
 اثما كما سمي ما يوحى بغير حق مظلة وقال سيويه المظلة اسم ما اخذ منك فكذلك سمي هذا
 الماخوذ باسم المصدر فَأَخْرَانِ أي فشاهدان اخران او فحالفان اخران من اولياء الميت
يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا أي مقام الذين عثر على انهما استحقا اثما فيشهدان او يحلفان على ما هو
 احق وليس المراد انهما يقومان مقامهما في اداء الشهادة التي شهدها المستحقان لَا تَمُوتُ مِنَ الَّذِينَ
أَسْتَحَقُّ قرئ على البناء للمفعول وعلى الفاعل عليهم الوصية وهم الورثة ويبدل من اخران
الْأُولِيَّانِ هو على الاولى مرتفع كانه قيل من هما فقيل هما الاوليان والمعنى على الاولى من الذين
 استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فانهم احق بالشهادة او اليمين من
 غيرهم فالاوليان تشية الاولى والمعنى على الثانية من الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بِأَشْهَادِهِ
 ان يخرج وهما للقيام بالشهادة ويظهر انهما كاذب الكاذبين لكونهما الاقربين الى الميت فالاوليان
 فاعل استحق ومفعوله ان يخرج وهما للقيام بالشهادة وقيل المفعول محذوف والتقدير من الذين

استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي اوصى بها فيقسمان بالله ابي يحلفان على خيانة
الشاهدين لشهادتهما اي يميننا فالمراد بالشهادة هنا اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله اي ليحلفان لشهادتهما على انهما كاذبان خائنان احدهما من شهادتهما اي احق
بالقبول من عينيهما على انهما صادقان امينان وما اعتدنا اي ما تجوزنا الحق في يميننا وقولنا
ان شهادتنا احق من شهادة هذين الوصيين الخائنين انما اخذ المن الظالمين ان كنا حلفنا على
باطل ذلك اي البيان الذي قدمناه سبحانه في هذه القصة وعرفنا كيف يصنع من اراد الوصية
في السفر ولم يكن عنده احد من اهله وعشيرته وعند كفار اذنى اي اقرب الى ان ياتوا بالشهادة
اي يؤدى الشهود المتحلفون للشهادة على الوصية بالشهادة على وجهها فلا يحرفوا ولا يبدلوا ولا يخونوا
فيها وهذا كلام مبتدئ يتضمن ذكر المغفعة والفائدة في هذا الحكم الذي شرع الله في هذا الموضع من كتابه
فالضمير في ياتوا عائد الى شهود الوصية من الكفار وقيل انه راجع الى المسلمين المخاطبين بهذا الحكم
والمراد بخذ يدهم من الحيانة وامرهم بان يشهدوا بالحق او يخافوا ان يتردوا يمان بعد ايمانهم اي ترد
على الورثة المدعين فيحلفون على خلاف ما شهد به شهود الوصية فقطصرح شهود الوصية وهو
معطوف على قوله ان ياتوا فيكون الفائدة في شرع الله سبحانه لهذا الحكم هي احكامهم اما احترازا
شهود الوصية عن الكذب والحيانة فيأتون بالشهادة على وجهها او يخافوا الاقتصاح اذا ردت
الايمان على قرابة الميت فحلفوا بما يتضمن كذبهم وخيانتهم فيكون ذلك سببا لثابتية شهادة شهود الوصية
على وجهها من غير كذب ولا خيانة وقيل التقدير ذلك ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا
عذاب الآخرة بسبب الكذب والحيانة او يخافوا الاقتصاح برد اليمين فأي الخوفين وقع حصل المقصود
واتقوا الله في مخالفة احكامه وان تحلفوا بما ناكاذبه او تخونوا امانة واسمعوا سمع قبول اجابة والمواعظ
والزواج والله لا يهدي لقوم الفاسقين الخارجين عن طاعته باي ذنب ومنه الكذب في اليمين او
في الشهادة وهذا تهديد وتخويف لمن خالف حكمه وخان امانته وحلف يميننا كاذبة قال الخازن
وهذه الآية الكريمة من اصعب القرآن لا يان نظاما واعرابا وحكما انتبه وقد سهلنا هذا الصعب بتيسيره
سبحانه وتعالى وحاصل ما تضمنه هذا المقام من الكتاب العزيز ان من حضرته علامات الموت شهد على
وصيته عدلين من عدل المسلمين فان يجد شهود مسلمين وكان في سفر وجد كفارا جازله ان يشهد

رجلين منهم على وصيته فان ارتاب بهما ورثة الموصي حلفا بالله على انهما شهدا بالحق وما كنهما
 من الشهادة شيئا ولا خاناهما ترك المييت شيئا فان تبين بعد ذلك خلاف ما قضا عليه من خلل
 في الشهادة او ظهور شيء من تركه المييت زعم انه قد صار في ملكهما بوجه من الوجوه حلفت
 من الورثة وعمل بذلك يوم يجمع الله الرسل اي اسمعوا واذكروا واحذروا قال الزجاج
 هي متصلة بما قبلها اي اتقوا الله يوم يجمع وهي يوم القيامة وقيل يوم يجمع الله الرسل يكون من
 الاحوال كذا وكذا وهذا شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال
 فيقول لهم ما ذا احببتم اي اجابة اجابتمكم به الامم الذين بعثكم الله اليهم واي جواب
 اجابوكم به وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتهم في دار الدنيا الى توحيد الله وطاعته
 وتوجيه السؤال الى الرسل لقصد توبيخ قومهم واممهم قالوا ذكر صيغة الماضي للدلالة على
 التحقق والمعنى اجابوا بقولهم لا علم لنا مع انهم عالمون بما اجابوا به عليهم وهذا تفويض
 منهم واظهار للعجز وعدم القدرة ورد الامر الى علمه تعالى ولا سيما مع علمهم بان السؤال
 سؤال توبيخ فان تفويض الجواب الى الله ابلغ في حصول ذلك قال الرازي ان الرسل لما علموا
 ان الله عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع
 شرا فراوان الادب في السكوت وفي تفويض الامر اليه والى عدله فقالوا لا علم لنا انتهى
 وقيل لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وقيل لا علم لنا بما اشتغل عليه بواطنهم وقيل لا علم لنا كعلمك فيهم
 وقيل لا علم لنا بوجه الحكمه عن سवालك ايانا عن امرنا علم به منا وقيل لاحقيقة لعلمنا
 بعاقبة امرهم وقيل المعنى لا علم لنا الا علم ما انت علم به منا وقيل انهم ذهلوا عما احاب قلوبهم
 طول المحشر عن مجاهد قال يفرعون فيقولون لا علم لنا فترد اليهم فتدبرهم فيعلمون وعن
 السدي في الآية قال ذلك انهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول فلما سألوا قالوا لا علم لنا
 ثم نزلوا منزلا اخر فتهدوا على قومهم وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء
 لا يخبرهم الفراع الاكبر وعن ابن عباس قال قالوا لا علم لنا فقاتل ذهل عقولهم ثم يرد الله
 اليهم عقولهم فيكونون هم الذين يسألون لقول الله فلنسا لن الذين ارسل اليهم لنسا لن
 المرسلين انتك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطل الامور ونحن نعلم

ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن ليس تخفى عليك خافية وبناء فعال للتكثير وفيه جواز اطلاق
 العلام على الله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذ بدل من يوحنا مجمع وهو تخصيص بعد التعميم
 تخصيص عيسى عليه السلام من بين الرسل لاختلاف طائفتي اليهود والنصارى فيه افراطا و
 تفريطا هذه تجعلها لها وهذه تجعلها كاذبا والماضي هنا بمعنى المضارع لان هذا القول يقع
 يوم القيامة مقدمة لقوله انت قلت قاله السامعون والكهنة وقال البيضاوي الماضي بمعنى
 الاتي على حد قوله نادى اصحاب الجنة اذكروا نعمتي عليكم بالنبوة وغيرها وعلى والدتك
 حيث انتبهت بانباها حسنا وطهرها واصطفها على نساء العالمين ذكره سبحانه نعمته عليه
 وعلى امه مع كونه ذاك الها عالما بتفضل الله سبحانه بها لقصد تعريف الامم باخصمها به
 الله من الكرامة وميزها به من علو المقام اولنا كيد الحجة وتبكيك الجاحد بان منزلتها عند
 الله هذه المنزلة وتوحيج من اتخذها الهين ببيان ان ذلك لانعام عليها كله من عند الله
 سبحانه وانما عبدان من جملة عباده منعم عليهما بنعم الله سبحانه ليس لهما من الامر شيء اذ
 ايدتاك اي قوتك من الايد وهو القوة بروح القدس فيه وجهان احدهما انه الروح الطاهر
 المقدس التي خصه الله بها وقيل انه جبريل عليه السلام وكان يسير معه حيث سار
 يعينه على الحوادث التي تقع ويلهمه المعارف والعلوم وقيل انه الكلام الذي يحيي الارواح
 والقدس الطهر واضافة اليه لكونه سببه وحجة تكلم الناس مبينة لمعنى التأييد اي كلامهم
 في المهل حال كونك صبيا وكهلا لا يتفاوت كلامك في الحالين بل يكون على نسق واحد
 بديع صا در عن كمال العقل والتدبير مع ان غيرك يتفاوت كلامه فيهما تفاوتنا بيننا وهذه
 معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى وهو ابن
 ثلاثين سنة فحكى في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه يعني ثم ينزله الى الارض وهو
 في سن الكهولة اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه وابن عساکر عن ابي موسى الاشعري
 قال قال رسول الله صلوات الله عليه اذا كان يوم القيامة يدعى بالانبياء واممها ثم يدعى بعيسى
 فيذكره نعمته عليه فيقر بها فيقول يا عيسى بن مريم اذكروا نعمتي عليك الآية ثم يقول انت
 قلت للناس اتخذوني واممي الهين من دون الله فينكرون ان يكون قال ذلك فيوتى بالنصارى

فيسألون فيقولون نعم هو امرنا بذلك فيطول شعر عيسى حتى يأخذ كل ملك من الملائكة
 بشرة من شعر راسه وجسده فيجاثيم بين يدي الله مقدرا الف عام حتى يوقع عليهم الحجة
 ويرفع لهم الصليب ويطلق بهم الى النار وَاذْكُرْكَ الْكِتَابُ اَي اذ كرمتي عليك وقت تعليني
لك الكتاب اَي جنس الكتاب او المراد بالكتاب بالخط والحكمة اَي الفهم والاطلاع على اسرار
 العلوم وقيل جنس الحكمة وقيل هي السلام المحكم وَالْتُورَةُ وَالْاِنْجِيلُ فعلى الاول يكون هذا
 من عطف الخافض على العام وتخصيصهما بالذكر ليزيد اختصاصه بهما اما التوراة فقد كان
 يحتج بها على اليهود في غالب ما يدور بينه وبينهم من الجدال كما هو موضح بذلك في الانجيل
 واما الانجيل فلكونه نازلا عليه من عند الله سبحانه وَاذْكُرْكَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ اَي
 تصور تصويرا مثل صورة الطير يا ذني لك بذلك وتيسيره له فتتخلف فيها اَي في الهيئة المصورة
 فتكون هذه الهيئة طيرا متحركا حيا كماثر الطيور يا ذني وكان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى
 اكرمه الله تعالى بها وتقدم في آل عمران انه كان صور لهم صورة اخفاش وكان ذلك بطلبهم
 فراجع ان شئت وتبرئ الآكمة اَي تشفى الاعى المطوس البصر والاكرص هو معروف
 ظاهر يا ذني لك وتسهيله عليك وتيسيره لك وقد تقدم تفسير هذا مطولا في آل عمران
 فلا نعيد وَاذْكُرْكَ الْمَوْتِ من قبورهم احياء فيكون ذلك اية لك عظيمة قيل اخرج سام
 بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير يا ذني هنا في المواضع الاربعة بعد اربع حمل للاعتناء
 بان ذلك كله من جهة الله ليس لعيسى عليه السلام فيه فعل لا مجرد امتثاله لامر الله سبحانه
 وقال في آل عمران يا ذن الله مرتين لان هناك اخبارا فناسبا لاجاز وهذا مقام تذكير بالنعمة
 والامتنان فناسبا لاسهاب وَاذْكُرْكَ مَعْنَاهُ دفعت وصرفت ومنعت بني اسرائيل اَي
 اليهود وَعَنَّاكَ حِينَ هُمَا بَقِلْتَ اِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ اَي بالمعجزات الواضحات والدلالات
 الباهرات التي وضع على يديه من احياء الموتى وخلقهم من الطين كهية الطير وبراءة الاسقام
 واخبر بكثير من الغيوب ولما اتى عيسى بهذه الدلالات البينات قصد اليهود بقتله فخلص الله
 منهم ورفعه الى السماء فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَنْهُمْ اَي من اليهود اِنَّ هَذَا اَلْاَسْحَرُ مُبِينٌ اَي
 ما هذا الذي جئت به الا سحر باين ولما عظم ذلك في صدورهم واتهموا منه لم يقدروا

على محمد بالكلية بل نسبوه الى السحر واذا وصيت الى الحواريين ان امنوا بي ورسولي اوبي
 في كلام العرب معناه الاطعام اي اطعمت الحواريين وقد ذقت في قلوبهم وقيل معناه امرتهم
 على السنة الرسل ان يؤمنوا بي بالتوحيد والاخلاص ويؤمنوا برسالت رسولي والحواريون
 هم خلص اصحاب عيسى وخواصه قالوا امنا جملة مستأنفة كانه قيل ما ذا قالوا فقال قالوا امنا
 واشهد يا رب اويا عيسى يا انتا مسلمون اي مخلصون للايمان وانما قدم ذكر الايمان على
 الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم
 امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم واذا قال الحواريون يا عيسى ابن مريم كلام مستأنف مسوق
 لبيان بعض ما جرى بينه وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبغي عنه الاظهار في موضع الاختصار
 هل يستطيع ربك ان يبعث عيسى و قري هل تستطيع بالوقية ونصب ربك بالحقية
 ورفع ربك واستشكلت على الثانية بانه قد وصف سبحانه الحواريين بانهم قالوا امنا واشهد
 باننا مسلمون والسؤال عن استطاعته لذلك ينافي ما حكوه عن انفسهم واجيب بان هذا
 كان في اول معرفتهم قبل ان تستحكم معرفتهم بالله ولهذا قال عيسى في الجواب عن هذا الاستفهام
 الصادق منهم انقوا الله اي لا تشكوا في قدرته الله وقيل انهم ادعوا الايمان والاسلام دعوى
 باطلة ويرده ان الحواريين هم خلصاء عيسى انصاره كما قال من انصاري الى الله قال الحواريون
 نحن انصار الله وبهذا يظهر ان قول الزنحشري انهم ليسوا مؤمنين ليس بجيد وكانه خرق للاجماع
 قال ابن عطية واخلاف احفظه في انهم كانوا مؤمنين وقيل ان ذلك صدر ممن كان معهم
 وقيل انهم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه فانهم كانوا مؤمنين عارفين بذلك وانما
 هو كقول الرجل هل يستطيع فلان ان ياتي مع علمه بانه يستطيع ذلك ويقدر عليه فالمعنى
 هل يفعل ذلك وهل يجيب اليه وقيل انهم طلبوا الطمينة كما قال ابراهيم عليه السلام رب
 اني كيف تحي الموتى الاية ويدل على هذا قولهم من بعد وتطمئن قلوبنا ولما على القراءة
 الاولى فالمعنى هل يستطيع ان تسأل ربك قال الزجاج للمعنى هل تستدعي طاعة ربك فيما
 تسأله فهو من باب واسأل القرية عن عايشة قالت كان الحواريون اعلم بالله من ان يقولوا
 هل يستطيع ربك نعم قالوا هل يستطيع انت ربك ان تدعوه ويؤيد هذا ما اخرجہ الحاکم

وصحبه والطبراني وابن مردويه عن معاذ بن جبل انه قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم
تستطيع ربك بالتاء يعني بالقوقية وعن ابن عباس انه قرأها كذلك وبه قرأ علي وسعيد
بن جبير وجهاد أن ينزل علينا ما نريد من السماء المائدة اخوان اذا كان عليه الطعام
فان لم يكن عليه طعام فليس بمائدة هذا هو المشهور الا ان الراغب قال المائدة الطبق الذي
عليه الطعام وتقال ايضا للطعام الا ان هذا مخالف لما عليه المعظم وهذه المسئلة لها نظائر
في اللغة لا يقال للخوان مائدة الا و عليه الطعام ولا فهو خوان ولا يقال كاس الا وفيها خمر ولا
فهي قدح ولا يقال ذنوب وعجل الا وفيه ماء ولا فهو دلو ولا يقال جراب الا وهو مدبوع ولا
فهو هاب ولا يقال قلم الا وهو مبري ولا فهو انبوب اختلف اللغويون في اشتقاقها فقال
الزجاج هي من ماد ممد اذا تحرك وقال ابو عبيد هي من مادة اذا اعطاه ورفده كاهنا
تميد من تقدم اليه وبه قال قطرب وخيزه وقيل فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية
قال ابو عبيدة وقيل غير ذلك واطال الكلام في تحقيقه سليمان الجمل فراجع ان شئت قال
عيسى عبيد اللواريين اتفقوا الله من هذا السؤال وامثاله ان كنتم مؤمنين اي صادقين
في ايمانكم فان شان المؤمن ترك الاقتراح على ربه على هذه الصفة وقيل انه امره بالقول
ليكون ذلك ذريعة الى حصول ما طلبوه قالوا تريد ان نأكل منها بينوا به الغرض من سؤالهم
نزول المائدة اي نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل نأكل منها التبرك بها لا اكل حاجة
وليس سببه ازالة شبهة في قدرته تعالى على تزييلها حتى يقدح ذلك في الايمان وكما
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انزلوا ما منكم من رسل اليها من عند الله او بان الله قد اجابنا الى ما سألناه
وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد
الطمانينة وقوة اليقين ونعلم علماء يقينيا ان قد صدقتنا في نبوتك وتكون عليها من
الشهداء عند من لم يحضرها من بني اسرائيل او من سائر الناس او من الشاهدين لله
بالوحدانية او من الحاضرين دون السامعين ولما رأى عيسى ما حكموه عن انفسهم من
الغرض بنزول المائدة قال عيسى بن مريم قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأ
راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة كائنة او نازلة من السماء تكون لنا عينا

اي عائدة من الله علينا وحجة وبرهاننا ويكون يوم نزولنا عيدا وقد كان نزولنا يوم الاحد
وهو يوم عيد لهم والعيد يوم السرور وهو واحد الاعياد وقيل اصله من عاد يعود اي يرجع
فهو عود فقيل ليوم الفطر والاضحى عيدان لانهما يعودان في كل سنة قاله ثعلب وقال الخليل
العيد كل يوم جمع كانهم عاد واليه قال ابن الانباري النحويون يقولون لانه يعود بالفرح و
السرور وعيد العرب لانه يعود بالفرح والحزن وكل ما عاد البك في وقت فهو عيد وقال
الراغب العيد حالة تعاود الانسان والعائدة كل نفع يرجع الى الانسان بشئ ومعنى لا تذكروا
اخرنا لمن في عصرنا ولمن يأتي بعدنا من ذرائنا وغيرهم قال ابن عباس معناه يا كل منها
اول الناس كما يأكل اخرهم واية منك اي دلالة وحجة واضحة على كمال قدرتك وحجة اننا
من ارسلته وارزقنا اي اعطنا هذه المائدة المطلوبة وارزقنا رزقا نستعين به على
عبادتك وانت خير الرازقين بل رازق في حقيقة غيرك ولا معطي سواك فاجاب الله
سجانه سؤال عيسى عليه السلام قال الله اني منزها اي المائدة عليكم وقد اختلف اهل
العلم هل نزلت عليهم المائدة ام لا فذهب الجمهور الى الاول وهو الحق لقوله سبحانه اني منزها
عليكم ووعد اخق وهو لا يخلف الميعاد وقال مجاهد ما تزلت وانما ضرب مثل ضربه الله خلقه
نهيهم عن مسألة الايات لانيائه وقال الحسن وعدهم بالاجابة فلما قال فمن يكفر بعد
اي بعد نزولها منكم استغفر والله وقالوا لا نريد ما قاتني اعذبة عذابا اي تعذيبا
قال الزجاج يجوز ان يكون هذا العذاب مجلا في الدنيا ومؤخرا الى الآخرة لا أعذب بها اي لا أعذب
مثل ذلك التعذيب احد من العالمين قيل المراد عالمي زمانهم وقيل جميع العالمين وفي هذا
من التهديد والترهيب ما لا يقادر قدره عن ابن عباس انه كان يحدث عن عيسى بن مريم
انه قال لبني اسرائيل هل لكم ان تصوموا به ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطىكم ما سألتم فان اجر
العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم اخبر قلت لنا ان اجر العامل على من عمل له امر
ان تصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لاحد ثلاثين يوما الا اطعمنا فهل يستطيع ربك ان
يتزل علينا مائدة من السماء الى قوله احد من العالمين فاقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء
عليها سبعة احوات وسبعة ارجفة حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل

ربع

منها الوطم واخرج الترمذي ابن جرير وابن أبي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر
قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت المائدة من السماء خبزاً وكساً وأمر أن لا يخبثوا ولا يذخروا
لغد فخبثوا واذخروا ورفعوا الغد فمسخوا قردة وخنازير وقد روي موقفاً على عمار قال الترمذي
والوقف أصح وعن ابن عباس قال المائدة سمكة واريغفة وعنه قال نزلت على عيسى ^{عليه السلام} الجوز
خمان عليه سمك وخبز ياكلون منه أينما تولوا إذا شاؤا عن عبد الله بن عمر وقال إن أشد
الناس عذاباً يوم القيمة من كفر من أصحاب المائدة والمنافقون والفرعون وأذكر إذا قال
الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ذهب
وجه المفسرين إلى أن هذا القول منه سبحانه هو يوم القيمة والنكته توبيخ مجناد المسيح وانه
من النصارى وقال السدي وقطرب أنه قال له هذا القول عند رفعه إلى السماء لما قال النصارى
فيه ما قالت والاول اولى قيل اخذها بمعنى اذا كوله تعالى ولو ترى اذ فرغوا تعبيرا عن المستقبل
بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه وقد قيل في توجيه هذا الاستفهام منه تعالى أنه لقصد
التوبيخ كما سبق وقيل لقصد تعريف المسيحيين بآية قومه غير وابعد وادعوا عليه ما لم يقله
قال سُبْحَنكَ تزياله سبحانه أي اترهك تزيهاً اشار به إلى أن اتخاذها الهين تشريكاً
معك في الألوهية لأفرادها بذلك لا شبهة في الوهيتك وانت منزلة عن الشريك فضلاً
أن يتخذها كدونك على ما يشعر به ظاهر العبارة نبه عليه السعد التفتازاني ما يكون لي
أن أقول ما ليس لي بحق أي ما ينبغي لي أن ادعي لنفسي ما ليس من حقها وقيل التقدير ما
ليس يثبت لي بسبب حق وقيل ما ليس مستحقاً لي وعلى هذا الباء مائدة ورد ذلك إلى علمه سبحانه
فقال إن كنت قلت فقد حكمت وهذا هو غاية الأدب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى
وتفويض الأمر إلى علمه وقد حكوا أنه لم يقله فثبت بذلك عدم القول به وقيل التقدير أن
تصح دعواي لما ذكره وقدرة الفارسي بقوله أن أن الآن قلت فيما مضى فقد تبين وظاهر
علمك به تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك هذه الجملة في حكم التعليل لما قبلها أي
تعلم معلومي ولا أعلم معلومك وقال ابن عباس المعنى تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك
وقيل تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه قيل تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد وقيل تعلم ما كان مني في

دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل تعلم ما أقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل
 وهذا الكلام من باب المشاكلة والمقابلة والازدواج كما هو معروف عند علماء المعاني والبيان
 وعليه حاتم الرخشي والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد قال
 الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة امري ولا اعلم حقيقة
 امري والاول اولى وفيه دلالة على اطلاق لفظ النفس عليه سبحانه أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
 تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما قبله مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ هذه الجملة مقررة
 لمضمون ما تقدم اي ما امرتهم الابناء امرتني والاستثناء مغرغ ان اعبدوا الله وكنتم
 هذا تفسير لعني ما قلت لهم اي ما امرتهم الان وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا ويوافق قول
 القاضي وتعقب بأنه يجوز ان عيسى نقل معنى كلام الله بهذه العبارة وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
 اي حفيظا ورقيا ارعى احوالهم وامنعهم عن مخالفة امرك مَا دُمْتُ اِي مَدَّةٍ دَامِي فِيهِمْ
فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي قيل هذا يدل على ان الله سبحانه توفاه قبل ان يرفعه وليس بشيء لان الاخيار
 قد تظافرت بأنه لم يميت وأنه باق في السماء على الحيوة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل الى
 الارض اخر الزمان وانما المعنى فلما رفعتني الى السماء واخذتني وافيأ بالرفع قيل الوفاة في كناية
 الله سبحانه قد جاءت على ثلاثة اوجه بمعنى الموت ومنه قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين ^تها
 وبمعنى النوم ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفىكم بالليل اي ينيكم وبمعنى الرفع ومنه فلما
 توفيتني واذا قال الله يا عيسى اني متوفيك والتوفى يستعمل في اخذ الشيء وافيأ اي كاملا كنت
أَنْتَ الرَّقِيبُ اصل المراقبة المراقبة اي كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم وَأَنْتَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اي شاهد لما كان وما يكون وانت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك
 شيء ومنه قولي لهم وقولهم بعدي إِنْ تُعَذِّبْهُمْ اي من اقام على الكفر منهم فَأَنَّهُمْ عِبَادُكَ
 اي تصنع بهم ما شئت وتحكم فيهم بما تريد لا اعتراض عليك وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ اي لمن امن
 منهم فَأَنْتَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ادرك على ذلك الْحَكِيمُ في افعاله وقيل قاله على وجه
 الاستعطاف كما يستعطف السيد بعبده ولهذا لم يقل ان تعذبهم فاعصمهم وعصمك وقيل قاله
 على وجه التسليم لامر الله والانقياد له ولهذا عدل عن الغفور الرحيم الى العزيز الحكيم قال

ابن عباس يقول عبده قد استوجبوا العذاب بمقاتلتهم وان تغفر لهم اعييت من تركت
 منهم ومد في عمره حتى اُهبط من السماء الى الارض لقتل الدجال فزالوا عن مقاتلتهم ووجدك
 فانك انت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصدق قاتل صدقهم بعيسى في الدنيا وقيل
 في الآخرة والاول اولى عن ابن عباس هذا يوم ينفع الموحدين توحيدهم والمواد بالصا دقين
 النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة وكذا صدق ابليس بقوله ان
 الله وعدكم وعد الحق لكنه في الدنيا التي هي حار العمل طمع جنات تجري من تحتها الانهار
 خلدن فيها ابدًا قد تقدم تفسيره وهذا الشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي
 لا انقطاع له ولا انتهاء رضي الله عنهم بما عملوه من الطاعات الخالصلة ورضا عنه
 بما جازاهم به مما لا يخطر لهم على بال ولا تتصوره عقولهم والرضا منه سبحانه عوارف درجته
 النعيم واعلى منازل الكرامة والرضا باب الله الاعظم ومحل استرواح العابدین وسياتي لهذا
 مزيد في سورة البينة ذلك اي ما نالوه من دخول الجنة والخلود فيها ابدًا ورضوان الله
 عنهم الفوز العظيم اي انهم فازوا بالجنة ونجوا من النار والفوز الظفر بالمطلوب على اتم
 الاحوال لله ملك السموات والارض وما فيهن جاء سبحانه بهذه الخاتمة تحقيق الحق وتبينها
 على كذب النصارى ودفعاً لما سبق من اثبات من اثبت الالهية لعيسى عليه السلام وامه
 واخبر بان ملك السموات والارض له دون عيسى وامه ودون سائر مخلوقاته وقيل المعنى
 ان له ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ليبدأ
 واعداء واحياء وامانة امرو ونهيا من غير ان يكون لشي من الاشياء مدخل في ذلك وهؤلاء
 يعطى الجنة للمطيعين جعلنا الله تعالى منهم امين وهو على كل شيء شهيد من المنع والاعطاء والاياء
 والافناء قد يرأي قارئ رسالته ان يوفقنا لرضائه ويجعلنا من الفائزين بجناته

سورة الانعام

وهي مائة وخمسة وست وستون آية قال الثعلبي هي مكية الاست آيات تزلت بالمدينة
 وهي ما قدر والله حق قدره الى اخر ثلث آيات وقل تعالى اتل ما حرم بكم عليكم الى اخر
 ثلث آيات قال ابن عطية وهي آيات المحكمات اي في هذه السورة وقال القرطبي هي مكية

الايتين هما وما قدر والله حق قدره نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف اليهوديين
وقوله تعالى وهو الذي انشأ جنات معروشات نزلت في ثابت بن قيس واخرج الطبراني
وابوالشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة
الانعام ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين الخافقين لهم نجل بالتسبيح والتفليس الارض
ترتج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم وعن ابن عباس وعلي انها
نزلت بمكة جملة واحدة ليلا وفي فضائل هذه السورة روايات عن جماعة من التابعين من غير
وغير مرفوعة قال القرطبي قال العلماء هذه السورة اصل في حجة المشركين وضرهم المبتدئين
ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي انزالها جملة واحدة لانها في معنى واحد من
الحجة وان تصرف ذلك بوجه كثيرة وعليها نبي المتكلمون اصول الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله بداعيها هذه السورة بالحمد لله الدلالة على ان الحمد كلمة وان الحمد وفيه تعليم
اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء ولا قامة الحجة على الذين هم بهم يعدلون والحمد لله
الموصف بالجميل ذكره الزمخشري في الفائق وزاد صاحب المطالع وغيره كونه على جهة التعظيم
والتجميل اي ظاهرا وباطنا واما الحمد الاصطلاحي فهو فعل ينشأ عن تعظيم المنعم بسبب كونه
منعما قاله الكرخي وقد تقدم في سورة الفاتحة ما يغني عن الاعادة له هنا وقال اهل المعاني
لفظه خبر ومعناه الامري احمد الله وانما جاء بهذا النمط لانه البالغ في البيان من حيث انه
جمع الامرين ثم وصف نفسه بانه هو الذي خلق السموات والارض اخبارا عن قدرته الحكيم
الموجبة لاستحقاقه بجميع المحامد فان من اخترع ذلك واوجده هو الحقيق بافراده بالثناء و
تخصيصه بالحمد والخلق يكون بمعنى الاختراع وبمعنى التقدير وقد تقدم تحقيق ذلك وجمع
السموات لتعدد طبقاتها وان بعضها فوق بعض وقد سماها على الارض لشرفها لانها متعبد
الملائكة لم يقع فيها معصية ولتقدمها في الوجود وقاله القاضي لقوله تعالى الارض بعد
ذلك دحاها فانه صريح في ان بسط الارض مؤخر عن تسوية السماء والارض وان كانت
سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض وانما خصهما بالذكر لانها

اعظم المخلوقات فيما يرى العباد فالسماء بغير عمد يرونها وفيها العبر والمنافع والآيات مسخرة
وفيها أيضاً ذلك وعن كعب الأحبار هذه الآية أول آية في التوراة والخرافية فيها قوله وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولداً وفي لفظ هو آخر سورة هود وقال ابن عباس افتتح الله المخلوق بالحمد وختمه به
فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وجعل الظلمات والنور ذكر سبحانه خلق الجواهر
بقوله خلق السموات والأرض ثم ذكر الأعراض بقوله هذا لأن الجواهر لا تستغني عن الأعراض لاختلاف
أهل العلم في المعنى المراد بالظلمات والنور فقال جمهور المفسرين المراد بالظلمات سواد الليل والنور
ضوء النهار وبه قال السدي وقال الحسن الكوفي والإيمان قال ابن عطية وهذا خروج على الظاهر
انتهى وقيل المراد بهما الجهل والعلم وقيل الجنة والنار والأولى أن يقال إن الظلمات تشمل كلما يطلو
عليه اسم الظلمة والنور يشمل كلما يطلق عليه اسم النور فيدخل تحت ذلك ظلمة الكفر ونور الإيمان
أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات اقود النور لأنه
جنس يشمل جميع أنواعه وجمع الظلمات لكثرة أسبابها وتعدد أنواعها نظيره ظلمة الليل وظلمة
البحر وظلمة الموضع المظلم في كل واحد منها صاحبها والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات
قال الفلاس جعل ههنا بمعنى خلق وإذا كانت بمعنى خلق لم تعد إلا إلى مفعول واحد وقال القرطبي
جعل هنا بمعنى خلق لا يجوز غيره قال ابن عطية وعليه يتفق اللفظ والمعنى في النسق فيكون الجمع
معطوفاً على الجمع المفرد معطوفاً على المفرد وتقديم الظلمات على النور لأنها الأصل ولهذا كان
النهار مسلواً عن الليل عن مجاهد قال نزلت هذه الآية في الزنادقة قالوا إن الله لم يخلق الظلمة ولا
انخافس ولا العقارب ولا شيئاً قبيحاً وإنما يخلق النور وكل شيء حسن فانزلت فيهم هذه الآية وفيه
أيضاً رد قول الثنوية بقدوم النور والظلمة وعن ابن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله قال إن الله
خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل ذكره
البيهقي بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ثم لا يستبعد ما صنعه الكفار من كونهم
ربهم يعدلون مع ما تبين من أن الله سبحانه حقيق بالخلق على خلقه السموات والأرض والظلمات
والنور قاله الزمخشري فإن هذا يقتضي الإيمان وصرف الشك الحسن إليه لا الكفر به واتخاذ شك
له وتقديم المفعول للاهتمام ورعاية الفواصل وحذف المفعول لظهوره أي يعدلون به ما لا يفكر

على شيء مما يقدر عليه وهذا نهاية الحق وغاية الرقاعة حيث يكون منه سبحانه تلك النعم ويكون
من الكفرة الكفر قال علي تركت هذه الآية يعني الحرس الى قوله يعدلون في اهل الكتاب وقال قتادة
هم اهل الشرك وعن السدي مثله وقال مجاهد يعدلون اي يشركون وعن زيد قال الالهة ^{لتن}
عبدوها عدا لوهاب الله وليس به عدل ولا ند وليس معه الهة ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا واصل
العدل مساواة الشيء بالشيء وقال النضر بن شميل الباء بمعنى عن اي عن بهم يخشون من العدل
عن الشيء هو الذي خلقكم من طين في معناه قولان احدهما وهو الاشرار وبه قال الجمهور وان
المراح ادم عليه السلام ومن لا ابتداء الغاية واخرجه مخرج الخطاب للجميع لانهم ولدوا ونسله
الثاني ان يكون المراد جميع البشر باعتبار ان النطفة التي خلق منها مخلوقة من الطين انما ذكر الله
سبحانه خلق ادم بنيه بعد خلق السموات والارض اتباعا للعالم الاصغر بالعالم الاكبر والمطلوب
بذكر هذه الامور دفع كفر الكافرين بالبعث ورد جحودهم بما هو مشاهد لهم لا يمترون فيه
ثم قضى اجلا واجل ^{تسمى} عند كجاء بكلمة ثم لما بين خلقهم وبين موتهم من التفاوت فهي
للترتيب الزماني على اصلها وقضى بمعنى اظهر وهي صفة فعل وان كان بمعنى كتب وقدر فهي للترتيب
في الذكر لانها صفة ذات وذلك مقدم على خلقهم وقد اختلف السلف ومن بعدهم في تفسير
الاجلين فقيل قضى اجلا يعني الموت واجل صمى القيامة والوقوف عند الله وهو مروي عن ابن
عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك ومجاهد وعكرمة وزيد بن اسلم وعطية و
السدي وخصيف ومقاتل وغيرهم وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين ان يموت
الى ان يبعث وهو البرزخ وهو قريب من الاول وقيل الاول مدة الدنيا والثاني عمر الانسان الى حين
موته وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وقيل الاول قبض الارواح في النوم والثاني قبضها ^{عند}
الموت وقيل الاول ما يعرف من اوقات الاهلة والبروج وما يشبه ذلك والثاني اجل الموت وقيل
الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولم ياتي وقيل ان الاول الاجل الذي هو محتوم والثاني الزيادة
في العمر لمن وصل رحمه فان كان براتقيا وصولا لرحمه زيد في عمره وان كان قاطعا للرحم لم يزد ^{له}
ويرشد الى هذا قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقد صح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صلة الرحم تزيد في العمر وورد عنه ان دخول الملائكة التي قد شابها الطاعون

ولو بآء من اسباب الموت وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة الاول اجل الدنيا والثاني اجل الآخرة وجاز
 الابتداء بالنكرة في قوله واجل مسمى عنده لانها قد تخصصت بالصفة ثم انتم ثم ترون استبعاد
 الصدور الشك منهم مع وجود المقضي لعدمه اي كيف تشكون في البعث مع مشاهدتهم في
 انفسكم من الابتداء والانتها ما يذهب بذلك ويدفعه فان من خلقكم من طين وصيكم لحيا
 تعلمون وتعلمون وخلق لكم هذه الحواس والاطراف ثم سلب ذلك عنكم فصرتم امواتا وعدتم
 الى ما كنتم عليه من الجأزية لا يعجز ان يبعثكم ويعيد هذه الاجسام كما كانت ويرد اليها الارواح
 التي فارقتها بقدرته وبديع حكمته وهو الله اي هو المعبود بحق والمالك والمتصرف في السموات
 وفي الأرض كما تقول زيد الخليفة في الشرق والغرب اي حاكم ومتصرف فيهما كقوله وهو
 الذي في السماء اله وفي الأرض اله وهو المعروف بالالهية فيهما او هو الذي يقال له الله فيهما
 قال ابن عطية هذا عندي افضل الاقوال واكثرها احرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاً
 انه اراد ان يدل على خلقه وايات قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه
 كلها في قوله وهي الله الذي له هذه كلها في السموات وفي الأرض كانه قال وهو الخالق والرازق
 والمحيي والمميت فيما قيل المعنى وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض فلا تخفى عليه خافية
 قاله الزجاج وقال النحاس وهذا من احسن ما قيل فيه والمعنى وهو المعبود في السموات وهو قول
 ابن عطية والزنجشري ومنه هو الذي في السماء اله قال الشيخ وما ذكره الزجاج واوضحه ابن عطية
 صحيح مرجح المعنى لكن صناعة النحاة تساعدة عليه وقال ابن جرير هو الله في السموات ويعلم
 سركم وجهركم في الأرض والاول اولى وتكون جملة يعلم سركم وجهركم مقررته لمعنى الجملة الاولى
 لان كونه سبحانه اله في السماء والأرض يستلزم علمه بأسرار عباده وجهركم وعلمه بما يكسبونه
 من الخير والشر وجليب النفع ودفع الضرر وقال السمين في هذه الآية اقوال كثيرة نخضت جميعها
 في اثني عشر وجهاً ثم بينوها وذكر سليمان الجمل منها اربعة اوجه منها ما تقدم ويعلم ما تكسبون
 من خيرا وشر وهذا محمول على المكتسب لا على نفس المكتسب له الرازي وما تأتيتهم اي هل ملكه
 عن آية من آيات ربه كلام مبتدأ لبيان بعض اسباب كفرهم وتوهم وهو الاعراض عن آيات
 الله التي تأتيتهم كمعجزات الانبياء وما يصدرون عن قدرة الله الباهرة مما لا يشك من له عقل الله

فعل الله سبحانه ومن في من آية مريدة للاستغراق وفي آيات ربهم تبعية إيمانية ما تأتيهم
 آية من الآيات التي هي بعض آيات ربهم وإضافة الآيات إلى الرب لتفخيم شأنها المستتبع لتحويل
 ما اجتروا عليه في حقها والمراد بها أما الآيات الترتيلية فآياتها تزولها وأما الآيات التكوينية
 الشاملة للمجرات وغيرها من تعجيب المصنوعات فآياتها ظهورها لهم ألا كانوا عنها معرضين
 أي كانوا لها تاركين وبها مكذبين والإعراض ترك النظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا
 بها على توحيد الله فقد كذبوا ضمنه معنى استهزؤا فعداة بالباء والظاهر كما قال السفاحسي
 إن الفاء لتعقيب الإعراض بالكذب فهي عاطفة على الجملة قبلها وجعلها الرخشي جواشيط
 مقدر أي أن كانوا معرضين عن الآيات فلا تعجب فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو
 الحق لما جاءهم وفيه تكلف وهذه المرتبة أزيد من الأولى لأن المعرض عن الشيء قد يكون
 مكذبا به فإحصاء مكذبا فقد زاد على الإعراض قاله الكرخي يا حي يا قيوم قيل المراد بحق
 هنا القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا كذا كذبوا به يستهزؤن أي سيعرفون أن هذا
 الشيء الذي استهزؤا به ليس بموضع للاستهزاء وذلك عند إرسال عذاب الله عليهم كما يقال
 اضرب شوق يا أيها النخبة عند إرادة الوعيد والتهديد وفي لفظ الأنبا عما يرشد إلى ذلك فإنه
 لا يطلق إلا على خبر عظيم الوقوع وحملها على العقوبات الأجلية أو على ظهور الإسلام وعلو كلمته
 ياباه الآيات الأتية قال ابن عطية أي أنبا كذبوا مستهزئين ألا يكونوا من أهل مكة والروية
 بصرية وهذا شروع في توبيخهم ببذل النعم لهم كأهل كنانة من قبلهم كلام مبتدئ لبيان
 ما تقدمه والهمزة للإعارة وكما استفهامية أو خبرية ومن لا بداء الغاية ومن قرآن تمييز
 ومن للبيان والقرآن يطلق على أهل كل عصر سوا ذلك لاقتنائهم أي الوعر فواسمع الأخبا
 ومعاينة الآثار كأهل كنانة من قبلهم وقبل زمانهم أمة من الأمم الموحدة في عصر بعد
 عصر تكذبهم أنبياءهم مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم الماضية والقرون الخالية
 في أسفارهم للتجارة إلى الشام في الصيف وإلى اليمن في الشتاء فيكون ما في الآية على تقدير وضوح
 أي من أهل القرن الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم
مكة هم في الأرض ما لكم منكم لكم منكم له في الأرض جعل له مكانا فيها ومكة في الأرض

أي أثبتة فيها قاله الرضخري وقال أبو عبيدة مكانهم ومكانهم لغتان فصيحتان نحو نصحتهم
 ونصحت له وبهذا قال أبو علي وأخرجني وأجملته مستأنفة كأنه قيل كيف ذلك وقيل الجملة صفة
 لقرن والاول والى أي مكانهم تمكينهم لمكانه لكم والمعنى أنا عطينا القروا الذين هم قبلكم كما أنفطكم
 من الدنيا وطول الأعمار وقوة الأبدان والبسطة في الأجسام والسعة في الأرزاق وقد أهلكناهم
 جميعا فأهلككم وأنتم دونهم بالاول ذكر معناه أبو البقاء وفيه التفات عن الغيبة في قوله الرز
 والالتفات له فوائد منها نظرية الكلام وصيانة السمع عن الزجر والملا ل ما جلت عليه النفوس
 من حب التثقلات والسامة من الاستمرار على منوال واحد هذه فائدة العامة وفيه نص كل
 موقع بنكت ولطائف باختلاف محله كما هو مقرر في علم البديع ووجهه حث السامع وبعثه
 على الاستماع حيث اقبل المتكلم عليه واعطاء فضل عنايته وخصيصه بالموأجهة ذكره الكرخي
 وأرسلنا السماء عليهم مدرارا يريد المطر الكثير صبر عنه بالسماء لأنه ينزل منها والمدرا صيغة
 مبالغة تدل على الكثرة كذا قال للمرأة التي كثرت ولادتها للذكور ومينات للتي تلد الاناث
 يقال درالين يدرا اذا قبل على الحالب بكثرة أي أرسلنا المطر متتابعا في اوقات الحاجة اليه
 وجعلنا الآيات رجزا لهم من تحتهم معناه من تحت اشجارهم ومنازلهم والمراد به كثرة البساتين
 أي ان الله وسع عليهم النعم بعد التمكين لهم في الأرض فكفروا بها فأهلكناهم أي كل قرن من
 تلك القرون بدو نوحهم ولم يغيث ذلك عنهم شيئا فيجعل هؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا
 كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار وأما قوله وأنشأنا من بعدهم أي من بعد هلاكهم
 قرنا آخرين فصاروا بدلا من الهاكين ففي هذا بيان لكمال قدرته سبحانه وقوة سلطانه
 وأنه هلك من يشاء ويوجد من يشاء وان ما ذكر من إهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه
 شيئا بل كلما أهلك امة أنشأ بدلها أخرى وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة
 بحال من مضى من الامم السالفة والقرن الحالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وكثرة الاتباع
 وخص العيش هلكوا بسبب الكفر والاثم فكيف حال من هو اضعف منهم خلقا وقل عدد وصددا
 وهذا يوجب الانباء من نوم العقل ودرقة الجاهل والقرن لفظ يقع على معان كثيرة فيطرد
 على الجماعة من الناس ويطلق على المدة من الزمان قيل اطلاقه على هذين بطريق الاشتراك او

الحقيقة والمجاز والراجح الثاني لأن المجاز خير من الاشتراك وإذا قلنا بالراجح فلا يظهر أن الحقيقة هي القوم ثم اختلف في كمية القرن فالحجج أنه مائة سنة وقيل مائة وعشرون وقيل ثمانون وقيل سبعون قاله الفراء وقيل ستون وقيل اربعون وقيل ثلاثون وقيل عشرون وقيل هو المقدار الوسط من أعمار أهل ذلك الزمان واستحسن هذا بأن أهل الزمن القديم كانوا يعيشون اربعين سنة وثلاثمائة والثاني أكثر وأقل وكثر لنا عليك كتابا في قرطاس في هذه الجملة شدة صلاحهم في الكفر وانهم لا يؤمنون ولو أنزل الله على سوله كتابا مكتوبا في قرطاس أي ورق لورق يمرى منه ومشاهدة قيل هما تفسير بالاختصاص والقرطاس في اللغة أعم منهما وهو ما يكتب فيه وكسر القاف أشهر من ضمها والقرطاس وزان جعفر لغة فيه وفي القاموس مثل القاف وكجعه وددهم الكاخذ والكاخذ بالدال المهملة وإنما قيل بالجمعة وهو معرب في القاموس الكاخذ القرطاس في السمين هو الصحيفة يكتب فيها يكون من ورق وكاخذ وخيرها ولا يقال قرطاس إلا إذا كان مكتوبا والافهوطرس وكاخذ فلسوة بأيديهم حتى يجمع لهم أدر الشاخصين حاسة البصر وحاسة اللمس فهو بلغ من حايوة لأنه انقى للشك لأن السحر يجري على المرئي لا على الملموس ولأن الغالب أن اللمس بعد المعاينة لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أي لقال الكفار هذا هو السحر ولم يعلموا بما شاهدوا وولسوا وإذا كان هذا حالهم في المرئي المحسوس فكيف فيما هو مجرد وسمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أسطة ملك لا يروونه ولا يحسونه وفيه اظهر في مقام الاخبار وقالوا لو أنزل الله عليه ملك هذه الجملة مشتملة على نوع آخر من أنواع محمد بن نبوته صلى الله عليه وآله وكفرهم بها قالوا هذا أنزل علينا فلما نراه ويكلمنا أنه نبي حق حتى نؤمن به ونتبعه كقولهم لو أنزل اليه ملك فليكون معه نذيرا وكثرنا ملكا على الصفة التي فترعها بحيث يشاهدونه ويفا طبونهم ويفا طهم لنقضي الأمر بهذا أي لا هلكنا هم خالما يؤمنوا عند نزوله ورويتهم له لأن مثل هذا الآية البينة وهي نزول الملك على تلك الصفة إذ لم يقع الايمان بعد ما فقد استحقوا الأمل في العاجلة بالعقوبة وهذه سنة الله في الكفار أنهم ستموا فترعوا لئلا يقرئ من السنن العذاب استحق صلواته نحو لا ينظرون أي لا يجهلون بعد نزوله ومشاهدتهم له طرفه عين لئلا أو معذرة بل جعل لهم العذاب وقيل المعنى إن الله سبحانه لو أنزل ملكا مشاهدا لارتطق قواهم

البشرية ان يبقوا بعد مشاهدته احياء بل ترهق ازواحهم عند ذلك فيبطل ما ارسل الله له رسوله
وانزل به كتبه من هذا التكليف الذي كلفه عباده ليلبواهم ايمهم احسن عملا ولو جعلناهم ملكا
جعلناهم رجلا اي لو جعلنا الرسول اليهم والى النبي ملكا يشاهدونه ويخاطبونه جعلنا ذلك
الملك في صورة رجل لانهم لا يستطيعون ان يروا الملك على صورته التي خلقه الله عليها الابد
ان يتجسم بالاجسام الكثيفة المشابهة لاجسام بني ادم لان كل جنس يأنس بجنسه فلو جعل الله سبحانه
الرسول الى البشر والرسول الى رسوله ملكا مشاهدا مخاطبا كنفر وامنه ولم يأنسوا به ولدن خلفهم
الريب وحصل معهم من الخوف ما يمنعهم من كلامه ومشاهدته هذا اقل حال فلا يتم الخلقة
من الارسال ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبرئيل عليه السلام
الى النبي صلعم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجائي
وكذلك الى ابراهيم ولوط عليهما السلام وعند ان يجعله الله رجلا اي على صورة رجل من بني
ادم ليسكنوا اليه ويأنسوا به سيقول الكافرون انه ليس بملك وانما هو بشر ويعودون الى مثل
ما كانوا عليه وفي انذار رجلا على بشر ايدان بان اجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة
لما يقع به التمثيل وَلَكِنَّا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ اي خلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم قاله
ابو البقاء وزاد او على غيرهم لانهم اذ اروه في صورة انسان قالوا هذا انسان وليس ملك فان
استدل لهم بانه ملك كذبوه قال الزجاج المعنى للباسنا على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفائهم كانوا
يقولون لهم فما محمد بشر وليس بينه وبينكم فرق فيلبسون عليهم بهذا ويشككونهم فاعلم الله عز وجل
انه لو نزل ملكا في صورة رجل لوجدوا سبيلا الى اللبس كما يفعلون واللبس الخلط يقال لبست عليه
الامر اللبس لبسا اي خلطته واصلاه التمسك بالثوب ونحوه وفيه تأكيد استحالة جعل النذير ملكا
كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم ثم قال سبحانه مَوْسَىٰ نَبِيًّا صلعم
ومسليها له وَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ كما استهزأ بك يا محمد وفيه تسلية له صلعم وعيد
ايضا لاهل مكة كما اشار له بقوله فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ يقال خاق الشيء يخييق خيقيقا
حيوقا وحيققا نزل اي قتلهم واحاط بهم وحل ما كانوا يبه يستهزئون وهو الحق حيث اهلكوا
من اجل الاستهزاء به وقيل هو الرسول وقيل العذاب قل يا محمد لواء المستهزئين سيروا في

الأرض أي سافر وافهم معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الأقدام شتموا نظرُوا بأعينكم
 آثار من كان قبلكم لتعرفوا ما حل بهم من العقوبة او نظر فكرة وصبرة وهو بالبعيرة لا بالبحر
 كيف كان عاقبة المكذِبين بعد ما كانوا فيه من النعيم العظيم الذي يفوق ما انتم عليه هذه
 ديارهم خربة وجناهم مغبرة وارضيتهم مكفهرة فاذا كانت عاقبتهم هذه العاقبة فانتم
 بهم لاهقون وبعدها لكم هالكون والعاقبة مصدر ما يصير اليه والعاقبة
 اذا اطلقت اختصت بالثواب وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة فصيحان تكون استعارة كقوله
 فبشرهم بعذاب اليم قل لمن مآ في السموات والأرض هذا الحجاج عليهم قاطع وتبكت لهم ساطع
 لا يقدر على التخلص منها أصلا ومن غير مقدم واللبث ما هو معنى الذي حمله قوله تعالى لا يغير الله
 عليه انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأني لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله ولئن سألتهم
 من خلق السموات والأرض ليقولن الله واذا ثبت ان له ما في السموات والأرض اما باعتبار فهم
 او بقيام الحجة عليهم فانه قادر على ان يعاجلهم بالعقاب ولكنه كتب على نفسه الرحمة
 أي وعد بها فضلا منه وتكراما لانه مستحق عليه وذكر النفس هنا عبارة عن تذكير وعدة وارتقاء
 الوسايط ودونه وفي الكلام ترغيب للمتولين عنه الى الاقبال اليه وتسكين خواطرهم بانه رحيم
 لا يعاجلهم بالعقوبة وانه يقبل منهم الانابة والتوبة ومن رحمته لهم ارسال الرسل واتزال
 الكتب ونصب الأدلة وقد اخرج مسلم واحمد وغيرهما عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله
 يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة منها رحمة يترحم بها الخلق وتسعة وتسعون ليوم
 القيامة فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة وثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله الخلق كتب كتابا فوضعه عنده فوق العرش ان رحمتي
 سبقت غضبي وقد روي من طرق أخرى بهذا قيل معنى الجملة القسم على هذا فقوله ليجمعنكم
 جوابه لما تضمنه معنى القسم قال الزجاج انها بدل من الرحمة لانه فسره بانه امولكم وامدكم في العمر والرزق
 كقولهم فهو تفسير للرحمة وقد ذكره الفراء ايضا ورده ابن عطية وقال هو جواب قسمهم عز ودي والله
 ليجمعنكم وقيل المعنى ليجمعنكم في القبور بمعنيين او محشورين وقيل اللام بمعنى ان ابي جمعكم كما في قوله تعالى ليجمعنكم
 ليجنوه وقيل زائدة وقيل ان جملة ليجمعنكم مسوقة للترهيب بعد الترغيب وللوعيد بعد الوعد

ايمان امهلكهم برحمته فهو جازيكم بجمعكم ثم يعاقب من يستحق عقوبته من العصاة الى يوم القيمة
 الى معنى في وقيل المعنى في قوله كمال اليوم الذي انكروا وهو يوم القيامة لا ينبغي ان يلائم في
 اليوم او في اجمع الذين خسروا انفسهم اي يجمع من المشركين الذين غبنوا انفسهم باتخاذهم
 الاصنام فعرضوا انفسهم لخطاه واليرعقابه فكانوا كمن خسروا شيئا واصل الخسار والغبن يقال
 خسرت الرجل اذا غبن في بيعه فهو لا يؤمنون لما سبق عليهم القضاء بالخسار فهو الذي حالهم
 على الامتناع من الايمان بحيث لا سبيل لهم اليه اصلا وكذا اي لله ما سكن في الليل والنهار
 خص الساكن بالذكر لان ما يتصف بالسكون اكثر مما يتصف بالحركة وقيل المعنى ما سكن فيهما او
 خسرنا فانكفي باحد الضدين عن الآخر وهذا من جملة الاحتجاج على الكفرة قال السدي ما سكن
 اي استقر وثبت ولم يذكر الخساري غيره وقال تعديته بغيا كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين
 ظلموا ورجح هذا التفسير ابن عطية قال ابن جرير كلما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن
 الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحوانات والطيور وغير
 ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد احصى المعنى جميع الموجودات ملك لله تعالى لا غيره وهو
 السميع لا قول الله واصواتهم يعلم سرهم واحوالهم قل اخير الله اخيرا وليا الاستغفار
 لا انكار قال لهم ذلك لما دعوا الى عبادة الاصنام ولما كان الانكار لاتخاذ غير الله وليا لا
 لاتخاذ الولي طلقاء خلت المعنى على المفعول لاعلى الفعل والمواد بالولي هنا المعبود اي كيف اتخذ
 غير الله معبودا بطريق الاستقلال والاشتراك فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدئهما
 ومبتدئهما وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق وخص لا طعام دون غيره من ضرور
 الانعام لان الحاجة اليه امس قل اني امرت ان اكون اول من اسلم امره سبحانه بعد ما تقدم
 من اتخاذ غير الله وليا ان يقول لهم ثانيا انه ما مويد ان يكون اول من اسلم بوجهه لله من قومه
 واخلص من امته من حيث انه مرسل لنفسه يعني يجب عليه الايمان برسالة نفسه وبما جاء من
 الشريعة والاحكام كما انه مرسل لغيره وهو اول من نقاد لهذا الدين والمعنى اول فريق اسلم و
 افراد الضمير في اسلم باعتبار فريق او باعتبار لفظ من وقيل معنى اسلم استسلم لامر الله ثم
 نهاه عز وجل ان يكون من المشركين فقال ولا تكونن من المشركين والمعنى امرت بان اكون اول

من اسلم ونهيت عن الشرك اي يقول لهم ذلك وقيل التقدير قيل لي لا تكون قال بوالبقاء
ولو كان معطوفا على ما قبله لفظا قال ان لا اكون واليه فالزخشي فيها جميعا هولا ن على
القول لكن جاء الاول بغير لفظ القول وفيه معنى فحل الثاني على المعنى وقيل عطف على قل امر بان
يقول كذا ونهي عن كذا ذكر السمين ثمره ان يقول قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَي قُلْ جَوَابًا لِلثَّانِي عَصِيدٌ
رَبِّي أَي ان عصيته بعيدة غيرة ومخالفة امره او نهية وخوف توقع المكروه وقيل هو هنا
بمعنى العلم اي اني اعلم ان عصيت ربّي عَذَابٌ يَوْمَهُ عَظِيمٌ وهو عذاب يوم القيمة مَنْ يُصْرَفْ
عَنْهُ قَرَأَ اهل الحرمين يصرف على البناء للمفعول اي من يصرف عنه العذاب ومترا
الكوفيون على البناء للفاعل فيكون الضمير لله ومعنى يَوْمٍ مِثْلُ يَوْمِ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ فَقَدْ رَجَعَ
اي نجاه الله وانعم عليه وادخله الجنة ذَلِكَ اي فذلك يعني صرف العذاب والرحمة كل
منهما الْفَوْزُ الْمُبِينُ اي الظاهر الواضح وَإِنْ تَسْسَسْتُ اللَّهَ بِصُرٍّ اي يتزل الله بك ضرام فقراء
مرض او شدة وبلية فلا كاشف لك الا هو اي فلا قادر على كشف سواه وَإِنْ تَسْسَسْتَ
لِحَيْرٍ مِنْ رَحَاءٍ او عافية ونعمة واخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور
وهو ذلك فهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ومن جملة ذلك المس بالخير والشر وهذا الخطاب وان كان
للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل واحد وعن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال
لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله بقدرته تجأبك اذا سألت فاسأل الله
واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان يفعلوك بشيء لم يفعلوك الا
بشيء قد كتب الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله
عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اخبرني الترمذي وزاد فيه رزين تعرف الله في الرجا
يعرفك في الشدة قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا ومثله بطوله في مسند احمد وهو القاهر
فوق عبادة القمر والغلبة والقاهر الغالب واقهر الرجل اذا صار مقهورا ذليلا ومن الاول
قوله وانا فوقهم قاهرون ومن الثاني فاما اليتم فلا تقهر قيل معنى فوق فوقيعة الاستعلاء
بالقهر والغلبة عليهم لا فوقيعة المكان كما تقول السلطان فوق رعيته اي بالمنزلة والرفعة
وقيل هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به سبحانه فهو على الذات وسعي الصفات وقال ابن جرير

الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عبادة لأنه تعالى وصفت نفسه
 بقهره أي أنهم ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعلاً عليه انتهى أي استعلاء يليق به قيل
 هو القاهر مستعلاً أو غالباً ذكره أبو البقاء والمهدي وفي القصر معنى زائد ليس في القدر ^{هو}
 منع غيره عن بلوغ المراد وهو الخكم في أمره الخَيْرُ بـأفعال عبادة قل أي شيء أكبر شهادة
 الشيء يطلق على القديم والحادث والحال والممكن والمعنى أي شهيد أكبر شهادة فوضع شيء ^{بوضع}
 شهيد وقيل إن شيء هنا موضوع موضع اسم الله تعالى والمعنى الله أكبر شهادة أي انفراداً
 بالربوبية وقيام البراهين على توحيد أكبر شهادة وأعظم فإن هم إجابوا ولا قل الله ^{شهادة}
بيني وبينكم تشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولونه وقيل هو الجواب لأنه إذا كان
 الشاهد بينه وبينهم كان أكبر شهادة له صلماً وقيل إنه قد تم الجواب عند قوله قل يعني
 أكبر شهادة ثم ابتدأ فقال شهيد أي هو شهيد بيني وبينكم والمولد بشهادة الله اظهر المحجة
 على يد النبي صلماً فإن حقيقة الشهادة ما بين به المدعى وهو كما يكون بالقول يكون بالفعل
 ولا شأن لدلالة الفعل أقوى من دلالة القول لعروض الاحتمالات في اللفاظ دون الأعمال
 فإن دلالتها لا تعرض لها الاحتمال وتكرير البين لتحقيق المقابلة وأوحى إلي أي وحى الله إلي هذا
القرآن الذي تلوته عليكم لا نذكركم أي لأجل أن اخبركم به واحذركم مخالفة أمر الله وهذا
 بمنزلة التعليل لما قبله أي ترواه على شهادة من الله بأني رسوله وقرئ أوحى على البنائين
 للفاعل والمفعول قال ابن عباس لا نذكركم يعني أهل مكة ومن بلغ يعني من بلغ هذا القرآن
 من الناس فهو له نذير أي انذره كل من بلغ اليه من موجود ومعدوم سيوجد في الآخرة
 المستقبلة إلى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأمم وفي هذه الآية من الدلالة
 على شمول أحكام القرآن لمن سيوجد كشمولها لمن قد كان موجوداً وقت النزول لا يحتاج
 معه إلى تلك الخزعبيات المذكورة في علم أصول الفقه وعن انس قال لما نزلت هذه الآية
 كتب رسول الله صلماً إلى كسرى وقيصر والنجاشي وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس ^{شيء} بالنجاشي
 الذي صلى عليه النبي صلماً أخوجه إلى الشيخ وابن مردويه وأخرج أبو نعيم وأخطيب ابن النجار
 عن ابن عباس قال قال رسول الله صلماً من بلغه القرآن فكأنما شأفهته به فقرأ هذه الآية

وعن محمد بن كعب القرظي قال من بلغه القرآن فيما رآى النبي صلى الله عليه وسلم في لفظ من بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله كان كمن حايى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه مجاهد قال لا نذكركم به يعني العرب ومن بلغه يعني العجم قال السمين فيه ثلاثة اقوال احدها لا نذكر الذي بلغ القرآن والثاني لا نذكر الذي بلغ الحكم والثالث لا نذكركم به ولينذكركم الذي بلغه القرآن وعن عبد الله بن عمر وابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية اخرجها البخاري وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لضر الله امر سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ او عي له من سامع اخرجه الترمذي وفي الباب احاديث وقال ابن عباس تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابوداود وموقفا وقد امثله بهذا الامر عصاة اهل الحديث دون غيرهم كثر الله سوادهم وادفع عبادهم اَتَشْهَدُونَ اَنْ مَعَ اللَّهِ اِلَهَةٌ اُخْرَى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها ولا تستفهام للتوبيخ والتفريع على قراءة من قرأ بجهنيتين صلى الاصل او بقلب الثانية اي لا ينبغي ولا تنهم منكم هذه الشهادة لان المعبود واحد لا تعدد فيه واما من قرأ على الخ فمقد حقق عليهم شركهم واما قال الهة اخرى لان الالهة تجمع والجمع يقع عليه التانيث كذا قال الفراء ومثله قوله تعالى والله الاسماء احسن قال فما بال القرون الاولى ولم يقل الاولى ولا الاولين قُلْ فَاَنَا لَا اَشْهَدُ بما تشهدون به ان معه الهة اخرى بل اجد ذلك وانكره وذلك لكون هذه الشهادة باطلة ومثله فان شهدوا فلا تشهد معهم قُلْ اِنَّمَا هُوَ اِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وبذلك اشهد وفي ما وجهان اظهرهما انها كافة والثاني انها موصولة قال ابو البقاء وهذا الوجه اليق بما قبله قال السمين ولا ادري ما وجه ذلك يعني الاولى هو الوجه الاول وَكَانَ نَبِيٌّ بَرِيٌّ قِيَمًا تشهدون به وما هو قوله او مصدبة اي من الاصنام التي جعلوها او من اشراككم بالله الذين اتينا هو الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والتعريف للجنس في شمل التوراة والانجيل وغيرها يعرفون اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم به جماعة من السلف اليه ذهب الزجاج وقيل يعرفون القرآن معرفة حقيقة بحيث لا يلتبس عليهم منه شيء وقيل يعود الضمير على التوحيد لدلالة قوله انما هو اله واحد او صلى كتابهم او صلى جميع ذلك وافرد الضمير اعتبارا بالمعنى كانه قيل يعرفون ما ذكرنا وقصصنا كما يعرفون ابناءهم بيان لتحقيق تلك المعرفة وكما لها وحدهم وجود شك فيها فان معرفة الاباء

للبناء هي البالغة الغاية الايقان اجلا وتفصيلا الذين خسروا أنفسهم أي هلكوا هوانا وخبوها
 وابقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المعنان اولئك الذين اتاهم الله الكتاب
 هم الذين خسروا أنفسهم بسبب ما وقعوا فيه من البعد عن الحق وخدم العمل بالمعرفة التي ثبتت لهم
 مع هذا الخسران كما قاله جهنم المفسر ان الله جعل لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا
 كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار في الجنة ولاهل النار منازل اهل الجنة في
 النار ذكره الكوفي فهم بعد ادهم ثم لا يؤمنون بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها
 الفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم سبب عن خسارهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهو
 والافهام في التقليد واغفال النظر ادهمهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان ومن
 لا يله احد اظلم ممن افترى اي اختلق فجمع بين امرين لا يجتمعان عند عاقل افتراء على الله بما هو
 باطل غير ثابت وتكذيب ما هو ثابت بالحجة هذا ما جرى عليه الكشاف وغيره من جمعيين
 الامرين ولان المعنى احد اظلم من هب الى احد الامرين فكيف بمن جمع بينهما على الله كذا فزعم انه
 شريكا من خلقه والها يعبدونه كما قال المشركون من عبادة الاصنام او قال ان في التوراة والانجيل
 ما لم يكن فيهما كما قالت اليهود ان حزرا بن الله وقالت النصارى ان لصاحبة ولدا لو كذب يا ياناه
 التي يلزمه الايمان بها من العجزة الواضحة للبينة قال عكرمة قال النضر بن عبد الله اذا كان يوم القيمة
 شفعت ثلاث العزى فانزل الله هذه الآية اِنَّهُ الضمير للشان لا يغفل الظالمون القائلون على الله
 الكذب والمفترين عليه الباطل واذا ذكر يوم نحشرهم جميعا وكان كيت وكيت حذ فيكون البغ في
 التحريف التقدير لا يغفل اليوم في الدنيا ويوم نحشرهم قاله محمد بن جرير فيقول التقدير انظر كيف كذبوا وفيه بعد
 وقيل اتقوا يوم نحشرهم ولاول اولي والضمير يعود على المفترين للكذب وقيل على الناس كلهم
 فيندرج هؤلاء فيهم والتوبيخ مختص بهم وقيل يعود على المشركين واصنافهم ثم يقول الذين
 اشركوا اين شركاءكم الاستفهام للتقريع والتوبيخ للمشركين وادف الشركاء اليهم لانهم لم تكن شركاء
 له في الحقيقة بل لما سموها شركاء اضيف اليهم وهي ما كانوا يعبدونه من دون الله او
 مع الله الذين كنتم تزعمون اي تزعمونها شركاء ووجه التوبيخ ان معبوداتهم غابت عنهم في
 تلك الحال او كانت حاضرة ولكن لا يستفدون بها بوجه من الوجوه فكان وجوها كعدمها ثم تكرر فيهم

أي معذرتهم قاله ابن عباس أي التي يتوهمون أن تخصوا بها وجنتهم والقنطرة التي تفتل من فتنة الذهب
 إذا خلصته قال الزجاج في معنى لطيف ذلك أن الرجل يفتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فينتدبر أمره
 فيقال لو تكن فتنة الأبداء المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بحبة الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرأوا منها
 وقيل المراد بالفتنة هنا جوابهم وسماه فتنة لأنه لم يكن جوابهم إلا بحجج والتبري فكان هذا الجواب فتنة
 لكونه كذبا لأن قالوا أي علمنا فقين المشركين قالوا وهم في النار هل فلك ذلك فعله أن يفضوا ولا يستثنى
 مفرغ والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون يحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفعهم فوطأ حيدرة ^{هشة} وقال
 قال الزجاج تأويل هذه الآية أن الله عز وجل أخبر بقصص المشركين وافتتنهم ثم أخبر بأن فتنتهم لم
 تكن حينئذ أو الحقائق إلا أن انتفوا من الشرك ونظير هذا في اللغة أن تراكبا لا يثبت وأيا إذا
 وقع في هلكة تبرأ منه فقول ما كانت محبتك أيا ذلك أن تبرأت منه انتهى فالمراد بالفتنة علم
 هذه كفرهم أي لو تكن حاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقائلوا عليه إلا ما وقع منهم من الحجج
 والحلف على نفيه بقولهم والله الخ انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل إلى حال
 هؤلاء المشركين كيف كذبوا على أنفسهم بأنكار ما وقع منهم في الدنيا من الشرك واعتقادهم
 بالباطل في البضائع وحملهم على كذبهم في الدنيا تعسف بخيل بالنظم وصل عنهم أي زال
 وذهب تلاشي بطل ما كانوا يفترون أي ما يظنون أنه من الشركاء يفترونهم إلى الله هذا على أن ما
 مصدرية وهو قول ابن عطية أي ضل عنهم افتراءهم وقيل هي أصول عبادة عن الله أي فارقهم ما كانوا
 يعبدون من دون الله فلم يعن عنهم شيئا وهذا تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حالهم المختلفة ودعواهم ^{قضية} لفتنة
 وقيل لا يجوز أن يقع منهم كذب في الآخرة لأنها دلائل لا يجزى فيها غير الصدق فالمعنى نفي شيء عنهم عند
 أنفسهم وفي اعتقادهم ويؤيد هذا قوله تعالى ولا يفتنون الله حديثا وهم من هذا كلام مبتدأ لبيان
 ما كان يصنع بعض المشركين في الدنيا والضام عائد إلى الذين أشركوا إليه وبعض الذين أشركوا ^{شتم} شتم
 اليك حين تنزل القرآن قال مجاهد وهم قریش وقال هنا يستمع وفي يونس يستمعون بالجمع لأن
 ما هنا في قوم قليلين فنزلوا منزلة الواحد وما في يونس في جميع الكفار فناسبا جميع فلعل الضمير
 على معنى من وفي الأول على لفظها وإنما لم يجمع ثوبه في قوله ومنهم من ينظر إليك لأن الناظرين إلى
 المعجزات أقل من المستمعين للقرآن وجعلنا على قلوبهم كلفة أي فعلنا ذلك بهم مجازاة

على كفرهم والأكنة الأعطية جمع كنان وهو الوعاء الجامع والغطاء الساكن كالأسنة والسنة
 كنت الشيء في كنة إذا جعلته فيها والكننة أخفيتها قال مجاهد في أكنة كالجعبة للنبل
 وجعل هنا للتصدير أو بمعنى خلق أو التقى والجملة مستأنفة للأخبار بضمونها أو حالية أي وقد
 جعلنا على قلوبهم أكمة أعطية كراهة أن يفقهوه أي القرآن أولئلا يفقهوه وفي آخرهم
 وقرأ أي صمما وثقل يقال وقرت أذنه تقرأ أي صممت وقرئ وقر بكسر الواو أي جعل في آذانهم
 ما سد بها عن استماع القول على التشبيه بوقر البعير والحجار وهو مقدار ما يطيق أن يحمه
 والحاصل أن المادة تدل على الثقل والوزانة ومنه الوقار للتؤدة والسكينة وذكر الوقت
 والأكنة تمثيل لفرط بعدهم عن فهم الحق وسماحه كأن قلوبهم لا تعقل واسماهم لا تدرك
 قال قتادة يسمعون به إذا فهم ولا يعون منه شيئا كمثل البهيمة التي لا تستمع النداء ولا تدري
 ما يقال لها وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي بشي من الآيات التي يرونها من المعجزات ونحوها
 لعنادهم وقمدهم حتى هي الابتدائية التي تقع بعدها الجمل والمعنى أنهم بلغوا من الكفر العناد
 إلى أنهم إذا جاءك حججك أدلوك أي في دلائل خاصمين لا مؤمنين بها ولم يكنوا يحجزونهم
 الأيمان بل يقول الذين كفروا أن هذا أي ما هذا القرآن إلا أساطير الأولين وقيل
 هي الحجارة والمعنى حتى وقت مجيئهم مجادلين يقولون ذلك وهذا خاية التكذيب ونهاية
 العناد والأساطير قال الزجاج واحد أسطور وقال الأخفش أسطورة وقال أبو عبيدة
 أسطورة وقال الخاس أسطور وقال القشيري أسطور وقيل هو جمع لا واحد له كعباديد و
 أبابيل وظاهر كلام الراغب أنه جمع سطر والمعنى ما سطره الأولون في الكتب من القصص و
 الأحاديث قال الجوهري الأساطير الأساطير والترهات وقال السدي أساطير الأولين قال
 ابن عباس أحاديث الأولين وقال قتادة كذب الأولين وباطلهم وهم ينهون عنه و
 ينهون عنه أي ينهون المشركون الناس عن الأيمان بالقرآن أو يحجزونهم ويبعدونهم في أنفسهم
 عنه وقال ابن عباس لا يلقونه ولا يدعون أحاديثه وعن محمد بن الحنفية قال كفار
 مكة كانوا يدعون الناس عنه ولا يجيبونه وعن سعيد بن هلال قال نزلت في عمرة
 النبي صلعم وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر

وعن ابن عباس قال يهون عنه الناس ان يؤمنوا به وينأون عنه اي يتباعدون ^{نفسهم} ^{بأ}
 فلا يؤمنون وعنه قال نزلت في اي طالب كان ينهى المشركين ان يؤذوا رسول الله صلى الله
 ويتباعد عما جاء به وعن القاسم بن الخفيرة وعطاء خوه والاولى وان اي ما يفعلون
 بما يقع منهم من النهي والنهي ^{الا انفسهم} بتعريضها لعذاب الله وتخطئه والحال انهم
 ما يشعرون بهذا البلاء الذي جلبوه على انفسهم ولو ترى الخطاب برسول الله صلى الله
 من تنافي منه الرؤية وعبر عن المستقبل يوم القيامة بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه
 كما ذكره علماء المعاني اذ وقفوا على النار معناه حسبوا عليها يقال وقفته وبقاؤه وقف
 وقفا وقيل معناه اذ خلوها فيكون على معنى في وقيل هي بمعنى الباء اي وقفوا باننا راى
 بقر بها معانين لها ومفعول ترى وجواب له جذا ون ليدذهب السامع كل مذهبه والقياس
 لو تراهم اذ وقفوا على النار لو ايت منظرها ثلا وحالا فظيها وامر عجيبا فقالوا يا ليتنا
 نرد الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا اي التي جاءنا بها رسول الله صلى الله الناطقة باحوال النار
 واهوالها الامرة بانقاها اذ هي التي تخرج بيا لهم ويتحسرون على ما فرطوا فيها وجميع اياته
 ونكون من المؤمنين بها والعاملين بما فيها والافعال الثلاثة داخل تحت التمني اي تمنوا
 الرزق وان لا يكذبوا وان يكونوا من المؤمنين واختار سيديويه القطع في ولا نكذب فيكون
 غير داخل في التمني والتقدير ونحن لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب لا يلا نكذب
 ردونا اولم نرد قال وهو مثل عني لا اعود اي لا اعود على كل حال تركتني ولم تتركني واستدل
 ابو عمر بن العلاء على خروجه من التمني بقوله وانهم لكاذبون لان الكذب في التمني لا يكون وقرأ ابن عمر
 ونكون بالنصب اذ دخل الفعلين الاولين في التمني وقرأ ابي ولا نكذب بايات ربنا ابداء وقرأ ابن مسعود
 فلا نكون بالفاء والنصب بل بدل الهمم ما كانوا يخفون من قبل هذا ضرب عما يدل عليه التمني
 من الوعد بالايمان والتصديق اي لم يكن ذلك التمني منهم عن صدق نية وخلص اعتقاد بل هو
 اخر وهو انه بدل الهمم كانوا يخفون من الشرك وعرفوا انهم ها لكون بشركهم فعدوا الى التمني بالمقابلة
 الكاذبة وقيل ما كانوا يخفون من النفاق والكفر بشهادة جوارحهم عليهم وقيل ما كانوا يكتفون من
 اعمالهم القبيحة كما قال تعالى وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال المبرد بدل الهم جزاء كفرهم

الذي كانوا يخفونه ومثل القول الاول وقيل المعنى انه ظهر للذين اتبعوا الغواية ما كانوا يخفونه
عنهم من امر البعث والقيامة وكورثوا الى الدنيا حسبا آمنوا العادوا لما نهوا عنه من
القبائح التي راسها الشرك كما عاين ابليس ما عاين من آيات الله ثم عاند عن فتادة قال
لو وصل الله لهم دنيا كدنياهم التي كانوا فيها العاد والى اعمالهم السوء التي كانوا يفعلونها
وقال ابن عباس اخبر الله سبحانه انهم لو رجعوا لم يقدروا على الهدى ولوردوا الى الدنيا كحل
بينهم وبين الهدى كما حل بينهم وبينه اول مرة وهم في الدنيا وانهم لكانوا اي متصفوا
بهذه الصفة لا ينفكون عنها بحال من الاحوال ولو شاهدوا ما شاهدوا وقيل كاذبون فيما
اخبروا به عن انفسهم من الصدق والايمان وقالوا ان ما هي الا حياياتنا الدنيا اي ليس لنا
غير هذه التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين بعد الموت ولم يكنوا يجردوا الاخبار بذلك حتى
ابرزوها غصوريين في نفى وثبات وهي ضمير مبهم يفسره خبره اي لا يعلم ما يراد به الا بذكر
خبره وهو من الضمائر التي يفسرها ما بعدها لفظا ورتبة قاله السمين وهذا من شدة تمرد
وعنادهم حيث يقولون هذه المقالة على تقدير انهم رجعوا الى الدنيا بعد مشاهدتهم للبعث
وكورثوا اذ وقفوا على ركنهم قد تقدم تفسيره اي حسبوا على ما يكون من امر ربهم فهم
وقيل على معنى عند وقال مقاتل عرضوا على ربهم وجواب لو محمد وف اي لشاهدت
امرا عظيما وقيل انه من باب المجاز لانه كناية عن احبس للتوبيخ كما يوقف العبد بين يدي
سيده ليعاتبه ذكر ذلك الزمخشري والاستفهام في قال اليس هذا يا حق للتقريع والتوبيخ
اي اليس هذا البعث الذي تنكرونه كائنا ما وجدوا هذا الجزاء الذي تجحدونه محاضرا
والجملة مستأنفة اوحالية كانه قيل وقفوا عليه قائلا لهم اليس انتم قالوا بلى ورتبنا اعترفوا
بما انكروا واكدوا اعترافهم بالقسم قال قد وقر العذاب الذي تشاهدونه وهو عذاب
النار وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في
شدة الاحساس بما كنتم تكفرون اي بسبب جحدكم وكفركم بالبعث بعد الموت او بكل
شيء مما امرتم بالايمان به في دار الدنيا قد خسر الذين كذبوا ببقاء الله هم الذين تفقد
ذكرهم وحكيته احوالهم المراد تكذيبهم بالبعث وقيل تكذيبهم بالجزاء والاول اولى لانهم

الذين قالوا قريبا ان هي الاحياء الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا اخسر ان هو فوت الثواب
العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب لا ليم في دركات الجحيم حتى غاية التكذيب للخسران
فانه لا غاية لها اذا جاءتهم الساعة القيامة وسميت ساعة لسرعة الحساب فيها اولها
تفجأ الناس بغتة أي فجأة في ساعة لا يعلمها احد الا الله يقال بغتهم الامر يغتهم بغتا وبغته
قال سيديويه وهي مصدر ولا يجوز ان يقاس عليه فلا يقال جاء فلان سرعة والبغت والبغته
مفاجأة الشيء بسرعة من غير اعتداله ولا جعل بال منه حتى لو استشعر الانسان به فوجأ
بسرعة لا يقال فيه بغته والاف واللام في الساعة للغلبة كالنجم والثرى لانها غلبت على يوم القيا
مته وقيل المراد بالساعة وقت مقدمات الموت فالكلام على حذف المضافات أي جاءتهم مقدمات
الساعة وهي الموت وما فيه من الاهوال فلما كان الموت من مبادئ الساعة سمي باسمها
ولذلك قال صلعم من مات فقد قامت قيامته ذكره ابو السعدي والاول اظهر قالوا أي منكروا
البعث وهم كفار قرئش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا خسرنا او قعوا النداء على
الحسرة وليس بمنادى في الحقيقة ليدل ذلك على كثرة تحسرهم والمعنى يا خسرنا احضرو
فهذا امانك كذا قال سيديويه في هذا النداء وامثاله كقولهم يا للجبين يا للرجال وقيل تنبيه
للناس على عظم ما يحل بهم من الحسرة كانهم قالوا يا ايها الناس تنبهوا على ما تزل بنا من
الحسرة والحسرة الندم الشديد والتألف والتحسر على الشيء القاتل والمراد تنبيه الخاطئين
على وقوع الحسرة بهم على ما فرطنا فيها أي على تفريطنا في الساعة أي في الاعتداد لها
والاحتقال بشأنها والتصديق بها ومعنى فرطنا ضيعنا واصله التقدم يقال فرط فلان أي تقدم
وسبق الى الماء ومنه قوله صلعم انا فرطكم على الحوض ومنه الفارط أي المتقدم فكما فرطوا
بقولهم على ما قدمنا من عجزنا عن التصديق بالساعة والاعتداد لها وقيل التفريط للتقصير
في الشيء مع القدرة على فعله وقال ابن جرير الطبري ان الضمير في فرطنا فيها يرجع الى الصفقة
وذلك اخطأ تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الايمان بالكفر والدنيا بالآخرة قالوا يا خسرنا
على ما فرطنا في صفقتنا وان لم تذكر في الكلام فهو حال عليها لان اخسر ان لا يكون الا فيها
وقيل الضمير يرجع الى الحياة أي على ما فرطنا في حياتنا وقيل الى الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال

الصائحة واخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والخطيب بسند صحيح عن ابي سعيد اخذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال احسرة ان يرى اهل النار منازلهم من الجنة فتلك احسرة وهم يحسبون انهم اذا رزقوا اي يقولون تلك المقالة والحال انهم يحسبون ذنوبهم وانثقال خطاياهم ولا يوزنهم ولا يجمع وزر يقال وزر يزرفه هو وزر وموزر وزر من الوزر قال ابو عبيدة يقال للرجل اذا بسط ثوبه فجعل فيها المتاع احمل وزرك اي ثقلك ومنه الوزر لانه يحل اثقال ما يسند اليه من تدبير الولاية والحاصل ان هذه المادة تدل على الرزاة والعظمة والمعنى انها لو تمتم الانعام فصاروا مثقلين بها على ظهورهم فجعلها محمولة على الظهور تمثيل بمجاز عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل المعنى اوزارهم لانهم لا يزالون وقيل خص الظهور لانه يطبق من الحمل ما لا يطبق من سائر الاعضاء كالراس والكاهل الاساء ما يزدرون اي بشي ما يحسبون وقال قتادة يعملون وقال ابن عباس بشي يحمل حملوا وما احببة الدنيا لا لعب وطعنوا اي ما متاع الدنيا على حذف مضان وما الدنيا من حيث هي الباطل وغرور لابقاء لها والقصد بالآية تكذيب الكفار في قولهم ان هي الاحياء الدنيا واللعبة للعب معروف وكذلك اللهو وكلما يشغلك فقد الهاك وقيل اصله الصرف عن الشيء وود بان اللهو بمعنى الصرف لا مه يا يقال لهيت عنه ولا الهو و يقال لهوت بكذا قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق وقيل هذا عام في حياة المؤمن والكافر وقيل ان امر الدنيا والعمل لها لعب وهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه في الدنيا وقيل غير ذلك والاول اولى وقيل اللعب ما يشغل النفس عما تستغيبه واللهو صرفها عن الجهد الى الهزل والكد ارا الآخرة يعني الجنة التي هي محل الحياة الآخرة وقوى ولدار الآخرة بالاضافة وفيه تاويلان ذكرها السمين واللام فيه لام القسم وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا اي هي خير من الحياة الدنيا لان منافعتها خالصة عن المضار ولذا انها غير متعقبة للام بل مستمرة على الدوام الذين ينقون الشراء واللعب واللهو والمعاصي فيه دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب واللهو افلا تعقلون ان الآخرة خير من الدنيا فعملون لها قد نكروا ان الله يحزننا الذي يقولون هذا الكلام مبتدأ مسوق للنسبية رسول الله صلى الله عليه وسلم عاناه من الغم واخزن بتكذيب الكفار له

ودخول قد للتكثير فانها قد تأتي لا فادته كما تأتي رب والضمير في انه للشان فانهم الفاء للتعليل
 لا يَكُنْ بَوْنُكَ في السر لعلمهم انك صادق قريء مشدد او مخففا ومعنى المشدد لا ينسبونك
 الى الكذب ولا يردون عليك ما قلته في السر لانهم عرفوا انك صادق ومعنى المخفف انهم
 لا يجدونك كذبا يقال كذبت وجده كذبا واجلته وجده تبهجيلا وحكى الكسائي عن العرب
 الكذب الرجل اخبرت انه جاء بالكذب وكذبت اخبرت انه كاذب وقال الزجاج كذبت اخبرت
 له كذبت والكذبت اخبرت ان ما جاء به كذب والمعنى ان تكذيبهم ليس يرجع اليك فانهم
 يعترفون لك بالصدق ولكن تكذيبهم راجع الى ما جئت به ولهذا قال ولكن الظالمين وضع
 الظاهر موضع المضمر لزيادة التوبيخ لهم والازراء عليهم وصفهم بالظلم لبيان ان هذا الذي
 وقع منهم ظلم بين بآيات الله اي القرآن يُحَدِّثُونَ في العلانية كما قال تعالى وايها المستيقنين
انفسهم ظلما وعلموا قال قتادة يعلمون انك رسول الله ويحدون وعن ابي يزيد المدني ان
 ابا جهل قال والله اني لاعلم انه صادق ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف والجحد والجحد
 ما في القلب ثباته او اثبات ما في القلب نفيه وقيل الجحد انكار المعرفة فليس مراداً بالنفي من كل
ولقد كذبتم وكرهتم من قبلك هذا من جملة التسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله لان عموم البلاء
 ما يهون امرها بعض تهوين وتصدير الكلمة بالقسم لتأكيد التسلية اي ان هذا الذي وقع
 من هؤلاء اليك ليس هو يا ول ما صنعه الكفار مع من ارسله الله اليهم بل قد وقع التكذيب
 لكثير من الرسل المرسلين من قبلك فصبروا على ما كذبوا به على تكذيب قومهم اياهم
واؤذوا اي وصبروا على اذاهم حتى اناهم نصرونا باهلاك من كذبهم والظواهر ان هذه
 الغاية متعلقة بقوله فصبروا اي كان غاية صبرهم نصر الله اياهم وفيه التفات من ضمير
 الغيبة الى التكلم اذ قبله بآيات الله فلو جاء على ذلك لقليل نصرة وفائدة الالتفات اسناد
 النصرة الى المتكلم المشعر بالعظمة اي فاقتد بهم ولا تحزن واصبر كما صبروا حتى ياتيكم نصونا
 كما اناهم فانا لا نختلف الميعاد ولكل اجل كتاب انا لننصر رسلنا والذين امنوا ولقد سبق
 كل مستعبد لنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون كتب الله لا غلبين
 انا ورسلنا ولا مبدل لكلمات الله بل وعدة كائن وانت منصور على المكذبين ظاهر عليهم

وقد كان ذلك والله المحيى ولقد جاءكم من ربكم آيات مبينات
الانذار وكان يصحهم لهم فرفضهم فالتفتوا وانتم تكونون عاقبة هؤلاء المكذبين الكواكبة المكذبين
لرسول فارجعون اليك ويدخلون في الدين الذي تدعوهم اليه طوعا وكرها وهذه جملة شمية
جميع بها التحقيق ما منعوا من النصر وما كيدوا في ضمنه من الوعد لرسول الله صلوات الله وتعالى
ما ذكر من تكذيب الاله وما ترتب عليه من الامور قال الاخفش من هنا صلة اي زائدة وقال
غيره بل هي للتبعض لان الواصل الى رسول الله صلوات الله تعالى بعض الانبياء واخبارهم وسيبويه
لا يجوز زيادتها في الواجب وان كان كبر عليك اعراضهم كان النبي صلوات الله عليه عز
قومه ويتعاطاه ويحزن له فبين له الله سبحانه ان هذا الذي وقع منهم من توليهم عن الاجابة
له والاعراض عما دعى اليه هو كائن لا محالة لما سبق في علم الله عز وجل وليس في استطاعته
وقدرته اصلاحهم واجابتهم قبل ان ياذن الله بذلك ثم علق ذلك بما هو محال فقال فان
استطعت ان تتبقي نفقا في الارض فتاتيهم بآية منه او سورا في السماء فتاتيهم بآية منها
فا فعل ولكنك لا تستطيع ذلك فلعن الحزن ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وما انت عليهم
بمسيطر والنفق السرب والمنفذ ومنه النافق سبحان الربوع ومنه المنافق وقد تقدم في البقرة
ما يغني عن الاحادة والسلم الدرج الذي يرتقى عليه وهو مذكر لا يؤنث وقال الفراء انه يشق
قال الزجاج وهو مشتق من السلامة لانه يسلك به الى موضع الامن وقيل المصعد وقيل السبب
ثم قيل ان الخطا بـ وان كان لرسول الله صلوات الله تعالى المراد به امته لانها كانت تضيق صدورهم
الكفرة وتصميمهم على كفرهم ولا يشعرون ان الله سبحانه في ذلك حكمة لا تبلغها العقول ولا تدركها
الافهام فان الله سبحانه لو جاء لرسوله صلوات الله عليه بآية تضطرهم الى الايمان لم يبق للتكليف الذي هو
الابتلاء والامتحان معنى ولهذا قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكنه لم يشأ ذلك والله الحكيم
البالغة فلا تكون من اجاهلين فان شدة الحزن لا عراض الكفار عن الاجابة قبل ان يذ
الله بذلك هو صنيع اهل الجهل ولست مفهم في الامور مفوضة الى عالم الغيب والشهادة فهو اعلم
بما فيه الصلح ولا تخزن لعدم حصول ما يطلبونه من الايات التي لو بدالهم بعضها لكان ايمانهم
بها اضطرار الحزن وجمع الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار وانما ناهاه عن هذه وعظله لخطا

تعبده عن هذه الحالة إنما يستحيب لك إلى ما تدعوا إليه الذين يسمعون سماع تفهم بما
تقتضيه العقول وتوجيه الأفهام هو لا ليسوا كذلك بل هم بمنزلة الموقى لا يسمعون ولا يعقلون
لما جعلنا على قلوبهم من الأكنة وفي إذا منهم من الوقوف وهذا قال وكفى شبههم بالأموات
أنهم جميعاً لا يفهمون الصواب ولا يعقلون الحق يَعْتَمِدُهُمُ اللَّهُ يوم القيامة أي أن هؤلاء لا يلجئون
إليه إلى الإيمان وإن كان قادراً على ذلك كما يقدر على بعثة الموقى للحساب ثُمَّ إِلَيْكُمْ يَرْجِعُونَ
فيجازي كل بما يليق به كما تقتضيه حكمته بالغة وقالوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ هذا
كان منهم تعنتاً ومكابرة حيث لم يعتدوا بما قد أنزله الله على رسوله من الآيات البينات
التي من جملتها القرآن وقد علموا أنهم قد عجزوا عن أن يأتوا بسورة مثله ومرادهم بالآية هنا
هي التي تضطرهم إلى الإيمان كتناول الملائكة بمرثي منهم وسمع أو تنق الجبل كما وقع لبني إسرائيل
فأمره الله سبحانه أن يجيبهم فقال قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ عَلَى رَسُولِهِ آيَةً تضطر
إلى الإيمان ولكنه ما نزل ذلك لتظهر فائدة التكليف الذي هو ابتلاء والامتحان وإيضاً لَا تَزِلُّ
آية كما طلبوا لم يمهلهم بعد نزولها بل سيعاجلهم بالعقوبة إذا لم يؤمنوا قال الزجاج طلبوا أن
يجمعهم على الهدى وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أن الله قادر على ذلك وأنه ترك حكمته بالغة
لأنها عقوبتهم وإن نزلها بلا عليهم لعدم تفهمهم وجوب هلاكهم إن جحدوا كما هو
سنة الله وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ تَقَعُ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمُؤْتَنَتِ مِنْ دَبِّ يَدٍ فهو داب إذا مشى مشياً فيه
تقارب خطو وقد تقدم بيان ذلك في البقرة وهذا الكلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالل دليل على أنه قادر على تنزيل الآية وأنما لم ينزلها
عما فطنت على الحكم بالغة في الأرض إنما خص ما في الأرض بالذكر دون ما في السماء وإن كان ما
في السماء مخلوقاً له لأن الاحتجاج بالمشاهد أظهر من أول ما لا يشاهد وَلَا ظَآئِرٌ يَطِيرُ بِهَا طار
إذا أسرع قال أهل العلم جميع ما خلق الله لا يخرج عن هاتين الحالتين إما أن يدب على الأرض
أو يطير في الهواء حتى الحقوا حيوان الماء بالطير لأن الحيتان تسبح في الماء كما أن الطير يسبح
في الهواء وذكر يَجْنَأُ حَيْهَ لدفع الأيهاً لأن العرب تستعمل الطيران لغير الطير كقولهم طير في حية
أي أسرع وقيل إن اعتدال جسد الطائر بين الجناحين يعينه على الطيران ومع عدم

الاعتدال ميل فاعلمنا سبحانه ان الطير ان باجناحين وقيل ذكر الجناحين للتاكيد كضرب
 بيده وابصر بعينه ونحو ذلك والجناح احد ناحيتي الطير الذي يتمكن به من الطيران في الهواء
 واصله الميل الى ناحية من النواحي والمعنى ما بين الدواب التي تدب في اي مكان من امكنة
 الارض ولا طائر يطير في اي ناحية من نواحيها الا انهم امثالكم اي طوائف مختلفة جماعات
 كل امة منها مثلكم خلقهم الله كما خلقكم ورزقهم كما رزقكم داخل تحت حكمه وتقديره واحاط
 بكل شيء وقيل امثالكم في ذكر الله والدلالة عليه وقيل امثالكم في كونهم محشورين روي ذلك عن
 ابي هريرة وقال سفيان بن عيينة اي ما من صنف من الدواب والطير الا في الناس شبه
 منه فمنهم من يعدو كالاسد ومنهم من يشتر كالخنزير ومنهم من يعوي كالكلب ومنهم من يهر
 كالطائر وقيل امثالكم في ان لها اسما تعرف بها قاله مجاهد وقال الزجاج امثالكم في الخلق
 والرزق والموت والبحث والاقتصاص والاولى ان تحمل المماثلة على كل ما يمكن وجود شبه
 فيه كائنا ما كان وعن قتادة قال الطير امة والانسان امة والحج امة وعن السدي قال خلق امثالكم
 وعن ابن جريج قال الذرة فما فوقها من الوان ما خلق الله من الدواب ويدل على ان كل جنس من
 الدواب امة ما روى عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لم
 يقتلها فاقبلوا منها كل اسود بهيم اخرجه ابوداؤد والترمذي والنسائي ما قرطنا اي ما
 اغفلنا ولا اهلنا ولا ضيعنا في الكتاب من مريدة لاستغراق شيء والحجلة اعتراضية مقرونة
 لمضمون ما قبلها والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ فان الله اثبت فيه جميع الاحداث وحل هذا
 فالعموم ظاهر وقيل المراد به القرآن اي ما تركنا في القرآن من شيء من امر الدين اما تفصيلا
 او احكاما ومثله قوله تعالى وترنا عليك الكتاب تنبانا لكل شيء وقال وانزلنا عليك الذكر
 لتبين للناس ما نزل اليهم ومن جملة ما اجمله في الكتاب العزيز قوله وما اتاكم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا فامر في هذه الآية باتباع ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل حكم سنه الرسول
 لاسمه قد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز بهذه الآية ونحو قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
 فاتبعوني وبقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة تسعون الى ربه ثم يحشرون يعني الامم
 المذكورة من الدواب والطير وضميرها بصيغة جمع العقلاء لاجرائها مجازا في وجوب المماثلة

السابقة وفيه دلالة على انها تحشر كما يحشر بواحد م وقد ذهب الى هذا جمع من العلماء وهم
ابو ذر وابو هريرة والحسن وغيرهم وذهب ابن عباس الى ان حشرها موتها وبه قال الضحاك
والاول اصح لا لانه لما صح في السنة المطهرة من انه يقاد يوم القيامة للشاة الجملاء من الشاة ^{نار}
وقول الله تعالى واذا الوحوش حشرت ذهبت طائفة من العلماء الى ان المراد بالحشر المذكور
في الآية حشر الكفار وما تخلل كلام معترض قالوا واما الحديث فالمقصود به التمثيل على جهة
تعظيم امر الحساب والقصاص واستدلوا ايضا بان في هذا الحديث خارج الصحيح عن بعض الروايات
زيادة ولفظه حتى يقاد للشاة الجملاء من القرناء والحجر لما ركب على الحجر والعود لما خدش العود
قالوا وانما ادان لا يعقل خطا بها ولا ثوابها ولا عقابها عن ابي هريرة قال لمن دابة ولا طائر
الا سيحشر الى يوم القيامة ثم يقتل بعضها من بعض حتى يقتل للجملاء من ذات القرن
ثم يقال لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافرا يا ليتني كنت ترابا وان شئتم فاقرأوا من
دابة في الارض لا تنفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى اهلها يوم القيامة
حتى يقاد للشاة الجملاء من الشاة القرناء والذين كذبوا بايتنا اي القرآن ^{صحيح} وبكم اي لا يسمعون
باسمهم ولا ينطقون بالسنتهم ثم لهم بمنزلة من لا يسمع ولا ينطق لعدم قبولهم لما ينبغي
قبوله من الحجج الواضحة والدلائل الصحيحة وقال ابو علي يحيى زان يكون صممهم وبكمهم في الآخرة في
الظلمات اي في ظلمات الكفر والجمل والحيرة والعناد والتقليد لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم
والمعنى كائنين في الظلمات التي تمنع من ابصار المبصرات فصول الى الصمم والبكم عدم الانتفاع
بالابصار لتراكم الظلمة عليهم فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا تنفع بها كمال وقد تقدم في
البقرة تحقيق المقام بما يعني عن الاحادة ثريين الله سبحانه ان الامر بيده ما شاء فعل فقال
مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَضِلُّهُ أَي اضله عن الايمان وَمَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ فَمَا ضَلُّهُ عَلَى سِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
اي على دين الاسلام لا يذهب به الى غير الحق ولا يمشي فيه الا الى صواب الاستقامة وفيه دليل
على ان الهادي والمضل هو الله تعالى وهذا عدل منه لا يسأل عما يفعل وهو يسألون قبل
ارائكم التاء هي الفاعل والكاف والميم عند البصريين للخطاب ولا حظ لهما في الاعراب
وهو اختصار الزجاج وقال الكسائي ان الفاعل هو التاء وان اداة الخطاب للاحق في موضع

المفعول الاول وقال الفراء في موضع الفاعل والحالة استغوائية والمعنى عند الكسائي ارايت
 انفسكم ووجه صاحب الكشاف المذهب الاول والمعنى اضربوني عن حالتكم الجيبة واستعمل
 ارايت في الاخبار مجازا ووجه المجاز انه لما كان العلم بالشيء سببا للاخبار عنه اولا بصيرة طريقا
 الى الاحاطة به علما والى صحة الاخبار عنه استعمال الصيغة التي لطلب العلم والطلب لا يصح في
 طلب الخبر لا شذوا كما في الطلب ففيه مجازان استعمال رآى التي بمعنى علم او ابصر في الاخبار
 واستعمال الظهرة التي هي لطلب الروية في طلب الاخبار قاله الشهاب وقد اطال السمين في بيان كسب
 هذه الكلمة ومذاهب النحاة فيها اطالة كثيرة لا فائدة في ذكرها ههنا ان اتاكم كما اني غيركم
 من الامور عذاب الله من الغرق والخسف والسم والسموات ونحو ذلك من العذاب قبل الموت
 او اتاكم الساعة اي القيامة وقد ذكر سليمان الجبل في جواب هذه الشروط خمسة اوجه منها انه
 يحذف تقديره فمن دعوتهم او فاضربوني عنه او فادعوني او دعوتهم او دل عليه قوله اعتر الله
 تدعون هذا على طريقة التبيكيت والتوبيخ اي تدعون غير الله في هذه الحالة من الاصنام
 التي تعبدونها ام تدعون الله سبحانه لكشف ما حل بكم قاله ابو حيان ان كنتم صادقين
 في دعواكم ان الاصنام تقصر وتتفرق وانها الهة كما تدعون وهذا تأكيد
 لذلك التوبيخ بل اياه تدعون اي لا تدعون غيره بل اياه تخصون بالدعاء في كشف ما
 نزل بكم فكشف عنكم ما تدعون اليه اي الى كشفه من الضر ونحوه ان شاء ان يكشف عنكم
 لا اذ لم يشأ ذلك وتنبه عند ان ياتكم العذاب ما تشركون به تعالى اي ما جعلوه شريكا
 له من الاصنام ونحوها فلا تدعونها ولا ترجون كشف ما بكم منها بل تعرضون عنها معرضا
 قاله المحسن وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى وتكون ما تشركون ولقد ارسلنا كلاما من ربك
 لتسليد النبي صلى الله عليه وآله من قبلك رسلا فكذبوهم فاخذناهم اي عاقبناهم بالاساءة
 والضراء اي البؤس والضر قال سعيد بن جبلة خوف السلطان وخلا السعير وقيل شدة
 الجوع وقيل المكروه وقيل الفقر الشديد واصله من البؤس وهو الشدة وقيل البأس المصائب
 في الاموال والضرء المصائب في الابدان من الامراض والاوجاع والزمانة وبه قال اكثرهم وهذا
 صيغتان انيت لا مذكرة بل على افعال كما هو القياس فانه لم يفعل الضر ولا اباس صفت بل للتفصيل قاله

لعلهم يتضرعون اي يدعون الله بضراعة وهي الذل يقال يضرع فهو ضارِع وهذا الترخيب
عقول البشر فلو لا اي فهلا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا لكنهم لم يتضرعوا مع قيام المقضي له
وهو البأساء والضراء وهذا عتاب لهم على ترك الدعاء في كل الاحوال حتى عند نزول العذاب
بهم لشدة تمردهم وغلوهم في الكفر ويجوز ان يكون المعنى انهم تضرعوا عند ان تنزل بالعلماء
وذلك تضرع ضروري لم يصدر عن اخلاص فهو غير نافع لصاحبه والاول اولى كما يدل عليه
ولكن قست اي صلبت وغلظت فلم تضرع ولم تقشع قلوبهم واستمرت على ما هي عليه من
القساسة ولم تلتل للايان وهذا استدراك وقع بين الضدين قال ابو السعود فهذا من احسن
الاستدراك وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي اغواهم بالتصميم على الكفر والاستمرار
على المعاصي والحيلة استتينا فية اخبر تعالى عنهم بذلك وادخله في حين الاستدراك وهو لفظ
وهذا رأي الزمخشري فانه قال لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا قسوة قلوبهم واجحاجهم بآعالمهم
فكما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به واعرضوا عنه لان النسيان لو كان على حقيقته
لم يلاخذوا به اذ ليس هو من فعلهم وبه قال ابن عباس وابو علي الفارسي قال ابن جرير ما دعا
الله اليه ورسله ابوه وردوه عليهم والمعنى انهم لما تركوا الاعتاظ بما ذكروا به من البأساء والضراء
واعرضوا عن ذلك فتحنا بالتخفيف والتشديد سبعين عليهم ابواب كل شيء اي استبدجناهم
بفتح ابواب كل نوع من انواع الخير عليهم وبدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش مكان
الضراء والصحة والسلامة في الابدان والاجسام قال جاهد يعني رضاء الدنيا وسرها ونفوسه عن قيادة
حتى اذا فرحوا بما آوتوا من الخير والرزق على انواعه والسعة والرخاء والمعيشة والصحة واعجبوا
بذلك وظنوا انهم انما اعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقا وصوابا وهذا فرح بطر وشر كما
فرح قارون لما اوتي من الدنيا اخذناهم بغتة وهم غير مترقين لذلك والبغطة اخذ على غرة
من غير مقدمة امدارة وهي مصدر في موضع الحال لا يقاس عليها غيره عند سيبويه قال محمد
بن النصر الحارثي امهلوا عشرين سنة ولا يخفى ان هذا مخالف للمعنى البغطة لغة ومحتاج الى نقل
عن الشارح والافهم كلام لاطا ثل تحته قال احسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني
انما اخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون اشد لتضرعهم علما فاتهم من حال العافية والتصرف

في ضروب اللذة فاخذناهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هي الفجائية
 قال سيبويه انها ظرف مكان وقال جماعة منهم الراسي انها ظرف زمان ومذهب الكوفيين
 انها حرف هُم مُبْلِسُونَ اي مملكون في مكان اقامتهم وفي زمانها قاله السدي والمبلس الخزن
 الاليس من الخبز لشدة ما تزل به من سوء الحال ومن ذلك ما شق اسم ابليس يقال ابلس الرجل اذا
 سكت وابلس الناقة اذا الترع والمعنى فاذا هم مخزونون مخيرون أيسون من الفرح قال
 ابن زيد المبلس المجهود المكروب الذي قد تزل به الشر الذي لا يدفعه والمبلس اشد من المستكين
 وقال الفراء هو الياأس المنقطع رجاءه وقال ابو عبيدة هو النادم الخزن والابلاس هو الاطراق
 من الخزن والندم وعن عتبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وآله قال اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو
 مقيم على معصيته فاما ذلك استدرج ثم لا يعني هذه الآية ذكره البخوي بلاسند واسند الطبري
 وغيره فَقَطَّعَ بالبناء للمفعول وللفاعل وهو الله سبحانه وفيه التفات الى غيبة دَابِرِ الْقَوْمِ الَّذِي
ظَلَمُوا الدابر الاخر يقال دبر القوم يدبرهم دابرا اذا كان اخرهم في الجي قاله ابو عبيدة ومنه ان
 لانه احكام عواقب الامور والمعنى انه قطع اخرهم اي استوصوا جميعا حتى اخرهم فلم يبق لهم
 باقية قال قطرب يعني اخرهم استوصوا واهلكوا وقيل الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اي صله
 قاله الاصمعي وَأَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ على نصر الرسل واهلاك الكافرين قال الزجاج حمد نفسه
 على ان قطع دابرهم واستأصل سائرهم وفيه تعليم للمؤمنين كيف يجب دونه عند نزول النعم التي
 من احبها هلاك الظلمة الذي يفسدون في الارض ولا يصلحون فانهم اشد على عبادة الله
 من كل شئ يدللهم روح عبادة المؤمنين من ظلم الظالمين واقطع دابرهم وابد لهم بالعدل
 الشامل لهم امين قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وخبركم على قلوبكم هذا تكرير
 للتوبيخ لقصد تأكيد الحجية عليهم ووجد السمع لانه مصدر يدل على الجمع بخلاف البصر فلهذا
 جمعه واستمر الطبع وقد تقدم حقيقة في البقرة والمراد اخذ المعاني القائمة بهذه الجوارح او اخذ
 الجوارح انفسها من إِلَٰهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ الاستغفار للتوبيخ ووجد الضمير في به مع ان المرجع
 متعدد على معنى فمن يأتكم بذلك المأخوذ وقيل الضمير راجع الى احد هذه المذكورة وقيل
 ان الضمير بمنزلة اسم الإشارة اي من يأتكم بذلك المذكور انظر كيف نصرت والآيات امر

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر في تصريف الآيات الباهرات وعدم قبولهم لها تعجيبا له من ذلك و
 يدخل معه غيره والتصريف المجيء بها على جهات مختلفة من اسلوب الى اسلوب تارة انذار
 وتارة اعدار وتارة ترغيب وتارة تهيب ثُمَّ هُمْ يَصْطَلِحُونَ أي يعرضون قاله جاهد
 يقال صدق عن الشيء اذا عرض عنه صدقا وصدقا وقال ابن عباس يمدحون عنها مذل
 لها وهو محط التعجب والعدة فيه قل أَرَأَيْتُمْ إِيَّايَ أَخْبَرُونِي إِنْ أُنَاكِرُ عَذَابَ اللَّهِ بُعْثَةً أَوْ جَعَلَهُ
 تنازع ارايت واتاكم في عذاب الله فاعلمنا الثاني وضمنا في الاول والمفعول الثاني جملة الاستغفار
 وقد تقدم تفسير البعثة قريبا انها النجاة قال الكسائي بغتهم بيغتهم بغتا وبعثة اذا اتاهم
 نجاة أي من دون تقدير مقدمات تدل على العذاب والنجاة ان يأتي العذاب بعد ^{ظهور}
 مقدمات تدل عليه هذا ما جرى عليه القاضي وقيل البعثة اتيان العذاب لبلد ^{والنجاة}
 اتيان العذاب نهارا كما في قوله تعالى بيانا ونهارا وبه قال الحسن والاول اولي هل يهلك
أَلَا تَقَوْمُ الظَّالِمُونَ الاستغفار للنفي أي ما يهلك هلاك تعذيب وغضب وسخط الا
 المشركون وقال الزجاج معناه هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم استغفار
 والاستثناء مفرغ وما ترسل المرسلين كلام مبتدأ لبيان الغرض من ارسال الرسل أَلَا
مُبَشِّرِينَ لِمَنِ اطَاعَهُمْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ من الجزاء العظيم وَمُنْذِرِينَ لِمَنِ عَصَاكُمْ بما له عنده
 من العذاب الويل وقيل مبشرين في الدنيا بسعة الرزق وفي الآخرة بالثواب ومنذرين مخوفين
 بالعقاب وهما حالان مقدرتان أي ما ترسلهم الامقردين تبشيره واندازهم من آمن بما
 جاءت به الرسل وَأَصْلَحَ حال نفسه بفعل ما يدعونه اليه فَلَا تَخَوْفَ عَلَيْهِمْ بوجه من الوجوه
 بلحق العذاب وَلَا هُمْ يُخْزَوْنَ بحال من الاحوال بغوات الثواب وهذا حال من آمن وَأَصْلَحَ
 واما حال المكذبين فقال وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وهو انه يَسْتَهْزِئُ بِالْعَذَابِ أي يصيبهم بما
 كانوا يفسقون أي بسبب فسقهم وخروجهم عن التصديق والطاعة قال ابن زيد كل فسق
 في القرآن فعنه الكذب قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي نُجْرَاتٌ الله امره سبحانه بان يخبرهم
 لما كثرت اصرارهم عليه وتغنىهم بانزال الآيات التي تضطرهم الى الايمان انه لم يكن عندنا نجرات
 الله حتى يأتهم بما اقترحوه من الآيات والمراد خراش قدرته التي تشتمل على كل شيء من الاشياء

واخزان جمع خزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء وتخزن الشيء احزنه بحيث لا تنال الاية
 وامره ان يقول لهم ايضا لا ادعي اني اعلم الغيب من افعاله حتى اخبركم به واعرفكم بما
 سيكون في مستقبل الدهر ولا أقول لكم اني ملك من الملائكة حتى تكلفوني من الاضال^{رقة} الخ
 للعادة ما لا يطيقه البشر كالوق في السماء او حتى تقعدوا عدم انصافي بصفا تهم قاذبا في
 امري. المعنى اني لا ادعي شيئا من الاشياء الثلاثة حتى تقترحو علي ما هو من انارها و
 احكامها من اجل عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تخلق
 ليا بشي مما ذكر قطعاً بل انما هي عبادة عن تلقى الوحي من جهة الله تعالى والعمل بمقتضاها
 فحسب كما سيأتي وليس في هذا ما يدل على ان الملائكة افضل من الانبياء وقد اشغل جملة
 المفاضلة قوم من اهل العلم ولا يرتب على ذلك فائدة دينية ولا دنيوية بل الكلام في مثل
 هذا من الاشتغال بما لا يعني ومن حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه ان اشبع^{الكلما} الكما^{يوشي}
 الي^{وقد تسلك} بذلك من لم يثبت اجتهاد الانبياء^{علما} بما يفيد القصر في هذه الآية^{الاسم}
 مدونة في الاصول والاداة عليها معروفة وقد صح عنه صلواته قال اوتيت القرآن مثله^{مع}
 قل هل يستوي^{الاعشى} والبصير هذا الاستفهام الانكار والمراد انه لا يستوي الضال المهتدي
 او المسلم والكافر والعالم والجاهل ومن اتبع ما اوحى اليه ومن لم يتبعه والكلام بمثل قال
 فتادة الاعمال الكافر الذي عني عن حق الله وامره ونعمه عليه والبصير العبد المؤمن الذي
 ابصر بصرونا فاعا^{فوجد الله} وحده وعمل بطاعته وعباده واستغنى بما آتاه الله افلا تتفكرون في ذلك
 الكلام الحق حتى تعرفوا عدم الاستواء بينهما فانه^{بأن} لا يلتبس على من له ادنى عقل وقل تفكر
 واكتذر الانذار الاعلام مع تخويف والضمير في به راجع الى ما يوحى وقيل الى الله وقيل الى
 اليوم الآخر وخص الذين يخافون^{ان يحشروا} والى^{ترجمهم} لان الانذار يوشرفهم لما حل بهم
 من الخوف فبغلاف من يخاف الحشر من طوائف الكفر بحجوده به وانكاره له فانه لا يوشر
 فيه ذلك قيل ومعنى يخافون يعلمون ويتيقنون^{اهم يحشرون} فيشمل كل من امن بالله وحده
 من المسلمين واهل الذمة وبعض المشركين وقيل معنى الخوف على حقيقته والمعنى انه ينذر
 به من يظهر عليه الخوف من الحشر عند ان يسمع النبي صلواته يذكره وان لم يكن مصداقا

به في الاصل لكنه يخاف ان يصح ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فان كان كذلك يكون الموعظة
 فيه انجح والتذكير له انفع ليس لهم من حذره وفي اي حال كونهم لا ولي لهم يوالىهم ولا نصيب
 ينصرهم ولا شفيع يشفع لهم من دون الله وفيه رد على من زعم من الكفار المعترفين بالخشع
 ان اباؤهم يشفعون لهم وهم اهل الكتاب وان اصنامهم تشفع لهم وهم المشركون والى المشائخ
 يشفعون لمريدتهم وهم المتصوفة لان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي
 يشفع عند الله الا باذنه عن ابن مسعود قال مر الملائكة من قرين على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيون عمار
 وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك اهؤلاء ممن
 الله عليهم من بيننا نحن نكون تبعاً لهؤلاء اطرحهم عنا فلعلك ان طردتهم ان نتبعك
 فانزل الله فيهم وانذره الذين يخافون ان يحشرهم الى قوله بالظالمين وقد اخرج هذا السبب
 مطولا ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة لعلهم يتقون ما تهتم عنه فيدخلون في زمرة اهل
 التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الدعاء العبادة مطلقا وقيل الحجة
 على صلاة الجماعة وقال ابن عباس الصلوة المكتوبة قال مجاهد هي الصبح والعصر وقال سفيان
 اي اهل الفقه وقيل الذكر وقراءة القرآن وقيل المراد الدعاء به يجلب النفع ودفع الضرر
 وقيل المراد بذكر الغداة والعشي الدوام على ذلك والاستمرار وقيل الصلوة الخمس وقيل
 هو على ظاهرة اي لا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقيرهم يريدون وجهه اتى بوجه
 بذلك اليه لا الى غيره والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته وتقييده به لتأكيد عليه للنفى
 فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد ما عليك من حسابهم من شيء وما
 من حسابك عليهم من شيء هذا كلام معترض بين النبي وجوابه متضمن للنفي الاحاطل على
 الطرد اي حساب هؤلاء الذين اردت ان تطردهم موافقة لمن طلب ذلك منك هو على
 انفسهم ما عليك منه شيء وحسابك على نفسك ما عليهم منه شيء فعلاكم تطردهم هذا
 على فرض صحة وصف من وصفهم بقوله ما نراك اتبعك الا الذين هو اراذلنا وطعن عند
 في دينهم وحسبهم فكيف وقد زكاهم الله عز وجل بالعبادة والاخلاص وهذا هو مثل قوله
 تعالى لا تزدر ذرية وراخى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ان حسابهم الاعلى

فَقَطَرُ دَهْمٍ مِنْ تَمَامِ الْأَعْتِرَاضِ أَيْ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَجَالَسَهُمْ وَلَا
تَطْرَحُهُمْ مَرَّةً لِحَقِّهِمْ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ فَمَتَّكُونُ جَوَابَ لِلْفَهْمِ أَيْ فَنَ
فَعَلْتُ ذَلِكَ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ وَحَاشَا عَنْ وَقُوعِ ذَلِكَ وَأَنَا هُوَ مِنْ بَابِ التَّعْرِضِ لِئَلَّا يَفْعَلَ
ذَلِكَ غَيْرُهُ صَلَاحُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى لَنْ أَشْرَكَتَ لِيحْبِطَنَّ عَنْكَ إِخْرَجَ مُسْلِمًا وَالنِّسَاءُ
وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمْ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ لَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي سِتَّةِ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ
بْنُ مَسْعُودٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلٌ مِنْ هَذِهِ لِرَجُلَيْنِ أَسْتَأْذِنُهُمَا فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَرُونَ عَلَيْنَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَخَذَّ نَفْسَهُ
فَانْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ آيَةَ وَقَدْ رَوَى فِي بَيَانِ السَّبَبِ رَوَايَاتٌ مُوَافِقَةٌ لِمَا ذَكَرْنَا فِي الْمَعْنَى وَكَذَلِكَ
أَيْ مِثْلُ ذَلِكَ الْفِتْنَةُ الْعَظِيمَةُ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أَيْ بَعْضُ الْإِنْسَانِ بِبَعْضٍ وَابْتَلَيْنَا الْغَنِيَّ
بِالْفَقِيرِ وَالْفَقِيرَ بِالْغَنِيِّ وَالشَّرِيفَ بِالْوَضِيعِ فَكُلُّ أَحَدٍ مَبْتَلًى بِضِدَّةٍ وَالفِتْنَةُ الْاِخْتِبَارُ أَيْ عَامِلُنَا
هُمْ مَعَ أَمَلَةٍ الْمُخْتَبَرِينَ لِيَقُولُوا اللَّهُ لَمْ يَصْرِفْهُ لِقَوْلِهِ لَدُّوْا لِمَوْتِ وَابْنُ الْخَرَّابِ وَقَوْلُهُ لِيَكُونَ لَهُمْ
حَدٌّ أَوْ حَزَنًا وَقِيلَ إِنَّهَا الْأَمَلُ وَهُوَ الْأَظْهَرُ وَحَلِيلُهُ أَكْثَرُ الْمَعْرُوبِينَ وَالتَّقْدِيرُ وَمِثْلُ ذَلِكَ الْفِتْنَةُ
فَقَدْ يَقُولُ الْبَعْضُ الْأَوَّلُ مُشِيرًا إِلَى الْبَعْضِ الثَّانِي أَنَّهُ لَا الَّذِينَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَبَيَّنَا
أَيْ أَرَادَهُمْ بِأَصَابَةِ الْحَقِّ وَنَنَا قَالَ الْخَاسِ وَهَذَا مِنَ الشَّكْلِ لِأَنَّهُ يَقَالُ كَيْفَ فَتَنَّا لِيَقُولُوا هَذَا
الْقَوْلُ وَهُوَ أَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِنْكَارِ فَهُوَ كَفَرٌ وَاجَابَ بِجَوَابَيْنِ الْأَوَّلُ أَنَّ ذَلِكَ أَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَى الْقَوْلِ
الْأَسْفَهَامِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالثَّانِي أَنَّهُمْ لَمَّا اخْتَبَرُوا بِهِذَا كَانَ عَاقِبَةُ هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ كَقَوْلِهِ
فَالنَّقِطَةُ أَلْ فَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَحَزَنًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالُوا ذَلِكَ اسْتَهْزَاءٌ وَصُغْرِيَّةٌ وَ
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ لَوْ كَانَ لَهُمْ كَرَامَةٌ عَلَى اللَّهِ مَا أَصَابَهُمْ هَذَا الْجَهْدُ الْكَبِيرُ اللَّهُ يَأْخُذُكُمْ هَذَا الْاسْتَفْهَامُ
لِلتَّقْرِيرِ وَالْمَعْنَى أَنْ مَرَجَعَ الْأَسْتَحْقَاقَ لِلنَّعْمِ بِسُبْحَانِهِ هُوَ الشُّكْرُ وَهُوَ عِلْمُ بِالشُّكْرِ كَرَبِّهِ لَهُ فَمَا بَالُ الْكُفْرِ بِتَضَوُّنِ
بِالْجَهْلِ وَتَنْكَرُونَ الْفَضْلَ وَإِذَا جَاءَكُمُ الَّذِينَ يَبُوءُونَ بِآيَاتِنَا هُمْ الَّذِينَ نَهَى اللَّهُ عَنْ طَرْدِهِمْ
وَهُمُ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ تَطْبِيقًا
لِخَوَاطِرِهِمْ وَأَرَادَ اللَّهُ بِالسَّلَامِ وَالسَّلَامَةَ بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ فَالْمَعْنَى سَلَامُكُمْ اللَّهُ وَجَارَ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ وَأَنَّ
كَانَ نَكْرَةً لِأَنَّهُ دَعَاءٌ وَالدُّعَاءُ مِنَ السُّوْغَاتِ قَالَهُ السَّامِيُّ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ

الآية اذا رآهم بدأهم بالسلام وقيل ان هذا السلام هو من جهة الله اي بلغهم من السلام عن
 هامان قال اتى قوم النبي صلوات الله عليهم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظيما فما ارد عليهم شيئا فانصرفوا فانزل الله
 هذه الآية فدعاهم فقرأها عليهم وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن لان الاعتبار بعموم
 اللفظ لا بخصوص السبب كتب ربكم على نفسه الرحمة اي اوجب ذلك ايجاب فضل واحسان و
 قيل كتب ذلك في الوح المحفوظ قيل هذا من جملة ما امره الله سبحانه باطلاعه الى اولئك
 الذين امره باطلاع السلام اليهم تبشيرا بسعة مغفرة الله وعظم رحمة لانه اكرم الاكرمين ارحم
 الراحمين آية اي الشان من عمل منكم سوءا بجهالة قيل المعنى انه فعل فعل اجاهلين لان من عمل
 ما يؤدي الى الضرر في الساقية مع علمه بذلك او ظنه فقد فعل فعل اهل الجهل والسفاه لا
 فعل اهل الحكمة والتدبير وقيل المعنى انه عمل ذلك وهو جاهل لما يتعلق به من المضرة والعقاب
 وما فاتته من الثواب فتكون فائدة التقييد بالجهالة الايدان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه
 يؤدي الى الضرر قال مجاهد كل من عمل ذنبا او خطيئة فهو بها جاهل ثم تاب من بعد ذلك
 اي من بعد عمله وارتابه ذلك السوء واصبح ما افسد بالمعصية في المستقبل فراجع بالصواب
 واخلص التوبة وعمل الطاعة فآتته اي فامره او فله ان الله غفور رحيم واختار الاول لاسبوبه
 والثاني ابوحاتم وكذلك اي مثل ذلك التفصيل تفصيل الآية اي احلة مجتبا ورايينا في تقرير
 كل حق ينكره اهل الباطل والتفصيل التبيين وقيل ان الله فصل لهم ما يمتنعون اليه من امر
 الدين وبين لهم حكم كل طائفة ولتستبين الخطأ بعلو الفوقية للنبي صلوات الله عليهم لتستبين يا
 محمد سبيل المجرمين واما على التحية فالفعل مسند الى سبيل واذا استبان سبيل المجرمين فقد
 سبيل المؤمنين قال ابن زيد هم الذين يا مرونك بطرده هو لا قل اتي هيتك ان عبدك
 الذين تدعون امره سبحانه ان يعود الى خطية الكفار ويخبرهم بانه نهي عن عبادة ما
 يدعونه ويعبدونه من دون الله قل لا اتبع أهواءكم امره سبحانه بان يقول لهم لا اسلك
 المسلك الذي سلكتموه في دينكم من اتباع الاهواء والمشى على ما توجه المقاصد الفاسدة التي
 يتسبب عنها الوقوع في الضلال كولا مع قرب العهد اعتناء بالما موربه وايدانا باختلاف
 القولين من حيث ان الاول حكاية لما هو من جهة تعالى وهو النهي والثاني حكاية لما هو من جهة عليه السلام

وهو الانتها عما ذكر من عبادة ما يعبدونه قد ضلكت إذا أي ان اتبعت أهواءكم فيما طلبتموه من عبادة معبوداتكم وطرد من اردتم طرده قال الجوهري الضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت اضل قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي قال فهذه یعنی المفتوحة لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالمة تقول ضللت بالكسر اضل انتهى وما أنا من المهتدين ان فعلت ذلك وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها والمعنى بها اسمية عقب تلك الفعلية للدلالة على الدوام والثبات قل اني على بينة هي حجة البرهان أي اني على برهان من ربي ويقين لا على هوى وشك وقال ابو عمران الجوني على ثقة وقيل على بيان وبصيرة وهذا تحقيق الحق الذي هو عليه اشر ابطال الباطل الذي هو عليه امره الله سبحانه بأن يبين لهم ان ما هو عليه من عبادة ربه هو عن حجة برهانية يقينية لا كما هو عليه من اتباع الشبهة الداحضة والشكوك الفاسدة التي لا مستند لها الا مجرد الاهوية الباطلة فكذلك يكرم به أي بالرب او بالعذاب او بالقران او بالبيئة و تذكري الضمير باعتبار المعنى أي والحال ان قد كذبتم به او جملة مستأنفة مبينة لما هم عليه من التكنيب بما جاء به رسول الله صلعم من الحجج الواضحة والبراهين البينة ما عندي ما تستعجلون به اخبرهم بأنه لم يكن عنده ما يستعجلون به من العذاب فانهم كانوا الفرط تكذبهم يستعجلون نزوله استهزاء بنفوسهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق عندنا فامطر علينا حجارة من السماء وقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقيل كانوا يستعجلون بالآيات التي اقترحوها وطلبوها وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى استعجل بها الذين لا يؤمنون بها ان أي ما احكم في شيء الا بالله سبحانه وحده ليس معصاكم ومن ذلك ما تستعجلون به من العذاب والآيات المقترحة والمراد احكم الفاصل بين الحق والباطل يقص هو من القصص أي يقص القصص الحق او من قصائده أي يتبع الحق فيما يحكم به وقرئ يقضي بالاضاد المجيء والياء من القضاء أي يقضي القضاء الحق بين عبادة وهو خير الفاصلين بين الحق والباطل بما يقضي به بين عبادة ويفصله لهم في كتابه ثم امره سبحانه ان يقول لهم قل لو ان عندنا ما تستعجلون به الاستعجال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت الجملة مذمومة لا سراة فقد الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة مجودة والمعنى ما تطلبون تعجيل بان يكون انزاله بكم مقدرا لي

وفي وسعي لقضي الأمر بيني وبينكم أي لقضي الله الأمر بيننا بأن ينزل الله سبحانه بكم رسولا
 له وطلبي ذلك أولو كان العذاب عندي وفي قبضتي لانزله بكم وعند ذلك يقضي الأمر بيني
 وبينكم والله أعلم بالظالمين وبالوقت الذي ينزل فيه عذابهم وبما يقضيه مشيئته من تأخير
 استدراجهم وأعداء اليهم وعندكم مفاتيح الغيب جمع مفتاح بالفتح وهو الخزان
 عند مخازن الغيب جعل للأمور الغيبية مخازن مخزن فيها على طرق الاستعارة أو جمع مفتاح بكسر الميم
 وهو المفتاح جعل للأمور الغيبية مفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طرق الاستعارة أيضا ويؤيد
 أنها جمع مفتاح بكسر قراءة ابن السميع وعندكم مفاتيح الغيب فإنها جمع مفتاح والمعنى أن عندكم حصة
 مخازن الغيب والمفاتيح التي يتوصل بها إلى المخازن لا يعلمها إلا هو جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى
 وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها وهذا بيان لاختصاص المقدر
 الغيبية به تعالى من حيث العلم اثرياً بآن اختصاص كلها من حيث القدرة ويندرج تحت هذه
 الآية علم ما يستعمله الكفار من العذاب كما يرشد إليه السياق اندراجاً أولياً وفي هذه الآية
 الشريفة ما يدفع باطل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من مدعي الكشف والألهام ما
 ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء
 من هذه الأجناس الضالة والأنواع الخدولة ولم يبرحوا من أكاذيبهم وابطيلهم بغير حطة
 السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق صلعم من أتى كاهناً أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد
 قال ابن مسعود أوتي نبيكم كل شيء إلا مفاتيح الغيب وقال ابن عباس إنها الأقدار والأرزاق وقال
 الضحاك خزان الأرض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب
 وقيل هو انقضاء الأجل وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو
 علم ما لم يكن بعد أن يكون أذ يكون كيف يكون أن لو كان كيف يكون واللفظ أوسع من ذلك و
 يدخل فيه ما ذكره دخوله أولاً وعن ابن عمر أن رسول الله صلعم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها
 إلا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله ولا يعلم أحد ما يكون في أرحام إلا الله ولا تعلم
 ما ذاك تكسب غداً ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا تدري أحد متى يجيء المطر أخرجه البخاري

وله الشاظر في رواية ولا يعلم احد متى تقوم الساعة الا الله وليعلم ما في البر والبحر خسرهما
بالذكر لانهما من اعظم مخلوقات الله اي يعلم ما فيها من حيوان وجماد علم مفصلا لا يخفى عليه
منه شيء او خسرهما لكونهما اكثر ما يشاهد الناس ويتطلعون لعلم ما فيها وعلى هذا هو بيان
تعلق علمه بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات قال مجاهد البر والبحر الغاير والفقار والبحر القري
ولا مصلا يحدث فيها شيء الا وهو يعلمه وقال الجمهور هو البر والبحر المعروف فان لان جميع الارض
اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب وغرائب ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه
وما تسقط من ورق قتر اي من ورق الشجر وما يبقى عليه وهو تخصيص بعد التعميم الا يعلمها
ويعلم زمان سقوطها ومكانه وقيل المراد بالورقة ما يكتب فيه الاحمال والارزاق وحمل النقاش
عن جعفر بن محمد ان الورقة يراى بها هنا السقط من اولاد بني آدم قال ابن عطية هذا قول جار
على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه ولا حجة كاشنة في ظلمات
الارض اي في الامكنة المظلمة وقيل في بطن الارض قبل ان ينبت وقيل هي الحبة في الصخرة التي
في اسفل الارضين ولا رطب ولا يابس وقد شمل وصف الرطوبة واليبوسة جميع الموجودات
فلوجه لتخصيصها بنوع دون نوع الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ فتكون هذه الجملة بدل
اشتمال من الايعامها وقيل هو عبارة عن علمه فيكون هذه الجملة بدل كل من تلك الجملة قاله
الخطيب قال الزمخشري هو كالتركيب لقوله الايعامها لان معناها واحد قال الشيخ ولكنه لما طال
الكلام اعيد الاستثناء على سبيل التوكيد وحسن كونه فاصلا وهو الذي يتوفاكم وينمكم
يا كليل فيفيض فيه نفوسكم التي بها تميزون وليس خالك موتا حقيقة فهو مثل قوله الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها والتي استيفاء الشيء وتوفيت الشيء واستوفيته
اذا اخذته اجمع قيل الروح اذا خرجت من البدن في المنام بقيت فيه الحياة وقيل لا يخرج منه
الروح بل الدمن فقط وقيل ان الجسد روحا حين روح الحياة وهي لا يخرج الا بالموت وروح
التمييز وهي تخرج بالنوم فتفارق الجسد فتطوف وترى المنامات ثم ترجع الى الجسد عند
يقظة وسياتي ايضا في سورة الزمر ان شاء الله تعالى وقيل غير ذلك و
الاولى ان هذا امر لا يعرفه الا الله سبحانه وقد اخرج ابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كل انسان ملك اذا نام ياخذ نفسه فاذا اذن الله في قبض روحه قبضها ولا اردها اليه فذلك قوله تعالى يتوفكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم بجرحكم من الخير والشر والتقييد بالظرفين جري علي الغالب اذا الغالب ان النوم في الليل والكسب في النهار ثم يبعثكم فيه اي في النهار يعني اليقظة بر دار واحكم قال القاضي اطلق البعث ترشيحا للتوفي وقيل يبعثكم من القبور فيه اي في شأن ذلك الذي قطعتم فيه اعماركم من النوم بالليل والكسب بالنهار وقيل في الكلام تقدير وتأخير والتقدير هو الذي يتوفكم بالليل ثم يبعثكم بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه وقيل ثم يبعثكم فيه اي في المنام ومعنى الآية ان امهالكما للكفار ليس للعقلاء عن كفرهم فانه عالم بذلك ولكن ليقتضى اجل مسمى اي معين لكل فرد من افراد العباد من حياة ورزق وقال مجاهد هو الموت ثم اليه مرجعكم ليعرجكم بعد الموت ثم يبعثكم كما كنتم تعملون فيجازي المحسن باحسانه والمسي باسائه وهو القاهر فوق عباده قيل المراد فوقة القدرة والرتبة كما يقال السلطان فوق الرعية اي العالي عليهم بقدره لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والمعنى انه هو الغالب للمتصرف في موطنه لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداءا واجاءا وامانة واثابة وتعذيبا الى غير ذلك وقيل هو صفة لله تعالى وهذا هو مذهب سلف الامة وامتها يبرونها كما جاءت من غير تكليف ولا تأويل ولا تعطيل اي فوقة تليق بجاله وهو الحق وقد تقدم بيانها في اول السورة ويرسل عليكم حفظة اي ملائكة جعلهم الله حافظين لكم ومنه قوله تعالى وان عليكم كما فظين والمعنى انه يرسل عليكم من يحفظكم من الاناث ويحفظ اعمالكم قال السدي هو المعقبات من الملائكة يحفظون ويحفظون عملهم والحفظة جمع حافظ مثل كتبة جمع كاتب وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستعلاء وتقديمه على حفظة ليفيد العناية بشانه وانه امر حقيق بذلك وقيل هو متعلق بحفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا يحتمل ان تكون حتى للغاية ويحتمل ان تكون للابتداء والمراد بجي الموت جي علامته والرسول هم اعوان ملك الموت من الملائكة قاله ابن عباس ومعنى توفته استوفت روحه وقيل المراد ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وهم لا يعرفون اي لا يقصرون ولا يضيعون واصله من التقدم وقال ابو عبيدة لا يتوانون

وقرى لا يفرطون بالتخفيف اي لا يجاوزون الحد فيما مروا به من الاكرام والاهانة ^{فهم} واما
 الضمير راجع الى احد لانه في معنى الالتفات من الخطاب الى الغيبة والسرفى الافراد ولا والجمع ثانيا
 وقوع التوفى على الانفراد والرد على الاجتماع اي ردوا بعد الحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه وقبل
 جمهور المفسرين ويحتمل ان يكون هذا الرد الى الله بعد الموت فقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد
 ان الملائكة يصعدون بارواح الموتى من سماء الى سماء حتى تنتهيها الى السماء السابعة وفي رواية
 الى السماء التي فيها الله ثم ترد الى عليين او سجين وفي الآية دليل على علوه تعالى من خلقه والله اعلم
 وقيل ردوا اي الخلق والملائكة قال الكلبي قبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها الى ملائكة
 الرحمة والعذاب يصعدون بها الى السماء حكاة القرطبي ^{مولى} ما لهم الذي يلي امورهم
 او خالقهم ومعبودهم ^{الحق} صفة لاسم الله وقرى الحق بالنصب على انما فعل اي اعني او امدح
 او على المصدر فاعنا قال ذلك لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موال بالباطل والله مولاهم
 وسيدهم بالحق ^{الآله} الحكم ^{فلا} لا حكم الا له لا لغيره لا بحسب الظاهر ولا بحسب الحقيقة وهو
 استخرج الحكاميين لكونه لا يحتاج الى ما يحتاجون اليه من الفكر والروية والتدبر قل تبيينا و
 تقرير الهم بلفظا شركا ثم عن رتبة الالهية من ^{يحييكم} من ^{ظلمات} البر والبحر المراد بظلماتها
 شدائدها الهاشمة التي تبطل الحواس وتدخس العقول ولذلك استعير لهما الظلمات الباطلة
 كحاسة البصر قال الخاس والعرب تقول يوم مظلم اذا كان شديدا فاذا عظمت ذلك قالت
 يرمذ وكوكب اي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل في ظلمته وفي ظهور الكواكب فيه لانها لا
 تظهر الا في الظلمة وقيل حمله على الحقيقة اولى فظلمة البرهي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة
 السحاب فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى طريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع
 فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك ايضا
 الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود انه عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف
 الشديد لا يرجع الانسان فيها الى الله تعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدائد
 وهو المراد من قوله تدخسوا ^{تضرعوا} وخفية اي حال دعاء كرهه دعاء تضرع وخفية او متضرع
 ومخفين والمراد بالتضرع هنا دعاء الجهور قائلين لئن اُجبتنا من هذه الشدة التي نزلت بنا هي

الظلمات المذكورة لتكون من الشاكرين له على ما انعم علينا من تخليصنا من هذه الشدائد
قال ابن عباس اي من كبر له والبحر واذا ضل الرجل الطريق دعا الله لئن اخرجتنا الآية قل الله
يحييكم قراءة الشديد تفيد التكثير وقيل معناها واحد والضمير في منها راجع الى الظلمات ومن
كل كبر باعادة الجار هو واجب عند البصريين والكرب الغم الشديد ياخذ النفس ومنه رجل
مكروب ثم انكم تشركون بالله سبحانه بعد ان احسن اليكم ياخلف من الشدائد وذهب
شركاء لا يفتعونكم ولا يضرونكم ولا يقدرون على تخليصكم من كل ما ينزل بكم فكيف وضعتم
هذا الشرك موضع ما وعد تربيته عن انفسكم من الشكر قل امره الله سبحانه ان يقول لهم هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا اباي الذي قد راعى انحاءكم من تلك الشدائد ودفع عنكم تلك
الكروب قادر على ان يعيدكم في شدة وعجدة وكرب يبعث عذابه عليكم من كل جانب ومن
فوقكم كالطمر والصواعق والقذف والنجارة والريح والطوفان او من تحت ارجلكم كالخسف
والرجفة والزلازل والغرق وقيل من فوقكم يعني الامراء الظلمة وائمة السوء ومن تحت ارجلكم
السفلة وعبيد السوء قاله ابن عباس وعن العنكاك نخوة او يلبسكم شيئا من لبس الامراء اذا خاطب
وقرى بضم الياء اي يجعل ذلك لباسا لكم قبل والاصل او يلبس عليكم امركم فخذ احد المغنولين
مع حرف الجر كما في قوله تعالى واذا كاهنهم او وزنهم يخسرون والمعنى يجعلكم مختلطى الالهوا مختلفي
الخل متفرقي الاراء وقيل يجعلكم فقايقا تقاتل بعضكم بعضا والشيعة جمع شيعة اي الفرق
وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة واشياع واصلاء من الشيعة وفي القاموس شيعة الرجل
بالكسر اتباعه وانصاره والفرقة على حدة وتقع على الواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث وقد
جلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا واهل بيته حصا واسما لهم خاصة والجمع اشياع وشيع
كعنايهم قال مجاهد يعني اهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف في دينهم
بعضكم باس بعض اي يصيب بعضكم بشدة بعض من قتل واسروهم وقال ابن زيد هو الذي
فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك بعضهم دماء بعض انظر كيف نصرفت
الايات اي بين لهم الحجج والالام من وجوه مختلفة لعلمهم يقهرون الحقيقة فيعودون الى
الحق الذي بيناه لهم بينات مختلفة متنوعة اخرج البخاري وغيره عن جابر بن عبد الله

قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم هذا با من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ
بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او بلبسكم شيئا ويزين بعضكم باس
قال هذا الهون او اليسر واخرج احمد وعبد بن حميد ومسلم وابوداود والترمذي وابن ماجة
وضيفه في حديث طويل عن ثوبان وفيه وسألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غير ما علمت بها
وسألته ان لا يدين بعضهم باس بعض فمنعنيها واخرج مسلم وضيفه من حديث سعد بن ابي
وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم اقبل ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاذية دخل فركع فيه
ركعتين وصلىا معه ودحاربه لم يلاق احدا من اهلها فاعطاني اثنتين
ومنعني واحدة سألته ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها
وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها واخرج احمد والترمذي وحسنه وابن ابي حاتم وابن
مردويه عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه واله وسلم في هذه الآية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما انها كاشنة ولم يأت تاويلها بعد والا حديث في هذا
الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية وكذا بيه الضمير راجع الى القرآن والى الوعيد للضمن في هذه
الآيات المتقدمة والى النبي صلى الله عليه وفيه بعد لانه خطب بالكاف عقيبها وادعاء الالتفات فيه
ابعد والى العذاب قاله الترمذي قَوْمُكَ الْمَكْذُبُونَ هم قريش وقيل كل معانداي كذبوا به
وهو الحق اي في كونه كتابا منزلا من عند الله اولانه واقع لاحالة قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ
اي يحفظ على عمالك حتى اجازيكم عليها قيل وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل ليست
بمنسوخة اذ لم يكن ايمانهم في وسعه لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرًّا اي لكل شيء وقت يقع فيه والنبأ الشيء
الذي ينبأ عنه وقيل المعنى لكل عمل جزاء وقال ابن عباس لكل نبأ حقيقة قال الزجاج يجوز ان
يكون وعيد الهمة بما ينزلهم في الدنيا وقال الحسن هذا وعيد من الله للكفار لانهم كانوا لا يعرفون
بالبعث قال السدي فكان نبأ القوم استقروا يوم يلد بما كان يعد لهم من العذاب وسوف تغفلون
ذلك في الدنيا او في الآخرة بحصوله ونزوله بكم وقد علموا يوم يدرى حصول ما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتوعدهم به واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اخطاب النبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلي له وانحضر
اصلاه في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ثم استعمل في غمرات الاشياء التي هي جاهل شبهها

بغير الماء فاستعير من الحسن للمعقول وقبل هو مأخوذ من اخلط وكل شيء خضته فقد
 خلطته ومنه خاض الماء بالعسل خلطه والمعنى واذا رايت الذين يخوضون في القرآن بالتكذيب
 والرد والاستهزاء وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ أي قد علمهم ولا تقعد معهم لسامع مثل هذا المنكر العظيم
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ أي مغاير له الضمير للآيات والتذكير باعتبار كونها قرآنا أو باعتبار
 كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها يشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية أم والله سبحانه
 بالأعراض عن اهل المجالس التي يستهان فيها بآيات الله الى غاية هي الخوض في غير ذلك وفي هذه
 الآية موعظة عظيمة لمن يتبع مجالسة المبتدعة الذين يجر فون كلام الله ويتلاعبون بكلمات
 وسنة رسوله ويرون ذلك الى احوالهم المضلة وتقليد ائمة الفاسدة وبدعم الكاسدة فان
 اذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فاقبل الاحوال ان يتراءى عجلتهم وذلك يسير عليه غير
 وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزيهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون
 في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي
 عليه الحصر وقصنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قد رنا عليه وبلغت اليه طائفتنا ومن عرف
 هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم ان مجالسة اهل البدع المضلة فيها من المفسدة اضعافا
 اضعاف ما في مجالسة من يعصى الله بفعل شيء من المحرمات ولا سيما لمن كان غير راسخ القدر
 في علم الكتاب والسنة فانه ربما ينفق عليه من كذباً تهم وهذا تهم ما هو من البطلان بأوضح
 مكان فينقذ في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر حله فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به
 معتقدا انه من الحق وهو من ابطال الباطل وانكر المنكر قال ابن عباس من الله المؤمنين بالحجة ونهاهم
 عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما اهلك من كان قباهم بالراء والخصومة في حين الله وعن ابي جعفر
 قال لا تجالسوا اهل الخصومات فاهم الذين يخوضون في آيات الله وعن محمد بن علي قال ان اصحاب الاهواء
 من الذين يخوضون في آيات الله وقال مقاتل كان المشركون بمكة اذا سمعوا القرآن من اصحاب النبي صلعم
 خاضوا واستهزؤا فقال المسلمون لا يصلم لنا مجالستهم تخافون فخرج حين نسمع قلوبهم وغالسههم فانزل الله هذه
 الآية وقال السدي ان هذه الآية منسوخة بآية السيف ولا يصح وَأَمَّا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ
فَقَعَدْتَ مَعَهُمْ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرَى أي اذا ذكرتهم فقم عنهم ولا تقعد مع القوم الظالمين أي

المشركين وفيه وضع الظاهر موضع المضمحل قال مجاهد في محمد صلوات الله عليه وسلم ان يقعد معهم الا ان ينسى فاذا ذكر فليقم وذلك قول الله يعني هذه الآية وعن ابن سيرين انه كان يرى ان هذه الآية نزلت في اهل الاهواء المعنى ان انسانك الشيطان ان تقوم عنهم فلا تقعد اذا ذكرت مع الذين ظلموا انفسهم بالاستهزاء بالآيات والتكذيب بها قيل وهذا الخطاب وان كان ظاهرا للنبي صلوات الله عليه وسلم فالمراد التعريض لامته لتزهد عن ان ينسب الشيطان وقيل لوجه هذا فالنسيان جائز عليه كما نطق بذلك الاحاديث الصحيحة انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ونحو ذلك وما على الذين يتقون مجالسة الكفار عند خوضهم في آيات الله من حساسية يجهل الكفار من شيء وقيل المعنى ما على الذين يتقون ما يقع منهم من الخوض في آيات الله في مجالستهم لهم من شيء وعلى هذا التفسير ففي الآية الترخيص للمتقين في مجالسة الكفار اذا اضطر الى ذلك قيل وهذا الترخيص كان في اول الاسلام وكان الوقت وقت تقية ثم نزل قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها وليست هزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره فنبخ ذلك والحق انها محكمة باجماع اهل العلم خلافا للكلبي كما تقدم في سورة النساء عن عمرو بن عبد العزيز انه اتي يقوم قعدا على شراب معهم رجل صائم فضويه وقال لا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقيل بمجالستهم مباحة بشرط الوعظ والنهي عن المنكر ولكن ذكرى قال الكسائي المعنى ولكن هذه ذكرى والمعنى على الاستدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم الذكرى للكافرين بالوعظة والبيان لهم بان ذلك لا يجوز اما على التفسير الاول فلان مجرد اتقاء مجالسة هؤلاء الذين يخوضون في آيات الله لا يسقط وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما على التفسير الثاني فالترخيص في المجالسة لا يسقط التذكير وفيه وجوه اخرى كما لهم يتقون الخوض في آيات الله اذا وقعت منكم الذكرى لهم واما جعل الضمير للمتقين فبعيد جدا وذكر الذين اتخذوا دينهم أي اترك هؤلاء الذين اتخذوا الدين الذي كان يحق عليهم العمل به والدخول فيه ردعوا اليه وهو دين الاسلام لعباد وطواحيث شغوا به واستهوا فيه فلا تعلق قلبك بهم فانهم اهل تعنت وان كنت مأمورا بالاعتصام بالحجة وقيل هذه الآية منسوبة

بأية القتال وقيل المعنى انهم اتخذوا دينهم الذي هو عليه لعباً ولهوا كما في فعلهم بآية ناسج
 من تلك الخيالات والضلالات المتقدمة ذكرها وقيل المراد بالدين هنا العيد أي اتخذوا عيداً
 لعباً وطوا قال قتادة أي كلاً وشرباً وكذا من جعل طريقته الخمر والزمر والرقص وسخوة وفاليضاً
 بنوا امردهم على التشيع وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً واجلاً لعبادة الصنم وتخريم
 البحار والسواكب والمعنى اعرض عنهم ولا تنال بأفعالهم واقوالهم وقال مجاهد هو مثل قوله
 ذني ومن خلقت وحيداً يعني نه للتهديد وعلى هذا تكون الآية محكمة وغيرهم الحيوة
 الدنيا حتى اشروها على الآخرة وانكروا البعث وقالوا ان هي ايماننا الدنيا نموت ونحيا وما نحن
 بمبعوثين وذكر كريمة أي بالقرآن او بالحساب ان أي لثلاث تسلسل نفس الاسبال تسليم النفس
 للهلاك ومنه اسبلت ولدي أي رهنه في الدم لان عاقبته ذلك الهلاك واصل الاسبال و
 البسل في اللغة التخيير والمنع يقال هذا عليك بسل أي حرام ممنوع ومنه اسبل ان في ستة لا نقلت
 منه اولاً لانه ممنوع والاسبال الشجاع لا متناع من قرنه وهذا اسبل عليك أي ممنوع قال ابو عبيدة
 الذي يسلم نفسه على الموت او الضرب وان استبسل أي ان يطرح نفسه في الحرب ويريد
 يقتل فالمعنى وذكر به خشية او مخافة او كراهة ان تهلك نفس بما كسبت أي ترهن وتسلم
 للهلاك وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الأثام وعن ابن عباس
 ان تبسل ان تفضح وابسلوا اضحوا وقال قتادة تحبس في جهنم وقال الضحاك تفرق بالنار وقال
 ابن زيد تؤخذ به ليس لها أي لتلك النفس التي هلكت من دون الله من لا ابتداء لآية وقيل انها
 زائدة نقله ابن عطية وليس بشيء ولا اول ظهور ولا قريب ناصري امرها ولا شفيق يشفع في
 الآخرة وينزع عنها العذاب وان تعدل كل عدل هذا العدل الفدية والمعنى وان بذلت
 تلك النفس التي سلمت للهلاك كل فدية لا يؤخذ منها ذلك العدل حتى تنجو به من الهلاك
 او لتلك أي المتخذون دينهم لعباً ولهوا وهو مبتدأ وخبره الذين اسبلوا أي اسلموا للهلاك
 بما كسبوا أي مجازتهم وحملتهم كهم شراب من حميم مستانغة كانه قيل كيف هو لاء فقيل لهم
 شراب الآية وهو لما احسار البالغ نهاية الحوارة ومثله قوله تعالى يعصب من فوق رؤسهم
 الحميم وهو هنا شراب يشربونه فيقطع امعاءهم وحد أب اليم لم يما كما نوا يكفرون

اي بسبب كفرهم قل اندحور من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا امر الله سبحانه بان يقول
لهو هذه المقالة والاستغفار للتوبخ اي كيف ندعو من دون الله اصناما ما لا ننفعنا بوجه من
الوجه ان اردنا منها نفعا ولا نغني ضررها بوجه من الوجوه ومن كان هكذا فلا يستحق للعبادة
وسر ذلك اعقارنا جمع عقباي كيف ندعو من كان كذلك لا نرجع الى الضلالة
التي اخرجا الله منها قال ابو عبيدة يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها قد رد على عقبيه
وقال المبرد تعقب بالشرب بعد الخمر واصله من المعاقبة والعقبة وهما ما كان ناليا للشيء ولجا
ان يتبع ومنه والمعاقبة للثمين ومنه عقب الرجل ومنه العقوبة لانها نالية للذنب بعد اذ
هل بنا الله الى دين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته الشياطين في الارض هوى طوي
الى الشيء اسرع اليه قال الزجاج هو من هوى النفس اي زين له الشيطان هواه واستهوته
الشياطين هوت به اي نرد حال كوننا مشبهين للذي استهوته الشياطين اي ذهبت به
مردة الجبن فالتفت في هوية من الارض بعد ان كان بين الانس وعلى هذا ااصله من الهوى
وهو النزول من اعلى الى اسفل حير ان اي حال كونه متخيرا تاثيرا لا يدري كيف يصنع والحير
هو الذي لا يهتدي بحجة وقد يقال حارجا رحيمة وحيرة اذا تردد وبه سمي الماء المستقع
الذي لا منفذ له حارثا له اصحاب يدعون الى الهدى صفة حيران او حال اي له رفقة يقو
له ان نلتنا فلا يجيبهم ولا يهتدي بهم وبقي حيران لا يدري اين يذهب قل امره سبحانه
بان يقول لهم ان هذا الله اي حينه الذي ارتضاه لعباده هو الهدى وما عداه باطل ومن
يتبع خيرا لا سلام ديننا قلن يقبل منه وامرنا بالسلم هي لام العلل والمعلل هو الامري امرنا
لاجل ان نسلم قاله الزمخشري وقال الفراء امرنا بان نسلم لان العرب تقول امرتك لتذهب
وبان تذهب بمعنى وقال النحاس سمعت ابن كيسان يقول هي لام الخفض وقيل نائدة
لرب العالمين لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره وامرنا ان اقيموا الصلوة ويحوزوا
يكون عطفا على يدعونه اي يدعونه الى الهدى ويدعونه ان اقيموا واتقوا لان فيها
ما يقرب اليه وهو الذي اليه تحشرون يوم القيامة فكيف تخالفون امره مستانفة من
لامثال ما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض لخلقنا لحي احوال

كون الخلق بالحق فكيف تعبدون الأصنام المخلوقة أو اظهروا للعقل وعلى هذا الباء بمعنى اللام وقيل
 كل ذلك بالحق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وقيل بالحكمة ومعناها لاهازل ولا عابثا ولا ذكر
 أو اتقوا يوم يقول للسموات والأرض كن والمراد بالقول المذكور حقيقة أو المراد به التمثيل
 والتشبيه تقريبا للعقول لأن سرعة قدرته تعالى أقل زمنا من زمن النطق بكن الأول أو في قوله
 فيه أوجه أحدها أنه ضمير جميع ما خلقه الله تعالى يوم القيامة الثاني أنه ضمير الصور المنفردة
 فيه وحل عليه يوم ينفخ في الصور والثالث أنه ضمير اليوم أي فيكون ذلك اليوم العظيم الرابع
 أن الفاعل هو قوله والحق صفة أي فيوجد قوله الحق ويكون الكلام على هذا قد تقرر على
 الحق والمعنى قوله للشيء إذا راده كن فيكون حق وصدق وقيل المعنى لا يكون شيء من السموات
 والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب وقيل المعنى وأمره المتعلق بالشيء الحق أي
 اليهود له بأنه حق وقيل المعنى قوله المنصف بالحق كأن يوم يقول الآية وقوى فتكون بالنون
 وهو إشارة إلى سرعة الحساب وقوى بالتحية وهو الصواب وكلمة الملك يوم ينفخ في الصور
 أي له الملك في هذا اليوم وقيل هو بدل من اليوم الأول أخبر عن ملكه يومئذ وإن كان الملك
 له خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لأنه لا منازع له يومئذ يدعى الملك والصور قرن ينفخ
 فيه النفخة الأولى للفناء والثانية للأنشاء وهو لغة أهل اليمن وكذا قال أبو هري أن الصور القرون
 أي المستطيل وفيه جميع الأرواح وفيه تغيب بعدد ما فادخا نفخ خرجت كل روح من ثقبها ووصلت
 بجسد ما فتح له الحياة قال مجاهد الصور قرن كهية البوق وقوى الصور جمع صورة والمراد بالخلق
 وبه قال الحسن ومقاتل قال أبو عبيدة وهذا وإن كان محتملا ليرد بما في الكتاب والسنة قال الله تعالى
 فنرفخ فيه أخرى وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن
 حبان والحاكم وصححه والبيهقي وعبد بن حميد وابن المبارك عن عبد الله بن عمر وقال سئل النبي
 صلعم عن الصور فقال قرن ينفخ فيه واجمع عليه أهل السنة والأحاديث الواردة في كيفية النفخ
 نابتة في كتب الحديث لا حاجة لنا إلى إيرادها ههنا عالم الغيب والشهادة صفة للذي خلق السموات
 والأرض أو هو يعلم ما خاب من عبادة وما يشاهد ونه فلا يغيب عن علمه شيء وهو الحكيم
 في جميع ما يصد عنه الخبير بكل شيء فلا ذك قال إبراهيم لا يبرئه أذر أخلف أهل العلم لفظه

قال الجوهري ان اسم ازر اسم اعجمي وهو مشتق من ازر فلان فلانا اذا عاونه فهو موارز وقومه على عبادة الاصنام وقال ابن فارس انه مشتق من القوة قال الجوهري في النكت من التفسير انه ليس بين الناس اختلاف في ان اسم والد ابراهيم تاريخ ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بكاف المحجمة والذي في القرآن يدل على ان اسمه ازر وقد تعقب في دعوى الاتفاق بما روي عن ابن اسحق والضحاك والسكيت انه كان له اسمان ازر وتاريخ وقال مقاتل ازر لقب وتاريخ اسم وقال البخاري في تاريخه الكبير ابراهيم بن ازر وهو في التوراة تاريخ والله سماء ازر وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تاريخ ليعرف بذلك وكان من كوفي وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي ان ازر سب وعتب ومعناه في كلامهم المعوج وقال الضحاك معنى ازر الشيخ الهرم بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز ان في القرآن الفاظ قليلة فارسية وقال الفراء هي صفة ذم بلغتهم كانه قال يا مخطي وروي مثله عن الزجاج وقال مجاهد هو اسم صنم ولم يكن بابيه وعن السدي قال سم ابيه تاريخ واسم الصنم ازر وقال ابن عباس الا ازر الصنم وابو ابراهيم اسمه يازر وامه اسمها شلة وامراته اسمها سارة وسريته امر اسمعيل اسمها حجرة قال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وحلى هذا فاطلاق اسم الصنم على ابيه اما للتعبير له لكونه معجوبة او على حذف مضاف اي قال لابيه عابد ازر واقعد ازر على حذف الفعل والصحيح ان ازر اسم لابى ابراهيم لان الله سماه وعليه جرى جمهور المفسرين وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تاريخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه من اهل الكتاب لا عن تعقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم عليه السلام اياه ازر يوم القيامة وعلى وجه ازر قرة وغبرة الحديث وسماه النبي صلى الله عليه وسلم ازر ايضا ولا قول لاحد مع قول الله ورسوله كاشفا من كان والمعنى اذكر اذ قال ابراهيم لا ازر اتخذ اصناما جميع صنم وهو التمثال والوثن بمعنى وهو الذي يتخذ من خشب او حجارة او حديد او ذهب او فضة على صورة الانسان اي تجعلها الهة لك تعبد ها من دون الله الذي خلقك ورزقك في اربك الروية اما علمية واه ابصورية واجمالية تعليل للانكار والتوين وقومك المتبعين لك في عبادة الاصنام في صلال عن طريق الحق قبيحين واضح بين لان هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع

وكذلك أي مثل تلك الأرائق التي يرى إبراهيم والجملة معترضة قيل كانت هذه الرواية بعين البصر
وقيل بعين البصيرة ومعنى يرى أرىناه حكاية حال ما ضية أي أرىناه ذلك وقد كان أزدو
قومه بعدون الأصنام والكواكب والشمس والقمر فارادان ينهبهم على الخطأ وقيل إنه ولد في
سرب وجعل رزقه في أطراف أصابعه فكان يصمها وسبب جعله في السرب أن النمرود رأى
رويان ملكه يذهب على نيد مولود فامر يقتل كل مولود ملكوت السموات والأرض أي
ملكها وزيد التنا والوالد المبالغة في الصفة ومثله الرغبوت والرهوت مبالغة في الرغبة والر
قيل أراد ملكوتها ما فيها من الخلق وقيل كشف الله عن ذلك حتى رأى إلى العرش وإلى أسفل
الأرضين وقيل رأى من ملكوتها ما قصه الله في هذه الآية قال ابن عباس كشف ما بين السما
حتى نظر إليهن على صخرة والصخرة على حوت وهو الحوت الذي منه طعام الناس والحوت في سلسلة
والسلسلة في خاتمة العرة وقال مجاهد سلطانها وقيل المراد بملكوتها الربوبية والالهية أي
ذلك ونوفقه لمعرفة بطريق الاستدلال التي سلكها قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم
ملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار وليكون من المؤمنين أي ليستدل به ويكون من أهل
اليقين عيانا كما يقن بيا فواليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التامل بعد زوال الشبهة
قال ابن عباس جل له الأمر سرا وجلانية فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق والمعنى أرىناه
ذلك ليكون من يوقن علم كل شيء حسا وخبرا قلنا نحن عليه أي ستره الكيل بظلمته ومنه
الجنة والجنة والجن كله من السراي وأذكر أذن الدليل يقال جن الليل واجن إذا ظلم وغطى كل شيء وقت
أخرى خبر قصة عرض الملكوت عليه رأى كوكبا قيل رأى من شق الصخرة الموضوعة على
راس السرب الذي كان فيه وقيل رأها أخرجها ابوة من السرب وكان وقت غيبوبة الشمس
قيل رأى المشتري وقيل الزهرة قال هذا يعني جملة مستأنفة كانه قيل فماذا قال عند رؤية
الكواكب قيل وكان هذا منه عند قصور النظر لانه في زمن الطفولية وقيل كان بعد بلوغ
إبراهيم وعليه جمهور المحققين ثم اختلف في تأويل هذه الآية فقيل أراد قيام الحجة على قومه
كالحاكم لما هو عندهم وما يعتقدونه لأجل الزاهر وقيل معناه اهتدائي انكوان يكون مثل
هذا ربا ومثله قوله تعالى فان من فهم الخالدون أي فهم الخالدون وقيل المعنى انتم تقولون

هذا لي فاضمر القول وقيل المعنى على حذف مضاف اي هذا دليل ربي فلما اقل اي غروب
 وضاب والا قول غيبة النيرات قال ابراهيم لا احب الاقليات يعني لا احب رباً يغيب ويطلع
 فان الغروب تغير من حال الى حال وهو دليل احدوث فلم يجمع فيهم ذلك فلما اراد اي القمر
 باز غاي طالعا منتشر الضوء يقال بزغ القمرا اذا ابتدأ في الطلوع والبرق الشق كانه يشق بنوره
 الظلمة قال لهم هذا ربي يزعمكم وتقدم الكلام فيه فلما اقل اي غاب قال لئن لم يهديني
 ربي اي لئن لم يثبتني على الهداية ويوفقني للحجة وليس المراد انه لم يكن مهتدياً لان الانبياء لم
 يزوالوا على الهداية من اول القطرة وفي الآية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم
 اضاف الهداية اليه سبحانه وتعالى لا كونه من العوام الضالين الذين لا يهتدون للحق فيظلمون
 انفسهم ويجرمونها حظها من الخير فلما اراد اي الشمس باز خة الروية بصورة قال هذا ربي
 وانما قال هذا مع كون الشمس مؤنثة لان مرادة هذا الطائع قاله الكسائي والاختصاص وقيل هذا
 الضوء وقيل الشخص وقيل لان ثابث الشمس غير حقيقي هذا الكبر اي مما تقدمه من الكواكب
 وقيل اكبر جرمها وضوء ونفعاً فسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي فلما
 اقلت اي غابت الشمس وقويت عليهم الحججة ولم يرجعوا قال يا قوم اني بري مما تشركون
 اي من الاشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدها من الاصنام والاجرام المحدثه المحتاجة الى عرش
 قال بهذا الماظهر له ان هذه الاشياء مخلوقة لا تنفع ولا تضر ومستند على ذلك بما هو الذي هو دليل
 حدوثها اني وجهت وجهي اي قصدت بعبادتي وتوحيدتي الله عز وجل وذكر الوجه لانه
 العضو الذي يعرف به الشخص ولانه يطلق على الشخص كله كما تقدم للذي فطر السموات و
 الارض اي خلقهما وابتدعهما حقيقة اي ما تلا الى الدين الحق وما انا من المشركين به تبرأ من
 الشرك الذي كان عليه قومه وحججة قومه اي وقعت منهم الحاجة له في توحيدهم بما يدل
 على ما يدعون به من ان ما يشركون به ويعبدونه من الاصنام الهية فاجاب ابراهيم عليه السلام
 بما حكاه الله عنه انه قال انما تجزئني في الله اي في كونه لا شريك له ولا ند ولا ضد وقد هتد
 الى توحيد وابتعدت عن ان اكون مثلكم في الضلالة والجهالة وعدم الهداية ولا اخاف مما
 تشركون به قال هذا الماخرق من الهمم بما يستغضب عليه وتصيبه بمكروه اي اني لا اخاف

ما هو مخلوق من مخلوقات الله لا يضر ولا ينفع وإنما يكون الخوف من يقدر على النفع والضرر
 والضمير في بهيج رجوعه الى الله والى معبوداتهم المدلول عليهم بما في ما تشكون به إلا أن يشاء
 ربّي شيئا أي الا وقت مشيئة ربي بأن يلحقه شيئا من الضرر يذنب علمته فالأمر إليه ذلك
 منه لا من معبود انكم الباطلة التي لا تضر ولا تنفع ولا والمعنى على نفي حصول ضرر من معبودهم
 على كل حال وإثبات الضرر والنفع لله سبحانه وصدورها حسب مشيئته والاستثناء على هذا
 متصل لأنه من جنس الأول والمستثنى منه الزمان كما اشار الى ذلك في الكشف وقيل منقطع
 بمعنى لكن وعليه جرى ابن عطية والخوفي وهو أحد قولي البقاء والكواشي اليخا السيوطي قال الخوفي
 تقديره لكن مشيئة الله أي يضر أياها فها شعر على ذلك بقوله وسيع ربّي كل شيء علما يعني ان
 علمه محيط بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه قال ابو البقاء لان ما يسع الشيء فقد احاط به والعالم
 بالشيء محيط بعلمه فاذا شاء الخبير كان حسب مشيئته واذا شاء اترال شري كان حسب مشيئته
 ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قال لهم مكالحة عليهم ودفعوا لما خوفوه فلا تتذكرون
 أي تعتبرون ان هذا الاصنام حماد ان لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السموات
 والارض ومن فيها وكيف اخاف ما أشركتم معي كيف اخاف ما لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يورث
 ولا يبصر ولا يسمع ولا يقدر شيئا استيناف مسوق لنفي الخوف عنه بالطريق الانزامي بعد
 عنه بحسب الواقع ونفس الامر بقوله سابقا واخاف ما تشركون به ولا تخافون انكم أشركتم
 بالله أي واحال انكم لا تخافون ما صدر منكم من الشرك بالله وهو الضار النافع الخالق المورث ان
 عليهم هذا الكلام الانزامي الذي لا يجدون عنه خلاصا ولا مخفيا ولا استغفار لانكار عليهم النتيجة
 لهم ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي ما ليس لكم فيه حجة وبرهان يعني لا تخافون انكم جعلتم
 الأشياء التي لم ينزل بها عليكم سلطانا شركاء لله والمعنى ان الله سبحانه لم يأذن جعلوا شركاء
 له ولا نزل عليهم بأشراكها حجة يحتجون بها فكيف عبدوها واتخذوها الهة وجعلوا شركاء لله سبحانه
 فأبى الغريقين أحق بالأمن المراد فريق المؤمنين وفريق المشركين أي اذا كان الامر على ما تقدّر
 من ان معبودي هو الله المتصف بتلك الصفات ومعبودكم هي تلك المخلوقات المجادات فكيف
 تخوفوني بها وكيف اخافها وهي بهذه المترلة ولا تخافون من أشرككم بالله سبحانه وبعد هذا الضمير

اي الفريقين احق بالامن من العذاب وعدا خوفا في يوم القيامة الموحدا للمشارك وان قيل
 اين احق انا ام انتم احترازا عن تركية نفسه والمراد من الاحق التحقيق ان كنتم تعلمون بحقيقة
 الحال وتعرفون البراهين الصحيحة وتميزونها عن الشبه الباطلة ثم قال الله سبحانه قاضيا بينهم
 ومبيناً لهم الذين آمنوا وكم يكسوا ايما انهم يظلمون اي هم الاحق بالامن من الذين اشركوا
 قيل من تمام قول ابراهيم وقيل هو قول قوم ابراهيم وقيل من كلام الله ثلاثة اقوال للعلماء وعليها
 يترتب الاعاريب التي ذكرها السمين في هذا المقام لا نطول بذكرها والمعنى لو غلطوا بظلم والمراد
 بالظلم الشرك وقد فسر به ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي
 وابي بن كعب وابن عباس وقدروي عن جماعة من التابعين مثل ذلك ويعني عن الجميع في
 تفسير الآية ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك
 على اصحاب رسول الله صلعم وقالوا اينما نرغم أنفسنا فقال رسول الله صلعم ليس هو كما تظنون انما
 هو كما قال لقمان يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم العجب من صاحب الكشاف حيث يقول
 في تفسير هذه الآية وابي تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وهو لا يدري ان الصادق المصدوق قد
 قد فسر بها بهذا واذا جاء نهره بطل نهر معقل وفي زاده على البيضاوي وذهب المعترلة الى
 ان المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك بناء على ان خطأ احد الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعهما
 لا يتصور خطأ الايمان بالشرك لانما ضدان لا يجتمعان وهذه الشبهة ترد عليهم بان يقال كما
 ان الايمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع الايمان عند كونه اسما للفعل الطاعات
 واجتناب المعاصي فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عند كونه مؤمنا بالاشارة بقوله اولئك الذين
 المتصفين كما ذكرهم الامم يوم القيامة من عذاب النار وفي الآية دليل على ان من مات لا يشرك
 بالله شيئا كانت عاقبته الامن من عذاب النار والجملة وقعت خبرا عن اسم الاشارة هذا الوضع ما
 ما قيل مع احتمال خبره من الوجوه وهم مهتدون الى الحق ثابتون عليه وغيرهم على ضلال
 وجهل والاشارة بقوله وتلك سجنتنا الى ما تقدم من الحجج التي اوردها ابراهيم عليهم السلام تلك
 البراهين التي جرى بين ابراهيم وبين قومه من قوله فلما جن عليه الليل او من قوله اتخا جني
 الى قوله وهم مهتدون وقال السمين من قوله كذلك نرى ابراهيم الى قوله وما انا من المشركين

اَتَيْنَاكَ يَا اِبْرَاهِيْمُ اَيُّ اعْطَيْنَاكَ اَيُّهَا وَارْشَدْنَاكَ اِلَيْهَا حُجَّةً عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
 مَنْ تَشَاءُ بِالْهُدَايَةِ وَالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْعَقْلِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْارْشَادِ اِلَى الْحَقِّ وَتُلْقِينَ الْحُجَّةَ اَوْ يَأْخُذُ
 اَعْمَرُ مِنْ ذَلِكَ وَفِيهِ نَقُضُ قَوْلَ الْمُعْتَزَلَةِ فِي الْاَصْلِ قَالَ الصَّخَّارِيُّ اِنْ الْعُلَمَاءُ دَرَجَاتٌ كَدَرَجَاتِ
 الشَّهَادَةِ اِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ فِي كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ عَلَيْهِ جَلَالُ عِبَادَةِ اَنْ مِنْهُمْ مَنْ لَيْسَتْ يَتَّقِي الرَّفْعَ
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ خُطَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَوْ قَالَ السَّيِّدُ ابُو جَعْفَرٍ وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْمَ ابْنِ
 اِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَلَدَ الْوَلَدِ اَيُّ وَهَبْنَا لَهُ ذَلِكَ خِزَاءً عَلَى الْاِحْتِيَاجِ فِي الدِّينِ وَبَذَلَ النَّفْسَ فِيهِ
 وَالْمَقْصُودُ مِنْ تِلَاوَةِ هَذِهِ النُّعْمِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفُهُ لَانْ شَرَفَ الْوَالِدِ يَسْرِي اِلَى الْوَلَدِ
 وَجَلَّةٌ مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَسُولًا وَبَقِيَ سَبْعَةٌ وَهُوَ اَدَمُ وَادْرِيسُ وَشُعَيْبٌ وَصَالِحٌ
 وَهُودٌ وَذُو الْكُفْلِ وَمُحَمَّدٌ فَهِيَ الْخَمْسَةُ وَالْعَشْرُونَ رَسُولًا هُمُ الَّذِينَ يَجِبُ اَلِإِيمَانُ بِهِمْ تَقْضِيَةً
 كَلَّا هَدَيْنَاكَ اَيُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اَوْ كُلَّهُمْ هَدَيْنَا اِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ وَطَرِيقِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ اَلَّذِي
 اَوْتِيَهُ اِبْرَاهِيْمُ فَاَنَّمَا مُقْتَدِيَانِ بِهِ وَنُوحًا هَدَيْنَا بَيْنَ اَدَمَ وَنُوحَ الْفِ وَمِائَةَ سَنَةٍ وَعَاشَ
 اَدَمَ تِسْعَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَنُوحَ ابْنُ مَلِكٍ وَكَانَ بَيْنَ اَدْرِيسَ وَنُوحَ الْفِ سَنَةً وَابْرَاهِيْمَ وَلَدَ
 عَلَى رَأْسِ الْفِ سَنَةً مِنْ اَدَمَ وَبَيْنَهُ وَنُوحَ عَشْرَةَ قُرُونٍ وَعَاشَ اِبْرَاهِيْمُ مِائَةً وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً
 وَلَوْلَا اِسْمَاعِيلُ عَاشَ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَكَانَ لَهُ حَمَلٌ مَاتَ اَبُوهُ تِسْعَ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَاخُوهُ
 اِسْحَاقُ وَلَدَ بَعْدَهُ بَارِزَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَعَاشَ مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً وَيَعْقُوبُ بْنُ اِسْحَاقَ عَاشَ مِائَةً
 وَسَبْعًا وَارْبَعِينَ وَيُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ عَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً وَبَيْنَهُ وَمُوسَى اَرْبَعًا
 سَنَةً وَبَيْنَ مُوسَى وَابْرَاهِيْمَ خَمْسَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَعَاشَ مُوسَى مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً وَبَيْنَ
 مُوسَى وَدَاوُدَ خَمْسَ مِائَةٍ وَتِسْعَ وَسِتُّونَ سَنَةً وَعَاشَ دَاوُدُ مِائَةً سَنَةً وَلَوْلَا سَلِيمَانُ عَاشَ نِيفًا
 وَخَمْسِينَ سَنَةً وَبَيْنَهُ وَمَوْلَا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَلْخَوَالِفُ وَسَبْعَ مِائَةٍ سَنَةً وَابُو بَ عَاشَ ثَلَاثًا
 وَسِتِّينَ سَنَةً وَكَانَتْ مَدَّةُ بِلَادِهِ سَبْعَ سِنِينَ وَيُونُسُ هُوَ ابْنُ مَتَّى وَهُيْ اِمَامُهُ ذِكْرُ السَّيِّدِ طَيِّبٍ
 فِي التَّحْبِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ مِنْ قَبْلِ اَيُّ مِنْ قَبْلِ اِبْرَاهِيْمَ بَعَشْرَةَ قُرُونٍ وَارْشَدْنَاكَ اِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ
 وَمِنْهَا حُلِيهِ بِالْهُدَايَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ اَيُّ مِنْ ذُرِّيَةِ اِبْرَاهِيْمَ وَقَالَ الْفَرَاءُ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحَ اَخْتَارَ
 ابْنُ جَوْرِ الطَّبْرِيِّ وَالْقَشِيرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةٍ وَجَمْعُهُو الْمَفْسَرِينَ وَقَالَ الرَّجَاحُ كَلَّا الْقَوْلِينَ جَاءَتْ

لان ذكرها جميعا قد جرى اعتراض عليه بأنه عدم من هذه الذرية يونس ولوطا وما كانا من
 ذرية ابراهيم فان لوطا هو ابن اخي ابراهيم داود هو ابن ييشا وكان ممن اتاه الله الملك النبوة
 وسليمان كذلك وهو ابن داود واأيوب هو ابن اموص بن رازخ بن روم بن عيص بن
 اسحاق بن ابراهيم ويوسف هو ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وموسى هو ابن عمران
 بن يصره بن قاهت بن لاوى بن يعقوب وهارون هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة
 وانما عداه سبحانه هداية هؤلاء الانبياء من النعم التي صدرها ابراهيم لان شرفه لا ينبت
 متصل بالآباء وكذلك اجزاء بنجرى الحسين وذكرنا هو ابن اذن بن بركيا ويحيى هو ابن زكريا
 وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس هو ادريس قاله ابن مسعود وقال محمد بن اسحاق
 هو الياس بن سنان بن فخاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان اهل الانبياء
 قالوا ان ادريس جد نوح لان الله نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته وقال
 الضحاك الياس من ولد اسمعيل وقال القتيبي هو من سبط يوشع بن نون قال محمد بن كعب الخال
 والد والعم والد نسب الله عيسى الى اخواله فقال ومن ذريته حتى بلغ الى قوله زكريا ويحيى وعيسى
 اخرج ابو الشيخ والحاكم والبيهقي عن عبد الملك بن عمير قال دخل يحيى بن يعمر على الحجاج فكلمه الحسين
 فقال الحجاج لم يكن من ذرية النبي صلعم فقال يحيى كذبت فقال لتأمتني علما قلت ببينة قتلا
 ومن ذريته الى قوله وعيسى فكبراه ان عيسى من ذرية آدم بامه فقال صدقت وقد رويت
 هذه القضية بالفاظ وطرق وفيه دليل على ان النسب يثبت من قبل الام ايضا لانه جعله من
 ذرية نوح وهو لا يتصل به الا بالام ^{وقد} كل من الصالحين اي كل من ذكرنا وسمينا من اهل الصلاح
 واسمعيل هو ابن ابراهيم وانما اخذ ذكره الى هنا لانه ذكر اسحاق وذكر اولاده من بعده على انق
 واحد واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقد نوههم قوم ان اليسع هو الياس وهو وهم فان الله
 افرد كل واحد منهم وقال وهب اليسع صاحب الياس وكانا قبل يحيى وعيسى زكريا وقيل اليسع
 هو اخض ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران اخي ابراهيم وكلنا فضلنا على العالمين
 اي وكل واحد فضلناه بالنبوة على عالمي زمانه والجملة معترضة ويستدل بهذه الآية بقول
 ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله فيدخل فيه الملك وقد

ذكر سبحانه هنا ثمانية عشر نبيا من غير ترتيب لأجل حسب الزمان فلا يحسب الفضل لأن الواق
لا تقتضيه الترتيب ونحن أباؤهم من التبعيض لأن من أباؤ بعضهم من لم يكن مسلما وذريتهم
أي بعضهم لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح وأخوه
أي وفقرهم للهداية وخاص الدين وأجنيبتهم أي اختزلهم لاجتناب الاصطفاء والتفصيل
الاختيار مشتق من جيت الماء في الخوض أي جمعته فالاجتناب ضم الذي تجنيه إلى خاصتك التجا
نحوض وهديتهم أي ارشدناهم إلى صراط مستقيم أي إلى دين الحق ذلك الهداية والتفصيل
والاجنباء المضمومة من الأفعال السابقة هدى الله يهدي به الله من يشاء ممن عبادة وهم
الذين وفقهم للخير واتباع الحق ولو أشركوا أي هؤلاء المذكورون بعبادة غير الله يحيط عنهم
الحبوط البطلان والذهاب وقد تقدم تحقيقه في البقرة ما كانوا يعملون من الطاعات
قبل ذلك لأن الله لا يقبل مع الشرك من الأعمال شيئا أولئك أي الأنبياء المذكورون سابقا للذين
أنبأهم الكتاب أي جنس الكتاب ليصدق على كل ما نزل على هؤلاء المذكورين وليس لكل منهم
كتاب فالمراد بآباء الكتاب لكل منهم تفهيم ما فيه أعم من أن يكون ذلك بالآثار على ابتدأ
أو بواحدة من قبله وأحكم العلم والنبوة الرسالة وما هو أعم من ذلك فإن يكفرو بها الضمير أعم
إلى أحكام النبوة والكتاب والنبوة فقط وهو كإشارة إلى كفار قريش بمكة المعاند بن رسول الله
فقد وكلنا بها قوما أي اصدنا لها وعدنا والزنا بالإيمان بها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
المهاجرون والأنصار والبارزاة قال ابن عباس فان يكف أهل مكة بالقرآن فقد وكلنا به أهل
المدينة والأنصار وقال قتادة هم الأنبياء الثمانية عشر وقال أبو رجاء العطاردي هم الملائكة
وفيه بعد لأن اسم القوم لا ينطبق إلا على بني آدم وقيل هو الغرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم
سواء كان ملكا أو نبيا أو من الصحابة والتابعين والاولى أن المراد بهم الأنبياء المذكورون سابقا نقول فيما
بعد أولئك الذين هدى الله فان الإشارة إلى الأنبياء المذكورين لا إلى المهاجرين والأنصار إذ لا يصح
أن يومر النبي صلعم بالافتداء بعد هدمه وتقد يوفيه دمهم على الفعل أي قتله يفيد تخصيص هدمهم
بالافتداء قرئ اقتداء بها السكت وقفا وصلوا وهي جوف تجلب للاستراحة عند الوقوف فتبوتها وقفا
لا إشكال فيه وأما نبوتها وصلها فاجرامه عجزى لوقوفه في قراءة جحفها وصلها الحجرة والكسائي لا اقتداء

طلب موافقة الغير في فعله وقيل المعنى اصبر كما صبروا وقيل لقد بهم في التوحيد وان كانت
جزئيات الشرائع مختلفة وقيل في جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة ^{ملا}
وفيها دلالة على انه صلوات الله عليه لا يتبدل من قبله من الانبياء فيما لم يرد عليه فيه نص اخرج البخاري
والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهدا هو وكان يسجد في
ولفظ ابن ابي حاتم عن مجاهد سالت ابن عباس عن السجدة التي في ص فقر هذه الآية وقال امر
نبيكم ان يقتدي بآد عليه السلام وقد احتج اهل العلم بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله
افضل من جميع الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم قل لا
استدلكم عليه اي على القرآن او على التبليغ فان سياق الكلام يدل عليه ما وان لم يجز لها ذكر
أجراً عوضاً من جهتم قال ابن عباس قل لهم يا محمد لا اسألكم على ما ادعوك اليه عوضاً من
عروض الدنيا وكان ذلك من جملة هدا هو ان هو اي ما القرآن الا ذكر لي للعالمين اي وعظته
وتدبير الخلق كافة الموجه بن عند نزوله ومن سيوجد من بعد وفيه دليل على انه صلوات الله
مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته تحمت جميع الخلق وما قدر والله حق قدره
قدرت الشيء وقدرته عرفت مقداره واصله الست تر استعمل في معرفة الشيء اي لم يعرفه حق معرفته
حيث انكروا رساله للرسل وانزاله للكتب قاله الاخفش وقيل المعنى وما قدروا نعم الله حق قدره
قال ابن عباس هو الكفار لم يؤمنوا بقدره الله فمن امن ان الله على كل شيء قدير قد راسه حق
قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر راسه حق قدره وقال مجاهد قالها مشركوا العرب وعنه
ما عظموا الله حق عظته وقال ابو العالية ما وصفوا الله حق صفته ويصح جميع ذلك في معنا
اذ قالوا ما انزل الله على نبي من شيء قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك
كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا وعن السدي قاله فخاص لليهود فقلت
وعن حكومة قال نزلت في مالك بن الصيف وعن سعيد بن جبيرة نحوه ولكن باطول منه والمعنى الذي
قالوا ذلك ما قدر الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه لما قالوا هذه المقالة ولما وقع
منهم هذا الانكار وهم اليهود امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يورد عليهم حجة لا يطيقون معها فقال قل من
انزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو يعترفون بذلك ويدعون له وكان في هذا من التبكيت

لهم والتقريع مالا يقاد رقدته مع اجاباتهم الى الاعتراف بما انكروا من وقوع انزال الله على البشر
وهو الانبياء عليهم السلام فبطل مجدهم وتبين فساد انكارهم وقيل ان القائلين بهذه المقالة هم
كفار قريش فيمكن الزامهم بانزال الله الكتاب على موسى من جهة انهم يعترفون بذلك ويعلمونه
بالاخبار من اليهود وقد كانوا يصدقونهم تُورًا وَهَدْيًا لِلنَّاسِ اي التوراة ضياء من ضلالتهم
وبيان يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تغير وتبدل تَعْلَمُونَ بالتاء والياء اي
الكتاب النبي جاء به موسى في قراطيس او ذقراطيس او نزولوه منزلة القراطيس وقد تقدم تفسير
القرطاس اي يضعونه فيها ويكتبونه مقطعا وورقات مفردة لئيم لهم ما يريدونه من التعريف
والتبديل والابداء والاختفاء وكتوصفة النبي صلعم المذكورة فيه وهذا ذم لهم قال مجاهد
اليهود تَبْدُوْنَهَا اي القراطيس المكتوبة وَتَحْفَرُوْنَ كَثِيْرًا اما كتبوه في القراطيس مما اخفوه ايضا
اية الرجم وكانت مكتوبة عند هوفى التوراة وَحَلَمْتُمْ مَا تَعْلَمُوْنَ اَلَا تَنْتَهُوْنَ اَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ الخطاب لليهود
ويحتمل ان تكون هذه الجملة استينافية مقرر لما قبلها والذي حمله هو الذي اخبرهم به نبينا
صلعم من الامور التي اوحى الله اليه بها فانها اشتملت على ما لم يعلموه من كتبهم ولا على لسان انبيائهم
ولا علمه انبيائهم ويحتمل ان تكون ما في ما لم تعلموا عباة عما علموه من التوراة فيكون ذلك على
وجه المن عليهم بانزال التوراة وقيل الخطاب للمشركين من قريش وغيرهم فتكون ما حباة
عما علموه من رسول الله صلعم قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلعم فضيعوه ولم يتفقهوا
به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد صلعم والاول الى
وقال قتادة هو اليهود انا هم علموا فلم يقتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعلموا فذمهم الله في علمهم
ذلك ثم امر الله رسوله بان يجيب عن ذلك الالزام الذي لزمهم به حيث قال من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى فقال قل انزل الله فانهم لا يقدر ان ينكروا وقيل قل انت الله الذي انزلوه
الاول اولى تَذَكَّرْتُمْ فِيْ خُصْمِهِمْ اي في باطلهم وكفرهم بالله حال كونهم يلعبون اي يصنعون
صنع الصبيان الذين يلعبون وقيل معناه يسفزون ويستهنئون وفيه وعيد وتهديد
بالمشركين وقيل هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد ظاهر وهذا كتاب انزلنا هذه من
جملة الرد عليهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء اخبرهم بان الله انزل التوراة وعقبه بقوله

وهذا كتاب أنزل الله من عنده على محمد صلواته فكيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء
 مبارك لكثير البركة والخير دائر النفع واصل البركة الفاء والزيادة مُصَدِّقٌ أي كثير التصديق
 الذي بين يديه أي ما أنزل الله من الكتب من السماء على الأنبياء من قبله كالنبيوة والأنجيل
 فإنه يوافقها في الدعوى إلى الله وإلى توحيده وإن خالفها في بعض الأحكام وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى
 خصها وهي مكة لكونها أعظم القرى شأنًا وكونها أول بيت وضع للناس وكونها قبلة هذه
 الأمة ومحل حجهم قال قتادة بلغني أن الأرض دحيت من مكة ولهذا سميت بأم القرى وقيل
 لأنها سرقة الأرض والمجاد بنذرهما انداز أهلها وهو مستتبغ لانداز سائر أهل الأرض فمن على
 تقدير مضاعف محذوف ومن حركها يعني جميع البلاد والقرى شرقًا وغربًا وفيه دليل على عموم
 رسالته صلواته إلى أهل الأرض كافة وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ أي بأن من حق من صدق
 بالدار الآخرة أن يؤمن بهذا الكتاب يصدق به ويعمل بما فيه لأن التصديق بالآخرة يوجب قبول ما
 من دعى الناس إلى ما ينال به خيرها ويندفع به ضررها وهم على صلاتهم يحافظون خطيئته المحفوظة
 على الصلوة من بين سائر الواجبات لكونها عمادها وعمدة الراس لها وكونها أشرف العبادات
 بعد الإيمان بالله تعالى فإذا كان العبد يحافظ عليها حافظ على جميع العبادات والطاعات والمغف
 يداومون عليها في وقتها والحاصل أن الإيمان بالآخرة يحمل على الإيمان بمحمد صلواته وذلك يحمل على
 المحافظة على الصلوة ومن أظلم هذه الجملة مقربة لمضمون ما تقدم من الاحتجاج عليهم بأن الله
 أنزل لكتب على رسله أي كيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء وذلك يستلزم تكذيب
 الأنبياء عليهم السلام ولا أحد أظلم وأعظم خطأ وأجهل فعلا من أفترى على الله كذبًا فزعم
 أنه نبي وليس بنبي أو قال أوحي إلي وكفر بوحى الله شيء عطف خاص على عام قاله أبو حيان وعطف
 تفسيره الأحسن أنه من عطفت المغاير باعتبار العنوان وتكون التلويع وقد صان الله أنبياءه
 عما يزعمون عليهم وإنما هذا شأن الكذابين رؤس الضلال كسيلة الكذاب دعى النبوة بالعلماء
 من اليمن والاسود العنسي صاحب صنعا وسجاح قال شرجيل بن سعد تزلت في عبد الله بن أبي
 سرح لما دخل رسول الله صلواته مكة فرأى عثمان أخيه من الرضا ع فنبهه عنده حتى إطمأن أهل
 مكة ثم استأمن له وقال ابن جريج تزلت في مسيلة الكذاب من غمامة ونحوه من دعى إلى مثل ما دعا إليه

وقيل في مسيلة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة
 في اليمن عن حكيمته قال لما نزلت والمرسلات عرفا قال النضر وهو من بني عبد الدار والطاحنة
 طحنا والعاجات عجانا قوله كثيرا فانزل الله هذه الآية ومن قال سأ نزل معطوف على من
 افترى اي ومن اظلم من افترى او من قال اوحى الي ومن قال سأ نزل اي سأتى وانظم واجمع
 وانكسر مثل ما أنزل الله وهو القائلون لو نشاء لقلنا مثل هذا وقيل هو عبد الله بن ابي سرح
 فانه كان يكتب الوحي لرسول صلعم فاملى عليه رسول الله صلعم ثم انشأه خلقا اخر فقال
 عبد الله قتيار الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلعم هكذا انزلت فشك عبد الله
 حج وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الي كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما
 قال ثم ارتد عن الاسلام وكفى بالمشركين ثم اسلم يوم الفتح كما هو معروف قال اهل العلم وقد
 دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص
 السبب من عموم الحكم ولو ترى اخا الظالمون في غمرات الموت لخطاب لرسول الله صلعم او كل
 من يصلح له والمواد كل ظالم ويدخل فيه ابا جاحدون لما انزل الله والمدعون للنبوات افترأ
 الله دخولا اوليا وجواب لو محذوف اي لو آتيت امرا عظيما والغمرات جمع غمرة وهي الشدة
 واصلاها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ومنه غمرة الماء ثم استعملت في الشدائد ومنه
 غمرة الحرب قال الجوهري والغمرة الشدة والجمع غمر مثل نوبة ونوب قال ابن عباس غمرات
 الموت سكراته والملائكة باسطوا ايديهم اي تقبض ارواح الكفار وهذا عند الموت
 والبسط الضرب اي يضربون وجوههم وادبارهم قال ابن عباس هذا ملك الموت عليه السلام
 وقيل باسطوا ايديهم للعذاب وفي ايديهم طارق الحديد قاله الضحاك ومثله قوله تعالى
 ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة يضربون وجوههم وادبارهم اخرجوا انفسكم اي تلبس
 لهم تعنيفا اخرجوا انفسكم من هذه الغمرات التي وقعت فيها واخرجوا انفسكم من الدنيا وخلصوا
 من العذاب واخرجوا انفسكم من اجسادكم وسلموها اليها لتقبضها اليوم اي اليوم الذي تقبض
 فيه ارواحكم او ادا وادبا اليوم الوقت الذي يعذبون فيه الذي مبداه عذاب القبر بحزونه
 عذاب الهون اي الهوان الذي تصيرون به في اهانة وذلة بعدما كنتم فيه من الكبر والتعظيم

بما كنتم تقولون على الله غير الحق أي بسبب قولكم هذا من أنكارنا لآله كنهه على رسله و
الأنذار به وكنتم عن آياته تستكبرون أي عن التصديق لها والعمل بها فكان ما جازيتم به من
عذاب الحق جزاء فاقوا يقال لهم اذهبوا للقائلون هم الملائكة وقيل هو قول الله تعالى لقد
جئتمونا فرادى قرى بالسورين وهي لغة بني تميم وبالف التائيت للجمع وهو جمع فرد وفريد قاله
الفراء وقال ابن قتيبة هو جمع فردان وسكارى وقال الراغب جمع فريد كاسير واسارى
وقيل هو اسم جمع لأن فردا الجمع على فرادى والعنى جئتمونا منفردين واحدا واحدا كل واحد
منفرد عن أهله وماله وولده وما كان يعبد من دون الله فلم ينتفع بشيء من ذلك قال سعيد
بن جبلة يوم ولد يرد عليه كل شيء نقص منه يوم ولد وعن حكومة قال قال النضر بن الحارث
سوف تشفع لي اللات والعزى فتزلت هذه الآية كما خلقناكم أول مرة أي على الصفة التي كنتم
عليها عند خروجكم من بطون أمهاتكم حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولد تكوامها تكوم في أول مرة
في الدنيا ولا شيء عليكم ولا معكم وتركنكم ما خلقناكم أي ما أعطيناكم من المال الولد والحرم في الدنيا
والحول ما أعطاه الله للإنسان من متاع الدنيا وراى ظهوركم أي تركتم ذلك خلفكم كما تاتونا شيء
منه ولا انتفعتم به بوجه من الوجوه وما نرى معكم شفعاءكم الذين عبدتموهم وتلقموا نفوسهم
الأيضروننا إلى الله زلفى زعمتم أنهم فيكم شركاء والله يستحقون منكم العباد كما يستحقها إذا
كان يوم القيامة وخرج الله المشركين وقرعهم هذه الآية ثم قال لقد تقطع بينكم أي بينكم
من الوصل وتواصلكم في الدنيا كما يدل عليه وما نرى معكم شفعاءكم وقبل لقد تقطع الأمر بينكم
وقرأ ابن مسعود لقد تقطع ما بينكم وقرى بينكم رفع النون ومعناه وصلكم والبين من الأضداد
يكون وصلا ويكون مجرا وصل عنكم ما كنتم تزعمون في الدنيا من الشركاء والشرك وحيل بينكم
وبينهم إن الله قال الحق هذا شروع في تعدد عجائب صنعته تعالى وذكر ما يعجز الهتم عن أدنى
شيء منه والخلق الشق أي هو سبحانه شاق الحب فيخرج منه النبات وقال التوحي فيخرج منه الشجر
الصاعد في الهواء وقيل معناه الشق الذي فيه من أصل الخلقة وقيل معنى فالق خالق وبه قال ابن
عباس والضياء ومقاتل قال الواحد ذي هبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا وقال
لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل الأزهري عن الزجاج جواز الأول وأولى

والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة يطول على كل ما فيه عجم كالتمر والشمش والخنوخ والمعنى انه اذا وقعت الحبة او النواة في الارض الرطبة ثمز عليها زمان اظهر الله منها ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروقها ربة في الارض فيجاء من اوجد جميع الاشياء بقدره وايداعه وخلقه وتبارك الله احسن الخالقين يخرج الحي من الميت هذه الجملة خبر بعد خبر وقيل هي جملة مفسرة لما قبلها لان معناها معناه والاول اولى فان معنى ذلك يخرج الحي من الميت والنطف والبيضة وهي ميتة ومعنى يخرج الميت من الحي يخرج النطفة والبيضة وهي ميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل وهذا عطف جملة اسمية على فعلية ولا ضير في ذلك قال قتادة يخرج النخلة من النواة والسنبلة من الحبة ويخرج النواة من النخلة والحبة من السنبلة وقال مجاهد الناس الاحياء من النطف والنطفة ميتة فتخرج من الناس الاحياء قال الطبري ومن الانعام والنبات كذلك ايضا وقال ابن عباس يخرج الميت من الكافر وبالعكس وبه قال الحسن وقيل الطائفة من العاصي وبالعكس ولا مانع من حمل ذلك على الجميع بل للفظ اوسع من ذلك وقيل المراد من ما ينمو من الحيوان والنبات وان لم يكن فيه روح وبالميت ما لا ينمو كالنطفة والحبة ولو كان اصل حيوان ذكر الاشارة الى صانع ذلك الصنع العجيب المبدى كورسا بقا والله خبيره والمعنى ان صانع هذا الصنع العجيب هو المستقيم لكل كمال والمفضل بكل افضال والمستحق لكل حمد واجلال فاكن تَوَكَّلُونَ اى فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان وعن الحق مع ما ترون من بديع صنعته وكمال قدرته قال ابن عباس فكيف تكذبون وقال الحسن اى تصرفون وفيه دليل ايضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب قالوا الاصباح بكسر الهمزة مصدر اصبح وبه قال الجمهور والظاهر ان الاصباح في الاصل مصدر سمي به الصبح وبفتحه جمع صبح والصبح والاصباح اول النهار وكذا الاصباح قاله الزجاج والليث والمعنى انه شاق عمود الضياء عن ظلام الليل وسواده او يكون المعنى قالوا ظلمة الاصباح وهي الغيب في اخر الليل الذي يلي الصبح قاله الكشاف او قالوا عمود الفجر اذا انصهر عن بياض النهار لانه يبدو مختلط بالظلمة ثم يصير ابيض خالصا وقيل المعنى خالق

الأصباح والصبح هو الضوء الذي يبدي وأول النهار قال ابن عباس خلق الليل والنهار يعني
بالأصباح هو الشمس بالنهار ووضوء القمر بالليل وقال الضاء الفجور قال قتادة قال في الصبح وجعل الليل
سكناً للسكن محل السكون من سكن إليه إذا طمان إليه واستراح به لأنه يسكن فيه الناس عن
الحركة في معاشهم ويستريحون من التعب النصب قال قتادة سكن فيه كل طير ودابة والشمس
والقمر حسبنا أي الشمس والقمر مجعولان حسبنا معينا قال الأخفش الحسبان جمع حساب
مثل شهبان وشهاب وقال يعقوب حسبان مصدر حسبت الشيء أحسبه حسبا وحسباناً والحساب
الاسم وقيل الحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح والحسبان بالكسر مصدر حسب المعنى جعلها
محل حساب يتعلق به مصالح العباد وسيرها على تقدير لا يزيد ولا ينقص ليدل عبادة بذلك
على عظيم قدرته وبدبح صنعه وقيل الحسبان الضياء وفي لغة أن الحسبان النار ومنه قوله تعالى
يرسل عليها حسبنا من السماء وقال ابن عباس يعني عدد الأيام والشهور والسنين وقال الكلبي لها
حساب لا يحيا وزانه حتى ينتهي إلى قضائها لان حساب لاوقات يعلم بدورها وسيرها ذلك الجمل
المدلول عليه بجعل تقدير العزيز القاهر الغالب لعلكم كثير العلم ومن جملة معلومات الله
على هذا التدبير المحكم وهو الذي جعل لكم النجوم تهتدون بها في ظلمات البر والبحر أي
خلقها للاهتمام بها في ظلمات الليل عند المسير في البر والبحر وإضافة الظلمات إلى البر والبحر
لكنها ملازمة لها والمراد بالظلمات اشتباه طرقهما التي لا يهتدى فيها إلا بالنجوم وهذه أحد
مناضع النجوم التي خلقها الله لها ومنها ما ذكره الله في قوله وحفظا من كل شيطان مارد ولقد
زيننا السماء الدنيا بصباح وجعلناها رجوما للشياطين ومن زعم غير هذه الفوائد فقد أعظم
على الله القرية وقيل يستدلون بها أيضا على القبلة على ما يريدون في النهار بجركة الشمس وفي
الليل بجركة الكواكب وعن عمر بن الخطاب قال تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم
امسكوا فانها والله ما خلقت إلا زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها وعن
قتادة نحوه وأخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا من النجوم
ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا وقد ورد في احتجاب مراعاة الشمس والقمر لذكر الله
سبحانه لا تغير ذلك أحاديث منها عند الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عباد الله الذي يراعون الشمس والقمر لذكرا لله وعند ابن شاهين والطبراني والخطيب
واحد عن ابن أبي أوفى وأبي الدرداء وأبي هريرة نحوه وأخرج الحاكم في تاريخه والديلمي بضعف
عن أبي هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله التاجر لا يبر
والامام المقصد وراعى الشمس بالنهار وأخرج عبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن سلمان الفارسي
قال سبعة في ظل الله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم الرجل الذي يراعى الشمس لمواقيت الصلوة
فهذه الاحاديث مقيدة يكون الموعظة لذكرا لله والصلوة لا غير ذلك وقد جعل الله نقضا
وقت صلوة الفجر طلوع الشمس واول صلوة الظهر نوالها ووقت العصر ما دامت الشمس بضائقة
ووقت المغرب غروب الشمس وفرد في صلوة العشاء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقت مغيب الشمس
ليلة الثالث عشر وبها يعرف اوائل الشهور او ساطها واوراها فمن راعى الشمس والقمر هذه الامور
فهو الذي اراده صلوة ومن راعاها غير ذلك فهو غير مراد بما ورد وهكذا النجوم ورد النبي عن النظر
فيها كما اخرج ابن مردويه والخطيب عن حلي قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم وعن ابن
عندما وعند المرمي مثله مرفوعا وأخرج الخطيب عن عائشة مرفوعا مثله وأخرج الطبراني في الخطيب
عن ابن مسعود قال قال رسول الله اذا ذكر احب الي فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر
النجوم فامسكوا وأخرج ابن أبي شيبة وابوداود وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اقتبس من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد فبذلك الاحاديث محمولة على النظر فيها
لما عد الاهتداء والتفكير والاعتبار وما ورد في جواز النظر في النجوم فهو مقيد بالاهتداء والتفكير
والاعتبار كما يدل عليه حديث ابن عمر السابق وحليته يحمل ما روي عن عكرمة انه سأل رجلا عن
حساب النجوم فيجعل الرجل يخرج ان يخبره فقال سمعت ابن عباس يقول علم عجز الناس عنه وورد
اني علمته وقد اخرج ابو داود والخطيب عن سمرة بن جندب انه خطب فذكر حديثا عن رسوله
صلى الله عليه وسلم قال ما بعد فان ناسا يزعمون ان كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر زوال هذه
النجوم عن مواضع الموت رجال عظماء من اهل الارض فانهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله
يعبر بها عباده لينظروا يحدث لهم من توبة وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما في كسوف الشمس والقمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انما لا ينكسفان لموت احد ولا حياته ولكن يخوف الله بها عباده قد فصلنا في بيانها

ليكون ابلغ في الاعتبار لقوم يعلمون ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال قدرته وعظمته بديع صنعته وطله وحكمته وهو الذي انشاكم من نفس واحدة اي ادم عليه السلام كما تقدم وهذا نوع اخر من بديع خلقه الدال على كمال قدرته اخرج ابن مردويه عن ابي امامة مرفوعا ان الله نصب ادم بين يديه ثم ضرب كتفه اليسرى فخرجت ذريته من صلبه حتى ملأ الارض فهذا الحديث هو بمعنى ما في هذه الآية فَسْتَقَرُّوْا قرئ بكسر القاف وبفتحها اي فمنكم قارئ الارحام او فلکم مقر التقدير الاول على القراءة الاولى والثاني على الثانية وقيل اي فمنكم مستقر على الارض او فلکم مستقر على ظهرها ومنكم مستودع في الرحم او في باطن الارض او في اصلاب الرجال والدواب قال ابن عباس المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الاباء ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشأ وروي عنه انه قال بالعكس يعني ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وقيل المستقر في الرحم والمستودع في الارض قال القرطبي واكثر اهل التفسير يقولون المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب والفرق بينهما ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض للرد وجعل الحصول في الرحم استقرارا وفي الصلب استيدا عا لان النطفة تبقى في صلب الاباء زمانا قصيرا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا فكلما كان المكث في بطن الام اكثر من المكث في صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وقيل المستقر من خلق والمستودع من لم يخلق وقيل المستودع في القبر والمستقر ما في الجنة او النار لان المقام فيما يقتضيه الخلود والتأبide وقيل الاستيداع اشارة الى كونهم في القبور الى المبعث وما يدل على تفسير المستقر بالكون على الارض قول الله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قد فصلنا الآيات اي بينا الدلائل الدالة على التوحيد والبراهين الواضحة والحجج النيرة لقوم يفقهون غوامض الدقائق ذكروا به انه ههنا يفقهون وفيما قبله يعلمون لان في انشاء النفس من نفس واحدة وجعل بعضها مستقرا وبعضها مستودعا من الغرض والدقة ما ليس في خلق الخوف للاهتداء فاسببه ذكر الفقه لا شعرا

بمزيد تحقيق وإمعان فكر وتدقيق نظر وهو الذي أنزل من السماء ماء هذا نوع آخر من عجائب
 مخلوقاته والماء هو ماء المطر قيل ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض فأخرجنا به
 فيه التفات من الغيبة إلى التكلّم أظهر اللعناية بشأن هذا المخلوق وما ترتب عليه والضمير في
 به حائد إلى الماء أي بسببه فالسبب واحد والمسببات كثيرة نبات كل شيء يعني كل صنف من أصناف
 النباتات المختلفة وقيل المعنى رزق كل شيء من الأنعام والبهائم والطير والوحوش وبني آدم وقولهم
 ولا أول أدنى ثم فصل هذا الأجمال فقال فخرجنا منه خضرًا قال الأخفش أي أخضر وأخضر طيب
 البقول وهو ما يتشعب من الأعصان الخارجة من الحبة وقيل يريد القمح والشعير والذرة والارز
 وسائر الحبوب وجميع الزروع والبقول فخرج منه حبًا متراكبًا أي خرج من تلك الأعصان
 حبًا مركبًا بعضها على بعض كما في السنابل قاله السدي أي سنبل القمح والشعير والارز والذرة
 وسائر الحبوب وفي تقدّم الريح على الخلل دليل على الأفضلية ولأن حاجة الناس إليه أكثر
 القوت المألوف والتعبير بالمضارع مع أن المقام للماضي لاستحضار الصورة الغريبة ومن الخلل
 اسم جنس جمعي يذكر ويؤنث قال تعالى كانوا أعجاز نخل خاوية وقال تعالى كانوا أعجاز نخل منقورة
 طلعها قنونا قري بضم القاف وفتحها باعتبار اختلاف اللغتين لغة قيس ولغة أهل الحجاز و
 الطلع الكفرى قبل أن يشق عن الأغريض والأغريض سمي طلعا أيضا وهو ما يكون في قلب الطلع
 والطلع أول ما يبدو ويخرج من شر الخلل كالكيران يكون فيه العذق فاذا شق عنه كيرانه يسمى عذقا
 وهو القنن وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان والفرق بين جمعه وتشنيه أن المشى مكسور والنون
 والجمع على ما يقتضيه الأعراب والقنن العذق وللعنى أن القنوان أصله من الطلع والعذق هو
 عنقود النخل وقيل القنوان الحجارا والعراجين دانية قريبة ينالها القائر والقاعد وقال مجاهد
 متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالأرض أي دانية من المجتنى لأنها يشغل حملها ولقصير
 ساقها قال الزجاج المعنى منها دانية ومنها بعيدة فحذف ومثله سراسيل تقيكواحس وخص الدانية
 بالذكر لأن الغرض من الآية بيان القدر والامتنان وذلك فيما يقرب تناوله أكثر وقال ابن عباس
 قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض وعنه قنوان الكباش والدانية المنصوبة وقال أيضا قد
 العذوق من الطلع وذكر الطلع مع الخلل لأنه طعام وإدام دون سائر الأكلام وتقدّم النبات

لقد مر القوت على الفاكهة وَجَنَاتٍ أَي طمر جنان قاله النحاس وأجازه سيويه والكسائي والفرج
وأما على النصب فالتقدير وأخر صباه جنات أي بساتين كاشة من أغصان الزيتون والرياح
أي وأخر جناشجرها مشتبها وغير متشابه أي كل واحد منها يشبه بعضا في بعض صفة لا يشبه بعض
الأخر وقيل إن أحدها يشبه الآخر في الورد باعتبار اشتراكه على جميع الغصن وباعتبار حجمه
لا يشبه أحدهما الآخر في الطعم قال قتادة متشابهها ورقة مختلفا ثمرة لأن ورق الزيتون يشبه
ورق الرمان يقال مشتبها ومتشابه بمعنى كما يقال اشتبه وتشابه كذلك وذكر سبحانه
في هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع لأن الزرع غذاء وثمار الأشجار فواكه
والغذاء مقدم على الفواكه وإنما قدم النخلة على غيرها لأن ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها
من المنافع وأخص ما ليس في غيرها من الأشجار وإنما ذكر العنب عقب النخلة لأنها من أشرف
أنواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الأكل وسائر وجوه
الاستعمال ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من الفوائد العظيمة لأنه فاكهة ودواء وقيل خضيق الزيتون
والرمان أقرب منابتها من العرب كما في قول الله تعالى فلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ^{أنظروا}
إلى ثمرة أي ثم كل واحد ما ذكر يعني رطبه وعنبه قاله محمد بن كعب القرظي قوى ثمرة بفتح الغاء
والميم وبضمها وهو جمع ثمرة كثيرة وشجر خشبة وخشب إذا ثمر أي إذا أخرج ثمرة كيف يخرج
ضعيفا لا ينتفع به وينفع عن البراء قال نضجه أي أدراكه كيف يعود شيئا جامعاً لمنافع ^{الله}
سبحانه بأن ينظر وانظر اعتباراً إلى ثمرة إذا ثمر وإلى ينفع إذا نفع كيف أخرج هذه الثمرة اللطيفة
من هذه الشجرة الكثيفة ونقلها من حال إلى حال والتمر في اللغة جنا الشجر واليانع الناضج الذي
قد أدرك وحان قطافه قال ابن الأنباري ينع جمع يافع كركب وراكب وقال الفراء ينع جمع
إن في ذلكم الإشارة إلى ما تقدم ذكره مجزئاً ومفصلاً لايت لقوم يؤمنون بالله استدلوا بما يشاهد
من عجائب مخلوقاته التي قصها عليهم على أن يحيي الموتى ويعتصم ويحعلوا لله شركاء ^{الحج} هذا
كلام يتضمن ذكر نوع آخر من جهالاتهم وضلالاتهم والمعنى أنهم جعلوا شركاء لله فعبدوه
كما عبدوه وعظمهم كما عظموه قال الحسن بن طاعوا ^{الحج} في عبادة الأوثان وقال الزجاج طاعوا
فيما سولت لهم من شركهم وقيل المراد بالحج ههنا الملائكة لا جنتهم أي استأمرهم وهؤلاء الذين

قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزلت في الزنادقة الذين قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان قاله
خالق الناس والدياب وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب روي ذلك عن الحلبي نقله ابن
الجزري عن ابن السائب الرازي عن ابن عباس ويقرب من هذا قول الجوس فاتهم قالوا للملائكة
ها الرب سبحانه والشيطان وهكذا القائلون كل خير من النور وكل شر من الظلمة وهو المأنوية ومعنى
وخلقهم قد علموا ان الله خلقهم او خلق ما جعلوها شركاء لله هذا كالميل القاطع على ان المخلوق لا يكون شريكاً لله وكل
ما في الكون محدث مخلوق فامتنع ان يكون شريكاً له في ملكه وخرقوا بالتشديد على التكذيب لان
المشركين ادعوا ان الملائكة بنات الله والنصارى ادعوا ان المسيح بن الله واليهود ادعوا ان عزير
بن الله فكذلك من كفرهم فشد الفعل لطابقة المعنى وقرئ بالتخفيف وقرئ وخرقوا من التخفيف
اي ذوروا قال اهل اللغة معنى خرقوا اختلقوا او افتعلوا وكذا يقال اختلق الافك واخترقه وخرقه
او اصله من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بينين وبنات كائنين بغير علم بل قالوا ذلك عن
جهل خالص وقيل بغير علم بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل ربما يقول عن عي وجعالة
من غير فكر وروية او بغير علم برتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقدر قدرة
ثم بعد حكاية هذا الضلال البين والبهت الغضبي من جعل الجن شركاء لله واثبات بنين وبنات
له نزه الله نفسه عن هذه الاقاويل الفاسدة فقال سبحانه وقد تقدم الكلام في معنى سبحانه
وفيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله ومعنى تعالى عما يصفون تباعدوا رتفع عن قبحهم
الباطل الذي وصفوه به بكبري السموات والارض اي مبتدعها وقد جاء البديع بمعنى المبدع
كالصنيع بمعنى المصنع كثيرا وقيل الاصل بديع سمواته وارضه والابداع عبارة عن تكوين الشيء على
غير مثال سبق والاستفهام في اني يكون له كذا وكذا لا انكار ولا استبعاد اي كان هذا وصفه وهو انه
خالقها ومبدع ما فيها فكيف يكون له ولد وهو من جملة مخلوقاته وكيف يتخذ ما يخلقه ولداً ثم
بالغ في نفي الولد فقال واكره ان تكون له صاحبة اي والحال انه لم تكن له صاحبة والصاحبة اذا لم
توجد استحالة وجود الولد وخلق كل شيء جملة مقربة لما قبلها لان من كان خالقاً لكل شيء
استحال منه ان يتخذ بعض مخلوقاته ولداً وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى
وهو بكل شيء عليهم لا يخفى عليه من مخلوقاته خافية فلكم أي المتصف بالأوصاف السابقة

الله ركبكم لا إله الا هو خالق كل شيء اي مما سيكون كالمخلق في الماضي فلا تكرار يعني من كانت
 هذه صفاته فهو تحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا غيره من ليس له من هذه الصفات
 العظيمة شيء وهو على كل شيء وكيل اي رقيب حفيظ لا تدركه اي لا تراه الا بصار جمع صو
 وهو حاسة النظاري القوة الباصرة وقد يقال للعين من حيث انها محلها اي الحاسة اذ
 الشيء عبارة عن الاحاطة به قال الزجاج اي لا يبلغ كنه حقيقته فلا بصار ترى الباري عز
 ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به قال سعيد بن المسيب لا تحيط به الا بصار وقل
 ابن عباس كلت بصائر الخلق عن الاحاطة به فالنفس هو هذا الادراك لا يخرج الروية
 فقد ثبتت بالاحاديث المتواترة قواثر الاشك فيه ولا شبهة ولا يجعله الا من يجهل السنة
 المطهرة جملة عظيمة وايضا قد تقرر في علم البيان والميزان من دفع اليجاب الكل سلب حرفي
 فالعنى لا تدركه بعض الابصار وهي ابصار الكفار هذا على تسليم ان نفي الادراك
 يستلزم نفي الروية الخاصة الآية من سلب العموم لا من عموم السلب والاول يخلط بالجوهرية
 والتقدير لا تدركه كل الابصار بل بعضها وهي ابصار المؤمنين والمصير الى احد الوجهين
 متعين لما عرفت انك من قواثر الروية في الآخرة واحتضادها بقوله تعالى وجوه يومئذ
 ناضرة الى ربها ناظرة وقد ثبتت في من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض الروحية
 بظاهر هذه الآية ولا يستتب ذلك كما تقدمت الاشارة اليه على ان مورد الآية التمدح هو
 يوجب ثبوت الروية اذ نفي ادراك ما تستحيل رويته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا
 يدرك وانما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الروية فكانت الحجة لنا عليهم ولو انعموا
 النظر فيها لاغتصموا التفصي عن عهدتها ومن ينفي الروية يلزمه نفي كونه تعالى معلوما
 موجودا او الكلام في ذلك يطول جدا وقد اطلال الواحد المتكلم احفاظا ابن القيم رح في حاشية
 الارواح في اثبات الروية ورد المنكرين لها بما لا مزيد عليه وعن ابن عباس ذاك قوله
 اذا تجل بنوره لا يدركه شيء وفي لفظ انما ذاك اذا تجل بكيفيته لم يقم له بصر وقال
 ايضا لا يحيط بصر احد بالله وقال الحسن لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة
 وعن اسمعيل بن علية مثله وهو يدركه الابصار اي يحيط بها ويبلغ كنهها لا يحيط

منها خافية او يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره ان يدرك البصر وهو لا يدركه وخص
 الابصار ليحاسب ما قبله قال الزجاج في هذا دليل على ان الخلق لا يدركون الابصار اي
 لا يعرفون كيفية حقيقة البصر وما الشيء الذي صار به الانسان يبصر من عينيه دون
 ان يبصر من غيرهما من سائر اعضائه انتهى وهو اللطيف اي الرقيق بعباده يقال الطف
 فلان بفلان اي رفق به والطف في العمل الرقيق فيه والطف من الله تعالى التوفيق و
 العصمة والطفه بكذا اذ ابره والملاطفة المباركة هكذا قال الجوهري وابن فارس الخبير
 المختبر لكل شيء بحيث لا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون هذا من باب اللف والنشر المرتب
 اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف
 مستعاراً من مقابل الكشيف وهو الذي لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قال البيضاوي
 والاول اولى قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي في الاصل
 نور القلب الذي تبصر به النفس اي الروح كما ان البصر هو النور الذي تبصر به العين
 والمراد بها هنا الحجة البينة والبرهان الواضح واطلاق البصائر عليها مجاز من اطلاق اسم
 السبب على السبب وهذا الكلام استئنافاً وادخل على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قال في اخره وما
 انا عليكم بحفيظ ووصف البصائر بالجبي نفخها لشأنها وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه
 كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض واقبلت السعادة وادبرت النخس فمن ابصر
 فلنفسه اي فمن تعقل الحجة وعرفها واذعن لما ففزع ذلك لنفسه لانه ينبغي بهذا الابصار
 من عذاب النار ومن عني عن الحجة ولم يتعقلها ولا اذعن لها فعليها اي فضر ذلك على
 نفسه لانه يتعرض لغضب الله في الدنيا ويكون مصيره الى النار قال قتادة فمن اهتدى فانما
 يهتدي لنفسه ومن ضل فعليها وما انا عليكم بحفيظ احصي عليكم اعمالكم وانما انا رسول
 ابليكم رسالاتي وهو الحفيظ عليكم قال الزجاج نزل هذا قبل فرض القتال ثم امر ان ينعم
 بالسيف من عبادة الاوثان وكذلك نصيحت الايت اي مثل ذلك التصديق البديع نصي
 في الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه ليعتبروا وليقولوا درست اي نصرت الايات
 لتقوم الحجة وليقولوا درست اولي قولوا درست صفاها وحل هذا تكون الامام

أو للصيرورة والمعنى ومثل ذلك التصريف نصرت الآيات وليقولوا درست فانه لا احتفال
 بقوله ولا اعتداد بهم فيكون معناه الوعيد والتهديد لهم وعدم الأكرات بقوله وقد
 أشار إلى مثل هذا الزجاج وقال الخاس وفي المعنى قول الخرس وهو ان يكون معنى نصرت الآيات
 تأتي بها آية بعد آية ليقولوا درست حينئذ فيذكرون الأول بالآخر فهذا حقيقته والذي قاله
 الزجاج مجاز والجوهر على كسر اللام وهي لام كي وجوز أبو البقاء فيها الوجهين وفي درست
 قرأت درست كفاعل ودرست كخرجت ودرست كضربت فعلى الأولى المعنى درست أهل
 الكتاب ودارسوك أي ذاكرتهم وذكر وك ويدل على هذا ما وقع في الكتاب العزيز من أخبار
 الله عنهم بقوله وأعاناه عليه قوم آخرون أي آعان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم على القرآن ومثله قول
 أساطير الأولين أكتبها في تلي عليه بكرة وأصيل وقرطمة إنما يعلمه بشر والمعنى على الثانية قد
 هذه الآيات وعفت وانقطعت وهو كقولهم أساطير الأولين وعلى الثالثة مثل المعنى على
 الأولى قال الأخفش هي بمعنى درست لأنه أبلغ وقرأ المبرد وليقولوا بآسان اللام فيكون
 بمعنى التهديد أي وليقولوا ماشاءوا فان الحق بين وهذا اللفظ أصله درس يدرس دراسة
 فهو من الدرس وهو القراءة وقيل من درسته أي ذلته بكثرة القراءة وأصله درس الطعام أي
 داسه والدياس الدباس ببناء أهل الشام وقيل أصله من درست الثوب أدسه درس أي
 أخلقه ودرست المرأة درس أي حاضت ويقال ان فرج المرأة يكفي أبا دراس وهو من
 الخيض والدرس أيضا الطريق الخفي وحكي الأصمعي بعير لم يدرس أي لم يركب وقرأ جمع من
 الصحابة درس أي محمد الآيات وقرئ درست أي آيات على البناء للمفعول ودارست أي
 اليهود محمد قال ابن عباس درست قرأت وتعلمت ودارست خاصمت جادلت تلوت وكنت
 اللام فيه لام كي أي نصرت الآيات لكي ينينه والضمير راجع إلى الآيات لأنها في معنى القرآن
 وإلى القرآن وان لم يجز له ذكر لأنه معلوم من السياق أو إلى التبدين المدلول عليه بالفعل تقول
 يعلمون الحق بالباطل قال ابن عباس يريد أولياء الذين هداهم إلى سبيل الرشاد وقيل المعنى نصرت
 الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها الآخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم فهو شقي
 ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وفي هذا دليل قاطع على ان الله جعل تصرف

الايات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهذا ياتهم تتبع ما اوحى اليك من
 ربك امره الله بالتباعد ما اوحى اليه وان لا يشغل خاطره بهم بل يشتغل بالتباعد ما امره الله و
 حجة لا اله الا هو معترضة لقصد تأكيد ابواب الاتباع واعرض عن المشركين امره الله
 بالاعراض عنهم بعد امره بالتباعد ما اوحى اليه وهذا قبل نزول آية السيف قال السدي هذا
 منسوخ نسخه القتال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل المراد منه في الحال لا الدوام اي
 لا تلتفت الى رايهم ولا تختفل باقوالهم وعلى هذا لا يكون النسخ وهو الاول وكوشا الله عدم
 اشراكهم ما اشركوا اي يجعلهم مؤمنين وفيه ان الشرك بمشية الله سبحانه خلافا للمعترضة
 والكلام في تقرير هذا على الوجه الذي يتعارف به اهل علم الكلام والميزان معروف فلا يطيل
 يا زيادة قال ابن عباس يقول الله لو شئت لجعلتهم على الهدى اجمعين وما جعلناك عليهم
 حفيظا اي قياضهم منا وبرايعا لا عما لهم ما خذ باجرامهم وما انت عليهم بوكيل اي قيو
 بما فيه نفعهم فجلبه اليهم ليس عليك الا ابلاغ الرسالة قال قتادة الوكيل الحفيظ ولا
 تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الموصول عبارة عن الالهة
 التي كانت تعبدها الكفار والمعنى لا تسبوا محمد الهة هؤلاء الكفار التي يدعونها من دون
 الله فينسب عن ذلك سبهم لله عدوانا وتجاوزا عن الحق وجهلا منهم وفي هذه الآية
 دليل على ان الداعي الى الحق والناهي عن الباطل اذا خشي ان يتسبب عن ذلك ما هو اشد
 منه من انتهاك حرم ومخالفة حق ووقوع في باطل اشد كان الترتيب اولى به بل كان زائجا
 عليه وما انفع هذه الآية واجل فادته لمن كان من الاحاملين تلحق الله المتصددين لبيان النكاح
 اذا كان بين قوم من الصم البكم الذين اذا امرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف
 واذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عند الحق وبغضا للاتباع المحقين وحجة
 على الله سبحانه فان هؤلاء لا يؤثرون فيهم الا السيف وهو احكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة
 وجعل المخالفة لها والعقوبة على اهلها ودينه وهجيراه كما يشاهد ذلك في اهل البدع الذين
 اذا دعو الى حق وقعود في كثير من الباطل واذا ارشدوا الى السنة قابلوها بما لا يجر من البدعة
 فهو لا هو المتلاعبون بالدين المتهاونون بالشرائع وهم شر من الزنادقة لا تخفون بابلطال

وينتمون إلى البدع عموماً يظهر من بذلك غير خائفين ولا واطين والزنادقة قد احتتم سبب
 الإسلام وتحماتهم أهله وقد ينفع كيدهم ويقيم باطلهم وكفرهم نادراً على ضعف من
 ضعفاء المسلمين مع تكلمهم وتحرز وخيفة وجل وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه
 الآية محكمة ثابتة غير منسوخة وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع الطرق إلى الشبه
 وقرئ عُدَّ وبالضم وعُدَّ وبالفتح ومعناها واحداً يظلم وعدواناً وعن ابن عباس قال
 قالوا يا محمد صلِّ الله عليك من سبِّك الهتاء ولننجون ربك فيها هم الله أن يسبوا أو تأنهم فيسبوا
 الله عداً بغير علم وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ملعون من سبَّ والدَيْه قالوا يا
 رسول الله وكيف يسب الرجل والدَيْه قال يسب أباً الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه
 كذلك أي مثل ذلك الترتين زَيْتًا لِكُلِّ أُمَّةٍ من أموال الكفار عملهم من الخير والشر والطاعة
 والمعصية وفي هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه
 وهو كقوله أفن زين له سوء عمله فراه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو حق
 لنا في الأصل قُرْأَنُ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ أي مصيرهم فينتقم بما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال
 التي لم ينتهوا عنها ولا قبلوا من الأنبياء ما أرسلهم الله به اليهم وما تضمنته كتبه المنزلة
 عليهم وَاقْصِرُوا إِلَى اللَّهِ أي الكفار مطلقاً وكفار قريش يَحْجِدُوا أي أقصروا أشد أي أقصروا واشد
 أيما هم التي بلغت قدرتهم وقد كانوا يعتقدون أن الله هو الآله الأعظم فلهذا أقصروا إليه
 بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة ومن أهل اللغة من يجعلهما بمعنى واحد والمعنى أقصروا
 على النبي صلى الله عليه وآله من الآيات التي كانوا يفتخرون بها وأقصوا الذين جاءتهم أي هذه الآية
 التي اقترحوها كما جاءت قباهم من الأمم وهذا أخبار عنهم من الله لا حكاية لقوم الأقبيل
 لأن جاءتنا قاله أبو حيان كَيَوْمَئِذٍ أي ولما غرضهم بذلك الإيمان بل معظم قصد هو التهم
 على رسول الله صلى الله عليه وآله والنلاعب بآيات الله وعدا الاعتداد بما شاهدوا منها فامره الله سبحانه
 به عليهم بقوله قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ أي هذه الآية التي يفتخرون بها وغيرها عند الله وليس عنده
 من ذلك شيء فهو سبحانه أن أراد أنزلها أنزلها وإن أراد أن لا ينزلها لم ينزلها لأن المعجزات
 الدالة على النبوات شرطها أن لا يقدر على تحصيلها أحد إلا الله تعالى وما يشعر كرم أي وما يذكر

يعني انتم لا تدعون ذلك قال مجاهد وابن زيد المخاطب بهذا المشركون وقال الغراء وغيره
 الخطاب للمؤمنين لان المؤمنين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو نزلت الآية
 عليهم يؤمنون فقال الله وما يشعركم انهم قريء بفتح الطينونة قال الخليل انها بمعنى لعلها وفي
 التنزيل وما يدريك لعلها يزكي اي انه يزكي وحكي عن العرب انت السوق انتك تشتريني لنا
 شيئا اي لعلك وقد ردت ان في كلام العرب كنبرا بمعنى لعل اذا جاءت لا يؤمنون قال
 الكسائي والغراء ان لازائدة والمعنى وما يشعركم انها اي الايات اذا جاءت يؤمنون فزيدت
 لا كما زيدت في قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وفي قوله ما منعك
 ان لا تسجد وضعف الزجاج والنحاس وغيرهما زيادة لا وقالوا هو خطأ وغلط وذكر النحاس غيره
 ان في الكلام حذف والتقدير انها اذا جاءت لا يؤمنون او يؤمنون ثم حذف هذا المقدار لعلم
 السامع ونقلب فتدقهم وابصارهم قيل يعني يوم القيامة على لهد النار وحرا حمر والتقلب
 هو تحويل الشيء وتحويله عن وجهه الى وجه اخر وقيل في الكلام تقديره وتأخير والتقدير انها
 اذا جاءت لا يؤمنون كالم يؤمنون ونقلب فتدقهم وابصارهم ونذرهم كالم يؤمنون
 به في الدنيا اول مرة يعني الايات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء اوجاء بها رسول
 الله صلى الله عليه واله وسلم من المعجزات الباهرات وقال ابن عباس يعني لورد
 من الآخرة الى الدنيا نقلب فتدقهم وابصارهم كالم يؤمنون به اول مرة
 قبل ما اتهم ونذرهم اي نملهم ولانعاقبهم في الدنيا فعلى هذا بعض
 الايات في الآخرة وبعضها في الدنيا وقيل المعنى ونقلب فتدقهم و
 ابصارهم في الدنيا اي تحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم تلك الآية
 كما حلنا بينهم وبين ما دعواهم اليه اول مرة عند ظهور المعجزة
 في طغيانهم يعمهون اي يخيدون يقال عمه في طغيانه عمها
 من باب تعب اذا تردد متخيرا ما خوذ من قولهم ارض عمها اذا لم يكن
 فيها امارات تدل على النجاة فهو عمه واعمه قال ابن عباس لما وجد المشركون
 ما انزل الله لم يثبت قلوبهم على شيء ورددت عن كل امر

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ

أي لو أتيناهم ما طلبوه لا يؤمنون كما اقترحوه بقوطهم لولا أنزل عليه ملك وكنهم
المؤمن الذين يعرفونهم بعد أحيائنا لهم وحشرنا عليهم كل شيء مما سألوهم من الآيات
وأصناف المخلوقات كالسباع والطيور والحشر الجوع قبل أي كفلاء وضمنا بما جئناهم
به من الآيات البينات أو حال كون الكفار معانين راثين للآيات والأصناف قرئ قبل
بضم القاف وقبل بكسر ها أي مقابلة قال المبرد قبل لا يعني ناحية كما تقول لي قبل فلان قال
وبه قال أبو زيد وجماعة من أهل اللغة وعلى الأول ورد قوله تعالى أو تأتي بالله والملائكة
قبيل أي يضمنون كذا قال الفراء وقال الأخفش هو بمعنى قبيل أي جماعة جماعة و
حكى أبو زيد لقيت فلانا قبلًا ومقابلة وقبلًا كلها واحد بمعنى المواجهة فيكون على هذا
الضم كالكسر وتستوي القراءتان وهو قول أبي عبيدة والفراء والزجاج ونقله الواحد أيضًا
عن جميع أهل اللغة قال ابن عباس قبلًا معانية وقال قتادة فعاينوا ذلك معانية وقال مجاهد
قبلًا أفواجًا وقيل القبيل الكفيل بضم ما تقول ما كانوا يؤمنوا أي أهل الشقاء لما سبق في
علم الله واللام لام الجحود **أَلَا إِنَّ يَشَاءُ اللَّهُ إِيْمَانَهُمْ** أي إيمان أهل السعادة والذين سبق لهم
في علمهم أن يدخلوا في الإيمان فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والاستثناء مفرغ وبه
قال ابن عباس وصححه الطبري وقال أبو البقاء والكوفي الاستثناء منقطع وتبعه السيوطي لأن
المشيئة ليست من جنس ارادتهم واستبعد أبو حيان وجري على أنه متصل وكذلك البياض
وكثير من المعربين كالسفاقي قالوا والمعنى ما كانوا اليقنوا في حال من الأحوال إلا في حال
مشيئته أو في سائر الأزمان إلا في زمن مشيئته وقيل هو استثناء من علة عامة أي ما كانوا
ليؤمنوا الشيء من الأشياء إلا المشيئة الله الإيمان وهو الأولى كما تقدم وفي هذا على القدرية
والاعتزالية في قوطهم أن الله أراد الإيمان من جميع الكفار ولكن أكثرهم يجهلون جهلا يحول بينهم
وبين درك الحق والوصول إلى الصواب وقال البيضاوي يجهلون أنهم لو أتوا بكل آية لم
يؤمنوا فيقسمون بالله جهداً بما أنهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهم إلى أكثرهم مع أن

مطلق اجهل يعهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون بميتون ترمي الآية طعما في
 ايمانهم انتهى كذلك اي مثل هذا الجعل جعلنا لكل نبي عدوا شيئا طين الانس واجن هذا
 الكلام استئناف مسوق لتسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصل معه من الحزن بعد ايمانهم والمعنى
 كما ابتليناكم بهؤلاء فقد ابتلينا الانبياء من قبلك بقوم من الكفار فجعلنا لكل واحد منهم عدوا
 من كفار زمانهم وان ذلك ليس مختصا بك والمواد بالشياطين المردة من الفريقين والشیطان كل
 حات مقرر من الجن والانس وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس اشد قسوة
 من شياطين الجن وبه قال مالك بن دينار والاضافة بآية او من اضافة الصفة الى الموصوف
 والاصل الانس والجن الشياطين قال ابن عباس ان للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الانس
 يضلونهم فيلتي شيطان الانس وشيطان الجن فيقول هذا اضله بكذا واضله بكذا او عنده
 قال الجن هم اجمان وليسوا شياطين والشياطين ولد ابليس وهم لا يموتون الا مع ابليس والجن يموتون
 فمنهم المؤمن ومنهم الكافر قال ابن مسعود الكهنة هم شياطين الانس وقيل الكل من ولد ابليس
 واضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يعي ونهم ويضلونهم بهذا قال عكرمة والضحاك
 والكلي والسدي يوحى بعضهم الى بعض اي حال كونهم يوسوس بعضهم لبعض وقيل ان الحكمة
 مستأنفة لبيان حال العدو ووسمي وحيا لانه انما يكون خفية بينهم وجعل قلوبهم تحرف
 القول لترديدهم آياه والمزخرف المزين وزخارف الماء طرائق الزخرف هو الباطل من الكلام الذي
 قد زين وشي بالكدب وكل شيء يحسن سموه فهو زخرف يغرونهم بذلك غرورا هو الباطل قال ابن
 عباس شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس فان الله يقول وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
 ويحسن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم في فتنهم وقد اخرج احمد وابن ابي حاتم والطبراني عن ابي افاقة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ابا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والانس قال يا نبي الله وهل للانس
 شياطين قال نعم شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غورا وكوشا ربك
 ما فعلوه الضمير يرجع الى ما ذكر سابقا من الامور التي جرت من الكفار في زمانه وزمن الانبياء
 قبلها اي لو شاء ربك عدم وقوع ما تقدم ذكره ما فعلوه واوقعوه وقيل ما فعلوا الايحاء المدلول
 عليهم بالفعل فذرهم ايجع الكفار واطرهم وهذا الامر للتدبير كقوله ذرني ومن خلقت جديا

وما يفترون أن كانت ما مصدرة فالتقدير أنهم وافتراءهم وان كانت موصولة
فالتقدير أنهم والذي يفترونه وهذا قبل الأمر بالقتال ولتصعق اللام كي وقيل
اللام الأمر وهو غلط فإنها لو كانت لام الأمر جرمت الفعل والاصفاء الميل يقال صفوت صفو
وصغيت اصغى يقال اصغيت لآناء إذا ملته ليجمع ما فيه واصله الميل إلى الشيء لغرض من
الأغراض ويقال صغت النجوم إذا ملت للغروب واصغت الناقة إذا ملت براسها والضمير في
الآية لزخرف القول أو ما ذكر سابقا من زخرف القول وغيره أي ادعي بعضهم إلى بعض زخرف
القول ليغفروهم ولتصغى إليه آئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة من الكفار والمعنى أن قلوب الكفار
تميل إلى زخرف القول وباطله وتحميه وترضى به وهو قوله ولا يرضون أنفسهم بعد الاصفاء
إليه فليفتروا ما هم مقترون من الأنعام والافتراء لاكتساب يقال خرج ليقترن لاهله أي
ليكتسب لهم وقارت فلان هذا الأمر إذا وقع وقرفه إذا رماه بالرمية واقتربت كذب و
اصله اقطاع قطعة من الشيء أي ليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكشوبون وترتيب هذه
المفاعيل في غاية الفصاحة لأنها لا يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الفعل
أي لا فتروا لكل واحد مسبب عما قبله قاله أبو حيان أفغير الله كلام مستأنف وارد على إرادة
القول الاستغفار الإنكار أي قل لهم يا محمد كيف اضل وأميل إلى زخارف الشياطين واستغفروا
غير الله حكما يبلغ من الحكم كما تقر في مثل هذه الصفة المشتقة أمره الله سبحانه وتعالى أن
ينكر عليهم ما طلبوه منه من أن يجعل بينهم وبينه حكما من أحياء اليهود أو من أساقفة النصارى
فيما اختلفوا فيه وإن الله هو الحكم العدل بينه وبينهم وهو الذي أنزل إليكم الكتاب بالقرآن
مفصلا مبينا واضحا مستوفيا لكل قضية على التفصيل والذين اتيناهم الكتاب أي الممهور
أنزله من التوراة والإنجيل والزبور أخبر الله نبيه صلعم بأن أهل الكتاب وإن اظهروا الجود
والمكابرة فأنهم يعلمون أن أي القرآن منزل من ربك أي من عند الله بما دلهم عليه
كتب الله المنزل كالنوراة والإنجيل من أنه رسول الله وأنه خاتم الأنبياء بالحق حال أي متلبسا
بالحق الذي لا شك فيه ولا شبهة فلا تكون من الممتريين الشاكين فيه لهاة الله عن أن يكون
من الممتريين في أن أهل الكتاب يعلمون بأن القرآن منزل من عند الله بالحق وبه قال النحوي

أو فاه عن مطلق الامتراء ويكون ذلك تعريضا لامتته عن ان يمتري احد منهم او الخطأ
 لكل من يصلح له اي فلا يكون احد من الناس من الممتزين ولا يقدح في ذلك كون الخطاب لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم فان خطابه خطاب لامتته وَكَمَتِ كَلِمَةُ رَبِّكَ قرأ اهل الكوفة كلمة بالتوحيد و
 الباقون بالجمع والمراد العبارات او متعلقاتها من الوعد والوعيد والمعنى ان الله قد اتم
 وعده ووعيده فظهر الحق وانطس الباطل وقيل المراد بالكلمة او الكلمات القران اي لا احد
 يقدر على تحريفها كما فعل بالتوراة فيكون هذا ضمنا لانه من الله بالحفظ والانبياء لا كتاب بعده
 ينسخه ومعنى تمت بلغت الغاية وعن انس مرفوعا قال لا اله الا الله اخبره ابن مسعود و ابن
 الجار واخرج ابن ابي حاتم عن عامر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم
 فتح مكة ومعه مخضرة ولكل قوم صنم يعبدون ففعل يايتها صنما صنما ويطعن في صدره
 بعضا ثم يعقره فكلما طعن صنما اتبعه ضربا بالقوس حتى يكسره ويطرحه خارجا من المسجد
 والنبي صلى الله عليه وسلم يقول و تمت كلمات ربك الآية صدقا وعدلا اي تمام صدق وعدل قال ابو
 الطبري النصب على التمييز وتبعهما السيوطي وقال ابن عطية هو غيبي صواب وليس في ذلك
 ابهام واعربه الكواشي حالا من ربك او مفعولا له قال قتادة صدقافيا وعدو عدلا فيما حكم
 وقيل صدقافيا اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام الساعة وعدلا
 فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام لا مبدل للحكاماته لا خلف فيها ولا مخير
 لما حكم به لما وصفها بالتام وهو في كلامه تعالى يقتضي عدم قبول النقص والتخير قال
 ابن كعب القرظي لا تبدل شيء قاله في الدنيا والاخرة كقوله ما يبدل القول لدي وفيه دليل على
 ان السعيد لا يتقلب شقيا ولا الشقي يتقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقي من
 شقي في الازل وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم ومنه قول المتكلمين وَانْ تُطْعَ أَكْثَرُ
مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اخبره الله سبحانه بانه اذا رام طاعة اكثر من فيها
 اضلوه لان الحق لا يكون الا بيذا قلدين وهم الطائفة التي لا تزال على الحق ولا يضيها خلا
 من خالفها كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالاكثر الكفار وبالأرض مكة اي اكثر
 اهل مكة إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ اي ما يتبعون الا الظن الذي لا اصل له وهو ظنهم ان معبودا

يعني آية حرمت عليكم المينة أي آية المائدة وحج في المقام اشكال أو بعده الرازي حاصله
 أن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنية من آخر القرآن نزولا بالمدينة وقوله قد
 فصل لكم يقتضي أن ذلك التفصيل قد تقدم على هذا الحل والمدني متأخر عن المكي فيمتنع كونها
 متقدمة ثم قال بل الأولى أن يقال هو قوله بعد هذه الآية قل لا أحد وهذه وإن كانت مذكورة
 بعدها بقليل إلا أن هذا القدر من التأخر لا يمنع أن يكون هو المراد انتهى قلت وذكر المفسرون وجهها
 وهو أن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول فيها ^{عند} ^{الأنعام}
 حسنت الحوالة على ما في المائدة بقوله وقد فصل لكم باعتبار تقدمه في الترتيب وإن كان
 متأخر في النزول والله أعلم ثم استثنى فقال أَلَا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعٍ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
 فإن الضرورة تحلل الحرام وقد تقدم تحقيقه في البقرة قال قتادة ما اضطررتم إليه من ^{المينة}
 والدوم وكلم اختيار والاستثناء كما قال الكوفي منقطع وبه قال التفناني وقال أبو البقاء متصل من
 طريق المعنى لأنه ويخففهم بترك الأكل ما سمي عليه وذلك يتضمن إباحة الأكل مطلقا وحاصله
 أن الاستثناء من الجنس فهو متصل وقال زكريا فيه أنه لا يكون حج استثناء متصلا بل هو استثناء
 مفرغ من الظرف العام المقدر وَأَنْ كُنْتُمْ لَيَاضِلُونَ بِأَهْوَالِهِمْ يَعْنِي عِلْمُ هُمْ الْكَفَارُ الَّذِينَ كَانُوا
 يخرجون البهيرة والسائبة ونحوها فأنهم بهذه الأفعال المبينة على الجهل كانوا يضلون الناس
 فيتبعونهم ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلالة لا يرجع إلى شيء من العلم قال سعيد بن جبير
 يعني من مشركي العرب ليضلون في أمور الذبائح إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا لَعُنْتُمْ عَنْ أي بمن تعدى
 حدوده فاحل ما حرم وحرم ما أحل الله فيجازيهم على سوء صنيعهم وذروا ظاهرا لا شبرا
 وباطنا الظاهر ما كان يظهر كفعال الجوائح والباطن ما كان لا يظهر كفعال القلب وقيل
 ما أعلنتم وما أسروتم وقيل الزنا الظاهر والزنا المكتوم وقال ابن عباس الظاهر بخاخ الأمهات
 والبسات والباطن هو الزنا وقال سعيد بن جبير الظاهر منه لا تشكوا ما تشكوا بآباءكم من النساء
 وحرمت عليكم أمهاتكم الآية والباطن الزنا وقال قتادة علانيته وسره وقال السدي ^{الظاهر}
 الزواني في الحوائت وهن صواحب الرايات والباطن المرأة يتخذها الرجل صديقة فيأثم بأسرها
 وقال ابن زيد ظاهرا لا تم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقيل هذا النفي

عام في جميع المحرمات التي في الله عنها وهو الاول فان الاحتبار بعجوم اللفظ دون خصوص
السبب وبه قال ابن الانباري وانما اضاف الظاهر والباطن الى الاثر لانه يتسبب عنها ان الذين
يكتبون الاثر يكتبون مما كانوا يفترون توعد الكاسيين للاثر باجراء بسبب افتراهم
على الله سبحانه ولا تاكلوا مما كره يذكركم اسم الله عليه فهو الله سبحانه عن اكل ما لم يذكر اسم الله
عليه بعد ان امر بالاكل مما ذكر اسم الله عليه فيه دليل على تحريم اكل ما لم يذكر اسم الله عليه
وقد اختلف اهل العلم في ذلك فذهب بن عمر ونافع مولاة والشعبي وابن سيرين وهورواية عن مالك
واحمد بن حنبل وبه قال ابو ثور وداد والظاهر ان ما لم يذكر اسم الله عليه من الذبايح حرام
غير فرق بين العامد والناسي لهذه الآية ولقوله تعالى في اية الصيد فكلوا مما امسكن عليكم
اذكروا اسم الله عليه ويزيد هذا الاستدلال كيدا لقوله سبحانه في هذه الآية وانه لفسق وقد
ثبت في الاحاديث الصحيحة الامور بالتسمية في الصيد وغيرها وذهب الشافعي واصحابه وهو
عن مالك وعن احمد ان التسمية مستحبة لا واجبة وهو مروي عن ابن عباس وابي هريرة و
عطاء بن ابي رباح وحمل الشافعي الآية على من ذبح لغير الله وهو تخصيص للآية بغير مخصص
وقد روى ابو داود في المراسيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذبيحة المسلم حلال ذكر الله او لم يذكر ليس
في هذا المراسل ما يصلح تخصيص الآية نعم حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان قوميا كانوا
يلحمان لا ندرى ذكر اسم الله عليه ام لا فقال سموا انتم وكلوا فيعد ان التسمية عند اكل يجزي
مع التباس وقوعها عند الذبح وذهب مالك واحمد في المشهور عنهما وابو حنيفة واصحابه و
اسحاق بن راهوية ان التسمية ان تركت نسيانا لم يضر وان تركت عمدا لم يحل اكل الذبيحة وهو
مروي عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وابي
مالك وعبد الرحمن بن ابي ليلى وجعفر بن محمد وربيعه واستدلوا بما اخرج البيهقي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم ان نسي ان يذبح فليذكر اسم الله وليأكله وهذا الحديث
خطا وانما هو من قول ابن عباس نعم يمكن الاستدلال بهذا المذهب بمثل قوله تعالى ربنا
لا تأخذنا ان نسينا او اخطانا كما سبق تقريره بقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخط والنسيان
واما حديث ابي هريرة الذي اخرج ابن حبان في رجاله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله صلوا

ارایت الرجل منا ینزع ویسئ ان یسمی فقال النبی صلعم اسم الله علی کل مسلم فهو حدیث ضعیف
قد ضعفه البیهقی وخبره وقال ابن عباس الایة فی تحریف المیتات وما فی معناها من المنقحة وغیرها
وقال عطاء الله فی تحریف الذبائح کانوا یدمجونها علی اسم الاضنام والضمیر فی انة یرجع الی ما یبتدئ یوضا
ویجوز ان یرجع الی مصدر تاکلوا ای ان اکل ما لم یدکر اسم الله علیه او وان اکل لفسق وقد تقدم
تحقیق الفسق والواو الاستیناف والحال وقد استدل من حمل هذه الایة علی ما دبح لغير الله بقوله
وانه لفسق ووجه الاستدلال ان التزک لا یکون فسقا بل الفسق الذبح لغير الله ويجاب عنه بان اطلاق
اسم الفسق علی تارک ما فرضه الله علیه غیر محتمع شرعا وان الشیاطین ای ابليس وجنوده ^{سوء} ینسبون
الی اولیائهم ای یوسوسون لهم بالسواکوس الخافه للحق المبائیة للصواب لیجادواکم ای قاصدين بذلك
ان جادکم هو لاء الاولیاء بما یوسوسون لهم وان اطعموهم فیما یأمرونکم به ینهونکم عنه
انکم لمشرکون مثلهم قال الزجاج فیہ دلیل علی ان کل من احل شیئا ما حرّم الله وحرّم شیئا ما
احل الله فهو مشرک وانما سمي مشرکا لانه اثبت حاکما لغير الله او اظهره للانکار والواو للعطف من
کان میتا فاحیئناه المواد بالیت هنا الکاف احیاء الله بالاسلام والهدی وقیل معناه کان میتا
حين کان نطفة فاحیاه بنفخ الروح فیہ والاول اولى لان السیاق یشعر بذلك لکونه فی تنفیل المسلیم
عن اتباع المشرکین وکنیز اما تستعد احیاء للهدایة والعلوم والموت للکفر والجهل وجعلنا لک
نورا النور عبارة عن الهدایة والايمان وقیل هو القرآن وقیل الحکمة وقیل هو النور المذکور فی
قوله تعالی یسعی نورهم بین یدیه وبأیمانهم وقیل المراد به الیقین یشی ای یستضي به فی
الناس ویطندی به الی قصد السبیل والضمیر فی به راجع الی النور کمن مثله ای صفته فی
الظلمات ای لا یستویان وقیل مثل زائدة والمعنی کمن فی الظلمات کما نقول انا اکرم من مثلك ای
منک ومثله فجاء مثل ما قتل من النعم وليس کمثله شی وقیل المعنی کمن مثله مثل من هو فی الظلمات
والمعنی کمن هو خابط فی ظلمة الکفر وظلمة الجحالة وظلمة عمی البصیرة وليس یخرج منها فی محل
نصب علی الحال ای حال کونه لیس یخرج من تلك الظلمات بحال من الاحوال قیل المراد بها حمزة
وابوجهل قاله ابن عباس عن زید بن اسلم فی الایة قال قلت فی عمر بن الخطاب وابی جهل ینشام
کانا میتین فی ضلالتهما فاحیاه عمر بالاسلام واعزّه واقرأ بهل فی ضلالتّه وموته وذلك ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اعز الإسلام بآبي جهل ويعبر وقال عكرمة والكلي تزلت في عمار
 بن ياسر وآبي جهل وقال مقاتل تزلت في النبي صلى الله عليه وآبي جهل والحق أن الآية عامة في حق كل مؤمن
 وكافر وبه قال الحسن كذلك ذِينَ كَفَرُوا يَكُونُوا عَمَٰلَ السَّيِّئِينَ هو الله سبحانه ويدل عليه
 قوله زينب لهم إعمالهم ولأن حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصولها لا يكون إلا
 بخلاف الله فدل ذلك على أن الذين هو الله سبحانه وقالت المعتزلة الذين هو الشيطان ويرد ذلك
 وكذلك أي مثل ذلك الجمل بمكة جعلنا في كل قرية أكابر رجالهم جمع أكبر قيل هم الرؤساء والعظماء
 منصرفهم بالذكرا منهم أقدر على الفساد والعقد وترويج الباطل بين الناس من غير هو وإنما حصل
 ذلك لأجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءها وجعل فساقها
 أكابرهم فيها قال الواحدي في الآية تقديره وتأخير أي محرمين أكابر وإنما جعل الجرمين أكابر
 لأن ما فيهم من السعة أدهى لهم إلى المكر والكفر ليكرهوا فيها بالصديقين الأيمان واللام على ظاهرها
 أولها قبة والعللة مجازا قال أبو عبيد المكر خديعة والخذل والحيلة والفجور زاد بعضهم الغيبة
 والنميمة والأيمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس ليقولوا فيها الكذب عن عكرمة قال تزلت
 في المستهزئين وقيل المعنى ليتجربوا على الناس فيها ويعلموا بالمعاصي طيلة ولوبسده الله الرزق لعباده
 لبغوا في الأرض وما ينكرون الْأَكْبَارَ يُفْسِدُونَ المكرا حيلة في مخالفة الاستقامة واصله القتل فلما كره
 يقتل عن الاستقامة أي يصرف عنها أي ما يحيق هذا المكرا لأن وبال مكروهم عائد عليهم
 وما يشعرون بذلك لغرض جهلهم وإذ جاءتهم آية من آيات أي حجة بيينة ودلالة واضحة
 على صدق محمد صلى الله عليه وآله والمعنى إذا جاءت أكابر آية قالوا هذه القالة كن تؤمن حتى تؤمن مثل ما
 أن في رسل الله وإنما قالوها حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وآله وقبل المعنى إذا جاءتهم آية من القرآن تأمروهم
 باتباع محمد صلى الله عليه وآله والن ضد قل حتى يأتيك جبريل ويخبرك بصدقك يريدون أنهم لا يؤمنون
 حتى يكونوا أنبياء متبوعين لأنابعين وهذا نوع عجيب من جهالاتهم الغريبة وعجزهم العجيبة ونظير
 يريد كل أصرو منهم أن يؤثروا في صحفنا منشرة قال بعضهم ليس الموقف هنا ويستجاب للدعاء بين هاتين
 استلالتين قلت لعل هذا من التقارب دون الماثورات فأجاب الله عنهم بقوله لَا تَحْكُمُ بِهِمْ
يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ أي إن الله أعلم من يستحق أن يجعله رسولا ويكون موضعها ومينا عليها وقد اختار

ان يجعلها في محمد صلعم صفيه وجديه فدعوا طلبا ليس من شأنكم عن ابن جريح قال قالوا الحمد صلعم
 حين دعاهم الى ما دعاهم اليه من الحق لو كان هذا حقا لكان فينا من هو الحق ان يوق به من محمد
 وقالوا لا اترل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم قعد هم بقوله سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرُوا
صَغَا ذَاي ذُلٌّ وَهَوَانٌ وَاصْلُهُ مِنَ الصَّغَرِ كان الذل يصغر الى المراء نفسه وقيل الصغار هو الضعفاء
 بالذل روي ذلك عن ابن السكيت عند الله في الآخرة يوم القيامة وقيل في الدنيا وعذاب النار
 في الآخرة وفي الدارين من القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يكفرون أي بسبب مكروهم حسد
فَمَنْ يَرْجِ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ الشرح الشق واصله التوسعة وشرحت الامر
 بينته واوضحته والمعنى من يرد الله هدايته للحق يوسع صدره حتى يقبله بصدور منشرح اخبر
 ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر
 وابن مردويه والبيهقي عن ابي جعفر المدايني رجل من بني هاشم وليس هو محمد بن علي قال سئل
 النبي صلعم عن هذه الآية وقالوا كيف شرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح
 صدره له وينفتح له قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال لا نابة الى دار الخلود والتجافي
 عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقد روي بطرق يقوي بعضها بعضها والمتصل
 يقوي المرسل فالمصدر الى هذا التفسير النبوي متعين ومن يرد ان يضل يجعل بمعنى صيرا
 خلق اوسى وهذا الثالث ذهب اليه المعتزلة كالفارسي وغيره من معتزلة النجاة لان الله لا يصير ولا يخلق
 احدا كذلك بان يجعل صدره ضيقا بالتشديد وقرئ بالتخفيف مثل هين ولين وهما لغتان خرجا
 بالتخفيف حجة وهي شدة الضيق والحرجة الغيظة والجمع حرج وحرجات ومنه فلان يتخرج اي يضيق
 على نفسه وبالكسر معناه الضيق كر المعنى تأكيدا وحسن ذلك اختلاف اللفظ وقال الجوهري كان
 حرج اي ضيق كثير الشجلا متصل اليه الراعية والحرج لا ثم وقال الزجاج الحرج اضيق الضيق فالمعنى
 يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا
 ذكر الله اشماز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وفي الآية دليل على ان جميع الاشياء
 بمشية الله واداته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر كما يصدق في السماء وقرئ بالتخفيف من الصعود
 شبه الكافر في ثقل الايمان عليه بمن يتكلف ما لا يطيقه كصعود السماء وقرئ بصا حد واصله ايضا

وسمى يصعد بالشديد واصلا يتصعد ومعناه يتكلم ما لا يطيق مرة بعد مرة كما ينكف من
 يريد الصعود الى السماء المظلمة او الى مكان مرتفع وعرك العقبة وقيل المعنى على جميع القرائات كما
 قلبه يصعد الى السماء ^{موسى} عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد
 الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر وقال ابن عباس لا يستطيع
 ابن آدم ان يبلغ السماء كذلك لا يقدر على ان يدخل الايمان والتوحيد قلبه حتى يدخله الله في
 قلبه ومن اراد ان يضل عليه حتى يجعل الاسلام عنه ضيفا والاسلام واسع وذلك
 يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج يقول ما جعل عليكم في الاسلام من ضيق كذا اي مثل
 ذلك الجبل الذي هو جبل الصدرة ضيقا حرا ما يجعل الله الرجس هو في اللغة النتن وقيل طلوعه
 وقيل هو الشيطان يسلطه الله على الذين لا يؤمنون ^{هـ} قاله ابن عباس وقيل هو ما لا خيرة قاله
 والمعنى هو المشهور في لغة العرب وهو مستعار لما يجعل بهم من العقوبة ويصدق على جميع المعاني
 المذكورة وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الآخرة العذاب وهذا اي ما انت عليه يا محمد
 ومن معك من المؤمنين صراط ربك اي دينه مستقيما لا اعوجاج فيه وقال ابن مسعود يعني القرآن
 لانه يؤدي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والهدى وقيل الاشارة الى ما تقدم ما يدل على
 التوفيق واخذ لان اي هذا هو عادة الله في عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء قد فصلنا
 الآيات اي بيناها ووضحناها لئلا يكون كروا اي لمن يذكر ما فيها ويتفهم معانيها ^{وهم}
 اصحاب محمد صلعم ومن تبعهم باحسان هم دار السلام اي هو لاه المتذكرين الجنة لانها دار السلام
 من كل مكروه وبه قال جمهور المفسرين ودار الرب السلام مدخرة لهم عند ربهم يوم يوصلهم اليها
 قال قتادة دار السلام الجنة وقال جابر بن زيد السلام هو الله وقال السدي الجنة هو السلام
 ودار الجنة وقيل المراد بالسلام التحية اي دارها وهي الجنة والمعنى متقارب وهو وليهم اي ناصيهم
 ومتولي ايصال الخير اليهم بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في
 الدنيا واذا ذكروا يوم نحشرهم اي اخلق جميعا في القيامة والمعنى يوم نحشرهم يقول يا معشر الذين المراد
 بهم الشياطين والعشر الجماعة والجميع معاشر قد استكثرهم من الانس اي من الاستماع فهم بقوله
 ربنا استمتع بعضنا ببعض وقيل استكثرهم من اغواهم واضلهم حتى صاروا في حكم الاتباع

لكم فحشرناهم معكم ومثله قوطهم استكثر الامير من الجنود والمواد التوزيع والتوزيع وعلى الاول فالمراد
 بالاستمتاع التلذذ من الجن بطاعة الانس لهم ودخولهم فيما يريدون منهم وقال اولياؤهم
 من الانس لعل لا تقتصر على حكاية كلام الضالين وهو الانس دون المضلين وهم الجن للذين ان
 بان المضلين قد انجموا بالمرء فلم يقدر وعلى التكلم اصلا ربنا استمتع بعضهم بعضا لم يعطوا
 الجن بالانس فهو ما تقدم من تلذذهم باتباعهم لهم واما استمتاع الانس بالجن فحيث قبلوا
 منهم تحسين العايف في عوافيهما وتلذذوا بها فذلك هو استلذذهم بالجن وقيل استمتع الانس بالجن
 انه كان اخا مزا للرجل بواو في سفره وخاف على نفسه قال اعوذ برب هذا الوادي من جميع ما احب
 يعني ربه من الجن ومنه قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
 وقيل استمتع الجن بالانس انهم كانوا يصدونهم فيما يقولون من الاخبار الغيبية الباطلة واستمتع
 الانس بالجن انهم كانوا يتلذذون بما يلقونهم من الاكاذيب والاحياف والسرور والولون بذلك شيئا
 من حظوظ الدنيا كاللهان وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي يوم القيامة مراعاة فامتهم بالوصول
 الى ما وعدهم الله به مما كانوا يكذبون به قال الحسن والسدي لاجل الموت وقيل هو وقت البعث
 والحساب يوم القيامة وهذا الحشر منهم على حالهم اي ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين محدث
 ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة ولما قالوا هذه المقالة اجاب الله عليهم وقال النار متوكلهم اي
 موضع مقرهم ومقامهم والمثوى لمقام والحيلة مستأنفة جواب سؤال مقد خالدين فيها اي قيعين
 في نار جهنم ابد الاما شاء الله المعنى الذي تقتضيه لغة العرب في التركيب انهم يخلدون في النار في
 كل الاوقات الا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقاءهم فيها وعليه جرى السيوطي تبع الشيخ الحلبي في
 سورة الصافات وهو مخالف في ذلك لقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
 والعجب منه انه اختار هذا التفسير مع انه في كتابه المذكور قال ان السلف على ان الكفار لا يخرجون
 من النار اصلا قال القاري وقال الزجاج ان الاستثناء يرجع الى يوم القيامة اي خالدين في النار
 الاما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في الحساب الى حين دخولهم الى النار هو
 تعسف لان الاستثناء هو من اخلود الدائم ولا يصدق على من لم يدخل النار وقيل الاستثناء يرجع
 الى النار اي الاما شاء الله من تعذيبهم بغيرها في بعض الاوقات كالزمهرور وبه فسر النسفي الشافعي

وزاد الآية وقيل الاستثناء لاهل الايمان وما يعجز عن اي الان شاء الله ايمانه فانه لا يدخل النار
وبه قال ابن عباس كما حكاه الجمهور وبه قال الكوفي وقيل المعنى لا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير حكم
وكل هذه التأويلات متكلفة والذي اجماع اليها ما ورد في الايات القرآنية والاحاديث النبوية من
الكف في النار ابدا ولكن لا تعارض بين عام وخاص سيما بعد وروده في القوان مكررا كما سياتي في
سورة هود خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك فعل لما يريد ولعله يأتي
هنا لك ان شاء الله تعالى زيادة تحقيق قال ابن عباس ان هذه الآية لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في
خلقهم لا يترحم جنة ولا نار وقد اوضح المقام المحاط بن القمحي في كتابه سماحة الانس قال
ان ربك حكيم اي في تدبير خلقه وتصريف اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله
عليهم بعبادته لمور خلقه وما هم اليه صائرون وكذلك اي مثل ما جعلنا ما بين الجن والانس متكلف
نولي بعض الظالمين بعضا اي نجعل بعضهم يتولى البعض فيكونون بعضهم اولياء بعض ثم يترد
بعضهم من البعض فعني نولي على هذا نجعل وليا له وقال عبد الرحمن بن زيد معناه تسلط ظلمة الجن
على ظلمة الانس وروي انه فسر هذه الآية بان المعنى تسلط بعض الظلمة على بعض فنهلكه ونزله فيكون
في الآية على هذا قيد الظلمة بان من لم يمنع من ظلمة منهم سلط الله عليه ظمما اخر وقال فضيل بن
عياض اذا رأيت ظالما ينتقم من ظالم فقف وانظر تحببا قبل معني نولي لكل بعضهم الى بعض فيها
يختارون من الكفر وقال قتادة المعنى المؤمن ولي المؤمن حيث كان واين كان والكافر ولي الكافر حيث
كان واين كان وقال ابن عباس في الآية ان الله اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيرا هم واذا اراد بقوم شرا
ولى عليهم شرا هم ما كانوا يكسبون الباء السببية اي بسبب كسبهم الذنوب ولينا بعضهم بعضا
قال قتادة يولي الله بعض الظالمين بعضا في الدنيا ويتبع بعضهم بعضا في النار من الموالات وقال الاعشى
يقولون اذا فسد الزمان امر عليهم شرارهم يا معشر الجن والانس يا تكلموا رسلا منكم اي يوم
نقول لهم لم ياتكم وهو شروع في حكاية ما سيكون في الحشر من توبيخ المعشرين بما يتعلق بخاصة
ان حكاية توبيخ الجن باغراء الانس واضلاطهم اياهم وظاهرا ان الله يبعث في الدنيا الى الجن رسلا منهم كما
يبعث الى الانس رسلا منهم وبه قال الضحاك وقيل معنى منكواي من هو جاس كوفي الخلق والتكليف
والقصد بالخطبة فان الجن والانس متحدون في ذلك وان كان الرسل من الانس خاصة فهم من جنس الجن

من تلك الحثية وبه قال الكذاهل العلم وابن عباس وقيل لانه من باب تغليب الانس على
 الجن كما يغلب الذكر على الانثى وبه قال الفراء والزجاج وقيل المراد بالرسول الى الجن هاهنا النذر
 منهم كما في قوله ولو الى قومهم منذرين عن مجاهد قال ليس في الجن رسل انما الرسل في الانس ^{المنذرة}
 في الجن. ونحو ذلك قال ابن جريج وابوعبيدة وقيل للتقدير رسل من احدكم يعني من جنس البشر
 واحاصل ان الخطاب للانس وان تناو لها اللفظ فالمراد احدها كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
 وانما يخرج من الملح دون العذب وقال تعالى وجعل القرية نوراً وانما هو في سماء واحدة يقصون
 عليكم اياتي اي يقرؤون كتبنا لدلالة على توحيدى وتصديق رسلنا ويتلونها مع التوضيح والتبيين
 والقاص من اياتي بالقصة وقد تقدم بيان معنى القص ويُنذِرُ ونُكِرَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وهو يوم
 القيامة يقول الله ذلك طم تقرباً وتوبخاً قالوا اي كفار الانس والجن شهدنا على انفسنا هذا
 اقراء منهم بان حجة الله لازمة طم بارسال رسل اليهم واجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر ونحوه
 الحجة التي حجة معترضتي لذاتها وما لوالها فكانت عاقبة امرهم ان اضطر والى الشهادة
 عليهم بالكفر وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذه شهادة اخرى منهم على انفسهم
 بالكفر في الدنيا بالرسول المرسلين اليهم والايات التي جاؤا بها وقد تقدم ما يفيد ان مثل هذه
 الاية المصحة باقراءهم بالكفر على انفسهم ومثل قولهم والله ربنا ما كنا مشركين محمول على انهم
 يقررون في بعض مواطن يوم القيامة وينكرون في بعض اخر اطول ذلك اليوم واضطر القلوب
 فيه وطيشان العقول وانغلاق الافهام وتبدل الاذهان ذلك اشارة الى شهادة الله على انفسهم ^{اولى}
 ارسال الرسل اليهم ان لا تكون ربك مهلك القرى بظلمها واهلها غفلون المعنى ان الله ارسل
 الرسل الى عباده لانه لم يهلك من عصاه بالكفر من القرى واحال انهم غافلون عن الاحذار
 والانداز بارسال الرسل واترالى لكتبل انما يهلكهم بعد ارسال الرسل اليهم وارتفاع الغفلة
 عنهم بانذار الانبياء عليهم كفو ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل المعنى ما كان الله مهلك اهل
 القرى بظلم منه فهو سبحانه يتعالى عن الظلم بل انما يهلكهم بعد ان يستحقوا ذلك وترتفع
 الغفلة عنهم بارسال الانبياء وقيل المعنى ان الله لا يهلك اهل القرى بسبب ظلم من يظلم ^{منهم}
 مع كون الآخرين غافلين عن ذلك فهو مثل قوله تعالى ولا تزرر وازرة وزر اخرى ^{منهم}

والانس وقيل من المؤمنين خاصة وقيل من الكفار خاصة لانها جاءت عقيب خطاب الكفار
 لانه يبعده قوله درجت اي متفاوتة وقد يقال ان المراد بها هنا المراتب وان غلب استعمالها
 في الخير مما يعملون فيجازيهم باعمالهم كما قال في اية اخرى ولكل درجات مما عملوا وليوفى بهم اعمالهم
 وهم لا يظلمون وفيه دليل على ان المطيع من الجن في الجنة والعاصي في النار قال الضحاك الجن
 يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وعن ليث بن ابي سليم قال مسلمو الجن لا يدخلون الجنة ولا
 النار وذلك لان الله اخراج اباهم من الجنة فلا يعيده ولا يعيد ولده وعن ابن عباس قال الخلق
 اربعة فخلق في الجنة كلهم وخلق في النار كلهم وخلقان في الجنة والنار فاما الذين في الجنة
 كلهم فلان الله واما الذين في النار كلهم فالشياطين واما الذين في الجنة والنار فالانس والجن
 الثواب عليهم للعقاب وما ربك بغير كل حما يعلمون من اعمال الخير والشر والغلبة ذهاب الشيء
 عنك لاستغالك بغيره قبل هذا المختص باهل الكفر والمعاصي وفيه وعيد وتهديد لهم و
 الاولى شموله لكل المعلومات على التفصيل التام وربك العني عن خلقه لاحتاج اليهم ولا الى
 عبادتهم لا ينفعه ايمانهم ولا يضره كفرهم ومع كونه غنيا عنهم فهو ذو الرحمة بهم لا يكون غناؤه
 عنهم ما نعام من رحمته لهم وما احسن هذا الكلام الرباني وابلغه وما اقوى الاقتران بين العني
 والرحمة في هذا المقام فان الرحمة لهم مع الغنى عنهم هي غاية التفضل والتطول ومن حرمته
 ارسال الرسل للخلق وابقاؤهم بلا استيصال باهلاك فهذا الوصف يناسب سابق الكلام ولا
 ان يشاء يد هيبكم ايها العباد العصاة فيستأصلكم بالعذاب المفضي الى الهلاك وقيل الخطاب
 لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم والعموم اولى ويدخل فيه اهل مكة دخولا اوليا وتشتعلون
 اي ينشئ ويوجد من بعدكم اي بعد اهلاككم ما تشاء من خلقه من هم اطوع له واسرع الى امتثال
 احكامه منكم كما انشاءكم من ذرية قوم اخرين اي من نسل قوم لم يكونوا على مثل صفتكم بل
 كانوا طائعين قيل هم اهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون الى زمنكم قال الواحد
 والاربعون ولكن سحانه لم يشأ ذلك فلم يهلكهم ولا استخلف غيرهم رحمة لهم ولطف بهم وقال
 الرازي المراد منه خلق ثالث اوداع واختلفوا فيه فخلق اخر من امثال الجن والانس قال القاضي
 وهو الوجه الاقرب فكانه نية ان قدرته ليست متصورة على جنس دون جنس وقال الطبري المعنى

كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق الخرين كانوا قبلكم والذرية الاصل والنسل قاله ابا بن
عثمان انما شوعدون من مجي الساعة والبعث والحساب والمجازاة لايت لاحالة عن قريب فان الله
لايخلف الميعاد وما انتم بمخبرين اي بفائتين عما هو نازل بكم وواقع عليكم يقال اعجزني فلان
اي فاتني وغلبني وقال ابن عباس اي سابقين وقيل هاربين منه وهو مدرككم لاحالة والمواد
بيان دوام انتفاع الاعجاز لا بيان انتفاء دوامه فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت
كذلك تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق
في موضعه قاله الكوفي قل يقوم من كفر قرش اعملوا على مكانتكم المكانة الطريقة اي اشدوا على
ما انتم عليه فاني غير مبال بكم ولا مكثرت بكفركم وقيل اعملوا على تمسككم من امركم واتصى قدركم
واستطاعتكم وامكانكم قاله الزجاج وقل ابن عباس على ناحيتكم وجهتكم والمقصود من هذا الا
وعيد والتهديد للمباغاة في الزجر عما هم عند فهو كقوله اعملوا ما شئتم فلا يرد ما يقال كيف
يا صرهم بالتباعد على الكفر اتي عاملا على مكانتي اي ثابت على ما انا عليه فسوف لتأكيد مضمون الجملة
وهذه الجملة تعليل لما قبلها تعلمون اي تعرفون عند نزول العذاب بكم او غدا يوم القيامة من
تؤمنون له عاقبة الدار وهي العاقبة المحمودة التي يجد صاحبها عليها اي الجنة يعني من له
النصر في دار الدنيا ومن له وارثة الارض ومن له الدار الآخرة ومن هو على الحق ومن هو على باطل
نحو ام انتخاثة اي الشأن لا يفلح الظالمون اي من اتصف بصفة الظلم وهو تعريض
لهم بعدم فلاحهم قال ابن عباس اي يسعد من كفري واشرك وجعلوا لله ممتا ذرا من الحوت
والانعام نصيبا هذليان نوع اخر من انواع كفرهم وجعلهم ايتارهم لاهتهم على الله سبحانه اي جعلوا الله
سبحانه مما خلق من حوتهم ونتاج دوابهم وهي الابل والبقر والغنم نصيبا ولاهتهم نصيبا من ذلك
اي قسما يصرفونه في سدنتها والقائمين بخدمتها فاذا ذهب لاهتهم بانقضاء في ذلك عوضوا عنه
ما جعلوه لله وقالوا الله غني عن ذلك وعن ابن عباس قال جعلوا الله من ثمارهم وما هم نصيبا
والشيطان والاوثان نصيبا فان سقط من ثمره ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه وان سقط
ما جعلوه للشيطان في نصيب الله رده الى نصيب الشيطان وان انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب
الشيطان تركوه وان انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله تركوه فهذا ما جعلوا الله من الحوت

وسقي الماء وأما ما جعلوه للشيطان من الأنعام فهو قول الله ما جعل الله من بكرة الآية وقال
 مجاهد جعلوا لله جزءا وشركا لهم جزءا فما ذهب به الريح مما سموا الله إلى جزء أو ثأنهم تركوه وقالوا
 الله عن هذا غني وما ذهب به الريح من أجزاء أو ثأنهم إلى جزء الله أخذوه والأنعام التي سمي الله بها
 والسأبة فقالوا هذا لله نكرهم الزعم الكذب وقرئ بضم الزاي وبفتحها وهما لغتان وإنما نسبوا
 للكذب في هذه المقالة مع أن كل شيء لله لأن هذا الجعل لم يأمرهم الله به فهو مجرد اختراع منهم
 قال الأزهري وأكثر ما يكون الزعم فيما يشك فيه ولا يتحقق وقال بعضهم هو كناية عن الكذب
 وقال المروزي أكثر ما يستعمل فيما كان باطلا وفيه ارتياب وقال ابن القوطية زعم زعماء قال جبل
 لا يدري الحق هو وباطل قال الخطابي ولهذا قيل زعم مطية الكذب وزعم غيرهم قال غيرهم
 صالح وادعى ما لا يمكن وهذا الشرك ثأنا أي لأصنامهم فكأن شركا ثأنا أي ما جعلوه لها من
 الحث والأنعام فلا يصل إلى الله أي إلى المصاف التي شرع الله الصرف فيها كالصدقة وصلاة
 الرحم وقراء الضيف وما كان لله فهو يصل إلى شركا ثأنا أي يجعلونه لأهتهم وينفقونه في
 مصاحبها ساء ما يتكلمون أي حكمهم في إثباتهم اهتهم على الله سبحانه ورجحان جانب الأصنام
 على جانب الله تعالى في الرعاية والحفاظة وهذا سفه منهم وقيل معنى لا يتأثم كانوا إذا ذبحوا
 ما جعلوه لله ذكر وأعليه اسم أصنامهم وأذا ذبحوا ما لأصنامهم لم يذكر وأعليه اسم الله فهل يغفل
 الوصول إلى الله والوصول إلى شركا ثأنا أي ومثل ذلك التزييد الذي زينه الشيطان
 لهم في قصة أموالهم بين الله وبين شركا ثأنا أي يكثر من الشركين قتل أولادهم
 قال الفراء والزجاج شركا ثأنا وهم ههنا هم الذين كانوا يخذلون الأوثان وقيل هم القواة من الناس
 وقيل هم الشياطين وأشار بهذا إلى الوأد وهو دفن البنات مخافة السبا والحاجة وقيل كان الزنا
 يخلف بالله لأن ولد له كذا من الذكور لينحون أحدهم كما فعله عبد المطلب وقرئ زين بالبناء للقاء
 ونصب قتل ورفع شركا ثأنا على أنه فاعل زين وقرئ بضم الزاي ورفع قتل وخفض أولاد
 زينه شركا ثأنا وقرئ بضم الزاي ورفع قتل ونصب أولاد وخفض شركا ثأنا ففيه الفصل بين
 المصدر وما هو مضاف إليه بالمفعول قال النحاس إن هذه القراء لا تجوز في كلام ولا في شعري
 بعيد وفي القرآن بعد وقال ابن حمدان النحوي هي زلة عالم لم يجز اتباعه وقال قوم من انتصر لهذه

القراءة انها اذا ثبتت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم في نصيحة لا في قصة قالوا وقد ورد ذلك في كلام العرب
 وفي مصحف عثمان شركاءهم بالياء قلت دعوى التواتر باطلة باجماع القراء المعتبرين كما بين الشوكاني
 ذلك في رسالة مستقلة فمن قرأ بما يخالف الوجه الحق في فهمه فله عليه ولا يصح الاستدلال بصحة هذه
 القراءة بما ورد من الفصل في النظم فان ضرورة الشعر لا يقاس عليها وفي الآية قراءة رابعة
 وهي جرك الاولاد والشركاء ووجه ذلك ان الشركاء بدل من الاولاد لكونهم شركاءهم في النسب
 الميراث لا يردوهم من الارداء وهو الاهلاك اي فعلوا ذلك الذين لاهلكتهم وليكسبوا^{وكتسبوا} دينهم
 دينهم اي يخطوهم عليهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل
 فرجعوا عنه بتبليس الشياطين وكوشاء الله عدم فعالهم ما فعلوه اي ذلك الفعل الذي زين
 لهم من تحريف الحرف والأنعام وقتل الاولاد فمأشأء كان وما لم يشأ لم يكن واذا كان ذلك بمشية
 الله فذرهم وما يفترون اي فذرهم وافتراءهم فذلك لا يضرهم والفاء في الفصيحة وقالوا^{وا} اولاد
 أنعامهم وحرف جر هذا بيان نوع اخر من جهالاتهم وصلواتهم وهذا إشارة الى ما جعلوا لأهنتهم
 والثابت باعتبار الخبر وهو قوله أنعام فهو وحرف خبر عن اسم الإشارة والحجر بكسر اوله وكذا
 ثانية وقرئ بضم الحاء والحجيم ويقوم الحاء واسكان الحجيم وقرئ حرج بتقديم الراء على الحجيم من الحرج
 وهو الضيق والحجر على اختلاف القراءات فيه هو مصدر بمعنى محجور كزبح وطحن بمعنى مذبح ومطحن
 يستوي فيه الواحد والكثير والمذكر والمؤنث واصله المنع فعن الآية هذه أنعام وجرت ممنوعة
 يعنون انها لأصنامهم قال مجاهد يعني بالأنعام البعيرة والسائبة والوصيلة والحامي قال ابن عباس
 الحجيم ما حرموا من الوصيلة وقال قتادة والسدي حجراي حرام لا يطعمها إلا من شأء وهم خدام
 الأصنام والرجال دون النساء برغمهم لا حجة لهم فيه فجعلوا نصيب الالهة اقساما ثلاثة الاول ما
 ذكره بقوله حجور الثاني ما ذكره بقوله وأنعام حُرِّمَتْ ظهورها اي البعيرة والسائبة والوصيلة
 والحام مواظورها عن الركوب وقيل ان هذا القسم ايضا مما جعلوه لأهنتهم والقسم الثالث أنعام
 لا يذكرُونَ اسم الله عليها عند الذبح وهي ما ذبحوا لأهنتهم فانهم يذبحونها باسم اصنامهم لا باسم
 الله وقيل ان المراد لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل اخيرا فقرأ عليه اي اختلافا وكذا با على الله
 سبحانه والتقدير لاجل الافتراء على الباري وهو مذهب سيبويه وقال الزجاج هو مصدر على غير

المصدر وقيل التقدير افترا واذل افتراء وقيل قالوا ذل حال افتراء فهو وهي تشبه الحال المتكاملة
 سيجزى بهم كما كانوا يفترون اي بافتراءهم او بالذي يفترون فيه وفيه وعيد وقد يرفع
 ثم بين الله سبحانه نوعا اخر من جهالاتهم فقال وقالوا ما في بطون هذه الانعام يسمون اجنة
 والسواج قيل هو اللب الخالص الذي كونا في حلال اللحم والحاف في خالصه للباغ في الخلو من غيره ونسابة الانعام
 والاخفش قال الغراء ثانیها كانت الانعام رد بان ما في بطون الانعام خلو انعام تعقب هذه الرد بان ما في بطونها انعام
 الاجنة وما عبادتها فيكون ثانیها خالصا للمعنى المحرم على جنسها واجزاءها من النساء فيدخل في ذلك البنات
 والاحوات فمن تذكير محرم باعتبار لفظ ما وان يكن اي الذي في بطون الانعام مائة منهم في اي الله في البطون
 شركا في كل منة الذكور والانا سيجزى بهم الله وصغرهم اي صغرهم للذبح على الله وقيل المعنى سيجزى بهم جزاء
 وصغرهم انه حكيم عليهم فلاجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة فر
 بين الله سبحانه نوعا اخر من جهالاتهم فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم اي بناهم بالاولاد
 الذي كانوا يفعلونه سفاها اي لاجل السفه وهو الطيش والجهل لا بحجة عقلية ولا شرعية قال عكرمة
 نزلت فيمن كان يثد البنات من مضر وبيعة وقال قتادة هذا صنع اهل الجاهلية كان احد
 يقتل ابنته مخافة السبا والفاقة ويغذو كلبه بغير علم يهدن به ويحرموا ما رزقهم الله من الانعام
 التي سموها حائرا وسواها افتراء على الله اي الافتراء عليه او افتراء افتراء عليه قد ضلوا عن
 طريق السموات والارشاد بهذه الافعال وما كانوا مهتدين الى الحق ولا هم من اهل الاستعداد لذلك
 قال ابن عباس اخا سواد ان تعلم جمل العرب فاقرأ ما فرق الثلثين والمائة من سورة الانعام قد
 خسر الذين الآية اخرجه البخاري وهو الذي انشا اي خلق جنات بساين وهذا تذكيرهم ببديع
 قدرة الله وعظيم صنعه معروشات مرفوعات مسهكات على الاعداء وغير معروشات غير مرفوعة
 عليها وقيل المعروشات ما انبسط على وجه الارض ما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وغير المعروشات
 ما قام على ساق مثل النخل والزروع وسائر الاشجار وقال النحاشي كلالها في الكرم خاصة لان منه ما يعرش
 ومنه ما لا يعرش بل يسقى على وجه الارض منسبطا وقيل المعروشات ما ابنته الناس وغرسوه وعيل المعروشات
 ما ابنت في البراري والجبال من الثمار قاله ابن عباس وقال قتادة معروشات بالعيان والقصب
 غير معروشات الضاعى واصطلح العرش في اللغة شي مسقف يجعل عليه الكرم وجميعه عروث قال

عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذ جعلته كهية السقف واعترش الغنم العرش
 اذ اعلاه وركبه وانشا النخل والزروع وهو جميع الحبوب التي تقنات وتدخرونها بالذكرم مع
 في الجنات لما فيها من الفضيلة على سائر ما ينبت في الجنات حال كونه مختلفا اكله اي اكل كل واحد
 منها في الطعم والجودة والرواء والمراد بالاكل الماكول اي مختلف الماكول من كل منها في الهية والطعم
 قال الزجاج وهذه مسألة مشككة في النفي يعني انتصاب مختلفا على الحال لانه يقال قد انشاها لم
 يختلف كلها فاجواب ان الله سبحانه انشاها مقدر فيها الاختلاف وهذه هي الحال المقدرة المشهورة
 عند النحاة المدونة في كتب النفي وقال مختلفا اكله ولم يقل اكلها اكلها باعادة الذكر على احدهما كقول
 واذا رأت تجارة اطوا انفضوا اليها او الضمير بثلة اسم الاشارة اي اكل ذلك وانشا الزيتون والورقان
 حال كونها متشابهة ورتقها في المنظر وغير متشابهة في الطعم وقد تقدم الكلام على تفسير هذا كقوله
 من ثمره اي من ثمر كل واحد منهما او من ثمر ذلك اذا اثمر اي اذا حصل فيه الثمر وان لم يدرك
 يبلغ حد الحصاد وهذا امر اباحة وبه تمسك بعضهم فقال الامم قد يرد بغير الوجوب لان هذه
 الصيغة مفيدة لدفع المحرم وقيل المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الواجب وقيل المعنى ليعلم
 ان المقصود من خلق هذه الاشياء هو الاكل وقيل ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر
 ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك وانما حقيقة يوم حصاده اي جذاه وقطعه قري بفتح الحاء
 وكسرها وهما الغتان في المصدر كقولهم جذاذ وجذاذ وقطاف وقطاف قال سيبويه حاء بالبلدة
 حين ارادوا انتهاء الزمان على مثل فعال وربما قالوا فيه فعال يعني ان هذا مصدر خاص حال على
 معنى نداء على مطلق المصدر فان المصدر لا يصلي انما هو الحصد الحصد ليس فيه دلالة على انتهاء
 زمان ولا عدلها بخلاف الحصاد والحصاد قد اختلف اهل العلم هل الآية محكمة او منسوخة
 او مأمولة على النذب فذهب بن عمرو وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير الى انها محكمة وانه يجب
 على المالك يوم الحصاد ان يعطي من حضر من المساكين القبضة والضغث ونحوها وذهب ابن
 مالك وابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والنخعي وطاؤس وابو الشغناء وقتادة والضحى وابو
 جريح وجابر بن زيد وسعيد بن المسيك انها منسوخة بالزكاة واختاره ابن جرير ويؤيده ان هذه
 الآية مكية وآية الزكاة مدنية في السنة الثانية بعد الهجرة والى هذا ذهب جمهور اهل العلم بالسلف

والخلف قال بن عباس شئت أئمة الزكاة كل صدقة في القرآن وقالت طائفة من العلماء أن الآية محمولة
على الندب لا على الوجوب وأخرج ابن المنذر والنحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية قال ما سقط من السبل وقال ابن عمر كانوا يعطون من احتل
شيئا سوى الصدقة وعن مجاهد قال إذا حصدت فحضر المساكين فاطرح لهم من السبل وقال
ميون بن مهران ويزيد بن الأصم كان أهل المدينة إذا صرهم الخيل يحثون بالعدن فيضعونه
في المسجد فيجيئ السائل فيضربه بالعصى فيسقط منه فهو قوله وأتوا حقه يوم حصاده وقال حماد
بن أبي سليمان في لاية كانوا يطعمون منه رطباً وأخرج أحمد وأبو داود في سننه من حديث
جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من كل حادٍ عشر وسقا من التمر يقنوبها في المسجد للمساكين
واسناده جيد وقال ابن عباس أيضاً نضها العشر ونصف العشر وعن السدي نحوه وقال الشيخ
أن في المال حقاً سوى الزكاة وعن أبي العالقة قال ما كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة وقال علي بن
الحسن وعطاء ومجاهد وسحادة هو أطعم من حضر وترك ما سقط من الزرع والتمر وقال سعيد بن
جبير كان هذا حقاً يؤمر بأخراجه في ابتداء الإسلام ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر واختار الطبري
وصححه واختار الأول الواحدي والرازي وقيل المعنى وأتوا حقه الذي يجب يوم حصاده بعد
التصفية ثم إنهم نبادروا وأسر فوافوا الله ولا تسرفوا أي في التصديق بأعطاء كله وأصل
الاسراف في اللغة الخطأ والاسراف في النفقة التبذير وقال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف
وان كان قليلاً قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتقعروا فقراء قال الزجاج وعلى هذا القول
الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد اسرف لأنه قد صح في الحديث أبداً ممن تقول قال
سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة أي لا تجاوزوا الحد في الخلل ولا مساك حتى تمنعوا الواجب
من الصدقة وعلى هذين القولين المراد بالاسراف تجاوزة الحد إلا أن الأول في البذل والأعطاء
والثاني في الإمساك والخلل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الأضام في الحرث ولا نعام وقال الزهوي
لا تشفقوا في معصية الله وقال ابن زيد هو خطاب للؤالة يقول لهم لا تأخذوا فوق حقكم من
رب المال وقيل المعنى لا تأخذوا الشيء بغير حقه وتضعونه في غير مستحق لأنه لا يحب المسرفين
اعتراض وفيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شيء لأن من لا يحبه الله فهو من أهل النار وحسن

جريح قال نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جد خلا فقال لا يا بني السيوم احدا الا اطعمت فاطم
حتى امسى وليس له ثمرة فانزل الله هذه الآية وعن مجاهد قال لو انفقت مثل اي قيس ذهبا في
طاعة الله لم يكن اسرافا ولو انفقت صدقا في معصية الله كان اسرافا وللسلف في هذا مقالات
طويلة وانشا لكم من الأنعام شروع في تفصيل حال الأنعام وابطال ما تقولوا في شأنها بالتحريم
والتحليل حَوْلَةُ وَفَرَسٌ أَكْجَلَةٌ هي كل ما يحل عليها واختصت بالابل في فعولة بمعنى فاعلة والفرس ما يتخذ
من الورد والصوف والشعر فرياشا يفرشه الناس وقيل الحولة الابل والفرس والغنم وقيل هي كلها
حمل عليه من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرس والغنم وهذا لا يتم الا على فرض صحة
اطلاق اسم الأنعام على جميع هذه المذكورات قال ابن مسعود الفرس صغار الابل التي تحمل وبه
قال ابن عباس وزاد الحولة ما حمل عليه والفرس ما اكل منه قال ابو العالية الفرس الضأن
والمعز قيل سمي فرسا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره قال الزجاج اجمع اهل اللغة
على ان الفرس صغار الابل قال ابو زيد يجمل ان يكون تسمية بالمصدر لان الفرس في الاصل مصدر
والفرس لفظ مشترك بين معان كثيرة منها ما تقدم ومنها متاع البيت والفضاء الواسع اتسع
البعير قليلا والارض الملسا ونبات يلتصق بالارض كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ فكم الله من الثمار والزرع لانها
واحلها لكم ولا تتبعوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ اي طرقه واتاره كما فعل المشركون واهل الجاهلية من
تحرير ما لم يحرمه الله وتحليل ما لم يحلله انَّهٗ اَيُّ الشَّيْطَانِ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ مظهر للعداوة ومكاشف
بها قربان الحولة والفرس فقال ثمانية اذ واج اي وانشا ثمانية اصناف وقال الاخفش كلوا لحم
ثمانية والزوج خلاف الفرد يقال زوج او فرد كما يقال شفع او وتر يعني ثمانية افراد وانما سمي الزوج
زوجا في هذه الآية لان كل واحد من الذكر والانثى زوج بالنسبة الى الآخر ويقع لفظ الزوج
على الواحد فيقال هما زوج وهو زوج ونقول اشتريت زوجي حمام اي ذكر وانثى والحاصل
ان الواحد اذا كان منفردا سواء كان ذكرا وانثى قيل له فرد وان كان الذكر مع انثى من جنسه
قيل لهما زوج ولكل واحد منهما على انفراد زوج ويقال لهما ايضا زوجان ومنه قوله تعالى
وجعل منه الزوجين الذكر والانثى من الضأن اي ذوات الصوف من الغنم وهو جمع ضأن ويقال
للانثى ضانية والجمع ضوان وقيل هو جمع لا واحدا وقيل اسم جمع وقيل في جمعه ضيين كعبه

وعبيد قال النحاس الأكثر في كلام العرب المعز والضأن بالأسكان اثنتين أي الذكر والأنثى يعني
الكباش والنجدة ومن المعز اثنتين أي الذكر والأنثى يعني التيس والعنز فالتيس للذكر والعنز للأنثى
إذا أنشأ عليها حول والمعز من لغتهم خلاف الضأن وهي خواتم الأشعار والأذناب القصار وهو
اسم جنس لا واحد له من لفظه وواحد المعز ما عر مثل صحب وصاحب وركب وراكب وتجر وتاجر
والجمع معزى والأنثى ما عرة واثنتين بدل من ثمانية أزواج صوح به أبو البقاء وهو ظاهر قول النحاشي
والمراد من هذه الآية أن الله سبحانه يبين حال الأنعام وتفصيلاتها إلى الأقسام المذكورة توضيحا
للامتنان بها على عباده ودفعها لما كانت باهلية تزعمه من تحليل بعضها وتخريم بعض نقولا
على الله سبحانه وافقنا عليه عن ابن عباس قال الأزواج الثمانية من الإبل والبقر والضأن والمعز
أخرجه البيهقي وابن جرير وغيرهما وليت شعري ما فائدة نقل هذا الكلام عن ابن عباس من
مثل هؤلاء الأئمة فإنه لا يتعلق به فائدة وكون الأزواج الثمانية هي المذكورة هو هكذا في الآية
مصرح به تصريحاً لا بسفيه وهذه الأزواج الأربعة تفصيل للفرض ولعل تقديمها في التفصيل
مع تأخر أصلها في الأجمال لكون هذين النوعين عرضة للاطل من غير تعرض للاستفهام بالكل والوكو
وغير ذلك المحرومة في السائبة وإخواتها قل يا محمد إن حرم ذكور الأنعام نارة وإفاتها أخرى ونسب
ذلل إلى الله الذي كرم من الضأن والمعز والهيضة للأنكار حرم أمم الأنثيين منهما المراد بالذكور
الكباش والتيس وبلا اثنتين النجدة والعنز والمعنى أنكار على المشركين في أم الجيرة وما ذكر معها من
قولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا وحرم على أزواجنا أمما شملت عليه أحكام
الأنثيين أي أن كان حرم ذلك يعني من الضأن والمعز فكل مولود حرام ذكر أو أنثى لان كلها
مولود فيستلزم أن كلها حرام فإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى نيتوني أي أخبروني بعلم لا يجهل
عن كيفية تحريم ذلك وفسر إلى ما حرمتم والمراد من هذا التبكيث لهم والتعجيز وإلزام الحجاة أنه
يعلم أنه لا علم عندهم أن كنتم صادقين في أن الله حرم ذلك عليكم وهكذا الكلام في قوله ومن
الإبل اثنتين ومن البقر اثنتين هذه أربعة أزواج أخر بقية الثمانية وينبغي أن ينظر في وجه تقديم
المعز والضأن على الإبل والبقر مع كون الإبل والبقر أكثر نفعا وأكبر أجساما وأعود فائدة لاسماني
أحوي لته الفرس الذين وقع الأبدال منهما على ما هو الوجه الأوضح في أعواب ثمانية قل الذي كرم

حرم من الاشياء كما اشملت عليه ارحام النبيين قال ابن عباس يقول لم احرم شيئا من ذلك
 وهل يستعمل الرجم لاسم ذكر وانثى فلم يحرمون بعضا وتحلون بعضا بل كلما تقدم ذكره مما
 حرم اهل الجاهلية حلال وقال ايث بن ابي سليم الجاهلوس والبخي من اذواج الثمانية وفيه
 هاتين اثنتين تفرع وتوابع من الله لاهل الجاهلية بتحريم ما لم يحرمه الله وذكر الرازي وجهين
 الحور في معنى هذه الآية ونسبها الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على
 بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الاتهام يعني انكم لاتقرون بنبوة نبي ولا تعترفون بشرية
 شارع فكيف تحكمون بان هذا حلال وهذا حرام والوجه الثاني انكم حكمتهم بالجيرة والسائبة والوصيلة
 واعمالهم مخصوصا بالابل فانه تعالى يبين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضان
 والغز والبقر والابل فلما لم تحكموا بهذه الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهي الضان والغز والبقر فكيف
 خصصتم بالابل هذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة انتهى ام هي المقتطعة بمعنى بل والاستفهام
 للاستكراهي بل انتم شهدتم هذا احضار من مشاهدين اذ اى وقت ان وصاكم الله في زعمكم بهذا الخبر
 والمواد التيكيت والالزام بالحجة كما سلف قبله فمن اى لاحد اظلم ممن افترى على الله كذبا
 فحرم شيئا لم يحرمه الله ونسب ذلك اليه افترى عليه كما فعله كبراء المشركين ليضل اللام للعللة
 اى لاجل ان يضل الناس بعير علم اى يجهل وافترى عليه جاهلا بصدد والتخوير وانما وصفوا
 بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه ايدنا نأخبرهم في الظلم عن حد و التها
 ان الله لا يهدي القوم الظالمين على العموم وهو لا المذكورون في السياق داخلون في ذلك
 من خول اوليا ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقهم وابتدع شيئا لم يامر الله به ولا نهي
 ونسب ذلك الى الله لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس فيه فهو
 داخل في هذا الوعيد قل لا اجد نيما اوحي الي اى القرآن وفيه ايدان بان مناط الحلال والحرام
 هو النقل لبعض العقل ومعنى محرما على طاعة اى ايا كان من الذكور او من الاناث فهذا
 رد لقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على اذواجنا وفي يطعمه
 زيادة تأكيد وتقرين لما قبله قال طائوس اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء ويجلون اشياء
 فتلت هذه الآية وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية ياكلون اشياء ويتركون اشياء فقد

جعلت الله نبيه ورسوله واحدا جلاله وحرم حرامها حل فهو حلال فما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو
 ثم تلى هذه الآية وقال ما خلا هذا فهو حلال عن الشعبي أنه سئل عن لحم الضيل والأسد في هذه الآية والمعنى أمر الله
 سبحانه بأن يجزئهم أنه لا يجد في شيء مما أوحى إليه محرما غير هذه المذكورات فدل ذلك على
 انحصار المحرمات فيها لولا أنها مكية وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة وزيد فيها حل
 هذه المحرمات المنقحة والموقودة والمتردية والنطيخة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريم كل ذي
 ناب من السباع وكل ذي غلب من الطير وتحريم الحمر الأهلية والكلاب ونحو ذلك وبالحجة فانه
 العموم ان كان بالنسبة الى ما يוכל من الحيوانات كما يدل عليه السياق ويفيد الاستثناء ^{فيضم}
 اليه كل ما ورد بعده في الكتاب والسنة كما يدل على تحريم شيء من الحيوانات وان كان هذا
 العموم هو بالنسبة الى كل شيء حرمه الله من حيوان وغيره فانه يضم اليه كلما ورد بعده مما
 فيه تحريم شيء من الاشياء وقد روي عن ابن عباس وابن عمر وعائشة أنه لا حرام الا ما ذكره
 الله في هذه الآية وروي ذلك عن مالك وهو قول ساقط ومذهب في غاية الضعف لاستلزامه
 الاهمال غير ما نزل بعدها من القرآن واهمال ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعد نزول هذه
 الآية بلا سبب يقتضي ذلك ولا موجب بوجبه اخرج البخاري وابوداود وابن المنذر عن عمرو
 بن دينار قال قلت لجابر بن زيد انهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية فمن
 خبير فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمر والغفاري عندنا بالبصرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لكن ابي ذلك الجواب ابن عباس وقرا قل لا جد الآية واقول وان ابي ذلك الجواب ابن عباس فقد صح
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بقول صحابي في مقابلة قول النبي صلى الله عليه وسلم من سوء الاختيار وعدم
 الانصاف الا منقطع قاله المكي والسيوطي وظاهر كلام الزمخشري انه متصل واليه فالسمايين ان
 يكون ذلك الشيء المحرم وذلك الطعام والعابن والجنة او النفس ميتة وقرئ يكون بالحقبة
 والوقية وميتة بالرفع على ان كان تامة والمواد بالمية هنا ما مات بنفسه لاجل عطف قوله
 اوفسقا فانه من افراد الميتة شرعا واخرج احمد والبخاري والنسائي وابن ابي حاتم والطبراني
 وابن مردويه عن ابن عباس ان شاة لسودة بنت زعدة ماتت فقالت يا رسول الله ماتت فلانة
 تغني الشاة فقال فلو لا اخذتم مسكها قالت يا رسول الله ان اخذ مسك شاة قد ماتت فهو رسول الله ^{صلى}

قدم الظن على الفعل للدلالة على أن هذا التحريم يخص بغير لا يحل لهم ولا يحل لهم اليهود ذكر
 الله ما حرّم عليهم عقب ذكر ما حرّمه على المسلمين والظفر واحد الاظفار ويجمع ايضا على اظافر
 وزاد الفراء في جمع ظفر اظافر واظافرة وذو الظفر ماله اصبع من دابة او طائر ويدخل فيه الحافر
 والخف والمخالب فيتناول الابل والبقر والغنم والنعام والاوز والبط وكل ماله مخالب من الطير
 وحافر من الدواب وتسمية الحافر والخف ظفر اعجاز والاولى حمل الظفر على ما يصدق عليه الظفر
 في لغة العرب لان هذا التعميم يأباه ما سياتي من قوله ومن البقر والغنم فان كان في لغة العبر
 بحيث يقال على البقر والغنم كان ذكرهما من بعد تخصيصها بغير حرم الله ذلك عليهم عقوبة لهم على
 ما وقعوا فيه من الظلم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم عن
 ابن عباس قال هو الذي ليس بمنفرج الاصابع من البهائم والطير يعني مشقوقها كالبعير والنعامة
 ونحو ذلك من الدواب وقال مجاهد هو كل شيء لم ينفرج قوائمه من البهائم وما انفجرك الله اليهود
 قال انفرجت قوائم الدجاج والعصافير فيهود تاكله ولم ينفرج خف البعير ولا النعامة ولا فائمة
 الوزينه فلا تاكلها اليهود ولا تاكل سمار الوحش وفي الظفر لغات خمس ذكرها السمين اعلاها
 بنهم الظاء والفاء وهي قراءة العامة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم ^{نحوهم} ما لا غير هذه المذكورة
 كلجها والشحوم يدخل فيها الثروب وشحم الحلية وقيل الثروب جمع ثربا وهو الشحم الرقيق الذي يكون
 على الكرش والامعاء كما في القاموس والمراد بها هنا ما على الكرش فقط كما فسر به القرطبي ولا يراد
 ما على الامعاء وتفسيره ما على الامعاء نظر المعناها اللغوية لا ما حملت ظهورهما أي ما حلق بالظفر
 واجنب من داخل بطونهما من الشحم استثنى الله سبحانه من الشحوم هذا الشحم فانه لم يحرمه عليهم
 وقال السدي وابوصلح الالية ما حملت ظهورها وهذا يختص بالغنم لان البقر ليس لها الية او حمار
 اخوي أي الامعاء وهي المباعر التي يجمع فيها البعير فما حملته هذه من الشحم غير حرام عليهم فيه
 قال جمهور المفسرين وهو قول ابن عباس وواحد ها حافية مثل ضاربة وضوارب وقيل واحد ها
 حاويا مثل قاصصا وقواصع وقيل حوية كسفينة وسفائن قال الفارسي يصح ان يكون جمعا لكل من
 الثلاثة وقال ابو عبيدة اخوي أي ما تحوى من البطن استدار وهي مخوية أي مستديرة وقيل اخوي أي خرا
 الدين وهي متصل بالمباعر وقيل الامعاء التي عليها الشحوم أو ما اختلط بهظم فانه غير محرم قال

الكسائي والفراء وتعلب معطوف على ما في ما حملت وقيل على الشحوم ولا وجه لهذا التكلف ولا موجب له لأنه لا يكون المعنوي أن الله حرم عليهم أحاسي هاتوا المذكرات والمراد بما اختلط ما لصق بالعظام من الشحوم في جميع مواضع الحيوان من الجنب والراس والعين ومنه الآية فانها لا صفة تعجب الذنب عن ابن عباس قال ما اختلط من شحم الآية بالعصعص فهو حلال وكل شحم القوائم والجنب والراس والعين فلا ذن يقولون قد اختلط ذلك بعظم فهو حرام انما حرم عليهم الثرب وشحم الكلية ذلك التحريم المدلول عليه بحرمنا وقيل الاشارة الى انجزاء المدلول عليه بقوله جزئناهم وهو ضريح ما حرمه الله عليهم يتغيره حراما بسبب بغيره وظلمهم كما سبق في سورة النساء من قوله فيما نقضهم ميتاتهم وكفرهم بآيات الله الى ان قال فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات مما افاء الله على رسلهم وكنوا معصية من هذه المعاصي عوقبوا بغير شيء مما احل لهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرومة على الامم قبلهم وانما اكسأه قون في كل ما تخبر به ومن جملة ذلك هذا الخبر وهو موجود عندهم في التوراة ونصها حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وكل دابة ليست مشقوقة كما فرو كل حوت ليس فيه شقاق اي يابس انتهى فان كذبك اي لليهود فيما وصفت من تحريم الله عليهم تلك الاشياء وقيل الضمير يعود الى المشركين الذين قسموا الانعام الى تلك الاقسام وحلوا بعضها وحرموا بعضها فقل رب تكلم رب رحمة واسعة للطيعين ومن رحمته حمله عنكم وعدم معاجلته لكم بالعقوبة في الدنيا فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا امهال وفيه ايضا تلطف بدعائهم الى الايمان وهو وان امهالكم وحكم فانه لا يرد بأسه اي عذابه ونقمته عن القوم الجرمين اذا انزل بهم واستحقوا المعاجلة بالعقوبة وقيل المواد لا يرد بأسه في الآخرة والاولى فانه سبحانه قد عاجلهم بعقوبات منها تحريم الطيبات عليهم في الدنيا والمجرمون هم اليهود والكفار وانما قال ذلك نفيا للاعتذار بسعة رحمة في الاجراء على معصيته ولئلا يفتروا برجاء رحمة عن خوف نقمته وذلك ابلغ في التهديد سيقول الذين أشركوا ائذنا الله عن المشركين انهم سيقولون هذه المقالة وقد وقع مقتضاها كما حكى عنهم في سورة الفل بقوله تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدناك انك تقولون انهم سيقولون اننا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا

ولا حرمنا من شيء اي ما اشركواهم ولا ابائهم ولا حرموا شيئا من الانعام كالبحيرة ونحوها وظنوا
 ان هذا القول يخلصهم عن الحججة التي اُلزمهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ما فعلوه حق ولو لم يكن
 حقا لادسل الله الى ابائهم الذين ما توا على الشرك وعلى تحريم ما يحرمه الله رسلا يامرهم بترك
 الشرك ويترك التحريم لما يحرمه الله والتحليل لما يحلل الله كذا اي مثل ما كذب هؤلاء كذب الله
 من قبلهم من كفار الامم الخالية ومن المشركين انبياء الله حتى ذاقوا آسنا اي استمروا على
 التكذيب حتى ذاقوا عذابي الذي اتر لنا بهام وقد تمسك القديسة والمعزلة بهذا الآية ولا
 لهم في ذلك على مذهب الجبر ولا اعتزال لان امر الله بمعزل عن مشيئة وارادته ولا يلزم
 ثبوت المشيئة دفع دعوة الانبياء عليهم السلام قل هل عندكم من علم امرة الله ان يقول لهم
 هل عندكم دليل صحيح يعدم من العلم النافع وحجة وكتاب يوجب اليقين بان الله ارض بذلك
 فتخرجون لنا للنظر فيه ونندبره والمقصود من هذا التبيك لهم لانه قد علم انه لا علم عندهم
 يصلح للحجة ويقوم به البرهان ثم اوضح لهم ليس على شيء من العلم فقال ان تتبعون الا انظروا
 الذي هو محل اخطا ومكان اجهل وان انتم الاخرصون اي توهمون مجرد توهم فقط كما يشتم
 الخاير تقولون على الله الباطل وقد سبق تحقيقه قل فقل له الحججة البالغة على الناس التي تقطع عندها
 معاذيرهم وتبطل شبههم وظنهم توهماتهم والمراد بها الكتب المنزلة والرسول المرسل وما
 جاءوا به من المعجزات قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصي الله او اشرك به على الله بل له الحججة
 التامة على عباده وقال عكرمة الحججة السلطان فلو شاء هدانا بكم جميعا الى الحججة البالغة
 فهداكم جميعين ولكنه لم يشأ ذلك ومثله قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا وما كانوا يؤمنوا
 الا ان يشاء الله ومثله كثير فالمتنفي في الخارج مشيئة هداية الكل والا فقد هدى بعضهم وعن
 ابن عباس انه قيل له ان ناسا يقولون ليس الشرب قدر فقال ابن عباس بيننا وبين اهل القدر
 هذه الآية والعجز والكيس من القدر وقال علي بن زيد انقطعت حججة القدرية عند هذه الآية
 قل فقل له الحججة الى قوله اجمعين قل لهم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا امره
 الله سبحانه ان يقول طوا المشركين ها توهم واحضروهم قال السدي اروني شهداءكم و
 اسمهم فعل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع عند اهل الحجاز واهل نجد يقولون

ههنا علمي لمواظبة على ما ينطقون به كما ينطقون بسائر الأفعال وبلغه أهل الحجاز نزل القرآن ومنه قوله
 تعالى والقاتلين لا يخراهم علم النيا والاصل عند الخليل لما ضمت اليها لم وقال غيره اصلها هل
 زيدت عليه الميم وفي كتاب العين للخليل ان اصلها هل أو لم اي هل اقصدك ثم كثر استعمالهم
 لها وهذا ايضا من باب التبيكيت لهم حيث يامرهم باحضار الله وورد على ان الله حرم تلك الاشياء
 مع علمه انه لا شهود لهم لشئ من الحجج ويظهر ضلالهم وانه لا تستمسك لهم سوى تقليد هم ولذلك
 قيد الشهاداء بالاضافة اليهم الدالة على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وهم قد وهم الذين
 ينصرون قوتهم وان شهدوا لهم بغير علم بل مجازفة وتغصبا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم
 ولا تسلم لهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا يا ليتنا فانهم راس المكذبين بها ولا تتبع أهواء الذين
 لا يؤمنون بالآخرة وهم يرتكبون اي يجعلون له عدلا من مخاوفاته كالأوثان ويشركون
 قل تعالوا اي تقدموا قال ابن السجري ان المأمور بالتقدم في اصل وضع هذا الفعل كانه كالقاع
 فقليل له تعال اي ارض شخصك بالقيام وتقدم واتسعوا فيه حتى جعلوه بالواقف والمأشي وهكذا
 قال الزخشي في الكشف انه من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان
 عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم اقل ما حرم ربكم المراد من تلاوة ما
 حرم الله تلاوة الآيات المشظلة عليه ويجوز ان يكون ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف
 اي الذي حرمه وقيل مصدر ديتاي اقل تحريم ربكم والمعنى ما اشتمل على التحريم قليل ويجوز ان
 تكون استفهامية اي اقل اي شئ حرم ربكم على جعل التلاوة بمعنى القول وهو ضعيف جدا وعليكم
 ان تعلق باقل والمعنى اقل عليكم الذي حرم ربكم وهو اختيار الكوفيين وان تعلق بجرم والمعنى
 اقل الذي حرم ربكم عليكم وهو اختيار البصريين وهذا أولى لان المقام مقام بيان ما هو محرم
 عليهم لا مقام بيان ما هو محرم مطلقا وقيل ان عليكم للاغراء ولا تعلق لها بما قبلها ان لا تشركوا
 به شيئا والمعنى عليكم ان لا تشركوا اي الزموا ذلك لقوله تعالى عليكم انفسكم وهو اضعف مما قبله
 وان مفسرة لفعل التلاوة وهذا وجه ظاهر وهو اختيار الفراء وقيل ناصبة للفعل بعد ما وفيه
 خمسة اوجه والتقدير الزموا نفي لا شرك وعدمه وهذا وان كان ذكره جماعة كما نقله ابن الأثير
 ضعيف لتفكيك التركيب عن ظاهره ولانه لا يتبادر الى الذهن وقيل للتقدير لا تشركوا وهذا

منقول عن أبي إسحاق وقيل تقديرا وصيكم ان لا تشركوا وهو ايضا مذهب أبي إسحاق وقيل أبي
الحرم ان لا تشركوا وهذا يخرج الى زيادة لئلا يفسد المعنى وقيل تقديره عليكم عدم الاشراك
وهو مذهب أبي بكر بن الأنباري وقيل استقر عليكم عدم الاشراك وهو ظاهر قول ابن الأنباري
وقال الخاس اتل عليكم فخر الاشراك وقيل المتلوان لا تشركوا به شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك
قد اخرج الترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه عن
عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا لا تشركوا بالله شيئا فان دركه الله
تعالى الى ثلاث آيات ثم قال فمن وفى بهن فاجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فادركه الله
في الدنيا كانت عقوبته ومن اخبره الى الآخرة كان امره الى الله ان شاء اخذه وان شاء عفا عنه
واخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن المنذر عن كعب الاحبار قال ول ما اتزل في التوراة عشو
آيات وهي العشر التي انزلت من اخرا الأنعام قل تعالى الى غيرها واخرج ابو الشيخ عن عبدة الله بن
عبد الله بن عدي بن اخيار قال سمع كعب رجلا يقرأ قل تعالى اخف قال كعب والذي نفس كعب
بيده انها اول آية في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالى اتل ما حرم عليكم الى اخرا آيات انتهى
قلت هي الوصايا العشر التي في التوراة اقطا انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت
العبودية لا يكون لك اله غيري ومنها اكرم اباك وامك ليطول عمرك في الارض التي يعطيك الرب
الهك لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته بنت قريبك ولا تشته امرأة
قريبك ولا عبدة ولا امته ولا ثور ولا حمار ولا شيئا مما لقريبك فلعل مراد كعب الاحبار هذا
واليهود هذه الوصايا عناية عظيمة وقد كتبها اهل الزبور في اخرو زبورهم واهل الانجيل في اول
انجيلهم وهي مكتوبة في لوحين وقد تركنا منها ما يتعلق بالسبت قال ابو السعود وهذه الاحكام
العشر لا تختلف باختلاف الامم والاعصار واحسنوا يا اولاد الذين احسانا هو البر بها وامتنال امرها
ونهيها وقد تقدم الكلام على هذا ولما كان ايجاب الاحسان خيرا للترك الاحسان ذكر في المحرمات
وكذا احكم ما بعده من الامور لا تقتلوا اولادكم كما ذكر حق الوالدين على الاولاد ذكر حق الاولاد عليها
وهو ان لا يقتلوهم من اجل املاق هو الفقير فقد كانت اجابة هلية تفعل ذلك بالذكور والاناث
خشية الاملاق وتفعل بالاناث خاصة خشية العار وحكى النقاش عن مروج ان الاملاق اجرم

بلغة نحم وذكر منذ رب سعيدين بلوطي ان الملاق لا نقاق يقال ملق ماله بمعنى انفق وقيل الاملا
الاسراف يقال ملق اي اسرف في نفسه قاله محمد بن نعيم اليزيدي الملاق الانسا دايشا
قاله شمر يقال ملق ما عنده الدهر اي افسده وقال قتادة الملاق الفاقة يقال ملق انفق ولحقا
وهو الذي اطبق عليه ائمة اللغة والتفسير فهنا قال هنا من املاق وفي الاسراء خشية املاق
قال بعضهم لان هذا في الفقر الناجز فيكون خطابا للاباء الفقراء وما في الاسراء في المتوقع فيكون
خطابا للاباء الاغنياء فلعلهم كان فقرائهم يقتلون اولادهم واغنياءهم كذلك وقيل هذا النقد
للتفنن في البلاغة والاول اولى لان افادة معنى جديد اولى من ادعاء كون الآيتين بمعنى احاد التا
نحن نرزقكم وايهاهم هذا تعليل للنهي قبله وكان ظاهر السياق ان يقدم ويقال نحن نرزقهم كما
كما في آية الاسراء لان الكلام في الاولاد ولكن قدم هنا خطابا للاباء ليكون كال دليل على ما بعده
ولا تقر بوا الفواحش اي المعاصي ومنه ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة والاولى حمل اللفظ ^{حش} الفوا
على العموم في جميع المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وضيعة ولا وجه لتخصيصه بنوع من
الفواحش وان كان السبب خاصا فالاحتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ما ظهر اي ما أعلن
به صحتها واطلع عليه الناس وما بطن ما اسر لم يطع عليه الا الله اي علانيتها وسرها قال
ابن عباس كانوا في اجاهلية لا يرون بالزنا بأسا في السر ويستعجبون به بالعلانية فحرم الله الزنا
في السر والعلانية ولا تقتلوا النفس اللام للجنس اي لا تقتلوا شيئا من الانفس التي حرم الله
قتلها الا بالحق اي لا بما يوجب الحق والاستثناء صفرغ اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا في حال
الحق ولا تقتلوها بسبب الاسباب لا بسبب الحق ومن الحق قتلها قصاصا وقتلها بسبب زنا
المحصن وقتلها بسبب الردة ونحو ذلك من الاسباب التي ورد الشرع بها وانما افرح قتل النفس بالزنا
تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبار ثم اشارة الى جميع ما تقدم مما تلاه عليهم
قاله ابو حيان وقيل الى الامور الخمسة وصاكم اي امركم به واوجبه عليكم وفيه من اللطف
والرافة وجعلهم اوصياء له تعالى ما لا يخفى من الاحسان ولما كان العقل هو مناط التكليف قال
لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا في هذه التكليف من الفوائد لنافعة في الدين والدنيا ففعلوا بها
ولا تقر بوا ماك البتة اي لا تعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالآتي اي بالحصلة التي هي احسن من غيرها

وهي ما فيه صلاحه وحفظه وتميته وتغييره وتخصيل الرجحان فيشمل كل وجه من الوجوه التي فيها
 نفع لليتيم وزيادة في ماله والاستثناء مفرغ وقيل المراد بالتي هي احسن التجارة حتى اي الى غاية هي
 ان يبلغ اليتم اشد فان بلغ ذلك فادفعوا اليه ماله هو واحد لاجمع لا من لفظه قيل هو اسم مفرغ ولفظا ومعنى قيل هو جمع
 وعلى هذا أفرد شدة كعجة او شد كفلس افسل او شد كضوا قول ثلثة في مفرغه واصله من شدتها راي
 ارفع وقال السيوطي واحدة شدة قال الجوهري هو حسن المعنى لانه يقال بلغ الكلام شدة ولكن لا يجمع فعله
 على افعل وقيل الاشد استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهي في الشباب الى حد ارجل اختلف
 اهل العلم في الاشد فقال اهل المدينة بلوغه وائناس رشه وقال عبد الرحمن بن زيد هو البلوغ
 وقيل انه انتهاء الكهولة والاولى في تحقيقه انه البلوغ الى سن التكليف مع ائناس الرشد وهو ان
 يكون في تصرفاته بما له سال كاصول العقلاء لا مسلك اهل السفه والتبذير ويدل على هذا
 قوله تعالى في سورة النساء وابتلوا النكاح حتى اذا بلغوا النكاح فان انتم منهم رشتا فادفعوا
 اليهم اموالهم فجعل بلوغ النكاح وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بائناس الرشد ولعله قد سبق لك
 كلام في هذا قال الشعبي ومالك الاشد احلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات وقال
 ابو العالية حتى يعقل ويجمع قوته وقال ابو حنيفة خمس وعشرون سنة وقال الكلبي هو ما بين ثمان
 عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى اربعين وقيل الى ستين وقال الضحاك عشرون سنة وقال
 السدي ثلثون سنة وقال مجاهد ثلث ثلاثون سنة وهذه الاقوال التي في نهاية الاشد لا ابتداء
 والمختار في تفسيره ما ذكرناه واو الكيل والميزان وهما الالة التي يكال بها ويوزن واصل الكيل
 مصدر ثم اطلق على الالة والميزان في الاصل مفعال من الوزن ثم نقل هذه الالة كالمصباح المقياس
 لما يستصحب به ويقاس بالقسط اي بالعدل في الاخذ والعطاء عند البيع والشراء وترك النقص
 تكلف نفسا الا وسعها اي طافها في كل تكليف من التكليف منه التكليف بايفاء الكيل والوزن فلا
 يحاطب المتولي لها بما لا يمكن الاحتراز عنه في الزيادة والنقصان فان اخطأ في الكيل والوزن والله
 يعلم صحة نيته فلا مواخذة عليه كما ورد في الحديث ومع ذلك يضمن ما اخطأ فيه كما في كتب الفروع
 واذا قلتم يقول في خبر او شهادة او جرح او تعديل قاعد لو آفیه وضرر والصواب لا تنقصوا
 في ذلك لغيره ولا على بعيد ولا تملوا الى صديق ولا على عدل بل سوا بين الناس فان خلاص العدل

الذي امر الله به ولو كان الضمير راجع الى ما يفيد واذا قلتم فانه لا بد للقول من مقول فيه
او مقول له اي ولو كان المقول فيه اوله عليه ذا قرأ اي صاحب قرابة لكم وقيل ان المعنى ولو
كان الحق على مثل قرابتكم ولاول اولى ومثل هذه الآية قوله ولو على انفسكم والولدين والاقربين
ويعهد الله اي بكل عهد عهد الله اليكم أو قوا ومن جملة ما عهد اليكم ما تلاه عليكم رسول الله
في هذا المقام ويجوز ان يراد به كل عهد ولو كان بين الخلق لان الله سبحانه لما امر بالوفاء به
في كثير من الآيات القرآنية كان ذلك مسوغا لضافته اليه ذلكم إشارة الى ما تقدم ذكره من الأمور
الاربعة وصلىكم اي امركم يا امراءكم لعلكم تذكرون اي تتعظون بذلك فتأخذون ما امر
به ولما كانت الخمسة المذكورة قبل قوله لعلكم تعقلون من الأمور الظاهرة الجلية مما يجب تعقلها و
تفهمها ختمت بقوله لعلكم تعقلون ولما كانت هذه الاربعة خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد
والذكر الكثير حتى يقف على موضع الاعتدال ختمت بقوله لعلكم تذكرون قاله ابو حيان واكن
بالفتح على تقدير اتل قاله الفراء والكسائي وقيل على تقدير الباء وقيل على تقدير اللام قال الخليل
وسيبويه كما في قوله سبحانه وان المساجد لله وبالكساستيننا فاخذ اي الذي ذكر في هذه الآية
من الامور والنواهي قاله مقاتل وقيل الاشارة الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات النبوة
والنبوة وبين الشريعة صراطا وفي مصحف ابن مسعود وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي بك
والصراط الطريق وهو طريق دين الاسلام مستقيما مستويا لا اعوجاج فيه وقد تشعبت منه
طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار فالتبوع امرهم
باتباع جلته وتفصيله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيل الله اي فتميل بكم عن سبيل الله المستقيم
الذي هو دين الاسلام قال ابن عطية وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية و
سائر اهل الملل واهل البدع والضلالات من اهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك
من اهل التعق في الجدل والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء الاعتقاد
قادة اعلم ان السبيل سبيل واحد جماعة الهدى ومصيرة الجنة وان ابليس يستبدع سبلا متفرقة
جماعة الضلالة ومصيها الى النار واخرج احمد وابن حميد والبخاري وابن المنذر

وابن ابي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود قال خطر رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال وهذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الآية وقال ابن عباس السبل الضلالاات وعنه هذه الآيات حكيات في جميع الكتب لم يستخفن شيئا وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب ومن عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال ابن مسعود من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات اخرجها الترمذي وحسنه ذكره ما تقدم ذكره وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ الوصية به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ما نهاكم عنه من الطرق المختلفة والسبل المضللة ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ اي التوراة وهذا الكلام مسوق لتقرير الوصية ^{التي} وصي الله بها عباده وقد استشكل العطف بقرع كون وصية موسى وآيتاء الكتاب قبل المعطوف عليه وهو ذكر وصاكم به فقبل ثم هنا بمعنى الواو من غير اعتبار مهلة وترتيب وبدل قال بعض النحويين وهذا استراحة وقيل تقديره ثم كنا قد آتينا قبلي انزلنا القرآن على محمد صلى الله عليه وآله بن التفسير وقيل المعنى قل تعالوا اتل ما فرض ربكم عليكم ثم آتينا موسى الكتاب قاله الزجاج وقيل ان الوصية المعطوف عليها قديمة لم ينزل كل نبي وصية الله وقيل ان ثم للترخي في الاخبار وقيل غير ذلك مما انصب على الحال والمصدر او على انه مفعول لاجله على الذي احسن قبوله والقيام به كائنا من كان قال الحسن مجاهد كان فيهم محسن وغير محسن قال الله الكتاب تماما على الحسنين المؤمنين وقيل المعنى اعطينا موسى التوراة زيادة على ما كان محسن موسى حاصل الله قبل نزولها عليه وقيل تماما على الذي احسن به الله عز وجل الى موسى من الرساات وغيرها وقيل تماما على احسان موسى بطاعة الله عز وجل قاله الفراء وقال ابو حنيفة تماما لما كان قد احسن اليه وقال ابن زيد تماما لنعمة عليهم واحسانه اليهم وَتَقْصِيصًا اي لاجل تفصيل أَكْثَلِ شَيْءٍ يحتاج اليه من شرائع الدين واحكامه وَهَدًى من الضلالة ورحمة منا عليهم وَضَمِيرَ لَعَلَّكُمْ راجع الى بني اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ يؤمنون قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا القوان كتاب انزلناه قد صفة الانزال لكون الاسفار متعلقاتها مبارك ككثير البركة لما هو مشتغل عليه من المنافع الدنيوية

والدينية فأتبعوه يا اهل مكة بالعمل بما فيه فانه لما كان من عند الله وكان مشتقاً على
البركة كان اتباعه مستحقاً عليكم واتقوا مخالفته والتكذيب بما فيه لعلمكم ان قبلتموه ولم تخالفوه
ترحمون برحمة الله سبحانه ان تقولوا قال الكوفيون انزلناه لثلاث قولوا وقال البصريون كراهتم
ان تقولوا وقال الفراء والكسائي واتقوا ان تقولوا يا اهل مكة انما انزل الكتاب اي التوراة والانجيل
على طائفتين من قبلنا هم اليهود والنصارى ولم ينزل علينا كتاب وتخصيص الانزال بكتبايها
لانها اللذان اشتهرا من بين الكتب السماوية بلاشغال على الاحكام وفيه دليل على ان المجوس
ليسوا باهل كتاب اذ لو كانوا منهم لكانوا ثلاث طوائف قاله ابن الكمال وان محففة واسمها محففة
اي انا كنا نحن وراسيتهم اي تلاوة كتبهم بلغاتهم لغا فلين اي لاندري ما فيها ومرادهم
انباستزول الكتابين مع الاعتذار عن اتباع ما فيها بعدم الدراية منهم والغفلة عن معناها
او تقولوا انا انزل علينا الكتاب كما انزل على الطائفتين من قبلنا لكانا اهدى منهم
والحق الذي طلبه الله اولى ما فيه من الاحكام التي هي المقصد لا تصفى ان هذه المقالة من كبار
العرب والمعدرة منهم منذ فجرة يارسال محمد صلعم اليهم وانزال لقوان عليه وطذا قال فقفا
جاءكم بينة من ربكم اي كتاب بلسان عربي مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين وانزل
الله على نبيكم وهو منكم يا معشر العرب فلا تعذر وابالاعذار الباطلة ولا تعلموا انفسكم
بالعلل الساقطة فقد اسفر الصبر لذي عينين وهدي ورحمة اي جاءكم البينة الواضحة
والهدى الذي يهدي به كل من له رغبة في الاهتداء ورحمة من الله يدخل فيها كل
من يطلبها ويريد حصولها ولكنكم ظلمتم انفسكم بالتكذيب بايات الله والصدوق
الانصراف عنها وصرف من اراد الاقبال اليها فمن الاستغفار لانكاراي لا احد اظلم
من كذب بايات الله التي هي رحمة وهدى للناس وصدقت اي صرف الناس عنها فضل
بانصرافه عنها واضل بصرف غيره عن الاقبال اليها وصدف لازم وقد يستعمل متعددا كما
هنا في القاموس صدفت عنه يصدف اعرض وصدف فلانا صرفنا كذا ما لا عند
سبحي الذين يصدفون ينصرفون عن اياتنا سوء العذاب اي العذاب السيئ من اضافة
الصفة الى الموصوف مما كانوا يصدفون اي بسبب اعراضهم وصدفهم وتكذيبهم بايات الله

ومعنى يصدفون يعرضون قاله ابن عباس وهو مقارب لمعنى الصرف وقد تقدم تحقيق معنى
 هذا اللفظ وفي هذه الآية تبيكت ظم عظيم هَلْ يَنْظُرُونَ اي لما اقنا عليهم الحجة واتزلنا الكنا
 على رسولنا المرسل اليهم فلم ينفعهم ذلك ولم يرجعوا به عن غوايتهم فابقي بعد هذا الانهم
 ينتظرون ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وعند ذلك لا ينفع نفسا ايمانا لم تكن امننت
 من قبل وان تأتيهم الملائكة بالعذاب او ياتي ربك يا محمد كما اقترحوه بقولهم لا انزل علينا
 الملائكة وانزى ربنا و قيل معناه ياتي امر ربك باهلاكهم وقد جاء في القرآن حذف المضمة
 كثيرا كقوله واسئل القرية وقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل وقيل اتيان الله بحجته
 يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كقوله وجاء ربك والملك صفا صفا قاله ابن مسعود
 وقادة ومقاتل وقال ياتي في ظلل من الغمام وقيل كيفية الايمان من المتشابه الذي لا يعلم
 تاويله الا الله فيجب ما رواها بلا تكليف ولا تعطيل او ياتي بعض آيات ربك الدالة على الساعة
 قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل عليه ما اخرج احمد وعبد بن حميد
 في مسنده والترمذي وابو يعلى ابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري
 عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها قال الترمذي غريب
 موقوفا فاذا ثبت رفع هذه التفسير النبوي من وجه صحيح فادح فيه فهو واجب التقديم له متحملا لاختلاف
 به وبؤيد لما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى
 تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا
 ايمانا ثم قرأ الآية واخرج مسلم وابوداود والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابي ذر مرفوعا نحوه
 واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا نحوه ايضا يوم ياتي بعض آيات ربك
 التي اقترحوها وهي التي تضطربهم الى الايمان او ما هو اعم من ذلك فيدخل فيه ما ينتظر ونه
 وقيل الايات هي علامات القيامة المذكورة في الاحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي التي
 اذا جاءت لا ينفع نفسا ايمانا والكبرى منها عشرة وهي الدجال والدابة وخسف بالشرق و
 خسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها واجوج وماجوج
 وتزول عيسى ونازح من عدن لتسوق الناس الى المحشر والحق مستوفى في كتابنا بحجج الكرامة في انار يوم القيامة

لم تكن أمنت من قبل أي قبل آيات بعض الآيات فالما التي قد كانت أمنت من قبل حجج بعضها
 فإيمانها ينفعها أو كسبت في إيمانها خيرا أي لا ينفع نفسها إيمانها عند حضور الآيات متصفة
 بانها لم تكن أمنت من قبل أو أمنت قبل ولكن لم تكسب في إيمانها خيرا فحصل من هذا أنه لا ينفع
 إلا الجمع بين الإيمان من قبل حجج بعض الآيات مع كسب الخير في الإيمان فمن آمن من قبل فقط
 يكسب خيرا في إيمانه أو كسب خيرا ولم يؤمن فإن ذلك غير نافعه قال السدي يقول كسبت
 في تصديقها عملا صالحا فهو لا مائل القبلة وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد
 أن رأت الآية لم يقبل منها وإن عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها وقال مقاتل
 يعني المسلم الذي لم يعمل في إيمانه خيرا وكان قبل الآية مقيما على الكبرياء قال امرؤ الله سبحانه أن
 يقول لهم أنتظروا ما تريدون آياته وما وعدتم به من حجج الآيات وهذا امرؤ قديد على حد
 أعمالهم أشتمهم وذلك أنهم لا ينتظرون ما ذكرنا كراههم للبعث وما بعده إنكم منتظرون وهو
 يقوي ما قيل في تفسير يوم يأتي بعض آيات ربك أنها الآيات التي اقترحوها من آيات الملائكة
 أو آيات العذاب ثم قبل كما تقدم بيانه قال بعض المفسرين وهذا إنما ينتظره من تأخر في الوجوه
 من المشركين المكذابين محمد صلعم الخ ذلك الوقت والمراد بهذا أن المشركين إنما يهلون قدرته
 الدنيا فإذا ماتوا وظهرت الآيات لم ينفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا وقيل المراد
 بهذه الآية الكف عن القتال فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الأول تكون حكمة
 إن الذين قوتوا أي تركوا دينهم وخرجوا عنه باختلافهم فيه والمعنى أنهم جعلوا دينهم متفرقا
 فآخذوا ببعضه وتركوا بعضه قيل المراد بهم اليهود قاله مجاهد وقيل اليهود والنصارى وقال
 ابن عباس وقادة والسدي الضحاك وقد ورد في معنى هذا في اليهود قوله تعالى وما تفرق
 الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وقيل المراد بهم المشركون عبد بعضهم الأصنام
 وبعضهم الملائكة وبعضهم الكواكب فكان هذا هو تفرق دينهم وقال أبو هريرة وهم أهل الضلالة
 من هذه الأمة وقيل الآية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله وهذا
 هو الصواب لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم
 من ابتدع من أهل الإسلام وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه والحكيم الترمذي في التفسير

في الانقلاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة
 وسبب أسناده عبد بن كثير وهو متردك الحديث ولم يرفعه غيره ومن حداه وقفوه
 على أبي هريرة وعن أبي أمامة قال هم أحرورية وروى عنه مرفوعاً ولا يصح رفعه وعن
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب اليمين
 وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ليست لهم توبة وهم مني براء رواه الطبراني
 والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم قال ابن كثير هو غريب لا يصح رفعه فعلى هذا يكون المراد من هذه
 الآية الكثر على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وأن لا يفرقوا في الدين ولا يتبدعوا للبدع المضلة
 وروى أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأن من قبلكم من أهل
 الكتاب فترقوا على اثنين وسبعين ملة وأن هذه الأمة ستفرق على ثلث وسبعين شئاً و
 سبعون في النار واحدة في الجنة وهي الجماعة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله
 أن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفرق امتي على ثلث وسبعين ملة كلها في
 النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي
 وكانوا شيعاً أي فرقاً وأخباراً فيصدق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحداً مجتمعاً فتراتب كل
 جماعة منهم رأي كبير من كبارهم يخالف الصواب ويأين الحق لست ففهم أي من تفرقهم أو من
السؤال عن سبب تفرقهم والبحث عن موجب تفرقهم في شيء من الأشياء فلا يلزمك من ذلك
 ولا تخاطب به إنما عليك البلاغ وهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا أي نحن براء منه وقال
 الفراء لست من عقابهم في شيء وإنما عليك الأنداد وقيل لست في قتال الكفار وعلى هذا تكون
 الآية منسوخة بآية القتال ولاولاً أولاً أمراًهم يعني في الجزاء والمكافأة إلى الله فيه تسليته
 صلى الله عليه وسلم أي هو مجاز لهم بما تقتضيه مشيئته وأحصر بانما هو في حكم التعليل لما قبله والتأكيد له فهم
بينهم يوم القيامة ويخبرهم بما ينزل بهم من الجزاء بما كانوا يفعلون من الأعمال التي تخالف ما
 شرعه الله لهم وأوجبه عليهم ولما توقع سبحانه الخافين له بما توقع بين عقوبتك مقدار
 جزاء العاملين بما أمرهم به المتمثلين لما شرعه لهم بأن من جاء بالحسنة الواحدة من الحسنات
 عن ابن مسعود أي قال لا اله إلا الله وعن ابن عباس وأبي هريرة مثله وعن سعيد بن جابر قال

لما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين يا رسول الله لا اله الا الله حسنة قال نعم افضل
الحسنات اخبره عبد بن حميد وهذا مرسل لا ندرى كيف اسناده الى سعيد فلكه من اجزاء
يوم القيامة عشر حسنات أمثالها فاقمت الصفة مقام الموصوف وقد ثبت هذا التضعيف في
السنة باحاديث كثيرة وهذا هو اقل ما يستحقه عامل الحسنة وقد وردت الزيادة على هذا
عموما وخصوصا ففي القرآن كمثل حبة انبت سبع سنابل الآية وورد في بعض الحسنات ان فاعلا
يجازى عليها بغير حساب وورد في السنة المطهرة تضعيف اجزاء الى سبعين وإلى سبعمائة وإلى ألف
مؤلفة وفضل الله واسع وعطاءه جود قد قد منا تحقيق هذا في موضعين من هذا التفسير فليرجع
اليهما ومن جاء بالسّيئة اي بالأعمال السيئة فلا يجزيه الأمثالها من دون زيادة عليها اي على قدرها
في الخفة والعظم ان جوزي فالمشرك يجازى على سيئة الشرك بخلوده في النار وفاعل المعصية
من المسلمين يجازى عليها بمثلها كما وردت بقدره من العقوبات كما ورد بذلك كثير من الاحاديث
المصرحة بان من عمل كذا افعليه كذا وما لم يرد لعقوبته تقدير من الذنوب فليتنا ان تقول يجازيه
الله بمثله وان لم تقف على حقيقة ما يجازى به وهذا ان لم يتب اما اذا تاب وغلبت حسناته سيئاته
او تغداه الله برحمته وتفضل عليه بمغفرته فلا تجازاة وادلة الكتاب والسنة مصححة بهذا
تصحيحا لا يبقى بعده ريب لموتاب وهم اي الحسنون والمسيئون لا يظنون بنقص المشروبات
ولا بزيادة العقوبات والاولى في هذه الآية ان اللفظ عام في كل حسنة يعاها العبدان
سيئة واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله وجزاء السيئة بمثلها حدل منه سبحانه
قل لما بين سبحانه ان الكفار تفرقوا فرقا وقهر بواحرابا امر رسوله صلعم ان يقول لهم اني
هذي نبي ربي اي شدي بها وجاه الي الصراط مستقيم هو ملة ابراهيم عليه السلام ديننا قيما
بكسر القاف والتخفيف وقهر الياء ويقهر القاف وكسر الياء للشدة وهما لغتان ومعناه الدين المستقيم
الذي لا عوج فيه ملة ابراهيم حنيفا ما ثلا الى الحق وفي القاموس كحنيف كامي الصريح الميل
الى الاسلام النابت عليه وكل من حج او كان على دين ابراهيم تخفف عمل على الحنفية او اختلق او
اعتزل عبادة الاصنام واليه مال انتهى وقد تقدم تحقيقه وما كان من المشركين جملة معترضة
مقدمة لما قبلها وفيه رد على كفار قریش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر سبحانه انه

لم يكن ممن يعبد الأصنام قل إن صلاتي قبل القول الأول أشارة إلى أصول الدين وهذا إلى فروعها
 وإليه نحا أبو السغود وغيره وهذا غير ظاهر لأن كون الصلوة وما بعدها من قبيل الأصول لا الفرق
 كما لا يخفى والمراد بالصلوة جنسها فيدخل فيه جميع أنواعها وقيل صلوة الليل وقيل صلوة العبد
 قيل الصلوة المفروضة والأول أولى وسكني النسك جمع نسكة وهي الذبيحة كما قال عجمي والضم
 وسعيد بن جبير وغيرهما في صحيحهم في الحج والعمرة وقال الحسن ديني وقال قتادة ضيق وقال
 الزجاج عبادي من قولهم نسك فلان فهو نسك إذا تعبد وبه قال جماعة من أهل العلم ونقل
 الواحدي عن ابن الأعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكة وقيل للتعبد نسك
 لأنه صفة نفسه كالسبيكة انتهى ولا يخلو هذا عن تكلف وبعد وحجائي ومخاطبي أي ما علمني
 هاتين الحالتين من أعمال الخير ومنها في الممات الوضعية بالصدقات وأنواع القربات وقيل نفس الحياة
 ونفس الموت لله رب العالمين أي خالصة أو مخلوقة له لا شريك له في العبادة والخلق والفضاء
 والقدر وسائر أفعاله لا يشترك فيها أحد من خلقه وبذلك أي بما أفاده قوله من الإخلاص في
 الطاعة وجعلها لله وحده أو من التوحيد أمرت وأنا أول المسلمين أي المنقادين من هذه
 الأمانة قاله قتادة وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عمران بن حصين قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وآله قومي فاشهدني أضحيتك فإنه يغفر لك بأول قطرة تقطر من دمها كل ذنب
 علمته وقولي إن صلاتي إلى وأنا أول المسلمين قلت يا رسول الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة
 فاهل ذلك انتم للمسلمين عامة قال لا بل للمسلمين عامة قل أخبر الله الاستغفار للأنبياء
 وهو جواب على المشركين لما دعوهم إلى عبادة غيره سبحانه أي كيف أنفوني غير الله رباً مستقلاً
 وأترك عبادة الله أو شريكه فاعبداهما معاً وهو أي وإحال أنه رب كل شيء والذي تدعوني
 إلى عبادة فهو من جملة من هو مربوب له مخلوق مثلي لا يقدر على نفع ولا ضرر فكيف يكون المملوك
 شريكاً لما لا له وفي هذا الكلام من التوقيف والتبيين نظم ما لا يقاد رقدرة ولا تكسب كل نفس الأكلها
 أي لا تؤخذ بما أنت من الذنب وأرتكبت المعصية سواء فكل نفس كسبها للشر عليها لا يتعداها إلى غير
 وهو مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله لتجرى كل نفس بما تسعى ولا تزر وئيل
 نفس وزرقة حاملة وزر حل أخرى ولا تؤخذ نفس اثمة بآثم أخرى وأصل الوزر الثقل ومنه قوله

تعالى ووضعنا عنك وزرك وهو هنا الذنب قال ابن عباس لا يؤخذ أحد بذنوب غيره وهم
يحملون أوزارهم على ظهورهم وفيه رد لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخاة القريب بذنوب
قريبه والواحد من القبيلة بذنوب الآخر وقد قيل إن المراد بهذه الآية في الآخرة وكذلك التي
قيلها لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ومثله قول زينب بنت جحش
يا رسول الله اهلك وفيها الصالحون قال نعم إذا كثرا خبت والاولى حمل الآية على ظاهرها أعني
العموم وما ورد من المؤاخاة بذنوب الغير كالدية التي تقبلها العاقلة ونحو ذلك فيكون في
حكم المخصص لهذا العموم ويقر في موضعه ولا يعارض هذه الآية قوله تعالى وليلعلن ثقلهم
واثقالا مع اثقالهم فإن المراد بالاثقال التي مع اثقالهم هي اثقال تضلّوهم كما في الآية الآخرة
ليجلبوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
يوم القيامة فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ في الدنيا من الأديان والملل وعند ذلك يظهر
حق المحققين وباطل المبطلين وهو الذي جعلكم خلائف الأَرْض جمع خليفة أي جعلكم
خلفاء الأمم الماضية والقرن السابقة والمراد أنه يخلفه بعضهم بعضا وإن هذا النوع
الإنساني خلفاء الله في أرضه قال السدي اهلك القرون الأولى فاستخلفنا فيها بعدهم
والإضافة على معنى في وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ في الخلق والرزق والقوة والضعف
والعلم والعقل والجمل والحسن والقبح والغناء والفقر والشر والوضع وهذا التفاوت
بين الخلق في الدرجات ليس لأجل العجز أو الجمل أو البخل فإن الله سبحانه منزّه عن صفات النقص
وإنما هو ليبيّن لكم قيمًا أنتم أي تختبركم في تلك الأمور وبما ملكم معاملة المبطلين والمختبر وهو
أعلم بأحوال عبادة منهم أو يبيّن بعضكم بعض كقوله تعالى وجعلنا بعضهم لبعض فتنة
تخوفهم فقال إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ لأعدائه بأهل أكرم في الدنيا وإنما وصف
العقاب بالسرعة وإن كان في الآخرة لأن كل أت قريب كما قال وما أمر الساعة إلا كل

البصرا وهو أقرب ثم رغب من يستحق الترغيب من المسلمين فقال وَإِنَّهُ

عَظِيمٌ
لِّغَفْوِ رَحِيمٍ أَي كَثِيرِ الْغَفْرِ لَأَوْلِيائِهِ وَالرَّحْمَةِ

يَجْمَعُ خَلْقَهُ ط ط

خاتمة

مكتبة

احمد ملفوظ به امام كل كلام واسعد ما يفتخر به كل مأموم وامام محمدا به سبحانه وتعالى
 بما احده به في كتابه العزيز وتذيله الذهب الابرين من جواهر زواجر صيغة المحلاة باسمه اد
 لا يشارك احد في حدة ولا رسمه رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعباده
 هل تعلم له سميا وانما هي محامد لذاته الواجب الوجود الموجدة لكل موجود ايجادا سويا
 واحسن ما تلى به حمدا النامي ووصفه السامي التصلية والتسليم على افضل رسله وخاتم
 انبيائه المستل من سلاله حدان المفضل بالقران والبيان وعلى اوصيائه والى ^{العرفاء} الايمان
وبعد فقد تم طبع هذا الجزء الاول من تفسير **فتح البيان في مقاصد القران**
 المسفر عن انوار التنزيل المضي بأضواء التاويل الذي لم تنزل نعام القلوب اليه زفافة
 ورياح الامال حوله هفافة وعيون الفحول اليه وامق وافواهم بتمنيه نواطق لما اودع
 فيه من كنوز الرواية ورموز الدلالة باسلوب رائق ومسلك فائق يخبر من لفصاحتها
 سخان ويخرج لبلاغته قس في زوايا النسيان ولعمري ان اسمه طابق سمائه ورسمه وافق
 معناه كما يعرف ذلك الناقد البصير ولا يثبتك مثل خبير بدار الرياسة العلية وببيت
 الطباعة الهيمية ببلدة **بهبو بال** المحمية المتخيلة بنسبتها للدائرة السنية صاحب الدولة
 السعيدة ذات المكارم المشهودة الحميدة غرة جبهة الدهر وقرحة حين العصور حضرة
نواب شاهجهان بيگم والية المملكة الباهرة ومصرها القاهرة لازالت
 بالشيم الزاهرة الفاخرة وكيف وبمثل طبع هذا الكتاب تلبس بهو بال ثوب تيهها واعجابها
 وتخر ذيل خيلائها واغرابها وكان ذلك خدمة محامي ثغورها الاسلامية ومامي
 بدعها السامية النامية احمد المفاخر محمد الماثر رب السيف والقلم ذي الراي والرؤية
 والعلم والعلم عزيز مصر بهو بال وحيد عصر الدولة والاقبال تاج العترة المحلل وطراز
 خدر رفيع الاول من شاع فضله وذاع وتوفرت لشري تاليفه المفيدة الاسماع بقية
 اهل القران والحديث مستمد الفتح من حضرة الباري المغيث ذو المجد والعلو والتفاخر

الحمد لله الذي نصيب للعلماء العاملين اعلاماً
 ورفع قدرهم فهم اعز الخلق مقاماً جعلهم حفظه شرعه القويم وهذه
 صراط المستقيم + احلهم منزلة انبياء بني اسرائيل + وايدهم بالحق فاقولم
 زهقت الا باطيل + وانزل على رسوله الذي هو اكرم من الحق وسبق + اقرأ باسم
 ربك الذي خلق + وشرف قدره بشهادة قرآن غير ذي عوج + واذل عن
 امته المرحومة عنت الاصر والحجج + فصلل الله عليه وعلى اله واصحابه ما تلى نال
 القرآن ورثل + وغرف من بحر معانيه مفسراً فاول + وتبعث فان اعظم
 العلوم عند الله قدرها واعزها منزلة واوفاهما اجرا علم التفسير لكتاب
 الله القدير + اذ به مناط عبادة المكلفين وصحة اصولهم وفروعهم عند
 المحققين ومن اعظم ما اصنف فيه وتنافس به هذا الزمان كتاب التفسير
 المسمى **بفتح البيان في مقاصد القرآن** لوحي هذا الدهر
 وفريد هذا الاوان فيآله من كتاب تتصاغر عنده فصاحة سبحان وتفوح
 من عبير رياه حكمة لقمان تصدر من بحر معناه ونهر مبعاه جهاذة النقد
 ويجز عن الاتيان بمثله اهل احل والعقد الفاظه مهذبة ومعانيه
 مستعذبة فيآله من مؤلف جامع وما اجله من سفر مانع فاكروبه
 من كرم يانع تقطف منه المعاني الدقيقة وتقتنص منه البليان
 الزخيرة كيف لا وهو تاليف ذي الامارة العليا والعلم والعمل وقطب
 دائرة السادة الاول تجيد القول في التفسير ومحكم الصياغة الاخذ
 بجامع الفصاحة والبلاغة سلاسة سيد المرسلين وتاج هامة كافة
 المفسرين ولسان رجال الرواية والمحدثين وميزان اعتدال الافاضل
 والمحققين ومحط رجال اولي الفضل واليقين من ذلت له الرتبة العالية
 ليرقاها وافخرت به الامارة الغالية **لما علاها** انتته الاخلافة
 منقادة + اليه تجر اذ يالها + فارتك تصليح الاله + ولحيك يصليح الاله +

وتفاخرت به بهويال على غيرها من الاقائيم الدانية والقاصية

فلا زالت به مأهولة معمورة عالية المخاطب بنواب والا

جاء امير الملك سيد محمد صديق حسن

خان بهادر ادام الله عليه حلل السعادة و

السيادة والتناصرة واعز الله به العلم وابتد

واعلى كلمته وقوى شوكته وابتد

مجرمة سيد المرسلين واخر دعوانا ان

الحمد لله رب العالمين الداعي

على الدوام يوسف بن اسعد

المفتي الامام بالمسجد الاقص

والمدرس به انتهى كلامه

سلمه الله تعالى

والحمد لله

والخلا

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان ما لابد من التنبيه عليه من الخطأ الواقع في الجزء الأول من تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن من جهة النسخ والتصحيح واصلاح حجر الطبع وقد ثبت هنا من تصويب الخطأ وتصحيح الغلط ما أمكن في بادى النظر ولعل الباقي منه يكون قليلا ان شاء الله تعالى

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٩	اخلافا	خلافاً	٥١	٢٠	او هذا	او بهذا
٤	١٢	الكرام	الكرامو	٥٢	٢	منها	الأمها
٤	٢٣	مراد	مرادة	٥٢	٢	الحيلة	السيوطي
٨	٥	من	٢	٥٢	٢٠	ويه	يه
١٠	٣	تراحم	تراحم	٥٢	١٤	خزنة	حزنة
١٠	١٤	البرد	المبرد	٥٥	٢	جمع	رزقاً للجمع
١٣	٢	ترتل	ترتل	٥٤	٢	الحجارة	الخارجة
١٥	١١	تفسير	اول تفسير	٥٤	١٤	كذلك	لذلك
٢١	١٦	بالا	بالا	٥٩	٢	شبيهة	شبيهة
٢٦	١٨	التميز	المميز	٥٩	٢٢	لا تقطاع	لا تقطاع
٢٥	١٣	ينحصر	تقصر	٦٢	٢	لصحيح	بصحيح
٣٣	١٦	والياء والنون	والنون	٦٢	٢	لا يقرن	لا يقرون
٣٣	١٤	مكسورة	مكثورة	٦٢	٥	شيئاً	شيء
٣٢	١	سورة	سورة	٦٥	١٦	لتنفعوا	لتنفعوا
٣٢	٢	اقول	واقول	٦٦	٣	يراد	تراد
٣٨	٤	موجودا	ماخوذاً	٦٦	٢	واقع	واقعة
٢٠		العبادة	عبادة	٦٦	٥	بل	بل كل
٢٩	٢	ليستحق	يستحق	٦٤	١٢	ايضاً	الضياء

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٨٩	٢٠	سباق	سياق	٤٠	١٥	فيكون	فيكون المعنى
٩٠	١٨	اد واج	اوداج	٤٠	٢٣	قتال	x
٩١	٨	الاختيار	الاختبار	٤١	٢٠	صبغة	صنعة
٩٣	٩	اد	او	٤٢	٢١	خلقها	خلق لها
٩٥	١٠	لوقوعها	ووقوعها	٤٢	٢٣	سبحانك	سبحانه
٩٥	١٠	عد لهم	عداهم	٤٣	١٨	السور	السورة
٩٥	١٣	دعوي	فهي دعوى	٤٢	٢٠	افادة	افادت
٩٩	٢	المحلي	السيوطي	٤٥	٩	رجان	برجحان
٩٩	٥	التيه	التيه	٤٥	١١	رزق ولمع ليل	رزقا واشعاع
٩٩	٦	استسقى	استمقى	٤٦	١٥	جدة	جدة
٩٩	٤	التيه	التيه	٤٦	١٨	للمؤمنين	x
١٠٥	١١	تداركهم	تداركهم	٨٠	٣	بجماعة	بجماعة
١٠٦	٢	التكليف	التكلف	٨٠	١٣	لا تغطوا	لا تغطوا
١٠٦	٤	فلم ينفعوا	فلم ينفعوا	٨٠	٢٢	عنا	عناد
١٠٦	٩	البشرية	البشر	٨٢	٢	عليه	عنه
١٠٦	١٨	اختلف	واختلف	٨٢	٢	يقينا	يقينيا
١٠٦	١٨	الامة	الامة وقيل القر	٨٢	١٣	لاوقات	الاوقات
١١١	٢١	الييس	الييس	٨٣	١	كامل	كامل
١١٤	١٠	من	ومن	٨٣	١٦	الظاهر	الظاهر
١١٤	١١	الخاود	الخاود	٨٣	١٤	صلم	صلواته
١١٨	١٥	منفرد	منفرد	٨٣	١٩	كان	x
١٢٠	١٨	انقذه	انقذه	٨٤	٢٣	المصاعب	المصائب

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
١٢٠	٢١	فوخهم	فوخهم	١٥٣	١٣	تفهيمه	تفهيمه
١٢٠	٢٣	قدّمهم	قدّمهم	١٥٣	٢	بكوفي	بكوني
١٢١	٢٠	بعدهم	بعدهم	١٥٣	٢	بياطل	بيابل
١٢٣	٤	يقول	يقول	١٥٥	١	ذكر	ذكر وفيه
١٢٥	١٩	كانه	كانها	١٥٥	٩	بهديه	بهديه
١٢٤	١٧	كافر	كافرا	١٥٦	١٨	سياقه	سياقه
١٢٤	١٩	تفسرها	تفسيرها	١٦٢	١٨	فاحتاج	فاحتاج
١٢٩	٢٢	عليه	عليها	١٦٦	٢٣	لا قواهم	لا قوالهم
١٣٢	٦	يا امر	يا امر	١٦٨	١	وفيه	وفيه
١٣٢	١٣	استاك	استاك	١٦٨	١٠	يريد	يراد
١٣٣	٢٠	المبدل	المبدل	١٤٠	٢٢	نشهدون	نشهدون
١٣٤	٢٠	لتنزيل	لتنزيل	١٤١	١٩	الحنة	الحنة
١٣٩	١٥	بامر	بامر	١٤٢	١٠	ليعلم	ليعلم الله
١٣٩	٢١	وسوى	سواء	١٤٤	٢٠	كونه	كون
١٣١	٢	تشبهها	تشبهها	١٤٨	٨	الله	الله به
١٣٦	٢	قصائمه	قصائمه	١٤٩	٦	الاسفار	الاسفار
١٣٦	٢٢	لان لفظ	لان لفظ	١٤٩	١٣	لبطل	لبطل
١٣٨	١	الرجل	الرجل	١٥٤	٩	حدث	حدث
١٣٨	٢٣	ابداع	ابدع	١٥٦	٢٣	لظاهر	لظاهر
١٣٨	١٣	بخران	بخران	١٥١	١٨	نقطيع	نقطيع
١٥١	٢٢	فيهم	فيهم	١٥٢	٢	اخلف	اخلف
١٥٣	١٣	اقول	اقول	١٥٢	٢٣	النية	النية

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
١٩٣	٣	الأرض	الأرض جميعاً	٢٢٥	٢	نبيات ربات يحيي برات	x
١٩٣	٢	لاقتفوا	لا تقتفوا	٢٢٥	٢٣	مالت	خالب
١٩٣	١٤	للتجاوز	التجاوز	٢٢٦	٥	الحق	الجنة
١٩٢	٤	يجهلهم	بجهلهم	٢٥٠	٨	تتفقوا	تفعلوا
٢٠٠	١٥	صحى	صحى	٢٥٣	١٢	التلازم	للتلازم
٢٠٢	٢	ولم	ولو	٢٥٢	١٩	اضرار	افراز
٢٠٢	١٢	لجامع	لجامع	٢٥٥	٩	الوحد	الوحد
٢٠٢	١٩	جاذين	جاذين	٢٥٥	١٣	العداوت	العداوة
٢٠٢	١٩	صدقوه	صدقوا	٢٥٤	١٢	حبان	حيان
٢٠٢	٢٠	فكانت	فكان	٢٥٨	٨	بالتزوج	بالتزويج
٢٢١	١١	مواقيت	مواقيت	٢٥٨	١٢	فاضت	حاضت
٢٢١	١٢	يقصد	يقصده	٢٥٨	٢١	السليمانى	السليمانى
٢٢٢	١٨	حرمه	حرمته	٢٦٠	١٢	العتبة	العتبية
٢٢٢	٢٠	سلم	سلم المشرقي	٢٦٠	١٣	جواز	جواز
٢٢٤	٢٢	فسر	فريضة	٢٦٠	٢٣	امراة	امرائه
٢٢٨	٨	والنقصير	والنقصير	٢٦١	٢	رجلي	رجلي
٢٢٨	١٠	بالعدو	بالعدو	٢٦٢	١٠	خلف	حلف
٢٣٠	١٣	التروية	التروية يوم التروية	٢٦٥	٢٢	ينقضي	تنقضي
٢٣١	١٣	الحجفة	الحجفة	٢٤٠	٢	بما	اي بما
٢٣١	١٨	م	في	٢٤٠	٢١	اتياء	ايتاء
٢٣٣	١٩	التنايز	في التنايز	٢٤١	٢٣	الترمذي	الترمذي وحسن
٢٣٥	٥	العالية	العالية	٢٤٣	١٣	الرمضاء	الرمضاء

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٤٥	٦	لا حيا	لا عبا	٣٢٠	٢	با في	با في
٢٤٥	٢٠	ولما	واما	٣٢٦	٥	تنفع	تنفع كالا ينفع
٢٤٥	٢١	للزوجين	للمزوجين	٣٢٦	٢٠	تنتهم	تنتهم
٢٤٤	١٩	تقرط	يفرط	٣٢٦	٢٣	تعطيها	تعطيها
٢٤٤	٢٠	فترة	فترة	٣٢٨	٢	تمينه	تمينه
٢٨٠	١	اخرهن	اخرهن	٣٢٨	٥	قوله	قوله الاق
٢٨٢	٢٢	مخاطبها	مخاطبا	٣٢٨	٥	اول	الاول
٢٨٥	٣	الا	الان	٣٢٨	١٥	الزويعة	الزويعة
٢٨٨	٢٠	ليها	اليها	٣٢٨	١٨	المهد	المهدوي
٢٨٩	٢	الحوص	الحوص	٣٣٠	٦	يحار	يخار
٢٨٩	١٢	تمسكت	تمسك	٣٣٠	١٠	اعمض	اغمض
٢٨٩	٢٣	بشيء	شيء	٣٣٢	٢	المدين	المدين
٢٩٣	٢١	تركهم	تركهم	٣٣٨	١٤	انفسكم	وانفسكم
٢٩٨	١٣	ما كانوا	كانوا	٣٥٠	٦	عبادة	عبادة
٣٠٠	٢	الالواح	من الالواح	٣٥٤	١٩	الظهور	الظهور
٣٠٠	٥	اخذوا	اخذوا	٣٥٨	١٣	يتكر	يتكر
٣٠١	٢٣	كانتفضل	كانتفضل	٣٦٠	٢	فكان قول يصلي	x
٣٠٣	١١	لقتاهم	لقتاهم	٣٦٠	٣	اكت	اكت
٣٠٣	٢٠	عمر	على	٣٦٢	٥	نفسها	في نفسها
٣١١	١٢	والادلة	بالادلة	٣٦٤	١٩	للمسلمين	x
٣١٤	٢٣	الاول	الاول والاول الثاني	٣٦٠	٢	الحمل	المحمل
٣١٨	١٤	التسنن	التأسن	٣٦١	٨	العلامة	العلانية

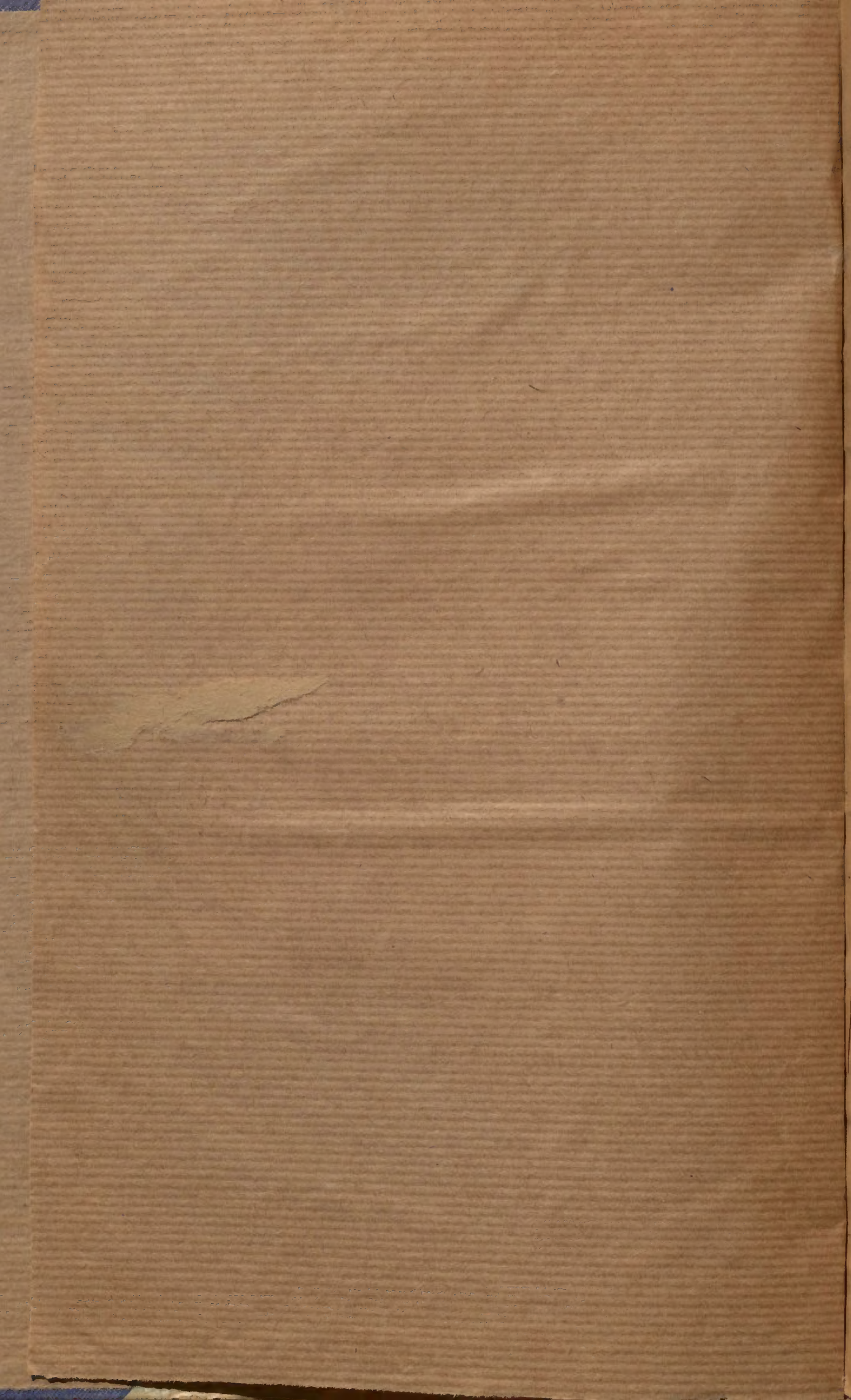
صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٤١	١٠	الحريي	الحريي	٢٦١	١٠	النهزمين	المنهزمين
٣٤١	١٦	الليل	الليل الى	٢٦٥	١٤	وفضة	وقصة
٣٤٢	٢٣	اولياءه	اولياؤه	٢٦٦	٢٠	وقتل	والقتل
٣٤٦	٩	وعيرهم	وغيرهم	٢٦٤	٢٠	رغبة	رغبة
٣٨٢	٢	نوح	ونوح	٢٤٩	٢٢	لعرده	لعروء
٣٨٢	٢١	اوفي	وفي	٢٨١	٨	خير	لكل خير
٣٨٤	٤	للسيد	السيد	٢٨١	١٣	عينكم	اعينكم
٣٨٤	١٣	لمبالغة	لمخالفة	٢٨٣	١٢	كان	كان
٢٩٣	٥	الاستبعاد	الاستبعاد	٢٨٦	١١	ان	بان
٢٩٥	٣	لتوم	توهم	٢٨٤	١٢	نصح	تصح
٢٩٥	١٠	البشر	البشر	٢٩٣	٤	فالدماء	والدماء
٢٩٩	٢٠	مغلوبين	مغلوبين	٢٩٣	١١	رحمة	رحمته
٢٠٢	١٣	كك	x	٢٩٢	١٢	علمهم	علمهم
٢٠٤	١	لام	سلام	٢٩٤	٢	عن	عن
٢٠٨	١	قدرة	قدر	٢٩٨	٢٢	لتصرخ	التصرخ
٢٢٢	٢٠	فاخبرنا	اخبرنا	٢٩٩	١٩	يقال	تقول
٢٢٢	١٣	عنه	عنه	٥٠٨	٨	وحاطكم	x
٢٢٥	٢٢	مسا	مثالا	٥٠٩	٢٣	المباداة	المبادرة
٢٢٦	٦	والكيد	والكيد	٥١٠	١	مباذرين	مباذرين
٢٢٦	٢١	تبغى	نبغى	٥٢١	١٤	واذا	اذا
٢٢٩	٢	الاعراض	الاعراض	٥٢٣	٢٠	علوه	علوها
٢٥٢	١٩	بنحس	ينحس	٥٣٢	١١	تحريم	تحرم

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٥٣٥	١١	بليتوكم	بيوتكم	٦٠٤	٢	طاعة	طاعة
٥٣٨	١١	بملك	وصلك	٦٠٨	٢٠	ولم	لم
٥٣١	٢	وواضح	واضح	٦١٠	١٠	مسمى	مسمى
٥٣٢	٢	الى	عن	٦١٣	٢	الخير	الخير
٥٣٢	٤	ملكت	ملكك	٦١٣	١٤	امنه	امنه
٥٣٥	١٢	ذوات	وذات	٦١٤	١٠	مخصص	مخصص
٥٣٤	٣	يعزبن	يعزبن	٦٢٠	٨	يقدر	يقدر
٥٣٨	١	على	عن	٦٢١	٢	قوله	قوله
٥٣٨	١٦	وليل	والليل	٦٢٦	٥	علمهم	علمهم
٥٥٠	١٠	الباطل	بالباطل	٦٢٦	١٨	قارقه	قارقه
٥٥٥	١٢	المخالفة	المخالفة	٦٣٥	١٦	خطلا	خطلا
٥٦٤	٢٣	قية باقية	فيه باقية	٦٣٤	١٠	لا	لا
٥٤٠	١٠	محتمل	محتمل	٦٣٨	٢٠	ملك	املك
٥٤١	١٠	الى	الى	٦٣٢	٢٢	ولا يهديم	ولا يهديم
٥٤٢	٢١	الظهور	ظهورا	٦٣٤	١٠	الذي	الذي
٥٤٢	٣	فاكتفهم	فاكتفوا	٦٣٨	١٦	تعيد	يتعد
٥٤٦	٦٠	ترضاة	ترضاة	٦٣٩	١٢	باسلام	باسلام
٥٨٠	٢٢	ط دم	ط دم	٦٥٠	٤	يتقبلها	يتقبلها
٥٨٣	١١	سند ظم	سند ظم	٦٥٦	١٢	المقدار	المقدار
٥٨٣	١٢	منه	منه	٦٦٢	٢	المعتذرة	المعتذرة
٥٨٣	١٦	ولا بما	وبما	٦٦٥	٦	عوذا	عوذا
٥٨٩	١٢	لقول	القول	٦٦٤	٢٢	مبيناً	مبيناً
				٦٦٤	٢٣	لوحداية	لوحداية

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٦٩	٨	قلها	قلها	٤٠٠	٢٢	اوالى	والى
٢٦٩	١٢	وجميع	جميع	٤٠٣	٣	حدة	جدة
٢٤١	١	ه ده	هذه	٤٠٥	١٥	وفشلا	وفشلا
٢٤٥	٢	حاء	حاء	٤٠٥	١٨	للمصلح	المصلح
٢٤٥	١٢	مكة	مكة	٤٠٤	٢	يقسا	نقيا
٢٤٤	١٦	تأكلوا	تأكلوا	٤٠٤	١٣	ناضوكر	ناضوكر
٢٤٨	٥	خرق ولحق	خرق ولحق	٤٠٩	١٦	بناء	بناء
٢٤٨	١٠	فخرق	فخرق	٤١٠	٢١	بمتهديك	بمتهديك
٢٤٨	١١	اخرق	اخرق	٤١٠	٢٢	عليك	اليك
٢٤٨	١٦	تخرق	تخرق	٤١١	١٠	التغلي	التغلي
٢٤٩	١٠	قطوب	قطرب	٤١١	١٦	المباه	المباه
٢٨٨	٢٢	ليس	ليس	٤١٣	٨	ذلك	ذلك
٢٨١	٣	والبا انقطع	والبا انقطع	٤١٦	١٥	الغرب	العرب
٢٨٢	٦	احداو	احدى و	٤١٤	٦	فلساطا	فالساطا
٢٨٥	٢٠	حص	خص	٤١٤	١٢	العرينين	العرينين
٢٨٥	٢٣	كل	فيه كل	٤١٨	٩	يطود	يطرد
٢٨٦	١	البزاه	البزاة	٤٢٠	١٤	ولا	لا
٢٨٦	٢١	لكل	اكل	٤٢١	١٨	هذا فجع	هذا فجع
٢٨٨	١٤	تعلب	تعلب	٤٢١	٢٠	التعبي	الشعبي
٢٩٠	١	جزة	حرة	٤٢٣	٢٣	بدلوما	بدلوها
٢٩٣	١٠	الموافق	الموافق	٤٢٦	٣	لعن	لعن الله
٢٩٩	١	الايمان	للايمان	٤٢٤	١٠	معنى	معنى

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٤٢٨	١٢	انه	وانه	٤٨٠	٣	ما	ما
٤٢٨	١٣	كفر	بل كفر	٤٨٢	٢٢	شها دة	شهادة اثنا
٤٣٠	٢	فضله	فضله	٤٨٢	٢٢	ارقابكم	اقاربكم
٤٣٩	٢٣	لجور	الجور	٤٨٣	٢٠	توقفونها	توقفونها
٤٢٢	٢٣	قتال	قتال	٤٨٢	١٢	حفظنا	حظنا
٤٢٣	١٣	لقرهم	لقوهم	٤٨٥	١	محوصا	محوصا
٤٢٥	١٤	بالتعيب	بالتعيب	٤٨٨	١٩	يعني	x
٤٢٦	٤	كرضيف	كرغيف	٤٨٩	١٠	الظير	الظير
٤٢٩	٢١	جوا دة	جودة	٤٩٣	٢٢	ضيبي	غليبي
٤٥٠	٣	والله	والله	٤٩٦	٩	نبي	بني
٤٥٠	١٢	اخض	اخض	٨٠٠	١٩	فبل	قبل
+	+	+	+	٨٠١	٢٢	العقلة	الغفلة
٤٥٢	٥	تصلد	تصدير	٨٠٢	١٢	وحي	وحي
٤٤٠	٢٣	الغير	لغير	٨٠٢	٨	صلا	اصلا
٤٤١	١٨	الشكيمة	الشكيمة	٨٠٣	١٢	الاستغناء	الاستغناء
٤٤٢	٥	فكف	فكيف	٨١١	٢	كاجعمة	كاجعمة
٤٤٢	٤	فتروا	فتروا	٨١١	١٢	مجادلير	مجادلين
٤٤٣	٢٢	واذا	واذا	٨١٢	١٨	فلا تكون	x
٤٤٥	٤	مقرنة	مقرونة	٨١٢	١٩	فلا تكون	فنون
٤٤٥	٨	الترعيب	الترهيب	٨١٣	٣	او	لو
٤٤١	٣	يلزم	تلزم	٨١٣	١٠	محصورين	محصورة
٤٤٣	١٦	واحل	واحل	٨١٥	٢٠	لذا بها	لذا بها
٤٤٨	١٨	لايجز	لايجز	٨١٥	٢٢	تعقلون	تعقلون
٤٤٩	١	بتكر	تكر	٨١٥	٢٣	لنسلية	لنسلية

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٨١٦	١٢	ثباته	اثباته	٨٦٢	٢١	وديدنه	ديدنه
٨١٤	١٤	تبلغها	تبلغها	٨٦٥	١٩	التهم	التهم
٨٢٢	٣	للأساء	البأساء	٨٦٦	٩	المقدار	المقدار
٨٢٢	١٩	لذلك	لذلك	٨٤٢	٥	وجها	وجها آخر
٨٢٦	٢	جال	حال	٨٤٥	٢٢	التجارب	التجارب
٨٢٦	٩	بالظالمين	من الظالمين	٨٤٤	١٠	والمعنى	والمعنى الأول
٨٢٦	١٥	بتعد	تبعد	٨٤٤	١٦	ولانها	لانها
٨٢٩	١٤	اِث	اِث	٨٨١	١٠	قبل	قبل
٨٣٠	٢٠	يكون ان	وما يكون ان	٨٨٢	١٠	عده	عليه
٨٣٠	٢١	دخولا	دخولا	٨٨٢	١٢	وارثته	وراثته
٨٣٩	٦	تعقب	تعقب	٨٨٢	١٥	انه	انه
٨٣٢	١٦	وقصة هذه	وهذه قصة	٨٨٤	١٢	الطبوي	الطبوي
٨٣٢	٢٠	الكواكب	الكواكب	٨٨٨	٢٣	ضائنية	ضائنية
٨٣٢	٢	ولا	x	٨٩٠	٢٢	اساء	اشياء
٨٣٥	١٢	قد	x	٨٩٨	١٠	اي	اي
٨٣٦	١	اياه	اياه	٨٩٨	١٢	علن	أعلن
٨٣٨	٥	أخوض	أخوض	٨٩٨	١٦	أفضت	أفضت
٨٥٣	١٤	الأضداد	الأضداد	٩٠٦	١٤	طللم	صللم
٨٥٥	١٨	القرية	القرية	٩٠٨	٨	انقال	انقال
٨٥٦	٦	يكون	يكون	٩٠٨	٢٢	وعظيم الرحمة	وعظيم الرحمة
٨٥٦	٢٢	في	في	٩٠٩	٥	الواجب	الواجبة
٨٥٨	١٣	بضم القاف	بضم القاف	٩١٠	٥	في	في
٨٦٢	١٣	نغيمًا	نغيمًا	٩١٠	٢٢	مقرطًا	مقرطًا



40183

